١ ـ سورة الفاتحة

السورة: مجموعة من الآيات لها اسم خاص. والفاتحةُ: السورة التي يُفتتح بها القرآن الكريم في المصاحف، وتُفتتح بها تلاوة القرآن في الصلاة، ولها بضعة وعشرون اسمًا آخر، لفضلها بين سور القرآن الكريم. وقال الرسول ﷺ في فضل قراءة الفاتحة: قالَ اللهُ تعالَى: قَسمتُ الصَّلاةَ بَينِي وبَينَ عَبدِي نِصفَينِ، ولِعَبدِي ما سأَلَ. فإذا قالَ العَبدُ: «الحَمدُ لله رَبِّ العالَمِينَ» قالَ اللهُ تَعالَى: «حَمِدَنِي عَبدِي»، وإذا قال: «الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ» قالَ اللهُ تَعالَى: «أثنَى علَيَّ عَبدِي»، وإذا قالَ: «مـالِكِ يَومِ الدِّينِ» قالَ: «مَجَّدَنِي عَبدِي»، فإذا قالَ: «إيّاكَ نَعبُدُ، وإيّاكَ نَستَعِينُ» قال: «هـذا بَينِـي وبَينَ عَبـدِي، ولِعَبـدِي ما سأَلَ»، فإذا قالَ: «اهدِنا الصِّراطَ المُستَقِيمَ، صِراطَ الَّذِينَ أنعَمتَ علَيهِم، غَيرِ المَغضُوبِ علَيهِم، ولا الضّالِّينَ» قالَ: «هذا لِعَبدِي، ولِعَبدِي ما سأَلَ». الحديث ذو الرقم **٣٩٥** من صحيح مسلم.

تفسير المفردات: باسم الله أي: نبدأ باسمه تعالى. والاسم: ما يُطلق على الذات لتُعرف به ويستدلَّ به عليها. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرحمن: العظيم الرحمة، يعمّ جميع الناس والمخلوقات بالعطف والخير والإحسان في الدنيا. والرحيم: يخصّ المؤمنين بالعطف والخير في الدنيا والآخرة. ١ الحمد: كل الثناء باللسان والقلب على صاحب جميل النعمة والخير. ولله أي: يملكه الله ويستحقه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالَمون: مجموع أجناس المخلوقات، كالناس والملائكة والحيوان والنبات والجماد. وهو ملحق بجمع المذكر السالم واحده: العالَم ٢ الرحمن الرحيم: انظر تفسير الآية الأولى. ٣ المالِك: المتفرد بالحِيازة والتصرف. واليوم: الزمن والوقت. والدين: المكافأة بالثواب والعقاب. ٤ إياك: أنت وحدك. ونعبد: نقدس بالتوحيد ونطيع. ونستعين: نطلب المعونة. ٥ اهدنا: أرشدْنا ووفّقنا في الاتباع. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل لا اعوجاج فيه ولا اضطراب. ٦ أنعمت: تكرّمت بالهداية وتفضّلت. والمغضوب عليهم: عُصاة الكفار سخط الله عليهم، وهم اليهود ومن قلّدهم أو اتّبعهم. والضالّون: الذين خرجوا عن طريق الحق والخير. وهم النصارى، إذا لم يؤمنوا برسالة الإسلام، وكذلك من اتّبعهم أو قلّدهم. ٧



المعنى العام: يعلّم الله المؤمنين أن يخصوه بالثناء الجميل على نعمه وفضله ويوحدوه ويستعينوا به وحده، ويطلبوا منه الهداية إلى طريق المؤمنين، بعيدًا عن اليهود والنصارى. أي: نبدأ تلاوة القرآن باسم الله، مستعينين به على الأداء والتوفيق، وطالبين منه القبول. فالثناء الجميل كله مستحَقّ لله وحده، وهو خالق العالَمِينَ وراعي مصالحهم، يعطف عليهم برحمته في الدنيا ويخصّ المؤمنين بذلك في الآخرة، ويتصرّف بها في يوم الحساب من الجزاء، دون معين أو مشارك أو منازع.

وياربنا، نقدّسك نحنُ ـ المُسلِمينَ جَميعًا ـ ونطيعك وحدك. أرشدْنا إلى دين الإسلام، الطريق الواضح الذي لا اضطراب فيه، طريق الذين أكرمتهم بالإيمان وتفضّلت عليهم بالهداية، لا اليهود المطرودين من رحمتك، ولا النصارى الذين كفروا بدينك الحنيف، ولا من اتبع أو قلد أولئك أو هؤلاء في العمل والأخلاق. آمينَ.

وعلى القارئ والسامع والإمام والمؤتم في الصلاة، بعد نهاية الفاتحة، أن يقولوا: «آمِينَ»، أي: «استجبْ، يا ربّ». انظر الحديث ذا الرقم **٧٤٧** في صحيح البخاري.

٢ـ سورة البقرة

تفسير المفردات: الٓمٓ: أحرف مقطَّعة استأثر الله بعلمها، وهي سِرّه المكنون في كتابه العزيز، وقد ذكر العلماء لها معاني كثيرة مختلفة، لبيان الحكمة من تصدُّرها بعض السور القرآنية. والله أعلم ١ ذلك أي: هذا بالتعظيم والإجلال، أيها القارئ والسامع. والكتاب: ما يكون فيه كتابة أي: القرآن الكريم. والريب: الشك والتردد. والهدى: الهادي والمرشد إلى الحق والصواب. والمتقون: الراغبون في التقوى بحق. وهي تجنب غضب الله وطلب رضاه بالطاعة للأمر والنهي. ٢ يؤمنون: يصدقون متيقنين مع الالتزام بها يجب عن ذلك من القول والعمل. والغيب: ما غاب عن إدراك الحواسّ والعقول، من أخبار وعلوم ومعارف وأحداث وكائنات. ويقيمون: يؤدّون بإتقان للأركان والشروط والآداب. والصلاة: الفريضة المكتوبة كل يوم خمس مرات. ورزقناهم: أعطيناهم حلالًا طيبًا من النعم والخيرات المادية والمعنوية في النفس والمال. وينفقون: يصرفون ويبذلون في سبيل الخير والعون والجهاد. ٣ يؤمنون: يصدقون تصديق يقين كامل. وأُنزل: أُوحي على لسان جبريل ويُسّر حفظه وتبليغه وبيانه. وإليك أي: إلى شخصك الكريم، أيها النبي. ومن قبلك: من قبل زمانك على الرسل، كموسى وعيسى وغيرهما. والآخرة: الحياة المتأخرة تكون بالبعث بعد الموت، للحشر والحساب والثواب والعقاب. ويوقنون: يعلمون ويدركون إدراكًا قطعيًّا. ٤ أُولئك أي: الموصوفون بها ذُكر في الآيات ٢ـ ٤ من هذه السورة. والهدى: الرشاد الكامل إلى الخير والصلاح في الدنيا والآخرة. ومن ربهم أي: من عنده بفضله وكرمه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والمفلحون: من يفوزون بالنجاح والخير في الدنيا والآخرة. ٥



سُورَةُ البَقَرَةِ ٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾
وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن
قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ
هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

المعنى العام: يوجّه الله المسلمين إلى الإيمان الدائم بالقرآن الكريم والاهتداء بها فيه من العقيدة والشريعة والعبادة والعلوم والمعارف والعمل، وما في الكون من عالَم الغيب مما لا تدركه الحواس والعقول، وإلى إقامة الصلاة والنفقة من المال الطيب في سبيل الخير وحماية الإسلام والمسلمين، وإلى الإيمان بالكتب المقدسة كلها وما سيكون في يوم القيامة من خير لهم وعذاب للكافرين والمشركين واليهود والنصارى، ويصف المسلمين بالهداية الكاملة والظفر بها يطلبون من النعيم.

فهذا الكتاب العظيم، أي: القرآن الكريم، كله حق لا شك في أنه مُنزَّل من عند الله على لسان سيد الملائكة جبريل عليه السلام، وهو الأمين على تبليغ الرسل كلامَ الله وأوامره، والقرآن يهدي الطالبين للتقوى إلى طاعة الله ورضاه. فهم يعتقدون يقينًا بها أخبرهم من المغيَّبات في الدنيا والآخرة، ويحافظون على أداء الصلاة بشروطها وأركانها وآدابها، ويبذلون مما أعطاهم الله من المال الحلال والقُدرات والمعارف عن طيب قلب، كما شرع للخير والجهاد في سبيله وإعزاز دينه، وحماية المسلمين في اعتقادهم وأوطانهم وأموالهم وأعراضهم، ويصدّقون ما أُوحي إليك ـ أيها النبي ـ من القرآن الكريم وما أُلهمتَ من الحِكمة، ويصدّقون بتحقيق واعتقاد جازم ما أُوحي إلى الرسل من قبلك كالتوراة ـ أيها النبي الكريم ـ والإنجيل وغيرهما، وما سيكون في الحياة الآخرة بعد الموت من بعث وحساب وجزاء.

فأصحاب الصفات الواردة في الآيات الماضية من هذه السورة هم الذين يسيرون على هداية من الله إلى طريق الصلاح والعمل الطيّب، وهم الذين يفوزون بخير الدنيا ونعيم الآخرة.

تفسير المفردات: كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة محمد ﷺ. والسواء: المتساوي. وأأنذَرت: إنذارك. ولا يؤمنون: يكذّبون وحدانية الله ودعوة رسوله. ٦ ختم: طبع وأغلق. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والسمع: القدرة على إدراك المسموعات. والأبصار: جمع بصر، نور العين تُدرك المرئيات. والغِشاوة الغِطاء. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والعظيم: الشديد لا مثيل له. ٧ الناس: البشر. ويقول: يتكلم بلسانه. وآمنّا: صدّقنا متيقنّين. وبالله أي: بوجوده ووحدانيته وصفاته. واليوم: الوقت والزمن. والآخر: الذي يكون بالبعث بعد الموت. وما هم أي: ليسوا. وبمؤمنين أي: مصدقين متيقنين. ٨ يخادعون الله أي: يكيدون لرسوله ولدينه وللمؤمنين ويحتالون في الخفاء. ويخدعون: يدبّرون الشر والبلاء. والأنفس: جمع النفس، شخص الإنسان وحقيقته بروحه وجسده. وما يشعرون: ما يحسون ولا يعلمون. ٩ المرض: الفساد وضعف الإيمان. وزادهم: أضاف إليهم. والأليم: الشديد الإيلام. وبما يكذبون: بسبب ادّعاء الإيمان ومحاولة الخداع. ١٠ قيل لهم: خوطبوا بالقول. ولا تُفسدوا: لا تُشيعوا الشر والفساد. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمصلحون: من يزيلون الفساد والشر وينشرون الخير. ١١ وألا أي: حقًّا. والمفسدون: المبالغون جدًّا في الإفساد والإيذاء. ١٢ آمِنوا: أيقِنوا بالتوحيد والبعث. والناس: المسلمون الصالحون. وأنؤمن أي: لن نؤمن. والسفهاء: جمع سفيه، الجاهل الطائش لا يعرف حقيقة ما يفعل. ولا يعلمون: لا يدركون ولا يَعُون ما هم عليه. ١٣ لقوا: صادفوا وقابلوا. وخلوا: اجتمعوا وانفردوا. والشياطين: جمع شيطان، من يوسوس بالفساد والضلال من البشر. وقالوا أي: لشياطينهم. ومعكم أي: مصاحبون لكم ومثلكم في الكفر. والمستهزئون: المستغرقون في السخرية من المسلمين. ١٤ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويستهزئ: يجازي الاستهزاء ويقابله بتدبير الخسارة والهلاك. ويَمدهم: يمهلهم ويستدرجهم بالنعم الكثيرة. والطغيان: تجاوز الحد بالكفر والنفاق والفساد. ويعمهون: يترددون في حيرة. ١٥ أولئك أي: الموصوفون بما ذُكر من النفاق. واشتروا: استبدلوا. والضلالة: الخروج عن طريق الحق. والهدى: الرشاد والاستقامة. وما ربحت: ما كسَبت ولا غنِمت. والتجارة: الصفقة في العقيدة يتاجرون بها. والمهتدون: المسترشدون إلى الصواب. ١٦

الجزء الأول | سورة البقرة

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

المعنى العام: أن جبابرة الكافرين المشركين لا يؤمنون لأنهم مصرّون على الكفر، و يتساوى عندهم تخويفك إياهم وعدمه. فقد طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم بالإعراض عن الفهم والانتباه في الضياء والظلام وفيما يأتيهم من جميع الجهات، وجعل على أبصارهم غطاء بسبب عنادهم لئلا يبصروا الحقائق، وسيكون لهم تعذيب شديد في الدنيا والآخرة، إن استمروا في الشرك.

وبعض الناس منافقون، يزعمون أنهم صدّقوا بتوحيد الله والبعث، وهم كافرون بذلك، يكيدون بالخفاء لدين الله ولرسوله وللمؤمنين، ولكنهم في الحقيقة يكيدون لأنفسهم دون أن يعلموا. فقد رسخ في قلوبهم الفساد وضعف الإيمان وأضاف إليهم الله فسادًا، وسيكون لهم تعذيب مؤلم بسبب نفاقهم. فإذا نُهوا عن الفساد زعموا أنهم مصلحون، والحق أنهم هم المفسدون ولا يعلمون ذلك، وإذا أُمروا بالإيمان كما هي حال المسلمين الصالحين قالوا: «لن نكون كالمذكورين الجهّال من المسلمين»، والحق أنهم هم الجهّال ولايدركون ذلك، وإذا صادفوا المؤمنين تظاهروا لهم بالإيمان، ثم إذا انفردوا بشياطين اليهود أكّدوا لهم أنهم كافرون مثلهم، وأنهم يسخرون من المسلمين فيما يزعمون من الإيمان. فالله يجازي سخريتهم بالاستهزاء بهم، ويزيدهم ضلالًا وحيرة وهلاكًا. إنهم الذين باعوا أنفسهم لأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان، فخسروا الدنيا والآخرة، واستغرقوا في ضلال مبين، وما عرفوا شيئًا من الهداية أو الخير.

تفسير المفردات: المثل: الصفة والحال. وكمثل الذي أي: كصفته وحاله. واستوقد: أشعل بجِدّ وحزم. والنار: ما يستضاء به في الظلام. وأضاءت: أنارت وكشفت. وما حوله: ما يحيط به من الأشياء. وذهب بنورهم: أطفأ ما ينير لهم وأذهبه. وتركهم: جعلهم. والظُلْمة: السواد الشديد. ولا يبصرون: لا يرون ما هم فيه. **١٧** الصم: جمع أصمّ، من فقَدَ حاسة السمع. والبكم: جمع أبكم، من وُلد أعمى وأبلَه وعجز عن الإبانة بالكلام. والعمي: جمع أعمى، من فقَدَ البصر. ولا يرجعون: لا يعودون عن الضلال. **١٨** الصيّب: المطر المنهمر. والسماء: السحاب. والرعد: صوت اضطراب السحب واصطكاكها. والبرق: لمعان ذلك. ويجعلون: يضعون. والأصابع: جمع إصبع، أحد أطراف الكف. والآذان: جمع أُذن، عضو السمع. والصواعق: جمع صاعقة، صوت الرعد معه قطعٌ من النار. والحذر: الخوف والفزع. والموت: مفارقة أرواحهم لأجسادهم. والمحيط: المحدقُ من جميع الجهات بالقدرة والانتقام. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. **١٩** يكاد: يقارب. ويخطف: يأخذ بسرعة ويمحق. والأبصار: جمع بصر، القدرة على الرؤية. وأضاء: أظهر الطريقَ. ومشوا فيه: ساروا في ضوئه. وأظلم: ذهب ضوءُه وعاد الظلام. وقاموا: وقفوا حائرين. وشاء: أراد أن يفني أسماعهم وأبصارهم. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: ذو القدرة البالغة. **٢٠** الناس: البشر. واعبدوا: قدّسوا موحّدين. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وخلقكم: أنشأكم من العدم. ولعلكم: ليتحقق لكم. وتتقون: تجتنبون غضب الله وتطلبون رضاه. **٢١** جعل: خلق. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والفراش: ما يسهَّل ويمهَّد. والسماء: ما يحيط بالأرض من العوالم العُلوية. وبناء أي: مرفوعة كالسقف المبنيّ. وأنزل: أسقط. والسماء هنا: السحاب. وأخرج به: أنبت بسبب الماء. والثمر: ما ينعقد عن زهر النبات. والرزق: ما يهيأ للخلق من الحاجات. ولا تجعلوا: لا تصيّروا ولا تزعموا. والأنداد: جمع ندّ، المماثل في الصفات. وتعلمون: تدركون أن المخلوق لا يكون إلَـهًا. **٢٢** الريب: الشك. ونزّلنا: أوحينا. والعبد: المخلوق مُلكًا وقهرًا وتعبّدًا. وائتوا: أحضِروا. والسورة: المجموعة من الآيات. والمثل: المماثل. وادعوا: نادوا مستعينين. والشهداء: جمع شهيد، المعين. ودون الله: غيره. والصادقون: من يقولون الحق. **٢٣** لم تفعلوا: لم تصنعوا ما يُطلب منكم. واتقوا: احفظوا أنفسكم. والنار: جهنم. والوقود: ما توقد به النار. والحجارة: جمع حجر. وأُعدت: هُيّئت النار. **٢٤**

الجزء الأول — سورة البقرة

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

المعنى العام: أن حال المنافقين كحال من هم في ظلام، وأوقدوا النار بجدّ وحزم ليستضيئوا، فأطفأها الله وجعلهم في ظلمات لا يبصرون شيئًا، لأنهم لا يسمعون الحق ولا يتكلمون به ولا يبصرون الهداية، فلا يرجعون إلى الإيمان، أو حالهم كحال من ينصبّ عليهم مطر شديد مع ظلمات متراكمة ورعد وبرق، فيسدون آذانهم بأصابعهم خوف الهلاك بالصواعق، والله مُحدِق بهم لا ينجون من عذابه. فالبرق يوشك أن يفني أبصارهم، وحينما يضيء لهم يمشون، ثم يختفي فيقفون حائرين، ولولا إمهال الله لهم لمحق سمعهم وأبصارهم، وهو على كل شيء قدير.

فيا أيها الناس، وحّدوا الله الذي أنشأكم من العدم، وأنشأ مَن قبلكم، لتتحقق تقواكم، وهو الذي بسط لكم الأرض لتيسير حياتكم، وبنى فوقها السماوات، وأسقط من السحب مطرًا فأنبت لكم رزقًا تعيشون به، ولا تشركوا به أحدًا، وأنتم تعلمون وحدانيته وعجز غيره عن الألوهية. وإن كنتم في ريب من وحي الله للقرآن وصادقين في إنكار ذلك فهاتوا سورة تماثله، مستعينين بمن تشاؤون، وإن عجزتم ـ وسوف تعجزون بلا شك ـ فاحفظوا بالإيمان أنفسكم من عذاب النار نار جهنم التي تتقد بالناس والحجارة، وقد هُيِّئت للذين كفروا.

الجزء الأول | سورة البقرة

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ
رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ
وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥
۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا
فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن
رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧
كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ
ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ
ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩

ربع الحزب ١

تفسير المفردات: بشر: أخبر مطمْئنًا ومباركًا. وآمنوا: صدّقوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وعملوا: فعلوا بإتقانٍ نيّةً أو قولًا أو عملًا. والصالحات: جمع صالح، العمل يرضاه الله. والجنة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر، المجرى العظيم من الماء. ورُزقوا: يُسّر لهم وأُطعموا. ومنها أي: من الجنات. والثمرة: ما ينعقد عن الزهر للطعام. وقبل أي: قبله في الجنة. وأُتوا به: أُعطوه ميسّرًا. والمتشابه: ما يشبه بعضه بعضًا في اللون والشكل. والأزواج: جمع زوج. وهو الزوجة. والمطهرة: المنظفة. والخالدون: المقيمون أبدًا. **٢٥** لا يستحيي أي: استحياءً يليق بجلاله فلا يترك ولا يهمل. ويضرب: يجعل. والمَثَل: الأمر العجيب يذكر لبيان ما يشبهه. وما: أيَّ مَثَل كان! والبعوضة: الواحدة من صغار البق. وفوقها: أكبر منها. ويعلمون: يدركون ويعتقدون. وأنه أي: المَثَل المضروب. والحق: الواقع موقعَه مشتملًا على الحِكَم. ومن ربهم: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وكفروا: كذّبوا وأنكروا. وماذا: أيَّ شيء؟ وأراد: قصد وقضى. ويضل: يوجّه إلى ما يناسب الاستعداد السيئ. وبه أي: بالمَثل. وكثيرًا أي: عددًا كبيرًا من الناس. ويهدي: يرشد إلى ما يناسب الصلاح. والفاسقون: الخارجون عن الإيمان والطاعة. **٢٦** ينقضون: يخالفون. والعهد: ما تعهدوا بفعله. والميثاق: التوثيق بالقسم. ويقطعون: يفصلون ويتركون. وأمر: ألزم. ويوصَل: يُتّبع ويُفعل. ويفسدون: يشيعون الفساد. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وأولئك أي: الموصوفون بالقبائح المذكورة. والخاسرون: الذين ضيعوا ما يؤمّلونه. **٢٧** كيف تكفرون أي: لا يجوز ذلك فالزموا الإيمان. والأموات: جمع ميت، أي: نطفة من ماء الرجل لا تستطيع الحياة بذاتها. وأحياكم: نفخ فيكم الروح. ويميتكم: يزيل أرواحكم من الأجساد. ويحييكم: يردّ أرواحكم إلى أجسادها. وإليه: إلى لقاء حسابه. وترجعون: تُردّون بعد البعث.**٢٨** خلق لكم: أوجد لأجلكم. وجميعًا أي: مجتمعًا. وثم استوى أي: وقصد قصدًا يليق بعظمته وجلاله يُحكِم ويخلق. والسماء: ما يعلو الأرض من مخلوقات عُلوية. وسواهن: صيّرهن. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والعليم: المبالغ في الإحاطة والعلم. **٢٩**

المعنى العام: أخبِر المؤمنين الصالحين - أيها النبي - بشارة، أن لهم يوم القيامة حدائق عجيبة فيها القصور والنخيل والأعناب، تتدفق أنهار المياه والعسل واللبن والخمر من تحت قصورها وأشجارها وبينها أيضًا، وكلما يسّر لهم الله نوعًا من الفواكه قالوا: «هذا مما رُزقناه قبلُ»، وعندما يذوقونه يجدونه جديدًا بطعمه ولذته، مع شَبهه ما كان قبل. وللرجال زوجات طاهرة من كل فساد في الجسم والنفس، وللنساء أزواج كذلك، ويقيمون في الجنة أبدًا.

والله لا يستحيي من الحق وتوضيح سبيل الهداية، فيبيّن بالمَثل ما كان صغيرًا أو كبيرًا، ويَعلم المؤمنون الحكمة منه، ويسخر الكافرون قائلين: ما المراد بهذا المثل اليسير؟ والمراد هو امتحان الله الناسَ بكشف ما في نفوسهم، ليصرف كثيرين عن الحق، ويوفق كثيرين إلى الإيمان. وإنما يَصرف الخارجين عن الإيمان والطاعة. فهم ينكثون بعهد الله بعد توثيقه ويقطّعون العلاقات الإنسانية التي أوجب الله حفظها، وينشرون الفساد في الأرض. فما أخسرَهم في الدنيا والآخرة!

ويا أيها المشركون، كيف تجحدون وحدانية الله مع وضوح البرهان القاطع؟ دعُوا ما أنتم عليه من الشرك والكفر والضلال والزموا التوحيد والطاعة. فلقد أنشأكم الله من العدم ونفخ فيكم الروح، وسينزع أرواحكم من أجسادها، ثم يبعثكم أحياء، لتحضروا الحساب والجزاء. وهو الذي أوجد لكم ما في الأرض من الخير، وقصد إلى السماء فخلقهن سبعًا، وهو محيط علمه بكل شيء من المخلوقات.

تفسير المفردات: إذ قال: حين خاطب. والملائكة: مخلوقون من نور، واحدهم مَلَكٌ. وجاعل: خالق ومنشئ. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وخليفة أي: من يخلفني في عمارة الأرض وتنفيذ أحكامي. ويفسد: ينشر الاضطراب والشر. ويسفك: يريق. والدماء: جمع دم. ونسبّح: نستبعد عنك ما لا يليق بك. وبحمدك: مع الثناء على الإحسان. ونقدس لك: ننزهك. وأعلم: أُحِيطُ بكل شيء بالغَ الإحاطة. ولا تعلمون: لا تعرفونه. **٣٠** علّم الأسماء أي: خلق القدرة على ابتكار اللغة، بما وهب من ملَكة الكلام. وآدم: أبو البشر. والأسماء: جمع اسم، ما يطلق على الأشياء من اسم وفعل وحرف. وعرضهم: أطلع الملائكة على المخلوقات. وأنبئوني: أخبروني. والصادقون: من يقولون الحق. **٣١** سبحانك: تنزيهًا لك من الاعتراض عليك. والعلم: المعرفة. وعلمتنا: خلقت فينا من العلم. والعليم: الذي لا يخرج شيء عن علمك. والحكيم: المتقن للفعل مع المنع للخروج عن الإرادة. **٣٢** أنبئهم: أعلمْهم. وألم أقل أي: لقد قلتُ. والغيب: ما غاب عن إدراك المخلوقات وحواسهم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من جو ومخلوقات عُلوية. وتبدون: تُظهرونه. وتكتمون: تُسِرّونه. **٣٣** اسجدوا أي: سجودَ تحية بالانحناء. وإبليس: أبو شياطين الجن. والجن: مخلوقات من النار منهم شياطين ومنهم مؤمنون. والكافرون: العاصون لله عمدًا. **٣٤** اسكن: استقرّ. والزوج: الزوجة. والجنة: الحديقة العظيمة في الأرض. وكُلا منها: تناولا مما فيها من الطعام والشراب. والرغد: الواسع. وحيث شئتما: في مكان إرادتكما. ولا تقربا: لا تدنوا للأكل. والشجرة: النبتة لها ساق وأغصان. وتكونا: تصيرا. والظالمون: العاصون. **٣٥** أزلّهما: أزلقهما ونحّاهما. وعنها: عن الجنة بما وسوس. وأخرجهما: أبعدهما. واهبطوا: اخرجوا وانزلوا. والبعض: الواحد أو الأكثر. والعدو: المعادي. والمستقر: موضع الاستقرار. والمتاع: ما يُتمتع به. والحين: الوقت المحدد. **٣٦** تلقى: تلقّن إلهامًا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وتاب عليه: غفر له. وإنه أي: الله. والتواب: الكثير القبول للتوبة. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. **٣٧**

الجزء الأول — سورة البقرة

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

المعنى العام: يخبر الله الناس بما كان من خلقِ آدم، واستعلامِ الملائكة، وتفوقِ آدم عليهم في الخلافة بالأرض، وخداعِ إبليس له ولحواء وإخراجهما من الجنة. فاذكر للناس - أيها النبي - ما كان حين أعلم الله الملائكة بخلقه آدمَ ليكون خليفة في الأرض، فتساءلوا بما علّمهم من أحوال البشرعن حكمة ذلك الاستخلاق، خوف إفساد الأرض بالقتل والشر، وهم طوع أمر الله ومنزّهون له ويمجّدونه بصفات الكمال، وهم أولى بذلك الاستخلاف، وأجابهم الله بأنهم يجهلون المصالح، وهو يعلم ما لا يعلمون منها. ولمّا خلق آدمَ جعل فيه ملَكة الكلام لتوليد اللغة فيما يتجدد، وطلب منهم أن يخبروا بشيء من ذلك عما حولهم، وعجزوا عنه، فطلبه من آدم. ولمّا أعلمهم آدم بما طُلب منه قال لهم الله: لقد أخبرتكم أنني أحيط بما لم تعلموا، وبما تُظهرون وما كنتم تُخفون.

واذكر للناس ـ أيها النبي ـ كيف كرّم الله آدم لتفوّقه على الملائكة، وأمرهم أن يسجدوا له تحيةً بالانحناء، فسجدوا عدا إبليس كان معهم وهو أبو شياطين الجن، امتنع عن السجود وتكبر، فصار من الجاحدين العاصين؟ وقد أمر الله آدم وزوجته أن يستقرا في جنة الأرض، ويأكلا ويشربا منها هانئَين في كل مكان، وألّا يقربا شجرة عيّنها لهما، وإلّا وقعا في المخالفة وصارا من العاصين.

ولكن إبليس أغراهما بالخلاف، وأكلا من ثمار الشجرة وسبَّب إبعادهما عن الجنة، فأمرهم الله أن يخرجوا آدم وحواء وما سيكون لهما من ذُرّيّة إلى بقية الأرض، حاصلًا بينهم العداوات، ولهم فيها الاستقرار والتمتع مدة حياتهم، ثم ألهَمَ الله آدم كلماتٍ للتوبة، ورددها آدم وحواء، فقبل الله منهما التوبة وغفر لهما العصيان، وهو الكثير التوبة والعطف على من حقّق توبته من عباده.

الجزء الأول — سورة البقرة

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

تفسير المفردات: قلنا أي: قال الله لآدم وحواء وما سيكون لهما من ذُرّيّتهما. واهبطوا: اخرجوا وانزلوا. وجميعًا أي: مجتمعين. وإمّا أي: إن، وما: الزائدة للتوكيد. ويأتينكم: يصلنّ إليكم. ومني أي: من عندي. والهدى: الرسول الهادي. وتبعه: وافقه واستجاب له. والخوف: الفزع من مكروه. ولا يحزنون: لا يغتمّون لضياع ما يرغبون فيه. ٣٨ كفروا: أنكروا الرسالة والتوحيد والبعث. وكذّبوا: جحدوا ولم يصدّقوا. والآيات: النصوص الربانية والأدلة الكونية على التوحيد والبعث. والأصحاب: جمع صاحب، المقارن للشيء يلازمه. والنار: نار جهنم. والخالدون: المقيمون أبدًا. ٣٩ البنون: الذرية من الذكور والإناث. وإسرائيل: لقب ليعقوب بن إسحاق، معناه: عبدالله. وهو من السُّومريّين الحاميّين وليس من الساميّين. واذكروا: استحضروا بالقلوب والألسنة والأعمال. والنعمة: التفضل بالخير. وأنعمت: تكرّمت وتفضّلت. وأوفوا: أدُّوا بالكمال والوفاء كما يجب. وعهدي أي: ما كلفتكم به وآمنتم به في التوراة. وعهدكم: ما وعدتكم به جزاء الإيمان والعمل. وإياي: أنا وحدي. وارهبونِ: ارهبوني أي: خافوا انتقامي إن تركتم الوفاء. حذفت الياء للتخفيف وموافقة أواخر الفواصل. ٤٠ آمِنوا: ثِقوا وصدّقوا يقينيًّا. وأنزلت: أوحيته على لسان جبريل. والمصدق: المثبِّت المحقِّق. ومعكم: عندكم من التوراة والإنجيل. ولا تكونوا: لا تصيروا. والكافر: المنكر والجاحد. ولا تشتروا: لا تستبدلوا. والآيات: ما في التوراة من الدين والتبشير بمحمد. والثمن: العِوَض. والقليل: اليسير مهما كثر. واتقونِ: اتقوني أي: تجنبوا غضبي واطلبوا رضاي بلزوم الطاعة. وحذفت الياء للتخفيف أيضًا. ٤١ لا تلبسوا: لا تخلطوا. والحق: الشيء الثابت لا شك فيه. والباطل: ما لا أصل له ولاثبات عند البحث عنه. ولا تكتموا: لاتُخفوا. وتعلمون: تدركون باليقين. ٤٢ أقيموا: أدُّوا بالشروط والأركان والآداب. والصلاة: العبادة المكتوبة خمس مرات في اليوم. وآتوا: أعطوا من يستحق. والزكاة: ما يُدفع من الأموال ليطهرها وينمّيها ويطهر أصحابها. واركعوا: صلُّوا مع الجماعة. ٤٣ أتأمرون: كيف تُلزمون؟ والناس: البشر. والبر: كل خير وإحسان. وتنسون: تتركون. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وتتلون: تقرؤون وتفهمون. والكتاب: التوراة. وألا تعقلون أي: عليكم أن تدعوا الجهل وتعقلوا وتدركوا الحق من الباطل. ٤٤ استعينوا: اطلبوا العون. والصبر: التحمل لِما يُكره. وإنها أي: الصلاة. وكبيرة: ثقيلة. والخاشعون: الخائفون اللهَ والخاضعون له. ٤٥ يظنون: يوقنون. وملاقون أي: يرون يوم القيامة ويتلقون الجزاء. والرب: الخالق المالك المتفرد. وإليه: إلى موعد حسابه. وراجعون: صائرون للجزاء. ٤٦ فضلتكم: أعطيتكم زيادة من الخير. والعالَمون: الخلق في زمانكم. ٤٧ اتقوا: خافوا. واليوم: الزمن. ولا تجزي: لا تغني ولا تفيد. والنفس: المخلوق ممن يعقل. ولا يقبل: لا يُرضَى. والشفاعة: التوسط لدفع شر أو جلب خير. ولا يؤخذ: لا يتقبّل. والعدل: المماثل في القدر للفدية. و لا هم أي: ليسوا. وينصرون: يعاونون ويمنعون من العذاب. ٤٨

المعنى العام: الخطاب لآدم وحواء وما فيهما من سُلالة بالخروج من جنة الدنيا وبما سيكون من نجاة المهتدين في نعيم الجنة وعذاب الكافرين في الخلود بالنار، تهديدًا لبني إسرائيل، كي يلتزموا عهد الإيمان فيتبعوا دعوة الإسلام ويطيعوا، ويبيّنوا الحق من الباطل، ولا يتاجروا بما في التوراة من أحكام وبشارة بنبوة محمد ﷺ. وعليهم القيامُ بالعبادات الإسلامية وإصلاحُ أنفسهم بما يأمرون الناس به من الخير، والاستعانةُ بالصبر والصلاة التي هي عسيرة على غير المطمئنين بالإيمان والبعث للقاء الله وحسابه.

ولقد أكرم الله بني إسرائيل بالتوراة والإيمان والنعم وفضلهم على من عاصرهم إذا لزموا الإيمان والتوحيد والطاعة، فوجب عليهم شكرُه لذلك بتجنب غضبه وطلب رضاه، وحمايةُ أنفسهم من عذاب جهنم، بالاستعداد لحسابه على العمل دون انتظار شفاعة أو فدية.

تفسير المفردات: إذ نجيناكم: وقت إنقاذنا إياكم. وآل فرعون: أعوانه وجنوده من الأقباط. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. ومعناه: البيت الأعظم. ثم أطلق على الملك. ويسومونكم: يذيقونكم. والسوء: السيئ. والعذاب: التعذيب. ويذبحون: يقطعون الحلاقيم. والأبناء: جمع ابن، الذكر من الأولاد. ويستحيون: يُبقون على الحياة للإذلال والفجور. والنساء: جمع نسوة. والنسوة واحدته امرأة. وذلكم أي: سوءُ العذاب والإنقاذُ منه. والبلاء: الامتحان ليظهر الصالح من الفاسد. ومن ربكم أي: من حكمه وقضائه. والعظيم: الضخم لا مثيل له. **٤٩** إذ فرقنا: وقت شقّنا ورفعِنا طُرقًا عالية بين المياه. وبكم: لأجلكم. والبحر: ما اجتمع فيه ماء كثير. وهو البحر الأحمر. وأغرقنا: قتلنا خنقًا بالماء. وأنتم أي: آباؤكم. وتنظرون: توجهون أبصاركم عِيانًا. **٥٠** إذ واعدنا: وقت جعلنا زمنًا محددًا. وموسى معناه: الماء والشجر. وهو أعظم أنبياء بني إسرائيل. وأربعين أي: تمامَ أربعين لإنزال التوراة فيها. وليلة أي: يومًا بنهاره وليله. واتخذتم: جعلتم وصيّرتم. والعجل: ولد البقرة الصغير. وبعده: بعد ذهاب موسى إلى ميعاد ربه. والظالمون: من تجاوزوا حد الحق بالشرك. **٥١** عفونا عنكم: محونا ذنوبكم. وذلك أي: عبادة العجل. ولعلكم: لترجَّوا. وتشكرون: تستحضرون النعمة وتثنون على الله بالقلب واللسان والعمل. **٥٢** إذ آتينا: وقت إعطائنا والتكليف بالرسالة. والكتاب: التوراة. والفرقان: المعجزات تفرق بين الحق والباطل. وتهتدون: تسترشدون إلى طريق الحق. **٥٣** قومه: بنو إسرائيل من السُّومريِّين الحاميِّين. ويا قوم: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف.وظلمتم أنفسكم أي: جُرتم عليها وأوقعتموها في الهلاك. والأنفس: جمع نفس، الإنسان بروحه وجسده. والاتخاذ: الجعل والتصيير. وتوبو ا: اعترفوا بالذنب واتركوه واطلبوا المغفرة. والبارئ: الخالق. واقتلوا أنفسكم: ليقتلِ البريءُ مَن يعبد العجل. وذلكم أي: القتل. وخير: أنفع من الاستمرار على الشرك. وعند بارئكم أي: في حكمه. وتاب: غفر الذنب وصفح عنه. والتوّاب: الذي يقبل التوبة كثيرًا. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان إلى المؤمنين. **٥٤** لن نؤمن لك: لن نصدقك أن ما نسمعه من التوراة هو كلام الله. ونرى: نبصر بأعيننا. وجهرة أي: عِيانًا. وأخذتكم: نزلت بكم عقوبةً وإهانة. والصاعقة: نار محرقة من السماء معها صوت هائل. **٥٥** بعثناكم: أحييناكم. والموت: الهلاك. **٥٦** ظللنا عليكم: سترناكم من حرّ الشمس في التّيه. والغمام: السحاب الرقيق. وأنزلنا: أطلقنا وأسقطنا. والمنّ: حَلوى تشبه العسل الأبيض. والسلوى: طيور السُّمانَى. وكلوا: تغذَّوا. والطيبات: ما يُستلذ من الغذاء المباح. ورزقناكم: هيأنا لكم ويسّرنا. وما ظلمونا أي: لم يصل من كفر بني إسرائيل إلينا نقص أو ضرر. ويظلمون: يسببون الضرر والهلاك. **٥٧**

الجزء الأول — سورة البقرة

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

المعنى العام: يذكّر الله اليهود بما أنعم عليهم وما كان من شركهم والكفر والمكابرة. فقد أنقذهم من تعذيب فرعون وتقتيله ذكورهم واستخدامه النساء للذلة والفجور، ومن لحاقه بهم إلى ساحل (بحر القُلزم) البحر الأحمر ليقضي عليهم، فانشق البحر، وكان شقه بخسف وارتفاع لِقِطَع من الأرض بين أجزائه ليعبروا، ثم غارت اليابسة حين دخلها فرعون وجنوده فكان لهم الغرق، وبنو إسرائيل يرون ذلك عِيانًا. وعندما أنعم عليهم بلقائه موسى في الموعد المحدد أربعين يومًا ليعطيه التوراة، عبدوا العجل الذي صاغه السامري . و هو ساحر منافق. ممن يعبدون البقر. وعندما تابوا ورجعوا إلى التوحيد عفا الله عن بعض ذنوبهم، وأمرهم بقتل العابدين للعجل، وآتاهم التوراة والمعجزات القاهرة، ولكنهم طلبوا أن يروا الله عِيانًا ليؤمنوا به وبالتوراة، فقضت عليهم الصاعقة، ثم أُعيدوا إلى الحياة، وأُعينوا في التيه ـ وهو وادٍ صحراوي بين مصر والشام بسيناء تاهوا فيه أربعين سنة - أعانهم الله بسُحب وأطعمة طيبة ليكونوا مؤمنين صالحين. غير أنهم كفروا النعم وطغوا، فكانوا يظلمون أنفسهم بذلك.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١

تفسير المفردات: إذ قلنا: وقت أمرنا إياكم. وادخلوا: اسكنوا بعد التشرد. والقرية: أريحا، مدينة شمال القدس. وكلوا: تناولوا الطعام والشراب. وحيث شئتم أي: في مكان إرادتكم أن تأكلوا. والرغد: الواسع الهنيء. وادخلوا: اعبروا. والباب: باب مدينة أريحا. والسجَّد: جمع ساجد بانحناء. وقولوا أي: بدعاء وتذلل. والحطة: إزالة الخطايا والذنوب. ونغفر: نستر ونصفح. والخطايا: جمع خطيئة، الذنب يستوجب العقاب. وسنزيد المحسنين أي: سنضيف برحمتنا حسنات إلى من يعمل الصالحات مخلصًا. ٥٨ بدّل: جعل بدلًا مما أُمر به. وظلموا: جاروا فوضعوا الشيء في غير موضعه. والقول: ما يقال. وقيل لهم أي: أمروا به. وأنزلنا: قضينا وأرسلنا. والرجز: العذاب الشديد. والسماء: العوالم العُلوية. وبما كانوا: بسبب كونهم. ويفسقون: يخرجون عن الطاعة. ٥٩ إذ استسقى: وقت طلب السُّقيا. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. وقومه أي: من بقي من بني إسرائيل. وقلنا أي: لموسى. واضرب: اقرع بشِدّة. والعصا: ما يكون من الخشب للتوكؤ. والحجر: قطعة من الحجر كانت هناك. وانفجرت: انشقت وتدفقت. والعين: يَنبوع الماء الجاري. وعلم: أدرك وعرَفَ. والأناس: الجماعة. والمشرب: مكان الشرب. واشربوا: تناولوا الماء. والرزق: ما يهيأ من الحاجات. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا تعثوا: لا تفسدوا. والأرض: مكان التيه. والمفسدون: من يشيعون الشر والضلال. ٦٠ إذ قلتم: وقت قولكم. ولن نصبر: لن نتحمل. والطعام: ما يؤكل. والواحد: المتفرد لا ثاني معه. وادع: نادِ طالبًا ومستغيثًا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويُخرج: يُنبت ويخلق. وتُنبت: تُظهر وتثمر. والأرض: ما يبس من التربة. والبقل: الخضراوات تَنبت بلا جذر ثابت. والقثّاء: نوع من الخِيار. والفوم: الحِنطة. والعدس: الحَبّ المعروف. والبصل: النبات المعروف. وقال أي: موسى لهم. وأتستبدلون: كيف تطلبون البدل؟ والأدنى: الأخسّ. والخير: الأفضل. واهبطوا: ادخلوا وانزلوا بعد التشرد. والمِصر: البلد العظيم. وسألتم أي: طلبتموه. وضربت: جُعلت وطبعت. والذلة: المذلة. والمسكنة: أثر الهوان. وباؤوا: نالوا العقاب. والغضب: السخط مع إرادة الانتقام. ومن الله: من عنده وبأمره. وذلك أي: العقاب بالذلة والمسكنة والغضب. وبأنهم: بسبب كونهم. ويكفرون: ينكرون ويجحدون. والآيات: المعجزات والكتب المنزلة. ويقتلون: يسببون الموت بالسلاح. والنبي: من يكلفه الله بالدعوة إلى التوحيد والشريعة مع العمل. والحق: العدل والحكم الشرعي. وبما عصوا أي: بسبب مخالفتهم الأمرَ والنهي. ويعتدون: يتجاوزون الحد بالكفر والمعاصي. ٦١

المعنى العام: يتابع الله تذكير اليهود بقبائحهم ومفاسدهم. فقد أُمروا بدخول مدينة أريحا ساجدين شكرًا للالتجاء فيها من التشرد، وأن يطلبوا المغفرة بقول: «حِطة»، أي: طلبُنا إزالةُ الخطايا والذنوب، فدخلوا زحفًا على مقاعدهم ساخرين بطلب حبّة في شعرة أي: حبة من غذاء في مجموعة من الشعر ـ وهو قول معناه العصيان والسخرية ـ يريدون حبّة قمح مع ما يكون لها في السنبلة. يعني أنهم طلّاب غذاء ومادّة، لا طلاب طاعة ومغفرة.

ولمّا احتاجوا إلى الماء في التّيه أمر الله موسى فضرب بعصاه حجرًا هناك، فانشقت لهم المنابع بعدد قبائلهم، ليكون لكل قبيلة ينبوع خاص فلا يختلفوا ويقتتلوا، ولينعموا بالصحة والحياة والصلاح. ثم طلبوا أغذية دنيئة بدلًا من الكريمة، فأُمروا بدخول مدينة يلجؤون إليها وفيها ما أرادوا، وقُضي عليهم بالذل والخنوع وغضب الله، يلزمهم ذلك أبدًا لكفرهم النعمَ وقتلهم الأنبياءَ ظلمًا، كما فعلوا في مثل زكرياء ويحيى. عليهما السلام.

تفسير المفردات: آمَنوا: صدّقوا بالتوحيد والبعث اعتقادًا. وهادوا: تهوّدوا. والنصارى: جمع نَصران، مَن نصر المسيح على الحق. والصابئون:الذين كانوا على الفطرة وليس لهم دين مقرَّر، ثم تنصر بعضهم أو تهود. وآمن بالله أي: عرف قلبه توحيد الله وما يلزمه. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بالبعث بعد الموت. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. والصالح: ما يرضاه الشرع. والأجر: الثواب. وعند ربهم: في حكمه ورحمته. ولا خوف عليهم أي: لا يفزعون في الدنيا والآخرة. ولا يحزنون: لا يغتمون لِما كان منهم. **٦٢**. إذ أخذناه: وقت انتزاعنا منكم بالقهر. والميثاق: العهد الموثّق بالقسم. ورفعنا: أعلينا بزلزلة ورفع. والطور: جبل شماليّ فلسطين. وخذوا: تمسكوا واتّبعوا. وآتيناكم: أعطيناكم إياه. وبقوة أي: مع الجِدّ والحزم. واذكروا: ادرسوا واحفظوا وتدبروا. ولعلكم: ليكون لكم رجاء. وتتقون: تتجنبون غضب الله وتكونون في رضاه. **٦٣** توليتم: أعرضتم وعصَيتم. وذلك أي: أخذ الميثاق ورفع الجبل. ولولا أي: لولا وجود. والفضل: التفضل والتكرم. والرحمة: العطف بالفضل والإحسان. والخاسرون: الهالكون بذنوبهم. **٦٤** علمتم: عرفتم حقًّا. واعتدَوا: تجاوزوا الحق. والسبت أي: يوم السبت ينقطع فيه اليهود عن العمل. وقلنا لهم: أمرناهم وقضينا عليهم. وكونوا أي: صيروا. والقردة: جمع قِرد. وهو الحيوان المعروف بشناعته وتقليده. والخاسئون: المنبوذون المُبعَدون عن رحمة الله. **٦٥** جعلناها: تركنا عقوبة مسخكم وصيّرناها. والنكال: الردع يُخوَّف به غيرُ المنتقَم منه. وبين يديها أي: في زمنها. وخلفها أي: بعدها. والموعظة: ما يذكر لتليين القلب ثوابًا أو عقابًا. والمتقون: من يتجنبون غضب الله ويطلبون الرضا بلزوم الطاعة. **٦٦** إذ قال: وقت قوله. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. وقومه: بنو إسرائيل من السّومريّين الحاميّين. ويأمركم: يفرض عليكم ويوجب. وتذبحوا بقرة: تقطعوا حلاقيمها لتموت. والبقرة: الأُنثى من الحيوان يثير الأرض يتُغذّى بلبنها ولحمها. وقالوا أي: له. وأتتخذنا: لماذا تجعلنا؟ والهزو: السخرية. وأعوذ: أحتمي وأمتنع. والجاهلون: من يفعلون الشيء بخلاف الصواب. **٦٧** ادع: ناد واطلب بتضرع. وربك: معبودك. ويبين: يوضّح. وما هي أي: ما عمرُها؟ وإنه أي: الله. والفارض: العجوز. والبكر: الفتيّة. والعوان: المتوسطة في السن. وذلك أي: العجز والفتوة. وافعلوا أي: أطيعوا ونفذوا. **٦٨** اللون: ما يتميز به الجسم من حمرة أو بياض، وما في نوعه أيضًا. والفاقع: الشديد الصُّفرة. وتسر: تُعجب. والناظرون: من يدركون بأعينهم ما يرون. **٦٩**

الجزء الأول — سورة البقرة

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

المعنى العام: كان سلمان الفارسي وبعض الناس قبل البِعثة يصلّون ويصومون على غير هداية، ويؤمنون أن محمدًا ﷺ سيبعث رسولًا، فنزلت الآيةُ الأولى تذكر ثواب كل من يتَبع الإسلام من أصحاب الأديان المختلفة، والآياتُ التالية للتذكير بجرائم اليهود وتشجيعهم على التوبة والإيمان. فقد استجابوا من قبلُ للعهد بالإيمان والطاعة بعد التهديد بسقوط الجبل، ثم تنكروا لذلك، وخالفوا عيدهم في السبت، واحتالوا لصيد ما يكون فيه بجمعه ليوم آخر، فمُسخ المخالفون عقوبة وردعًا لغيرهم، فلم يعيشوا كثيرًا بعد ذلك، ولم يكن لهم نسل. وليس منه القردة والخنازير المعروفة، وربما وُجدت بقايا عظام بعضهم، فزعم الدارسون من المضللين أنها دليل نظريات التطور المكذوبة.

ولما كان اليهود يقدسون البقر أُمروا بذبح واحدة منه لتحقيرها في نفوسهم، فتمنعوا بالحجج والتساؤل عن صفات المطلوب ذبحُها، ثم استجابوا مضطرين. وذكرُ القتيل في كتب التفسير هنا سببًا لذبح البقرة هو خرافة إسرائيلية، من القَصص الذي لا يصح، إذ لم يرد ذلك في كتاب مُنزل ولا في السُّـنّة، وإنما كان ذبح البقرة لتثبيت كفرهم بالعجل الذي كان في قلوبهم تقديسه، كما في الآيتين ٩٢ و ٩٣.

تفسير المفردات: قالوا أي: بنو إسرائيل لموسى. وادع: ناد واطلب بتضرع. وربك: معبودك. ويبين: يوضّح. وما هي أي: ما صلتها بعمل البقر؟ وتشابه: اختلط وأشكل. وشاء أي: أراد أن نهتدي. والمهتدون: المسترشدون يوفقون في معرفة البقرة المطلوبة. **٧٠** قال أي: موسى لبني إسرائيل. وإنه أي: الله. والذلول: المذللة للحرث. وتثير: تقلّب التربة. ولا تسقي: لا تُستخدم للسقي. والحرث: الأرض المحروثة للزراعة. ومسلّمة أي: سلّمها الله من العيوب وعافاها. والشية: بقعة مغايرة للونها. وفيها أي: في جسدها. والآن: في هذا الوقت. والحق: البيان التام. وذبحوها: نحروا البقرة. وما كادوا: ما قاربوا. ويفعلون أي: يقومون بما أُمروا به. **٧١** إذ قتلتم نفسًا أي: حين قتلَ أحدكم إنسانًا. وادّارأتم فيها: تدافعتم بسبب النفس المقتولة وتعيين القاتل. ومخرج: مُظهِر. وتكتمون أي: تُخفونه. **٧٢** قلنا أي: أمرناكم. واضربوه ببعضها: اضربوا المتَّهم كل متّهم ببعض الجثة. وكذلك أي: مثل إحياء صاحب الجثة. ويحيي: يبعث. والموتى: جمع ميت، من فارقت روحه جسده. ويريكم: يطلعكم ويبصّركم. والآيات: الأدلة القاطعة على الوحدانية والقدرة الربانية. ولعلكم: ليكون لكم الرجاء. وتعقلون: تفكرون بعقولكم فتؤمنون. **٧٣** قست: تصلبت عن قبول الحق. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. وذلك أي: معجزة إحياء الميت. والحجارة: جمع حجر، ما تصلب من وجه الأرض. وأشد: أقوى وأصلب. والقسوة: الغلظة والتحجر. ومن الحجارة أي: بعضها. ويتفجر: يتدفق. والأنهار: جمع نهر، المجرى للماء الكثير. ويشقق: يتفتح ويتفطر. ويخرج: يظهر ويسيل. ويهبط: يسقط ويهوي. والخشية: الطاعة والانقياد لوظيفة خلقه. وما الله: ليس الله. وبغافل: ساهيًا لا يطّلع ولا يحاسب. وتعملون: تكتسبونه وتتحملونه من نية أو قول أو فعل. **٧٤** أتطمعون: كيف تحرص نفوسُكم بشدة. ويؤمنوا لكم: يصدّقكم اليهود. والفريق: القِسم. ويسمعون: يتلقون بالسمع والفهم. والكلام: القول. ويحرفونه: يغيّرون لفظه أو معناه. وعقلوه: أدركوه وفهموه. ويعلمون: يدركون ويعُون ما يفعلون. **٧٥** لقوا الذين آمنوا: صادفوا المسلمين أو اجتمعوا بهم. وقالوا أي: للمسلمين. وآمنّا أي: بمحمد. وخلا: رجع وانفرد. وبعضهم أي: الواحد منهم أو الأكثر. وأتحدثونهم: لا تخبروا المسلمين. وفتح: تفضل بما في التوراة من التبشير بمحمد. ويحاجوكم به: يخاصموكم بما أخبرتموهم. وعند ربكم: عند لقاء حسابه. وألا تعقلون أي: أدركوا بعقولكم ما يضركم وما ينفعكم. ٧٦

الحزب

الجزء الأول — سورة البقرة

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا
الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

المعنى العام: تتمة قصة البقرة بكثرة ممانعة اليهود للذبح تقديسًا للبقرة، إذ ادّعوا أنهم لا يعرفون: كيف يختارونها؟ فبين الله لهم أنها لا تستخدم في الحراثة والسقي للزرع، وخالية من العيوب ولونها صاف، فاختاروها كما وصفت ونحروها، وما كادوا يفعلون أي: تمنعوا كثيرًا لئلا يفعلوا ذلك، ثم اضطرّوا إلى الاستجابة والخضوع.

وذكّرهم الله بما كان حين قُتل إنسان منهم، وكلهم تنصّل من ذلك، فأُمروا أن يضربوا كل متهم بيد المقتول وهي متصلة بالجثة، فيضطرب القاتل ويحيا القتيل لتعيين قاتله معجزة من الله. وكذلك يكون بعث الموتى يوم القيامة. وعلى هذا فلا علاقة لقصة ذبح البقرة بقصة القتيل، خلافًا لِما ذكر المفسرون نقلًا من مزاعم اليهود ليدفعوا عن أنفسهم تقديس البقر. ومع هذا، لم تنفعهم المعجزة، وتكبروا عن الخضوع للإيمان بما في قلوبهم من قسوة أشد من الصخر الذي يستجيب لإرادة الله بالينابيع والتساقط والتفتت.

فلا تنتظروا منهم الإيمان - أيها المسلمون ـ وقد حرّف بعضهم التوراة بظلم بعدما فهموها، و يزعمون لكم أنهم مؤمنون بنبوة محمد ﷺ، كما جاء في التوراة، ثم يتناهون عن قول ذلك أمام المسلمين لئلا يكون عليهم حجة يوم القيامة بالكفر.

تفسير المفردات: ألا يعلمون: إنهم يدركون ويفهمون. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويعلم: يحيط بالغ الإحاطة. ويسرون: يُخفونه. ويعلنون: يُظهرونه. **٧٧** منهم أي: بعضهم. والأُمّيّ: من نُسب إلى الأُمّ، لجهله القراءة والكتابة والمعارف. والكتاب: التوراة. والأمانيّ: جمع أُمنيّة، أُكذوبة تمنّاها الأحبار. وإن هم: ليسوا. ويظنون: يتخيلون ويزعمون. ٧٨ الويل أي: الدعاء بشدة العذاب. ويكتبون: يسجلون. والكتاب: ما يكتب من الكلام. والأيدي: جمع يد. ويقولون أي: للناس من أتباعهم. وهذا أي: ما كتبوه. ومن عند الله أي: من الوحي الذي أنزله على موسى. ويشتروا: يستبدلوا ويحصّلوا. وبه أي: مقابل ما زعموا. والثمن: العوض من المال والجاه. ومما كتبت: بسبب ما سجلته. ويكسبون: يحصّلونه ويجمعونه. **٧٩** قالوا أي: زعموا. وتمسنا: تصيبنا. والنار: نار جهنم. والأيام: جمع يوم، مقدار دوران الأرض دورة واحدة. والمعدودة: التي يسهل عدها. وقل أي: لهم، أيها النبي. وأتّخذتم: لم تحصّلوا ولم تتلقوا. وعند الله أي: في كتاب أو وحي أو كلام رسول. والعهد: التعهد الموثَّق. ويُخلف: ينقض ويبدل. وأم تقولون أي: بل تختلقون وتكذبون. ولا تعلمون أي: لا تتيقنون أنه حق. ٨٠ وبلى: ليس الأمر كما زعمتم. والسيئة: الذنب يقتضي العقوبة. وأحاطت به: استولت عليه بموته كافرًا. والخطيئة: الكبيرة من السيئات. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم للشيء. والخالدون: المقيمون أبدًا. ٨١ وآمنوا: صدّقوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وعملوا: اكتسبوا. والصالح: ما يرضاه الله والشرع. والجنة: الحديقة العظيمة فيها النعيم الأبدي والقصور والأنهار. ٨٢ إذ أخذنا الميثاق: وقت تلقّينا العهدَ الموثق بالأيمان. وإسرائيل: لقب يعقوب. وبنوه: ذريته الحاميّون السُّومريّون من أولاده. ولا تعبدون: لا تقدسون. والوالدان: الأب والأُمّ. والإحسان: البرّ والإكرام. وذو القربى: القريب لكم. واليتامى: جمع يَتمَى. واليتمَى: جمع يتيم، مَن فقدَ قبل البلوغ أباه. والمساكين: جمع مسكين، الفقير المحتاج. والناس: البشر. والحسن: الطيب من القول فيه الخير والبركة. وأقيموا الصلاة: أدُّوا الفريضة المكتوبة بأركانها وشروطها وآدابها. وآتوا الزكاة: أعطوا المستحقين ما فرض على الأموال لتطهيرها وتنميتها وتطهير أصحابها. وتوليتم: امتنعتم عن الوفاء. والقليل: العدد اليسير. ومعرضون أي: منصرفون عن العهد إهمالًا واستخفافًا.٨٣

الجزء الأول — سورة البقرة

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

المعنى العام: أن اليهود يراوغون في الإيمان، وهم يدركون علم الله بما يفعلون، وبعضهم جهَلة يفهمون التوراة بما زعمه الأحبار من الباطل. فالهلاك في جهنم لمن يزعمون أن أكاذيبهم المختلفه هي من التوراة، طلبًا للمال والجاه.

وعندما قال النبي ﷺ: «اليَهُود مِن أهلِ النّارِ»، زعموا أنهم يعذَّبون أربعين يومًا، ثم يخرجون إلى الجنة، ليخلفهم المسلمون في جهنم خالدين، فنزلت الآيتان ٨٠ و٨١ لتكذيب ما زعموه، لأنهم يتجاهلون علم الله وأباطيلهم في التجارة بأحكام التوراة، ولهم أشد العذاب. فادعاؤهم باطل، وما نسبوه إلى الله كذب منهم، لأنه لم يعدهم بما زعموا وهو لا يخلف وعدًا، وليس لهم على زعمهم دليل وحي أو قول رسول. فللمجرم عقابه في الدنيا والآخرة، أيًّا كان، وللمؤمن الصالح خير الدنيا ونعيم الخلود في الجنة.

ثم يذكّر الله اليهود أنهم عاهدوه مع القسَم الموثّق، أن يلزموا التوحيد والتقديس له، والإكرام للوالدين والأقارب واليتامى والمحتاجين، وقول الخير للناس من حولهم وإقامة الصلاة كما فُرضت، ودفع الزكاة إلى مستحقيها، ولكن أكثرهم نقضوا عهدهم، وخالفوا ما جاء فيه من الواجبات عمدًا واستخفافًا.

تفسير المفردات: إذ أخذنا: وقت تقبُّلنا في التوراة. والميثاق: العهد الموثق بالقسَم. ولا تسفكون: لا تريقون بالقتل والإيذاء. والدماء: جمع دم، السائل الأحمر، ماء الحياة يتدفق في جسم الحيّ. ولا تخرجون: لا تطردون. وأنفسكم أي: بعضُكم بعضًا. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والديار: جمع دار، مكان الإقامة. وأقررتم: قبلتم بتعهد. وتشهدون: تعترفون بما كان من الميثاق والإقرار. ٨٤ أنتم هؤلاء أي: هؤلاء المجرمون أنتم. وتقتلون: تكونون سببًا للموت. والفريق: الجماعة. وتظاهرون: تتظاهرون، أي: تتعاونون. حذفت التاء الثانية للتخفيف.وبالإثم: مصاحبين المعصية. والعدوان: الاعتداء والظلم. ويأتوكم: يصلوا إليكم بعد أن يقعوا في أيدي حلفائكم. والأُسارى: جمع أسرَى. والأسرَى: جمع أسير، من يأخذه عدوّه في الحرب. وتفادوهم: تنقذوهم بالمال وغيره. وهو: شأنهم أي: موضوعهم وأمرهم المذكور قبل. والمحرم: الممنوع. والإخراج: الطرد والتشريد. وأتؤمنون: كيف تصدّقون وتتبعون؟ والبعض: الجزء. والكتاب: التوراة. وتكفرون: تنكرون وتخالفون. وما الجزاء: ليست العقوبة. ويفعل: يكتسب ويتحمل. وذلك أي: الإيمان ببعض والكفر ببعض. والخزي: الهوان والفضيحة. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. واليوم: الزمن. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث للحساب. ويُردّون: يُدفعون. والأشد: الأقسى. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وما الله: ليس الله. وبغافل: ساهيًا مهملًا. وتعملون: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ٨٥ أولئك أي: الموصوفون بالقبائح المتقدمة قبل. واشتروا: استبدلوا. وبالآخرة أي: عوضًا من يوم القيامة. ولا يخفف: لا يقلّل. ولا هم أي: ليسوا. وينصرون: يمنع عنهم العذاب ويحفظون منه. ٨٦ آتينا: أعطينا. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. والكتاب: التوراة. وقفينا: جعلنا بالتتابع. والرسل: جمع رسول، من يكلف بالتبليغ للدعوة والعمل. وعيسى: معناه السيد المبارك، نبي النصارى. ومريم: بنت عمران من ذرية داود، واسمها معناه خادمة الله. والمذكورون هنا هم من السُّومريِّين الحاميِّين لا من الساميِّين. والبينات: المعجزات والآيات الواضحة. وأيّدناه: قوّيناه وأعنّاه. والقدس: التقديس. وروح القدس: جبريل. وكلما أي: كل وقت. وجاءكم: أُحضر لكم. وبما لا تهوى: مصاحبًا ما لا تحب. والأنفس: جمع نفس، الضمير والقلب. واستكبرتم: تكبرتم عن القبول. وكذبتم: نسبتموهم إلى الكذب. وتقتلون: تسببون لهم الموت بالسلاح. ٨٧ قالوا أي: اليهود لمحمد ﷺ. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والغلف: جمع أغلَف، المغشّى بغطاء. وبل أي: ليس الأمر كما زعموا. ولعنهم: أبعدهم عن رحمته. وبكفرهم: بسبب تكذيبهم الأنبياء وسترهم للحق. وقليلًا ما يؤمنون أي: لا يؤمنون بالحق إلّا نادرًا. ٨٨

الجزء الأول — سورة البقرة

وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ
وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ
إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ
بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ
ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ
بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ
قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾

المعنى العام: يذكّر الله اليهود بقبائحهم أيضًا، لأنهم وأجدادهم يناقضون أنفسهم في الإيمان والعمل. فقد تعهدوا بصون الدماء وإقرار الناس في الديار، ثم يقومون بينهم بالقتل والتشريد والتعاون على الإثم، ولو انتقض الميثاق، ويقومون بفداء الأسرى منهم عملاً بالميثاق، فيتبعون بعض التوراة ويخالفون الباقي، طمعًا بمنافع الحياة الدنيا وزهدًا بنعيم الآخرة. فلهم على ذلك الذلةُ في الدنيا وعذاب جهنم لا يخفف عنهم.

وكذلك فعلوا عندما جاءهم موسى وعيسى والأنبياء بالمعجزات والكتب المقدسة، لم يقبلوا ما جاءهم من الحق لأنه يخالف شهواتهم، فكذبوا بعض الأنبياء وقتلوا الآخرين، وادعوا لمحمد ﷺ أن قلوبهم مغلقة لا تعي، مع أنهم مخلوقون بالفطرة لتقبل الإيمان، فكان لهم بسبب كفرهم ومزاعمهم الطردُ من رحمة الله، ولن يكون منهم إلّا النادر من الإيمان.

تفسير المفردات: جاءهم: وصل إلى اليهود وبُلِّغوا به. والكتاب: القرآن الكريم. ومن عند الله: بأمره ووحيه. والمصدِّق: الموافق المحقِّق. وما معهم: ما كان في التوراة الصحيحة. وقبل: قبل نزول القرآن. ويستفتحون: يستنصرون داعين مستغيثين. وكفروا: أشركوا وكذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وعرفوا: علموه وأدركوه يقينًا. وكفروا به: جحدوه وأنكروا أنه من وحي الله مع علمهم بصدقه. واللعنة: العذاب والطرد من الرحمة. **٨٩** بئس: تجاوز الحد في الشر والبؤس والفساد. وما اشتروا به: الشيء الذي باعوا به. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان وشخصه بروحه وجسده. وأن يكفروا: كفرُهم.وأنزل الله: أوحاه على لسان جبريل متكفلاً حفظه وتبليغه وبيانه. والبغي: الظلم والحسد. ومن الفضل: بسبب الإنعام والتفضل بالخير. ويشاء: يريد أن يكلفه بالدعوة والهداية. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. وباؤوا: نالوا واكتسبوا. والغضب: السخط مع إرادة الانتقام. وعلى غضب أي: فوقه. والكافر: من يكذّب وحدانية الله ودعوة رسوله أو ينكر شيئًا من الوحي. والعذاب: التعذيب عقوبة وإذلالاً. والمهين: الذي يهين من نزل به. **٩٠** قيل لهم أي: طلب منهم وأُمروا. وآمِنوا: صدِّقوا واتَّبِعوا. وما وراءه: غير ما أنزل إليهم. وهو أي: القرآن الكريم. والحق: الصدق الثابت لا يَسوغ إنكاره. وقل أي: لهم، أيها النبي. ولِـم تقتلون: لماذا قتلتم؟ والأنبياء: جمع نبي، من كلّفه الله بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وقبل أي: قبل البِعثة المحمدية. والمؤمنون: المصدقون لله ورسله. **٩١** جاءكم: أتاكم وأحضر لكم. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. والبينات: المعجزات الواضحة بصدق دعوته. واتخذتم: جعلتم وصيّرتم. والعجل: ولد البقر. وبعده أي: بعد ذهاب موسى لموعد لقاء الله ـ سبحانه - وتلقي التوراة. وظالمون أي: كافرون.**٩٢**إذ أخذنا: وقت انتزاعنا بالقوة. والميثاق: العهد المؤكد بيمين. ورفعنا فوقكم: جعلنا قربكم كالمُطِلّ الواقع على رؤوسكم. والطور: جبل قرب ديارهم. وخذوا: تقبلوا واتَّبِعوا. وآتيناكم: أعطيناكم إيّاه وهو التوراة. والقوة: الجِدّ والحزم. واسمعوا: تلقَّوا وأطيعوا. وسمعنا: بلغ مسامعَنا. وعصينا: خالفناه. وأُشربوا: اختلط بهم. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والعجل: حبه وعبادته. وما يأمركم: الذي يوجبه عليكم. وإيمانكم: اعتقادكم.**٩٣**

ربع الحزب ٢

الجزء الأول — سورة البقرة

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا
مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا
أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ
ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا
مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

المعنى العام: كان اليهود في الجاهلية إذا لقوا المشركين في قتال أو خصام يقولون: «اللهم إنا نسألك، بحق النبيّ الأُمّيّ الذي وعدتّنا أن تُخرجه لنا في آخر الزمان، إلّا نصرتنا عليهم»، أي: لانطلب إلّا النصر. فلما ذكّرهم بذلك بعض الأنصار، وأن إرسال محمد ﷺ يوافق ما في التوراة من التبشير به والعقيدة والشريعة، أنكروا ما كان منهم وقالوا: «ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم». وبذلك استحقوا اللعنة والغضب المضاعف، كما هو جزاء الكافرين. فما أشقى ما اختاروا لأنفسهم من المصير! أن يكفروا بوحي الله حسدًا أن يكون النبي من غيرهم.فاستحقوا السخط والانتقام المضاعف.

وإذا دُعوا إلى الإيمان بما أوحى الله، وهو موافق للتوراة، زعموا أنهم لا يؤمنون بغير ما أُنزل إليهم. وهذا بيان لشناعة تناقضهم، إذ الكفر بما يصدّق التوراة يقتضي الكفر بها أيضًا. فقل لهم موبّخًا، يا محمد: إن كنتم تؤمنون بالتوراة فلماذا قتلتم الأنبياء المصدقين لها. وقد أنكرتم معجزات موسى، فعبدتم العجل وكفرتم عندما ذهب ليتلقى التوراة. واذكروا: كيف تعهدتم بالطاعة بعد التهديد بسقوط الجبل على رؤوسكم، ثم تمردتم وتشربت قلوبكم عبادة العجل؟ فما أفظع الشيء الذي يوجهكم إليه إيمانكم إن كان فيكم شيء منه! وما أبأسه وأشقاه لكم! إذ وصل بكم الإيمان المزعوم إلى هذه المفاسد والنهاية الحقيرة.

تفسير المفردات: قل أي: خاطبهم بالقول، أيها النبي. وكانت: تحققت. والدار: مكان الإقامة والاستقرار. والآخرة: التي تكون بالبعث بعد الموت. وعند الله أي: في حكمه. وخالصة أي: مخصوصة بكم وحدكم. ودون الناس أي: ما عداهم. وتمنوا: أحِبُّوا واطلبوا. والموت: مفارقة أرواحكم للأجساد. والصادقون: من يقولون الحق. **٩٤** لن يتمنوه: لن يطلبوا الموت. وأبدًا أي: مدة حياتهم. وبما قدمت أيديهم أي: بسبب ما قدموا هم من نية وقول وعمل. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. والظالمون: الكافرون المتجاوزون للحق. **٩٥** تجدهم: ترى اليهود، أيها النبي. والأحرص: الأكثر جشعًا ومحافظة. والناس: البشر. وحياة يعني: أيّ عيش كان! وأشركوا: عبدوا مع الله شيئًا آخر. ويود: يتمنّى. وأحدهم: الواحد من اليهود. ويعمَّر: يُطوَّل عمره. وما هو: ليس العمر المطوَّل. وبمزحزحه: مبعِدًا اليهوديّ. والعذاب: التعذيب. وأن يعمر أي: طول عمره. والبصير: المدرك للأحداث حال وجودها. ويعملون: يكتسبون من نية أو قول أو فعل. **٩٦** العدو: المعادي. وجبريل: رئيس الملائكة والأمين على تبليغ الرسل. ومعنى اسمه: عبد الله. وإنه أي: جبريل. ونزّله: نزل بالوحي مرة بعد أُخرى. والقلب: موطن الفهم والحفظ والاعتقاد والتدبر والانفعال. وبإذن الله أي: مصاحبًا أمره. والمصدّق: الموافق والمؤيد. وما بين يديه: ما قبله من الكتب. والهدى: الهادي يرشد إلى الحق. والبشرى: المبشّر بما هو خير. والمؤمنون: من عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزم. **٩٧** الملائكة: جمع ملَك، مخلوقات من النور. والرسل: جمع رسول، من كلّفه الله بالدعوة والعمل ومعه كتاب. وميكال: من أفضل الملائكة، ومعناه: عُبيد الله. والكافرون: من ينكرون شيئًا مما أنزله الله. **٩٨** أنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. والآيات: النصوص القرآنية. والبينات: الواضحات الدلالة. ويكفر بها: ينكرها ويكذب أنها من عند الله. والفاسقون: المتمردون الذين يخرجون عن الحق. **٩٩** كلما عاهدوا أي: كل وقت عهدٍ لهم. والعهد: التعهد موثقًا باليمين. ونبذه: ألقاه وأنكره. والفريق: الجماعة. وأكثرهم: الغالبية العظمى منهم. ولا يؤمنون: يجحدون الحق دائمًا. **١٠٠** جاءهم: وصل إليهم وبلّغهم. ومن عند الله: أي: بأمره وتوجيهه. وما معهم أي: التوراة. وأوتوا: أُعطوا وكلّفوا الاتباع. والكتاب: التوراة. وكتاب الله: التوراة نفسها. والظهور: جمع ظهر، ما خلف الصدر من الإنسان. وكأنهم أي: مظنونًا بهم أنهم. ولا يعلمون: لا يدركون ما في التوراة. **١٠١**

الجزء الأول — سورة البقرة

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ
مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ
مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

المعنى العام: زعم اليهود أنه لن يدخل الجنة إلّا من كان يهوديًا. وأنهم أبناء الله وأحباؤه، فنزلت الآيات ٩٤ـ ٩٦ تكذيبًا وتعجيزًا لهم. فليتمنوا الموت بما يسببه إن كان كلامهم حقًّا. ولكنهم يخافون حساب ما فعلوا فلا يتمنون ذلك ويتجنبون ما يسببه، بل يحرصون على أيّ حياة كانت أكثر من المشركين الكافرين بالآخرة! ولن يفيدهم تأخير الموت في تخفيف عذابهم أو إبعادهم عنه.

ولما علم الحَبر اليهودي ابن صوريا أن جبريل يتنزّل بالوحي قال: هو عدونا يأتي بالعذاب، ولو كان ميكال لآمنّا، لأنه يأتي بالخصب والسلم. فقال عمر بن الخطاب ﷺ: «أشهد أن من كان عدوًّا لجبريل فإنه عدو لميكائيل، ومن كان عدوًّا لهما فإنه عدو لله». ونزلت الآية بموافقة ما قاله. فالوحي يأتي بتصديق التوراة ويبشر بالخير والهداية.

وقال ابن صوريا أيضًا للنبي ﷺ: «ما جئتنا بشيء»، فنزلت الآيتان ٩٩ و ١٠٠، تبينان أن من ينكر من اليهود آيات القرآن ينكر التوراة ويخرج على الحق فيهما، لأنهما متوافقان، والآيتان توبخانهم بكثرة نقض العهود، وأن أكثرهم كافرون ثم إنهم، يجحدون ما في التوراة لئلا يصدّقوا محمدًا ﷺ و ما في القرآن، حتى إنّه لَيَظنُّ الناسُ بهم أنهم لا يعرفون شيئًا مما فيها.

الجزء الأول — سورة البقرة

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ
وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا
وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا
انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

تفسير المفردات: اتبَعوا: وافَقوا مصدقين. وتتلو: تفتريه. والشياطين: جمع شيطان، من يوسوس بالشر من الإنس أو الجن. وعلى ملك سليمان: في عهده وحكمه. وسليمان: ابن داود من أنبياء بني إسرائيل، ومعنى اسمه: رجل السلام. وما كفر أي: بل كان مؤمنًا صالحًا. وكفروا: كذبوا وحدانية الله ودعوة رسله. ويعلّمون الناس: يعرّفون مَن حولهم من البشر. والسحر: ما يخدع العقل والحواس بما هو تخييل وإيهام. وأُنزل أي: أُلهم ليكون مبتكرًا. والملَكان: الرجلان الصالحان كالملَكين. وبابل: بلد بين الحِلّة والكوفة في العراق. وهاروت وماروت: اسمان أعجميان. ومن أحد أي:أحدًا. وحتى يقولا أي: إلّا قائلَين. والفتنة: البلاء للامتحان فيتميز المصلح من المفسد. ولا تكفر: لا تعمل بالسحر فتكفر. ويفرّقون: يقطعون الألفة والمحبة بالكيد والخداع والإيهام. والمرء: الرجل. والزوج: الزوجة. وما هم أي: ليس السَّحَرة. والضارون: المسببون للشر. وبإذن الله: مع إرادته وقضائه. ويضرهم: يسبب لهم الشر. ولا ينفعهم: لا يجلب الخير ولا يمنع الشر. وعلموا: أدركوا يقينًا. ولمن: أنّ الذي. واشتراه: اختار السحر واعتقد صحته. وما له: ليس له. والآخرة: الحياة بعد الموت. والخلاق: النصيب من الجنة. وبئس: بلغ الغاية في الشر والبؤس. وشروا به: باعوه مقابل السحر. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ولو كانوا: يُتمنَّى أنهم. ويعلمون: يدركون الحقائق.١٠٢ لو أي: لو حصل. وآمنوا: صدّقوا الله واتبعوا رسوله. واتقوا: تجنبوا غضب الله وحفظوا أنفسهم بالطاعة. والمثوبة: الثواب والإحسان. ومن عند الله: من تكرُّمه. وخير أي: عميمة النفع. ١٠٣ لا تقولوا: لا تخاطبوا الرسول ﷺ بالقول. وراعِنا أي: راعِ أحوالنا واشملنا بعطفك. وانظرنا: انظر إلينا. واسمعوا أي: سماعَ قبول وطاعة. والكافرون: من يكذِّبون وحدانية الله ودعوة رسوله. والعذاب: التعذيب. والأليم: الشديد الإيلام. ١٠٤ ما يود: لا يتمنى. وأهل الكتاب: اليهود والنصارى. والمشركون: من يعبدون بعض المخلوقات. وينزَّل: يوحى. والخير: ما فيه نفع. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ومن ربكم: من عنده وبفضله. ويختص: يختار ويفضل. والرحمة: العطف بالتفضل والإحسان. ويشاء: يريد أن يرحمه. وذو الفضل أي: صاحب التفضل يتفرد به دون غيره. والعظيم: ما ليس له مثيل. ١٠٥

المعنى العام: متابعة البيان لمفاسد اليهود. فهم حرَّفوا التوراة واستبعدوها، واتبعوا سحر شياطين الإنس والجان في عهد سليمان، وزعموا أنه كان كافرًا، وأن السحر كان تحت كرسيه. فقد اتبعوا سحر الشياطين الكافرين الذين أخذوه عن رجلين صالحين كالملَكين لما هما عليه من الصلاح - وجعلهما من الملائكة حقيقةً قصصٌ مختلقة من الإسرائيليات، لا يجوز الإيمان بها - كانا ببابل ما يعلّمان أحدًا حتى ينصحاه قائلَين: إنما نحن ابتلاء من الله. فمن تعلم السحر منا وعمل به كفر، ومن تعلم وتوقّى عمله ونصح الناس مثلنا ثَبَتَ على الإيمان. فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به. فمرادهما تبيين السحر ليُعرف به ما أشاعه الشياطين فيتيسر تجنبه. والسحر من الكبائر كالشرك، لكنه لا يضر بذاته وإنما يكون بالإيحاء والوهم دفعُ الناس إلى الشر والخصام، من عمل به أو آمن به فما أحقر ما باع به نفسه للشيطان وجهنم! وخير له تجنب ذلك والإيمان بالله.

وكان اليهود يقولون للنبي ﷺ بعُجمتهم العِبرية: «راعنا» للهزء، فنزلت الآية تقطع ألسنتهم، وتوجه المسلمين إلى كيفية طلب العطف، لأن قول اليهود هو من الرعونة: قلة العقل. وكان بعض الصحابة يدعون حلفاءهم من اليهود إلى الإسلام، فيجيبونهم: «هذا الذي تدعوننا إليه ليس بخير مما نحن فيه. ولوددنا لو كان خيرًا»، فأنزل الله الآية ١٠٥ تكذيبًا لهم. فهم والمشركون يكرهون أن ينزَّل خير على المسلمين ويحاربونه ليخرّبوه، والله يختار الخير للصالحين بفضله العظيم، وهو المتفرد بذلك دون مُنازِع أو معين.

تفسير المفردات: ما ننسخ من آية: أيَّ آية نُزِلْ حكمها، أو نُزِلْ لفظها مع الحكم أيضًا. والآية: النص القرآني المحدود بالفاصلة. ونُنسيها: نمحوها من القلوب كأنها لم تنزل قبل. ونأت أي: نُنزل إليك بالوحي. وخير: أكثر نفعًا. ومثلها: بقدرها. وألم تعلم أي: إنك تدرك باليقين. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده من المخلوقات. والقدير: المبالغ في القدرة. ١٠٦ المُلك: الحيازة والتصرف دون منازع أو معين. والسماوات: ما يحيط بالأرض من جو وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وما لكم: ليس لكم.ودون الله: غيره. والولي: من يتولى أمور غيره. والنصير: المعين لجلب الخير ودفع الشر. ١٠٧ أتريدون: بل كيف تقصدون؟ وتسألوا: تطلبوا للعناد والمكابرة. والرسول: من كلفه الله بالدعوة والعمل مع كتاب منه. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. ومن قبل أي: قبل زمنكم. ويتبدلُ: يختار ويستبدل. والكفر: الجحود للتوحيد والرسالة. والإيمان: الاعتقاد اليقيني. وضل: أخطأ وضيع. والسواء: الوسط، السويّ المعتدل. والسبيل: الطريق الواضح الموصل إلى الحق. ١٠٨ وَدّ: تمنى. والكثير: العدد الوافر. وأهل الكتاب: أصحاب التوراة والإنجيل. ولو يَردونكم: أن يُصيِّروكم. وإيمانكم: اعتقادكم اليقيني بالتوحيد والرسالة. وكفارًا أي: مرتدين عن الإيمان. والحسد: تمني زوال النعمة عن الغير. ومن عند: من جهة. والأنفس: جمع نفس، ضمير الإنسان. وتبينَ: ظهر. والحق: الصدق اليقيني. واعفوا: تجاوزوا عما أساؤوا. واصفحوا: أعرضوا ولا تجازوهم بخصومة أو قتال. ويأتي: يوحي ويوجب. والأمر: الحكم والفرض. ١٠٩ أقيموا الصلاة: استمروا على أدائها. وآتوا الزكاة: أدّوا ما فرض على مالكم لتطهيره وتنميته وتطهيركم. وما تُقدموا: أيَّ شيء تفعلوا في الحياة الدنيا. ولأنفسكم: لأجل أشخاصكم. والخير: ما ينفع في الدنيا أو الآخرة. وتجدوه: تصادفوا ثوابه وتلقوه. وعند الله أي: في حسابه بفضل منه. وتعملون أي: تكتسبونه. والبصير: المدرك للأحداث حال وقوعها. ١١٠ قالوا أي: زعم اليهود والنصارى. ولن يدخل الجنة: لن يحظى بها. والجنة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. والهود: جمع الهائد، اليهودي والتائب من عبادة العجل. والنصارى: جمع نَصران، من نصر المسيح. وتلك أي: القولة المزعومة. والأمانيّ: جمع أُمنيّة، ما يُتمنّى ويشتهى. وقل أي: لهم، أيها النبي. وهاتوا: أحضِروا. والبرهان: الدليل. والصادقون: من يقولون الحق. ١١١ بلى: ليس الأمر كما زعموا. وأسلم وجهه: أخلص نفسه. والمحسن: الموحّد لله. والأجر: الثواب. وعند ربه أي: في حسابه بفضله. والخوف: الفزع مما سيكون. ولا هم: ليسوا. ويحزنون: يغتمون لِما مضى. ١١٢

سورة البقرة — الجزء الأول

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
١٠٩ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
١١٠ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٢

المعنى العام: اعترض الكفار على تبديل الأحكام ونسخ بعض الآيات، وزعموا أن ذلك من عند الرسول ﷺ لا وحي من الله، فنزلت الآية تبين أن النسخ من عند الله، ليتنزل حكم أنسب في زمانه. والله قادر على ذلك وله الحكم في الكون والخلق، وما للناس معين غيره في الدنيا والآخرة.

ولمّا سأل أهل مكة للتعجيز والتحدي توسِعتها وجعْل جبالها ذهبًا استنكرت الآية ١٠٨ ذلك، وشبهتهم باليهود في مطالبهم المنكرة، واختيار الكفر والضلال. فكثير من الكافرين يتمنون رد المسلمين عن دينهم بالتعجيز والمكابرة، ولا يصح قتالهم حتى يأتي الوحي برد العدوان. فعلى المؤمنين القيام بما في الإسلام من أحكام، ليروا خير ما قدموه ثوابًا في الدنيا والآخرة برحمة الله وفضله.

وعندما ادعى اليهود أن الجنة لهم وحدهم، والنصارى أنها لهم وحدهم أيضًا، جاءت الآيتان بتكذيب مزاعمهم، ومطالبتهم بالدليل على ذلك. فما قالوه صادر عن شهواتهم من دون توثيق، والحق أن المؤمن المحسن له جزاء الجنة، باطمئنان وسرور، لا يخاف أذى في مستقبله، ولا يحزن على ما فاته من الدنيا.

تفسير المفردات: قالت: زعمت. واليهود: بنو إسرائيل. والنصارى: الذين نصروا المسيح، جمع نَصران. وعلى شيء أي: من الدين الحق. ويتلون: يقرؤون ويَفهمون. والكتاب: التوراة والإنجيل. وكذلك أي: كما قال أولئك. ولا يعلمون: لا يميزون الحق من الباطل لكفرهم. والمثل: المُشابه. ويحكم: يقضي بالحق. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. وفيه يختلفون: بسببه يختصمون. ١١٣ من أظلم أي: لا أحد أكثر تجاوزًا للحق. ومنع: حجب. والمساجد: جمع مسجد، مكان العبادة. ويذكر: يردّد ويقدّس. واسمه أي: أسماؤه الحسنى بالصلاة والدعاء والتسبيح. وسعى: عمل بحزم. وخرابها: هدمها لمنع العبادة. وأولئك أي: المانعون المخربون. وما كان: لا يجوز. ويدخلوها: يصيروا فيها. وخائفين أي: فزعين من الله ومن جهاد المسلمين. والدنيا: الحياة الحاضرة. والخزي: الهوان. والآخرة: الحياة بعد الموت. والعذاب: التعذيب. والعظيم: الذي لا مثيل له. ١١٤ المشرق والمغرب: جهتا الشروق والغروب. وأينما تولُّوا: إلى أيِّ جهة في الصلاة تتوجَّهوا. وثَمّ أي: هناك. ووجهه: الجهة التي يرضاها. والواسع: الجواد لا حد لتفضله. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. ١١٥ قالوا: زعم الكافرون. واتخذ: جعل لنفسه. والولد: الابن أو البنت. وسبحانه: تنزيهًا له عما زعموه. وله أي: ملكه وحده. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وكلٌّ: جميع المخلوقات. وقانتون أي: مطيعون لِما يراد بهم من التقدير. ١١٦ البديع: الموجد للشيء على غير مثال سابق. وقضى: أراد. والأمر: الشيء. ويقول له أي: يقضي حصوله. وكن أي: احدُثْ. ويكون أي: يحدث. ١١٧ لا يعلمون: يجهلون بكفرهم. ولولا: هلّا، للعناد والتعجيز. ويكلمنا: يخاطبنا. وتأتينا: تصل إلينا. وآية: معجزة. وكذلك أي: مثل قول هؤلاء. وتشابهت: تقاربت في الكفر. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد. وبيّنّا: أوضحنا. والآيات: النصوص القرآنية والأدلة الكونية. والقوم: الجماعة. ويوقنون: تقبل قلوبهم الإيمان بالصواب. ١١٨ أرسلناك: بعثناك - أيها النبي - للدعوة. والحق: الأمر الثابت. والبشير: من يبلّغ الخير. والنذير: المهدد بالعذاب. ولا تسأل: لست محاسَبًا على كفرهم. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم للشيء لا يفارقه. والجحيم: ما اضطرم من النار. ١١٩

الجزء الأول — سورة البقرة

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ
قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

المعنى العام: اتهم اليهود والنصارى بعضهم بعضًا بالكفر حين زاروا المدينة المنورة، فنزلت الآية تسخر منهم، لأن التوراة والإنجيل لا خلاف بينهما، وتجعلهم كالمشركين في الجهل، ولسوف يحكم الله بينهم يوم القيامة. ثم إن أظلم الخلق من يمنعون الناس العبادة ويهدمون أمكنتها، وكان عليهم أن يتذللوا فيها، لأن لهم المذلة في الدنيا وعذاب الآخرة.

ولمّا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس للصلاة، فأشاع اليهود أنه تابعٌ لهم، وبعد بضعة عشر شهرًا أُمر بالعودة إلى استقبال الكعبة، فغضبوا وصاروا يطعنون في التوجه إلى القِبلة، فبيّن الله أنه مالك للعالم كله، يوجه المؤمنين حيث يشاء، وأينما يتوجهوا يكونوا معه ونحوه.

وقال اليهود: «عُزيرٌ ابنُ الله»، ونصارى نجرانَ قالوا: «المسيحُ ابنُ الله»، وزعم بعض المشركين أن الملائكة بنات الله. والحق أنه منزّه عن ذلك، وكل المخلوقات خاضعة له ومقهورة بسلطانه. فإذا أراد شيئًا حصل فورًا. وذكرُ الأمر ههنا بـ«كن» هو كناية عن سرعة الإيجاد، بإرادة نافذة من دون قول أو طلب. وعندما طلب المشركون للتعجيز تكليم الله إياهم أو نزول المعجزات، أشبهوا مَن قبلهم في الكفر، وحسبُهم ما في آيات القرآن والكون من المعجزات. أما النبي ﷺ فقد أُرسل للتبشير بأكرام المؤمنين والتهديد بعذاب الكافرين ، وليس مسؤولًا عن إيمان الكافرين، لأنهم مصرون على الكفر وخالدون يوم القيامة في جهنم.

تفسير المفردات: لن ترضى عنك: لن تقبل عملك واعتقادك. واليهود: بنو إسرائيل اتبعو اليهودية. والنصارى: الذين نصروا المسيح وآمنوا به، جمع نَصران. وحتى تتبع: إلى أن توافق وتطيع. وملتهم: دينهم أي: الشرك والكفر بالإسلام والرسالة. وقل: أي: خاطبهم بالقول. وهدى الله: الإسلام. والهدى: الرشد إلى الدين الحق. ولئن: أُقسِمُ إن. والأهواء: جمع هوى، الرأي ينشأ عن الشهوة. وجاءك: وصل إليك. والعلم: المعرفة اليقينية. ومن الله أي: من نقمته وعذابه. والولي: القريب ينفع غيره. والنصير: المعين يقوّي ويدافع ويحفظ. ١٢٠ آتيناهم: أنزلنا إليهم. والكتاب: القرآن. ويتلونه: يقرؤونه ويفهمونه. والحق: الواقع بحسب ما يجب. ويؤمنون به: يصدقونه يقينًا. ويكفر: يكذّب ويخالف. والخاسرون: من ظلموا أنفسهم وضيعوا ما يؤملون. ١٢١ بنو إسرائيل: اليهود من الحاميِّين السُّومريِّين. واذكروا: استحضروا في القلوب واللسان والعمل. والنعمة: التفضل بالخير. وفضلتكم: أعطيتكم زيادة من الخير. والعالَمون: الخلق في زمانكم. ١٢٢ اتقوا: خافوا. واليوم: الزمن. ولا تجزي: لا تغني. والنفس: المخلوق ممن يعقل. ولا يقبل: لا يُرضَى. والعدل: المماثل في القدر للفدية. ولا تنفع: لا تفيد. والشفاعة: التوسط لدفع شر أو جلب خير. ولا هم: ليسوا. وينصرون: يعاونون لدفع العذاب. ١٢٣ إذ ابتلاه: وقت امتحانه ليَظهر ما في نفسه. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والكلمات: الأوامر الشرعية. وأتمهن: أدّاهن كما يجب. وقال أي: الله ـ تعالى ـ لإبراهيم. وجاعل: مصيِّر ومرسِل. والإمام: القدوة. وقال أي: إبراهيم. والذرية: الأولاد والسلالة. ولا ينال: لا يدرك. والعهد: الميثاق وعدًا بالإمامة. والظالمون: الكافرون. ١٢٤ إذ جعلنا: وقت تصييرنا. والبيت: الكعبة المشرّفة. والمثابة: المكان يُقصد بالزيارة للعبادة والدعاء. والناس: البشر. والأمن: مكان الاطمئنان. واتخذوا: اجعلوا. والمقام: مكان القيام. والمصلَّى: مكان الصلاة. وعهدنا: أمرنا. وإسماعيل: ابن إبراهيم من زوجته العربية هاجر. وطهرا: احفظا بالطهارة. والطائف: من يطوف للعبادة. والعاكف: من يقيم. والركّع: جمع راكع، من يحني ظهره عبادة. والسجود: جمع ساجد للعبادة والخضوع. ١٢٥ رب: يا ربي.حذف حرف النداء لِـما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. واجعل: صيّر. والبلد: مكان الاستيطان. وآمِنًا أي: أهله يأمنون فيه. وارزق: أعط. والأهل: السكان والمقيمون. والثمر: ما ينعقد عن الزهر للطعام والزينة والدواء. وآمن: صدّق باعتقاد يقيني. والآخر: البعيد يكون بالبعث بعد الموت. وقال أي: الله. وكفر: كذّب الوحدانية والبعث. وأمتعه: أزوّده بالمنافع. وقليلًا أي: مدة حياته. وأضطره: أُلجئه. والعذاب: التعذيب. والنار: نار جهنم. وبئس: تجاوز الحد في البؤس والشقاء. والمصير: مكان العاقبة الأبدية.١٢٦

الجزء الأول — سورة البقرة

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا
لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ
فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

المعنى العام: أن الكافرين لا يرضون عن النبي وأتباعه ولا يطمئنون إليهم إلّا إذا صاروا مثلهم في الكفرِ، والهدايةَ الربانية هي الحق، واتباعَ الكافرين يسبب غضب الله بلا نصير.

فالمسلمون يتلون القرآن بإيمان واتباع، والكافرون يخسرون أنفسهم، وعلى اليهود أن يتذكروا نعم الله ويتجنبوا عذاب النار يوم القيامة وما يكون من الأهوال إذ لا شفاعة ولا فدية ولا نصير، وعلى النبي أن يذكر لنفسه وللناس ما كان من امتحانِ الله إبراهيم في العبادة وجعلهِ قدوة في الإيمان، وكذلك ذريته إلّا الكافرين منها، وجعلِ الكعبةَ مجمعًا للناس مأمنًا لهم، ومقامَ إبراهيم منها مكان صلاة، وأمرِ الله إياه مع إسماعيل بتطهيرها من الأصنام للتوحيد. وقد دعا إبراهيمُ أن يحفظ الله مكة وأهلها المؤمنين ويرزقهم بما ييسر من الثمرات، فوعده الله بذلك، وقدّر للكافرين متاعَ الدنيا بشهواتها، ثم القهرَ بالخلود في عذاب جهنم. وما أبأسه من مصير!

تفسير المفردات: إذ يرفع: وقت التأسيس والبناء. وإبراهيم خليل الله. والقواعد: جمع قاعدة، الأساس والجدار. والبيت: الكعبة المشرفة. وإسماعيل: ابن إبراهيم من زوجته العربية. وربنا: يقولان: يا ربنا. حُذف حرف النداء لما فيه من معنى التنبيه. وتقبل: اقبل عملنا واجزِنا عليه. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. ١٢٧ اجعلنا أي: ثبّتْنا على الدوام. ومسلمَين أي: منقادَين بالإيمان والطاعة. والذرية: السلالة. والأمة: الجماعة. وأرنا: علّمنا وعرّفنا. والمناسك: جمع مَنسَك، ما يقوم به الإنسان عبادة. وتب علينا: ثبّتنا على التوبة واصفح عما كان من تقصيرنا. والتواب: الكثير القبول للتوبة. والرحيم: العظيم العطف بالإنعام على المؤمنين. ١٢٨ وابعث: أرسل بالهداية. والرسول: من تكلّفه بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ومنهم أي: إنسان من البشر. ويتلو: يقرأ ويبلّغ. والآيات: ما يوحَى. ويعلّمهم: يُعرِّفهم ويفهّمهم. والكتاب: القرآن. والحكمة: الأحكام والسُّنّة. ويزكيهم: يطهّرهم من الشرك. والعزيز: الغالب للغير بالقوة والقهر. والحكيم: المتفرد بالحكمة العالية وكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ١٢٩ من يرغب أي: لا أحد يزهد ويُعرِض. والملة: الشريعة والديانة. وسفه: جهل وخسر. والنفس: حقيقة الإنسان بروحه وجسده. واصطفيناه: اخترناه. والدنيا: الحياة القريبة من الناس يعيشون فيها. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. والصالحون: من يعملون ما يرضي الله. ١٣٠ إذ قال له أي: وقت إلهامه دلائل الإيمان والتوحيد. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأسلم: توجّه وانقد مخلصًا. وقال أي: إبراهيم. والعالَمون: مجموع أجناس المخلوقات. ١٣١ وَصَّى بها: أوصى وأمر مبينًا ما يجب مع الوعظ. والبنون: الأولاد الذكور مع الإناث بالتغليب. ويعقوب: ابن إسحاق بن إبراهيم، ويعرف باسم إسرائيل أيضًا. وهو من الحاميِّين السُّومريين، وكأنه سمي يعقوب لأنه بُشِّر به إبراهيمُ نبيًّا بعد إسحاق، فهو يعقبه بالنبوة. ويا بَنِيّ: يا أبنائي. واصطفى لكم: اختار لأجلكم. والدين: العقيدة والشريعة. ولا تموتن أي: دوموا في الحياة حتى الموت. ١٣٢ أم كنتم أي: بل ما كنتم، أيها اليهود. والشهداء: جمع شهيد، من يرى ويسمع. وحضره: جاءه وقرب منه. والموت: مفارقة روحه للجسد. وما تعبدون: ما الذي تقدسون بالألوهية وتطيعون؟ وبعدي: بعد وفاتي. والإلَه: المعبود بحق. والآباء: جمع أب. وهو الوالد وما فوقه من الجدود. وإسماعيل هو عمّ يعقوب، وذكره في الآباء من التغليب. وإسحاق: أبو يعقوب وابن إبراهيم من زوجته سارة، فهو من أبوين سُومريَّين حاميَّين، وكذلك ذرية يعقوب أي: بنو إسرائيل. والواحد: المتفرد لا شريك له. والمسلمون: المذعنون المقرّون بالعبودية. ١٣٣ وتلك أي: أبناء يعقوب. والأمة: الجماعة. وخلت: مضت. وكسبت: جمعته من العمل. ولا تسألون أي: للحساب والجزاء. ويعملون: يكتسبونه. ١٣٤

الجزء الأول | سورة البقرة

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ
مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا
وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

المعنى العام: تذكير النبي ﷺ والناس بأن الكعبة كانت قبل إبراهيم غير مؤسّسه، وهو الذي وضع أُسسها ورفعها - فما ذكره أهل الأخبار عن عمارتها قبل ذلك هو قِصص متناقضة ـ لقد بناها مع ابنه إسماعيل، وهما يدعوان أن يُقبل عملهما، ويعيشا مسلمَين مهديَّين إلى الصواب والعبادة القويمة وتُغفر ذنوبهما. وكذلك من يكون من أولادهما، يأتيهم النبي للهداية والصلاح. فلن يخالف دينَ إبراهيم إلاّ من يخسر نفسه، لأن الله اختاره للإسلام والنجاة قدوة في الهداية.

ولمّا ادّعى بنو إسرائيل أن إبراهيم كان يهوديًّا نزل لتكذيبهم ما قاله جدهم يعقوب قبل وفاته، وما أجابه أبناؤه به، من التوحيد والاستمرار على الإسلام. فاليهودية كانت بعد إبراهيم في عهد موسى، حين ترك بنو إسرائيل عبادة العجل وهادوا إلى التوحيد. ومهما يكن فإبراهيم وإسحاق ويعقوب وأبناؤه قد مضوا بما اكتسبوا، ولليهود ما اكتسبوا أيضًا، وكل إنسان يحاسب على عمله.

تفسير المفردات: قالوا أي: اليهود والنصارى للمسلمين. وكونوا: صيروا وتحوّلوا. والهود: اليهود، جمع هائد، أي: من رجع إلى التوحيد وكفر بعبادة العجل وتهوّد. والنصارى: أتباع النصرانية، جمع نصران. وتهتدوا: تتوجّهوا إلى دين الحق. وقل أي: لهم، أيها النبي. وبل أي: ليس الأمر كما زعمتم. والملة: الديانة والشريعة. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيلَ وإسحاقَ. والحنيف: المائل إلى التوحيد. والمشركون: من يجعلون مع الله في الألوهية بعض مخلوقاته. **١٣٥** وقولوا: أي: لهؤلاء اليهود والنصارى، أيها المسلمون. وآمنا بالله: صدّقناه باعتقاد يقيني. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأُنزل: أوحي على لسان جبريل مكفولًا حفظه وتبليغه وبيانه. ويعقوب: ابن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ. والأسباط: جمع سِبط، القبائل التي تفرعت عن أولاد يعقوب. والمراد الأنبياء الذين كانوا من ذريتهم. وأوتي: أنزل عليه مكلفًا بالدعوة. وموسى: الرسول الذي أُنزلت عليه التوارة. وعيسى: الذي أنزل عليه الإنجيل. والنبي: من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. ومن ربهم: من عنده وبأمره. ولا نفرق: لا نميّز في صحة الرسالة والدعوة. وبين أحد منهم أي: بينهم. وله أي: لله. والمسلمون: الخاضعون ينقادون بإيمان واحتساب. **١٣٦** آمنَوا: صدّقوا باعتقاد يقيني. والمِثل هنا: حقيقة الشيء وذاته، لا للتشبيه والتنظير. واهتدوا: توجّهوا إلى دين الحق. وتولَّوا: أعرضوا وامتنعوا. والشقاق: الخلاف لله وللمؤمنين وفيما بينهم. ويكفيكهم: يحفظك من شقاقهم وينصرك عليهم. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. **١٣٧** الصبغة: أثر الصباغة واللون الذي يكون عنها. ومن أحسن أي: لا أحد أجود. والعابدون: المقدِّسون المطيعون. **١٣٨** قل أي: مخاطبًا أهل الكتاب عامة. وأتحاجوننا أي: كيف تجيزون لأنفسكم أن تخاصمونا؟ وفي الله أي: بسبب اختياره رسولَه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح عبيده. والأعمال: جمع عمل، ما يكتسبه الإنسان بنية أو قول أو فعل. والمخلصون: من كان إيمانهم بعيدًا عن كل أنواع الشرك. **١٣٩** أم تقولون أي: بل كيف تزعمون؟ وأعلم: أصح وأوفى علمًا بالأنبياء المذكورين. ومن أظلم أي: لا أحد أكثر استغراقًا في العدوان. وكتم: أخفى. والشهادة: الإقرار بما هو معلوم محقق. ومن الله أي: من عنده بوحيه وأمره. وما الله: ليس الله. وبغافل: ساهيًا مهملًا. **١٤٠** تلك أي: المجموعات مِن إبراهيم ومَن ذُكر معه. والأمة: الجماعة. وخلت: مضت. وكسبت: جمعته من العمل. ولا تسألون أي: للحساب والجزاء. ويعملون: يكتسبونه. **١٤١**

سورة البقرة — الجزء الأول

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ
عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

المعنى العام: زعم كل من اليهود والنصارى أن نبيهم أفضل، وكتابهم هو الحق وحده، وكفروا بما دونه من الأديان والكتب، ودعا كل القومين الصحابة إلى اتباعهم، فنزلت الآية الأولى لتوبيخهم، ولتبيين ما يجابون به. فدين إبراهيم هو الإسلام والتوحيد، وعليهم اتباع ذلك مع ما جاء به الرسل والأنبياء، من دون تفريق بينهم في عقيدة الإسلام، العقيدة الخالصة بفطرة الإيمان التي لا مثيل لها مع توحيد العبادة لله. وإن آمن أهل الكتاب بنفس ما آمن به المسلمون كانوا على الحق، وإلّا فهم في خلاف بينهم وكيد للمسلمين والإسلام والنبي ﷺ، والله يدفع عدوانهم ويكفي المسلمين شرهم.

فعلينا أن ننكرَ مزاعمهم ورأيهم في اختيار الله للنبي لأنه ـ تعالى ـ هو يعلم الحق وهم يجهلونه، وكل منّا له عمله وحسابه، ونخالفَهم أيضًا في إبراهيم وأبناء أبنائه حفدته لأنهم كانوا مسلمين لا من اليهود ولا من النصارى، ولأن هذين الدينين حصلا بعدهم بقرون، ومن يشهد بغير ما أعلمه الله فهو أشد الظالمين. ثم إن أولئك الأنبياء قد مضوا مع أحوالهم، ولكلٍّ عمله وحسابه، فلا يحاسَب أحد بعمل غيره.

تفسير المفردات: يقول أي: يصرح بالقول جِهارًا. والسفهاء: جمع سفيه، الجاهل يتجنب المنافع وينغمس في المضار. والمراد بهم اليهود. والناس: البشر. وما ولّاهم: أيُّ شيء صرف المسلمين وغيّر توجههم في الصلاة؟ والقِبلة: الجهة التي يتوجه إليها المصلون. قل أي: لهم، أيها النبي. ولله أي: ملك الله وحده ومستحَقّه. والمشرق والمغرب: جهتا الشرق والغرب، أي: وما بينهما من الجهات. ويهدي: يوجه ويرشد. ويشاء: يريد ويقصد أن يهديه. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل لا عوج فيه ولا اضطراب أي: الإسلام. **١٤٢** كذلك أي: مثل جعلنا إياكم مهديِّين، أيها المسلمون. وجعلنا: صيّرنا. والأمة: الجماعة من الناس على دين واحد. والوسط: المتوسطة والمتميزة في الحق والخير. وتكونوا: تصيروا. والشهداء: جمع شهيد، من يعترف بما يعلم للفصل بين الظالم والمظلوم. والرسول: محمد ﷺ. والتي كنت عليها أي: الكعبة كنت تتوجه إليها في الصلاة. ولنعلم أي: ليظهر في الواقع ما نعلمه، فيكون تميزًا للمطيع والعاصي، ويكون الحساب على ما تحقق فعلًا. ويتبع: يستمر في الموافقة والطاعة. وينقلب: يخالف ويرجع إلى الكفر. والعقب: مؤخر القدم. وإنْ أي: إنّ التولية إلى الكعبة. والكبيرة: الثقيلة الشاقة. وهدى الله: أرشدهم وثبتهم على الإيمان. وما كان: ما يقصد. ويضيع: يهمل ولا يحفظ. والإيمان: التصديق اليقيني وما يلزمه.

الجزء الثاني — سورة البقرة

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟
شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ
ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

والناس هنا: المؤمنون. والرؤوف: الكثير الرحمة واللطف. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة. **١٤٣** قد أي: تحقق وثبَت. ونرى: رأينا وعلمنا. والتقلب: التنقل. والوجه هنا: البصر الذي هو بعضه. والسماء: ما يحيط بالأرض. ونولّيك: نوجّهك ونحوّلك. وترضاها: تحبها. وولّ: حوّل. ووجهك هنا أي: شخصك وقت الصلاة. وشطر: نحو. والمسجد: مكان السجود في الكعبة. والحرام: الممنوع فيه كثير مما يحلّ في غيره. وحيثما: في كل مكان. وكنتم: وُجدتم. وولوا: وجّهوا. وأُوتوا الكتاب: كُلِّفوا اتّباع التوراة. ويعلمون: يدركون ويعتقدون. وأنه أي: أنّ التولي المذكور. والحق: الحكم الصواب الثابت. ومن ربهم: من عنده وبأمره. وما الله: ليس الله. وبغافل: ساهيًا مهملًا. ويعملون: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. **١٤٤** لئن أي: أُقسِم إن. وأتيت: أحضرت وأعلمت. والكتاب هنا: التوراة والإنجيل. والآية: الحجة الثابتة والدليل القاطع. وما تبعوا: ما يتبعون ولا يوافقون. وما أنت: لستَ. والتابع: الموافق. والبعض: الواحد أو الأكثر. واتبعت: وافقت. والأهواء: جمع هوى، ما تشتهيه النفس من الباطل والضلال. وجاءك: أُوحي إليك. والعلم أي: الرباني الحقيقي. وإذًا أي: تحقق. والظالمون أي: لأنفسهم والمجاوزون للحق بالكفر والضلال. **١٤٥**

المعنى العام: أمر الله المسلمين في أول الهجرة بجعل بيت المقدس قِبلة بدلًا من الكعبة، فزعم اليهود أنهم صاروا مثلهم، وعندما أُمروا بعودة التوجه إلى الكعبة، سخر رؤساء اليهود من ذلك، فنزلت الآية الأولى قبل ذلك تبين ما سيقولونه. وفعلًا قالوه فأثبتوا أنهم السفهاء. فالله يملك العالَمَ كله، ويوجّه إلى الصواب، ليكون المسلمون متميزين بالخير كما هداهم إلى الحق، و شهداءَ على غيرهم يوم القيامة، والنبي ﷺ يشهد على إيمانهم.

وإنما كان تغيير القبلة اختبارًا لبيان المؤمن والمنافق، وهو شاق على غير المهتدين، وفي ذلك حفظ لإيمانهم ولطف بهم. فقد كان النبي ﷺ يحب مكة، ويتمنى عودة التوجه إليها، فتحقق له ما تمنى، مع علم اليهود والنصارى بأنه أمر من الله، وسيكون لهم عقاب ما يفعلون، ولن يتوجهوا إلى الكعبة مهما رأوا من الأدلة والبراهين القاطعة، وسيبقون في خلاف مع المسلمين أبدًا، لا يتبع بعضهم بعضًا.

فمن وافق شهوات أهل الكتاب كان مثلهم من الظالمين لأنفسهم والكافرين.

تفسير المفردات: آتيناهم أي: أعطيناهم مع الأمر بالطاعة. والكتاب: التوراة والإنجيل. ويعرفونه أي: يعرفون محمدًا ﷺ بصفاته وصدقه في رسالته. والأبناء: الأولاد، جمع ابن. والفريق: الجماعة. ويكتمون: يخفون. والحق: الحكم الثابت بلا شك. ويعلمون: يدركون الحقيقة وأن كتمانها معصية. ١٤٦ من ربك: من عنده وبأمره. ولا تكوننّ: اثبُت على ما أنت فيه ولا تصيرنّ. والممترون: الشاكّون المرتابون في الحق. ١٤٧ لكل أي: لكل أمة. والوجهة: القِبلة. والمولي: المُوجِّه وجهه في العبادة. واستبقوا: بادروا وتعجَّلوا. والخيرات: جمع خيرة، ما فيه نفع الدنيا والآخرة. وأينما تكونوا: في أيِّ مكان تَحصلوا وتوجدوا بعد الموت. ويأت بكم أي: يُحضركم يوم القيامة. وجميعًا أي: كلكم مجتمعين. والشيء: ما يمكن حصوله. والقدير: الكامل الاقتدار بلا معين أو منازع. ١٤٨ من حيث خرجت: من مكان مغادرتك لسفر أو غيره من الحاجات. ولِّ: حوّل. ووجهك أي: نفسك في الصلاة. والشطر: الجهة. والمسجد: الكعبة المشرفة. والحرام: الذي يحرَّم فيه كثير مما يجوز في غيره. وإنه أي: هذا الحكم باستقبال المسجد الحرام. وما الله: ليس الله. والغافل: الساهي إهمالًا. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ١٤٩ حيثما كنتم: في أيِّ مكانٍ وُجدتم. ووجوهكم أي: نفوسكم في الصلاة. ولئلّا يكون: كيلا يصير. والناس: اليهود وغيرهم كالمشركين والنصارى والملحدين. والحجة: الاحتجاج بالحق أو الباطل. وإلّا الذين أي: إلّا حجتُهم. وظلموا: جاروا على أنفسهم بالكفر. ومنهم: من المذكورين قبل. ولا تخشوهم: لا تخافوهم ولا تخافوا أقوالهم. واخشوني أي: خافوا عقابي وحدي. وأتم: أكمل بها تؤمرون وما تفعلون. والنعمة: الإنعام بخير الدنيا والآخرة. ولعلكم: ليكون لكم الرجاء. وتهتدون: تسترشدون وتوفَّقون في الوصول إلى الحق. ١٥٠ كما أرسلنا: مثلَما بعثنا. والرسول: من كلّفه الله تبليغ العقيدة والشريعة مع العمل بهما. ومنكم أي: من جنسكم. ويتلو: يقرأ ويوضح. والآيات: النصوص القرآنية. ويزكيكم: يطهركم من الشرك والضلال. ويعلّمكم: ينقل إليكم العلمَ للمعاني والحفظَ للكلام بالتفسير والعمل. والكتاب: القرآن الكريم. والحكمة: وضع الشيء في موضعه بأحكام القرآن والسُّنّة. وتعلمون: تدركونه وتعرفونه. ١٥١ اذكروني: استحضروا عظمتي وجلالي في النية والقول والفعل مع الحمد والتسبيح والتهليل. وأذكركم: أُكرمكم بالمغفرة والعون والرحمة. واشكروا لي: اذكروا نعمتي وأثنوا عليّ في القلب واللسان والعمل. ولا تكفرون: لا تكفروني: لا تجحدوا وحدانيتي ونعمتي ولا تعصوا أمري. حذفت الياء للتخفيف. ١٥٢ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. واستعينوا: اطلبوا العون. والصبر: حبس النفس لتحمل الشدائد من دون جزع. والصلاة: الصلوات المفروضة. ومع الصابرين أي: بالعون والتوفيق والهداية. ١٥٣

الجزء الثاني — سورة البقرة

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ
أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

المعنى العام: اليهود والنصارى يعرفون صدق النبي ﷺ، أكثر مما يعرفون عن أنساب أبنائهم لشكهم في وفاء النساء، كما قال عالِمهم عبد الله بن سلام، وبعضهم ينكر ذلك وأن صفتك مذكورة في التوراة والإنجيل. فاستمِرّ في يقينك. ولكل أمة وجهتها في العقيدة والعبادة، وعلى المسلمين الإسراع إلى الخير، ليكون الحساب لهم كذلك حين يحشر الناس جميعًا من قبورهم.

والتوجه في الصلاة يكون في طريق السفر والعمل بحيث يتيسر نحو الكعبة ما أمكن، حتى لا يحتج عليكم الكافرون. فلا تَشغلوا أنفسكم بأقوالهم واتقوا الله ليتم نعمته عليكم وتهتدوا دائمًا إلى الصواب، كما أنعم عليكم بالنبي الكريم يعلمكم الهداية ويطهركم من قبائح الجاهلية. فاذكروا الله في أقوالكم وأعمالكم يجازِكم بفضله، واشكروا نعمه بالثناء العظيم ولا تجحدوها بالمعصية، واستعينوا على الشدائد والمصائب بالتحمل والعبادة لله، يُمدّكم بالهداية والعون والتسديد.

الجزء الثاني — سورة البقرة

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

ربع الحزب ٣

تفسير المفردات: لا تقولوا لمن أي: لا تقولوا عمّن. ويُقتل: يُستَشهد. وسبيل الله: ما شرعه من الجهاد لإعلاء كلمته. والأموات: جمع ميت، المفارق للحياة. وبل أي: ليس الأمر كما تقولون. والأحياء: جمع حي، الملازم للحياة. ولا تشعرون أي: لا تحسون بحياتهم. **١٥٤** نبلوكم: نمتحنكم لبيان المؤمن والمنافق. والشيء: القدر. والخوف: الفزع من عدو أو بلاء. والجوع: الحاجة إلى الطعام. والنقص: الفقد والتلف. والأموال: جمع مال، ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والأنفس: الأشخاص، جمع نفس. والثمر: ما يكون من أولاد ونتاج الحيوان والنبات. وبشّر: بلغ ما يسعد، أيها النبي. والصابرون: المتحملون للشدائد بدون جزع. **١٥٥** أصابتهم: نزلت بهم. والمصيبة: الشِّدّة والمكروه. ولله أي: مُلك وعبيد له. وإليه أي: إلى لقاء حسابه وجزائه. وراجعون: مردودون بالبعث. **١٥٦** أولئك أي: الموصوفون بهذه الصفات. والصلوات: المغفرة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والرحمة: العطف بالإحسان. والمهتدون: المسترشدون إلى الحق. **١٥٧** الصفا: جبل قرب الكعبة يبدأ السعي منه في الحجّ والعُمرة. والمروة: جبل ينتهي السعي إليه. والشعائر: جمع شَعيرة، ما يُتعبد به. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وحج: قصد للقيام بالحج. والبيت: الكعبة المشرّفة. واعتمر: قصد أداء العُمرة. والجناح: الذنب يعاقب فاعله. ويطّوّف بهما: يبالغ في الطواف بالكعبة والسعي بين الصفا والمروة. وتطوع: تبرّع بما يزيد على الواجبات. وخيرًا أي: بعمل خير. والشاكر: المجازي بالثواب العظيم. وعليم أي: محيط بالغ الإحاطة بما يكون. **١٥٨** يكتمون: يخفون. وأنزلنا: أوحينا. والبينات: الآيات الواضحات الدلالة. والهدى: ما يرشد إلى الحق. وبيّنّاه: فصّلناه. والناس: البشر. والكتاب: التوراة. ويلعنهم الله: يطردهم من رحمته. ويلعنهم اللاعنون: يدعو عليهم الناس باللعنة. **١٥٩** تابوا: رجعوا عن كتمان الحق. وأصلحوا: تداركوا بالطاعة ما أفسدوا. وبيّنوا: أظهروا ما كتموه. وأتوب عليهم: أقبل توبتهم وأغفر ذنوبهم. والتواب: الكثير القبول للتوبة. والرحيم: العظيم العطف بالعفو عن المؤمنين. **١٦٠** كفروا: كذّبوا وحدانية الله وصدق رسوله. وماتوا: فارقت أرواحهم أجسادهم. وكفّار: جمع كافر. ولعنة الله: طردُه إياهم من الرحمة. والملائكة: مخلوقات نورانية. وأجمعين: كلهم مجتمعين. **١٦١** الخالدون: المقيمون أبدًا. وفيها: فيما تسببه اللعنة. ولا يخفف: لا يُنقص ولا يقلّل. والعذاب: التعذيب. ولا ينظرون: لا يكون لهم مُهلة للتوبة. **١٦٢** الإلَه: المعبود بحق، أي: الله تعالى. الواحد: المتفرد. والرحمن والرحيم: الكثير العطف بالإحسان. **١٦٣**

المعنى العام: أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وليسوا أمواتًا فلا تصفوهم بالموت. وسيكون ابتلاء بمصائب في كثير من الأهوال وذهاب الأملاك والأرواح ليظهر الصابرون الذين يفوضون أمورهم إلى الله، فلهم العطف والرحمة وهم في الهداية إلى الخير.

أما الصفا والمروة فجعلهما الله لتحقيق عبادتَي الحج والعُمرة، فمن قصد ذلك بالطواف والسعي كان له الأجر عليه، وكل زيادة خير منه عليها الثواب من الله. وأما الذين يخفون أحكام الله، وقد بيّنها بالوحي، فلهم اللعنة منه ومن اللاعنين. فإن رجعوا عن ذلك وأصلحوا ما أفسدوا ووضحوا ما أخفوه كانت لهم التوبة والمغفرة. وأما الذين يموتون على الكفر فعليهم اللعنة المؤبدة من الله وجميع الخليقة، لا يخفف عذابهم ولا تقبل منهم توبة.

والمعبود بحق هو الله وحده، يرحم المؤمنين وغيرهم ويعينهم، كلًّا بما يستحق، مع زيادة من فضله.

تفسير المفردات: الخلق: الإيجاد من عدم والاختراع. والسماوات: ما يحيط بالأرض من جو وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والاختلاف: التفاوت والمغايرة في صفات كثيرة. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. والفلك: واحدته فُلك أيضًا. وهي السفينة. وتجري: تسير. والبحر: الماء الكثير المجتمع. وبما ينفع: مع ما يفيد. والناس: البشر. وأنزل: أسقطه وأرسله. والسماء: السحاب. والماء: المطر والثلج والبرَد والندى. وأحيا به: خلق الحياة بسببه. والأرض: القسم اليابس منها. وموتها: يبسها وجدبها. وبث: فرّق. والدابة: ما يتحرك على الأرض. والتصريف: التقليب والتبديل في التكوين والحركة. والرياح: جمع ريح، الهواء المتحرك. والسحاب: الغيم، واحدته سحابة. والمسخر: المسيّر بحكمة. والآيات: جمع آية، الدلالة على وحدانية الله وقدرته. والقوم: الجماعة من الناس. ويعقلون: يتدبرون بعقولهم ويفكرون. ١٦٤ من الناس: بعضهم. ويتخذ: يقبل ويرضى. ودون الله أي: غيره. والأنداد: جمع نِدّ، أي: مماثل في الصفات لله يُعبد. ويحبونهم: يقصدون طاعتهم وتعظيمهم ويطلبون رضاهم. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وأشد: أقوى وأعظم. ويرى: يبصر يوم القيامة. وظلموا: أشركوا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والقوة: القدرة المطلقة. وجميعًا أي: مجموعة كلها. والشديد: العظيم لا مثيل له. ١٦٥ إذ: حين. وتبرأ: تنصل وتخلص وأنكر الإضلال. واتُّبِعوا: أُطيعوا. واتَّبَعوا: استجابوا وقلّدوا. ورأوا: شاهدوا عِيانًا. وتقطعت: زالت وامّحقت. وبهم أي: عنهم. والأسباب: جمع سبب، ما يصل بين اثنين أو أكثر من العلاقات. ١٦٦ قال أي: صرح بالقول. لو: نتمنى. والكرّة: الرجعة إلى الدنيا. ونتبرأ: نتنصل ونتخلص. ومنهم: من المتبوعين المضلِّلين. وكذلك أي: كما أراهم الله شدة العذاب. ويريهم: سيبصّرهم. والأعمال: جمع عمل، ما كان من نية أو قول أو فعل. وحسرات: جمع حسْرة. وهي الندامة والتأسف. وما هم: ليسوا. والخارجون: المغادرون المتخلصون. والنار: نار جهنم. ١٦٧ كلوا: تغذوا وتمتعوا بالطعام والشراب. والحلال: المباح المأذون به شرعًا وعلى أكله أجر. والطيب: المستلذ عند ذوي الأذواق السليمة. ولا تتبعوا: لاتسلكوا. والخطوات: الطرق، جمع خُطْوة. والشيطان: من يوسوس بالباطل من الجن أو الإنس. والعدو: المعادي. والمبين: البيّن العداوة. ١٦٨ يأمركم: يزيّن لكم الخواطر الفاسدة لمخالفة الحق. والسوء: الشر. والفحشاء: الشنيع من المعاصي. وتقولوا أي: تفتروا. ولا تعلمون: لا تعرفون حقيقته. ١٦٩

الجزء الثاني — سورة البقرة

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

المعنى العام: إن من الأدلة على وحدانية الله وصفاته المتفرد بها إيجادَ الكون بما فيه من عوالم دنيوية وعلوية، وما خلق بين الليل والنهار من صفات مختلفة، وتسييرَ السفن في البحار لمنافع الخلق، وإحياءَ الأرض بالمطر بعد يبسها، ونشرَ ما فيها من المخلوقات المختلفة، وتقليبَ الرياح بحكمة في الأجواء. ومع هذا كله فبعض الناس يشركون بالله مخلوقات يحبونها، ولكن المؤمنين أعظم منهم محبة لله، ولو علم المشركون في الدنيا، حين يشاهدون عذاب الآخرة، أن المتفرد بالقوة والتعذيب الفظيع هو الله لما أشركوا. فهناك يتبرأ الرؤساء من المرؤوسين وتضمحل العلاقات القديمة بينهم، ويتمنى هؤلاء التابعون أن يعودوا إلى الدنيا ليتبرؤوا من متبوعيهم.

وعلى هذه الحال، سيرون في أعمالهم يوم القيامة ما يحملهم على الحسرة والندامة لأنهم كفروا وأعرضوا عن الإيمان، إذ ليس لهم نجاة من عذاب جهنم. فيا أيها الناس، تمتعوا بما هو حلال ومستلذ ومأجور في الدنيا والآخرة، ودعوا وساوس الشيطان وما يزينه لكم من الفواحش والفساد، لأنه عدو لكم ظاهر العداوة، لا يوجهكم إلاّ إلى الشرور وقبائح العمل والافتراء على الله بما لا تعلمون، من تحليل الحرام وتحريم الحلال.

تفسير المفردات: قيل لهم أي: خوطب الكفّار بالقول. واتبعوا: وافقوا وأطيعوا. وأنزل: أوحى. وقالوا: أجابوا. وألفينا: وجدنا. والآباء: جمع أب، الوالد أو الجد. وأَوَلو كان أي: أيتبعون مع كون؟ ولا يعقلون شيئًا: لا يتدبرون بعقولهم أيًّا تدبر! . ولا يهتدون: لا يسترشدون إلى صواب ولا يتوجهون. ١٧٠ المَثَل: الصفة والحال. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وكمثل الذي أي: مِثْلُ صفة بهائم الراعي الذي. وينعق: يصوّت. وبما لا يسمع أي: للحيوان لا يدرك المسموعات. والدعاء والنداء: الصياح والتنبيه. والصم: جمع أصمّ، من فقَدَ حاسة السمع. والبكم: جمع أبكم، من وُلد أعمى وأبلَه وعجز عن الإبانة بالكلام. والعمي: جمع أعمى، من فقَدَ البصر. ١٧١ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وكلوا: تغذوا بالطعام والشراب. والطيب: المستلذ الحلال. ورزقناكم: يسرنا لكم وهيأنا ما تحتاجون إليه. واشكروا لله أي: استحضروا نعمه في أنفسكم وألسنتكم وأعمالكم. وإياه أي: هو وحده. وتعبدون: تقدسون وتطيعون. ١٧٢ حرّم: جعل من الذنوب. والميتة أي: الأكل مما مات وكان حلالًا أن يؤكل منه. والدم: السائل في العروق. واللحم: ما كان بين الجلد والعظم من عضل وشحم. والخنزير: الحيوان البري الشنيع المعروف إنسيًّا كان أو وحشيًّا. وأُهلّ به: صِيحَ بصوت عال في وقت ذبحه. ولغير الله أي: لأجل غيره من المعبودات. واضطر: ألجأته الضرورة. والباغي: الزائد في الأكل على حاجته. والعادي: المتجاوز حدود الشرع. والإثم: المؤاخذة بذنب. والغفور: العظيم العفو وستر القبيح. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة والتيسير للمؤمنين. ١٧٣ يكتمون: يخفون. وأنزل: أوحى. والكتاب: التوراة والإنجيل. ويشترون: يستبدلون ويأخذون. وبه أي: بكتمانه. والثمن: ما يتسلمه البائع. ويأكلون: يتناولون ويجمعون. والبطون: جمع بطن، ويراد به المعدة. والنار: نار جهنم. ولا يكلمهم أي: لا يخاطبهم إهمالًا. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. ولا يزكيهم: لا يطهرهم من الذنوب. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. ١٧٤ أولئك أي: الموصوفون بالقبائح المتقدمة. واشتروا: استبدلوا. والضلالة: الخروج على الحق. والهدى: الرشد إلى الصواب. والمغفرة: العفو عن الذنوب. وما أصبرهم: ما أفظع صبرهم! ١٧٥ ذلك أي: ما ذكر من العذاب. وبأن: لأن. ونزل: أوحى وأوجب الاتباع. والكتاب: التوراة والإنجيل. وبالحق أي: مصاحبًا الصدق الثابت. واختلفوا: تنازعوا واختصموا. وفي الكتاب أي: بسبب تقبل كل كتاب مقدس والحكم عليه. والشقاق: الخلاف بينهم وبين غيرهم. والبعيد: المنحرف جدًّا عن الحق. ١٧٦

الجزء الثاني — سورة البقرة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ
ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا
يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ
بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ
وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ
أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ
بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾

المعنى العام: متابعة مذمة الكافرين، بأنه إذا طُلب منهم الإيمان بالقرآن والعمل بما فيه امتنعوا بحجة أنهم لا يقلدون إلّا أباءهم. فكيف يرضون اتباعهم على الجهل والضلال؟ إنهم كالبهائم تُدعى بما لا تفهم من الأصوات.

أما المؤمنون فليأكلوا من الحلال ويشكروا الله، ويتجنبوا لحم الحيوان الميت والدم المسفوح وما يُذبح لغير الله ولحم خنزير. لكن لحم الخنزير البحري حلال وكذلك السمك والجراد الميتان. ومن ألجأته الضرورة فلا ذنب عليه بمغفرة الله ورحمته، إن أكل من تلك المحرمات ما لم يتجاوز حاجته وحدود الشرع.

وأما الذين يُخفون شرع الله في كتبه وما جاء من العقيدة والشريعة والعبادة والتبشير ببعثة محمد ﷺ ويتاجرون بذلك فإنهم يجمعون في بطونهم نار جهنم من مكاسبهم الدنيوية، وينالون غضب الله وإعراضه وعذابه الفظيع، لأنهم باعوا الهداية بالضلال وأعرضوا عن الحق المنزّل وعاشوا في خصام وانحراف عظيم، وسيكون لهم من العقاب ما يتطلب الصبر الشديد. فاعجبوا ـ أيها الناس ـ من جرأتهم على الحق وصبرهم على النار.

تفسير المفردات: البِرّ: الإحسان في العمل. وتولوا: تُوجِّهوا. والوجوه: جمع وجه، ما يقابل به الإنسان غيره من رأسِهِ. والمراد الأجسام كلها. وقِبَل: جهة. والمشرق والمغرب: جهتا الشرق والغرب. والبِرّ الثاني: البارّ. وآمن: صدّق بقلبه ولسانه وعمله. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون في الحياة بعد الموت. والملائكة: مخلوقات من نور، مفردها ملَك. والكتاب: الكتب السماوية. والنبي: من كلفه الله بالدعوة مع العمل. وآتى: أعطى وبذل. والمال: ما يُملك من نقد وغيره. وعلى حبه أي: مع محبته له. وذوو القربى: أصحاب القرابة. واليتامى: جمع يتمى. واليتمى: جمع يتيم، الطفل فُقد أبوه. والمساكين: جمع مسكين، الفقير المحتاج. وابن السبيل: من ينقطع في طريق السفر. والسائلون: طالبو الصدقة. وفي الرقاب: لأجل فك المرتبطين بالأسر أو بالعبودية للغير. والرقاب: جمع رقبة، يراد بها الإنسان صاحبها. وأقام الصلاة: أداها كاملة بأركانها وآدابها على الدوام. وآتى الزكاة: أعطاها من يستحقها. والزكاة: ما يجب في المال لتنميته وتطهيره وتطهير صاحبه. والموفون: من يلتزمون دون نقص. والعهد: التعهد لله أو للناس. والصابرون: من يحبسون أنفسهم على تحمل الشدائد. والبأساء: عظَمة البلاء. والضراء: فظاعة الضرر. والبأس: شدة الحرب. وأولئك أي: الموصوفون بما تقدم. وصدقوا: كانوا على حق في عملهم. والمتقون: من يتجنبون غضب الله ويطلبون رضاه. ١٧٧ كُتب: فُرض. والقصاص: عقوبة الجاني بما فعل. والقتلى: جمع قتيل، من يُقتلون عُدوانًا. والحر: الإنسان غير المملوك لآخر. وبالحر أي: يُقتل بسبب قتل الحر. والعبد: المملوك. والأُنثى: المرأة صغيرة أو كبيرة. وعفي له: عفي عنه وسومح. ومن أخيه أي: من المطالبة بالعقوبة على قتله. وشيء أي: جزء مّا. واتباع: متابعة ولي القتيل للقاتل بطلب الدِّية. والمعروف: الأسلوب الحسن. وأداء إليه : تأدية القاتل الدية إلى الولي. والإحسان: تطييب القول والفعل. وذلك أي: الحكم المذكور. وتخفيف: تيسير. ومن ربكم: من عنده وبأمره. والرحمة: العطف بالإحسان. واعتدى: ظلم. وبعد ذلك: بعد العفو والدية. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: الشديد الإيلام. ١٧٨ في القصاص: في شرعه وتنفيذ حكمه. وحياة أي: استمرار البقاء باطمئنان وأمان. وأولو: أصحاب. والألباب: جمع لب، العقل المتزن. ولعلكم: لتترجَّوا. وتتقون: تتجنبون القتل والعصيان. ١٧٩ حضر: قرب وظهر. وأحدكم: الواحد منكم. والموت أي: علاماته. وترك: خلّف. والخير: المال. والوصية: بيان ما يعمل به الغير في توزيع التركة. والوالدان: الأبوان. والأقربون: الأقرباء. والمعروف: العدل. والحق: الثبات المؤكد. ١٨٠ بدّله: غيّر بعض مضمون توزيع التركة. وسمعه: عَلِمَه ووعاه. والإثم: الجزاء. والسميع: المدرك لما يقال. والعليم: المحيط بما يكون. ١٨١

نصف الحزب ٣

سورة البقرة — الجزء الثاني

۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ
ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ
وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ
بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ
وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ
بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

المعنى العام: اختلف اليهود والنصارى كل منهم في تفضيل قبلتهم، فنزلت الآية الأولى، تبين أن الخير عند الله هو الإيمان الكامل وبذل المال مع حبه للمحتاج، والقيام بالعبادة والوفاء بالعهد والصبر في الشدائد. فهذا هو الصدق في الخير والتقوى الحقيقية.

وقد فُرض على المؤمنين قصاص في القتل، بما يجب على المجرم بما يناسب شخص القتيل، وإذا تنازل أحد الورثة عن الاقتصاص فعليهم اليسر في طلب الدية، وعلى المجرم تأدية الحق بإحسان. وهذا الحكم تيسير من الله ورحمة، ومن يتجاوز تلك الأحكام يستحق العذاب الشديد. وهذه العقوبات المذكورة تمنع كثرة القتل، وتحيي نفوس العباد باطمئنان وأمان.

وعلى من قرُب من الوفاة أن يضع وصيته بما خلّف من المال عادلًا، لكل من مستحقي ذلك، ومَن غيّر وصية المتوفَّى كان الجزاء له، والله يعلم الحقائق وما في السرائر، فيكون العقاب عادلًا أيضًا.

تفسير المفردات: خاف: علم وتوقّع. والموصي: المشرف على الموت يبيّن ما يجب عمله بماله بعد موته. والجنف: الميل عن الحق. والإثم: الظلم وتجاوز الحق. وأصلح بينهم: فَعَلَ ما فيه صلاح بين الورثة. والغفور: الكثير العفو. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان على المؤمنين. ١٨٢ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وكُتب: فُرض. والصيام: الإمساك عما يفطر من الفجر إلى الغروب. والذين من قبلكم: الأمم المؤمنة المتقدمة. ولعلكم: لتترجَّوا بالصوم. وتتقون: تتجنبون ما لا يجوز شرعًا بالطاعة وعمل الخير. ١٨٣ الأيام: جمع يوم. وهو هنا النهار. ومعدودات أي: معلومة العدد. وكان أي: وقت شهود شهر رمضان في مكان إقامته. والمريض: المصاب بما يضره الصوم. وعلى سفر أي: مصاحبًا البعد عن بلده. والعدة: عدد مقابل لأيام فِطره من رمضان. وأُخر أي: غير ما أفطر فيها. ويطيقونه: يتحملون الصيام بشِدّة ولا يمكنهم متابعته. وفدية: أداء ما يبذله الإنسان ليقي نفسه من تقصير أو بلاء. والطعام: ما يؤكل ويشرب. والمسكين: الفقير المحتاج. وتطوع: تبرع بالزيادة إيمانًا واحتسابًا. والخير: العمل النافع. وأن تصوموا: صومكم . وخير لكم: أفضل لكم من الإفطار حين التحمل بشدة. وتعلمون: تدركون وتعُون فضل الصوم. ١٨٤ الشهر: الزمن المقدر بدورة كاملة للقمر حول الأرض. ورمضان هو الشهر التاسع من السنة الهجرية. وأُنزل: أوحي إلى السماء الدنيا، ثم بدئ بوحيه على لسان جبريل إلى النبي عليهما الصلاة والسلام. والقرآن: كتاب الله الكريم. والهدى: المرشد إلى الحق. والناس: بنو آدم. والبينات: الآيات الواضحات. والفرقان: ما يفرق بين الحق والباطل. وشهد الشهر أي: حضر وقت حصوله. ويصومه أي: يصوم فيه عن المفطرات. ويريد: يقصد ويقضي. وبكم أي: مصاحبًا لكم. واليسر: السهولة. والعسر: الصعوبة. وتكملوا: تتمّوا. والعدة: عِدّة أيام رمضان. وتكبّروا الله: تعظّموه بالتكبير والحمد. وعلى ما هداكم أي: لإرشاده إياكم إلى أحكام دينه. وتشكرون: تستحضرون نعم الله في نفوسكم وألسنتكم وأعمالكم. ١٨٥ سألك: استخبرك يريد المعرفة. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. وعني أي: عن قربي إليهم. وقريب أي: معهم. وأجيب: أُلبّي بإرادتي. والدعوة: طلب العون. والداع: الداعي، طالب العون. وإذا دعانِ: حين يدعوني. وحذفت الياء في الموضعين للتخفيف. ويستجيبوا:يطيعوا وينقادوا. ويؤمنوا: يديموا الإيمان ويستمروا عليه. ولعلهم أي: ليُترجَّى لهم. ويرشدون: يهتدون إلى الصواب ١٨٦.

الجزء الثاني سورة البقرة

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ
يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ
لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ
رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

المعنى العام: يوجّه الله المؤمنين إلى إصلاح ما يبدو من التبديل في الوصايا ـ فللوصيّ أن يصلح ما كان من ظلم المتوفَّى للورثة ـ وإلى التزام الصيام في رمضان، كما كان مَن قبلهم ليتيسر لهم التقوى. فالصيام عن المفطرات مفروض في أيام محدّدة، ويخفف عليهم ذلك في حال المرض والسفر الشاقّين، بتعويض فدية لما عجزوا عن صيامه، ولكن القيام بالفرض أفضل من الفدية وهم عالمون بذلك.

ففي شهر رمضان نزل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ،وفيه أيضًا بدأ نزول الوحي منها بلسان جبريل إلى محمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وعلى من يحضر بدء هذا الشهر في بلد متابعةُ الصيام، وإنما كان التيسير بالفدية رحمة من الله. فهو يريد تخفيف ما يتعذر على المسلمين، ليتمكنوا من إتمام الفرض وتحقيق الخير ويشكروا فضله ويعظموه على الهداية.

وإذا أراد وا التقرب إليه فلْيعلموا أنه معهم برحمته وعونه دائمًا، يستجيب لمن يدعو ويستغيث، ويلبى طلبه بحق. فليكن منهم طاعة له وإيمان بالتوحيد والبعث، مع ما يلزم ذلك من العمل الصالح. وبهذا يهتدون إلى خير الدنيا والآخرة ويكونون من المسترشدين.

تفسير المفردات: أُحل: جُعل مباحًا وعليه أجر. وليلة الصيام أي: في الليلة التي يُصام في نهارها. والرفث: الجماع وما يكون معه من قول أو فعل. والنساء: جمع نِسوة. والنسوة واحدته امرأة، أي: الحليلة من زوجة أو أمة. واللباس: ما يُلبس فيكاد يختلط بجسم صاحبه. وعلم: أحاط بالغَ الإحاطة. وتختانون: تظلمون بالتعريض للعقاب. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وتاب عليكم: قبِل توبتكم. وعفا: غفر الذنب. والآن: في الزمن الحاضر لنزول الآية وما بعده. وباشروهن أي: لكم أن تجامعوهن ليلًا. وابتغوا: اطلبوا. وما كتب: ما أباح ويسر وقضى من الخير والولد. وكلوا: تناولوا الطعام. واشربوا: تناولوا الشراب. ويتبين: يظهر في السماء. والخيط الأبيض: أول ما يبدو في الليل من بياض النهار. والأسود: مايمتد من سواد الليل كالخيط مع ظهور بياض النهار. والفجر: انكشاف ظلمة الليل عن نور الصبح. وأتموا الصيام: أكملوا بالإمساك عن المفطرات. والليل: غروب الشمس. ولا تباشروهن: لا تجامعوا النساء. والعاكفون: المقيمون في أماكن العبادة. والمساجد: جمع مسجد، مكان للصلاة. وتلك أي: الأحكام المذكورة في الآيات من إيجاب وتحريم وإباحة. والحدود: الأحكام، مفردها حَدّ، ما يفصل بين الحق والباطل. ولا تقربوها أي: تجنبوا الدنو منها أو مخالفتها. وكذلك أي: كما بيَّن وفصّل فيما مضى. ويبين: يوضح ويفصّل. والآيات: الأحكام الشرعية. ولعلهم: ليترجَّى المسلمون. ويتقون: يتجنبون غضب الله وخلاف بعض أحكامه. ١٨٧ لا تأكلوا: لا تأخذوا وتلتهموا. والأموال: جمع مال، ما يملك من نقد ومتاع وزينة. وبالباطل: مصاحبين الحرام شرعًا. وتدلوا بها: تدفعوها. والحكام: جمع حاكم. والفريق: المجموعة. والناس: مَن حولكم من البشر. وبالإثم: مصاحبين الظلم. وتعلمون: تدركون حرمة ذلك. ١٨٨ ويسألونك: يستعلم الصحابة منك، أيها النبي. والأهلة: جمع هلال، ما يبدو من القمر في أول الشهر، وما يكون فيه بعد ذلك. والمواقيت: جمع ميقات، ما يدل على الوقت. وقل أي: لهم. والحج: قصد البيت الحرام للعبادة المشروعة. والبِر: إحسان العبادة. وتأتوا: تدخلوا. والبيوت: جمع بيت، مكان المبيت. والظهور: جمع ظهر، القسم الأعلى من البيت. والبِر الثاني: البارّ. واتقى: تجنب غضب الله وطلب رضاه. وائتوا: ادخلوا. والأبواب: جمع باب، مكان الدخول. ولعلكم: لتترجَّوا. وتفلحون: تفوزون بالخير. ١٨٩ وقاتلوا: واجهوا بالمقامة الحربية. وفي سبيل: لنصرة الدين بعقيدته وشرائعه. ويقاتلونكم: يبدؤونكم بالقتال. ولا تعتدوا: لا تتجاوز الحق بظلم. ولايحب: لا يود ويكره. والمعتدون: البادئون بالظلم والبغي مجاوزين ما حدده الشرع. ١٩٠

الجزء الثاني — سورة البقرة

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ
وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ
إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم
بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ
بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ
وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

المعنى العام: إجازة مضاجعة الرجل لحليلته والمرأة لحليلها، مع ما يكون من أعمال وأقوال ترافق ذلك، لأنهم متمازجون في شؤونهم وبعضُهم ستر لبعض، ويطلبون تيسير الخيرات والإنجاب، وكذلك يباح للجميع تناول المفطرات في ليالي رمضان يباح ذلك حتى الفجر، ولا تجوز المضاجعةُ وقت الاعتكاف ـ فالتزام حدود الله واجب، وهي مفصّلة لإدراك الطاعة والرضا ـ ولا أكلُ مال الآخرين بالظلم والرشوة في المحاكم والفتاوى، مع العلم بما في ذلك من العدوان.

وقد سأل الصحابة رسول الله عن الحكمة من تغير أحوال الهلال في الشهر الواحد، فجاء الجواب بأن تحول القمر يفيد تعيين أوقات مصالح الناس والعبادات كالحج مثلًا، وأن الإحسان في العبادة هو دخول البيوت من أبوابها أيام الحج والعمرة، لا ما كان يفعله الجاهليون من تحريم ذلك. ثم على المسلمين أن يواجهوا بالسلاح من يعتدون عليهم أو على شيء من الدين والوطن والأمة، ويكون ذلك بالحدود التي فصّلها الله في كتابه والرسول ﷺ في جهاده، والله يعاقب المعتدين.

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ
فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

تفسير المفردات: اقتلوهم: أزهقوا أرواحهم بالسلاح وغيره. وحيث ثقفتموهم: في مكان لقائكم لهم. وأخرجوهم: اطردوهم وشرّدوهم. وحيث أخرجوكم: مكان تشريدهم إياكم. والفتنة: الافتتان والضلال. وأشد: أعظم. والقتل: إزهاق الروح. ولا تقاتلوهم: لا تحاربوهم بسلاح. والمسجد الحرام: الحرم المكّي. ويقاتلوكم: يبدؤوكم بقتال. وكذلك أي: مثل ما ذكر من القتل والطرد. والجزاء: العقاب. والكافرون: من كذّبوا الله ورسوله وأشركوا في العبادة. ١٩١ انتهَوا: رجعوا عن الشرك والقتال وآمنوا. والغفور: الكثير الستر للذنوب. والرحيم: العظيم العطف بالعفو عن المؤمنين. ١٩٢ قاتلوهم: تابعوا مواجهتهم بالسلاح. ولا تكون أي: لا تبقى في الوطن الإسلامي والعقيدة. ويكون: يصير. والدين: عبادة المسلمين وعقيدتهم. لله أي: وحده دون غيره. والعدوان: القتل والطرد. والظالمون: من تعدَّوا حدود الحق. ١٩٣ الشهر الحرام: الشهر المحرّم انتهاك أيامه بالقتال. وبالشهر الحرام أي: يقابل بقتال فيه جزاء من اعتدى على المسلمين. والحرمات: الحقوق، أي: انتهاكها بالعدوان. والقصاص: المماثلة في الجزاء. واعتدى: تجاوز الحق بظلم أو انتهاك بعض حرمات الإسلام والمسلمين. واعتدُوا عليه: قاوموا بالسلاح عدوانه. والمثل: المماثل في الجنس والزمان والمكان. واتقوا الله: تجنبوا غضبه واطلبو رضاه بالطاعة. واعلموا: استمروا في المعرفة. ومع المتقين: معينهم وناصرهم. ١٩٤ أنفقوا: ابذلوا واصرفوا. وسبيل الله: ما شرعه من العمل والبر والإحسان والجهاد لإعلاء دينه وحماية حقوق المسلمين. ولا تلقوا: لا ترموا وتُسلّموا بالجبن والتخلف عن الجهاد. وأيديكم أي: أنفسكم. والتهلكة: الهلاك بالقتل أو الهوان. وأحسنوا: جوّدوا أعمالكم طاعة واحتسابًا. ويحب: يود ويكرم ويثيب. ١٩٥ أتموا الحج والعمرة أي: أدّوهما بما يجب من الأحكام والعبادات. ولله أي: طاعةً له بإخلاص. وأُحصرتم: مُنعتم من الإتمام. واستيسر: تيسّر. والهدي: ما يُهدى إلى الحرم فيذبح من الضأن أو المعز. ولا تحلقوا: لا تزيلوا أو تقصوا أو تقصروا الشعر وقت الإحرام. والرؤوس: جمع رأس. ويبلغ: يصل. والمحل: مكان الذبح شرعًا. والمريض: من فيه مرض يمنعه من بعض عبادات الحج والعمرة. والأذى: الضرر يوجب حلق الشعر أيضًا. والفدية: ما يبذله الإنسان ليقي نفسه من تقصير أو مخالفة. والصيام: الامتناع عن المفطرات نهارًا. والصدقة: دفع الطعام للمساكين. والنسك: ذبح واحدة من الغنم. وإذا أمنتم: حين تكونون في أمان وصحة. وتمتع: استمتع وانتفع. والعمرة: زيارة البيت الحرام بالشروط المشروعة. وإلى الحج أي: إلى وقت الإحرام للحج. ولم يجد أي: تعذر عليه تأمين الهدْي. وفي الحج: في وقت الإحرام للحج. وإذا رجعتم: حين تعودون من الحج. وذلك أي: الحكم المذكور. والأهل: الزوجة والولد. والحاضرون: المقيمون للسكن. والشديد: القوي لا مثيل له. والعقاب: الانتقام بالعذاب. ١٩٦

المعنى العام: الأمر بقتال المشركين من قريش في كل مكان، لأنهم ظلموا المسلمين وشردوهم من مكة وصادروا أهليهم وأموالهم. فقتالهم واجب ولو كان في الشهر الحرام أو في مكة، حتى يسلموا ويتركوا العدوان، وكذلك حكم من اعتدى على المسلمين حتى الأبد.

فعليهم جهاد المعتدين بالسلاح وعقاب الظالمين بما يقابل ظلمهم مع التزام العدل والتقوى والبذل في سبيل ذلك بإحسان وكرم، لئلا يَذلّوا لمعتد أو يُقتّلوا بهوان، وأن يتموا أحكام الحج والعمرة، وإذا مُنعوا من بعض ذلك بعدوان أو مرض كان لهم فدية تكفّر ما قصروا فيه. وذلك بتفصيل أحكام من الصيام والصدقة والعبادة تناسب الأوضاع الحاصلة والإقامة في الحرم المكّي، والمخالفُ للأحكام يعرّض نفسه لغضب الله، وهو شديدٌ عقابُه للمعتدين والعاصين.

تفسير المفردات: الحجّ: الفريضة المعروفة بأحكامها المشروعة.والأشهر: جمع شهر، مُدّة دوران القمر حول الأرض مرّة واحدة.والمعلومات: المعروفات يجوز فيها الابتداء بالإحرام للحج. وفرَضَه: أوجبه على نفسه بأن أحرم.وفيهنّ: في أشهر الحج.ولا رفث أي: لا بجوز له الجِماع.يعني: لمن فرض الحج على نفسه. والفسوق: الخروج عن حدود الشرع.والجدال: الخصام في الباطل.وفي الحج أي: في وقت الإحرام للحج.وتفعلوا: تكسبوا وتتحمّلوا من نيّة أو قول أو عمل.والخير: مافيه نفع الدنيا والآخرة.ويعلمُه: يحيط به كامل الإحاطة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله.وتزوّدوا أي: احملوا ما يكفيكم من الحاجات في الحج. وخير: أكثر نفعًا. والزاد: ما يزيد من الطعام والشراب. والتقوى: ما يتقى به سؤال الآخرين.واتّقون: اتّقوني أي: تجنّبوا غضبي واطلبوا رضاي بالطاعة.حذفت الياء للتخفيف. وأولو أي: أصحاب. واحده ذو. والألباب: جمع لب. وهو صميم القلب ثابت بالتقوى والصلاح.١٩٧ الجُناح: الذنب. وتبتغوا: تطلبوا.والفضل: الرزق بتجارة وما أشبهها. ومن ربكم أي: من كرمه وتفضله. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه.وأفضتم أي: اندفعتم راجعين. وعرفات: موضع وقفة الحج وفيه الجبل المشهور.واذكروا أي: ردّدوا بالتلبية والتكبير والحمد.والله أي: اسمه العظيم.وعند أي: قرب. والمشعر: مَعلَم للتعبد. والحرام: المحرّم المقدّس. وهو جبل في آخر المزدلفة اسمه قُزَح. وكما هداكم: بسبب إرشاده إياكم إلى معالم دينه تبعًا لاستعدادكم الحسن.وإنْ: وقد.وقبله: قبل إرشاده. والضالّون: التائهون عن الهدى. ١٩٨ أفيضوا: انصرفوا وانطلقوا.ومن حيث أفاض الناس أي: من مكان انطلاق الحُجّاج في عَرَفة. واستغفروا: اطلبوا ستر ذنوبكم والعفو. والغفور: الكثير الستر للذنوب. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة للمؤمنين. ١٩٩ قضيتم: أدّيتم وأنهيتم. والمناسك: جمع مَنسَك. وهو عبادة الحجّ آخرها طواف الإفاضة بعد الحلق ورمي الجمار أي: الحصى ترمى في مِنى. والآباء: جمع أب. وهو الوالد ويطلق على الجدّ أيضًا. والأشد: الأقوى. ومن الناس أي: بعضهم. ويقول أي: في دعائه. وربّنا: يا ربّنا. حذف حرف النداء لما فيه من معنى الأمر والتنبيه. وآتنا: أعطِنا نصيبنا. والدنيا: الحياة القريبة يعيش فيها الناس. وما له: ليس له. والآخرة: الحياة يوم القيامة. والخلاق: النصيب.٢٠٠ الحسنة: ما يحسن به شأن الإنسان. وقنا: جنّبنا. والعذاب: التعذيب.والنار: نار جهنم.٢٠١ أولئك أي: الأخيرون. والنصيب: الشيء المحدّد من الثواب. ومما كسبوا: بسبب ما عملوا في الحج والعبادات.والسريع: المنجز بسرعة لا يَشغله أحد عن غيره. والحساب: محاسبته والجزاء. ٢٠٢

الجزء الثاني سورة البقرة

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٩
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ٢٠٠ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ٢٠٢

المعنى العام: متابعة أحكام الحج بأن بين الله زمنه، وما يجب فيه من العبادات وعمل الخير والبعد عن العصيان والنزاع، مع الاستعداد بما يلزم حينئذ من الحاجات والتقوى وجواز التجارة، ووجوب الدعاء والاستغفار وذكر الله كثيرًا، ورمي الجمار، وهي سبعون حصاة يُرمى منها سبع على جمرة العقبة في يوم النحر، ثم يُرمى منها في كل يوم إحدى وعشرون إلى موضع الجمرات الثلاث بالعدل، ووجوب الاندفاع من عرفات مع طلب المغفرة كما يفعل الحجّاج بخلاف أهل الجاهلية.

فالناس قسم منهم يتمنّون نعيم الدنيا وحده، وآخرون يطلبون الخير في الدنيا ونعيم الآخرة والوقاية من نار جهنم.وهؤلاء لهم الثواب، فيما يحاسب الله عباده أسرع حساب. وما ذكره بعض المفسرين من السرعة بقدر نصف نهار الدنيا مبني على فهم ضعيف، لِما جاء في بعض الأحاديث.وفي صحيح مسلم أن ذلك: فِي يَومٍ كانَ مِقدارُهُ خَمسِينَ ألفَ سَنةٍ، حَتَّى يُقضَى بَينَ العِبادِ.

تفسير المفردات: اذكروا: ردّدوا بالتكبير والتلبية والتوحيد والدعاء والتضرّع.والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله.والأيام: جمع يوم. و هي الأيام الثلاثة للتشريق، أي: تقديد اللحم وبسطه في الشمس ليجف بعد يوم النحر. ومعدودات أي: معيَّنات مؤقَّتات. وتعجّل: استعجل بالنفر أي: الاندفاع من منى إلى البيت الحرام.وفي يومين أي: رمى الجمار بمنى في يومين فقط.والإثم: الذنب.وتأخّر: بقي في مِنى حتى اليوم الثالث.واتقى: تجنب غضب الله وطلب رضاه بالطاعة في الأمر والنهي. واعلموا: دوموا على العلم والتذكر.وإليه أي: إلى موقف حسابه يوم القيامة. وتُحشرون: تُجمعون أحياء بالقهر بعد البعث.٢٠٣ من الناس أي: بعضهم وهم المنافقون.ويعجبك: يرضيك ويسعدك. وقوله: كلامه المنمق.والحياة أي: ما يكون فيها من الأُمور. والدنيا: القريبة من الناس وهم فيها. ويُشهد اللهَ أي: يقسم به ويقول: يَشهد اللهُ. والقلب: موطن التدبر والاعتقاد والانفعال.وهو أي: المنافق. والالدّ: الأشد فظاعة. والخصام: المخاصمة للإسلام والمسلمين.٢٠٤ تولّى: خرج من عندك، أيها النبيّ. وسعى: أسرع في العمل. والأرض: المنطقة التي هو فيها. ويفسد: ينشر الضرر والإيذاء بقصد. ويهلك: يُتلف ويقتل.والحرث: المزروعات.

الجزء الثاني — سورة البقرة

۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي
يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ
عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا
فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ
مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ
وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

الحزب

والنسل: المولودات من الحيوان. ولا يحب أي: يكره ويمقت. والفساد: إفساد ما في الدنيا من خير. ٢٠٥ قيل له أي: وُجّه إليه القول. و أخذته: جذبته وتملّكته.والعزّة: الأنفة والحميّة. والإثم: الظلم والفساد. وحسبه أي: تكفيه. وجهنم: اسمٌ علم لدار العقاب يوم القيامة. وبئس أي: بلغ النهاية في السوء والبؤس والشقاء. والمهاد: ما يمهّد للإقامة.٢٠٦ يشري: يبيع ويبذل.ونفس الإنسان: شخصه بروحه وجسده. والابتغاء: الطلب والقصد.والمرضاة: الرضا التام. والرؤوف: الشديد الرحمة والعطف. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. ٢٠٧ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وادخلوا في السلم أي: آمِنوا بالإسلام وما فيه اعتقادًا يقينيًّا بالقلب واللسان. وكافة أي: جميعًا وجملة واحدة. ولا تتبعوا: لا توافقوا ولا تجاروا. والخطوات: جمع خُطْوة، ما بين القدمين من المسافة حين الخطو. والمراد هو الطرق.والشيطان: من يوسوس بالشر من الإنس والجنّ. والعدوّ: المعادي يَسرّه ما يؤذيكم ويضره ما ينفعكم.والمبين: البيّن العداوة. ٢٠٨ زللتم: انحرفتم عن بعض الإسلام. وجاءتكم: بلغتكم وكُلفتم باتباعها. والبينات: الحُجج الظاهرة من القرآن والسُّنّة. والعزيز: الغلّاب على تحقيق أمره بلا معين ولا منازع. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٢٠٩ هل ينظرون: ما ينتظر المشركون.ويأتيهم: يقصدهم ويأخذهم بالعذاب والاستئصال.والظُّلل: جمع ظُلّة، ما يُظلِّلك وينشر عليك الظِّلّ. والغمام: السحاب. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية. وقُضي: تمّ ونُفّذ.والأمر: الحكم بالهلاك. وإليه: إلى حكمه وقضائه. وترجع: تُردّ. والأمور: جميع الأحكام والأعمال.٢١٠

المعنى العام: متابعة ما يكون في الحج، من أيام التشريق ورمي الجمار في منى، والتخييرُ في ذلك بين ثلاثة أيام واثنين، ثم بيانُ ما يكون من المنافقين في مظاهرهم الكاذبة، ومفاسد اعتقادهم وأعمالهم وشدة خصومتهم للإسلام والمسلمين، وأنفتهم بالتكبر عن قبول التقوى، وما سيكون لهم يوم القيامة من عذاب، وما يضحي به المؤمنون طلبًا لرضا الله.

ثم يكون الأمر للمؤمنين بالخضوعِ للمسالمة والموادعة،ووجوبِ التزام حدود الإسلام وعدم الضلال بعد الهداية، والتذكيرُ بقدرة الله، وعرض ما كان من المنافقين الذين بقي في نفوسهم شيء مما كانوا عليه، وتهديدُ المشركين بالانتقام ممن لا يترك ذلك.

تفسير المفردات: سل أي: اسأل واستخبر، أيها النبيّ. وإسرائيل: لقب للنبيّ يعقوب.وبنوه هم اليهود والنصارى. وكم آتيناهم: ما عدد ما أعطيناهم؟ والآية: المعجزة.والبينة: الواضحة الدلالة. ويبدل: يحرّف ويقابل بالجحود.والنعمة: التفضل بالخير. وجاءته: وصلت إليه وتمكّن من معرفتها.والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والشديد: العنيف. والعقاب: جزاؤه للكافر.٢١١ زُين: جُعل محبوبًا. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والحياة أي: ما فيها من المتاع والزينة والتمويه الظاهر. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. ويسخرون: يتهكمون. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. واتقَوا: تجنبوا الشرك ولزموا الإيمان.وفوقهم أي: فوق الكافرين في المنزلة العالية. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. ويرزق: يهيئ ما يكفي.ويشاء: يريد أن يرزقه. والحساب: المحاسبة بما يستحق أو بما يسعى له. ٢١٢ كان أي: فيما مضى من الزمان البعيد جدًا. والناس: البشر. والأُمّة: الجماعة على دين واحد نحو الخير والإحسان. وبعث: أرسل بأمر منه. والنبيّ: من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. والمبشر: المبلّغ بالسعادة من آمن واتقى.والمنذر: المهدد بالعذاب من كفر وأفسد. وأنزل: أرسل على لسان جبريل.والكتاب أي: الكتب المقدّسة. وبالحق: مصاحبةً الحكم الثابت لا شك فيه. ويحكم: يقضي الله ويفصل بالعدل والصواب.واختلفوا فيه: اختصموا بسبب الكتاب في آراء متباينة أو متناقضة. وأُوتوه: أعطوا الكتاب وكلّفوا بما فيه. وجاءتهم: وصلت إليهم.والبغي: الظلم والحسد.وهدى: أرشد بحسب الاختيار الطيب. وبإذنه: مع إرادته وقضائه.ويشاء: يريد أن يهديه. والصراط: الطريق الواضح والمستقيم: القويم المعتدل طريق الحق.٢١٣ أم حسبتم: كيف تتوهّمون، أيها المؤمنون. وتدخلوا أي: تسكنوا. والجنّة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي.ولّما يأتكم: لم ينزل بكم.والمَثل: الشَّبيه.وخلوا: مضوا. ومستهم: أصابتهم. والبأساء: شدة المصائب والحروب.والضرّاء: شدة الإيذاء بالأمراض والبلاء. وزُلزلوا: قُلقلوا واضطربوا كثيرًا. وحتى يقول: حتى قال استبطاء للنصر وكشف البلاء،لا شكًّا في العون. والرسول: من بعثه الله للتبليغ مع العمل.ومتى نصر الله: في أيِّ وقت عونُه؟ وألا: حقًّا.وقريب: واقع لا محالة. ٢١٤ يسألونك: يستفسرك المؤمنون، أيها النبيّ. وماذا أي: ما قدره وما جنسه؟ وينفق: يبذل ويصرف شرعًا. والخير: ما ينفع. والوالدان: الأب والأُمّ. والأقرب: الأكثر قربًا. واليتامى: جمعُ يَتمَى، جمعِ يتيم، الطفل فُقد أبوه. والمساكين: جمع مِسكين، الفقير المحتاج. والسبيل: الطريق العامّ. وابنه: البعيد عن بلده وليس معه ما يكفيه. وتفعلوا: تقدموا وتكتسبوا. والخير: العمل الصالح. والعليم: المطّلع المحيط بالغَ الإحاطة. ٢١٥

سورة البقرة — الجزء الثاني

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ
أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ
مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

المعنى العام: توجيه النبي ﷺ ليذكّر اليهود بنعم الله عليهم، كشق البحر قطعًا منخفضة بينها طرق صلبة لعبورهم، والتئامه ليغرق فيه فرعون وجنوده، وإنزال المن والسلوى، لغذاء اليهود في التيه. ثم جحدوا ذلك بالكفر والعصيان. فالحياة مزينة للكافرين الساخرين من المؤمنين، وهؤلاء في الآخرة أعز منهم بنعيم الجنة. ولقد كان الناس بعد آدم مؤمنين، ولّما اختلفوا في الدين جاءتهم رسالات السماء، فزادت خلافاتهم بظلم المجرمين وتحاسدهم.

وعندما شكا المسلمون ما يلقونه في غزوة الخندق، أنّبهم الله على ذلك، وأوضح لهم أنه لا بدّ من الشدائد لنيل الجنة، وقد امتحن مَن قبلهم من المؤمنين المجاهدين حتى تساءلوا عن تحقُّق العون، وهو آتيهم بلا شك.أما النفقة التي يتساءل المسلمون عنها فتكون بما هو خير على المستحقين من الأهل واليتامى والمساكين والمنقطعين بعيدًا عن ديارهم، والله يجازي المحسنين بعلمه وفضله.

تفسير المفردات: كُتب عليكم: فُرض عليكم، أيها المسلمون. والقتال: المقامة للعدو ببذل النفس والمال والجهد. وهو أي: القتال.والكره: المكروه بطبع الإنسان لِما في ذلك من المشقة.وعسى أي: يجوز وقد يتحقق. وتكرهوا: تُبغضوا. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والخير: النافع في الدنيا والآخرة. وتحبّوا: تودّوا وتتمنّوا. والشر: الأذى والضرر. ويعلم أي: يحيط بحقيقة الأشياء وما فيها من نفع وضرر. ولا تعلمون: لا تدركون إدراكًا حقيقيًّا. **٢١٦** يسألونك: يستفسرك المشركون إحراجًا. والشهر الحرام: الذي لا يحل فيه القتال. وقل أي: لهم. وفيه: في الشهر الحرام. وكبير أي: ذنب عظيم. والصدّ: المنع للناس. وسبيل الله: دينه الحق. وكفرٌ به: جحود لألوهية الله ووحدانيته. والمسجد الحرام: الكعبة المشرّفة وما حولها.وإخراج أهله: إكراه ساكنيه وأصحابه على الخروج والتشرد. وأكبر: أعظم ذنبًا. وعند الله أي: في حكمه. والفتنة: إجبار المؤمنين على الشرك. ولايزالون أي: سيستمرّ الكفار وأهل الكتاب والملحدون دائمًا. ويقاتلونكم: يبدؤونكم بحروب السلاح والتآمر والإيذاء والإفساد.ويردوكم: يُخرجوكم. ودينكم أي: الإسلام. واستطاعوا أي: تمكنوا من ردّكم. ويرتدّ عن دينه: يخرج عن الإسلام. ويموت: يفارق الحياة.وحبطت: بطَلت وفسَدت. والأعمال: جمع عمل. والدنيا: الحياة الدنيوية. والآخرة: الحياة يوم القيامة. وأولئك أي: المرتدون الميتون على الكفر. والأصحاب: جمع صاحب. وهو المرافق. والنار: نار جهنم. وخالدون: مقيمون أبدًا.**٢١٧** آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وهاجروا: فارقوا وطنهم. وجاهدوا: بذلوا أقصى ما يستطيعون من النفس والمال والقدرات، لحرب الأعداء ومنع عدوانهم. ويرجون أي: يطمعون ويؤمّلون. والرحمة: العطف بالإحسان والإكرام. والغفور: الكثير الستر للذنوب. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والعفو عن المؤمنين.**٢١٨** يسألونك أي: يستفتيك الصحابة. والخمر: ما يَسكر به الإنسان. والميسر: القمار، لأن فيه أخذ المال بلا كدّ. وقل أي: لهم. والإثم: الذنب والشر. والكبير: العظيم. والمنافع: جمع مَنفعة، اللذّة والكسب بلا جُهد. والناس: البشر.وأكبر: أعظم. وينفقون: يبذلون لنُصرة الدين والمسلمين. والعفو: ما يزيد على الضروريات. وكذلك: كما بيّن ما مضى من الأحكام. ويبيّن: يوضّح ويفصّل.والآيات: الأحكام الشرعية. ولعلكم: ليُرجّى لكم. وتتفكرون: تستعملون عقولكم لفهم الآيات، وتتدبرونها لتستنبطوا الأحكام وتفهموا المصالح والمنافع المتصلة بها. **٢١٩**

الجزء الثاني سورة البقرة

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

المعنى العام: بيان فرض القتال الذي يكرهه المؤمنون لما فيه من الفظائع، وهوفرض كفاية على من يحمي المسلمين والإسلام وحقوقهم، ويصير فرض عين على كل مسلم ومسلمة، إذا هجم عدوّ كافر أو اعتدى على بلد مسلم أو بعض المسلمين. وقد فُرض بعد الهجرة. وفيه خير لعزتهم ونصرة دينهم ونيل الشهادة.

وقد أرسل النبي ﷺ جماعة من الصحابة ﷺ للقاء المعتدين من الكافرين، والتبس عليهم آخر يوم من جُمادى الآخرة بأول يوم من رجب ـ وهو شهر حرام ـ فحاربوا المشركين حينذاك، واستكبر هؤلاء الأمر وصاروا يشهرّون به ويسألون النبي ﷺ لإحراجه، فنزلت الآيتان تبين أن منع الإيمان وتشريد المسلمين أكبر من حرمة رجب، وأن غير المسلمين سوف يقاتلونهم أبدًا بالسلاح وغيره، لكي يردّوهم عن الإسلام، إن استطاعوا القتال والتكفير، والمرتد الميت على الكفر والمجاهد لكل منهما جزاؤه في الدنيا والآخرة.

وقد تساءل المسلمون عن الخمر والميسر والنفقة، فجاء الحكم بغلبة فساد الخمر والميسر وشرورهما على ما يكون فيهما من منافع ولذائذ ظاهرة، وأن النفقة تكون بما تيسّر. وبمثل ذلك البيانِ والتفصيل تكون أحكام الله، ليُحسن المؤمنون التفكير والهداية...

تفسير المفردات: الدنيا: الحياة القريبة من الناس وهم فيها. والآخرة: الحياة يوم القيامة.ويسألونك: يستفتيك المسلمون. واليتامى: جمع يَتمى. واليتَمى: جمع يتيم، الطفل فُقد أبوه. وقل أي: لهم. وإصلاح لهم: تربية اليتامى و تنمية مالهم بالربح. وخير أي: أكثر نفعًا لهم.وتخالطوهم: تخلطوا نفقتهم بنفقتكم.والإخوان: جمع أخ. وهو المخالط في الدِّين. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويعلم: يميّز. والمفسد: من يسبب الضرر. والمصلح: من يسبب النفع والخير. وشاء أي: أراد أن يُعسّر عليكم الأحكام.وأعنتكم: ضيّق عليكم في الحكم. والعزيز: الغالب على تحقيق أمره. والحكيم: المتقن للأحكام بدقة ووفاء. **٢٢٠** لا تنكحوا: لا تتزوّجوا. والمشركة: التي تعبد مع الله غيره من المخلوقات. ويؤمنّ: يدخلْنَ في الإيمان. والأمة: المملوكة. والمؤمنة: التي صدّقت الله ورسوله. وخير: أكثر نفعًا. و ولو أعجبتكم: وإن استحسنتم ما فيها. ولا تُنكِحوا: لا تزوِّجوا بناتكم. والعبد: المملوك. وأولئك أي: أهل الشرك أصحاب الوثنية رجالًا ونساء، وأهل الكتاب من الرجال. ويدعون أي: يوجّهون ويدفعون. والنار: نار جهنم. ويدعو: يوجّه ويرشد. والجنّة: البستان العظيم فيه الأشجار والقصور والنعيم الأبدي. والمغفرة: الستر للذنوب ومحوها. وبإذنه أي: مع إرادته.ويبيّن: يوضح. والآيات: النصوص القرآنية. والناس: البشر.ولعلهم: ليُرجَّى لهم. ويتذكّرون: يستحضرون الخير ليعملوا به. **٢٢١** المَحيض: الحيض، العادة الشهرية للمرأة. والمراد حكم ذلك في المضاجعة. والأذى: القذر والضرر. واعتزلوا: تجنّبوا الوطء. وفي المحيض أي: في وقت الحيض ومكانه. ولا تقربُوهنّ: لا تدانوهنّ بالجماع. ويطهرنَ: يغتسلنَ بعد انقطاع الحيض. واتوهنّ: جامعوهنّ. وحيث أمركم: المكان الذي أحله، وهو الفرج. ويحب: يودّ فيكرم. والتوّاب: الشديد الطلب لترك العصيان وللستر والمغفرة. والمتطهّر: المتنزّه والمتزكّي بالصلاح والنظافة. **٢٢٢** النساء: جمع نسوة. والنسوة واحدتها امرأة. والحرث: موضع زرع الولد. وائتوا حرثكم أي: جامعوه. وأنّى شئتم أي: في الوضع الذي تريدون، على شرط المضاجعة في الفرج.وقدّموا: اعملوا الخير. والأنفس: جمع نفس.وهي حقيقة الإنسان بروحه وجسده.واتقوا الله: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه. واعلموا أي: دوموا على العلم. وملاقوه أي: صائرون إلى لقاء حسابه. وبشّر: أبلغ مايَسرّ. **٢٢٣** لا تجعلواالله أي: لا تضعوا القسَم باسمه العظيم. وعرضة: معارضًا ومانعًا. ولأيمانكم: بسبب أيمانكم: جمع يمين. وهو الشيء المحلوف على تركه. وأن تبرّوا أي: من أن تحسنوا. وتصلحوا: تزيلوا الخلاف والفساد. والناس: البشر من حولكم.والسميع: المدرك للمسموعات. والعليم: المبالغ في العلم لِما يكون من الأحوال. **٢٢٤**

الجزء الثاني — سورة البقرة

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ
الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ
وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ۚ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا
وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

المعنى العام: متابعة بيان منافع الأحكام في الدنيا والآخرة، وأن إصلاح اليتامى وأموالهم بمخالطتها أو بلا مخالطة أفضل من إنفاقها عليهم لأنهم كالإخوة، والله يجزي بما كان، وذلك تخفيف على المسلمين.ولا يجوز تزوّج المشركات ولا تزويج المشركين وإن أعجبوكم، لِما يكون من نشر الكفر بين المسلمين.

أما محيض المرأة ففيه أذى يوجب اعتزال مضاجعتها، حتى تغتسل بعد انقطاعه.هنالك تكون المضاجعة الشرعية بالوضع الميسّر، والقصد منها في الأصل إنجاب الأولاد.فعلى المسلمين عمل الخير في ذلك وتقوى الله.وأما القسَم بالله للامتناع عن عمل خير فلا يجوز، والإخلال بالقسَم مع الكفّارة خير من الإصرار على منع الخير.فالسُّنّة جعلت إنفاذ مثل ذلك القسم أكثر إثمًا مِن مخالفتِه ودفعِ كفّارته، لأنه يعني امتناعَ البر والإصلاح ونشرَ الفساد.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ
قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ
أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢٦ وَإِنۡ عَزَمُواْ
ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٧ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ
أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ
فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن
تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ
بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠

تفسير المفردات: لا يؤاخذ: لا يعاقب. وباللغو في الأيمان: بسبب السهو في القَسَم من غير قصد. والأيمان: جمع يمين، القسَم. وكسبت أي: تحمّلتْه بعزم صادق. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والحليم: العظيم الإمهال لا يعجّل الانتقام. **٢٢٥** يؤلون: يحلفون بالقسم المانع من الجماع. والنساء: جمع نِسوة. والنسوة واحدتها امرأة. والتربّص: انتظار الرجل والمرأة دون جماع بحزم. وأربعة أشهر أي: بتجنّب المضاجعة. والأشهر: جمع شهر، مُدّة دوران القمر حول الأرض مرّة واحدة. وفاؤوا: رجعوا إلى النكاح خلال الأشهر الأربعة أو بعدها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. **٢٢٦** عزموا أي: أصرّوا بعد مضي الأشهر الأربعة وحقّقوا. والطلاق: فِراق النساء. والسميع: المدرك للمسموعات مهما دقّت واختفت. والعليم: المبالغ في العلم لما يكون من الأحوال. **٢٢٧** المطلقات: اللواتي وقع عليهنّ الطلاق وصار نافذًا. ويتربّصن: ينتظرن بحزم أي: كل منهنّ تبقى بلا زواج. والأنفس: جمع نفس. وهي المرأة. والقروء: جمع قُرء. وهو مُدّة الطهر من الحيض. ولا يحل: لا يجوز. ويكتمنَ: يخفينَ. وخلق الله أي: أوجده. والأرحام: جمع رحِم، موضع الجنين في البطن. ويؤمنّ: يصدّقنَ الله ورسوله. واليوم: الوقت. والآخر: يكون بالبعث بعد الموت. والبعولة: جمع بعل. وهو الزوج. وأحق: أولى ولهم التقدمة. والردّ: العودة إلى النكاح. وذلك أي: وقت التربّص. وأرادوا: قصدوا ونوَوا. وإصلاحًا أي: إزالة الخلاف. ولهن أي: للنساء من الحقوق. ومثل الذي عليهن أي: كما للرجال حقوق عليهن. وبالمعروف أي: مع ما يقرّه الشرع وعادات الصالحين. والرجال: جمع رجل. وهو الزوج. والدرجة: الزيادة في المنزلة. وهي القِوامة على الأسرة والرأي المقدّم. والعزيز: الغلّاب لا يُعجزه الانتقام. والحكيم: العليم بعواقب الأمور ومصالح الخلق. **٢٢٨** الطلاق هنا هو: العدد الشرعي لوجوب الفراق، والمرتان لتحديد الجواز، مرّة بعد الأُخرى. والإمساك: الرجوع إلى النكاح. والتسريح: الإطلاق. والإحسان: حُسن المعاملة. وتأخذوا: تتناولوا أو تمنعوا. وآتيتموهنّ: أعطيتموهنّ بالمهر وغيره. وأن يخافا أي: خشيةَ كل منهما. ويقيما حدود الله: يأتيا بتطبيق ما شرعه الله. والحدود الأحكام، جمع حدّ. وخفتم: خشيتم. والجُناح: الذنب. وعليهما أي: على الزوجين. وافتدت به أي: دفعته لإنقاذ نفسها بالطلاق. وتلك أي: الأحكام المذكورة في الآيات ٢٢٦ـ٢٢٩. ولا تعتدوها أي: لا تتجاوزوها بالمخالفة. ويتعدّى: يتجاوز ويخالف. والظالمون: الجائرون على أنفسهم بتعريضها للعذاب. **٢٢٩** طلقها أي: طلق الرجل زوجته طلقة ثالثة. ولا تحل: لا يجوز نكاحها. وبعد أي: بعد الثالثة. وتنكح: تتزوّج. وطلقها أي: الزوج الثاني. ويتراجعا أي: يرجع كل منهما إلى الآخر بعقد جديد. وظنّا: غلب على ظنهما. وتلك أي: الأحكام في الآيات ٢٢٦ـ٢٣٠. ويبيّن: يفصّل. والقوم: الجماعة من الناس. ويعلمون: يدركون الحق من الباطل ٢٣٠

المعنى العام: عفو الله عن القَسم المراد به توكيد الكلام لا تحقيق الحلف. وحكمُ من يُقسم ألّا يجامع زوجته هو فراق أربعة أشهر، ويجوز للزوج خلال ذلك أو بعده الرجوع، أو الطلاق الذي فيه مرتان فقط مع الرجوع إلى النكاح، بنيّة الإحسان والإصلاح. فالحقوق والواجبات للزوجين متقاربة، لأن له زيادة القِوامة. ويجب على الزوجة بيانُ ما كان من الحمل. والثالثة من الطلاق توجب الفراق. وفيه لا يجوز أن يسترد الزوج شيئًا مما وهبه لزوجته، إلّا إذا أرادت الزوجة افتداء نفسها بما يتيسر. ولا تجوز العودة إلى النكاح بينهما إلّا إذا تزوجت غيره شرعًا وطلقها كذلك وبعد انقضاء العِدة من تطليق الثاني لها. وهذه الأحكام واجبة يفصلها الله لفهمها والعمل بها، بين المؤمنين العارفين للإيمان ومستلزماته.

تفسير المفردات: طلقتم أي: طلاقًا رجعيًا في إحدى المرّتين. وبلغن: قاربت النساء. والأجل: الوقت المحدّد للعِدّة. وأمسكوهنّ أو سرّحوهنّ أي: لكم أن تحتفظوا بهنّ زوجات أو تحققوا الطلاق بالفراق. وبمعروف أي: مع ما أقره الشرع والعقل السليم من حسن المعاملة. ولا تمسكوهنّ: لا يجوز لكم الاحتفاظ بهنّ. والضرار: الإيذاء. وتعتدوا: تجوروا عليهنّ وتظلموهنّ. ويفعل: يقترف. وذلك أي: المنهيّ عنه. وظلم نفسه: جار على شخصه بروحه وجسده وسبب له العذاب. ولا تتخذوا: لا تجعلوا. والآيات: النصوص القرآنية وما فيها من الأحكام والآداب. والهزو: العبث بالمخالفة. واذكروا: استحضروا بالشكر في أنفسكم وألسنتكم وأعمالكم. والنعمة: الإنعام والفضل بالإسلام. وأنزل: أوحى وألهم. والكتاب: القرآن الكريم. والحِكمة: السُّنّة الشريفة. ويعظكم: يأمركم ويوصيكم. واتقوا الله: تجنّبوا غضبه والزموا رضاه. واعلموا: دوموا على العلم والتذكر. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والشيء: ما هو موجود. والعليم: المطّلع والمحيط بالغَ الإحاطة. **٢٣١** لا تعضلوهنّ: لا تمنعوهنّ. وينكحنَ: يرجعنَ إلى النكاح. والأزواج: جمع زوج. وإذا تراضوا: حين يرضي بعضهم بعضًا لتجديد النكاح. وذلك أي ما ذكر من النهي عن العضل. ويوعظ: يؤمر ويستجيب. ويؤمن: يعتقد يقينًا. واليوم الآخر: يوم القيامة. وذلكم أي: ترك العضل. وأزكى: أفضل. وأطهر: أكثر إزالة لدنس الآثام. ويعلم: يحيط إحاطة كاملة بالخير والحق والصواب. ولا تعلمون: لا تدركون حقيقة ذلك. **٢٣٢** الوالدة: الأمّ لها طفل رضيع. ويرضعنَ: يتابعنَ إعطاء اللبن من الثدي. والأولاد: جمع ولد. والحول: السنة بأسرها. ولمن أي: للوالد. وأراد: قصد. ويتم: يكمل. والرضاعة: إرضاع الأمّ ولدَها في مدتها المذكورة. والمولود له: الذي وُلد له ولد. والرزق: النفقة اللازمة للأمّ. والكسوة: حاجات اللباس وتوابعها ما يلزم منها للأمّ. ولا تُكلف: لا تُلزم وتُحمّل. والنفس: ذو الروح من الخلق. والوسع: ما يناسب القدرة. ولا تُضارّ: لا يسبَّبْ لها أو للوالد الضرر والأذى بالإفراط أو التفريط. وبولدها أي: بسبب وجود ولدها. والوارث: من يملك مال الوالد المتوفّى. ومثل ذلك: مماثل ما ذُكر في القدر والنوع. وأرادا: قصدا وطلبا. والفصال: فِطام الولد. والتراضي: الاتفاق. والتشاور: التفاهم بتبادل الرأي. والجُناح: الذنب. وتسترضعوا: تطلبوا الإرضاع، أيها الآباء والأولياء. وإذا سلّمتم: حين تدفعون وتوصلون. وآتيتم: أعطيتم. وبالمعروف أي: مع طيب النفس ورضاها بما فعلت. واعلموا: دوموا على العلم والتذكّر. وتعملون: تكتسبون من نية أو قول أو فعل. والبصير: المُدرك للأحداث قبل وجودها. **٢٣٣**

الجزء الثاني — سورة البقرة

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

المعنى العام: متابعة أحكام الطلاق. فقد كان الرجل في الجاهلية يطلق أو يتزوّج، ثم يقول: كنت ألعب. فنزلت الآيات ببيان الأحكام أنه في الطلاق مرتين تجوز العودة إلى النكاح في أيام العِدّة أوبعد مضيها دون تجديد للعقد، ولا يجوز التمسك بالعودة للإضرار والإيذاء، وللزوج حق العودة في ذلك.

والطلاق المحقّق بالفراق إن كان فيه رضيع، والمراد مع التشاور والتراضي إتمام الحولين بما كان قبل الطلاق، فالنفقة من الوالد أو من مال الرضيع تكون للأمّ، أو لامرأة ترضعه. والتكليف للوالد واجب في حدود قدراته الحقيقية، إذا لم يكن للرضيع مال خاص. وكل ذلك بحسن المعاملة وطيب النفس والمراضاة، دون مضارة وقصد إيذاء من الطرفين، مع لزوم الحدود بلا إخلال أو خداع، ومراعاة صلاح الأولاد وتذكّر نعم الله بتيسير الإيمان وتبليغ القرآن الكريم والسُّنّة المشرّفة.

تفسير المفردات: يُتوفون: تُقبض أرواحهم من أجسادهم وتستوفى.ومنكم أي: من المسلمين. ويذرون: يتركون. والأزواج: جمع زوج أي: زوجة. ويتربّصنَ: ينتظرنَ بحزم في مُدّة العِدّة. والأنفس: جمع نفس. وهي المرأة.والأشهر: جمع شهر. وهو مُدّة دوران القمر حول الأرض مرّة واحدة. والعشر أي: من الليالي بأيامها.وبلغنَ أجلهنّ: وصلنَ إلى آخر مُدّة العِدّة.والجُناح: الذنب.وعليكم يعني: أيها الأولياء: جمع وليّ للأمر. وفيما فعلن أي: بسبب الخروج والزواج. وبالمعروف أي: مع لزوم الشرع. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وتعملون: تكتسبون من العمل نية أو قولًا أو فعلًا.والخبير: العليم بظواهر الأمور وبواطنها.**٢٣٤** عرّضتم: لوّحتم به وتكلمتم به من غير تصريح في مُدّة العِدّة. والخِطبة: التماس النكاح. والنساء: جمع نِسوة. النسوة واحدتها امرأة. وأكننتم: أضمرتم.والأنفس: جمع نفس، القلب والضمير. وعلم: أحاط علمًا بالغ الإحاطة. وتذكرونهنّ: تتكلمون عنهنّ أمام بعض الناس.ولا تواعدوهنّ: لا تعاهدوهنّ. وسرًّا أي: بالنكاح تكتّمًا بينكم.والمعروف: التعريض بالقول المعروف شرعًا.ولا تعزموا عقدة النكاح أي: لا تصمّموا ولا تقصدوا قصدًا جازمًا على عقد الزواج. ويبلغ الكتاب أجله أي: يصل وقت العِدّة إلى نهايته. واحذروه أي: خافوه وتجنّبوا مخالفته والزموا رضاه بالطاعة.واعلمو أي: دوموا على العلم والتذكر. والغفور الحليم: ذو العفو المطلق مع الصفح عن الذنوب، والتأخير لعقوبة مستحقها.**٢٣٥** ما لم تمسوهنّ أي: مُدّة عدم المجامعة. وتفرضوا أي: تُسمُّوا وتُعيِّنوا. والفريضة: المهر. ومتّعوهنّ: أعطوهنّ ما يتمتّعنَ به من الخير. والموسع: الغنيّ.والقدر: مقدار الطاقة والاستطاعة. والمقتر: الضيّق الرزق. وبالمعروف حقًّا أي: مع ما حسّنه الشرع والواجب.والمحسنون: المطيعون لله بإخلاص.**٢٣٦** تمسّوهنّ أي: تجامعوهنّ. وفرضتم: حدّدتم. والنصف: ما يكون من تقسيم الشيء على اثنين بالعدل.ويعفونَ: يسمحنَ ويتكرمنَ.وبيده أي: يملك حق إثبات العَقد وحلّه. وتعفوا أي: تسمحوا، أيها الأزواج والزوجات. وأقرب: أكثر قربًا. والتقوى: تجنب كل من الطرفين ظلمَ الآخر، مع التزام الإكرام والعطف لاستمرار الألفة وطيب النفس في العلاقات. ولا تنسَوا: تذكّروا ولاتهملوا وتتركوا. والفضل: التفضل بالإحسان بينكم. والبصير: العليم المطّلع.**٢٣٧**

الجزء الثاني — سورة البقرة

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ
قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ
الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

المعنى العام: أن عِدّة من يُتوفَّى عنها زوجها هي أربعة أشهر وعشرة أيام، ولها أن تتأهب للزواج بعد ذلك بالخروج وتقبل الخِطبة دون حرج على أحد، ويجوز التعريض بالخِطبة لها أيام العِدّة، من دون تصريح وجزم أو إجراء عقد، وإنما يكون التصريح والعقد بعد ذلك، والله مطّلع على السرائر وغفور رحيم، ويحذّركم ـ أيها المسلمون ـ من المخالفة والعصيان.

وروي أن رجلاً من الأنصار تزوّج امرأة، ولم يسمّ لها مهرًا، ثم طلّقها قبل أن يجامعها، فنزلت هذه الآية ٢٣٦، وقال له الرسول ﷺ: «مَتِّعْها، ولَو بِقَلَنسُوتِكَ». فيجوز التطليق قبل المجامعةِ وفرضِ المهر، شريطة دفع ما يتيسّر لتمتيع المطلّقة بشيء من الخير، وكل يدفع لمطلّقته هذه ما يستطيعه بسماحة وإحسان.

وكان النبي ﷺ يكثر النهي عن الطلاق، حتى ظنّ الناس أنّ فيه حرجًا، فجاء الحكم بإباحته وأنه إن كان تعيين مهر قبل الطلاق فنصفه حق للمطلقة، إلّا إذا سمحت هي أو وليّ أمرها.والسماح بين الطرفين خير، يوجبه التقرب من تقوى الله ومراعاة ما بين المسلمين من علاقات المودة.

تفسير المفردات: حافظوا: ثابروا واحرصوا. والصلوات: العبادة المكتوبة في اليوم خمس مرات. والوسطى: الأفضل والأعظم. وقوموا: وانتصبوا في القيام للصلاة. وقانتين أي: خاشعين مطيعين.٢٣٨ خفتم: خشيتم مفاجأة خطر. والرجال: المُشاة، جمع راجل.والركبان: الراكبون ما يستخدم للنقل، جمع راكب. وأمنتم أي: صرتم في طمأنينة من الخطر. واذكروا الله: استحضروا ذكره بالتعظيم والتهليل والتكبير. وكما علّمكم أي: على ما شرع بالوحي والسُّنّة الشريفة. وتعلمون أي: تدركونه بالدقة واليقين.٢٣٩ يتوفَّون: يقربون من الوفاة.ويذرون: يتركون على قيد الحياة. والمراد بالأزواج هنا الزوجات. والوصية: ما يقدّم إلى الغير ليعمل به. والمتاع: ما يُتمتّع به من النفقة.وإلى الحول أي: إلى تمام السنة الكاملة. وغير إخراج أي: لا يُخرِجُ ورثةُ الميت الزوجاتِ.وخرجنَ أي: هنّ بأنفسهنّ.والجناح: الذنب. وفيما فعلنَ أي: بسبب تصرُّفهنّ. والأنفس: جمع نفس. وهي حقيقة الإنسان. والمعروف: ما أباحه الشرع. والعزيز: الغالب القهّار لمن عصاه. والحكيم: المُحكِم المُتقن ما شرع لمن خلق.٢٤٠ المطلّقة: التي كان لها الطلاق النافذ فعلًا.والمعروف: بقدر إمكان الزوج يؤدَّى إلى المطلّقة. والحق: الواجب الثابت.والمتقون: من يتجنّبون غضب الله ويطلبون رضاه بالطاعة.٢٤١ كذلك أي: كما بيّن ما مضى.ويبيّن: يوضّح ويفصّل.والآيات: الأحكام الشرعية.ولعلكم أي: ليُترجَّى لكم.وتعقلون: تستعملون عقولكم لتدبّر الأمور.٢٤٢. ألم تر أي: ألم يصل علمك ومعرفتك؟ أيها النبيّ. وخرجوا: تشرّدوا. والديار: جمع دار، مكان الإقامة. وألوف: جمع ألف. والحذر: الخوف. والموت: مفارقة الحياة في الجهاد. وقال لهم الله موتوا أي: قضى الله عليهم بالموت لهربهم من الجهاد. وأحياهم: خلق في جُثثهم الحياة.وذو فضل أي: مالك للتفضل ومستبدّ به.وأكثر الناس: غالبية البشر.ولا يشكرون: لا يستحضرون النعم بالحمد في القلب واللسان والعمل. ٢٤٣ قاتلوا: حاربوا بالسلاح، أيها المسلمون. وفي سبيل الله أي: لإعلاء دينه وحمايته بما شرع من الجهاد. واعلموا: دوموا على التذكر. والسميع: المدرك للمسموعات. والعليم: البالغ العلم لِما يكون من نية أو قول أو عمل. ٢٤٤ ذا: هذا. ويقرض: يقدم ما هو سُلفة من الطاعة والإخلاص، ببذل نفسه وما يملك للجهاد.وحسنًا أي: عن طيب قلب ونيّة حسنة.ويضاعفه: يجعله أضعافًا، جمع ضِعف.وهو مثل الشيء في المقدار. ويقبض: يمسك الرزق عمن يشاء ويمنعه. ويبسط: يوسّعه لمن يشاء. وإليه أي: إلى لقاء موعده يوم القيامة. وترجعون: تردّون بالبعث وتصيرون.٢٤٥

الجزء الثاني سورة البقرة

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ
قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ
فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً
لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن
مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ
بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾
مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

المعنى العام: الأمر بالمداومة على الصلوات، ولا سيما الوسطى التي هي صلاة العصر، مع الخشوع. وحين توقُّع خطر، تجوز الصلاة مع المشي أو ركوب وسائل النقل، وفي حال الأمن تكون الصلاة على الأصل.

ومن مات وله زوجة يترك في وصيته للزوجة ما يكفيها من النفقة والمتاع سنة كاملة، ولا تُخرَج من دار الزوجية. فإن خرجت هي قُطعت عنها النفقة لما فعلته الزوجة وليس على أهل الميت في ذلك حساب. وهذا الحكم كان أولًا، ثم عُدِّل بما في حكم العِدّة والميراث بعد. وللمطلقة نفقة تناسب قدرة من طلقها.

ثم ذكر الله قصة قوم من اليهود دعاهم نبيهم إلى الجهاد وهربوا متشردين خوف الجهاد والموت، فأماتهم الله ثم أحياهم، وعاشوا عليهم آثار الموت، ليتعظوا بفضل الله ولزوم الجهاد. فعلى المسلمين الاتّعاظ بذلك ليكون منهم مقاتلة المعتدين، لنصرة الدين وحماية أهله، والله يعلم كل شيء، فيجزي بالمضاعفة عمل الخير من قام به إيمانًا واحتسابًا، ويحاسب الجميع يوم القيامة.

تفسير المفردات: ألم تر أي: ألم ينتهِ إلى علمك؟ ها قد وصل إليك الآن بالتفصيل، أيها النبيّ. والملأ: الجماعة من الأشراف والسادة يتمالؤون على الباطل والبغي. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب، وهم اليهود سُومريّون حاميّون. والمراد قصتهم مع نبيّهم شَمْوِيل أي: إسماعيل من سلالة يعقوب، وليس ابنه المعروف، كان بعد موسى بمئات السنوات. وموسى: النبي الذي نزلت عليه التوارة. وابعث: وَلِّ وعيّن. والملك: الحاكم المتصرّف في الأمور. ونقاتل أي: إن تعيّنه نحارب بالسلاح وما أشبهه. وفي سبيل الله: لأجل إعلاء دينه الواضح بما شرعه من الجهاد. وقال أي: أجابهم. هل عسيتم أي: إني أتوقَّع منكم وأنتظر. وكُتب: فُرض. والقتال: المقاومة بالسلاح. وما لنا أي: ما الذي يوجب علينا؟ وأخرجنا: طردنا وشرّدنا نحن وآباؤنا. والديار: المساكن، جمع دار. والأبناء: جمع ابن، أي: الذكور والإناث. وكتب عليهم أي: فُرض وأُمروا. وتولَّوا: أعرضوا وامتنعوا عن القتال. وقليلًا أي: عددًا يسيرًا منهم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعليم: المطّلع المبالغ في الإحاطة بكل شيء قبل وجوده وبعده. والظالمون: من يضعون الأمور في غير موضعها كالفِرار من الجهاد.

الجزء الثاني — سورة البقرة

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟
لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ
هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا
مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ
مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ
يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

٢٤٦ بعث: ولّى الحكم وأمّر. وطالوت: من سلالة بِنْيامين بن يعقوب. وأنّى: كيفَ؟ والأحق: الأجدر والأولى. ويؤتى: يعطى. والسعة: الكثرة والاتساع. والمال: ما يملك من النقد والمتاع والزينة. واصطفاه: اختاره وفضّله. وزاده: جعل فيه زيادة ظاهرة. والبسطة: السعة والغنى. والعلم: المعرفة اليقينية بالدين والحكم، لأنه كان يحفظ التوراة وأعلم الناس بها. والجسم: جسد الإنسان كله. ومُلكه أي: الحكم في بعض أمور الدنيا. ويشاء أي: يريد الله إيتاءه. والواسع: العظيم الفضل بلا نهاية. وعليم أي: بمن هو أهل لذلك. **٢٤٧** والنبي هو شَمويل. والآية: البرهان القاطع يحمل على التصديق. ويأتيكم: يصل إليكم. والتابوت: صندوق مشهور عند بني إسرائيل. والسكينة: الطمأنينة في القلوب لما يبشّر به ويتضمنه. ومن ربكم أي: من فضله وبأمره. والبقية: ما بقي وسلم. وترك: خلّفه. والآل: الأهل. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. وهارون: أخوه وكان نبيًّا معه. وتحمله: تأتي به. والملائكة: مخلوقات من نور مطهّرة، جمع ملَك. وذلك أي: إتيان التابوت كما وُصف. والآية: العلامة والدلالة. ومؤمنين أي: مصدّقين الله ونبيه المرسل. **٢٤٨**

المعنى العام: لقد بلغك - أيها النبيّ - الخبر العجيب لزعماء اليهود بعد موسى، حين طلبوا من النبي شَمويل أن يختار لهم ملكًا، ليجاهدوا العدو الذي كان بينهم وبينه حروب هُزموا فيها، وأجابهم بأنه يتوقع جبنهم عن القتال توقعًا مؤكدًا لِما يعلم من تأصل ذلك في نفوسهم بتاريخهم المشؤوم، فأنكروا ذلك بأنه لا مانع لهم من الجهاد ويريدون الانتقام من جالوت ملك العمالقة العرب الكنعانيين، الذي أذل اليهود بالقتل والتشريد وأخذ منهم ألواح التوراة.

ولما فُرض عليهم القتال هربوا إلّا قليلًا منهم، وقصتهم مفصّلة في الآية ٢٤٩. ومع هذا فقد اختار الله لهم طالوت ملكًا، وهو أعلمهم وأقدرهم على الحكم، فأنكروا ذلك بدعوى أنه فقير وليس من سلالة يهوذى بن يعقوب، وهي السلالة التي يحق لها الملك في نظر اليهود، فرد عليهم النبيّ بأن الله اختار بحكمته البالغة طالوت لما فيه من العزيمة والعلم بالتوراة، وسيرسل إليهم دليل تحقق المُلك المذكور تابوتًا مع الملائكة، وهو مشجّع لهم ومطمئن في الحروب، فيه آثار باقية من أهل موسى وهارون... وقد زاد بعض المفسرين خرافات كثيرة عن التابوت، لا أصل لها في الأخبار الموثقة.

تفسير المفردات: لما أي: حينما. و فصل: خرج. وطالوت: ملِك اليهود. وبالجنود أي: مع أعوانه وأنصاره، جمع جند. والجند: واحده جُندي. وهو المحارب المزوّد بالسلاح. ومُبتليكم: معاملكم معاملة من يختبر ويمتحن. والنهر: مجرى الماء غير المالح. وشرب: تناول الماء الكثير وابتلعه. ومنّي أي: من أتباعي في الإيمان والجهاد. ولم يطعمه: لم يذقه. واغترف: أخذ. والغُرفة: ما يتحصل مع الغارف من الماء. وبيده أي: بوساطة كفّه. وشربوا: كرعوا فيه وتناولوا الكثير. والقليل: العدد اليسير. وجاوزه أي: تجاوز النهر وتخطاه. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد. وقالوا أي: قال بعضهم لبعض بصوت عال، ليُسمعوا المؤمنين ويثبّطوهم عن الجهاد. والطاقة: القدرة في المقاومة. واليوم: هذا الوقت. وجالوت: ملك للعمالقة العرب الكنعانيين في عهد داود. ويظن: يعتقد ويوقن. وملاقو الله أي: يَلقَون حسابه وثوابه يوم القيامة. وكم أي: كثيرٌ. والفئة: الجماعة. وقليلة أي: عدد أفرادها قليل. وهي عكس كثيرة. وغلبت: قهرت وهَزمت. وبإذن أي: مع إذنه وتقديره. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للواجب الوجود المعبود بحق وحده والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ومع الصابر أي: يمدّ بالعون والنصر لمن يحبس نفسه وقت الضيق. ٢٤٩ برزوا لجالوت: ظهروا لقتاله. وقالوا أي: بالدعاء. وربّنا أي: يا ربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنا التنبيه. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأفرغ: أنزل واصبُب. والصبر: التجلد وحبس النفس في الشدائد. وثبت: رسّخ ولا تزلزل. والأقدام: جمع قدم. وهو ما يطأ الأرض من رِجل الإنسان. وانصرنا أي: أعنّا وأيّدنا للتغلب والنجاح. والقوم: الجماعة من الرجال. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله بالقلب أو القول أو الفعل. ٢٥٠ هزموهم: كسروهم وتغلبوا عليهم. وبإذن الله أي: مع إرادته. وقتل: أزهق الروح. وداود: ابن إيشَى من ذرية يهوذى بن يعقوب، كا ن بينه وبين موسى مئات السنين. ومعنى اسمه: الكثير المودّة. وهو من أشهر أنبياء بني إسرائيل. وحذفت واوه الثانية في الرسم اصطلاحًا. وآتاه: أعطاه ومنحه. والمُلك: السيادة والسلطان والتصرّف بما شرعه له. والحِكمة: النبوّة ووضع الشيء في موضعه ببالغ الإتقان. وعلّمه: أوحى إليه وألهمه وعرّفه. ويشاء: أراد تعليمه إياه. ولولا أي: لولا وجود. والدفع: القمع والردّ بالقوة. والناس: البشر. والبعض: الطائفة والجماعة. وفسدت: بطلت منافعها وتعطّلت مصالحها وتدمّرت. والأرض: موطن الحياة الدنيا وما فيها أيضًا من الخلق. والفضل: التكرم بالخير. وذو فضل أي: صاحب التفضل ومالكه المتفرّد به. والعالَمون: مجموع أجناس المخلوقات. ٢٥١ تلك: إشارة إلى الآيات ٢٤٣ـ٢٥١. ونتلوها: نقصها. وبالحق: مع الصدق الذي لا شك فيه. وإنك أي: أيها النبيّ. والمرسلون: من بُعثوا بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ٢٥٢

الجزء الثاني سورة البقرة

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ
مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟
لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩
وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٥١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٢٥٢

المعنى العام: متابعة ما كان من اليهود مع نبيّهم. فقد اشتد عليهم العطش حين خرجوا لحرب عماليق العرب، وذكر لهم نبيّهم أن الله سيمتحنهم بنهر الأردن، على أن يشرب كل منهم حفنة ماء لئلّا تمنعهم كثرة الشرب من الجهاد.، ومن استكثر فليس من المؤمنين. وقد بالغ أكثرهم في الشرب حتى سقط عاجزًا، كما يسقط المتمسلمون المستغرقون في الترف والأُبّهة والشهوات. والذين اجتازوا النهر بقليل من الشرب خافوا أيضًا لقاء جالوت وتراجعوا، وتابع القليل منهم بإيمان وتوكل على الله، لِما يعلمون من كثرة تغلب الجماعة القلية المؤمنة يعينها الله على الجيوش العظيمة الكافرة، فانتصروا وقتل داود جالوت، ثم صار ملكًا ونبيًّا.

وفي هذا ما يدل على أن الله يدفع بالمؤمنين عدوان الكافرين ليزول الفساد. وذلك بالجهاد، كما ذكر في قصة طالوت وجالوت وبه يستقرّ الخير للجميع وهو فضل الله. وفيما جاء من الآيات المتقدمة حق يوحَى للحثّ على الجهاد وتصديق نبوّة محمد ﷺ.

تفسير المفردات: تلك أي: ما ذُكر من الرسل في هذه السورة. والرسل: جمع رسول، من كُلِّف بالدعوة والعمل. وفضّلنا: ميّزنا بمنزلة فريدة. والبعض: الواحد أو الأكثر. ومنهم: بعضهم أي: موسى ومحمد ﷺ. وكلّم الله أي: خاطبه دون وساطة. ورفع بعضهم: جعل له مرتبة عالية. ودرجات أي: في مراتب متميزة. وآتينا: أعطينا. وعيسى: نبي النصارى. ومريم: أُمّه ولدته من دون أب. والبينات: المعجزات والإنجيل. وأيّدناه: قوّيناه. وروح القدس: جبريل. وشاء: أراد هداية الناس إلى الحق والمسالمة. وما اقتتل: ما قاتل بعضهم بعضًا. وبعدهم: بعد أولئك الرسل. وجاءتهم: وصلت إليهم دلالةً على صدق الأنبياء. والبيّنات: البراهين الواضحة. واختلفوا: اختصموا واقتتلوا. وآمن: اعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه. وكفر: أنكر التوحيد ولزم الشرك. ويفعل: يقدّر ويخلق. ويريد: يقضي كونه وحصوله. **٢٥٣** أنفِقوا: ابذُلوا وأدُّوا. ورزقناكم أي: أعطيناكم إياه من مال وقوة وعلم وجاه. ويأتي: يجيء ويحصل. واليوم: الزمن. والبيع: إعطاء الشيء وأخذ ثمنه. والخُلّة: الصداقة النافعة. والشفاعة: المطالبة بالتجاوز عن الذنوب. والكافرون: من ينكرون التوحيد بالقلب واللسان والعمل. والظالمون أي: لأنفسهم بتعريضِها للعذاب ووضعِ الشيء في غير موضعه. **٢٥٤** الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإلٰه: المعبود بحق. والحيّ: الدائم البقاء بذاته أزلًا وأبدًا. والقيّوم: العظيم القيام بتدبير الخلق. ولا تأخذه: لا تعتريه. والسِّنة: النعاس يتقدم النوم. والنوم: غلبة جُهد أو عناء للراحة. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ومن ذا أي: لا أحد. ويشفع: يطلب التجاوز عن الذنوب. وعنده أي: في حكم الله وقضائه. وبإذنه أي: مصاحبًا أمر الله وسماحه. ويعلم: يحيط بالغَ الإحاطة. وما بين أيديهم أي: أمام المخلوقات في مستقبل دنياهم. والأيدي: جمع يد. وماخلفهم أي: ما مضى قبلهم. ولا يحيطون: لا يدركون ولا يعلمون. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. وعلمه أي: معلوماته. وشاء: أراد الله أن يُعلِمه. ووسع: أحاط علمُه. والكرسي: مخلوق عظيم لا يعلم حقيقته إلّا الله. ولا يؤوده: لا يُثقله ولا يُعجزه. والحفظ: التفقد والرعاية. والعليّ: المبالغ في علو الرتبة والسلطان. والعظيم: الجامع لصفات الكبرياء كلها **٢٥٥** الإكراه: القسر والإلزام. والدين: الاعتقاد الإسلامي. وتبيّن: ظهر بالآيات. والرشد: الهدى إلى الحق. والغيّ: الضلال والجهل من الاعتقاد الفاسد. ويكفر: ينكر. والطاغوت: ما يُعبد من دون الله. ويؤمن: يعترف قلبه بالوحدانية وما يلزمه. واستمسك: تمسّك. والعروة: العقدة تكون في الحبل لها فراغ يُتمسك بها منه. والوثقى: الشديدة الإحكام جدًّا. والانفصام: الانقطاع والانحلال. والسميع: المدرك للمسموعات. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. **٢٥٦**

الجزء الثالث — سورة البقرة

الجزء ٣ الحزب ٥

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ
مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا
شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ
مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

المعنى العام: أن الله ميّز بين الرسل المذكورين قبل ببعض الصفات، فكان منهم المناجي والرفيع الدرجة والخليل ومتلقي الإنجيل المؤيّد بعون جبريل. وقد أراد الله للناس بعد أولئك الرسل أن يختلفوا ويقتتلوا، ليظهر الصالح من الفاسد. فعلى المؤمنين بذل أقصى ما يستطيعون من قدراتهم وإمكاناتهم في الخير والجهاد، قبل الموت والحساب العادل بلا إخلال.

والله هو المعبود بحق وحده، والمتفرد بالحياة المطلقة أزلًا وأبدًا، وبالملك والتصرف في الخلق لا يناله فتور أو نوم، ولا يشفع أحد عنده بدون إذن، ويحيط سلطانه وعلمه وتصرفه بما في الكون من ماض وحاضر ومستقبل ولا يُثقله ذلك، ويُطلِع على بعض غيبه من يريد، وله الكبرياء والاستعلاء بذاته وصفاته على جميع المخلوقات. وقد ظهرت حقائق دينه، فلا ضغط في الإيمان ولا إكراه، ومن ينكر الشرك ويؤمن بالتوحيد يهتدِ إلى الطريق الواضح، ويعتمد على القوة العظمى من الله السميع العليم.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

تفسير المفردات: الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والوليّ: المتولي للأمور. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ويخرجهم ينقذهم دائمًا. والظلمات: جمع ظُلْمة، السواد لا يُدرَك فيه شيء. والنور: الضياء يمتاز فيه الخير من الشر. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والأولياء: جمع وليّ. وهو الموجه إلى الضلال والأباطيل. ويخرجونهم: يصرفونهم دائمًا. وأولئك أي: الذين كفروا. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم للشيء. والنار: نار جهنم. وخالدون: مقيمون أبدًا. **٢٥٧** ألم تر أي: ألم يصل علمك؟ ها قد علمتَ. وحاجّ: جادل. وإبراهيم خليل الله، أُرسل بالتوحيد في السُّومريِّين الحاميِّين. وفي ربه أي: بسبب وجود الله وتفرّده في الألوهية. والرب: الخالق المالك المتفرّد. وأن آتاه أي: لأنه أعطاه. والملك: السلطان والسيادة. ويحيي ويميت: يخلق الحياة والموت. قال أي: النُّمروذ المتألّه. وأحيي وأميت أي: بالعفو عمن سيُقتل وقتل البريء. ويأتي بالشمس: يحضرها. والشمس: النجم النهاري. والمشرق: مكان الشروق. وائت بها أي: أحضرها. والمغرب: مكان الغروب. وبُهت: تحيَّر واضطرب وعَجزَ عن الجواب. ولا يهدي: لا يرشد إلى الحق لِما في الاستعداد من سوء في الاختيار من خبث. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: الكافرون **٢٥٨** أو كالذي أي: أو ها قد علمت أيضًا قصة الذي؟ ومرّ أي: وقف طريقه في سفره. والقرية: البلدة. والخاوية: المتهدّمة الفارغة من الحياة. والعروش: جمع عرش، ما يُنصب كالسقف لتمتد عليه فروع الشجر. وقال أي: بتعجب. وأنّى: كيف؟ ويحييها: يبعث فيها الحياة. وموتها: دمارها. وأماته: خلق الموت فيه وأبقاه على حاله. والعام: السنة التامّة. وبعثه: أحياه بردّ روحه. وقال أي: الله له على لسان أحد الملائكة. وكم لبثتَ: ما مقدار ما مكثتَ في الموت. وقال أي: أجاب المسؤول. واليوم: ما بين غروبين للشمس. والبعض: الجزء. قال أي: المَلَك. وبل أي: ليس الأمر كما زعمتَ. وانظر: وجّه نظرك وتأمّل. والطعام: ما يؤكل. والشراب: ما يُشرب. ولم يتسنّه: لم يتغير ولم يفسد. والحمار: الحيوان الأهلي المعروف ببلادته. ونجعلك أي: نُصيّر ما جرى لك. والآية: المعجزة للدلالة على قدرة الله. والناس: البشر. والعظام: عظام الحمار البالية. وكيف نُنشزها: كيفيّة رفع بعضها إلى بعض وتركيبها، ليصيرا خلقًا جديدًا. ونكسوها: نغلّفها. واللحم: العضل وما يشبهه. ولمّا: حينما. وتبيّن: ظهر الخلق. وأعلمُ: أُدرِكُ وأعي باليقين الحق. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: المبالغ في الاستطاعة دون منازع أو معين. **٢٥٩**

المعنى العام: أن الله يتولى أمور المؤمنين لهدايتهم إلى الخير في كل حين، والشياطين يقودون الكافرين دائمًا بالضلال والتوجيه إلى الخلود في عذاب الآخرة، وهم الذين يتولون أمور الكافرين، ويضلونهم إذا صادفهم خير.

وها قد علمت - أيها النبيّ - قصة إبراهيم مع النُّمروذ السُّومريّ الحاميّ الذي يسَّر الله له السلطان في العراق، حين ادّعى الألوهية وخلْق الحياة فيمن حكمُه الإعدام والموتِ فيمن هو بريء، ثم تحداه إبراهيم بما خلق الله في النظام الشمسي، فعجز عن تغيير شروق الشمس وظهر اضطرابه وتحيّره في دعواه.

وعلمت كذلك قصة من استعظم خلق الحياة في المدينة المهدّمة، فأماته الله مِائة عام ثم أحياه، وبقي طعامه وشرابه على حالهما، ثم أحيا له حماره بتكوينه كما كان، وأُمر أن يتبصر في ذلك بعد أن رآه عِيانًا فصار معجزة للبشر، وثبَت فيه يقين القدرة الإلٰهية. وقد وضع الإخباريون كثيرًا من تفصيلات لهذه القصة من الإسرائيليات المصنوعة لا أصل لها.

الجزء الثالث سورة البقرة

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا
ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ
أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ
لِمَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا
أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا
صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ ٱلنَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

تفسير المفردات: إذ قال أي: وقتَ قوله. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. وربِّ أي: يا ربِّي. حذف حرف النداء لِما فيه من التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وأرني: بَصِّرني حقيقةً. وكيف تحيي: كيفيّة خلق الحياة. والموتى: جمع ميت، الذي فارقت روحه جسده. وقال أي: الله تعالى. وألم تؤمن: أليس يعرف قلبك الإيمان اليقيني بقدرتي على ذلك؟ وبلى أي: آمنتُ حقًّا. ويطمئن: يسكن بالرؤية عِيانًا. والقلب: موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال. وخذ: تناول وأمسك. والطير: واحده طائر، ما يحلق بجناحيه. وصرهنّ: قرّبهنّ وقطّعهنّ واخلطهنّ. واجعل أي: ضع وألقِ. والجبل: ما ارتفع من الأرض وغلظ. والجزء: القطعة المنفصلة. وادعهنّ أي: نادِهنّ واطلب منهنّ الحضور إليك. ويأتينك: يجئنَ إليك. والسعي: الإسراع في الحركة. واعلم أي: دُم على العلم. والعزيز: الغلّاب على تحقيق ما يريد. والحكيم: ذو الإتقان الكامل والحكمة البالغة فيما يريد. ٢٦٠ المَثَل: الصفة العجيبة في العمل. وينفقون: يصرفون. والأموال جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. وسبيل الله: الطريق الذي شرعه من خير وصدقة وجهاد. والحبّة: البذرة من القمح وما يشبهه. وأنبتت: أخرجت. والسنابل: جمع سُنبلة، الجزء من النبات يتكون فيه الحب بانتظام. ويضاعف: يضيف ويزيد. ويشاء أي: يريد الله أن يتفضل عليه. والواسع: الذي لا يُحَدّ غِناه ولا نهاية لسلطانه. والعليم: المبالغ في الإحاطة الكاملة بكل شيء. ٢٦١ لا يُتبعون: لا يُلحِقون. والمنّ: ذِكر النعمة تفاخرًا. والأذى: جلب الضرر. والأجر: الثواب. وعند ربهم أي: في حكمه وقضائه. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. والخوف: الفزع مما سيكون. ولا يحزنون: لا يغتمّون مما حصل قبل ٢٦٢ القول: ما يقال. والمعروف: ما حسّنه الشرع والعقل السليم. والمغفرة: العفو عما يبدو من السائل. وخير: أكثر نفعًا للمسؤول. والصدقة: التطوع ببذل المال وغيره. ويَتبعها: يلحقها. والغنيّ المستغني بذاته يوسّع على من يريد. والحليم: ذو العفو المطلق والصفح عن الذنوب لا يستخفّه عصيان ولا يعجّل الانتقام. ٢٦٣ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ولاتبطلوا: لا تُفسدوا وتضيّعوا. والرئاء: أن يُري الإنسانُ غيره أعماله الصالحة، ليُرُوه الثناء والمدح. والناس: البشر. ولا يؤمن: لا يصدّق قلبه، فلا يكون قوله مطابقًا ليقينه. واليوم: الزمن. والآخر: المتأخر يكون بالبعث بعد الموت. وكمثَل أي: كصفة. والصفوان: واحدته صفوانة، الحجر الأملس. والتراب: ما يتفتت من وجه الأرض. وأصابه: نزل عليه. والوابل: المطر الغزير. وتركه: جعله. والصلد: الصلب الأملس. ولا يقدرون: لا يستطيعون ولا يقوَون. والشيء: ما وجد. وكسبوا: عملوا. ولا يهدي: لا يرشد إلى الحق لِما في الاستعداد من سوء وفي الاختيار من خُبث. والقوم: الجماعة من الناس. والكافرون: من جحدوا التوحيد والبعث وأصرّوا على ذلك. ٢٦٤

ربع الحزب

المعنى العام: طلبَ إبراهيم وهو مؤمن حق الإيمان أن يريه الله - تعالى - إحياء الموتى، ليطمئنّ قلبه بالإيمان ويرى مَن حوله ذلك من الكافرين الجاحدين للبعث، فأمره الله أن يقطّع أربعة طيور ويفرّق أجزاءها على الجبال، ثم يدعوها إليه. وقد فعل إبراهيم ذلك فجاءت إليه مخلّقة كما كانت.

والإنفاق في السبيل الشرعي لما هو خير أو صدقة أو جهاد، بدون منّ ولا أذى، أمره عجيب يضاعفه الله بالثواب والفضل ويطمْئن صاحبه في الدنيا والآخرة. والقول الحسن للسائل دون عطائه خيرٌ من المن عليه وإيذائه، والله يكفي الناس بغناه وتفضله. فلا تُبطلوا صدقاتكم بالرياء والإيذاء للمحتاجين كالمرابين وأنتم من دون إيمان، لتضيع صدقاتكم في الدنيا كالتراب على صخر ذهبت به الأمطار العنيفة، فإذا أنتم قد ضيعتم جميع أعمالكم، كأنها لم تكن، والله يزيدكم ضلالة وشقاء.

تفسير المفردات: مَثَل الذين: صفتهم العجيبة. وينفقون: يبذلون ويصرفون. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والابتغاء: الطلب والقصد. والمرضاة: الرضوان العظيم. والتثبيت: التحقيق للثواب. والأنفس: جمع نفس أي: القلب والضمير. وكمَثل أي: كصفة. والجنّة: البستان والحديقة. والربوة: الهضبة المرتفعة المستوية الأعلى. وأصابها: نزل عليها. والوابل: المطر الغزير. وآتت: أعطت وأثمرت. والأُكل: ما يؤكل من النِّتاج. والضعف: بقدر الشيء مرّة أُخرى. والطلّ: المطر الخفيف. وتعملون: تكسبونه وتتحملونه من نية أو قول أو فعل. والبصير: المدرك للأحداث باطنًا وظاهرًا. ٢٦٥ أيودّ أي: لا يحبّ ولا يريد. وأحدكم: الواحد منكم. والنخيل: جمع نخل. وهو واحدته نخلة،شجرة البلح والتمر. والأعناب: شجر الكرمة جمع عنب، والواحدة عِنَبة. والمراد جميع أنواع الثمار بدليل ما يلي في الآية. وتجري: تسيل بسرعة. ومن تحتها أي: من تحت أشجارها وبينها. والأنهار: جمع نهر، الماء العذب الجاري. الثمر: ما ينعقد عن زهر الشجر للطعام والشراب والدواء والزينة. وأصابه: حلّ به. والكبر: الشيخوخة. والذرّيّة: الأولاد. والضعفاء: جمع ضعيف، الصغير لا يستطيع العمل. والإعصار: ريح شديدة تستدير على نفسها متلوّية مع نيران وأصوات رهيبة وترتفع كالعمود إلى السماء. وهي الزّوبعة. واحترقت: تدمّرت الجنّة بالنار وهلك ما فيها. وكذلك أي: مِثلَ ذلك التبيين والوصف. ويُبيّن: يوضح توضيحًا كاملًا. والآيات: العلامات التي يوصل بها إلى اتّباع الحق. ولعلكم تتفكّرون: ليُترجَّى لكم أن تُعملوا عقولكم فيما يفنى من الدنيا، وفيما هو باق لكم في الآخرة. ٢٦٦ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وأنفقوا: زكّوا أي: أدُّوا زكاة أموالكم والصدقات المندوب إليها، وما يكون به خير الدنيا والآخرة. والطيبات: جمع طيب، الجيّد والحلال. وكسبتم: حصّلتم وجمعتم. وأخرجنا: أظهرنا وأنبتنا. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ولا تيمّموا: لاتتيمموا، أي: لا تقصدوا. حذفت التاء الثانية للتخفيف. والخبيث: الرديء الفاسد. وبآخذيه أي: متقبّليه ومتناوليه. وأن تغمضوا فيه أي: وقت إغماض بصركم بسببه استهانة. واعلموا أي: دوموا على العلم والذكر. والغنيّ: المستغني بذاته عما سواه. والحميد: المستحقّ للثناء دائمًا. ٢٦٧ الشيطان: من يوسوس بالشر من الجنّ والإنس. ويعدكم: يخوّفكم. والفقر: قلة المال والحاجةُ إلى الآخرين. ويأمركم: يُلزِمكم ويكلّفكم. والفحشاء: المعصية الشنيعة. ويعدكم: يتعهّد لكم وييسّر. والمغفرة: الستر للذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والفضل: التفضل والإنعام. والواسع: الذي لا حدّ لتفضله. والعليم: المطّلع على كل شيء وعمل. ٢٦٨ يؤتي: يعطي. والحِكمة: العِلم النافع للعمل الصالح. ويشاء: يريد إعطاءه. ويُؤتَى: يُعطَى. والخير: ما فيه منافع الدنيا والآخرة. وما يذّكّر: لا يَتذكّر. أُدغمت التاء في الذال. وأولو الألباب: أصحابها. وأولو واحده ذو. والألباب: جمع لب، العقول أي: الثابتة على الحق والسليمة من الهوى. ٢٦٩

الجزء الثالث — سورة البقرة

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

المعنى العام: أن ما يُنفق طاعة لله صفته عجيبة كالجنة في مكان مرتفع، أنبتت بالمطر الكثير والخفيف كل خير، بخلاف ما يُنفق رياء، مع أن الله بصير بالظاهر والخفايا ويجزي بالحق. فاعملوا بإخلاص لأنه ليس يرضى أحد أن تذهب جهوده باطلًا، كمن هو عجوز وله أولاد صغار، أصابت الزوبعة ما كان عنده من الحدائق والبساتين المثمرة. فالواجب إذًا إنفاق الجيّد مما تيسر بفضل الله للصدقة وعون المحتاجين، لأن الرديء لا يتقبله أحدكم إلّا بالاستهانة والامتعاض.

والشيطان يخوّف الناس الفقر ويأمر بالبخل والفواحش، والله يبشّر بالخير والصفح والعفو ويمنح من يريد له خيرًا العلم النافع. ومن نال ذلك تمتع بنعيم الدنيا والآخرة، وكان من أصحاب القلوب النيّرة المستقرة بالإيمان.

تفسير المفردات: ما أنفقتم: أيّ شيء بذلتم وصرفتم. والنفقة: ما يصرف من المال في خير أو شرّ. والنذر: ما يوجبه الإنسان على نفسه تطوعًا لحدوث أمر مرغوب فيه أو دفع مكروه. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويعلمه: يحصيه للحساب. وما للظالمين: ليس لمن يظلمون بالإنفاق في الشر ومنع الزكاة. ومن أنصار أي: أنصارٌ: جمع نصير، مَن يمنع من عذاب الله. **٢٧٠** تبدوا: تُظهروا للآخرين. والصدقات: ما ينفق تطوّعًا لوجه الله على الخير. ونعما: نِعِمَ ما. ونعم أي: بلغ الغاية في الخير والفضل والنعيم. وما أي: الشيء. وهي أي: إظهار الصدقات للناس. وتخفوها: تستروها، أي: تدفعوها سرًّا لا يعلم بها الآخرون. وتؤتوها: تعطوها وتسلّموها. والفقراء: جمع فقير أي: المحتاج. وهو أي: إخفاؤها. وخير: أكثر نفعًا في الدنيا والآخرة. ويكفّر: يستر الله ويغفر. ومِن أي: بعض. والسيئة: ما قبّحه الشرع من الأعمال. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. وخبير أي: عالم بدقائق الأمور وعظائمها. **٢٧١** ليس عليك أي: لستَ مكلفًا، أيها النبي. والهدى: التوفيق في الاسترشاد. ويهدي: يصرف الاختيار إلى ما يناسب الاستعداد الحسن. ويشاء: يريد الله ويقضي هدايته. والخير: ما فيه نفع الدنيا والآخرة. ولأنفسكم أي: ثوابه لكم.

الجزء الثالث — سورة البقرة

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

والأنفس: جمع نفس: حقيقة الإنسان وذاته. والابتغاء: الطلب والقصد. ووجه الله صفة من صفاته كما يليق بجلاله وعظمته. ويوفَّ: يوفَّر لكم ويؤدَّ كاملاً. ولا تظلمون: لا يجار عليكم بنقص حسنة أو زيادة سيّئة. **٢٧٢** الفقراء: جمع فقير، من لا يملك ما يسدّ حاجته. وأُحصروا: جُنِّدوا. وفي سبيل الله: لإعلاء دينه بالجهاد ونصرته فيما شرعه من العلم والعمل. ولا يستطيعون: لا يقدرون. والضرب: وقع الأقدام، أي: الضرب بها لطلب الرزق. والأرض: البلدان. ويحسبهم: يظنّهم. والجاهل: غير المطّلع على حالهم بالمعرفة. والأغنياء: جمع غنيّ، المكتفي بماله لا يحتاج إلى عون. ومن التعفّف: بسبب الامتناع عما لا يحل أو لا يجمُل. وتعرفهم: تدرك ما هم فيه من الحاجة، أيها المخاطَب.. والسيما: العلامة الظاهرة. ولا يسألون: لا يطلبون العون والصدقة. والناس: مَن حولهم مِن البشر. والإلحاف: الإلحاح بالسؤال. والخير: المال. وبه عليم أي: مطّلع عليه ويجازي عليه. **٢٧٣** الأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من نقد ومتاع وزينة. وبالليل والنهار أي: في كل وقت بحسَب ما يجب أو يتيسّر. والسرّ: الكتمان عن الآخرين. والعلانية: الإظهار للناس. والأجر: الثواب. وعند ربهم أي: في حكمه وقضائه. والربّ: الخالق المالك المتصرّف المتفرد يرعى مصالح ملكه. والخوف: الفزع مما سيكون. ولا يحزنون: لا يغتمّون مما كان. **٢٧٤**

المعنى العام: أن بذل النفقة والصدقة والنذور يجازي عليه الله، ومانع الزكاة والخير ليس له من ينقذه من العذاب، وإظهار الصدقات فيه خير وإخفاء دفعها كذلك مع تكفير السيئات في الحالين، لأن الله مطّلع على كل شيء ويجزي بفضله ورحمته، ومنع الصدقات عن المشركين لا يحملهم على الإيمان، لأن الله هو الهادي إلى الصواب، ولست مسؤولًا - أيها النبيّ - عن أعمالهم.

وكل ما ينفق من خير يجازَى عليه صاحبه، ويجب أن يكون للمحتاجين، أمثال أصحاب الصُّفّة. وهم مسلمون فقراء يقيمون على مكان مظلل في مؤخّرة المسجد النبوي منصرفين عن الأعمال الخاصة، ويجهّزون أنفسهم جنودًا بالعلم والاستعداد لجهاد المعتدي من الكافرين أو لردعه، ويظنهم من لا يعرفهم مستغنين، لأنهم لا يطلبون صدقة أبدًا بإلحاف أو بغيره.

والله يعلم ما ينفَق من المال في السرّ والعلن ليلًا ونهارًا، ويجازي المنفقين بالثواب والطمأنينة والفوز العظيم في الدنيا والآخرة،ناجين من كل فزع أو غمّ يوم القيامة.

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ
مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ
وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ
فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ
أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ
إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

تفسير المفردات: يأكلون الربا: يأخذون الزيادة الربوية في التجارة والمعاملة المالية. ولا يقومون: لا ينهضون حين البعث. وكما يقوم أي: مثلما يضطرب. ويتخبطه الشيطان: يثيره بالغضب والاضطراب والتمزق والجنون مَن يوسوس بالشر والأذى مِن الإنس أو الجنّ. ومن المس أي: بسبب جنونه. وذلك أي: ما ينزل بهم من الشر. وبأنهم أي: حاصل لأنهم. وقالوا: زعموا. والبيع: إعطاء الشيء وأخذ ثمنه، ويكون فيه ربح أو خسارة أو مماثلة. ومثل الربا أي: مماثل للزيادة الربوية في زيادة المال. وأحلّ: جعل مباحًا وفيه خير. وحرّم: منع وعليه عقاب. وجاءه: وصل إليه وبلغه.والموعظة: الترهيب والتذكير بالعواقب. ومن ربه أي: من عنده بوحي أو بسُنّة. وانتهى: اتعظ واستجاب لتجنب الربا. وسلف: حصل ومضى من الكسب. وأمره: شأنه في الحساب والجزاء. وإلى الله: إلى حكمه وفضله. وعاد: رجع إلى أكل الربا ولم يمتنع. والأصحاب: جمع صاحب: الملازم للشيء لا يفارقه. والنار: نار جهنم. وخالدون: مقيمون أبدًا. **٢٧٥** يمحق: يُتلف ويذهب بالبركة. ويُربي الصدقات: يزيد وينمّي مايؤدَّى إلى الغير تقربًا إلى الله. ولا يحب: يكره ويعاقب. والكفّار: الكثير الكفر مصرًّا على تحليل المحرمات. والأثيم: المتمادي في المعاصي. **٢٧٦** آمَنوا: عرفت قلوبهم الإيمان وما يلزمه.وعملوا: اكتسبوا في نية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الشرع. وأقاموا الصلاة: أدّوا العبادة المكتوبة بواجباتها وأركانها وآدابها. وآتوا الزكاة: دفعوها إلى مستحقيها. والزكاة: ما يُدفع من المال لينمّيه ويطهّره ويطهّر صاحبه. والأجر: المكافأة. وعند ربهم: في حُكمه وفضله. والخوف: الفزع مما سيكون. ولا يحزنون: لا يغتمّون لجزاء ما كان. **٢٧٧** اتقوا الله: تجنَّبوا غضبه واطلبوا رضاه بطاعة الأمر والنهي. وذروا: اتركوا وتجنبوا. وما بقي أي: بقايا ما شرطتم من قبل. ومؤمنين أي: الذين كان عندهم التصديق اليقينيّ. **٢٧٨** لم تفعلوا: لم تنفّذوا ما أُمرتم به من ترك الربا. وائذنوا: اعلموا واستيقنوا. والحرب: المحاربة والمخاصمة. ومن الله أي: من عنده بوقوع قتال وفتن وكوارث وبلايا. والرسول: محمد ﷺ. وتبتم: رجعتم عن أكل الربا. والرؤوس: جمع رأس. ورأس الشيء: أصله. والأموال: جمع مال. وهو مايملك من النقد وغيره. ولا تَظلمون: لا تَعتدون بأخذ زيادة من المدين. ولاتُظلَمون:لا يُعتدى عليكم بنقص عما كان لكم. **٢٧٩** كان: وقع وحصل. وذو عُسرة: غريم صاحب عُسرة أي:عدم القدرة على الوفاء. والنظِرة: الصبر والانتظار. والمَيسرة: وقت اليُسر بتملك مال. وتصَدّقوا: تتصدّقوا، أي: تتكرموا بالإعفاء من بعض الدين أو كله. حذفت التاء الثانية للتخفيف. وخير: أفضل من التأخير. وتعلمون: تدركون فضل ذلك. **٢٨٠** اتقوا يومًا: تجنّبوا أهوال وقت. وتَرجِعُونَ: تُردُّون بالبعث. وإلى الله: إلى لقاء حسابه. وتوفَّى: تعطَى بالكمال. والنفس: المخلوق المكلَّف. وكسبت: عملته من نية أو قول أو فعل. ولا يظلمون: لا يجار عليهم بالحساب. **٢٨١**

المعنى العام: أن أكل الربا يجعل صاحبه يوم القيامة كالمجنون الذي يثيره شياطين الإنس والجن، بالفتن والشرور والأوهام. وهذا التشبيه وارد بناء على مايزعمه الجاهلون، من أن الشيطان يخبط الإنسان فيُصرع، أي: أن الجنّيّ يمس الإنسان فيختلط عقله. وقد يكون الربا بأن يباع الشيء بمثله مع زيادة للبائع، أو بتأخير أجل الدفع. فهو الزيادة المشروطة، يأخذها الدائن من المدين مقابل التأجيل، وكان الجاهليون يزعمون أن البيع مثل الربا في الرّبح.

فليتق الله من يحللون بفتاوى باطلة بعض أنواع الربا أو تسلّمها. وكل هذا ممحوق ملعون آكلُه ومؤكلُه والقاضي به. فمن يحلل شيئًا من ذلك يعرض المسلمين لحرب الله ورسوله بالغضب واللعنة والبلايا. والواجب الصالح من الأعمال هو انتظار المُعسر حتى يستطيع الوفاء، ومسامحته أفضل. فاتقوا ما في يوم القيامة من حساب عادل على كل عمل.

تفسير المفردات: آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وتداينتم: تعاملتم. والدَّين: القُرضة، أي: أن تعطي غيرك بعض المال على أن يردّه إليك بعد زمن. والأجل: آخر وقت الشيء. والمسمَّى: المحدّد المعلوم. واكتبوه: سجّلوه في عقد موثّق. ويكتب: يسجّل. وكاتب أي: إنسان متقِن للكتابة. وبالعدل: مصاحبًا الحق دون زيادة أو نقص. ولا يأبَ: لا يرفضْ ولا يمتنع. وكما علمه أي: بسبب ما أعطاه من العلم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وليملل الذي عليه الحق أي: ليُسمِعِ المَدينُ الكاتبَ ألفاظَ العقد. والحق: الدين المذكور قبل. ويتقي الله: يتجنب غضبه ويطلب رضاه بطاعة الأمر والنهي. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. ولا يبخس: لا يُنقص. والشيء: ما هو موجود او محتملٌ وجوده. والسفيه: الطائش. والضعيف: الصغير أو العجوز. ولا يستطيع: لا يقدر لخرَس أو غيره. والوليّ: الوالد أو الوصي أو المترجم. وبالعدل: مصاحبًا الصدق والحق. واستشهدوا: أشهدوا على الدَّين. والشهيد: الشاهد يُقرّ صادقًا بها يعلم عند الحاجة. ورجالِكم أي: المسلمين، جمع رجل. وهو الذَّكر البالغ سنَّ الرشد. وامرأتان أي: عوضٌ من الرجل الثاني. وترضون أي: تقبلون أمانته. والشهداء: جمع شهيد. وأن تضلّ أي: لاحتمال أن تنسى. وإحداهما أي: الواحدة منهما. وتذكِّر: تحمل على استحضار ما نُسي. والأُخرى: الناسية. وإذا ما دعوا: حين يُطلبون لتحمل الشهادة أو أدائها. ولا تسأموا: لا تملُّوا وتضجروا. وأن تكتبوه أي: من أن تكتبوا ما شهدتم عليه، أيها المتعاملون بالدَّين. وصغيرًا كان أو كبيرًا يعني: أيًّا كان مقدار الدَّين؟ وأجله: وقت حلول الوفاء. وذلكم أي: التسجيل الموثَّق. وأقسط: أعدل. وعند الله أي: في حكمه وعلمه. وأقوم: أعوَن وأوثق. وللشهادة أي: لتحقيق أدائها. وأدنى: أقرب. وألّا ترتابوا أي: إلى نفي شكّكم في شيء من الموضوع. وتكون: تحصل وتقع. والتجارة: ما يكون في معاملة البيع والشراء. والحاضرة: الحاصلة في مكان التبايع وزمانه. وتديرونها أي: تقبضونها ولا أجل في تسليم المبيع أو الثمن. والجناح: الذنب. وأشهدوا: استشهدوا. وإذا تبايعتم: حين يبايع بعضكم بعضًا شيئًا في التجارة. ولا يضارَّ أي: لا يُسبِّب ضررًا لأحد الطرفين، أو لا يسبَّب له ضرر. وتفعلوا أي: تُقدِموا على ما نُهيتم عنه. وإنه: أي الإقدام المذكور. والفسوق: عصيان وخروج عن الطاعة. وبكم أي: يحصل فيكم. ويعلّمكم: يبيّن ويوضح لكم. والشيء: ما هو موجود. وعليم: محيط إحاطة تامة. ٢٨٢

الجزء الثالث — سورة البقرة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى
فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ
كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ
ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ
مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ
مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ
أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ
وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢

المعنى العام: تفصيل أصول المعاملة بالدَّين، فإن حصل ذلك لوقت معيّن فسجّلوه أيًّا كان قدره، يكتبه من يتقن ذلك بالعدل ولا يجوز امتناع الكاتب عما تعلّم، ويمليه المَدين بالحق أو وليّ أمره، ويشهد على ذلك رجلان مسلمان، أو رجل وامرأتان. والغاية من كون المرأتين مقابل الرجل في الشهادة أن تذكّر إحداهما الأُخرى حين تنسى أو تخطىء، إذ المرأة لا تحتفظ بما هو بعيد عن اهتمامها، لضيق مراكز ذاكرة النساء في الأدمغة. ويجب على الكاتب والشهيد الاستجابة للعمل والقيام بالحق دون إهمال من الأطراف جميعًا، مهما كان قدر المبلغ، حرصًا على حفظ الحقوق والبعد عن الشك والاضطراب. لكن يجوز عدم الكتابة لِما هو متداول بسرعة ودائم يُدفع ثمنه في الحال، مع استحباب الشهادة على التجارة من ذلك منعًا للخلاف بعد. واحذروا إيذاء من يكتب أو يشهد.

وليست أحكام الكتابة والاستشهاد هذه واجبة، بل هي من الندب أي: مافيه إرشاد إلى مصالح الدنيا وثواب من رب العالمين. ومن يخالف في العدل والشهادة وإكراه من يساعد في ذلك يخرج عن الطاعة. فاتقوا الله بتجنب العصيان ولزوم طاعة الأمر والنهي، وهو يعلمكم الحق في قضاء المصالح، وبكل شيء عليم بالغ العلم.

تفسير المفردات: السفر: الرحلة أو التنقل خارج مكان الإقامة. ولم تجدوا: لم تلقَوا. والكاتب: من يسجل. والرهان: جمع رَهن، الشيء المرهون لضمان الحق. ومقبوضة أي: يتسلمها صاحب الحق. وأمن: اطمأنَّ إلى الأمانة ولم يقبض رهنًا. والبعض: الواحد أو الأكثر. ويؤدِّي: يوصل ويسلّم. والذي اؤتمن: المَدين وُثِقَ بتحقق أدائه. والأمانة: ما اؤتُمن عليه من الدَّين. ويتقي الله: يتجنبُ غضبه ويطلب رضاه. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. ولا تكتموا: لا تمتنعوا أوتُخفوا إذا دُعيتم للاعتراف. والشهادة: الإقرار بها هو معلوم حقًّا. والآثم: المذنب العاصي. والقلب: موطن التدبر والاعتقاد والتدبر. وتعملون أي: تكتسبونه. والعليم: المطّلع والمحيط بالغَ الإحاطة. **٢٨٣** السماوات: ما يحيط بالأرض من جو وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وتُبدوا: تُظهروا للآخرين قولًا أو فعلًا. والأنفس: جمع نفس. وهي القلب والضمير. وتخفوه: تستروه وتجعلوه سرًّا. ويحاسبكم به: يخبركم به يوم القيامة ويطلعكم عليه. ويغفر: يستر الذنب ولايؤاخذ به. ويشاء: يريد المغفرة له. ويعذب: يدخل في نار جهنم. ويشاء: يريد العذاب له. والشي: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: المقتدر من دون معين أو معاند. **٢٨٤** آمن: صدّق مطمئنًّا متيقنًا. والرسول: محمد ﷺ. وأُنزل: أُوحي على لسان جبريل. ومن ربه أي: من عند ربه وبأمره. والمؤمنون: من عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وكلٌّ أي: كلُّ واحد من الرسول والمؤمنين. والملائكة: مخلوقات من النور، جمع ملَك. والكتب: جمع كتاب. والرسل: جمع رسول. وهو من كلّفه الله بالدعوة والعمل مع كتاب مقدّس. ولا نفرق: لا نميّز في التصديق. وبين أحد منهم أي: بينهم جميعًا. وسمعنا: تلقّينا ما أُمرنا به. وأطعنا: استجبنا للأمر والنهي. وغفرانك: نسألك ستر الذنوب ومحوها. وربنا: ياربنا. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وإليك أي: إلى لقاء حسابك. والمصير: مرجعنا بالبعث بعد الموت. **٢٨٥** لا يكلّف: لا يحمّل ولا يُلزم. والنفس: المخلوق الحي. والوسع: ما تستطيعه قدرة المخلوق. وكسبت: عملت في الخير من نية أو قول أو فعل. واكتسبت: تحمّلت من الشر. ولا تؤاخذْنا: لا تجازِنا. ونسينا: سهَونا. وأخطأنا: عملنا ما لا نريد. ولا تحمل علينا: لا تكلّفنا. والإصر: الأمر الثقيل. ولا تحمّلنا: لا تُلزمنا. ولا طاقة أي: لا قدرة. وبه أي: بتحمُّله من البلاء. واعف: امحُ الذنوب. واغفر: استر العيوب ولا تفضحنا بالمؤاخذة. وارحمنا: اعطف علينا بالإحسان. والمولى: المتولِّي للأمور. وانصرنا: أعنّا وغلّبنا. والقوم: الجماعة. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. **٢٨٦**

سورة البقرة — الجزء الثالث

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ
ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ
ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ
وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ
ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ
عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ
أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

المعنى العام: يجوز في السفر وافتقاد الكاتب للتجارة أو الدَّين أن يكون رهن مؤتمن، وعلى المَدين أداء الأمانة بتقوى الله، وعلى الشاهد أداء الشهادة حين الطلب، لئلّا يكون آثمًا. فالله يملك الكون كله ويحاسب الناس بما أخفوا وما أظهروا، فيصفح عمن يستحق برحمته وحكمته وإرادته ويعذّب من يستحق بعدله وحكمته وإرادته، وهو قدير على كل شيء.

والرسول والمسلمون آمنوا كل منهم بالله والملائكة والكتب والرسل، قائلين: لا نفرّق بين الرسل في التكليف والدعوة والعقيدة مع سمع وطاعة لأمرك ونهيك - فاغفر لنا - ومرجعنا إلى حسابك يوم القيامة.

ولمّا ثقل على المسلمين حساب ما يكون من الوسوسة الخفية نزلت الآية ٢٨٦ بأن الله لا يكلّف النفس إلّا ما تطيق من العمل، ولها ثواب الخير وعقاب الشرّ. فليدعُ المؤمنون اللهَ ألّا يؤاخذهم بالنسيان والخطأ، ولا يحمّلهم ما لا يطيقون، وأن يعفو عنهم ويغفر ذنوبهم ويرحمهم لأنه مولاهم، وينصرهم على الكافرين المعتدين في كل مجال. وعندما قرأ النبي ﷺ هذه الآية قال له الله عقِب كل طلب من الدعاء: قَد أَجَبتُ دُعاءَكَ ومَطلُوبَكَ.

٣ ـ سورة آل عمران

الجزء الثالث — سورة آل عمران

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ
شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ
فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ
الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ
وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ
مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ
لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ
النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

تفسير المفردات: أَلَمٓ: أحرف مقطّعة استأثر الله بعلمها، وهي سره المكنون في كتابه العزيز. ١ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإلّه: المعبود بحق. والحي: الدائم البقاء أزلًا وأبدًا. والقيّوم: المُبالغ في القيام بتدبير خلقه. ٢ نزّل: أوحى على لسان جبريل في مراحل. والكتاب: القرآن الكريم. وبالحق: مصاحبًا الصدق لا شكّ فيه. والمصدّق: المحقّق والموثّق. وبين يديه أي: قبله من الكتب. والتوراة: الكتاب المنزل على موسى، معناه الشريعة أو الناموس. والإنجيل: الكتاب المنزل على عيسى، معناه البشارة والخبر الكريم. ٣ من قبلُ: من قبلِ تنزيل القرآن الكريم. وهدى أي: هاديَين. والناس: القوم المبلّغون ذلك. والفرقان: القرآن الفارق بين الحق والباطل. وكفروا: كذّبوا وأنكروا. والآيات: نصوص الكتب المقدّسة. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: العظيم. والعزيز: الغالب على تحقيق أمره. وذو انتقام: صاحب العقوبة الشديدة متفردًا بها. ٤ لا يخفى: لا يستتر. والشيء: ما هو موجود. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والسماء: ما يحيط بالأرض من جو وأجرام وعوالم عُلوية. ٥ يصوّركم أي: يجعل لكم صوَرًا مجسَّمة وهيئات. والأرحام: جمع رَحِم، وعاء الجنين. وكيف يشاء أي: كيف يريد تصويركم؟ والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٦ عليك: على قلبك، أيها النبيّ. ومنه أي: بعضه. ومحكمات: واضحات الدلالة ميسّرة الفهم. وأُمّ الكتاب أي: أصله المعتمد في الأحكام والمعارف. وأُخَر: آيات غير تلك المُحكمات. ومتشابهات: لا يتيسر فهمها بسهولة وتحتاج إلى التأمل والنظر في معانيها، ليظهر في ذلك فضل العلماء، ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبّرها، ويبقى أمر التدارس والتأمل مع الزمن. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يمدّ الدماغ وسائر الجسد بماء الحياة سائغًا. والزيغ: الانحراف عن الحق. ويتّبعون ما تشابه: يتعلقون بما يوافق هواهم في التأويل، ويُلحقون المحكمات بذلك لزعم التناقض. وتشابه: لم يكن صريحًا في معناه. ومنه أي: من القرآن الكريم. والابتغاء: الطلب والقصد. والفتنة: الضلال والصرف عن الصواب. والتأويل: التفسير البعيد. وما يعلم أي: لا يحيط بالدقة والصواب الكامل مطلقًا. والراسخون: الثابتون المتمكنون. والعلم: المعرفة اليقينيّة. وآمنا: صدّقنا. وكل: جميع المُحكم والمُتشابه. ومن عند ربنا: من فضله وبأمره. ويذّكّر: يتذكّر أي: يفهم ويتدبّر. أدغمت التاء في الذال. وأولو: أصحاب، واحده ذو. والألباب: جمع لبّ، القلب المطمئنّ بالإيمان. ٧ ربنا: ياربنا. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. ولا تزغ: ثبّتْ ولا تحرف عن الحق. وإذ هديتنا: وقت إرشادك لنا. وهب لنا: تفضّل علينا. ولدنك: عندك. والرحمة: العطف بالإحسان. والوهّاب: العظيم العطاء. ٨ جامع الناس: حاشر البشر بالبعث. وليومٍ: في زمن. والريب: الشكّ. وفيه أي: في مجيئه ووقوعه. ولا يخلف أي: يفي من دون تأخير أو إخلال. والميعاد: وعده. ٩

المعنى العام: بيان توحيدِ الله وبقائه وتحكمه في الخلق مطلقًا، وتنزيلِه الكتبَ المقدّسة لهداية الأقوام المبلّغة، ثم القرآنَ الكريم مصدِّقًا لها، وعلمِه ما في الكون، وخلقِه الناس بتقديره ومشيئته، وجعلِه في القرآن آيات واضحة الدلالة، وآيات متشابهة تحتاج إلى تأمل ومُدارَسة ومتابعة البحث.

فالكافرون والمنافقون يعتمدون المتشابهات بالتأويل البعيد والباطل للتضليل، والعلماء بالحق يسلّمون بكل ذلك، متذكرين الهداية والصلاح وطالبين الثبات على الإيمان ورحمة الله، مع إقرارهم الإيمان بالبعث دون شك.

الجزء الثالث — سورة آل عمران

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ
وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ
وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ
لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى
ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ
وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ
أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

تفسير المفردات: كفروا: كذّبوا شيئًا من الوحي أو الرسالة. ولن تغني: لن تدفع. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد، الذُّرِّيّة بنين وبنات. ومن الله: من عذابه. وشيئًا: أيّما إغناء! وأولئك أي: الموصوفون بالكفر. والوقود: ما يوقد به. والنار: نار جهنم. ١٠ الدأب: العادة والحال التي تحققت. والآل: الجنود والأعوان. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. ومعناه البيت العظيم، أصبح لقبًا لملوك مصر العرب في القديم. وكذبوا: أنكروا وجحدوا. والآيات: الأدلة الواضحة والمعجزات. وأخذهم: أهلكهم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وبذنوبهم: بسبب معاصيهم. والذنوب: جمع ذنب. والشديد: القوي الهائل. والعقاب: انتقامه ممن عصاه. ١١ قل للذين كفروا أي: خاطب اليهود بالقول، أيها النبيّ. وستُغلبون: لا بدّ أن تُقهروا. وتُحشَرون: تساقون بالبعث مجموعين. وجهنم: دار العذاب يوم القيامة. وبئس: بلغَتِ الغايةَ في الشر والبؤس. والمهاد: ما يمهّد للإقامة. ١٢ الآية: العظة الدالة. والفئتان: الجماعتان من المسلمين والمشركين. والتقتا: اصطدمتا للقتال في غزوة بدر. وتقاتل: تقاوم بالسلاح. وفي سبيل الله: لنصرة الطريق الواضح الذي شرعه ولإعلاء دينه وكلمته. وأُخرى أي: فئة ثانية غير المؤمنة. والكافرة: المكذّبة للتوحيد والبعث تقاتل في سبيل الشيطان. ويرونهم: يرى الكافرون المؤمنين. والمِثْل: المماثل في العدد. ورأي العين أي: الرؤية الظاهرة عِيانًا. ويؤيّد: يقوّي. والنصر: العون. ويشاء: يريد نصره. وذلك أي: ما ذُكر من غزوة بدر. والعبرة: العظة تَعبُر بالجاهل إلى مرتبة العلم. وأولو أي: أصحاب، واحده ذو. والأبصار: جمع بصر، العقل والتبصُّر. ١٣ زُيّن: جُمّل. والناس: البشر. والحب: الرغبة باندفاع. والشهوات: نزوع أنفسهم إلى ما تريده. والنساء: جمع نِسوة. والنسوة واحدتها امرأة. والبنون: الأبناء، جمع ابن. والقناطير: جمع قِنطار. وهو مِائة ألف دينار أو أكثر. والمقنطرة: المجمّعة. والذهب والفضّة: المعدِنان الثمينان الأصفر والأبيض. والخيل: واحده خائل أي: الفرس. والمسوَّمة: الحِسان المضمَّرة بالعناية. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. والحرث: ما يُحرث ويُزرع. وذلك أي: ما ذُكر من الشهوات. والمتاع: ما يُنتفع به. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. وعنده أي: فيما وعد من الثواب والإكرام. والحُسن: الجمال الفائق. والمآب: الرجوع الحميد بعد البعث. ١٤ قل أي: للناس، أيها النبي. وأأُنبئكم: أتحبون أن أُخبركم؟ وخير: أكثر نفعًا. وذلكم أي: ما ذكر من الشهوات. واتَّقَوا: حَذِروا وتجنبوا بالطاعة. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الأشجار والقصور والنعيم الأبدي. وتجري: تسيل بسرعة. وتحتها: تحت قصورها وبين أشجارها. والأنهار: جمع نهر، ما يجري فيه الماء. وخالدين: مقيمين أبدًا. والأزواج: جمع زوج. والمطهّرة: النقيّة الكيان والنفس. والرضوان: الرضا العظيم. والبصير: العالم بالسر والعلن. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خَلقًا وقهرًا وتعبدًا. ١٥

المعنى العام: أن الكافرين لا تفيدهم أموالهم وأولادهم في الدنيا والآخرة ولا تدفع عنهم أيّما دفع لعذاب الله! لأنهم يكونون وقودًا لجهنم، وحالهم كما كان لفرعون وغيره ممن أهلكهم الله بكفرهم. فبلّغ ـ أيها النبي ـ ما سيصير لليهود من هلاك وعذاب في النار، وقد رأوا انتصار المسلمين في بدر وخسارة المشركين مع كثرتهم. فليعتبروا وليدَعوا ما هم عليه.

ثم إن ما يحبه الناس من شهوات الدنيا متاع زائل، وما عند الله في الآخرة أفضل، جنات نعيم وزوجات مطهرة وأزواج مطهَّرون من فساد الجسم والنفس، مع خلود في الجنة ورضا من الله العالم بعباده. وما ذُكر هنا للرجال فالنساءُ أشدّ في التشهي لأكثره.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧) شَهِدَ
اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ
اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ
اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ
أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢)

تفسير المفردات: ربنا: ياربنا. حُذف حرف النداء لما فيه من معنى التنبيه. وآمنّا: صدّقنا التوحيد والدعوة وأطعنا. واغفر: استر وامحُ. والذنوب: جمع ذنب، المعصية عليها عقاب. وقنا: جنّبنا واكفِنا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والنار: نار جهنم. **١٦** الصابرون: الثابتون على الطاعات وتحمّل الشدائد. والصادقون أي: في إيمانهم قولًا وفعلًا. والقانتون: المطيعون. والمنفقون: الباذلون أموالهم للصدقة والخير والجهاد. والمستغفرون: الذين يطلبون المغفرة. والأسحار: جمع سَحَر، آخر الليل. **١٧** شهد: بيّن للناس وحدانيّته بالأدلة والقول. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإله: المعبود بحق. والملائكة: جمع ملك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة أقرّوا التوحيد بالقول. وأولو العلم: أصحاب العلم الحقيقي اليقيني. وأولو واحده ذو. وقائمًا بالقسط أي: منفذًا للعدل بالتمام والوفاء. والعزيز: الغالب على تحقيق أمره لجميع المخلوقات. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. **١٨** الدِّين: الملة بما فيها من عقيدة وشريعة. وعند الله أي: في علمه وحُكمه وقَبوله. والإسلام: الانقياد بالعبودية لله وحده واتّباع وحيه. وما اختلف: ما تفرّق واختصم. وأُوتوا: أعطوا وكلِّفوا الاتباع. والكتاب: التوراة والإنجيل. وجاءهم: وصل إليهم وأدركوه. والعلم أي: الإدراك اليقينيّ الثابت لا شك فيه. والبغي: الظلم والتحاسد. ويكفر: يجحد وينكر. والآيات: النصوص المقدسة والأدلة القاطعة. وسريع الحساب: مجازاته عظيمة السرعة. **١٩** حاجّوك: خاصمك الكُفّار، أيها النبي. وقل أي: لهم. وأسلمت وجهي: استسلمت وانقدْت. والوجه: ما يقابل به الإنسان غيره من رأسه. وذكرُ الوجه للدلالة على النفس كلها. ولله أي: لأمره في جميع ما قضى وقدّر. واتّبعنِ: اتّبعني: وافقني واستجاب لي. وحُذفت الياء للتخفيف. والأُمّيّون: الذين لم يكن لهم كتاب إلهي، مشركو العرب وغيرهم. وأأسلمتم أي: أسلِموا وانقادوا للحق. واهتدَوا: استرشدوا وانتفعوا بالوعظ وكان لهم السعادة والنعيم. وتولّوا: استمرّوا على الإعراض والامتناع. والبلاغ: تبليغ الرسالة. والبصير: المدرك للأحداث حال وجودها. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. **٢٠** يكفرون: ينكرون. ويقتلون: يزهقون الأرواح بالسلاح وما يشبهه. والنبيّ: من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. وبغير حق أي: مصاحبين الباطل والبغي. ويأمرون: يعظون ويوجبون. والناس: البشر من غير الأنبياء. وبشّرهم: بلّغهم. والأليم: المؤلم جدًّا. **٢١** أولئك أي: الكافرون. وحبطت: فسَدت. والأعمال: جمع عمل، ما يكتسبه الإنسان بقصد واختيار وعزم. والدنيا: الحياة القريبة من الناس يعيشون فيها. والآخرة: الحياة بعد الموت. وما لهم: ليس لهم. ومن ناصرين أي: مُعينون في دفع العذاب. **٢٢**

المعنى العام: متابعة ما مضى بأنّ المسلمين يُقرّون بإيمانهم اليقينيّ، ويطلبون من الله المغفرة والنجاة من النار، ويصبرون ويطيعون ويتصدّقون ويستغفرون الله في أواخر الليالي.

وقد بيّن الله بالأدلة وحدانيّته وعدله وعزته وحكمته، وأقرّ الملائكة والعلماء بذلك. فالدين الحقيقي من قديم الزمان هو الإسلام، وما كان اختلاف أهل الكتاب إلّا عدوانًا وتحاسدًا بعد ما جاءتهم الرسل، وسيحاسبهم الله على ذلك أسرع ما يكون. فإن خاصمك الكفار ـ أيها النبي ـ فأخبرهم أن نفسك ونفوس المسلمين منقادة لله كلِّها، وادعُهم إلى الإيمان برفق. فلستَ مسؤولًا عن طاعتهم، لأن هدايتهم تكون من الله وتفيدهم وحدهم.

و اليهود كانوا قد كفروا وقتلوا ظلمًا الأنبياء والمصلحين، ووافقهم أبناؤهم في عصر النبوة، وحاولوا قتل النبي ﷺ فعصمه الله منهم. وكذلك حالهم من البغي والكفر والعدوان في كل زمان ومكان. فأعلِمهم بالعذاب المؤلم، لأن أعمالهم تفسُد في الدنيا لكفرهم ولا تُقبل عند الله بدون الإسلام، ولا يعينهم أحد يوم القيامة.

تفسير المفردات: ألم تر أي: إنك ترى عِيانًا وتعجب، أيها النبيّ.وأوتوا: أُنزل إليهم. والنصيب: الحظّ والقدر. والكتاب: التوراة. ويُدعون: يطالَبون ويوجَّهون. وإلى كتاب الله: إلى ما في القرآن الكريم. ويحكم: يفصل الحق من الباطل. ويتولّى: يمتنع. والفريق: الجماعة. ومعرضون: منكرون بالقلوب والقول والعمل. **٢٣**ذلك أي: التولي والإعراض. وبأنهم أي: حاصل لأنهم. وقالوا: زعموا. ولن تمسنا: لن تصيبنا. والنار: نار جهنم. والأيّام: جمع يوم، مدّة دوران الأرض على محورها مرّة واحدة. والمعدودة: التي يمكن عدها لقلتها. وغرّهم: خدعهم وضلّلهم. والدين: المِلّة من عقيدة وشريعة. ويفترون أي: يزعمونه من الأكاذيب والتضليل. **٢٤** كيف أي: ما هي حالهم؟ وإذا جمعناهم: حين نحشرهم بالبعث للحساب والجزاء. واليوم: الوقت. والريب: الشكّ. ووُفِّيَت: أُعطِيَتْ بالكمال. والنفس: المخلوق ذو الروح من العاقلين. وكسبت: عملته باختيار وقصد وعزم. ولا يظلم: لا يجار عليه بنقص حسنة أو زيادة سيئة. **٢٥** قل أي: في الدعاء، أيها النبيّ. واللهمّ: يا اللهُ.والمالك: الحائز المتصرف النافذ الأمر والنهي. والمُلك: السلطان والغلبة. وتؤتي: تعطي. والمُلك: التسلّط والتحكم في بعض شؤون الدنيا. وتشاء: تريد إعطاءه. وتنزع: تستردّ. وتشاء: تريد هوانه. وتعزّ: تنصر على الأعداء. وتذلّ: تهين. وبيدك أي: في قبضتك وتصرُّفك. والخير: عِزّ الدنيا والآخرة بالإيمان والصلاح. والشيء: ما هو موجود أو ممكنٌ وجوده. والقدير: المُبالِغ في القدرة بذاته. وتولج: تدخل. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. وتخرج: تكوّن وتُظهر. والحي: مَن في جسده روح. والميّت: من فارقت روحه جسده. وترزق: تعطي ما يُمتّع ويزيّن. وتشاء: تريد أن ترزقه. وبغير حساب: مع ما لا يحقّ بالمحاسبة. **٢٧** لا يتخذ:لا يجعل ولا يصيّر. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله.والكافرون: غير المسلمين إذا كانوا محاربين أو مجاهرين بالعداوة كيدًا وإفسادًا وتحكمًا أو مناصرين للعدوّ. والأولياء: جمع وليّ. وهو المناصِر يُعتمد عليه في مصالح الدنيا. ودون أي: غير. ويفعلُ ذلك أي: يتولى الكافرين المذكورين. ومن الله أي: من دينه وولايته. والشيء: ما يوجد. وأن تتقوا أي: لأجل أن تتجنبّوا. والتقاة: المخافة والتجنُّب. ويحذِّر: يخوِّف. ونفسه أي: ذاته من دون مشابهة بالمخلوقات. وإلى الله أي: إلى لقاء حسابه. والمصير: المرجع بالبعث بعد الموت. **٢٨** قل أي: للمنافقين. تخفوا: تستروا بالكتمان. والصدور: جمع صدر، عُبِّرَ به عن القلب لأنه بعضه. وتبدوا: تُظهروا للغير. ويعلمه أي: يحفظه عليكم ويطلعكم عليه. ويعلم: يحيط إحاطة كاملة. والسماوات: ما يحيط بالأرض من جو وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والقدير: المُبالغ في القدرة والتمكن. **٢٩**

سورة آل عمران | الجزء الثالث

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ
اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ
فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ
مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ
مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ
فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾
لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن
يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ
تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ
إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

المعنى العام: أن اليهود أمرهم عجيب رفضوا حكم الإسلام فيمن زنى منهم، مع أنه معروف في التوراة أيضًا، وهم يزعمون أن عذابهم في الآخرة قليل، والحق أن حالهم خطيرة يوم القيامة بما فعلوا.

ولمّا بشّر النبيُّ ﷺ المسلمين بما سيكون من نصرهم على الفرس والروم سخر المنافقون من ذلك، فنزلت الآيات ببيان قدرة الله المطلقة في الخلق والتصرّف والتمليك والنصر، كما يخلق القطرة الدقيقة جدًّا من المنيّ، وهي قابلة للنمو حين يقدّر لها ذلك بالأسباب الملائمة، وكذلك البيضة، ويتحصل منهما الكائن الحي. وهو يقلب الليل والنهار بزيادة أحدهما من الآخر، ويقدّر الرزق بين المخلوقات دون حساب لِما يستحقه كل منهم.

فلا يجوز للمؤمنين مناصرة الكافرين المحاربين والمساعدين لهم، وإنما لهم أن يجابهوهم بالسلاح، أو يتقوا شرهم دون إيذاء للمسلمين حين يكون الإسلام غير ظاهر والحكمُ السائد للكفر، والحكومات غير إسلامية. ومن يتولَّ الكافرين فقد برئ من ذمة الله، واللهُ بريء منه. فاتقوا الله العليم بكل شيء من سرّ وعلن وكائن والقادرَ على التحكم فيه أيضًا.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ
ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ
فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ
وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا
وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ
وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

ربع الحزب ٦

تفسير المفردات: اليوم: الوقت. وتجد: ترى عِيانًا. والنفس: الإنسان المكلف. وعملت: اكتسبته. والخير: ما ينفع في الدنيا والآخرة. ومحضرًا: مجلوبًا. والسوء: ما يسيء ويؤذي. وتودّ: تحبّ. ولو أي: لو حصل. والأمد: المسافة الحاجزة. والبعيد: المديد جدًّا. ويحذّركم: يخوّفكم، أيها الناس. ونفسه أي: غضبه وبطشه. والرؤوف: الشديد الرحمة. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وتعبدًا وقهرًا. ٣٠ قل أي: للناس، أيها النبيّ. تحبون الله: تميل نفوسكم إلى من أدركتم فيه الكمال والتفرد في الألوهية. واتّبعوني: استجيبوا لي وأطيعوني. ويحببكم: يودّكم ويريد لكم الخير. ويغفرُ: يمحو من الصحف. والذنوب: جمع ذنب، المعصية عليها عقاب. والغفور: الكثير السترِ للذنوب مع العفوِ. والرحيم: العظيم العطف على المؤمنين. ٣١ أطيعوا الله: استجيبوا له. والرسول: محمد ﷺ. وتولَّوا: أعرضوا عن الطاعة. ولا يحب: يكره ويعاقب. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ٣٢ اصطفى: اختار وفضّل. وآدم: أبو البشر عدا حواء. ونوح: النبي الرابع واسمه عبد الغفار، وقومه في جنوبي العراق. والآل: الأهل. وإبراهيم: أبو إسماعيل وإسحاق كان من السُّومريّين الحاميّين. وعمران: أبو مريم. والعالَمون: الإنس والجن من معاصِرِي الأنبياء المذكورين. ٣٣ الذُّرِّيّة: الأولاد ومن يأتي بعدهم. والبعض: الواحد أو الأكثر. والسميع: المدرك للمسموعات. والعليم: المُبالغ في علم كل شيء. ٣٤ إذ قالت: اذكر وقت قولها، أيها النبيّ. والمرأة: الزوجة، وهي حَنّة جدةُ عيسى من قِبَل أُمّه. وربّ: يا ربّي. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. ونذرتُ: أوجبتُ على نفسي. ولك: لعبادتك. والبطن: مراد به الرحِم. والمحرّر: الخالص لِخدمة المعابد. وتقبّل: خذ بالرضا. ٣٥ ولمّا: عندما. ووضعتْ: وَلَدَت. ووضعتُها أي: المولودة. وأنثى: مؤنّثة. وأعلم: أسبق علمًا. والذكر: المذكّر. وسمّيتها: جعلت اسمها. ومريم أي: العابدة المتبتِّلة. وأُعيذها: أحصّنها. والشيطان: من يوسوس بالشر من الجنّ والإنس. والرجيم: المطرود من الرحمة. ٣٦ تقبّلها: قبِلَها. والقبول: الرعاية. وأنبتها: أنشأها وربّاها. والحسَن: ما يُصلح في جميع الأحوال. وكفّلها زكريا: جعل النبيَّ زكريا راعيًا مصالحها. وكلما: كل وقت. ودخل عليها: زارها. والمحراب: محل العبادة. ووجد: رأى. والرزق: ما ينفع من الحاجات. وأنّى: مِن أين؟ ومن عند الله: من تفضله. ويرزق من يشاء: يهبُ الخير لمن يريد عونه. وبغير حساب: دون محاسبة على ما يستحق من العمل. ٣٧

المعنى العام: حينما يجد الإنسان ما عمله يوم القيامة يتمنى البُعد عن سيّئه والتخلص منه. فاطلبوا رضا الله وطاعته ـ أيها الناس ـ واحذروا غضبه وعذابه.

ولمّا ادعى النصارى أنهم يعظمون المسيح ويعبدونه حبًّا وتعظيمًا لله، والمشركون أن عبادة الأصنام تقرّبهم إلى الله، نزلت الآية ٣٢ بأنّ محبة الله تعني الطاعة بالتوحيد واتباع نبيّه محمد ﷺ، ليحبهم الله ويصفح عنهم. ولمّا زعم اليهود أنهم على دين إبراهيم، والنصارى أن عيسى هو ابن الله، نزلت الآيات ردًّا عليهم، بأن إبراهيم كان قبل التوراةِ واليهوديةِ، وأن عيسى هو من ذرّيّة البشر، ورسول كسائر المرسلين، اختارهم الله للرسالة والتبليغ.

واذكر لهم ـ يا محمد ـ حين نذرت زوجة عمران ما تحمله لِخدمة المعابد، وعندما ولدت أُنثى دعت لها ولأولادها بالرضا والحماية من الشيطان الرجيم، فهيأ لها الله النمو الجيد ويسّر لها رعاية زكريا زوج خالتها، فكان في زيارته لها بالمعبد يرى عندها نعمًا بحاجات وأغراض متميزة ويسألها عن مصدرها، فتجيبه بأن الله حنّن العباد عليها بها، وهو يرزق الخلق بغير حساب.

فما ذكره المفسرون عن نموها وفواكه الصيف والشتاء من الجنّة هو قصص غير موثّقة. والرزق المذكور هو ما كان يقدمه بعض الصالحين بعد أن كبرتْ، وفيهم ابن عمّها جُريج.

تفسير المفردات: هنالك أي: عندما رأى زكريّا إكرام الله لمريم القاصرة العاجزة. ودعا: طلب بتذلّل. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح عبيده. وربِّ أي: يا ربّي. حُذف حرف النداء لما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وهب لي أي: امنحني وأحسن إليّ. ومن لدنك أي: من فضلك ورحمتك. والذُّرِّيّة: النسل. والطيّبة: الصالحة المباركة. والسميع: المبالغ في إدراك المسموعات وما دونها. والدعاء: طلب العون. ٣٨ نادته: دعته باسمه. والملائكة: مخلوقات من نور معصومة مطهّرة، جمع ملَك. والمراد هنا جبريل. وهو أي: زكريا. وقائم: منتصب للعبادة. ويصلي: يعبد الله ويدعوه. والمحراب: المسجد. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويبشّرك: يُبلّغك ما يَسرّك. وبيحيى أي: بولادته منك ومن زوجتك. واسمه معناه أنه يَحيا أبدًا بالعلم اليقيني والإيمان، لأنه يستشهد والشهيد حيّ. والمصدّق: المؤمن بصدقِ عيسى في رسالته. وهو أول من آمن به. وبكلمة أي: بخلق من كلمة أي: أمر، دون وساطة أب. ومن الله أي: من عنده وبأمره. والسيّد: المطاع. والحصور: المنوع الكثير المنع لنفسه من مضاجعة النساء، مع قدرته على ذلك. والنبيّ: من يكلفه الله بالدعوة والعمل. والصالحون: الذين يعملون ما يُرضي الله. ٣٩ قال أي: زكريا. وأنّى أي: كيف؟ والغلام: الولد. وبلغني: أدركني. والكبر: الهرم والشيخوخة. والمرأة: الزوجة. والعاقر: التي لا تحمل. وقال أي: جبريل. وكذلك أي: أمرُك مع زوجتك بخلق غلام منكما حاصل على ما بُشّرت به. ويفعل: يُحدث ويبدع. ويشاء: يريد أن يفعله. ٤٠ قال أي: زكريّا. واجعل أي: صيِّرْ. وآية: علامة على حمل زوجتي. وقال أي: الله على لسان جبريل. وألّا تكلم الناس: ألّا تخاطبهم بكلام. والناس: البشر من حولك. والرمز: الإشارة باليد أو الرأس أو الجفن. واذكر: استحضر في نفسك ولسانك وعظّم. وسبّح: صلِّ. والعشي: أواخر النهار. والإبكار: أوائله. ٤١ إذ قالت: وقت قولها. ومريم: أُمّ عيسى. واصطفاك: اختاركِ بالفضل والإكرام. وطهّرك: نزّهك وأبعدك عن الجماع وما يتصل به. والنساء: جمع نِسوة. والنسوة واحدتها امرأة. والعالَمون: أهل زمانك. ٤٢ اقنتي: أطيعي وتواضعي. وعُبّر بالسجود والركوع عن الصلاة. ٤٣ ذلك أي: ما ذُكر عن مريم وزكريّا. والأنباء: جمع نبأ، الخبر العجيب. والغيب: ما غاب عنك، أيها النبي. ونوحي: نبلّغك على لسان جبريل. ولديهم أي: عند المتنازِعين في كفالة مريم. ويلقون: يطرحون في الماء. والأقلام: جمع قلم، ما يُكتب به أو يكون في القُرعة. وأيّهم: مَن منهم؟ ويكفل: يربّي. ويختصمون: يختلفون ويتنازعون. ٤٤ المسيح معناه: الميمون المبارك لما فيه من الخير. والوجيه: ذو الجاه والعزّ. والدنيا: الحياة القريبة من البشر لأنهم فيها. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. والمقربون أي: المكرمون عند الله في علو المنزلة. ٤٥

الجزء الثالث — سورة آل عمران

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ
يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ
كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر
رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ
عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى
وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ
إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ
مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ
عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

المعنى العام: متابعة ما كان لمريم وزكريا بأنه عندما رأى تفضل الله عليها بالنعم طلب أن يرزقه ابنًا صالحًا، وأجابته الملائكة تبشره بيحيى مؤمنًا ونبيًّا، فتعجب أن يكون ذلك وهو عجوز وزوجته لا تلد، فأُجيب بأن البشارة متحققة بإرادة الله، فأراد علامة لحمل زوجته وأخبره الله أنها منعه من كلام الناس بغير الرمز ثلاثة أيام، مع التسبيح والعبادة.

ثم بشّرت الملائكة مريم باختيارها من نساء عصرها للعبادة والبعد عن الزواج، وبعيسى يولد من غير أب، يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة ومقرّبًا عند الله ـ وفي هذا ما يتضمن رفعه إلى السماء ـ وأمرتها الملائكة بالطاعة والعبادة لله.

ومجمل هذه الأخبار المفصلة عن زكريا ومريم لم يكن النبي ﷺ يعلمه، ،إنما جاءه بالوحي الرباني. فهو مثلًا لم يحضر ما كان من خلاف الأحبار واقتراعهم لكفالة مريم، ولا ما حصل من بشارة الملائكة لها، ولكن الله أوحى ذلك إليه.

الجزء الثالث | سورة آل عمران

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾
وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

تفسير المفردات: يكلم أي: يخاطب عيسى بالكلام المسموع. والناس: البشر من حوله. والمهد: ما يهيأ للوليد ينام فيه. والكهل: مَن قارب الأربعين. والصالحون: الذين يعملون ما يرضاه الله. ٤٦ قالت أي: مريم. وربّ أي: يا ربّي. حذف حرف النداء لما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وأنّى أي: كيف؟ والولد: الابن. ولم يمسسني أي: لم ينلني ناكحًا. والبشر: الإنسان الذكر. وقال أي: جبريل. وكذلك أي: خلقُ الولد من دون أب حاصل على ما بُشّرتِ به. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويَخلق: يُوجِد وينشئ من العدم. ويشاء: يريد خلقه. وقضى أمرًا: أراد شيئًا. وكن: احدُث وتكوّن. ويكون: يَحدث ويتكوّن. ٤٧ يُعلِّمه: يلهمه وحيًا وتدريبًا. والكتاب: الكتابة. والحكمة: وضع الأمور بعلم وإتقان. والتوراة: كتاب اليهود. والإنجيل: كتاب النصارى. ٤٨ الرسول: من يبلّغ الدعوة ويعمل بالكتاب الموحَى إليه. وبنو إسرائيل: ذرّيّة يعقوب من الحاميِّين السُّومريِّين. وجئتكم: أحضرت لكم. والآية أي: الآيات الدالة على صدق الرسالة. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. وأخلق: أُصوّر وأُشكّل على مقدار معيّن. والطين: التراب المجبول بالماء. والهيئة: الشكل. والطير: واحده طائر، ما يحلّق بجناحين. وأنفخ: أدفع نفَسي. ويكون: يصير. وبإذن الله: بإرادته. وأُبرئ: أشفي. والأكمه: الذي وُلد أعمى. والأبرص: الذي فيه البرص، بياض شديد يصيب بعض جلد الإنسان. وأحيي: أرد الروح إلى جسدها. والموتى: جمع ميت، من فارقت روحه جسده. وأنبئ: أُخبر عن طريق الوحي. وتأكلون: تتغذَّون به. وتدّخرون: تخبّئونه. والبيوت: جمع بيت، مكان الإقامة. وذلك أي: ما ذُكر من المعجزات. والآية: الدليل القاطع على صدق الرسالة. ومؤمنين: تتقبّلون الإيمان بحق. ٤٩ المصدِّق: مَن يثبت ما كان من حقٍّ. وبين يديّ: قبلي. وأُحل: أجعل حلالًا وعليه أجر. والبعض: الجزء. وحُرّم: جُعل في التوراة حرامًا. والآية هنا ما سيقوله في الآية ٥١. واتقوا الله: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه. وأطيعون: أطيعوني أي: استجيبوا لما جئتكم به. حذفت الياء للتخفيف ٥٠ الرب: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. واعبدوه: قدّسوه وحدَه وأطيعوه. وهذا أي: ما أدعوكم إليه والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل لا اعوجاج فيه ولا اضطراب. ٥١ لمّا: حينما. وأحس: علم. والكفر أي: ثباتهم على تكذيب رسالته وعدم تأثرهم بالآيات. والأنصار: الأعوان، جمع نصير. وإلى الله أي: مع الله. وقال أي: صرح بالقول. والحواريّون: جمع حواريّ. وهو الناصر الخالص النية. وآمنّا بالله أي: صدّقنا بوحدانيته. واشهدْ: كن شاهدًا لنا يوم القيامة. ومسلمون: مستسلمون لله في جميع أمورنا. ٥٢

المعنى العام: متابعة ما كان عن عيسى بأنه يكلم الناس وهو وليد وفي كهولته ويكون من الصالحين. فعجبت مريم أن تحمل وهي بكر عفيفة، وأُجيبت أن ذلك أمر الله القادر على كل شيء بمجرد الإرادة ـ وذكر الأمر ههنا بـ «كن» هو كناية عن سرعة الإيجاد، بإرادة نافذة من دون قول أو طلب ـ وسيتعلم عيسى الكتابة والشريعة وكتابي التوارة والإنجيل، ويكون رسولًا بمعجزات: خلق الطير من طين وإحياء الموتى وشفاء الأمراض التي أعجزت الأطباء وإعلام الناس بما يخفونه في بيوتهم. وكل ذلك بإرادة الله لا بقدرة عيسى. ثم يصدّق ما في التوراة ويحلل بعض ما كان محرمًا على اليهود. فهو عبد لله، جاء يأمرهم بتوحيده والتقوى والاستقامة على الطريق السويّ. ولكنهم أصرّوا على الكفر واتهام أُمّه واتهامه بالأباطيل.

وعندما تحقق لعيسى عليه السلام إصرار قومه على الكفر طلب من يعينه عليهم مع الله، فاستجاب له الحواريّون بأنهم أنصاره مع الله آمنوا مصدّقين، وطلبوا منه أن يشهد لهم بأنهم مسلمون...

تفسير المفردات: ربّنا:ياربنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وآمنّا: صدّقنا يقينًا. وأنزلت: أوحيت من الإنجيل والتوراة.واتّبعنا الرسول: وافقنا عيسى في كل ما يقول. واكتبنا أي: أثبِتْ أسماءنا برحمتك. ومع الشاهدين أي: مع أسمائهم واجعلنا فيما تكرمهم به. **٥٣** مكروا أي: خدع كُفّارُ اليهود ودبّروا المكايد بالخفاء. ومكَرَ الله أي: أوصلَ كيده إلى مستحقه، وهو سترُ حقيقة عيسى لإنقاذه. وخير الماكرين: أعلمهم وأقدرهم على ذلك. **٥٤** إذ قال الله أي: حين قوله. ومتوفّيك: قابضك وآخِذُك. ورافعك إليّ أي: ناقلك ومُصعِدك إلى محل كرامتي. ومطهّرك: مُبعِدك ومنقذك. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوتك. وجاعل أي: مصيّر. واتبعوك: صدّقوا نبوّتك. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. وإليّ أي: إلى لقاء حسابي. والمرجع: العودة بالحشر. وأحكم: أفصل بالحق. وفيه تختلفون: بسببه تختصمون. **٥٥** أعذّبهم: أُعاقبهم. والعذاب: التعذيب. والشديد: القوي. والدنيا: الحياة التي هم فيها. والآخرة: الحياة يوم القيامة. وما لهم: ليس لهم. ومن ناصرين أي: مانعون من العذاب. **٥٦** آمنوا: صدّقوا الله وصدّقوك. وعملوا: اكتسبوا من نية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الله. ويوَفِّيهم: يعطيهم عطاء غير منقوص. والأجور: جزاء أجورهم، جمع أجر. ولا يحبّ: يبغض ويعاقب. والظالمون: الكافرون. **٥٧** ذلك أي: المذكور أي: في الآيات ٣٥ـ٥٧. ونتلوه عليك: نقصه عليك، أيها النبيّ. والآيات: العلامات الدالة على صحة رسالتك. والذكر: مايذكّر بالحق. والحكيم: المُحكَم لا يتطرق إليه خلل. **٥٨** مَثل عيسى: شأنه الغريب في خَلقه. وعند الله أي: في تقديره وحُكمه. وكمَثل آدم: كشأن خلق آدم من غير أب. وخلقَه: أوجد شكله. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. وقال له أي: أمره بإرادته. وكن: احصل وتكوّن. ويكون: صار وتكوّن. **٥٩** الحق: الأمر الثابت أبدًا. ومن ربك أي: من عنده وبإرادته. ولا تكن: لا تصِر، أيها النبيّ. والممترون: الشاكّون في ذلك. **٦٠** حاجّك: جادلك. وفيه أي: في الأمر الحقيقي لعيسى. وجاءك: أُوحي إليك. والعلم أي: ما يوجب المعرفة إيجابًا قطعيًّا بالآيات البيّنات. وتعالوا: هلمّوا وائتوا. وندع: نطلب للاجتماع حقيقة أو بذكر الأسماء. والأبناء: جمع ابن. والنساء: جمع نسوة. والنسوة واحدتها امرأة. والأنفس: جمع نفس: حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ونبتهل: نتضرّع في الدعاء. ونجعل أي: نطلب الجعل بالدعاء. ولعنة الله: الطرد من رحمته. والكاذبون: الذين يقولون غير الحق.٦١

سورة آل عمران — الجزء الثالث

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ
ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ
ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ
إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ
فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا
لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾
ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ
مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾
فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ
أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

المعنى العام: متابعة ما كان من الحواريين أنهم آمنوا بما أوحى من الله الحق واتبعوا عيسى فيما جاء به، ودعوا الله أن يجعلهم مع الموحدين. لكن الكافرين من اليهود دبّروا لعيسى المكايد حتى حكموا عليه بالقتل، فقلب الله كيدهم عليهم، حين أنقذه من القتل والعدوان وقبض روحه ورفعه إليه، وألقى شَبَهه على أحد أنصاره فصلبه اليهود، وأوعدهم الله بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة ولا معين لهم، ووعد المؤمنين بالثواب الكريم.

وقد علم اليهود أن المصلوب غير عيسى، ولكنهم أشاعوا غير ماعلموا، للتضليل والإفساد. وحال عيسى عليه السلام في خلقه من غير أب تشبه حال آدم عليه السلام التي هي معروفة وأبلغ في الإقناع لأنه كان من تراب بدون أبوين.

وقد أمر الله محمدًا ﷺ أن يَثبت على الحق والدعوة، وأن يطلب ممن يجادله في خلق عيسى مباهلة، أي: أن يجمع كل من الجانبين أهله ويدعو الجميع بلعنة الكاذبين منهم. ولكن نصارى نجران، وكانوا حضروا إلى المدينة المنوّرة يجادلون في ذلك، امتنعوا عن المباهلة خوف انتقام الله ـ تعالى ـ منهم، ورجعوا إلى ديارهم مسالمين.

تفسير المفردات: هذا أي: ما ذُكر في الآيات من أخبار عيسى. والقَصص: الخبر. والحق: الصدق الثابت لا شكّ فيه. وما من إلٰهٍ: لا إلٰه أي: ما معبودٌ وحده. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعزيز: الغلاّب لا يُعجزه معاند ويَذِلّ لعزّته ماعداه. والحكيم: ذو الحكمة البالغة بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٦٢ تولَّوا: أعرض الكافرون عن الإيمان. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء قبل وجوده وبعده. والمفسدون: الداعون إلى الباطل والشر. ٦٣ قل أي: أيها النبيّ. وأهل الكتاب: أصحابه المكلفون باتباعه. والكتاب: التوراة والإنجيل. وتعالَوا: هلمّوا نجتمع ونتّفق. وكلمة أي: كلمات. وسواء: مُستوٍ أمرها أي: هي عدل وإنصاف. ولا نعبد: لا نقدس ولا نطيع طاعة مطلقة. ولا نشرك به: لا نجعل له شريكًا في الألوهيّة. والشيء: ماهو موجود أو محتملٌ وجوده أو متوهَّم. ولا يتّخذ: لا يجعل. وبعضنا أي: الواحد منّا أو الأكثر. والأرباب: جمع رب. وهو المعبود. ودون الله أي: غيره. وقولوا أي: أنت أيها النبيّ والمؤمنون. واشهدوا أي: نحن نُقرّ ونعترف، فاعلموا واعترفوا دائمًا. ومسلمون أي: موحدون. ٦٤ لِمَ تحاجّون أي: كيفَ يخاصم بعضكم بعضًا؟ وفي إبراهيم أي: بسبب دينه وأتباعه. وما أُنزلت: ما أُوحيت. والتوراة: كتاب اليهود. والإنجيل: كتاب النصارى. وبعده: بعد إبراهيم. وألا تعقلون أي: عليكم أن تستعملوا عقولكم لتعُوا وتدركوا الحق. ٦٥ ها أنتم هؤلاء أي: هؤلاء أنتم. وحاججتم: جادلتم وخاصمتم. وعلم أي: معرفة لِمَا كان في التوراة والإنجيل بحق. والعلم: الإدراك اليقينيّ. ويعلم: يحيط بجميع الأمور بالغ الإحاطة. ٦٦ اليهودي: من يتبع دين اليهود. والنصراني: من يتبع دين النصارى. والحنيف: المنحرف عن الأديان كلها إلى الإسلام. والمشرك: من يجعل مع الله شريكًا له في الأُلوهيّة. ٦٧ أولى الناس بإبراهيم أي: أحق البشر بدينه. واتّبعوه: صدّقوه وأطاعوه. والنبي: محمد ﷺ. وآمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. والوليّ: الناصر والمؤيد. ٦٨ ودّت: تمنّت وأحبّت. والطائفة: الجماعة. ولو يضّلونكم: أن يردّوكم عن دينكم -أيها المسلمون- ويوقعوكم في الكفر. وما يضلون أي: ما يُفسدون في الواقع. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وما يشعرون: لا يحسون ولا يعلمون أن الضلال هو مختص بهم. ٦٩ لِمَ تكفرون: كيف تكذّبون. والآيات: النصوص الربّانية. وتشهدون: تعلمون أنها الحق. ٧٠

الجزء الثالث — سورة آل عمران

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ
إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ
عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ
حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

المعنى العام: ما ذكر في الآيات المتقدمة هو الحق، والله متفرّد بالألوهية وغالب على تحقيق أمره وحكيم فيما يفعل، والمصرّون على الكفر هو يحاسبهم. فلْيقُلِ النبيّ ﷺ للكافرين جميعًا أن ينصف كل منهم الآخَرَ، بالتوحيد وألّا يعبد بعضهم بعضًا، كما يعبد اليهود أحبارهم وعُزيراً والنصارى رهبانهم والمسيح.

فقد روي أنه لما نزلت الآية ٦٤ قال عدي بن حاتم: ماكنّا نعبدهم، يا رسول الله. قال: «أَلَيسَ كانُوا يُحِلُّونَ لَكُم ويُحَرِّمُونَ، فتأخُذُونَ بِقَولِهِم»؟ قال: نعم. قال: «هُوَ ذاكَ». وهذا ما عليه بعض المتمسلمين الآن من الشرك.

ولّما تنازع اليهود والنصارى عند الرسول ﷺ في نسبة إبراهيم إلى دينهم نزلت الآيات ٦٤ـ ٦٨ بتكذيبهم جميعًا، لأنه كان مسلمًا وقبل اليهودية والنصرانية. فكيف يخاصمون فيما لا علم لهم به، وإن أحق الناس به من اتّبعه وكان من المسلمين والله وليّهم وناصرهم. ولكن بعض اليهود والنصارى يتمنّون تكفير المسلمين، ليكونوا مثلهم ، وهم في الحقيقة يضلّون أنفسهم، ويكفرون بآيات الله مع علمهم أنها الحق...

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا
بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ
الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ
يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا
مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا
خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

تفسير المفردات: أهل الكتاب: اليهود أصحاب التوراة والنصارى أصحاب الإنجيل. ولِمَ أي: لماذا؟ وتلبِسون: تخلطون. والحق: الصدق الذي أوحي على موسى وعيسى. والباطل: ما لا يثبت عند الاختبار من الأوهام. وتكتمون: تخفون. والحق: الأمر الثابت بلا شكّ. وتعلمون: تدركون ذلك باليقين. ٧١ قالت طائفة أي: قالت جماعة منهم للآخرين. والكتاب: التوراة. وآمِنوا أي: أظهِروا الإيمان والتصديق. وأُنزِل: أُوحي. وآمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. والوجه: الأول. والنهار: ما بين الفجر والغروب. واكفروا به: أنكروا أنه من عند الله. وآخره أي: آخر النهار. ولعلهم أي: ليُترجَّى للمسلمين. ويرجعون: يرتدون إلى الكفر أو الشرك. ٧٢ لا تؤمنوا: لا تصدقوا ولا تُقرّوا. وتبع: وافق. ودينكم أي: اليهودية. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. والهدى: الدلالة الحقيقية إلى الخير. وهدى الله: إرشاده وتوجيهه. وأن يؤتى أي: بأن يُعطَى. وأحد أي: إنسان. والمِثل: المماثل في الحق. وأُوتيتم: أُعطيتم ويحاجّوكم: يجادلوكم ويغلبوكم. وعند ربكم أي: عند لقاء حسابه وجزائه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والفضل: التفضل بالنعم والهداية. وبيد الله أي: في يده وتصرّفه وحده. ويؤتيه: يعطيه. ويشاء: يريد أن يؤتيه. والواسع: الكثير الفضل بلا حدود. والعليم: البالغ الإحاطة بمن يكون أهلًا للفضل. ٧٣ يختصّ: يختار ويميّز. والرحمة: العطف بالإحسان. وذوالفضل: صاحبه المتفرّد به. والعظيم: الذي لا مثيل له. ٧٤ من أهل الكتاب: بعض اليهود والنصارى. وتأمنه: تُودِع عنده. والقنطار: المال الكثير. ويؤديه: يرده وقت الطلب. والدينار: القطعة النقدية الذهبية. وما دمت أي: مدة استمرارك. والقائم: المُلِحّ بالطلب. وذلك أي: الامتناع عن أداء الأمانة. وبأنهم: حاصل لأنهم. والأميون: الذين ليس لهم كتاب سماوي. وسبيل أي: طريق إلى الذمّ. ويقولون: يختلقون. والكذب: ما هو مخالف للواقع. ويعلمون: يدركون ذلك باليقين. ٧٥ بلى أي: ليس الأمر كما زعموا بل عليهم ذمّ. وأوفى: أدّى كاملًا دون إخلال. والعهد: ما يَتعهَّد به من عقد أو عهد أو أمانة. واتقى: تجنب غضب الله وطلب رضاه بالطاعة في الأمر والنهي. ويحبّ: يودّ ويُكرم. ٧٦ يشترون: يستبدلون. وعهد الله أي: ما ألزم به وأوجبه. والأيمان: جمع يمين. وهو القَسَم. والثمن: ما يؤخذ عوضًا من المبيع. وقليلًا أي: يسيرًا مهما كثر. وأولئك أي: الموصوفون بما مضى. والخلاق: النصيب. والآخرة: الحياة بعد البعث. ولا يكلمهم أي: يوكل بكلامهم ملائكة العذاب. ولا ينظر إليهم أي: لا ينظر إليهم نظر رحمة وعطف. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. ولا يزكّيهم: لا يطهّرهم من الذنوب والآثام. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. ٧٧

ثلاثة أرباع الحزب ٦

المعنى العام: توبيخ ليهودَ والنصارى الذين يخلطون الصواب بالباطل، ويخفون ما عندهم وعند المسلمين من الحق بعلم وقصد، ويأمر بعضهم من اليهود بعضًا أن يضللوا المسلمين، بإظهار الإيمان معهم ثم التصريح بالكفر كل يوم، ويحذرونهم أن يعترفوا بما عندهم من صدق النبي ﷺ أو أحد غيره عدا ما عندهم، لئلاّ يكون ذلك حجة عليهم يوم القيامة. فعلى النبيّ ﷺ خطابهم بأن الهدى الحقيقي حاصل من عند الله، يعطيه من يريد من عباده، وهو واسع الفضل وعظيمه يعلم من هو أهل لاختصاصه بذلك.

وبعض أهل الكتاب مؤتَمنون يردّون الأمانة ولو كانت عظيمة، ومنهم من ينكرونها على صغرها ولا يؤدونها إلاّ بالقهر والعنف، لأنهم يدّعون أن في التوراة وجوب سلب أموال العربِ وأوطانهم وأرواحهم وأعراضهم، و كلٍّ من خالف اليهودية. والحق أن تلك الدعوى باطلة، وأن الله يحبّ ويكرم من يفي بالعهد ويتقيه، ومن يبيعون العهود الموثقة لا نصيب لهم من الخير يوم القيامة، بل يهينهم الله بالإعراض عنهم وبالعذاب الشديد.

تفسير المفردات: منهم أي: بعض اليهود. والفريق: الجماعة. ويلوون: يَحرفون في القراءة لتغيير المعنى. والألسنة: جمع لسان، عُبِّر به عن الفم آلة القراءة. وبالكتاب أي: مع قراءة التوراة. وتحسبوه: تظنوا ما حُرِّف، أيها المسلمون. وما هو أي: ليس ما حرّفوه وزوّروه. ويقولون: يزعمون. ومن عند الله أي: من وحيه على موسى. ويقولون: يفترون. والكذب: ما لا أصل له. ويعلمون: يدركون كذبهم. ٧٨ ما كان: ما ينبغي ولا يجوز. والبشر: الإنسان. ويؤتيه: يوحي إليه. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والكتاب: ما يوحى من الآيات. والحكم هو الحِكمة وفهم الشريعة. والنبوّة: التكليف بالعقيدة والشريعة دعوة وعملًا. والناس: بنو آدم. وكونوا أي: صيروا. والعباد: جمع عبد. وهو العابد المؤلِّه. ودون الله أي: غيره. ولكن أي: بل يقول لهم. وربانيّين أي: عالِين عاملين. وبما كنتم تعلّمون: لأنكم تعلِّمون وتفسّرون. وتدرسون: تقرؤون وتتابعون الفهم. ٧٩ لا يأمركم: لا يوجب عليكم. وتتخذوا: تجعلوا. والملائكة: مخلوقات من النور معصومة مطهَّرة، جمع ملَك. والنبي: من كلفه الله بالدعوة والعمل. والأرباب: جمع ربّ. وهو المعبود. وأيأمُركم أي. مستحيل أن يأمركم. والكفر: عبادة غير الله إشراكًا أو إفرادًا. وإذ: حين. ومسلمون: مصدّقون لنبيه منقادون للدين الحق. ٨٠ إذ أخذ الله: اذكر - أيها النبيّ - وقت تقبُّله وإثباته مؤكّدًا بالقسَم. والميثاق: العهد أي: فيما كلفهم من النبوات والكتب المنزلة. ولما آتيتكم أي: أُقسِم لَلشيءُ الذي أعطيتكم وأوحيته إليكم. والحكمة: فهم الشريعة. وجاءكم: وصل إليكم وبلّغكم. والرسول: من أُرسل بالدعوة إلى العقيدة والشريعة والعمل مع كتاب مقدّس. والمصدّق: المحقّق المثبّت. وتؤمننّ به: تصدّقُنّه بيقين ثابت وتستجيبُنّ إليه. وتنصرُنّه: تُعينُنّه على عدوّه بالدعوة والجهاد. قال أي: قال الله للنبيِّين. وأقررتم: اعترفتم. وأخذتم: قبلتم. وذلكم أي: ما ذُكر من الميثاق. والإصر: العهد. وقالوا أي: أجاب النبيّون كل منهم على حِدة. وقال أي: الله لهم. واشهدوا: كونوا شهداء بعضكم على بعض. والشاهدون: الذين يؤدّون الشهادة بالحق. ٨١ تولّى: أعرض عن الإيمان بمحمد ﷺ ونصرته. وذلك أي: الميثاق المؤكد بالقسم. والفاسقون: الذين خرجوا عن الحق إلى الباطل. ٨٢ أغير دين الله يبغون أي: كيف يريد أهل الكتاب غير دين الإسلام؟ وله أسلم أي: لله انقاد بالإيمان أو الخضوع للسلطان. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلويّة. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وطوعًا أي: طائعًا. وكرهًا أي: مُكرَهًا مضطرًّا. وإليه: إلى لقاء حساب الله يوم القيامة. ويرجعون أي: يُردّ البشر بالبعث. ٨٣

الجزء الثالث سورة آل عمران

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ
مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ
وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ
بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي
قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

المعنى العام: متابعة قبائح اليهود بأن بعضهم يحرِّفون التوراة بتغيير اللفظ وحذف ما لا يرضيهم من العقيدة والشريعة والبشارة بمحمد ﷺ ويدَّعون بالباطل أن ما حرّفوه هو كلام الله، ليضلوا الناس عن الإسلام.

ولمّا ادّعى بعض النصارى أن النبي ﷺ يأمر المسلمين بالسجود له نزلت الآيات تنفي أن يفعل الأنبياء ذلك، وتبين أن كل واحد منهم يأمر الناس بالتوحيد. فمحال أن يأمر بالكفر بعد الإيمان، لأنهم جميعًا عند التكليف بالرسالة عاهدوا الله على تصديق التوحيد و من يكون مثلهم، وشهدوا على أنفسهم مع شهادة الله بذلك.

وعندما اختصم اليهود والنصارى إلى النبي ﷺ للحكم في اتّباعهم دينَ إبراهيم، ونفى عنهم النبي الكريم ذلك، غضبوا وقالوا: والله ما نرضى بقضائك ولانأخذ بدينك. فنزل توبيخهم وإنكار ما يطلبونه من مخالفة دين الله، وقد خضعت المخلوقات له بما فطرها عليه من الأحوال، وسوف يحاسب كلٌّ بما فعل.

تفسير المفردات: قل أي: لأهل الكتاب ممن يجادلك ـ أيها النبيّ ـ في الإيمان بالرسل. وآمنّا بالله أي: آمنتُ أنا والمسلمون بوحدانيّته. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأُنزل: أُوحي من عند الله. وعلينا أي: على الأنبياء وأنا منهم. إبراهيم هو خليل الله، أُرسل بالتوحيد في السُّومريِّين الحاميِّين في العراق، وانتقل إلى فلسطين ومصر وصار يزور مكة. وإسماعيل: ابن إبراهيم من زوجته العربية هاجَر وهو أبو العرب العدنانيين. وإسحاق: ابن إبراهيم من زوجته الحاميّة سارة وهو جد اليهود. ويعقوب: ابن إسحاق ولقبه إسرائيل. والأسباط: جمع سِبط. وهم قبائل بني إسرائيل تفرعت من أولاده. وأُوتي: أنزل عليه مكلفًا بالدعوة. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. وعيسى: نبي النصارى. والنبي: من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. ومن ربهم: من عنده وبأمره. ولا نفرق: لا نميّز في صحة الرسالة والدعوة. وبين أحد منهم أي: بينهم جميعًا. وله أي: لله وحده. ومسلمون: خاضعون منقادون بإيمان واحتساب. ٨٤ ويبتغي: يطلب ويتبع. والإسلام: الدين الإسلامي. ودينًا أي: عقيدة وشريعة. ولن يقبل أي: لن يرضى. والآخرة: الحياة بالبعث يوم القيامة. والخاسرون: الذين ضيّعوا ما كانوا ينتظرون واستحقوا العقاب. ٨٥ كيف يهدي أي: مستحيل أن يوفق في الحق. والقوم: الجماعة من الناس. وكفروا: أنكروا التوحيد والبعث. والإيمان: تصديق الله ورسوله. وشهدوا: اعترفوا بالقلب واللسان. والرسول: محمد ﷺ. وحق أي: صادق لا شك في رسالته. وجاءهم: وصل إليهم وبلّغهم. والبيّنات: الحُجج الواضحة. والظالمون: الذين يضعون الأمور في غير مواضعها بالكفر والشرك. ٨٦ أولئك أي: المرتدون عن الإسلام. والجزاء: المعاقبة. واللعنة: الطردُ من الرحمة والدعاءُ بذلك. والملائكة: جمع ملَك. وهم مخلوقون نورانيون. والناس: البشر. وأجمعين: كلهم. ٨٧ خالدين: مقيمين أبدًا. ولا يخفّف: لا يقلّل ولا يخفّض. ولا هم أي: ليسوا. ويُنظرون: يؤخر عنهم العذاب ليعتذروا. ٨٨ تابوا: تركوا الكفر ورجعوا إلى الإيمان. وذلك أي: الارتداد. وأصلحوا: طهّروا عملهم وجعلوه مما يرضاه الله وردّوا الحقوق إلى أصحابها. والغفور: الكثير السترِ للذنوب وعدمِ المؤاخذة عليها. والرحيم: الكثير الرحمة والعطف والعصمة للمؤمنين. ٨٩ كفروا: كذّبوا الرسالة والقرآن الكريم. والإيمان: التصديق بالقلب واللسان. وازدادوا: تضاعفوا حتى موتهم. ولن تقبل: لن يرضى بها. والضالون: المتناهون في الخروج عن الحق. ٩٠ ماتوا: فارقت أرواحهم أجسادهم. والكُفّار: جمع كافر. وهو من كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. وأحدهم: الواحد منهم. والملء: مقدار ما يملأ. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والذهب: المعدِن الأصفر الثمين. ولو افتدى أي: وإن أراد إنقاذ نفسه. والعذاب: التعذيب يوم القيامة. والأليم: المؤلم جدًّا. وما لهم: ليس لهم. ومن ناصرين أي: مانعون من العذاب. ٩١

الجزء الثالث سورة آل عمران

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ
دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾
كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟
أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ
ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

المعنى العام: أن يعلن النبي ﷺ على أهل الكتاب إيمان المسلمين بكل ما أوحي إلى الأنبياء دون تفرقة بينهم مع الاستسلام لله، وأن من طلب غير ذلك فلن يقبل منه وهو يخسر الدنيا والآخرة.

وعندما ارتدّ بعض المسلمين ثم كتبوا إلى أهلهم يتساءلون: «هل لنا من توبة»؟ نزلت الآيات ٨٥ ـ ٨٩ بتفظيع عذاب المرتدّين وقبول التوبة، فرجعوا إلى الإيمان. ولكن محال أن يوفق الله من جاءه الحق وعرفه وآمن به ثم ارتدّ عنه بإصرار وعناد؟ أما التائبون معاهدين على الثبات فلهم المغفرة والرحمة. ونزل في اليهود أنهم بعد إيمانهم بموسى كفروا بعيسى ثم بمحمد ﷺ. فلن تكون لهم توبة بعد الموت، ولا يقبل منهم فداء مهما كثر، ولهم أشد العقاب بلا معين.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

الجزء ٤ الحزب ٧

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي
إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ
التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا
فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾

تفسير المفردات: تنالوا: تدركوا وتحصّلوا، أيها المؤمنون. والبر: التقوى والإحسان في عمل الخير. وتنفقوا: تبذلوا وتتصدّقوا. وتحبون: تفضلونه وترغبون فيه. وما تنفقوا: أيّ مال أو عون أو جهاد تبذلوا. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعليم: المبالغ في الإحاطة. ٩٢ الطعام: ما يؤكل أو يشرب للغذاء أو التلذذ غير ضارّ. والحلّ: الحلال المباح وعليه أجر. وبنو إسرائيل: اليهود السُّومريُّون الحاميُّون. وحرّم إسرائيل: جعله يعقوب ممنوعًا كلحم الإبل وألبانها. وعلى نفسه أي: عليه وحده. وتُنزَّل: تُوحَىٰ. والتوراة: الكتاب المنزل على موسى، معناه الشريعة أو الناموس. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. وائتوا بالتوراة: أحضروها. واتلوها: اقرؤوا ما فيها. وصادقين: تقولون الحق. ٩٣ افترى: اختلق واصطنع. والكذب: القول الباطل. وذلك أي: ظهور الحقيقة في التحريم والتحليل. والظالمون أي: لأنفسهم بادّعاء للكذب. ٩٤ قل أي: أيها النبيّ. وصدق الله: ثبت صدقُه وكذبُكم. واتّبعوا: الزموا بالإيمان والعمل. والمِلّة: الدين والشريعة. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. والحنيف: المائل عن جميع الأديان إلى الإسلام. والمشركون: الذين يعبدون مع الله بعض المخلوقات. ٩٥ البيت: البناء المشيّد. وللناس أي: ليكون مركز العبادة للبشر. وبكة: مكة المكرمة. ومباركًا: عامرًا بالخير والنعم. وهدى: هاديًا لتوجّه العبادة. والعالَمون: الجنس من الخلق أي: الناس. ٩٦ والآيات: الأدلّة على القدسيّة والحُرمة. والبيّنات: الواضحة الدلالة. والمقام: موضع القيام. وهو الحجر الذي كان يقف عليه. ودخله: دخل البيت الحرام. وكان: صار. والآمن: البعيد من الأذى. والحجّ: العبادة المفروضة بزيارة مكة. والبيت: الكعبة المشرّفة. واستطاع: قَدَر وتمكن. والسبيل: الوسيلة من حاجات الحج. وكفر: كذّب وحدانية الله وأحكامه. والغني: المستغني بذاته وصفاته. والعالمون: أجناس المخلوقات جميعًا. ٩٧ أهل الكتاب: اليهود والنصارى. ولِمَ أي: كيفَ؟ وآيات الله: القرآن الكريم. والشهيد: العالم المطّلع. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ٩٨ تصدّون: تمنعون. وسبيل الله: ما شرع للناس. وآمن: صدّق التوحيد وما يلزمه. وتبغونها: تطلبون سبيل العمل. وعوجًا: مُعْوَجّة منحرفة. والشهداء: جمع شهيد، العالم بالحقيقة. وما الله أي: ليس الله. وبغافل: ساهيًا مهملًا. ٩٩ تطيعوا: توافقوا وتتتابعوا. والفريق: الجماعة. وأوتوا: أُعطوا. والكتاب: التوراة والإنجيل. ويردوكم: يجعلوكم. والإيمان: التصديق اليقينيّ. وكافرين: جاحدين للحق. ١٠٠

المعنى العام: أن الإحسان في العمل يكون بالإنفاق مما يحبه الإنسان، والله يعلم ما يكون من ذلك في بذل وعون وجهاد.

وعندما اتهم اليهود النبيَّ ﷺ بأنه يخالف دين إبراهيم لأنه يأكل لحم الإبل، نزلت الآية بأن كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل،ولكنّ يعقوب هو الذي حرم لحم الإبل على نفسه لمرض أصابه منه، وهذا كان بعد إبراهيم ولا علاقة له بالشريعة، ولو جئتم بالتوراة وراجعتموها لتبيّن أنه لا شيء فيها من ذلك. فمن يصطنع الأباطيل يظلم نفسه، وقد ثبَتَ ما أوحاه الله وبُطلانُ مازعموه.

والبيت الأول المخصص للعبادة هو الكعبة، والأوّليّة هي التقدّم في تخصيص التعبد، لا التقدم في الزمن على بناء جميع البيوت. وليس في الحديث الشريف ذكر لعمل الملائكة في ذلك، وإنما الثابت أن إبراهيم هو أول من رفع أُسس المسجد الحرام وبناه، وكان قبله تلًا لا بناء. وفي هذا البيت خير كثير وهداية وأمن، ومن أنكر ذلك فضرره على نفسه والله محاسبه. واليهود والنصارى يمنعون المسلمين من الإيمان و التوجّه إلى الكعبة، لينحرفوا بهم عن الحق، ومن أطاعهم ارتد عن الإيمان إلى الباطل...

تفسير المفردات: كيف تكفرون أي: لا يجوز أن يحصل منكم ـ أيها المسلمون ـ ما يناقض الإيمان. وتتلى: تقرأ. والآيات: ما جاء في القرآن الكريم. ورسوله: من كلفه بالدعوة والإرشاد. ويعتصم بالله: يتمسك بدينه وطاعته. وهُدِي: أُرشد وصُرف. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل لخير الدنيا والآخرة. ١٠١ آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. واتقُوا الله: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة. وحق تقاته: تقواه الكاملة. ولا تموتُنّ: لا تفارقوا الحياة. ومسلمون أي: ملتزمون للدين الإسلامي. ١٠٢ اعتصموا: تمسّكوا. والحبل: ما يُربط به أو يُتمسّك به للنجاة. وحبل الله: دين الإسلام. وجميعًا أي: مجتمعين على قلب واحد. ولا تفرّقوا: لا تتفرّقوا أي: لا تنقسموا فئات متخاصمة والزموا الوحدة والوفاق. حذفت التاء الثانية للتخفيف. واذكروا: استحضروا في نفوسكم، واعملوا ما يلزم ذلك من حرص وشكر باللسان والفعل. والنعمة: التفضل بالخير. وإذ: حين. والأعداء: المتعادون، جمع عدو. وهو المعادي والمخاصم. وألّف: جمع. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يمدّ الدماغ بذلك مع ماء الحياة الخالص. وأصبحتم: صرتم. وإخوانًا: جمع أخ، أي: متحابّين متناصرين كالإخوة في النسب. والشفا: الطرف. و الحفرة: المكان المحفور، أي: الهوّة السحيقة. والنار: نار جهنم. وأنقذكم: نجّاكم وخلّصكم. ومنها: من الوقوع في الحفرة. وكذلك أي: مثلَ ما بُيّن في الآيات المتقدّمة من الأحكام والحقائق. ويبيّن: يوضح. ولعلكم أي: ليكون لكم الترجّي. وتهتدون: تدومون على الرشاد إلى الحق والخير. ١٠٣ لتكن أي: لتحصل وتوجد. ومنكم أي: بعضكم. والأُمّة: الجماعة. ويدعون: يوجّهون ويحضّون. والخير: ما ينفع في الدنيا والآخرة. ويأمرون: يوجبون ويُلزمون. والمعروف: ما حسُن شرعًا وعقلًا. وينهون: يمنعون ويدفعون. والمنكر: ماقبّحه الشرع. وأولئك أي: الداعون والآمرون والناهون. والمفلحون: الفائزون بالخير العميم. ١٠٤ لا تكونوا: لا تصيروا بعد الوحدة والاتفاق. واختلفوا: تنازعوا واختصموا. وجاءهم: أتاهم. والبيّنات: ما كان في التوراة والإنجيل. وأولئك: المتفرّقون المختلفون. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والعظيم: الفظيع لا مثيل له. ١٠٥ اليوم: الوقت. وتبيَضّ: تصير نقيّة بالنور والسرور. والوجوه: جمع وجه، مقدَّم الرأس. وتسوَدّ: تصير سوداء بالكآبة والخوف. وأكفرتم أي: يقال لهم للتوبيخ: كيف كفرتم وتفرقتم؟ والإيمان: اعتقاد التوحيد وما يلزمه. وذوقوا: تحسّسوا بأجسامكم وأرواحكم. وبما تكفرون: بسبب كفركم. ١٠٦ الرحمة: العطف بالعفو والإحسان. وخالدون: مقيمون أبدًا. ١٠٧ تلك أي: هذه معظّمةً. ونتلوها: نبيّنها ونوحيها على لسان جبريل. وبالحق أي مصاحبةً الصدق. وما الله أي : ليس الله. ويريد: يقصد. والظلم: عقاب غير المذنب. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ١٠٨

الجزء الرابع — سورة آل عمران

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ
رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا
تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَٱخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

المعنى العام: لا يجوز لكم أن تكفروا ـ أيها المسلمون ـ والقرآنُ والسُنّة بين أيديكم. والاعتصامُ بالله يهدي إلى الطريق القويم. فأطيعوا الله الطاعة المناسبة لجلاله وعظمته، والنهيُ في «لا تموتن إلّا وأنتم مسلمون» هو نهي عن ترك الإسلام لا عن الموت، أي: والزموا الإسلام حتى الموت، واحذروا التفرق والخلاف، وتذكروا فضل الله عليكم، حين أزال العداوة بينكم، وجمعكم على الحق، وأنقذكم من نار جهنم.

ويجب أن يكون فيكم من يأمر بالخير ويمنع الشر، وهو الفائز بخير الدنيا والآخرة. ولا تكونوا كاليهود والنصارى في اختلافهم وخصامهم، لئلّا يتحقق لكم عذاب شديد يوم القيامة، حين تسودّ وجوه الكافرين ويوبّخون ويعذبون، وتبيضّ وجوه المؤمنين وينالون رحمة الله الأبدية. هذه الآيات العظيمة يوضحها الله لئلّا يُظلم أحدٌ بالجزاء.

تفسير المفردات: لله أي: مُلكه ومستحَقه وحده. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وإلى الله: إلى حكمه وحسابه. وترجع: تصير. والأُمور: جمع أمر، وهي شؤون الخلق كله. **١٠٩** كنتم أي: أنتم. وخير أي: أفضل وأنفع. والأُمّة: الجماعة من الناس على دين واحد. وأُخرجت أي: خلقها الله وأظهرها. والناس: البشر. وتأمر: توجب وتُلزم. والمعروف: ما حسّنه الشرع. وتنهى: تمنع. والمنكر: ما قبّحه الشرع. وتؤمنون: تعتقدون التوحيد يقينًا. وآمن: صدّق الله ورسوله. وأهل الكتاب: أصحاب التوراة والإنجيل. وكان أي: صار إيمانهم. وخيرًا لهم أي: أكثر نفعًا مما يتوهمونه من الإيمان بموسى أو عيسى وحده. ومنهم أي: بعضهم. وأكثرهم: الغالبية العظمى منهم. والفاسقون: الخارجون عن طاعة الله. **١١٠** لن يضرّوكم: لن يسببوا لكم الضرر الحقيقي. والأذى: الإيذاء اليسير. ويقاتلوكم: يحاربوكم بالسلاح وما يشبهه. ويولُّوكم أي: يوجّهوا إليكم بالهرب. والأدبار: جمع دبر. والمراد بها هنا ظهورهم. ولا يُنصرون: لا يساعَدون ليتغلبوا عليكم. **١١١** ضُربت عليهم أي: أحاطت بهم وطُبعت عليهم. والذِّلّة: الاستخذاء وهوان النفس. وأينما ثقفوا: حيثما وُجدوا. وبحبل من الله أي: مع عهد وذمة من عنده وبأمره.

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ — الجزء الرابع

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ
أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ
وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ
عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ
وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ
حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ
مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ
وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ
وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ
فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ
مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

والناس: البشر من المسلمين وغيرهم. وباؤوا: رجعوا في حياتهم. وبغضب: مصاحبين سخطًا وانتقامًا. والمسكنة: التذلّل والتخضّع والتشبه بالمساكين والعاجزين. وذلك أي: ما هم عليه من الجبن والخذلان والذلّ والمسكنة. وبأنهم: حاصل لأنهم. ويكفرون: يكذّبون. والآيات: النصوص الربّانيّة. ويقتلون: يزهقون الأرواح. والنبيّ: من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. وبغير حق: بالظلم والعدوان. وبما عصوا: بسبب مخالفتهم أمر الله. ويعتدون: يتجاوزون الحلال إلى الحرام. **١١٢** سواءً أي: متساوين في الصفات والأعمال. والأُمّة: الجماعة. والقائمة: الثابتة على الحق. ويتلون: يقرؤون في تهجّدهم. والآناء: جمع أَنَى، الوقت. والليل: ما بين الغروب والفجر. ويسجدون: يضعون جباههم على الأرض عبادة. **١١٣** اليوم: الوقت. والآخر: المتأخر بالبعث بعد الموت. ويسارعون: يبالغون في السرعة. والخيرات: جمع خَيْرة، الخصلة النافعة. والصالحون: الذين صلَحت أحوالهم عند الله. **١١٤** ما يفعلوا: أيَّ شيء يكتسبوا بنية أو قول أوعمل. ولن يُكفَروه: لن يَعدَموا ثوابه وسينالونه كاملًا. والعليم: البالغ الاطلاع. والمتقون: من يتجنّبون غضب الله ويطلبون رضاه. **١١٥**

ربع الحزب ٧

المعنى العام: أن ملك الكون بما في السماوات والأرض وغيرها لله وحده، وإليه تعود أمور المخلوقات في التقدير والحكم.

وعندما قال اليهود للصحابة: «ديننا خير مما تدعوننا إليه، ونحن خير وأفضل منكم»، نزلت الآية تكذّبهم وتبيّن أن المسلمين خير أمة بإيمانهم وأعمالهم، ولن يصيبهم من اليهود والنصارى إلّا اليسير من الإيذاء ولهم عليه أجر عظيم، وإذا أراد اليهود حرب المسلمين هُزموا ولم يكن لهم نصر، لِما هم عليه من المذلة. وهذا هو ما يتصفون به، ولو احتموا بكل سلاح ودولة. فهم لا يواجهون المسلمين بقتال حقيقي. ولا حماية لهم إلّا بدخولهم في الإسلام فيكون لهم عهد الله، مع حماية المؤمنين بمسالمتهم.

إنهم دائمًا خائفون مهدَّدون في ذلة وصَغار، وإن كان لهم ظاهر قوة، أو حماية من جماعات كافرة ذات سلطان وفئات متمسلمة منافقة تنقاد للكافرين. فلقد غضب الله عليهم وألزمهم التذلل والحقارة والتضعضع، لأنهم كفروا بالآيات وقتلوا الأنبياء ظلمًا وخالفوا أمر الله وتجاوزوا كل حدّ مشروع، ثم وافقتهم ذرّيّتهم على ذلك فكانت مثلهم في اللعنة والمذلة والهوان والانهزام. لكن بعضهم آمنوا بالإسلام وعملوا بشريعته، والله عليم بهم ومحيط بما يعملون ومجازيهم على تقواهم برحمته وفضله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦
مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا
ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١١٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ١١٨
هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ
مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ
بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١

تفسير المفردات: الذين كفروا: المشركون وأهل الكتاب والمجوس والملحدون. ولن تغني: لن تدفع ولا تمنع. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد من الذكور والإناث. ومن الله أي: من عذابه. وشيئًا: أيّما إغناء! وأولئك أي: الكافرون. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء لا يفارقه. والنار: نار جهنم. وخالدون أي: مقيمون أبدًا. ١١٦ المَثَل: الصفة العجيبة تذكر للاعتبار. وينفقون أي: يبذلونه للمفاخرة والبغي ودفع الناس عن الإيمان. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منهم وهم فيها. وكمثل أي: كحال وصفة. والريح: الهواء المتحرك بشدّة. والصرّ: الشديد من الحر أو البرد. وأصابت: نالت. والحرث: المحروث المزروع من النبات. والقوم: الجماعة من الناس. وظلموا: جاروا وسببوا الخسارة والعقاب. والأنفس: جمع نفس. ونفس الإنسان: حقيقته وشخصه. وأهلكته: دمرت الحرث وأتلفته. وما ظلمهم أي: لقد عدل في عقابهم بضياع ما أنفقوا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويظلمون: يؤذون ويعتدون. ١١٧ آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ولا تتّخذوا: لا تجعلوا. والبطانة: الأصدقاء تُسَرُّ إليهم الأمور والأحوال. ودونكم: غيركم. ولا يألونكم: لا يقصّرون في عدوانهم عليكم. والخبال: الإفساد. وودّوا: تمنّوا. وما عنتّم: شِدّة ضرركم. وبدت: ظهرت. والبغضاء: كرههم الشديد. والأفواه: جمع فَوه. وهو الفم. وتخفي: تكتمه. والصدور: جمع صدر، يراد به القلب. وأكبر أي: أعظم مما يظهر. وبيّنّا لكم: أوضحنا لأجلكم. والآيات: الأدلة القاطعة. وتعقلون: تستخدمون عقولكم للاستفادة من المواعظ. ١١٨ ها أنتم أولاء أي: هؤلاء أنتم. وتحبّونهم: تودّونهم. وتؤمنون بالكتاب: تعتقدون أن الكتب السماوية كلها هي من عند الله. ولقوكم: التقوا بكم. وقالوا أي: لكم. وآمنّا: صدّقنا الله ورسوله. وخلوا: انفرد بعضهم ببعض. وعضوا: أطبقوا أسنانهم بعنف.وعليكم: لأجل ائتلافكم. والأنامل: جمع أُنملة، أطراف الأصابع. ومن الغيظ: بسبب شدة الغضب. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. وموتوا بغيظكم أي: عيشوا مع غضبكم حتى الموت. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وذات الصدور: المضمَرات في القلوب. ١١٩ تمسُّكم: تأتيكم. والحسنة: النعمة. وتسوءُهم: تحزُنهم. وتصيبكم: تنزل بكم. والسيئة: المصيبة. ويفرحوا بها: يُسرّوا بسببها. وتصبروا: تتجلّدوا على أذاهم. وتتّقوا: تتجنّبوا غضب الله وتطلبوا رضاه بالإخلاص والجهاد. ولا يضرُّكم: لا يؤذيكم. والكيد: المكر وتدبير الفتن. وشيئًا: أيّما ضرر! ويعملون: يدبرون من الشر. ومحيط: عالم ومُجازٍ لهم. ١٢٠ إذ غدوت: اذكر حين خرجت لغزوة أُحُد. ومن أهلك أي: من مكان إقامتهم. وتبوّئ: تعطي وتُوقف. والمقاعد: جمع مقعد، مكان الوقوف. والقتال: الحرب للمشركين. والسميع: المدرك للمسموعات وما دونها. ١٢١

المعنى العام: أن الكافرين لا تفيدهم أموالهم وأولادهم يوم القيامة، وما ينفقونه في البغي وحرب الإسلام يَظلمون به أنفسهم، كما تذهب الرياح العاتية بالنبات والثمار للمعتدين الآثمين.

وعلى المسلمين ألّا يصادقوا أعداء دينهم الذين يسببون الفساد ويتمنّون الأذى لهم بالقول وإضمار الحقد الشديد. فأنتم تحبونهم وتؤمنون بالتوراة والإنجيل أيضًا، وهم يدّعون أنهم معكم ثم يتمزقون من الغيظ لوحدتكم وانتصاركم ـ فليموتوا بغيظهم ـ وهم يتألمون للخير يأتيكم، ويفرحون للشر الذي يصيبكم، ولكن صبركم مع الإخلاص والجهاد يمنع عنكم أذاهم.

واذكر ـ أيها النبيّ ـ للعظة والاعتبار ما كان وقت خروجك من المدينة تنظم الجيش للقتال في أُحُد، إذ كان من المنافقين ما سيلي...

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ
أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا
ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

تفسير المفردات: إذ همّت: حين قصدت. والطائفة: الجماعة. ومنكم: من المؤمنين. وتفشل: تجبن وترجع من الميدان كما فعل المنافقون. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والوليّ: من يتولى الأمر ويساعد صاحبه. ويتوكّل: يعتمد باطمئنان في جميع الأُمور. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. **١٢٢** نصركم: أعانكم فانتصرتم. وببدر: في غزوة بدر. والأذلة: جمع ذليل أي: ضعيف. واتقوا الله: تجنّبوا غضبه والزموا رضاه بالطاعة للأمر والنهي. ولعلكم: ليُترجَّى لكم. وتشكرون: تستحضرون النعمة في أنفسكم وتذكرونها، وتثنون على منعمها بالقلب والقول والفعل. **١٢٣** تقول أي: أيها النبيّ. وألن يكفيكم أي: إنه يغنيكم وينصركم. ويمدكم: يعينكم. والرب: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. والآلاف: جمع ألْف. والملائكة: مخلوقات من النور، جمع ملَك. والمُنزَلون: من أنزلهم الله من السماء لقضاء أمره. **١٢٤** بلى أي: نعم إنه يكفيكم. وتصبروا: تضبطوا أنفسكم وتتجلّدوا في القتال. ويأتوكم: يقابلكم المشركون للحرب. والفور: الحالة التي لا بطء فيها. ومسوّمين أي: جُعلت لهم علامات المحاربين. **١٢٥** ما جعله: ما أوجد العون بالملائكة. والبشرى: البشارة بما يَسرّ. وتطمئن: تسكن وتثبت بعزم. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والحماسة. وبه أي: بسبب الإمداد المذكور. وما النصر: ليس التغلب على العدوّ. ومن عند الله أي: بأمره وقضائه. والعزيز: الذي لا يُغلب فيما يريد. والحكيم: ينصر ويخذل بالحكمة والمصلحة للجميع. **١٢٦** ليقطع: لأجل أن يُهلك. والطرف: الفئة. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ويكبتهم: يذلّهم بالهزيمة. وينقلبوا: يصيروا. وخائبين: خاسرين منقطعي الآمال. **١٢٧** الأمر: الحكم في شأن المشركين. والشيء: ماهو موجود أو محتملٌ وجوده. وأو يتوب عليهم أي: أو أن يقبل توبتهم. ويعذّبهم: يحكم عليهم بالعذاب. وظالمون أي: لأنفسهم بالكفر والبغي. **١٢٨** لله أي: مُلكه ومستحَقه وحده. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويغفر: يستر الذنب ويعفو عنه. ويشاء: يريد أن يغفر له أو يعذبه. والغفور: الكثير الستر للذنوب وعدمِ المؤاخذة عليها. والرحيم: العظيم العطف بعون المؤمنين. **١٢٩** آمَنوا: صدقوا الله ورسوله. لا تأكلوا أي: لا تأخذوا ولا تقبلوا. والربا: الزيادة الخالية عن عوضٍ شُرطَتْ للمَدين. والأضعاف: جمع ضِعف، المِثل في القدر. والمضاعفة: المكرَّرة. ولعلكم تفلحون أي: لرجاء فوزكم بخير الدنيا والآخرة. **١٣٠** اتقوا النار: تجنبوا ما يوجب التعذيب بنار جهنم. وأُعدّت: هُيّئت وجُهّزت. **١٣١** أطيعوا الله أي: استجيبوا لِما أمر ونهى. والرسول: محمد ﷺ. ولعلكم ترحمون: ليُترجَّى لكم عطف الله بالإحسان. **١٣٢**

المعنى العام: انخزل المنافقون عنكم ـ إيها المؤمنون ـ وأرادت قبيلتان مؤمنتان الرجوع مثلهم فثبّتهما الله. وقد كان نصرَكم في بدر مع ضعفكم ـ فاتقوا الله لتشكروا نعمه ـ حين بشركم النبي ﷺ بإرسال الملائكة ثلاثة آلاف لعونكم، كما يُعِين بهم أتقياء العلماء لمباركة نتاجهم، ثم زاد عددهم بشارة بالنصر وتطمينًا لكم بأن العون من عند الله، ليخزي الكافرين ويجعلهم خائبين.

وعندما كاد النبي ﷺ يدعو في أُحد على المشركين بتعجبه أن تكون لهم هداية بعدُ لِما آذوه به، نزلت الآية بأن أمرهم لله، وليس للنبي الكريم شيء من ذلك، بأن يؤمنوا فيتوب الله عليهم، أو يصرّوا على الكفر فيعذبهم، وله ملك المخلوقات كلها، يحاسب الناس بمشيئته ورحمته.

وعلى المسلمين أن يتركوا الربا مطلقًا، لا مقيدًا بالأضعاف المضاعفة، وإنما ذُكر الأضعاف هنا للتوبيخ. وبذلك يتقون الله، ويتجنبون عذاب النار المهيّأة للكافرين، ويطيعون الله ورسوله لتكون لهم الرحمة...

تفسير المفردات: سارعوا: أسرعوا بحزم. والمغفرة: ستر الذنوب والعفو عنها. ومن ربكم أي: من عنده برحمته والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها القصور والأشجار والأنهار والنعيم. وعرضها: سعتها ومِساحتها. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم علوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وأُعدّت: هُيّئت وأُحضرت. والمتقون: الذين يتجنّبون غضب الله ويسعون لرضاه. ١٣٣ ينفقون: يصرفون ويبذلون. والسرّاء: حالة السرور. والضرّاء: حالة الضرر. والكاظمون: الذين يحبسون في نفوسهم. والغيظ: الغضب الشديد. والعافون: المسامحون بعدم عقوبة الظلم. والناس: من حولهم من البشر. ويحبّ: يودّ على ما يليق بجلاله فييسر الخير. والمحسنون: الذين يفعلون الخير بإخلاص. ١٣٤ فعلوا: ارتكبوا. والفاحشة: الذنب القبيح. وظلموا أنفسهم: جاروا عليها بالسيئات. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان. وذكروا الله: تذكروا وعيده وعقابه وقبوله للتوبة. واستغفروا: طلبوا العفو وعدم المؤاخذة. والذنوب: جمع ذنب. وهو ما يستحق العقاب. ومن يغفر أي: لا أحد يعفو ويمحو. ولم يصروا: لم يدوموا. ويعلمون: يدركون وجوب التوبة. ١٣٥ أولئك أي: المذكورون في الآيات ١٣٣ـ١٣٥. والجزاء: المكافأة. والمغفرة: العفو والمسامحة. ومن ربّهم أي: من عنده تفضلًا. وتجري: تتدفّق. ومن تحتها أي: من تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. وهو مجرى الماء والعسل واللبن والخمر. وخالدين: مقيمين أبدًا. ونعم: بلغ الغاية في النعيم والخير والسعادة. والعاملون: المستجيبون للأمر والنهي. ١٣٦ خلت: مضت وتحقّقت. والسُّنَن: جمع سُنّة،الطريقة المتّبعة في حياة البشر. وسيروا: امشوا، أيها المؤمنون. والأرض: المناطق التي كان فيها أمم بائدة. وانظروا: تدبّروا لتعتبروا. وكيف كان عاقبة: كيفية النهاية. والمكذّبون: الجاحدون للحق. ١٣٧ هذا أي: القرآن الكريم. والبيان: الدلالة تزيل الشُّبهات. والناس: البشر.والهدى: الإرشاد إلى الحق. والموعظة: النصح بما هو خير. ١٣٨ لا تهنوا: لا تضعُفوا عن الجهاد بالسلاح وغيره. ولا تحزنوا: لا تغتمّوا ولا تجزعوا. والأعلون: جمع الأعلى، الأكثر رفعة في الدنيا والآخرة. المؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ١٣٩ يمسّكم: ينزل بكم. والقرح: أثر الجراح في الجسم بأُحُد. ومس: أصاب. والقوم: الكافرون. ومثله: مماثله في غزوة بدر. وتلك أي: أوقات النصر والغلبة بين الأُمم. والأيام: جمع يوم، الوقت بما يكون فيه. ونداولها: نقلّبها وننقلها. وليعلم أي: ليتحقّق علمُه بالظهور في الواقع ويُبنى عليه الجزاء. ويتّخذ: يصطفي ويكرم. والشهداء: جمع شهيد،الذي يُقتل لإعلاء دين الإسلام. ولا يحب: يبغض ويعاقب. والظالمون: الكافرون الذين يظلمون أنفسهم وغيرهم. ١٤٠

نصف الحزب ٧

سورة آل عمران — الجزء الرابع

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ
فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ
عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا
فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ
لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ
مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ
مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ
فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ
١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨
وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ
١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ
وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠

المعنى العام: متابعة توجيه المسلمين وأمرُهم بالمسارعة إلى العمل الطيّب، لنيل الجنّة الواسعة بقدر الكون والمعدّة للموصوفين بالتقوى والإنفاق في اليسر والعسر، وبالعفوِ إحسانًا لمن أساء، وتذكُّرِ الله والاستغفار منه مع التوبة عندما يذنبون، إذ لا غافر إلّا الله. فهؤلاء لهم المكافأة والعفو ونعيم الخلود في الجنات.

و بعد هزيمة أُحد وحزن المسلمين وبكاء النساء على القتلى والجرحى، نزلت الآيات تعزي وتوجه إلى الحق، كأنه يقال: لا تحزنوا لأن العبرة بالخواتيم، كما كان في تاريخ الأمم المكذِّبة. فانظروا ما كان للكافرين من الهلاك فيما مضى من الزمن القريب والبعيد، وفي القرآن توضيح وموعظة للمتقين، ولا تهتموا لِما حصل من هزيمة وخسارة وقتلى وجرى في غزوة أُحد، لأنكم المنتصرون إذا قمتم بواجبات الإيمان والتقوى والصبر، وقد أنزلتم بالمشركين في بدر خسارة أعظم من خسارة أُحد، لأنه قُتل منهم وأسر أكثر مما أصابكم الآن، والنصر يتنقل بين الناس بأمر الله وتقديره، ليَظهر المؤمنون ويكرم الله الشهداء وهو يكره الظالمين ويعاقبهم...

تفسير المفردات: يمحّص: يطهّر من الذنوب. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. ويمحق: يُهلك بعذاب الدنيا. والكافرون: الذين كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. **١٤١** أم حسِبتم: بل كيف تظنّون؟ وتدخلوا الجنة: تكونوا من أصحابها. ولمّا يعلم الله: لم يتحقّق علمُه في الواقع ليكون الجزاء بحق. وجاهدوا: بذلوا الجهد من النفس والمال والعلم والقدرة في قتال العدو ومخاصمته. والصابرون: الذين يتجلّدون في الشدائد. **١٤٢** تمنّون: تتمنّون: تحبّون أن تلقوا. حذفت التاء الثانية للتخفيف. والموت هنا: الشهادة. وتلقوه أي: تشاهدوه وتعاينوا شِدته. ورأيتموه: أبصرتم الموت برؤية الحرب. وتنظرون: تبصرون بأعينكم. **١٤٣** وما محمد: ليس محمد ﷺ. والرسول: من بعثه الله لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. وخلت: مضت وذهبت. والرسل: جمع رسول. وأإن مات أي: لا يجوز إن فارقت روحه جسده بالوفاة. وقُتل: استُشهد لإعلاء دين الله. انقلبتم أي: أن ترتدّوا. والأعقاب: جمع عقب، العظم في مؤخر القدم يُعبَّر به عن الرجوع والتقهقر. وينقلب على عقبيه أي: يرتدّ إلى الكفر. ولا يضر الله أي: لا يسبب له. وشيئًا: أيّما سوء. وسيجزي: لا بدّ أن يُثيب بفضله وكرمه. والشاكرون: الذين يستحضرون النعم ويذكرونها ويثنون على منعمها بالقلب واللسان والفعل. **١٤٤** ما كان أي: لا يصح ولا يجوز. والنفس: المخلوق الحيّ من البشر وغيرهم.

الجزء الرابع | سورة آل عمران

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ
مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن
قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ
ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ
ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ
مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ
رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ
وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ
إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

وتموت: تفارق الحياة. وبإذن الله أي: مرافقةً قضاءه. وكتابًا أي: تسجيلًا لِما هو محتّم وقوعه. ومؤجّلًا: محدّدًا وقته. ويريد: يطلب بنيّته في عمله. والثواب: المكافأة. والدنيا: الحياة القريبة منه يعيش فيها. ومنها أي: مما قُدّر له في الدنيا. والآخرة: الحياة يوم القيامة. ونؤتيه: نعطيه ونيسّر له المتاع والزينة. وسنجزي: لا بدّ أن نثيب ونكافئ بالنعيم. **١٤٥** كأيّن: كثير. وقاتل: جاهد بالسلاح لإعلاء دين الله. ومعه أي: بصحبة النبيّ في الإيمان والجهاد. والرِّبِّيّ: المنسوب إلى الرِّبّة. وهي الجماعة تبلغ عشرة آلاف. والكثير: العدد الوافر. وما وهنوا: ما جبُنوا. ولِما أصابهم أي: بسبب ما نزل بهم من الأهوال. وفي سبيل الله: للدفاع عن دينه القويم وما شرعه فيه من الجهاد. وما ضعفوا: ما عجزوا وما قصّروا. وما استكانوا: ما خضعوا للعدوّ. ويحبّ: يودّ ويكافئ بما يجب من النصر والثواب مع زيادة إكرام. والصابرون: من يتحملون الشدائد والأهوال. **١٤٦** القول: ما يقال حقيقة. وربّنا: يا ربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. واغفر: استر واصفح. والذنوب: جمع ذنب، الصغائر من المعاصي. والإسراف: تجاوز الحدّ. والأمر: الشأن من قول أو فعل. وثبّت: رسّخ في المقاومة بالسلاح. والأقدام: جمع قدم، ما يطأ الإنسان به الأرض. وانصرنا: أعِنّا وغلّبنا. والقوم: الجماعة من الناس. والكافرون: الذين كذّبوا التوحيد ودعوة الرسول. **١٤٧** آتاهم: أعطاهم. والحُسن: الجودة وزيادة الخير. والمحسنون: المخلصون للعمل كما فعل أولئك المجاهدون. **١٤٨**

المعنى العام: متابعة ما يكون عن الجهاد بأن مصائبه تطهّر من الذنوب وتمحق الكافرين جماعة بعد أُخرى، وأن دخول الجنة لا يكون إلاّ بعد الجهاد والصبر. فكيف يكون الظن لدخول الجنة، من دون امتحان وتمييز للمؤمن من المنافق؟ وقد تمنى المسلمون الجهاد من قبل، وأحبوا أن تصيروا إلى لقاء موتهم فيه ثم قصّر بعضهم حين ظنّوا أن النبي ﷺ استُشهد في أُحد.

إنما الرسول الكريم هو إنسان مخلوق يجري عليه ما يجري على الناس. فلا يجوز تقصيرالمسلمين أو ردّتهم إذا مات أو استُشهد، لأن ذلك حاصل بقضاء الله امتحانًا لهم، وسيكون جزاء كلٍّ بما فعل. ولقد قاتل مع كثير من الأنبياء جماعات مؤمنة وقُتل بعضها، فما عجزت عن الجهاد لِما نزل بها، بل دعت الله أن يثبّتها في المقاومة ويغفر لها الذنوب والمعاصي، فكان لإحسانها نصره في الدنيا ومكافأة الآخرة بالجنة، وهي أحسن ما يناله الإنسان من نعيم.

تفسير المفردات: آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. وتطيعوا: تستجيبوا وتتابعوا. وكفروا: كذّبوا وحدانيّة الله ودعوة رسوله. ويردوكم: يعيدوكم. وعلى أعقابكم أي: راجعين. والأعقاب: جمع عقِب، العظم في مؤخر القدم يُعبَّر به عن الرجوع والتقهقر. وتنقلبوا خاسرين أي: تصيروا مغبونين مضيّعين خير الدنيا والآخرة. **١٤٩** بل أي: لن ينصركم الكافرون ولن يساعدوكم أو يوصلوكم إلى الخير. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والمولى: المعين بحق. وخير أي: أفضل وأعظم. والناصرون: المعينون على العدوّ والبلاء. **١٥٠** سنلقي أي: لا بدّ أن نقذف. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال يمد الدماغ بذلك مع ماء الحياة سائغًا. والذين كفروا أي: المشركون. والرعب: الفزع من قتالكم. وبما أشركوا أي: بسبب اتخاذهم معبودًا من الخلق. ولم يُنزّل به أي: لم يوحِ عليه. والسلطان: الحُجّة والبرهان. والمأوى: المسكن يلجأ إليه الإنسان. والنار: نار جهنم. وبئس: بلغ الغاية في الشر والبؤس والشقاء. والمثوى: مكان الإقامة. والظالمون: الجائرون على أنفسهم بالكفر. **١٥١** صدقكم أي: أثبت لكم وحقّق. والوعد: التعهد القاطع بالعون. وإذ تحسونهم: حين تقتلون الكافرين. وبإذنه: بإرادته. حتى إذا أي: فلمّا. وفشلتم: ضعُفتم عن الجهاد. وتنازعتم: اختلفتم. والأمر: توجيه النبيّ ﷺ. وعصيتم: خالفتم. وأراكم أي: نصركم الله فعلًا وأبصرتم عِيانًا. وتحبّون أي: تودّونه وتتمنّونه. ومنكم: بعضكم. ويريد الدنيا أي: يطلب المكاسب الفانية في الحياة الدنيا. ويريد الآخرة أي: يطلب الثواب الأبدي في يوم القيامة. وصرفكم: ردّكم مهزومين. ويبتليكم: يمتحنكم. وعفا: صفح وتجاوز. وذو الفضل: صاحب التفضل والتكرم وحده. **١٥٢** إذ تصعدون أي: حين تهربون مبتعدين. ولا تلوُون: لا تلتفتون. والأحد: الواحد ومنكم. والرسول: النبي ﷺ. ويدعوكم: يناديكم ويصرخ بأعلى صوته. وفي أُخراكم: من ورائكم وهو يقاتل المشركين. وأثابكم: جازاكم الله. والغمّ: الكرب والحزن الشديد. وبغمّ أي: مع غمّ آخر. ولكيلا تحزنوا أي: لئلّا تتألّموا وتأسفوا. وعلى ما فاتكم: بسبب ما ذهب عنكم من الغنيمة ولم تدركوه. وأصابكم: حلّ بكم من الهزيمة. والخبير: البالغ العلم ببواطن الأمور وخفاياها. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. **١٥٣**

الجزء الرابع سورة آل عمران

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ
وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم
مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم
مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ
غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٧

المعنى العام: متابعة توجيه المؤمنين إلى الجهاد. فقد أمر بعض الكافرين بعد غزوة أُحد ضعفاء الإيمان بالعودة إلى الكفر ليَسلموا من الخسارة والبلاء، وقالوا لهم: ألم نقل لكم: إن محمدًا ليس بنبي؟ فنزلت الآية ١٤٩ بالتحذير، لأن طاعة الكافرين تعني الرِّدة وخسارة الدنيا والآخرة، وهم لن يُعينوا بشيء والله هو ناصر المؤمنين وحده. ولسوف يوقع في قلوب المشركين خوف اللقاء فيما بعدُ أيضًا بسبب عبادتهم ما لا دليل على عبادته، كما جرى لهم في أول غزوة أُحد، فيهربون بالخزي واللعنة مع الخلود في جهنم. وما أبأسها من مثوًى!

ولمّا قال بعض الصحابة بعد هزيمة أُحد: مِن أين أصابنا هذا، وقد وَعدنا الله النصرَ؟ نزلت الآيات، بأن الله نصرهم أول الأمر بتقتيلهم العدوَّ وهزيمته أمامهم، ثم خذلهم وتركهم لأنفسهم عندما خالفوا أمر النبي ﷺ في ملازمة النظام الحربي المقرَّر، واختلفوا في الكسب للغنائم، خذلهم تدريبًا لهم على المصائب واحتمال الشدائد، فلا يحزنون فيما يفوتهم من المنافع والنصر، ثم عفا عنهم ما كان من ضعف وخلاف وعصيان. والله خبير بما يعملون.

فلقد هربوا من العدو بعد انتصارهم، والنبي الكريم مع بعض المجاهدين ينادي الهاربين أن يعودوا إلى المعركة: «إليَّ أيها الناس. أنا رسول الله. من يَكِرَّ فله الجنة»، وكان لهم بضعفهم ذلك بلاء الهزيمة على بلاء خسارة الغنيمة.

تفسير المفردات: أنزل: ألقى. والغم أي: حزنكم. والأمنة: الطمأنينة والثقة بالنصر. والنعاس: النوم الخفيف. ويغشى طائفة: يخالط نفوسها وعيونها. والطائفة: الجماعة. ومنكم أي: المؤمنون المخلصون. وطائفة أي: منافقون من غيركم. وأهمتهم: شغلتهم بالحرص على الحياة. والأنفس: جمع نفس. والنفس: حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ويظنون: يعتقدون. وغير الحق: الباطل البعيد عن الصدق والعدل. والجاهلية: المِلّة التي كانت قبل الإسلام والطيشُ والضلال. ويقولون أي: بعضهم لبعض. وهل لنا أي: ليس لنا. والأمر: النصر الذي وُعدنا به. ومن شيءٍ أي: شيءٌ ما! وقل أي: لهم، أيها النبيّ. والأمر: الحكم في الكون. ولله: لقضائه يفعل ما يشاء. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويخفون: يسترون. والأنفس هنا: القلوب والضمائر. ويبدون لك: يُظهرونه لأجلك ـ أيها النبيّ ـ من الحسرة على الخروج للقتال. وما قُتلنا أي: لم نخرج لنُقتل. وههنا أي: في غزوة أُحد. والبيوت: جمع بيت، مكان الإقامة والاستقرار. وبرز: خرج. وكُتب: قُضي. والقتل: موتهم. والمضاجع: جمع مضجع، مكان الموت. ويبتلي: يختبر ويفحص. والصدور: جمع صدر. عُبِّرَ به عن القلب لاشتماله عليه. ويمحّص: يميّز. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال يمد الدماغ بذلك مع ماء الحياة سائغًا. والعليم: البالغ العلم والإحاطة. وذات الصدور أي: صاحبتها من الأسرار والمضمرات. ١٥٤ تولّوا: انهزموا. واليوم: الوقت. والتقى الجمعان: اصطدم الجيشان للقتال. واستزلّهم: أزلقهم وأضلّهم. والشيطان: من يوسوس بالشر من الجنّ والإنس. والبعض: الجزء. وكسبوا: فعلوا باختيار وقصد. وعفا عنهم أي: رفع عنهم جزاء مخالفتهم. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والحليم: ذو العفو المطلق لا يستخفّه عصيان ولا يعجّل بالانتقام. ١٥٥ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. ولاتكونوا: لا تصيروا. وكفروا: نافقوا. والإخوان: جمع أخ. وهو المشارك في النفاق. وإذا ضربوا في الأرض أي: حين سافروا. والغزّى: جمع الغازي، من يطلب حرب المعتدي أو ردعه. وكانوا: بقُوا. وما ماتوا: ما فارقت أرواحهم أجسادهم. ويجعل: يصيّر. وذلك أي: قولهم. وحسرة: غمًا وحزنًا. ويحيي ويميت أي: هو الذي يُحدث أسباب الموت والحياة. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والبصير: المدرك للأحداث. ١٥٦ لئن أي: أُقسِم إن. وقُتلتم: استُشهدتم، أيها المؤمنون. وفي سبيل الله: لأجل إعلاء دينه بما شرع من الجهاد. والمغفرة: ستر الذنب وعدم المؤاخذة عليه. ومن الله أي: من عنده وبأمره. والرحمة: العطف بالفضل والإحسان. وخير: أكثر نفعًا. ويجمعون أي: يحصّله أهل الدنيا من متاع وزينة. ١٥٧

الجزء الرابع — سورة آل عمران

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا
قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

المعنى العام: متابعة ما كان في غزوة أحد بأن الله أنزل على مخلصي المؤمنين من النعاس ما يطمئنهم، في حين أن المنافقين خائفون على أنفسهم، يظهرون غير ما يبطنون، ويتكلمون بينهم بالكفر والتثبيط، متأسفين لخروجهم وتعرّضهم للقتل، زاعمين أنهم وُعدوا بما لا يستطيعون، ولو بقوا في ديارهم لما كان لهم ذلك من الخسارة والهرب. فيقال لهم بأن تدبير الأمور كلها في قبضة الله ـ تعالى ـ وأنّ الموت مقدَّر محتم يصادفه من تخفّى وتخلّف، وفيما جرى امتحان وتمييز للمؤمن والمنافق بما يعلمه الله عنهما.

أما الذين هربوا حينئذ فقد غرّر بهم الشيطان وعفا الله عنهم. فعليهم ألّا يصيروا كالمنافقين الزاعمين أن التخلف عن الرحيل أو الجهاد يحفظ من الموت. إنهم يعيشون في حسرات وتلهف، ومالك الحياة والموت والعلم المطلق هو الله ـ عز وجل ـ ومن يقتل في سبيل الله أو يمت حتف أنفه يجد يوم القيامة أن مغفرة الله ورحمته أفضل من حياة الذلة والغنى ومتاع الدنيا.

تفسير المفردات: لئن أي: أُقسِم إن. ومُتُّم: فارقت أرواحكم أجسادكم في بيوتكم، أيها المؤمنون. وقتلتم: استُشهدتم في الحرب. وإلى الله: إلى لقاء حسابه يوم القيامة. وتُحشرون: تُبعثون وتساقون للحساب. ١٥٨ بما رحمة أي: بسبب رحمة. وهي العطف بالإحسان. ومن الله: من عنده وبفضله. ولنت لهم: لطَفتَ بأصحابك ورفَقت، أيها النبيّ. والفظّ: العنيف الجافي المُعاشرة. والغليظ: القاسي المتكبّر. والقلب: موطن التدبّر والاعتقاد والعاطفة. وانفضّوا: تفرّقوا. واعف: اصفح وتجاوز ما كان. واستغفر لهم أي: اشفع لهم وادع الله لهم بالستر والعفو عما أتوه من مخالفة في غزوة أُحد. وشاورهم في الأمر: اطلب منهم الرأي فيما يكون من الأمور والأحوال بتطلب المشاورة، قبلَ أن تشرع في التنفيذ. وعزمت: وطّنت نفسك على عمل. وتوكّل على الله: فوّض أمركَ إليه وحده. ويحبّ: يودّ ويعين. والمتوكلون: الذين يفوضون أمورهم إلى الله. ١٥٩ ينصرُكم: يعينكم على العدو. والغالب: المتغلب القاهر. ويخذلكم: يُهملكم ويترك عونكم. ومن ذا أي: لا أحد. وبعده أي: بعد إهماله لكم. والمؤمنون: من عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ١٦٠ما كان أي: ما ينبغي ولا يمكن أن يحصل. والنبي: من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. ويغلّ: يأخذ لنفسه شيئًا من الغنيمة خِفية. ويأت بما غلّ: يحضر معه ما أخذ. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. وتُوفَّى: تُعطى بالتمام. والنفس: المخلوق المكلف. وكسبت: عملته. وهم أي: جميع الناس. ولا يظلمون: لا يجار عليهم بنقص الحسنات أو زيادة السيئات. ١٦١ أمن اتّبع رضوان الله: ليس الذي عمل بأمر الله واجتنب نهيه. والرضوان: الرضا العظيم والقبول البالغ. وباء: اكتسب وحظي. والسخط: الغضب الشديد. ومن الله أي: من عنده. والمأوى: المكان يُلجأ إليه. وجهنم: دار العذاب يوم القيامة. وبئس: بلغَتِ الغايةَ في الشر والبؤس والشقاء. والمصير: المكان يُرجع إليه. ١٦٢ هم أي: الناس. والدرجات: المراتب المختلفة. وعند الله: في حكمه وعلمه. وبصير أي: يشاهد ويرى. ويعملون: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ١٦٣ منّ: أحسنَ بالنعم. وإذ بعث رسولًا: حين كلفه بالدعوة. والرسول: محمد ﷺ. ومن أنفسهم: من العرب. والأنفس: جمع نفْس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ويتلو: يقرأ ويفسر. والآيات: النصوص القرآنية. ويزكيهم: يطهّرهم من الذنوب والضلال بالتوجيه والعناية. ويعلّمهم: يوضّح لهم قولًا وعملًا. والكتاب: القرآن الكريم. والحكمة: إتقان حلّ الأمور بسُنّته الشريفة. وإنْ كانوا: لقد كانوا. وقبلُ: قبلَ بعثته. والضلال: الحيرة والكفر. والمبين: الظاهر. ١٦٤ لما: حينما. وأصابتكم: نزلت بكم. والمصيبة: الهزيمة والخسارة. وأصبتم: نلتم من المشركين. ومثليها أي: بمقداريها. وأنّى: من أين؟ وهذا أي: الخذلان والانكسار. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. ومن عند أنفسكم أي: أنتم سبب ما حدث بالخلاف والضعف والعصيان. والقدير: المبالغ في القدرة بذاته دون معين. ١٦٥

الجزء الرابع — سورة آل عمران

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ
بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن
يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ
ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾
لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾
أَوَلَمَّا أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ
قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

المعنى العام: متابعة توجيه المسلمين بأنهم على كل حال من المِيتات سيحاسبهم الله، وقد هيّأ لهم لطف النبي ﷺ ليستجيبوا له، فعليه أن يسامحهم فيما حصل بأُحد، ويشاورهم في الأمور المهمة ويتوكل على الله ليكون النصر حليفه، ولا يكون خلاف وعصيان، وليس لهم ناصر إن تخلى الله عنهم.

ولّما ظن بعض المنافقين أن النبي الكريم أخذ لنفسه كساء مخمليًا من غنائم بدر أنكر الله ذلك وحكم باستحالته، وأن من يفعل مثل ذلك يحاسب عليه يوم القيامة، وليس المتقون كالعاصين، ولكل إنسان مقامه في الدنيا والآخرة. وقد أكرم الله المسلمين بالرسول من جنسهم ليهديهم ويطهرهم من الشرك والفساد، بعد أن كانوا في الضلال. فكيف يعجبون من هزيمتهم في أُحد وخسارة ما ربحوا ضِعفه في بدر، وهم الذين خالفوا أمر النبي ﷺ وشغلوا بالغنائم، فسبّبوا لأنفسهم ما كان؟

وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين
﴿١٦٦﴾ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله
أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر
يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس
في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴿١٦٧﴾ الذين قالوا لإخوانهم
وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم
الموت إن كنتم صادقين ﴿١٦٨﴾ ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴿١٦٩﴾ فرحين
بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا
بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿١٧٠﴾
۞ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر
المؤمنين ﴿١٧١﴾ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما
أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴿١٧٢﴾
الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿١٧٣﴾

تفسير المفردات: ما أصابكم: الذي حلّ بكم. واليوم: الوقت. والتقى الجمعان: التحم الجيشان للقتال في أُحد. وبإذن الله أي: حصل بسبب إرادته وقضائه. ويعلم: يُظهِر ما في علمه الأزليّ واقعًا محقّقًا، ويكون الحساب بالحق والعدل. والمؤمنون: الذين صدقوا في إيمانهم. ١٦٦ نافقوا: أظهروا بألسنتهم من الإيمان خلاف ما في قلوبهم. وقيل أي: قال المؤمنون. وتعالوا: أقبلوا إلى لقاء المعتدي في أُحد. وقاتلوا: جاهدوا بالسلاح. وفي سبيل الله: لنُصرة دينه وإعلاء كلمته وتحقيق ما شرع من الجهاد. وادفعوا: خوّفوا وأرهبوا. ونعلم: نُحسن ونستطيع. واتّبعناكم: سرنا معكم إلى الحرب. والكفر: تكذيب وحدانية الله ودعوة رسوله. ويومئذ أي: حين إذ قالوا ذلك. وأقرب: أدنى وألصق. والإيمان: تصديق التوحيد وما يلزمه. والأفواه: جمع فَوه. وهو الفم. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأعلم: أكثر علمًا منهم ومن المؤمنين. ويكتمون أي: يخفونه. ١٦٧ لإخوانهم أي: في الحديث عن إخوانهم. والإخوان: جمع أخ. وهو الموافق والمشارك في الاعتقاد. وقعدوا: تخلّفوا عن الجهاد. وأطاعونا: وافقونا. وما قتلوا: ما أُزهقت أرواحهم. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. وادرؤوا: ادفعوا. والأنفس: جمع نفس. وهي حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والموت: مفارقة أرواحكم للأجساد. وصادقين: تقولون الحق في ادّعائكم. ١٦٨ لا تحسبنّ: لاتظنّنّ، أيها المخاطَب. وقتلوا: استُشهدوا. والأموات: جمع ميت، من فارقت روحه جسده. وأحياء أي: هم أحياء، جمع حيّ. وعند ربهم أي: في المنزلة المقربة العليا من الجنّة. والربّ:الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. ويُرزقون: ييسَّر لهم ما يريدون. ١٦٩ فرحين: مسرورين. وآتاهم: أعطاهم. ومن فضله: بسبب تفضله وإحسانه. ويستبشرون: يطلبون البشارة فرحًا. ولم يلحقوا بهم أي: بقوا بعدهم في الحياة الدنيا. وأنْ: بأنّهم. والخوف: الفزع مما سيكون. ولا يحزنون: لا يغتمّون مما كان. ١٧٠ النعمة: الإنعام بالخير. ومن الله: من عنده وبإكرامه. ولا يضيع: لا يُهمل. والأجر: المكافأة. والمؤمنون: الذين عرفت قولوبهم التوحيد وما يلزمه. ١٧١ استجابوا: أجابوا الدعوة ولبّوها. والرسول: محمد ﷺ. وأصابهم: نزل بهم. والقرح: الجراح والآلام. وأحسنوا أي: فعلوا أجمل ما يمكن في طاعة الرسول. واتقوا: تجنّبوا المخالفة. والعظيم: الذي لا مثيل له في تميّزه. ١٧٢ الناس: بعض الكافرين. وإن الناس: إن مشركي مكة. وجمعوا: حشدوا. واخشوهم: خافوا لقاءهم وتجنّبوه. وزادهم: أضاف إليهم. وإيمانًا أي: تصديقًا لله ورسوله.وحسبنا: يكفينا. ونِعم أي: بلغ الغاية في الفضل والعون. والوكيل: من تُفوّض إليه الأمور والأحوال. ١٧٣

الحزب ٨

المعنى العام: متابعة ما كان في أُحد بأن الخسارة هي بإرادة الله لتحقّق ما في علمه القديم، انكشفت فيها نفوس المؤمنين والمنافقين. فقد انخزل هؤلاء مدّعين أنهم لا يعرفون القتال. والحق أنهم كافرون منافقون يدّعون غير ما يعتقدون، ويزعمون أن أصحابهم الذين قتلوا ما كانوا يقتلون لو بقوا في ديارهم. فليدفعوا عن أنفسهم الموت ليثبتوا صدقهم. ولا تظنَّ الشهداء أمواتًا ـ أيها الإنسان ـ بل هم أحياء في الجنة، يتمنون أن يلحق بهم إخوانهم، ويتمتعون بالنعم والخيرات.

ولما ندب النبي ﷺ الصحابة للّحاق بقريش بعد غزوة أُحد ومطاردتها نحو مكة، واشترط ألّا يكون فيهم غير من كان في تلك المعركة، لبّوا طلبه بأحسن ما يكون وهم في شدة بلاء وجراح، فكان منهم في غزوة حمراء الأسد جهاد وتقوى، وازدادوا إيمانًا عندما خوّفهم بعض الكافرين كثرة العدوّ، وردّوا عليهم بأنهم متوكلون على الله وحده، وهو يكفيهم ما قيل عن إرهاب عدوهم لهم ونعم الوكيل!

تفسير المفردات: انقلبوا: صاروا في عودتهم من مطاردة العدو. وبنعمة وفضل: مصاحبين الإنعام والتفضل. ومن الله: من عنده بتكرمه. ولم يمسسهم: لم يصبهم. والسوء: ما يؤذي. واتَّبعوا: طلبوا بالعمل. ورضوان الله: رضاه وقبوله الفائقان. وذو الفضل أي: صاحبه المتفرّد به. والعظيم: الضخم جدًّا لا مثيل له. ١٧٤ وذلكم أي: الذي خوّفكم كثرةَ العدو. والشيطان: من يوسوس بالشر والفساد. ويخوف: يُرهبكم يُفزعكم. والأولياء: الأعوان، جمع ولي. وأولياءه أي: شرَّ أعوانه بتعظيمه وتضخيمه. وخافونِ: خافوني: ارهبوني وحدي. حذفت الياء للتخفيف. ومؤمنين أي: عرفت قلوبكم التوحيد وما يلزمه. ١٧٥ لا يحزنك: لا يسبب لك الهمَّ والأسى، أيها النبي . ويسارعون: يتابعون بسرعة. والكفر: نصرة التكذيب للتوحيد والنبوة. ولن يضروا الله أي: لن يصيبوا دينه ولا أولياءه. وشيئًا يعني: أيّما ضرر! ويريد: يحكم ويفعل. وألّا يجعل: ألّا يُوجِد. والحظ: النصيب من الخير. والآخرة: الحياة يوم القيامة. والعذاب: التعذيب. ١٧٦ اشتروا: استبدلوا وأخذوا. والكفر: التكذيب والضلال. والإيمان: الاعتقاد القاطع بالتوحيد وما يلزمه. والأليم: المؤلم جدًّا. ١٧٧ لايحسبنّ: لا يظننّ. وما نملي لهم: إمهالنا لهم بتأخير العقوبة وإطالة العمر. والخير: ما فيه نفع حقيقي. والأنفس: جمع نفس. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. ويزدادوا: يضاف إليهم ويتضاعفوا. والإثم: الذنب والمعصية. والمهين: ذو الإهانة يحقّر صاحبه ويذلّه. ١٧٨ ما كان: ما أراد. ويذر: يترك ويهمل. وما أنتم عليه أي: اختلاط المنافقين بالمؤمنين. ويميز: يفصل ويبيّن. والخبيث: الخسيس الدنيء. والطيب: من تحلّى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال. ويطلعكم: يعلمكم به ويبيّن لكم. والغيب: ما خفي على عقول الخلق وحواسهم. ويجتبي: يختار. والرسل: جمع رسول. وهو المبعوث لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ويشاء أي: يريد أن يطلعه. وآمِنوا: تيقنوا تيقنًا جازمًا. وتتقوا: تتجنّبوا النفاق وتطلبوا الطاعة والصلاح. والأجر: المكافأة والثواب. ١٧٩. يبخلون: يمنعون ولا يسمحون. وآتاهم: أعطاهم ويسّر لهم. والفضل: التفضل والإنعام. وهو أي: بخلهم. والخير: ما يكون فيه النفع والبركة. وبل أي: إنما. وشرّ لهم أي: يجلب لهم الضرر بالعقاب الشديد. وسيطوَّقون: لا بد أن يُجعل لهم كالأطواق في أعناقهم. واليوم: الوقت والزمن. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث قهرًا. ولله أي: هو مستحِقه وحده. والميراث: التملك والحيازة لِما ينتقل ملكه بين المخلوقات. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وتعملون أي: تكتسبونه من نية وقول وفعل. والخبير: العالم بخفايا الأمور وظواهرها، ومنها ما يكون من بذل ومنع وغيرهما. ١٨٠

سورة آل عمران — الجزء الرابع

فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

المعنى العام: متابعة ما كان في غزوة حمراء الأسد بأن المجاهدين صاروا في عودتهم منها منعّمين بالنصر ورضا الله وفضله، دون أذى أو سوء. فقد حاول شياطين البشر تخويفهم ببطش العدو، ولكن المجاهدين لا يخافون إلّا الله. فلا يُزعجْك - أيها النبيّ - انهماك الأعداء في الكفر والنفاق، لأنهم لا يسببون للدعوة وأصحابها ضررًا يذكر، ولهم جزاء فظيع باختيارهم الشرك والعصيان، ولا يظنّوا ما يتمتعون به من نعم إكرامًا لهم، لأنه استدراج وتشجيع ليكون عذابهم أشد، إذ لا يمكن أن يترك الله الناس في اختلاط دون تمييز الصالح من المفسد، وهو يمتحنهم ولا يطلعهم على الغيب وإنما يطلع الرسل على شيء من ذلك، والإيمان والتقوى خير للمسلمين وأجره عليهما عظيم.

ولا يظننّ الكافرون أن بخلهم خير لهم، لأن ما يجمعونه من المال سيكون أطواقًا من النار في أعناقهم، ويعود جميع ملكهم مع ما في الكون لله، وهو عالم بأعمالهم يجازيهم بما تستحق.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ
وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ
عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ
إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

تفسير المفردات: سمع أي: علم. والقول: ما يقال. والذين قالوا أي: اليهود. وفقير: ليس عنده ما يكفيه. والأغنياء: جمع غني. وهو المستغني عن الآخرين. ونكتب: نأمر بالتسجيل. والقتل: إزهاق الروح. والأنبياء: جمع نبيّ، من كلفه الله بالدعوة والعمل. وبغير حق أي: مع ظلم وعدوان. ونقول: نواجههم بالقول على لسان الملائكة. وذوقوا: تحسسوا بكامل أجسامكم وأرواحكم. والعذاب: التعذيب. والحريق: النار المحرقة. ١٨١ ذلك أي: العذاب. وبما قدمت أي: حاصل بسبب ما اكتسبت وتحمّلت في الحياة الدنيا. والأيدي: جمع يد. وليس بظلّام: لا يظلم أبدًا. والعبيد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. ١٨٢ الذين أي: اليهود أيضًا. وعهد إلينا: أمرنا وألزمنا. ولا نؤمن: لا نصدّق. ولرسول أي: إنسانًا يدّعي أن الله أرسله إلينا. ويأتينا بقربان: يجيئنا ومعه ما يتقرّب به إلى الله من الإبل والغنم والبقر. وتأكله: تحرقه وتلتهمه. والنار: نار تنزل من السماء. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. وجاءكم: أتاكم. والرسل: جمع رسول. وبالبينات: مع الأدلة الواضحة والمعجزات. والذي قلتم: ما ذكرتم من القرابين. ولِمَ أي: لماذا؟ وكيف أجزتم لأنفسكم؟ وقتلتموهم: أزهقتم أرواحهم. وصادقين: تقولون الحق. ١٨٣ كذّبوك: استمروا على تكذيبك في أصل النبوة والشريعة. وكُذِّب رسل أي: أُنكرت عليهم أقوالهم ودعوتهم. وجاؤوا: أتوا وحضروا. والزبر: جمع زَبُور. وهو الصحف يُسجل فيها الحِكَم البالغة. والكِتاب: الكتب المقدّسة. والمنير: المضيء لتمييز الحق من الباطل. ١٨٤ النفس: المخلوق الحي. وذائقة الموت أي: تنال موتها وتعانيه بكامل بنيانها. وتوفَّون: تعطَون بالكمال والتمام. والأجور: جمع أجر. وهو المكافأة من ثواب أو عقاب. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الموتى بالبعث للحساب. وزُحزح: أُبعد. والنار: نار جهنم. وأدخل: أُكرم بالدخول. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها القصور والأشجار والأنهار والنعيم. وفاز: نال كل مطلوبه. وما الحياة: ليس العيش. والدنيا: القريبة من الناس وهم فيها. والمتاع: ما يُنتفع به مؤقتًا. والغرور: ما يَخدع. ١٨٥ لتبلوُنّ أي: أُقسِمُ لَتُختبَرُنّ لِيظهر الصالح من الفاسد. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس. وتسمعُنّ: يبلغَنّ أسماعَكم. وأوتوا: أُعطُوا وكلّفوا بالطاعة. والكتاب: التوراة والإنجيل. وأشركوا: جعلوا مع الله شريكًا من المخلوقات في التقديس. والأذى: ما يُسبب السوء والغمّ. وتصبروا: تتجلّدوا ولا تستجيبوا للغضب. وتتقوا أي: تتجنبوا غضب الله وتطلبوا رضاه بالطاعة والإخلاص. وذلك أي: الصبر والتقوى. والعزم: ما صُمِّم عليه. والأمور: جمع أمر. وهو الشأن والحال. ١٨٦

ربع الحزب ٨

المعنى العام: عندما نزل تشجيعُ المؤمنين على البذل وجعلُ الصدقات قُرضة عند الله، زعم اليهود أن الله فقير وهم الأغنياء، فنزلت الآيات تبين أن قولهم سُجّل عليهم ويحاسبون على ما زعموا وفعلوا بالعدل الرباني ـ والمراد بنفي الظلم عن الله إثبات أنه عادل عدلًا مطلقًا مع التوكيد ـ وكذلك يحاسبون بما كان منهم في قتل الأنبياء ظلمًا وعدوانًا. فقد جاؤوهم بالمعجزات والصدقات تحرقها نار سماوية، فقتلوهم كيحيى وزكرياء. فتكذيبهم للنبي العظيم عادتهم في تكذيب الرسل دائمًا وليس لشخص محمد ﷺ، وسيقضي الموت على الجميع، لينال كل جزاءه العادل، ويفوز المؤمنون الصالحون بالجنة، ويفنى ما في الدنيا من متاع.

ولمّا مرّ النبي ﷺ بمجلس فيه عبد الله بن أُبيّ مع بعض اليهود والمشركين دعاهم إلى الإسلام، فسببوا بالتحريض وذكر حروب الجاهلية فتنة بينهم وبين المسلمين، فنزلت الآية ١٨٦ بالصبر والعفو. يعني أن المسلمين سينالهم دائمًا بلاء وخسارة وإيذاء من الكافرين، وعليهم بالصبر والتقوى لأنها مما يُصمّم عليه بجدّ وتنافس وفيه النصر والنجاح.

تفسير المفردات: إذ أخذ: وقت تلقي الأقوال الصريحة. والميثاق: العهد بالقبول والطاعة. وأوتوا: أعطوا بالوحي. والكتاب: التوراة والإنجيل. ولتبيّنُنّه أي: أُقسِمُ لتوضِّحُنّه بجلاء. والناس: من حولكم من البشر. ولا تكتمونه أي: لا تخفون مافيه. ونبذوه: ألقوا الميثاق وتجاهلوه. والظهور: جمع ظَهر، ما يقابل الصدر في الإنسان. واشتروا: أخذوا. والثمن: ما يأخذه البائع. وقليلًا أي: يسيرًا مهما بلغ من الكثرة. وبئس: بلغ الغاية في الشر والبؤس والشقاء. ١٨٧ لا تحسبنّ: لا تظنّنّ. ويفرحون: يُسعِدون أنفسهم. وأتوا: فعلوا من الضلال. ويحبون: يودّون. ويُحمدوا: يُمدحوا. وبما لم يفعلوا: بأشياء يزعمون أنهم فعلوها. و «فلا تحسبنهم» توكيد لفظي لما جاء قبله. والمفازة: الفوز والنجاة. والعذاب: تعذيب الدنيا. وعذاب أليم أي: مؤلم جدًّا في الآخرة. ١٨٨ لِلّه أي: هو مستحقه وحده.والملك: الحيازة والتصرّف مطلقًا. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: المبالغ في الاقتدار بلا معين أو معارض. ١٨٩ الخلق: الإيجاد من العدم. والاختلاف: التفاوت في كثير من الصفات والأحوال. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. والآيات: الدلالات على قدرة الله. وأولو: أصحاب، واحده ذو. والألباب: جمع لب، القلب الثابت على الإيمان. ١٩٠ يذكرون الله: يستحضرون عظمته وجلاله باللسان والقلب والعمل. والقيام: جمع قائم. والقعود: جمع قاعد. والجنوب: جمع جنب. وهو الطرف من جسم الإنسان. ويتفكّرون: يفكّرون بعقولهم وبصائرهم. وفي الخلق أي: ما فيه من الإتقان والعجائب. وربنا أي: يقولون: ياربنا. وحذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وما خلقت: ما أوجدت. وباطلًا أي: عبثًا بل دليلًا على كمال قدرتك. وسبحانك: ننزّهك تنزيهًا عن العبث. وقنا: امنع عنا وجنّبنا. والنار: نار جهنم. ١٩١ تُدخل: تقضِ بالدخول. وأخزيته: أهنته وفضحته. وما للظالمين: ليس للذين يتجاوزون الحق بالكفر. ومن أنصارٍ أي: أنصارٌ، جمع نصير. وهو المعين لدفع العذاب. ١٩٢ سمعنا: أدركنا بأسماعنا وعقولنا. والمنادي: الداعي يبلّغ ويعظ. وللإيمان أي: إلى التصديق اليقينيّ. وبربكم أي: بوجوده وألوهيته ووحدانيته. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. وآمنّا أي: صدّقناه جازمين. واغفر ذنوبنا: استرها واعف عنها. والذنوب: جمع ذنب، المعصية عليها عقاب. وكفّر: استر وامحُ. والسيئات: جمع سيئة، صغائر المعاصي. وتوفّنا: اقبض أرواحنا. ومع الأبرار أي: في جملتهم. والأبرار: جمع برّ، المحسن كالأنبياء والصالحين. ١٩٣ آتنا: أعطنا. وما وعدتنا: ما بشّرتنا به. والرسل: جمع رسول، من كُلّف بالدعوة والعمل. ولا تخزنا: لا تفضحنا بالعتاب وتهلكنا بالعقاب. ولا تخلف أي: تحقق كاملًا ولا تهمل ولا تنقص. والميعاد: الوعد. ١٩٤

الجزء الرابع — سورة آل عمران

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا
قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم
بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

المعنى العام: أن يذكّر النبي ﷺ أهل الكتاب بعهدهم لِلّه تبيينَ ما في التوراة والإنجيل واضحًا، فباعوا ذلك بمتاع الدنيا. فما أبأسهم! إنهم يفرحون بما فعلوا من الضلال والتضليل ويفتخرون ويريدون أن يُمدحوا بما لم يفعلوا من الخير، وسيكون لهم عذاب مؤلم.

والله وحده مالك الملك وقدير على كل شيء، وفي خلق عجائب الكون على وجود الله ووحدانيته وعلمه وتسلطه المطلق. وهو مِصداق رسالة النبي، يدركه ذوو العقول الواعية، فيذكرون الله في جميع أحوالهم، ويتفكرون في المخلوقات، معترفين أنها دليل على الألوهية، وينزّهون الله عن العبث، ويدعونه أن يقيهم عذاب الآخرة، ولا يفضحهم بالحساب، كالكافرين المعاقَبين. فلقد أجابوا داعي الإيمان، ويطلبون مغفرة الذنوب وجعلهم من الأبرار، وتحقيق وعده للمؤمنين على ألسنة الرسل بالنصر في الدنيا والنجاة من العقاب في الآخرة، وهم يثقون أنه يحقق الوعد بالوفاء والتمام.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟
مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟
وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ

تفسير المفردات: استجاب: أجاب الدعاء. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. وأني: بأني. ولا أُضيعُ: لا أُهمل ولا أُبطل. والعمل: ما كان من نية أو قول أو فعل. والذكر: المذكّر. والأنثى: المؤنّثة. وبعضكم أي: الفرد. ومن بعض أي: متولّد وحاصل من فرد أيضًا. وهاجروا: تركوا بلدهم وأهلهم ومالهم ليحفظوا دينهم. وأُخرجوا: حُملوا على الخروج اضطرارًا. والديار: جمع دار. وهو موطن الاستقرار والإقامة. وأوذوا: أصيبوا بالضرر والعذاب. وفي سبيلي أي: بسبب ديني وطريقي الواضح. وقاتلوا: قاوموا المعتدي بالسلاح. وقُتلوا: فارقت أرواحهم الأجساد استشهادًا. ولأكفِّرنّ: أُقسِمُ لأسترنّ بالمغفرة. والسيئة: المعصية عليها عقاب. وأُدخلنّهم: أقضي لهم بالدخول. والجنّة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل بسرعة. ومن تحتها أي: من تحت أشجارها وقصورها. والأنهار: جمع نهر. وهو المجرى العظيم من الماء والعسل واللبن والخمر. والثواب: المكافأة. ومن عند الله أي: تفضلًا وإحسانًا منه في مرتبة التقرّب والإكرام. وعنده: بمُلكه وقُدرته. والحُسن: الجمال والطِّيب. ١٩٥ لا يغرّنّك أي: لا تنخدع بظاهر ما ترى، أيها المخاطَب. والتقلّب: التنقّل والتصرّف. والبلاد: المدن والقرى والأراضي، جمع بلد. ١٩٦ متاع قليل أي: تقلّبهم يُنتفع به قليلًا في الدنيا. ومأواهم: المكان الذي يأوون إليه ويخلدون فيه. وجهنم: اسمٌ علم للنار الموقدة معدّة للكافرين. وبئس: جاوزَتِ الحد في القبح والسوء والفساد. والمهاد: ما مهّدوا لأنفسهم ليلقوه في الآخرة. ١٩٧اتّقوا ربهم أي: بتجنب الشرك والمعاصي ولزوم الطاعة والصلاح. وخالدين: مقيمين أبدًا. والنزل: ما يُعَدّ للضيف ينزل فيه ويقيم. وما عند الله أي: المكافأة على الإيمان والصلاح. وخير: أكثر نفعًا. والأبرار: جمع برّ، من يحسن الإيمان والعمل. وهو المتقي. ١٩٨ من أهل الكتاب: بعض الذين كلفوا بالكتاب، وهم اليهود والنصارى. ويؤمن بالله: يعرف قلبه توحيده وما يلزم ذلك. وأُنزل إليكم: أوحي من عند الله إليكم، أيها المسلمون. وخاشعين أي: خاضعين خائفين متذلّلين. ولا يشترون بالآيات أي: لا يستبدلون بالنصوص المقدسة في التوراة والإنجيل ولا يبيعونها. والثمن: ما يأخذه البائع. وقليلًا أي: يسيرًا مهما كثر. وأولئك أي: المؤمنون من أهل الكتاب. والأجر: الثواب. وعند ربهم أي: بحكمه مهيّأ لهم في الدنيا والآخرة. وسريع الحساب أي: حسابه سريع جدًّا في حينه. ١٩٩ اصبروا أي: الزموا التحمّل للشدائد والمصائب. وصابروا أي: غالبوا الكافرين بالمصابرة وكونوا أشد منهم في ذلك. ورابطوا أي: لازموا ما شرع الله ـ تعالى ـ في جهاد العدو من المرابطة في الثغور والتدرب على الحروب لإعلاء كلمته ودينه. ولعلكم أي: ليُترجّى لكم. وتفلحون: تفوزون بالجنة. ٢٠٠

المعنى العام: متابعة ما كان عن دعاء المؤمنين. فقد ذكرت أُمّ سلمة رضي الله عنها زوجة الرسول ﷺ له أنها لا تسمع ذكر النساء في الهجرة، وهي تتمنّى لهن الإكرام، فنزلت الآية بشارة للمؤمنين جميعًا من ذكور وإناث، بتحقق ما يطلبون من الفضل بجهادهم وهجرتهم وبلائهم، وأن لهم تكفير السيئات وأجمل مكافأة في الجنة.

وعندما عجب بعض الصحابة من سوء حالهم وخيرات الكافرين وما هم فيه من الغنى والترف والسيادة، نبّههم الله إلى أن ذلك مؤقت وقليل بالنسبة إلى ما سيكون في الآخرة من عكسه لعذاب الكافرين ونعيم المؤمنين، وأن بعض أهل الكتاب سيدخلون في الإسلام ليعتز بهم المؤمنون، كالنجاشي ملك الحبشة واسمه أصحمة وعبد الله بن سلام أكبر أحبار اليهود وأصحابه. فهؤلاء صدّقوا ما كان في التوراة والإنجيل والقرآن وثبّتوا عليه، ولم يتاجروا بذلك كغيرهم من الأحبار والرهبان. فلهم الأجر العظيم. ومع هذا فعلى المسلمين تحمّل ما هم فيه مع المصابرة والمرابطة والجهاد للأعداء ولزوم تقوى الله، ليكونوا من الفائزين بنعيم الجنة.

٤ ـ سورة النساء

تفسير المفردات: الناس: بنو آدم. واتقوا ربكم: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة للأمر والنهي. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وخلقكم: أوجدكم وأنشأكم. والنفس: الروح والجسد، أي: آدم. وواحدة أي: متفردة. ومنها أي: من جنسها. والزوج: الزوجة حواء. وبثّ: نشر. والرجال: ذكور البشر، جمع رجل. وكثيرًا أي: عددًا لا تحصونه. والنساء: إناث البشر، جمع نِسوة. والنسوة واحدتها امرأة. وتساءلون به: تتساءلون، يستعطف بعضكم بعضًا بذكر اسمه العظيم. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. والأرحام: جمع رَحِم، صِلات الأقارب مطلقًا. وكان أي: ولا يزال بدون قيد زماني. ورقيبًا: حافظًا الأعمال للحساب. ١ آتوا: أعطوا. واليتامى: الصغار فُقِد آباؤهم، جمع يَتمَى: جمع يتيم. والأموال: جمع مال، ما يملك من النقد وغيره. ولا تتبدّلوا: لا تستبدلوا. والخبيث: المال الحرام. والطيب: الحلال. ولا تأكلوا: لا تنفقوا. وإلى أموالكم أي: مخلوطة بأموالكم للاحتيال. وإنه أي: ذلك الاحتيال. والحوب: الذنب. والكبير: الضخم. ٢ خفتم: خشيتم. وألّا تقسطوا: ألاّ تعدلوا. وفي اليتامى أي: في الولاية على أموالهم. وانكحوا: تزوجوا إن شئتم مثنى وإن شئتم ثُلاث وإن شئتم رُباع. وطاب: تحبّب وتحسّن. وتعدلوا: تُنصفوا في الحقوق الماديّة للزوجات. وما ملكت أيمانكم: ما ملكتم للتسرّي. وهو نكاح المملوكات. والأيمان: جمع يمين، اليد اليمنى، وبها يكون تحقق البيع والشراء. وذلك: نكاح الزوجات أو التسرّي. وأدنى: أقرب. وألّا تعولوا: ألّا تجوروا. ٣ الصدُقة: المَهر. والنحلة: الهبة. وطبنَ: تنازلنَ بطيب خاطر. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والنفس: الضمير. وكلوه: خذوه. والهنيء: الطيّب. والمريء: المُفيد. ٤ لا تؤتوا: لا تعطوا. والسفهاء: جمع سفيه، ضعاف العقول. وجعل: خلق. والقيام: ما يقوم به العيش. وارزقوهم فيها: أنفقوا عليهم منها. واكسوهم: هيّئوا لهم الكسوة. والمعروف: ما حسن شرعًا. ٥ ابتلوا: اختبروا في تصريف الأموال. وحتى إذا بلغوا النكاح: إلى وقت قدرتهم على الزواج. وآنستم: أبصرتم. والرشد: حسن التدبير. وادفعوا: سلّموا. ولا تأكلوها: لا تأخذوها لتنفقوها. والإسراف: الإفراط. والبدار: الإسراع والسبق. وأن يكبروا: بلوغهم الرشد. والغني: من يملك ما يكفيه. ويستعفف: يتعفّف عن الأخذ. والفقير: من ليس عنده ما يكفيه. وبالمعروف: مع ما هو بقدر أجرة العمل. وأشهدوا: أحضروا من يشهد. وكفى بالله: أغنى اللهُ عن الحاجة إلى غيره. والحسيب: الحافظ للعمل والمحاسب عليه. ٦

الحزب ٨

الجزء الرابع — سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ
وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا
مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا
فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا
النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا
الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ
غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

المعنى العام: خطاب الناس أن يتقوا الله الذي خلقهم من أبيهم آدم وخلق حواء من جنسه أيضًا، وأن يحفظوا ذكر الله وصِلات القرابة التي يستعطف بعضهم بعضًا بها. وذكرُ ضلع آدم في خلق حواء مرجوح، وما جاء في الحديث منه مراد به التمثيل، لِما في النساء من مخالفة للرجال كالضلع العوجاء.

وعلى الناس أيضًا حفظ مال اليتيم وتنميته، وتجنب الأخذ منه أو مزجه بأموالهم ليضيع حقه فيها. وخشيةُ ظلم اليتامى في المال تقتضي خشية ظلم النساء اليتيمات وغيرهن في تزوّجهنّ، فيكون تعدد الزوجات باثنين أو ثلاث أو أربع ملازمًا للعدل. وإلّا فالاكتفاء بزوجة واحدة أو ما تيسّر من الجواري، لئلّا يكون ظلم وعدوان.

ومَهر المرأة هبة واجبة لا يجوز أخذ شيء منها إلّا بطيب نفسها، وأموال الطائشين المبذّرين وصغار اليتامى يشرف الوليّ على إنفاقها، حتى صلاح المبذرين، وبلوغ اليتامى سنّ الرشد. هنالك يتسلمون أموالهم بوجود الشهود، ولا يجوز تبذيرها لمسابقة رشدهم. فالغني يعفّ عن الأخذ منها، والفقير يأخذ ما هو بمقدار عمله فيها. وحسبكم مع هذا كله رقابةُ الله لكم ومكافأتكم بالحق.

تفسير المفردات: الرجال: الذكور، جمع رجل. والنصيب: حظ التملك. وترك: خلّف بعد موته. والوالدان: الأب والأمّ. والأقربون: الموروثون بالقرابة. والنساء: الإناث، جمع نسوة. والنسوة واحدتها امرأة. وقلّ: كان قليلًا. وكثر: كان كثيرًا. والمفروض: الواجب تسليمه إلى مستحِقّه. ٧ حضر القسمة: شهد تقسيم ما يورث من التركة. وأولو القربى: أصحاب القرابة. وأولو واحده ذو. واليتامى: الأطفال فُقِد آباؤهم، جمع يَتمَى. واليتمَى: جمع يتيم. والمساكين: جمع مسكين، الفقير المحتاج.. وارزقوهم: أعطوا الأصناف الثلاثة المذكورة. ومنه: من الميراث. والمعروف: الجميل يطيب القلوب. ٨ ليخش: ليخفْ على اليتامى في معاملتهم. وتركوا: قاربوا أن يتركوا بالموت. وخلفهم: بعد موتهم. والذُّرّيّة: الأولاد. والضعاف: الصغار، جمع ضعيف. وخافوا عليهم: خشوا أن يضيعوا بالظلم. ويتقوا الله: يتجنبوا غضبه ويطلبوا رضاه بالعدل. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويقولوا: يوصوا من أشرف على الموت. والسديد: الصواب. ٩ يأكلون: يأخذون. والأموال: جمع مال، ما يملك من النقد وغيره. وظلمًا أي: بغير حق. والبطون: جمع بطن. وهو الجوف. والنار: نار جهنم. ويصلَون: يدخلون ويكابدون. والسعير: النار المحرقة. ١٠

الجزء الرابع　　سورة النساء

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا
خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى
بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ
فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن
كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ
فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ
نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

يوصيكم: يأمركم. وفي أولادكم أي: في أنّ ميراثهم. والأولاد: جمع ولد. والذكر: المذكر. والمِثل: المُماثل في القدر. والحظّ: النصيب. والأنثى: المؤنثة. وكنَّ أي: كان الإناث. وفوق اثنتين أي: زائدات على اثنتين. والمقصود بذكر «فوق» إزالة ما يُتوهم بدونها، من استحقاق الكثيرات أكثر من الثلثين. والثلث: ما يكون من الشيء إذا قسم على ثلاثة. وكانت أي: الأُنثى. والسدس:ما يكون من الشيء إذا قسم على ستة. والولد: الابن أو الابنة. وورثه: كان وارثًا له. والأبوان: الأب والأم، والجدّ والجدّة. وله أي: للميت الذي لم يكن له ولد. والإخوة: جمع أخ. وبعد وصية أي: بعد دفع ما أمر المتوفّى بتمليكه لأحد من ماله بعد موته. ويوصي بها: يبلّغها ويكلف بها. والدَّين: القرض المحدد. والآباء: جمع أب. وهو الوالد أو الجدّ. والمراد هنا الأمّ والجدّة أيضًا. والأبناء: جمع ابن، الأولاد والحَفَدة. ولا تدرون: لا تعلمون علمًا حقيقيًا. وأيهم يعني: مَن منهم؟ وأقرب نفعًا: أكثر جلبًا للخير ودفعًا للشرّ في الدنيا والآخرة. وفريضة: مفروضة محتمة. ومن الله: من عنده بحكمته وقضائه. وكان أي: ولم يزل بلا قيد زماني. والعليم:البالغ للكمال في العلم والإحاطة بكل شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بتمام العلم وإتقان التوجيه. ١١

المعنى العام: للرجال والنساء حقوق مفروضة في الميراث القليل والكثير، وعندما يحضر تقسيم التركة أقرباء المتوفّى، وأجانب من اليتامى والمساكين، فعليكم ـ يا أولياء الأمور ـ إكرامهم بما يتيسّر، مع القول الطيب. والموجِّهون لصاحب التركة ينصحونه قبل وفاته بالعدل وحفظ الحقوق، لأنهم يخافون أن يُظلم أولادهم أيضًا بعدهم، ومن يأكل أموال اليتيم ظلمًا يملأ بطنه بنار جهنم، لأنه يهيئ ذلك لنفسه يوم القيامة.

وكل منكم يعظه الله بالعدل بين أهله، ونصيبُ الورثة كما يلي: الأُنثى لها نصف نصيب الذكر، وإذا كان الإناث اثنتين أو أكثر فالثلثان لهنّ بالعدل، والباقي للورثة الآخرين. وإذا كانت الأُنثى واحدة ولا ذكر معها فلها نصف التركة. وللأبوين كلّ منهما سدس التركة، إن كان له ولد ذكر أو أُنثى، واحد أو أكثر. فإن لم يكن له ولد فلأُمّه الثلث والباقي لأبيه، وإن كان له إخوة فلأُمّه السدس والباقي للأب، ولا شيء للإخوة. وحكم ولدِ الابن والجدِّ في الإرث كحكم الولد والأب. وهذا التقسيم الشرعي للتركة يكون بعد إخراج الوصية والدَّين، وهو حكم الله الذي يعلم الحق الصواب وأنتم لا تعلمون ذلك، لِمَيلكم إلى من تظنون أنه أكثر نفعًا لكم.

تفسير المفردات: لكم أي: لكل رجل. والنصف: ما يكون من تقسيم الشيء على اثنين. وترك: خلّف من الإرث. والأزواج: الزوجات، جمع زوج. وولد أي: ذكر أو أنثى، واحد أو أكثر. والربع: ما يكون من تقسيم الشيء على أربعة. وبعد وصية أي: بعد دفع ما أمرت المتوفّاة بتمليكه لأحد من مالها بعد موتها. ويوصينَ بها: يبلّغنها ويكلّفن بها. والدَّين: القرض المحدّد. ولهنّ أي: للزوجات. وتركتم يعني: أيها الأزواج. ولكم ولد أي: منهنّ أو من غيرهنّ. والثُّمن: ما يكون من تقسيم الشيء على ثمانية. والرجل: الإنسان الذكر. ويورث أي: له تركة تورث. والكلالة: مَن لا والد له ولا ولد. والمرأة: الأنثى. وله أي: للمذكور من الكلالة رجلًا أو امرأة. وأخ أو أُخت أي: من الأُمّ. وأكثر من ذلك أي: من واحد. والشركاء: جمع شريك. والثلث: ما يكون من تقسيم الشيء على ثلاثة. والمضارّ: من يسبِّب الأذى بظلم للورثة. والوصية: الفرض الواجب تنفيذه. ومن الله أي: من عنده بإرادته وعلمه. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعليم: البالغ العلم والإحاطة بالحق والخير والصواب. والحليم: ذو العفو المطلق والصفح عن الذنب لا يستخفّه العصيان ولا يعجّل الانتقام. ١٢

تلك أي: الأحكام المعظّمة المذكورة في الآيات ٢ ـ ١٢. والحدود: جمع حدّ.

ثلاثة أرباع الحزب ٨

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن
لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ
وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ
مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ
وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ
أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ
﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ
نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

وهو الحكم الشرعي الواجب. ويطيع الله: ينقاد لأمره ونهيه. والرسول: من بعث لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. وهو محمد ﷺ. ويدخله: ييسر له الدخول. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم الأبدي. وتجري: تسيل بسرعة وتتدفق. ومن تحتها أي: من تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. والنهر: المجرى العظيم للماء والعسل والخمر واللبن. وخالدين أي: مقيمين أبدًا. وذلك أي: دخول الجنة مع الخلود فيها. والفوز: الظفر بالخير والنعيم. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ١٣ يعصيه أي: يخالف أمره أو نهيه. ويتعدّ حدوده: يتجاوزها ويخرجْ عليها في العمل. والنار: نار جهنم. والعذاب: التعذيب عقوبة وتنكيلًا. والمهين: الذي يهين صاحبه ويذلّه. ١٤

المعنى العام: للرجل نصف ما تركت من المال زوجته المتوفّاة، إن لم يكن لها ولد ذكر أو أُنثى، وكذلك له من سائر زوجاته بعد وفاتهنّ، وله من ميراث المتوفّاة ربعه إن كان لها ولد، وما بقي للورثة. وهذا التقسيم الشرعي للتركة يكون بعد إخراج ما كان في تركة الزوجة المتوفاة من الوصية والدَّين.

وللزوجة أو الزوجات ربع تركة الزوج المتوفَّى إن لم يكن له ولد، والثمن إن كان له ولد. وهذا كله بعد إخراج ما كان في تركة الزوج المتوفَّى من الوصية والدَّين أيضًا.

وإن كان رجلٌ بلا والد أو ولد تُوفِّيَ وله أخ أو أخت من أُمّ، أو امرأةٌ كذلك تُوفِّيتْ، أي: كلالة، فلكل واحد منه الأخ والأخت السدس من التركة. وإن كان الإخوة أو الأخوات من أُمّ أكثرَ فهم شركاء بالتسوية في الثلث لا فرق بين الذكر والأُنثى، من بعد إخراج ما كان في التركة من الوصية والدَّين. وعلى المتوفى ألّا يسبب ضررًا للورثة بأن يوصي أكثر من ثلث التركة. وبتنفيذها تحقيق مصلحة الموروث والورثة.

وما جاء في الآيات ٢ - ١٢ من رعاية مال اليتيم وتفصيل النكاح والمواريث هو حكم الله العليم بالحق والحليم بعباده فرضه، وفيه الحدود الشرعية المفصّلة لا يجوز لكم تجاوز ما فيها من الأوامر والنواهي، من يعمل بها يكن له الخلود في نعيم الجنة بما فيها من القصور والأشجار والأنهار، ومن يخالفها يخلد في عذاب جهنم مهانًا محتقرًا.

تفسير المفردات: اللاتي: اللواتي. ويأتينَ الفاحشة أي: يفعلنَ فاحشة الزنى. والنساء: جمع نسوة. والواحدة امرأة. واستشهدوا أربعة أي: اطلبوا ممن قذفهنّ شهادة أربعة. ومنكم أي: من رجال المسلمين. وشهدوا أي: أدّى الأربعة الشهادة. وأمسكوهنّ: أجبروهنّ على الإقامة. والبيوت: جمع بيت، مكان الإقامة والاستقرار. ويتوفاهنّ: يستوفي حياتهنّ. والموت أي: ملك الموت. وأو يجعل الله أي: إلى أن يَشرع. وسبيلًا أي: حكمًا آخر. ١٥ اللذان أي: المرأة والرجل أو الرجلان. ويأتيانها: يفعلان فاحشة الزنى أو اللِّواط. ومنكم أي: من المسلمين.وآذوهما أي: بالسب والضرب المُهين. وتاب: اعترف بذنبه وطلب المغفرة وعزم على الامتناع عن ذلك. وأصلح: جعل عمله كما يريد الشرع. وأعرِضوا: اصفحوا ودعوا الإيذاء بعد العقوبة. وكان أي: ولا يزال من دون قيد زماني. والتوّاب: الكثير القبول للتوبة. والرحيم: الكثير العطف بالعفو عن المؤمنين. ١٦ التوبة على الله أي: التي يقبلها الله ويعفو عن صاحبها. ويعملون: يفعلون. والسوء: ما يسبب الضرر من المعاصي. وبجهالة أي: مع الجهل وعدم المعرفة بعاقبة المعصية أو الذنب. ومن قريب أي: قبل القرب من الوفاة. وأولئك أي: الموصوفون بالجهل والتوبة. ويتوب عليهم: يغفر ذنوبهم. والعليم: المحيط بكل ما يحدث ظاهرًا أو خفيًّا. والحكيم: المتقن لما يشرع أو يفعل. ١٧ السيئة: الذنب عليه عقوبة. وحتى إذا حضر أحدَهم الموت أي: فإذا قربت أسباب وفاة الواحد منهم. والآن أي: في هذا الوقت. ويموتون: تفارق أرواحهم الأجساد. والكُفّار: جمع كافر،الذي كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. وأولئك أي: المذكورون من قبل في هذه الآية. وأعتدنا: أعددنا وهيّأنا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: الشديد الإيلام. ١٨ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ولا يحلّ: لا يجوز. وترثوا: تتملكوا بالإرث للنكاح. والنساء: زوجات آبائكم. والكَره: الإكراه والغصب. وتعضلوهنّ: تمنعوا زوجاتكم عن نكاح غيركم ضرارًا، بإمساكهنّ دون رغبة فيهنّ. وتذهبوا: تأخذوا. والبعض: الجزء. وآتيتموهنّ: دفعتم لهنّ من المهر والهدية. وأن يأتينَ أي: وقت فِعلهنّ. والمبيّنة: الثابتة. وعاشروهنّ: خالطوهنّ وصاحبوهنّ. وبالمعروف: مع الجميل من قول ومعاملة. وكرهتموهنّ: أبغضتموهنّ. وعسى: يُرتَجى ويؤمَّل. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. ويجعل: يخلق وينشئ. والخير: ما يتضمن النفع في الدنيا والآخرة. والكثير: الذي لا حد له. ١٩

الجزء الرابع — سورة النساء

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ
عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي
ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا
(١٥) وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا
وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا
(١٦) إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا (١٧) وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا (١٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا (١٩)

المعنى العام: المرأة التي ترتكب الزنى، إن شهد عليها أربعة من المسلمين تجبر على الإقامة في البيت إلى أن تُتوفَّى، أو يَشرع الله لها حكمًا آخر. فالحكم بالإقامة منسوخ بالحدّ الشرعي: الرجم للمتزوجة والجلد لغير المتزوجة. والزانيان أو المتلاوطان جزاؤهما الإيذاء بالسب والضرب للإهانة. والذي يتوب ويصلح عمله يكتفى بما كان من عقابه. وحكم الإيذاءِ للرجال الزناة منسوخ بالآية ٢ من سورة النور.

والتوبة المقبولة عند الله هي لمن فعل المعصية بجهل وطيش، ثم تاب قبل دنو أجله ـ والله يعلم حقائق ما يكون ـ ولا تكون تلك التوبة لمن يتابع المعاصي ولا يتوب إلّا عند وفاته، أو من يموت وهو كافر. فهذا وذاك لهما العذاب الأليم.

ولا يجوز للرجل أن يرث زوجة أبيه للنكاح، كما كان في الجاهلية ـ وذكرُ الكره ليس شرطًا للتحريم، وإنما هو لبيان ما هو غالب في الواقع. ولا الامتناع عن طلاق الزوجة، ضرارًا و قهرًا لتُحمل على ما يضرها بردّ ما أخذت من الزوج، إلّا إذا ثبَت عليها زنى أو نشوز، ببغضِ الزوج أوالترفع عليه بالعصيان والبذاءة، أو صرفِ النظر عنه إلى غيره. هنالك يجوز أن تختلع المرأة نفسها، بفدية من المال. وفي حياة الزوجية تجب المعاملة بجميل القول والفعل، وإن أبغضتموهن، لأنه قد يخلق الله فيما تبغضونه نفعًا عظيمًا لا تعرفونه أنتم.

تفسير المفردات: أردتم الاستبدال: فعلتم التبديل بطلاق للزوجة ونِكاح لأُخرى. والزوج: الزوجة. وآتيتم: وكنتم أعطيتم تسليمًا أو التزامًا وضمانًا. وإحداهنّ أي: الواحدة منهنّ. والقِنطار: المال الكثير. ولا تأخذوا أي: لا تستردّوا. والشيء: ماهو موجود أو محتملٌ وجوده. وأتأخذونه أي: لا يجوز أن تأخذوه. والبهتان: الظلم الشنيع مُكابرة. والإثم: فعل المحرَّم. والمبين: البيّن بوضوح **٢٠** كيف أي: بأيّ حال تجيزون لأنفسكم؟ وأفضى: وصل وتداخل وامتزج. وبعضكم أي: أحدكم. وأخذنَ: تلقَّين بإقرار مؤكّد. والميثاق: العهد الموثّق بالقَسم في عقد النكاح. والغليظ: الشديد. **٢١** لا تنكحوا: لا تتزوّجوا. وما نكح أي: مَن عقد عليها عقد النكاح. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجدّ. والمراد الأبوة في النسب أو الرضاع. والنساء: جمع نِسوة. والنسوة واحدتها امرأة. وإلّا أي: لكنّ. وسلف: حصل فيما مضى. وإنه أي: نكاح الأبناء زوجاتِ آبائهم. وكان أي: فيما مضى وما زال. وفاحشة: عملًا شنيعًا. ومقتًا: سببًا للبغض الشديد عند الله. وساء: تجاوز الحد في القبح والسوء والشر. والسبيل: الطريق في النكاح. **٢٢** حُرِّمتْ: جُعل نكاحها حرامًا. والأُمّهات: جمع أُمّ وأُمّهة. وهي الجدّة أيضًا. والبنات: جمع بنت. وهي الابنة والحفيدة أيضًا. والأخوات: جمع أخت من جهة الأب أو الأُمّ أو منهما معًا. والعمّات: أخوات الآباءِ أو الأجدادِ. والخالات: أخوات الأُمّهاتِ أو الجدّاتِ. وبنات الأخ وبنات الأُخت أي: بنات الإخوة والأخوات وبنات أولاد الإخوة والأخوات. وأرضعنَ أي: من لبن أثدائهنّ. و من الرضاعة أي: بسبب الرضاعة من أثداء الأمّهات. والربائب: جمع ربيبة. وهي بنت الزوجة من رجل آخر. واللاتي: اللواتي. والحجور: جمع حَجْر. وهو مُقدم الثوب. والمراد به الكنَف والرعاية. والنساء: الزوجات. ودخلتم أي: خلَوتم. والجُناح: الذنب. والحلائل: جمع حليلة. وهي الزوجة. والأبناء: جمع ابن، الولد والحفيد. والأصلاب: جمع صُلب. والمراد هو النسل أي: الذين ولَدتموهم. وتجمعوا أي: النكاح في وقت واحد. والأختان أي: الشقيقتان أو من أب واحد أو أم واحدة. وإلّا أي: لكنّ. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وكان أي: وما يزال من دون قيد زماني. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والعفوِ عنها. والرحيم: العطوف الكثير الإحسان على المؤمنين.**٢٣**

الجزء الرابع — سورة النساء

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ
بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ
بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا
غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ
ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا
وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ
ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ
ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ
مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

المعنى العام: متابعة ما يكون من أحكام الطلاق بأنه إذا أراد الرجل طلاق زوجته بدون نشوز أو فاحشة، فلا يجوز له استرداد شيء مما نالته المطلَّقة قبلُ بما يقتضيه عقد النكاح مهرًا أو هدية أو معونة أو برًّا - وذكرُ الاستبدال ليس شرطًا في هذا الطلاق، لأن ذكره من باب الاحتياط لما يحتمل فيه الأخذ، وذِكرُ القِنطار تمثيل على جهة المبالغة، ولا يلزم عنه جواز المغالاة في المهور - فالأخذ ظلم ومعصية بعد أن كان الامتزاج الكامل والاستمتاع والعهد الموثق بين الرجل والمرأة.

ولا يجوز نكاح زوجات الأب والجدّ، لأنه جرم شنيع، وكان الجاهليون يكرهونه أيضًا. والمحرّم عليكم أيضًا نكاحُ أمهاتكم وجدّاتكم من جهة الأب أو الأم، وبناتكم وبنات أولادكم، وأخواتكم وعمّاتكم وخالاتكم وبنات الأخ والأخت وبنات أولادهنّ، ومرضعاتكم وأخواتكم من الرّضاعة، وأُمّهات من عقدتم على بنت لهن، وبنات منكوحاتكم من غيركم وإن تربّين بعيدًا عنكم، وحلائل أبنائكم وحفدتكم بالنسب أو الرضاعة، لأن الرّضاعة تقوم مقام النسب، والجمعُ بين الأُختين معًا.

فهذا كله أو بعضه محرّم على كل منكم نكاحه لا يجوز الوقوع فيه، لكن ما مضى من مخالفة له قبل نزول الآية معفوّ عنه لا تؤاخذون عليه، لأن الله عظيم العفو والرحمة.

تفسير المفردات: المحصنات: ذوات الأزواج. والنساء: جمع نِسوة. والنسوة واحدتها امرأة. وما ملكت أيمانكم أي: الإماء اللواتي تملكوهنّ من السبي في الجهاد. والأيمان: جمع يمين، اليد اليمنى وبها تكون عقود البيع والشراء. وكتاب الله أي: فرضَ الله ما ذُكر في الآيات ٢٢ ـ ٢٤ من التحريم فرضًا وثبّت حكمه. وأُحِلّ: جُعل حلالًا وعليه أجر. وما وراء ذلكم أي:غير ما ذُكر من المحرّمات. وتبتغوا: تطلبوا الزواج. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من النقد والمتاع والزينة. ومحصنين أي: متزوجين بنكاح شرعي. ومسافحين أي: زانين. وما استمتعتم به: مَن تمتّعتم بنكاحه. ومنهن أي: من النساء. وآتوهنّ: أعطوهنّ. والأجور: جمع أجر. وهو المَهر. وفريضة أي: مفروضة. والجُناح: الذنب. وعليكم أي: أنتم وهنّ. وفيما تراضيتم به أي: بسبب ما توافقتم عليه وقبِلَ بعضكم من بعض. والفريضة: ما كان من المهر المعيّن. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعليم: المطّلع والمحيط بكل شيء. والحكيم: المتقن لما يريد ويدبر ويحكم. **٢٤** لم يستطع طولًا: لم يملك غنى. ومنكم أي: من المسلمين. وينكح: يتزوج. والمحصنة هنا: غير الأمة وغير ذات الزوج. والمؤمنة أي: بالتوحيد والرسالة. والفتاة: الأمة المملوكة. وأعلم أي: أكثر علمًا منكم جملة وتفصيلًا. وإيمانكم أي: سلامة اعتقادكم واعتقاد غيركم من اللواتي تريدون نكاحهنّ. وبعضكم أي: الواحد منكم. ومن بعض أي: ممتزج به من أصل واحد وسواء في الدين والمنزلة. وانكحوا: تزوّجوا. وبالإذن أي: مع الإعلام والموافقة والجواز. والأهل: أولياء الأمور. وبالمعروف أي: مصاحبين الإحسان في العطاء والمعاملة. والمحصنة أيضًا: التي تحفظ نفسها مما لا يحل. والمسافحة: الزانية جهرًا. والمتخذة: التي حصّلت. والأخدان: جمع خِدن. وهو الخليل في الزنى خِفية. وأُحصنّ: زُوِّج المملوكات. وأتينَ بفاحشة: فعلنَ جريمة الزنى. وعليهنّ أي: من العقوبة. والنصف: الشطر من الكمّيّة. والمحصنات:الحرائر المتزوجات. والعذاب: الحدّ الشرعي بالجلد. وذلك أي: نكاح المملوكات. وخشي: خاف على نفسه. والعنت: الوقوع في الزنى. وتصبروا: تتعففوا عن نكاح المملوكات حتى يتيسر لكم نكاح الحرائر. وخير: أفضل وأولى. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والعفوِ عنها. والرحيم: الكثير العطف و الإحسان إلى المؤمنين. **٢٥** يريد: يشاء. وليبيّن أي: أن يوضح ويفصّل. ويهدي: يرشد. والسُّنن: الطرائق، جمع سُنّة. ويتوب عليكم أي: يرجع بكم عما كنتم عليه. ٢٦

الجزء الخامس — سورة النساء

الجزء ٥ الحزب ٩

۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟
بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ
مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ
ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن
فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ
بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ
أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ
ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

المعنى العام: متابعة ذكر ما حُرّم على رجال المسلمين بأن منه نكاح المتزوجات، إلّا الإماء المسبيّات بالجهاد للمعتدي، بعد أن يبرأ رحم المرأة من الحمل. وهذا المذكور في الآيات ٢٢ - ٢٤ ما حرّمه الله، وأحل لكم غير ذلك بالنكاح المشروع، مع المهر للزوجة والثمن للأمة، ولا مانع من الزيادة أو النقص بعدُ، إذا كان عن تراض منكم. ومن عجز عن مهور الحرائر فله نكاح الإماء المؤمنات من المسلمات والكتابيات. والله يعلم حقائق ما في النفوس من الإيمان.

وعقوبة زنى المملوكة هذه المتزوجة نصف ما يكون للحرة من الجلد. وزواج الإماء تيسير لمن يخاف على نفسه الزنى ولم يصبر عن الجماع. والصبر عن نكاح الإماء مع العفة حتى يتيسر نكاح الحرائر أفضل، والله غفور رحيم، وهو يريد بهذه التشريعات أن يوضح لكم الأحكام الشرعية، ويرشدكم إلى سبل الأمم الماضية في شرائعها السماوية، ويصرفكم عما كان فيكم من القبائح والمفاسد، وهوالعليم بما يصلح العباد، والحكيم فيما يشرع ويقضي.

تفسير المفردات: يريد: يشاء. ويتوب عليكم: يغفر خطاياكم. ويريد الذين: يقصدون. ويتّبعون: يتبعون ويستجيبون وينقادون. والشهوة: ما يغلب على النفس محبته وهواه. وتميلوا: تنحرفوا عن الحق والخير. والعظيم: الكبير جدًّا. **٢٧** يخفف: يسهّل وييسّر. وخلق: أُنشئ من العدم وجعل. والإنسان: جنس البشر. والضعيف: القليل الاحتمال والحزم. **٢٨** آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. ولا تأكلوا أي: لا تأخذوا وتنفقوا. والأموال: جمع مال، ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. وبالباطل: مصاحبين الطريق الذي حرمته الشريعة. وإلّا أي: لكن. وتكون: تحصل. والتجارة: ممارسة البيع والشراء شرعًا لِما فيه مصلحة الخلق. والتراضي: أن يقع القبول والرضا. ولا تقتلوا: لا تُزهقوا الأرواح. والأنفس: جمع نفس. وهي حقيقة الإنسان بكامله. وكان أي: وما يزال بدون قيد زماني. والرحيم: المبالغ في الرحمة بعطفه وإحسانه. **٢٩** يفعل: يقترف. وذلك أي: ما نُهي عنه في الآية ٢٩ من أكل المال بالباطل وقتل النفس. والعدوان: الاعتداء. والظلم: المجاوزة للحق. وسوف نصليه: لا بدّ أن ندخله ليحترق. والنار: نار جهنم. وذلك أي: الإدخال والإحراق. واليسير: الهيّن. **٣٠** تجتنبوا: تبتعدوا وتنكروا. والكبائر: جمع كبيرة. وهي الموبقات السبع كالشرك وقتل النفس والسحر... وتُنهَون عنه أي: تؤمرون شرعًا بتركه وتجنّبه. ونكفر: نغفر ونستر. والسيئات: المعاصي الصغيرة. وندخلكم: نجعلكم داخلين ونيسّر لكم ذلك. والمُدخَل: الإدخال. والكريم: الحسن المبارك. **٣١** لا تتمنّوا: لا تشتهوا بدون عمل. وفضّل به أي: خصّ به من فضيلة ونعمة. والبعض: الفرد أو الجماعة. والرجال: جمع رجل. وهو الذكر المكلّف. والنصيب: الحظ والمقدار المعيّن شرعًا. واكتسبوا: فعلوا وتحمّلوا من نية وقول وعمل. والنساء: جمع نسوة واحدتها امرأة. وهي الأنثى المكلّفة. واسألوا أي: اطلبوا بالدعاء والسعي. والفضل: التفضل والإحسان. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والعليم: البالغ العلم والاطّلاع. **٣٢** كل أي: من رجل أو امرأة. وجعلنا: صيّرنا بتبديل كثير مما كان متعارفًا في الجاهلية. والموالي: جمع مولى. وهو الوارث. وترك: خلّف من المال. والوالدان: الأب والأم أو الجدّ والجدة. والأقربون: الأكثر قربًا في النسب. وعقدتْ: عاهدتْ وحالفت، أي: وثّقت حلفَهم أو عهدَهم. والأيمان: جمع يمين. وهو القَسَم. وآتوهم: أعطوهم. ونصيبهم: حظهم وحقهم. والشهيد: المطّلع يعلم ويحاسب. **٣٣**

سورة النساء — الجزء الخامس

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن
تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا
وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ
وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ
وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

المعنى العام: متابعة ما يذكر من الأحكام بأن الله يريد توبتكم عن القبائح الجاهلية ومغفرة ذنوبكم، وأصحاب الشهوات يريدون لكم الانحراف والفسق الشنيع، والله ييسر لكم ما لا تحتملون من الأعمال، لأن الإنسان خلق على ضعف عن تحمل المشاق.

ولا تتبادلوا بينكم المال بالحرام، في التجارة والهبة وغير ذلك. ويباح ما يكون من تراض في التجارة، ولا يقتلْ بعضكم بعضًا، وكونوا رحماء لأن الله رحيم بكم. ومن يقترف مانُهي عنه فجزاؤه عذاب جهنم وهو يسير على الله، ومن يتجنب الكبائر نغفر له الصغائر بما يعمل من الطاعات، ونيسر له نعيم الجنة بدخولها والخلود فيها.

وعندما تمنت أُمّ سلمة أن يكون للنساء ما للرجال بالجهاد والفضل، نزلت الآيات بالتوجيه، ألّا يكتفي الإنسان بتمنّي ما عند غيره، وأن يعمل ليكتسب نصيبه، ويسأل الله التفضل عليه، وللنساء والرجال نصيب في الميراث محدّد، والمعاهَدون في الجاهلية والإسلام على الإرث لهم حقوقهم أيضًا، والله شهيد ومحاسب على ما يكون. ثم نُسخت حقوق العهد بما جاء من حق الأقارب في الآية ٧٥ من سورة الأنفال.

الجزء الخامس — سورة النساء

الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ
عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ
قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ
وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ
بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن
يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا
﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ
إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ
ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ
وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن
كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾

ربع الحزب ٩

تفسير المفردات: الرجال: جمع رجل، الذكر المكلّف. والقوّام: الكثير التعهد والقيام بالمصالح والتدبير والتأديب والرعاية، مع التزام الحق والمعروف. والنساء: جمع نِسوة واحدتها امرأة أي:الأنثى. وبما فضل: بسبب تمييز صفات خاصة. والله: المعبود بحق وحده والواجب الوجود، المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وبعضهم أي: بعض الناس من أفراد. وأنفقوا: بذلوا ودفعوا من مهر ومصروفات دائمة وتكاليف. والأموال: جمع مال، ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والصالحة: الزوجة المحسِنة إلى زوجها والمستقيمة على الشرع. والقانتة: المطيعة بحق. والحافظة: الواقية والحامية بالحرص والعفاف. وللغيب أي: لحقوق الزوج في غيابه. وبما حفظ الله أي: بسبب ما يسّر الله ـ تعالى ـ من صون ورعاية. واللاتي: اللواتي. وتخافون: تظنون وتخشون. والنشوز: الترفّعُ عن الطاعة والانصرافُ بالنفس والنظر والتطلعات. وعظوهنّ: انصحوهنّ بالكلمة الطيبة لخوف الله. واهجروهنّ: اعتزلوا مُضاجعتهنّ وما يكون مع ذلك. والمَضاجع: جمع مَضجَع. وهو فراش النوم. واضربوهنّ أي: ضربًا خفيفًا لا ضرر فيه. وأطعنَ: استجبنَ للموافقة والرضا. ولا تبغوا سبيلًا: لا تطلبوا طريقًا للتحكم بالحُجج والتعنت. وكان أي: ولا يزال من دون قيد زماني. والعليّ: العالي على عباده بالخلق والتذليل والاقتدار دونه كل مخلوق. والكبير: المتكبر على كل شيء. **٣٤** وخفتم: خشيتم وعلمتم، يا أولياء الأُمور. والشقاق: الخلاف. وبينهما أي: بين الزوجين. وابعثوا: أرسلوا برضاهما. والحَكَم: من يَصلح للحُكم بالنَّصفة والمعرفة بالشريعة وبواطن الأمور. والأهل: الأقارب. ويريدا: يقصدا. والإصلاح: إزالة الخصومة بالوفاق أو الطلاق. ويوفق الله بينهما أي: يوقع الموافقة بين الزوجين على حلّ صالح لهما. والعليم: البالغ العلم والإحاطة. والخبير: العظيم الخبرة والاطلاع بكل شيء. **٣٥** اعبدوا الله: قدّسوه وأطيعوه وحده. ولا تشركوا به: لا تقدّسوا ولا تطيعوا معه. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده أو متخيَّل. والوالدان: الأب والأم، أو الجدّ والجدّة. والإحسان: حُسن المعاملة بالقول والفعل. وذو القربى: صاحب القرابة في النسب. واليتامى: جمع يَتمَى. واليتمى: جمع يتيم، الطفل فُقِد أبوه. والمساكين: جمع مِسكين، الفقير المحتاج. والجار: المُجاور في السكن أو العمل. والقربى: القرب. والجُنُب: البعيد. والصاحب: المُرافق في السفر والحضر. والجَنْب: القُرب. وابن السبيل: المنقطع بعيدًا عن بلده. وما ملكت أيمانكم: عبيدكم وإماؤكم. والأيمان: جمع يمين، اليد اليُمنى بها تكون عقود البيع والشراء.ولا يحب أي: يكره ويعاقب. والمختال: المتكبّر.والفخور: من يكثر تعداد مناقبه للتطاول. **٣٦** يبخلون: يمنعون الحقوق والواجبات والبرّ. ويأمرون: يحضّون ويوجبون. والناس: البشر. ويكتمون: يخفون. وآتاهم: أعطاهم نعم العلم والمال. ومن فضله: بسبب تفضله. وأعتدنا: هيّأنا ليوم القيامة. والكافرون: الجاحدون مكابرة. والعذاب: التعذيب. والمهين: المُذِلّ.**٣٧**

المعنى العام: الرجالُ بشكل عامّ مسؤولون عن القِوامة، وهي رعاية شؤون نسائهم وتوجيههنّ وإصلاحهنّ، بما أعطاهم الله من صفات متميزة وقدرة على الإنفاق للمهر وتأمين حاجات الأسرة من متاع وإصلاح، والنساءُ الصالحات مطيعات للأزواج أمينات على أسرارهم بسبب ما هيّأ الله لهن من الرعاية. والتي تخالف ذلك توعظ بلطف ثم يُعرض عن مضاجعتها، ثم تُضرب ضربًا خفيفًا للتأديب والتنبيه.

وعندما يكون خلاف بين الزوجين يُصلح أمرهما حكَمان يرضيان بهما من أهلَيهما بتوجيه أولياء الأمور، ليوفِّقهما الله في الصلح أو الفراق. وعلى المسلم التوحيد والإحسان إلى الوالدين والأقرباء واليتامى والمساكين والأصحاب والغرباء والجيران والمملوكين. ومن يبخل ويأمر بالبخل ويجحد النعم يكن كالكافرين وله العذاب المهين.

تفسير المفردات: ينفقون: يبذلون ويصرفون. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والرئاء: أن يظهر الإنسان لغيره ما يرضيه ليقابله بالاحترام. والناس: البشر. ولا يؤمنون بالله أي: يجحدون وجوده وينكرون وحدانيته. واليوم الآخر: يوم القيامة بعد البعث. والشيطان: من يغري بالشر والعصيان من الإنس والجنّ. والقرين: المقارن الملازم. وساء: بلغ النهاية في السوء والضرر والشرّ. **٣٨** ماذا عليهم أي: ما الذي يصيبهم من ضر؟ وآمنوا بالله: صدّقوا وحدانيته. وأنفقوا: صرفوا. ورزقهم: هيّأ لهم ما يتمتعون به. وكان أي: وما يزال دون قيد زمانيّ. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعليم: البالغ الاطّلاع والإحاطة. **٣٩** لا يظلم: لا يُنقِص من جزاء الأعمال. والمثقال: الوزن. والذرة: أصغر عنصر في الوجود. وتكُ: تكنْ أي: تحصل. حذفت النون للتخفيف. والحسنة: العمل الصالح. ويضاعفها: يضاعف أجرها مرارًا. ويؤت أي: يعطِ صاحب الحسنة تفضلاً. ومن لدنه: من عنده بإحسانه. والأجر: الثواب. والعظيم: الضخم ليس له مثيل. **٤٠** كيف أي: ما أعجب حال الكافرين! وإذا جئنا: حين نُحضِر. والأُمّة: الجماعة من الناس. والشهيد: من يشهد ويُقرّ بما يعلم للحكم والقضاء. وجئنا بك: أحضرناك، أيها النبيّ. وهؤلاء أي: الأنبياء وجميع الأمم. **٤١** يومئذ أي: يوم المجيء المذكور. ويودّ: يتمنّى. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وعصوا: خالفوا. والرسولَ أي: أمْرَ رسولهم. ولو تُسوّى بهم: أن تنشقّ وتبتلعهم. والأرض: مكان حشر الناس. ولا يكتمون: لا يُخفون. والحديث: القول عما كان منهم. **٤٢** آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ولا تقربوا الصلاة أي: تجنّبوا العبادة المكتوبة. والسكارى: جمع سكران، الشارب للخمر وما يُسكر. وتعلموا: تدركوا. وتقولون أي: في الصلاة. والجنب: البعيدون عن الطهارة. وعابرو السبيل: المسافرون. وتغتسلوا: تُطهّروا البدن بالماء. والمرضى: جمع مريض، من به مرض يضره الماء. وعلى سفر أي: مسافرين. وجاء: رجع. والأحد: الواحد. والغائط: مكان التبوّل أو التغوّط. ولامستم: لمستم أو ضاجعتم. والنساء: جمع نسوة. والواحدة امرأة. ولم تجدوا: لم يتيسّر لكم. والماء: السائل المعروف لا طعم له ولا لون ولا رائحة. وتيمّموا: اقصدوا. والصعيد: التراب. والطيّب: الطاهر. وامسحوا أي:بالتراب. والوجوه: جمع وجه، ما يقابل به الإنسان غيره من رأسه. والأيدي: جمع يد، من أطراف الأصابع إلى المِرفق. والعفوّ: الكثير المسح للذنوب. والغفور: الكثير الستر لها وعدم المؤاخذة عليها. **٤٣** ألم تر أي: لقد رأيت عِيانًا، أيها النبيّ. وأُوتوا: أُعطوا وكُلّفوا بالاتباع. والنصيب: الحظ والقدر. والكتاب: التوراة. ويشترون: يستبدلون. والضلالة: الكفر. ويريدون: يطلبون. وتضلوا: تُخطئوا وتُضيّعوا. والسبيل: طريق الحق. **٤٤**

سورة النساء — الجزء الخامس

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟
مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ
ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى
سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ
أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً
فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ
ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

المعنى العام: أن المنفقين أموالهم للرياء، وهم كافرون بالتوحيد والبعث، يصاحبون الشياطين للفساد، وما أسوأ القرناء! لا شيء يضرهم لو آمنوا وأنفقوا بل كان لهم من الله رحمة، لأنه يكافئ بالعدل ويضيف إليه من فضله الثواب العظيم. وكيف تكون أحوال الكافرين، حين يشهد عليهم الأنبياء بما فعلوا ويشهد محمد ﷺ على الجميع بما كان من تبليغ الأنبياء للناس وكفْر الكثيرين منهم؟ إذ ذاك يتمنّى الكافرون أن تطمرهم الأرض ولا يخفوا ما كان منهم.

وعلى المسلمين تجنب الصلاة في حال السكرِ وعدمِ الطهارة، ويجوز للمسافر والمريض والملامس للمرأة، إذا تعذر عليه الماء أو استعماله، أن يتيمم بالتراب الطاهر، دلكًا للوجه واليدين إلى المرفقين. والله غفور ورحيم بالمؤمنين.

ولقد رأيتَ - أيها النبيّ - اليهود الذين أكرمهم الله بالتوارة كيف يختارون الضلال ويقصدون إضلالكم معهم؟

الجزء الخامس — سورة النساء

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ
وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ
ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا
﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ
وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ
وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا
مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

تفسير المفردات: أعلمُ: أكثر علمًا منكم وأوفى وأثبت وأدق. والأعداء: جمع عدو. وهو المعادي المخاصم. وكفى بالله أي: بلغ اللهُ نهاية الكفاية بلا معين ولا منازع. والوليّ: الحافظ المعين. والنصير: المانع من الكيد.**٤٥** من الذين هادوا أي: بعض اليهود. ويحرّفون: يغيّرون. والكلم: واحدته كَلِمة. والمواضع: جمع مَوضع. ويقولون أي: للنبيّ ﷺ. وسمعنا: أدركنا. وعصينا: كفرنا بك وبقولك. واسمع أي: أنصِت إلينا. وغير مُسمَع أي: لا سمعتَ. وراعنا: من المراعاة أي: اشملْنا بعطفك. والليّ: التحريف. والألسنة: جمع لسان، ما يُتكلّم به من جهاز النطق. والطعن: الشتم والذمّ. والدين: الإسلام. ولو أي: لو حصل. وأطعنا: لزمنا الأمر والنهي. وانظرنا: انظر إلينا بعطف. وكان أي: قولهم هذا. وخيرًا: أفضل. وأقوم: أعدل. ولعنهم: طردهم من رحمته. وبكفرهم: بسبب إنكارهم للإسلام وتكذيبهم.ولا يؤمنون: لا يصدّقون الحق. وقليلًا أي: بعضَ الأفراد منهم، كعبدالله بن سلام وهو أحد أحبارهم، ومن أسلم من اليهود. **٤٦** أُوتوا: أُعطو وأُلزموا. والكتاب: التوراة. وآمِنوا: صدِّقوا يقينًا. ونزّلنا: أوحيناه على لسان جبريل. ومصدقًا لما معكم أي: موافقًا ما أنزلنا إلى أجدادكم. ونطمس: نمحو التكوين. والوجوه: جمع وجه. ونردّها: نمسخها. والأدبار: جمع دُبُر. وهو مؤخر العنق. ونلعنهم: نمسخ اليهود قردة. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء يُنسب إليه. والسبت: اليوم الأول من الأسبوع. وكان أي: وما يزال. وأمر الله: قضاؤه وما حكم به. ومفعولًا أي: واقعًا لا مردّ له. **٤٧** الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا يغفر أن يشرَك به: لا يعفو ولا يصفح أن يُجعل له شريك في التقديس والطاعة. ودون ذلك أي: غير الشرك. ويشاء: يريد المغفرة له. وافترى: اختلق. والإثم: الذنب. والعظيم: الكبير جدًّا. **٤٨** ألم تر أي: لقد رأيت عِيانًا، أيها النبيّ. ويزكّون: يمدحون ويعظمون. والأنفس: جمع نفس. وهي الإنسان بروحه وجسده. ويشاء أي: يريد تزكيته. ولا يُظلمون: لا يُجار على اليهود. والفتيل: خيط دقيق في شَقّ النواة. **٤٩** انظر أي: تأمّل شناعة دعواهم. وكيف يفترون: كيفية اصطناعهم. والكذب: الباطل. وكفى به أي: بلغ زعمهم هذا نهاية الكفاية! والإثم: الذنب. والمبين: البيّن بوضوح. **٥٠** والنصيب: القدر المعلوم. والكتاب: التوراة. ويؤمنون بالجبت أي: يعتقدون ألوهية الرذِل لا خير فيه ويقدّسونه. وهو صنم لقريش. والطاغوت: صنم آخر لها. والذين كفروا: المشركون من قريش. وهؤلاء أي: أنتم. وأهدى: أكثر هداية للحق. والسبيل: الطريق.**٥١**

المعنى العام: الله يعلم أكثر منكم أعداءكم اليهود ـ أيها المسلمون ـ وحقيقة ما في نفوسهم بدقة وتفصيل، وهو يكفيكم شرهم ويحفظكم من الكيد والإفساد كفاية وحفظًا لا حدّ لهما، ولا حاجة بعدهما لمعونة أحد. فمنهم من يحرّفون التوراة للتضليل ويأبون طاعة النبي ﷺ، ويدعون عليه بالصمم، إذ يرفعون أصواتهم بـ «اسمع» ليُنصِت إليهم، ثم يقولون في أنفسهم: «غير مُسمَع»، ويخاطبونه بألفاظ نابية يريدون بها أمرًا بالرعونة للهزء والسخرية. ولو أحسنوا القول لقدّموا لأنفسهم ما هو أفضل، ولكنهم مطرودون من الرحمة قلّ أن يكون منهم مؤمنون. وعليهم أن يؤمنوا قبل أن يعاقبوا يوم القيامة بمسخ وجوههم وجعلها كظهورها، كما مُسخ أجدادهم بعد احتيالهم للصيد يوم السبت، وهو لا يجوز لهم فيه العمل.

فالله لايغفر الشرك لِما فيه من الذنب العظيم، ويغفر غيره لمن يشاء. وأنت ترى ـ أيها النبيّ ـ هؤلاء اليهود وتعجب منهم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ويكذبون على الله، ويكفرون بالتوراة حين يمدحون مشركي مكة بأنهم أفضل دينًا من المسلمين، ويثنون لهم على أصنامهم بالكذب والباطل ويسجدون لها إرضاء وخداعًا للمشركين...

تفسير المفردات: أولئك أي: اليهود. ولعنهم الله: طردهم من رحمته. ولن تجد: لن ترى. والنصير: المانع من العذاب. **٥٢** أم لهم: بل ليس لهم؟ النصيب: القدر. والملك: حق التصرّف في الكون. وإذًا أي: لو كان لهم ذلك. ولا يؤتون: لا يعطُون. والناس: البشر. والنقير: الحفرة الدقيقة في ظهر النواة. **٥٣** أم يحسدون الناس: بل كيف يتمنون زوال النعمة عن الرسول ﷺ وأصحابه؟ وعلى ما آتاهم: بسبب ما أعطاهم. ومن فضله: بتفضله وإحسانه. وآل إبراهيم: ذُرّيّته من أولاد وحفدة. والكتاب أي: الكتب المقدّسة. والحكمة: النبوة، لوضع الأمور في موضعها بغاية الإتقان. والملك: السيادة وحكم الدول. والعظيم: الضخم جدًّا. **٥٤** منهم أي: بعضهم. وآمن به: صدّق نبوّة محمد ﷺ. وصدّ: امتنع وأعرض. وكفى بجهنم: بلغت جهنمُ النهاية في الكفاية. وجهنم: دار العذاب للكافرين. والسعير: شدة توقد النار. **٥٥** كفروا: جحدوا وأنكروا. والآيات: نصوص الكتب المقدسة والأدلة الكونية. وسوف نصليهم: لا بدّ أن ندخلهم. والنار: نار جهنم. وكلما نضجت: كلَّ وقت احتراق. والجلود: جمع جِلد. وهو غطاء الجسم. وبدّلناهم: أبدلنا لهم. وغيرها: مغايرة لها. ويذوقوا: يقاسوا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وكان أي: ولا يزال دون قيد زمانيّ. والعزيز: الغلّاب يَذِلّ لعزته ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية في التقدير والفعل. **٥٦** عملوا: اكتسبوا من نية وقول وفعل. والصالحات: ما يرضاه الله. وسندخلهم: لا بد أن ندخلهم. والجنّة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها أي: تحت قصورها وبين أشجارها. والأنهار: جمع نهر. وخالدين: مقيمين مُدّة طويلة. وأبدًا أي: إلى نهاية الزمن. والأزواج: جمع زوج. وهو الزوجة. والمطهّرة: الخالية من كل عيب وقذر في الجسم والنفس. والظل: ما يقي أذى الحرارة. والظليل أي: لا ينتقل وليس فيه ثُغرات. **٥٧** يأمر: يُلزم. وتؤدّوا: تسلموا، أيها المؤمنون. والأمانات: حقوق الله والمخلوقات. وأهلها: أصحابها. وإذا حكمتم: حين تحكمون. وبالعدل أي: مصاحبين الحق. ونعمّا يعظكم أي: بلغ ما ينصحكم به الغاية في الخير والنعمة والفضل. والسميع: المدرك للمسموعات. والبصير: البالغ العلمِ بما يكون. **٥٨** أطيعوا الله: اعملوا بأمره ونهيه. والرسول: محمد ﷺ. وأُولو الأمر: الولاة لشؤونكم كالخليفة والعالم بالشرع والمسؤول عن عمل حين يأمركم بالحق. ومنكم أي: من المسلمين. وتنازعتم: اختلفتم فيما بينكم أو مع أُولي الأمر. والشيء: ما يحصل من الأمور. وردّوه إلى الله أي: اعرضوه على كتابه. والرسول أي: ما صحّ من سُنّته. واليوم الآخر: الحياة يوم القيامة. وذلك أي: العرض على الكتاب والسُّنّة. وخير: أكثر نفعًا. وأحسن: أجمل. والتأويل: المآل والمصير والنتيجة. **٥٩**

الجزء الخامس — سورة النساء

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ
لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ
اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ
النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

المعنى العام: متابعة قبائح اليهود بأنهم طردوا من رحمة الله فليس لهم معين. لقد زعموا أن ملك الدنيا لهم، وسيحوزونه بكل وسيلة. والحق أنه ليس لهم ذلك، ولو تملكوا بعضه لمنعوا عن غيرهم كل شيء ولو كان حقيرًا.

فهم يحسدون المسلمين على العزة وازدياد الرفعة، وكان لأنبيائهم تملك وغنى، وهم الآن قل أن يؤمن أحد منهم. فالكافرون سيكون لهم عذاب جهنم بكفايتها يوم القيامة، تُجدَّد جلودهم كلما احترقت بالعقاب، والله حكيم في انتقامه، والمؤمنون والمؤمنات لهم جنات يخلدون في نعيمها، وزوجات وأزواج كرام وحفظ دائم.

ولما مُنع عثمان بن طلحة من استرداد مفتاح الكعبة نزلت الآية ٥٨، بوجوب أداء الأمانة والعدل في الحكم. وهذا أفضل ما يجب القيام به، فتجب طاعة الله والرسول والمكلفين بالأمور من المسلمين. وإذا حصل خلاف فيما ليس له نص صريح فليُستنبط له حكم من الآيات والأحاديث، وهذا أفضل ما يمكن للخير والصلاح.

الجزء الخامس　سورة النساء

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ
إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا
فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ
أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ
لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟
فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

تفسير المفردات: ألم تر أي: لقد رأيت بحق، أيها النبيّ. ويزعمون: يدّعون بالباطل. وآمنوا: صدّقوا يقينًا. وأُنزل: أوحي ونزل به جبريل. وما أُنزل من قبلك أي: التوراة. ويريدون: يطلبون ويقصدون. ويتحاكموا: يطلبوا الاحتكام. والطاغوت: الكثير الطغيان والتضليل من الكافرين. وأُمروا: وجب عليهم. ويكفروا به: يكذّبوا قوله. والشيطان: من يغري بالشرّ من الجنّ والناس. ويضلهم: يخرجهم ويبعدهم عن الحق. والبعيد: المُغرِق في الانحراف. ٦٠ قيل لهم أي: قال لهم المسلمون. وتعالوا: توجّهوا. وأنزل الله: أوحى على لسان جبريل. والرسول أي: حكم النبيّ ﷺ. ورأيتَ: أبصرتَ، أيها النبيّ. والمنافقون: من يُظهرون بألسنتهم غير ما في قلوبهم. ويصدّون: يمتنعون. ٦١ كيف أي: ما أعجب حالهم! وإذا أصابتهم: حين تحلّ بهم. والمصيبة: العقوبة الربّانية. وبما قدمت أيديهم أي: بسبب ما فعلوا وقالوا. والأيدي: جمع يد. وجاؤوك أي: أتوا إليك. ويحلفون: يُقسمون الأيمان. وإن أردنا: ما قصدنا وطلبنا. والإحسان: العمل الحسن الطيب. والتوفيق: التقريب والتساهل والتوسّط في الخصومة. ٦٢ أولئك أي: المنافقون وأمثالهم. ويعلم الله: يحيط جملة وتفصيلًا. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يمد الدماغ بذلك مع ماء الحياة صافيًا. وأعرِض عنهم أي: اتركهم ولا تعاقبهم ولا تعاتبهم بما كان منهم. وعظهم: انصحهم وخوّفهم عذاب الله. وفي أنفسهم أي: في شأنها وحالها. والأنفس: جمع النفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والبليغ: ما يطابق مدلوله المقصودَ به فيؤثر. ٦٣ ما أرسلنا: ما بعثنا وكلفنا بالدعوة والعمل. ومن رسول أي: مكلّفًا بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ويطاع: يستجاب لأمره ونهيه. وبإذن الله: مصاحبًا أمره وإرادته. ولو أي: لو حصل. وإذ ظلموا: حين جاروا على أنفسهم. وجاؤوك: أتوا إليك، أيها النبيّ. واستغفروا الله: طلبوا منه المغفرة بالتوبة والإخلاص. واستغفر لهم الرسول أي: شفَع لهم محمد ﷺ وطلب المغفرة لهم. ووجدوا: علموا علمًا يقينيًا. والتوّاب: الكثير القبول للتوبة مع المغفرة. والرحيم: الكثير العطف بفضله وإحسانه على المؤمنين. ٦٤ الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ولا يؤمنون: لا تعرف قلوب المنافقين التوحيد وما يلزمه. ويحكموك أي: يجعلوك حكمًا فتقضي بينهم بما هو شرعُنا. وشجر: اختلط والتبس وأشكل. ولا يجدوا: لا يرَوا بتدبر وتعقل. والحرج: الضيق والشكّ. ومما قضيت: بسبب ما حكمت وأمرت. ويسلّموا: ينقادوا للحكم. ٦٥

المعنى العام: اختصم يهودي ومنافق، فطلب الأول حكم النبي ﷺ. والمنافقون حكم اليهودي كعب بن الأشرف. ولمّا حكم النبي الكريم لليهودي ولم يرض المنافق وذهب للاحتكام إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فقتله عمر وقال: «هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله»، نزلت الآيات ٦٠- ٦٤ بمن يترك حكم النبي ﷺ و يلجأ إلى الصحابة أو قضاء الكافرين المستورد. فالمنافقون يحتكمون إلى الشيطان، ويتركون الشرع.

وعندما قُتل المنافق جاء أصحابه بحال عجيبة من الشقاء، يعتذرون مما فعلوا ويطالبون بدمه، ويزعمون كذبًا أنهم كانوا يريدون الإصلاح. فهم منافقون يستحقون الصفح والوعظ البليغ منك - أيها النبيّ ـ لعلهم يهتدون، ولأن مهمتك هي التوجيه كما كان شأن الأنبياء والرسل من قبل، وعلى الناس لزوم الطاعة.

أما الذين رفضوا حكمك ولجؤوا إلى غيرك من الصحابة فلو جاؤوا يطلبون المغفرة بعد ما جرى عليهم، لرأوا من الله التوبة. والحق أنهم لن يكونوا مؤمنين حتى يطلبوا حكمك، وحكم القرآن الكريم والسُّنّة الشريفة من بعدك، ويتقبلوا ذلك دون ضيق بالرضا والطمأنينة والتسليم النهائي...

تفسير المفردات: لو أي: لو حصل. وكتبنا: فرضنا وأمرنا بالوحي. وعليهم: على المنافقين. وأن بمعنى: أي. واقتلوا: أزهقوا الأرواح. والأنفس: جمع نفْس، الإنسان بحقيقته. واخرجوا: ارحلوا. والديار: جمع دار، مكان الإقامة والاستقرار. وما فعلوه: ما أطاعوا الأمر. والقليل: العدد اليسير. ويوعظون: ينصحون ويوجَّهون. وكان أي: فعلهم. وخيرًا أي: أكثر نفعًا مما هم عليه. وأشدّ: أقوى. والتثبيت: التحقيق للإيمان. ٦٦ إذًا أي: لو أنهم فعلوا ذلك. آتيناهم: أعطيناهم. ومن لدنّا: من عندنا بالفضل. والأجر: الثواب. والعظيم: الوافر لا يقدَّر قدره. ٦٧ هديناهم: أرشدناهم ووفقناهم. والصراط المستقيم: الطريق الواضح المعتدل. ٦٨ يطيع الله: ينفّذ أمره ونهيه. والرسول: محمد ﷺ. ومع الذين... أي: في صحبتهم المباركة. وأنعم: تفضّل بالإحسان. والنبيّ: من كلّفه الله بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والصِّدِّيق: المبالغ في الصدق والتصديق. والشهداء: جمع شهيد، من يُقتل في سبيل الله. والصالحون: الذين يعملون ما حسّنه الشرع. وحسُن: كان الطِّيبُ والبهجة والجمال فيه خِلقة أصيلة. والرفيق: المُرافِق. ٦٩ ذلك أي: كونهم مع من ذُكر. والفضل: التفضل. ومن الله أي: من تكرمه. وكفى بالله: بلغ اللهُ الغاية في الكفاية. والعليم: المبالغ في الاطّلاع والعلم بما يكون. ٧٠ آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وخذوا أي: لازموا. والحِذر: الاحتراز والتيقظ. وانفروا: سارعوا إلى الجهاد. والثُّبات: الجماعات المتفرقة، واحدتها ثُبة. وجميعًا: مجتمعين، أي: بالأمرين المذكورين معًا. ٧١ منكم: بعضكم. وليبطئنّ أي: أُقسِمُ ليتأخرنّ عن الجهاد. وأصابتكم: نزلت بكم. والمصيبة: النكبة والخسارة. قال أي: مستبشرًا. وأنعم الله عليّ إذ: أكرمني حين. والشهيد: الحاضر. ٧٢. لئن أي: أُقسِم إن. والفضل: التفضل والإحسان بالنعم والنصر. ومن الله أي: من عنده وبأمره. ويقول أي: متحسّرًا. وكأن: كأنّه. والمودّة: المعرفة والصداقة. ويا ليتني: أتمنّى أنني. وأفوز: أظفر بالخير والسلامة والكسب. والعظيم: الضخم جدًّا. ٧٣ يقاتل: يحارب العدوَّ. وفي سبيل الله: لنُصرة الطريق الواضح بإعلاء دينه. ويشرون: يبيعون ويستبدلون. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس لأنهم فيها. والآخرة: الحياة البعيدة تكون بالبعث بعد الموت. ويُقتل: يُستشهد. ويغلب: ينتصر. وسوف نؤتيه: لا بدّ أن نعطيه. والأجر: الثواب. ٧٤

سورة النساء — الجزء الخامس

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن
دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ
بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن
لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم
مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ
أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ
شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن
لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ
فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٩

المعنى العام: متابعة ذكر مفاسد المنافقين بأنه لو أمرهم الله بقتل بعضهم بعضًا، أو الهجرة من الديار، لما أطاع ذلك منهم إلّا القليل، ولو استجابوا لما يوجّههم إليه الرسول ﷺ لكان خيرًا لهم وأكثر ترسيخًا في طريق الصلاح، ولأكرمهم الله بالثواب العظيم وهداهم سبيل الخير والفلاح.

وعندما سأل الصحابة النبي ﷺ أن يرَوه في الجنة نزلت الآيتان ٦٩ و٧٠، بأن المطيعين لله والرسول هم يصاحبون النبيّين والصِّدّيقين والشهداء. وما أعظمها مصاحبة بفضل الله العليم! فعليهم ملازمة التيقظ والحذر من غدر المعتدين، والإسراع للجهاد مجتمعين أو جماعات متلاحقة، أي: على كل حال، وألّا يكون لهم عذر بقلة أو كثرة وبتجمع أو تفرّق.

أما المنافقون ـ وهم بين المسلمين ـ فيتخلّفون ويتأخّرون لينجوا من القتل فرحين إن نزلت مصيبة بالمؤمنين إذ لم يشاركوا في حرب الكافرين المعتدين فأكرمهم هؤلاء، وليتحسّروا ويتألموا ويتمنوا مكاسب الظفر إن جاء نصر الله، كأنهم لا علاقة لهم بالمؤمنين، وهم في الظاهر منكم ـ أيها المسلمون ـ ولكنهم في الحقيقة أعداء لكم.

ولْيُجاهد الذين يبيعون دنياهم بالآخرة، ليكون للشهداء في سبيل الله والدفاع عن دينه وللمنتصرين على المعتدين عزّة الدنيا ونعيم الجنة...

تفسير المفردات: ما لكم: ما هو عذركم؟ ولا تقاتلون: لا تقاومون المعتدين بالسلاح. وفي سبيل الله: لنصرة دينه بالجهاد. والمستضعفون: الذين أهانهم المعتدون. والرجال: جمع رجل. والنساء: جمع نسوة واحدته امرأة. والولدان: جمع وليد، الطفل والطفلة والعبد والأمة. ويقولون أي: يستغيثون. وربّنا: يا ربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وأخرجنا: أنقذنا. والقرية: البلدة. والظالم: الكافر والمعتدي. والأهل: الملازمون للمكان. واجعل لنا: أوجِد لأجلنا. ولدنك: عندك بفضلك. والوليّ: من يتولى الأُمور. والنصير: المعين على العدوّ والشدائد. ٧٥ آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وفي سبيل الطاغوت: لنُصرة المستغرق في الطغيان، أي: شيطان الإنس والجنّ. والأولياء: جمع وليّ، المنقاد والمطيع. والكيد: السعي في الفساد بالاحتيال. وكان أي: وما يزال. والضعيف: الواهي. ٧٦ ألم تر أي: لقد رأيت بحق، أيها النبيّ. وقيل لهم أي: أُمروا. وكفّوا أيديكم: امنعوها عن القتال. والأيدي: جمع يد. وأقيموا الصلاة: أدّوا العبادة المعهودة المكتوبة بشروطها. وآتوا الزكاة: أدّوا الفريضة المطهِّرة للمالِ وأصحابِه إلى مستحقيها. ولمّا أي: حينها. وكتب: فُرض. والقتال: الجهاد للعدوّ. وإذا أي: فاجأ الفرضَ خوفُ بعضِ المذكورين. والفريق: الجماعة. ويخشى: يخاف. والناس: الكفّار. وأشد: أقوى وأعنف. ولمَ كتبتَ أي: لماذا عجّلت الفرض؟ ولولا: هلّا، للتمني. وأخّرتنا: تركتنا. والأجل: الوقت المؤجّل. وقريب: بعد زمن قليل. وقل أي: لهم، أيها النبي. والمتاع: ما يُتمتّع به. والقليل: اليسير يذهب سريعًا. والآخرة: النعيم فيها. وخير: أكثر نفعًا. واتقى: تجنّب ما نُهي عنه. ولا تُظلمون: لا تعامَلون بغير العدل. والفتيل: الخيط الدقيق في شَقّ النواة. ٧٧ أينما: في أيّ موضع. وتكونوا: توجدوا. ويدركْكم: يصيبكم. والموت: مفارقة أرواحكم للأجساد. ولو كنتم: إن حصلتم. والبروج: جمع بُرج، الحِصن. والمشيّدة: المنيعة المرتفعة. وتصيبهم: تنال اليهود والمنافقين. والحسنة: الحال الطيبة. ومن عند الله أي: بتقديره خلقًا وإيجادًا. والسيئة: الحال المؤذية. ومن عندك أي: بسبب وجودك بينهم، أيها النبي. وما لهؤلاء: أيُّ شيء أصابهم؟ والقوم: الجماعة من الناس. ولا يكادون: لا يقاربون. ويفقهون: يفهمون. والحديث: الكلام الذي يقال. ٧٨ أصابك: نالك، أيها الإنسان. ومن نفسك أي: من عمل شخصك. وأرسلناك رسولًا: بعثناك - أيها النبيّ ـ مكلَّفًا بالدعوة مع العمل. والناس: البشر. وكفى بالله: بلغ اللهُ الغاية في الكفاية. والشهيد: المُبالِغ في الشهادة يُثبت حقيقة الواقع. ٧٩

الجزء الخامس سورة النساء

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ
ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا
تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟
هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن
سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

المعنى العام: ليس لكم عذر - أيها المؤمنون ـ في التخلف عن الجهاد لنصرة الدين والمعذّبين، وهم يستغيثون لينقَذوا من الظلم، ويطلبون من ينصرهم. فالمؤمنون جهادهم لنصرة الإسلام والمسلمين، والكافرون قتالهم لنصرة الشيطان، وهو ضعيف الكيد والحيلة.

ولقد رأيتَ - أيها النبيّ ـ بعض المسلمين يتمنّون في مكة الجهاد، وعندما أُمروا به ظهرت على بعضهم خشية الكافرين وأصابهم الضجر، لِما في طبع البشر من المخافة. فهم يتمنّون أن يتأخر القتال، ليكون لهم الاستعداد الأفضل. فليعلموا أن ما في الدنيا زائل، والخيرَ الدائم هو في الآخرة، ولا بد من الموت مهما تحصّن الإنسان وتخفى.

واليهود والمنافقون ينسبون ما ينالون من الخير إلى الله وما ينزل عليهم من المصائب إلى وجودك بينهم، والحق أن ما يجري في الحياة كله بتقدير من الله وقضاء، بلا تدخّل لأحد في ذلك كما يزعمون، والحسنة تفضُّل من الله، والسيئة نتيجة فعل الإنسان نفسه، والله قضى بذلك وخلَقه، بلا تدخل أحد في القضاء أو الخلق، ولكن أعداءك لا يفهمون حقائق الأمور. وفي كل من الحالين ابتلاء وامتحان ليظهر الصالح من الفاسد. وما أنت إلا رسول للتبليغ، وكفى بالله شهيدًا على رسالتك وظلمهم!

تفسير المفردات: يطيع الرسول: يستجيب له بما أمر أو نهى. وأطاع الله: كانت طاعته لله. وتولَّى: أعرض عن طاعة الله والرسول. وما أرسلناك أي: لم نكلفك أن تكون.وحفيظًا: حافظًا للأعمال ومسؤولًا عنها. ٨٠ يقولون أي: المنافقون لك، أيها النبيّ. وطاعة أي: شأننا الاستجابة لك. وبرزوا: خرجوا. وبيّتَ: أضمر ونوى. والطائفة: الجماعة. والذي تقول أي: الذي قالته في حضورك. ويكتب: يأمر بالكتابة والتسجيل في صحائف أعمالهم. وأعرض: انصرف إلى واجبك. وتوكل على الله: تحصّن وثق به وحده. وكفى بالله: بلغ اللهُ الغاية في الكفاية. والوكيل: من تُفوّض إليه الأمور. ٨١ ألا يتدبّرون: إنهم لا يتأمّلون ولا يتفكّرون. والقرآن: ما أوحاه الله. وغير الله أي: المخلوقات. ووجدوا: رأوا. والاختلاف: التناقض والاضطراب. والكثير: المتعدد جدًّا. ٨٢ جاءهم: وصل إليهم. والأمر: الخبر. والأمن: السلامة. والخوف: الفزع. وأذاعوا به: نشروه. وردّوه: رجعوا فيه. وأولو الأمر: أصحاب الرأي يعرفون حقيقة الأمر. ومنهم أي: من المسلمين. وعلمه: عرف ما يقتضيه من تدبير. ويستنبطونه: يطلبون ما فيه وما يوجبه. ومنهم أي: من أولي الأمر. ولولا أي: لولا وجود. والفضل: التفضل. والرحمة: العطف بالإحسان. واتبعتم: تبعتم وأطعتم. والشيطان: من يغري بالشر من الإنس والجنّ. والقليل أي: العدد اليسير. ٨٣ قاتل: حارب المعتدين، أيها النبيّ. وفي سبيل الله: لإعلاء كلمته بما شرع من الجهاد. ولا تكلَّف: لا يوجَب عليك. والنفس: شخص الإنسان. وحرّض: شجع وحضّ على القتال. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. وعسى: وجبَ وتحقق. ويكف: يمنع عنكم. والبأس: القوة والحرب. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وأشدّ: أعظم. والتنكيل: التعذيب. ٨٤ يشفع: يتوسط لمنفعة أو دفع مضرة. والحسنة: الموافقة للشرع. ويكون: يصير. والنصيب: الحظ المعيَّن. ومنها: بسببها. والسيّئة: المخالفة للشرع. والكفل: النصيب من الذنب. وكان أي: وما يزال من دون قيد زماني. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والمُقيت: المقتدر. ٨٥ حُيّيتم: دُعي لكم بالحياة والأمان. والتحية: الدعاء بحياة طيّبة. وحيُّوا: ادعوا لمن بادركم بالسلام. وأحسن: أفضل. وردّوها أي: ردوا مثلها. والحسيب: المحاسب والمجازي بالعدل. ٨٦

سورة النساء | الجزء الخامس

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ
عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ
مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا
﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا
فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ
أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي
الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾
فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ
عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا
وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ
نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

المعنى العام: أن طاعة الرسول هي طاعة لله، فلا تهتم ـ أيها النبيّ ـ بمن أعرض عن رسالتك، لأنك غير مكلف بإيمانهم. فالمنافقون يواجهونك بالموافقة والطاعة، ثم يكيدون بالخفاء لك ولدينك. وقد سجل الله عليهم ذلك. فانصرفْ عن متابعة أباطيلهم والزم عدم المبالاة بهم ولا تعاتبهم ولا تفضح قبائحهم، وثق بنصر الله وهو كاف وحده.

لقد كان على المنافقين أن يتفكروا في القرآن، ليتحقق لهم أنه كله صدق ومن عند الله، إذ لو كان من كلام مخلوقات لظهر فيه التناقض والاضطراب بكثرة. وهم شأنهم إثارة الفتن، فعندما يبلغهم خبر نصر أو هزيمة يشيعونه مشوّهًا مزعجًا مؤلمًا، فيسبّبون اضطراب المؤمنين، ولو رجعوا في ذلك إلى الرسول العظيم والعلماء لتلقوا حقيقة الأمر. ولولا تفضل الله ورحمته بحفظكم ورعايتكم لتابعتموهم في الضلال.

ولمّا جاء المشركون، لغزوة بدر الصغرى نزلت الآية ٤٨، بأن النبي ﷺ مسؤول عن نفسه، ليقاتل في سبيل الله ويحرّض المؤمنين على ذلك، وسوف يرد الله المعتدين، لأنه أعظم قوة منهم وتعذيبًا. فقال النبي الكريم: «والذي نفسي بيده لأخرجَنَّ، ولو وحدي»، ثم تبعه المسلمون وهرب المشركون. فالذي يسعى في الخير أو الشر ينال شيئًا من الجزاء بسببه، والله قادر على ذلك الجزاء وغيره. وإذا حياكم أحد بتحية ـ أيها المسلمون ـ فأجيبوه بأفضل منها أو بمثلها. وسوف يحاسبكم الله على ما تفعلون.

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ
فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ
أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ
تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ
مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ
السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

تفسير المفردات: الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإلّه: المعبود بحق. وليجمعنّكم: أُقسِمُ ليحشرنّكم بالبعث. وإلى يوم أي: في وقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. والريب: الشكّ. وفيه: في حصول يوم القيامة. ومن أصدق: لا أحد أكثر صدقًا. والحديث: القول. ٨٧ ما لكم: ما الذي حصل لكم وجعلكم؟ وفي المنافقين أي: بسبب وضع الذين يُظهرون الإيمان ويضمرون الكفر. وفئتين أي: جماعتين مختلفتين. وأركسهم: ردّهم عن الجهاد كالمنكوسين على رؤوسهم وأعقابهم. وبما كسبوا أي: بسبب ما فعلوا من نيات وأقوال وأعمال. وأتريدون: كيف تطلبون. وتهدوا: تنسبوا إلى الإيمان. وأضل: صرف قدراته إلى الكفر والنفاق لِما في ضميره واختياره واستعداده من الشر والفساد. ولن تجد: لن تلقى أيها المخاطب. والسبيل: الطريق إلى الهداية. ٨٨ ودّوا: تمنّوا. ولو تكفرون: أن تكفروا. وتكونون: تصيرون أنتم وهم. وسواءً أي: متساوين متماثلين. ولا تتّخذوا: لا تجعلوا. ومنهم: بعض المنافقين والأولياء: جمع وليّ. وهو الصديق والنصير. ويهاجروا: يتركوا ما هم عليه من الباطل. وسبيل الله: الطريق الذي يوصل إلى طاعته والجهاد. وتولّوا: أعرضوا عن الاستجابة. وخذوهم: أمسكوهم. واقتلوهم: أزهقوا أرواحهم. وحيث وجَدتموهم: مكان لقائهم.

الحزب ١٠

والنصير: المعين على العدو. ٨٩ يصلون: يلجؤون. والقوم: الجماعة من الناس. والميثاق: العهد الموثّق بالقَسم. وجاؤوكم أي: أتوا إليكم مسالمين. وحصِرت: ضاقت. والصدور: جمع صدر، ما بين البطن والعنق. وأن يقاتلوكم أي: عن قتالكم. وشاء: أراد. وسلّطهم: جرّأهم. وقاتلوكم: واجهوكم بالسلاح القاتل. واعتزلوكم: هادنوكم. وألقَوا: قدّموا. والسلم: المسالمة. وما جعل أي: منع وحرم. والسبيل: الطريق للقتل. ٩٠ تجدون: تلقَون. وآخرين أي: كفارًا ومنافقين غير الذين تقدّم ذكرهم. ويريدون: يقصدون. ويأمنوكم أي: يَسلموا من قتالكم. وكلّما: كلَّ وقت. ورُدّوا: أُعيدوا وأُرجعوا. والفتنة: التعرّض للشرّ والكفر والعداوة. وأركسوا: انقلبوا على رؤوسهم. ويكفّ: يمنع. والأيدي: جمع يد. وثقفتموهم: وجدتموهم. والسلطان: البرهان. والمبين: البيّن الظاهر لقتلهم. ٩١

المعنى العام: أن التوحيد المطلق لله وحده، ولسوف يجمع الناس كلهم في يوم القيامة للحساب ولا شك فيما يتهدّد به، لأنه لا مثل له في صدق الوعد.

وعندما رجع بعض المنافقين عن القتال في غزوة أُحد، اختلف المسلمون فيهم، فقائل للنبي ﷺ: اقتلْهم، يجب قتلهم لثبوت كفرهم. وآخر يقول: لا تقتلهم لأنهم ينطقون بالشهادتين، فهم من المسلمين. لذلك نزلت الآيات تبيّن الحكم في المنافقين عامة. فالذين رجعوا عن الغزوة أمرهم لا يجوز الاختلاف فيه، لأنهم هاربون من الجهاد، وهذا يدل على الرِّدّة والكفر. ومن يظنّ فيهم الإيمان يقصد هداية من أضلهم الله، ولا سبيل إلى خلق الهداية في قلوبهم. ثم هم يريدون لكم ـ أيها المسلمون ـ الكفر. فإذا رجعوا إلى الإيمان كانوا عونًا لكم، وإن أصرّوا على الكفر وجب أسرهم، ليتوبوا أو يقتلوا.

ومن لجأ منهم إلى قوم معاهدين لكم، أو جاء إليكم مسالمًا لا يريد ولا تحتمل نفسه حربكم ولا حرب قومه، فقد كفّ الله عنكم شره وأوجب عليكم مسالمته ولا يجوز لكم محاربته، ومن ادعى مسالمتكم ومسالمة قومه، وهو منقلب إلى الغدر والكفر والعداوة كلما تعرض لذلك، مثل قبيلتي أسد وغطفان وهما تقيمان حول المدينة، فقد نزلت فيه الآية ٩١ لتعرفوا أمره وتقابلوه بما يناسب حاله، وهو متردد بالكيد والنفاق والغدر بين العداوة والموادعة. فإن واجهكم بالقتال وترك المسالمة وانكشف غدره وجب قتله حيثما كان، لأن الله قد شرع لكم جهاده.

الجزء الخامس سورة النساء

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ
مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟
لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

تفسير المفردات: ما كان أي: لا يجوز وما ينبغي. والمؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. ويقتل مؤمنًا: يزهق روحه. والخطأ: أن يقع الإنسان في غير ما يريد. وتحرير رقبة أي: جزاؤه عتق مملوك بتحريره مِن تملك الغير. والدِّية: المال المأخوذ بدل الاقتصاص. والمسلّمة: المقدّمة. وأهله: ورثة القتيل. ويصّدّقوا: يتصدّق الأهل على القاتل بأن يعفوا عنه. أُدغمت التاء في الصاد. وكان أي: المقتول. والقوم: الجماعة من الناس. والعدو: المحارب. وهو أي: المقتول أيضًا. والميثاق: العهد المؤكد بالقَسم. ولم يجد: لم يملك القاتل ما يحرّر به. وصيام أي: جزاؤه الامتناع عما يُفطر. والشهر: مدة دوران القمر حول الأرض مرة واحدة. والمتتابعان: المتصلان. وتوبة من الله: قبول الله تعهد القاتل بالإقلاع عن الجريمة مع الاستغفار. وكان أي: وما يزال من دون قيد زماني. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعليم: المحيط علمًا بخلقه. والحكيم: المتقن لتدبير الأمور. **٩٢** المتعمّد: من ينوي العمل ويطلبه بتصميم وعزم. والجزاء: العقاب. وجهنم: دار العذاب يوم القيامة. والخلود هنا: طول الإقامة، لأن عُصاة المسلمين لا يدوم عذابهم. وغضب عليه: سخط عليه وأنزل به عقابه. ولعنه: أبعده من رحمته. وأعدّ: هيأ. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والعظيم: ما لا يقدّر قدره وليس له مثيل. **٩٣** آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. إذا ضربتم أي: حين ترحلون. وفي سبيل الله: لنصرة دينه بما شرع من الجهاد. وتبيّنوا أي: اطلبوا بيان الأمر فيما يصادفكم من الناس. ولا تقولوا لمن أي: لا تتهموا الذي. وألقى إليكم السلام أي: حيّاكم مبادرًا بالتحية الإسلامية شِعار الإسلام. ولست مؤمنًا أي: أنت كافر. وتبتغون: تطلبون. والعَرَض: ماهو سريع الزوال من الغنيمة. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس وهم فيها. وعند الله أي: فيما قدّره وقضاه. والمغانم: جمع مَغنَم. وهو العطاء بالتفضل والإكرام. والكثيرة: العظيمة جدًّا. وكذلك كنتم أي: مثلَ مَن ألقى إليكم السلام كنتم في غربة لا تُظهرون دينكم للناس بوضوح. وقبلُ أي: قبل أن تعلنوا إسلامكم بين الناس. ومنّ الله: أنعم بالخير والإيمان والعزّة. وتعملون: تكتسبون من نية أو قول أو فعل. والخبير: العليم ببواطن الأمور وظواهرها. **٩٤**

المعنى العام: بيان أحكام القتل بأنه لا يجوز أن يتعمّد مؤمن قتل آخر من المؤمنين. فإن حصل منه ذلك خطأ كان عليه الدِّيَة يسلّمها أهل القتيل، ولهم أن يعفوا عن القاتل ويتصدّقوا بذلك عليه. فإن كان القتيل المؤمن من قوم أعداء وجب على القاتل عِتق مملوك من دون ديَة، وإن كان من قوم معاهدين فالديَة تسلّم إلى أهله مع تحرير مملوك أيضًا. فإذا عجز القاتل عن تحرير مملوك، لا فتقاده المال أو افتقاد مملوك يحرَّر كان عليه صيام شهرين متوالين ليتوب الله عليه.

وإن تعمد المؤمن قتل مؤمن فعقابه نار جهنم لأمد طويل لأن صاحب الكبيرة لا يخلد في النار، مع سخط الله وطرده إياه من رحمته وتعذيبه تعذيبًا عظيمًا. وحكمه في الدنيا أن يُقتل المجرم قصاصًا بمن قَتل. وإن عفا عنه أهل القتيل وجبت عليه الديَة.

ولما مر بعض الصحابة برجل من بني سُليم، وحيّاهم بتحية الإسلام، ظنوا أنه كافر يدعي الإيمان تقية وقتلوه وأخذوا ماله، فنزلت الآية ٩٤ بوجوب أن يتحقّق المسلمون في شخصية من يصادفهم في طريق جهادهم، ولا يظنوا العداوة فيمن يسالمهم. فقد كانوا في بدء الإسلام معرَّضين للخطر كما هي حال بعض المسلمين دائمًا، ثم أكرمهم الله وصاروا آمنين. فعليهم التحقق بجِدّ فيما يعرض لهم، والله يعلم حقائق الأمور وبواطنها. ولذلك دُفعت الدية إلى أهل ذلك المقتول خطأ.

الجزء الخامس سورة النساء

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ
جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾
۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ
وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

ربع الحزب ١٠

تفسير المفردات: لا يستون: لا يكونون متساوين في الإيمان والمنزلة. والقاعدون: المتخلّفون عن الجهاد كسلًا وجبنًا. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وأولو الضرر: الذين لا يقدرون على القتال. وأولو واحد: ذو. والمجاهدون: من يبذلون أقصى ما يستطيعون لقتال المعتدين. وفي سبيل الله: لإعلاء دينه بما شرعه من الجهاد، دفاعًا عن الإسلام والمسلمين وديارهم وحقوقهم. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس. وهو الإنسان بروحه وجسده. وفضّل: جعل في المنزلة الفاضلة. والدرجة: المرتبة من الفضيلة. وكلًّا أي: من الفريقين. ووعد الله: تعهد له. والحسنى: النعمة المتميزة من كل شيء. والأجر: الثواب. والعظيم: الضخم لا يقدر قدره. **٩٥** منه أي: من فضل الله وتكرّمه. والمغفرة: ستر الذنب وعدم المؤاخذة عليه. والرحمة: العطف بالإحسان. وكان أي: وما يزال من دون قيد زماني. والغفور: الكثير المغفرة. والرحيم: العظيم الرحمة للمؤمنين. **٩٦** توفّاهم الملائكة: قبضتْ أرواحهم ملائكة الموت. والملائكة: مخلوقات من نور،جمع مَلك. وظالمو أنفسهم أي: عرّضوها للعذاب. وقالوا أي: الملائكة لهم. وفيمَ: في أيّ شيء من أمر دينكم؟ وقالوا أي: المتوفَّون للملائكة. ومستضعفين أي: نُعَدُّ في الضعفاء. والأرض: بلد العدوّ. وألم تكن أي: لقد كانت. وأرض الله: موطن الحياة الدنيا. والواسعة: الفسيحة الجنَبات. وتهاجروا أي: تنتقلوا للحفاظ على دينكم. وأولئك أي: الموصوفون بما مضى. والمأوى: المكان يُلجأ إليه. وجهنم: النار التي أعدت للكافرين والعاصين. وساءت: بلغت نهاية السوء والبؤس. والمصير: المكان يصير إليه الإنسان. **٩٧** الرجال: جمع رجل الذّكر البالغ. والنساء: جمع نِسوة. والواحدة امرأة. والولدان: جمع وليد. وهو الطفل والمملوك والأمة. ولا يستطيعون: لا يقدرون ولا يملكون. والحيلة: الوسيلة والقوّة. ولا يهتدون: لا يجدون. والسبيل: الطريق للهجرة. **٩٨** عسى أي: يُترجَّى ويؤمّل. ويعفو: يغفر الذنب. والعفوّ: الكثير الصفح. والغفور: الكثير المغفرة. **٩٩.** يجد: يصادف. والمُراغَم: مكان الهجرة. والكثير: المتعدد المواضع. والسعة: الرزق الواسع. ويخرج: يرحل. والبيت: مكان الإقامة. والمُهاجر إلى الله: المتوجه إلى طلب طاعته ورضاه. والرسول: محمد ﷺ. ويدركه: ينزل به. والموت: مفارقة روحه للجسد. ووقع: ثبَت. والأجر: الثواب. **١٠٠** ضربتم: رحلتم. والجُناح: الإثم. وأن تقصروا أي: في الاختصار كما يحدّد الشرع. والصلاة: العبادة المكتوبة. وخفتم: علمتم أو توقّعتم. ويفتنكم: يصيبكم بمكروه. وكفروا: كذّبوا الوحدانية والرسالة. وكانوا أي: وما يزالون. ولكم يعني: أيها المسلمون. والعدوّ: المعادي. والمبين: البيّن العداوة. **١٠١**

المعنى العام: فرقٌ ظاهر بين المتقاعسين عن الجهاد وهم غير عاجزين، وبين المجاهدين بالمال والنفس ، وقد ميّز الله هؤلاء بدرجة على العاجزين وعلى غير العاجزين، بثواب عظيم ومراتب عالية، وهو الغفور الرحيم.

ولما بقي بعض المسلمين بين المشركين مظلومين، ولم يهاجروا من مكة، نزلت فيهم الآيات ٩٧ ـ ١٠٠، بأن ملائكة الموت توبّخهم حين قبض أرواحهم على تقاعسهم عن الهجرة في الأرض الواسعة وكونهم مستضعفين. فلهم العذاب والمصير السيئ، إلّا العاجزين الذين لا قدرة لهم من رجال ونساء وأطفال ومماليك، فيرجى لهم العفو والمغفرة. ومن هاجر بدينه يجد فُسحة ورزقًا، فإن مات في طريقه كان له ثواب المهاجرين، برحمة الله وغفرانه.

وفي السفر المحدّد شرعًا يجوز قصر الصلاة، فالظهر والعصر والعشاء يصلّى في كل منها ركعتان بدلًا من أربع. وذكر خشية العدوان هنا هو لبيان واقع المسلمين حينذاك، وليس شرطًا تحققه لجواز القصر.

تفسير المفردات: كنت فيهم: حضرت ـ أيها النبيّ ـ مع المسلمين. وأقمت الصلاة أي: أردت أن تبدأ الصلاة المفروضة إمامًا في وقت حرب وما يشبه ذلك. وتقوم طائفة: تنتصب جماعة منهم للصلاة. ويأخذوا: يحملوا تأهبًا لغدر العدو. والأسلحة: جمع سلاح، ما يستخدم في القتال السريع. وسجدوا: صلَّوا. وليكونوا من ورائكم أي: وليكنِ الباقون من خلفكم. وتأتي: تحضر خلفك للصلاة. والأُخرى: غير التي صلّت معك. ولم يصلوا: لم يبدؤوا بالصلاة.ويأخذوا حِذرهم أي: يكونوا متيقظين. وودّ: تمنّى. وكفروا: كذبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ولو تغفلون: أن تُشغلوا. والأمتعة: جمع متاع. وهي الذخيرة و الحوائج وزاد الطعام. ويميلون: يندفعون في الهجوم. والجُناح: الإثم. والأذى: الجهد يؤذيه حمل السلاح.ومن مطر: أي: بسبب مطر. والمرضى: جمع مريض لا يستطيع الحمل أيضًا. وأن تضعوا أسلحتكم أي: في تركها وقت أداء الصلاة. وأعدّ: هيّأ وأحضر. والعذاب: التعذيب عقوبة وتنكيلًا. والمهين: الذي يهين صاحبه. ١٠٢ قضيتم الصلاة: أنهيتم صلاة الخوف هذه. واذكروا الله أي: بالقلب واللسان. والقيام: جمع قائم. والقعود: جمع قاعد. والجنوب: جمع جَنب. وهو طرف الإنسان. واطمأننتم: أمنتم وسكنت قلوبكم. وأقيموا الصلاة: أدّوها بما لها من الأركان والشروط والآداب. وكانت أي: من قديم الزمان ولا تزال في الحياة. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وكتابًا أي: شيئًا مفروضًا. والموقوت: المقدّر وقته. ١٠٣ لا تهنوا: لا تضعفوا. وابتغاء القوم: طلب قتال الكافرين المعتدين. وتألمون: تتألمون وتتحسرون لخسارة أو مشقة. وترجون: تطمعون حصول ما فيه المسرة. ومن الله: من فضله. وما لا يرجون: غير ما يطمعون وكان: أي: ولا يزال بدون قيد زماني. وعليمًا أي: بكل شيء. وحكيمًا أي: في صنعه وتشريعه. ١٠٤ أنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. والكتاب: القرآن الكريم. وبالحق أي: مصاحبًا العدل والصدق. وتحكم: تقضي. والناس: البشر. وأراك: أعلمك. ولا تكن: لا تَصِر. وللخائنين أي:عمن خالف الحق بنقض الأمانة. والخصيم: المدافع. ١٠٥

سورة النساء — الجزء الخامس

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ
مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟
فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ
عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ
وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا۟ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ
جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟
فِى ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا
تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ
النَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

المعنى العام: رأى المشركون المسلمين يصلّون صلاة الظهر، في غزوة ذات الرِّقاع بعسفان، وأجّلوا الهجوم إلى الصلاة التالية ليفاجئوهم، فأنزل الله حكم صلاة الخوف، وكان أن عجز المشركون عن المهاجمة. وصلاة الخوف تحصل حين توقّع هجوم العدو، فتكون بأن يقف مع الإمام بعض الجنود بأسلحتهم للصلاة، ويبقى الآخرون لمواجهة العدوان، بعيدين عن تحصيل الصلاة ليكونوا أمام العدو. وعندما تنتهي الركعة الأولى، يبقى الإمام واقفًا للركعة الثانية، ويتمم المصلون ركعتهم الثانية بأنفسهم، ثم يأتي الآخرون يأتمون للصلاة بهذه الركعة الثانية، حيث يسلِّم الإمام، ويتمم هؤلاء صلاتهم بأنفسهم أيضًا، ويقف الأولون مكان الآخرين للحراسة. وبذلك تقضى صلاة الخوف.

فالحذر واجب دائمًا ـ أيها المسلمون ـ لأن الكافرين يتمنّون أن ينالوا منكم غِرّة في صلاتكم، فيشدّوا عليكم شَدة واحدة. ويجوز وضع الأسلحة، في حال المرض والتأذي منه أو من مطر، مع الحذر بقدر الاستطاعة، والله يجزي الكافرين ما يستحقون. ويكون التهليل والتسبيح والتحميد والتكبير والدعاء بالنصر، بعد الصلاة. وإذا لم يكن توقع عدوان فالصلاة كما هي مشروعة أصلًا، مع ملازمة الصبر على الجهاد لأن مصائب المسلمين فيما يكابدون من الحروب أيسر من مصائب الكافرين، ومطالبهم طاعة الله وجنته بخلاف مطالب الكافرين للمفاخر والأباطيل.

وسرق المنافق طُعمة بن أُبيرق درعًا خبأها عند اليهودي زيد بن السمين، ولمّا وجُدت عنده وأنكر سرقتها واتهمه المنافق، وشهد قومه زورًا على ذلك، نزلت الآيات ١٠٥ - ١١٦ توجِّه إلى تقصي الحق للحكم بالعدل، وعدم قبول مزاعم الخائنين، مع أحكام عامة، لتوجيه ولاة الأمور لئلّا ينخدعوا بكذب العصاة في مثل هذه الأحوال...

تفسير المفردات: استغفر الله: اطلب منه العفو والصفح ورفع الدرجات. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وكان أي: وما يزال من دون قيد زمانيّ. والغفور: الكثير السترِ للذنوب وعدمِ المؤاخذة عليها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ١٠٦ لا تجادل: لا تخاصم ولا تدافع. ويختانون: يخونون. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ولا يحب أي: يكره كما يليق به من صفات الألوهية ويعاقب. والخوّان: الكثير الخيانة. والأثيم: المكثر من الذنوب. ١٠٧ يستخفون: يطلب المنافقون الاستتار بخيانتهم. والناس: البشر من حولهم. ولا يستخفون أي: لا يستحيون ولا يخافون. ومعهم أي: في اطّلاع وقدرة على عقابهم. وإذ يبيّتون: حين يدبرون ليلًا. ولا يرضى: لا يقبل ولا يجيز. والقول: الكلام الذي يقال. ويعملون أي: يكتسبونه من نية وقول وفعل. والمحيط: الجامع بعلمه لجميع النواحي. ١٠٨ ها أنتم هؤلاء أي: هؤلاء أنتم، أيها المؤمنون. وجادلتم: خاصمتم ودافعتم. وعنهم: عن الخائنين. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. ومن يجادل أي: لا أحد يجادل. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. وأم من أي: بل لا أحد. ويكون: يصير. والوكيل: المحامي يكل الإنسانُ أمره إليه.١٠٩ يعمل: يكتسب باختيار وقصد. والسوء: ما يؤذي. ويظلم نفسه: يتجاوز حد الحق ويحمّلها مسؤولية العدوان. ويستغفر: يطلب الغفران مع التوبة الصادقة بشروطها. ويجد: يعلم. ١١٠ يكسب: يعمل ويتحمل. والإثم: الذنب يكون له عقوبة. وعلى نفسه أي: تكون العقوبة له وحده. والعليم: يعلم جميع ما يكون. والحكيم: يضع الأمور في مواضعها ويجازي على الذنوب بما توجبه حكمته. ١١١ الخطيئة: الذنب الصغير. ويرمي: يتّهم. والبريء: المتنزّه عن الذنب. واحتمل: تحمّل. والبهتان: ما يتحيّر منه المتهم لفظاعته. والمبين: البيّن جدًّا. ١١٢ لولا أي: لولا وجود. والفضل: التفضل بالخير. وعليك يعني: أيها النبيّ. والرحمة: العطف بالإحسان. وهمّت: احتالت ونجحت في ذلك. والطائفة: الجماعة. ومنهم أي: من المشركين. ويضلوك: يصرفوك عن الحق. وما يضلّون: ما يسبّبون الضلال الحقيقي. وما يضرّونك من شيء أي: لا يسبّبون لك ضررًا لا قليلًا ولا كثيرًا. وأنزل: أوحى على لسان جبريل. والكتاب: القرآن الكريم. والحكمة: الإتقان لوضع الأمور في مواضعها. وعلمك: لقّنك وألهمك. والعظيم: الضخم لا مثيل له.١١٣

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

المعنى العام: متابعة ما كان في شأن المنافق السارق بأن يلازم النبي ﷺ الاستغفار وطلب الإكرام ولا يتأثر بمزاعم المجرمين، ويواجه المنافقين بما هم عليه من الكذب، لأن الله يكره أمثالهم. فهم يخدعون الناس بما يعلمه الله من باطلهم، وهو مطلع على ذلك حين أضمروه. وبعض المؤمنين يدافعون عن المنافقين المجرمين في الدنيا ظانين فيهم الخير، وليس لهم في الآخرة من يدافع عنهم أو يحميهم. وعليهم جميعًا الاستغفار لأن من يذنب ويستغفر يكن له العفو عما جنى على نفسه. أما من يتهم بريئًا بجريمته فإنه يوجب على نفسه عقوبةَ بهتان عظيم، وجزاءَ ذنب واضح لا لبس فيه.

ولولا رحمة الله عليك ـ أيها النبيّ ـ وفضله العظيم لتيسر لبني ثقيف أن يحملوك على قبول كيدهم وما يطلبون من الأباطيل. وذلك أنهم جاؤوا مبايعين، وطلبوا بعض الامتيازات المنكرة: ترك الجهاد والزكاة وتأخير هدم صنمهم سنة... فلم يجبهم لِما أرادوا، ونزلت الآية ١١٣، وقد جمعت بين قوم طُعمة وقبيلة ثقيف، فكان فيها تشنيع عليهما وتوبيخ، وتقرير لعصمة النبي ﷺ ،مع تغليب مسألة ثقيف بالبيان والتوجيه لأنها أفظع.

تفسير المفردات: الخير: ما ينفع. والكثير: الأحوال المتعددة. والنّجوى: حديث القوم سرًّا بينهم. وأمر: ألزم غيره. والصدقة: ما يُدفع إلى المحتاجين تقرّبًا إلى الله. والمعروف: عمل البرّ. والإصلاح: إزالة الخلاف والخصام. والناس: البشر. ويفعل: يكتسب بالنية أو القول أو العمل اختيارًا وقصدًا. وذلك أي: الأمر بواحد من الأعمال الثلاثة قبل. والابتغاء: الطلب والقصد. والمرضاة: الرضوان. وسوف نؤتيه: لا بد أن نعطيه تفضلًا. والأجر: الثواب. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ١١٤ يشاقق: يخالف. والرسول: محمد ﷺ أُرسل بالدعوة إلى الإسلام مع العمل. وتبيّن: ظهر. وله أي: للمخالف. والهدى: طريق الحق. ويتّبع: يتابع ويوافق. والسبيل: الطريق الواضح. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ونولّيه: نجعله مواليًا ومتابعًا. وما تولّى أي: ما اختاره بنفسه وليًّا لأمره ينقاد له. ونُصليه: ندخله ليحترق. وجهنم: ما أُعدّ للكافرين من العذاب. وساءت: بلغتْ نهاية السوء والشر. والمصير: مكان الرجوع بعد البعث. ١١٥ لا يغفر: لا يستر الذنب بل يؤاخذ عليه. ويشرَك به: يُجعل له شريك في الألوهيّة. ودون ذلك أي: غير الشرك من الذنوب. ويشاء أي: يريد الله أن يغفر له. وضل: انحرف عن الحق. والبعيد: الذي لا نهاية له. ١١٦ إن يدعون أي: ما يعبد المشركون. و دونه أي: غير الله. والإناث: جمع أُنثى. وهي ما يقابل الذكر. والشيطان: من يوسوس بالشر ويغري بالضلال. والمَريد: الذي بلغ الغاية في الشر والتمرّد على طاعة الله. ١١٧ لعنه: أبعده عن رحمته. وقال أي: الشيطان. ولأتّخذنّ: أُقسِمُ لأجعلنّ لي. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والنصيب: المقدار. والمفروض: المحدّد. ١١٨ أُضِلّنّهم: أصرفنّهم وأُميلنّ قلوبهم. وأُمنّينّهم: أعِدنّهم الأمانيّ الكاذبة أشغلهم بها. وآمرنّهم: أُوَسْوِسَنّ إليهم وأُغرينّهم. ويبتّكُنّ: يقطّعنّ. والآذان: جمع أُذن، عضو السمع. والمراد بعضه الظاهر. والأنعام: جمع نعم. وهو الإبل والبقر والغنم. ويغيّرُنّ: يبدِّلُنّ ويشوّهُنّ ويزعمُنّ أنه يجمّل. والخلق: المخلوق. وهو الدين وغيره. ويتّخذ: يجعل. والوليّ: ما يُتولّى ويُطاع. وخسر: أضاع ما يؤمّله من الخير. والمبين: البيّن جدًّا. ١١٩ يعدهم: يتعهّد لهم. ويمنّيهم: يعدهم الأُمنيات الكاذبة. والغرور: إظهار النفع فيما هو الضرر. ١٢٠ أولئك أي: من اتخذ الشيطان وليًّا. والمأوى: الملجأ. ولا يجد: لا يرى. والمحيص: المهرب والخلاص. ١٢١

نصف الحزب ١٠

سورة النساء — الجزء الخامس

۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ
مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا
مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

المعنى العام: أن الكثير من أحاديث الناس فيما بينهم شر وبلاء، و في القليل منها خير، كالإحسان والبرّ والإكرام والإصلاح. ومن يعمل الخير لوجه الله يكن له الثواب العظيم.

وعندما سرق أحد بني سُليم مالَ مَن أضافه، ثم هرب إلى قومه مرتدًّا، نزلت الآية ١١٥ فيه، وحكمها عامّ أيضًا. فالذي يخالف النبي ﷺ بعد إيمانه ويرتدّ عن الإسلام ينقاد للشيطان، وينتهي إلى جهنم ما أسوأها نهاية! لأن الله لا يغفر الشرك، ويغفر غير ذلك برحمته. والمشركون يعبدون أصنامًا كاللات والعُزّى ومناة، ويعبدون الشيطان المطرود من الرحمة.

وقد أقسم إبليس أن يُضل بعض البشر، ويغريهم بالأباطيل، ويوجّههم إلى إفساد الدّين والمخلوقات، كما في الاستنساخ والاستنسال والولادات المشوهة بالعقاقير المصطنعة، وما قد يترتب على الإنجاب المَخبري بالأنابيب، وعمليّات التجميل غير الضرورية، وتحويل الخُنثى إلى ذُكَير أو أُنيثى، وخلخلة التكامل الحيوي بين الخلائق، والعبث بالمورِّثات والمكونات للإنسان والحيوان والنبات والجماد، لتغيير طبيعة بعضها وتشويه وظائفها الفطرية، مما يفسد الكون والحياة. والذي ينقاد للشيطان ينال الخسارة الحقيقية، لأنه يعده بالأوهام، وينتهي به إلى جهنم لا مهرب منها ولا نجاة.

تفسير المفردات: آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا من نية أو قول أوفعل باختيار وقصد. والصالحات: ما يرضاه الشرع. وسندخلهم: لا بدّ أن نجعلهم داخلين ونيسّر لهم ذلك. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم. وتجري: تسيل وتتدفّق. ومن تحتها أي: من تحت شجرها وقصورها. والأنهار: جمع نهر. وهو المجرى العظيم للماء والعسل واللبن والخمر. وخالدين أي: مقيمين مُدّة طويلة. وأبدًا أي: مُدّة الدهر. ووعْد الله أي: دخولَ تعهد بإيصال المنافع قبل حصولها. وحقًّا أي: وعْدَ حقّ لا شك فيه. ومن أصدق أي: لا أحد أكثر صدقًا فيما يَعِد وأكثر التزامًا له فيما يقول. والقيل: القول. ١٢٢ ليس أي: ليس الحقُّ . والأمانيّ: جمع أُمنِيّة، ما يتمناه الإنسان ويحب أن يكون عليه. وأهل الكتاب: أصحاب التوراة والإنجيل المكلفون باتباعهما. والسوء: ما حرّمه الشرع وفيه إساءة وضرر. ويُجزى: يعاقَب. وبه أي: بما يستحقه عليه من الجزاء. ولا يجد: لا يرى. ودون الله أي: غيره. والوليّ: من يتولّى أمر الإنسان ويرعاه. والنصير: من ينصره ويدافع عنه. ١٢٣ الذكر: المذكر من البشر. والأُنثى: المؤنثة منهم. والمؤمن: من صدّق الله ورسوله. ويدخلون: ييسَّر لهم الدخول. ولا يُظلمون: لا يُحرمون حقًّا لهم. والنقير: النقب الدقيق في نواة التمرة. ١٢٤ ومَن أي: لا أحد. والأحسن: الأفضل. والدين: العقيدة والشريعة والعبادة. وأسلم وجهه: انقاد وأخلص بكامل نفسه. والمحسن: من يعبد الله بإخلاص. واتبع: تابع ووافق. والمِلّة: الدّيانة. وإبراهيم: أبو إسماعيل وإسحاق. والحنيف: المائل إلى الدين الإسلامي. واتخذ: جعل. والخليل: المصافي بالمحبّة. ١٢٥ ولِلّه أي: مُلكه ومستحَقه. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وكان أي: وما يزال بدون قيد زماني. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والمحيط: النافذ العلم والاقتدار. ١٢٦ يستفتونك: يطلب المسلمون بيان الحكم منك، أيها النبيّ. والنساء: جمع نسوة، واحدتها امرأة. وقل أي: لهم. ويفتيكم: يبيّن الحكم الحق لكم ويأمركم به. وفيهن أي: فيما لهن من الميراث والمَهر. وما يتلى أي: والذي يقرأ. والكتاب: القرآن الكريم. واليتامى: جمع يتيمة. واللاتي: اللواتي. ولا تؤتونهنّ:لا تعطونهنّ. وكُتب: فُرض. وترغبون: تفضّلون أو ترفضون. وتنكحوهنّ: تتزوّجوهنّ. والمستضعفون: الذين يُعَدّون ضعفاء لقصورهم أو عجزهم. والولدان: جمع وليد. وهو الطفل والأمة والمملوك. وأن تقوموا بالقسط أي: يأمركم أن تفعلوا العدل والحق. وتفعل: تكتسب من نية أو قول أو عمل. والخير: ما فيه نفع في الدنيا والآخرة. والعليم: المبالغ في الإحاطة والاطّلاع. ١٢٧

الجزء الخامس — سورة النساء

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ
اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ
اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

المعنى العام: أن المؤمنين الصالحين لهم الخلود في الجنّة، بوعد من الله محقّق دون شك. وهو لا مثيل له في صدقه وتحقق مواعيده، بخلاف مواعيد الشيطان الكاذبة دائمًا.

وعندما تفاخر بعض اليهود والنصارى والصحابة، نزلت الآيات ١٢٣ـ ١٢٥، بأن الحق ليس بالتمنيات، وإنما هو بحسَب العمل. فالمسيء لا مُنقذ له من العذاب، والمحسن المؤمن له نعيم الجنّة أبدًا، ولا ينقص من الحسنات ولا يزاد في السيئات شيء مهما كان صغيرًا. والمؤمن الحق يفوق الجميع، ويتبع ملّة إبراهيم خليل الله ـ عز وجل ـ الذي يملك الكون ويحيط بما فيه.

ولما نزلت الآيات الأُولى من هذه السورة، وفيها فرض المَهر والإرث للنساء، صعب ذلك على بعض الرجال لِما كانوا عليه في الجاهلية، واعترض عُيينة بن حصن على توريث النساء، فنزلت الآية ١٢٧ تؤكّد تلك الأحكام. فلا بد من إعطاء اليتيمات حقوقهن في الإرث والمهر، إن كنّ غنيّات أو جميلات يُطمع فيهن، أو كنّ على غير ذلك يُرغب عنهن. والعدل واجب لينال الضعفاء والوِلدان ما لهم، وسينال كل إنسان جزاء ما يعمل من خير أو شر.

تفسير المفردات: إن امرأة أي: إن خافت زوجة و توقعت. والبعل: الزوج. والنشوز: الترفّع والتعالي. والإعراض: الانحراف بالوجه والنفس. والجُناح: الذنب. وأن يُصلحا أي: في إزالة ما بينهما من الخلاف. والصلح: الاتفاق والوفاق. وخير: أكثر نفعًا للزوجين ومن معهما. وأحضرت: خلق الله فيها. والأنفس: جمع نفس. وهي القلب والضمير. والشحّ: شدة البخل. وتُحسنوا: تجعلوا العمل حسنًا. وتتّقوا: تتجنّبوا الظلم وتلزموا الحق والإحسان. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وكان أي: وما يزال من دون قيد زماني. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والخبير: العليم ببواطن الأمور وظواهرها. ١٢٨ لن تستطيعوا: لن تقدروا. وتعدلوا: تُسوُّوا في العدل الكامل. والنساء: الزوجات، جمع نسوة، والواحدة امرأة. ولو حرصتم: مع حرصكم الشديد على العدل والمبالغة في إرادته. ولا تميلوا: لا تتحيّزوا. وتذروها: تجعلوا المرغوب عنها من الزوجات. والمعلّقة: التي لا متزوجة ولا غير متزوجة. وتصلحوا: تجعلوا أعمالكم كما شرع الله. والغفور: الكثير الستر للذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ١٢٩ يتفرّقا: ينفصل الزوجان. ويغني الله كلًّا: يجعل كل واحد منهما مستغنيًا. ومن سعته: بسبب اتساع ملكه وتصرّفه. والواسع أي: الذي لا حدّ لقدرته وأفضاله. والحكيم: ذو الحكمة البالغة فيما يريد. ١٣٠ لِله أي: مُلكه ومستحَقّه وحده. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ووصّينا: أمرنا. وأوتوا الكتاب: أُنزل إليهم التوراة والإنجيل وكلِّفوا بهما. واتّقوا الله: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة. وتكفروا: تنكروا ما أُمرتم به. والغنيّ: المستغني بذاته وصفاته وأفعاله. والحميد: المحمود في صنعه. ١٣١ كفى بالله: بلغ اللهُ الغاية في الاستغناء والكفاية عن جميع الخلق. والوكيل: الذي تُوكل إليه الأمور ويشهد بالحق. ١٣٢ يشاء: يريد. ويذهبكم: يُفنيكم جميعًا. ويأتي بآخرين: يوجد مخلوقين غيركم. وذلك أي: ما ذُكر من الإفناء والخلق. والقدير: البليغ القدرة لا يُعجزه شيء. ١٣٣ يريد: يطلب. وثواب الدنيا: منافعها ولذّاتها. وعند الله أي: في ملكه وحده. والآخرة: الحياة يوم القيامة. وثواب الآخرة: الأجر فيها. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والبصير: المدرك للأحداث حين وقوعها. ١٣٤

الجزء الخامس — سورة النساء

وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ
ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ
بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ
فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا
مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ١٣١
وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ١٣٢
إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ١٣٣ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ
ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ١٣٤

المعنى العام: أنه إذا رأت المرأة من زوجها ترفّعًا وإهمالًا فالخير لهما ولمن حولهما أن يسعيا في الصلح، بالتنازل عن بعض الحقوق، خلافًا لِما طُبعت عليه النفوس من البخل. وما يكون من إحسان وتقوى في هذه الأحوال يعلمه الله ويجازي به.

ثم إن تعدد الزوجات يتعذّر فيه العدل بالمحبة، مع الحرص الشديد عليه، ولا يجوز إهمال إحداهن كأنها غير متزوجة، ولا بد من العدل في الأمور المادية، أي: توزيع النصيب بين الزوجات عدا المحبة والجماع. و نفيُ الاستطاعة مع وجود الحرص إشارةٌ إلى بعض العذر، مع تفضيل الزواج بواحدة. وعلى كلٍّ فالإصلاح والتقوى يجزي عليهما الله، وإن يحصل طلاق يرزق الله الطرفين من ملكه العظيم.

هذا ما كان مفروضًا في شريعة أهل الكتاب أيضًا، والله غني عنهم إن كفروا وخالفوا، وهو شهيد على ما كان منهم. وقد خاطب المشركين والمنافقين وأهل الكتاب يهدّدهم بأنه إن أراد عقابهم أفناهم وخلق غيرهم يكونون أطوع منهم له، وهو قادر على ذلك بكل يسر. فمن يطلب متاع الدنيا وحدها يضيّع ما عند الله من خير الدنيا والآخرة، لأنه وحده يملك ذلك كله، وهو يعلم ما يكون من الجميع، ويجازيهم بما يجب عن علم وحكمة وعدل.

تفسير المفردات: آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. وكونوا: صيروا. وقوامين: مداومين بحزم على العمل. والقسط: العدل. والشهداء: جمع شهيد. وهو الذي يشهد بما يعلم. ولله أي: لوجه الله. ولو على أنفسكم أي: مع كون الشهادة على أنفسكم. والأنفس: جمع نفس، ذات الإنسان وشخصه. والوالدان: الأب والأُمّ، أو الجدّ والجدّة. والأقربون: جمع أقرب. وهو الأكثر دنوًّا في النسب. ويكن أي: المشهود عليه. والغني: من يملك ما يكفيه مع زيادة. والفقير: المحتاج إلى مساعدة الناس له. وأولى بهما أي: أحق بمصالح جنسَي الفقير والغني. ولا تتبعوا الهوى أي: لا تنقادوا لميل النفس إلى الشهوة غير المباحة. وأن تعدلوا أي: لتتركوا العدل في الحكم أو الشهادة. وتَلْوُوا: تحرّفوا الشهادة. وتُعرضوا: تنصرفوا عن أدائها. وكان أي: وما يزال من دون قيد زماني. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. وخبير أي: عليم ببواطن الأمور وظواهرها. **١٣٥** آمِنوا: دوموا على التصديق اليقينيّ. والرسول: محمد ﷺ. والكتاب: القرآن الكريم. ونَزَّل: أوحى بلسان جبريل. والكتاب: مجموع الكتب المقدّسة. وقبل أي: قبلِ القرآن الكريم. ويكفر بالله: يُنكر ويجحد أنه حق. والملائكة: مخلوقات نورانية معصومة مطهّرة، جمع ملَك. والكُتب: جمع كتاب. والرسل: جمع رسول. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بالبعث. وضلّ: انصرف عن الحق. والبعيد: الذي لا حد له. **١٣٦** آمنوا أي: بموسى صدّقوه واتبعوه. وكفروا: جحدوا الإيمان وارتدوا بعبادة العِجل. وآمنوا أي: عادوا إلى الإيمان بعد رجوع موسى إليهم من تكليم ربه. وكفروا: أنكروا رسالة عيسى. وازدادوا كفرًا: تضاعفوا بجحود رسالة محمد ﷺ . ولم يكن: ما كان. وليغفرلهم أي: قاصدًا ستر ذنوبهم والصفح عنها. ويهديهم: يرشدهم. والسبيل: الطريق إلى الحق. **١٣٧** بشّر المنافقين: أخبر الذين يُظهرون بألسنتهم الإيمان وفي قلوبهم الكفر. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. **١٣٨** يتّخذون: يجعلون. والكافرون: غير المسلمين. وأولياء: جمع وليّ. وهم الأعوان يساعدونهم على المسلمين. ودون المؤمنين أي: غيرهم. وأيبتغون أي: كيف يطلبون؟ وعندهم: عند الكافرين. والعزّة: الغلبة والشِّدّة. وجميعًا أي: مجموعة بكل أجزائها وأنواعها. **١٣٩** نزّل: أوحى على لسان جبريل. وأنْ أي: أنّه. وسمعتم: بلغ أسماعَكم. وآيات الله: ما في القرآن الكريم. ويُكفر بها: تُكذَّب. ويستهزأ: يُسخر. ولا تقعدوا معهم: لا تجالسوهم. ويخوضوا: يشرعوا ويتناولوا. والحديث: ما يكون من الكلام. وغيره أي: مغاير للكفر والاستهزاء. وإذًا أي: إن جالستموهم بما يكفرون ويستهزئون. والمِثل: المماثل والمساوي. وجامع أي: حاشر بالقوة والقهر للحساب والعقاب. وجهنم: دار العذاب للكافرين والمنافقين. وجميعًا أي: مجتمعين بكامل أفرادهم لا يتخلف منهم أحد. **١٤٠**

ربع الحزب ١٠

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ
وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا
أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن
تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ
ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ
ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ
سَبِيلَۢا ١٣٧ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ
يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ
عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ١٣٩ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي
ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا
تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠

المعنى العام: أمرُ المؤمنين بالعدل في الحكم والشهادة، لا يراعَى في ذلك إلّا طاعة الله، ولو كان الحق عليهم أو على الأقرباء والأغنياء والفقراء. فالله يتولى أمور الجميع وييسرها، ولستم مسؤولين عنهم - أيها المؤمنون ـ فالزموا الحق. وإن ملتم عنه أو امتنعتم عن الشهادة فحسابكم على الله في الدنيا والآخرة.

الزموا الإيمان بالله وما أوحى وبالملائكة والرسل واليوم الآخر، ومن يكفر بشيء من ذلك يكن في بعد عن الحق لا نهاية له. وهؤلاء اليهود كفروا حين عبدوا العجل ثم بعيسى بعد أن رجعوا إلى الإيمان ثم بمحمد مصرّين على الكفر، فليس لهم مغفرة ولا طريق إلى الخير.

والمنافقون يبشَّرون بالعذاب، لأنهم تولَّوا الكافرين، يطلبون بهم القوة، مع أن جميع القوة عند الله وحده، وقد أمركم أن تعتزلوا من يسخروا بآيات الله من الكافرين وغيرهم حتى يتركوا ذلك، وإلّا كنتم مثلهم وسيحشركم معًا في جهنم.

سورة النساء الجزء الخامس

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ
نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ
عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ
وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ
أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ
دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ
إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾

تفسير المفردات: يتربصون: ينتظرون بتحرّق. وبكم: لأجلكم. وكان: حصل. والفتح: الغلبة على الكافرين. ومن الله أي: من عنده تفضلًا. وقالوا أي: لكم. وألم نكن أي: لقد كنّا. ومعكم أي: في الإيمان والجهاد. والكافرون: الذين كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والنصيب: الحظ المحدود. وقالوا أي: للكافرين. وألم نستحوذ عليكم أي: لقد أبقينا عليكم بالحماية والعون. ونمنعُ: نحفظ ونحمي. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويحكم: يقضي بالثواب والعقاب. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث من القبور. ولن يجعل: لن يُوجِد. وسبيلًا أي: طريقًا للاستئصال. ١٤١ المنافقون: الذين يُظهرون الإيمان ويضمرون الكفر. ويخادعون: يحاولون الكيد وهم واهمون. وخادعُهم أي: غالبهم في الكيد. وقاموا: نهضوا وتوجّهوا مع المؤمنين. والصلاة: العبادة المكتوبة. والكسالى: جمع كسلان. وهو المتثاقل. ويراؤون: يُرُون الطاعة. والناس: البشر من المسلمين. ولا يذكرون الله: لا يستحضرون عظمته وجلاله. والقليل: الزمن اليسير. ١٤٢ مذبذبين أي: متردّدين بحَيرة. وذلك أي: الكفر والإيمان. وهؤلاء وهؤلاء أي: المؤمنون والكافرون. ويضل: يصرفه عن الهداية ويوجه قدراته بحسب اختياره الخبيث. ولن تجد: لن ترى. والسبيل: الطريق إلى الهداية. ١٤٣ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ولا يتخذوا: لا يجعلوا. والأولياء: جمع وليّ، الصديق والنصير. ودون أي: غير. وأتريدون: كيف تطلبون. وتجعلوا: تصيّروا. والسلطان: البرهان على النفاق. والمبين: البيّن. ١٤٤ الدرك: المكان. والأسفل: الأحطّ. والنصير: المانع من العذاب. ١٤٥ تابوا: طلبوا العفو وتعهدوا بعدم العصيان. وأصلحوا: جعلوا عملهم كما أمر الله. واعتصموا: وثقوا. وأخلصوا دينهم: جعلوا عقيدتهم خالصة صافية. ومع المؤمنين أي: يصاحبونهم في الخير. ويؤتِ: يؤتي أي: يعطي. حذفت الياء رسمًا لحذفها لفظًا بالتقاء الساكنين. والأجر: المكافأة. والعظيم: الضخم جدًّا لا يقدَّر قدره. ١٤٦ ما يفعل بعذابكم: مستحيل أن يعذبكم. وشكرتم: اعترفتم بالنعمة وأثنيتم على المنعم بالقلب واللسان والعمل. وكان أي: وما يزال دون قيد زمانيّ. وشاكرًا: يكافئ المحسن بأفضلَ مما فعل. وعليمًا: محيطًا كاملَ الإحاطة بما يكون. ١٤٧

المعنى العام: أن المنافقين ينتظرون في تحرّق وقوع المصائب بكم ـ أيها المسلمون ـ فإن انتصرتم طلبوا المشاركة في الغنائم بدعوى إيمانهم مثلكم، وإن خسرتم طلبوا من الكافرين المعونة بدعوى أنهم ساعدوهم وأنقذوهم من القتل. والله يحكم بين الجميع، ولا يسمح للكافرين استئصال المؤمنين ونزع دينهم. والمنافقون يظهرون غير ما يُخفون كأنهم يخدعون الله وهو يكيد لهم من حيث لايعلمون، يؤدون الصلاة والذِّكر بكسل ورياء، ويعيشون في اضطراب بين الكفر والإيمان لا يعرفون الاستقرار ولا الطمأنينة، لأن الله أضلهم.

وكان للأنصار بين بعض يهود بني إسرائيل رضاع وحلف ومودة، فقالوا: يا رسول الله، من نتولّى؟ فقال: «المُهاجِرِينَ». ونزلت الآيات ١٤٤ - ١٤٧ تؤكد ذلك وتحذّر المسلمين جميعًا من خلافه، لئلا يكون عليهم حجة بالنفاق. وهذا يعني أن موالاة الكافرين والانقياد إليهم نفاق عملي، يجعل الإنسان قريبًا من نفاق الاعتقاد، ويعرِّضه للوعيد والهلاك، في أسفل دركات جهنم، بلا نصير ولا معين. أما الذين تابوا عن موالاة الكافرين فهم في عداد المؤمنين، ولهم الثواب العظيم، ولا يجوز أن يعذبهم الله بعد أن صحّحوا إيمانهم، وهو عليم بالواقع يكافئ المحسن بأفضل من عمله ولا يُضيع له شيئًا.

الجزء السادس — سورة النساء

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن
سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ
أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ
حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ
أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟
مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾
وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا
وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

الجزء ٦ الحزب ١١

تفسير المفردات: لا يحب: يكره ويبغض. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والجهر: رفع الصوت. والسوء: الإيذاء بذكر أحوال الناس في مذمة. والقول: ما يقال. وظُلِم: أصابه عدوان. وكان أي: ولا يزال من دون قيد زمانيّ. والسميع: المدرك للمسموعات. والعليم: البالغ الإحاطة لايغيب عنه شيء. **١٤٨** تبدوا: تُظهروا. والخير: العمل فيه نفع. وتخفوه: تعملوه سرًّا. وتعفوا عن سوء: تصفحوا عن ظلم أو إيذاء وتستروه. والعفوّ: الكثير الصفح عن الذنوب وعدمِ المؤاخذة عليها. والقدير: البالغ القدرة لا يُعجزه شيء. **١٤٩** يكفرون بالله: يكذّبون وحدانيته ويعصون أمره. والرسل: جمع رسول، من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. ويريدون: يقصدون ويفعلون. ويفرّقوا: يَفصلوا في وجوب الإيمان. ونؤمن: نصدّق ونعتقد. والبعض: الواحد أو الأكثر من الرسل. ويتخذوا: يجعلوا لأنفسهم. وذلك أي: الكفر والإيمان.والسبيل: التوجّه في الاعتقاد. **١٥٠** أولئك أي: الموصوفون بالتفريق في العقيدة. وحقًّا أي: يقينًا بدون شك. وأعتدنا: هيّأنا. والعذاب: التعذيب.والمهين: الذي يهين صاحبه. **١٥١** لم يفرّقوا أي: في الإيمان والتصديق. ومنهم أي: من الرسل. وأولئك أي: هؤلاء. وسوف يؤتيهم: لا بدّ أن يعطيهم. والأجور: جمع أجر. وهو الثواب.والغفور: الكثير العفو والصفح. والرحيم: العظيم العطف على المؤمنين. **١٥٢** يسألك: يطالبك للتعجيز. وأهل الكتاب: اليهود. وتنزّل: تسقط وتوحي بطلبك من الله. وكتابًا أي: كاملًا دُفعة واحدة. والسماء: العالَم العُلويّ. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. وأكبر: أعظم. وذلك أي: تنزيل الكتاب كاملًا. وأرنا الله أي: أحضرْه لنراه. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وجهرة: عِيانًا. وأخذتهم: أهلكتهم. والصاعقة: صوت شديد من الجو يكون بعده نار عظيمة تمحق ما تصادفه. والظلم: الكفر ومجاوزة الحق. واتخذوا: جعلوا إلهًا. والعجل: ولد البقرة. وجاءتهم البينات: وصلت إليهم المعجزات وشاهدوها. وعفونا: لم نؤاخذ تمام المؤاخذة بها كان. وآتينا: أعطينا. والسلطان: الحُجّة المؤيّدة. والمبين: الواضح البيان. **١٥٣** رفعنا: أعلينا. وفوقهم أي: يكاد يسقط عليهم. والطور: جبل في فلسطين. وبميثاقهم أي: لأخذ العهد المؤكد باليمين. وادخلوا الباب: اعبروه لتصيروا داخل القرية. والسجّد: جمع ساجد بانحناء. ولاتعدوا: لاتتجاوزوا ما شُرع لكم. والسبت: اليوم الأول من الأسبوع. وأخذنا: تلقّينا بالقسر. والغليظ: العظيم المؤكّد. **١٥٤**

المعنى العام: أن الله يكره المجاهرة بسوء القول، من غير المظلوم الذي يشكو ظالمه. والله مطّلع على الأحوال يعلم ما ظهر وما خفي، ويجزي بالمغفرة من عفا عن ظالمه.

وهؤلاء هم اليهود آمنوا بموسى، وكفروا بعيسى ومحمد وما أنزل الله إليهما، والنصارى آمنوا بعيسى، وكفروا بمحمد والقرآن، ففرقوا في الإيمان بين الرسالات المقدسة، فكانوا كافرين حقًّا ولهم عذاب مهين. أما المسلمون الذين آمنوا بالجميع فلهم ثواب عظيم ومغفرة ورحمة.

ويحاول اليهود تعجيزك - أيها النبيّ - بطلب كتاب كامل دُفعة واحدة من السماء، وأجدادُهم طلبوا ما هو أعظم، أن يروا الله بأعينهم، فنزلت بهم الصاعقة، ثم أشركوا بعبادة العجل بعدما رأوا المعجزات، وتمكّن موسى أن يفرض عليهم قتل من أشرك، منهم فلم يستأصلهم الله بالعقوبة اللازمة، ولم يتقبلوا الميثاق إلّا خوف سقوط الجبل عليهم، وهو مُشرف على السقوط. ولما أمرناهم بدخول القرية مطأطئين رؤوسهم خضوعًا، للتخلص من بعض التشرد، خالفوا الأمر ودخلوا زحفًا على أستاههم. ثم احتالوا للصيد يوم السبت، رغم تعهدهم بالميثاق ألّا يعملوا في ذلك اليوم.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟
حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ
ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ
أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

تفسير المفردات: بما نقضهم: بسبب مخالفتهم. والميثاق: العهد المؤكّد. والكفر: التكذيب. والآيات: المعجزات ونصوص التوراة. والقتل: إزهاق الأرواح. والأنبياء: جمع نبي، من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. وبغير حق أي: مصاحبين الظلم والعدوان. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. وغلف: جمع أغلف أي: مغطًّى بغلاف. وبل أي: ليس صحيحًا ما زعموه. وطبع الله عليها: أقفلها وسدّ منافذها. وبكفرهم: بسبب التكذيب والمكابرة. ولا يؤمنون: لا يصدّقون بل يكفرون. وقليلًا أي: بعضهم بعدد يسير. **١٥٥** قولهم: افتراؤهم. ومريم: أُمّ عيسى عليه السلام. وبهتانًا أي: اتهامًا باطلًا فظيعًا. والعظيم: الذي لا يُقدّر قدره. **١٥٦** المسيح: نبي النصارى. والرسول: من كلفه الله بالدعوة مع كتاب منزل. وما صلبوه: لم يصلبوا المسيح. وشُبِّهَ لهم أي: زُيِّفَ لليهود بشَبه أحد الحواريين للمسيح. واختلفوا فيه: اختصموا في الإيمان بعيسى. والشك: التردّد. وما لهم من علم: ليس لهم معرفةٌ يقينيةٌ. والاتباع: الموافقة. والظن: التوهّم. واليقين: الحق الثابت. **١٥٧** رفعَه: أصعده من الأرض. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وإليه: إلى سمائه موضع رضاه. وكان أي: وما يزال دون قيد زمانيّ. والعزيز: الغالب على أمره. والحكيم: الذي يضع الأمور في مواضعها الحقيقية. **١٥٨** إن من أهل الكتاب أي: ما أحدٌ من اليهود والنصارى. وليؤمننّ به أي: أُقسِمُ ليصدّقنّ نبوة عيسى. وموته أي: موت الكتابيّ. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. ويكون: يصير عيسى. وشهيدًا: يقر بما يعلم حقيقة. **١٥٩** بظلم أي: بسبب مجاوزة الحق. وهادوا: تابوا عن عبادة العجل. وحرّمنا: جعلنا من الممنوع. والطيّبات: المستلذّات من الأطعمة. وأُحلّت: كانت حلالًا. وبصدّهم: بسبب منعهم أنفسَهم والناسَ. والسبيل: الطريق الواضح. ١٦٠ الأخذ: التناول. والربا: زيادة تؤخذ من المَدين. ونُهوا عنه أي: حُرّم عليهم أخذه. والأكل: السلب والاغتصاب. والأموال: جمع مال. وهو ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والناس: البشر. وبالباطل أي: مصاحبين ما لا يجوز. وأعتدنا: هيأنا. والكافر: من جحد التوحيد ومات على ذلك. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. **١٦١** والراسخون: الثابتون. والعلم: الإدراك اليقيني للحق. ومنهم: من اليهود. والمؤمنون: المسلمون من المهاجرين والأنصار. وأنزل: أوحي على لسان جبريل. والمقيمون الصلاة: الذين يؤدّون العبادة المكتوبة بشروطها. والمؤتون: المعطون من يستحق. والزكاة: ما فرض في المال لتطهيره وتنميته وتزكية أصحابه. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بالبعث. وسنؤتيهم: لا بدّ أن نعطيهم. والأجر: المكافأة. والعظيم: الضخم جدًّا لا يقدّر قدره. **١٦٢**

المعنى العام: متابعة قبائح اليهود بأن الله لعنهم بما فعلوا، من نقضِ العهد والكفرِ وقتل الأنبياء ظلمًا، ورفضِ الإسلام بزعمهم أن قلوبهم مغلقة لا تعيه ـ والصواب أن الله طمس عليها ـ وكفرِهم بعيسى واتهامهم الشنيع لمريم، وزعمهم قتل عيسى. والحق أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه، وإنما رفعه الله إلى السماء فصلبوا أحد الحواريّين يشبهه. وهم يعلمون ذلك، ولكنهم أشاعوا الأكاذيب للتضليل. وكل منهم في شك من ذلك، ولا بد أن يؤمن قبل موته برسالة عيسى قائلًا: آمنت به عبدَ الله ورسولَه. وهو سيشهد عليهم جميعًا يوم القيامة.

ولقد حرم الله على اليهود بعض الأطعمة الطيبة، لِما كان من ظلمهم ومنعهم الناس من الإيمان، وأكلهم الربا وأموال الناس بالرشوة والاحتيال، وهيّأ لهم العذاب المؤلم. غير أن الثابتين في العلم منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه، والمهاجرينَ والأنصارَ، يصدّقون يقينًا ما أوحى الله، ويؤدّون العبادات ويؤمنون بالبعث بعد الموت، ولهم ثواب عظيم.

تفسير المفردات: أوحينا: نزّلنا على لسان جبريل. وإليك يعني: أيها النبيّ. وكما أي: مثلما. ونوح: من أُغرق قومه بالطوفان. والنبيّ: من بعثه الله بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وإبراهيم: خليل الله. وإسماعيل وإسحاق: ابنا إبراهيم. ويعقوب: ابن إسحاق، يقال له: إسرائيل. وهو جدّ اليهود. والأسباط: السُّومريّون الحاميّون أولاد يعقوب، جمع سِبط. وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وداود: أنبياء من اليهود. وآتينا: أعطينا. والزبور: كتاب موحًى. ١٦٣ الرسل: جمع رسول، وغالبًا ما يكون معه كتاب من عند الله. وقصصناهم:عليك سمَّيناهم لك في القرآن وعرّفناك أخبارهم. ومن قبل أي: من قبل نزول هذه الآية. وكلم الله أي: خاطب بالكلام. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. ١٦٤ مبشرين: يبلّغون بالمحبوب من آمن. ومنذرين: يهدّدون بالعذاب من كفر. ولئلّا يكون: كيلا يصير ولا يبقى. والناس: البشر. والحُجة: المعذرة من كفرهم. وبعد الرسل أي: بعد مجيئهم وتبليغهم. وكان أي: وما يزال دون قيد زمانيّ. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعزيز: الغلّاب لمن عانده. والحكيم: المتقن لصنعه. ١٦٥ يشهد: يحقّق صدق نبوّتك. وبعلمه أي: مصاحبًا علمه وإرادته. والملائكة: جمع ملَك، وهم مخلوقون نورانيون مطهرون. ويشهدون: يقرّون بقول صادر عن علم يقيني. وكفى بالله أي: بلغ اللهُ النهاية في الاستغناء بما يشهد. والشهيد: يُعلِم الحقيقة. ١٦٦ كفروا: أنكروا نبوّتك. وصدّوا: دفعوا أنفسهم والناس بالباطل والأكاذيب. والسبيل: الطريق الواضح. وضلّوا: بعُدوا عن الحق. والبعيد: الذي لا نهاية لتطرّفه. ١٦٧ ظلموا: جاروا على أنفسهم وعلى الحق بالعصيان. وليغفر لهم: قاصدًا أن يعفو عن ذنوبهم. ولا يهديهم أي: لا يوجه اختيارهم وقدراتهم بسبب ما هم عليه من الخبث والمكابرة والظلم. والطريق: السبيل الذي يُسلك. ١٦٨ جهنم: دار العذاب أُعدّت للكافرين. وخالدين: مقيمين أمدًا طويلًا. والأبد: مُدّة الزمن. وذلك أي: إضلالهم وخلودهم في جهنم. واليسير: الهيّن. ١٦٩ الناس: البشر. وجاءكم: أتى إليكم وحضر مجالسكم عِيانًا. وبالحق أي: مصاحبا الصدق لاشك فيه. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وآمِنوا: صدّقوا واستجيبوا للأمر والنهي. وخيرًا أي: يكن الإيمان أكثر نفعًا في الدنيا والآخرة. وتكفروا أي: تصرّوا على التكذيب. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم علوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والعليم: المحيط علمًا بكل شيء. ١٧٠

ربع الحزب ١١

الجزء السادس سورة النساء

۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ
وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ
مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ
تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا
﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا
﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا
لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ
ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

المعنى العام: أن الله أوحى إلى محمد ﷺ مثلما أوحى إلى الأنبياء من قبله، وهم كثيرون، أخبره ببعضهم كنوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وعيسى وأيّوب ويونس وهارون وسليمان، وترك خبر الآخرين، وكان موسى قد خاطبه الله بالكلام دون وسيط. وهم يبشّرون المؤمنين بالخير ويهددّون الكافرين بالعذاب، وإنما كان إرسالهم لئلّا يبقى للناس حجة في ضلالهم، وإن الإسلام هو الطريق الوحيد الذي أوجبه الله على الناس جميعًا من عهد آدم.

وعندما أنكر اليهود نبوة محمد ﷺ نزلت الآيات ١٦٦ - ١٦٩، بأن الله والملائكة يشهدون بصدقه، وشهادة الله وحدها كافية، وأن الذين كفروا من المشركين واليهود والنصارى ومنعوا الناس من الإيمان وهم في زيغ وفساد، ولن يجدوا مغفرة من الله ولا هداية إلى غير الخلود في جهنم. وذلك أمر سهل على الله.

فقد جاء الرسول إلى الناس بالصدق، وعليهم أن يؤمنوا ويطيعوا. وذلك خير لهم في الدنيا والاخرة. وإن كفروا فلن يضروا إلّا أنفسهم، لأن الله غني عنهم بملكه ما في الكون من المخلوقات جميعًا، وعليم بما يكون منهم وحكيم في صنعه وثوابه وعقابه.

تفسير المفردات: أهل الكتاب: النصارى. ولاتغلوا: لا تتجاوزوا الحق. والدين: العقيدة والشريعة. ولا تقولوا: لا تذكروا ولا تعتقدوا. والحق:الصدق الثابت. والمسيح: نبيّ النصارى. والرسول: مكلف بتبليغ العقيدة مع العمل. وكلمته أي: خَلْقٌ تكوَّن بإرادة من الله. وألقاها أي: بنفخ جبريل في جيب درع مريم. والروح: ما تكون به حياة الجسد، سرّ من أسرار الغيب الإلهي. ومنه: من خلقه. وآمِنوا بالله: صدّقوا قوله وصفاته اعتقادًا قاطعًا. والرسل: جمع رسول. وثلاثة أي: الآلهة ثلاثة. وانتهوا: امتنعوا عن ذلك واتركوه. وخيرًا أي: افعلوا شيئًا مفيدًا في الدنيا والآخرة.والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإلّه: المعبود بحق. والواحد: المتفرد في ذاته وصفاته. وسبحانه: تنزيهًا له. وأن يكون له ولد أي: من كون ما يولد ذكرًا أو أنثى له. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة لدنيا. وكفى بالله: بلغ اللهُ الغاية في الكفاية والاستغناء. والوكيل: الحافظ المعتمد عليه. ١٧١ لن يستنكف: لن يمتنع. والعبد: المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانيون. والمقرَّبون: الذين لهم منزلة دانية رفيعة. والعبادة: الطاعة والتقديس. ويستكبر: يترفّع ويطلب التكبر. ويحشرهم: يجمعهم بالبعث قهرًا. وجميعًا أي مجتمعين بلا تخلف أحد. ١٧٢ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا. والصالحات: ما يرضاه الشرع. ويوفّيهم أجورهم: يعطيهم الله مكافآتهم كاملة. والأجور: جمع أجر. ويزيدهم: يضيف إليهم ويضاعف الثواب. ومن فضله: بسبب إحسانه في العطاء. ويعذّبهم: يعاقبهم ويهينهم. والعذاب: التعذيب. والأليم: الشديد الإيلام. ولا يجدون: لا يلقَون ولا يرَون. ودون الله: غيره. والوليّ: من يتولّى أمر غيره ويدافع عنه. والنصير: من ينصر ويعين. ١٧٣ الناس: البشر. وجاءكم: أتاكم بنفسه أو وصل إليكم خبره. والبرهان: الحُجة على التوحيد. ومن ربكم: من عنده بأمره وقضائه. وأنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. وإليكم أي: بوساطة إنزاله إلى الرسول. والنور: ما يضيء ويتضح. والمبين: المميّز للحق من الباطل. ١٧٤ اعتصموا: تمسكوا واحتمَوا. ويدخلهم: ييسر لهم الدخول. والرحمة: العطف بزيادة ترقية. ومنه أي: من عنده. والفضل: التفضل ومضاعفة الأجر. ويهديهم: يرشدهم ويصرف اختيارهم وقدراتهم بما يناسب استعدادهم الطيب. وإليه أي: إلى طاعته ورضاه. والصراط: الطريق الوضح. والمستقيم: المعتدل لا عوج فيه ولا اضطراب. ١٧٥

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ
عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ
ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ
وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ
وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ
إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا
يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ
فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

المعنى العام: نزلت هذه الآيات لخطاب طوائف النصارى: اليعقوبيّة والمِلكانيّة والنُّسطوريّة والمَرقَسيّة، فيما ادّعته من أمر المسيح، تزجرهم عن الباطل وتوجّهم إلى الحق. فلا يجوز لهم الغلوّ في الدين أو قول الباطل، والمسيح هو ابن مريم ورسول، خلقه الله بقوله: «كُن» من غير أب ولا نطفة. وذلك بالإرادة لا بالقول المعروف. يعني أن المسيح إنسان ذو روح من خلق الله. فالواجب ترك التثليث، ولزوم التوحيد لله، وفيه خير الدنيا والآخرة، ومحال أن يكون لله ولد، لأنه يملك الخلق كله، حسبكم دليلًا تفرده باعتماد الناس عليه وحفظ الكون وغناه عن العون من ولد وغيره.

وعندما قال نصارى نجران: «يا محمد، تعيب صاحبنا، فتقول: إنه عبد الله»، وقال لهم: «إِنَّهُ لَيسَ بِعارٍ لِعِيسَى أن يَكُونَ عَبدًا للهِ»، وأنكروا ذلك، نزلت الآية ١٧٢ تحقيقًا لقول النبي ﷺ. فالمسيح والملائكة يعتزون بعبوديتهم، ومن يتكبر يكن له العذاب بلا نصير، والمؤمنون الصالحون لهم الثواب الوافي مع زيادة من تفضل الله.

ولقد جاء محمد ﷺ برهانًا على التوحيد، وفي القرآن هداية إلى ذلك،لا يحتاج إلى معونة ويعين ما دونه ويكشفه. فالذين يؤمنون ويتوكلون على الله ينالون رحمته والهداية إلى الدين القويم.

تفسير المفردات: يستفتونك: يطلب المسلمون منك ـ أيها النبيّ ـ إظهار ما أشكل وبيان الحكم. وقل أي: لهم. ويفتيكم: يبيّن لكم الحكم. والكلالة: مَن لم يبق له أولاد ولا أبوان. والمرء: الإنسان. وهلك: تُوفِّي. والولد: الابن أو الابنة. والأخت: من الأبوين أو من الأب. والنصف: ما يكون من تقسيم الشيء على اثنين. وما ترك أي: الميراث. وهو أي: المرء. ويرثها أي: يرث تركتها. وكانتا أي: الأختان للمتوفَّى. والثلث: ما يكون من الشيء إذا قسم على ثلاثة. وترك أي: تركه. وإخوة أي: وأخوات. والرجال: جمع رجل. والنساء: جمع نسوة. والواحدة امرأة. والذكر: المذكّر. ومثل الحظ: ما يماثل النصيب. والأُنثى: المؤنّثة. ويبين: يفصّل ويشرح. وأن تضلوا أي: لئلّا يخفى عليكم الحق فلا تهتدوا إليه. والشيء: ما هو موجود أو ممكنٌ وجوده. والعليم: المبالغ في الإحاطة الكاملة. ١٧٦

المعنى العام: مرض جابر بن عبد الله، وكان له أخوات ولا ولد له وقد توفِّي والداه، وسأل النبيَّ ﷺ عما يصنع بتركته، فنزلت الآية ١٧٦ بأن الأخت الواحدة لها نصف الميراث، والأختين لهما الثلثان، والباقي لقرابة الميت لأبيه، يأخذون ما أبقى ذوو الفروض من الوَرثة. والمرأة التي ليس لها أولاد وتوفِّي أبواها أيضًا يرثها أخوها. وإن كان الورثة ذكورًا وإناثًا فللذكر ضعف نصيب الأُنثى. هذا بيان من الله لمنع الضلال، وهو عليم بكل شيء يحكم بالحق والخير.

الجزء السادس — سورة المائدة

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ
لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ
إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ
وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَة — ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ
وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ
ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟
عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

٥ ـ سورة المائدة

تفسير المفردات: آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وأوفوا: أدّوا بلا نقص أو خلاف. والعقود: جمع عَقد، العهد المؤكد بالقَسم. وأُحلّت: جعلت مباحة حلالًا. والبهيمة: كل ذات أربع قوائم. والأنعام: الإبل والبقر والغنم، جمع نعَم. ويتلى: يقرأ من الوحي والسُّنّة. والمُحِلّ: من يستحل الأمر. والصيد: اصطياد الحيوان. والحرم: جمع حرام، من كان في حج أو عُمرة. ويحكم: يفرض. ويريد: يشاء. ١ لا تُحلّوا: لا تجعلوا حلالًا. والشعائر: شرائع الدين، جمع شعيرة. والشهر أي: الأشهر الأربعة. والحرام: الذي يحرّم فيه القتال. وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. والهَدي: الأنعام يؤتى بها إلى الحَرَم للذبح تقربًا إلى الله. والقلائد: جمع قِلادة، والمراد أصحابها يضعونها في أعناقهم دلالة على نحرهم الهدي في الحرم. وآمّين أي: قومًا مشركين قاصدين. والبيت: الكعبة. والحرام: المحرَّم فيه ما لا يحرَّم في غيره. ويبتغون: يطلبون. والفضل: التفضل بالنِّعم. ومن ربهم أي: بالتجارة وغيرها. والرضوان: القبول للزيارة والعمل. وحللتم: انتهيتم من الإحرام للحجّ أو العُمرة. واصطادوا أي: جاز لكم الصيد. ولا يجرمنّكم: لا يُكسبنّكم ويسببنّ لكم. والشنآن: البغض. والقوم: الجماعة. وأن صدّوكم أي: لأنهم منعوكم. وعن المسجد: عن زيارة الكعبة. وتعتدوا: تظلموا بقتل أو منع من الزيارة للكعبة. وتعاونوا: ساعدوا بعضُكم بعضًا. والبرّ: الإحسان. والتقوى: تجنّب المحظور وطلب المعروف. والإثم: المعصية. والعدوان: تعدي حدود الله. واتقوا الله: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه. والشديد: القوي العظيم. والعقاب: عذابه. ٢

ربع الحزب ١١

المعنى العام: أن يجب على المؤمنين التزامُ العهود وحدود ما أُحلّ لهم من لحم الحيوان، ما كان مجترًّا وليس له أنياب، وعدمُ الصيد وقت الإحرام، والله يحكم ما يريده لمصلحة الخلق.

وحدث أن أحد المشركين ادعى الإسلام وسرق إبلًا للمسلمين، ثم جاء إلى الكعبة بها ليذبحها فيها، فنزلت الآية ٢ بأن الواجب احترام أحكام الشريعة، وتحريم قتال من يتقلّد شِعار النحر في زيارة الكعبة، ومن يزورها من الأعداء للحج والتجارة. فلا يجوز الاعتداء عليهما، بسبب ما كان من البغض والعدوان على المسلمين ، ويجوز الصيد بعد انتهاء الحج، ويجب التعاون على الخير وتقوى الله وتجنُّب عقابه، وترك المعاصي والعدوان.

تفسير المفردات: حُرِّمت: مُنعت. وعليكم يعني: أيها المسلمون. والميتة أي: أكل مافارقته الروح قبل الذبح الشرعي. والدم أي: ما سال من دم الحيوان. واللحم: ما يكون بين الجلد والعظم. والخنزير: الحيوان المعروف بشناعته وقذارته. وأُهلّ به: رُفع الصوت حين ذبحه. ولغير الله أي: لأجل المعبود من المخلوقات. والمنخنقة: الميتة خنقًا. والموقوذة: المقتولة ضربًا. والمتردّية: الميتة بسبب السقوط. والنطيحة: المقتولة بنطح غيرها. وما أكل أي: ما نهش بعضه. والسبع: الوحش. وذكّيتم: ذبحتموه شرعًا قبل موته العاديّ. وذُبح: نُحر. وعلى النصب أي: لأجل أسماء الأصنام. وتستقسموا: تطلبوا الحكم والتقسيم. والأزلام: جمع زُلَم، سهام لا ريش لها عند سادن الكعبة، يحتكم المشركون إليها في أُمورهم. وذلكم: ما ذُكر من المحرّمات أي: ارتكابه. وفسق: معصية. واليوم أي: هذا الوقت الذي نزلت فيه الآية. ويئس: قَطع الأمل. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ودينكم أي: إبطال أمره وتغليب الكفر. ولا تخشوهم أي: لا تخافوهم. واخشون أي: خافوني وحدي. وأكملت دينكم: ختمت كماله. والدين: العقيدة والشريعة. وأتممت نعمتي: جعلتها تامّة وافية. والنعمة: الإنعام. ورضيت: اخترت. والإسلام: ما جاء به الأنبياء والرسل. واضطرّ: أُجهد بالضرر فأرغم. والمخمصة: الجوع. والمتجانف: القاصد. والإثم: المعصية. والغفور: الكثير المحو للذنوب. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة للمؤمنين. ٣ يسألونك: يقول المؤمنون لك، أيها النبيّ. وماذا أي: ما الذي. وأحل: جعل حلالًا. وقل أي: لهم. والطيبات: ماتستلذّه الطباع السليمة. وما علّمتم: صيد ما درّبتم وعوّدتم على الصيد. الجوارح: جمع جارح. وهو الذي يجرح ما يصيده. ومكلّبين أي: مطلقين إلى الصيد. وعلّمكم: بيّن لكم من أحكام الصيد. وكلوا: تناولوا بالأكل مباحًا.وأمسكن عليكم أي: اصطدنه وحفظنه لكم. واذكروا اسم الله أي: بالتسمية الشرعية. وعليه أي: عند إطلاق الجارح للصيد. واتقوا الله: تجنبوا عصيانه والزموا طاعته. وسريع الحساب أي: سريعٌ حسابُه في الدنيا والآخرة. ٤ الطعام: ما يكون من غذاء وشراب عدا ما حُرّم. وأُوتوا: أعطوا. والكتاب: التوراة والإنجيل. والحِلّ: المباح ما كان من الطعام أو النكاح. والمحصنة: المرأة غير المملوكة. والمؤمنة: التي صدّقت الله ورسوله. وإذا أي: حين. وآتيتموهنّ: أعطيتموهنّ أو حدّدتم لهنّ. والأجور: جمع أجر. وهو المَهر. ومحصنين أي: متزوجين. ومسافحين: زانين بخليلة جهارًا. والمتخذ: الجاعل. والأخدان: جمع خِدن، الخليلة للزنى سرًّا. ويكفر بالإيمان: يرجع عن الاعتقاد اليقيني ويموت على ذلك. وحبط: فسد. والعمل: ما يكتسب من الخير. والآخرة: يوم القيامة. والخاسرون: الذين أضاعوا ثواب الآخرة. ٥

سورة المائدة — الجزء السادس

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ
بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم
مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ
لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾

المعنى العام: تحريم ما يؤكل من الحيوان: الدم ولحم الميت والخنزير وما ذُبح للأصنام... وتحريم الاحتكام إلى الأزلام في العمل والتصرّف. فاقتراف هذه المحرّمات معصية لله.

وبعد أن تبيّنت الحدود الشرعية يئس الكافرون من إبطال الإسلام وتغليب الكفر أو تكفير المسلمين، واكتمل الدين الإسلامي الذي كان قد اختاره الله لعباده، وتمت به النعمة الكبرى. فلا خشية من الكفار، وإنما الخشية كلها من الله. ومن أجبره الجوع على أكل شيء من المحرّم بدون تعمد للعصيان غفر له الله الغفور الرحيم.

وعندما سأل بعض الصحابة عما أُحل لهم مما تصطاده الكلاب والطير نزلت الآيتان ٤ و ٥، بتحليل ما تصطاده الحيوانات المدرَّبة على الصيد، مع البسملة عند إرسالها للصيد. وكذلك يباح الأكل من طعام أهل الكتاب، ونكاح إناثهم، بقصد الزواج بعيدًا عن الزنى بجميع أشكاله. ومن يرتد عن الإسلام يخسر أعماله الصالحة، وما يتأمل من نعيم في الآخرة.

تفسير المفردات: آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وقمتم: أردتم القيام. وإلى الصلاة: لأجل العبادة المفروضة كل يوم خمس مرات. واغسلوا: نظّفوا بالماء والدلك. والوجوه: جمع وجه. وهو من مبدأ سطح الجبهة إلى أسفل اللَّحيين، وما بين شحمتَيِ الأذنين. والأيدي: جمع يد. وإلى المرافق أي: معها. والمرافق: جمع مَرفِق، موضع اتصال الذراع بالعضد. وامسحوا أي: بتمرير اليد مع الماء. والرؤوس: جمع رأس. وهو هنا ما يكون فيه الشعر من دون الوجه. والأرجل: جمع رِجل. وإلى الكعبين أي: معهما. والكعب: العظم البارز في أسفل القدم. وكنتم: صرتم. والجُنب: البعيد عن الطهارة بالحدَث الأكبر. واطهّروا:اغتسلوا، أي اغسلوا أبدانكم على أتمّ وجه. والمرضى: جمع مريض، من يؤذيه استعمال الماء. وعلى سفر أي: مصاحبين التنقل بين البلاد. وجاء: رجع. وأحد منكم: الواحد منكم. والغائط: مكان قضاء الحاجة من تبوّل أو تغوّط. ولامس: ضاجع أو لمس بيده وغيرها. والنساء: جمع نسوة. والواحدة امرأة. ولم تجدوا: لم ترَوا. والماء: السائل المعروف في الشرب. وتيمموا: اقصدوا واطلبوا. والصعيد: التراب. والطيب: الطاهر. وامسحوا: مرّروا أيديكم بالتراب. ومنه: من التراب. وما يريد الله: ما يقصد. وليجعل: أن يوجد. ومن حرجٍ أي: ضيقًا في الحكم. وليطهّر: أن ينظّف. وليتمّ: أن يكمل. والنعمة: الإنعام بالفضل. ولعلكم: ليُترجّى لكم. وتشكرون: تستحضرون النعم بالقلب، وتُثنون باللسان والعمل على المنعم. ٦ اذكروا أي: استحضروا في القلب واللسان والعمل. والميثاق: العهد في الإيمان. وواثقكم به: عاهدكم عليه. وإذ: حين. وسمعنا: أدركنا ما أمرت. وأطعنا: استجبنا لأمرك. واتقوا الله: تجنّبوا عصيانه والزموا الطاعة. وعليم: محيط بالغَ الإحاطة. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب. وذات الصدور: الأمور الخفية في القلوب. ٧ كونوا أي: استمرّوا. وقوّامين: قائمين بالعمل جادين. لله أي: لوجهه إيمانًا واحتسابًا. والشهداء: جمع شهيد، من يؤدي ما يعلم لإحقاق الحق وإبطال الباطل. وبالقسط: مع العدل. ولا يجرمنّكم: لا يَضطرَّنّكم ويحملنّكم. والشنآن: البغض. والقوم: الجماعة من الناس. واعدلوا أي: الزموا الإنصاف. وأقرب: أدنى. وللتقوى: للدلالة على الطاعة. والخبير: العالم لبواطن الأمور وظواهرها. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ٨ وعد: تعهد بما هو محبوب. والصالحات: ما يرضاه الشرع. والمغفرة: ستر الذنوب والعفو عنها. والأجر: الثواب والمكافأة. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ٩

الجزء السادس — سورة المائدة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ
وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ
أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا
فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦
وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم
بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ
شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ
أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩

المعنى العام: بيان فرض الوضوء للصلاة، بغسل الوجوه والأيدي والأرجل، ومسح بعض الرأس بالماء. أما المضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين فمن السُّنَّة. والجنابة بالتقاء خِتانَيِ الذكر والأنثى أو بنزول المنيّ أو بالحيض أو النفاس يكون التطهر منها بغسل الجسم كله. وتصاحب النيةُ كلًّا من الوضوء والاغتسال. وهي القصد وعزم القلب على أمر من الأمور، وقد تكون باللسان مع القصد أيضًا.

أما المريض الذي يؤذيه استعمال الماء فيمسح وجهه ويديه بنقلتين من التراب الطاهر. وكذلك المسافر بعيدًا عن بلده، أو الذي أحدث الحدث الأصغر أي: أفسد وضوءه بخروج شيء من مخرج البول أو البراز أو لامس المرأة أي: ضاجع، أو لمسها بيده أو بغيرها، ولم يجد ماء. وفي ذلك تيسير من الله يرفع الضيق عن المسلمين، ويطهّرهم من الذنوب والحدَث.

فعليهم أن يشكروا نعَمه ويتذكروا عهد الإيمان حين الإقرار بالسمع والطاعة، ويتقوه بتجنب غضبه وطلب رضاه لأنه يعلم ما في الضمائر من أسرار، و عليهم أيضًا أن يقوموا بالعدل حكمًا وشهادة، وألّا تمنعهم العداوة من ذلك، لأن الله مطلع على كل ما يكون، وقد وعد المؤمنين الصالحين بالمغفرة والثواب العظيم.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ
إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا
نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

تفسير المفردات: كفروا: رفضوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وكذّبوا: أنكروا وجحدوا. والآيات: النصوص القرآنية والأدلة على التوحيد والبعث. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم. والجحيم: النار الشديدة التأججِ في جهنم. ١٠ آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. واذكروا: استحضروا في نفوسكم. والنعمة: التفضل بالخير والعون. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وإذ همّ: حين نوى وعزم. والقوم: الجماعة من الناس. ويبسطوا أيديهم: يمدوها بالحرب. والأيدي: جمع يد. وكفّ: منع ودفع. واتقوا الله: تجنبوا غضبه والزموا طاعته ورضاه. ويتوكل: يعتمد مفوضًا أمره. ١١ أخذ: تلقّى وتقبّل. والميثاق: العهد المؤكد بالقَسم. وإسرائيل هو النبي يعقوب بن إسحاق. وبنوه: ذريته السُّومريّون الحاميّون من أبنائه الاثني عشر. وبعثنا: أقمنا. والنقيب: وليّ أمر الجماعة وأحوالها. وقال أي: لهم. ومعكم أي: بالعون والنصر. ولئن أي: أُقسِمُ إن. وأقمتم الصلاة: حافظتم على أداء العبادة المكتوبة. وآتيتم الزكاة: أعطيتموها مستحقيها. والزكاة: ما فرض في المال لتنميته وتطهيره هو وصاحبه. وآمنتم برسلي: صدّقتموهم باعتقاد يقينيّ. والرسل: جمع رسول. وهو من بعث بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وعزّرتموهم: نصرتموهم. وأقرضتم الله: بذلتم فيما شرع المال والجهد والوقت والجاه والعلم والصحة والنفس. والحسن: الجميل يكون عن طيب نفس بلا منّ ولا أذى ولا تفاخر. وأكفّرنّ: أسترنّ وأغفرنّ. والسيئة: الذنب يكون عليه عقاب. وأدخلنكم: أجعلنكم داخلين وأيسرنّ لكم ذلك. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم. وتجري: تسيل بتدفق. وتحتها أي: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. وهو المجرى الكبير للماء والعسل واللبن والخمر. وكفر: أنكر شيئًا مما ذُكر في الشروط المتقدمة. وذلك أي: الميثاق. وضل: أخطأ. والسواء: المعتدل القويم. والسبيل: الطريق المستقيم. ١٢ بما نقضهم ميثاقهم أي: بنقضهم العهد ومخالفته. ولعنّاهم: طردناهم من الرحمة. وجعلنا: صيّرنا. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال. والقاسية: الغليظة المتحجرة. ويحرفون: يغيّرون ويبدّلون. والكلم: واحدته كلمة. والمواضع: جمع موضع، المكان الذي أريد للكلمة من الدلالة. ونسوا: تركوا وأهملوا. والحظ: القِسم. وذُكّروا: أُمروا. ولاتزال: ستبقى، أيها النبيّ. وتّطلع: تكتشف. والخائنة: المكر والخيانة. والقليل: الذين آمنوا منهم وعددهم يسير. واعف: سامح ولاتعاقب. واصفح: تجاوز ولاتؤاخذ. ويحب: يودّ ويكرم بالخير والفضل. والمحسن: الذي يُحسن الخُلق مع الناس ويعفو ويصفح إيمانًا واحتسابًا. ١٣

الحزب ١١

المعنى العام: أن الكافرين المكذبين للآيات لهم عذاب جهنم، والمؤمنين عليهم أن يتذكّروا نعم الله حين دفَع عدوان المشركين وألقى الرعب في قلوبهم ليمنع بطشهم، وعليهم أيضًا أن يتّقوه ويتوكلوا عليه، ولا يكونوا كاليهود تعهدوا بما في الميثاق، من إيمان وعبادات وجهاد وبذل للمال والأنفس، ليكون لهم النصر وثواب الجنة ونعيمها، وكان لهم سادة مختارون لإرشادهم، وتعهد الله لهم أن يكرم ويعفو عمن آمن ونصر الأنبياء وقام بالعبادة، ولكنهم خالفوا ذلك بنقض الميثاق وتكذيب الرسل وقتل الأنبياء وتحريف التوراة وإهمال ما فيها من أصول العقيدة والأحكام الشرعية والأخبار والمعلومات التي لاتوافق أهواءهم، فلعنهم الله وجعل قلوبهم قاسية لا تستجيب للحق. وسيبقون كذلك يدبرون المكايد والمكر والغدر والخيانات، إلّا من آمن مثل عبد الله بن سلام وأصحابه. وعلى النبي ﷺ أن يتحمل أولئك الخائنين بالعفو والصفح...

تفسير المفردات: قالوا أي: صرحوا بالقول لفظًا. ونصارى:أي: أنصار الله والمسيح، جمع نصران. وأخذنا: تلقّينا بالقبول. والميثاق: العهد الموثق بالقَسم. ونسوا: أهملوا وتركوا. والحظ: القِسم. وذكّروا: نُبّهوا وأُمروا. وأغرينا: ألزمنا وألصقنا. وبينهم أي: بين فِرَق النصارى المختلفة. والعداوة: المعاداة والخصام. والبغضاء: شدة التباغض. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث من قبورهم. وسوف ينبئهم: لا بد أن يُخبِرهم ويُعلِمهم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويصنعون: يعملونه من العصيان والكفر. ١٤ الأهل: الأصحاب المكلّفون بالاتّباع. والكتاب أي: التوراة والإنجيل. وجاءكم: وصل إليكم عِيانًا. والرسول: محمد ﷺ مبعوثًا لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ويبيّن: يُظهر ويَكشف. والكثير: العدد الوافر. وتخفون: تكتمونه. ويعفو: يتجاوز ويصفح. ومن الله أي: بسبب فضله وإرادته. والنور: ما يضيء ويميّز الخير من الشر. وكتاب أي: القرآن الكريم. ومبين: فيه بيان لكل ما اختلفتم فيه. ١٥ يهدي: يوجه الاختيار والقدرات ويُمِد بحسب الاستعداد الحسن. واتّبع: طلب وقصد. والرضوان: الرضا العظيم. والسبل: جمع سبيل. وهو الطريق الواضح. والسلام: النجاة من الضلال والهلاك. ويخرجهم: ينقذهم. والظُّلْمة: متاهة الكفر. وبإذنه: مع إرادته. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل لا اعوجاج فيه ولا اضطراب. ١٦ كفر: كذّب الحق والتوحيد والإيمان بالله. وقالوا أي: بألسنتهم أو بقلوبهم وأعمالهم. والمسيح: الرسول عيسى. ومريم: بنت عمران.وقل أي: لهم، أيها النبيّ. ومن يملك أي: لا أحد يستطيع. ومن الله أي: من عذابه. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. وأراد: قصد وقضى. ويُهلك: يفني. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وجميعًا أي: مجتمعين دون تخلف أحد. ولله أي: مستحَقة وحده. والملك: الحيازة والتصرُّف. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وما بينهما أي: وما فيهما أيضًا.ويخلق: يوجد من العدم. ويشاء: يريد أن يخلقه. والقدير: ذو القدرة البالغة لا يُعجزه شيء.١٧

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ
فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ
قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا
كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن
كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ
مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ
سُبُلَ السَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ
أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى
الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

المعنى العام: أما النصارى الذين وصفوا أنفسهم بأنهم أنصار الله والمسيح فقد أخذ الله - عز وجل - عليهم عهدًا موثّقًا أيضًا، فتناسوا بعضه وخالفوه بالشرك والكفر والعصيان، فأوقع الله بينهم الخصام أبدًا، كما كان في التاريخ وما ظهر في الحربين العالميتين الماضيتين، وإن استتر بوفاق أحيانًا للتألب على المسلمين، وسيجازيهم يوم القيامة بما فعلوا ويحاسبهم عليه.

ولما جاء أحبار اليهود يسألون النبي ﷺ عن حكم الزانيَين المُحصَنَين، وأقسم عليهم أن يقرّوا بما لديهم من حكم شريعتهم في ذلك، اعترفوا بأن الحكم في التوراة هو الرجم، ولكنه كثر الزنى فيهم ولا سيّما بين السادة والأشراف، فاختصروا ذلك بالجلد وحلق الرؤوس. وعند ذلك حَكمَ عليهما النبي ﷺ بالرجم، ونزلت الآيتان ١٥ و١٦ لذكر أن النبي الكريم أُرسل ببيان ما كان اليهود والنصارى يخفونه من التوراة، وما جاء به في الإسلام من عفو عنهم. فهو نور لكشف ظلمات الكفر بأمر الله وهداية لهم وإنقاذ من الضلال.

ثم إن النصارى ألّهوا المسيح بصور مختلفة من التفصيل بينهم، وهم يعلمون أنه وأمه من عباد الله الخاضعين لحكمه وتقديره يقضي فيهما بما يشاء، ولو أراد إفناءهما مع جميع ما في الأرض من المخلوقات لما وُجد من يمنع ذلك أو يحول دونه. فالله وحده ـ سبحانه ـ له الملك وحده أيضًا لِما في السماوات والأرض وما فيهما وبينهما وما في جميع الكون من المخلوقات، وله وحده كذلك الخلق والقدرة على كل شيء موجود أو محتمل وجوده، يتصرّف فيه بلا معين أو منازع.

تفسير المفردات: قالت: زعمت. واليهود: الذين اتّبعوا دين اليهودية، واحدهم يهودي. والنصارى: الذين نصروا الله، جمع نصران. والأبناء: جمع ابن. والأحبّاء: جمع حبيب. وهو الذي يكرَم ويحسَن إليه. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. ولِمَ يعذّبكم: كيف يعاقبكم في الدنيا، إن كنتم أبناءه وأحبّاءه؟ وبذنوبكم: بسببها، جمع ذنب. وهو المعصية يكون عليها عقاب. وبل أي: ليس ما زعمتموه صحيحًا. وبشر أي: أناس من بني آدم. وخلق أي: أنشأهُ من العدم. ويغفر: يستر الذنوب ولايؤاخذ عليها. ولمن يشاء أي: للذي يريد المغفرة له ممن آمن به وبرسله. ولله أي: مستحَقه وحده. والملك: الحيازة والتصرّف إطلاقًا. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وما بينهما أي: وما فيهما من الخلق. وإليه أي: إلى لقاء حسابه وجزائه. والمصير: رجوع المخلوقات العاقلة يوم القيامة. ١٨ أهل الكتاب: اليهود والنصارى. وجاءكم: وصل إليكم. والرسول: محمد ﷺ كلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل، ومعه كتاب منزل. وعلى فترة أي: بعد مدّة انقطاع. والرسل: جمع رسول. ويبيّن: يوضّح ويفصّل. وأن تقولوا أي: لئلّا تدّعوا معتذرين من كفركم وعصيانكم. وما جاءنا أي: ما أتانا. ومن بشيرٍ: رسولٌ يبشّر بالخير من لزم التوحيد والشريعة. والنذير: من يهدّد العصاة بعذاب الله. وجاءكم بشير ونذير أي:أتاكم محمد ﷺ. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: المقتدر من غير معين أو منازع. ١٩ إذ قال أي: وقت قوله. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل، أنزلت عليه التوراة. وقومه: الجماعة التي هو منها ويعيش معها وهي من السُّومريِّين الحاميِّين. ويا قوم أي: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. واذكروا: استحضروا في القلوب والأعمال. والنعمة: الإنعام بالخير. وإذ جعل: حين خلق. والأنبياء: جمع نبيّ، من كلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وجعلكم: صيّر منكم. والملوك: جمع مِلِك. وهو ذو السلطان والتصرف في البلاد وأهلها. وآتاكم: أعطاكم. ولم يؤت: لم يعطِ. والعالَمون: واحده عالَم، الجنس من المخلوقات. ٢٠ ادخلوا: اسكنوا. والأرض المقدسة: مدينة أريحا المطهّرة في جنوبيّ الشام. وكتب لكم: أمركم بدخولها. ولا ترتدّوا: لا ترجعوا. والأدبار: جمع دُبر. وهو الظهر. أي: لا ترجعوا عن القتال مدبرين. وتنقلبوا أي: تصيروا. والخاسرون:الذين ظلموا أنفسهم فخسروا منافع الدنيا والآخرة. ٢١ قالوا أي: أجابوا. وفيها أي: في البلدة المذكورة. والقوم: جماعة الناس وهم من العرب العماليق. والجبّار: من يُرغم الناس على ما يريد لقوته وبطشه. ويخرجوا: يذهبوا. ٢٢ والرجل: الذكر من الناس. ويخافون: يخشون ويتجنبون عصيان الله. وأنعم عليهما: أحسن إليهما. وادخلوا عليهم أي: اقتحموا بعنف وجهاد على الجبّارين. والباب: باب القرية. وغالبون: متغلّبون منتصرون. وعلى الله توكلوا أي: ثقوا به وحده. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ٢٣

الجزء السادس — سورة المائدة

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ
نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا
وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ
فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ
وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا
فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

المعنى العام: متابعة ما كان من أهل الكتاب. فقد زعموا أنهم أبناء لله وأحبابه، مقربون إليه من دون الناس. و على النبي الكريم أن يقول لهم: لو كانوا كذلك لما عذّبهم في حياتهم بكثير من الأهوال. والحق أنهم كبقية البشر، يحاسبهم بما كان منهم، ولا صحة للبنوّة أو المحبّة المزعومة. وقد أرسل الله محمدًا ﷺ بعد انقطاع الرسالات مدة، كراهة أن يعتذروا من الكفر بعدم تبليغهم الدعوة. فعليهم الاستجابة وقد بلّغهم الرسالة.

وعلى النبي أيضًا أن يذكرهم بدعوة موسى لقومه والنعم التي أكرمهم الله بها، وما كان من أمرهم أن يدخلوا بلدة أريحا، وامتناعِهم خوف مَن فيها من العرب الجبّارين، وتشجيعِ المؤمنَين لهم، بأن يتكلوا على الله وحده ويقتحموا البلدة بالقوة لينتصروا.

تفسير المفردات: قالوا أي: اليهود. وموسى: أعظم أنبيائهم. وندخلها: نقتحم البلدة بالقوة. أبدًا أي: في حياتنا. وما داموا أي: مدة وجود الجبّارين. واذهب: امضِ. والربّ: الخالق المالك المتصرّف. وقاتلا أي: حاربا الجبّارين. وههنا: في هذا المكان. وقاعدون: جالسون لا نحارب. ٢٤ قال أي: موسى يدعو. وربّ أي: يا ربّي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. ولا أملك: لا يجيبني إلى طاعتك. ونفس الإنسان: حقيقته وذاته. وأخي: هو النبي هارون. وافرق: افصل واحكم. والقوم: هؤلاء الجماعة. والفاسقون: العاصون للأمر. ٢٥ قال أي: الله ـ تعالى ـ لموسى. وإنها أي: البلدة. ومحرمة: ممنوعة لا يصلون إليها. والسنة: مدة دوران الأرض حول الشمس مرة. ويتيهون: يضيعون متحيرين. والأرض أي: البقعة المجهولة لديهم. ولا تأسَ: لا تحزن. ٢٦ اتل عليهم أي: اقرأ ـ يا محمد ـ على اليهود. والنبأ: الخبر العظيم. وابنا آدم: قابيل وهابيل. وبالحق: مع الصدق الثابت. وإذ قرّبا: حين قدّما. والقربان: ما يُتقرّب به إلى الله. وتُقبّل: قُبل القربان وجُعل من الحسنات. وأحدهما هو هابيل. والآخر هو قابيل. وقال أي: قابيل لأخيه هابيل. ولأقتلنّك: أُقسِمُ لأُزهقنّ روحك. وقال أي: هابيل. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والمتقون: المؤمنون يتجنّبون ما حرّمه الله ويطلبون رضاه بما يقدمون لوجهه الكريم. ٢٧ لئن أي: أُقسِمُ إن. وبسطتَ: مددتَ. وما أنا بباسطٍ: لستُ باسطًا. وأخاف الله: أخشاه وأُطيعه. والعالَمون: المخلوقات. ٢٨ أريد أي: أطلب من الله. وتبوء: تتلبس وترجع. وبإثمي: مصاحبًا جريمة قتلي. وإثمك: جريمة فعلك. وتكون: تصير. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء. والنار: نار جهنم. وذلك أي: الكون من أصحاب النار. والجزاء: العقاب. والظالمون: المعتدون يتجاوزون الحق ويرتكبون إحدى الكبائر. ٢٩ طوّعت: زيّنت ويسّرت. والنفس: الضمير والقلب. وأصبح: صار. والخاسرون: الذين فقدوا الخير وما ينتظرون من النعيم. ٣٠ بعث: وجّهَ وهدى. والغراب: طائر يضرب به المثل في السواد والبكور والحذر. ويبحث: ينبش ويحفر. والأرض: التراب. ويريه: يعلّم قابيل. وكيف يواري: كيفية الستر والإخفاء. والسوءة: ما يسوء الإنسان ويسبب له الشر أي: الجثة بعد القتل. وقال أي: قابيل. ويا ويلتا أي: ياهلاكي تعالَ الآن. فهذا أوان حضورك وحصولك. وعجزت: ضعفت ولم أستطع. وأكون: أصير. والمِثل: المماثل في المعرفة والقدرة. والنادمون: الذين يتأسفون ويحزنون لِما كان. ٣١

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ
إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ
يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ
٢٦ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا
فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ
مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ
لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠
فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي
سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا
ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١

المعنى العام: أن اليهود رفضوا الجهاد باقتحام أريحا، وطلبوا من الله وموسى أن يقاتلا لهم الجبارين، ليدخلوا هم بعد ذلك آمنين، فشكا موسى أمره إلى الله وعجزه عن حملهم على الجهاد، ودعا عليهم بالانتقام، فحرّم الله عليهم البلدة ٤٠ سنة، ليضيعوا في التّيه من سيناء، وليس على موسى أن يحزن على ما فعل قومه.

وقد أمر الله محمدًا ﷺ أن يذكّر اليهود بعاقبة حسدهم له وكفرهم به وقبائح جرائمهم، يذكّرهم قصة هابيل وقابيل، حين أرادا التقرب إلى الله بشيء من البذل، فقدم الأول أحسن ما عنده من المال والثاني أردأه. ولما قُبلت عطيّة هابيل ورُفضت عطيّة قابيل حسد هذا أخاه وهدده بالقتل، فردّ عليه هابيل بأنه لا ذنب له، وإنما تقبّل الله ما كان فيه تقوى وإخلاص وأهمل ما فيه دناءة، وأنه لن يواجهه بقتال، ليبقى وحده المجرم، وينال عقابه يوم القيامة.

وبعد أن قتل قابيل أخاه، لم يندم على فعله وحار في إخفاء الجثة، فهيأ الله له غرابًا يحفر في الأرض ليدفن جثة ميت من الغربان، فشعر قابيل حينئذ بالحقارة والغباء والندامة على عجزه وقصوره، لأن الغراب كان أعلم منه بما يحتاج إليه.

تفسير المفردات: من أجْل: بسبب جناية. وذلك أي: ما فعله قابيل. وكتبنا: قضينا. وإسرائيل: يعقوب. وبنوه: ذريته وسلالته اليهودية من السُّومريِّين الحاميِّين. وأنه: أنّ الشأن والموضوع. وقتل: أزهق الروح. والنفس: الإنسان الحيّ ذو الروح. وبغير نفس أي: بدون أن يكون المقتول قد استوجب القصاص. والفساد: الإفساد والشرّ العظيم. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والناس: بنو آدم. وجميعًا أي: مجتمعين كلهم. وأحياها: تسبب في بقائها على الحياة بحق. وجاءتهم: أتتهم. والرسل: جمع رسول، من كلّف بالدعوة والعمل. وبالبيّنات: مع المعجزات والحُجج الواضحة. والكثير: العدد الكبير. وبعد ذلك أي: بعد مجيء الرسل. وفي الأرض أي: حيث حلّوا أو أقاموا. ومسرفون: متجاوزون الحد بالكفر والقتل والفساد. ٣٢ الجزاء: العقاب في الدنيا. ويحاربون الله: يعادونه بالإجرام ومحاربة أحكامه والمسلمين. والرسول: محمد ﷺ وسُنّته. ويسعون: يعملون. والفساد: قتل الآمنين وترقُّب المارّين لسلب ما معهم. ويُقتَّلوا: يحقّق فيهم القتل. ويصلَّبوا: يُثبتوا على خشب أو ما يشبهه. وتقطَّع: تفصل عن الجسد. والأيدي: جمع يد. والأرجل: جمع رِجل. والخلاف: المخالفة بين الأيدي والأرجل في الجهة. وينفوا: يطردوا. والأرض: بلدهم. وذلك أي: ما ذكر في هذه الآية من الجزاء. ولهم أي: للذين يحاربون الله ورسوله. والخزي: الذل والإهانة. والدنيا: الحياة القريبة من الناس وهم فيها. والآخرة: الحياة بعد البعث. والعذاب: التعذيب. والعظيم: الهائل لا يقدَّر قدره. ٣٣ تابوا: رجعوا عما هم عليه وطلبوا العفو وردّوا ما يمكن ردّه إلى أصحابه. وتقدروا عليهم: تتمكنوا منهم بالاعتقال، أيها المسلمون. واعلموا: دوموا على الإدراك. والغفور: الكثير الستر للذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والرحيم: العظيم العطف بالعفو والإحسان إلى المؤمنين. ٣٤ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. واتّقوا الله: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه بأن تطيعوه فيما أمر ونهى هو ورسوله. وابتغوا: اطلبوا وتابعوا. وإليه أي: إلى رحمته ورضاه. والوسيلة: الأعمال الموصلة إلى القرب والرضا برغبة. وجاهدوا: ابذلوا نفوسكم وجهودكم وأموالكم في محاربة أعدائه الظاهرين والكامنين. وفي سبيله أي: لأجل إعلاء دينه. ولعلكم: ليُترجَّى لكم. وتُفلحون: تفوزون بخير الدنيا والآخرة. ٣٥ الذين كفروا أي: المشركون والمرتدون والمعادون من اليهود والنصارى. ولو أي: لو حصل. وما في الأرض أي: من النقد والمتاع والزينة. ومثله: بقدره أيضًا. ومعه: مع ما في الأرض. ويفتدوا: يقدموا ما ينقذ أنفسهم. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم. وما تقبل: ما رُضي به للفداء. والأليم: الشديد الإيلام. ٣٦

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ
نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ
جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا
جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ
فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ
وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

المعنى العام: ما فعله قابيل من القتل فتح باب الإجرام بين البشر، فشرع الله في بني إسرائيل لكثرة ذلك فيهم أن قتل الإنسان بغير حق شرعي قريب من قتل جميع البشر، والتسبب في إحيائه قريب من إحيائهم جميعًا. ثم جاءتهم الرسل بالمعجزات والحجج على صدقهم، وبقي أكثرهم يسعى في القتل والظلم.

وكذلك هو حال القحطانيين العُرَنيِّين، جاؤوا إلى المدينة يشكون مرضًا، فسمح لهم النبي ﷺ أن يستشفوا بما في الإبل من منافع. ولما صحُّوا قتلوا الراعي ومثّلوا به وسرقوا الإبل، فنزل الحكم فيهم وفي أمثالهم من المعتدين والمفسدين وقُطّاع الطرق، بالقتل والتصليب وتقطيع الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى، كما فعلوا في جرائمهم، وتوزّع العقوبة على حالات المجرمين بحسَب جناياتهم، لإذلالهم وردع أمثالهم. فإن تابوا وأصلحوا ما أفسدوا قبل اعتقالهم سقطت عنهم الحدود الشرعية، وبقيت عليهم حقوق الناس.

وعلى المسلمين تقوى الله دائمًا، وطلب التقرب إليه بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة ومتابعة جهاد المعتدين بإعلاء شأن دينه، ليكون لهم الفوز والنجاح. أما الكافرون فلن يتخلصوا من العذاب، ولو افتدوا أنفسهم بأضعاف ما في الدنيا من خيرات.

تفسير المفردات: يريدون: يتمنَّى الكافرون يوم القيامة. ويخرجوا: يتخلّصوا وينجوا. والنار: نار جهنم. وما هم بخارجين: ليسوا ناجين. ولهم: مستحَقُّهم وجزاؤهم. والعذاب: التعذيب. والمقيم: الدائم. **٣٧** السارق: من أخذ مال غيره مستخفيًا. واقطعوا: ابتروا. والأيدي: جمع يد، أي: من مفصل الكف. والجزاء: العقوبة. وبما كسبا أي: بسبب ما أخذا. والنكال: المعاقبة بما يمنع الغير ويردعه. ومن الله أي: من شرعه وحكمه. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعزيز: الغالب لجميع الخلق. والحكيم: ذو الحكمة البالغة في أمره ونهيه. **٣٨** تاب: رجع عن السرقة. وبعد ظلمه: بعد جريمته و نيل العقوبة الشرعية. وأصلح: جعل عمله كما يريد الشرع بأن يردّ ما سرق أو يدفع عوضًا منه. ويتوب عليه أي: يقبل توبته ويعفو عنه. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. **٣٩** ألم تعلم أي: أنت تدرك باليقين، أيها المخاطَب. وله أي: مستحَقّه وحده. والمُلك: الحيازة والتصرف. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويعذب: يعاقب. ويشاء: يريد. ويغفر: يستر الذنب ولايؤاخذ عليه. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: المبالغ في الاستطاعة. **٤٠** الرسول: محمد ﷺ. ولا يحزنك: لا يسبّب لك الحسرة والألم. ويسارعون: يتعجّلون القول والعمل. والكفر: تكذيب وحدانية الله ودعوة رسوله. وقالوا: أظهروا القول. وآمنّا: صدّقنا الله ورسوله. والأفواه: جمع فَوه. وهو الفم. ولم تؤمن: لم تعرف التوحيد وما يلزمه. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. ومن الذين أي: بعض الذين. وهادوا: اتبعوا طريق اليهودية. وسمّاعون للكذب: متابعون للباطل يطلبونه دائمًا. ولقوم أي: لأجل جماعة. وآخرين أي: غيرهم يهود خيبر. ولم يأتوك: لم يحضروا مجلسك لبغضهم وتكبّرهم. ويحرّفون: يغيّرون ويبدّلون. والكلم: واحدته كلمة. والمواضع: جمع موضع، المكان المعيَّن. ويقولون أي: لمن يخاطبونهم آمرين. وأوتيتم هذا: أُعطيتم هذا الحكم المحرّف وأُمرتم به. وخذوه: اقبلوه. ولم تؤتوه: لم تُعطوه وأُمرتم بغيره. واحذروا: امتنعوا أن تقبلوا. ويريد: يحكم ويقضي. والفتنة: أن يَفتن العبد نفسَه وينصرف عن الحق لسوء استعداده وتوجهه وفساد قلبه. ولن تملك له: لن تستطيع ـ أيها النبيّ ـ في شأنه. ومن الله أي: من إرادته وتوفيقه. وأولئك أي: المنافقون واليهود المذكورون في هذه الآية. ويطهّر: ينقي ويخلص. والدنيا: الحياة الحاضرة. والآخرة: الحياة يوم القيامة. والخزي: المَذَلّة والهوان. والعظيم: الضخم لا مثيل له. **٤١**

الجزء السادس — سورة المائدة

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ
قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ
هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ
آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا
وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

ربع الحزب ١٢

المعنى العام: أن الكافرين يتمنّون الخروج من عذاب جهنم يوم القيامة، وهو دائم عليهم لا ينقطع.

أما من يسرق مال غيره فعقابه قطع اليد بأمر الله الغلّاب المتقن لما يحكم به. فإن تاب السارق وأصلح عمله وردّ الحقوق إلى أصحابها قبل الله توبته وغفر له. وكلكم يعلم يقينًا أن مالك الخلق جميعًا يعاقب ويعفو بمشيئته واقتداره.

ولا يزعجك ـ أيها النبيّ ـ المسرعون في ميادين الكفر من المنافقين الذين يصرّحون بالإيمان وقلوبهم كافرة، وبعض يهود بني قُريظة والنَّضير مسالمون في الظاهر، ينقلون أكاذيب يهود خيبر الذين يقاطعونك ويغيرون أحكام التوراة، ثم يرسلون اليك القُرظيين لطلب الحكم في بعض الجرائم، فإن حكمتَ كما فيما حرّفوا قبِلوا، وإن حكمتَ بخلافه أنكروا. فهؤلاء وأولئك أضلوا أنفسهم بإصرارهم على الكفر. وإذا أراد الله للإنسان أن يُضل نفسه فليس لك إصلاحه، واليهود المذكورون حكم الله عليهم أن يلازموا فساد القلوب، وينالوا الذل في الدنيا وأشد العذاب في الآخرة...

تفسير المفردات: السمّاع: الكثير التلقي والقبول. والكذب: الباطل من القول. والأكّال: الكثير الأخذ جشعًا. والسحت: المال الممحوق المقطوع البركةِ. وجاؤوك: أتوا إليك لتحكم بينهم. واحكم: اقضِ وافصل. وأعرض: انصرف دون حكم. ولن يضرّوك شيئًا: لن يسبّبوا لك أيّما ضرر! وبالقسط: مصاحبًا العدل والحق. ويحبّ: يودّ ويكرم. والمقسطون: العادلون في الحكم. ٤٢ كيف يحكمونك: عجيب أمرهم في طلب الحكم منك على مجرميهم. والتوراة: ما حُرّف من الكتاب الذي أوحي إلى موسى. وحكم الله أي: شرعه الذي في القرآن أيضًا لعقاب. ويتولون: يُعرضون ويمتنعون أن ينفذوا. وذلك أي: التحكيم. وما أولئك أي: ليس اليهود المذكورون. وبالمؤمنين أي: مؤمنين بكتابهم وما يوافقه من الشرائع. ٤٣ أنزلنا: أوحينا. والهدى: الدلالة على الحق. والنور: الضياء يُكشف به ما خفي. ويحكم: يقضي. وبها أي: بما فيها. والنبيّون: الأنبياء الذين جاؤوا بعد موسى. وأسلموا: انقادوا لله واعتنقوا الإسلام. وهادوا: اتّبعوا طريقة اليهودية. والربانيّون: العالمون المنسوبون إلى الربّ. والأحبار: جمع حَبر. وهو فقيه اليهود. وبما استُحفظوا: بسبب جعلهم حفَظة وعاملين. والكتاب: التوراة. وعليه أي: على كتاب الله. والشهداء: جمع شهيد، يقر بما هو معلوم مع الحماية من التغيير. ولا تخشَوُا الناس: لا تخافوا مَن حولكم، أيها المخاطَبون من يهودَ وغيرهم. واخشونِ: اخشوني: خافوني وحدي. حذفت الياء للتخفيف. ولا تشتروا: لا تستبدلوا. والآيات: النصوص القرآنية وأحكامها. والثمن: ما يأخذه البائع من المال. وقليلًا أي: يسيرًا مهما كثر. ولم يحكم: خالف ورفض. وأنزل: أوحى من القرآن وألهم من السُّنّة. والكافرون: المكذبون للتوحيد والبعث. ٤٤ كتبنا عليهم: فرضنا على اليهود. وفيها: في التوراة. والنفس: قتل الإنسان الحيّ. وبالنفس: جزاء القتل لنفس. والعين: قلع عضو الإبصار. وبالعين: جزاء قلع عين. والأنف: قطع عضو الشم. وبالأنف: جزاء قطع أنف. والأذن: قطع عضو السمع. وبالأذن: جزاء قطع أذن. والسن: قلع العظمية النابتة في الفك. وبالسن: جزاء قلع سنّ. والجروح: جمع جُرح. وهو الشق في البدن. والقصاص: معاقبة الجاني بمثلما فعل. وتصدّق أي: اعترف وأقرّ بالقصاص ونُفذت فيه العقوبة. وهو أي: التصدّق. والكفّارة: ما يغطي الإثم ويزيل عقوبته يوم القيامة. ولم يحكم: تجنب الحكم. والظالمون: الجائرون في الحكم والمخالفون للحق والعدل. ٤٥

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ
فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن
يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ
ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ
وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا
هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ
هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ
ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ
وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ
فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ
بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ
قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن
لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

المعنى العام: متابعة قبائح يهود خيبر بأنهم يتسمّعون الكذب ويأخذون الرشاوى على الحكم بالباطل، وللمسلمين والرسول الكريم أن يحكموا لهم أو يمتنعوا عن الحكم، إن طلبوا منهم ذلك، والامتناع ليس فيه منهم ما يضرّ المسلمين، والعدل واجب إن حكموا. وعجيب أن يطلبوا ذلك، وعندهم أحكام التوراة في الزنى كما في القرآن الكريم، ثم يمتنعوا عن التنفيذ. وعلى هذا فهم كافرون بالتوراة وغيرها. فلقد أنزل الله التوراة للهداية يحكم الأنبياء والعلماء بما فيها لليهود، وهم يشهدون أنه حق، فكيف يتجاوزون ذلك؟

ولا خشية من كيدهم ـ أيها المخاطَبون ـ بل الخشية كلها من الله وحده، مع الحكم بما أنزل، ومن رفض الحكم بالوحي والسُّنّة واعتمد غيرهما فهو كافر بالله ورسوله. وكذلك معنى ختام الآيتين التاليتين. فالوصف في أولاهما بظلم أحكام البشر، وفي ثانيتهما بالفسق في الخروج عن الحق، يضاف إلى الكفر فيمن حكم بغير شريعة الله ورسوله أو طلب ذلك.

وقد فرض الله في التوراة عقوبة القتل لمن يقتل إنسانًا بغير حق، وعقوبة إتلاف الإعضاء بإتلاف مثلها، إن أمكن القصاص فيها. وما لايمكن فيه القصاصُ يجب فيه الحكم بما يناسب الجناية، نحو رضّ في اللحم أو كسر في العظم أو جرح في البطن. والحاكم بغير ما أنزل الله ظالم يعاقَب بما يستحق...

تفسير المفردات: قفّينا: أتبعنا. والآثار: جمع أثر. وهو عقِب الشيء ومابعده. وعيسى بن مريم: الرسول الذي زعم اليهود أنهم صلبوه. ومصدّقًا لما بين يديه: مؤيّدًا أن ما قبله هو من عند الله. والتوراة: كتاب اليهود. وآتيناه: أوحينا إليه. والإنجيل: كتاب النصارى. والهدى: الهداية والإرشاد إلى الحق والخير. والنور: الضياء يَكشف ما تشابه. وهدى وموعظة أي: هاديًا وواعظًا، يوجّه وينصح ويذكّر بالعواقب للمطيع والعاصي. والمتقون: الذين يتجنّبون غضب الله ويطلبون رضاه بالطاعة. ٤٦ يحكمُ: يقضي بين الناس.وأهل الإنجيل: النصارى. وأنزل أي: أوحاه على لسان جبريل. وفيه أي: في الإنجيل. والفاسقون: الذين خرجوا بالكفر والظلم والعصيان وتمرّدوا على حكم الله. ٤٧ الكتاب: القرآن الكريم. والحق: الصدق الثابت. والكتاب: الكتب المقدّسة. والمهيمن عليه: الشاهد الأمين والمتحكّم فيه. وبينهم: بين أهل الكتاب. وبما أنزل الله أي: من الأحكام الموافقة لِما كان قبلك أو الناسخة له. ولا تتّبعْ:دُم على الحق و لا توافق ولا تطع. والأهواء: جمع هوى، ما تميل إليه النفس من الشهوات. وعما جاءك أي: منحرفًا عما وصل إليك بالوحي. ولكل أي: لكل قوم منكم. وجعلنا: وضعنا. والشِّرعة: الشريعة والدين. والمنهاج: الطريق الواضح. وشاء أي: أراد وحدتكم. وجعلكم: صيّركم. والأُمّة: الجماعة من الناس على دين واحد. ويبلوكم: يمتحنكم. وآتاكم: أعطاكم وكلّفكم. واستبقوا الخيرات: سارعوا إلى الأعمال الصالحة التي شرعها الله. وإلى الله أي: إلى لقاء حسابه. والمرجع: الرجوع بعد الموت. وجميعًا أي: مجتمعين لايتخلف منكم أحد. وينبئكم: يخبركم ويُطلعكم. وفيه تختلفون: بسببه تتنازعون وتختصمون. ٤٨ احذرهم أي: احترس من اليهود. ويفتنوك: يضلوك ويصرفوك. والبعض: الجزء من الشيء ولو كان قليلًا جدًّا. وتولّوا: أعرضوا وامتنعوا عن قبول حكمك. واعلم أي: فليكن في علمك. ويريد: يشاء ويقضي. ويصيبهم: يُنزل بهم ويعاقبهم. والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية التي تستوجب العقاب. والكثير: العدد الوافر جدًّا. ٤٩ أفحكم الجاهلية يبغون: كيف يطلب اليهود فصلًا في الخصومات بما تعارفه الجاهليّون الوثنيّون؟ ومن أحسن: لا أحد أجود وأعدل وأعمّ نفعًا. والقوم: الجماعة من الناس. ويوقنون أي: يعلمون علم اليقين حسن أحكام الله ويتبيّنون عدله المطلق. ٥٠

الجزء السادس سورة المائدة

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ
عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ
بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

المعنى العام: متابعة قبائح أهل الكتاب بأن الله بعث عيسى بعد أنبيائهم المذكورين، يحقق صحة ما كانوا عليه، ومعه الإنجيل هاديًا إلى الحق وواعظًا للمتقين، ثم أمر أتباعه أن يحكموا به. وإلّا خرجوا إلى الضلال مع الكفر والظلم، كما ذكرنا في معنى الآية ٤٤.

وقد أنزل الله القرآن بالحق يصدّق ما قبله، وأمر المسلمين أن يحكموا به بين أهل الكتاب، ولايوافقوا الأغراض الفاسدة. فلكل قوم شريعة خاصة بهم، مع الاتفاقِ في الأصول والاختلافِ في بعض الفروع. ولو أراد الله أن يكون الناس أُمّة واحدة لصيّرهم على دين واحد أبدًا، ولكنه جعل الأديان المتعددة ليمتحنهم ويُظهر المصلح من المفسد. فعلى الجميع إسراعهم إلى صالح الأعمال، لأنهم سيحاسبون يوم القيامة على ما كان منهم وما اختلفوا بسببه.

ولما أراد بعض الأحبار خداع النبي ﷺ، بأن يقضي لهم على خصمهم، ليؤمنوا ويتّبعهم اليهود، وأبى ذلك عليهم، نزلت الآيتان ٤٩ و ٥٠ تثبيتًا له وللمسلمين. إذ الواجب هو شرع الله، والحذر من متابعة أهواء المفسدين، وإن أعرضوا عن الحكم بالحق فإن ذلك لإرادة الله تعجيلَ عقوبتهم، وأكثر الناس كذلك. وعجيب أن يريدوا حكم الجاهلية، وليس في الوجود من له حكم أحسن من أمر الله أو يماثله.

تفسير المفردات: آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. ولا تتّخذوا: لا تجعلوا. واليهود: أتباع اليهودية، واحدهم يهودي. والنصارى: أتباع النصرانية، واحدهم نصران. والأولياء: جمع وليّ. وهو الذي يتولّى الأمور، ويوجهها ويتحكم في الشؤون. والبعض: الواحد أو الأكثر. ويتولاهم: يجعلهم موجّهين له. ومنكم أي: من المسلمين. ومنهم أي: من أهل دينهم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد. ولا يهدي: لايرشد إلى طريق الإيمان والصلاح. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: الذين نافقوا بموالاة الكفار. ٥١ ترى: تبصر، أيها المخاطَب. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. والمرض: النفاق أو ضعف الإيمان. ويسارعون فيهم: يتعجلون في موالاتهم. ونخشى: نخاف. وتصيبنا: تنزل بنا. والدائرة: الفاجعة العظيمة بظفر اليهود. وعسى: يُترجَّى ويؤمَّل. يأتي بالفتح: يخلق نصر المسلمين وتغلبهم على الأعداء. والأمر: الخلق للأشياء. ومن عنده أي: بإرادته وقضائه. ويصبحوا: يصير المنافقون. وعلى ما أسرّوا: بسبب ما أضمروا. والأنفس: جمع نفس. وهي القلب. ونادمين: متأسّفين. ٥٢ أهؤلاء أي: عجيب حال المنافقين. وأقسموا: حلفوا. والجهدَ: البَذْل لأقصى القُدرة. والأيمان: جمع يمين. وهو القسَم. ومعكم أي: في الدين. وحبطت: بطلت وفسَدت. والأعمال: جمع عمل، ما كان من خير في قول أو فعل. وأصبحوا: صاروا.وخاسرين أي: مضيّعين ما ينتظرون. ٥٣ يرتدّ: يرجع إلى الكفر. والدين:الإسلام. ويأتي بقوم أي: يهيّئ جماعة. ويحبهم: يودّهم ويُثيبهم. ويحبّونه: يودّونه ويطيعونه. وأذلّة: عاطفون، جمع ذليل. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وأعزّة: أشِدّاء، جمع عزيز. والكافرون: الذين كفروا بالله ورسوله. ويجاهدون: يبذلون أقصى ما يملكون. وفي سبيل الله أي: لأجل إعلاء دينه بما شرع في القرآن الكريم والسُّنّة المطهّرة. ولا يخافون: لا يخشون. واللومة: المذمة والتعنيف. وذلك أي: ما ذُكر من الأوصاف. والفضل: التفضل والإحسان. ويؤتيه: يعطيه. ويشاء أي: يريد الله إيتاءه. والواسع: الكثير الفضل. والعليم: البالغ الإحاطة والتقدير والإحكام. ٥٤ والوليّ: الذي يرعى المصالح. والرسول: محمد ﷺ. ويقيمون الصلاة: يؤدّونها بشروطها وأركانها وآدابها. ويؤتون الزكاة: يدفعون ما يجب في أموالهم تطهيرًا لها وللنفس. وراكعون: خاشعون لله. ٥٥ يتولّ اللهَ: يختاره وليًّا يعبده ويعتمد عليه وحده. ورسوله أي: يستجيب له ويطيعه. وحزب الله: جنده وأنصاره. والغالبون: المتصرون بالقوّة أو بالحجة. ٥٦ اتّخذوا: جعلوا. ودينكم: الإسلام. والهزو: ما يُهزأ به. واللعب: ما يُلعب به. وأوتوا: أُعطوا. والكتاب: التوراة والإنجيل. والكُفّار: جمع كافر. وهو المشرك. واتقوا الله أي: تجنّبوا سخطه واطلبوا رضاه بالطاعة.٥٧

نصف الحزب ١٢

الجزء السادس — سورة المائدة

۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ
يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ
مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾
وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ
إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

المعنى العام: نهيُ المسلمين عن الانقياد لأهل الكتاب، ومن يفعل ذلك فهو منهم، والله لا يهديه إلى الصواب. وما يستجيب لهم إلّا المنافقون الضعاف الإيمان، يسرعون إلى متابعة الكفّار، قائلين: إنهم يخشون هزيمة المسلمين. وما يؤمَّل من الله هو النصر لهم لا الهزيمة، فيصير المنافقون نادمين، ثم يعجب المؤمنون من تقلّبهم وظهور كذبهم، بعد ما أقسموا أنهم مسلمون. فلقد ضاعت أعمالهم بسبب النفاق، وخسروا ما كانوا ينتظرون من الخير.

وإذا ارتد بعض المسلمين أتى الله بأناس يحبهم ويحبونه، يعطفون على المؤمنين ويساعدونهم بالنصر والعون والرحمة ويشتدون على الكافرين بالقسوة والمقاومة الدائمة، ويجاهدون لإعلاء دينه دون خوف لائم. وهذا فضل الله الواسعُ يهبه من يستحقه.

وعندما قاطع اليهود من أسلم منهم، وشكا هؤلاء ذلك إلى النبي ﷺ، نزلت الآيتان ٥٥ و ٥٦ بأن الله ورسوله والمؤمنين هم أولياؤهم ، ولا يجوز الاعتماد على أهل الكتاب الكافرين الذين جعلوا دين الإسلام سخرية، بل على المؤمنين تقوى الله...

تفسير المفردات: ناديتم إلى الصلاة: أذّنتم لأداء الصلاة المكتوبة. واتخذوها: جعلوها. والهزو: ما يُهزأ به. واللعب: ما يُلعب به. وذلك أي: الاتخاذ. وبأنهم أي: حاصل لأنهم. والقوم: الجماعة. ولا يعقلون: لا يستعملون عقولهم لجهلهم. **٥٨** قل أي: لهم، أيها النبيّ. وأهل الكتاب: اليهود. وهل تنقمون: إنكم لا تُنكرون ولا تعيبون. ومنّا: من صفاتنا وأحوالنا. وآمنّا: صدّقنا يقينيًّا. وأُنزل: أُوحي من عند الله. وقبلُ: قبلِ القرآن الكريم. والأكثر: الغالبية. وفاسقون: خارجون عن الحق. **٥٩** أنبّئكم: أُخبركم. وشرّ: أكثر ضررًا. وذلك أي: الإنكار والعيب. والمثوبة: العقاب. وعند الله: في حسابه وجزائه. ولعنه: طرده من رحمته. وغضب عليه: سخط عليه وأراد عقابه. وجعل: صيّر. والقردة: جمع قرد. والخنازير: جمع خِنزير. وعبد الطاغوت: اتخذ الشيطان إلهًا. والمكان: المنزلة. وأضل: أكثرُ بعدًا. والسواء: المعتدل. والسبيل: الطريق الواضح. **٦٠** جاؤوكم: لقيكم المنافقون، أيها المسلمون. وآمنّا أي: صدّقْنا الله ورسوله. ودخلوا أي: قابلوكم. وبالكفر: مع التكذيب والإنكار. وخرجوا: وفارقوكم. وأعلم: أكثر إحاطة منكم ومنهم. ويكتمون: يُخفونه. **٦١** وترى: تُبصر عِيانًا، أيها المخاطَب. ويسارعون: يسقطون سريعًا. والإثم: الذنب. والعدوان: الظلم. والأكل: التناول بجشع. والسحت: المال المحرّم. وبئس أي: تجاوز الحدّ في السوء والبؤس والشرّ. ويعملون: يكتسبونه. **٦٢** لولا: هلّا، للتحضيض والتوبيخ. وينهى: يمنع. والربانيّ: العابد المنسوب إلى الربّ. والأحبار: جمع حَبر، العالِم اليهوديّ. والإثم: الكذب. وكانوا أي: وما زال علماؤهم. ويصنعون: يعملونه. **٦٣** اليهود: أتباع اليهودية. ومغلولة: مقبوضة عن الرزق. وغُلّت: قُيّدت. ولُعنوا: طُردوا من رحمة الله، فكانوا شياطين البشر. وبما قالوا: بسبب قولهم المنكر. ومبسوطتان: مفتوحتان مُطلقتان. وينفق: يعطي ويرزق. وكيف يشاء أي: على الحال التي يريد. وليزيدنّ أي: أُقسِمُ ليُضاعفنّ. وكثيرًا منهم أي: الأحبار ومن يتّبعهم. وأُنزل: أوحي على لسان جبريل. ومن ربك: من عنده بأمره. والطغيان: تجاوز الحد بالعصيان. والكفر: الإنكار للحق. وألقينا: رسّخنا. وبينهم أي: بين فِرق اليهود وجماعاتهم. والعداوة: المعاداة. والبغضاء: التباغض. واليوم: الوقت. والقيامة: بعث الناس للحساب. وكلّما: كلَّ وقت. وأوقدوا: أثاروا بالتحريض. ونارًا أي: فتنة. والحرب: المحاربة. وأطفأها: أخمدها. ويسعون: يجتهدون. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والفساد: إشاعة الشرّ. ولا يحبّ: يبغض ويعاقب بالخسارة والهزيمة. ٦٤

الجزء السادس — سورة المائدة

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا
بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ
هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا
وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِۦ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ
﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ
السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّٰنِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا
بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَٰوَةَ
وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

المعنى العام: متابعة قبائح النصارى واليهود والمشركين بأنهم إذا سمعوا الأذان للصلاة يستهزئون ويتضاحكون، فنزلت الآية ٥٨ بذمهم وأنهم يفعلون ذلك لجهلهم.وعندما ذكر النبيّ ﷺ لليهود أنه يؤمن بنبوّة عيسى أيضًا، وصفوا الإسلام بالفساد، فنزلت الآية الآية ٥٩ بأن أكثرهم خارجون عن طاعة الله، وينكرون الإيمان بجميع الرسل، وبأن أشنع من ذلك ـ وذكرُ التفضيل هنا سخرية منهم بما يظنون من صلاح حالهم ـ ما كان لأجدادهم أصحاب السبت وكفار أهل المائدة، من عقوبة باللعنة والمسخ قرودًا وخنازير وعابدي الشيطان وأمثاله.

وكان بعض منافقي اليهود يدّعون الإسلام، ويصرحون بالكفر بينهم، فوصفهم الله بذلك وأن أكثرهم يسرعون الوقوع في الكذب والظلم وجمع المال الحرام من الرشاوى والاحتيال. وكان على علمائهم أن ينهوهم عن ذلك، ولكنهم أكثر شرًّا منهم. وقد ضيق الله عليهم بعض الرزق لكفرهم، فزعموا أن الله بخيل، فدعا عليهم بشدة البخل والحرمان من الرحمة، وبيّن أنه ينفق كيفما شاء، وأن ما يوحى من القرآن يضيف إليهم ظلمًا وتكذيبًا، وهم في خصومات بينهم، كلما أرادوا حرب المؤمنين تخاذلوا وغُلبوا. وهذا شأنهم في التاريخ كله، بخلاف ما يكونون فيه من محاربة لذوي النفاق والشعارات الفارغة، كما هو الحال في هذه الأيام بين الدول المتسملة. ثم هم مشردون دائمًا ينشرون المعاصي والجرائم والفواحش كيدًا للإسلام والمسلمين ومن في الأرض جميعًا. والله يكرههم وينزل بهم البلاء في الدنيا والآخرة...

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا
التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ
فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا
لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٢

تفسير المفردات: لو أي: لو حصل. وأهل الكتاب: بنو إسرائيل من اليهود والنصارى. والكتاب: التوارة والإنجيل. وآمَنوا: صدّقوا وأقروا بالإسلام. واتقوا: تجنّبوا العصيان وطلبوا رضا الله بطاعة أمره ونهيه. وكفّرنا: سترنا وغفرنا. والسيئة: المعصية. وأدخلناهم: يسّرنا لهم الدخول. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها القصور والأشجار وأنهار الماء واللبن والعسل والخمر. والنعيم: السعادة العظيمة. ٦٥ أقاموا التوراة والإنجيل: أظهروا ما فيهما وعملوا به. وأُنزل: أُوحي. ومن ربهم: من عنده وبأمره. وأكلوا أي: كان لديهم ما يأكلون ويشربون. والأرجل: جمع رِجل. ومنهم: بعضهم. والأُمّة: الجماعة. والمقتصدة: المعتدلة لا تغالي ولا تقصّر. والكثير: العدد الوافر. وساء: تجاوز الحد في السوء والفساد. ويعملون: يكتسبونه ويتحمّلونه. ٦٦ الرسول: محمد ﷺ. وبلّغ ما أنزل إليك: أعلِمِ الناس ما أُوحي إليك. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ولم تفعل: لم تبلّغ جميع ما أنزل إليك. ورسالته: ما كلّفك به من الدعوة. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويعصمك: يحفظك. والناس: البشر من الكافرين. ولا يهدي: يوجه الاختيار والقدرات إلى ما يناسب الاستعداد الخبيث. والقوم: الجماعة من الناس. والكافرون: المنكرون للحق. ٦٧ الشيء أي: من الدين. وتقيموا: تتابعوا وتطيعوا. وما أُنزل إليكم: أوحاه الله إلى الأنبياء. وليزيدنّ: أُقسِمُ ليُضاعِفنّ. والطغيان: تجاوز الحد بالعصيان. والكفر: التكذيب. ولا تأسَ: لا تحزن، أيّها النبي. ٦٨ آمنوا أي: برسالة الإسلام إيمانًا يقينيًّا. وهادوا: التزموا طريقة اليهوديّة. و الصابئون: الذين هم على الفطرة وليس لهم دين مقرر، ثم تنصّر بعضهم أو تهوّد. والنصارى: المتابعون للنصرانية، واحدهم نصران. وآمن بالله: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. واليوم: الوقت. والآخِر: المتأخر بعد الموت والبعث. وعمل: اكتسب وتحمّل. والصالح: ما يرضاه الشرع. و الخوف: الفزع. ولاهم: ليسوا. ويحزنون: يغتمّون. ٦٩ أخذنا: تلقينا بالقبول. والميثاق: العهد المؤكّد. وبنو إسرائيل: سلالة يعقوب من أبنائه. وأرسلنا: بعثنا. والرسل: جمع رسول، من كلفه الله بالدعوة والعمل. وكلما: كل وقت. وجاءهم: أتاهم وبلّغهم. ولا تهوى: لا تحبّ. والأنفس: جمع نفس، القلب. والفريق: الجماعة. وكذّبوا: جحدوا الرسالة. ويقتلون: يزهقون الروح. ٧٠

المعنى العام: متابعة ذِكر اليهود والنصارى بأنهم لو آمنوا بالنبي ﷺ لغفر الله لهم ما مضى وكان لهم نعيم الجنة، ولو أظهروا التوراة والإنجيل وكتبَ أنبيائهم التي أُنزلت على مثل شعياء ودانيال وداود لكان لهم نعم كثيرة، ولكنهم قليل منهم معتدل في إيمانه، كعبد الله بن سلام والنجاشي وأصحابها، وأكثرهم استغرقوا في المكابرة وتحريف الحق والإعراض عن الإسلام.

ولما ضاق النبي ﷺ بتكذيب اليهود والنصارى والمشركين، وأشفق على نفسه منهم فلم يجاهرهم ببعض ضلالاتهم وإنكار ما هم فيه، نزل أول الآية ٦٧ للتنبيه والتحذير، فقال: «يارَبِّ، كَيفَ أصنَعُ؟ أنا واحِدٌ. أخافُ أن يَجتَمِعُوا علَيَّ»، فنزلت بقية الآية تأمره بتبليغ جميع ما أُرسل به وعدم التقصير بشيء من ذلك، و تطمئنه وتبشره بالحماية والنصر، وتعنت الكافرين بإصرارهم على الباطل.

فلْيخاطبْهم إذًا بأنهم على ضلال حتى ينفِّذوا ما كان في التوراة والإنجيل وما جاء به القرآن. ولكنهم سيزدادون كفرًا بذلك، فلا يجوز أن يحزن النبي ﷺ عليهم، ولا خوف على من آمن بالإسلام أيًّا كان دينه قبل. أما اليهود فقد تعهّدوا بالإيمان والصلاح، ثم كذّبوا بعض الأنبياء وقتلوا البعض، لأن نفوسهم لم تقبل ما جاءهم من الهداية.

تفسير المفردات: حسبوا: ظنّ اليهود. ولا تكون: لا تحصل ولا تقع. والفتنة: عذاب المحنة في تكذيبهم وقتلهم للأنبياء. وعمُوا: ذهبت بصيرتهم وفسد تمييزهم للخير من الشر. وصمّوا: فَقَدوا ما يعينهم على السمع الواعي. وتاب عليهم: قَبِلَ توبتهم وصفح عنهم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والكثير: العدد الوافر. والبصير: المدرك للأحداث حال وجودها. ويعملون أي: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ٧١ كفر: كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. والمسيح: رسول النصارى. ومريم: بنت عمران أم المسيح. وقال أي: لهم. وبنو إسرائيل: اليهود الحاميّون السُّومريون. واعبدوا الله أي: قدّسوه وأطيعوه وحده. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. وإنه أي: إن الأمر والموضوع. ويشرك بالله: يجعل له شريكًا من المخلوقات في العبادة والطاعة. وحرّم: منع منعًا مطلقًا. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم. والمأوى: المكان الذي يُلجأ إليه. والنار: نار جهنم. وما للظالمين: ليس للمشركين. ومن أنصارٍ أي: أنصارٌ، جمع نصير. وهو من يقوم بالتأييد والإنقاذ. ٧٢ كفر: جحد الحق وانهمك في الباطل. وثالث ثلاثة أي: واحد من ثلاثة آلهة. وما من إلَهٍ: لا يكون في الوجود معبودٌ بحق. وواحد أي: متصف بالوحدانية متعال عن الشركة. ولم ينتهوا: لم يمتنع النصارى. وليمسّنّ أي: أُقسِمُ ليُصيبنّ. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. ٧٣ ألا يتوبون أي: يجب عليهم أن يرجعوا عن ذنوبهم ويندموا على فعلها ويتعهدوابتركها. ويستغفرونه: يطلبون منه ستر الذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والغفور: العظيم العفو والصفح. والرحيم: الكثير الرأفة والعطف بالإحسان إلى المؤمنين. ٧٤ ما المسيح: ليس المسيح. ورسول أي: بعثه الله للدعوة إلى العقيدة والشريعة والعمل ومعه كتاب منزل. وخلت: ذهبت وفنيت. والرسل: جمع رسول. وأُمّه أي: مريم. والصدّيقة: المبالغة في الصدق والتصديق للحق. ويأكلان: يتناولان ما يحتاجان إليه لاستمرار الحياة. والطعام: ما يؤكل أو يشرب للغذاء والتلذّذ. وانظر أي: تدبر وتأمل ـ أيها النبيّ ـ ما يحمل على التعجب. ونبيّن: نوضّح. والآيات: الأدلّة الظاهرة على الحق. وأنّى: كيف؟ ويؤفكون: يُصرفون عنه. ٧٥ قل أي: للنصارى المشركين، أيها النبيّ. وأتعبدون أي: لا يجوز أن تقدّسوا أو تطيعوا. ودون الله أي: غيره. وما أي: مَن. ولا يملك لكم: لا يستطيع لأجلكم بقدرته الخاصة.

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا
يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ
ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾
لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ
إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ
ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ
ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ
يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

والضرّ: جلب السوء والأذى. والنفع: إيصال الخير. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المحيط بالأحوال والأشياء كلَّ الإحاطة قبل وجودها وبعده. ٧٦

المعنى العام: متابعة ذكر قبائح اليهود بما ظنوا أنهم لا يعذّبون على تكذيب الرسل وقتلهم، فضلّوا مرارًا، والله محيط بأعمالهم. وكذلك حال الذين ألّهوا عيسى، وهو أمرَهم بتوحيد الله، وبيّن لهم أن المشرك له جهنم خالدًا فيها، من دون عون أو نُصرة. وبعض النصارى جعلوا الآلهة ثلاثة، مع أن التوحيد أصل واجب، ومن خالفه كان له العذاب الشديد في الدنيا والآخرة. فعليهم التوبة والاستغفار من الله الغفور الرحيم.

والحق أن المسيح نبي مرسل، وأُمّه صِدّيقة في إيمانها وعبادتها وأعمالها، وهما من البشر في الحاجات الإنسانية، والعجب من الكافرين، يضلون عن الحق بعد بيانه وتوضيحه بمختلِف الوسائل. فلْيلزموا التوحيد ولْيتركوا ما يُعبد من المخلوقات التي لا تستطيع أن تنفع أو تضر بقدرتها الخاصة أبدًا.

تفسير المفردات: قل أي: خاطب بالقول جهارًا، أيها النبيّ. وأهل الكتاب: أصحابه المسؤولون عنه. وهم اليهود والنصارى. والكتاب أي: التوراة والإنجيل. ولا تغلوا: لا تتجاوزوا الحدّ. والمراد بالدين هنا ما أنزله الله عليهم. وغير الحق أي: المغاير للصدق والعدل. ولا تتّبعوا: لا تطيعوا وتتابعوا. والأهواء: جمع هوى. وهو ما تدعو شهوة النفس إليه. والقوم: الجماعة من الناس. وضلّوا أي: انحرفوا عما أمر به الله. وقبلُ أي: قبلِ بعثة محمد ﷺ. وأضلّوا أي: صرفوا وأفسدوا. والكثير: العدد الوافر من الناس. وسواء السبيل: الطريق المعتدل، أي: الدين الحق. ٧٧ لُعن: طرد من رحمة الله. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وبنو إسرائيل: اليهود والنصارى من السُّومريّين الحاميّين. وهم سلالة يعقوب. وعلى لسان داود وعيسى أي: بدعاء النبيَّين عليهم. واللسان: العضو الذي يكون به الكلام. وداود أُنزل عليه الزّبور. وعيسى أُنزل عليه الإنجيل. وبما عصوا أي: بسبب خروجهم عن طاعة الله. ويعتدون: يتجاوزون الحد بالعصيان والكفر. ٧٨ لا يتناهون: لا يمنع بعضهم بعضًا. والمنكر: ما تستقبحه الشريعة والعقول السليمة. وفَعلوه: اكتسبوه واقترفوه. وبئس: تجاوز الحدّ في الشرّ والفساد والبؤس. ٧٩ ترى: تبصر عِيانًا، أيها النبيّ. والكثير: العدد الوافر جدًّا. ومنهم أي: من منافقي أهل الكتاب. ويتولّون: يصادقون ويتابعون. والذين كفروا: كُفّار قريش الذين أشركوا وجحدوا التوحيد. وقدمّت: زيّنت وسوّلت. والأنفس: جمع نفس، ضمير الإنسان. وما قدّمت لهم أنفسهم: ما قدّموه لأنفسهم، أي: فعلوه. وفي العبارة قلب للتركيب مبالغة في المعنى. وسخط: غضب غضبًا شديدًا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعذاب: التعذيب في جهنم عقوبة وإهانة. وخالدون: مقيمون أبدًا. ٨٠ يؤمنون بالله أي: يصدّقونه ويطيعونه. والنبي: محمد ﷺ. وأُنزل: أُوحي على لسان جبريل. وما اتخذوهم: ما جعلوا المشركين. والأولياء: جمع وليّ. وهو الذي تصادقه وتوادّه وتنصره. ومنهم أي: من أهل الكتاب. وفاسقون أي: خارجون على طاعة الله. ٨١ لتجدنّ: أُقسِمُ لترَينّ وتعلمنّ، أيها النبي. وأشدّ: أقوى وأفظع. والناس: البشر. والعداوة: المعاداة. وآمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. واليهود: الذين يتبعون اليهوديّة، واحدهم يهوديّ. وأشركوا: جعلوا مع الله شريكًا بالتقديس والطاعة. وأقربهم: أقرب الناس. والمودّة: الألفة وحسن العشرة. والنصارى: أنصار الله وعيسى، واحدهم نَصران. وذلك أي: قرب مودّتهم. وبأنّ أي: حاصل لأنّ. ومنهم أي: بعضهم. والقسيس: عالم النصارى. والرهبان: جمع راهب، أي: العابد المتنسّك. ولا يستكبرون: لا يُظهرون من أنفسهم أكثر مما يستحقّون. ٨٢

الجزء السادس — سورة المائدة

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى
ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ
﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ
وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

المعنى العام: أمرُ النبي بإلزام اليهود والنصارى أن يعتدلوا في الدين، ولا يخرجوا على الحق في وصف عيسى باتباع ما يقوله الأحبار والرهبان واليهود، من تثليث وكفر وضلال وأباطيل. فلقد لَعن النبيّان داود وعيسى كفّار بني إسرائيل، لأنهم تجاوزوا حدود العقيدة والشريعة، وتساهلوا في ارتكاب المعاصي والكبائر. فما أبأس عملهم وحالهم!

وأنت ـ أيها النبيّ ـ تراهم يحالفون المشركين، وهذا من أشنع الكفر، يفسد الأعمال الصالحة، ويُغضب اللهَ عليهم، ليكون لهم الخلود في العذاب العظيم. فهم يكفرون بالله ورسوله، وأكثرهم خارجون عن الحق.

وترى أنت وغيرك أيضًا أن اليهود والمشركين أشد الناس عداوة للمسلمين يواجهونهم بالخصومة والإفساد وإثارة الفتن والحروب، وأن الصادقين في نصرانيّتهم أقرب الناس ألفة إلى المسلمين، لأنهم ينصرون الله والمسيح، وفيهم علماء وعابدون متنسكون متواضعون للحق...

تفسير المفردات: سمعوا: أدرك النصارى بسمعهم. وأُنزل: أُوحي على لسان جبريل. والرسول: محمد ﷺ. وترى: تبصر، أيها النبيّ. والأعين: جمع عين، عضو البصر. وتفيض: تطفح خشوعًا وإيمانًا. ومن الدمع: بسبب ماء العين. ومما عرفوا أي: بسبب ما أدركوه بعد تفكير. والحق: الدين الصحيح. ويقولون أي: يجاهرون بالقول. وربّنا: ياربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وآمنّا: صدّقنا كتابك ونبيّك. واكتبنا: سجلْ أسماءنا وأثبتْها. والشاهدون: أمة محمد، تشهد على الأمم كلها يوم القيامة. ٨٣ ما لنا: أيُّ شيء لنا؟ ولا نؤمن بالله أي: لا نصدّقه اعتقادًا جازمًا. وجاءنا: أتانا. والحق: الثابت من الصواب. ونطمع أي: لا نشتهي. ويدخلنا: يجعلنا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح عبيده. والقوم: الجماعة من الناس. والصالحون: من جعلوا عملهم كما أمر الله. ٨٤ أثابهم: قدّر لهم أحسن الجزاء. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وبما قالوا أي: بسبب قولهم. والجنّة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفّق. ومن تحتها أي: من تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. وخالدين: مقيمين أبدًا. وذلك أي: الثواب. والجزاء: المكافأة. والمحسنون: المخلصون في عملهم كأنهم يرون الله. ٨٥ كفروا: جحدوا التوحيد.

الجزء السابع — سورة المائدة

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ
وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ
اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ
بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ
فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا
أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

وكذّبوا: أنكروا. والآيات: النصوص المنزلة والأدلّة الموجبة للتوحيد. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم للشيء. والجحيم: نار جهنم المتوقّدة. ٨٦ لا تحرّموا أي: لا تجعلوا حرامًا. والطيّبات: ما تستلذّه النفوس السليمة. وأحلّ لكم: جعلَ لأجلكم حلالًا. ولا تعتدوا: لا تتجاوزوا أمر الله. ولا يحبّ: يبغض ويهمل في ميادين الظلم. والمعتدون: المتجاوزون للحق. ٨٧ كلوا أي: تمتّعوا بأنواع الخير من الطعام والشراب. ورزقكم: أعطاكم وهيأ لكم. واتقوا الله أي: تجنّبوا عصيانه والزموا طاعته في الأمر والنهي. ٨٨ لا يؤاخذكم: لا يعاقبكم ولا يوجب عليكم كفّارة. وباللغو: بسبب ما يصدر عن غير قصد. والأيمان: جمع يمين أي: القسَم. وعقّدتم: وثّقتم بالنيّة والعزم. والكفّارة: ما يستر الخطيئة ويزيل الإثم والعقاب. والإطعام: تقديم الغذاء. والمساكين: جمع مسكين. وهو الفقير المحتاج. والأوسط: المتوسّط في القدر والمنزلة. وتطعمون: تقدمون من الطعام. والأهل: من يكلّف الإنسانُ بالإنفاق عليه. والكسوة: ما يكون من اللباس. وتحرير رقبة أي: عِتق نفس مؤمنة يملكها بعض الناس. ولم يجد أي: لم يستطع الإطعام أو الكسوة أو تحرير الرقبة. والصيام: الامتناع عما يُفطر. والأيام: جمع يوم، أي: من الفجر إلى الغروب. وذلك أي: الحكم المذكور. وإذا أي: حين. وحلفتم أي: أقسمتم وحَنِثم في اليمين. واحفظوا: لا تنكثوا ولا تنقضوا. وكذلك أي: مثل ما بيّن ذلك الحكم. ويبيّن: يوضّح. والآيات: معالم الشريعة. ولعلكم: ليُرجّى لكم. وتشكرون: تثنون عليه بالقلب واللسان والعمل. ٨٩.

المعنى العام: متابعة مدح الصادقين في نصرانيتهم بأنهم يتأثرون بما يسمعون من القرآن، فتفيض دموعهم خشوعًا ويؤمنون به، ويطلبون من الله أن يجعلهم مع الصادقين في الإيمان والمسلمين الشاهدين يوم القيامة على الناس، ويقرّون أنهم يعودون بالخسارة والندم، إذا أعرضوا عن الإيمان. ولذلك كافأهم الله بنعيم الجنة، وجعل للكافرين عذاب الجحيم.

ولمّا أراد بعض الصحابة ملازمة الصيام وقيام الليل، وتجنُّب الطيّبات المشروعة، نزلت الآيتان ٧٨ و ٨٨ بأنه لا يجوز لهم تحريمُ ما هو حلال ولا تجاوزُ حدود الحق، لأن الله يكره المتعنتين، وعليهم التمتّع بالمباح مع التقوى والصلاح.

أمّا ما يسبق من اللسان بالقَسم عن غير قصد فلا مؤاخذة عليه، وإنما المؤاخذة على اليمين المحقّقة، ولها كفّارة بمساعدة المحتاجين أو تحرير عبد أو أمة، وإن عجز الحانث عن ذلك كان عليه صيام ثلاثة أيام. والله يبيّن الأحكام وييسّرها على المؤمنين ليشكروا نعمه.

تفسير المفردات: آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. والخمر: ما يُخامر العقل ويغطيه أن يعي ويفكر. والميسر: القمار، لعب فيه مراهنة أن يأخذ المالَ من يتغلّب. والأنصاب: جمع نُصُب، الصنم يُرفع ويعلى للعبادة. والأزلام: جمع زَلَم، سهم لا ريش له يستخدم للاستخارة في العمل وتركه. والرجس: الخبيث القبيح النجاسة. والعمل: الوسوسة بالشر. والشيطان: من يغري بالباطل من الجنّ والإنس. واجتنبوه: ابتعدوا عنه وعما يتصل به وأنكروه. ولعلكم: ليُترجَّى لكم. وتُفلحون: تفوزون بما تبتغون. **٩٠** يريد: يقصد. ويوقع: يُحدِث. والعداوة: المعاداة. والبغضاء: التباغض. وفي الخمر: بسببها. ويصدّكم: يردّكم. والذكر: استحضار العظمة بالقلب واللسان والعمل. وهل أنتم منتهون أي: انتهوا عن طاعة الشيطان وما ذُكر من الرجس. **٩١** أطيعوا الله: الزموا الامتثالَ لأمره ونهيه. والرسول: محمد ﷺ. واحذروا: تجنّبوا المخالفة. وتولّيتم: امتنعتم عن الطاعة. واعلموا أي: ليكن في علمكم. والبلاغ: التبليغ. والمبين: البيّن. **٩٢**عمل: اكتسب. والصالح: ما يرضاه الشرع. والجُناح: الذنب. وفيما طعموا: بسبب أكلهم وشربهم من الخمر والميسر قبل التحريم. وإذا ما اتّقوا: حين يتجنبون المحرّمات بعد تحريمها. وأحسنوا: جعلوا عملهم حسنًا. ويحب: يودّ فيكرم. **٩٣** ليبلونّكم: أُقسِمُ ليختبرنّكم ممتحنًا. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والشيء: ما هو موجود. والصيد: مايصاد من الحيوان. وتناله: تقدر على صيده. والأيدي: جمع يد. والرماح: جمع رمح، ما يُطعن به. وليعلم أي: ليَظهر علمُه في الواقع فيتميز المطيع من العاصي. ويخافه: يخشى عقابه. وبالغيب: مع غياب الله عن الحواس. واعتدى: تجاوز حكم الشرع. وذلك أي: النهي. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. **٩٤** لا تقتلوا الصيد أي: لا تصطادوا. والحُرُم: جمع حرام، من كان مُحرِمًا في الحجّ أو العُمرة. والمتعمّد: القاصد. والجزاء: العقوبة والكفّارة. والمثل: الشبيه في الخِلقة. النعم: الإبل والبقر والغنم. ويحكم: يقضي. وذوا عدل: صاحبا حُكم بالحق. ومنكم أي: من المسلمين. والهدي: ما يُهدَى إلى فقراء الحرم. وبالغ الكعبة أي: يُوصل إلى حَرَم الكعبة ليذبح. والكفّارة: ما يستر الذنب ويزيل عقوبته. والطعام: ما يؤكل ويشرب. والمساكين: جمع مسكين، الفقير المحتاج. والعدل: المُعادِل. وذلك أي: الطعام. ويذوق: ينال ويتحمّل. والوبال: الثقل. والأمر: الفعل للعصيان. وعفا: صفح. وسلف: مضى. وعاد: رجع إلى العصيان. وينتقم منه: الله لا بد أن يعاقبه. والعزيز: الغالب في سلطانه. وذو انتقام: صاحبه المتفرد به. **٩٥**

سورة المائدة — الجزء السابع

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ
مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ
رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ
أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ
ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ
وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ
يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ
مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

المعنى العام: كان بعض الصحابة في مجلس شراب قبل تحريم الخمر، وحصل بينهم خصام، وضرب أحد الأنصار سعد بن أبي وقاص وجرح أنفه، فشكا أمره إلى النبي ﷺ. فنزل تحريم الخمر وما معها هنا، أي: ممارسة القمار والاحتكام إلى السهام في التصرف والسعي، لأنها من الأعمال الشنيعة، يشجع عليها شياطين الإنس والجن، ليشيع الشر بين المسلمين، وينصرفوا عن تعظيم الله والصلاة. فعليهم تجنب تلك المفسدات لينالوا خير الدنيا والآخرة. وهذا يعني طاعتهم الله والرسول وترك المعاصي، وإلّا جنوا على أنفسهم. وما كان من فعل ذلك قبل التحريم معفوّ عنه، إذا آمن أصحابه وأصلحوا أعمالهم وأحسنوها، لأنه الله يحب المحسنين ويكافئهم.

وسوف يُمتحنون وقت الإحرام للحج أو العُمرة، برؤية بعض ما يصاد، فمن صاده كان عاصيًا وعليه العقاب، والواجب عدم الصيد. فإن تعمد مسلم صيد وحش أو طائر كان عليه أن يُهدي مثله يُذبح في الحرم للفقراء، ويحكم في ذلك عالمان من المسلمين، أو طعامٌ للمساكين يساوي ثمن ما اصطاد، أوصيامُ أيام تعادل الطعام المذكور، ليتحمل نتائج عصيانه. وما كان من ذلك قبل التحريم معفوّ عنه، ومن خالف عاقبه الله العزيز المنتقم.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا
عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ
سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

تفسير المفردات: أُحلّ لكم: جُعل مباحًا لأجلكم. وصيد البحر: أكل وصيد ما لا يعيش من الحيوان إلّا في المياه. وطعامه: ما يُلقيه البحر دون صيد. والمتاع: الانتفاع. والسيارة: واحده سيّار، أي: مسافر. وحُرّم: جعل حرامًا. وصيد البرّ: اصطياد ما يعيش في الأرض اليابسة من الحيوان المباح أكله. وما دمتم: مدة بقائكم. والحُرُم: المُحرِمون، مفرده حرام. واتقوا الله: تجنّبوا تحريم ما أحلّ وتحليل ما حرّم. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وإليه: إلى موعد حسابه. وتُحشرون: تجمعون يوم القيامة للحساب. ٩٦ جعل: صيّر بحكمه. والكعبة: البناء المكعّب يُقصد للحج. والبيت: المسجد في مكّة المكرّمة. والمُحرَّم: الذي حُرِّم فيه كثير مما يجوز في غيره. والقيام: ما يكون سببًا للاستقرار. والناس: البشر. والشهر الحرام: الأشهر الحُرُم: ذو القعدة وذو الحِجة والمحرم ورجب. والهَدْي: النَّعَم يذبح في البيت الحرام للفقراء. والقلائد: جمع قِلادة، ما كان يضعه المُحرِمُ في عنقه أو في عنق هدْيه. وذلك أي: التحريم المذكور. وتعلموا: تدركوا وتفهموا. ويعلم: يحيط بالغ الإحاطة. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والعليم: المطّلع. ٩٧ اعلموا: ليكن في علمكم. والشديد: العظيم. والعقاب: عذابه. والغفور: العظيم الستر للذنوب والصفح عنها. والرحيم: الكثير العطف على المؤمنين. ٩٨ ما على الرسول: ليس على محمد ﷺ. والبلاغ: تبليغ الدعوة. وتبدون: تُظهرونه. وتكتمون: تُخفونه. ٩٩ قل أي: للناس، أيها النبي. ولا يستوي: لا يتساوى في القدر والقيمة. والخبيث: الحرام. والطيب: الحلال. ولو أعجبك أي: وإن أدخل السرور إلى نفسك، أيها الإنسان. والكثرة: الوفرة والضخامة. واتقوا الله: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة في الأمر والنهي. وأولو الألباب: أصحاب العقول السليمة تميّز الطيب من الخبيث. وأولو واحده ذو. والألباب: جمع لبّ. ولعلكم: ليُترجَّى لكم. وتُفلحون: تفوزون. ١٠٠ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ولا تسألوا: لا تطلبوا حكمًا أو معرفة. والأشياء: الأمور لم تكلّفوا بها ولا حاجة إلى السؤال عنها، جمع شيء. وهو ما كان موجودًا أو محتملًا وجوده أو متصوَّرًا. وتُبدى: تبيَّن. وتسوءُكم: تُلحقُ بكم ما يَشينكم. وينزَّل: يوحى بحكمة الله. والقرآن: الوحي. وعفا عنها: صفح عما مضى من ذلك. والحليم: ذو العفو المطلق لا يعجّل بالانتقام. ١٠١ سألها أي: سأل مثل تلك الأسئلة. والقوم: الجماعة من الناس. وأصبحوا: صاروا. وكافرين: منكرين. ١٠٢ من بحيرةٍ أي: ناقةٌ يُجعل لبنها للأصنام. والسائبة: التي لا يُحمل عليها وتبقى للأصنام. والوصيلة: الناقة تواصل ولادة الإناث فتُترك للأصنام. والحامي: الجمل الفحل يُكثِر لقاح النوق فيُعفى من الحمل عليه لأجل الأصنام. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ويفترون: يختلقون. والكذب: الباطل. وأكثرهم: الغالبيّة العُظمى. ولا يعقلون أي: لايدركون ويقلدون دون تفكير. ١٠٣

المعنى العام: أن من أحرم للحج أو العُمرة جاز له أن يصيد ويأكل من صيد البحر وما يُلقى منه، وحُرّم عليه صيد البر، فعليه تقوى الله، والتقديس والعبادة بلا قتال ولا عدوان في البيت الحرام المطمئن لمن قصده، وكذلك في الأشهر الحُرم، مع تأمين الهدْي وأصحابها، وإلّا كانت عقوبة الله الشديدة وإنما كانت هذه الأحكام لتعلموا أن الله خبير بمصالح العباد وما في الكون من خلق وحاجات.

فالرسول يبلّغكم، والله يعلم ما تنون وتعملون، والفرق كبير بين الحلال والحرام. ودعوا السؤال عما تسوءُكم معرفته، من الأحكام والأفعال والأقوال التي لستم مكلفين بها في العمل والأسرة وميادين الحياة العامة. فقد سبقكم إلى السؤال عن مثل ذلك من لم يتحمّل أعباء نتائجه، وترك العمل به. وما زعمه الجاهليون من تخصيص نوق وجمال للأصنام فباطل، لم يشرعه الله واختلقه عليه الكافرون، وهم لا يعقلون ما يفترون.

تفسير المفردات: قيل لهم أي: قال المؤمنون للمشركين. وتعالوا أي: هلمُّوا وأقبلوا للاحتكام. وأنزل: أوحى. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وإلى الرسول: إلى حكم محمد ﷺ. وقالوا: أجابوا. وحسبنا: كافينا لانريد شيئًا غيره. وجدنا: رأينا. وآباؤنا أي: وأجدادنا. والآباء: جمع أب، يطلق على الوالد والجدّ. وأوَلو كانوا أي: كيف تتّبعونهم وقد كانوا وما يزالون؟ ولا يعلمون: لا يدركون. وشيئًا أي: من الحق. ولا يهتدون: لا يسترشدون ولا يتوجّهون إلى الخير. ١٠٤ آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وعليكم أنفسكم: احفظوها وأصلحوها. والأنفس: جمع نفْس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ولا يضرّكم: لا يسبِّب لكم أذى مهمًّا. وضل: انحرف عن الحق ولزم الباطل. وإذا: حين. واهتديتم: لزمتم طريق الحق والإيمان. وإلى الله أي: إلى لقاء موعده للحساب. ومرجعكم: رجوعكم يوم القيامة. وجميعًا أي: كلكم مجتمعين لا يتخلف منكم أحد. وينبّئكم: يُعلِمكم. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ١٠٥ شهادة بينكم: الحضور فيما بينكم لتلقّي الوصيّة. وحضر: جاء. وأحدكم: الواحد منكم. والموت أي: سبب مفارقة روحه للجسد وقربها. والوصيّة: بيان تمليك التركة. وذوا عدل: رجلان صاحبا عدالة أي: استقامة وصلاح. وذوا واحده ذُو. ومنكم: من المسلمين. وآخران أي: اثنان مغايران. وغيركم أي: غير دينكم. وإن أنتم أي: إن ضربتم. وضربتم: سافرتم. والأرض: البلاد. وأصابتكم: قربت منكم. والمصيبة: الأسباب الواقعة. وتحبسونهما: توقفون الآخرين للشهادة. والصلاة أي: العصر. ويقسمان: يحلفان. وإن ارتبتم: حين تشكون في صدق قول الآخَرين. ولا نشتري: لا نستبدل ولا نرضى. وبه يعني: بدلًا من الله، أي: من حُرمته. والثمن: ما يأخذه البائع. ولو كان أي: وإن كان المشهود له أو المُقسَم له. وذو قربى أي: صاحب قرابة. ولا نكتم: لا نُخفي. وشهادة الله: أداؤها كاملة. وإذًا: إن كتمناها. والآثمون: المرتكبون للذنب. ١٠٦ عُثر: اكتُشف واطُّلع. واستحقّا: فعلا ما يوجب. والإثم: عقوبة الذنب. وآخران أي: شاهدان غير اللذينِ ظهر كذبهما يكونان مِن الذين وجبت لهم الوصيّة بالتركة. ويقومان مقامهما: يحلّان محلّهما في توجُّه اليمين عليهما. واستحق: حقت الوصية. والأوليان: الشاهدان الأقربان إلى الميت. وأحقّ: أصدق. وما اعتدينا: ما تجاوزنا الحق. وإذًا أي: إن اعتدينا. والظالمون: الكاذبون. ١٠٧ ذلك أي: توجّه اليمين إلى الأقرباء، إذا ظهر من الوصيَّين أو الشاهدَين خيانة. وأدنى: أقرب إلى. ويأتوا بالشهادة: يؤدّوها. وعلى وجهها: كما تحمّلوها. ويخافوا: يخشَوا. وتُردّ أيمان أي: يصير حق اليمين للورثة. والأيمان: جمع يمين. وهو القَسَم. واتقوا الله: خافوه واحذروا عقابه واطلبوا رضاه. واسمعوا أي: سماع طاعة. ولا يهدي: لا يرشد ولا يوفق في الخير. والقوم: الجماعة من الناس. والفاسقون.:المصرّون على العصيان. ١٠٨

سورة المائدة — الجزء السابع

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ
لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ
بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا
عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ
أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ
مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ
أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ
أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

المعنى العام: أن المشركين يرفضون الاستجابة إلى حكم الله والرسول في الحلال والحرام، ويصرّون على تقليد الأجداد حتى في الأباطيل. فعلى المسلمين الانصراف إلى إصلاح أنفسهم، ولن يؤذيهم ضلال الكافرين، لأن كل إنسان مسؤول في الحساب عن نفسه.

وإذا قربت وفاة أحدكم وجبت شهادة اثنين مسلمَين على وصيته، فإن كان في غربة جاز أن يشهد غير مسلمَين، يوقفان بعد صلاة العصر إن حصل شك في صدقهما ليقسما على صدق مايقولان من الشهادة. وإن ظهر ما يكذّبهما يقسم اثنان من أقرباء الميت أنهما أصدق منهما. وهذه الأحكام في الشهادات أقرب إلى تحقيق الصواب ومنع الإخلال به، وخشية الشهداء أن يَفتضحوا ويظهر كذبهم وتُردّ الشهادة إلى أهل الميت. فيلتزموا الصدق. وليتق المسلمون الله ويكونوا مطيعين، لأنه لا يهدي المصرّين على العصيان.

تفسير المفردات: يوم أي: وقت. ويجمع الله: يبعث ويحضر. والرسل: جمع رسول. وهو المكلّف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ويقول أي: الله لهم. وماذا أُجبتم: أيُّ شيء قوبلتم به قولًا وعملًا؟ والعلم: المعرفة والإحاطة الحقيقيتان بجميع ما أُجبنا به. وعلّام: مبالغة اسم الفاعل من العلم، أي: الإحاطة البالغة بكل شيء. والغيوب: جمع غيب، ما غاب عن حواس المخلوقات وعقولهم. ١٠٩ إذ قال الله: وقت قوله تعالى. وعيسى بن مريم: نبي النصارى أُنزل عليه الإنجيل وزعم اليهود أنهم صلبوه. اذكر نعمتي: تذكّر إنعامي وتفضّلي. والوالدة: الأمّ. وإذ أيّدتك: حين قوّيتك. وروح القدس: الروح المقدّسة أي: جبريل. وتكلم الناس: تخاطب مَن حولك مِن البشر بالكلام. وفي المهد أي: وليدًا مستلقيًا فيما يُمهّد للأطفال. والكهل: من تجاوز سنّ الثلاثين. وعلّمتك: يسّرت لك التعلّم. والكتاب: الكتابة. والحِكمة: الإتقان للتفكير والقول والفعل. والتوراة: كتاب اليهود. والإنجيل: كتاب التصارى أوحي إلى عيسى. وتخلق: تصوّر وتشكّل. والطين: التراب المجبول بالماء. والهيئة: الصورة. والطير: واحده طائر، ما يحلق بجناحيه من الحيوان. وبإذني: مصاحبًا إرادتي وأمري. وتنفخ فيها: تبعث نفَسك بقوّة في هيئة الطير. وتكون: تصير. وتُبرئ: تَشفي من المرض. والأكمه: من خُلق بغير بصر. والأبرص: من فيه مرض البرَص. وهو بقع بيض تقع في الجلد ولا تزول. وتُخرج: تبعث. والموتى: جمع ميت، من فارقت روحه جسده. وكففت: منعت. وبنو إسرائيل: اليهود وهم سُومريّون حاميّون من سلالة يعقوب. وجئتهم بالبيّنات: قلت لهم المعجزات الدالة على صدق النبوّة. وكفروا: كذّبوا. وإن هذا: ليس هذا الذي جئتَ به. والسحر: الاحتيال يخدع الأبصار والبصائر ممن كان على غير اتّزان. والمبين: الواضح لا شك فيه. ١١٠أوحيتُ إلى الحواريّين: ألهمتُ وأمرتُ أوائل من آمن بك من بني إسرائيل. وأن بمعنى: أي. وآمِنوا: صدّقوا يقينيًا. والرسول: عيسى عليه السلام. واشهد أي: لنا ـ يا رب العالمين ـ بذلك يوم القيامة. ومسلمون: منقادون لك في جميع أحوالنا. ١١١ يستطيع: يستجيب لدعائك ويفعل. وينزّل: يسقط. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. والمائدة: الخِوان العالي عليه الطعام. والسماء: العالم العُلوي. وقال أي: عيسى لهم. واتقوا الله: تجنبوا عصيانه بمثل هذا الطلب. ومؤمنين أي: مصدّقين بيقين. ١١٢ نريد: نقصد. ونأكل: نتغذّى. وتطمئن: تستقرّ. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال، يُمدّ الدماغ بماء الحياة صافيًا ويساعده على القيام بالوظائف الحيوية. ونعلم أي: ندرك الإدراك اليقيني بالمشاهدة. وأنْ: أي أنك. وصدقتنا: قلت لنا الحق في النبوّة. ونكون: نصير. والشاهدون: الذين يقرّون بالحقيقة على صدقك. ١١٣

الجزء السابع — سورة المائدة

حزب ١٣

يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ
لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ
ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ
مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا
بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى
وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

المعنى العام: أن الله يسأل الرسل يوم القيامة عما كان من مقابلة أقوامهم لهم، فيقرّون بأنهم لا يستطيعون تذكّر حقيقة ما كان، وأنه هو علّام الغيوب.

هنالك يذكّر اللهُ عيسى أنه أنعم عليه وعلى أمّه بالمعجزات والحماية، وبعون جبريل له وبمخاطبة الناس وهو رضيع، وبتعليمه الكتابة والحكمة والعقيدة والشريعة والتوراة والإنجيل، وبتمكينه مصاحبًا تقدير الله أن يخلق طيورًا من الطين تحيا بنفخة منه ويَشفي مرضى مستحيلًا شفاؤهم حينذاك ويحيي بعض الموتى، وبحمايته من كيد اليهود لقتله بعد أن زعموا أنه ساحر، وبأمر الحواريين أن يؤمنوا به، فكان منهم ذلك ليشهد لهم الله به، ثمّ طلبوا أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء يأكلون منها، فردّ عليهم عيسى أن دعوا هذا الطلب، والزموا الاستسلام والإخلاص، فعللوا طلبهم بأنهم يريدون أن تطمئن قلوبهم بالإيمان، ويتحقق تصديقهم له، ويكونوا هم شهداء على صحة رسالته.

تفسير المفردات: قال أي: داعيًا. وعيسى: رسول النصارى أُوحي إليه الإنجيل. ومريم: بنت عمران. واللّهم: يا اللهُ. حذف حرف النداء وعُوّض منه بميم مشددة بعد لفظ الجلالة. وربّنا: يا ربّنا. وأنزل: أسقط. والمائدة: الخِوان العالي عليه الطعام. والسماء: ما يحيط بالأرض من العالم العُلوي. وتكون: تصير. والعيد: ما يعود بالفرح لذكر ما كان فيه فيعظَّم. والأوّل: أوائل المتنصّرين. والآخِر: أواخرهم. والآية: البرهان والدليل على الوحدانية وصدق عيسى. ومنك أي: من عندك وبأمرك. وارزقنا أي: أعطِنا تلك المائدة. وخير: أكثر نفعًا. والرازقون: من ييسّرون حاجات غيرهم. ١١٤ ومنزّلها أي: مجيب الدعاء بتنزيلها. ويكفر: ينكر الوحدانية ورسالة عيسى وعبوديته. وبعدُ أي: بعدَ إنزالها. ومنكم أي: من بني إسرائيل. وأعذّبه: أقضي عليه بالعذاب. والعالمون: جمع عالَم. وهو الجنس من المخلوقات. ١١٥ إذ أي: وقت. وقال أي: سيقول توبيخًا لقوم عيسى بما يكون من الجواب. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأأنت قلت أي: هل قلت أنت. وللناس أي: لقومك. واتّخذوني: اجعلوني. وإلهَين أي : معبودَين. ودون الله أي: غيره، والمراد: معه. وقال أي: سيقول عيسى. وسبحانك: تنزيهًا لك عما لا يليق بجلالك. وما يكون: ما ينبغي ولا يصحّ. وبحق أي: شيئًا ثابتًا. وقلته أي: قلتُ ما سألتني عنه. وعلمتَه أي: ثبَت في علمك. وتعلم: تطّلع وتحيط كامل الإحاطة. وما في نفسي أي: ما أُخفيه في قلبي. ولا أعلم ما في نفسك: لا أدري ما تخفيه من معلوماتك. والعلّام: المبالغ في الإحاطة والعلم. والغيوب: جمع غيب. وهو ما خفي على حواس المخلوقات. ١١٦ أمرتني به: أوحيته إليّ وألزمتني إيّاه. وأن بمعنى: أي. واعبدوا الله: قدّسوه وحده وأطيعوه. والرب: الخالق المالك المتفرد. والشهيد: الرقيب المصلح والمطّلع على الأحوال والأقوال. وما دمت أي: مدة إقامتي. ولمّا توفيتني: حينما قبضتني ورفعتني وأنقذتني. والرقيب: الحفيظ لِما يكون. والشيء: ما هو موجود. والشّهيد: المطّلع. ١١٧ العباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. وتغفر: تستر الذنوب وتصفح عنها. والعزيز: الغالب على تحقيق أمره. والحكيم: المبالغ في معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإتقان. ١١٨ قال أي: سيقول حينذاك. واليوم: الوقت. وينفع: يوصل إلى الثواب ويمنع من العقاب. والصادقون: الذين كانوا يقولون ويفعلون الحق الثابت مع الإيمان. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها النعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفّق. والأنهار: جمع نهر. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. وخالدين: مقيمين زمنًا طويلًا. والأبد: مُدّة الزمان. ورضي الله عنهم: قبِلَ حسناتهم وأكرمهم. ورضوا عنه: اطمأنوا إلى ما أكرمهم به وسعِدوا. وذلك أي: نعيم الجنّة. والفوز: الظفر. والعظيم: ما ليس له مثيل. ١١٩ لله أي: مستحَقّه وحده. والملك: الحيازة والتحكم. والسماوات: جمع سماء. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والقدير: الكامل الاقتدار لا يُعجزه شيء. ١٢٠

الجزء السابع — سورة المائدة

قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ
خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ
مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥
وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي
وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ
أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي
نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ مَا
قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ
عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ
وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ
يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩
لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠

المعنى العام: متابعة ما كان من عيسى إذ دعا الله بنزول المائدة عيدًا وآية على الوحدانية وصدق الرسالة، فأنزلها الله يوم الأحد، مهدّدًا بتعذيب لا مثيل له من يكفر برسالة عيسى بعد ذلك.

وأمر الله محمدًا ﷺ أن يذكّر الناس والنصارى خاصة بما سيكون يوم القيام، حين يقرر الله عيسى لتوبيخ قومه على تأليهه وتأليه أُمّه مريم ، ليثبت عليهم افتراء ذلك، فيصرح عيسى أنه أمرهم بالتوحيد كما أُوحي إليه، وهو لا يعلم إلّا ما شاهده منهم والله يعلم ما كان منه وما كان بعده من أحوالهم، وله أن يغفر أو يعذّب بحكمته. وبعد هذا فيذكر الله أن ذلك اليوم يتحقق فيه ثواب الصادقين، برضا الله عنهم وعن أعمالهم ورضاهم عن إكرامه إياهم.

٦ ـ سورة الأنعام

تفسير المفردات: الحمد: الوصف بالثناء الجميل على النعم. والله: اسمٌ علم للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وخلَقَ: أوجد من العدم. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وجعل: خلق. والظُّلْمة: السواد تغيب فيه معالم الأشياء. والنور: الضوء تتضح به الحقائق. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح مُلكه. وبه يعدلون: يسوّون به في العبادة غيره. ١ خلقكم: أنشأكم، أيها الناس. والطين: التراب المجبول بالماء. وقضى: قدّر وكتب. والأجل: مدة لنهاية حياة الشيء. والمسمّى: المحدّد. وعنده: في علمه. وأنتم أي: الكفّار. وتمترون: تشكّون في قدرته والبعث. ٢ الله: المستحق للعبادة وحده. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. والسرّ: ما يخفى. والجهر: ما يَظهر للآخرين. وتكسبون: تعملونه. ٣ ما تأتيهم: ما تصل إلى الكافرين. والآية: الدلالة الكونية أو العبارة القرآنية يوقفُ في نهايتها غالبًا. وكانوا: صاروا. ومعرضين: منصرفين استهانة وإنكارًا. ٤ كذّبوا بالحق: أنكروا وحي القرآن الكريم، وهو لا شك فيه. ولمّا جاءهم: حين وصل إليهم بالتبليغ. وسوف يأتيهم: لا بدّ أن ينزل بهم. والأنباء: جمع نبأ. وهو الخبر المزعج، والمراد عاقبته وتحقق مضمونه. ويستهزئون: يسخرون. ٥ ألم يروا أي: لقد علموا بيقين. وكم أهلكنا: كثيرًا دمّرنا وأفنينا. والقرن: الأُمّة من الأقوام الماضية. ومكّنّاهم: أعطيناهم مكانًا ثبّتناهم فيه. ولم نمكّن لكم: لم نيسّر لكم مثله، أيها الكافرون. وأرسلنا: أطلقنا بغير حساب لاستحقاق العمل. والسماء: المطر. والمدرار: المتتابع السقوط. وجعلنا: صيّرنا. والأنهار: جمع نهر. وهو مايجري فيه الماء الكثير غير المالح. وتجري: تسيل وتتدفّق. وتحتهم: تحت منازلهم ومزارعهم. وأهلكناهم: استأصلناهم عقوبة. وبذنوبهم: بسبب معاصيهم. والذنوب: جمع ذنب. وأنشأنا: خلقنا. وآخرين أي: مغايرين لهم ليس فيهم واحد ممن هلك. ٦ نزّلنا: أرسلنا من السماء مع جبريل. والكتاب: ما يكون فيه الكتابة. والقرطاس: ما يُكتب عليه. ولمسوه: تحسسه الكافرون ليدركوا الحقيقة. والأيدي: جمع يد، أي: الكف. وقال: جاهر بالقول. وإنْ هذا: ليس هذا الكتاب. والسحر: التمويه والتخييل يخدع بعض الحواس والعقول لضعاف الإيمان والقلوب. والمبين: الواضح لاشك فيه. ٧ لولا أنزل: هلاّ أُرسل من عند الله. والملَك: مخلوق من نور. وقضي الأمر: نُفّذ حكم الانتقام فيهم لكفرهم بما يرون. ولا يُنظرون: لا يؤخّرون ولا يُمهلون إلى يوم القيامة. ٨

الجزء السابع — سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾

المعنى العام: يحمد الله نفسه مثبتًا الحمد له وحده، على ما خلق من السماوات والأرض والظلمات والنور، مع العلم أن ملكوت الله ١٧٠٠٠ عالَم، وما ذكر هنا هو واحد منها. ومع هذا فإن الكافرين يشركون به بعض المخلوقات، وهو أنشأ الإنسان من طين وجعل له عمرًا معروفًا للحياة، وآخر للبعث لا يعلمه إلّا هو. والمشركون أيضًا يتجاهل ذلك كله يشكّون في الوحدانية والبعث، وهو يعلم ما يكون منهم، وكيف يستقبلون الآيات بالتكذيب. فسوف ينزل بهم ما أنكروا من العذاب، كما نزل في كثير من الكافرين، يرون آثارهم في سفرهم، وكانوا أعظم منهم وأغنى، فبادوا ليأتي بعدهم آخرون.

ولمّا قال زعماء قريش: «يامحمد، والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة، يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله» نزلت الآيات ٧ـ٩ بأنه لو حصل ذلك لزعم الكافرون أنه سحر، ولقُضي عليهم دون إمهال ليعتذروا ويكفّروا عما أجرموا...

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ
بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ
كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ
فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

تفسير المفردات: جعلناه: صيّرنا من أُرسل إليهم. والملَك: المخلوق من نور. ولجعلناه: لحوّلنا صورته. والرجل: الذكر من الناس. ولبسنا: موّهنا ما تُشكل معرفته. وما يلبسون: ما يلبسونه أي: الأمر الذي يجعلونه مشكِلًا يُشَكّ فيه ولا يُطمأن إليه. ٩ استُهزئ برسل: سُخر منهم ومن تهديداتهم. والرسل: جمع رسول، الذي كلّفه الله بالدعوة والعمل، وغالبًا ما يكون معه كتاب منزل. وحاق: أحاط من كل جانب. وسخروا: استهزؤوا. ومنهم أي: بالرسل. ١٠ قل أي: للكافرين، أيها النبيّ. وسيروا: امشوا وتنقّلوا. والأرض: البلاد. وانظروا: تفكّروا فيما تشاهدون. والعاقبة:النهاية في الدنيا. والمكذبون: من ينكرون التوحيد والبعث. ١١ لمن أي: مَن يملك ويتصرف تصرفًا مطلقًا، مِن دون معين أو منازع؟ والسماوات: جمع سماء، ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ولله أي: ذلك هو ملك له. وكتب: قضى. ونفسه أي: ذاته وحقيقته بالفضل والمِنّة. والرحمة: العطف بالإحسان. ويجمعنّكم: يحشرنّكم بالبعث بعد الموت للحساب والجزاء. وإلى يوم القيامة: في وقت قيام الناس من القبور. والريب: الشكّ. وفيه أي: في حصول يوم القيامة. وخسروا: ظلموا وأهلكوا. والأنفس: جمع نفس، حقيقةالإنسان وذاته. ولا يؤمنون: لا تعرف قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ١٢ له أي: بملكه وتصرفه وحده. وما سكن يشمل هنا الساكن والمتحرك، أي: كل شيء. والسميع والعليم: مِن السمع الكامل والعلم المطلق، أي: أنه وحده المختص بذلك. ١٣ غير الله أي: معبودًا مغايرًا لله. وأتّخذ: لن أجعل. والولي: المعبود يتولى أمر العابدين ويتصرف في شؤونهم. والفاطر: الخالق من العدم على غير مثال سابق. ويُطعِم: يَرزق ما يؤكل ويشرب. ولا يُطعَم يعني: لا يُرزق لأنه غني عن العالمين. وأُمرت: فُرض عليّ. وأكون: أصير. والأول: الأسبق في زماني. وأسلَمَ: انقاد لله واستسلم في جميع أموره. والمشركون: من يجعلون مع الله شريكًا له في التقديس والطاعة. ١٤ أخاف: أتوقّع. وعصيت: خرجت على الطاعة أو خالفتها. والربّ: الخالق المالك المتفرّد. والعذاب: التعذيب. واليوم: الوقت. والعظيم: المهول لا يقدَّر قدره وليس له مثيل. ١٥ يصرف: يمنع العذاب. ويومئذ: يومَ يكون العذاب. ورحمه: أوجب له الرحمة، فعطف عليه. وذلك أي: ما ذكر من الرحمة وصرف العذاب. والفوز: الظفر. والمبين: الظاهر. ١٦ يمسّك: يقدِّر عليك، وإن كان يسيرًا. والضرّ: ما يؤذي. والكاشف: المزيل. والخير: ما فيه نفع ومسرّة. وهو أي: الله. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: الكامل الاقتدار بذاته. ١٧ القاهر: الغالب القادر المستعلي. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والحكيم: الكامل الحكمة بلا خلل ولا فساد. والخبير: البالغ العلم والإحاطة بالأسرار والظواهر. ١٨

ثلاثة أرباع الحزب ١٣

المعنى العام: متابعة الرد على اقتراحات الكافرين بأنه لو أنزل الله ملكًا لجعله إنسانًا ليفهموا ما يقول، فعمي عليهم ما يريدون بملَك في صورة إنسان، وقد سخِرت الأقوام برسلها من قبلك ـ أيها النبيّ ـ فنزل بهم الهلاك على أحسن ما يكون العقاب، وآثارهم شاهدة على ذلك يراها المشركون في سفرهم. ولو سألتهم عن مالك المخلوقات لكان الجواب، وإن لم يقولوه، هو أن المالك للخلق هو الله. فليعلموا أيضًا أنه يرحم الناس بتفضل وامتنان، ثم يبعثهم ليوم القيامة. ولكن لا يُنتظر من المكابرين إيمان.

وعندما قال المشركون: «يامحمد، إنا علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجةُ. فنحن نجعل لك نصيبًا في أموالنا، حتى تكون أغنانا رجلًا، وترجع عما أنت عليه»، نزلت الآيات ١٣ـ١٨ بأن لله ما في الكون، يعلم ما يكون فيه ويُغني النبي عن المغريات. فقل للكافرين أيها النبي: إنك لن تعبد غير الله الخالق والمنعم الغني، وأمرتَ أن تكون أول المؤمنين موحّدًا، وتخشى عذاب يوم القيامة إن عصيتَ الأمر. فأنت مكلّف أيضًا بدعوة نفسك إلى الإسلام، ولن يمنعوا عنك بلاء الله ولا نعيمه، لأنه المستعلي فوقهم والحكيم الخبير.

تفسير المفردات: قل أي: للمشركين، أيها النبي. وأيّ شيء: ما الشيء؟ والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والأكبر: الأصدق. والشهادة: الخبر الحق للفصل في الخلاف. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والشهيد: الشاهد القاطع للخلاف. وأوحي: أُنزل على لسان جبريل. والقرآن: كلام الله المُعجِز يُقرأ. وأنذركم: أخوّفكم عذاب من يكفر. ومن بلغ: من وصل إليه. وأإنكم: كيف؟ وتشهدون: تُقِرّون. ومع الله أي: في الأُلوهية والتقديس. والآلهة: جمع إلَه، المعبود بحق. والأُخرى: غيره. ولا أشهد: أُنكِر ذلك. وهو أي: الله تعالى. والواحد: المتفرد لا مثيل له. والبريء: المتبرئ. وتشركون: تجعلونه شريكًا لله في التقديس. ١٩ آتيناهم: أعطيناهم نكلّفهم بالإيمان والعمل. والكتاب: التوراة والإنجيل. ويعرفونه: يعلمون صدق الرسول ﷺ. وكما يعرفون: مثلَما يعلمون. والأبناء: جمع ابن. وخسروا أنفسهم: ألقَوها في البلاء. والأنفس: جمع نفس، الإنسان بروحه وجسده. ولا يؤمنون: يكفرون بصحة الرسالة. ٢٠ من أظلم: لا أحد أكثر كفرًا. وممن أي: مِنْ مَن. أدغمت النون الأولى في الميم بعدها. وافترى: اختلق. والكذب: ما هو باطل لا يصح. وكذّب بأياته: أنكر آيات القرآن. وإنه أي: إن الشأن والأمر. ولا يفلح: لا يفوز بخير.

الجزء السابع — سورة الأنعام

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ
ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ
ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ
لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن
يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

والظالمون: الكافرون. ٢١ اليوم: الوقت. ونحشرهم: نجمعهم أحياء من قبورهم. وجميعًا أي: مجتمعين لا يتخلف أحد منهم. ونقول أي: على لسان الملائكة. وأشركوا: جعلوا مع الله شريكًا في التقديس. والشركاء: جمع شريك في رأيكم. وتزعمون: تدّعون ألوهيتهم بالباطل. ٢٢ لم تكن: لم تصِر. والفتنة: المَعذرة. والرب: الخالق المالك المتفرد. ما كنّا مشركين: لم نشرك مع الله غيره. ٢٣ انظر: تبصّر وتأمّل، أيها المخاطَب. وكذبوا على أنفسهم: كذّبوها. وضلّ: غاب. ويفترون: يختلقونه من شفاعة معبوداتهم. ٢٤ منهم أي: بعض المشركين. ويستمع: ينصت حين القول. وجعلنا: خلقنا بسبب المكابرة. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والأكنة: جمع كِنان، الغطاء الغليظ. وأن يفقهوه: لكيلا يفهموه. والآذان: جمع أُذن، عضو السمع. والوقر: الصمم. ويروا: يبصروا عِيانًا. والآية: الدليل الواضح. وحتى إذا جاؤوك: فإذا قابلوك أو حضروا مجلسك. ويجادلونك: يخاصمونك بالقول. وإن هذا أي: ليس هذا القرآن. والأساطير: الأكاذيب، جمع أُسطورة. والأولون: قدماء الأُمم. ٢٥ ينهَون عنه: يدفعون الناس بالأباطيل عن الاستماع والإيمان. وينأون: يتباعدون. وإن يهلكون: ما يؤذون. وما يشعرون: لا يعون ما يسببون لأنفسهم. ٢٦ ترى: أبصرت، أيها النبيّ. وإذ وُقفوا على النار: حين عرضوا على نار جهنم وعرضت عليهم وعاينوها. ويا ليتنا: نتمنى. ونُردّ: نُعاد إلى الدنيا. ولا نكذّب: نصدّق يقينيًّا. ونكون: نصير. والمؤمن: الذي صدّق الله ورسوله. ٢٧

المعنى العام: عندما قال المشركون للنبي: «ائتنا بمن يشهد لك بالنبوّة. فإن أهل الكتاب أنكروك»، نزلت الآيات ١٩ - ٢١ بأن أعظم شهادة قول الله، وهو أوحى القرآن، وأنتم تشركون به مخلوقات، وأنا أُومن أنه متفرد بالألوهية وأتبرأ مما تشركون. ثم إن أهل الكتاب يعرفون صدقك مثلما يعرفون أبناءهم لِما في كتابهم من البشارة بك، ولكنهم أهلكوا أنفسهم بالكفر، ولا أحد أظلم منهم. فذكِّر المشركين بما في الحشر، حيث يُسألون عن غياب معبوداتهم، فينكرون أنهم أشركوا مكذبين أنفسهم.

وبعضهم يسمع تبليغك، وقلوبهم مقفلة وآذانهم مغلقة، فيزعمون أن الآيات هي أكاذيب الأمم الماضية، ويمنعون أنفسهم والناس من الإيمان. ولو رأيتَ حين يعرضون على النار ويرونها عِيانًا، ويتمنّون العودة إلى الدنيا ليؤمنوا بما كفروا ويصلحوا أعمالهم، لأبصرت ما هم فيه من البلاء العظيم...

تفسير المفردات: بدا: ظهر وتحقق. ويخفون: يكتمون بإنكار إشراكهم. وقبل: قبل شهادةِ أعضائهم عليهم. وردّوا: أعيدوا إلى الدنيا. وعادوا: رجعوا. وما نهوا عنه: الشرك والعصيان. وكاذبون: يقولون الكذب في وعدهم بالإيمان. ٢٨ قالوا أي: المنكرون للبعث. وإن هي: ليست الحياة المتأخرة التي تُذكر لنا. والحياة: العيش روحًا وجسدًا. والدنيا: القريبة نعيش فيها. وما نحن: لسنا. وبمبعوثين: مخرَجين من القبور للحساب. ٢٩ ترى: أبصرت عِيانًا، أيها النبيّ. وإذ وُقفوا: حين عُرضوا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وقال أي: لهم على لسان الملائكة. وهذا أي: البعث والحساب. والحق: الموجود الثابت. وبلى أي: إنه الحق. و وَربّنا: نقسم بربّنا. وذوقوا: تحسسوا بالجسم والروح. والعذاب: التعذيب. وبما كنتم تكفرون: بسبب كونكم تكذّبون. ٣٠ خسر: فاته نعيم الجنة واستحق الخلود في جهنم. وكذّبوا: لم يؤمنوا. ولقاء الله: لقاء حسابه بعد الموت. وحتى إذا جاءتهم: فإذا وصلت إليهم. والساعة: ساعة الموت بمقدّماته. وبغتة أي: مفاجئة. ويا حسرتنا: يا شدة ندامتنا احضري. فقد آن أوانك. وعلى ما فرّطنا أي: بسبب تقصيرنا بالكفر. وفيها: في الدنيا. ويحملون: يضعون. والأوزار: جمع وِزر، ثقل الذنب. والظهور: جمع ظهر، ما يقابل الصدر. وألا: حقًّا. وساء أي: تجاوز الحد في البؤس والشقاء. ويزرون: يحملون. ٣١ ما الحياة: ليست. واللعب: ما يَشغل النفس عما تنتفع به. واللهو: صرفُها إلى الهزل. والدار: مكان الإقامة. والآخرة: المتأخرة تكون بالبعث. وخير أي: أكثر نفعًا من الحياة الدنيا. ويتقون: يتجنبون الشرك ويلتزمون التوحيد. وألا تعقلون: تفكّروا لتميّزوا الخير من الشر. ٣٢ قد نعلم: لقد علمنا حق العلم. وإنه: إن الشأن والأمر. ويحزنك: يحزّ في نفسك. يقولون: يذكره المشركون من التكذيب. ولا يكذبونك: لا ينسبونك إلى الكذب في سرّهم. والظالمون: الكافرون بالحق. والآيات: نصوص القرآن الكريم والأدلة الكونية. ويجحدون: ينكرون وهم عالمون بصدقها. ٣٣ كُذّبتْ: نُسبت إلى الكذب. والرسل: جمع رسول، من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. ومن قبلك: من قبل زمانك. وصبروا: ثبَتوا ولم يجزعوا. وما كُذّبوا أي: تكذيبهم. وأوذوا: أصيبوا بالضرر. وأتاهم: جاءهم. والنصر: العون والتأييد. والمبدّل: من ينقض ويغيّر. والكلمات: المواعيد والأحكام. وجاءك: وصل إليك. والنبأ: الخبر. والمرسل: الرسول. ٣٤ كبُر: عظُم. وإعراضهم: تباعدهم عنك. واستطعت: قدَرت. وتبتغي: تتخذ. والنفق: المنفذ إلى جوف الأرض. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والسلّم: ما يُصعد به في درجات. والسماء: العالم العُلوي. وفتأتيهم بآية: لتحضر لهم معجزة. وشاء: أراد جَمْعَهم على الهدى. وجمَعَهم: ألّف بين قلوبهم. والهدى: الرشاد. ولا تكوننّ: لاتصيرنّ. والجاهلون: من لا يعرفون حقيقة الأمور. ٣٥

سورة الأنعام — الجزء السابع

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ
﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا
وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ
﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

المعنى العام: متابعة ما يكون للمشركين يوم القيامة بأنه قد ظهر لهم ما أنكروه من كفرهم بقولِهم المذكور في الآية ٢٣، إذ شهدت عليهم جوارحهم، ولو رجعوا إلى الدنيا لكفروا أيضًا. فقد أنكروا البعث، ولو رأيت موقفهم يوم القيامة لرأيت أمرًا عظيمًا، حين يوبَّخون ويقرّون بحصول البعث فعلًا، وينالون العقاب.

لقد ضيعوا النعيم بكفرهم، وصاروا يتحسرون بعنف على ما كان منهم، ومعهم ذنوبهم الشنيعة تشهد عليهم أيضًا. فالانصراف إلى الدنيا وحدها عبث باطل، والاهتمام بالآخرة خير للمتقين. فليتعقل إذًا الكافرون ويتعظوا بالهداية.

ثم إن ما يؤلمك من قولهم ليس تكذيبًا لك، لأنهم يعلمون أنك صادق، ولكن الظالمين ينكرون آيات الله، وقد كان قبلك رسل كُذّبوا، وصبروا ونصرهم الله، وعندك أخبارهم. فاصبر، لأنك لا تستطيع أن تحمل الكافرين على الإيمان مهما فعلت، ولو أراد الله جمعهم على الهدى لفعل. فالزم ما أنت عليه من الحكمة.

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ (٣٦) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ
قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَا
مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ
مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۗ مَن يَشَإِ اللَّهُ
يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٩) قُلْ
أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ
تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا
تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ
(٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ
حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤)

الحزب ١٤

تفسير المفردات: يستجيب: يجيب دعوتك ـ أيها النبي ـ بالقبول. ويسمعون أي: سماع تقبّل للنصح. والموتى: موتى القلوب لا يعقلون، جمع ميت. ويبعثهم: يخرجهم من قبورهم أحياء. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد وللمحامد. وإليه: إلى موقف حسابه يوم القيامة. ويرجعون: يردّون بالبعث. ٣٦ قالوا أي: المشركون تعنتًا وتعجيزًا. ولولا: هلّا، بمعنى التحضيض. و نُزِّل عليه: أُلقي على محمد ﷺ. والآية: المعجزة تَضطرهم إلى الإيمان. ومن ربه: من عند من أرسله. والرب: الخالق المالك المتفرد. وقل أي: لهم، أيها النبي. والقادر: الكامل الاستطاعة. وأكثرهم: غالبيتهم. ولا يعلمون: لا يدركون حكمة الله في إنزال الآيات. ٣٧ ما من دابة: لا حيوانَ يتحرك. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والطائر: ما يحلق بجناحين. ويطير: يعلو ويتنقل. والجناح: يد الطائر بما عليها من الريش. والأمم: جمع أُمّة. وهي مجموعة خلق من جنس واحد. والأمثال: جمع مِثْل. وهو المُشابه في الخضوع لله. وما فرّطنا: ما تركنا ولا أهملنا. والكتاب: اللوح المحفوظ، سُجّل فيه ما يكون في الوجود مع احتمالات الظروف والاختيارات. ومن شيء أي: شيئًا. وهو ما كان موجودًا أو محتملًا وجوده. وإلى ربهم: إلى تنفيذ قضائه. ويحشرون: يُهلكون ويُجمع منهم العاقلون. ٣٨ كذّبوا: أنكروا. والآيات: النصوص القرآنية والحُجج والأدلة الكونية على التوحيد والبعث. والصمّ: جمع أصمّ، من لا يسمع. والبكم: جمع أبكم، من لا يستطيع الكلام. والظُّلْمة: السواد لا تتبين فيه الأمور. ويشاء: يريد إضلاله. ويضله: يُمدّ قدراته بما يناسب اختياره الفاسد واستعداده السيء. ويشاء: يريد هدايته. ويجعله: يصيّره ويوفقه. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل، أي: دين الإسلام. ٣٩ أرأيتكم: تفكروا وأخبروني عن حالتكم العجيبة المتناقضة. وأتاكم: نزل بكم. والعذاب: التعذيب. وأتتكم: جاءتكم. والساعة: القيامة بالبعث والحساب. وغير الله: إلّه مغاير لله. وتدعون: تستغيثون به. والصادقون: من يقولون الحق. ٤٠ بل أي: ليس ذلك بصحيح إنما. وإياه تدعون أي: الله وحده تستغيثون به. ويكشف: يرفع ويزيل. وشاء: أراد كشْفه. وتنسون: تتركون. وما تشركون: ما تجعلونه مشاركًا الله في التقديس والطاعة. ٤١ أرسلنا: بعثنا رسلًا للدعوة. والأمم: جمع أمة، الفئة من الناس يجمعها دين أو اعتقاد. وقبلك: قبل زمانك، أيها النبي. وأخذناهم: عاقبناهم على ذنوبهم. والبأساء: شِدة الفقر والبؤس. والضراء: شِدة الضرر. ولعلهم: ليُترجّى لهم. ويتضرّعون: يتذللون ويؤمنون. ٤٢ لولا: هلّا، للتوبيخ والتعجيب. وإذ جاءهم: حين نزل بهم. والبأس: العذاب. وقست: اشتدت صلابتها. والقلوب: جمع قلب ، موطن التدبر والاعتقاد. وزيّن: جمّل. والشيطان: من يغري بالشر من الجن والإنس. ويعملون: يكتسبونه باختيار. ٤٣ لما: عندما. ونسوا: أهملوا. وذُكّروا: وُعِظوا. وفتحنا: أطلقنا. والأبواب: جمع باب، ما يتوصل به إلى الخفايا. وكل شيء أي: من النعم. وحتى إذا فرحوا أي: فإذا استبشروا ولم يتعظوا. وأوتوا: أعطوا. وأخذناهم: عاقبناهم بالعذاب. والبغتة: الفجاءة. والمبلسون: الحائرون اليائسون.

المعنى العام: متابعة إصرار المشركين بأنهم موتى القلوب يعيشون في ضلال، ثم يُبعثون للحساب. وعندما سأل رؤساء قريش معجزة من الرسول ﷺ للدلالة على التوحيد نزلت الآية ٣٧ بأن الله قادر على ذلك، وقد جاءتهم آيات كثيرة فيها ما يُقنع المفكرين، وفي هذه المخلوقات المختلفة أدلة كافية، ولكن المكذبين لا يتفكرون، ولو أراد الله لهداهم. واسألهم: بمن تستجيرون حين ينزل بكم العذاب؟ ألستم تلجؤون إلى الله وحده، فيكشف ما أراد؟

ولقد كفر كثير من الأمم، فأنزل الله بهم الشدائد فلم يؤمنوا، بل اشتدت ضلالتهم مع مفاتن الحياة، وزادهم الشياطين والمفسدون غواية، فاستدرجهم الله ليزدادوا كفرًا حتى اطمأنوا، فجاءهم الانتقام فجأة، وأصبحوا تائهين يائسين من النجاة.

تفسير المفردات: قُطع: بُتر ومنع من الحياة. ودابر القوم: كل من كان منهم. وظلموا: كفروا. والحمد: الثناء بالجميل على النعم والانتقام من الكافرين. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالمون: كل أجناس المخلوقات. **٤٥** قل أي: للمشركين، أيها النبي. وأرأيتم: تفكّروا وأخبروني. وأخذ: أفنى. والسمع: القدرة على إدراك المسموعات. والأبصار: جمع بصر، القدرة على الرؤية. وختم على قلوبكم: عطّل بصائركم وعقولكم، وسدّ منافذ التدبر. والقلوب: جمع قلب، موطن التفكّر والاعتقاد والانفعال. والإلّه: المعبود. وغير الله: مغاير لله. يأتيكم به: يعيد إليكم ما أُخذ. وانظر: تفكّر وتأمّل. وكيف نصرف الآيات: حالة تبييننا الدلالات على الوحدانية. ويصدفون: يُعرِضون ولا يستجيبون. **٤٦** أرأيتكم: تفكّروا وأخبروني. وأتاكم: نزل بكم. والعذاب: التعذيب. والبغتة: الفُجاءة. والجهرة أي: مع سبق علامات دالّة. وهل يُهلَك: أليس يُدمَّر و يُفنَى. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: الكافرون. **٤٧** ما نرسل: ما نبعث للدعوة. والمرسلون: الرسل. ومبشرين: مخبرين بما يَسرّ. ومنذرين: مهدّدين بعذاب من كفر. وآمن: صدّق واستجاب. وأصلح: جعل عمله صالحًا. والخوف: الفزع مما يأتي. ولا يحزنون: لا يغتمّون لِما كان. **٤٨** وكذّبوا بآياتنا: انكروا الدلالات على الوحدانية. ويمسهم: ينزل بهم. وبما كانوا يفسقون: بسبب كونهم خارجين عن الطاعة. **٤٩** لا أقول لكم: لا أدعي فيما أخبركم. وعندي: في حوزتي وتصرفي. والخزائن: جمع خزانة، مكان الحفظ للمتلكات. ولا أعلم: لا أعرف. والغيب: ما غاب عنّي ولم يوحَ إليّ. والملَك: مخلوق نوراني. وإن أتبع: ما أعمل وأوافق. ويوحى: يُنزل على لسان جبريل. وهل يستوي: لا يكون سواء في الحكم والعمل. والأعمى: الكافر. والبصير: المؤمن. وألا تتفكرون: أعمِلوا عقولكم فيما ترون، من الآيات والأدلة، لتهتدوا وتؤمنوا. **٥٠** أنذر به: هدّد بها في القرآن. ويخافون: يخشَون. ويحشروا: يُجمعوا من قبورهم بالبعث. وإلى ربهم: إلى موقف حسابه. ومن دونه أي: غيره. والولي: من يتولى أمور الآخرين ويحميهم. والشفيع: الذي يطلب التجاوز عن الذنوب. ولعلهم: ليُترجّى للمشركين. ويتقون: يخافون الله فيلتزمون طاعته. **٥١** لا تطرد: قرّب ولا تبعد عنك. ويدعون ربهم: يعبدونه ويلجؤون إليه ويخصونه بالدعاء. والغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس. والعشي: من منتصف النهار إلى المغرب. ويريدون وجهه: يطلبون وجه الله مخلصين. والوجه صفة من صفات الله بما يناسب عظمته وجلاله. وما عليك: ليس عليك. والحساب: المحاسبة على الأعمال وجزاؤها. ومن شيءٍ أي: شيءٌ. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. وتكون: تصير. والظالم: من يضع الأمور في غير مواضعها. **٥٢**

الجزء السابع — سورة الأنعام

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا
إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

المعنى العام: أن الله أهلك الكافرين القدماء وقطع نسلهم من الوجود، وله الحمد على ذلك. والمشركون عندما يُسألون يقرّون بأن الله هو الذي يمنح القدرات ويمحقها، ولا يكون عذابه المستأصل إلّا للكافرين. فالحقائق ظاهرة، ولكنهم يتجاهلونها، ولو نزل بهم العذاب لانتهى أمرهم. وإنما يأتي الرسل للدعوة، فللمؤمن نعيم مع الطمأنينة والسرور، وللكافر عذاب بما فعل.

وعلى النبي ﷺ تبليغ المشركين أنه لا يملك خزائن الكون وليس ملكًا، وإنما هو رسول يبلغ ما أوحي إليه ويُيسّر له تعلمه وحفظه وتبليغه واتباعه، فليتفكروا ليهتدوا إلى الإيمان. والفرق كبير بين المؤمن والكافر، وإنما يتعظ الذين يخافون أن يُحشَروا بلا ناصر ولا شفيع، فيستعدون بالإيمان والتقوى.

ولمّا طلب سادة قريش إبعاد المؤمنين الفقراء ليؤمنوا هم نزلت الآية بمنع ذلك الظلم، فلكل حسابه على عمله، وتنفيذ طلبهم بإبعاد المطيعين لله والمتوجهين إليه بالدعاء دائمًا هو ظلم كبير.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ
رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا
بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ
أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ
ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾
ربع الحزب ١٤ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ
فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

تفسير المفردات: كذلك أي: مثَل ابتلاء مشركي مكة بإسلام الفقراء. وفتنا بعضهم: ابتلينا بعض الناس. والبعض: الواحد أو الأكثر. ويقولوا أي: يقول أغنياء المشركين. وأهؤلاء أي: كيف يكون الفقراء؟ ومنّ: تفضّل بالنعمة العظيمة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد وللمحامد. ومن بيننا: من دوننا. وأليس الله أي: إنه. وأعلم: الأكثر إحاطة مما سواه. والشاكرون: من يستحضرون النعم في نفوسهم ويثنون على المنعم. **٥٣** جاءك: حضر مجلسك، أيها النبي. ويؤمنون: يصدّقون ويتبعون. والآيات: آيات القرآن الكريم. وقل لهم: خاطبهم للطمأنة والتودد. وسلام: تحيةٌ دعاءً بالسلامة. وكتب: أوجب على نفسه تفضلًا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ونفسه: ذاته، سبحانه وتعالى. والرحمة: العطف بالإحسان. وأنه أي: الشأن والأمر. وعمل: اكتسب من نية أو قول أو فعل. والسوء: الذنب. والجهالة: الغفلة عما يتبع العمل من ضرر. وتاب: رجع وامتنع. وبعده: بعد عمل السوء. وأصلح: عوّض ما أفسد و جعل عمله كما يريد الشرع. وأنه أي: الله. والغفور: العظيم الستر للذنوب والعفو. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. **٥٤** كذلك أي: لِما ذُكر في السورة من ملازمة المؤمنين وفساد المشركين وتحقق رحمة الله. ونفصّل: نبيّن. والآيات: الحجج والأدلة. وتستبين: تظهر. والسبيل: الطريق. والمجرمون: من يرتكبون الكفر والجرائم اختيارًا. **٥٥** قل أي: للمشركين، أيها النبي. ونُهيت أن أعبد: أمرت بعدم التقديس. وتدعون: تعبدونهم. ودون الله أي: غيره. ولا أتبع: لا أوافق. والأهواء: جمع هوى، ما تميل إليه النفس من الشهوة. وضللت: توجهت إلى الباطل. وإذًا: إن اتبعتكم. وما أنا: لستُ. والمهتدون: المسترشدون إلى الصواب. **٥٦** البيّنة: الدليل الواضح. ومن ربي: من عنده وبأمره. وكذّبتم به: جحدتم التوحيد. وما عندي: لا أملك. وما تستعجلون به:العذاب الذي تطالبون بوقوعه. وإن الحكم أي: ليس القضاء المبرم. ويقصّ: يقول. والحق: الشيء الثابت. وخير الفاصلين: لا يدانيه أحد في الفصل بين المختلفين والقضاء العادل. **٥٧** لو أن أي: لو كان. وعندي: في قدرتي واستطاعتي. وقضي الأمر: أنزلته بكم. وأعلم: أكثر إحاطة. والظالمون: الكافرون. **٥٨** عنده: في ملكه وتصرُّفه. ومفاتح: جمع مَفتِح. وهو الخزانة. والغيب: ما غاب عن حواس المخلوقات وعقولهم. ولا يعلمها: لا يحيط بعلمها. والبر والبحر يشملان الأرض كلها. وما تسقط: ما تقع. والورقة أي: من النبات. ويعلمها: يطّلع عليها كامل الاطّلاع. والحبة: الجزء الدقيق. وظلمات الأرض: ما فيها من خفايا لا يدرك منه شيء. والرطب واليابس: كل ما في الدنيا. والكتاب: اللوح المحفوظ، فيه سِجلّ لما سيكون في الوجود، من قضاء محتمل أو مبرَم. والمبين: العظيم الإيضاح والبيان. **٥٩**

المعنى العام: إنما ابتُلي المشركون بإيمان الفقراء كما ابتُلي الزعماء بالتابعين لهم، ليستنكروا الإيمان على الفقراء، ويزدادوا كبرياء وتمنّعًا، والله عليم بأهل الصلاح والشكر، يهديهم ويعينهم. فإذا لقيتَ المؤمنين ـ أيها النبي ـ فادع لهم وبلّغهم الطمأنينة والأمان، وأنّ الله غفور رحيم للعاصي بجهالة يتوب عليه، ولهذا يُفصل الآيات وليظهر طريق الكفر فيترك. ولذا صار النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال: «الحمدُ لله الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَن أَمَرَنِي أن أبدأَهُم بالسَّلام».

وقد نُهي النَبي أيضًا عن الشرك لئلا يكون من الكافرين، و هداه الله إلى الإيمان الذي أنكروه، وتعذيبُهم والحكم في أمرهم بيد الله وحده، يوحي الحق وهو خير من يقضي بين المختصمين.

وكان رؤساء قريش يقولون استهزاء: «يامحمد، ائتنا بالعذاب الذي تعِدنا به». فنزلت الآيتان ٥٨ و ٥٩ بأنه لو كان الأمر للنبي ﷺ لانتهى بالانتقام السريع، ولكنه هو لله يتفرد بعلم الغيب والإحاطة بما في الكون من المخلوقات، وما يحدث من صغيرة أو كبيرة، وكل ذلك أيضًا مسجّل بوضوح ودقة في اللوح المحفوظ.

تفسير المفردات: هو أي: الله. ويتوفاكم: يستوفي منكم الإدراك حين النوم. والليل: ما بين الغروب والفجر. ويعلم: يحيط كل الإحاطة. وجرحتم: اكتسبتم واقترفتم. والنهار: ما بين الفجر والغروب. ويبعثكم: يوقظكم. ويُقضَى: يُستوفى ويُنهى. والأجل: العمر. والمسمى: المحدّد عند الله. وإليه: إلى لقاء حسابه. والمرجع: الرجوع بالبعث. وينبئكم: يخبركم. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ٦٠ القاهر: الغالب بما يريد. وفوق عباده: مستعليًا عليهم. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وتعبُّدًا. ويرسل عليكم: يكلّف بكم. والحفظة: جمع حافظ، من يحفظ الأعمال ويدفع كثيرًا من البلاء. حتى إذا جاء الموت: فإذا حضرت أسبابه. وأحدكم: الواحد منكم. والموت: مفارقة روح الحياة لجسده. وتوفته: قبضت روح حياته. والرسل: جمع رسول، أعوان ملَك الموت. ولا يفرّطون: لا يقصّرون فيما يؤمرون. ٦١ رُدّوا: أعيد الأموات بالبعث. وإلى الله: إلى لقاء موعده. والمولى: المالك المتولّي للأمور كلها. والحق: الثابت العادل. وألا: حقًّا. وله: مُلكه وحده. والحكم: القضاء النافذ. وأسرع أي: لا مثيل له في السرعة. والحاسبون: الذين يتقنون الحساب والمحاسبة. ٦٢ قل أي: للكافرين، أيها النبي. وينجيكم: ينقذكم. والظلمات: فظائع المصائب. والبر: القسم اليابس من الأرض. والبحر: القسم المائي. وتدعونه: تلجؤون إليه. والتضرّع: التذلّل. والخُفية: السرّ. ولئن: نُقسِم إن. وهذه أي: الظلمات. ونكوننّ: نصيرنَّ. والشاكرون: المؤمنون يحمدون الله وحده. ٦٣ الكرب: الغم والبلاء. وتشركون: تعبدون بعض مخلوقاته. ٦٤ القادر: الكامل القدرة. ويبعث: يرسل. والعذاب: التعذيب. ومن فوقكم: من السماء. ومن تحت أرجلكم: من باطن الأرض. ويلبسكم: يخلطكم. والشيع: الفِرَق المختلفة، جمع شيعة. ويذيق بعضكم: يُنزل بالواحد منكم أو الأكثر. والبأس: الشِّدّة و العذاب. وانظر: تبصّر وتأمل، أيها النبي. وكيف نصرف الآيات: حال تفصيلنا دلائل قدرتنا. ولعلهم: ليُترجَّى لهم. ويفقهون: يعلمون ما هم فيه من الباطل فيهتدون. ٦٥ كذّب به: أنكر القرآنَ. والقوم: جماعة الإنسان هو من نسبها. والحق: الصدق الثابت. والوكيل: الحفيظ يوكَل إليه أمر الآخرين. ٦٦ النبأ: الخبر. والمستقرّ: وقت الحصول. وسوف تعلمون: لا بدّ أن تدركوا ما تكذّبون. ٦٧ رأيت: قابلت، أيها المسلم. ويخوضون: يتخبّطون باستهزاء. والآيات: نصوص القرآن. وأعرض: انصرف. ويخوضوا: يتحاوروا. والحديث: ما يُتكلم فيه. وغيره أي: مغاير لِما كانوا فيه. وإمّا يُنسِينَّكَ: إن جعلك تنسى أمرنا بالإعراض. والشيطان: من يوسوس بالشر. ولا تقعد معهم أي: لا تجالسهم. والذكرى: تذكّر الأمر بالإعراض. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: المعتدون بالكفر والعصيان ٦٨.

الجزء السابع — سورة الأنعام

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ
أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ
ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا
مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم
بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾
وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ
نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي
آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

المعنى العام: الله يزيل منكم قدرات التمييز والتدبُّر وقت النوم، ثم يعيدها بيقظة تشبه الإحياء لتقضوا مدة مقدّرة يأتيكم بعدها الموت، حيث يزيل الله منكم روح الحياة ثم يبعثكم للحساب، وهو قاهر لكم مستعليًا بما يريد، وملائكته ترقب أعمالكم وتيسر بعض أموركم دون تقصير، فإذا حضرت مقدمات الوفاة كلًّا منكم توفّته ملائكة الموت، ثم تعودون جميعًا يوم القيامة للجزاء.

وسل المشركين أيها النبيّ: مَن ينقذكم مِن الهلاك والأهوال حين يدعونه بذلّة، وتتعهدون بالإيمان؟ والجواب الذي لا بد منه أن الله هو المنقذ ثم تكفرون، وهو قادر أن يهلككم، أو يذيق بعضكم ظلم بعض ويوقع بينكم الفتن والحروب في قوميات ووطنيات منكرة لتتفانوا. فتأمل - أيها النبي - كيفية تبيين قدرتنا ليعرفوا أنهم على باطل فيهتدوا، ولكنهم يكذّبون القرآن الكريم، وهو الحق. فلست مسؤولاً عنهم، ولكل أمر وقته المحدّد. وإذا رأيت الكافرين الساخرين بالقرآن ـ أيها المسلم ـ فابعد عنهم حتى يتكلموا في أمر آخر، ولا يجوز لك أن نُسيتَ هذا النهي ثم تذكرت أن تجالسهم فيما يتخبطون فيه من الكفر والسخرية.

الجزء السابع — سورة الأنعام

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ
أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ
كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ
يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

تفسير المفردات: ما: ليس. ويتقون: يتجنبون عصيان الله ويطلبون رضاه. وحسابهم: محاسبة الكافرين. ومن شيء: شيءٌ مّا. والذكرى: الوعظ والتذكير بالعواقب. ولعلهم: ليَترجّى الكافرون. ويتقون: يتجنبون الكفر. ٦٩ ذر: اترك ـ أيها النبي ـ ولا تبالِ. واتخذوا: جعلوا وصيّروا. ودينهم: الإسلام الذي كُلّفوا به. واللعب: العبث لا يجدي نفعًا. واللهو: ما يَشغل عن الخير. وغرتهم: خدعتهم باللذائذ فأنكروا التوحيد والبعث. والحياة: ما في العيش من التمتع والزينة. والدنيا: القريبة يعيشون فيها. وذكّر به: انصح مذكّرًا بالحساب. وأن تُبسل: لئلا تُجعل في هلاك يوم القيامة. والنفس: المخلوق من البشر. وبما كسبت: بسبب ما عملته. ودون الله: غيره. والولي: الناصر. والشفيع: من يطلب لغيره التجاوز عن الذنوب. وتعدلُ: تفتدي. والعدل: الفداء. ولا يؤخذُ: لا يرضى به. وأولئك أي: المذكورون من الكافرين. وأُبسلوا: سُلّموا إلى العذاب. و بما كسبوا: بسبب ما فعلوا. والشراب: ما يُشرب. والحميم: ما بلغ نهاية الحرارة. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم جدًّا. وبما كانوا يكفرون: بسبب تكذيبهم وحدانيةَ الله ودعوةَ رسوله. ٧٠ قل أي: للمشركين. وأندعو: لن ندعو. ولا ينفع: لا يفيد ولا يجلب خيرًا. ولا يضر: لا يؤذي ولا يجلب شرًّا. ونردّ: نرجع إلى الشرك. والأعقاب: جمع عقب، عظم مؤخر القدم يعبر به عن خلف الإنسان. وإذ هدانا الله: وقت توجيهه قدراتِنا وإمدادنا بحسب اختيارنا الصالح واستعدادنا للخير. واستهوته: أضلته. والشياطين: جمع شيطان، من يوسوس بالشر من الجن أو الإنس. والأرض: البراري والقفار. والحيران: المتحيّر. والأصحاب: جمع صاحب، الصديق المخلص. ويدعونه: يطلبون منه المجيء. والهدى: طريق الحق والرشاد. وائتنا: تعالَ إلينا. وهدى الله أي: ما هدانا إليه بالقرآن. والهدى أي: الرشاد الحقيقي. وأُمرنا: فُرض علينا. ولنسلم: أن نستسلم وننقاد. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالمون: كل أجناس المخلوقات. ٧١ أقيموا الصلاة: حافظوا على أدائها. واتقوه: خافوا الله وتجنبوا عصيانه واطلبوا رضاه. وإليه: إلى لقاء حسابه. وتحشرون: تجمعون بالقوة والقهر يوم القيامة. ٧٢ خلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وبالحق: مع العدل والحكمة ومصالح المخلوقات. ويوم يقول أي: يوم القيامة حين يأمر الشيء أمرَ خلق. وكن فيكون أي: احدُثْ فيحدُثُ فورًا. وقوله أي: أمره. والحق: الواقع بلا شك. وله: مستحَقّه وحده. والملك: حيازة الأمور والتصرف فيها بدون معين أو منازع. ويُنفخ: يُدفع الهواء بقوة. والصور: مخلوق عظيم لا يعلم حقيقته إلّا الله. والعالم: المحيط كامل الإحاطة بالشيء قبل وجوده وبعده. والغيب: ما غاب عن حواس المخلوقات وعقولهم. والشهادة: ما شوهد أي: أحسّوا به أو أدركوه. والحكيم: الدقيق الحكمة. وهي وضع الأمور في مواضعها المناسبة بالعلم والإتقان. والخبير: البالغ الخبرة. وهي الإحاطة بما لطف إدراكه من الأمور. ٧٣

المعنى العام: لما نزلت الآية ٦٨ ذكر المسلمون أنهم مضطرون إلى الجلوس في الكعبة، والمشركون يسخرون، فنزلت الآية٦٩ بأنه لا مانع في الاضطرار من ذلك، ويجب عدم الانشغال بالضالين، مع تذكيرِهم بما ينتظرهم لئلّا ينالهم العذاب العظيم، دون شفيع أو فداء، وتبليغِهم أيضًا ملازمة المسلمين للتوحيد وعدم الارتداد إلى عبادة ما لا يفيد ولا يضر بذاته، فلن يكونوا كالمرتدين الذين أضلتهم الشياطين في حيرة وضياع، لا يستجيبون لدعوة الهدى.

ويبلّغون أيضًا الاستسلام لله، وعبادته وتقواه، وأن الرجوع إلى حسابه يوم القيامة، وهو أنشأ المخلوقات بالحق. وعلى الكافرين تذكر ما سيكون بعد البعث من حكم الله، وما له من صفات الألوهية العظيمة وما يكون عنها في الحساب والعقاب.

تفسير المفردات: إذ قال: حين قال. وإبراهيم: من الحاميِّين أيّام النُّمروذ أبو إسماعيل وإسحاق. وآزر: اسم أبي إبراهيم، و معناه المُعْوَجّ. وأتتخذ أي:لا تجعل. والأصنام: جمع صنم، ما يصنع على شكل إنسان للعبادة. والآلهة: جمع إلَه أي: معبود. وأراك: أجدك بحق. وقومك أي: الناس الذين اتبعوك في عبادة الأصنام. والضلال: الكفر وعدم الهداية. والمبين: البيّن جدًّا. ٧٤ كذلك أي: كما أريناه ضلال أبيه وقومه. ونري أي: بعين البصيرة، نُعرِّف ونُلهِم. والملكوت: بعض ما هو ملك الله. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجرام وعوالم علوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويكون: يصير. والموقنون: من يعلمون بعد التأمل علمًا ثابتًا بالوحدانية. ٧٥ ولما جن: حين أظلم. والليل: ما بين الغروب والفجر. ورأى: أبصر. والكوكب: النجم المضيء في السماء. وقال أي: خاطب قومه للجدال بما يعتقدون. وهذا أي: الكوكب. وربي أي: معبودي كما تزعمون. وأفل: غاب. ولا أُحب: لا أودّ ولا أعبد. ٧٦ القمر: النجم ينير الأرض في الليل. والبازغ: الطالع بضيائه. وهذا أي: القمر. ولئن: أُقسِمُ إن. ويهديني: يرشدني إلى الحق. وأكوننّ: أصيرنّ. والضالون: من فقدوا الهداية إلى الصواب. ٧٧ الشمس: النجم يضيء الأرض نهارًا. وهذا أي: الشمس. واسم الإشارة مذكر موافقة للخبر: ربّ. وأكبر أي: أضخم حجمًا ونورًا ونفعًا. ويا قوم: يا قومي. حُذفت الياء للتخفيف.والبريء: المتبرئ المتباعد. وتشركون أي: تجعلونه مشاركًا لله في الألوهية. ٧٨ وجّهت وجهي: صرفتُه في جهة واحدة، أي: قصدت بعبادتي. وفطر: أنشأ على غير مثال. والحنيف: المتوجه إلى الدين المستقيم. وما أنا: لستُ. والمشركون: من يعبدون مع الله بعض المخلوقات. ٧٩ حاجه: جادله. وقومه: الناس من نسبه، وهم حاميُّون. وأتحاجّوني: ليس لكم أن تجادلوني. فدعوا ما أنتم عليه. وفي الله: بسبب وحدانيته. وهدان: هداني، أي: صرف قدراتي إلى الوحدانية وأمدّني بالرشاد. ولا أخاف: لا أخشى. وتشركون به: تجعلونه شريكًا لله. ويشاء: يريد لي. وشيئًا أي: من المكروه والبلاء. ووسع: أحاط. والرب: المعبود بحق. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والعلم: الاطّلاع الكامل بالأمور. وأفلا تتذكّرون أي: استحضروا ما في أذهانكم من الحقيقة واتعظوا بها للإيمان. ٨٠ وكيف أي: لا يجوز. وما أشركتم أي: المعبودات من الأصنام. وأنكم أشركتم أي: عاقبة شركِكم. ولم ينزِّل: لم يوحِ. وبه أي: عليه. والسلطان: الحُجّة والبرهان. وأيُّ الفريقين: مَن هم،الموحّدون أم المشركون؟ وأحق بالأمن أي: حقيق بالطمأنينة وزوال الخوف. وتعلمون: تدركون الحقيقة وتعرفونها.٨١

ربع الحزب ١٤

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ
لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا
رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ
أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ
أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ
سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

المعنى العام: واذكر لقومك -أيها النبي- قصة إبراهيم عظة وتوجيهًا إلى التوحيد، حين ألهمه الله الهداية فبيّن لأبيه وجماعته ضلالهم في عبادة الأصنام، وكانوا مشهورين بالتنجيم وعبادة النجوم أيضًا، وتبصّرَ في الكون ليزداد يقينًا، وتدرج معهم من الصغير إلى الكبير فالأكبر إلزامًا لهم بالحُجّة. فعندما ظهرت نجوم في الليل جارى قومه للحوار بأن أحدها هو المعبود، ولكن لمّا غاب هذا النجم بيّن لهم أنه لا يصلح للعبادة. وكذلك فعل مع ظهور القمر والشمس وغيابها.

وعلى هذا فإنه صارح القوم بأنه منكر للشرك بجميع أنواعه، ومتوجه بنفسه إلى من خلق الكون. وحاول بعض قومه جداله في ذلك وتخويفة انتقام الأصنام والنجوم منه، فأنكر عليهم الجدال فيما هو الحق، مبيِّنًا لهم أنه لا يصيبه إلّا ما أراد الله به، والله ـ عز وجل ـ يحيط علمًا ومقدرة بالكون كله. فعليهم التفهم والاتعاظ. ومحال أن يخاف ما ليس له قدرة أو عون، ومع أنهم لا يخافون عقاب الله المقتدر بل يُغضبونه بالشرك والكفر، فهم أحق منه بالخوف والعظة. وعلى هذا فالمهدَّد حقًّا هو المشرك الكافر، والآمن المطمئنّ هو المؤمن الموحّد، عند كل عالم منصف.

تفسير المفردات: آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. ولم يلبسوا: لم يخلطوا. والإيمان: الاعتقاد بالتوحيد. والظلم: الشرك. وأولئك أي: المذكورون قبل بالتوحيد. والأمن: الطمأنينة وزوال الخوف. والمهتدون: المقيمون على الحق. ٨٢ تلك أي: ما كان في الآيات ٧٦ـ٨١ من دعوة إبراهيم لقومه. والحجّة: البرهان. وآتيناها: علّمناها. وإبراهيم: أبو إسماعيل وإسحاق. ونرفع: نفضّل. والدرجات: المراتب. ونشاء: نريد أن نرفعه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. والحكيم: ذو الحكمة العالية في العلم والفعل. والعليم: المبالغ في الإحاطة بالأمور. ٨٣ وَهبنا له: منحنا إبراهيم. وإسحاق: ابنه من امرأته الحامية سارة. ويعقوب: ابن إسحاق. وكلًّا أي: من إبراهيم واسحاق ويعقوب. وهدينا: أرشدنا إلى الصلاح والخير. ونوح: نبي عبد قومه الأصنام. وقبل أي: قبل إبراهيم بآلاف وألوف من السنوات. وذرّيّته: نسل نوح. فالأنبياء السبعةَ عشرَ المذكورون هنا هم من سلالة أولاده. وكذلك أي: كما فضّلنا هؤلاء بالهداية. ونجزي: نفضّل بالنعم. والمحسنون: من يراقبون الله في اعتقادهم وأعمالهم. ٨٤ كل أي: كل واحد من الأنبياء المذكورين قبل. والصالحون: من كانوا كاملين في الصلاح. ٨٥ اليسع: من أنبياء بني إسرائيل. ويونس: ابن متّى ذو النون كان في العراق. ولوط: ابن أخي إبراهيم كان في مدينة قرب حمص. وكلًّا أي: كل واحد من الأنبياء المذكورين هنا. وفضلنا: خصصنا بزيادة إكرام. والعالَم: مجموع الجنس من الخلق. فالمراد عالَمو أزمنة هؤلاء الأنبياء. ٨٦ الآباء: جمع أب، أي: الوالد أو الجدّ. والإخوان: جمع أخ. واجتبيناهم: اخترناهم وأكرمناهم. وهديناهم: أرشدناهم. والصراط المستقيم: الطريق القويم،توحيد الله وتنزيهه عما لا يليق به من الصفات. ٨٧ ذلك أي: ما هُدوا إليه. وهُدى الله: الإسلام دين التوحيد. وبه أي: إليه. ويشاء أي: يريد الله هدايته. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وتدبيرًا وعبودية. وأشركوا أي: جعل أولئك الأنبياءُ مع الله شريكًا له في الألوهية. وحبط: سقط وبطَل. ويعملون: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ٨٨ أولئك أي: مجموع الأنبياء الثمانيةَ عشرَ المذكورين قبل، إبراهيم ثم إسحاق ومن عُطف عليه أيضًا. وآتيناهم: أعطيناهم. والكتاب: الكتب التي أُنزلت. والحُكم: الحِكمة في التصرف. والنبوّة: التكليف بدعوة الناس إلى العقيدة والشريعة. ويكفر بها: ينكرها. وهؤلاء أي: مشركو مكة وغيرهم من الأقوام. ووكّلنا بها أي: وفّقنا في اتباعها. والقوم: الجماعة من الناس المسلمين. وليسوا بها بكافرين أي: هم مؤمنون بها.٨٩ أولئك أي: الأنبياء الثمانيةَ عشرَ المذكورون. وهُداهم: سبيل دينهم الإسلامي. واقتدِهْ: اقتدِ به ـ أيها النبيّ ـ اتّبعْه وافعل مثل فعله. والهاء مزيدة للسكت في الوقف. وقل أي: للمشركين. ولا أسألكم: لا أطلب منكم. وعليه: على تبليغكم القرآن. والأجر: المكافأة. وإن هو أي: ليس القرآن. والذكرى: التذكير والوعظ. والعالَمون أي: المكلفون من الإنس والجنّ. ٩٠

الجزء السابع سورة الأنعام

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ
وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ
وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ
﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ
أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

المعنى العام: تحقيق ما جاء في سؤال إبراهيم بأن المؤمنين المخلصين هم أصحاب الأمن والهداية. وقد ألهم الله إبراهيم الاحتجاج المتميز، ومنحه إسحاق مع شيخوخته وعقم زوجته ثم يعقوب بن إسحاق، وهداهم مع الأنبياء والرسل وأحسن إليهم، وجعلهم من الصالحين وفضلهم على عالَمِي أزمانهم، واختارهم للهداية إلى الدين الحنيف، وهو الهدى الحقيقي. ولو أشرك واحد منهم، مع فضله وتقدمه، لبطل عمله الصالح وسقط ثوابه. فكيف بمن عداهم من الناس؟

لقد أوحى الله إليهم كتبًا مقدسة ومنحهم النبوة والحكمة. فإن كفر بذلك أهل مكة هيّأ الله للإيمان غيرهم كالمهاجرين والأنصار، يؤمنون ويخلصون. وأولئك الأنبياء المذكورون يسر لهم الإيمان والإخلاص، فاقتد بهم ـ أيها النبي ـ وقل للناس: إنني مبلغ لكم، ولا أطلب أجرًا منكم على ذلك، وهو دعوة لجميع الإنس والجنّ.

تفسير المفردات: ما قدروا الله: ما عرفه اليهود و لم يعظموه. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والحق: الثابت اللازم. والقدر: التعظيم. وإذ: حين. وقالوا أي: بعض اليهود. وما أنزل: ما أوحى. والبشر: الإنسان. ومن شيء أي: شيئًا. والشيء: ما وُجد. وقل أي: لهم. والكتاب: التوراة. وجاء به أي: بلّغ قومه إيّاه. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. ونورًا أي: واضحًا بيّنًا. وهدى أي: مرشدًا إلى الحق. والناس: بنو إسرائيل ومن تبعهم. وتجعلونه: تصيّرونه وتقطّعونه. والقراطيس: جمع قرطاس، ما يكتب عليه من الورق. وتبدونها: تظهرون ما تريدون منها للناس. وتخفون: تكتمون. والكثير: القدر الكبير من التوراة. وعُلّمتم: عُرّفتم. ولم تعرفوه أي: لم تعلموه قبل. والآباء: جمع أب، الوالد أو الجدّ. والله أي: هو أنزل ذلك وعلّمكم. وذرهم:اتركهم. والخوض: التخبط في الباطل حين تداوله. ويلعبون: يسخرون. **٩١** هذا أي: القرآن الكريم. وأنزلناه: أوحيناه على لسان جبريل. والمبارك: الكثير الخير. والمصدّق: الموافق والمؤكّد. وبين يديه أي: قبله من الكتب المنزلة. وتنذر: تخوّف بعقاب من عصى. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. ومكة أُمّ القرى لأنها أعظمها. ومن حولها: الأمم التي في جميع الأقطار، وهي مؤتمّة بها. ويؤمنون: يصدقون اعتقادًا جازمًا. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. وبه: بالقرآن الكريم. والصلاة: العبادة المكتوبة. وعلى صلاتهم يحافظون أي: يؤدّونها في أوقاتها بالشروط والأركان والآداب. **٩٢** من أظلم أي: لا أحد أكثر كفرًا. وافترى: اختلق. والكذب: ما لا أصل له في الواقع. وأُوحي إليّ: بُعثتُ نبيًّا. وأُنزلُ: أنظِم كلامًا. والمِثل: المماثل. وترى: تبصر بعينيك، أيها النبيّ. وإذ الظالمون: وقت كون الكافرين. والغمرات: جمع غمْرة، الشّدّة الفظيعة. والموت: مفارقة الروح للجسد. والملائكة: جمع ملَك، ملائكة الموت. وباسطو أيديهم: يمدّون أيديهم بالضرب والتعذيب. والأيدي: جمع يد. وأخرجوا: خلّصوا والفظوا. والأنفس: جمع نفس. وهي الروح. واليوم: هذا الوقت. وتجزون: تعاقبون. والعذاب: التعذيب. والهون: الهوان. وبما أي: بسبب الذي. وتقولون: تكذبون وتفترون. وغير الحق: ما يغاير القول الثابت. والآيات: النصوص القرآنية وأدلة التوحيد. وتستكبرون: تتكبرون. **٩٣** جئتمونا: حضرتم لحسابنا. وفرادى: جمع فريد،المنفرد عما كان حوله. وخلقناكم: أوجدناكم. وأول مرة: حين التكوّن والولادة. وتركتم: أهملتم. وخوّلناكم: أعطيناكم من النعم. والظهور: جمع ظَهر. ونرى: نشاهد. والشفعاء: جمع شفيع، من يتوسط للمذنب في العفو. وزعمتم: ادّعيتم. وفيكم: في استحقاق عبادتكم. والشركاء: جمع شريك. وتقطّع: تفرّق وتمزّق. وبينكم: ما كان وصلًا بينكم. وضلّ: ذهب. وتزعمون: تدعون من غير دليل علمي. **٩٤**

سورة الأنعام — الجزء السابع

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ
تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟
أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ
أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ
مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ
تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ
كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ
وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟
لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

المعنى العام: كان بعض أحبار اليهود قالوا: يامحمد، أنزل الله عليك كتابًا؟ قال: «نَعَم»، فأنكروا كل وحي وقالوا: «والله ما أنزل الله من السماء كتابًا»، فنزلت الآيات ٩١ـ ٩٣ بأنهم أنكروا ما يجب الاعتراف به. فسلهم: من أنزل التوراة، وأنتم تتصرفون بأهوائكم فيها وتُخفون منها وتبدون ما تريدون، وتعلمتم منها ما لم تكونوا تعلمون؟ قل لهم: إن الله أنزلها، وأنزل القرآن مباركًا موثّقًا الكتبَ التي قبله، لإنذار المستعدين للإيمان في مكة وبلاد العالم. وأظلم الناس من يكذب على الله، أو يدعي أنه رسول كمُسيلِمة الكذّاب، أو يزعم أنه سيوحي إلى الناس مثل القرآن. فهؤلاء لهم عذاب شديد، لو رأيت بعضه حين تقبض الملائكة أرواحهم مع العنف والزجر، ونعاقبهم بما فعلوا، لرأيت أمرًا فظيعًا.

ثم يُبعثون للحساب ويقال لهم على لسان ملائكة العذاب: ها أنتم الآن قد بُعثتم بلا عون، من المال والولد والسيادة وآلهتكم التي زعمتم لها الشفاعة. فلقد تقطعت تلك الصلات الدنيوية والعلاقات الدينية الوهمية، وضاع منكم ما كنتم تزعمون.

الجزء السابع سورة الأنعام

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ
وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟
بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ
خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٤

تفسير المفردات: الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب والوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والفالق: الذي يشق ويخلق ما يلزم. والحب واحدته حبة، القطعة من القمح ونحوه. والنوى واحدته نواة، القطعة الغليظة داخل الثمرة. ويخرج: يخلق. والحي: ما ينمو بنفسه مع تقدير الله. والميّت: ما لا روح فيه فلا ينمو. والمخرج: الخالق. وذلكم أي: الذي يخلق ما ذُكر. والله أي: المذكور قبل. وأنّى: كيف؟ وتؤفكون: تُصرفون إلى الشرك. ٩٥ الإصباح: أول النهار. والجاعل: المُصيِّر. والليل: ما بين الغروب والفجر. والسكن: ما سكنتَ إليه واسترحت. والشمس: النجم النهاري. والقمر: الكوكب الليلي. والحسبان: حساب الأيام وما يكون من الأزمان. وذلك أي: ما ذُكر في الآية من الخلق. والتقدير: جعل الشيء على مقدار مخصوص. والعزيز: الغلّاب على تحقيق أمره. والعليم: الذي لا يعزب عنه شيء. ٩٦ هو أي: الله. وجعل لكم: خلق لمصلحتكم. والنجوم: جمع نجم، الكوكب المضيء. وتهتدوا: تستدلوا. والظُّلْمة: السواد لا يُرى فيه شيء. والبرّ: الأرض اليابسة. والبحر: ما اجتمع فيه ماء كثير. وفصّلنا: بيّنّا. والآيات: الدلالات على القدرة. والقوم: الجماعة من الناس. ويعلمون: يفكّرون فيفهمون الحقائق. ٩٧ أنشأكم: خلقكم بالتكوين. والنفس: المخلوق الإنساني. وواحدة أي: آدم. والمستقَرّ: مكان ما يستقر في الرَّحِم كالجنين. والمستودَع: مكان الوديعة لمدّة كالنطفة والبويضة. ويفقهون: يُحسنون الاستدلال على قُدرة الخالق. ٩٨ أنزل: أسقط بتفضله. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما يشبهه. وأخرج به: أنبت بسببه. والشيء: ما هو موجود. ومنه أي: من النبات. والخضر: الشيء الأخضر. ومنه: من الخضِر. والحب واحدته حبة، القطعة من الثمر. والمتراكب: المتراصّ بانتظام. والنخل واحدته نخلة، شجرة ثمرها التمر. والطلع: أول ما يخرج من الثمر. والقنوان: جمع قِنْو، ما يحمله النخل كالعنقود. فالقنوان تخرج من الطلع النابت. والدانية: المتقاربة والقريبة من الناس. والجنات: جمع جنة، الحديقة والبستان. والأعناب: جمع عنب. وكذلك الزيتون والرمّان. والمشتبه: المتشابه من كل نوع فيما بينه في الشكل واللون والطعم. وغير المتشابه: المختلف. وانظروا: تأمّلوا. والثمر: ما ينعقد عن الزهر للغذاء والدواء والزينة. وإذا أثمر: حين ينعقد. والينع: اكتمال النُّضج. وذلكم: ما مضى في الآيات ٩٥-٩٩ من عجائب الخلق. والآيات: الدلالات على القدرة. ويؤمنون: مستعدّون للإيمان بالحق. ٩٩ جعلوا: صيّر كفّار قريش. والشركاء: جمع شريك. والجن واحده جنيّ. وهو الشيطان. وخلقهم: خلق الجنّ. وخرقوا: اختلق الكفّار. والبنون: جمع ابن، كعيسى وعُزير. والبنات: جمع بنت، كالملائكة. والعلم: الإدراك بنص شرعي أو علمي. وسبحانه: تنزيهًا لله. وتعالى: ترفّع وتقدّس. ويصفون: يزعمون من الشرك. ١٠٠ البديع: المُبدِع على غير مثال سابق. والسماوات: ما حول الأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويكون: يحصل. ولم تكن: ليست. والصاحبة: الزوجة. وخلق: أوجد من العدم. والعليم: المحيط كامل الإحاطة. ١٠١

المعنى العام: أن الله يشق الجماد ويخرج النبات والحيوان والإنسان من الكائنات الدقيقة الميتة، ويميت الأحياء، ويخرج النهار من الليل المخلوق للراحة الحقيقية، وجعل الكواكب لتيسير الحساب والاهتداء في التنقل ـ ذلك تقدير الله العزيز العليم. فعجيب أن تنصرفوا عن التوحيد إلى الشرك ـ وأنشأ الناس من آدم، وأنزل الماء لتَنبت الجنات بما فيها من الثمار العجيبة المنتظمة وبعضها متشابه وبعض مختلف ترون نضجه وإثماره. وفي ذلك أدلّة الوحدانية، ولكن بعض الناس يستجيب لمزاعم سحر الجن، ويشركونهم في الألوهية، أو يزعمون أن لله أبناء وبنات، تعالى عما يزعمون. فمُحال أن يكون لله ولد، وكلُّ ما عداه مخلوق، وعلمه محيط بكل شيء.

تفسير المفردات: ذلكم أي: من وُصف بما مضى من القدرات العُظمى في الآيات ٩٥ ـ ١٠٠. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والإلَه: المعبود بحق. والخالق: المنشئ من العدم. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. واعبدوه: قدّسوه وحده. والوكيل: الحفيظ. ١٠٢ لا تدركه: لا تراه. والأبصار: جمع بصر. وهو حاسة النظر. واللطيف: الخفيّ المحتجب لا يحيط به بصر ولا بصيرة. والخبير: العالم بالأسرار والظواهر. ١٠٣ جاءكم: أتاكم. والبصائر: جمع بصيرة، النور تدرَك به الحقائق وتوجِب الوعي. ومن ربكم أي: من عنده وبفضله. وأبصر: وعى واهتدى. والنفس: الإنسان بروحه وجسده. وعمي: عجز عن الإدراك لفساد استعداده. وعليها أي: على نفسه. وما أنا: لستُ، أي: محمد ﷺ. والحفيظ: الرقيب للأعمال والمحاسِب عليها. ١٠٤ كذلك أي: لأجل ما ذكرنا من التبصير بالحق والهداية إلى التوحيد. ونصرّف: نبيّن ونفصّل نحن أي: الله تعالى. والآيات: آيات القرآن الكريم والأدلّة الكونية. ويقولوا أي: الكافرون. ودرستَ: قرأتَ ـ أيها النبي ـ كتب الماضين وأخذت عنهم. ونبيّنه: نوضحه ونفصّله. والقوم: الجماعة من الناس. ويعلمون: يتدبّرون فيفهمون الحق.
١٠٥اتبعْ: تابع بالعمل. وأوحي: أُنزل على لسان جبريل. وأعرض أي: انصرف ولاتخاصم. والمشركون: من جعلوا مع الله شريكًا في الألُوهية. ١٠٦ شاء أي: أراد عدم شركهم. وما جعلناك: ما صيّرناك. وما أنت: لستَ. والوكيل: الذي وَكل الله إليه الأمور يتولّاها ويسيّر المصالح. ١٠٧ لا تسبّوا: لا تشتِموا، أيها المسلمون. ويدعون: يعبد المشركون. ودون الله: غيره. ويسبوا الله أي: يخوضوا في ذكره بما لا يليق به. والعدْو: الاعتداء. والعلم: الإدراك لتمييز الحق من الباطل. وكذلك أي: كما زيّنّا لهؤلاء أعمالهم. وزيّنّا: خلقنا في النفوس المحبةَ. والأمة: الجماعة على دين أو مذهب. والعمل: ما يكتسبه الإنسان من نية وقول وفعل. وإلى ربهم أي: إلى لقاء موعده بالحساب. والمرجع: الرجوع بالبعث. وينبئهم: يخبرهم ويجازيهم. ١٠٨ أقسموا: حلفوا. والجهد: غاية الاجتهاد. الأيمان: جمع يمين، القسَم المغلَّظ. وجاءتهم : أتتهم فشاهدوها. والآية: المعجزة. ويؤمننّ: يصدّقنّ تصديق يقين. وعند الله أي: هو المختص بها ينزلها حين تقتضيها حكمته. وما يشعركم: أيُّ شيءٍ يُعلمكم، أيها المسلمون. وجاءت: أتت وحصلت. ولا يؤمنون: لا يصدّقون. ١٠٩ نقلب: نحوّل ونصرف عن الحق. والأفئدة: جمع فؤاد. وهو القلب. والأبصار: جمع بصر. وبه أي: بالقرآن الكريم. وأول مرّة أي: وقت نزول الآيات الأولى. ونذرهم: نتركهم. والطغيان: الضلالة والبغي. ويعمهون: يتردّدون متحيّرين. ١١٠

الجزء السابع — سورة الأنعام

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ
فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣
قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِيَ
فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ١٠٤ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٠٥
ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٦ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ١٠٧ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ١٠٨ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ
لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا
جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١١٠

المعنى العام: أن الموصوف بالخلق والإنشاء هو الله المتفرد بالألوهية يحفظ كل شيء، لا تحيط به الأبصار في الدنيا، وهو يراها. فقل للناس، أيها النبي: أنزل الله إليكم نورًا للهداية. فالمؤمن يفيد نفسه والكافر يضر نفسه، ولستُ مسؤولًا عن أعمالكم.

ونحن إنما نبينّ تلك البصائر والأدلّة الكونية ونفصّلها للهداية إلى الحق والتوحيد، فيدّعي الكافرون أنك أخذتَها من أهل الكتاب، ويهتدي بها المؤمنون إلى الخير والصواب. فعليك لزوم ما جاءك من الوحي والانصراف عن أحوال المشركين. فإن الله أراد لهم الإشراك، لطلبهم ذلك وفساد اختيارهم واستعدادهم، فصار فيهم ولم يهدهم الله، ولستَ مكلفًا بحسابهم. وعلى المؤمنين ألّا يشتموا معبودات الكافرين، لئلّا يشتم هؤلاء الله بجهلهم عظمتَه. فلقد حببنا إلى كل أمّة ما هم فيه، ولستَ وكيلًا على هؤلاء وحسابهم لله.

وعندما طلب المشركون معجزة ليؤمنوا، وظن المسلمون صدقهم في ذلك، نزلت الآيات بأن المشركين أقسموا أغلظ القسم أن يؤمنوا، ولكنكم - أيها المسلمون - لا تعلمون أنهم لن يؤمنوا، ولو جاءت المعجزات، لِما في نفوسهم من الضلال والإصرار على الكفر والعصيان. فقلوبهم وأبصارهم منصرفة عن الحق، كما هي من قبل، والله يهملهم في الضلال تائهين...

الجزء الثامن سورة الأنعام

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا
شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ
ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ
أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن
تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾
فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

الجزء ٨ الحزب ١٥

تفسير المفردات: لو أي: لو حصل. أنزلنا إليهم: أرسلنا إلى المشركين من السماء. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. وكلّمهم أي: خاطبهم بأمرنا. والموتى: جمع ميت، من فارقته روحه. وحشرنا: جمعنا. والشيء: ما هو موجود. والقُبل: الأفواج، جمع قَبيل. والقَبيل واحدته قَبيلة. وما كانوا أي: ليسوا قاصدين. ويؤمنوا: تعرف قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وإلّا: لكن. ويشاء: يريد إيمانهم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأكثرهم: غالبيتهم. ويجهلون: لا يدرون حقيقة أمرهم. ١١١ كذلك أي: كما جعلنا هؤلاء أعداءك. وجعلنا: أوجدنا. والنبيّ: من كلفه الله بالدعوة والعمل. والعدو: المعادي. والشياطين: جمع شيطان، المتمرد على الطاعة. والإنس: البشر، واحدهم إنسيّ. والجن: مخلوقات من النار، واحدهم جنّيّ. ويوحي: يوسوس. والزخرف: المزخرَف المموَّه من الباطل. والقول: ما يقال. والغُرور: الخداع. وشاء: أراد إيمانهم. والرب: الخالق المالك المتفرد. وما فعلوه، أي: ما قاموا بالكفر والعدوان. وذرهم: اتركهم ولا تُبالِ بهم. ويفترون أي: يختلقونه كذبًا. ١١٢ لتصغى أي: كي تنتبه وتميل. وإليه: إلى كذبهم. والأفئدة: جمع فؤاد. وهو القلب. ولا يؤمنون بالآخرة: ينكرون الحياة للحساب بعد الموت. ويرضوه أي: يَقبلوا ما هم فيه. ويقترفوا: يكتسبوا من السيئات. ومقترفون: مكتسبون من نية أو قول أو فعل. ١٠٣ غير الله: معبود مغاير له. أأبتغي: لن أطلب. والحكم: القاضي عنده الحِكمة والإنصاف. وهو أي: الله تعالى. وأنزل: أوحى على لسان جبريل. والكتاب: القرآن الكريم. والمفصل: المبيّن. وآتيناهم: أعطيناهم. والكتاب: التوراة والإنجيل. ويعلمون: يدركون إدراك يقين. وأنه أي: القرآنَ الكريم. والمنزّل: الموحَى. ومن ربك: من عنده وبأمره. والحق: الصدق الثابت. ولا تكوننّ: لا تصيرنّ. والممترون: الشاكّون. ١١٤ تمت: بلغت الغاية في الكمال. والكلمة: الأحكام والمواعيد. وصدقًا وعدلًا أي: صادقة في الأخبار والمواعيد للطائعين والعاصين، وعادلة في الأحكام. والمبدِّل: المغيِّر والمُحرِّف. والسميع والعليم: مبالغتان مِن السمع والعلم. ١١٥تطيع: توافق وتجاري. والأكثر: الغالبية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويضلوك: يصرفوك. والسبيل: الطريق الواضح. وإن يتبعون: ما يعتقدون ويتابعون. والظن: التوهم. وإن هم: ليسوا. ويخرصون: يزعمون الأباطيل. ١١٦ أعلم: أكثر علمًا مما سواه. ويضل: ينصرف. وسبيله: طريق دين الله. والمهتدون: المسترشدون إلى الحق. ١١٧ كلوا أي: تناولوا للغذاء والمتعة. وذكر: لُفظ. وعليه أي: على ذبحه. والآيات: نصوص القرآن وأدلّة التوحيد والبعث. والمؤمنون: المصدقون يقينًا. ١١٨

المعنى العام: متابعة وصف أهل الكفر بأنهم لا يفيدهم حصول المعجزات التي اقترحوها، حتى لو جُمع لهم كل شيء، إلّا إذا أراد الله إيمانهم، لأن الإيمان والكفر هما بمشيئته وقدره، لمن يستحق ذلك بحسب استعداده واختياره المتأصل. وليست عداوة هؤلاء لك غريبة ـ أيها النبي ـ إذ كان لكل نبي أمثالهم في التضليل، بمشيئة الله، وعليك الانصراف عنهم، ليتبعهم أمثالهم المنحرفون فيغتروا بهم ويرتكبوا الجرائم والعصيان.

وعندما طلب المشركون حَكَمًا بينهم وبين النبي نزلت الآيات ١١٤ - ١١٦ بأمر النبي إعلامهم أنه لن يطلب حكمًا غير الله، وهو أوحى القرآن مفصلًا، وأهل الكتاب يعلمون ذلك علم اليقين، كما نُهي عن الشك في علمهم أن القرآن من عند الله. فقد تحققت أحكام الله ومواعيده، ولو أطعتَ أكثر الناس ـ أيها النبيّ ـ لأضلوك بأوهامهم والأباطيل. فحسبك أن الله عليم بأحوال الجميع.

ولَمّا جادل المشركون في أكل الميّت من الحيوان، بقولهم للمؤمنين: «ما قتل اللهُ أحق أن تأكلوه مما قتلتم» نزلت الآيات ترد مزاعمهم، بتفصيل أحكام ذلك. فللمؤمنين إباحة الأكل مما يُذكر اسم الله عليه حين ذبحه، إن كانوا موقنين بما أوحى وبالأدلة.

تفسير المفردات: ما لكم: أيُّ شيء لكم؟ أيها المسلمون. وألّا تأكلوا: في عدم الأكل. وذكر اسم الله عليه أي: لُفظ اسمه حين الذبح. وفصّل لكم: بيّن لأجلكم وأوضح. وحرّم: منع. واضطررتم إليه: أُلجئتم بقوة إلى أكله. والكثير: العدد الوافر من الناس. ويُضلون: يصرفون غيرهم عن الحق. والأهواء: جمع هوى، ميل النفس إلى ما تشتهيه. وبغير علم: بشيء من الجهل لا صلة له بالعلم. والرب: الخالق المالك المتفرد. وأعلم: أكثر إحاطة من جميع الخلق. والمعتدون: المتجاوزون للحلال إلى الحرام. **١١٩** ذروا: تجنّبوا واحذروا. والظاهر: ما تقوم به الأعضاء. والإثم: الذنب والمعصية. والباطن: ما يُنوى بالقلب كالرياء والحسد والكبْر. ويكسبون: يعملون ويحصّلون. وسيُجزَون: لا بد أن يعاقَبوا. وبما يقترفون: بسبب ما يرتكبون من المعاصي. **١٢٠** لا تأكلوا: لا تتناولوا للغذاء أو المتعة. وعليه أي: حين ذبحه. وإنه أي: الأكل من المحرّم. والفسق: خروج عن الطاعة. والشياطين: المفسدون من الإنس أو الجن، جمع شيطان. ويوحون: يوسوسون. والأولياء: جمع ولي، مَن يطيع الشيطانَ. ويجادلوكم: يخاصموكم بالشبهات. وأطعتموهم: استجبتم لمزاعمهم. ومشركون: جاعلون بعض المخلوقات شريكًا لله. **١٢١** أوَمن: وليس الذي. الميت: من عَطّل عقله كالفاقد للحياة. وأحييناه: بعثنا في عقله الاستعداد للتفكر والاهتداء، بسبب ما لديه من استجابة للحق. وجعلنا: خلقنا. والنور: ما يضيء فيتبيّن به الخير من الشر. ويمشي به: يهتدي بالنور. وفي الناس: فيما بينهم. والمَثَل: ذات الشيء، أي: كمَن ذاتُه في الظلمات. والظُّلْمة: السواد تضيع فيه معالم الخير والشر. وبخارج أي: متخلّصًا. وكذلك: كما زُيّن للمؤمنين الإيمان. وزُين: جعل مما تعشقه النفوس. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ويعملون: يكتسبونه من نية وقول وفعل. **١٢٢** كذلك: كما زُيّن للكافرين عملهم. وجعلنا: صيّرنا. والقرية: البلدة. وأكابر: كِبار، جمع أكبر، أي: رؤساء. والمجرمون: الذين يرتكبون الجرائم. ويمكروا: يكيدوا ويخدعوا. والنفوس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بجسمه وروحه. وما يشعرون: ما يحسّون بذلك. **١٢٣** جاءتهم: نزلت إليهم. والآية: البرهان على صدق النبي. وقالوا أي: جاهروا بالقول. ولن نؤمن: لن نصدّق الدعوة. ونؤتى: نعطى. والمِثل: المماثل من الوحي. وأُوتي: أُعطي. والرسل: جمع رسول، مَن كلّفه الله بالدعوة والعمل. وأعلم: عالم كامل العلم. وحيث: مكان. ويجعل: يضع. والرسالة: ما يكلّف به الرسول. وسيصيب: لا بدّ أن ينال. وأجرموا: ارتكبوا جرائم الكفر. والصَّغار: الذلّ. وعند الله أي: في حكمه وقضائه. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: العظيم. وبما يمكرون: بسبب خداعهم وفجورهم. **١٢٤**

الجزء الثامن — سورة الأنعام

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ
بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ
أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾
أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

المعنى العام: لا ما نع لكم - أيها المؤمنون - أن تأكلوا مما ذُكر اسم الله عليه حين ذبحه لأنه مباح - وقد فصّل الله لكم المحرَّم عليكم - ومما أُجبرتم على أكله أيضًا من المحرمات. وكثير من الناس يُضلون غيرهم بالباطل. فاتركوا المعاصي ظاهرة وخفيّة، لأن المذنبين سيجازَون، ولا تأكلوا مما مات أو ذُبح على اسم غير الله، لأن الأكل منه معصية يوسوس بها المفسدون، وطاعتهم من الشرك.

وليس من أحيا الله قلبه بنور الهداية كالذي يعيش في الباطل. وقد حُبّب للكافرين عملهم، وكذلك جعل الله في كل بلد مجرمين كبارًا يُضلون الناس، ويفسدون أنفسهم ولا يشعرون. فهم أحط من البهائم.

وعندما قال بعض زعماء قريش عن النبي ﷺ: «لو كانت النبوة حقًّا لكنّا أولى بها لأننا أكبر وأغنى، ولا نؤمن حتى يأتينا وحي كما يأتيه»، نزلت الآيات بأن الله يعلم مكان جعل رسالته أي: من يستحق أن يكلفه بها. وسيكون للمجرمين ذلة عند الله وعذاب شديد جزاء مكرهم وخداعهم.

الجزء الثامن — سورة الأنعام

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ
أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ
فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ
وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم
مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ
أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ
رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ
أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

ربع الحزب ١٥

تفسير المفردات: يريد: يقضي ويقدّر. والله: المعبود بحق وحده والواجب الوجود، المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد. ويهديه: يوجه قدراته إلى الهداية. ويشرح: يوسّع للتصديق. والصدر: ما بين البطن والعنق، والمراد هو القلب. والإسلام: دين الله. ويضله: يصرف قدراته إلى الضلال. ويجعل: يصيّر. والضيّق: الشديد التحجر، لا ينفذ إليه رشاد. و الحرَج: الشديد الضيق. ويصّعّد: يتعلّى ويتكلف الصعود بمشقة. والسماء: ما يحيط بالأرض من مخلوقات علوية. وكذلك: مثلَ ذلك الجعل. والرجس: العذاب. ولا يؤمنون: يكفرون بالتوحيد والبعث. **١٢٥** هذا أي: الدين الإسلامي. والصراط: الطريق الواضح. والرب: الخالق المالك المتفرد. والمستقيم: المعتدل لا اعوجاج فيه. وفصلنا: بيّنّا. والآيات: الأحكام والأدلة على التوحيد. والقوم: الجماعة من الناس. ويذّكّرون: يتذكّرون أي: يستحضرون آيات القرآن والأدلة ويتدبرون ليدركوا الحق. أُدغمت التاء في الذال. **١٢٦** الدار: مكان الإقامة والاستقرار. والسلام: السلامة والطمأنينة. وعند ربهم أي: يوم القيامة في المنزلة المقرّبة. ووليهم: مُواليهم وناصرهم. وبما يعملون: بسبب ما يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. **١٢٧** اليوم: الوقت وما فيه من الأهوال. ويحشرهم: يجمعهم الله بالبعث للحساب. وجميعًا: مجتمعين كلهم. والمعشر: الجماعة. والجن: واحدهم جنّيّ، مخلوقات من النار. واستكثرتم: أضللتم كثيرًا. والإنس: البشر، واحدهم إنسيّ. والأولياء: جمع وليّ. وهو العابد المطيع للشياطين. وربّنا: يا ربّنا. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. واستمتع: انتفع. والبعض: الواحد أو الأكثر. وبلغنا: أدركنا. والأجل: الوقت المحدّد. وأجّلت أي: عيّنته وحدّدته. وقال أي: الله على لسان الملائكة. والنار: نار جهنم. والمثوى: مكان الإقامة. وخالدين: مقيمين أبدًا. وشاء أي: أراده وقدّره. والحكيم والعليم: صفة مشبهة ومبالغة اسم الفاعل من الحِكمة والعلم. **١٢٨** كذلك: كما متّعنا بعضهم ببعض. ونولّي: نحكّم ونسوّد. والظالمون: الكافرون والعُصاة. وبما يكسبون: بسبب ما يعملونه من نية أو قول أو فعل. **١٢٩** ألم يأتكم أي: لقد جاءكم فعلًا. والرسل: جمع رسول لتبليغ الدعوة. ومنكم: من أقوامكم. ويقصون آياتي: يتلونها مع التوضيح. والآيات: النصوص التي أُوحيت. وينذرونكم: يُعلِمونكم ما يكون من العذاب. واللقاء: الحضور. وهذا أي: الذي أنتم فيه. وشهدنا: أقررنا. والأنفس: جمع نفس. وغرّتهم: خدعتهم. والحياة أي: بزخارفها والشهوات. والدنيا: القريبة كانوا يعيشون فيها. والكافرون: المكذّبون للتوحيد والبعث. **١٣٠** ذلك أي: إرسال الرسل. وأن لم يكن أي: حاصل لأنه ما كان. والمهلك: المدمِّر. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. وبظلم أي: بسبب كفرها والعصيان. وأهلها: سكّانها. والغافلون: من تُركوا بغير تبشير وإنذار. **١٣١**

المعنى العام: أن الذي يريد الله هدايته بسبب صلاحه يشرح قلبه للدين الإسلامي، والذي يريد إضلاله من الكافرين بسبب سوء نفسه يضيّق صدره كمن يصعّد بجسمه في السماء، فهو يزاول أمرًا عسيرًا عليه جدًّا، وكذلك يكون عذاب الكافرين في الدنيا والآخرة.

وقد جاء الإسلام معتدلًا مفصّلًا للمتعظين، ولهم نعيم الآخرة وعطف الله جزاء إحسانهم.واذكر للناس - أيها النبي ـ وعظًا وتهديدًا ما يكون يوم حشر الإنس والجن، ويقال للكافرين منهم على لسان الملائكة: «لقد أضل بعضكم بعضًا وتمتعتم بالشهوات والمكاسب»، ويعترفون بضلالهم والإيمان حينذاك بالبعث، فيقال لهم: ملجؤكم الآن هو النار خالدين فيها بمشيئة الله.

وكما تمتع المجرمون المذكورون هنا من قبل يترأس بعض الظالمين بعضًا بسبب جرائمهم، ويوبَّخون بذلك يوم القيامة، وبتكذيبهم الرسل المنذِرين لهم من البشر والناقلين عنهم من الجنّ، فيشهدون على أنفسهم بالكفر. وإنما تكون الرسل في الدنيا لكيلا تدمّر ديار الظالمين الغافلين ولا يعذّبوا بدون تنبيه وإنذار.

تفسير المفردات: لكلٍّ أي: لكل مكلَّف من الناس. والدرجة: المرتبة تناسب من يستحقها. ومما عملوا: بسبب ما اكتسبوا نية أو قولًا أو فعلًا. وما ربك: ليس الله. وبغافل أي: ساهيًا تخفى عليه مقادير الأعمال. ويعملون: يكتسبونه. **١٣٢** الغني: المستغني بذاته دون معين. وذو الرحمة أي: صاحبها المتفرد بها. والرحمة: العطف بالإحسان على جميع الخلق. ويشاءُ أي: يريد إذهابكم. ويذهبكم: يهلككم بالاستئصال. ويستخلف: ينشئ خلفًا لكم. وما يشاء أي: ما يريد استخلافه من المخلوقات. وأنشأكم: أوجدكم. والذرّيّة: السُّلالة. والقوم: الجماعة من الناس. وآخرون: مغايرون لكم أهلكهم. **١٣٣** ما توعدون: الذي تهدّدون به من العذاب. والآتي: الواقع حتمًا في وقته المعيّن. وما أنتم: لستم. وبمعجزين: ناجين من العذاب. **١٣٤** قل أي: لمشركي قريش مهدّدًا، أيها النبيّ. ويا قوم: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. واعملوا: تصرّفوا. والمكانة: طريقة الاعتقاد. وعامل أي: مستمر في العمل على طريقة اعتقادي. وسوف تعلمون: لا بدّ أن تدركوا. وتكون: تصير. والعاقبة: النهاية المحمودة. والدار: دار الآخرة. وإنه أي: إنّ الشأن والأمر. ولا يفلح: لا يسعد في الدنيا والآخرة. والظالمون: الكافرون. **١٣٥** جعلوا: صيّر الكافرون. ومما ذرأ: بعض ما خلق الله. والحرث: الزرع. والأنعام: ما يرعى من الإبل والبقر والشاء، مفرده نَعَمٌ. والنصيب: القدر المحدّد. ولله أي: حقه. وبزعمهم أي: مع الكذب والباطل. والشركاء: جمع شريك، ما جعلوه مشاركًا لله في التقديس والطاعة. وكان: صار. ولا يصل: لا يوجَّه. وساء: تجاوز الحد في السوء والشر والفساد. ويحكمون: يضعونه من الأحكام الباطلة. **١٣٦** كذلك أي: كما زيَّن الشياطين ما ذُكر قبل. وزيّن: زخرف وحبّب. والكثير: العدد الوافر جدًّا. والمشركون: من يعبدون مع الله بعض المخلوقات بالتقديس والطاعة. والقتل: إزهاق الروح من الجسد بالوأد. والأولاد: جمع ولد من الذكور والإناث. ويُردوهم: يهلكوهم بفقد الولد وعذاب جهنم. ويلبسوا: يُدخِلوا الباطل والضلال والشك. ودينهم أي:الدين الذي ورثوه عن أبيهم إبراهيم. وشاء: أراد عدم فعل المزيِّنين والمشركين. وما فعلوه أي: ما زيَّن الشركاء قتل الأولاد، وما قتل المشركون أولادهم. وذرهم أي: اتركهم بلا خصام ولا قتال ولا تَشغل نفسك بهم. وما يفترون: مع ما يختلقونه من الباطل والإجرام. **١٣٧**

سورة الأنعام　　　الجزء الثامن

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا
تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ
نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ
فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ
سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ
شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

المعنى العام: أن للناس درجات عند الله في الدنيا والآخرة تناسب أعمالهم، وليس الله غافلًا عنها وعما تستحقه، يقدّر لهم جزاءهم وهو في غنى عنهم ويعطف برحمته على المؤمنين والتائبين وغيرهم. ولو أراد عقابكم بالاستئصال لأهلككم - أيها الكافرون - وخلق مكانكم غيركم كما أنشأكم ممن هلكوا، ثم إن ما هدّدكم به سيقع بكم حتمًا فلا تنجون منه. فقل لهم مهدّدًا، أيها النبيّ: اثبُتوا في أعمالكم على عقيدة الكفر والعداوة، إن شئتم، وأنا ثابت على عقيدة الإيمان والصلاح، وسوف نرى جميعًا: من الفائز في الآخرة؟ مع العلم أنه لا يفوز الظالمون.

وكان المشركون يجعلون بعض أموالهم من الزرع والأنعام للضيوف والمساكين تقرّبًا إلى الله، وبعضًا لخدمة الأصنام، يزعمون بالباطل أن ذلك هو الشرع. فما كان من نصيب الضيوف والله قد يُضمّ إلى نصيب الأصنام، والعكس لا يكون. فما أسوأ ما حكموا به واتخذوه شرعًا لهم! وكما حبّب الشياطين لهم القسمةَ بين الله والأصنام، وجعْلَ الأصنام شركاء له، حبّبوا لكثير منهم دفن البنات خوف السبي والفقر، وذبحَ البنين تقربًا إلى الأصنام أو لدفع الفقر أيضًا. وبذلك أهلكوهم وأدخلوا في دين إبراهيم الأباطيل والضلالات، وصرفوهم عن التوحيد وجعلوهم مشركين.

ولو أراد الله منع ذلك ما قاموا به. فدعهم مع أباطيلهم - أيها النبي - بلا جدال ولا اهتمام، وتوجّه إلى واجبات الدعوة والإرشاد، لأنك رسول تبلغ ولست مسؤولًا عن ضلالهم، والله يعلم جميع أقوالهم وأعمالهم، وهو سيحكم بينكم في الدنيا والآخرة...

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن
نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ
ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ
خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن
مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ
سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ
قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَٰبِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ
حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

نصف الحزب ١٥

تفسير المفردات: قالوا أي: المشركون في أباطيل حكمهم. وهذه أي: ما جعلوه نصيب أصنامهم في الآية ١٣٦. والأنعام: جمع نَعَم، ما يرعى من الإبل والشاء والبقر. والحرث: الزرع. والحِجر: الحرام. ولا يطعمها: لا يأكل لحمها أو لا يتذوقها. ومن نشاء: من نريد أن يطعمها. وبزعمهم: مع الكذب والباطل. وحُرِّمت: جُعلت محرّمة. وظهورها أي: ركوب ظهورها. ولا يذكرون: لا يلفظون عند ذبحها. وافتراء عليه أي: كذبًا على الله بأنه هو شرعَ ذلك. وسيجزيهم: لا بد أن يعاقبهم. وبما يفترون: بسبب ما يَكذبون. ١٣٨ البطون: جمع بطن، الأرحام التي تحوي الأجنّة. والخالصة للذكور: المخصصة بالرجال. والمحرَّم: الممنوع شرعًا عندهم. والأزواج: جمع زوج، الزوجات. ويكن أي: يحصل ويقع. والميتة: الفاقد للحياة. وهم أي: الذكور والإناث معًا. وفيه أي: في الميتة من المولود. والشركاء: المشتركون في الأكل، جمع شريك. والوصف: ما وضعوه أحكامًا من أباطيل. والحكيم والعليم: صفة مشبهة ومبالغة اسم الفاعل من الحكمة والعلم. ١٣٩ خسر: ضيّع الخير والرِّبح. وقتلوا: أزهقوا الأرواح بالوأد والذبح. والأولاد: جمع ولد من الذكور والإناث. والسفه: الجهل. والعلم: المعرفة الحقيقية. ورزقهم: هيّأ لهم من المتاع. والافتراء: الكذب. وضلّوا: انحرفوا عن طريق الحق. والمهتدون: المسترشدون للصواب. ١٤٠ أنشأ: خلق. والجنات: البساتين والحدائق، جمع جَنّة. والمعروشات: المرفوعات على عريش كالأعناب. وغير المعروشات: المرتفعات على سوقها. والنخل: الشجر ثمره التمر. والزرع: ما يُزرع. والمختلف: المتباين المتباعد في طعمه من المزروعات. وأُكله: ما يؤكل. والزيتون: الحبّ الذي يكون منه الزيت المشهور. والرمان: ما كان فيه حب متراكب منظم منه الحلو والحامض وبينُ بينٍ. والمتشابه: ما يشبه بعضه بعضًا، يقاربه أو يماثله. وكلوا: تغذّوا وتمتّعوا. والثمر: ما ينعقد عن الزهر، واحدته ثمرة. وأثمر: ظهر ثمره قبل أن ينضج. وآتوا: أدّوا إلى المستحق من الناس. والحق: ما يجب أداؤه عن المال ليتطهر هو وصاحبه. واليوم: الوقت. وحصاده: بلوغ الثمر وقت قطعه لنضجه. ولا تسرفوا: لا تتجاوزوا حد الاعتدال في العطاء والأكل. وإنه أي: الله تعالى. ولا يحب: يبغض ويعذب. ١٤١ الحمولة: ما يُحمل عليه من الإبل. والفرش: ما يدنو جسمه من الأرض لصغره فلا يُركب ولا يُحمل عليه. ورزقكم: أعطاكم ويسّر لكم. ولا تتبعوا: لا تتابعوا ولا توافقوا. والخُطُوات: الطرق. والشيطان: من يوسوس بالباطل ويغري به من الجن أو الإنس. والعدو: المعادي. والمبين: البيّن العداوة. ١٤٢

المعنى العام: متابعة ما كان عند المشركين من أحكام في الإبل، بأنهم فصّلوا هنا حكم نصيب الأصنام منها، فجعلوه ثلاثة أقسام: بعض الإبل لا يأكل منها إلّا من يشاؤون له ذلك، من مثل خدمة الأصنام وآخرين، وبعض حُرِّمت ظهورها لا يحل الركوب عليها ولا أن تحمّل شيئًا، وبعض لا يُذكر اسم الله حين ذبحها ولا يحجّون عليها. وكل ذلك افتراء منهم على الله ولهم جزاؤه في الدنيا والآخرة. ثم للأكل منها أحكام أُخرى عندهم، فما ولد حيًّا من بطون المحرّمات يأكله الرجال وحدهم، وما ولد ميتًا يأكله الرجال والنساء معًا. وسيجزيهم الله على ما زعموا، وهو عقاب بحكمته وعلمه. فقد خسروا في حياتهم أنهم قتلوا أبناءهم: الإناث بالوأد والذكور بالذبح للأصنام، وحرّموا بعض الرزق وحللوا بعضه جهلًا من دون شرع، أو علم قاطع.

والله خلق من النبات ما كان منبسطًا على العرائش، وما ارتفع بسوقه وأغصانه، وفيه أنواع الثمار، من النخيل والزيتون والرمّان... وهي متشابهة في الطعم والهيئات ومختلفة، وللناس التغذي بها والتمتع وبذل ما يكون من صدقاتها حين قطافها لمستحقيه، دون إسراف في الحالين، واستخدامُ ما يُركب وما لا يركب مما رزقهم الله، مع وجوب مخالفة أحكام عدوّهم الشيطان والجاهلين المبطِلين...

تفسير المفردات: الأزواج: الأصناف، جمع زوج. وهو المخلوق معه آخَرُ من جنسه يحصل منهما نسل. والضأن: مفرده ضائن وضائنة. وهو ذو الصوف من الغنم. والمعز: مفرده ماعز وماعزة. وهو ذو الشعر من الغنم. وقل أي: للمشركين، أيها النبيّ. وآلذكرين حرّم أي: أحرّمَ الله الذكرين منهما؟ والأُنثيان: اللتان تحملان الأجنّة. وأم ما اشتملت عليه أي: أم ما احتوته. والأرحام: جمع رحِم، وعاء الجنين في البطن. ونبّئوني: أخبروني. وبعلم أي: مصاحبِين معرفة بالإخبار عن الله. والصادقون: من يقولون الحق. ١٤٣ الإبل: الجِمال والنوق. والبقر: الحيوان الذي تُشق الأرض بجره المحاريث وتُثار به ويُشرب لبنه ويُتغذى بلحمه. وأم كنتم شهداء أي: بل ليس لكم شهادة بحق على ذلك. والشهداء: جمع شهيد. وهو الحاضر المُشاهد لما يكون. وإذ وصاكم: حين أمركم كما تزعمون. وبهذا أي: التحريم المذكور قبل. ومن أظلم: لا أحد أكثر كفرًا ومجانبة للحق. وافترى: كذب واختلق. والكذب: الباطل. ويُضل: يَصرف عن طريق الحق إلى الضلال. والناس: البشر في تلك البلاد والأعوام. والعِلم: المعرفة اليقينية. ولا يهدي: لا يصرف قدراته إلى طريق الحق، لما فيه من اختيار للضلال واستعداد سيئ، ويتركه فيما يناسب نفسه الخبيثة. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: المصرّون على الكفر. ١٤٤ لا أجد: لا أرى. وأوحي: أُنزل على لسان جبريل ويُسّر حفظه وتبليغه وبيانه. والمحرّم: الممنوع شرعًا. والطاعم: الإنسان يتغذى بالشيء. ويكون أي: الحيوان المباح أكل لحمه. والميتة: الدابة فارقتها الحياة من دون ذبح شرعي. والدم: ما يجري في عروق الحيوان ويسيل حين الذبح. والمسفوح: السائل. واللحم: ما يكون بين الجلد والعظم. والخنزير: الحيوان الأهلي والبري المعروف بشناعته وقذارته. وإنه أي: أكل ما ذكر من المحرّمات. والرجس: الحرام. والفسق: المذبوح بخروج عن طاعة الله. وأُهلّ: رُفع الصوت عاليًا. ولغير الله أي: لأجل المعبودات المخلوقة. وبه أي: في وقت ذبحه. واضطر: ألجأته الضرورة. والباغي: المخالف للحق. والعادي: المجاوز للحاجة. والغفور: الكثير الستر والعفو عن الذنوب. والرحيم: الكثير العطف بالفضل على المؤمنين. ١٤٥ هادوا: تحرّوا دين اليهودية. وحرّمنا: منعنا الأكل من لحم. وذو الظفر: ما لم تتفرّق أصابعه وفيها أظافر. والغنم: ذو الصوف والشعر من الضائنة والماعز. والشحوم: جمع شحم. وهو الجزء الأبيض في اللحم. وما حملت أي: ما علق بها من الشحم. والظهور: جمع ظَهر، الطرف الأعلى من الحيوان. والحوايا: الأمعاء، جمع حاوية. واختلط بعظم أي: تدخّل بين أجزائه. وذلك أي: التحريم على اليهود. وجزيناهم: عاقبناهم به. والبغي: الظلم والعدوان. وصادقون أي: ما نقوله صدق وحق لا شك فيه. ١٤٦

سورة الأنعام — الجزء الثامن

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ
قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾
وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ
فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا
ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

المعنى العام: متابعة ما ذكر من أحكام الجاهليين في الأنعام، بأن ما ذُكر من الحَمولة يشمل ثمانية أصناف من الغنم والمعز والإبل والبقر. فاسألهم، أيها النبي: ما هو المحرّم منها؟ آلذكورُ من كل صنف أم الإناث أم الأجنّة في البطون؟ ليذكروا جواب ذلك في حال صدق ما يزعمون. بل ليس لهم حضور أو علم لما زعموه من الباطل، إذ لا أصل حقيقيًّا له ولا توصية لله به حتى يكون عليه شهداء. ما حرّم الله شيئًا من هذا، ولا عِلم لكم بشيء منه، ولا أحد أظلم منهم بسبب ما يكذبون على الله ليصرفوا الناس إلى الكفر، والله لا يهديهم بسبب ما يصرون عليه من الكفر.

وقل لهم: «إنما المحرَّم هو لحم ميت الحيوان المباح، ودمه السائل منه، ولحم الخنزير وما ذبح للأصنام. وللمضطر يباح شيء من هذا، إذا أطاع الأمر ولم يتجاوز حد حاجته، والله غفور رحيم بالمؤمنين». وقد حرّم أيضًا على اليهود بظلمهم وبغيهم لحم الإبل والنعام، وشحوم البقر والغنم، إلّا ما كان منه ملتصقًا بالظهور والأمعاء وما تدخّل بين أجزاء عظم الألْية والجنب وأمثال ذلك. وهذا التحريم كان جزاء لهم على البغي والظلم، وهو الحكم الحق الذي لا شك فيه.

تفسير المفردات: كذّبوك: اتهموك ـ أيها النبي ـ باختلاق الأحكام. وقل أي: لهم. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه.والرحمة: العطف بالإحسان إلى الجميع. والواسعة: التي تحيط بكل شيء وتشمله بالرعاية. ولا يُردّ: لا يُمنع. والبأس: الشِّدّة في العقوبة. والمجرمون: الذين يرتكبون الكبائر. **١٤٧** سيقول أي: لا بدّ أن يقول. وأشركوا: عبدوا مع الله بعض خلقه بالتقديس. وشاء: أراد عدم إشراكنا وعدم تحريمنا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق والواجب الوجود، المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والآباء: جمع أب. وهو الوالد والجدّ. ولا حرّمنا: ما جعلنا محرّمًا. والشيء: ما هو حاصل. وكذلك أي: كما كذّب هؤلاء الدعوة الربّانية. وقبلهم: قبل زمانهم. وذاقوا: أصابهم وكابدوا. والعلم: الشيء المعلوم حقًّا. وتخرجوه: تظهروه. وإن تتبعون إلّا الظن: ما تنقادون إلّا إلى التوهّم. وإن أنتم: لستم. وتخرصون: تكذبون فيما ادّعيتم على الله. **١٤٨** الحجة: الدليل والبرهان. والبالغة: التي بلغت حد الكمال. وشاء: أراد هدايتكم. وهداكم: أرشدكم إلى الإيمان ووفّقكم فيه. وأجمعين أي: كلّكم مجتمعين. **١٤٩** هلمّ: أحضِروا وقدّموا. والشهداء: جمع شهيد. ويشهدون: يخبرون خبرًا قاطعًا بعلم. وحرّم هذا: منع ما حرّمتموه. وشهدوا أي: جاء من يشهد للكافرين. ولا تشهد معهم: لا تصدّق مقالهم

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟
لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا
قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ
تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ
شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ
إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

ربع الحزب ١٥

ودُم على اعتقادك اليقيني بكذبهم. ولا تتبع أهواءهم: لا توافقها. والأهواء: جمع هوى. وهو ميل النفس إلى ما تشتهيه. وكذّبوا: أنكروا. والآيات: النصوص القرآنية وما فيها من أحكام. ولا يؤمنون: يكفرون وينكرون.والآخرة: يوم القيامة للحساب والجزاء. ويعدلون بربهم: يجعلون لله مثيلًا في الألوهية. **١٥٠** تعالَوا: هلمّوا وتقدّموا. وأتل: أقرأ. وما حرّم أي: ما شرع تحريمه. ولا تشركوا به: لا تجعلوا له مشاركًا في الألوهية. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده أو متوهّم. والوالدان: الأب والأم، والجدّ والجدّة. وإحسانًا أي: برًّا وإكرامًا في القول والفعل. ولا تقتلوا: لا تزهقوا الأرواح. والأولاد: جمع ولد من ذكر أو أُنثى. ومن إملاق: بسببه أي: خوف الفقر. ونرزقكم: نعطيكم وننيسّر لكم ما تكون به الحياة. ولا تقربوا الفواحش: لا تدنوا منها ولا تقوموا بها، أي: تجنّبوها وما يتعلق بها مع الإنكار. والفواحش: جمع فاحشة. وهي ما عظُم قبحه من نية أو قول أو فعل. وظهر: انكشف للآخرين. وبطن: اختفى عنهم. والنفس: النفس الإنسانية. وحرّم: منع قتلها. وبالحق: مع الحكم الشرعي. وذلكم أي: المذكور من الأمور الخمسة في الآية. ووصاكم: أمركم وفرض عليكم. ولعلكم أي: ليُترجّى لكم. وتعقلون: تتدبّرون وتتأمّلون بعقولكم هذه التكاليف، وتتبيّنون فوائدها في الدنيا والآخرة لتعملوا بها. **١٥١**

المعنى العام: عندما ذكر الرسول ﷺ للمشركين ما حرّمه الله على المسلمين واليهود كذبوه، فنزلت الآيات بأن يذكر لهم رحمة الله وتحقيق انتقامه من المجرمين، وبأنهم سينسبون كفرهم وشركهم إلى إرادة الله، وليس عندهم دليل على ما يزعمون. وقد ادّعى ذلك مَن قبلهم فنزل بهم عذاب الله. ثم ليُحضر المشركون ما يؤيد زعمهم، إن كان عندهم منه شيء، ولله الأدلة والبراهين على التوحيد والبعث والأحكام الشرعية، بإنزال الكتب وإرسال الرسل، وخلق العجائب الباهرة في الكون والحياة، وقد ترك الكافرين على ما هم عليه لأنهم مكابرون. فليحضروا الشهداء على دعواهم إن كانوا صادقين، ولا يجوز اتّباعهم حين يشهدون، لأنهم كاذبون ومشركون، بل وضِّحْ لهم فساده وبطلانه، واثبُت على ما أنت عليه، وأخبرهم ما هو محرّم فعلًا على الناس جميعًا. والمحرّمات حتى الآية ١٥٣ هي إحدى عشرة: الشرك بالله، وعدم الإحسان إلى الوالدين، وقتل الأولاد بوأد البنات وذبح الأبناء، والقرب من الفواحش، وقتل النفس بغير حق، وأكلُ... وعدمُ اتّباع الصراط المستقيم، واتباعُ الضلالات. وقد فرض الله ذلك لمصلحة المخاطَبين بالتعقل والصلاح...

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ
وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ
ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ
أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ
رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ
وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ
عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ
﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ
فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

تفسير المفردات: لا تقربوا: تجنّبوا ولا تنفقوا. والمال: ما يُملك من المال والمتاع والزينة. واليتيم: الطفل فقدَ والده. والتي هي أحسن: المعاملة الأكثر حسنًا ونفعًا. ويبلغ: يدرك. والأشُدّ: جمع شِدّة، استحكام قوة الشباب. وأوفوا الكيل: أدّوا بالتمام كيل ما تبيعونه. والميزان: وزن ما تزنون. والقسط: العدل. ولا نكلف: لا نوجب ولا نحمّل. والنفس: المخلوق الحي. والوسع: ما يستطيعه المكلف ويكون أقلّ من قدرته. وقلتم أي: في حكم. واعدلوا: كونوا عادلين في القول والفعل. ولو كان: وإن كان المقول عليه أو لَه. وذا قربى: صاحب قرابة لكم. وعهد الله: الميثاق المؤكد في تكاليف العقيدة والشريعة، والذي يعاهِد به بعضُكم بعضًا. وأوفوا به: أدّوه كاملًا. وذلكم أي: ما جاء في الآية من أمر ونهي. ووصاكم: أمركم الله وفرض عليكم. ولعلكم أي: ليُترجَّى لكم. وتذكّرون: تتذكّرون أي: تتعظون. حذفت التاء الثانية للتخفيف. **١٥٢** هذا أي: الدين الإسلامي. وصراطي: طريقي الواضح، أي: ديني. والمستقيم: لا عوج فيه ولا التواء. واتّبعوه: التزموه بصدق وإخلاص واعملوا بما يوجبه من أمر ونهي. ولا تتّبعوا أي: تجنبوا وأنكروا. والسبل: جمع سبيل، الطرق المختلفة بالضلال. وتفرّق بكم: تُفرّقكم وتجعلكم جماعات متنازعة. وسبيله أي: سبيل الله. وذلكم أي: اتباع الإسلام وتجنب غيره. وتتقون أي: تتجنّبون طرق الضلال، وتحفظون أنفسكم من عذاب النار. **١٥٣** ثم آتينا أي: وقد أعطينا. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. والكتاب: التوراة. والتمام: الإتمام والاستيفاء للنعمة. والذي أي: مَن اتبع التوراة أيًا كان. وأحسنَ: أجادَ في اعتقاده وعمله. والتفصيل: البيان والتوضيح. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والهدى: الهداية والإرشاد إلى الحق. والرحمة: العطف بالإحسان على بني إسرائيل. ولعلهم أي: ليُترجَّى لهم. ولقاء ربهم: الرجوع إليه يوم القيامة بالبعث. ويؤمنون: يصدّقون ويعتقدون اعتقادًا يقينيًّا. **١٥٤** هذا أي: القرآن الكريم. وأنزلناه: أوحيناه ويسّرنا حفظه وتبليغه وبيانه. والمبارك: الكثير النفع والخير. واتقوا: تجنّبوا الكفر وابتعدوا عنه. وتُرحمون: تكونون أهلًا للعطف وإحسان الله. **١٥٥** أن تقولوا أي: لئلّا تحتجّوا بالقول يوم القيامة اعتذارًا من كفركم. وأُنزل: أُوحي. والكتاب: التوراة والإنجيل. والطائفة: الجماعة. وإنْ أي: قد. ودراستهم: دراسة أهل الكتاب للتوراة والإنجيل. وغافلين: ساهين لا ندري ما هو بلغة غيرنا. **١٥٦** لو أي: لو حصل. علينا أي: بلُغتنا. وكنا أي: صرنا. وأهدى: أكثر رشدًا واستقامة. ومنهم أي: من اليهود والنصارى. وجاءكم: أتاكم وبُلّغتم به. والبيّنة: القرآن الكريم. ومن ربكم: من عنده وبأمره. ومن أظلم: لا أحد أكثر كفرًا ومجاوزة للحق. وكذّب: جحد وهو يعلم صدق ما جحده. والآيات: النصوص القرآنية والأدلة الكونية. وصدف: أعرض. وسنجزي: لا بد أن نعاقب. والسوء: القبيح. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة. وبما كانوا أي: بسبب كونهم. **١٥٧**

المعنى العام: تتمة ما مضى من الأمر والنهي على لسان النبي ﷺ، بتوجيه الناس إلى حفظِ مال اليتيم وإصلاحه بالعمل الكريم، وإلى العدلِ في البيع والقول والحكم مع الأقرباء والبعداء، والوفاءِ بالعهد، والتزامِ الإسلام وحده لئلّا يكون الضلال في السبل المختلفة.

وقد كان لموسى هداية أيضًا وتوجيه إلى الصواب بأحسن ما يكون مع التفصيل والرحمة لتثبيت الإيمان بالبعث، وكذلك جاء القرآن الكريم مباركًا، يجب على الناس اتّباعه لينالوا الرحمة الربانية. وقد أنزله الله لئلّا يعتذر الكافرون العرب بأنهم لم يبلَّغوا ما يجب عليهم ولو بُلِّغوا لكانوا أهدى من أهل الكتاب، وبأنهم يجهلون ما هو بلغة غيرهم. فقد وصلت إليهم الدعوة بلسانهم، وأُلزم العالَمُ كله أحكامَ الشريعة، وسيكون العذاب الشديد لمن يُعرض عنها ولا يستجيب لها.

تفسير المفردات: هل ينظرون: ما ينتظر المشركون. وتأتيهم: تجيئهم بالعذاب. والملائكة: جمع ملَك. ويأتي ربك أي: كما اقترحوا في الآية ٢١ من سورة الفرقان. والبعض: الجزء. ويأتي بعض الآيات: يحدث بعض علامات الساعة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واليوم: الوقت. ولا ينفع: لا يجلب الخير ولا يدفع الشر. والنفس: المخلوق المكلف. وإيمانها: أن تؤمن يقينيًّا حين ذلك. وقبلُ أي: قبلِ مجيء العلامات. وكسبت: استفادت بعمل صالح. وفي إيمانها أي: وهي مؤمنة. والخير: ما يكون نفعه في الدنيا والآخرة. وقل أي: للكافرين، أيها النبيّ. وانتظروا: ترقّبوا ما وُعدتم به. ومنتظرون: مترقبون ذلك أيضًا. **١٥٨** فرّقوا: جعلوا فرقًا. والدين: العقيدة والشريعة. وكانوا: صاروا. والشيع: جمع شيعة، الجماعة على مذهب تتعصب له. ولست منهم أي: أنت بريء مما هم فيه، أيها النبي. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده أو متخيّل. وأمرهم: حسابهم. وإلى الله أي: عائد إليه وحده. وينبّئهم: يخبرهم للحساب والجزاء. ويفعلون: يكتسبونه من نية أو قول أو عمل. **١٥٩** جاء بالحسنة: أتى يوم القيامة مصاحبًا لها. والحسنة: كل عمل حسّنه الله. والأمثال: جمع مِثل. وهو المماثل في المقدار. والسيئة: ما نهى عنه الله. ولا يجزَى: لا يعاقَب. ومثلها: جزاء مثلها. وهم أي: العاملون للحسنات أو السيئات. ولا يظلمون: لا ينقص من حسناتهم شيء ولا يزاد في سيئاتهم. **١٦٠** قل أي: للمشركين، أيها النبيّ. وهداني: عرّفني الهداية ووفقني فيها. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. والقيم: ذو القيمة العالية. والملة: الدين والشريعة. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. والحنيف: المائل عن الضلالة إلى الاستقامة. والمشركون: من يجعلون مع الله معبودًا من المخلوقات. **١٦١** الصلاة: العبادة المكتوبة في اليوم خمس مرات. والنسك: التقرب بالعبادة نية وعملًا. ومحياي ومماتي أي: خلق حياتي وموتي وما يقع فيهما وبعدهما. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعالَم: الجنس من المخلوقات. **١٦٢** الشريك: المشارك. وذلك أي: التوحيد. وأُمرت: فُرض عليّ. والأول: السابق المتقدم على غيره في زمنه. والمسلم: المستسلم المنقاد لأمر الله. **١٦٣** أغير الله أبغي ربًّا: لا أطلب غيره معبودًا. ولا تكسب: لا تعمل إثمًا باختيار وقصد. ولا تزر: لا تحمل إثمًا. والوازرة: الآثمة. والوزر: الذنب. والأُخرى: المغايرة للآخَرينَ. وإلى ربكم أي: إلى لقاء موعده بالبعث والحساب. والمرجع: الرجوع بالبعث. وفيه تختلفون: تختصمون بسببه من أمور العقيدة والشريعة والعمل. **١٦٤** جعلكم: صيّركم. والخلائف: جمع خليفة، يخلف بعضهم بعضًا. ورفعَ: جعل أرفع وأعلى. والبعض: الواحد أو الأكثر. ودرجات: مراتب. ويبلوكم: يعاملكم معاملة من يمتحنكم. وآتاكم: أعطاكم من النعم والمحن. والسريع: ينقضي بسرعة. والعقاب: أي: عقابه. وغفور ورحيم: مبالغتا اسم الفاعل من الغفران والرحمة، أي: ستر الذنوب والعفو عنها، والعطف بالإحسان والفضل على المؤمنين. **١٦٥**

الجزء الثامن — سورة الأنعام

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

المعنى العام: أن المكذبين ينتظرهم ملائكةُ الموت ويومُ القيامة، وعندما يحصل ذلك لا يفيدهم الإيمان حينئذ لأنه إيمان اضطرار ليس فيه عمل خير. فلينتظروا ذلك البلاء. ولستَ - أيها النبي - في شيء من دين هؤلاء المتفرقين المتخاصمين جماعات، كل منها تتشيع لزعيم وتخاصم، والله يحاسبهم بالعدل عن الطاعة مضاعفة وعن المعصية بما تستحق. وقل لهم: إن الله هداني إلى دين إبراهيم القويم، وأفوّض أمري له موحّدًا، وأنا مكلّف أيضًا بالإسلام، وأسبقُ الناس إليه في زمني، ولن أعبد غير الله، وهو مالك كل شيء.

ثم إن عمل الإنسان هو لنفسه، ينبّأ به يوم القيامة ويحاسب عليه، وقد خلقكم متتابعين في الدنيا، متفاوتين في المال والقوة والجمال والعلم والخلق، ليمتحنكم ثم يحاسبكم على ما كان من نية أو قول أو فعل، وهو سريعٌ حسابه وغفور رحيم.

٧ـ سورة الأعراف

الجزء الثامن | سورة الأعراف

سُورَةُ الأَعْرَافِ — ترتيبها ٧ — آياتها ٢٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ
﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ
فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

الحزب ١٦

تفسير المفردات:الٓمٓصٓ: أحرف مقطّعة استأثر الله بعلمها، وهي سره المكنون في كتابه العزيز. ١ الكتاب: القرآن الكريم. وأُنزل إليك: أُوحي إليك وكُلّفت بما فيه رسولًا مع تكفّل الله بحفظه وتبليغه وبيانه. ولا يكن: لا يحصل. والصدر: ما بين العنق والبطن. والحرج: الضيق أو الشك. ومنه: من صدقه وتبليغه. وتنذر به: تهدّد بوساطته من عصى. والذكرى: التذكرة والوعظ. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ٢ اتَّبِعوا: تابعوا ـ أيها الناس ـ في الإيمان والعمل. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ولا تتبعوا: لا تتخذوا وتجعلوا. ودونه أي: غير الله. والأولياء: جمع ولي. وهو من يولّى الأمرَ ويُعبد. وقليلاً ما أي: قليلًا جدًّا. وتذكّرون: تتذكّرون أي: تستحضرون الحق فتستجيبون له وتتعظون. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. ٣ كم أي: كثير. والقرية: البلدة بمن فيها. وأهلكنا: دمّرنا. وجاءها: نزل بها. والبأس: شِدّة العذاب. وبياتًا: في الليل. وقائلون أي: هم في وقت قيلولة وغفلة غير متوقعين للانتقام. ٤ والدعوى: القول مع الاستغاثة بالله. وإذ: حين. وظالمين أي: كافرين متجاوزين للحق. ٥ نسألنّ: نقرِّرنّ ونَحملنّ على الجواب، مع التوبيخ على الظلم. وأُرسل: بُعث للدعوة مع العمل. والمرسلون: الرسل كُلّفوا بالدعوة مع العمل. ٦ نقصّنّ: نُخبرنّ يوم القيامة. وعليهم أي: على الأمم والمرسلين. وبعِلم أي: مع إحاطة كاملة بما ظهر وما خفي. والغائب: من لم يشهد ذلك. ٧ الوزن: بيان المقدار والقيمة. ويومئذ: يوم السؤال المذكور. والحق: العدل المطلق. وثقلت: عظُمت و كثرت بالحسنات. والموازين: جمع موزون، ما وُزن من العمل. والمفلحون: الفائزون بالنجاة من النار وبثواب الجنة. ٨ خفّت: قلّ وزنها بالسيئات. وخسروا أنفسهم: أهلكوها. والأنفس: جمع نفس، شخص الإنسان بروحه وجسده. وبما كانوا يظلمون أي: بسبب كونهم ظالمين. والآيات: نصوص القرآن الكريم والأدلة الكونية. ويظلمون: يكذبون ويكفرون. ٩ مكّنّاكم في الأرض: يسّرنا لكم ـ أيها الناس ـ في موطن الحياة الدنيا مكانًا وقرارًا. وجعلنا لكم: خلقنا لأجلكم. والمعايش: جمع معيشة، ما يُعاش به من حاجات الحياة. وتشكرون: تستحضرون النعمة في القلوب، وتُظهرون الثناء على المنعم بالقلب واللسان والعمل. ١٠ خلقناكم أي: أوجدنا أباكم آدم من العدم. وصوّرناكم أي: ركّبنا وسوّينا آدم في صورة كاملة، عجيبة الشكل متقنة من بديع الصانع. والملائكة: مخلوقات من النور، جمع ملَك. واسجدوا أي: انحنوا تقديرًا وإكرامًا. وإبليس: أبو الشياطين من الجنّ. ولم يكن أي: لم يصر. ١١

المعنى العام: أن القرآن الكريم أوحاه الله إليك ـ أيها النبي ـ لتهدد الكافر وتعظ المؤمن. فلا تتحرج من الإيمان به وتبليغه، وأوُمر الناس أن يستجيبوا ويوحّدوا الله في العبادة وتفويض أمورهم، وإن كان القليل منهم يتعظون. فقد عصت أمم كثيرة من قبل، ونزل بها عقابنا ليلًا أو نهارًا، واعترفوا حينئذ بظلمهم لأنفسهم ولواجبات التوحيد. ثم لا بد أن نحاسب الناس، ونسأل الأنبياء عما جرى، ونخبر الجميع بما كان عن علم واطّلاع كاملين، إذ كنّا معهم ولم يغب عنا شيء من ذلك. ولذا يكون الحساب الحق، بفوز المحسنين لعِظَم حسناتهم وخسارة الكافرين لعِظَم سيئاتهم. فيا بني آدم، اذكروا النعم والإكرام، وعداوة إبليس لكم.

لقد يسّرنا لكم تثبيتًا في الأرض مع حاجات الحياة، وما أقل شكركم! وكنّا خلقنا أباكم آدم في أحسن تقويم، وأمرنا الملائكة أن تسجد له سجود احترام، لما أكرمناه به من الخصائص الإنسانية، في الإرادة والاختيار وتحمل المسؤولية والقدرة على العمل واصطناع اللغة وحاجات الحياة الدنيوية، وأنتم في ظهره، أي: في موضع أصول النطف منه. ولكن إبليس أبى إكرامكم وجاهركم بالعداوة...

تفسير المفردات: قال أي: الله لإبليس: ما منعك: أيُّ شيء صرفك؟ وألّا تسجد أي: أن تسجد، تنحني لتحية آدم. وزيدت « لا » لتوكيد المعنى. وإذ أمرتك: حين ألزمتك. وقال أي: إبليس. وخير: أفضل وأكرم. وخلقتَ: أنشأت وأوجدت. والنار: اللهب يكون عن الاحتراق. والطين: التراب المجبول بالماء. ١٢ اهبط منها: تحوّل من الجنّة. وما يكون: لا ينبغي ولا يجوز. وتتكبر: تمتنع عن الطاعة. واخرج أي: غادر الجنّة. والصاغرون: الأذلّاء المحتقرون. ١٣ أنظرني: أخّر موتي. واليوم: الوقت. ويُبعثون: يُخرج الناس من القبور أحياء للحساب والجزاء. ١٤ المنظرون: المؤجَّل موتُهم كثيرًا. ١٥ بما أغويتني: أُقسِم بإضلالك إياي. وأقعدنّ: أُقيمنّ مترصِّدًا لأمنع وأضلّل. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. ١٦ آتينّهم: أهاجمنّهم مضلّلًا ومفسدًا. وبين أيديهم أي: أمامهم. والأيدي: جمع يد. والخلف: الوراء. والأيمان: جمع يمين، الطرف الأيمن. والشمائل: جمع شِمال، الطرف الأيسر. ولا تجد: لا تلقى. وأكثرهم: العدد الأوفى منهم. وشاكرين أي: مُثنين على النعم بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم. ١٧ اخرج منها: ابتعد عنها. والمذؤوم: البغيض الممقوت. والمدحور: المطرود من الرحمة. ولمن تبعك: أُقسِمُ مَن انقاد إليك. ومنهم: من الناس. وأملأنّ: أضعنّ قدر ما يملأ. وجهنم: دار العذاب أُعدت للكافرين. ومنكم أي: منك ومن ذرّيّتك وأتباعك. ١٨ اسكن: ادخل للإقامة والاستقرار. والزوج: الزوجة حواء. والجنّة: الحديقة العظيمة في مكان متميز من الدنيا. وكلا: تغذّيا وتمتّعا. وحيث شئتما: مكان إرادتكما الأكل. ولا تقربا أي: تجنبا ولا تُدانيا. والشجرة: النبتة لها ساق وثمر. وتكونا: تصيرا. ومن الظالمين: من الذين ظلموا أنفسهم وضرّوها بما يفعلون. ١٩ وَسوس: أغرى بالكلام الخفي المكرّر، وهو بعيد من الجنّة. والشيطان: إبليس. ويبدي: يُظهر ويكشف. ووُوري: سُتر واختفى. والسوءات: العَورات، أي: ما يجب ستره من الإنسان. وقال أي: خاطبهما بالقول. وما نهاكما: ما منعكما. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأن تكونا أي: كراهة أن تصيرا. والملَك: واحد الملائكة، مخلوق مطهّر مكرّم. والخالدون: الباقون دون أن يتعرضوا لفساد أو فناء. ٢٠ قاسمهما: أقسم لهما بالله. والناصحون: من يرشدون إلى الخير والصلاح. ٢١ دلّاهما: حطّهما عن المنزلة العالية. والغرور: إظهار النصح مع إبطان الغش. ولما: عندما. وذاقا الشجرة: أكلا منها. وبدت: ظهرت. والسوءة: عضو الذكورة أو الأنوثة وما يكون خلفها. وطفقا: بدأا وشرعا. ويخصف الورق: يُلزق بعض ورق شجر الجنة ببعض. وعليهما: على سوءاتهما. وناداهما: خاطبهما باسميهما منبّهًا. ألم أنهكما أي: لقد نهيتكما. وتلكما أي: تلك. والخطاب لاثنين آدم وحواء. والعدو: المعادي. والمبين: البيّن العداوة.٢٢

سورة الأعراف — الجزء الثامن

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

المعنى العام: متابعة ما كان من إبليس، إذ سأله الله عن المانع له من السجود، فادعى أنه أفضل من آدم لأنه مخلوق من النار وآدم من الطين، وطرده الله من الجنة لأنه متكبر وحكم عليه بالمذلة، وطلب إبليس تأخير موته إلى يوم البعث لئلّا يموت مع المخلوقات، فلم يعده الله بذلك، فأقسم إبليس بإضلال الله إياه أن يعترض بني آدم في طريق صلاحهم ليُضلّ أكثرهم ويبعدهم عنه، بمهاجمتهم من المنافذ الشهوانية المختلفة ليصيروا كافرين غير شاكرين، فأكّد الله طرده من الجنة مقسمًا بذاته ومتوعّدًا بعذاب جهنم له لمن تبعه في الضلال.

ثم أمر آدم وحواء أن ينعما في الجنة ويتغذّيا مما يريدان منها، ولا يأكلا من شجرة معيّنة، ولكن إبليس أغراهما بالوسوسة ليكشف لهما ما خفي عنهما من عوراتهما، وزعم أن الله منع عنهما هذه الشجرة لئلّا يصيرا بالأكل منها من الملائكة الخالدين في الحياة، وأقسم لهما أنه ينصحهما ويريد لهما الخير. وعندما أكلا منها زال ما يستر سوءاتهما فانكشفت لهما وأخذا يلزقان عليها ورق الأشجار، وعنّفهما الله على العصيان، مذكّرًا إياهما بنهيه لهما وتحذيرهما من اتّباع ما يوسوس به إبليس لأنه عدوّ لهما ظاهر العداوة.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ
ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ
إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟
فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ
أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

تفسير المفردات: قالا أي: آدم وحوّاء. و ربّنا: يا ربّنا. وظلمنا أنفسنا: أسأنا إلى نفسينا وسببنا لهما الضرر. والنفس: حقيقة المخلوق بروحه وجسده. ولم تغفر لنا: لم تستر ذنبنا ولم تعف عنه. وترحمنا: تعطف علينا وتحسن إلينا. ونكوننّ: نصيرنّ. والخاسرون: المغبونون بالعقوبة سببوها لأنفسهم. ٢٣ قال أي: قضى الله وأمر. واهبطوا: انزلوا من النعيم إلى الشقاء وتحولوا من الجنة إلى بقية الأرض. وبعضكم: عدد منكم الواحد أو الأكثر. والعدو: المعادي. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمستقر: مكان الاستقرار. والمتاع: ما يُتمتَّع ويُنتفع به. وإلى حين: إلى وقت وفَياتكم. ٢٤ فيها: في الأرض. وتحيَون: تعيشون بالروح والجسد. وتموتون: تفارق أرواحكم الأجساد. وتُخرجون: تُبعثون أحياء للحساب. ٢٥ بنو آدم: الذكور والإناث بالتغليب هنا وفيما بعد، لأن المراد جميع الأولاد من الجنسين. وأنزلنا: جعلنا ويسّرنا. واللباس: ما يلبس من الثياب. ويواري: يستر. والسوءات: جمع سوءة، ما يجب ستره من الجسم. والريش: ما يكون فيه المتاع والزينة. والتقوى: الفزع من الله بتجنب غضبه وطلب رضاه. ولباس التقوى: ما يحفظ صاحبه من العذاب. وذلك أي: لباس التقوى. وخير: أفضل ما يحفظ الإنسان. وذلك أيضًا أي: ما يَسّره الله. والآيات: دلائل التوحيد والقدرة. ولعلهم: ليُترجّى للناس. ويذّكّرون: يتذكّرون أي: يتّعظون فيؤمنون. أدغمت التاء في الذال. ٢٦ لا يفتننّكم: لا يُضلنّكم. والشيطان: إبليس وأعوانه. وأخرج: سبَّب الإخراج. والأبوان: الوالدان آدم وحواء. والجنّة: الحديقة العظيمة في الأرض. وينزع: يخلع بالوسوسة والإغراء. واللباس: ما كانا يستتران به قبل العصيان. ويُريهما: يبصّرهما عيانًا. ويراكم: يُبصِركم ويشاهدكم. وقبيله: جماعته من الجنّ. وحيث أي: مكان. ولا ترونهم أي: لا تبصرونهم لأنهم من طبيعة نارية خفيّة. وجعلنا: صيّرنا. والشياطين: جمع شيطان. والأولياء: جمع ولي، القائد و الموجّه. ولا يؤمنون: لا يصدّقون الله ورسله. ٢٧ إذا: كلما. وفعلوا: مارسوا واقترفوا. والفاحشة: العمل المتناهي في القبح. ووجدنا: أبصرنا. وعليها أي: على فعلها. والآباء: جمع أب. وأمرَنا بها: أوجبها علينا وفرضها. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. ولا يأمر بالفحشاء أي: لا يفرضها ولا يرضى أن تُفعل. وأتقولون: كيف تفترون وتختلقون؟ ولا تعلمون: لا تعرفونه باليقين القاطع. ٢٨ أمر: فرض. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والقسط: العدل والخير. وأقيموا: وجّهوا إلى العبادة الخالصة. والوجوه: جمع وجه. والمراد الأجسام والقلوب أيضًا. والمسجد: وقت الصلاة. وادعوه: اعبدوه. ومخلصين أي: مجرّدين من كل مزاعم الكفر. والدين: العبادة والطاعة. وكما بدأكم: مثلما خلقكم. وتعودون أي: ترجعون أحياء بالبعث بعد الموت. ٢٩ الفريق: الجماعة. وهدى: وجّه وأمدّ بما يناسب الاختيار. وحق: ثَبَتَ بمقتضى الحكمة. والضلالة: الانصراف إلى الكفر تبعًا للاستعداد السيئ. واتخذوا: جعلوا. والأولياء: جمع ولي، العون والنصير. ودون الله: غيره. ويحسبون: يظنون. ومهتدون: مسترشدون إلى الحق. ٣٠

المعنى العام: متابعة ما كان من آدم وحواء أنهما دعوا الله بالمغفرة والرحمة لئلّا يكونا من الخاسرين، فأخرجهما بما يحملان من الذراري إلى الحياة الدنيا، ليكون أبناؤهما متعادين متخاصمين، ثم يموتوا ويبعثوا، وأوضح لهما نِعَمَ ما يخفي العورات ويوجّه إلى التقوى، وأمر سلالتهما بعصيان الشياطين، لئلّا يقعوا فيما وقع أبواهم، وبيّن لهم أن الشياطين يَرونهم وهم لايرون الشياطين وإن تمكن بعض الرسل من رؤيتهم. فما يدّعيه السحَرة من رؤية الجن باطل الأباطيل. وكذلك اتّباع الكافرين آباءهم في الباطل، وادعاء أن الله أمرهم به.

فعلى النبي ﷺ إنكار ذلك وتكذيبهم لأن الله يأمر بالخير وإخلاص العبادة له، وسوف يبعثهم، فيكون المؤمنون بسبب هدايتهم في النعيم، والكافرون بسبب ضلالهم في الجحيم لأنهم انقادوا للشياطين، وأطاعوهم من دون الله، ظانّين أنهم في صلاح.

۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ
سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾
يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

ربع الحزب ١٦

تفسير المفردات: بنو آدم: ذريته من الذكور والإناث. وخذوا زينتكم: تزيّنوا بأنسب هيئة من اللباس والنظافة والطهارة والسكينة والانتظام. والمسجد: وقت الصلاة والطواف. وكلوا واشربوا: تغذَّوا وتمتّعوا بما أحله الله. ولا تسرفوا: لا تخرجوا عن الاعتدال في تحليل أو تحريم للزينة والطعام والشراب. وإنه أي: الله تعالى. ولا يحب: يكره ويعاقب. ٣١ قل أي: للناس، أيها النبيّ. وحرّم: جعل حرامًا. وزينة الله: ما خلقه زينة للناس وأباحه. وأخرج أي: أظهرها في الدنيا. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والطيبات: ما تستلذه النفوس الصالحة. والرزق: ما ييسَّر للخلق. وهي أي: الزينة. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. والخالصة: الخاصّة. ويوم القيامة: حين يقوم الناس من قبورهم للحساب. وكذلك أي: كما فصّلنا أحكام ما في الآيتين. ونفصّل: نبيّن. والآيات: النصوص القرآنية. والقوم: الجماعة من الناس. ويعلمون أي: يدركون الصواب ويلتزمونه. ٣٢ حرّم: أمر بالتجنب. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والفواحش: جمع فاحشة، ما تناهى في القبح من القول والعمل. وظهر: بدا للناس. وبطن: اختفى أو كان في القلب، كالنفاق والكفر والغش والحسد والكبر. والإثم: المعصية. والبغي: العدوان. والحق: العدل. وتشركوا بالله: تسوّوا به في الأُلوهية. ولم ينزّل: لم يوحِ إلى نبي. وبه سلطانًا أي: عليه حُجّة. وتقولوا: تفتروا. ولا تعلمون: لا تدركون باليقين حقيقته. ٣٣ الأُمّة: الجماعة من الناس. والأجل: مقدار العمر. وجاء: أتى. وأجلهم: آخر وقت من عمرهم. ولا يستأخرون ولا يستقدمون أي: لا يتأخرون عنه ولا يتقدمون عليه. والساعة: القليل من الزمن. ٣٤ إمّا يأتينكم: إن يصل إليكم. والرسل: جمع رسول لتبليغ الدعوة. ومنكم: من البشر. ويقصون آياتي: يتلون أحكامي ويبيّنونها. واتقى: تجنّب الشرك وتوجّه إلى التوحيد. وأصلح: جعل عمله كما أمر الله. ولا خوف عليهم أي: هم في الجنة بنجاة من العذاب آمنون أبدًا. ولا يحزنون: يُسرّون لعاقبة ما مضى. ٣٥ كذّبوا: أنكروا. واستكبروا: تكبّروا. وأصحاب النار: الملازمون لنار جهنم. والأصحاب: جمع صاحب. وخالدون: مقيمون أبدًا. ٣٦ من أظلم: لا أحد أكثر كفرًا. وافترى: اختلق. والكذب: ما ليس له وجود. وكذّب بآياته: أنكر القرآن الكريم. وينالهم: يصيبهم. والنصيب: الحظ. والكتاب: المكتوب في اللوح المحفوظ. وحتى إذا جاءتهم: فإذا أتت لقبض أرواحهم. والرسل: جمع رسول، أي: مَلَك الموت وأعوانه. ويتوفونهم: يستوفون أرواحهم. وقالوا أي: الملائكة للكاذبين المكذّبين. وتدعون: تعبدون. ودون الله: غيره من المخلوقات. وقالوا أي: الكاذبون للملائكة. وضلوا: غابوا. وشهدوا: أقرّ الكاذبون المكذبون. والأنفس: جمع نفس، ذات الإنسان بروحه وجسده. وكافرين: جاحدين للتوحيد بعبادة المخلوقات. ٣٧

المعنى العام: كان بعض الجاهليين يطوفون بالكعبة عُراة، الرجال في النهار والنساء بالليل، ولا يأكلون في الحجّ لحمًا ولا دسمًا، ولمّا أراد المسلمون أن يقلدوهم في تحريم الطعام نزلت الآيتان بوجوب الزينة وقت العبادة، والأكل والشرب دون تبذير، لأن الطيبات حلال للجميع، ويختص بها المؤمنون في الآخرة. ولا يجوز تحريم شيء من ذلك، ما لم يكن فيه ربحٌ للعدو وتمكين له من استعباد المسلمين، أو انشغالهم عن الصلاح والجهاد. فالله حرّم الفواحش ظاهرة وخفيّة والشرك وادعاء الباطل. وستمضي كل أمة إلى أجلها المعيّن، وستأتي الرسل للتبليغ، فالمؤمن يطمئن في الآخرة، والكافر يخلد في جهنم، وليس في الوجود من هو أظلم ممن يكذب أو يكذّب عقائد وأحكامًا لله. وسوف ينال هذا جزاءه مما سُجلّ في اللوح المحفوظ. وهو فيه كل ما كان وسيكون في الوجود، من أقدار محتومة أو محتملة تبعًا للظروف واختيار الإنسان. وعند الوفاة يعترف هؤلاء المدّعون أن آلهتهم لم تحضر للشفاعة، ويشهدون على أنفسهم بالكفر.

قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ
وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

تفسير المفردات: قال أي: الله على لسان الملائكة. وادخلوا في أمم: صيروا مع الجماعات الكافرة. وخلت من قبلكم: مضت وسبقتكم إلى النار. والجنّ: مخلوقات نارية واحدها جنّيّ. والإنس: بنو آدم واحدهم إنسيّ. والنار: نار جهنم. وكلّما: كلّ وقت. ودخلت: مرّت إلى الداخل. ولعنت أُختها: دعت عليها بزيادة العذاب. وأُختها أي: الأمة المتقدمة في الكفر. وحتى إذا ادّاركوا أي: فإذا صاروا معًا. وفيها: في النار. وجميعًا أي: مجتمعين كلهم لم يتخلف منهم أحد. وقالت: جاهرت بالقول. وأُخراهم: المتأخرة منهم. ولأُولاهم: عن المتقدمة منهم. وربّنا: يا ربّنا. وأضلّونا: شرعوا لنا الانصراف إلى الكفر. وآتهم: أعطِهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والضعف: المضاعف. قال أي: الله على لسان الملائكة. ولكل أي: لكل واحد منكم ومنهم بسبب ضلاله وتضليل الغير. ولا تعلمون: لا تدركون ذلك. ٣٨ الفضل: التميز لتخفيف العذاب. وذوقوا أي: تحسّسوا وتحمّلوا. وبما كنتم تكسبون أي: بسبب ما كنتم تقترفونه وتربحونه باختيار وقصد. ٣٩ كذّبوا: أنكروا. والآيات: نصوص القرآن الكريم والأدلة على التوحيد والبعث. واستكبروا: تكبّروا. ولا تفتّح لهم: لا تطلق لأرواحهم. والأبواب: جمع باب. وهو المَدخل. والسماء: العالم العُلوي. ولا يدخلون: لا يلجون. والجنة: الحديقة العظيمة بنعيمها الأبدي. ويلج: يدخل. والجمل: الذَّكَرُ من الإبل. والسَّمّ: الثَّقب. والخياط: ما يخاط به. وكذلك أي: مثلَ عدمِ تفتُّح أبواب السماء، واستحالةِ دخول الجنة. ونجزي: نعاقب. والمجرمين: من اقترفوا الكفر. ٤٠ جهنم: دار العذاب في الآخرة. والمهاد: الفراش. والغواشي: الأغطية من النار، جمع الغاشية. وكذلك أي: مثلَ الجزاء المذكور. والظالمون: الكافرون العاصون. ٤١ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا وتحمّلوا. والصالحات: ما حسّنه الشرع. ولا نكلّف: لا نُحمّل. والنفس أي: الإنسان. والوسع: ما تسعه قدرةُ المكلَّف. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم للشيء لا يفارقه. وخالدون أي: مقيمون أبدًا. ٤٢ نزعنا: أزلنا. والصدور: جمع صدر، يعبَّر به عن القلب، موطن التدبُّر والاعتقاد والعواطف. والغلّ: الحقد. وتجري: تسيل. وتحتهم: تحت قصورهم. والأنهار: جمع نهر. وقالوا أي: صرّحوا بالقول. والحمد: الثناء بالجميل ظاهرًا وباطنًا على النعم والفضل. وهدانا لهذا: أرشدنا إلى العمل المؤدي إلى هذا النعيم. وما كنا: ما قصدنا. ونهتدي: نسترشد إلى الإيمان والعمل الصالح. ولولا أي: لولا وجود. وأن هدانا الله: هدايته إيّانا. وجاءت بالحق: أتت في الدنيا تبلغنا بالموعود الواقع حقًّا، وهو الآن مشاهَد عِيانًا. والرسل: جمع رسول. وهو المكلف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والحق: الشيء الثابت. ونودوا أي: دُعوا بأسمائهم يخاطبون. وأورثتموها: صُيِّرت لكم كالإرث فضلًا من الله ورحمة. وبما كنتم تعملون أي: بسبب ما كنتم تكتسبونه من الصالحات نية أو قولًا أو فعلًا. ٤٣

المعنى العام: متابعة ما يكون للكافرين يوم القيامة ،أن الله أمرهم بدخول النار مع من تقدمهم، فكان بينهم تلاعن، كل أمة منهم تلعن من تقدموها وحملوها على الكفر، وتطلب مضاعفة العذاب لهم، فيتبرأ هؤلاء من إضلالها بأنها كفرت طمعًا بمتاع الدنيا ولذائذها. وعندئذ يأتي أمر الله بأن العذاب مضاعف لجميع المضلين والضالين بما فسدوا وأفسدوا غيرهم.

فالكافرون تحبس أرواحهم في وديان جهنم، ويُمنعون من الجنة إلّا إذا دخل الجمل ثقب الإبرة ـ وهذا محال ـ والمؤمنون الصالحون لم يكلَّفوا في الدنيا بأكثر مما يستطيعون، ولهم الخلود في الجنة، وقد خُلقوا فيها متوادّين متعاطفين بعيدين عما كان في الدنيا من شحناء، وهم يحمدون الله على هدايته لهم في الدنيا ـ إذ لولا هي لما كان لهم هذه العاقبة المحمودة ـ وعلى ما تحقق من بشارة الرسل لهم، فيخاطبهم الله بأن الجنة جزاء أعمالهم، يعيشون فيها بفضل الله وجزاء أعمالهم وكأنهم وارثون لها مالكون.

الجزء الثامن — سورة الأعراف

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا
فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن
لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا
عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ
رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ
لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ
أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ
وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ
ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ
﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا
وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ
لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

نصف الحزب ١٦

تفسير المفردات: نادى: دعا بالاسم تبجّحًا وتحسيرًا. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم للشيء لا يفارقه. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها القصور والنعيم الأبدي. والنار: نار جهنم. وأن بمعنى: أي في المواضع الأربعة. ووجدنا: رأينا. ووعدَنا: بشّرنا في الدنيا. والربّ: الخالق الملك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والحق: الصدق الواقع فعلًا. ووعدكم أي: خوفكم به. وقالوا أي: أصحاب النار لهم. ونعم أي: قد وجدنا ذلك. وأذّن مؤذّن: نادى منادٍ. ولعنة الله: الطرد من رحمته. والظالمون: الكافرون. ٤٤ يصدون: يمنعون الناس. والسبيل: الطريق الواضحة. ويبغونها: يريدونها. والعِوَج: المُعوجّة. والآخرة أي: البعث والحساب يوم القيامة. والكافرون: المكذّبون الجاحدون اعتقادًا وعملًا. ٤٥ بينهما: بين الجانبين. والحجاب: الحاجز يَمنع وصول أثر كل من الدارين إلى الأُخرى. والأعراف: جمع عُرف. وهو ما أشرف وعلا، أي: سور الجنة لارتفاعه. والرجال: جمع رجل، الذكر من البشر. ويعرفون: يميّزون ويعلمون بالتفكير. وكلًّا أي: كل فريق من الجانبين. وبسيماهم أي: بوساطة علامتهم المميِّزة. وسلام أي: السلامة من كل سوء أو بلاء. ولم يدخلوها: ما صار أصحاب الأعراف في منازلهم المعدّة له بالجنة. ويطمعون: يتيقنون أن يدخلوها. ٤٦ إذا صُرفت: كلّما حُوّلت على غير قصد منهم. والأبصار: جمع بصر. وهو العين. وتلقاء: نحو. وربّنا: يا ربّنا. حُذف حرف النداء لِـما فيه من معنى التنبيه. ولا تجعلنا: لا تصيّرنا. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: الكافرون. ٤٧ الرجال هنا: رؤساء المشركين والكفرة، كفرعون وأبي جهل. وقالوا أي: لهم. وما أغنى: لم يدفع. والجمع: حشد الأتباع والمال. وما كنتم تستكبرون: كونكم تمتنعون عن الإيمان مع المكابرة والعناد. ٤٨ هؤلاء أي: الضعفاء الفقراء المؤمنون في الدنيا. أقسمتم: حلفتم. ولا ينالهم: لا يكرمهم. والرحمة: العطف بالتفضل والإحسان. وادخلوا يعني: أن الله أمرهم بدخول الجنة. والخوف: الفزع مما سيكون. ولا تحزنون: لا تغتمون ولا تتحسرون لِما كان. ٤٩ أفيضوا: ألقوا. والماء: السائل الذي يُشرب. ورزقكم: أنعم عليكم. وقالوا أي: أصحاب الجنة لأصحاب النار. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وحرّمها: منعها. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله وماتوا على ذلك. ٥٠ اتخذوا: جعلوا. ودينهم: ما شرعه الله لهم. واللهو: صرف الهمّ بما يَشغل عن الواجب. واللعب: طلب الفرح بما لا يَحسن. وغرتهم: خدعتهم بطول العمر والشهوات. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منهم يعيشون فيها. واليوم: هذا الوقت في الآخرة. وننساهم: نتركهم في النار ونهملهم. ونسوا: غفلوا وتشاغلوا. واللقاء: الحضور. وما كانوا بآياتنا يجحدون: كونهم يكذّبون الكتب المقدسة، والأدلة على التوحيد وصدق الرسل. ٥١

المعنى العام: متابعة ما يكون في يوم القيامة، أن المؤمنين يخبرون الكافرين بتحقق وعد الله لهم، ويسألونهم عن تحقق ما هُدّدوا به للتشفي والشماتة، فيقرّون بذلك، وتكون النتيجة أن اللعنة للكافرين الذين حرّفوا الدين ليضللوا الناس، وقد وقف بين الجانبين أصحاب الأعراف ـ وهم الذين استوتْ حسناتهم وسيئاتهم ـ يراقبون الجميع ويعرفون كلًّا منهم بعلامته التي تميزه، فيحيّون أصحاب الجنة، منتظرين دخولها بشوق، وإذا لمحوا الكافرين دعوا الله ألّا يجمعهم بهم. ثم يطّلع الله عليهم، ويأمرهم بدخول الجنة، بما هيّأه لهم فيها من النعيم، فيخاطبون الكافرين موبخين لهم بما كانوا يفاخرون من المال والجاه، وبأن مَن كانوا يسخرون منهم قد أكرمهم الله، وجعلهم في الجنة بكل اطمئنان وسعادة. أما أصحاب النار فيطلبون من المؤمنين مساعدتهم بشيء من الشراب والطعام، ويكون الجواب أن ذلك ممنوع على الكافرين العابثين في الدنيا، وقد أهملهم الله في العذاب كما أهملوا الاستعداد لهذا الحساب، وكفروا بالكتب المقدسة والأنبياء.

تفسير المفردات: جئناهم: أنزلنا إليهم. والكتاب: القرآن الكريم. وفصّلناه: بيّنّاه بالتفصيل. وعلى علم أي: مع الإحاطة الكاملة بما يفصَّل. وهدى أي: مرشدًا إلى الحق. ورحمة أي: يعطف بإحسان. والقوم: الجماعة من الناس. ويؤمنون: يصدّقون الكتاب ويعملون به. ٥٢ هل ينظرون: ما ينتظر الكافرون ولا يتوقّعون. وتأويله: وقوع ما في القرآن من الوعد والتهديد. واليوم: الوقت. ويأتي: يحصل. ونسوه: غفلوا عن القرآن الكريم. وقبلُ أي: قبلِ إتيانِ تأويله. وجاءت: أتت. والرسل: جمع رسول. وهو هنا بمعنى النبي. وبالحق: مع الدين الصدق الثابت. والشفعاء: جمع شفيع. وهو الذي يطلب التجاوز عن الذنوب. ونُردّ: نُعاد إلى الدنيا. ونعمل أي: نكتسب. والغير: المغاير. وخسروا أنفسهم أي: ضيعوها وأهلكوها بعذاب جهنم. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وضل: ذهب وغاب. ويفترون: يكذبون بعبادة المخلوقات. ٥٣ الرب: الخالق المالك المتفرد. خلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والأيام: جمع يوم فلكي. وثُمّ أي: في ذلك الوقت. واستوى أي: استواء يناسب عظمته وجلاله، دون تعرّض للكيفية والتفصيلات. والعرش: أعظم المخلوقات يحيط بالكون ولا يعلم حقيقته إلّا الله. ويغشي: يغطّي. والليل: من الغروب إلى الفجر. والنهار عكسه. ويطلبه: يَعقبه سريعًا لا يفصل بينهما شيء. والحثيث: السريع. والشمس والقمر: الكوكب النهاري والكوكب الليلي. والنجوم: التي تلمع في السماء ليلًا، جمع نجم. والمسخرات: المذلّلات. وأمره: قدرة الله. وألا أي: حقًا. والخلق: الإيجاد للأشياء من العدم. والأمر: الحكم والتصرف. وتبارك: تعظّم وكثُر خيره. والعالَمون: كل أجناس المخلوقات. ٥٤ ادعوا ربكم: ناجوه لطلب الخير ودفع الشر. والتضرُّع: التذلّل. والخُفية: السرّ والتكتم. ولا يحب: يبغض ويعاقب. والمعتدون: الذين يتجاوزون الحد بالتشدق. ٥٥ لا تفسدوا: نهي عن الإفساد وأمر بالإصلاح. وإصلاحها أي: إصلاح الله لها بخلقها على الخير، وبإنزال العقائد والشرائع. والخوف: الخشية. والطمع: توقع ما هو محبوب. والرحمة: العطف بالإنعام. وقريب من المحسنين أي: هي معهم لوجود الصلاح فيهم. والمحسنون: من جعلوا عملهم حسنًا بالإخلاص ومراقبة الله. ٥٦ يرسل: يطلق. والرياح: جمع ريح، الهواء المتحرك. وبُشرًا: مبشِّرات، جمع بشيرة. وبين يدي رحمته أي: قبلها. وحتى إذا أقلت أي: فإذا حملت. والسحاب: الغيم يحمل المطر. واحدته سحابة. والثقال: جمع ثقيلة، أي: مترعة بما يكون غيثًا. وسقناه: وجّهناه. والبلد: الموضع من الأرض. والميت: الفاقد للحياة لِيُبسه. وأنزلنا: أسقطنا. وأخرجنا به: أنبتنا بسببه. والثمر: ما ينعقد عن زهر الشجر من أنواع الغذاء والزينة والدواء. وكذلك أي: مثلَ هذا الإخراج للنبات. ونخرج: نبعث. والموتى: جمع ميت. ولعلكم: ليُترجَّى لكم. وتذكّرون: تتذكّرون: تستحضرون قدرة الله ومسؤولية الحساب. ٥٧

الجزء الثامن سورة الأعراف

وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا
مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ
اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا
ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ
الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

المعنى العام: أن الله أنزل القرآن مفصّلًا بالعلم الحقيقي والدين القويم، هاديًا ومفيدًا للمؤمنين، ولكن الكافرين ينكرون ما يهدّدهم به، وحين يتحقق ذلك يعترفون بصدقه، ويتمنّون الشفاعة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا، فلا يستجاب لهم.

ومن الأدلة الكونية أن الله خلق السماوات والأرض، في أوقات ستة متوالية، مقدار كل يوم من هذه الأيام ألف سنة أو أكثر، وقصد العرش أيضًا، وجعل الليل يُخفي النهار، والنهار يُخفي الليل، متلاحقين دون فاصل بينهما، وسخّر الشمس والقمر والنجوم لتهيئة خير المخلوقات، ومصلحة الكون والحياة. وهو الخالق ورب العالمين. فادعوه بذلّة وسرّ خائفين وطامعين برحمته على كل حال، ولا تفسدوا النفوس والعقول والعقائد، والأبدان والأموال وسائر مظاهر الخير، بعد أن هيأ لها الخير بالرسل، واعلموا أن رحمته مع المحسنين. وهو يرسل الرياح تبشر بما معها من السحب، فيحيي البلاد الميتة، ويخرج الثمار. ومثلَ هذا يكون بعث الموتى، وفيه تذكرة وعظة للمكذبين.

تفسير المفردات: البلد: الأرض. والطيب: الجيِّد التراب والكريم المبارك. ويخرج: يَنبت ويظهر. والنبات: ما أخرجتْه الأرض من شجر ونحوه. وبإذن ربه: مصاحباً مشيئته وأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وخبث: كان رديئًا فاسدًا. والنكد: العسير مع مشقة. وكذلك: كما بيّنّا ما مضى. ونصرّف: نردّد ونكرر. والآيات: البراهين الدالة على الوحدانية. والقوم: الجماعة من الناس. ويشكرون: يعترفون بنعم الله ويثنون عليه بالقلب واللسان والعمل. ٥٨ أرسلنا: بعثنا رسولًا. ونوح هو أول رسول، بعد نبوة آدم وشيت وإدريس، فيما نعلم. ويا قومِ: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. وقوم الرجل: أقرباؤه من جدّ واحد. واعبدوا: وحّدوا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وما لكم: ليس لكم. والإلَه: المعبود بحق. وغيره أي: مغاير له. وأخاف: أتوقع إن لم توحّدوا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. واليوم: الوقت. والعظيم: الضخم جدًّا لا يقدَّر قدره. ٥٩ الملأ: الرؤساء يملؤون المجالس بأجسامهم والقلوب مهابة والعيون إجلالًا ويتمالؤون على الباطل. ونراك: نبصرك ونعلمك. والضلال: الجهالة والانحراف عن طريق الصواب. والمبين: الظاهر الانحراف. ٦٠ قال أي: نوح لهم. والضلالة: شيء من الضلال. والرسول: المكلّف بالدعوة والعمل. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٦١ أبلّغكم أي: أوصِل إليكم وأُعلمكم. والرسالة: ما بُعثتُ به من تكاليف التوحيد والشريعة. وأنصح: أريد الخير. وأعلم: أعرف معرفة يقين. ومن الله أي: من شؤونه وبطشه ودينه الحق. ٦٢ أعجبتم أن جاءكم ذِكر: لا تعجبوا وتنكروا مجيء تذكير لكم ونصح وإرشاد، لعدم اعتيادكم إياه. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. وعلى رجل: على لسان إنسان. ومنكم أي: بشر من جنسكم. وينذركم: يخوّفكم الانتقام من العاصين. وتتقوا أي: تخافوا الله وتتجنبوا عصيانه وتطلبوا رضاه بالإيمان والطاعة. ولعلكم: ليُترجّى لكم. وتُرحمون: يُرأف بكم ويُحسَن إليكم وتكرَمون. ٦٣ كذّبوه: استمر الكافرون على إنكار ما جاءهم به. وأنجيناه: أنقذناه. والذين معه أي: الذين استقرّوا بصحبته مؤمنين ومؤمنات. والفلك: السفينة. وأغرقنا: أمتنا خنقًا بماء الطوفان. والآيات: النصوص السماوية والأدلة على التوحيد والبعث. والعمون: جمع العَمِي. وهو من عَمِيَتْ بصيرته فلا يعرف من أُموره الخير والشر. ٦٤ إلى عاد أي: أرسلنا إلى جماعة عاد العرب العاربة. وأخوهم: من كان من نسبهم وجماعتهم. وهود: من حفدة نوح. وألا تتقون أي: تجنبوا غضب الله واطلبوا رضاه بالطاعة في الأمر والنهي. ٦٥ وكفروا: أنكروا التوحيد ونبوة هود. والسفاهة: الجهل وضعف العقل. ونظنك: نعتقد أنك. والكاذبون: الذين يدّعون الباطل. ٦٦ قال أي: هود لهم. ٦٧

ربع الحزب ١٦

الجزء الثامن — سورة الأعراف

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ
هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

المعنى العام: أن الأرض الطيبة التربةِ والهواء تُنبت بأمر الله نباتها على أحسن ما يكون، والخبيثة يتعسر فيها النبات فيكون رديئًا. ومثلَ هذا التبيين يبيّن الله الآيات والأدلّة لمن يهتدي، وقد أرسل نوحًا إلى قومه فأمرهم بالتوحيد وهدّدهم بالعذاب العظيم إن استمروا في كفرهم، واتهمه السادة بالضلال، وأجابهم بأنه بريء مما اتهموه وأنه رسول من الله، يبلّغهم رسالة الله وينصحهم ويرشدهم ويعلم من توجيه الله وانتقامه ما لا يعلمون، وأنكر عليهم أن يستغربوا دعوة رجل منهم إلى التوحيد ينذرهم ليؤمنوا ويُرحموا، فكذّبوا ذلك أيضًا يتحدَّون وعيده، فأنقذه الله مع المؤمنين في السفينة، وأغرق الكافرين بالطوفان، ثم أرسل النبيَّ هودًا إلى قومه جماعة عاد العربية التي كانت بين عُمان وحضرموت، ولهم أقدم الآثار التي يُعرف أصحابها في التاريخ، بلّغهم مثل ما قال نوح لقومه، فكذّبوا واتهموه بالجهل كما فعل قوم نوح، وهو ينكر مزاعمهم ويبيّن لهم أنه رسول الله، ويعظهم وينصحهم دون فائدة.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْۚ
وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ
أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٖ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحٗاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٞ مِّن
رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾

تفسير المفردات: أبلّغكم أي: أوصِل إليكم وأُعلمكم. والرسالة: ما بُعثتُ به من تكاليف التوحيد والشريعة. والناصح: من يريد الخير لغيره ويعرّفه وجه المصلحة. والأمين: المأمون على الرسالة. ٦٨ أعجبتم أن جاءكم ذِكر: لا تعجبوا وتنكروا مجيء تذكير لكم ونصح وإرشاد، لعدم اعتيادكم إياه. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. وعلى رجل: على لسان إنسان. ومنكم أي: بشر من جنسكم. وينذركم: يخوّفكم الانتقام من العاصين. واذكروا: تذكّروا واستحضروا في أذهانكم. وإذ: وقت. وجعلكم: صيّركم. والخلفاء: جمع خليفة. وهو الذي يحل مكان غيره في عمل أو موضع. وقوم نوح هم الذين غرقوا بالطوفان. وزادكم أي: أضاف إليكم ومنحكم. والخلق أي: خلْقُكم وتكوينكم. والبصطة: القوة والطول. والآلاء: النعم، جمع ألْي. ولعلكم: ليُتَرجَّى لكم. وتفلحون: تفوزون بخير الدنيا والآخرة. ٦٩ قالوا أي: له استنكارًا. وجئتنا: أتيتنا وقصدتنا بما تدّعيه. ونعبد: نقدس ونطيع. ووحده أي: متفردًا بالعبادة. ونذر: نترك. وكان أي: وما يزال. والآباء: جمع أب. وائتنا بما تعدنا أي: أحضر ما هدّدتنا به من عند ربك وأنزله بنا. والصادقون: من يقولون الحق الذي لاشك فيه. ٧٠قال أي: أجابهم بعد كثير من الجدال. ووقع: وجب. ومن ربكم أي: من عنده وبقضائه لِما أنتم عليه من الكفر والعصيان. والرجس: العذاب. والغضب: السخط وما يكون معه من إرادة للانتقام والإهانة. وأتجادلونني: لا تخاصموني ولا تنازعوني. والأسماء: جمع اسم، ما يطلق على الشيء تمييزًا له من غيره. وسميتموها: أطلقتموها. وما نزّل بها: ما أوحى على عبادتها. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والسلطان: الحُجّة. وانتظروا: توقّعوا وترقبوا نزول العذاب، لأنه واقع بكم لا محالة. والمنتظرون: المترقبون المتوقعون. ٧١ أنجيناه: أنقذناه من الهلاك. ومعه أي: في الإيمان. والرحمة: العطف بالإحسان والإكرام. ومنا أي: من عندنا وبإرادتنا. وقطعنا: أهلكنا واستأصلنا. والدابر: الآخِر من الأجيال خاتمًا لها. وكذّبوا بآياتنا: أنكروا النصوص المقدسة ودلائل التوحيد ومعجزات هود. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله، واعترفت قلوبهم بالتوحيد وما يلزمه من الطاعة والصلاح. ٧٢ إلى ثمود أي: أرسلنا إلى قبيلة ثمود من العرب العاربة، ومساكنها في الحِجر بين الحجاز والشام. وأخوهم أي: مَن هو مِن قبيلتهم. وصالح من حفدة سام بن نوح. ومالكم: ليس لكم. والإله: المعبود بحق. وغيره: مغاير له. وجاءتكم: بلغتكم ورأيتموها عِيانًا. والبينة: المعجزة. ومن ربكم أي: من توجيهه وبأمره. والناقة: الأنثى من الإبل في ذلك الزمن. وإضافتها إلى لفظ الجلالة تشريف وتعظيم. وآية: علامة على صدق الرسالة. وذروها: دعوها واتركوها ولا تتعرضوا لها. وتأكل أي: وتشرب وتسرح. ولا تمسوها أي: لا تقربوها بشيء من الأذى. والسوء: الضرر. ويأخذكم: يصيبكم ويذهب بكم. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم جدًّا. ٧٣

المعنى العام: متابعة قصة هود بأن بلّغ قومه الرسالة المكلّف بها، وأنكرعليهم تعجبهم من مجيء إنسان نبي ينذرهم، وذكّرهم بنعمة حياتهم كالخلفاء بعد هلاك قوم نوح، وما هم عليه من القوة والضخامة، ليفلحوا ويفوزوا بالهداية، فكذّبوا التوحيد وطلبوا منه تحقيق تهديده بإنزال العذاب إن كان صادقًا فيما يقول، فأخبرهم أن غضب الله سينصب عليهم، لأنهم يعبدون أصنامًا سمّوها هم وآباؤهم كذبًا وافتراء ولا حجة لعبادتها، بل قد أمر الله بترك عبادتها وبتوحيده، خلافًا لِما يزعمون، وأمرهم بانتظار ما يقع عليهم من العقاب ، فأنقذه الله من الدمار الذي حلّ بهم، ثم أرسل النبي صالحًا إلى قومه قبيلة ثمود، وكان بينه وبينهم مثل ما كان لهود، من الدعوة والتكذيب، فاختار ناقة معجزة لهم ببعض صفاتها، وأمرهم بتركها دون أذى أو سوء، تشرب وحدها في يوم من بئر لها، وهم يشربون من بئر أُخرى في يوم آخر، وإن تعرّضوا لها وقع عليهم الانتقام بعذاب أليم...

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ
فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ
ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن
قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ
مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ
أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ
جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ
﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾

تفسير المفردات: اذكروا: تذكّروا واستحضروا في أذهانكم للاتعاظ. وإذ جعلكم: وقت تصييركم. والخلفاء: جمع خليفة. وهو الذي يحل مكان غيره في عمل أو موضع. وعاد: قوم النبي هود أهلكهم الله بكفرهم. وبوّأكم: أسكنكم. والأرض: بلادهم في وادي القُرى بين الشام والمدينة. وتتّخذون: تصنعون وتبنون. والسهول: جمع سهل. وهو الأرض المنبسطة الليّنة. والقصور: جمع قصر. وهو البناء الواسع المحصَّن بالجدران العالية. وتنحتون: تنجرون وتحفرون. والجبال: جمع جبل. وهو ما علا وصلب من الأرض. والبيوت: جمع بيت. وهو البناء للإقامة والاستقرار. والآلاء: النِّعم مفردها ألْيٌ. ولا تعثوا أي: لا تُفسِدوا. والأرض: الحِجر وما حولها، موطن ثمود. ومفسدين أي: مشيعين الشر والفساد. ٧٤ الملأ: الرؤساء يملؤون المجالس بأجسامهم والقلوب مهابة والعيون إجلالًا ويتمالؤون على الباطل. واستكبروا: تكبّروا على الإيمان. وقوم الإنسان: الجماعة التي هو منها. واستُضعفوا: جُعلوا من الضعفاء الأذلّاء. وآمن: صدّق نبوّة صالح وما أرسل به واستجاب بالطاعة والصلاح. وتعلمون: تتيقّنون بإيمان وتجزمون بحق. والمرسل: المبعوث للدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ومن ربه أي: من عنده وبأمره. وقالوا: أي: المؤمنون للكافرين. وبما أُرسل: بالذي بُعث به من التوحيد والبعث. وبه مؤمنون أي: نحن نعلم ذلك ونصدّقه ونمتثل أمره. ٧٥ آمنتم أي: صدّقتم واعتقدتم جازمين. وكافرون أي: مكذّبون جاحدون. ٧٦ عقروا الناقة: قطعوا إحدى قوائمها فسقطت وذبحوها. وعتوا: ترفّعوا وتكبّروا. والأمر: الفرض والإلزام. وائتنا أي: أحضر وأنزل علينا. وتعدنا: تهدّدنا وتتوعّدنا. والمرسلون: الرسل من عند الله للتبليغ والنصح والتهديد. ٧٧ أخذتْهم: أهلكتهم عقوبة وإهانة. والرجفة: الزلزلة العنيفة. وأصبحوا: صاروا. والدار: مكان الإقامة، أي: دورهم جميعًا. والجاثمون: الميتون وهم باركون على ركبهم. ٧٨ تولّى: أعرضَ وانصرف. وقال لهم أي: خاطبهم وهم مهلكون. ويا قومِ: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. وأبلغتكم: أعلمتكم. والرسالة: ما أُرسل به من التوحيد والبعث. ونصحت لكم: عرّفتكم سبيل الخير بنيّة خالصة. ولا تحبّون: لا تودّون فلا تطيعون. ٧٩ لوطًا أي: أرسلناه. وهو ابن هارانَ أخي إبراهيم، هاجر مع عمه من بابل إلى بلاد الشام، وأرسله الله إلى مدينة سدوم قرب حمص. والقوم هنا من العرب الساميّين، ولوط مقيم بينهم وهو من الحاميِّين. وأتأتون: لا يجوز أن تفعلوا وتمارسوا. والفاحشة: ما عظم قبحه من الأعمال. وهي هنا اللِّواطة. وما سبقكم: ما تقدمكم فيما مضى. ومن أحدٍ أي: أحدٌ. والعالمون: جميع المخلوقات. ٨٠ تأتون الرجال: تقصدون أدبارهم بالشهوة. وهي الرغبة الشديدة في التلذّذ الخبيث. والرجال: جمع رجل. وهو الذكر من البشر. ودون أي: غير. والنساء: جمع نسوة. والنسوة واحدته امرأة. والقوم: الجماعة من الرجال. والمسرفون: المتجاوزون للحلال إلى الحرام. ٨١

المعنى العام: أن النبي صالحًا ذكّر قومه بالنعم: السيادة في البلاد كالخلفاء بعد فناء قوم هود، وما كان لهم من القوة والضخامة في بناء القصور ونحت الجبال بيوتًا شامخة، لمنع الفقراء والأعداء والوحوش من نيلهم أو الدخول إليهم، ثم حذرهم أن يكونوا مشيعين للفساد فيما حولهم، فاستكبروا على ما أراد منهم منكرين رسالته، وسخروا ممن آمن به معلنين الكفر والعصيان، وطلبوا منه معجزة تثبت صحة قوله، فاختار لهم ناقة ليمتحن استجابتهم بالصبر عليها، فذبحوها وبالغوا في الفساد، متحدِّين له أن ينتقم منهم بالذي هدّدهم به إن كان صادقًا فيما يقول. ولذلك عاقبهم الله فزُلزلت ديارهم عليهم، ونجا صالح والمؤمنون، وهو يخاطب الكافرين بعد موتهم، بأنه نصحهم وهم يكرهون الناصحين، كما خاطب الرسول ﷺ أصحاب القَليب بعد بدر. ثم أرسل الله لوطًا إلى قوم من العرب في مدن قرب حِمص، فاستنكر عليهم انهماكهم في الفاحشة بأدبار الذكور موبّخًا، وهي فاحشة لم يقترفها أحد قبلهم من الإنس والجن والحيوان.

تفسير المفردات: جواب قومه أي: ردّ المستكبرين الكافرين من قوم لوط، على التوبيخ. وقالوا أي: بعضهم لبعض استثارة وتهييجًا. وأخرجوهم: اطردوا النبي لوطًا ومن آمن معه وشرّدوهم لنتخلص منهم. والقرية: مدينتهم سَدوم وما حولها من المدن. وأناس أي: بشر، واحدهم إنسان. ويتطهّرون: يتنزّهون مما نحن عليه. ٨٢ أنجيناه: أنقذناه من العذاب والهلاك. وأهله: من يعولهم زوجته الثانية المؤمنة وابنتاه. وامرأته هي الأولى اسمها واهلة، نافقت وأضمرت الكفر به وبرسالته، وهي تنقل أخباره إلى قومها الكافرين وتؤيدهم. وكانت: صارت. والغابرون: الذاهبون بالعذاب. ٨٣ أمطرنا: أرسلنا وأنزلنا. والمطر: ما يسقط من السماء. وهو هنا حجارة قاصمة. وانظر: تأمّل وتدبّر، أيها السامع والقارئ. والعاقبة: النهاية والنتيجة. والمجرمون: الذين اقترفوا جرائم الكفر والعصيان باختيار وقصد وتصميم، من قوم نوح وهود وصالح ولوط وغيرهم. ٨٤ إلى مَدْيَن أي: أرسلنا. وهي مدينة على شاطئ البحر الأحمر محاذية لتبوك. وأخوهم: شُعيب النبي العربي من ذرية إبراهيم وزوجتِه العربية قنطوراء. ويا قوم: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. واعبدوا الله: وحّدوه بالتقديس. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وما لكم: ليس لكم. والإلَه: المعبود بحق. وغيره أي: مغايرٌ لله. وجاءتكم: وصلت إليكم.

ﵟوَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٨٤ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨٦ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧ﵞ

والبيّنة: الدلالة القاطعة على صدق الرسالة. ومن ربكم أي: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأوفوا: أتمّوا. والكيل والميزان: تقدير ما يكون من البيع للآخرين. ولا تبخسوا: لا تنقصوا. والناس: البشر. والأشياء: جمع شيء، الحقوق والأموال فيما يكون من التعامل. ولا تفسدوا: لا توقعوا الفساد والشر قاصدين متعمدين. والأرض: بلادهم وما حولها. وإصلاحها: جعْلُها صالحة لمنافع الخلق والحياة في الدنيا والآخرة. وذلكم أي: ما مضى من إيفاء الكيل والميزان وترك البخس والفساد. وخير: أكثر نفعًا وفائدة في الدنيا والآخرة. والمؤمنون: من يريدون الإيمان والصلاح. ٨٥ لا تقعدوا أي: لا تترصّدوا الناس. والصراط: الطريق. وتوعِدون: تُرهبون وتخوّفون. وتصدون: تمنعون. والسبيل: الطريق الواضح لا اعوجاج فيه. وآمن به: صدّقه اعتقادًا يقينيًّا. وتبغونها: تطلبون أن تكون طريق الحق. العِوَج: المُعْوَجّة. واذكروا: استحضروا في أذهانكم للاتعاظ. وإذ كنتم: وقت كونكم. وقليلًا أي: في العدد والقوة والمال. وكثركم: جعلكم أكثر عددًا وقوة ومالًا. وانظروا أي: تأمّلوا وتدبّروا لتتعظوا. والعاقبة: النهاية والنتيجة. والمفسدون: الذين يقترفون الكفر ممن أُهلكوا قبلكم. ٨٦ الطائفة: الجماعة. وآمنوا: صدّقوا واعتقدوا. وأُرسلتُ به أي: بُعثت للدعوة إليه، من العقيدة والشريعة والأحكام. واصبروا أي: تحملوا ما يكون وتريثوا. ويحكم: يقضي ويفصل بأمره. وبيننا أي: وبينكم. وخير الحاكمين: أعدلُهم منزّه عن الجور والميل والخطأولا مانع لحكمه وعدله. ٨٧

المعنى العام: متابعة ما كان من قوم لوط، إذ أمر بعضُهم بعضًا بتشريده مع أهله، متهكمين بالمؤمنين لتجنبهم الفاحشة، ومفتخرين بالكفر والقذارة، فأنجاه الله مع أهله وأصحابه إلّا امرأته الكافرة، وكان هلاك الباقين بمطر من الحجارة تدمر وتستأصل.

فعليك - أيها المخاطَب - أن تتأمل ما مضى من قصص الأنبياء المذكورين قبل، لترى النهاية التي كانت لأقوامهم الكافرين، وهي على أحسن ما يكون من العقاب، فتتعظ بها وتهتدي إلى الصواب.

ثم أرسل الله شُعيبًا النبي العربي إلى أهل مَدْينَ، فوجّههم إلى التوحيد والوفاء والأمانة في التجارة، وعدم الإفساد لِما أصلحه الله بالفطرة والرسالات، وبيّن لهم أن ذلك الصلاح أفضل مما يعتقدون أن فيه خيرًا لهم ـ وهو الغش وقطع الطريق على الناس ليسلبوا ما معهم، ومنع الآخرين من الإيمان، وتعمية سبيل الحق ليصرفوهم عن الهداية ـ وذكّرهم بنعم الله حين كثّر عددهم، وبما كان من هلاك الكافرين قبلهم، وهددهم بعذابه لينقذ المؤمنين ويهلك الكافرين، وهو خير الحاكمين.

الجزء التاسع — سورة الأعراف

الجزء ٩ الحزب ١٧

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم
بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ
عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ
أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ
بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ
ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

تفسير المفردات: الملأ: الأشراف والرؤساء يملؤون المجالس والقلوب والعيون إجلالًا ويتمالؤون على الباطل. واستكبروا: تكبّروا عن الإيمان والطاعة. والقوم: جماعة النبي شعيب. ونخرجنّك: نطردنّك ونشرّدنّك. وآمنوا: صدّقوا واعتقدوا ما جئت به. والقرية هي مَدْيَن، بناها مدينُ بن إبراهيم فسُمِّيت باسمه. وتعودنّ: تصيرنَّ. والملة: الدين. وأَوَلو كنا كارهين أي: أَتُجبروننا على ما تريدون مع أننا مُبغضون لملتكم وللتشرّد من الديار؟ ٨٨ افترينا: اختلقنا. والكذب: الباطل المخالف للواقع. وعدنا: صرنا. وبعد إذ أي: بعد وقت. ونجّانا: أنقذنا وهدانا. وما يكون: ما ينبغي ولا يجوز. وأن يشاء أي: وقت إرادته أن نصير فيها. والربّ: الخالق المالك والمعبود المتفرد يرعى مصالح ملكه. ووسع: أحاط وحوى مجملًا ومفصلًا. والشيء: ما هو موجود في الكون. والعلم: الإحاطة بحقيقة الأشياء. وعلى الله توكلنا أي: استسلمنا إليه واعتمدنا عليه وحده. وربّنا أي: يا ربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وافتح: احكم. وقومنا أي: الذين كفروا. وبالحق: مع العدل لاشك فيه. وخير: أفضل وأعدل. والفاتحون: الحاكمون. ٨٩ قال الملأ أي: قال الأشراف بعضهم لبعض. وكفروا: كذّبوا الدعوة وجحدوها. ولئن أي: نُقسِم إن. واتبعتم شُعيبًا: آمنتم به وعملتم ما يريد. وإذًا أي: إن فعلتم ذلك. وخاسرون: مغبونون ومضيّعون أموالكم بتوفية الكيل والميزان وترك الغصب. ٩٠ أخذتْهم: نزلتْ بهم وأهلكتهم. والرجفة: الزلزلة. وأصبحوا: صاروا. ودارهم: منازلهم. وجاثمين: ميتين باركين على الركب. ٩١ كذّبوا شُعيبًا: أنكروا ما دعا إليه وكفروا به. وكأنْ أي: كأنّهم. ولم يغنَوا: لم يُقيموا. وفيها: في ديارهم. والخاسرين: المضيّعين ما كان معهم وما يؤمّلون. ٩٢ تولى: أعرض وانصرف بالنجاة. وقال أي: خاطبهم وهم أموات. ويا قومِ أي: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. وأبلغتكم: بلّغتكم. والرسالات: ما كلفني الله به من الدعوة. ونصحت لكم: أردت لكم الخير والصلاح. وكيف آسى: لن أحزن. ٩٣ ما أرسلنا من نبي: ما بعثنا نبيًّا مكلفًا بالتبليغ والتبشير والإنذار ووجوب العمل. والقرية: البلدة العامرة بالسكان. وأخذنا: عاقبنا. وأهل القرية: أصحابها المقيمون فيها. والبأساء: شِدّة الفقر والبلاء. والضرّاء: شِدّة الضرر. ولعلهم: ليُترجَّى لهم. ويتضرّعون: يتذلّلون ويؤمنون.٩٤ بدّلنا: غيّرنا. ومكان السيئة: في موضع ما يسوء ويؤذي من البلاء. والحسنة: ما يُستحسن من النعم. وعفوا: كثر أقوام الرسل عددًا وغنى وقوّة. وقالوا أي: بعضهم لبعض تبجّحًا بالقول جهارًا، وكفرًا للنعمة ومكابرة وتكذيبًا للأنبياء. ومس أي: أصاب ونال. والآباء: جمع أب. وهو الوالد والجدّ. وأخذناهم: عاقبناهم بالفناء. والبغتة: الفُجاءة. ولا يشعرون: لا يحسون ولا يتوقّعون لِما هم عليه من الاستغراق في الشهوات.٩٥

المعنى العام: متابعة ما كان من قوم شُعيب، بأن هدّده الأشراف بالتشريد مع المؤمنين ، إن لم يكفروا، فردّ عليهم أنهم لا يحتملون الكفر ولا التشريد، واستنكر إرغامهم على ذلك وهم كارهون، وأكّد أنه والمؤمنين لن يكفروا إذا لم يرد الله ذلك، وأنهم توكلوا عليه وطلبوا منه الحكم بينهم وبين الكافرين بالحق. فقال بعض الأشراف لبعض يمنعون الإيمان: نقسم ـ لئن اتبعتم شعيبًا فإنكم إذًا لخاسرون ـ إنكم إذًا لخاسرون. فنزلت بهم الزلزلة تهدّم البلدة فوق الكافرين، كأنهم لم يعيشوا قبل، ونجا شعيب والمؤمنون معه مخاطبًا للكافرين بعد هلاكهم، بأنه بلّغهم ونصحهم، و محالٌ أن يحزن على الذين كفروا بآيات الله، وأصرّوا على الآثام.

ثم ذكر الله بإيجاز ما فُصّل في الآيات ٥٩ ـ٩٣ من أحوال الأمم المكذّبة للرسل، تهديدًا لأهل مكة، وتسلية للمؤمنين بأن النصر لهم. فجميع الأنبياء كذّبتهم أقوامهم، فأُصيبوا بأنواع البلاء ليؤمنوا. ثم بدّل الله بذلك أنواع نعم للاختبار، فتمردوا وسخروا مما كان قبلهم، ولم يتعظوا بما حصل لهم ولآبائهم من الابتلاء والاختبار، وأصرّوا على العصيان، فنزل بهم العذاب فجأة وهم آمنون، لانهماكهم في الكفر والعصيان، فكانوا أحط من الحيوان الذي يشعر بما حوله، فيتجنب الضرر.

تفسير المفردات: لو أي: لو حصل. وأهل القرى: أصحابُ المدن المذكورون في الآية ٩٤. والقرى: جمع قرية. واتقوا: تجنّبوا الكفر والتزموا الإيمان. وفتحنا بركات: وسّعنا خيرات فأقبلت عليهم وتنزّلت. والسماء: السحاب وما حوله من عوالم علوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وكذّبوا: أنكروا ما دعاهم إليه الرسل. وأخذناهم: عاقبناهم. وبما يكسبون أي: بسبب ما يقترفونه من الكفر والعصيان.**٩٦** أأمن أهل القرى: كيف يطمئنون ولا يخافون؟ ويأتيهم: ينزل بهم. والبأس: العذاب الشديد. وبياتًا: ليلًا. ونائمون أي: مضطجعون مستغرقون في النوم. **٩٧** الضحى: وقت ارتفاع الشمس. ويلعبون: يتلهّون بما يضرهم ولا ينفعهم. **٩٨** المكر: الاحتيال والخديعة، كما يليق بصفات الألوهية، لإيصال الضرر إلى العدو بطريق خفي. والقوم: الجماعة من الناس. والخاسرون: الذين أهلكوا أنفسهم بالكفر والعصيان، فضيعوا خير الدنيا والآخرة. **٩٩** ألم يهد: كان يجب أن يتبيّن ويُظهر. ويرثون الأرض: يَخلفون من هلك ويملكون ديارهم. والأهل: السكان المالكون. وأنْ أي: أنّه. ونشاء: نريد إصابتهم بالعذاب. وأصبناهم: أنزلنا بهم وأهلكناهم. وبذنوبهم أي: بسبب معاصيهم التي توجب العقوبة. ونطبع على قلوبهم: نُغلقها ونسد عليها المنافذ، لأنها امتلأت بالمكابرة. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. ولا يسمعون: لا يدركون ما جاءهم من أخبار الأقوام المُهلكة بتفكر واتّعاظ. **١٠٠** تلك أي: التي مرّ ذكرها في الآيات قبل. والمراد بالقرى أهلها ومن كان فيها. ونقصّ: نتلو ونفصّل. والأنباء: جمع نبأ. وهو الخبر العظيم. وجاءتهم بالبيّنات: أتتهم بالأدلة والمعجزات وأحضرتها عِيانًا. والرسل: جمع رسول، مَن كلّفه الله بالدعوة مع العمل. وما كانوا: ما قصدوا. ويؤمنوا أي: يصدقوا ويقرّوا يقينًا. وكذّبوا: أنكروا وجحدوا. وقبلُ أي: قبلِ نزول العذاب بهم. وكذلك أي: مثلَ ذلك الطبع على قلوب الأمم المهلكة. والكافرون: المكذبون للتوحيد والرسل والآيات بإصرار وعناد. **١٠١** ما وجدنا: ما لقينا وما صادفنا. وأكثرهم: أكثر الناس المذكورين قبل. والعهد أي: الوفاء بما عهِد الله ـ تعالى ـ إلى الناس من الإيمان والتقوى، بإظهار الدلائل والحجج وإنزال الآيات. وإنْ وجدنا أي: لقد علمنا. وفاسقين أي: خارجين عن الطاعة. **١٠٢** بعثنا: أرسلنا للدعوة والعمل. وبعدهم: بعد الرسل المذكورين قبل. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل وهم من بني حام. والآيات: المعجزات. وفرعون: ملك مصر في ذلك الوقت. والملأ: السادة المترفون يتمالؤون بما لا مزيد عليه من المكر والفساد، ويملؤون المجالس والعيون والقلوب مهابة. وظلموا: كفروا. وانظر: تأمّل وتدبّر، أيها المخاطَب. والعاقبة: النهاية والنتيجة. والمفسدون: الذين يسببون الفساد والشر لأنفسهم ولغيرهم. **١٠٣** الرسول: من كلفه الله الدعوةَ مع العمل. ومن رب أي: من عنده بتكليف منه. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. **١٠٤**

الجزء التاسع — سورة الأعراف

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

المعنى العام: أن الأمم المهلكة كفرت وتمرّدت، ولو آمنت واتقت لوسّع الله عليها بالخير العميم من السماء والأرض، ولكنها كذّبت وأُهلكت بما فعلت. وكان على تلك الأقوام أن يخافوا بطش الله في كل وقت، ولكنهم مشغولون بالشهوات والكفر، وإنما يأمن انتقام الله من ضيع كل خير، وقد كان على من يأتون بعد أولئك المهلَكين أن يتبيّن لهم ذلك ويتعظوا بعقاب الله للمذنبين واحتمال وقوعه عليهم، ولكن قلوبهم مغلقة لا تعي ولا تفهم، فلا يسمعون الآيات كما يجب، فضلًا عن التدبر والتفكر فيها والاتعاظ بها.

فالأقوام الكافرون كذّبوا الرسل والآيات ولم يتعظوا قبل نزول العذاب بهم، لأن قلوبهم مغلقة، وكذلك هي حال الكافرين دائمًا، ليس لهم وفاء بعهد، وأكثرهم خارجون على الحق، وكذلك أيضًا فرعون وسادة قومه، أرسل الله إليهم موسى بالمعجزات فأخبرهم أنه رسول من الله، ولكنهم كفروا وأنكروا، وكانت نهايتهم الهلاك غرقًا. ولو تأملتَ - أيها المخاطَب - عواقب الكافرين الوخيمة لرأيت أنها وقعت موقعها على أحسن ما يكون.

تفسير المفردات: الحقيق: الجدير والحريص. وعلى الله أي: عنه تعالى. والحق: الصدق لا شك فيه. وجئتكم ببيّنة: أحضرت لكم معجزة مؤيِّدة للرسالة. ومن ربكم: من عنده وبأمره. وأرسل بني إسرائيل: أطلق سبيلهم - يافرعون ـ ليذهبوا لاجئين إلى الشام. وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق الحاميّ. وبنوه: ذريته من أبنائه. ١٠٥ قال أي: فرعون لموسى. وجئت بآية: أحضرت برهانًا. وائت بها: أظهرها لتصح دعواك. والصادقون: من يقولون الحق. ١٠٦ ألقى: رمى موسى إلى الأرض. والعصا: ما يُتّخذ من الخشب للتوكؤ أو الضرب. وإذا هي ثعبان: فاجأ إلقاءها كونُها ثعبانًا. والثعبان: الحية العظيمة. والمبين: الظاهر للعِيان لا يُشك فيه. ١٠٧ نزع يده: أخرجها بعد ما جعلها تحت إبطه الأيسر. ويده: كفه اليمنى. وإذا هي بيضاء أي: فاجأ نزعَها كونُها مبيضّة. وبيضاء: مبيضّة ولها شعاع برّاق. والناظرون: المبصرون بأعينهم. ١٠٨ قال الملأ أي: صار الأشراف يردّدون قول فرعون مؤيدين. وقوم فرعون هم الأقباط العرب. وهذا أي: موسى. والساحر: من يخدع أبصار الناس وعقولهم بالباطل. والعليم: واسع العلم بالسحر ماهر. ١٠٩ يريد: يقصد. ويخرجكم: يبعدكم ـ أيها الأقباط ـ لتكون له السيادة. وأرضكم: أرض مصر. وماذا تأمرون أي: قال فرعون: أيَّ شيء تُشيرون عليّ في هذا، أيها الملأ. ١١٠ قالوا أي: الملأ لفرعون. وأرجهْ: أجّل الحكم في شأنه. وأخوه: هارون. وأرسل: ابعث. والمدائن: مُدن المملكة، جمع مدينة. وحاشرين: جامعين للسحرة والناس. ١١١ يأتوك أي: يُحضروا إلى مجلسك. والعليم: الخبير بخفايا السحر. ١١٢ جاء السحرة فرعون: حضروا مجلسه. والسحرة: جمع ساحر. وقالوا أي: لفرعون. والأجر: المكافأة بالمال والجاه. وكنّا: صرنا. والغالبون: المتغلبون على موسى في السحر. ١١٣ قال أي: فرعون لهم. ونعم أي: إن لكم ذلك. ومن المقربين يعني: ولكم المنزلة الرفيعة عندي زيادة على الأجر. ١١٤ قالوا أي: السَّحَرة بعد اجتماعهم. وتلقي: ترمي عصاك إلى الأرض لتصنع ما تريد. والملقون: الرامون لعِصِيّنا وحبالنا. ١٠٥ قال أي: موسى لهم. وألقُوا أي: ارموا حبالكم وعِصِيّكم. وسحروا: صرفوا عن الحقيقة وأوهموا. والأعين: جمع عين. وهي عضو البصر. والناس: البشر في موضع احتفال بالعِيد. واسترهبوهم: خوّفوهم بما فعلوا. وجاؤوا بسحر: فعلوه. والسحر: تخييل في الأشياء لِعين الرائي وإدراكه، مع أن الأشياء المرئيّة هي على حقيقتها لم تتغيّر. والعظيم: الكبير في فنه وأثره. ١١٦ أوحينا: أنزلنا الأمر على لسان جبريل. وأن بمعنى: أي. وهي أي: العصا صارت حيّة. وتلقف: تبتلع. وما يأفكون: ما يموّهون به من أدوات وسحر. ١١٧ وَقع: ثَبَتَ. والحق: الأمر الذي لا شك فيه. وبطل: ظهر فساده. ويعملون: يصطنعون بمهارة. ١١٨ غُلبوا: قُهروا. وهنالك: في ذلك المكان. وانقلبوا: صاروا. وصاغرين: أذلّاء مغلوبين. ١١٩ أُلقيَ السحرة: خرّوا على وجوههم مذعنين لِما بهرهم من صدق موسى وبطلان سحرهم. والساجدون: الذين يحنون ظهورهم ويضعون جباههم على الأرض خضوعًا وتعظيمًا. ١٢٠

ربع الحزب ١٧

الجزء التاسع — سورة الأعراف

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

المعنى العام: متابعة ما قال موسى لفرعون بأنه ملزم بالصدق فيما ينقل عن الله ومعه معجزته، وطلب سماح سفر بني إسرائيل معه إلى الشام، وطلب فرعون إظهار المعجزة، فرمى موسى عصاه وصارت ثعبانًا، وأدخل كفه السمراء تحت إبطه وأخرجها بيضاء ساطعة، فاتهمه فرعون والملأ بأنه ساحر يريد التسلط، وطلب فرعون منهم المشورة فيما سيعمل، فأجابوه بتأخير الحكم وجمع السحرة والناس. ولما جاء السحرة أخذوا من فرعون عهدًا بإكرامهم إن غلبوا موسى، ثم سحروا أعين الناس بما خيّلوا لهم، فجاء الوحي بتوجيه موسى، وألقى عصاه فأصبحت ثعبانًا التهم كل خداع السحرة، وجاء الحق وذهب باطلهم، فاستسلموا صاغرين ساجدين.

تفسير المفردات: قالوا أي: السَّحَرة. وآمنّا: صدّقنا واعتقدنا يقينًا. والرب: الخالق المالك والمعبود. والعالَمون: مجموع الأجناس من الخلق. ١٢١ هارون: أخو موسى وهو مرسل معه. ١٢٢ آمنتم به أي: صدقتموه. وآذن لكم: أسمح لكم وآمُركم. وهذا: ما فعلتموه الآن. والمكر: الحيلة والخداع. ومكرتموه: دبّرتموه واحتلتم له أنتم وموسى. والمدينة هي مَنفُ في مصر. وتخرجوا أهلها: تشرّدوا الأقباط في الصحراء - يا بني إسرائيل - وتستبدوا. وسوف تعلمون: سوف ترون ما تنالون منّي. ١٢٣ أقطعنّ: أفصلنّ عن الجسد. والأيدي: جمع يد. والأرجل: جمع رِجل. ومن خلاف أي: مختلفة، اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس. وأصلّبنّكم: أعلّقنّكم مصلوبين في جذوع النخل. وأجمعين أي: كلكم مجتمعين. ١٢٤ قالوا أي: السحرة لفرعون. إلى ربنا أي: إلى لقاء موعده بالحشر والحساب. ومنقلبون أي: راجعون بالبعث. ١٢٥ ما تنقم: ما تُنكر. ومنّا أي: من أحوالنا. وآمنّا: صدّقنا تصديق يقين. والآيات: المعجزات الدالة على صدق موسى. ولمّا جاءتنا: حين أتتنا ورأيناها عِيانًا. وربّنا أي: يا ربَّنا. حُذف حرف النداء لِـما فيه من معنى الأمر. وأفرغ علينا صبرًا: ارزقنا تجلّدًا واسعًا يفيض علينا. وتوفَّنا مسلمين: أمِتْنا ثابتين على الاستسلام لك. ١٢٦ الملأ: السادة المترفون. وقوم فرعون: الأقباط. وأتذر: لا تترك. وقوم موسى: مَن آمن به من بني إسرائيل. ويفسدوا: يشيعوا الفساد والشر. والأرض أي: مصر وما حولها. ويذرك: يهملك موسى وينبذك. والآلهة: المعبودات من الأصنام، جمع إلَه. قال أي: فرعون. ونقتّل: نزهق الأرواح. والأبناء: جمع ابن. وهو الولد الذكر والحفيد. ونستحيي: نستبقي على الحياة. والنساء: جمع نسوة. والنسوة واحدته امرأة. وهي الأنثى صغيرة كانت أو كبيرة. وفوقهم أي: مستعلون عليهم مسيطرون. والقاهرون: القادرون على البطش. ١٢٧ استعينوا: اطلبوا العون والنصرة. واصبروا: تجلّدوا وتحمّلوا. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويورثها: يعطيها. ويشاء أي: يريد الله إعطاءه إيّاها وتمليكه لها. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والعاقبة: النهاية المحمودة. والمتقون: الذين يخافون الله ويطيعون الأمر والنهي. ١٢٨ قالوا أي: بنو إسرائيل لموسى. وأوذينا: ابتلينا بالذبح والتعذيب والاستخدام. وتأتينا أي: تجيء إلينا بالرسالة. وجئتنا: أتيتنا بالرسالة. وعسى أي: يُترجَّى. ويهلك: يفني. وعدوكم: معاديكم فرعون وقومه. ويستخلفكم: يجعلكم خلفاءهم لا جئين. والأرض: مكان مّا منها. وينظر: يرى منكم رؤية تحقق وحدوث لعلمه القديم. وتعملون أي: تكتسبونه من نية وقول وفعل. ١٢٩ أخذنا أي: قال الله: ابتلينا وعذّبنا. وآل فرعون: قومه وأنصاره. والسنون: جمع سنة. وهي الجدبُ واحتباس المطر. والنقص: التقليل بالآفات والكوارث. والثمر: ما ينعقد عن الزهر للغذاء والزينة والدواء. ولعلّهم: ليُترجَّى لهم. و يذّكّرون: يتذكّرون أي: يتذكرون قدرة الله ونعمه فيتعظون ويؤمنون. أُدغمت التاء في الذال. ١٣٠

الجزء التاسع — سورة الأعراف

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ
فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾
قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ
﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ
نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ
ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا
مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

المعنى العام: متابعة ما جرى بين موسى وفرعون، إذ أقرّ السحرة بالإيمان والتوحيد، فأنكر فرعون عليهم أن يفعلوا ذلك قبل إذنه لهم، واتهمهم بالتواطؤ مع موسى لتشريد الأقباط من مصر، وهددهم بتقطيع الأطراف بخلاف بين يمين الرِّجل واليد ويسارهما مع الصلب على الأشجار، فأصرّوا على إيمانهم الذي أغضب فرعون وتوكلوا على الله، ودعوه أن يعينهم بالصبر، وينهي حياتهم مع الإيمان، فحرّض المترفون فرعون على موسى والمؤمنين، لتركهم عبادة فرعون والوثنية، وأجابهم فرعون بإعادة التقتيل لرجال بني إسرائيل وإبقاء النساء للخدمة والفجور.

هنالك نصح موسى قومه بالصبر لينالوا النصر، فأجابوه بأن عدوان فرعون عليهم قديم مألوف، ووعدهم موسى أن يُهلك اللهُ أعداءهم ويُقِرّهم لوقت محدود في بعض الأرض، ليمتحنهم ويَظهر منهم ما يعلمه عنهم. ثم أنزل الله بفرعون وقومه الكوارث ورفع بعضها عنهم، كالمحل الشديد ونقص الغلاّت، ليتعظوا ويلجؤوا إلى الإيمان والصلاح...

تفسير المفردات: جاءتهم: حصلت في بلادهم. والحسنة: ما يستحسن من النعم والخير. لنا أي: نستحقها لصلاحنا. وتصيبهم: تنزلُ بهم. والسيئة: ما يسوء ويؤذي. ويطّيّروا: يتشاءموا. ومن معه أي: من المؤمنين. وألا: حقًّا. وطائرهم: ما تشاءموا به ولحقهم من السوء. وعند الله أي: إرادتُه وحكمته وأعمالُهم المكتوبة عنده هي سبب شؤمهم وابتلائهم، لا وجود موسى والمؤمنين بينهم. وأكثرهم: غالبية الكافرين. ولا يعلمون: لا يدركون ذلك. ١٣١ قالوا أي: فرعون وقومه لموسى. ومهما تأتنا به: أيُّ شيء تحضرْه إلينا عِيانًا. والآية: المعجزة. وتسحرنا: تخدع أبصارنا وعقولنا بما هو غير حقيقي. وما نحن أي: لسنا. وبمؤمنين أي: مصدقين لك ومتَّبعين. ١٣٢ أرسلنا: أطلقنا وبعثنا. والطوفان: الماء الكثير يغمر ويجرف الثمار والأموال. والجراد: واحدته جرادة للذكر والأنثى. وكذلك القُمَّل واحدته قمّلة. وهما من الحشرات تأكل الزرع وتفسده. والضفادع: جمع ضِفدَع للذكر والأنثى، حيوانٌ برْمائيٌّ له نقيق مشهور يزعج ويخرّب. والدم: السائل الأحمر في العروق يسيل منهم. والآيات: الأدلّة والبراهين للتنبيه على عصيانهم. ومفصَّلات أي: مبيَّنات لا يغيب عن العاقل أنها عذاب بسبب الكفر. واستكبروا: امتنعوا تكبرًا وتجبرًا مع علمهم بالحقيقة. والقوم: الجماعة من الناس. ومجرمين أي: يقترفون الجرائم بالكفر والعصيان اختيارًا وقصدًا. ١٣٣ ولما قع عليهم أي: كلما نزل بهم وذاقوا شدته. والرجز: نوع من العذاب. وادع ربك: ناده واطلب منه بتذلّل. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وبما عهد عندك أي: بسبب ما أعلمك إياه ووعدك. ولئن أي: نُقسِم إن. وكشفت: رفعت وأزلت. ونؤمن لك: نصدّقك ونتّبعك. ونرسل: نبعث إلى البلد الذي تريد. وبنو إسرائيل: قوم موسى الحاميُّون. ١٣٤ لما كشفنا: كلّما رفعنا. والأجل: الوقت المعيّن. وبالغوه أي: مدركوه وواصلون إلى نهايته ليكون الانتقام. إذا هم ينكثون أي: فاجأ كشفَ العذاب نقضُهم للعهد. ١٣٥ انتقمنا أي: أردنا الانتقام وقضينا به. وأغرقناهم: أمتْناهم خنقًا بالماء. واليم: البحر الأحمر. وبأنهم: بسبب أنهم. وكذّبوا بآياتنا: أنكروا المعجزات وأدلّة صدق موسى، مع أنهم علموا وجوب الإيمان. وعنها غافلين: تاركين الاستجابة لها. ١٣٦ أورثنا القوم: أقررنا بني إسرائيل لاجئين خلفًا لمن ذهب قبلهم من العماليق العرب. ويُستضعفون: يُجعلون ضعفاء أذلّاء. والمشارق: جمع مَشرِق. وهو موضع شروق الشمس. والمغارب: جمع مَغرِب. وهو موضع غروبها. وباركنا فيها: جعلنا الخير فيها كثيرًا جدًّا. وتمت: تحققت وثَبَتَت تامّة. وكلمة ربك: وعده بالنجاة والنصر والاستخلاف والإقرار. والحسنى: العدة بالمحبوب تَفضل كل شيء حسن. وبنو إسرائيل: سلالة أبناء يعقوب من الحاميّين. وبما صبروا: بسبب تجلّدهم وتحمّلهم عذاب فرعون وقومه. ودمّرنا: أتلفنا وطمرنا. ويصنع: يبنيه بدقة ومهارة. ويعرشون: يرفعون من بنيان، كصرح هامان والقصور والمعابد للأصنام والملوك. ١٣٧

الجزء التاسع سورة الأعراف

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ
لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن
كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ
ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

المعنى العام: متابعة ما كان بين موسى وقوم فرعون. فهم عندما تأتيهم الخيرات ينسبونها إلى صلاحهم، وعندما ينزل بهم البلاء والعذاب يتشاءمون بموسى والمؤمنين ويزعمون أنهم سبب ذلك، والحق أن ما يصيبهم هو بقدر الله وبسبب الكفر والذنوب.

وكانوا يصفون المعجزات بأنها نوع من السحر والإيهام مصرّين على الكفر، فسلّط الله عليهم بلايا الطوفان والحشرات وسيلان الدماء على مراحل، كما سيلي في الآيتين ١٣٤ و١٣٥، وكل منها يقع عليهم في مدة فيستغيثون بموسى ليدعو الله بمنزلته عنده، وينكشف ذلك بالرحمة والفضل. وهم يقولون كل مرة: نقسمُ ـ لئن كشفت عنا الرجز نؤمنْ لك ـ لنؤمننّ لك، أي: نصدّقك ونتبع ما جئتنا به ونرسل معك قومك إلى بلاد الشام. ثم ينقضون عهدهم الموثّق بالقَسم، فعاقبهم الله بالغرق لكفرهم وانصرافهم عن الإيمان، وجعل السيطرة على بعض البقاع للمؤمنين اختبارًا، فتحقق وعدُه للمؤمنين بسبب صبرهم، وتهديدُه للكافرين بالهلاك وتدمير مفاخر البنيان، ليمتحن ما في نفوس مؤمني بني إسرائيل من خبث وفساد.

الجزء التاسع — سورة الأعراف

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ
أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ
قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ
مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا
وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم
مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ
أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن
رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ
وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ
سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ
رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ
إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ
رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ
قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣

تفسير المفردات: جاوزنا ببني إسرائيل البحر: عبّرناهم البحر الأحمر، بمرتفعات شَقّتِ المياه للعبور. وأتوا: مرّوا. والقوم: جماعة من الناس، وهم الكنعانيون العرب أُمر موسى بقتالهم. ويعكفون: يقيمون للعبادة. والأصنام: جمع صنم. وهو تمثال للبقر من الحجارة وغيرها. وقالوا أي: بعض بني إسرائيل. واجعل لنا إلهًا أي: عيّن لنا صنمًا نعبده. وكما لهم أي: كما ثبَت للقوم المشركين. والآلهة: جمع إِلَه. وتجهلون أي: لا تعلمون حقيقة التوحيد والنِّعم. **١٣٨** هؤلاء أي: القوم المشركون. ومتبَّر: مدمَّر ومحطَّم. وما هم فيه أي: من الشرك. والباطل: الفاسد المضمحلّ. ويعملون: يكتسبونه من الكفر والضلال. **١٣٩** أغير الله أبغيكم إلهًا: لن أطلب لكم معبودًا غير الله. وهو أي: الله. وفضّلكم: شرّفكم وأكرمكم بالنعم. والعالَمون: الخلق في زمان المخاطبين. **١٤٠** إذ أنجيناكم أي: وقت إنقاذنا لكم بأمرنا وفضلنا. وآل فرعون: جنوده وقومه من الأقباط العرب. ويسومونكم: يُذيقونكم. والسوء: الأشدّ والأسوأ. والعذاب: التعذيب. ويقتّلون: يُزهقون الأرواح. والأبناء: جمع ابن. وهو الولد والحفيد. ويستحيون: يستبقون للخدمة والاستعباد والفجور. والنساء: جمع نسوة. والنسوة واحدتها امرأة. وذلكم أي: العذاب والإنقاذ. والبلاء: الاختبار لتمييز المطيع من العاصي. ومن ربكم أي: من عنده وبقضائه. والعظيم: الكبير الضخم يدركه كل ذي عقل. **١٤١** واعدنا موسى: وضعنا له مدّة للمناجاة. والليلة: اليوم الكامل. وأتممناها بعشر: أكملنا المواعدة بعشر ليال أُخرى. وتم: اكتمل. والميقات: الوقت المحدّد لاستمرار المناجاة. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واخلفني: كن خليفة لي. وأصلح: احفظ صلاح أمرهم وامنعهم من الضلال. ولا تتّبع أي: اثبُتْ على التجنّب والإنكار. والسبيل: الطريق والمذهب. والمفسدون: الذين يشيعون الفساد باختيار وقصد. **١٤٢** ولما جاء: حين حضر. ولميقاتنا: في الوقت الذي وعدناه بالمناجاة فيه. وكلمه ربه أي: خاطبه بعد أن أزال الحجاب الذي يمنعه من سماع كلامه، فصار يدركه ويفهمه. وقال أي: موسى. وربِّ: يا ربّي. حذف حرفُ النداء لِما فيه من معنى التنبيه، والياءُ للتخفيف. وأرني أنظر إليك: مكّنّي من رؤيتك، لأوجّهْ نظري فأراك. وقال أي: الله تعالى. ولن تراني: لا قدرة لك على رؤيتي في الدنيا. وانظرْ: وجّه بصرك. والجبل: ما ارتفع وغلظ من الأرض، قرب مَدْيَن. واستقر مكانه: ثبَتَ في موضعه كما هو. وتراني: تَثبت لرؤيتي. وتجلى: ظهر بعض نوره. وجعله: صيّره. ودكًّا: متفتّتًا منبسطًا. وخرّ: سقط. والصعق: المَغشيّ عليه من الهول. وأفاق: صحا مما كان فيه ورجع إليه الوعي. وسبحانك: تنزيهًا لك. وتبتُ: ندمت على ما طلبت ولن أعود إلى مثله. وأول المؤمنين: أسبق المصدّقين في زمني والمُقِرّين بعظمتك ووحدانيتك وشدة بطشك. **١٤٣**

ربع الحزب ١٧

المعنى العام: متابعة ما كان من موسى وقومه بأن الله خلق ارتفاع بعض أراضي البحر الأحمر وانخسافَ مائه ليتيسر عبور بني إسرائيل، وبعد أن تجاوزوه مروا على وثنيِّينَ مشركين، وطلبوا من موسى أن يختار لهم صنمًا يعبدونه مثل أولئك، فوبخهم على جهلهم ورسوخ الكفر في نفوسهم، وبيّن لهم أن الشرك سيتلف، ولن يطلب لهم غير التوحيد، وذكّرهم بإنقاذهم من بطش فرعون، وبنعم الله عليهم بتفضيلهم على من في عصرهم إذ اختارهم للإيمان وتقبل الرسالة.

ثم وعد الله موسى بالمناجاة وتلقّي التوراة، في أربعين يومًا، فخلّف موسى أخاه هارونَ لحفظ الصلاح في بني إسرائيل وتفادي فساد الكافرين. ولما جاء موسى للمناجاة خاطبه الله، وقد أزال الحجاب الذي يمنعه من سماع كلامه فصار يدركه ويفهمه، طلب موسى أن يرى الله، فأعلمه الله أن ذلك مُحال في الدنيا، ولينظر إلى جبل أمامه، فإذا ثبَت الجبل على حاله تحمل موسى أيضًا. وعندما تجلى الله للجبل، تهدم كله وسقط موسى من الهول، ولما استفاق سبّح الله، وأعلن التوبة عن طلب ما لا يحق له، وأكد أنه أول مؤمني زمانه.

تفسير المفردات: قال أي: الله لموسى. واصطفيتك: اخترتك وفضّلتك. والناس: البشر حينئذ. وبرسالاتي أي: بتبليغها مع العمل. وكلامي: تكليمي إياك. وخذ: تناول وبلّغ. وآتيتك: أعطيتك إيّاه من الأمر والنهي. وكن أي: دُم في حياتك. والشاكرون: الذين يذكرون النعم ويُثنون على معطيها بالقلب واللسان والعمل. **١٤٤** كتبنا له: أمرنا أن يسجَّل لأجله. والألواح: جمع اللوح. وهو الصفيحة العريضة من الخشب. والموعظة: الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية. والتفصيل: التبيين. وكل شيء أي: ما يلزم من تكاليف الحياة. وخذها: تقبّلها وتكلّف بها. والقوة: الجِدّ والاجتهاد. وأْمر: افرض وألزم. والقوم: بنو إسرائيل. ويأخذوا بأحسنها: يعملوا بما هو أفضل وأنفع. وسأريكم: لا بد أن أُشهِدكم. والدار: مكان الإقامة والاستقرار. والفاسقون: من خرجوا على الطاعة. **١٤٥** أصرف: أمنع بختم القلوب وطمس البصائر. والآيات: الحُجج ودلائل القدرة. ويتكبّرون: يستكبرون عن الإيمان ويحتقرون الناس ويرون لأنفسهم فضلًا عليهم. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والحق: الواجب شرعًا. ويروا: يبصروا. والآية: ما ورد في الوحي والأدلّة الكونية والمعجزات. ولا يؤمنوا: يكفروا. والسبيل: الطريق. والرشد: الهدى. ولا يتخذوه: لا يسلكوه ويُعرضوا عنه. وسبيلًا: مذهبًا ودينًا. والغيّ: الضلال. ويتخذوه: يختاروه. وذلك أي: ما ذكر من الصرف والإعراض والاختيار. وبأنهم: حاصل لأنهم. وكذّبوا: أنكروا. وآياتنا: ما عُبِّرَ عنه قبل بـ «كل آية». وغافلين أي: لاهين لا يتدبّرون. **١٤٦** لقاء الآخرة: حضور يوم القيامة للحساب. وحبطت: بطلَت. والأعمال: جمع عمل، ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. وهل يجزون: ما يعاقبون. **١٤٧** اتخذ: جعل. وقوم موسى أي: بعض بني إسرائيل. وبعده: بعد ذهابه للمناجاة. والحليّ: ما يُتزيّن به من المعدِن الثمين. وعجلًا: صنمًا في صورة ولد البقرة. والجسد: جثة جماد. والخوار: ما يشبه صوت البقر. وألم يروا أي: إنهم يعلمون باليقين. ولا يكلمهم: لا يخاطبهم. ولا يهديهم: لا يُرشدهم. وسبيلًا أي: طريقًا من طرق الفلاح. واتخذوه: جعلوه معبودًا. وكانوا: صاروا. وظالمين أي: كافرين. **١٤٨** لما سُقِط في أيديهم: عندما ندموا وحاروا. ورأوا: علموا. وضلوا: خرجوا عن طريق الحق. ولئن: نُقسِمُ إن. ويرحمنا: يعطف علينا بفضله. ويغفر لنا: يمسح ذنوبنا ويصفح عنّا. والخاسرون: الهالكون في العذاب، ضيّعوا ما كانوا ينتظرونه من النعيم. **١٤٩**

الجزء التاسع سورة الأعراف

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا
لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ
شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ
دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ
بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ
سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ
ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ
عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ
سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا
رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

المعنى العام: متابعة ما كان في المناجاة بأن الله بلغ موسى اختياره على الناس في ذلك العصر للنبوة والتكليم، وأمره بالدعوة والشكر، وأمر أن يسجَّل له على الألواح ما في التوراة من الأحكام والمواعظ اللازمة في جميع ميادين الحياة ـ وهو مالا ترى له حضورًا في العهد القديم اليوم ـ وفرض عليه الاجتهاد في الدعوة وأن يبلّغ قومه الاختيار من التوراة أحسن ما يناسب الأحوال، مبشرًا إياهم برؤية ديار الجبابرة العماليق حينذاك، ومهددًا بإضلال المتكبرين عن الإيمان المعرضين عن الهداية والمتبعين للباطل، لأنهم كفروا وكذبوا المعجزات والأدلة، وأعرضوا عن سبل الخير والهداية وانخرطوا في ميادين الشر والضلال، وأنكروا البعث وما فيه من حساب وجزاء، ففسَدت أعمالهم وكان لهم العذاب بما اقترفوا.

وفي خلال ذهاب موسى للمناجاة، صاغ لليهود منافق من سحَرة فرعون، سامريّ اسمه موسى بن ظفر من الوثنيين عُبّاد البقر، صاغ لهم ما هو على شكل عجل من ذهب الحُليّ الذي معهم، يكون له ما يشبه الخوار، لأنه صيغ مجوّفًا فيه ممرات تُحدِث في مهب الريح مثل صوت العجل، فعبدوه وهم يعلمون أنه لا يتكلم ولا يفيد، فكانوا كافرين ظالمين لأنفسهم وللحقائق التي جاءتهم في مقولات موسى. وعندما تبيّن لهم ضلالهم في ذلك، ندموا على ما كان منهم فطلبوا الرحمة لينجوا من العذاب في الدنيا والآخرة، وإلّا كانوا من الخاسرين.

تفسير المفردات: لما رجع: عندما عاد من المناجاة. والغضبان: الشديد السُّخط على قومه. والأسِف: الشديد الحزن لرِدّتهم إلى الشرك. وقال أي: لقومه. وبئس: تجاوز الحد في الشر والبؤس والشقاء. وما خلفتموني من بعدي أي: ما فعلتم في غيابي من الضلال. وأعجلتم أمر ربكم: لماذا سابقتم موعد عودتي وأشركتم؟ وألقى الألواح: وضعها من يديه. وأخذ برأس أخيه: أمسكه وشد عليه. ويجره: يشدّه بعنف. وقال أي: هارون لموسى. وابن أُمَّ: يا شقيقي من أبي وأُمّي. حُذفت الألف المبدلة من الياء للتخفيف. واستضعفوني: رأوني ضعيفًا عن مقاومتهم. وكادوا يقتلونني: قاربوا قتلي. ولا تشمت: لا تفعل ما يحمل على الشماتة. والأعداء: جمع عدو، المشركون من قومه. ولا تجعلني: لا تصيّرني. والظالمون: الكافرون. ١٥٠ قال أي: موسى. وربّ: يا ربّي. واغفر: استر وامحُ ما صنعتُ بهارون. ولأخي أي: تفريطَه في عدم منع عبادة العجل. وأدخلنا في رحمتك: اشملنا بالعطف والإحسان. وأرحم الراحمين: أكثرهم عطفًا وأنفعهم بذلك. ١٥١ اتّخذوا العجل: جعلوه إلهًا. وسينالهم: لا بد أن يصيبهم. والغضب: السخط والانتقام. ومن ربهم أي: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والذلّة: الضعف والهوان. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منهم يعيشون فيها. وكذلك: مثلَما جزيناهم. ونجزي: نعاقب. والمفترون: الذين يختلقون الكذب على الله. ١٥٢ عملوا: اقترفوا. والسيئات: ما قبّحه الشرع من الكبائر. وتابوا: رجعوا عنها. وبعدها أي: بعد عمل السيئات. وآمنوا أي: بالله ورسوله. وبعدها: بعد التوبة. والغفور الرحيم: الكثير سترِ الذنوب وعدمِ المؤاخذة عليها، والعطفِ والإحسان. ١٥٣ سكت: سكن وهدأ. والغضب: سخطه الشديد. وأخذ الألواح: تناولها ليبلّغ ما فيها. ونسختها: ما كُتب فيها. والهدى: البيان والإرشاد. والرحمة: العطف بالإحسان. ولربّهم يرهبون أي: يخافون ربهم ويطلبون رضاه. ١٥٤ اختار: انتقى بأمر الله. وقومه أي: من قومه. وميقاتنا: وقت لقائنا للاعتذار من عبادة العجل. وأخذتهم الرجفة: نزلت بهم الزلزلة وقت اللقاء فأُغمي عليهم. وقال أي: موسى. وشئت: أردت العقوبة على الشرك. وأهلكتهم: قضيت على المجرمين بالشرك. وقبل أي: قبل مجيئنا للاعتذار. وإياي يعني: وأنا معهم في الهلاك لأنني الرسول المسؤول. أتهلكنا: لا تدمّرنا وتقضِ علينا. وبما فعَلَ: بسبب ما اقترف. والسفهاء: جمع سفيه،الضعيف العقل. وإن هي أي: ليست البلوى التي وقع فيها السفهاء. وفتنتك: ابتلاؤك بني إسرائيل لتمييز المطيع من العاصي. وتضل بها: توجّه بسببها القدرات إلى العصيان. وتشاء: تريد. وتهدي: تصرف القدرات إلى الخير. وولينا:المتولي لأمورنا. وارحمنا: اعطف علينا بالعفو والهداية. وخير الغافرين: أفضلهم وأعظمهم لأنك تمحو السيئة وتبدل بها حسنة، فضلاً ورحمة. ١٥٥

الجزء التاسع — سورة الأعراف

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

المعنى العام: متابعة ما كان من أمر موسى بأنه رجع إلى قومه غاضبًا عليهم شديد الحزن لإشراك بعضهم بعبادة العجل، وعنّفهم وجرّ رأس هارون يوبّخه على تقصيره، فاعتذر هارون بضعفه عن منعهم ورجا أخاه ألاّ يُشمت به الكافرين ويظنه منهم، واستغفر موسى لنفسه ولأخيه طالبًا العفو والرحمة. وبناء على هذا بيّن الله أن من عبد العجل سينال عقابه، وكذلك أمثالهم من المشركين، عدا من يؤمنون و يتوبون فلهم المغفرة والرحمة.

ولما هدأ موسى تناول الألواح لهداية قومه بما فيها، وانتقى منهم بأمر الله ٧٠ رجلًا للمناجاة والاعتذار من عبادة العجل، وفي موقف الاعتذار أصابتهم الرجفة رهبة من موقفهم، فدعا موسى ربه أن يخفّف عنهم، لئلّا يهلك الصالحون بسبب كفر الجهلاء، تلك البلوى التي اختبر الله بها بني إسرائيل، ولو أراد العقاب لأهلك الكافرين مع موسى قبل هذا الحضور وهو ولي المؤمنين، يغفر ويرحم بفضله، لا طلبًا للثناء، كما يفعل الناس...

۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا
هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي
وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ
فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ
عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ
عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ
ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ قُلۡ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ
فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨
وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩

ثلاثة أرباع الحزب ١٧

تفسير المفردات: اكتب: أوجبْ وأثبتْ. وفي الدنيا حسنة أي: في الحياة الدنيا ما يحسن من النعم والطاعة والعافية. وحسنة الآخرة هي الجنة. وهدنا إليك: تُبنا ورجعنا إلى توحيدك وطاعتك. وبهذا سُمِّي بنو إسرائيل يهودَ. وقال أي: الله. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة. وأصيب: أعاقب وأعذّب. وأشاء: أريد تعذيبه. والرحمة: العطف بالإحسان والخير. ووسعتْ: عمّت. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. وسأكتبها: لا بدّ أن أُثبتها وأُحقّقها. ويتّقون: يتجنّبون عصياني ويلزمون الطاعة. ويؤتون الزكاة: يؤدُّونها إلى مستحقيها. والآيات: آيات الكتب ودلائل التوحيد. ويؤمنون: يصدّقون تصديق اليقين. ١٥٦ يتبعون: يلتزمونه ويطيعونه في الأمر والنهي. والرسول: محمد ﷺ الذي أوحي إليه القرآن الكريم. والنبي: صاحب المعجزات والإعلام عن الله. والأُمّيّ: الذي لا يعرف القراءة مما هو مكتوب ولا الكتابةَ. ويجدونه: يَلقَون اسمه وصفته. ومكتوبًا: مسجلًا في آيات بيّنات. والتوراة: كتاب اليهود. والإنجيل: كتاب النصارى. ويأمرهم: يفرض عليهم. والمعروف: مكارم العمل والأخلاق. وينهى: يمنع. والمنكر: الباطل من شرك وكفر ومعصية. ويحلّ لهم: يجعل حلالًا لأجلهم. والطيّبات: المستلذّات من المطاعم والمشارب والمناكح. ويحرّم: يجعل حرامًا. والخبائث: جمع خبيثة، القذرة من لحم الخنزير والخمر والميسر والأحكام القاسية. ويضع: يزيل. والإصر: الثِّقل من الواجبات. والأغلال: جمع غِلّ. وهو طوق من الحديد، أي: ما يكون من الشِّدّة في العبادة والقصاص. وآمنوا به: صدّقوا محمدًا ﷺ يقينًّا. وعزّروه: وقّروه. ونصروه: أعانوه في الدعوة وعلى الأعداء. واتّبعوا: تابعوا ووافقوا. والنور: ما يضيء لبيان الخير من الشر. وأُنزل أي:على لسان جبريل. وأولئك أي: الموصوفون بما في هذه الآية من الصلاح. والمفلحون: الفائزون برضا الله. ١٥٧ قل أي: أيها النبيّ. والناس: البشر. والرسول: المرسل بالدعوة للتبليغ والعمل. وجميعًا أي: مجتمعين كلكم. وله أي: مستحَقّه وحده. والمُلك: الحيازة والتصرُّف. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. أي: وما فيهما وبينهما أيضًا. والإلَه: المعبود بحق. ويحيي: يخلق الحياة في فاقدها. ويميت: يخلق الموت في الحيّ. وآمِنوا بالله: صدِّقوه تصديق يقين. والكلمات: ما أُنزل بالوحي. واتبعوه: اقتدوا به. ولعلكم: ليُترجّى لكم. وتهتدون: تتوجهون إلى طريق الحق. ١٥٨ من قوم موسى أي: بعضهم. وقوم موسى: الذين آمنوا من بني إسرائيل الحاميِّين السُّومريِّين. والأُمّة هنا: جماعة من التزم الشريعة قبل نسخها، أو آمن برسالة الإسلام. ويهدون: يُرشدون. والحق: الصدق الثابت من الدين. ويعدلون: يحكمون منصفين. ١٥٩

المعنى العام: متابعة دعاء موسى في المناجاة بأنه ختم قوله بطلب تثبيت حسنات الدنيا والآخرة، لأن قومه رجعوا عن عبادة العجل إلى التوحيد والطاعة، فأجابه الله - تعالى ـ بتعذيبه المصرّين على الكفر، ورحمته للمتقين المؤمنين القائمين بالعبادة الصحيحة حينئذ، والذين يؤمنون منهم بمحمد ﷺ، كما يرون وصفه في التوراة والإنجيل، يبيّن لهم المعروف والحلال ويحظر عليهم المنكر والحرام وأثقال الأحكام العنيفة. فالذين يؤمنون به وينصرونه ويتبعون هدايته هم الفائزون.

ولمّا سمع يهود المدينة الآية ١٥٦ تطاولوا لها، بدعوى أنهم مقصودون بالرحمة لأنهم يتقون ويزكون ويؤمنون، فجاءت الآية ١٥٧ تُخرج منهم مَن لم يؤمن برسالة الإسلام. يعني أن الرحمة في الآخرة، للكتابيِّينَ الذين أدركوا زمن النبوة، تكون إذا آمنوا واتبعوا.

فعلى النبي ﷺ أن يخاطب الناس بأنه رسول الله إليهم جميعًا مؤمنًا به وبكتابه الكريم، كلفه بالدعوة والعمل اللهُ - سبحانه تعالى ـ مالك الكون والموت والحياة. فليؤمنوا مثله ليكون لهم الفوز في الدنيا والآخرة. أما اليهود فبعضهم فقط يستجيب لدعوة الإسلام ويعتدل في طلبه الحق.

تفسير المفردات: قطّعناهم اثنتي عشرة أي: فرّقنا اليهود بهذا العدد. والأسباط: جمع سِبط، الجماعة كالقبيلة. والأُمم: جمع أُمّة، لها نَقيب منها متميّز. وأوحينا: أمرنا على لسان جبريل. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. و إذ استسقاه قومه: حين طلبوا منه السُّقيا، ولا ماء في التِّيه حولهم. وأن بمعنى: أي. واضرب: اصدم واقرع بشِدّة. والعصا: ما يكون باليد من الخشب للتوكؤ في المشي. والحجر: الصخر الصلب من الأرض. وانبجست: انفجرت. واثنتا عشرة أي: بعدد الأسباط. والعين: يَنبوع الماء الجاري. وعلمَ: عرَف. وأناس أي: جماعة سبط من الأسباط. ومشربهم: العين التي يشربون منها. وظلّلنا عليهم: جعلنا لهم ظلالًا تقيهم حرّ الشمس في التِّيه. والغمام: السحاب الرقيق. وأنزلنا: أسقطنا. والمنّ: حلوى كالعسل الأبيض. والسلوى: نوع من الطير. وكلوا: تغذَّوا وتلذذوا. والطيبات: ما تستلذّه النفس السليمة. ورزقنا: خلقنا ويسّرنا. وما ظلمونا أي: لم يكن كفرهم ظلمًا لنا، لأن نتيجته تعود عليهم. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ويظلمون: يسببون غضب الله وعذابه. ١٦٠ إذ قيل لهم أي: وقت أمرنا بني إسرائيل، بعد خروجهم من التِّيه. واسكنوا: الجؤوا للسكن. والقرية: مدينة القدس. ومنها: من مطاعمها. وحيث شئتم: في النواحي التي تريدون. وحِطّة: أن تَحُطّ عنا خطايانا، ياربّنا. وادخلوا: اعبروا. والباب: المدخل إلى القرية. والسجد: جمع ساجد. وهو الذي حنى ظهره تذلُّلًا لله وحمدًا. ونغفر خطيئاتكم: نستر ذنوبكم المتعمدة ونصفح عنها. وسنزيد: لا بد أن نضاعف الأجر. والمحسنون: من أحسنوا عبادتهم بمراقبة الله. وبدّل الذين... الذي قيل لهم أي: غيّروا ما طُلب منهم وجعلوا مكانه شيئًا آخر. وظلموا: كفروا متعمدين. والقول:ما يقال. والغير: المُغاير. وأرسلنا: أطلقنا وأنزلنا. والرجز: العذاب الشديد. والسماء: العالَم العلويّ. وبما كانوا يظلمون أي: بسبب كونهم يكفرون بالله ونعمه. ١٦٢ اسألهم أي: سؤال تقرير وتشهير لليهود، أيها النبي. وعن القرية أي: عما جرى لأهل بلدة أيلة بشاطئ بحر القُلزُم «الأحمر». والحاضرة: المجاورة. وإذ يعدون: حين يخالفون أمر الله. وفي السبت أي: في يوم السبت بالصيد، وقد حُرّم عليهم العمل فيه عقوبة لقبائحهم. وتأتيهم: تبدو في مياه البحر. والحيتان: جمع حوت، أنواع السمك. وسبتهم: تعظيم يوم السبت بالانقطاع للعبادة. والشرّع: الظاهرة، جمع شارع. ولا يسبتون أي: لا يكون فيه تحريم، يعني سائر أيام الأسبوع. وكذلك أي: على تلك الحال المذكورة. ونبلوهم: نمتحنهم لتمييز المطيع من العاصي. ويفسقون: يخرجون على أمر الله. ١٦٣

الجزء التاسع — سورة الأعراف

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ
لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

المعنى العام: متابعة قصة اليهود بأن الله جعلهم ١٢ فرقة مختلفة، تبعًا لفروع سلالة يعقوب بن إسحاق، ولمّا تشرّدوا بين بوادي الصحارى في التيه ـ وهو واد بين مصر والشام تاهوا فيه ٤٠ سنة ـ وافتقدوا الماء والطعام، وطلبوا من موسى الدعاء لهم بالغوث أمره الله فضرب بعصاه الصخر، فتفجرت ١٢ عينًا على قدر عدد فرقهم، لئلّا يتنازعوا في ذلك، ويسّر لهم السحب تقيهم الحر، وأنزل عليهم المنَّ والسلوَى للغذاء، موجِّهَهم إلى الاعتماد على طيّبات الرزق في حياتهم، ولكنهم لم يشكروا النعم وطلبوا الدعاء أيضًا لينالوا أطعمة دنيّة، فظلموا أنفسهم بالعصيان والخلاف.

ولما أُمروا أن يدخلوا مدينة القدس، بانحناء طالبين المغفرة، عصَوا أيضًا ودخلوها زاحفين على مقاعدهم وهم يقولون: «حبّة في شعرة»، أي: حبّة غذاء في مجموعة شعر. وهو إصرار على التهكم والعصيان، مع طلب للمنافع المادية في الحياة. ولذلك صب الله عليهم أنواع العذاب، ذكّرهم بواحدة منها ـ أيها النبيّ ـ بأهل أيلة حين رفضوا تقديس يوم الجمعة واختاروا يوم السبت لذلك، فنهوا عن العمل فيه، فكانت أسماك البحر تظهر لهم في ذلك اليوم طافية على وجه الماء وتغيب في بقية الأيام، فاحتالوا لصيدها حينئذ بحبسها في حفائر. وهو بلاء من الله لِما كان فيهم من الفسق والعصيان.

تفسير المفردات: إذ قالت أي: حين قالت للناصحين. والأُمّة: الجماعة. ولِمَ تعظون: لماذا تنصحون، دعوا ذلك ولا تهتموا به. والقوم: الفئة منهم. ومهلكهم: مفنيهم. ومعذّبهم: منزل عليهم العذاب. والشديد: الفظيع. وقالوا أي: الناصحون. والمعذرة: الاعتذار من الذنب. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ولعلهم: ليترجَّوا. ويتقون: يتجنبون الصيد يوم السبت. ١٦٤ لمّا نسوا: عندما ترك المعتدون في السبت. وذكِّروا: وُعظوا. وأنجينا: أنقذنا من العذاب. وينهون: ينصحون بالترك. والسوء: صيد السمك يوم السبت. وأخذنا: عاقبنا بانتقام. وظلموا: وعصوا بالصيد. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والبئيس: الشديد. وبما كانوا يفسقون: بسبب كونهم يقترفون العصيان باختيار وقصد. ١٦٥ عتَوا: تكبّر المعتدون وتمرّدوا. ونُهوا عنه: أُمروا بتركه. وقلنا: قضينا عليهم وأمرناهم. وكونوا: صيروا. وهو أمر تكوين ومسخ. والقردة: جمع قرد. وهو الحيوان المعروف بقبحه وتقليده للبشر. والخاسئون: الأذلاء. ١٦٦ إذ تأذّن أي: وقت أعلم. ويبعثنّ عليهم: يسلطنّ على اليهود. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث للحساب. ويسومهم: يذيقهم. والسوء: السيِّئ يؤذي. وسريع العقاب أي: عذابه واقع فور وجوب الانتقام. والغفور والرحيم: العظيم الغفران والرحمة والعطف بالإحسان. ١٦٧ قطّعناهم أي: شرّدنا اليهود. والأُمم: الفِرق. ومنهم أي: بعضهم. والصالحون: من يعملون بما أمر الله. ودون ذلك أي: غيرُ الصالحين، أي: الفاسقون والكافرون. وبلوناهم: امتحنّاهم. والحسنات: النِّعم. والسيئات: النِّقم. ولعلهم أي: ليُرَجَّى لهم. ويرجعون: يتوبون من الفسق والكفر. ١٦٨ خلفَ: جاء. والخَلْف: من يأتي بعد غيره فيخلفه. وورثوا الكتاب: نقلوا التوراة عن آبائهم. ويأخذون: يأكلون بالظلم رشوة وغصبًا. والعرَض: ما لا ثبات له. والأدنى: الدنيء الحقير. ويقولون أي: لأنفسهم. ويُغفر لنا: يُصفح عصياننا ويمحى. ويأتيهم: يَعرضُ لهم. ومثله: مماثل ذلك الأدنى في الحقارة. وألم يؤخذ عليهم أي: لقد أُخذ منهم بقبولهم وإقرارهم. وميثاق الكتاب: التعهد الموثّق في التوراة. ولا يقولوا: لا يذكروا. والحق: الصدق الثابت. ودرسوا: قرؤوا وفهموا وعلموا. والدار الآخرة أي: ما في يوم القيامة من ثواب ونعيم. وخير: أكثر نفعًا. وألا تعقلون أي: عليكم أن تستخدموا عقولكم لتتعظوا، أيها الآكلون للسحت. ١٦٩ يمسّكون: يتعلّقون دون تحريف أو مخالفة. والكتاب: ما أنزل الله من الكتب. وأقاموا الصلاة: حافظوا على العبادة المكتوبة. ولانضيع: لا ننقص. والأجر: المكافأة. والمصلحون: من كانوا صالحين ومصلحين للآخرين في العقيدة والعبادة والقول والعمل. ١٧٠

الجزء التاسع سورة الأعراف

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ
وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ
﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ
﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن
يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ
ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ
وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا
وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ
أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

المعنى العام: متابعة قبائح اليهود بأن بعضهم أنكروا على الناصحين وعظهم للمعتدين يوم السبت بالصيد، فردوا أنهم يعتذرون بذلك عن تقصيرهم في منع العصيان، ويريدون ردع أصحابه. وقد أصرّ العصاة على الاحتيال للصيد ورفضوا الوعظ، فأنقذ الله الناصحين، ومسخ العاصين قردة بسبب فسقهم.

ولْيُذكَّروا أيضًا بما كان بينهم من البغي حتى قضى الله عليهم أن يتحكم فيهم دائمًا من يقتلهم ويعذّبهم، فشردهم عبيدًا للطغاة في بقاع الأرض، بين صالح ودنيء، وامتحنهم بالخير والشر ليتوبوا، فصار في سلالتهم من تحملوا التوراة ويبيعون دينهم بالشهوات والمناصب مدّعين المغفرة، مع أنهم تعهدوا بالصدق ويعلمون فضل الآخرة على المكاسب الدنيئة في الدنيا. فهم لا يعقلون وينساقون في عبودية للأمم الغالبة، مسخَّرين لأطماعها وجبروتها، وفي خوف بتهديد المسلمين المجاهدين، وإن ظهر لهم أحيانًا تسلط بحماية المستعمرين وأعوانهم. أما اجتماع بعضهم الآن في الأرض المقدسة، بتخاذلِ المتمسلمين وتثاقلِهم إلى الحياة الدنيا، فليكونَ هلاكهم بأيدي المسلمين قريبًا، إن شاء الله. وبعضهم آمن بالقرآن الكريم أيضًا، كعبد الله بن سلام وأصحابه، فلهم أجر الصالحين المصلحين.

تفسير المفردات: إذ نتقنا الجبل: وقت رفعنا جبل الطور للتهديد. وفوقهم أي: ارتفع مشرفًا عليهم وعلى منازلهم، ويكاد يسقط فوقهم. والظُّلّة: ما يكون عنه ظِلّ. وظنوا: اعتقدوا. وواقع بهم: ساقط عليهم. وخذوا أي: تمسّكوا اعتقادًا وعملًا. وآتيناكم: أعطيناكم من الدين. والقوة: الحزم والجدّ. واذكروا ما فيه: تذكّروه دائمًا واعملوا بما فيه. ولعلكم: ليُترجّى لكم. وتتقون: تخافون الله فتتجنّبون العصيان. ١٧١ إذ أخذ ربك: وقت أخرج بالتكوين. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وبنو آدم: البشر. والظهور: جمع ظهر. والمراد به الصلب العظم الذي يضم فقار الظهر. والذرّيّة: النسل من الأولاد. وأشهدهم: قرّرهم بالربوبية والوحدانية. والأنفس: جمع نفس. وهي حقيقة الإنسان روحه وجسده. وبلى أي: حقًّا أنت ربنا. وشهدنا: أقررنا بذلك واعترفنا. وأن تقولوا أي: لئلّا تدّعوا. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث للحساب. وهذا أي: التوحيد. وغافلين: ساهين لعدم التنبيه وبيان الحجة الملزمة. ١٧٢ أشرك: عبد مع الله بعض مخلوقاته. والآباء: جمع الأب، يطلق على الوالد والجد. وقبلُ: قبلنا. وأتُهلكنا أي: لا تعذّبْنا. وبما فعل المبطلون: بسبب ما اقترفه المشركون الذين ضلّوا وأضلّوا. ١٧٣ كذلك أي: مثلما بيّنّا الميثاق. ونفصّل الآيات: نبيّن الأدلة على ما يجب بيانه في القرآن الكريم. ولعلهم: ليُترجّى للكافرين والمشركين. ويرجعون: يعودون إلى الإيمان. ١٧٤ اتل عليهم: اقرأ على الناس، أيها النبيّ. والنبأ: الخبر العظيم. وآتيناه آياتنا: علّمناه ما فيها من الأحكام. وانسلخ: خرج بالكفر والعصيان. وأتبعه: أدركه وصاحبه. والشيطان: من يغري بالشر من الإنس والجنّ. وكان: صار. والغاوون: الراسخون في الضلال والكفر. ١٧٥ شئنا: أردنا أن ننقذه من الضلال. ورفعناه: شرّفناه. وبها أي: بما تتضمنه تلك الآيات وتوجبه. وأخلد إلى الأرض: مال إلى متاع الدنيا ومكاسبها الدنيئة. واتّبع هواه: انقاد إلى شهواته. ومَثَله: صفته. والكلب: الحيوان المعروف بلهاثه الدائم. وتحمل عليه: تطرده وتُجهده. ويلهثُ: يخرج لسانه ويُدلّيه. وتتركه: تهمله وتنصرف عنه. وذلك أي: ماكان عليه المنسلخ من الآيات في شَبَهه للكلب. والقوم: الجماعة من الناس. وكذّبوا بآياتنا: أنكروا نصوص القرآن الكريم وأدلة التوحيد وصدق الرسالة. واقصص: اسرد على الناس. والقصص: أخبار القرون الماضية. ويتفكرون: يتدبّرون ما جاء به الوحي. ١٧٦ ساء: تجاوز الحدّ في السوء والقبح والشر. والمَثَل: الوصف والحال. ويظلمون: يحكمون عليها ظلمًا بعذاب الدنيا والآخرة. ١٧٧ يهدي: يصرف القدرات بحسب الاختيار الطيب والاستعداد الصالح. والمهتدي: المسترشد. ويضل: يوجّه القدرات بحسب الاختيار الفاسد. والخاسرون: الكاملون في الخسران بضياع خير الدنيا والآخرة. ١٧٨

الحزب ١٨

الجزء التاسع | سورة الأعراف

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا
فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

المعنى العام: متابعة قبائح اليهود بأنهم عصوا وتمردوا حتى رفع الله جبلًا قريبًا من بلدهم، كأنه سيسقط عليهم ليهدّدهم، وأمرهم باتّباع ما يجب لصلاحهم، وأنه بيّن الأدلة الواضحة، بعد ما أخرج الناس بالولادة في الدنيا، وجعل لهم بالفطرة عقولًا وبصائر يميّزون بها الضلالة من الهدى، فصار ذلك بمنزلة الإشهاد والاعتراف فعلًا، وذكره تفصيلًا لئلا يكون اعتذار بشرك الآباء. وفي هذه الآيات ذكر الميثاق العام للناس جميعًا على التوحيد بالأدلةِ القاطعة وتبليغِ الرسل، بعد ذكر الميثاق الخاص ببني إسرائيل. وتوجيهُ المفسرين للآيات هنا بإخراج الذرّ من صلب آدم مردود من عدة أوجه.

ثم على النبيّ أن يذكّر اليهود بالعالِمِ الذي كان منهم، فانحط إلى الكفر وانقاد للشيطان، وتركه الله في ضلاله، كالكلب يلهث منطلقًا وراء الشهوات، لأنه آثر الضلال وترك الطاعة، فبقي على الكفر والعصيان. وفي هذا دلالة قاطعة أن ضلال الإنسان بقصد منه واختيار. وهو نموذج للذين يكذّبون الله ورسوله. فاسرد عليهم - أيها النبي - ذلك التاريخ، ليُرتجى لهم أن يتعظوا ويؤمنوا. وما أسوأ حال الكافرين بعد الإيمان، لأنهم هم يظلمون أنفسهم، ويهملهم الله فيما اختاروا من الضلال، فيكونون الخاسرين!

تفسير المفردات: ذرأنا: خلقنا. ولجهنم أي: لأجل دار العذاب. والكثير: العدد الوافر. والجنّ: مخلوقات من النار، واحدهم جنّيّ. والإنس: البشر، واحدهم إنسيّ. والقلوب: جمع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يمدّ الدماغ بماء الحياة صافيًا ويستعين به. ولا يفقهون: لا يفهمون الحق. والأعين: جمع عين، عضو البصر. ولا يبصرون: لا ينظرون إلى الأدلة الكونية. والآذان: جمع أذن، عضو السمع. ولا يسمعون: لا يتلقون الآيات القرآنية ليعتبروا. وأولئك أي: الموصوفون بتعطيل قدراتهم. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. وأضل أي: أكثر بعدًا عن الاستفادة من القدرات. والغافلون: الساهون جهلًا وغباء. **١٧٩** لله أي: له خاصة. والأسماء: جمع اسم. والحسنى: الأعظم جمالًا وحسنًا. وادعوه بها: سمُّوه بها. وذروا الذين يلحدون: اتركوا أتباع الأسماء التي اختلقها المارقون للعبادة. وسيُجزون: لا بدّ أن يعاقَبوا بعذاب الدنيا والآخرة. ويعملون: يقترفونه في النية والقول والفعل. **١٨٠** ممن خلقنا أي: بعض من أوجدنا. والأمة: الجماعة من الناس. ويهدون: يرشدون إلى الخير. والحق: الاستقامة والعدل. وبه يعدلون: بمصاحبته يجعلون الأمور متعادلة على الحق. **١٨١** كذّبوا: أنكروا قولًا واعتقادًا. وآياتنا: القرآن الكريم والأدلة الكونية. وسنستدرجهم: لا بدّ أن نقرّبهم إلى الهلاك قليلًا قليلًا، بإدرار النعم عليهم. وحيث لايعلمون أي: مكان اغترارهم وجهلهم أنه استدراج. **١٨٢** أملي لهم: أؤخّرهم مدة فيها طول. والكيد: التدبير الخفي بإيصال الضرر إلى الكافرين. والمتين: الشديد لا يطاق. **١٨٣** ألم يتفكروا: عليهم أن يتدبّروا بعقولهم ليعلموا. وما بصاحبهم أي: ليس في النبي ﷺ الذي يعيش بينهم وهو منهم. والجِنّة: الجنون. وإن هو أي: ما هو. والنذير: الذي يتوعّد العصاة بالعذاب. والمبين: الظاهر الإنذار. **١٨٤** ألم ينظروا أي: عليهم أن يدركوا بأعينهم وبصائرهم. والملكوت: المُلك العظيم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وخلق: أوجده من العدم. والشيء: ما هو موجود. وأنْ عسى أي: وأنّه تحقّق. واقترب: قرُب جدًّا. وأجلهم: نهاية عمرهم المحدّد. والحديث: الكلام المقول. بعده: بعد القرآن. ويؤمنون: يصدّقون ويعتقدون. **١٨٥** يضلل: يوجّه القدرات بحسب الاختيار الفاسد والاستعداد السيئ. والهادي: المرشد إلى الحق. ويذرهم: يتركهم لِما هم عليه. والطغيان: مجاوزة الحد بالكفر والعصيان. ويعمهون: يتحيّرون ويتردّدون. **١٨٦** يسألونك: يطلب الكافرون منك الجواب تعجيزًا. والساعة: القيامة. وأيّان مُرساها: متى وقت وقوعها وحصولها؟ وقل أي: لهم ولكل سائل. وعلمها: معرفة زمن وقوعها. وعند ربي أي: بحوزته وحده لا يُطلِع عليه أحدًا. ولا يجليها: لا يُظهرها. ولوقتها: في وقتها المحدّد. وثقلت: عظُمت. وتأتيكم: تنزل بكم. والبغتة: الفُجاءة. وكأنك: يظن الكافرون أنك. والحفي: المبالغ في السؤال. والأكثر: الغالبية العظمى ولا يعلمون: لا يدركون أن ذلك لا يعلمه غير الله. **١٨٧**

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ
أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ
كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا
هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ
عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

المعنى العام: أن الله خلق لعذاب النار كثيرًا من الإنس والجن، عطّلوا عقولهم وعيونهم وآذانهم، فهم أحط من البهائم في الغفلة. فادعوه بأسمائه الحُسنى - أيها الناس - ودَعوا ما انحرف فيه المشركون من أسماء الأصنام، كاللات والعُزّى ومَناة، وهم سينالون جزاء إلحادهم. وبعض الناس مؤمنون صالحون منصفون، والكافرون يغريهم الله بضلالهم والإنعام عليهم ويمهلهم بكيده العظيم.

وعندما وقف النبي ﷺ على الصفا يدعو قريشًا، ويحذّرهم بأس الله ونقمه، قال بعضهم لبعض: « إنّ صاحبكم هذا لمجنون»، فنزلت الآيات ١٨٤ـ ١٨٦، بأنهم لو تفكروا في عظمة الله ومخلوقاته لعلموا أنهم كاذبون، وأنهم قد اقتربوا من الموت، ولن يجدوا ما يصح الإيمان به من الكلام بعد القرآن. فقد أضلهم الله دون مرشد ورماهم في طغيانهم تائهين. وهم يسألونك للتعجيز عن وقت القيامة، ظانّين أنك تتابع الاهتمام بمعرفته. فأجبهم أن ذلك تفرّد به الله، وهو أمر عظيم يجهل أكثر الناس أهميته واختصاص الله به.

تفسير المفردات: قل أي: للمشركين، أيها النبيّ. ولا أملك: لا أتمكّن من الجلب والمنع. والنفس: شخص الإنسان بذاته. والنفع: الإفادة وإيصال الخير. والضرّ: الإيذاء وإيصال الشرّ. وما شاء أي: ما أراد تمكيني منه بأن ألهمني إياه وييسّره لي. وأعلم الغيب: أعرف المغيّبات. واستكثرت: طلبت الكثير وأسرعت إليه. والخير: ما ينفع في الدنيا والآخرة. وما مسّني: ما أصابني. والسوء: ما يضرّ ويؤذي. وإن أنا أي: لستُ. والنذير: من يبلّغ العُصاة ما يخيفهم ويُرهبهم. والبشير: من يبلّغ المطيعين ما يَسرّ ويُسعِد. والقوم: الجماعة من الناس. ويؤمنون أي: تعرف قلوبهم التوحيد وعندهم استعداد لتصديق الحق والعمل به. ١٨٨ هو أي: الله تعالى. خلقكم: أوجدكم. ومن نفس واحدة: من آدم. وجعل: أوجد وأنشأ. ومنها: من جنسها. والزوج: الزوجة. ويسكن إليها: يألفها. ولما تغشاها: عندما جامع الرجل زوجته. وحملت حملًا خفيفًا: احتفظت من زوجها بنطفة منيّ. ومرّت: ذهبت وجاءت بخفّة. وأثقلت: صارت ذات ثِقل بالجنين. ودعوَا الله: نادياه يستعينان به رجاء الخير. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ولئن أي: نُقسم إن. وآتيتنا: رزقتنا. والصالح: الولد السويّ. ونكوننّ: ندومنّ. والشاكرون: من يذكرون النعمة بالثناء في القلب واللسان والعمل. ١٨٩ آتاهما: رزقهما الولد. وجعلا له شركاء: صيّرا الأصنام شريكة لله. والشركاء: جمع شريك. وتعالى: تنزّه وترفع. وعما يشركون أي: عما يجعلونه شريكًا له. ١٩٠ أيشركون أي: لا يجوز لهم أن يشركوا بالله. لا يخلق: لا يوجِد من العدم. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. وهم يُخلقون أي: المعبودات توجَد بدون إرادتها. ١٩١ لا يستطيعون لهم: لا يقدرون أن يقدّموا لعابديهم. والنصر: العون. والأنفس: جمع نفس. ولا يَنصرون: لا يعينون. ١٩٢ تدعوهم: تحرّضوهم وتدفعوهم. والهدى: الرشاد والخير. ولا يتّبعوكم: لا يسمعوكم ولا يتابعوكم. وسواء عليكم أي: متساويان في فائدتكم. وأدعوتموهم: دعوتُكم لهم. وأنتم صامتون أي: صمتكم. ١٩٣ تدعون: تعبدون. ودون الله أي: غيره. وعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا.والأمثال: المماثلون،جمع مِثل. وادعوهم: نادوهم بأسمائهم. ولْيستجيبوا لكم أي: ليطيعوكم ويلبّوا طلبكم. والصادقون: من يقولون الحق. ١٩٤ ألهم أي: ليس لهم. والأرجل: جمع رِجل. ويمشون: يسيرون. والأيدي: جمع يد. ويبطشون: ينتقمون. والأعين: جمع عين. ويبصرون: يرون. والآذان: جمع أذن. ويسمعون: يدركون الأقوال. وادعوا: حرّضوا عليّ. وكيدونِ: كيدوني، أي: اجتهدوا أنتم وشركاؤكم في إيذائي. حذفت الياء للتخفيف. ولا تُنظِرون: لا تُنظروني أي:لا تُمهلوني. ١٩٥

الجزء التاسع — سورة الأعراف

قُلْ لَآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ
أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا
ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ
أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ
يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

ربع الحزب ١٨

المعنى العام: بيّنْ للمشركين - أيها النبيّ ـ أنك عاجز عن نفع نفسك وضررها، بدون مشيئة الله، وأنك لو علمتَ الغيب لتجنّبت الشر الذي سيصيبك وطلبت كثير الخير، وأنك رسول مبلّغ تهديد الكافرين وتبشير المؤمنين، وأن الله هو لا غيره خلق الناس من آدم، وحواء من جنسه ليطمئن إليها. ولكنّ رجلًا مّا عندما جامع زوجته ـ وليسا آدم وحواء كما زعمت الدسائس الإسرائيلية - وحملتْ منه العنصر المنوي ثم صار جنينًا في رحمها، خشيا أن يأتيهما طفل مشوّه أو ميت، فتضرعا لله مقسمين أنهما سيكونان شاكرين، إن رزقهما طفلًا سويًّا. ولّما رزقهما الولد كما طلبا أشركا بالله، في تسميته عبد اللاّت أو عبد العُزّى، أو في عبادة الأصنام وبعض المخلوقات، والله منزّه عن كل ما يزعمون. فلا يجوز للناس ما يدّعون من الشرك، وما يعبدون من الأصنام لا تخلق شيئًا وهي مخلوقات دون إرادة منها، لا تنصر عابديها ولا تدافع عن أنفسها أيضًا، ولا تستجيب لنداء أو دعوة فيستوى عليكم دعوتكم والصمت لأنها مخلوقة لا خالقة، وليس لها ما تستعين به على العمل والنصرة والرؤية والسمع للمعرفة والهداية، من أرجل تمشي أو أيد تبطش أو أعين تبصر أو آذان تسمع. فقل للمشركين تحدّيًا وتهكّمًا - أيها النبيّ - أن يحرّضوا آلهتهم على إيذائك، ولا يتأخروا لأنك لا تبالي بذلك.

تفسير المفردات: وليّي: من يتولى أُموري ويوجّهها. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ونزّل الكتاب أي: أوحى القرآن إليّ وأرسلني لتبليغه والعمل به. ويتولى: ينصر ويرعى. والصالحون: الذين صلَحت أعمالهم في الاعتقاد والقول والفعل. **١٩٦** تدعون: تعبدون من المعبودات. ودونه أي: غير الله. ولا يستطيعون: لا يقدرون. والنصر: العون. والأنفس: جمع نفس، أي: حقيقة الشيء بذاته. **١٩٧** تدعوهم: تحرّضوهم وتوجّهوهم. والهدى: الرشاد. ولا يسمعونا: لا يدركوا ما تقولون. وتراهم: تجدهم، أيها النبيّ. وينظرون أي: للأصنام شكل الأعين. ولا يبصرون لأنهم جماد. **١٩٨** خذ أي: تقبّل راضيًا مطمئنًا. والعفو: يُسر أخلاق الناس. وأْمر أي: أوجب وألزم. والعرف: ما حسّنه الشرع والعقل السليم. وأعرض: انصرف بلطف. والجاهلون: الجافون من الناس. **١٩٩** إمّا ينزغنّك: إن يصيبنّك. والشيطان: من يغري بالشر من الإنس أو الجن. والنزغ: الوسوسة بشرّ. واستعذ بالله: الجأ إليه وتحصن به ليحفظك. والسميع: المدرك للمسموعات. والعليم: المبالغ في العلم بما يكون. **٢٠٠** اتقوا: خافوا الله والتزموا طاعته. وإذا مسهم: كلما أصابهم. والطائف: ما يدور في النفس الإنسانية من الوسوسة والدسائس. وتذكّروا: استحضروا عقاب الله وعداوة الشيطان وكيده. وإذا هم مبصرون أي: فاجأ تذكّرَهم تمييزُهم للحق من الباطل. **٢٠١** إخوانهم: أصحاب الشياطين، أي: الكافرون. ويمدونهم: يضلهم الشياطين بالإغراء. والغي: الضلال. ولا يُقصِرون:لا يكفّ إخوان الشياطين بالتبصر عن الغي كالمتقين. **٢٠٢** لم تأتهم: لم تُحضر للكافرين، أيها النبيّ. والآية: المعجزة التي طلبوها. ولولا اجتبيتها: هلّا جئت بها من نفسك. وقل أي: لهم. وأتّبع: أعمل وأبلّغ. ويوحى: يرسَل إليّ على لسان جبريل. ومن ربي: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وهذا أي: القرآن الكريم. والبصائر: جمع بصيرة، ظهور الشيء ليبصره الإنسان فيهتدي به. والهدى: الإرشاد إلى الحق. والرحمة: العطف بالإحسان. والقوم: الجماعة من الناس. ويؤمنون أي: يتقبّلون الخير بالتصديق والعمل. **٢٠٣** قرئ: تلي. واستمِعوا: توجّهوا بالسمع والانتباه. وأنصِتوا: اسكتوا متسمّعين. ولعلكم أي: ليُترجّى لكم. وترحمون: يكون عليكم عطف الرحمن بالإحسان. **٢٠٤** اذكر أي: استحضر وتأمّل، أيها الإنسان. وفي نفسك أي: سرًّا. وتضرّعًا: تذلُّلًا. وخِيفة: خوفًا. ودون الجهر: تحت درجة المجاهرة. والقول: الكلام. والغدو: جمع غُدوة، ما بين الفجر وطلوع الشمس. والآصال: جمع أُصُل. وأُصُل: جمع أصيل، من العصر إلى المغرب. ولا تكن: لا تصِر. والغافلون: الساهون عما حولهم. **٢٠٥** الذين عند ربك أي: الملائكة الذين في الإكرام من المنازل الرفيعة. ولا يستكبرون: يتواضعون. والعبادة: التقديس والطاعة. ويسبّحونه: ينزّهونه عما لا يليق بجلاله. ويسجدون: يتذللون ويخضعون. **٢٠٦**

الجزء التاسع — سورة الأعراف

إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ
أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ
وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟
فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ
قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

سجدة

المعنى العام: أنْ يصرّح النبي باعتماده على الله، الذي أوحى القرآن ويحفظ الصالحين، وأن الأصنام عاجزة عن نصر عابديها ونصر أنفسها وعن الاستجابة للدعاء وعن البصر، وإن كان لها عيون مصنوعة، وأنْ يتقبل من الناس ظاهر اليسر وينصرف عن جهلهم، ويتحصن بالله من وساوسهم. أما المؤمنون فعندما يوسوس لهم الشيطان بالشرّ يستحضرون عظمة الله وعونه فيهتدون، وأما الكافرون فهم إخوان الشياطين يجارونهم في الباطل دون تبصر.

إنهم يعاجزونك - أيها النبيّ - بطلب المعجزات، وإن لم تحضِرها لهم حرّضوك على ذلك.فعليك إعلامهم أنك تبلّغ ما يوحى إليك، وفيه أعظم المعجزات مع الهداية والرحمة للمؤمنين. فليستمعوا لآياته ويفهموها ليكون لهم الرحمة، واعتمد على الله وحده مسبّحًا شاكرًا في كل حال متنبّهًا واعيًا. فإن الملائكة المقربين هم متذللون في تسبيح لله وعبادته وسجود دائمين.

٨ ـ سورة الأنفال

تفسير المفردات: يسألونك أي: يسألك المجاهدون - أيها النبيّ - استفتاء لحل الخلاف. والأنفال: جمع نَفَل، ما يُعطاه المجاهد زيادة على نصيبه قبل الغنيمة أو بعدها. وقل أي: لهم. لله والرسول أي: حكمها مختص به - تعالى - يقسمها الرسول ﷺ دون تدخل أحد. واتقوا الله: تجنّبوا عصيانه والزموا رضاه بطاعته في الأمر والنهي. وأصلحوا ذات بينكم: أزيلوا ما بينكم من الخلاف ودوموا على الوفاق والتراضي. وذات الشيء: حقيقته ونفسه. والبين: روابط المودة وترك النزاع. وأطيعوا: نفذوا ما يكون من أمر ونهي. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ومؤمنين أي: عرفت قلوبكم التوحيد وما يلزمه. ١ المؤمنون: الكاملو الإيمان من الرجال والنساء. وذُكِرَ الله: ورد اسم من أسمائه الحسنى. ووجلت: خافت. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يمد الدماغ بماء الحياة صافيًا ويستعين به في وظائفه. وتليت: قرئت وبُيّن حكمها. والآيات: النصوص القرآنية. وزادتهم: أضافت إليهم وضاعفتهم. والإيمان: التصديق اليقيني. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويتوكلون: يعتمدون في جميع أُمورهم. ٢ يقيمون الصلاة: يؤدّون العبادة المكتوبة. ورزقناهم: أعطيناهم. وينفقون: يصرفون. ٣ أولئك أي: الموصوفون بما مضى. وحقًّا أي: صدقًا بلا شك. والدرجات: المراتب في الجنة. وعند ربهم: في حكمه بفضله ورحمته. والمغفرة: ستر الذنوب والعفو عنها. والرزق: ما ييسّر للمخلوق من نعم. والكريم: الحسن مع الإكرام والتعظيم. ٤ كما أخرجك أي: حكم الله في هذه الأنفال مثل تقديره لك الخروجَ، أيها النبيّ. والبيت: مكان الإقامة والاستقرار. والحق: ما وجب من الجهاد. والفريق: الجماعة. والكارهون: من يأبون ولا يريدون. ٥ يجادلون: يحاجّون ويناقشون. وتبين: ظهرَ. ويساقون إلى الموت: يُدفعون إلى القتل. وينظرون: يرَون الموت عِيانًا. ٦ إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين: وقت تعهده لكم بالنصر على جماعة قريش في الحرب أو الجماعة التي مع التجارة. وتودّون: تريدون. وغير ذات الشوكة: غير صاحبة السلاح، أي: الغنيمة. وتكون لكم: تصير لكم في اللقاء والتملك. ويريد: يقضي. ويحق: يُثبت ويُغلّب. والحق: الشيء الثابت، أي: التوحيد. وكلماته: أوامره وقضاؤه. ويقطع: يُفني ويمحق. ودابر الكافرين: آخر قوتهم وتسلطهم. ٧ يبطل: يزيل وينهي. والباطل: ما لا أصل له عند الاختبار. ولو كره: وإن أبغض انتصارَ الإسلام ولم يرضه. والمجرمون: من يقترفون الشرك والجرائم باختيار وقصد. ٨

سُورَةُ الأَنفَالِ - ترتيبها ٨ - آياتها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ
﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

المعنى العام: اختلف المسلمون بعد معركة بدر فيما هو ليس من الغنائم، خلّفه المشركون بهزيمتهم، وادعى الشبان أنهم حاربوا وحدهم، والشيوخ أنهم ساندوهم بالحماية والعون كلّ يدّعون أنهم أحق به، وسألوا الرسول ﷺ عن ذلك، فنزل الوحي بأنه لله ورسوله يحكم الرسول فيه بما يرى، وكان أن قسمه بينهم بالعدل. فعلى المؤمنين تقوى الله وطاعته والتزام المودة بإصلاح ما بينهم من خلاف، لأنهم بإيمانهم الممتاز يخافون الله ويتوكلون عليه، ويزدادون إيمانًا بسماع الآيات، ويؤدّون الصلاة بأركانها وآدابها، ويبذلون أموالهم في الطاعة و فيما شرع من الزكاة وغيرها، وهم أصحاب الإيمان الكامل، ولهم منازل في الجنة ورزق عظيم.

وكما أخرجك الله للحرب - يارسول الله ـ وبعضُ المسلمين غير راغب يجادل خوف الموت ثم استجابوا جميعًا، كذلك استجابوا لحكم الأنفال بعد خلاف، وقد كان في كل من الأمرين خير. فتذكّروا - أيها المؤمنون ـ وعد الله لكم الفوزَ بالنصر أو تجارة قريش، وأنتم تتمنون التجارة، فيسّر نصر الحق وكسب الغنيمة وهزيمة الباطل وأصحابه، رغم أنف المجرمين.

تفسير المفردات: إذ تستغيثون: وقت استغاثتكم بالله طلبًا للنصر. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واستجاب لكم: قَبِلَ دعاءكم وحقّق الطلب. ومُمِدّكم: مُعينكم. والملائكة: جمع مَلَك، مخلوقات نورانية عظيمة القُدرات معصومة مطهّرة. ومردفين أي: متتابعين. ٩ ما جعله الله: ما أوجد الإمداد. والله: لفظ الجلالة الاسم الأعظم للمعبود بحق وحده، والدائم الوجود والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والبُشرى: البشارة والتبليغ بالخير والنصر. وتطمئنّ: تهدأ وتستقر في المقاومة الجهادية. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يُمِدّ الدماغ بماء الحياة سائغًا ويستعين به للقيام بوظائفه. وما النصر: ليست الغلبة على العدو. ومن عند الله أي: بأمره وقضائه. والعزيز: الغلّاب لا يُعجزه شيء ويَذلّ لعزته ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ١٠ إذ يغشّيكم: حين يلقي عليكم ويُحِل بكم. والنعاس: النوم الخفيف. والأمَنة: الطمْأنة. ومنه أي: من عند الله وبأمره. وينزّل: يُسقط بتتابع. والسماء: السحاب. والماء: المطر. ويطهّركم: يزيل عنكم ذهاب الوضوءِ أو الاغتسالِ. ويُذهب: يزيل. والرجز: الوسوسة والخواطر السيئة. والشيطان: من يغري بالشر من الجن

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

والإنس. ويربط على قلوبكم: يقوّيها ويشجّعها. ويثبّت به الأقدام: يرسّخها في مواطئها بتلبد الرمال بعد المطر. والأقدام: جمع قدم، ما يطأ به الإنسان الأرض. ١١ إذ يوحي: حين يُلهم. ومعكم أي: مشارك بالعون والنصر. وثبّتوا: قوُّوا ورسّخوا في المعركة. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وسأُلقي: لا بدّ أن أقذف وأرمي. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والرعب: الفزع من المؤمنين. واضربوا: اقرعوا بالسلاح. والأعناق: جمع عنق. وهي الرقبة. وما فوقها هو الرأس. ومنهم: من الكافرين. والبنان: واحدته بنانة. وهي هنا الأصابع. ١٢ ذلك أي: عذاب المشركين وتقتيلهم، أيها المؤمنون. وبأنهم أي: حاصل لأنهم. وشاقّوا: خالفوا وخاصموا. والرسول: محمد ﷺ. والشديد: القوي الفظيع. والعقاب: جزاؤه بالعذاب. ١٣ ذلكم أي: تعذيب الكافرين بمقاتلهم وهزيمتهم. وذوقوه أي: تحسّسوه وقاسوا شدائده، أيها المشركون الموتى والأحياء. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والنار: نار جهنم. ١٤ إذا لقيتم: كلما تقابلون في الحرب. والزحف: الهجوم في جماعة. ولا تولُّوهم الأدبار: لا تمكّنوهم من ظهوركم بالفرار. والأدبار: جمع دُبر. وهو الظهر. ١٥ يومئذ: يوم لقائهم زاحفين إليكم. والمتحرّف: المنعطف. ولقتال أي: لأجل التمكن من حرب العدو بمكيدة. والمتحيّز: المنضمّ مُعينًا. والفئة: جماعة المسلمين. وباء: استحق وتلبس. والغضب: السخط وإرادة الانتقام. ومن الله أي: من عنده وفي حكمه. والمأوى: الملجأ الذي يأوي إليه ويلازمه. وجهنم: اسمٌ علم لدار العذاب الذي أُعد للكافرين. وبئس: بلغ الغاية في البؤس والقبح والسوء. والمصير: مكان الرجوع النهائي للإقامة. ١٦

المعنى العام: يذكّر اللهُ المجاهدين في بدر بدعائهم إيّاه للعون، وإمداده إياهم بالملائكة بشارة وطمأنة، وبالنوم الذي هدأ نفوسهم، وبالمطر الذي نزل عليهم لإزالة الجنابة من الحدَثَين الأصغرِ والأكبر- وذلك أنه احتلم بعضهم في منامه، فكان المطر لهم مُسعفًا - والإنقاذ من وساوس الشيطان، ويذكّرهم أيضًا بأمره الملائكةَ أن يحاربوا مع المجاهدين، يثبتونهم ويعينونهم في المعركة ويقتلون المشركين بالضربات القاضية، وبأنه نصرهم حين خلق تخويفَ المشركين قوةَ المسلمين، جزاءً من يخاصم الله ورسوله.

ثم لهم أيضًا عذاب أعظم في الآخرة. فعلى المسلمين دائمًا أن يستقبلوا المشركين الزاحفين في الحرب، من دون تراجع، ومَن يتراجع دون قصد لمتابعة القتال أو الانضمام إلى المقاتلين فعليه غضب الله وله عذاب جهنم. وما أفظعه من مصير!

تفسير المفردات: لم تقتلوهم أي: لم تقتلوا الكافرين بقدرتكم الخاصة. والله: المعبود بحق وحده والدائم الوجود، والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وقتلهم أي: أزهق أرواحهم. وما رميت: ما ألقيت الحصى بقدرتك الخاصة - أيها النبيّ - في وجوه المشركين. ورمى أي: قدّر الرمي وحققه بأمره. ويُبلي المؤمنين: يعاملهم معاملة من يختبرهم فيُنعم عليهم بالنتيجة المباركة ويعرّفهم فضله. ومنه أي: من عنده وبأمره. والبلاء: العطاء. والحَسَن: الكثيرُ الخيرِ. والسميع العليم: العظيم الدقة من السمع والعلم. ١٧ ذلكم أي: القتل والرمي والبلاء كله حق، أي: أمر ثابت وعدل. والموهن: المضعف والماحق. والكيد: المكر وقصد الإيذاء. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ١٨ تستفتحوا: تطلبوا الفتح، أيها المشركون. وجاءكم أي: نزل بكم. والفتح: القضاء والحكم بينكم وبين المسلمين. وتنتهوا: تُعرضوا وتنصرفوا عن الكفر وتستجيبوا للإيمان والطاعة. وهو أي: الانتهاء عن الكفر. وخير: أكثر نفعًا. وتعودوا: تكرّروا قتال النبي ﷺ. و نعد أي: نقصد نصره كرّة ثانية. وتغني: تدفع. والفئة: الجماعة. ولو كثرت: وإن كثر عددها. ومع المؤمنين أي: يصحبهم بالعون والنصر. ١٩آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وأطيعوا أي: اثبُتوا على الطاعة في الأمر والنهي. والرسول: من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. ولا تولّوا: لا تتولّوا أي: لا تُعرضوا وتنصرفوا بمخالفة الأمر. وتسمعون أي: تدركون القرآن الكريم والمواعظ. ٢٠ لا تكونوا: لا تصيروا. وقالوا: جاهروا بالقول في المبايعة. وسمعنا: أدركنا وفهمنا. ولا يسمعون أي: سماعَ تدبّر واتّعاظ. ٢١شرّ الدوابّ: أكثر الأحياء ضررًا وإيذاء. والدوابّ: جمع دابّة. وهي ما يدب على الأرض من إنسان أو حيوان. وعند الله أي: في حكمه وعلمه. والصمّ: جمع أصمّ. وهو الذي لا يسمع. والبُكم: جمع أبكم. وهو الذي لا ينطق. ولا يعقلون: لا يدركون الحقائق لتعطيل عقولهم وقدراتهم في الشهوات. ٢٢ عَلِمَ الله فيهم خيرًا: أحاط بخير عندهم أي: لو كان فيهم شيء من ذلك. والخير: ما فيه نفع في الدنيا والآخرة. وأسمعهم: أقدرَهم على السماع الواعي. وتولوا: انصرفوا وأبوا. والمُعرض: الممتنع. ٢٣ استجيبوا: أجيبوا الأمر ونفّذوه. وإذا دعاكم: حين يوجّهكم. وما يحييكم: ما فيه حياتكم الحقيقية. واعلموا: دوموا على الإدراك اليقيني. ويحول: يحجز. والمرء: الإنسان. والقلب: العقل وما فيه من القدرات. وإليه: إلى لقاء موعده يوم القيامة. وتُحشرون: تُجمعون بالقهر للحساب بعد البعث. ٢٤ اتّقوا فتنة: تجنّبوا أسباب المصيبة. ولا تصيبنّ: لاتنالنّ. والذين ظلموا: المقترفون للكفر أو البغي أو الفساد. والخاصة: التي تخص بعض الناس. وشديد العقاب: عظيمٌ انتقامه لا مثيل له. ٢٥

ثلاثة أرباع الحزب ١٨

الجزء التاسع — سورة الأنفال

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

المعنى العام: متابعة تذكير المسلمين بأن النصر في بدر لم يكن بقدرتهم، لأن الله هو الذي خلق قتل المشركين ورميَ الحصى في وجوههم وما نالوا من الهزيمة، ليُنعم على المؤمنين، ويضعف شأن الكافرين. ولمّا كان أبو جهل دعا يوم بدر أن يحكم الله بين الجيشين بهلاك الظالمين فقد جاءت الآية ١٩ بأنه قد حكم الله بما دعا، وإيمانهم خير لهم من الكفر. وإلّا فإن الله هازمهم في كل معركة، ولن يستفيدوا شيئًا بكثرتهم مهما عظمت.

وعلى المؤمنين استمرار الطاعة، وألّا يصيروا كالجاهليين، الذين هم أحط المخلوقات، بتعطيل سمعهم ونطقهم وعقولهم. فليس فيهم شيء من الخير لِيَعلمه الله ويصلحهم، ولن ينفعهم وعظ أو تهديد. وعلى المؤمنين أيضًا الاستجابةُ حين يُدعَون إلى الخير، وتجنبُ أسباب المصائب الربانية، التي تعم الظالم والصالح. وهي الكوارث والحروب والأوبئة وتسلط الظلمة والذّلّة والهوان والاستسلام. وأسبابها شيوع المنكرات والفواحش وتحكم الشهوات، أو تعطيل الجهاد وبعض الأحكام الشرعية، أو الانقياد إلى غير المسلمين واتّباعهم في الخلق والسلوك، أو قبول مذاهبهم السياسية والفكرية، أو الاعتماد عليهم في المرافق العامة والنصرة. ولْيعلمِ المؤمنون أن بطش الله عظيم لا يقدّر قدره.

تفسير المفردات: اذكروا: استحضروا في نفوسكم، أيها المؤمنون. وإذ أنتم: وقت كونكم. وقليل أي: عددكم يسير. والمستضعفون: الذين يعاملهم الناس معاملة العاجزين. والأرض: أرض مكّة المكرّمة. وتخافون: تخشون. ويتخطّفكم الناس: يأخذكم أعداؤكم بالقتل والعذاب. وآواكم: ألجأكم إلى المدينة المنوّرة وحماكم. وأيّدكم: قوّاكم. والنصر: العون يوم بدر. ورزقكم: منحكم ما تتمتعون به. والطيبات: المستلذّات من النعم. ولعلكم: لترجَّوا. وتشكرون: تذكرون النعم بالثناء قلبًا ولسانًا وعملًا. **٢٦** آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ولا تخونوا أي: لا تخالفوا بنقض عهد الإيمان والإخلاص. والرسول: محمد ﷺ. ولا تخونوا أماناتكم: لا تخالفوا ما اؤتُمنتم عليه بنقضه وعدم الالتزام لبعضه. وتعلمون أي: تدركون أن ما وقع منكم خيانة. **٢٧** اعلموا: دوموا على العلم والتذكر. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من نقد ومتاع وزينة. والأولاد: جمع ولد من ذكر أو أُنثى. وفتنة أي: ابتلاء و محنة لبيان من يحفظ حدود الله. وعنده: بقدرته وسلطانه. والأجر: الثواب. والعظيم: الكبير الضخم لا مثيل له. **٢٨** تتّقوا الله: تتجنبوا عصيانه وغضبه وتطلبوا رضاه بالطاعة في الأمر والنهي. ويجعل لكم: يخلق في نفوسكم وبصائركم. والفرقان: الهداية إلى الحقّ للفصل بين الخير والشرّ. ويكفّرُ: يغطي. والسيئات: الصغائر من المعاصي. ويغفرُ لكم: يمحو لأجلكم ويصفح. وذو الفضل: المتفرد بالإحسان والزيادة في الثواب. والعظيم: الضخم لا يقدَّر قدره. **٢٩** إذ يمكر أي: وقت الكيد خِفية. والذين كفروا: المشركون من قريش. ويثبتوك: يحبسوك. ويقتلوك: يُزهقوا روحك الشريفة. ويخرجوك: يحملوك على الهجرة. ويمكر الله أي: يخدعهم ويدبّر بتقديره ما يسوءُهم. وخير الماكرين أي: أفضلهم وأقدرهم بتدبير الخداع وإيصال البلاء إلى عدوه. **٣٠** إذا تتلى: كلّما قرئت. والآيات: ما يوحى من القرآن الكريم. وسمعنا: أدركنا. ونشاء: نريد القول. ومثل هذا: مماثل القرآن. وإنْ هذا: ما هو. والأساطير: جمع أسطورة، القِصص والأخبار الباطلة. والأولون: الأمم الماضية. **٣١** إذ قالوا أي: وقت قول المشركين. واللّهم أي: يا الله. والميم المشدّدة عوض من: يا. وهذا أي: ما يتلوه محمد. والحق: الصدق الموحَى. وأمطر: أطلق وأنزل. والحجارة: التي هلك بها أصحاب الفيل. والسماء: العالم العُلويّ. وائتنا: عاقبنا. والعذاب: التعذيب. والأليم: الشديد الإيلام **٣٢** ما كان: ما قصد. ويعذبهم: ينزل بهم عذاب الدنيا بالاستئصال. وأنت فيهم أي: أنت - أيها النبيّ - بينهم في مكة. ويستغفرون: يطلبون مغفرة الذنوب. **٣٣**

الجزء التاسع سورة الأنفال

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ
ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ
لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ
ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا
قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ
أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣١ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ
وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣

المعنى العام: متابعة تذكير المسلمين بتقويتهم وإعزازهم ونصرهم في بدر ليشكروا. فقد كانوا قليلين مستضعفين في مكة المكرّمة فحفظهم في المدينة المنوّرة، ومنحهم الخير والقوة والانتصارعلى المشركين. فعليهم الدوام على طاعة أمر الله والرسول وحفظ أمانة العهد والمبايعة، ولا يكون فيهم من يفعل مثل أبي لبابة ليحمي أولاده عند بني قُريظة، حين أفشى سرّ غزوهم بإعلامهم أن الحكم فيهم هو الذبح، لنقضهم العهود ومعونة المشركين في غزوة الخندق. فالأموال والأولاد ابتلاء، وأجر الله أفضل، يوجه المتقين إلى الخير والصواب بما يرزقهم من نور البصيرة، ويغفر لهم بفضله العظيم. ولْيذكر النبي ﷺ مكر المشركين في مكة بدار النَدْوة، وتآمرهم بحبسه أو قتله أو تهجيره، وكيف عاملهم الله بما يقابل مكرهم، وأنقذه بحكمته البالغة.

وعندما قال زعماء المشركين ما في الآية ٣٢ نزلت الآية ٣٣، جوابًا لقولهم الشنيع، بأن الله يحجب عنهم عذاب الاستئصال لأن النبي ﷺ فيهم، ولأنه يكون بينهم بعض المؤمنين المستضعفين يستغفرون. يعني أن المستغفرين هنا هم المؤمنون بين الكفار في مكة، ممن لم يستطع الهجرة. وهذا يشمل كل مسلم مستضعف حيثما وُجد، إذا كانت دعوة النبي الكريم في قلبه وعمله، ويديم الاستغفار.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ
فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ
ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ
فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

تفسير المفردات: ما لهم ألاّ يعذّبهم أي: لا بد أن يعذّب المشركين في الدنيا. ويصدّون: يمنعون المسلمين أن يطوفوا. والمسجد الحرام: الكعبة المشرَّفة. وما كانوا أولياءه أي: ليسوا ولاة أمره ولا متأهّلين لذلك. والأولياء: جمع ولي. وهو مالك الأمر والتصرّف. وإنْ أولياؤه أي: ليس أولياؤه. والمتقون: الذين يخافون الله ويطلبون الرضا. وأكثرهم: غالبية المشركين. ولا يعلمون: لا يدركون أنهم لا ولاية لهم على المسجد الحرام. **٣٤** الصلاة: العبادة والدعاء. والبيت أي: البيت الحرام. والمكاء: الصفير. والتصدية: التصفيق باليدين. وذوقوا العذاب أي: قاسوا شدّة التعذيب أسرًا وقتلًا وذِلّة. وبما كنتم تكفرون أي: بسبب كونكم تكذّبون وتجحدون آيات التوحيد والنبوة. **٣٥** كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ينفقون: يبذلون ويصرفون. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. ويصدوا: يمنعوا الناس. وسبيل الله: دين التوحيد بالإسلام. وتكون: تصير. والحسرة: الأسف والندامة. ويُغلبون: يُقهرون في الدنيا بالهزيمة والخسارة. وكفروا: أصرّوا على الكفر وماتوا عليه. وجهنم: اسمٌ علم لدار العقاب يوم القيامة . ويُحشرون: يساقون بالقوة والقهر. **٣٦** يميز: يفصل. والخبيث: الفاسد بالكفر. والطيب: المحسن بالإيمان. ويجعل: يلقي. والبعض: القسم من الشيء. ويركمه: يجمعه متراكبًا. وجميعًا: مجتمعًا كله. ويجعله: يقذفه. وأولئك أي: المركومون من الخبثاء. والخاسرون أي: الذين ضيعوا أنفسهم وأعمالهم وما كانوا ينتظرون من خير. **٣٧** قل أي: خاطب بالقول جهارًا، أيها النبيّ . وينتهوا: يمتنعوا عن الكفر والقتال. ويُغفر: يُستر ويمسح. وسلف: وقع فيما مضى من الكفر والعصيان. ويعودوا أي: يرجعوا مرة ثانية إلى ما فعلوا. ومضت: سبقت واستقرّ تنفيذها. والسُّنّة: الحكم والقضاء بالعقاب لكل كافر يصرّ على المحاربة. والأولون: الأمم الكافرة الماضية. **٣٨** قاتلوهم أي : قاوموا المشركين المعتدين بالسلاح وغيره، أيها المسلمون. ولا تكون: لا تبقى . والفتنة: الإفساد للمسلمين في الدين والحقوق. ويكون: يصير ويتحقق . والدين: العبادة. ولله أي: لما فطر الله عليه الإنسان من اختيار التوحيد والإيمان. وانتهوا: امتنعوا وتوجهوا إلى الإيمان والطاعة. ويعملون: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والبصير: الخبير بالخفيّ ودقائق الأمور كما في ظاهرها وجهرها. **٣٩** تولّوا: لم ينتهوا عن الشرك والقتال. واعلموا أي: دوموا على الإدراك اليقيني، أيها المسلمون. والمولى: المتولي للأمور. ونعم: بلغ الغاية في الخير والكمال والعون والتأييد. والنصير: المعين والمغلِّب على العدو والبلاء. **٤٠**

المعنى العام : متابعة تهديد مشركي قريش بأنه لا بد من تعذيبهم في الدنيا، ولا مانع لذلك لأنهم يمنعون المؤمنين بالظلم أن يطوفوا بالكعبة، وهم يعلمون أنهم ليسوا ولاة ذلك وأنما يلي أمره المتقون لله. فليست عبادة المشركين في البيت الحرام إلّا لعبًا وسخرية. وسوف ينالون جزاء ذلك في الدنيا ويخاطَبون بالقول تعنيفًا: ليذوقوا القتل والأسر والهزيمة في بدر وما سيكون بعدها. وسيندمون على ما ينفقونه لحرب النبي ويُهزَمون. والحكم في الآيتين يعم من أشبه المشركين، في محاربة الإسلام والمسلمين، فهم يخسرون ما يعتزون به، ثم يساقون إلى جهنم ، فيفصلون عن المؤمنين ، ويُلقون مكدّسين في النار ، فاقدين ما ينتظرون من الخير .

وبلغهم - أيها النبيّ - أنه ستغفر ذنوبهم الماضية إذا آمنوا، وإن رجعوا إلى القتال فلا بد أن يلقَوا جزاء الكافرين من الأمم الماضية، وهو الخسارة والهلاك بالعذاب في الدنيا والآخرة .

وعليكم - أيها المسلمون - أن تقاوموهم بالسلاح وكل وسيلة، حربية فتقاتلوهم حتى يزول عدوانهم عليكم وعلى إخوانكم المسلمين، وتصير العقيدة خالصة من الإكراه، كما خلقها الله بالفطرة والاختيار السليم. فإذا تركوا الكفر والعدوان جازاهم الله بالعفو والمغفرة ، وإن أبوا فهو يعينكم عليهم وينصركم بقوته وجبروته، وما أعظمه نصيرًا ومعينًا في كل ميادين الحياة !

تفسير المفردات: اعلموا: ليكن في علمكم، أيها المسلمون. وغنمتم: أخذتم من المحاربين بالقوة والقهر. والشيء: ما هو موجود. والخمس: ما يكون من قسمة الشيء على خمسة. والرسول: محمد ﷺ. وذو القربى: الذي له صلة قرابة النبي بالنسب. واليتامى: جمع يتمى. واليتمى: جمع يتيم. وهو الطفل فُقِدَ أبوه. والمساكين: جمع مسكين. وهو الفقير المحتاج للعون. والسبيل: الطريق. وابنه: من يريد الرجوع إلى بلده ولم يجد ما يتبلّغ به. وآمنتم: صدّقتم يقينًا. والله: لفظ الجلالة الاسم الأعظم للمعبود بحق وحده، والدائم الوجود والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأنزلنا: أوحينا وأرسلنا. وعبدنا: النبي ﷺ. واليوم: الوقت. والفرقان: الفرق بين الحق والباطل. والتقى: تصادم في الحرب. والجمعان: المسلمون والمشركون. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: المبالغ من القدرة. وهي الاستطاعة والتمكن مطلقًا. **٤١** إذ أنتم: وقت وجودكم. والعدوة: المكان المرتفع عند وادي بدر. والدنيا: القريبة من المدينة المنوّرة. وهم أي: جماعة الكفار. والقصوى: البعيدة عن المدينة. والركب: الراكبون للإبل، واحده راكب. وأسفل: أخفض مكانًا. وتواعدتم: واعد بعضكم بعضًا للقاء. واختلفتم في الميعاد: لم تستطيعوا تنفيذه بدقة. ويقضي: ينفّذ. والأمر: الحادث. ومفعولًا: واقعًا لا بدّ منه. ويهلك: يدوم على الكفر. وهلك: كفر. وعن بيّنة أي: بعد ظهور الحُجّة بالحق. ويحيا: يدوم على الإيمان. وحيّ: آمن. والسميع: المدرك للمسموعات مهما دقّت. والعليم: المحيط بها يكون بالغ الإحاطة. **٤٢** إذ يريكهم: وقت إراءته إيّاك - أيها النبي - للمشركين. والمنام: الحلم. وقليلًا أي: يسيرًا قدرهم وأنهم مغلوبون. وأراكهم: أراك إيّاهم. والكثير: العدد الكبير. وفشلتم: ضعفتم. وتنازعتم في الأمر: اختلفتم في القتال. وسلّم أي: أنعم عليكم بالوفاق. وعليم: خبير بالخفايا ودقائق الخطَرات. وذات الصدور: الملازمة للصدور لا يطّلع عليها الآخرون. والصدور: جمع صدر، يراد به القلب. **٤٣** يريكموهم: يُبصّركم - أيها المسلمون ـ إيّاهم. والتقيتم أي: في الحرب. والأعين: جمع عين، عضو البصر. ويقللكم: يجعلكم قليلين ويهوّن أمركم. وإلى الله: إلى حكمه وقضائه. وتُرجع: تُردّ للحكم فيها. والأُمور: جمع أمر. وهو الشأن والحال. **٤٤** لقيتم: قابلتم في الحرب. والفئة: الجماعة من الكافرين. واثبتوا: أقدموا ولا تتراجعوا. واذكروا الله: ردّدوا اسمه بالتكبير والدعاء. ولعلكم: ليُترجّى لكم. وتفلحون: تفوزون بالنصر والثواب. **٤٥**

الجزء العاشر — سورة الأنفال

۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن
كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ
يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ
أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ
أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ
وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ
هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ
وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ
يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ
فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ
فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾

المعنى العام: يجب أن يعلم المسلمون أن غنائم المحاربين من العدو خمسها يقسم خمسة أقسام: الأول للنبي ﷺ ويجعل لمصالح المسلمين في السلم والجهاد الحربي، والثاني لأقربائه من بني هاشم بن عبد مناف وبني المطلب بن عبد مناف، والثالث ليتامى المسلمين، والرابع للمسلمين المساكين، والخامس للمنقطعين بعيدًا عن بلادهم، والأخماس الأربعة الباقية من الغنائم هي للمحاربين. اعلموا ذلك إن كنتم مؤمنين بالوحي وعون الملائكة يوم بدر، وبنصر الله لكم، حين عسكرتم في جانب وادي بدر من جهة المدينة، وعسكر المشركون من جانبه البعيد عنها، والقافلة بتجارتها هاربة في مكان منخفض قريب على ساحل البحر: بحر القُلزم « الأحمر ».

هكذا التقيتم بتقدير الله، ولو تواعدتم لتخلف أحد الطرفين أو كلاهما، ولكن الله يسّر ما فيه الخير والنصر. فقد كان لقاء مقدرًا، ليتضح سبيل الحق، فيسير الكافرون والمؤمنون على بينة من أمرهم بعد ظهور الحق ولقد رآهم النبي ﷺ في الحلم قليلين وأخبركم بذلك لئلا تضعفوا ولا تختلفوا، وأراكم إياهم في الحرب قليلين أيضًا، وهم رأوكم كذلك، ليتحقق ما أراده وهو الحكَم في جميع الأمور. فإذا واجهتم المحاربين بمقاومة السلاح فتثبتوا وأقدموا ولا تتراجعوا، وكبّروا وادعوا الله بالنصر، تتغلبوا عليهم بإذنه، تعالى.

تفسير المفردات: أطيعوا الله: انقادوا لأمره ونهيه. والرسول: محمد ﷺ. ولا تنازعوا: لا تتنازعوا، أي: لا تختلفوا. حذفت التاء الثانية للتخفيف. وتفشلوا: تضعفوا. وتذهب: تزول. والريح: الهواء الشديد النافذ، استعير للقوّة. واصبروا: تحمّلوا الشدائد. ومع الصابرين أي: يؤيدهم بالعون والرحمة. **٤٦** لا تكونوا أي: لا تصيروا. وخرجوا: انطلقوا. والديار: جمع دار، موطن الإقامة الاستقرار. والبطر: طغيانُ الاعتزاز بالنعمة. والرئاء: الرياء. والناس: من حول مكة والمدينة من البشر. ويصدّون: يمنعون. وسبيل الله: دين التوحيد. ويعملون أي: يكتسبونه. والمحيط: الكامل العلم. **٤٧** إذ زيّن أعمالهم: وقت تحسين كفرهم والعصيان. والشيطان: إبليس. وقال أي: وسوس لهم. ولا غالب لكم: لن يَغلبكم أحد. واليوم: هذا الوقت. والناس: البشر. والجار: الحامي. ولما تراءت الفئتان: عندما رأت الجماعتان كل منهما الأُخرى في غزوة بدر. ونكص: انقلب. والعقب: مؤخر الرِّجل. أي: ارتد وبطَل كيده. وبريء منكم: متبرئ من حمايتكم. وأرى: أُبصر عِيانًا. وأخاف الله: أخشى أن يهلكني. وشديد العقاب أي: شديدٌ عقابُه للكافرين والعُصاة. **٤٨** إذ يقول أي: وقت قول. والمنافقون: بعض الأنصار واليهود كانوا يدّعون الإيمان، وقد بقوا في المدينة ولم يشهدوا بدرًا. والذين في قلوبهم مرض: بعض ضعيفي الإيمان من المسلمين لم يهاجروا، وخرجوا مع المشركين فقُتلوا جميعًا.

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. وغرّ هؤلاء: خدع المسلمين. ودينهم: اعتقادهم الجديد بالتوحيد وشريعة الإسلام. ويتوكل على الله أي: يعتمد على إحسانه ويفوّض أمره إليه، بعد الاستعداد والإعداد اللازم. والعزيز: الغلّاب لكل مخلوق. والحكيم: الذي يفعل بحكمته البالغة ما قد يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه. **٤٩** ترى: تبصر بعينك، أيها المخاطب. وإذ: وقت. ويتوفى: يقبض الأرواح ويستوفيها. وكفروا: جحدوا التوحيد والنبوة. والملائكة: جمع ملَك، أي: ملك الموت وأعوانه. ويضرب: يقرع ويصفع. والوجوه: جمع وجه، ما يستقبل به الإنسان غيره من رأسه. والأدبار: جمع دُبر. وهو خلفُ الإنسان. وذوقوا أي: تحسّسوا وقاسوا. والعذاب: التعذيب. والحريق: المُحرق. **٥٠** ذلك أي: التعذيب وقت الموت ويوم القيامة. وبما قدمت أيديكم: حاصل بسبب ما اكتسبتم وجنيتم من الكفر والعصيان. والأيدي: جمع يد. والظلّام: مبالغة اسم الفاعل، أي: الكثير الظلم. والعبيد: جمع عبد، المملوك خلقًا وتصرّفًا وتعبّدًا. **٥١** الدأب: العادة. وآل فرعون: قومه وأعوانه وهو فيهم أيضًا. والذين من قبلهم: كفّار الأمم السابقة. وكفروا: كذّبوا وجحدوا. والآيات: آيات الكتب السماوية والمعجزات المؤيدة للرسل. وأخذهم: انتقم منهم. والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية. والقوي: الكامل القدرة لا يُعجزه شيء بحال من الأحوال. **٥٢**

المعنى العام: على المؤمنين طاعةُ الله والرسول، والوِفاقُ لئلّا يضعفوا ويفنَوا، والصبرُ وقت البلاء ليعينهم الله، وألّا يفرحوا كثيرًا ويبطروا، كما كان من المشركين، حين خرجوا من مكة تفاخرًا ليحاربوا الإسلام، وخدعهم الشيطان بالعون والنصر، فأصروا على القتال والمفاخرة بالغلبة والعزة والفواحش، ثم تخلى عنهم وتبرأ منهم لِما رأى من الملائكة وبطش الله، وحين سخر المنافقون الضعيفو الإيمان بتصدي المسلمين لقريش، مع أن الله ينصر المتوكلين عليه بعزّته وحكمته.

ولو رأيت -أيها القارئ والسامع- تعذيب الملائكة للكافرين بالضرب والإهانة عند الموت ويوم القيامة، موبّخين لهم بما سيذوقون من الحريق، بالعدل المطلق حقًّا من عند الله، لو رأيت ذلك كله لرأيت أمرًا عظيمًا. والنفي للمبالغة في الظلم هو مبالغة في النفي.

أمّا ما أنزل الله بكفار قريش في بدر من الهزيمة والعذاب والإهانة فهو سُنّته في الانتقام، مثل ما أنزل بفرعون والمشركين القدماء جزاء للكفر والذنوب، وهو قوي على ما يريد وشديد العقاب للكافرين والمشركين والعُصاة.

الجزء العاشر | سورة الأنفال

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟
مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن
قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾
وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟
لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

ربع الحزب ١٩

تفسير المفردات: ذلك أي: تعذيب الكافرين. وبأنّ أي: حاصل لأنّ. ويك: يكن. حذفت النون للتخفيف. والمغير: المبدّل بنقمة. والنعمة: التفضل بالمنافع. وأنعمها: أحسن بها. والقوم: الجماعة من الناس. ويغيّروا: يبدّلوا. وما بأنفسهم أي: من صواب الاعتقاد والأخلاق والقول والعمل. والأنفس: جمع نفس أي: حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وسميع عليم أي: بلغ الغاية في السمع والعلم لما يقال ويُعمل. **٥٣** كدأب آل فرعون: كصُنع الله بقوم فرعون وهو معهم وبأمثالهم حين أصرّوا على الكفر. وكذّبوا: أنكروا. والآيات: دلائل التوحيد والنبوات. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأهلكناهم: أفنيناهم. وبذنوبهم: بسبب معاصيهم. وأغرقنا: أمتنا خنقًا بماء البحر. وكل أي: كلهم. والظالم: من يجور على نفسه بالكفر والعصيان. **٥٤** الشرّ: الأكثر فسادًا وإفسادًا. والدوابّ: مع دابّة. وهو ما يدِبّ على الأرض من المخلوقات. وعند الله أي: في حكمه وقضائه. وكفروا: أصرّوا على الكفر. ولا يؤمنون: لا يُنتظر منهم إيمان. **٥٥** عاهدت أي: كان بينك - أيها النبيّ - وبينهم عهد مؤكد بالقسم. ومنهم: من اليهود. وينقضون عهدهم: يخونونه ويخالفون ما فيه. والمرة أي: الحادثة من المعاهدات. ولا يتقون أي: لا يخافون غضب الله. **٥٦** إمّا أي: إنْ. وما: زائدة للتوكيد. وتثقفنّهم: تجدنّهم. والحرب: المقاومة القتالية. وشرّد: فرّق واردع. وبهم أي: بتعذيبهم أو تقتيلهم. ومَن خلفهم: مَن وراءهم كالمشركين والمنافقين. ولعلهم: ليُترجّى لهم. ويذّكّرون: يتذكّرون أي: يستحضرون في نفوسهم ما كان من تقتيل أولئك فلا يجترؤون على العدوان. **٥٧** تخافنّ: تعلمنّ. وقوم أي: معاهدون. والخيانة: الغدر ونقض العهد. وانبذ: اطرح وألقِ عهدهم. والسواء: المساواة في العلم بإلغاء العهد. ولا يحب أي: لا يودّ فيعاقب. والخائنون: الغادرون. **٥٨** لا يحسبنّ: لا يظنَّنّ. وسبقوا أي: تخلّصوا من عذاب الله. ولا يُعجزون: لا يتخلّصون ولا يهربون. **٥٩** أعدّوا: جهّزوا مع التجريب والتدريب. وما استطعتم أي: أقصى ما تقدرون على حشده وتهيئته. والقوة: القُدرة والشِّدّة. والرباط: الحبس للتدريب والإعداد. والخيل: واحده الفرس، اسم جمع واحده خائل من الخُيلاء. وتُرهبون: تخوّفون وتَردعون. والعدو: المعادي. وآخرين أي: أعداء آخرين يُسرّون نية القتال. ودونهم أي: غيرهم. ولا تعلمونهم: لاتعرفون بواطنهم. ويعلمهم: يحيط علمًا بدخائل نفوسهم. وتنفقوا: تبذلوا. وفي سبيل الله أي: لأجل إعلاء كلمته. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. ويوفَّ: يؤدَّى وافيًا في الدنيا والآخرة. ولا تظلمون: لا يُنقص من أجركم شيء. **٦٠** جنحوا: مال أعداء الله. والسلم: الصلح. واجنح: توجّه معهم وعاهدهم بلا لَبس ولا خداع. وتوكل: اعتمد. والسميع العليم: المبالغ في سمع ما يقال وعلم ما يكون. **٦١**

المعنى العام: متابعة ما حصل للكافرين بأن الله لا يزيل نعمة إلّا إذا جعل الناس الكفربدل الشكر. وهذه سُنّته في القدماء الظالمين، هلاكهم بالدمار أو الغرق. ولما خان يهود بني قريظة العهد وأعانوا المشركين يوم بدر، ونكثوه بتأييد المشركين يوم الخندق، نزلت فيهم الآيات ٥٥ـ٥٧ بأن أحقر الدوابّ هم المصرّون على الكفر والخيانة. فعلى المسلمين أن يجاهروهم بالقتال، ليرهب غيرهم الخيانة والعدوان. وكذلك إن ظهر من معاهدين نقض أو غدر، تلغى عهودهم ويبلّغون ذلك بوضوح، لأن الله لا يحب الخائنين.

أما الذين هربوا يوم بدر فلن ينجوا من عذاب الله، والواجب عليكم ـ أيها المسلمون ـ الاستعداد لمقاومتهم، بالتدرب على القتال وتجهيز وسائل الحرب بالسلاح والذخائر وما يركب للقتال، إرهابًا لهم ولِمَن يُخفون عداوتهم عليكم، والله يعلم ما في نفوسهم. وكل ما تبذلونه من المال والجهد والعلم والوقت والنفس تنالون ثوابه في الدنيا والآخرة.

وإن مال العدو إلى الصلح ورأى الإمام الشرعي في الموادعة جلب نفع للمسلمين، أو دفع ضر عنهم، فلابأس فيها شريطة ألّا يكون غصب لشيء من حقوق المسلمين، أو عدوان على بعض ديارهم. فليكن التوكل على الله، وهو عليم بما في النفوس والأعمال.

تفسير المفردات: يريدوا: يقصدوا. ويخدعوك: يغشّوك بالصلح. وحسبك: كافيك، يحفظك بالمعونة والحماية والنصر. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأيّدك: قوّاك وأمدّك. والنصر: الدفاع عنك والغلبة على المعتدين. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ٦٢ ألّف: جمع ووحّد. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والعواطف. وأنفقت: بذلت وصرفت. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وجميعًا: مجتمعًا كله. وما ألّفتَ: ما استطعتَ أن تؤلّف. وبينهم: بين المهاجرين والأنصار. وعزيز: غالب على تحقيق أمره. وحكيم: يُحكِم الأمور كلها بالعلم البالغ والإتقان. ٦٣ مَن اتّبعك أي: المهاجرون والأنصار. ٦٤ حرّض: ادعُ وشجّع. والقتال: مقاومة الكفار بالسلاح. ويكن: يجتمع. والصابرون: الذين يحتملون الشدائد ويتجلّدون. ويغلبوا: يهزموا. وكفروا أي: بالله واليوم الآخر والنبوة. وبأنهم أي: بسبب كونهم. والقوم: الجماعة من الناس. ولا يفقهون: لا يعرفون حقيقة الإيمان ومنافع الجهاد. ٦٥ الآن أي: من هذا الوقت حين نزول الآية. وخفّف: هوّن التكليفَ فأزال المَشقّة. وعلمَ أي: تحقق علمه القديم في الواقع. والضَّعف: قلة الجَلَد والقُدرة. وألف أي: صابرة. وألفان أي: من الكافرين. وإذنه: أمره وإرادته. ومع الصابرين أي: ينصر المتحمّلين للشدائد. ٦٦ ما كان أي: ما صح ولا استقام. والنبي: من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. ويكون: يصير. والأسرى: جمع أسير في الحرب. ويثخن: يبالغ القتل للعدو. والأرض: البلاد التي يقيم فيها وما حولها. وتريدون: تطلبون، أيها المسلمون. والعرَض: المتاع يعرض لصاحبه ويزول. والدنيا: الحياة القريبة تعيشون فيها. ويريد: يرضى لكم. والآخرة: ثواب يوم القيامة. والعزيز: الغالب ينصر أولياءه على أعدائهم. والحكيم: الذي يُحكم وضع كل شيء موضعه اللائق به. ٦٧ لولا: لولا وجود. والكتاب: الحكم المكتوب في اللوح المحفوظ. ومن الله أي: من عنده وبأمره. وسبق: تحقق إثباته. ومسكم: أصابكم. وفيما أخذتم: بسبب ما قبلتم من الفدية. والعذاب: التعذيب. والعظيم: الضخم لا يقدَّر قدره. ٦٨ كلوا: خذوا وتملّكوا. وغنمتم: اكتسبتموه بالقوة في الحرب والفدية. والحلال: ما أحلّه الشرع. والطيّب: ما تستلذّه النفوس السليمة. واتقوا الله: خافوه وامتثلوا أمره ونهيه. وغفور رحيم: مبالغتا اسم الفاعل من المغفرة والرحمة، أي: الستر للذنوب مع العفو، والعطف بالإحسان إلى التائبين. ٦٩

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ
بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ
صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ
بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ
لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا
وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ
ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا
غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩

المعنى العام: متابعة ما يكون من المعاهدات بأنه إذا كان المعاهدون يخادعونك ـ أيها النبي ـ فالله يكفيك بعونه، وقد أعانك بالنصر وتأييد المؤمنين لك، وجمع قلوبهم برحمته وعزته وحكمته، وما كنتَ تستطيع ذلك مهما فعلت. فاكتفِ بعون الله والمؤمنين، وهم يغلبون أضعافهم من الكافرين السفهاء يقاتلون للحمية الجاهلية والباطل. ثم ظهر قليل قصور من المؤمنين بعدما تبيّن في بدر امتثالهم للأمر رغم ثقله عليهم وتحقق مضمون علم الله وكان خافيًا على الناس، فوجب أن يغلبوا ضعفهم بإذن الله، وهو يعينهم وينصرهم.

ولما استشار النبيّ ﷺ أصحابه في أسرى بدر، وأشار أبو بكر ﷺ بالفدية، وأشار عمر ﷺ بضرب أعناقهم، كان الاختيار بأخذ الفداء لإطلاق الأسرى. وفي اليوم التالي نزلت الآيات ٦٧ـ ٦٩ بأن هذا ما جاز من قبلُ ولا يجوز لك ـ أيها النبي ـ قبل أن يكثر قتل المعتدين وإذلالهم، ويظهر استقرار الدين في القلوب لأن الفداء كسب مالي، والله يوجه إلى ثواب الآخرة. ولولا كتاب سبق به القدر أن أباح للمسلمين الغنائم وفداء الأسرى، وألّا يعذّب الله قومًا قبل تقديم التكليف، لحلّ بكم - أيها المسلمون ـ عذاب عظيم بتسليط أعدائكم وإنزال المحن والفتن والكوارث بكم. فتقبَّلوا الآن ما أخذتم حلالًا من الغنيمة والفداء، ولكم عليه أجر كريم أيضًا، ودوموا على التقوى، تنالوا المغفرة والرحمة.

تفسير المفردات: النبيّ: محمد ﷺ. وقل أي: خاطب بالقول. الأيدي: جمع يد. وفي أيديكم: في حوزتكم وتصرّفكم. والأسرى: جمع أسير في الحرب. وإن يعلم الله أي: إن يحصُل ويتبيّن للناس ما في علمه. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. والخير: ما ينفع في الدنيا والآخرة. ويؤتكم: يُعطكم ويرزقكم. وخيرًا: أكثر نفعًا وفائدة. وأُخذ: قُبِل وتُسلِّم بالفداء. ويغفر: يستر ذنوبكم ولا يؤاخذكم بها. والغفور: الكثير المغفرة. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ٧٠ يريدوا: يُضمر الأسرى ويقصدوا. والخيانة: الغدر. وخانوا الله: نقضوا ميثاق التوحيد بالفطرة. وقبلُ أي: قبلِ غزوة بدر. وأمكن منهم: أقدرك عليهم. والعليم: المطّلع على ما يكون. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٧١ آمنوا أي: سبقوا بالإيمان. وهاجروا: سبقوا للهجرة. وجاهدوا: بذلوا أقصى جهدهم. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس. وهي حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وفي سبيل الله: لإعلاء كلمته وإعزاز دينه بما شرع من المقاومة. وآوَوا: أنزلوا في ديارهم النبي ﷺ والمهاجرين ﷺ وأسكنوهم منازلهم وبذلوا لهم أموالهم. ونصروا: دافعوا عنهم العدو. أولئك أي: المهاجرون والأنصار ﷺ. والبعض: الواحد أو الأكثر. والأولياء: جمع وليّ. وهو من يسعى في خير من يتولّاه.

سورة الأنفال الجزء العاشر

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟
ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ
وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي
ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟
وَجَـٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ
بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾

ولم يهاجروا: بقُوا في مكة المكرّمة أو في بواديهم. وما لكم: ليس لكم، أيها المسلمون. وولايتهم: تولّي أمورهم وموارثتهم. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. ويهاجروا: ينتقلوا إلى المدينة المنوّرة. واستنصروكم: طلبوا منكم العون والنصر. وفي الدين أي: في العون أو القتال لحماية دينهم. والنصر: عونهم وتأييدهم على جميع الأعداء. والقوم: الجماعة من الناس. والميثاق: العهد. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والبصير: الخبير بدقائق الأمور وما خفي منها. ٧٢ كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله وعصوهما. وإلّا تفعلوه يعني: إن لم تلتزموا أن يوالي المؤمنون بعضهم بعضًا في النصرة والإرث، ويقاطعوا الكفّار مقاطعة تامّة. وتكن: تحصل. والفتنة: المحنة والبلاء. والفساد: الاضطراب والخلل. والكبير: الضخم جدًّا. ٧٣ هاجروا: هجروا ديارهم إلى المدينة بعد عام الحُديبية. والمؤمنون: ذوو الإيمان البالغ الكمال. وحقًّا أي: حقَّ الإيمان لاشك فيه البتّة. والمغفرة: ستر الذنوب والعفو عنها. ورزق كريم: عطاء دائم لا تبعة فيه ولا مِنّة. ٧٤ بعدُ أي: بعدِ السابقين إلى الإيمان والهجرة. وأولئك منكم أي: هم مثلكم في النصرة والموالاة. وأولو: واحده ذو، أي: الصاحب للشيء. والأرحام: جمع رَحِم، القرابة التي تتعلق بالإرث عامة. وأولَى: أحق بالتوارث ممن ليس بقريب. والكتاب: اللوح المحفوظ، سُجّل فيه ما كان وما سيكون في الوجود، من قضاء محتوم أو محتمل بما يحصل من الظروف واختيارات الخلق. والعليم: الكامل الإحاطة بالخفايا والدقائق وغيرها. ٧٥

المعنى العام: أن يخاطَب النبي ﷺ الأسرى الذين دفعوا الفداء ويريدون الإسلام، بأنه إن يكن فيهم خير ييسّر الله لهم بالإيمان والمغفرة ما هو أفضل من المال، وإن كانوا مخادعين فسيصير لك عليهم الغلبة، كما حصل في بدر.

أما المهاجرون من مكة إلى المدينة أو الحبشة أو اليمن والأنصار فهم يد واحدة في التعاون، وهم أحق بالتوارث من الأقرباء الكافرين أو المؤمنين في مكة. وهؤلاء الباقون في مكة لستم أولياء أمورهم، وإنما تنصرونهم في الدين، هم ومن يُظلم من المسلمين في كل مكان، تنصرونهم على غير المعاهِدين لكم، وأما مشركو قريش وأعوانهم فأعداء لكم يتعاونون عليكم. وإن تساهلتم في هذا الحكم من التفرقة الواضحة كان لكم البلاء العظيم. ثم إن المهاجرين الأوائل والأنصار هم أصحاب الإيمان الكامل، ومن هاجر بعد ذلك صار منهم، وقد أصبح الميراث أخيرًا للأقرباء بحسب الحكم الشرعي، بعد أن كان بالإيمان والهجرة.

٩ـ سورة التوبة

تفسير المفردات: البراءة: التبرؤ والتخلّي. ومن الله أي: من عنده وبأمره. والرسول: محمد ﷺ. وعاهدتم أي: عقدتم بينكم وبينهم عهدًا موثقًا بيمين. والمشركون: الذين يعبدون مع الله شيئًا من المخلوقات. ١ سيحوا: سيروا آمنين، أيها المشركون. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والأشهرهنا: شوّال وذو القعدة وذو الحجّة ومحرّم. واعلموا أي: تيقّنوا. وغير معجزي الله: لستم قادرين على النجاة من تعذيبه. والمخزي: المذِلّ. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ٢ الأذان: إخبار بوجوب الإنذار. والناس: البشر. واليوم: الوقت. والحج: زيارة الناس الكعبة للعبادة. والأكبر: غير العُمرة التي هي الحج الأصغر. والبريء: المتبرئ المتخلّي. وتبتم: تركتم الكفر ودخلتم في الإيمان والطاعة. وهو أي: المَتاب. وخير: أفضل وأكثر نفعًا. وتولّيتم: أعرضتم وامتنعتم. وبشِّر: أخبر، أيها النبيّ. والذين كفروا: المشركون المذكورون قبل. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم جدًّا. ٣ لم يَنقصوكم شيئًا أي: وفَوا بالعهود كاملة. ولم يظاهروا: لم يعاونوا. وأحدًا أي: من الأعداء. وأتمّوا أي: أكملوا دون نقص أو إخلال. وإلى مدّتهم: إلى انتهاء الوقت المحدّد لهم. ويحب المتقين: يود من يتجنبون غضبه ويطلبون رضاه بالطاعة والصلاح ويكرمهم بالفضل والإحسان. ٤ انسلخ: انتهى ومضى. والأشهر: جمع شهر، مدة دوران القمر حول الأرض مرة. والحرم: جمع حرام. وهي الأشهر الأربعة المذكورة قبل. واقتلوا المشركين: أزهقوا أرواحهم، إن لم يتوبوا. وحيث: في كل مكان. ووجدتموهم: صادفتموهم والتقيتم بهم. وخذوهم: اسروهم وشدّوا عليهم القيود. واحصروهم: حاصروهم وضيّقوا عليهم بشِدّة. واقعدوا لهم أي: ترقّبوهم. والمرصد: الموضع الذي يراقَب فيه العدو للهجوم عليه. وتابوا: دخلوا في الإيمان والطاعة. وأقاموا الصلاة: أدّوها تامّة. وآتَوُا الزكاة: دفعوها إلى مستحقيها. والزكاة: ما يجب في المال لتطهيره ومباركته وتطهير صاحبه. وخلّوا سبيلهم أي: لا تتعرضوا لهم فهم مثلكم في الحقوق والواجبات. والغفور الرحيم: مبالغتا اسم الفاعل من الغفران والرحمة، أي: العفو والعطف بالإحسان. ٥ من المشركين أي: من الكافرين غير المحافظين على العهد. واستجارك: طلب حمايتك. وأجره: آمنه. ويسمع: يتلقى ويطّلع على حقيقة ما تدعو إليه. وكلام الله: آيات القرآن الكريم. وأبلغه: أوصله مع من يحميه ويحفظه. ومأمنه: مكان أمنه. وذلك بأنهم أي: وجوب الأمان والتبليغ حاصل بسبب أنهم. والقوم: الجماعة من الناس. ولا يعلمون: يجهلون الإسلام لأنهم لم يُبلَّغوا بوعي وإدراك. ٦

الحزب ١٩

الجزء العاشر — سورة التوبة

سُورَةُ التَّوْبَةِ — ترتيبها ٩ — آياتها ١٢٩

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ
شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ
فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ
وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

المعنى العام: كان لبعض المشركين عهد بالموادعة، ونقضوه بتأييد أعداء المسلمين، فجاءت الآيات تحلّل المسلمين مما نقضه أولئك، بأن الله - تعالى - والرسول ﷺ بريئان من عهود المشركين التي نقضوها - وكذلك التبرُّؤ ممن لم يكن له عهد من المشركين العرب - يُمهَلون أربعة أشهر بأمان قبل إعلامهم بالحرب، ولا بد أن ينالهم انتقام الله وإذلاله لهم. فالتبرؤ يعلن في موسم الحج إنذارًا، ودخولهم في الإسلام خير لهم، وإصرارهم على الكفر جزاؤه العذاب والذلّ، دون أن يكون لهم خلاص أو نجاة أينما توجّهوا. ومن كان له عهد ولم ينقضه بإخلال أو تآمر وخيانة فحافظوا على عهده - أيها المسلمون - لأن الله يحب المحافظين على العهود. وبعد الأشهر الحُرُم المحددة، عليكم قتالُ الناقضين لعهودهم وغير المعاهدين من المشركين العرب، أي: من يستطيع القتال منهم، وحصارُهم وترصّدهم. فإن آمنوا وقاموا بالعبادة اللازمة كان لهم الأمان مثلكم،

وإن طلب كافر منهم جوارك - أيها النبيّ - فآمنه ليسمع الآيات ويفهم معنى الإسلام، ثم أرسل معه من يوصله إلى ديار قومه، لأنهم يحاربون المسلمين بجهلهم حقيقة الدين الحنيف.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا
ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟
عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟
أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟
أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ
﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟
بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

تفسير المفردات: كيف يكون أي: محال أن يكون. والمشركون أي: الكافرون الخائنون للعهود. والعهد: المعاهدة. وعند الله: في حكمه وقبوله. والرسول: محمد ﷺ. وعاهدتم: كان بينكم وبينهم عهد بالمُوادعة. وعند المسجد: في الحُديبية قرب مكة. وما استقاموا: مدة محافظتهم على العهد. واستقاموا لكم: حافظوا على العهود لأجلكم. واستقيموا لهم: حافظوا لأجلهم أيضًا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويحب المتقين: يود من يتجنّبون غضبه ويطلبون رضاه بالطاعة والوفاء بالعهود. ٧ كيف: محال أن يكون لهم عهد. ويظهروا: يستعلوا. ولا يرقبوا: لا يراعُوا. وفيكم أي: في شأنكم. والإلّ: القرابة. والذِّمّة: العهد. ويرضونكم: يقنعونكم. والأفواه: جمع فَوه. وهو الفم. وتأبى: تمتنع. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والعواطف. وأكثرهم: أغلبهم. وفاسقون أي: ناقضون للعهد ومتمرّدون على الحق. ٨ اشتروا بآيات الله: فضّلوا على القرآن الكريم. والثمن: ما يأخذه البائع. والقليل: التافه مهما عظم. وصدّوا: امتنعوا ومنعوا غيرهم. وسبيله: طريق الله الواضح. وساء أي: بلغ النهاية في السوء والشرّ والفساد. ويعملون: يكتسبون من نية أو قول أو فعل. ٩ المؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. والمعتدون: المجاوزون للحد بالكفر والظلم والشرّ ونقض العهد. ١٠ تابوا: دخلوا في الإسلام. وأقاموا الصلاة: أدّوها كاملة. وآتَوُا الزكاة: دفعوها لمستحقّيها. والإخوان: جمع أخ. وهو الصاحب والمناصر. والدين: الإسلام. ونفصّل: نبيّن ونوضّح. والآيات: النصوص القرآنية. والقوم: الجماعة من الناس. ويعلمون: يفكّرون فيفهمون. ١١ نكثوا: نقضوا. والأيمان: جمع يمين. وهو القسَم بالله على العهود. وعهدهم: معاهدتهم. وطعنوا في دينكم: ذمّوا الدين الإسلامي وعابوه. وقاتِلوا: حاربوا بالسلاح. والأئمة: جمع إمام. وهو الرئيس والقُدوة. والكفر: التكذيب للتوحيد والبعث. ولعلهم: ليُرجّى لهم. وينتهون: يمتنعون عن الكفر والعداوة لكم. ١٢ ألا تقاتلون: عليكم أن تقاتلوا. وهمّوا بإخراج الرسول أي: نوَوا نفي النبي ﷺ من مكة و المدينة وعزموا على ذلك. وبدؤوكم أي: كانوا البادئين المعتدين. والمرة: الجزء من الزمان. وأتخشونهم: لا تخافوهم. وأحق: أولى وأجدر. ومؤمنين: عرفت قلوبكم التوحيد وما يلزمه. ١٣

المعنى العام: متابعة حكم المشركين الناقضين للعهود، بأنه لن يقبل الله ورسوله منهم عهدًا إلّا من حافظ على ما عاهد يوم الحُديبية ووفّى به كاملًا، تحتفظون بعهده كما هو. وقد روي أن بعضهم نقضوا ذلك أيضًا بوليمة دعاهم إليها أبو سفيان، وأن آخرين أجابوا عليًّا ﷺ، حين أبلغهم أوائل هذه السورة في منًى، بقولهم: « أبلغ ابن عمك أنّا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا، وأنه ليس بيننا وبينه عهد، إلّا طعن بالرماح وضرب بالسيوف ». فمُحال أن يكون لهؤلاء تعهّد أو يُقبل منهم ذلك، وهم يترقبون غفلة منكم أو ضعفًا ليطرحوا العقود التي أبرموها، ويباغتوكم للقضاء عليكم دون اعتراف بقرابة أو ميثاق. فهم يقنعونكم بالكلام ظاهرًا، ونفوسهم حاقدة تنوي الخداع.

والسبب في خياناتهم وغدرهم أنهم كفروا بالقرآن طمعًا بالمكاسب، ورغبوا في منافع الدنيا الزائلة، فامتنعوا ومنعوا الناس عن الإيمان، ونقضوا المواثيق واستهانوا بالقرابات واعتدوا على حلفائكم. فهم أشنع الأعداء، وما أحقر أعمالهم! ومع هذا فإن آمنوا وقاموا بالعبادة اللازمة من صلاة وزكاة كانوا مثلكم في الحقوق كما يفصّل الله آيات أحكامه، وإلّا فعليكم قتالهم لأنهم رؤوس الكفر والعدوان وخيانة العهود الموثقة، حتى يتركوا الكفر ويلتزموا بالإسلام.

فلقد اجتمعت فيهم أسباب المقاتلة الحتمية الواجبة : نقض العهد، والتآمر لنفي النبي ﷺ من مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة، وقتال حلفائكم قبل فتح مكة. فلا تهابوهم وخافوا الله وحده لأنه أحق بذلك، إن كنتم مؤمنين.

تفسير المفردات: قاتلوهم: ابدؤوا بالقتال هؤلاء المشركين العرب الناكثين للعهد وغير المعاهدين. ويعذبهم: يقدّر عليهم العذاب في الدنيا. والأيدي: جمع يد. ويخزيهم: يذلّهم. وينصركم: يُغلّبكم. ويشفي الصدور: يَسرّها بالنصر وإعلاء دين الله. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب، موطن التدبّر والاعتقاد والعواطف. والقوم: الجماعة من الناس. ومؤمنين أي: مصدّقين لله ورسوله. ١٤ ويذهبُ: يزيل ويُحِل السرور. والغيظ: الحزن والغمّ. ويتوب: يصفح ولا يؤاخذ بالذنوب. ويشاء: يريد الله التوبة عليه. وعليم: محيط كاملَ الإحاطة بما يكون من توبة وغيظ وسرور. والحكيم: ذو الحكمة البالغة في أقواله وأفعاله وأحكامه. ١٥ أم حسبتم أي: بل لا تعتقدوا. وتُتركوا: تُعفَوا من الواجبات والجهاد. ولمّا يعلم: ولم يَظهر علمه في الواقع. وجاهدوا: بذلوا ما يملكون في سبيل الله بإخلاص. ولم يتخذوا: لم يجعلوا. ودون الله: غيره. والرسول: محمد ﷺ. والوليجة: الأولياء المعتمدون. والخبير: ذو الإحاطة التامة بدقائق الأمور ودخائلها. وتعملون أي: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ١٦ ما كان: ما ينبغي ولا يجوز بعد اليوم. والمشرك: من يشرك بعبادة الله بعض مخلوقاته. ويعمر: يبني ويصلح ويخدم ويعظّم. والمساجد: أبنية عبادة المسلمين ومنها المسجد الحرام. والشاهد: الذي يقرّ بما يعلم. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والكفر: تكذيب وحدانية الله ودعوة رسوله. وحبطت: بطَلت وفسَدت. والأعمال: جمع عمل. والنار: نار جهنم. وخالدون أي: مقيمون أبدًا ١٧ يعمر: يبني ويزور للعبادة. وآمن: صدّق بقلبه وعمله. واليوم الآخر: وقت القيامة للحساب والجزاء. وأقام الصلاة: أدّاها كاملة. والصلاة: العبادة المكتوبة كل يوم خمس مرات. وآتى الزكاة: أدّاها إلى مستحقّيها. والزكاة ما يجب في المال لتنميته وتطهيره وتطهير صاحبه. ولم يخش: لم يخف. وعسى: وجب وتحقّق. وأولئك أي: الموصوفون بالأوصاف المتقدمة.والمهتدون: المسترشدون إلى الصواب. ١٨ أجعلتم أي: لا تصيّروا ولا تزعموا أيها المشركون. والسقاية: تقديم الماء وتيسير شربه. والحاجّ: مفرده حاجّ أيضًا. وهو الزائر بيت الله للعبادة. والعمارة: الزيارة والطواف. وكمن أي: كعمل الذي. وفي سبيل الله: لإعلاء كلمته ونصرة دينه والمسلمين. ولا يستوون: ليس الفريقان متساويين. وعند الله أي: في حكمه وقضائه. ولايهدي القوم: يصرف قدراتهم بحسب اختيارهم الفاسد واستعدادهم السيئ ويضللهم. والظالمون: الكافرون. ١٩ هاجروا: هجروا ديارهم وأهلهم قبل عام الحُديبية. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس. وأعظم: أرفع وأفخم. والدرجة: المرتبة. والفائزون: الظافرون بخير الدنيا والآخرة. ٢٠

الجزء العاشر — سورة التوبة

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

المعنى العام: متابعة موقف الإسلام من المشركين الظالمين الخائنين للعهد، أن الله يأمرُ المسلمين بقتالهم، ليتحقق عذابُهم ومذلتهم وهزيمتهم في الدنيا ونصرُ المؤمنين وسرورهم واطمئنانهم، والتوبةُ على من يؤمن من الكافرين، وينكرُ على المسلمين جهلهم وجوب ظهور علمه بحال المجاهدين عن طريق امتحانهم، ليتميز الذين بذلوا بنيّة خالصة وقاطعوا الكافرين يتميزوا ممن كانوا ضعاف الإيمان يوادّونهم .

ثم ليس للمشركين أن يبنوا ويعظموا المساجد والمسجد الحرام، وهم شاهدون على أنفسهم بأنهم كافرون. فقد أفسدوا ما لهم من عمل صالح بالكفر، وتحقق لهم الخلود في النار. وإنما بناء المساجد وزيارة المسجد الحرام ورعايته وخدمة الحُجّاج هي للمؤمنين بالتوحيد والبعث والحساب، والقائمين بتأدية الصلاة والزكاة شرعها الله والفزعين منه وحده، وهم المهتدون بحق.

وعندما زعم بعض المشركين أنّ زيارة البيت الحرام وخدمته خير من التوحيد والجهاد نزلت الآية ١٩ تكذب ذلك وتنفي التساوي بين الأمرين عند الله، وتبين أن من لازم الثاني كان صاحب الفضل والفلاح، ومن لازم الأول من دون إيمان فهو كافر يزيده الله ضلالًا. فالمؤمنون المهاجرون إلى المدينة قبل عام الحديبية والمجاهدون بأموالهم وأنفسهم يكرمهم الله بأرفع الدرجات، ويفوزون بخير الدنيا والآخرة.

تفسير المفردات: يبشر: يخبر الخبر السارّ. والرب: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. والرحمة: العطف بالفضل والإحسان. ومنه أي: من عنده بتفضله. والرضوان: القبول للأعمال مع بالغ الرضا. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الأشجار والقصور والأنهار والرضا. والنعيم: نضارة العيش وحسن الحال. والمقيم: الدائم. ٢١ خالدين أي: مقيمين مدة طويلة. والأبد: مدة الزمن كله. وعنده أي: في ملكه وتصرّفه. والأجر: الثواب. والعظيم: الكبير لا مثيل له. ٢٢ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ولا تتخذوا: لا تجعلوا. والآباء: جمع أب. ويراد به الوالد والجدّ. والإخوان: جمع أخ. والأولياء: جمع ولي. وهو الصديق يوادّه الإنسان بإخلاص. واستحبوا: أحبّوا وفضّلوا. والكفر: تكذيب وحدانية الله ودعوة رسوله. ويقابله الإيمان. ويتولاهم: يتخذهم أولياء. والظالمون: من تجاوزوا الحد لعصيانهم أمر الله. ٢٣ قل أي: للمؤمنين، أيها النبيّ. وكان: صار عندكم في القلوب والعمل. والأبناء: جمع ابن. وهو الولد والحفيد. والأزواج: الزوجات، جمع زوج. والعشيرة: الأقرباء من القبيلة. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. واقترفتموها: اكتسبتموها. والتجارة: البضائع تعدّ للبيع والربح. وتخشون: تخافون. والكساد: عدم رواجها. والمساكن: جمع مسكن. وهو الدار للإقامة والاستقرار. وترضونها: تحبّونها لحسنها. وأحب: أكثر مودّة وتفضيلًا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرسول: محمد ﷺ. والجهاد: بذل أقصى ما يستطاع. وفي سبيله: لإعلاء كلمة الله ونُصرة دينه. وتربصوا: انتظروا. ويأتي بأمره: يُوقع حكمه بالعذاب ويقضيه. ولا يهدي أي: لا يرشد إلى الحق والصلاح. والقوم: الجماعة من الناس. والفاسقون: جمع فاسق، المصرّ على الخروج عن الطاعة. ٢٤ نصركم: أعانكم على الأعداء وغلّبكم. والمواطن: جمع موطِن، الموقف للقاء العدو. وكثيرة: عددها وافر. واليوم: الوقت. وحُنين: واد بين مكة والطائف كان فيه معركة مع بني هوازن. وإذ أعجبتكم: حين سرّتكم وصرفتكم عن التوكل على الله. والكثرة: العدد الوافر. ولم تغن: لم تدفع ولم تُسعف. وشيئًا: أيّما إغناء! وضاقت عليكم: كأنها انضم بعضها إلى بعض وصغُر مداها. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وبما رحبت: مع سعتها وامتدادها. ووليتم: هربتم. ومدبرين أي: موجّهين ظهوركم لعدوكم في الهرب. ٢٥ أنزل سكينته: خلق طمأنينته وأثبتها في النفوس. وأنزل جنودًا: بعث الملائكة مقاتلين. ولم تروها: لم تبصروها بأعينكم. وعذّب: أنزل ما يسوء من الانتقام بالخسارة والقتل والهزيمة. وكفروا: كذبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وذلك أي: ما حلّ بالمشركين. والجزاء: العقاب. ٢٦

الجزء العاشر — سورة التوبة

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ
تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ
فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

المعنى العام: متابعة إكرام المؤمنين المجاهدين المهاجرين بأن الله يبشرهم بتفضله عليهم وقبول أعمالهم وخلودهم في نعيم الجنة مع الأجر العظيم.

وعندما أمرهم بالتبرّؤ من المشركين قال بعضهم: كيف يمكن أن نقاطع آباءنا وإخواننا وأبناءنا؟ فنزلت الآيتان ٢٣ و ٢٤ بوجوب مقاطعتهم شرعًا، والنهي أن ينقادوا للأقرباء الكافرين أو يفضلوهم على محبة الله والرسول والجهاد، لأن ذلك ظلم كبير. ومن يفضل أقرباءه وأمواله ووطنه، على الله والرسول والجهاد، فسيلقى عذاب الدنيا والآخرة، ولن يجد هداية إلى صواب.

وقد ذكّرهم الله بنصره إياهم على الأعداء في عدة معارك، حين توكّلوا عليه وحده، ولكنهم لمّا أُعجبوا بكثرة عددهم يوم حنين تركهم لأنفسهم، فعجزوا عن اللقاء وهربوا أمام العدو، فما بقي يحارب مع الرسول ﷺ إلّا بعض الصحابة وأُمّ سُليم تطعن بخِنجر في يدها، وتقول: بأبي أنت وأمي، يارسول الله. اقتلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك. فإنهم لذلك أهل. ويجيبها: «أوْ يكفي اللهُ، يا أُمّ سُلَيم». وقد كفى اللهُ المسلمين فعلًا بطمأنتهم وإرسال الملائكة تعينهم في تقتّل الكافرين أو تعذّبهم، فرجعوا إلى المعركة وهزموا العدو، وكان الأسرى من النساء والصبيان ستة آلاف، وفي الغنائم من الإبل أكثر، ومن الغنم والمتاع ما لا يُحصى.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ
نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ
وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن
شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ
﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ
يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ
ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ
وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ
مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

تفسير المفردات: يتوب على من يشاء أي: يوفّق من أراد له التوبة في الرجوع عن الكفر والعصيان. وذلك أي: التعذيب المذكور قبل. والغفور والرحيم: من المغفرة والرحمة. يعني أنه له كاملُ التجاوز عمن أسلم، ونهايةُ العطف بالإحسان إليه. **٢٧** آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. والمشركون: من جعلوا مع الله شريكًا له في الأُلوهيّة. والنجس: القذر لخُبث أنفسهم. ولا يقربوا المسجد الحرام: لا تسمحوا لهم أن يدنوا من المسجد الذي فيه الكعبة. والحرام: المحرَّم فيه كثير مما يجوز في غيره. والعام: الحول، من أول محرم إلى آخر ذي الحجة. وهذا أي: التاسع من الهجرة. وخفتم: خشيتم وتوقعتم. والعيلة: الفقر والحاجة. وسوف يغنيكم: سيجعلكم بحق ذوي قدرات تكفيكم، فلا تحتاجون إلى الغير. والفضل: التفضل بالنعم. وشاء: أراد إغناءكم. وعليم حكيم أي: محيط بأحوالكم وما يُصلحكم، وتصدر مشيئته عن الحكمة. **٢٨** قاتلوا: حاربوا بكل وسيلة. ولا يؤمنون: يكذّبون ويجحدون. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخّر بعد الموت يكون فيه البعث للحساب. ولا يحرّمون: لا يجتنبون. وحرّم: منع. ولا يدينون: لا يعتقدون بيقين. والدين: العقيدة والشريعة. والحق: الثابت من عند الله. وأوتوا الكتاب: أُنزل إليهم وأُمروا باتّباعه. والكتاب: التوراة والإنجيل. ويعطوا: يعطوكم. والجزية: الضريبة المفروضة عليهم عن حماية الأملاك والديار والأموال ورعاية مصالحم، مقابل تمتعهم بذمّة الله ورسوله. يعني: أن يُقرّوا بدفعها ويلتزموا ذلك بعقد موثّق. وعن يد أي: صادرين عن قدرة مالية منهم وقوّة منكم وردع لهم. والصاغرون: من الصَّغار، المنقادون بخضوع. **٢٩** وقالت أي: جاهرت بالقول. واليهود: واحده يهودي، من تحرّى دين اليهودية. وعزير: نبيّ لهم جاء يجدّد عهد التوراة، فزعموا أنه ابن الله، تعالى. والنصارى: جمع نصران، من تحرّى دين النصرانية واحدهم نصران. والمسيح: عيسى بن مريم، وزعم بعض النصارى أنه ابن الله. ذلك أي: ما قاله اليهود والنصارى. والقول: ما يقال. والأفواه: جمع فَوه. وهو الفم. ويضاهئون: يشابهون. وكفروا: كذّبوا التوحيد والبعث. ومن قبل أي: من قبلهم. وقاتلهم الله: طردهم من رحمته. وأنّى يؤفكون: كيف يُصرفون عن الحق، مع قيام الدليل؟ **٣٠** اتّخذوا: جعلوا. والأحبار: جمع الحَبر، العالم اليهودي. والرهبان: جمع الراهب، العابد النصرانيّ. والأرباب: جمع رب. وهو المعبود بالتقديس والطاعة. ومن دون الله أي: من غيره. وما أُمروا: ما فُرض عليهم. وليعبدوا أي: أن يقدسوا ويطيعوا. والإلّه: المعبود بحق. والواحد: المتفرد لا شريك له. وسبحانه: تزيهًا له. وما يشركون أي: إشراكهم في العبادة والطاعة. **٣١**

المعنى العام: أن الله يتوب بعد عذاب الكافرين في الدنيا عمن يهديه لِمَا يعلم من استعداده للإيمان وحسن اختياره للصلاح ـ وقد جاء بعض هوازن مبايعين مسلمين بعد غزوة حُنين، واستردّوا ذراريّهم ونساءهم ـ وأن المشركين نجس لا يجوز دخولهم البيت الحرام بعد العام التاسع، و سوف ييسّر الله للمسلمين عوض خسارتهم بمقاطعة الكافرين مواردَ للعيش كالأمطار والتجارات والأضاحي ونفقات الحجّ والعُمرة، وإقبال المسلمين على مكة، وهو عليم بحالهم وحكيم في تدبير شؤونهم.

وكان هِرَقل حينئذ قد جمع لحرب المسلمين بعض نصارى الروم والعرب واليهود، فأمر الله بقتال من يريد الحرب ولا يدين دين الحق من أهل الكتاب ليعطوا الجزية باقتدار واستسلام، يدفعونها لإقرارهم على الأملاك والمسالَمة، مقابل تمتعهم بذمة الله ورسوله. ثم إن بعضهم مشركون، يؤلّهون عزيرًا أو المسيح، ويظنون بيوم القيامة الأباطيل، ويكذّبون كثيرًا من الأنبياء. أما مشركو قريش وأتباعهم فليس لهم إلاّ الإسلام أو القتال.

وما زعمه أهل الكتاب، من تأليه عُزير والمسيح، قول لا صحة له، وتقليد للكافرين من الأمم المتقدمة ـ فلعنهم الله كيف ينحرفون هذا الانحراف الخبيث ـ ثم هم يعبدون الأحبار والرهبان بالطاعة والتقديس، مع أنهم أُمروا بتوحيد الله تعالى وتنزّهَ عما يشركون.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ
أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ
عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

الحزب ٢٠

تفسير المفردات: يريدون: يطلب الكافرون. ويطفئوا: يُخفوا ويُخمدوا. والنور: ما يضيء فتتبين به الأشياء، وهو الدين الإسلامي بما فيه من الحُجج والبراهين على التوحيد. والأفواه: جمع فَوه. وهو الفم. ويأبى: يمنع ولا يريد. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويتم: يزيد ويظهر بالإنارة الكاملة. ولو وكره: وإن أبغض ظهورَ الإسلام وتمامه. والكافرون: الذين يخفون ذلك ويجحدونه. **٣٢** أرسل: بعث إلى الناس جميعًا. والرسول: محمد ﷺ. وبالهدى أي: مع الدلالة على الخير والصلاح. ودين الحق: الإسلام. ويظهره: يُعليه. والمشركون: من يعبدون بعض المخلوقات مع الله. **٣٣** آمنوا: عرفتْ قلوبهم التوحيد وما يلزمه. والكثير: العدد الوافر لا يحصى. والأحبار: جمع حَبر. وهو العالم من اليهود. والرهبان: جمع راهب. وهو العابد من النصارى. ويأكلون: يأخذون بجشع. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والناس: البشر من اليهود والنصارى. وبالباطل أي: مع الظلم والعدوان. ويصدّون: يمنعون غيرهم. والسبيل: الطريق الواضح أي: الدين الإسلامي. ويكنزون: يجمعون ويخزنون. والذهب: المعدِن الأصفر الثمين. والفضة: المعدِن الأبيض النفيس. ولا ينفقونها: لا يبذلون الأموال. وسبيل الله: الطريق الذي شرعه للإنفاق. وبشّرهم: أخبرهم. والعذاب: التعذيب في الآخرة. والأليم: الشديد الإيلام. **٣٤** اليوم: الزمن. ويحمى عليها أي: تُسخَّن الكنوز من الذهب والفضة حتى تصبح صفائح مُحرقة. والنار: نار عذاب الآخرة. وجهنم: اسمٌ علم لِما أُعدّ للكافرين من العذاب. وتكوى: تُحرق. والجباه: جمع جبهة، ما بين الحاجبين. والجنوب: جمع جنب. وهو الطرَف. والظهور: جمع ظهر. وهو هنا جهة الخلف كلها. وهذا ما كنزتم أي: هذا الكيّ عقاب ما كنزتم لمنفعتكم. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وذوقوا أي: تحملوا وقاسوا. **٣٥** العِدّة: العدد. والشهور: جمع شهر. وهو مدة دوران القمر حول الأرض مرة واحدة. وعند الله: في حكمه لا بابتداع الناس. وكتاب الله: اللوح المحفوظ، سُجِّل فيه ما سيكون في جميع الخلق، من قضاء محتوم أو محتمل. واليوم: الوقت. وخلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ومنها أي: من الشهور الاثني عشر. والأربعة: ذو القعدة وذو الحِجّة ومحرّم ورجب. والحرم: جمع حرام. وهو المحترم المعظّم، يحرم فيه القتال وتكثر فيه الطاعات. وذلك أي: تحريمها. والدين: الشرع، أي: الحساب الشرعي. والقيم: المستقيم المنتظم البالغُ النهايةَ في الإحكام. ولا تظلموا أنفسكم أي: لا تعتدوا عليها فتسبّبوا لها العقاب بتجاوز الحق. وفيهن: في الأشهر الحرم. وقاتلوا المشركين: ابدؤوهم بالقتال. وكافّة أي: جميعًا في الحُرُم وغيرها. واعلموا: تذكّروا دائمًا. ومع المتقين أي: يصاحب بالعون من يتجنّبون العصيان ويلزمون الطاعة. **٣٦**

المعنى العام: متابعة قبائح أهل الكتاب بأنهم يحاولون طمس معالم الإسلام، ولكن الله يكمله على رغم كرههم ذلك. فقد أرسل النبيَّ ﷺ بالهداية، ليعلو دينه جميع الأديان رغم كره المشركين أيضًا. ولْيَعلمِ المسلمون أن كثيرًا من علماءأهل الكتاب يمنعون الناس من الإيمان بالحق، و يجمعون المال بالباطل، ويكنزون الذهب والفضة وما يقابلهما من النقد والجواهر، دون أن ينفقوا في الخير. فهم يكنزونه ليُلهَب بنار جهنم وتُحرَق بها أجسامهم. ويشمل هذا الحكم مانعي الزكاة والحقوق المشروعة، من المسلمين وغيرهم.

ولما كانت العرب تؤخر شهر محرّم فتجعله مكان صفر، خلافًا لِما شرع الله لتستحل القتال، وتؤخر الأشهر التالية فتصير السنة ثلاثة عشر شهرًا، صار الحج يقع تارة في غير وقته، فنزل الحكم بالرجوع إلى الحق وترك ما كان من النسيء. وفي حجة الوداع كان الحج قد صار على الصواب. فعلى المسلمين أن يحموا أنفسهم من مخالفة الحرمة المشروعة، ويقاتلوا المشركين في كل زمان ومكان كما بدؤوا هم ذلك. والله ينصر المتقين على الظالمين.

تفسير المفردات: النسيء: تأخير حُرمة الشهر بنقل اسمه إلى غيره. والزيادة: المضاعفة والمبالغة. والكفر: التكذيب لأمر الله. ويُضَلّ: يُمَدُّ بما هو فيه من الباطل. وبه أي: بسبب النسيء. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ويحلونه: يجعلون النسيء حلالًا. وعامًا أي: في أحد الأعوام. ويحرمونه: يجعلونه حرامًا. ويواطئوا: يوافقوا بالنسيء. وعدة ما حرّم أي: العدد الحقيقي للأشهر الأربعة التي حرمها. وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وزُيّن: حُسّن وجُمّل. والسوء: القبيح والفاسد. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. ولا يهدي: يُمِدّ القدرات بما يناسب الاختيار الفاسد والاستعداد السيئ. والقوم: الجماعة من الناس.والكافرون: الذين يصرّون على تكذيب الله وعصيانه. ٣٧ آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله يقينًا. ومالكم: أيُّ شيء حاصل لكم؟ إذا قيل أي: حين يقال. وانفروا: اخرجوا للجهاد سريعًا. وفي سبيل الله: لإعلاء كلمته وردع أعدائه ونصرة دينه بما شرع من أساليب الجهاد. واثّاقلتم: تباطأتم وملتم. والأرض: موطن الحياة الدنيا.وأرضيتم: كيف قبلتم وفضّلتم؟ والحياة: العيش. والدنيا: القريبة من الناس لأنهم يعيشون فيها. ومن الآخرة: بدل نعيم الجنة. وما متاع الحياة: ليس ما يُتمتَّع به منها ثم يزول. وفي الآخرة أي: بالنسبة إلى نعيم الآخرة. والقليل: اليسير الحقير. ٣٨ إلّا تنفروا: إن لم تخرجوا للجهاد. ويعذّبكم: يعاقبكم بالقحط والفتن والكوارث والذلة في الدنيا، وبنار جهنم في الآخرة. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. ويستبدل: يبدّل بكم. وغيركم أي: مغايرين لكم. ولا تضروه: لا تلحقوا بدينه أذى. وشيئًا: أيّما ضرر موجود أو محتمل وجوده! والقدير: الكامل القدرة. وهي التمكن من الأمور والتحكم فيها. ٣٩ إلّا تنصروه: إن لم تعينوا النبيّ ﷺ بالجهاد وتدافعوا عنه أعداءه. وإذ أخرجه: حين حمله على الهجرة. والذين كفروا: مشركو مكة. وثاني اثنين: أحد اثنين لا ثالث لهما. والغار: نقب كبير منخفض في جبل ثور جنوب مكة على طريق اليمن. وإذ يقول: حين يقول النبي ﷺ. والصاحب: المرافق في الهجرة. وهو أبو بكر الصِّدّيق ﷺ. ولا تحزن: لا تغتمّ واطمئنّ. ومعنا أي: يصحبنا ويحفظنا. وأنزل: خلق. والسكينة: الطمأنينة. وعليه: على النبي ﷺ. وأيّده: جعل له الغلبة. والجنود: واحده جندي. وهم الملائكة. ولم تروها: لم تبصروها. وجعل: صيّر. والكلمة: دعوة الشرك. والسفلى: الدنيئة المغلوبة. وكلمة الله: عبارة التوحيد. والعليا: المستعلية الغالبة. والعزيز والحكيم: من العزة-وهي الغلبة والقهر-ومن الحكمة. وهي وضع الأمور فيما يقتضيه الصواب والحق. ٤٠

الجزء العاشر سورة التوبة

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ
إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ
فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨
إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا
غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٌ ٣٩ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠

المعنى العام: أن تحويل اسم المحرّم إلى صفر، للسماح بالقتال فيه بعد تحريمه ثلاثة أشهر، هو مبالغة في الكفر، يقوم بها المشركون في بعض السنوات، ليكون عدد الأشهر الحرم أربعة، وقد حسنها الشيطان لهم، والله لا يهدي المصرّين على الضلال، بل يزيدهم ويضاعف لهم ليستدرجهم إلى ما يستحقون من العذاب.

وعندما احتشد الروم واليهود والعرب في جنوبي الشام لغزو المدينة، ودعا النبي ﷺ المسلمين إلى الجهاد بغزوة تبوك، كانوا في عُسرة وحر شديد ولم يَعجلوا بالإجابة، وتخلّف بعضهم عن الإجابة، فنزلت الآيات توبيخًا على ذلك، وإنكارًا أن يفضلوا الحياة بذلّة على نعيم النصر والجنة، وتهديدًا بالإفناء وخلق مجاهدين لنصرة النبي، وتذكيرًا بما جرى يوم الهجرة، حين كان النبي ﷺ يُطمْئن أبا بكر ﷺ في غار جبل ثور بتأييد الله، وجبابرةُ الشرك يطلبونهما للقضاء على الدعوة، فجاءت الملائكة تنصره، وهُزمت أباطيل الشرك، ودام علاء كلمة التوحيد بعزة الله وحكمته.

ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا
مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾
عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ
لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم
مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

تفسير المفردات: انفروا: أسرعوا بالخروج لمقاومة العدو، أيها المسلمون. والخفاف: جمع خفيف. وهو الذي يسهل عليه الجهاد لشبابه وصحته وقلة مسؤولياته. والثقال: جمع ثقيل. وهو الذي يشتد عليه ذلك لعجز أو موانع. وجاهدوا: ابذلوا أقصى الجهود. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وفي سبيل الله أي: لإعلاء كلمته ونصرة دينه وجهاد المعتدين. وذلكم أي: السرعة في الجهاد. وخير: منفعة لكم في الدنيا والآخرة. وتعلمون: تدركون الحق وما في الجهاد من فضل.
٤١ العرَض: ما يحصل بيسر. وهو المتاع أو الزينة. والقريب: ما يسهل الوصول إليه. والسفر: مغادرة البلد. والقاصد: غير العسير. واتبعوك: سار معك المنافقون للغنيمة، أيها النبي. وبعدت: صعب الوصول إليها. والشقة: المسافة. وسيحلفون: لا بدّ أن يُقسِم المنافقون الأيمان. واستطعنا: قدرنا بقوة أبدان وعُدّة. وخرجنا: انطلقنا. ويُهلكون: يُتلفون بالعصيان والكذب. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. وكاذبون: يقولون غير الحق فيما يبدون من الأعذار. ٤٢ عفا الله عنك: أكرمك وأحسن إليك وزادك فضلًا وسامحك في تركك الأَولى من الحكم. ولم أذنت: لماذا سمحتَ؟ وهلّا تركتهم بلا إذن في التخلف. ويتبيّن: يظهر. وصدقوا: قالوا الحق. وتعلم: تعرف. والكاذبون: من يقولون بألسنتهم ما لا أصل له. ٤٣ لا يستأذن: لا يطلب السماح. ويؤمنون: يصدّقون قلبًا ولسانًا وعملًا. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بالبعث بعد الموت. وأن يجاهدوا أي: في التخلف عن أن يضحّوا ويتبرّعوا. والعليم: المحيط إحاطة كاملة. والمتقون: الذين يخافون الله فيتجنّبون عصيانه ويلزمون طاعته ورضاه.
٤٤ ارتابت: شكت وضعف إيمانها. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والعواطف.والريب: الشك. ويتردّدون: يتحيّرون. ٤٥ أرادوا: قصدوا وطلبوا. والخروج: الانطلاق للجهاد معك. وأعدّوا: هيّؤوا وجهّزوا. والعُدّة: ما يُعَدّ للاستعمال وقت الحاجة. وكره: أبغض. وانبعاثهم: خروجهم للجهاد. وثبّطهم: زادهم كسلًا وتباطؤًا. وقيل أي: قدّر الله عليهم. واقعدوا: دعُوا الجهاد والزموا التخلّف. والقاعدون: المتخلفون لمرض أو عجز وقصور.
الحزب ٢٠
٤٦ فيكم أي: معكم. و زادوكم: أضافوا إلى ما يثيره ضعاف الإيمان منكم. والخبال: الخلل والاضطراب. وأوضعوا خلالكم: أسرعوا بنقل الشر والنميمة والبغضاء بينكم. ويبغونكم: يطلبون لكم. والفتنة: الإفساد والتثبيط عن الجهاد. والسمّاعون: الكثيرو الإنصات والتقبل. والظالمون: المنافقون المجاوزون للحق. ٤٧

المعنى العام: متابعة الحث على الجهاد بأمر المؤمنين أن يسرعوا الخروج لمقاومة المعتدين، على كل حال من العسر واليسر والقدرة والعجز، للتضحية بأقصى ما يمكن والحصول على ما هو خير لهم وعزة وسيادة. فالذين تخلفوا يريدون مكاسب ميسَّرة ينالونها بلا جهد أو تعب، وقد صعب عليهم بعدُ المكان ومشقّة الحرّ، وسيعتذرون لكم بعد عودتكم بعجز عن الجهاد ويُقسمون على ذلك كاذبين، فيهلكون أنفسهم بالتخلف والكذب. ولهذا أكرم الله نبيه بالدعاء له قبل عتابه على الإذن لهم.

فقد كان الأولى ألاّ تأذن لهؤلاء المنافقين - أيها النبيّ ـ وإن كان لك مباحًا ما فعلت، ليظهر بالفعل للجميع حال الصادقين والكاذبين. وليس من عادة المؤمنين الاستئذان في ترك الجهاد دون عذر، لأنهم يبادرون إلى الطاعة دائمًا. واستئذان هؤلاء المنافقين يقتضي التأني في أمرهم لكشف نفاقهم. إذ لو عزموا على الجهاد لاستعدوا له، ولكن الله لم يرد ذلك فألهمهم أسباب الكسل والتخلف لأنهم مفسدون، ولو كانوا معكم في غزوة تبوك لنشروا بينكم الضعف وروح الانهزام، ولتأثر ببغيهم من ينصتون إلى مزاعمهم من ضعاف الإيمان، و الله محيط بدقائق أمورهم وخفيات صدورهم، فيجازيهم بما يستحقون.

تفسير المفردات: ابتغَوا: طلبوا. والفتنة: إثارة الشر والعداوة. وقبل أي: قبل هذه الغزوة. وقلّبوا الأمور: تصرّفوا في تقليب الأحوال والأقوال وتدبير الأكاذيب. ولك أي: لخداعك والمكر بك. والأمور: جمع أمر. وهو الشأن والحال. وجاء: حصل وثَبَتَ. والحق: الشيء الواقع حتمًا لا بدّ منه. وهو النصر على المشركين والكافرين والمنافقين. وظهر: عزّ وتغلب وانتصر. وأمر الله: حكمه ودينه. والكارهون: المبغضون لانتصارك والمتألمون. ٤٨ منهم أي: بعض المنافقين. ويقول أي: لك، أيها النبيّ. وائذن:اسمح لي بالقعود عن الجهاد. ولا تفتنّي: لا توقعني في محنة الافتتان بنساء الروم. وألا أي: حقًّا. والفتنة أي: المعصية الحقيقية بالنفاق. وسقطوا: وقعوا وثبَتوا. وجهنم: اسمٌ علم للنار التي أُعدّت للكافرين. والمحيطة: المحدقة من كل جانب. والكافرون: من يكذّبون وحدانية الله ودعوة الرسول، ومنهم المنافقون. ٤٩ تصيبك: تُقدَّر لك وتَلحق بك. والحسنة: النعمة المحبوبة. وتسوءهم: تؤذيهم وتؤلمهم. والمصيبة: البلوى. ويقولوا أي: يجاهر المنافقون بالقول لك. وأخذنا أمرنا: احتطنا لأنفسنا وتلافينا ما أهمّنا من الأمور بالحزم، وحفظنا مودّة الكافرين لنتقي شرّهم. وقبلُ أي: قبلِ المصيبة. ويتولَّوا: ينصرفوا عنك ويُعرضوا عن الإيمان ومجالسة المسلمين. والفرحون: المسرورون بما أصابك والمعجبون بما فعلوا. ٥٠ قل أي: لهؤلاء المنافقين المتخاذلين، أيها النبيّ. لن يصيبنا: لن ينالنا. وكتب: قدّر وقضى. ولنا: لحالنا بحسب نياتنا وأعمالنا. ومولانا: ناصرنا ومتولّي أمورنا. ويتوكل عليه: يستسلم إليه وحده ويفوض أمره كله. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله قلبًا ولسانًا وعملًا. ٥١ هل تربّصون: ما تتربّصون ولا تنتظرون وتتوقعون حذفت التاء الثانية للتخفيف. وبنا أي: أن يقع بنا. والحسنيان: ما كتب الله لنا من النصر والشهادة. والحسنى: الأعظم حسنًا وفضلًا. ويصيبكم: يُنزل بكم. والعذاب: التعذيب في الدنيا. ومن عنده أي: بأمره من دون تدخل البشر. وبأيدينا أي: بفعلنا نحن. والأيدي: جمع يد. وتربصوا: انتظروا مواعيد الشيطان لكم من عاقبتنا. ومتربصون: منتظرون مواعيد الرحمن من عاقبتكم. ٥٢ أنفِقوا: ابذلوا أموالكم. والطوع: التطوع من غير إلزام. والكره: الإكراه والإلزام. ولن يُتقبل منكم: لن يُتلقى منكم بالرضا ولن تُثابوا عليه. وكنتم أي: وما زلتم. وفاسقين أي: عاتين متمردين على الطاعة. ٥٣ ما منعهم: ما حرمهم. والنفقة: ما يُبذل من المال. وكفروا: كذّبوا في قلوبهم وادّعوا الإيمان. ولا يأتون الصلاة: ولا يحضرون للصلاة جماعة. والكسالى: المتثاقلون، جمع كسلان. والكارهون: المضطرّون إلى ما لا يريدون.٥٤

الجزء العاشر — سورة التوبة

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ
سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ
مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ
وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ
أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ
أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ
قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ
إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

المعنى العام: متابعة ذكر قبائح المنافقين بأنهم سببوا الفتنة للإسلام والمسلمين، حين أثاروا الخصام بين الأوس والخزرج، وحرضوا المشركين واليهود، وانسحبوا في غزوة أحد، وأيدوهم في غزوة الخندق بتخلفهم عن الجهاد، واحتالوا للكيد والبغي.

وعندما دعا النبي ﷺ المسلمين لغزوة تبوك اعتذر بعض المنافقين خشية الافتتان بجمال الروميات، وعرضوا أن يدفعوا أموالًا لتجهيز الغزوة، فنزلت الآيات بأنهم أوقعوا أنفسهم في جهنم بهذه التصرفات، وهم يكرهون خير المسلمين ويفرحون بتغلب الكافرين ويساعدونهم ليضمنوا السلامة منهم بصراحة حين ينتصرون. فلْيعلموا أن الله يقدّر ما يكون، بحكمته التي وضعت قوانين الكون والحياة، وهو نصير المؤمنين يقدّر لهم خير الدنيا والآخرة ويتوكلون عليه، وما ينتظر لهم المنافقون إلّا الشهادة أو النصر، وكلاهما أفضل الحسنات، ومتحققان في الاستشهاد لأن من يُقتل في سبيل الله يكون قد غرس شجرة بدمه في طريق النصر أيضًا.

أما المنافقون فينتظر لهم المؤمنون كارثة تمحقهم أو أن يقتلوهم بأيديهم في الجهاد. فلينفقوا ما ارادوا، ولن يُقبل منهم لأنهم فاسقون كافرون، يحضرون الصلاة مع الجماعة نفاقًا، ولا يصلّون منفردين. ويبذلون أموالهم غرامة واضطرارًا لا يرجون عليها ثوابًا، ولا يخافون على تركها عقابًا، لأنهم يرونها خسارة كاملة.

تفسير المفردات: لا تعجبك: لا تنلْ إعجابك واستحسانك، أيها النبيّ. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد. وهو الذكر والأنثى. ويريد: يشاء. وليعذبهم أي: أن ينتقم منهم. وبها أي: بسبب الافتتان بالأموال والأولاد. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منهم وهم فيها. وتزهق: تخرج منهم بالقهر والعنف. والأنفس: الأرواح، جمع نفْس. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. **٥٥** يحلفون: يُقسِمون. ومنكم أي: مثلكم في الدين. وما هم منكم أي: ليسوا مثلكم، بل هم كافرون يتظاهرون بالإسلام. والقوم: الجماعة من الناس. ويَفرقون: يخافون بطشكم إن جاهروا بالكفر. **٥٦** يجدون: يصادفون. والملجأ: الحصن يُحتمى به. والمغارة: ما انخفض في الأرض. والمدّخل: الموضع يُختفَى فيه. وولّوا: التجؤوا. ويجمحون: يسرعون. **٥٧** منهم أي: بعض المنافقين. ويلمزك: يَعيبك وينتقص تصرّفك. وفي الصدقات: بسبب تقسيم الغنائم. وأُعطوا: مُنحوا قدر ما يريدون. ورضوا: قبلوا وطابت نفوسهم. وإذا هم يسخطون: يفاجئ عدمَ عطائهم غضبُهم والإنكار. **٥٨** لو أي: لو حصل. وجواب الشرط محذوف.آتاهم: أعطاهم إيّاه. ورسوله: محمد ﷺ. وحسبنا أي: يكفينا. ومن فضله: بسبب إنعامه ما هو زيادة وتكرُّم. وإلى الله أي: إلى طاعته ورضاه. وراغبون أي: قاصدون ومتضرعون. **٥٩** الصدقات: الزكاة أي: ما يجب في المال من التأدية لتزكيته وتطهيره وتطهير صاحبه. والفقراء: جمع فقير. وهو من يحتاج إلى المعونة. والمساكين: جمع مسكين. وهو الفقير جدًّا. والعاملون عليها: الذين يتولون أمر الزكاة إدارة وتنفيذًا. والمؤلفة قلوبهم: المكرَمون لمصلحة الدعوة. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. وفي الرقاب أي: لتخليص المملوكين من رق العبودية. والرقاب: جمع رقبة، أي: النفس الإنسانية المملوكة لغير الله. والغارم: المَدين لغير مَعصية وعاجز عن الوفاء. وفي سبيل الله: نفقة الجهاد لنصرة الدين. وابن السبيل: المنقطع في سفره بعيدًا عن بلده. والفريضة: الفرض الواجب. ومن الله أي: بحكمه وشرعه. والعليم الحكيم: الكامل العلم والحكمة لما يفعل ويأمر. **٦٠** يؤذون: يسبّبون الأذى بالغِيبة والنميمة والمكايد. ويقولون أي: يعتذرون عندما يُنهون عن الإيذاء. وهو أي: النبيّ ﷺ. والأذن: الذي يصدّق ما يقال. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. والخير: ما يحقّق النفع في الدنيا والآخرة. ويؤمن بالله: يعترف بوجوده وصفاته يقينًا. ويؤمن للمؤمنين: يطمئنّ إليهم فيصّدقهم. ورحمةٌ أي: رحيم كثير العطف والشفقة. والذين آمنوا أي: أظهروا الإيمان ادعاء ونفاقًا. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة. والأليم: المؤلم جدًّا. **٦١**

نصف الحزب ٢٠

الجزء العاشر — سورة التوبة

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾
وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ
أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ
فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

المعنى العام: متابعة ذكر قبائح المنافقين بأن ما لديهم من أولاد وأموال لا يجوز أن يعجب أحدًا، لأنه استدراج لهم ظاهره نعمة، والمراد به ازدياد اغترارهم بالغنى قبل أن يأتيهم عذاب الدنيا والآخرة. فهم يحلفون أنهم مسلمون، ولكنهم كافرون يزعمون ذلك تقيّة خوف انتقامكم، ولو وجدوا مكانًا آمنًا حيثما كان يلجؤون إليه بعيدًا عنكم لهربوا مسرعين.

وعندما قسم النبي ﷺ غنائم غزوة حُنين قال أحد المنافقين: اعدل فينا. فنزلت الآيات بذم حالهم، لا يرضون إلّا أن يأخذوا ما يناسب جشعهم، ولو رضوا بالحق واكتفوا به وحمِدوا الله والرسول لكان خيرًا لهم.

والزكاة حق للفقراء والمساكين، ولمن يسعى في تحصيلها وتوزيعها وضبطها وكتابتها ويجمع المتزكين والمستحقين ويحسب ما يجب في الجمع والتوزيع، ولمن يكرَمون تشجيعًا على الإسلام أو الدفاع عنه، ولمن لا يستطيع وفاء دَينه، وللمجاهدين ولتحرير المماليك، وللمنقطعين في الغربة.

ومن المنافقين من يؤذي النبي ﷺ بالنميمة والغِيبة والكذب ويظنه قد صدّقه لأنه ينصت ويستمع بلطف واحترام. فليعلموا أنه يقبل الخير فقط، ويتألف قلوبهم برحمته، ثم يكون للمؤذين عذاب جهنم.

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ
مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا
ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ
أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ
بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

تفسير المفردات: يحلفون: يُقسمون. ويرضوكم: ترضوا عنهم وتمحوهم من الانتقام. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرسول: محمد ﷺ. وأحق أن يرضوه أي: إرضاؤه أولى من إرضائكم. ومؤمنين أي: صادقي الاعتقاد يقينًا بالقلب واللسان والعمل. ٦٢ ألم يعلموا أي: إنهم يدركون ويعُون. وأنه: أن الشأن الثابت لاشك فيه. ويحادد: يشاقق بإصرار على النفاق والعصيان والإيذاء. وله: مستحَقّه. ونار جهنم: التعذيب في دار عذاب الآخرة. وخالدً أي: مقيمًا أبدًا. وذلك أي: التعذيب. والخزي: الذلة والفضيحة والهوان. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ٦٣ يحذر: يخشى. والمنافقون: من يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والعصيان. وتُنزّل: توحَى. وعليهم أي: بتبليغ المؤمنين عنهم. والسورة: الآيات تكوّن واحدة من سور القرآن. وتنبّئهم: تخبرهم. وقلوبهم: قلوب المنافقين، جمع قلب. وهو الضمير. وقل أي: لهم مهدّدًا، أيها النبيّ. واستهزئوا: اسخروا ما شئتم. و مخرج أي: مظهر. وتحذرون: تخافونه. ٦٤ لئن: أُقسِم إن. وسألتهم: طلبت منهم الجواب عن أقوالهم الشنيعة. ونخوض: نتداول الكلام عبثًا. ونلعب: نتلهى. وقل أي: لهم موبخًا ومنكرًا. والآيات: النصوص القرآنية. وأتستهزئون: كيف تسخرون؟ ٦٥ لا تعتذروا: لا تدّعوا عذرًا. وكفرتم: ظهر كفركم. وإيمانكم: ادعاؤكم الإيمان. ونعفو: نصفح. والطائفة: الجماعة. ونعذّب: ننتقم في الدنيا والآخرة. وبأنهم أي: بسبب أنهم. ومجرمين أي: مقترفين للجرائم باختيار وقصد. ٦٦ والبعض: الفرد أو الأكثر من الجماعة. ويأمرون: يوجبون. والمنكر: ما أنكره الشرع وحرّمه. وينهَون: يمنعون. والمعروف: ما حسُن في الشرع والعقل السليم. ويقبضون أيديهم: يمتنعون بإمساك المال وحجبه شُحًا. والأيدي: جمع يد. ونسوا الله: تجاهلوا طاعته. ونسيهم: أهملهم وأبعدهم. والفاسقون: الخارجون عن الطاعة. ٦٧ وَعد: هدّد وأنذر. والكفّار: جمع كافر. وهو من كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. وجهنم: اسمٌ علم للنار التي أُعدّت للعذاب يوم القيامة. وخالدين أي: مقيمين إلى الأبد. وحسبهم: كافيتهم وحدها. ولعنهم: طردهم من رحمته. والعذاب: التعذيب انتقامًا وإهانة. والمقيم: الدائم أي: في الدنيا بخوف العقاب والقتل، وفي الآخرة بأصناف التعذيب. ٦٨

المعنى العام: متابعة وصف فضائح المنافقين بأنهم يحلفون كذبًا لإرضاء المؤمنين عن تصرفاتهم ومنع انتقامهم، مع أن إرضاء الله والرسول ﷺ أوجب عليهم، إن كانوا مؤمنين حقًّا بلا زيغ أو تردد ونفاق. ولقد علموا أن الذي يخاصمهما أو يحاربهما فله الخلود في جهنم ذليلًا مهانًا.

ولما كان المسلمون في الطريق إلى غزوة تبوك سخر المنافقون من الإسلام فيما بينهم بالقول: «أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهاتَ هيهاتَ له ذلك! وإنه يزعم أنه أُنزل في أصحابنا قرآن، وإنما هو قوله وكلامه»، وتمنَّوا ألاّ يُفشي الله ذلك، فنزلت الآيات تفضحهم وتوبّخهم على الكذب والادعاء، وعاتبهم النبي ﷺ فقالوا: « إنما كنا نخوض ونعبث بالحديث، ليقصر علينا الطريق». لكن لا يجوز العبث بالمقدسات، وقد ظهر كفرهم بعد ادّعاء الإيمان فلا مجال للاعتذار، وسيعفو الله عمن يؤمن منهم حقًّا، ويكون للمجرمين أشد العذاب في الدنيا والآخرة.

إنهم كلهم رجالًا ونساء من ملّة واحدة هي الكفر، يأمرون بعضُهم بعضًا بالمنكرات وينهون عن الإيمان وعمل الصالحات، ويبخلون عن الإنفاق في الخير، وقد تناسوا طاعة الله، فأهملهم في عذاب الدنيا والآخرة، لأنهم البالغون حد النهاية في الفسق حتى كأنهم الفسقُ نفسه، وكان لهم وللكافرين العقوبة الكافية مع الطرد من الرحمة، ولاشيء أبلغ من هذا، فلاحاجة إلى الزيادة عليه.

تفسير المفردات: كالذين من قبلكم أي: أنتم - أيها المنافقون ـ أمثال الذين كانوا قبلكم في هذه الصفات. وأشد: أعظم وأضخم. والقوة: التمكن والقدرة في الأبدان والعزائم. وأكثر: أوفر قدرًا وعددًا. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والعقار والحيوان والسلاح والتجارات والمتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد. وهو الابن والحفيد. واستمتعوا: تمتّعوا وتلذذوا. والخلاق: ما قُدّر وخُلق لصاحبه من الرزق. وخضتم: دخلتم وتخبّطتم في الباطل ومذمّة الإسلام. وكالذي خاضوا أي: مثل خوضهم. وأولئك أي: الفريقان المشبَّهون والمشبَّه بهم. وحبطت: ضاعت وبطَلت. والأعمال: جمع عمل، ما يُكتسب من نيّة أو قول أو فعل. والدنيا: الحياة القريبة منهم يعيشون فيها. والآخرة: الحياة المتأخرة بالبعث بعد الموت. والخاسرون: من ضيعوا خير الدنيا وثواب الآخرة. ٦٩ ألم يأتهم أي: قد وصل إلى المنافقين حقًّا. والنبأ: الخبر الخطير. والقوم: الجماعة من الناس. ونوح: النبي الذي غرق بالطوفان قومه الكافرون. وعاد: قومُ النبي هود، سامُ بن نوح أبو العرب وجميع من يوصفون بالساميّين، عدا بني إسرائيل لأنهم سُومريُّون حاميُّون. وثمود: قوم النبي صالح قبيلة عربية بعد عاد. وهما أقدم الأمم التي عُرفت في التاريخ آثارها حتى الآن، كانت تقيم أولاهما بين عُمان وحضرَموتَ، والثانية بين الحجاز والشام، وآثارهما باقية إلى الآن. وإبراهيم: أبو اسماعيل وإسحاق. والأصحاب: جمع صاحب. ومدين: بلدة على ساحل البحر الأحمر. وأصحابها أي: أهلها وهم قوم

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ
كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

شعيب النبي العربي من سلالة مدين بن إبراهيم كان في عهد موسى وزوّجه ابنته. والمؤتفكات: المنقلبات، أي: القرى التي قلبت بمن فيها من الكافرين في عهد لوط. وأتتهم: جاءتهم. والرسل: جمع رسول، الذين أرسلهم الله بالتوحيد. والبينات: المعجزات والأدلة الواضحة. وما كان: ما أراد. ويظلمهم: يجور عليهم في العقاب. والأنفس: جمع نفس. وهي الإنسان بروحه وجسده. ويظلمون: يعتدون ويسبّبون الهلاك. ٧٠ المؤمن هو الذي صدّق الله ورسوله قلبًا ولسانًا وعملًا وبعضهم أي: الواحد منهم والأكثر. والأولياء: جمع ولي. وهو الصديق المحب والنصير. ويأمرون: ينصحون ويوجبون. والمعروف: ما أمر به الشرع. وينهون: يمنعون. والمنكر: ما نهى عنه الشرع. ويقيمون الصلاة: يؤدّونها بشروطها وأركانها وآدابها. ويؤتون الزكاة: يؤدّون ما فُرض عليهم في المال إلى مستحقيه، ليطّهروا أموالهم وأنفسهم. ويطيعون: يلزمون في الأمر والنهي. والرسول: محمد ﷺ. وسيرحمهم: لا بدّ أن يعطف عليهم بالإحسان في الدنيا والآخرة. والعزيز: الغالب على أمره. والحكيم: الذي يضع كل شيء في محله بإتقان. ٧١ وَعد: بشّر وهيّأ. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم. وتجري: تسيل وتتدفّق. وتحتها أي: تحت أشجارها وقصورها. والأنهار: من الماء والعسل والخمر واللبن، جمع نهر. وخالدين أي: مقيمين أبدًا. والمساكن: المنازل والقصور، جمع مسكن. والطيّبة: التي تستلذّها النفوس. والعدن: الإقامة والطمأنينة. والرضوان: الرضا العظيم والقبول للعمل والنيّات. ومن الله أي: من عنده. وأكبر: أعظم من ذلك كله. وذلك أي: جميع ما ذكر من النعم. والفوز: الظفر والنجاة. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ٧٢

المعنى العام: متابعة وصف المنافقين والكافرين بأنهم مثل من أُهلكوا قبلهم، وكانوا أقوى وأغنى منهم، فتمتعوا بالشهوات واللذائذ وتخبطوا في محاربة الإسلام مثلهم، فأفسدوا القدماءُ والحاضرون ما اكتسبوا من خير وصاروا يستحقون عليه العقاب الشديد، بدل الثواب لو أنه قارن خيرَهم الإيمانُ. وهكذا خسروا الدنيا والآخرة.

ولقد بلغت هؤلاء المنافقين والكافرين أخبار ما فعله أقوام الأنبياء القدماء، نوح وهود وصالح وإبراهيم وشُعيب ولوط، وما فعلوه من التكذيب والعصيان، وما نزل بهم من الهلاك، بظلم أنفسهم. أما المؤمنون نساء ورجالًا فصفاتهم تناقض صفات المنافقين، في الإيمان والعبادة والعمل، ولهم رحمة الله وبشائر الجنة والرضا والنجاة العظيمة.

تفسير المفردات: النبيّ: محمد ﷺ. وجاهدْ أي: قاوم بالسلاح وقاتل. والكفّار: جمع كافر، من كذّب التوحيد والبعث من العرب. والمنافقون: الذين يُظهرون الإيمان ويبطنون الكفر. واغلظ: كن شديدًا قاسيًا. والمأوى: المكان يُلجأ إليه. وجهنم: اسمٌ علم للنار التي أُعدت للكافرين والمنافقين. وبئس: بلغَتِ النهايةَ في السوء والشرّ والفساد. والمصير: المرجع يوم القيامة. ٧٣ يحلفون: يُقسم المنافقون. وما قالوا أي: لم يقولوا شيئًا مسيئًا إلى الإسلام والمسلمين. وكلمة الكفر: الشتم للنبي ﷺ والطعن في الدين. وكفروا: ارتدوا عن الإيمان. وإسلامهم: إظهارهم الإسلام. وهمّوا: عزموا وحاولوا. ولم ينالوا: لم يدركوه ولم يحقّقوه. وما نقموا: ما أنكروا. وأغناهم: أكثر عطاءهم من الغنائم. وفضله أي: إحسان الله عليهم بالنعم. ويتوبوا: يرجعوا عن النفاق ويطلبوا المغفرة. ويك: يكن ذلك. وحذفت النون للتخفيف. وخيرًا أي: أنفع. ويتولّوا: يمتنعوا عن الطاعة. ويعذبهم: ينتقم منهم. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم جدًا. والدنيا: الحياة القريبة منهم وهم فيها. والآخرة: الحياة يوم القيامة بالبعث بعد الموت. وما لهم أي: ليس لهم. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والولي: الصديق يحفظهم من العذاب. والنصير: المعين يمنع البلاء. ٧٤ منهم: بعض المنافقين. وعاهد الله: أقرّ له عهدًا مؤكدًا بالقسم. ولئن أي: نُقسِم إن. وآتانا: أعطانا. ومن فضله: بسبب إحسانه. ونصّدّقنّ: نؤدّينّ الصدقات اللازمة. ونكوننّ: نصيرنّ. والصالحون: الذين يعملون ما حسّنه الشرع من بذل وعطاء. ٧٥ لما: عندما. وآتاهم: أعطاهم الله. وبخلوا: أمسكوا وضنّوا. وبه أي: بحق الله من زكاة وبذل للجهاد. وتولّوا: امتنعوا عن العطاء. ومعرضون: منصرفون عن الواجبات. ٧٦ أعقبهم: جعل الله عاقبتهم. ونفاقًا أي: زيادة على نفاقهم. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبُّر والاعتقاد والانفعال. واليوم: الوقت. ويلقونه: يُبعثون ليلقوا حساب الله وعقابه. وبما أخلفو ا: بسبب عدم توفيتهم. وما وعدوه: الوعد بالتصدق والزكاة. ويكذبون: يعِدون ما لا يفعلون. ٧٧ ألم يعلموا: لقد أدرك هؤلاء بحق. ويعلم سرهم: يحيط بخفايا قلوبهم. ونجواهم: ما تحدّثوا به بعضهم لبعض خِفية. والعلّام: مبالغة اسم الفاعل من العلم. والغيوب: جمع غيب، ما غاب عن حواس الناس وإدراكهم. ٧٨ يلمزون: يَعيبون. والمطّوّعون: المتطوّعون، من يتطوّعون بالبذل. أدغمت التاء في الطاء. والمؤمنون: من صدّقوا الله ورسوله يقينًا. والصدقات: صدقة التنفّل والتطوّع. ولا يجدون: لا يملكون ولا يحصّلون. والجُهد: منتهى القدرة وهو الشيء اليسير. ويسخرون: يهزؤون. وسخر الله منهم: هزئ بهم فأهانهم وأذلّهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًا. ٧٩

ثلاثة أرباع الحزب ٢٠

الجزء العاشر — سورة التوبة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ
وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

المعنى العام: متابعة عرض حال أعداء الإسلام بأن الله يأمر النبي ﷺ بمحاربة الكفّار والمنافقين ومعاملتهم بشدة وعنف، مع بيان نهايتهم يوم القيامة، وما أبأسها من نهاية! وكان بعض المنافقين شتموا النبي ﷺ، في طريق العودة من غزوة تبوك، وأرادوا الغدر به، ولما عاتبهم في ذلك أقسموا أنهم بريئون مما يقول، فنزلت الآية ٧٤ تفضحهم. فهم كفروا وعزموا على ما لم يستطيعوه، بعد أن نالوا الغنى بالغنائم والنعم. فإن تابوا كان خيرًا لهم مما يتوقعون في العصيان، وإن أصروا على النفاق كان لهم عذاب لا منقذ منه.

وعندما تعهدت جماعة من المنافقين، إن جاءهم فضل الله، أن يدفعوا ما يجب عليهم من البذل ويصلحوا أعمالهم، ثم امتنعوا عن الوفاء بذلك، نزلت الآيات ٧٥ - ٧٨ بأنهم بخلوا وعصَوا وارتدوا، فثبّت فيهم النفاق والكفر لنقضهم العهد، وهم يعلمون اطّلاع الله على أسرارهم وجميع الغيب.

ولّما تصدق بعض المؤمنين سخر المنافقون منهم ووصفوا المكثر بالرياء، وقالوا عمن أقل العطاء: «إن الله غني عن صدقته»، فنزلت الآيات تصف حالهم، وتبين أن الله يجازيهم بما يناسب سخريتهم، من العذاب الأليم.

تفسير المفردات: استغفرْ لهم أو لاتستغفر: اطلب المغفرة للمنافقين أو اترك الاستغفار لهم، أيها النبي. ولن يغفر: لن يستر الذنوب ولن يصفح عنها. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وذلك أي: اليأس من الغفران لهم. وبأنهم كفروا: حاصل بسبب كفرهم في قلوبهم وألسنتهم وأعمالهم. والرسول: محمد ﷺ. ولا يهدي: يوجّه القدرات إلى ما يناسب الاختيار الفاسد والاستعداد السيئ. والقوم: الجماعة من الناس. والفاسقون: المتمردون في كفرهم بالخروج عن الإيمان. ٨٠ فرح: شعر بالسرور والسعادة. والمخلَّفون: الذين تخلّفوا عن المسير إلى غزوة تبوك. والمقعد: القعود في الديار. وخلاف الرسول: بعد ذهاب النبي ﷺ للجهاد. وكرهوا: أبت نفوسهم. ويجاهدوا: يبذلوا ما يستطيعون. والأموال: جمع مال، ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وفي سبيل الله: لإعلاء كلمته ونصرة دينه. وقالوا أي: للمسلمين. ولا تنفروا: لا تخرجوا للجهاد. والحرّ: شدة الحرارة في الصيف. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. وجهنم: دار العذاب يوم القيامة. وأشدّ: أقوى مما في غزوة تبوك. ولو كانوا يفقهون: يُتمنّى لهم أنهم يعلمون الحقيقة. ٨١ ليضحكوا: لتنفرجْ شفاههم من السرور في الدنيا. وليبكوا: ليحزنوا ويُعوِلوا في الآخرة.

الجزء العاشر — سورة التوبة

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن
تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا
مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ
أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

والجزاء: العقاب. وبما يكسبون: بسبب ما يقصدونه ويرٍ بحونه من نفاق وكفر. ٨٢ رجعك: ردّك من تبوك. وطائفة منهم: جماعة من المنافقين المتخلّفين عن الجهاد. واستأذنوك: طلبوا منك السماح. والخروج: الذهاب معك للغزو. ولن تخرجوا معي: لن تصحبوني في جهاد. والأبد أي: مدة حياتكم ما دمتم على النفاق. ولن تقاتلوا: لن تحاربوا. والعدو: المعادي بالحرب. ورضيتم: قبلتم وسُررتم. والقعود: تخلفكم عن الجهاد. وأول مرة أي: وقت الخروج إلى غزوة تبوك. واقعدوا: أقيموا في دياركم. والخالفون: الصبيان والنساء والمتخلفون. ٨٣ لا تصلِّ أي: صلاةَ الميت. ومنهم: من المنافقين. ومات: فارقت روحه جسده. وأبدًا أي: مدة حياتك. ولا تقم: لا تزُر ولا تقف ولا تنهض. والقبر: مكان دفن الميت. وكفروا: كذّبوا وجحدوا. ٨٤ لا تعجبك: لا تنل إعجابك واستحسانك. والأولاد: جمع ولد. وهو الذكر والأُنثى. ويريد: يشاء ويقضي. ويعذبهم: ينتقم منهم. وبها أي: بسبب الافتتان بالأموال والأولاد. والدنيا: الحياة القريبة منهم وهم فيها. وتزهق: تخرج. والأنفس: الأرواح، جمع نفْس. وكافرون أي: مكذّبون وحدانية الله ودعوة رسوله. ٨٥ أُنزلت: أُوحيت إلى النبي ﷺ. والسورة القطعة من القرآن. وأن آمِنوا أي: بأن أخلِصوا في الإيمان والجهاد اعتقادًا وقولًا وعملًا. واستأذنك: طلب منك السماح بالتخلف. وأولو الطَّول: أصحاب الغنى والقدرة. وأولو واحده: ذو. ومنهم: من المنافقين. وذرنا: اتركنا. ونكون: نصير. والقاعدون: المقيمون المتخلفون عن الجهاد. ٨٦

المعنى العام: طلب بعض المنافقين المتخلفين من النبي ﷺ الاستغفار لهم، فاستجاب لهم، فنزلت الآيات تبين أنه لن يغفر الله لهم مهما كان الاستغفار بسبب الكفر والفسوق. فقد سعدوا بالتخلف عن الجهاد وحرّضوا غيرهم على ذلك بخطر الحرّ في الغزوة. ولْيعلموا أن حرّ جهنم أشد - وكم يُتمنّى لهم أن يعلموا ذلك - وأنهم إن ضحكوا في الدنيا فسيحزنون كثيرًا في الآخرة، جزاء نفاقهم. وعندما تعود من تبوك - أيها النبي - ويطلب منك بعض المنافقين مشاركة في الجهاد فامنعهم من مصاحبتك، لأنهم رضوا بالتخلف من قبل.

ولما توفي زعيم المنافقين عبد الله بن أُبيّ وصلى عليه النبي الكريم تلبية لطلب ابنه المؤمن نزلت الآية بالنهي عن الصلاة عليهم، لأنهم ماتوا كافرين. وليس فيما رزقوا من النعيم ما يعجب المؤمن، لأن ذلك فتنة واستدراج ليزدادوا نفاقًا وكفرًا حتى الموت، وأغنياؤهم المقتدرون على القتال يقابلون آيات الجهاد بطلب التخلف مع العاجزين، رغم ما هم عليه من قدرات.

تفسير المفردات: رضوا: قَبِلوا وسُرّوا واطمأنوا. ويكونوا: يصيروا. والخوالف: جمع خالفة وخالف، المرأة تتخلف في البيت أو الرجل العاجز. وطُبع على قلوبهم: خُتمت وسُدّت منافذها ومُنعت من قبول الإيمان. والقلوب: جمع قلب، موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال. ولا يفقهون: لا يفهمون الخير ولا يدركونه. ٨٧ الرسول: محمد ﷺ المرسل بالتوحيد والشريعة مع العمل. وآمنوا: صدّقوا الله قلبًا ولسانًا وعملًا. وجاهدوا: بذلوا جهدهم وأقصى ما يستطيعون. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ولهم: استحقاقهم. والخيرات: جمع خيرة، النعمة الفاضلة لغيرها بالنفع الدائم. والمفلحون: الفائزون بالنعيم. ٨٨ أعدّ: خلق وهيأ. والجنّة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها أي: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. وخالدين: مقيمين أبدًا. وذلك أي: ما أعدّه الله لهم. والفوز: الظفر بالخير والنجاة من الأذى والشرّ. والعظيم: الضخم جدًّا لا مثيل له. ٨٩ جاء: أتى إلى مجلسك، أيها النبيّ. والمعذّرون: المعتذرون أي: من يدَّعون العذر الشرعي. أُدغمت التاء في الذال .والأعراب: سكان البادية من العرب واحدهم أعرابي. ويؤذن لهم: يُسمح لهم بالقعود عن الجهاد. وقعد: أقام في الديار. وكذبوا: أنكروا الوحدانية والرسالة مع ادعائهم الإيمان. وسيصيب: لا بدّ أن ينال. وكفروا: كذّبوا التوحيد والنبوة. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: الشديد الإيلام. ٩٠ الضعفاء: جمع ضعيف عاجز عن الجهاد. والمرضى: جمع مريض بما يحول دون الجهاد. ولايجدون: لايملكون ولا يحصّلون. وينفقون: يبذلونه ويصرفونه. والحرج: الإثم. وإذا نصحوا: حين يقصدون الخير ويتركون الفتن. وما على المحسنين: ليس على الذين أخلصوا النية والقول والعمل. ومن سبيلٍ أي: طريقٌ للعقوبة. والغفور والرحيم: مبالغتا اسم الفاعل مِن المغفرة والرحمة، أي: ستر الذنوب والعفو عنها، والعطف بالإحسان. ٩١ أتوك: جاؤوا إليك، أيها النبيّ. وتحملهم: تهيء لهم ما يركبون للجهاد. ولا أجد: لا أملك. وتولَّوا: انصرفوا. والأعين: جمع عين، عضو البصر. وتفيض: تمتلئ وتسيل. ومن الدمع: بسبب دمع البكاء. والحزن: الغمّ والألم. وألّا يجدوا أي: لأنهم لم يحصّلوا. ٩٢ يستأذنونك: يطلبون منك السماح بالتخلف عن الجهاد. والأغنياء: جمع غني، من يملك ما يكفيه للجهاد. ولا يعلمون: لايدرون ولايعرفون سوء عاقبة ذلك التخلف. ٩٣

الجزء العاشر — سورة التوبة

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ
الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ
مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ
مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى
الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا
مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

المعنى العام: متابعة فضائح المنافقين بأنهم اطمأنوا للتخلف عن الجهاد في غزوة تبوك كالنساء والمقعدين، وخُتمت قلوبهم عن كل فهم للخير وإدراك لمعاني الجهاد وأهوال عذاب المتخلفين. أما الرسول ﷺ والمؤمنون المجاهدون ﷺ فلهم النعيم والفوز، فيما هيأ الله لهم من الجنات، وأما الأعراب بنو أسد وغطفان ورهط عامر بن الطفيل وكانوا في شِدّة فلهم عذر عن الجهاد مقبول، وأما المنافقون فقد تهربوا من الواجب بدون عذر ولهم عذاب أليم.

ولما نزل الأمر بالجهاد في هذه السورة جاء صحابيّ أعمى فقال: كيف بي ـ يارسول الله ـ وأنا أعمى؟ فنزلت الآية ٩١ بأن العاجزين لضعف أو مرض والفاقدين للمال اللازم للجهاد معذورون في التخلف لا عقاب لهم، إذا أخلصوا النية والعمل، أمثال بني جُهينة ومُزينة وعُذرة ﷺ، كانوا فقراء جدًّا. وكذلك الذين لا يملكون شيئًا وليس عند النبي ﷺ ما يحتاجون إليه في الحرب، خرجوا من مجلسه باكين لذلك وسُمّوا البكّائين، فحمل العبّاس ﷺ اثنين منهم للجهاد، وعثمان ﷺ ثلاثة، وآخرون الباقين، ولكن العقاب للأغنياء الأقوياء، وهم واجدون لعدّة الغزو، مع سلامتهم من الضعف والمرض، يختارون البقاء مع العاجزين والقاصرين. فقد سدّ الله منافذ قلوبهم لئلا يعلموا الخير من الشر، ولا يعرفوا قيمة الجهاد وجريمة التخلف عنه.

تفسير المفردات: يعتذرون إليكم: يحتج المنافقون، للتملص من ذنب التخلف، إليكم أيها المؤمنون. وإذا رجعتم: حين تعودون من غزوة تبوك. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. ولا تعتذروا: اتركوا الاعتذار. ولن نؤمن لكم: لن نصدّقكم. ونبّأنا: أخبرنا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ومن أخباركم أي: بعضها. والأخبار: جمع خبر. وسيرى الله أي: لا بدّ أن يَظهر للناس علمه القديم بأحوالكم. والعمل: ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. والرسول: محمد ﷺ. وتُردّون: تُرجعون بالبعث. وإلى العالم: إلى ميعاد لقاء الله المحيط بالعلم كله. والغيب: ما غاب عن حواس الخلق وإدراكهم. والشهادة: ما يشهده الخلق ويعلمونه. وينبّئكم: يخبركم. وتعملون: تكتسبونه من نية وقول وعمل. **٩٤** سيحلفون: لا بد أن يُقسموا. ولكم أي: لإرضائكم. وإذا انقلبتم: حين ترجعون من غزوة تبوك. وتعرضوا عنهم: تمتنعوا عن المعاتبة لهم والتوبيخ والتقريع. وأعرِضوا عنهم: تجنّبوهم واحذروهم واتركوا كلامهم وسلامهم. والرجس: القذر. والمأوى: ما يُلجأ إليه. وجهنم: اسمٌ علم للنار التي أُعدّت للكافرين. والجزاء: العقاب. وبما يكسبون: بسبب ما يقترفون من النفاق والعصيان والكذب. **٩٥** ترضوا عنهم: تقبلوا عذرهم وتحسنوا إليهم. ولا يرضى: لا يقبل ما اعتذروا به ولا قَسَمهم عليه. والقوم: الجماعة من الرجال. والفاسقون: الخارجون عن الطاعة بإرادة. **٩٦** الأعراب: واحده أعرابي، أهل البادية. وأشدّ: أقسى وأعنف. والكفر: التكذيب لتوحيد الله ودعوة رسوله. والنفاق: إظهار الإيمان وإبطان الكفر. وأجدر: أحقّ وأولى. ولا يعلموا: لا يعرفوا ولا يدركوا. والحدود: جمع حدّ. وهي الفرائض ومقادير التكاليف والأحكام. وأنزل: أوحى وفرض. والعليم: المحيط بدقائق الأمور وخفاياها. والحكيم: الذي يضع كل شيء فيما تقتضيه الحكمة. **٩٧** من الأعراب أي: بعضهم. ويتخذ: يجعل. وينفق: يبذل في سبيل الله. والمغرم: الغرامة والخسارة. ويتربّص بكم: ينتظر ويتمنّى لكم. والدوائر: جمع دائرة، ما يتقلب من المصائب. والسّوء: الشر والفساد. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. **٩٨** يؤمن: يصدّق قلبًا ولسانًا وعملًا. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بالبعث بعد الموت. والقربات: جمع قُربة، ما يُتقرَّب به. وعند الله أي: في جنته منزلةً ورفعة. والصلوات: الدعوات. وألا أي: حقًّا. وإنها أي: نفقة هؤلاء المؤمنين. وسيدخلهم: لا بد أن ييسر لهم الدخول ويهيئه. والرحمة: العطف بالفضل والإكرام. والغفور: الكثير الستر والمحو للذنوب. والرحيم: العظيم العطف على المؤمنين. **٩٩**

سورة التوبة — الجزء الحادي عشر

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا
لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى
اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن
تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا
حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ
مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ
لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

المعنى العام: متابعة العرض لقبائح المنافقين بأنهم سيعتذرون لكم ـ أيها المؤمنون ـ بعد غزوة تبوك لتقبلوا تخلفهم . فلا تقبلوا منهم ذلك، وأخبروهم أن الله فضح خبايا أمرهم، وسوف يرى هو والرسول ﷺ أعمالهم التي تحقق ما في نفوسهم وتكون المحاسبة عليها يوم القيامة. سيقسمون لكم على صدقهم لئلا تؤذوهم، وكانوا قد استأذنوا للتخلف عن غزوة تبوك، وأذن النبي الكريم لهم، فخرجوا من عنده يسخرون منه، وقد أمر الصحابةَ حين رجع إلى المدينة ألاّ يجالسوهم ولا يكلموهم، ثم نزلت الآية بوجوب تكذيبهم ومقاطعتهم، وما سيكون لهم من العذاب لأن الله قد غضب عليهم.

ونزلت الآيتان ٩٧ و٩٨ في أعراب بني أسد وتميم وغطفان، بأنهم أعظم كفرًا ونفاقًا وأجدر بذلك من غيرهم، لبعدهم عن سماع القرآن ومجالسة العلماء. فهم في جهل وظلم يحاسبهم الله بما يعلم منهم. وكذلك أمثال بني غطفان وتميم. فقد كانوا يرون أن الزكاة والصدقات كالجزية، ويتمنون البلاء للمسلمين. فعليهم شر البلاء والعذاب. لكن بعض الأعراب كبني جُهينة وبني رَشدان ومن بايع تحت الشجرة وبني مُقرِّن المذكورين في تفسير الآية ٩٢ مؤمنون بالله والحساب، و يبذلون ما عندهم تقربًا إلى الله ودعاء النبي العظيم لهم، وهي كذلك ينالون بها رحمة الله وغفرانه وجنات النعيم.

وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ
مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا
وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾
خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ
ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

تفسير المفردات: السابقون: الذين سبقوا بالإيمان والجهاد. والأولون: المتقدّمون في ذلك. والمهاجرون: الذين هاجروا إلى المدينة المنوّرة. والأنصار: الأوس والخزرج. واتّبعوهم: اقتدَوا بهم. وبإحسان أي: مع مراقبة الله في القول والعمل والنية. ورضي عنهم: قبل منهم ما فعلوا، وتجاوز عن سيئاتهم. ورضوا عنه: تقبلوا قضاءه بالطمأنينة. وأعدّ: خلق. والجنّة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت أشجارها وقصورها. والأنهار: جمع نهر. وخالدين أي: مقيمين زمنًا طويلًا. والأبد: مدة الزمن. وذلك أي: ما ذُكر من النعم. والفوز: الظفر. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ١٠٠ ممن حولكم أي: بعض الذين حول بلدكم، أيها المسلمون. والأعراب: المقيمون في البادية واحدهم أعرابيّ. ومنافقون: مدّعون للإيمان ويخفون الكفر. وأهل المدينة: المقيمون في المدينة المنوّرة. ومَردوا: استمرّوا وازدادوا. ولا تعلمهم: لاتعرف نفاقهم، أيها النبيّ. ونعلمهم: نعلم حقيقة أمرهم أنهم منافقون. وسنعذّبهم: لا بد أن نعاقبهم إذا استمروا على ذلك. ومرتين: عذابين في الدنيا وفي القبر. ويردّون: يصير أمرهم في الآخرة بعد البعث. ١٠١ آخرون أي: رجال غير المنافقين والسابقين. واعترفوا: أقرّوا وندموا على ما فعلوا. والذنوب: جمع ذنب، المعصية عليها عقاب. وخلطوا: مزجوا. والعمل: ما يكتسب ويُتحمّل من القول والفعل. والصالح: النافع. والسيئ: الفاسد. وعسى: يُترجّى. ويتوب عليهم: يصفح عنهم. والغفور والرحيم: مبالغتا اسم الفاعل مِن المغفرة والرحمة، أي: ستر الذنب مع العفو والعطف بالإحسان. ١٠٢ خذ أي: تقبّل وأدِّ إلى من يستحق، أيها النبيّ. والأموال: جمع مال. والصدقة: ما يُدفع تطوعًا. وتطهرهم: تزيل عنهم الذنوب. وتزكيهم بها: ترفعهم بوساطتها إلى مراتب المخلصين. وصلِّ عليهم: ادعُ الله لهم. والسكن: الرحمة. وسميع عليم: مبالغتا اسم الفاعل، أي: سميع لاعترافهم عليم بندامتهم. ١٠٣ ألم يعلموا أي: على المتخلفين غير التائبين أن يعلموا ويفهموا. ويقبل: يرضى. والتوبة الرجوع عن المعاصي إلى الطاعة. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. ويأخذ: يتقبل. والتواب: الكثير التوبة. والرحيم: العظيم العطف بالإكرام. ١٠٤ قل أي: للناس، أيها النبيّ. واعملوا: افعلوا ما شئتم. وسيرى الله أي: لا بد أن يَظهر علمه القديم للناس بالفعل. والرسول: محمد ﷺ. وتُردّون: تُرجعون بالبعث. وإلى العالم: إلى ميعاد لقاء الله المحيط بالعلم كله. والغيب: ما غاب عن حواس الخلق وإدراكهم. والشهادة: ما يشهده الخلق ويعلمونه. وينبّئكم: يخبركم. وتعملون: تكتسبونه وتتحملونه. ١٠٥ آخرون أي: متخلفون عن الجهاد غير الذين ذكروا في الآيات المتقدمة. ومرجَون: مؤخّرون عن تبيين حالهم. وأمر الله: حكمه وقضاؤه. ويعذّبهم: يميتهم بلا توبة فيحق عليهم عذابه. والحكيم: المتقن لما يصنع بهم. ١٠٦

المعنى العام: أن الله رضي عن المؤمنين السابقين بالهجرة وبالنصرة من الأوس والخزرج، ورضوا بحكمه ورحمته وما أعدّ لهم من فوز الخلود في نعيم الجنة، وبعض الأعراب وأهل المدينة المنوّرة منافقون جدًّا وخفي نفاقهم على النبي ﷺ والله مطّلع على حقيقة نفوسهم، وسيكون لهم عذاب في الدنيا وفي القبر ويوم القيامة، وبعض المؤمنين تخلفوا عن غزوة تبوك، واعترفوا بذنوبهم فقيّدوا أنفسهم حتى تجيء توبتهم ويُطلَق سراحهم، لهم أعمال سيئة وحسنة، ويُرجى لهم أن تُقبل توبتهم وتُغفر ذنوبهم. فخذ من أموالهم – أيها النبيّ – ما يمسح ذنوبهم ويرفع درجاتهم، وادع لهم أن يصلحوا ويتوب الله عليهم.

أما غير التائبين فليعلموا أن الله يقبل التوبة عن عباده ويتقبل ما يتطوعون به للجهاد، وهو التوّاب الرحيم، وليعملوا ما شاؤوا لأنه لا بد أن تظهر حقائق ما في نفوسهم وسيحاسبون على ذلك في الدنيا والآخرة، وأما الذين لم ينزل حكم توبتهم من المتخلفين عن غزوة تبوك فمؤخَّرون لحكم الله، وهم بين أمرين: أن يكون موتهم على العصيان ثم عذاب الآخرة، أو يتحقق صلاحهم وقبول توبتهم مع العفو من الله العليم الحكيم.

الجزء الحادي عشر — سورة التوبة

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ
وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ
يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ
وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ
فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾
۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ
وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ
وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ
بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾

ربع الحزب ٢١

تفسير المفردات: اتّخذوا: صنعوا وبنوا. والمسجد: مكان للصلاة. وضرارًا أي: لإيذاء المسلمين ومسجدِ قُباء. وكفرًا أي: لتشجيع الكفر والعصيان. وتفريقًا أي: لإثارة الفتن والقتال. وإرصادًا أي: للترصُّد والحشد. وحارب الله: خالفه وحارب دينه. والرسول: محمد ﷺ. وقبلُ: قبل بناء المسجد. وليحلفنّ: أُقسِمُ ليُقسمنّ. وإن أردنا: ما قصدنا. والحسنى: الأكثر خيرًا للمسلمين. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويشهد: يخبر خبرًا قاطعًا. وكاذبون: يقولون خلاف ما يضمرون. ١٠٧ لا تقم فيه: لا تدخلْه ولا تصلِّ فيه. وأبدًا: مدة حياتك. وأُسس: بنيت أُسسه وقواعده. والتقوى: طلب رضا الله. وأول يوم أي: من بنائه. وأحق: أجدر وأولى. وأن تقوم فيه أي: بأن تصلي فيه. والرجال: جمع رجل، الذكر من البشر. ويحبون: يفضلون ويودّون. ويتطهّروا: يزيلوا الحدَث وسائر النجاسات. ويحب: يودّ ويجزي بالخير. والمطَّهِّرون: المتطهِّرون أي: الحريصون جدًّا على الطهارة. أدغمت التاء في الطاء. ١٠٨ أمَن أسس: ليس من أنشأ. والبنيان: أمور الدين وما بنيت عليه. والتقوى: تجنب الغضب. ومن الله: من عنده وبأمره. والرضوان: القبول العالي للعمل الصالح. وخير: أفضل. وشفا الجرف: طرف الجانب. والهاري: الذي يكاد يسقط. وانهار به: سقط مع من بناه. وجهنم: دار العذاب في الآخرة. ولا يهدي: لا يرشد إلى الصلاح. والقوم: الجماعة من الناس. والظالم: من يتجاوز الحق بالكفر والنفاق. ١٠٩ لا يزال: سيستمرّ دائمًا. وريبة أي: سبب اضطراب وشك. وإلّا أن تقطّع أي: إلّا وقت تقطعها. وتقطّع: تتقطّع بالموت. حذفت التاء الثانية للتخفيف. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبُّر والاعتقاد والانفعال. والعليم: المحيط بالنيات ودقائق الأمور. والحكيم: المتقن لما يفعل. ١١٠ اشترى: قَبِلَ بثمن كريم. والأنفس: جمع نفس، الروح والجسد. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والجنة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. ويقاتلون: يجاهدون المعتدين. وفي سبيل الله: لإعلاء كلمته ونصرة دينه. ويقتلون: يُزهقون أرواح العدوّ. ويُقتلون: يُستشهَدون. و وعدًا أي: شراءَ تعهد بالخير. وعليه: على الله بفضله وإحسانه. وحقًّا أي: وعدَ ثبوت وصدق. والتوراة والإنجيل والقرآن: الكتب التي نزّلت على موسى وعيسى ومحمد بالترتيب. ومن أوفى أي: لا أحد أكثرُ وأثبتُ وفاء. والعهد: الوعد. واستبشروا: اطمئنّوا وافرحوا أقصى ما يكون. والبيع: صفقة الجهاد الذي يؤدي إلى الجنة. وبايعتم: تاجرتم مع الله. وذلك أي: بذل الأنفس والأموال في الجهاد. والفوز: الظفر بالخير. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ١١١

المعنى العام: متابعة عرض قبائح المنافقين ببيان ما فعله المنافق أبوعامر وأتباعه، من بناء مسجد في المدينة لجمع المنافقين واليهود والنصارى المحاربين للإسلام والمسلمين، وقد بلّغوا النبيَّ ﷺ ببنائه وهو في طريقه إلى غزوة تبوك، وطلبوا منه الصلاة فيه، ووعدهم بذلك فور عودته، فنزلت الآيات في الطريق تفضح المؤامرة والمكايد. فهم سيحلفون أنهم يريدون أفضل عمل للدعوة، ولكنهم كاذبون. ولا يجوز أن تصلي فيه - أيها النبيّ - ومسجد قُباء الذي أُسس على الخير أحق بالصلاة، وفيه مؤمنون يتطهّرون منتهى التطهّر ويحبّهم الله ويمدح أعمالهم.

ولا شك أن العمل القائم على التقوى والرضوان في بناء مسجد قُباء خير مما بُني على الباطل، ويهوي بأصحابه الكافرين الظالمين في جهنم، بلا رحمة من الله ولا هداية. وسيبقى إنشاء مسجد ضرار بلاء يتردد في صدور المنافقين ومَن وراءهم دائمًا إلّا وقت تقطُّع قلوبهم بالموت. فقد رضي الله من المؤمنين التضحية بالأنفس والأموال في الجهاد وعمارة مسجدهم، لينالوا الجنة في مبايعتهم الله أن يقاوموا المعتدين بالسلاح ليقتلوهم أو يُستشهَدوا، وعدًا ثابتًا من الله، يبشرهم بتفوّق تجارتهم هذه أعظم ما يكون التفوق.

تفسير المفردات: التائب: المفارق للمعاصي طالبًا للعفو والمغفرة. والعابد: المخلص في طاعة الله. والحامد: الشاكر على الفضل بالقلب واللسان والعمل. والسائح: الصائم عما يفطر في رمضان وما يتطوع به. والراكع الساجد: المقيم للصلاة بأركانها وآدابها. والآمر: الناصح والملزم. والمعروف: ما استحسنه الله. والناهي: المانع. والمنكر: ما استقبحه الله. والحافظ: المراعي والملتزم. والحدود: جمع حد، حكم العمل في العقيدة والعبادة والعمل. وبشّر المؤمنين: أبلغ -أيها النبيّ- هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ما يسرّهم ويُسعدهم، وهم المؤمنون أي: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ١١٢ ما كان: لا يصح ولا يجوز. والنبي: محمد ﷺ. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله بالقلب واللسان والعمل. ويستغفروا: يطلبوا من الله ستر الذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والمشركون: من عبدوا مع الله بعض مخلوقاته بالتقديس والطاعة. ولو كانوا أي: مع كونهم. وأولو قربى: أهل قرابة. وأولو واحدهُ: ذو. وتبيّن لهم: اتّضح وثَبَتَ للمؤمنين. وأنهم أي: المشركين. والأصحاب: جمع صاحب، المرافق الملازم. والجحيم: نار جهنم المتوقّدة. ١١٣ وإبراهيم خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. وأبوه: اسمه آزر وهو من المشركين. والموعدة: التعهّد. ووعدها إيّاه: تعهد بها لأبيه. والعدوّ: المعادي والمحارب للعقيدة والعبادة. وتبرأ منه: تخلّى عنه وترك استغفاره. والأوّاه: الكثير التضرّع والدعاء لله. والحليم: الصبور على الأذى. ١١٤ ما كان أي: ما أراد وما يريد. و يضلّ: يوقع الضلال في القلوب. والقوم: الجماعة من الناس. وإذ هداهم: حين أرشدهم إلى ما يناسب اختيارهم واستعدادهم الطيب. ويبيّن: يوضح. ويتّقون: يتجنّبون. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والعليم: المطّلع المحيط بدقائق الأمور وخفياتها. ١١٥ الملك: الحيازة والتصرّف. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويحيي: يخلق ما يشاء من العدم. ويميت: يُفني ما يشاء من الخلق. وما لكم: ليس لكم، أيها الناس. ودون الله أي: غيره. والولي: الذي يتولى الأمور ويرعى المصالح. والنصير: المعين المنقذ من العذاب. ١١٦ تاب على النبي: رفع درجاته إلى الكمال. والمهاجرون: المسلمون هجروا ديارهم إلى المدينة المنورة. والأنصار: المسلمون من أهل المدينة. واتبعوه: صاحبوه. والساعة: الوقت. والعسرة: الشِّدّة. وكاد: قرُب جدًّا. ويزيغ: يميل عن الحق وينصرف. والقلوب: جمع قلب. والفريق: الجماعة. وتاب عليهم: قبل توبتهم وصفح عنهم. ومعنى الرؤوف الرحيم أنه يرفق بالمؤمنين دائمًا، ويعطف عليهم كثيرًا في المعاملة، فلا يحمّلهم ما لا يطيقون، ويزيل عنهم الضرر ويقدّر لهم النفع، ويتجاوز عما كان منهم في الشدائد. ١١٧

الجزء الحادي عشر — سورة التوبة

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ
وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن
يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ
مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾

المعنى العام: أولئك الفائزون الفوز العظيم هم الملازمون للتوبة، من الرجال والنساء، وللعبادةِ والحمد والصوم والصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيقِ الأحكام الشرعية عليهم وعلى غيرهم ممن يُسألون عنهم، ويبشَّرون بالنعيم والرضا. وعندما استغفر النبي ﷺ لعمه أبي طالب نزلت الآيات بأنه لا يجوز استغفارالمؤمنين للكافرين بعد إصرارهم على الكفر، مع أنهم من أقربائهم، وإنما استغفر إبراهيم لأبيه بوعد، على أمل إيمانه، ولما أصرّ أبوه على عداوة الله تبرأ إبراهيم منه.

و كان بعض المسلمين بعيدين عن المدينة، يشربون الخمر ويصلّون إلى بيت المقدس، ثم علموا بعد مدة أن القرآن قد نزل بغير ذلك، وكان آخرون قد استغفروا للمشركين وخافوا أن يؤاخذوا بما فعلوا، فنزل الوحي يطمئن الجميع بالعفو، وأن الله له الملك والخلق وهو وليّهم ونصيرهم، وقد أعلى مرتبة النبي ﷺ بما كان له من الجهاد، وقبل توبة المؤمنين المجاهدين معه عما كان من الوساوس خلال ما قبل غزوة تبوك، حين كادت تنصرف قلوب بعضهم عن الحق، وهو الرؤوف بهم والرحيم بهم كذلك.

تفسير المفردات: على الثلاثة أي: تاب أيضًا على المذكورين في الآية ١٠٦. وخُلِّفوا: أُخِّروا وتُركوا عن قبول العذر. وحتى إذا ضاقت: فإذا صغرت في أعينهم، كأنها تقلّصت فلم يجدوا مكانًا فيها، تاب عليهم. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وبما رحبت أي: مع كثرة سعتها. والأنفس: القلوب والصدور، جمع نفْس. وظنوا: اعتقدوا وتيقّنوا. وأنْ أي: أنّه. والملجأ: المكان يُلجأ إليه ويُعتصم به. ومن الله: من غضبه وعقابه. وإليه: إلى استغفاره ولزوم طاعته. وتاب عليهم: وفّقهم للتوبة وغفر لهم. ويتوبوا أي: توبة مقبولة. والتوّاب: الكثير القبول لتوبة الصادقين. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان على المؤمنين. ١١٨ آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. واتقُوا الله: تجنَّبوا غضبه واطلبوا بالطاعة والصلاح رضاه. وكونوا: صيروا دائمًا في النية والقول والعمل. والصادقون: أصحاب الصدق والوفاء. ١١٩ ما كان أي: لا يجوز. وأهل المدينة: من يقيم في المدينة المنوّرة. وحولهم: حول مدينتهم. والأعراب: سكان البادية، واحدهم أعرابيّ. ويتخلفوا: يبقوا في ديارهم وأهليهم منصرفين. والرسول: محمد ﷺ. ويرغبوا بأنفسهم: يترفّعوا ويكرهوا لها ويصونوها. والأنفس: جمع نفس. وهي الروح والجسد. وذلك أي: ما مضى من النهي عن التخلف. وبأنهم لا يصيبهم: حاصل بسبب أنهم لا يقع بهم. والظمأ: العطش. والنصب: التعب. والمخمصة: الجوع.

الجزء الحادي عشر سورة التوبة

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ
بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ١١٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم
مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ
عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ
وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ
ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم
بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠
وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ١٢١ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ
فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢

وفي سبيل الله: لأجل طاعته وإعلاء كلمته بالجهاد. ولا يطؤون: لا يدوسون بأقدامهم. والموطئ: الوطء والدوس. ويغيظ: يُغضب. والكفّار: جمع كافر، من كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. ولا ينالون: لا يصيبون. والعدو: المعادي المحارب. والنيل: القتل والأسر والغنيمة. وكُتب: سُجّل في صحائف الأعمال. وبه أي: بسبب كل ذلك. والعمل: ما يكتسبه الإنسان ويتحمله من نية أو قول أو فعل. والصالح: النافع في الدنيا والآخرة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا يضيع: لا يهمل. والأجر: الثواب. والمحسنون: الذين أحسنوا العمل مع مراقبة الله. ١٢٠ لا ينفقون: لا يبذلون في سبيل الله إيمانًا واحتسابًا. والصغيرة: القليلة القدْر. والكبيرة: العظيمة القدْر. ويقطعون: يتجاوزون. والوادي: ما بين مرتفعين. وكتب: سُجّل ذلك الإنفاق أو القطع. ويجزيهم: يكافئهم. والأحسن: الأفضل. ويعملون: يكتسبون ويتحملون.

نصف الحزب ٢١

١٢١ ما كان أي: ما صح أن يقصد. والمؤمنون: الصادقون في الإيمان الكاملون فيه. ولينفروا: أن يخرجوا بسرعة لمحاربة المعتدي. وكافة أي: جميعًا. ولولا: هلّا، للتوبيخ والزجر. والفرقة: القبيلة. والطائفة: الجماعة. ويتفقهوا: يتعلم الباقون ويفهموا الأحكام والتكاليف. والدين: العقيدة والشريعة. ويندروا: يبلّغوا ويرشدوا. وقومهم: جماعتهم التي يعيشون فيها. وإذا رجعوا: حين يعودون من الغزو. ولعلهم: ليُترجّى لهم. ويحذرون: يخافون عقاب الله ويتجنبون ما يسببه. ١٢٢

المعنى العام: متابعة تفصيل حال المجاهدين والمتخلفين بأن الله تاب على الثلاثة المتخلفين عن غزوة تبوك، ولم يختلقوا عذرًا. فبعد أن أُهملوا وقاطعهم الصحابة رجالًا ونساء، حتى إذا اشتد عليهم ذلك ولم يجدوا مخرجًا أو متنفّسًا لضيقهم وانكسارهم، وتيقنوا أن النجاة برحمة الله، هنالك جاء عفو الله. فليس للمسلمين أن يتخلفوا عن النبي ﷺ ويفضلوا أنفسهم عليه، لأن ما ينالون من المشقات ويبذلون من المال لإيذاء الكافرين المعتدين هو أعمال صالحة تسجل لهم، ويجزون عليها أحسن الجزاء بفضل الله الكريم.

ولمّا أُمروا فيما مضى بالسرعة للجهاد صاروا يخرجون جميعًا، فنزلت الآية ١٢٢ بأنه ليس لهم قصد ذلك جميعًا إلّا إذا كان عدوان على ديار المسلمين، وإنما يجب في غير ذلك أن يبقى منهم في المدينة من يتابعون العلم والعمل، حتى يهيئوا للمجاهدين وللأهل ما يحتاجون إليه من توجيه ونصح وعون، ويستطيعَ العلماء والمجاهدون قيامهم بالواجبات في طاعة وإحسان.

يا أيها الذين ءامنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴿١٢٣﴾
وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه
إيمانا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون
﴿١٢٤﴾ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا
إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴿١٢٥﴾ أولا يرون
أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم
لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴿١٢٦﴾ وإذا ما أنزلت
سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد
ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون
﴿١٢٧﴾ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رءوف رحيم ﴿١٢٨﴾ فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله
إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴿١٢٩﴾

سورة يونس

تفسير المفردات: آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وقاتِلوا الذين يلونكم: ابدؤوا بحرب المعتدين القريبين من بلادكم. والكفّار: المشركون وأهل الكتاب والمجوس والملحدون والمحاربون للدولة الإسلامية، جمع كافر. وليجدوا: يجب أن يصادفوا. والغلظة: الشِّدّة والقسوة. واعلموا: استحضروا العلم وتذكروا دائمًا. ومع المتقين: يعين الذين يتجنّبون عقابه ويطلبون رضاه. **١٢٣** أُنزلت: أوحيت على لسان جبريل. والسورة: القطعة من القرآن الكريم. ومنهم أي: بعض المنافقين. ويقول أي: لأصحابه استهزاء. وأيُّكم يعني: أيُّ واحد منكم؟ وزادته هذه أي: ضاعفته السورة المُنزَلة. والإيمان: الاعتقاد بالتوحيد والبعث. ويستبشرون: يفرحون بما جاءهم من الهدى. **١٢٤** القلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. والمرض: الكفر والنفاق. والرجس: الكفر. وماتوا: فارقت أرواحهم الأجساد. وكافرون أي: مكذّبون وحدانية الله ودعوة رسوله. **١٢٥** ألا يرون: إنهم يعلمون ويدركون يقينًا. ويفتنون: يعذّبون بالنكبات والبلايا لِما فيهم من النفاق. والعام: السنة الهجرية من أولها إلى آخرها. والمرة: المدة من الزمن. ولا يتوبون: لا يندمون على العصيان ولا يطلبون المغفرة. ولا يذّكّرون: لا يتذكّرون أي: لا يتّعظون. وأدغمت التاء في الذال. **١٢٦** نظر: وجّه بصره. وبعضهم: الواحد منهم أو الأكثر. ويراكم من أحد: يبصركم أحد المسلمين إذا خرجتم. وانصرفوا: ذهبوا من المجلس هاربين. وصرف الله قلوبهم: منعها عن الهدى وحجبها. وبأنهم أي: لِما هم عليه من الخبث. وقوم: جماعة من الناس. ولا يفقهون: لا يعلمون ولا يفهمون، أي: لعدم فقههم. **١٢٧** جاءكم: بعثه الله إليكم، أيها الناس. والرسول: المرسَل لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ومن أنفسكم: من جنسكم الإنساني، جمع نفس. والعزيز: الشديد. وما عنتم: عنتُكم ومشقتكم. والحريص: الكثير الرغبة والسعي. وعليكم أي: على هدايتكم وصلاح شأنكم. وبالمؤمنين أي: بالمصدّقين منكم قلبًا ولسانًا وعملًا. والرؤوف: العظيم الشفقة. والرحيم: الكثير العطف والإحسان. **١٢٨** تولَّوا: أعرض الكفار والمنافقون عن الإيمان. وقل أي: لهم وفي نفسك أيضًا، أيها النبيّ. وحسبي: يكفيني. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإلّه: المعبود بحق. وعليه توكلت: فوضت كل أمر إليه وحده. والربّ: الخالق المالك المتفرد. والعرش: مخلوق عظيم جدًّا يضم سائر المخلوقات ولايعرف كنهه إلّا الله. والعظيم: الذي لا مثيل له. **١٢٩**

المعنى العام: متابعة موضوع الجهاد بأمر المسلمين أن يحاربوا المجاورين من المعتدين من مشركين وكافرين نصارى أو يهود وخارجين على الدولة الإسلامية، ثم يكون جهاد من هو أبعد منهم. ولتكن مقابلة المسلمين لهم بالشدة والعنف، وليعلموا دائمًا أن الله ناصرهم على الجميع. أما المنافقون فأمرهم آخر. لقد كانوا عندما تنزل الآيات يسخرون منها، ويتساءلون فيما بينهم: أيُّكم استفاد منها بشيء من الإيمان؟ والحق أنها تزيد المؤمنين يقينًا وهداية وصلاحًا، وتضيف إلى المنافقين زيادة كفر ونفاق، ليموتوا على ما هم عليه، وينالوا كامل العقاب يوم القيامة. إنهم يرون كثرة البلاء بالمحن والقحط والأمراض ويعلمون حقًّا أنها لهم عظة وتنبيه ولكنهم لا يتعظون ولا يهتدون، وإذا أُنزلت آيات تململوا منها وتغامزوا ليهربوا من المجلس قبل أن يراهم أحد. فقد أضلهم الله وصرف قلوبهم عن الهداية لجهلهم وتعطيل عقولهم عن التفكير.

ويا أيها الناس، لقد أتاكم رسول من جنسكم ليتيسر لكم التلقي والفهم عنه والتأنُّس به، وهو يؤلمه ما يؤذيكم، ويحرص على هدايتكم إلى الحق وصلاح أحوالكم، ويرؤف بالمؤمنين ويرحمهم. فإن أصرّ المشركون والكافرون على التكذيب ورأيت منهم - أيها النبيّ - إعراضًا فلا تيأس ولا تحزن، وقل لهم ولنفسك بأنك يكفيك عون الله المتفرد بالألوهية، وقد توكلتَ عليه، وهو رب العرش العظيم، وقادر وحده على العون والتوفيق في الخير.

١٠ـ سورة يونس

الجزء الحادي عشر سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ
ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

تفسير المفردات: الٓر: أحرف مقطَّعة استأثر الله بعلمها، وهي سره المكنون في كتابه العزيز. وتلك أي: هذه الآيات معظَّمةً. والكتاب: القرآن الكريم. والحكيم: المنظوم نظمًا متقنًا فيما جاء به من العقيدة والتشريع والعبادات والعلوم والمعارف والإعجاز. ١ أكان أي: ليس ولا يجوز أن يكون. والناس: أهل مكة. والعجب: المُعجب يدعو إلى الدهشة والاستغراب. وأن أوحينا أي: إنزالُنا القرآن الكريم. والرجل: الذكر من الناس. ومنهم أي: من جنسهم يألفونه ويفهمون كلامه. وأن بمعنى: أي. وأنذر: خوِّف وهدِّد. والناس: البشر. وبشِّر: أبلغ ما يَسُرّ. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. والقدم: الأجر على ما قدّمه المؤمنون من عمل. والصدق: الصلاح. وعند ربهم أي: في حكم الله وبالمنزلة المقرّبة. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وهذا أي: القرآن الكريم. والسحر: تمويه وخِداع للعقول والحواس، يخيِّل إليها ما ليس له وجود في الواقع. والمبين: البيّن. ٢ الربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وخلق: أنشأ من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والأيام: جمع يوم. وهو الوقت. فالمراد ستة أوقات غير محددة القدر. وثم استوى أي: وعلا وارتفع كما يليق به. والعرش: مخلوق عظيم يحيط بسائر المخلوقات. ويدبر: يقدّر ويقضي على الوجه الأكمل. والأمر: شأن الكائنات. وما من شفيع أي: لا وجود لمن ينصر غيره لدفع البلاء وجلب الخير. والإذن: السماح. وذلكم أي: الخالق المدبِّر. واعبدوه: قدّسوه وحده. وألا تذكرون: ألا تتذكّرون أي: اتعِظوا واتركوا الكفر. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. ٣ إليه أي: إلى ميعاد لقاء حسابه وجزائه. والمرجع: مصيركم بالبعث. وجميعًا أي: كلكم مجتمعين. ووعد أي: رجوعَ تعهّد. وحقًّا أي: وعدَ ثبوتٍ فعلًا. وإنه أي: الله تعالى. ويبدأ: يوجد من العدم. والخلق: المخلوق. ويعيده: يردّ الخلق إلى الوجود بعد عدمه. ويجزي: يكافئ. وعملوا: اكتسبوا من نية أو قول أو فعل. والصالحات: الأعمال النافعة حسّنها الشرع. وبالقسط أي: مع العدل. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والشراب: ما يُشرب. والحميم: الماء في نهاية الحرارة. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم جدًّا. وبما كانوا أي: بسبب كونهم في الدنيا. ٤ جعل: أنشأ من العدم. والشمس: النجم النهاري. وضياء أي: مضيئة. والقمر: الكوكب الليلي. ونورًا أي: منيرًا. وقدّره: وضع له المقادير المُحكَمة. والمنازل: مواقع القمر، جمع مَنزل. وهو الموضع يقع فيه القمر بالنسبة إلى الأرض بعد مسيرته يومًا كاملًا. وتعلموا: تعرفوا. والعدد: ما يُعدّ به ويُحسب. والسنون: جمع سنة. والحساب: تقدير الأوقات من فصول وأشهر وأيام وساعات. وما خلق: ما أوجد من العدم. وذلك أي: ما ذُكر في الآيات ٣ – ٥. وبالحق أي: مع الحكمة البالغة. ويفصّل: يبيّن. والآيات: الحُجج الدالة على التوحيد والقدرة. والقوم: الجماعة من الناس. ويعلمون: يتدبّرون ويفهمون. ٥ الاختلاف: التخالف في الصفات. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. ويتقون: يخافون غضب الله ويطلبون رضاه. ٦

المعنى العام: أن هذا القرآن كتاب مُحكَم، ولا يجوز للناس أن يتعجبوا من إرسال إنسان صدوق، يهدّد الكافر بالعذاب ويبشر من آمن بالخير. ولكن الكافرين اتهموه بالسحر، والله هو المعبود وحده، خلق الكون في أوقات متوالية طويلة الأمد، واستوى على العرش، يخلق الأمور ولا يشفع أحد عنده إلا بما يسمح له، وهو المتفرد بالألوهية، يحيي ويميت ويبعث الموتى للحساب والمكافأة بالعدل. فعليكم بتدبر ذلك لتتعظوا وتؤمنوا. وقد خلق الشمس مضيئة والقمر منيرًا بالحق، يكون له مواقع مختلفة لتعرفوا الأوقات في تنظيم الحياة، وجعل ما في الليل والنهار والكون أدلة على قدرته، عند من يتجنب عقابه ويطلب رضاه.

الجزء الحادي عشر — سورة يونس

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا
بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ
النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ
اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢١

تفسير المفردات: لا يرجون: لا يتوقعون ولا يخافون. واللقاء: موعد لقاء الله للحساب والعقاب. ورضوا بالحياة: قبلوها واكتفَوا بها. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منهم يعيشون فيها. واطمأنوا بها: سكنوا إليها. والآيات: النصوص القرآنية ودلائل التوحيد. وغافلون: لا يتفكرون لاستغراقهم فيما يشغلهم من الضلال. ٧ أولئك أي: الموصوفون بها في الآية المتقدمة. المأوى: المكان يُلجأ إليه. والنار: نار جهنم. وبما كانوا يكسبون أي: بسبب ما اقترفوا من نية أو قول أو فعل. ٨ وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا وتحمّلوا. والصالحات: الأعمال التي حسّنها الشرع. ويهديهم: يرشدهم إلى الخير في الدنيا والآخرة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وبإيمانهم أي: بسبب تصديقهم. وتجري: تسيل وتتدفّق. وتحتهم: تحت مساكنهم. والأنهار: جمع نهر. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها السعادة الأبدية. والنعيم: طيب العيش. ٩ دعواهم: دعاؤهم لله ونداؤه للذكر والشكر. وسبحانك: تنزيهًا لك مما لا يليق بجلالك. واللهمّ: يا ألله. والميم المشدّدة: عوض من حرف النداء. والتحية: ما يقال عند لقاء الآخرين. وسلام أي: سلامة من كل مكروه. وآخر دعواهم أي: خاتمة دعائهم في كل مجلس. وأن أي: أنّه. والحمد: الثناء بالفضيلة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعالَم: ما يدل على جنس من المخلوقات. ١٠ يعجّل الشر: يوقع الضرر قبل أوانه المحدّد. والناس: البشر. واستعجالهم: مثل طلبهم التعجيل. والخير: ما فيه النفع والسعادة. وقُضي إليهم: نُفّذ فيهم وانتهى. والأجل: المدة المقدّرة لحياة المخلوق. ونذر: نترك ونُهمل. والطغيان: تجاوز الحد بالعصيان والكفر. ويعمهون: يترددون متحيّرين. ١١ مس: أصاب. والإنسان: المخلوق البشري. والضرّ: ما يضرّ ويؤذي. ودعانا: استغاث بنا. ولجنبه أي: مضجعًا على أحد أطرافه. والقاعد: الجالس بتمكّن. والقائم: المنتصب القامة. وكشفنا: أزلنا. ومرّ: استمر على ما هو فيه من الغفلة والإعراض عن الصلاح. وكأنْ: كأنّه. وكذلك: مثل ما ذكر من الدعاء والإعراض. وزُيّن: جُعل محبّبًا إلى النفس. والمسرف: من يبذل ما يملك من المال لمطامعه. ويعملون: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ١٢ أهلكنا: دمّرنا واستأصلنا. والقرون: الأمم، جمع قرن. وقبلكم: قبل المخاطبين بالقرآن. ولمّا ظلموا: حين تجاوزوا الحد في العصيان. وجاءتهم: أتتهم. والرسل: جمع رسول. وهو المرسَل لتبليغ الدعوة مع العمل. وبالبينات: مع الدلالات على الصدق. وما كانوا ليؤمنوا أي: ما صح لهم أن يصدّقوا الله والرسل، لانهماكهم في الكفر. وكذلك أي: كما أهلكنا المذكورين قبل. ونجزي: نعاقب بالعذاب الشديد. والقوم: الجماعة من الناس. والمجرمون: من يقترفون الجرائم والكبائر. ١٣ جعلناكم: صيّرناكم، أيها المخاطَبون. والخلائف: المستخلَفون بعد مَن مضى. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وبعدهم: بعد إهلاكهم. وننظر أي: نُظهر علمنا القديم بتحقُّق ما في نفوسكم. وكيف تعملون: أيَّ عمل تكتسبون؟ ١٤

المعنى العام: أن المشغولين بالدنيا وحدها متجاهلين الآخرة والآيات جزاؤهم نار جهنم، والمؤمنين الذين يعملون الصالحات للدنيا والآخرة يرشدهم الله بسبب إيمانهم إلى الخير ونعيم الجنة، يبتهجون بتنزيه الله ويتعجبون مما تفضّل به عليهم، ويحيّي بعضهم بعضًا بالسلام والطمأنينة، ويحمدون الله كلهم على ما أنعم. وهو يقدّر مصلحة الكون، ولا يعجّل عذاب الكافرين كما يستعجلون الخير، ويتركهم ليعيشوا في باطلهم متحيرين.

وعندما يصيب الإنسان شرّ يستجير بالله وحده في كل حال من أحواله، وعندما يَكشف الله عنه ذلك يعود إلى الكفر والعصيان، ناسيًا ما كان فيه، مفتونًا بإغراء الشيطان والشهوات. وكان عليه أن يذّكّر كثرة ما أهلك الله من الأمم حين كفروا بالرسل ليتعظ ويهتدي، لأن من خلفوا بعدهم إنما يُتركون فيما يتصرّفون، ليظهر منهم ما كان يعلمه الله فيهم من العصيان، وينالوا الجزاء مثل أولئك بالعدل.

تفسير المفردات: تتلى: ترتَّل للدعوة والتبليغ. والآيات: نصوص القرآن الكريم. والبينات: الواضحات الدلالة. وقال أي: جاهر بالقول. لا يرجون: لا يتوقعون ولا يخافون. واللقاء: لقاء موعد الله للحساب والعقاب. وائت بقرآن: اخترع غيره ـ يا محمد ـ واصنعه بنفسك. وبدّله: غيّره بما يناسب مطالبهم. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. وما يكون: ما يجوز ولا يصحّ. ومن تلقاء نفسي: من قِبَل نفسي. وإن أتبع: ما أُطيع وما أتابع. ويوحى إليّ: يُنزل إليّ على لسان جبريل. وأخاف: أتوقع. وعصيت ربي: خرجت عن طاعة الله. والعذاب: التعذيب. واليوم: الوقت. والعظيم: الرهيب لا مثيل لما فيه من الأهوال. ١٥ شاء: أراد ألّا أتلوه. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وما تلوته: ما قرأته. ولا أدراكم: ما أعلمكم. ولبثت: أقمت. وفيكم أي: بينكم. والعمر: المدة الطويلة من الحياة. وقبله: قبل نزوله وتبليغه. وألا تعقلون أي: استعملوا عقولكم وتدبّروا الأُمور واستدلّوا بها على الحق لتهتدوا. ١٦ من أظلم أي: لا أحد أكثر ظلمًا. وافترى: اختلق. والكذب: ما لا أصل له في الواقع. وكذّب: كفر وجحد. وإنه أي: إن الشأن والحال. ولا يفلح: لا يسعد. والمجرمون: من يقترفون الجرائم والكفر. ١٧ يعبدون: يؤلّهون بالتقديس والطاعة. ودون الله أي: غيره. ولا يضرهم: لا يُلحق بهم الأذى بقدرته الخاصة. ولا ينفعهم: لا يوصل إليهم الخير في الدنيا والآخرة. وهؤلاء أي: الأصنام والأوثان. والشفعاء: جمع شفيع. وهو الذي ينصر غيره لدفع البلاء وجلب المنفعة. وعند الله أي: في الدنيا ليصلح معاشنا. وأتنبئون أي: محال أن تخبروا. ولا يعلم: لا يحيط به. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وسبحانه: تنزيهًا له. وتعالى: ترفّع وتعظّم. وما يشركون: ما يعبدونه مع الله من المخلوقات. ١٨ الناس: البشر. والأُمّة: الجماعة يربط بعضها ببعض دين واحد. واختلفوا: تفرّقوا واختصموا. ولولا أي: لولا وجود. والكلمة: تقدير القضاء المُحكَم. وسبقت: ثبَتت في أُمّ الكتاب. ومن ربك: من حكمه وتقديره. وقُضي بينهم: نُفِّذ في مشركي مكة ما يستحقّونه. وفيه أي: بسببه. ١٩ لولا أي: هلّا، للتحضيض والتعجيز. وأُنزل عليه آية: أُعطي القدرة على معجزة نراها بأعيننا. ومن ربه: من عند ربه الذي أرسله. والغيب: ما غاب عن العباد. وانتظروا: ترقّبوا. ومن المنتظرين أي: من المترقّبين لِما يفعل الله بكم وبنصرة الدعوة. ٢٠

الجزء الحادي عشر　　سورة يونس

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ
أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

المعنى العام: متابعة وصف أحوال الكافرين، بأن المشركين حين تتلى عليهم آيات القرآن الكريم يطلبون تغيير القرآن كله أو تبديله بشيء من صنع النبي ﷺ. وعليه أن يواجههم بأنه إنما يعمل بما يوحى إليه كما أراد الله، وهو الصادق الأمين بينهم، ويخشى عذابه إذا أخلّ بذلك، وعليهم هم أن يتفكروا في ذلك ليتعظوا، إذ أن النبي الكريم كان بينهم عمرًا مديدًا ليس معه شيء من الدعوة أو القرآن، ولو أراد الله عدم تبليغهم لما أوحى إليه ولتركهم في الضلال. وأكذب الناس من ينسب إلى الله غير الحق أو يكذّب آياته، وهو من المجرمين الذين يعبدون ما لا يفيد ولا يضر بنفسه ويزعمون أنه شفيع له ومعين، والله منزّه مما يزعمون ويدّعون، ثم هم يدّعون أنهم يعرفون ما لا يعلمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومحال أن يكون في الوجود ما لا يعلمه الله. فلْيتعظوا بما مضى قبلهم.

لقد كان الناس على دين واحد ثم اختلفوا في أنواع الضلال والشرك، وانتهى أمرهم بالاستئصال لما هم عليه من الكفر، وإنما لم يعاقَب هؤلاء المشركون لئلّا يُقضى عليهم خلاف ما يوجبه القضاء المبرم، ثم هم يطلبون المعجزات، وهي بيد الله. فلينتظروا مع النبي ﷺ ما سيكون بهم من العذاب وبالدعوة من النصر.

تفسير المفردات: أذقنا الناس: يسّرنا لكفّار مكة ومنحناهم. والرحمة: العطف بالنعم. وبعد ضراء: بعد نزول شِدّة الضرر. ومستهم: لمستهم لمسًا خفيفًا. وإذا لهم مكر: يفاجئ رحمتَهم السعيُ بالحيل والمكايد للتضليل والتشويه. والآيات: آيات القرآن الكريم والأدلة على التوحيد. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأسرع أي: أعجل تحقيقًا مما يفعلون. ومكرًا أي: مجازاة لمكرهم باستدراجهم لينالوا العقوبة الهائلة. ورسلنا أي: رسل ربّنا، جمع رسول. وهو الملَك المرسل لتسجيل أعمال الناس وأقوالهم. ويكتبون: يسجّلون. وتمكرون: تدبرون من الكيد والخداع والحيل. **٢١** يسيّركم: يجعلكم في البر راكبين ومشاة، وفي البحر راكبين وسابحين. وحتى إذا كنتم أي: فإذا صار بعضكم. والفلك: السُّفن، واحده فُلْك أيضًا. وجرين بهم: اندفعت السفن مع الراكبين. والريح: الهبّة من الهواء المتحرك. والطيبة: المناسبة للمنافع. وفرحوا بها: سُرّوا بسبب مجيئها. وجاءتها أي: توجّهت إلى الفلك وضربتها. والعاصف: الشديدة. وجاءهم: أقبل عليهم بقوة. والموج: ما ارتفع من الماء وتدافع. والمكان: الجهة. وظنّوا: أيقنوا. وأحيط بهم: أحاط بهم الهلاك من كل صوب. ودعَوُا الله: استغاثوا به وحده. ومخلصين: متجرّدين من الشرك والنفاق ومجرّدين. والدين: الدعاء. ولئن: بكَ نُقسِم إن. وأنجيتنا: أنقذتنا. وهذه أي: الشِّدّة. ونكوننّ: نصيرنّ. والشاكرون: الحامدون الموحدون. **٢٢** إذا هم يبغون: فاجأ إنقاذَهم بغيُهم يظلمون ويفسدون ويؤذون. والأرض: موطن ديارهم وما حوله. والحق: العدل الثابت. وغير الحق أي: الباطل والشرك. والناس: البشر. والبغي: الظلم. والأنفس: جمع نفْس، أي: حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والمتاع: ما يُنتفع به ويزول. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة التي يعيش فيها الناس. وإلينا أي: إلى لقاء موعدنا بعد الموت. والمرجع: الرجوع بالبعث للحساب والجزاء. وننبّئكم: نخبركم. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. **٢٣** المَثل: الصفة العجيبة تُذكر للوعظ. والماء: المطر. وأنزلناه: أسقطناه. والسماء: السحاب. واختلط: تداخل بعضه في بعض. وبه: بسبب الماء. والنبات: ما ينبت من شجر وغيره. ويأكل: يتغذّى به طعامًا أو شرابًا. والأنعام: الإبل والبقر والغنم، جمع نَعَم. وحتى إذا أخذت أي: فإذا استكملت. والزخرف: البهجة والجمال. وازّيّنت: اكتست بأنواع الأزهار والثمار. وظنّ: حسب. وأهلها: أصحابها. والقادرون عليها: المتمكنون من محصولها. وأتاها: أصابها. والأمر: القضاء بالعذاب. والليل: ما بين غروب الشمس والفجر. والنهار عكسه. وجعلنا: صيّرنا. والحصيد: المقطّع والمشتّت. وكأنْ أي: كأنّها. ولم تغن: لم يكن فيها زرع. والأمس: قبلَ مجيء أمرنا. وكذلك أي: مثلَ هذا التفصيل. ونفصّل: نبيّن.

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ
ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ
وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ
ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ
ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾
إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ
زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ
أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ
بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ
يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

والآيات: آيات القرآن الكريم والأدلة الموجبة للإيمان والتوحيد. والقوم: الجماعة من الناس. ويتفكّرون: يتدبّرون الأدلة ويتّعظون فينصرفون عن الباطل إلى الإيمان والطاعة. **٢٤** يدعو: يحثّ الناس ويرغّبهم. والدار: مكان الإقامة والاستقرار. والسلام: السلامة من كل سوء. ويهدي: يرشد ويوفق برحمته. ويشاء: يريد الله هدايته. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المؤدي إلى الحق في الدنيا والآخرة. **٢٥**

المعنى العام: كان أهل مكة قد أصابهم القحط وطلبوا من النبي ﷺ الدعاء ليؤمنوا، فلمّا جاء هم الغيث استمروا على العصيان، فنزلت الآية بأنهم يقابلون الرحمة بالكفر، والله يحاسبهم بما يناسب كفرهم ويقابل كيدهم بما يبطله مع تسجيل أعمالهم للحساب والعقاب. فهم عندما تشتد عليهم المصائب في البحر مثلًا يستغيثون به وحده متعهدين بالإيمان، ثم يعودون بعد النجاة إلى الكفر، وسيقع عليهم بلاؤه في الدنيا والآخرة، لأن مصيرهم لحسابه وعقابه.

أما منافع الدنيا فهي فانية متلاشية، كماء المطر يُسقطه الله من السحاب، ويتولّد عنه أنواع من النباتات المتداخلة لغذاء الإنسان والحيوان، حتى إذا بلغت النباتات نهاية جمالها ونضجها وتوهم أصحابها تملُّكها جاءتها العواصف وحطمتها وأفنتها كأن الأرض لم يكن فيها ذلك، والله يفصّل أدلته كذلك ويدعوهم إلى خير الدنيا والآخرة، ويهدي ويوفّق من أراد له ذلك .

تفسير المفردات: أحسنوا: جعلوا ما يكتسبونه خالصًا لله. والحسنى: أفضل المكافأة بالجنة. والزيادة: المضاعفة المضافة إلى الحسنى. ولا يرهق: لا يغطي ولا يجهد. والوجوه: جمع وجه، ما يقابل به الإنسان غيره من رأسه. والقتر: التلوّن بالسواد. والذلة: الهوان. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء لا يفارقه. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها القصور والنخيل والأعناب، وأنهار المياه والعسل واللبن والخمر. وخالدون: مقيمون أبدًا. ٢٦ كسبوا: عملوا وتحمّلوا. والسيئة: المعصية الشنيعة. والجزاء: العقاب. والمثل: المماثل في القيمة. وما لهم: ليس لهم. ومن الله أي: من غضبه وعذابه. ومن عاصمٍ أي: عاصمٌ مّا. والعاصم: الحامي. وأغشيت: أُلبست. والقِطَع: جمع قِطْعة. وهي الجزء. والليل أي: سواده. والمظلم: الشديد السواد. والنار: نار جهنم. ٢٧ يوم نحشرهم: وقت نجمعهم بالبعث للحساب. وجميعًا: كلهم مجتمعين. ونقول أي: على لسان ملائكة العذاب. وأشركوا: ألّهوا بعض المخلوقات. ومكانكم: الزموا مكانكم. والشركاء: جمع شريك، ما جعله الكافرون مشاركًا في الألوهيّة. وزيّلنا: فرّقنا. وبينهم: بين العابدين والمعبودين. وإيّانا تعبدون: تقدسوننا وتطيعوننا. ٢٨ كفى بالله: بلغ اللهُ وحده الغاية في الكفاية. والشهيد: الشاهد بالخبر القاطع للخلاف. وإنْ: قد. والعبادة: الطاعة والانقياد. وغافلين أي: ساهين لا علم لنا بها. ٢٩ هنالك أي: في ذلك الموقف العسير. وتبلو: تمتحن وتعلم. والنفس: المخلوق الإنساني. وأسلفت: قدّمت من العمل. وردّوا: أُعيد المشركون. وإلى الله أي: إلى حسابه وعقابه. والمولى: من يتولّى أمورهم ويجازيهم. وضل: غاب. ويفترون: يدّعونه من الشركاء. ٣٠ قل أي: للمشركين، أيّها النبيّ. ويرزقكم: يقدّر لكم ما تنتفعون به. والسماء: السحاب. والأرض أي: باطنها. وأم مَن أي: بل من الذي؟ ويملك السمع: يخلق سمعكم ويتصرّف فيه. والأبصار: جمع بصر، القدرة على الرؤية. ويُخرج: يظهر ويخلق. والحي: من فيه الروح. والميت: من فارقت روحه جسده. ويدبّر الأمر: يتولى تقدير شؤون الكون بحكمة ورحمة. وسيقولون: لا بدّ أن يجيبوا. والله أي: هو الذي يفعل وحده ذلك كله. وألا تتقون أي: تجنبوا إذًا غضبه والزموا طاعته. ٣١ ذلكم أي: الخالق لِما مضى ذِكره. وربكم: المعبود المستحق منكم للتأليه. والحقُّ: الثابتةُ رُبوبيّتُه بالبراهين القاطعة. والحقّ: التوحيد الثابت في العبادة. وماذا أي: لا يكون شيء. وبعد الحق أي: غيره. والضلال: الضياع في الباطل. وأنّى: كيف؟ وتصرفون: تنحرف قلوبكم مع وجود الدليل. ٣٢ كذلك أي: مثل استمرار انصراف هؤلاء عن الإيمان. وحقت: وجبتْ. والكلمة: الحكم بعذاب المصرّين على العصيان. وفسقوا: انصرفوا إلى الكفر. وأنهم لا يؤمنون أي: لكونهم لا يصدّقون الله ورسوله.٣٣

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ
كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُم مِنَ
اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩)
هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ
الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ
الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ
فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

المعنى العام: متابعة ما يكون من عاقبة الناس يوم القيامة، بأن المؤمنين لهم مكافأة أفضل بالجنة والنعيم والعزة والكرامة، خالدين بوجوه نضرة وزيادة فضل من الله، والكافرين العُصاة لهم عقاب يماثل سيئاتهم بعذاب ومذلة مع ظلمات في الوجوه من غضب الله وخلود في نار جهنم. وحين يوقفون مع معبوديهم بالقهر والعنف ويُفصل بينهم، ينكر المعبودون ما نُسب إليهم، بأن المشركين كانوا يعبدون أهواءهم وشهواتهم والمعبودون عن عبادتهم غافلون، ويستعينون بالله ليحكم بينهم، فيظهر للناس جميعًا ما فعلوا ويكون الحساب بالحق مع ضياع أباطيل المشركين.

ولو سألتهم الآن - أيها النبي - عن الخالق للكون والرزق من خيرات السحب والأرض والأقدار والقدرات والحياة والموت أجابوا أنه الله وحده. وهذا يوجب عليهم التوحيد لله مع التقوى، ومخالفةُ ذلك تعني الضلال بلا مسوّغ. وعلى هذه الحال ثبَتت عليهم الضلالة وأهوال العذاب يوم القيامة، لأنهم فاسقون لا يقبلون الإيمان.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ
إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ
مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

تفسير المفردات: قل أي: للمشركين، أيها النبيّ. ومن شركائكم أي: بعض المخلوقات التي تعبدونها مع الله. ومن يبدأ الخلق: الذي ينشئ المخلوقات من العدم. ويعيده: يردّ الميت إلى الحياة ثانية بالبعث. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأنى تؤفكون: كيف تُصرفون عن التوحيد إلى الشرك بعد هذا؟ ٣٤ يهدي: يوجّه بالأدلة والخلق. والحق: الصواب من الاعتقاد والعمل. ومن يهدي أي: الهادي. أحق: أجدر وأولى. ويتبع: يطاع ويعبد. وأمَّن: أم من. ولا يَهِدّي: لا يهتدي أي: لا يسترشد ولا يتحرك لذلك. وأدغمت التاء في الدال. وأن يُهدَى أي: حين يحرَّك ويوجّه بأيدي عابديه. وما لكم: أيُّ شيء فيكم من الضياع؟ وتحكمون: تُشرّعون الأحكام الفاسدة وتعملون بها. ٣٥ ما يتّبع: ما يتابع. وأكثرهم: غالبية المشركين. والظن: التخيّل الوهمي. ولا يغني من الحق شيئًا: لا ينفع أيّما نفع من العلم الثابت! والعليم: المحيط كاملَ الإحاطة بدقائق الأمور وخفياتها. ويفعلون: يكتسبونه من النيات والأقوال والأعمال القبيحة. ٣٦ أن يُفترى أي: مفترًى يُصطنع بالباطل. ودون الله أي: غيره. والتصديق: الموافقة والتوثيق. والذي بين يديه أي: ما كان قبله من كتب فيما مضى. والتفصيل: التبيين والتوضيح. والكتاب: المسجّل من أمر الله. والريب: الشك. ومن رب العالمين أي: من عنده وبأمره. والعالَمون: مجموع الأجناس من الخلق. ٣٧ أم يقولون أي: بل كيف يزعم المشركون؟ وافتراه: اختلق القرآنَ محمد ﷺ. واتوا بسورة: اصنعوا مجموعة من الآيات وأحضروها. والمثل: المماثل في الكيفية والحقيقة. وادعوا: استعينوا. ومن استطعتم: الذي تقدرون على الاستعانة به. وصادقين: من يقولون الحق. ٣٨ كذّبوا: أنكروا. ولم يحيطوا بعلمه: لم يتدبروا ما يتضمنه من الحق. ولما يأتهم: لم ينزل بهم بعدُ. وتأويله: وقوع ما يتضمنه من التهديد. وكذلك أي: مثل ذلك التكذيب. وقبلهم: قبل مشركي مكة. وانظر: تأمل واعتبر، أيها المخاطَب. وكان: صار. والعاقبة: النهاية. والظالمون: من يتجاوزون الحق ويكفرون. ٣٩ منهم أي: بعض المشركين. يؤمن به : سيعتقد صدق القرآن. ولا يؤمن: يصرّ على الكفر. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأعلم: مطّلع ومحيط إحاطة كاملة. والمفسدون: المصرّون على الكفر وإشاعة الفساد. ٤٠ كذّبوك: تمادَوا في تكذيبك. والعمل: ما يكسبه الإنسان ويتحمله. والبريء: المتبرئ المتباعد. ٤١ يستمعون: يدّعون أنهم يسمعون ويدركون. وتُسمع الصم أي: تقدر على هداية من لا يدرك. والصمّ: جمع أصمّ، من لا يسمع. ولو كانوا أي: مع أنهم. ولا يعقلون: لا يدَّبّرون بالتفكر الواعي لأنهم عطلوا عقولهم.٤٢

المعنى العام: متابعة إلزام الحجة للمشركين بأن يُسألوا عن قدرة معبوداتهم على الخلق أولًا وثانيًا وعلى هدايتهم إلى الصواب. والجواب أنها عاجزة عن ذلك وهي لا تتحرك إلّا إذا حركوها هم، والله وحده هو الخالق أولًا وثانية بالبعث والهادي إلى الصواب. فهو المعبود بحق وحده، لأن العاجز لا يستحق العبادة وعابديه يتبعون الأباطيل والأوهام بالظنون والأخيلة، وهي لا تفيد شيئًا في مجال الحق الثابت قطعًا.

ومحال أن يأتي أحد بالقرآن من عند غير الله، ثم هو توثيق للكتب قبله ولِما أمر به الله وشرّع، لا شك في ذلك. ومع هذا فالكافرون يدّعون أن محمدًا ﷺ صنعه. فليأتوا بشيء يماثله في التشريع والعلوم والتوجيه والإعجاز البياني، مستعينين بما يستطيعون، إن كانوا صادقين. إنهم أنكروا ما لم يفهموا حقيقته، وسارَعوا إلى تكذيبه دون أن يطّلعوا على ما فيه من الشواهد والأدلة القاطعة وما لم يتحقق بعدُ مما يحمله من التهديد. فلا بد أن يكون لهم ما جرى على الكافرين قبلهم من عقاب يقع موقعه من العدل والكمال، فبعضهم يؤمن، وبعض يبقى على كفره، والله يعاقبه بما يستحق من الانتقام. وإذا استمروا في تكذيبهم فأخبرهم ـ أيها النبي ـ أن لكل إنسان عمله، ولن تستطيع هداية من يستمع قولك وهو مغلِق أذنيه وعقله عن الإدراك و التفكير، إلّا إذا هداه الله.

تفسير المفردات: منهم: بعض الكافرين. وينظر: يوجّه بصره. وتهدي: ترشد إلى الحق. والعُمي: جمع أعمى، من عطل بصيرته. ولو كانوا أي: مع أنهم. ولايبصرون: لايدركون حقيقة ما يرون لفقد التنبه والبصيرة. ٤٣ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا يظلم شيئًا: لا يجور أيّما جور! والناس: البشر. و أنفسهم يظلمون أي: يسببون لها وحدها الهلاك. والأنفس: جمع نفْس، أي: الإنسان بروحه وجسده. ٤٤ اليوم: الوقت. ويحشرهم: يبعثهم ويجمعهم بالقهر للحساب والجزاء. وكأنْ أي: كأنّهم. ولم يلبثوا: لم يقيموا في الدنيا. والساعة: المدّة القصيرة. والنهار: اليوم. ويتعارفون بينهم: يعرف بعضهم بعضًا فيما بينهم حين البعث. وخسر: ضيّع ما كان ينتظر من الرّبح. وكذّبوا: أنكروا ولم يصدّقوا. ولقاء الله: المصير إلى بعثِه للموتى وحسابِهم. ومهتدين أي: مسترشدين إلى الحق والخير. ٤٥ إمّا نرينّك: إنْ نبصّرنّك عِيانًا. وما: حرف زائد للتوكيد. والبعض: الجزء. ونعدهم: نتوعدهم به. ونتوفينّك: نستوفينّ روحك الشريفة قبل ذلك. وإلينا: إلى لقاء موعدنا لهم بالبعث. والمرجع: المصير للحساب والجزاء. والشهيد: الحاضر المطّلع. ويفعلون: يكتسبونه. ٤٦ الأمة: الجماعة من الناس. والرسول: من أُرسل بالتوحيد والشرع. وجاء: حضر يومَ القيامة للشهادة. وقضي: حُكم ونُفِّذ. وبينهم أي: بين الرسول ومن أرسل إليهم. والقسط: العدل المطلق. ولا يظلمون: لا يجار عليهم في الحساب.٤٧ يقولون

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ
النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ
أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

أي: قال مشركو قريش ومن تابعهم للتعجيز والتهكم. ومتى الوعد: أيُّ زمن وقت ما نهدَّد به؟ وصادقين أي: تقولون الحق. ٤٨ قل أي: لهم، أيها النبيّ. ولا أملك: ليس باستطاعتي. والنفس: حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وضرًّا أي: دفع ما يؤلم ويؤذي. ونفعًا أي: جلب ما يَسر ويُسعد. وشاء: أراد وقدّر. ولكل أمة أجل أي: لكل جماعة وقت محدد لهلاكها. وجاء: حان. ولا يستأخرون: لا يتأخرون عن ذلك. ولايستقدمون: لا يتقدّمون عليه. ٤٩ أرأيتم: تفكّروا لتعلموا وأخبروني. وأتاكم: أصابكم. وعذابه: تعذيب الله إياكم. والبيات: وقت قضاء الليل بالغفلة. والنهار: وقت الانشغال بالمصالح. وماذا يستعجل منه: أيَّ شيء عظيم يطلب تعجيل وقوعه من العذاب؟ والمجرمون: الذي يقترفون الشرك. ٥٠ أإذا وقع: أحين يحصل العذاب. وآمنتم به: تيقنتم أنه حق. وآلآن أي: أفي ذلك الوقت الحاصل فيه العذاب تؤمنون؟ وتستعجلون: تطلبون التعجيل. ٥١ وقيل أي: يقال للتبكيت والتعنيف. ظلموا: كفروا. وذوقوا أي: تناولوا وقاسوا. والعذاب: التعذيب. والخلد: البقاء الأبدي. وهل تجزون: ما تعاقبون. وبما كنتم تكسبون: بسبب ما جلبتموه لأنفسكم من جزاء للكفر والعصيان. ٥٢ يستنبئونك: يستخبرونك. والحق: الثابت الواقع لا محالة. وهو أي: ما هدّدتنا به. و إي وربّي: نعم أُقسمُ بربّي. وما أنتم: لستم. وبمعجزين أي: قادرين على الهرب منه. ٥٣

ربع الحزب ٢٢

المعنى العام: متابعة وصف حال الكافرين بأن بعضهم ينظرون إلى النبي ﷺ دون انتباه، فلن يستطيع إرشاد المتعامي وهو يُعمي بصيرته، والله لايظلم الناس وإنما هم يظلمون أنفسهم.

فإذا كان يوم القيامة ظن المحشورون لشدة الهول وامتداد تتابعه أنهم قضوا قليلًا في الدنيا، ويعرف بعضهم بعضًا دون فائدة إذ يخسر الكافرون الضالون ما كانوا يتوقعون. فمهما كان من رؤيتك بعضَ عذابهم أو موتك قبله فنحن نريك عذابهم العظيم يوم القيامة، والله شاهد ما يفعلون، يحاسب بالحق والعدل. وحين يحضر رسول الأمة تحاسب لينال كل منها جزاءه.

وهؤلاء المشركون يسخرون بتهديدهم، ويتساءلون عن وقت حصوله، وجوابك لهم أنك لاتعرفه ولا تملك لنفسك ما لم يقدّره الله، وأنه لكل أمة وقت محدد لهلاكها لا يتغير. واسألهم أيضًا أن يخبروك: ألا يندمون حين يقع بهم ليلًا أو نهارًا، وكانوا يستعجلونه؟ وأيَّ شيء عظيم تستعجلون؟ أتؤمنون حين وقوعه، بدون جدوى؟ سينزل بهم عقاب ما فعلوا. وهم يسخرون بوقوعه مع أنه لا شك فيه، ولن ينجوا منه.

تفسير المفردات: لو أي: لو حصل. والنفس: الإنسان المكلف. وظلمت: وضعت الكفر موضع الإيمان. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وافتدت به: بذلته لتنجو من العذاب. وأسرّوا: كتم الكافرون وأخفَوا. والندامة: الحسرة والأسف على ما كان منهم في الدنيا. ولما رأوا: حين عاينوا بحق. والعذاب: ما سيكون في النار من التعذيب. وقضي: فُصل وحُكم. وبالقسط أي: مع العدل. ولا يظلمون: لا يجار عليهم بنقص حسنات أو زيادة سيئات. **٥٤** ألا أي: حقًّا. ما في السماوات والأرض أي: وما بينهما وما في الكون كله من الخلق. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والوعد: التعهد بما سيكون. والحق: الواقع حتمًا. وأكثرهم: غالبية الكافرين. ولا يعلمون: لا يعرفون ثبوت ذلك. **٥٥** هو أي: الله تعالى. ويحيي ويميت: يخلق الحياةَ في الأموات والموتَ في الأحياء. وإليه أي: إلى لقاء موعده. وتُرجعون: تَصيرون بالبعث للحساب والجزاء. **٥٦** الناس: البشر. وجاءتكم: وصلت إليكم. والموعظة: الهداية إلى ما ينفع مع النصح بإخلاص. ومن ربكم: من عنده وبأمره. والشفاء: الدواء الشافي. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب. والهدى: الإرشاد إلى الحق. والرحمة: العطف للإنقاذ من الضلال. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. **٥٧** الفضل: التفضل بزيادة الخير. وذلك وهو أي: ما ذكر من الرحمة والفضل. ويفرح: يَسعد. وخير أي: أكثر نفعًا في الدنيا والآخرة. ويجمعون: يحصّلونه ويتملكونه. **٥٨** أرأيتم: تفكروا واعلموا وأخبروني.وأنزل: خلق. والرزق: ما ييسّر للإنسان من متاع الدنيا وزينتها. وجعلتم أي: حكمتم عليه. والحرام: المحرَّم. والحلال: المحلَّل. وآلله أذن لكم أي: أالله أعلمكم؟ وأم تفترون: بل تكذبون. **٥٩** ما ظن: أيُّ شيء توهُّم. ويفترون أي:يصطنعون. والكذب: ما ليس له أصل في الواقع. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم للحساب. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وذو فضل أي: صاحب الإحسان بزيادة النعم دون غيره. والناس: البشر. ولا يشكرون: لا يستحضرون النعم ولا يثنون على معطيها. **٦٠** ما تكون: لا تعمل. والشأن: الشيء المقصود. وما تتلو: ما تقرأ. ومنه أي: من القرآن الكريم. والقرآن: ما أوحاه الله من الكلام المعجز. ولا تعملون: لا تفعلون من نية أو قول أو فعل. والشهود: جمع شاهد. وتفيضون: تأخذون وتتابعون. وفيه: في العمل. وما يعزب: ما يغيب. وعن ربك أي: عن علمه. ومن مثقالِ أي: وزنُ. والذرة: أصغر جزء مما يكوّن المادة. والأصغر: الأقل. وذلك أي: مثقال الذرة. والأكبر: الأضخم. والكتاب: سِجِلّ اللوح المحفوظ. والمبين: البيّن جدًّا. **٦١**

الجزء الحادي عشر — سورة يونس

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي
ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

المعنى العام: أنه لو ملك الإنسان الكافر ما في الدنيا لحاول أن يفتدي نفسه به من العذاب ولكن لا يجديه ذلك، وهناك يخفي الكافرون حسرتهم، ويحكُم بينهم بالعدل المطلق. والحق أن الله يملك جميع المخلوقات، وما يعد به حقّ لا شك فيه، ويملك الموت والحياة والحساب يوم القيامة. فيا أيها الناس، لقد أتتكم موعظة الله، لشفاءِ النفوس من الكفر وهدايةِ المؤمنين.

وقل لهم أيها النبي: إن هذا الهدى فضل الله يجب أن يفرحوا به لأنه أفضل مما في الدنيا كلها. وأخبروني هذا الذي تحرِّمون وتحللون من الرزق آلله أمركم به؟ لا بل أنتم تكذبون، وما الذي تظنونه بالله يوم القيامة؟ أتحسبون أنكم لا تعاقَبون، وهو يتفضل عليكم بالنعم، ولكن أكثركم يكفرونها وينسبونها إلى معبوداتهم؟

ثم إن كل عمل تقوم به أنت أو غيرك من الناس يعلمه الله حين وقوعه، ولا يغيب شيء من ذلك عنه أيضًا، مهما كان صغيرًا أو كبيرًا ظاهرًا أو خفيًّا، بل هو ثابت في اللوح المحفوظ، الذي يتضمن ما كان وما سيكون في الدنيا والآخرة من مبرَم ومحتمل.

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ
﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ
ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ
سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ
لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

تفسير المفردات: ألا أي: حقًّا. والأولياء مفرده وليّ، مَن يتقرب إلى الله بالطاعة، ويتقرب إليه الله بالرحمة والإكرام. ولاخوف عليهم أي: لايعتريهم ما يوجب الفزع مما سيكون. ولا يحزنون: لا يغتمّون لِما مضى. ٦٢ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ويتقون: يتجنبون غضب الله ويلتزمون طاعته ورضاه. ٦٣ البشرى: البِشارة بالخير. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. والآخرة: البعيدة تكون يوم القيامة بالبعث بعد الموت. ولا تبديل: لا تغيير. والكلمات: الأحكام والمواعيد والمعلومات. وذلك أي: كون البشرى للمؤمنين. والفوز: الظفر بالخير. والعظيم: الذي لا مثيل له. ٦٤ لا يحزنك: لا يغمّك ولا يؤلِمْك ودم على اطمئنانك. وقولهم أي: ادّعاء المشركين عليك ما يشيعونه من الأباطيل. والعزة: القدرة والغلبة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وجميعًا: مجموعة كاملة. والسميع: المبالغ في إدراك المسموعات. والعليم: المحيط علمه بدقائق الأمور وخفاياها. ٦٥ مَن أي: الناس والملائكة والجنّ. والسماء: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وما يتّبع: ما يطيع. ويدعون: يعبدون. ودون الله: غيره. والشركاء: جمع شريك، من يجعله الكافرون مشاركًا لله في التقديس والطاعة. وإنْ يتبعون: ما يطيعون في عبادة الشركاء. والظن: التوهّم والتخيّل للباطل. وإن هم أي: ليسوا. ويخرصون: يكذبون في اتّباع الظنّ والأباطيل. ٦٦ هو أي: الله تعالى. جعل لكم: خلق لأجلكم من العدم. والليل: ما بين غروب الشمس والفجر. والنهار عكسه. وتسكنوا: تستريحوا من تعب النهار في الليل، أيها البشر البشر. والمبصر: المضيء يُبصِر الخلق فيه ما يحتاجون إليه. وذلك إشارة إلى جعل الليل والنهار كما ذُكر. والآيات: الدلالات على الوحدانية، جمع آية. والقوم: الجماعة من الناس. ويسمعون: يُدركون ما يُسمع ويعُون ما فيه من الحق. ٦٧ قالوا أي: اليهود والنصارى وبعض العرب. واتخذ ولدًا: أنجبه وصنعه وتبنّاه. والولد هنا: الأولاد. وسبحانه: تنزيهًا له عما يزعمه المشركون والكافرون. والغني: المستغني بذاته عمن سواه. وما في السماوات وما في الأرض أي: وما بينهما وغيرهما أيضًا مما في الكون. فقدجاء في الأثر أن لله سبعة عشر ألفَ عالَم، واحد منها هو السماوات والأرض. وإن عندكم من سلطانٍ: ما عندكم حُجّةٌ. وبهذا أي: على الذي تزعمونه. وأتقولون: لا تكذبوا وتختلقوا. وما لا تعلمون: ما لم يأتكم به علم يقيني.٦٨ قل أي: لهم، أيها النبيّ.ويفترون: يختلقون ويكذبون. والكذب: ما يخالف الواقع وليس له أصل. ولا يفلحون: لا يفوزون بمطلوب ولا خير. ٦٩ المتاع: ما يكون للانتفاع ثم يزول. وإلينا أي: إلى لقاء موعدنا يوم القيامة. والمرجع: الرجوع بالبعث للحساب والجزاء. ونذيقهم: ننزل بهم ونحمّلهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: الفظيع. وبما كانوا يكفرون أي: بسبب ما كانوا يكذّبون ويفترون الأباطيل في الشرك. ٧٠

المعنى العام: أن أولياء الله في طمأنينة ونجاة وسرور، لِما هم عليه من الإيمان الصادق والتقوى، يبشرهم بما يسرّهم في الدنيا والآخرة. وذلك ثابت متحقّق لا تغيير فيه، وهو الظفر الذي ليس له مثيل في الدنيا كلها. فتحمّل -أيها النبيّ- ما يقوله الكافرون ولا تتأثر به لأن الله يجزيهم بذلك، وله القوة والعلم بما يفعلون، ومُلك المخلوقات جميعًا، وليست ادّعاءات المشركين غير أوهام يتبعون فيها الأباطيل، وقد خلق الله آيات الليل والنهار لتيسير مطالب حياتهم، وهم يزعمون له أولادًا بالباطل. فاليهود جعلوا عُزيرًا ابن الله، والنصارى جعل بعضهم عيسى ابن الله أيضًا، وبعض العرب زعموا أن الملائكة بنات الله، وكل ذلك مزاعم باطلة. والله منزّه عن تلك المزاعم، وغني عن المخلوقات جميعًا بملكه وسلطانه، وللكافرين متاع زائل وخسارة ثم عذاب شديد على تكذيبهم وافتراء ما يزعمون.

تفسير المفردات: اتل عليهم: اقرأ على الكفار والصحابة، أيها النبيّ. والنبأ: الخبر العظيم. ونوح: النبي الرابع بعد آدم وشيث وإدريس، وأول من كذّبه قومه فيما نعلم. والقوم: جماعة الإنسان هو منها ويعيش فيها. وكبر: ثقل. ومَقامي: طول قيامي فيكم للدعوة. والتذكير: الوعظ. والآيات: ما أُوحي إلى نوح والأدلةُ التي كان يبيّنها لقومه. وعلى الله توكلت أي: فوضت أمري إليه وحده. وأجمعوا أمركم: اعزموا على ما تقصِدون. والشركاء: جمع شريك، ما كانوا يعبدونه من الأصنام. ولا يكن: لا يصبح. وأمركم: قصدكم. وغمة أي: مستورًا. واقضوا إليّ: نفِّذوا فيّ ما تريدون. ولا تُنظرون: لا تُنظروني، أي: لا تُمهلوني. وحذفت الياء للتخفيف وموافقة لفظ فواصل الآيات. ٧١ توليتم: استمررتم في الإعراض. وما سألتكم: ما طلبت منكم. ومن أجرٍ أي: مكافأةً. وإن أجري: ليس ثوابي. وعلى الله أي: حاصل بفضله. وأمرت: فُرِض عليّ. وأكون: أصير. والمسلمون: المنقادون لحكم الله. ٧٢ كذّبوه أي: أصرّوا على تكذيبه. ونجيناه: أنقذناه. ومن معه أي: المؤمنون والمؤمنات. والفلك: السفينة. وجعلناهم: صيّرناهم. والخلائف: جمع خليفة، من يرث غيره في التملك. وأغرقنا: أهلكنا خنقًا بالماء. وكذّبوا: أنكروا وكفروا. وانظر: تأمّل وتدبّر، أيها النبيّ. والعاقبة: النهاية. والمنذَرون: الذين بلغهم الوعيد بالعذاب. ٧٣ بعثنا: أرسلنا للتبليغ. والرسل: جمع رسول. وهو المرسَل.

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

نصف الحزب ٢٢

وجاؤوهم: أتوهم. وبالبينات أي: مع المعجزات. وما كانوا ليؤمنوا أي: ما قصد المشركون الإيمان لِما هم عليه من الكفر. وقبلُ أي: قبلِ مجيء الرسل إليهم. وكذلك: مثل ذلك الختم الذي كان على قلوب الأقوام الماضية. ونطبع: نختم. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبُّر والاعتقاد والانفعال. والمعتدون: المُبالغون بكفرهم.٧٤ موسى: أعظم نبي لليهود. وهارون: أخوه بُعث معه للدعوة. وفرعون: ملك مصر في زمن موسى. والملأ: أشراف القوم يملؤون المجالس بأجسامهم والعيون بتفاخرهم ويتمالؤون على الباطل. والآيات: المعجزات. واستكبروا: ادّعوا التعالي بغير حق. والمجرمون: الذين يقترفون الكفر والإجرام. ٧٥ جاءهم: أتاهم. والحق: الثابت من المعجزات. ومن عندنا أي: بأمرنا وتقديرنا. قالوا أي: جاهروا بالقول. والسحر: ما يوهم الأبصار والإدراك ويبدو على غير حقيقته. والمبين: الواضح البيان. ٧٦ أتقولون: كيف تزعمون؟ وللحق أي: عن الحق. ولمّا جاءكم: حين مجيئه إليكم. وأسحر أي: ليس من السحر بل هو الحق الثابت بلا شك. ولا يفلح: لا يظفر بخير. والساحرون: من يقومون بخداع العقول والحواس بالأباطيل. ٧٧ أجئتنا أي: لقد أتيت إلينا. وتلفتنا: تردنا. وما وجدنا عليه آباءنا أي: عبادة الأصنام وفرعون. والآباء: جمع أب. وهو الوالد والجدّ. وتكون: تصير. والكبرياء: التكبر والتسلط. والأرض: مصر وما حولها . وما نحن أي: لسنا. وبمؤمنين أي: مصدّقين. ٧٨

المعنى العام: اقرأ للوعظ والتنبيه - أيها النبيّ - على مشركي مكة والمؤمنين ما كان من أمر نوح حين أكثر دعوة قومه المشركين، واستثقلوا طول حياته ودعوته لهم وتذكيرهم بأدلة التوحيد، ويئس منهم متوكلًا على الله، وتحداهم أن يفعلوا مع معبوداتهم ما يستطيعون لإيذائه دون تهيب أو تريث، وبيَّن لهم أنه لا يريد منهم شكرًا ولا مكافأة، لأن ثوابه عند الله الذي أمره بالدعوة والإسلام، فازدادوا تكذيبًا له، وأنقذه الله مع المؤمنين بالسفينة من الغرق. ومن يتأمل ذلك يجد أنه عقاب وقع موقعه، على أحسن ما يكون.

ثم جاءت رسل بعده بالمعجزات والحجج المصدّقة للتوحيد وصدقهم، فكذبتهم الأقوام كعادتهم في تقبل الدعوات، بقلوب مغلقة لا تقبل الخير. وكذلك ما كان لموسى وهارون مع فرعون وقومه، حين استكبروا وكذبوا المعجزات، وزعموا أنها سحر، فقال لهم موسى: كيف تزعمون أنها سحر، مع أنها معجزات لله، ولن ينجح الساحر في مقاصده؟ ولكنهم اتهموه أنه يريد صرفهم عن الشرك، ليسيطر عليهم ويكون ملكًا في مصر بدل فرعون، وأعلنوا له أنهم لن يصدقوه أبدًا .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

تفسير المفردات: ائتوني: أحضروا لي. والساحر: من يقوم بخداع العقول والحواس. والعليم: الماهر يفوق أقرانه في عمله. ٧٩ جاء السحرة: وصلوا إلى مكان الاحتفال. والسحرة: جمع ساحر. وألقُوا: اطرحوا على الأرض. ٨٠ جئتم به: فعلتموه. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وسيبطله: لا بدّ أن يمحقه. ولا يصلح: يفسد ويهدم. والعمل: ما يُكتسب من النية والقول والفعل. والمفسدون: الذين يشيعون الشر والفساد. ٨١ يحق: يُثْبت.والحق: الأمر الواقع كما يجب. وكلماته: مواعيده وأحكامه. ولو كره المجرمون: على الرغم من كرههم إحقاقه. والمجرمون: الذين يقترفون الجرائم والكفر. ٨٢ ما آمن لموسى: ما صدّقه ولا اتّبعه. والذرّيّة: القليل من الرجال والنساء. وقومه أي: قوم موسى من بني إسرائيل والسحرة. وعلى خوف: مع توقع الشر. والملأ: رؤساء الذرية وأسيادهم يملؤون المجالس بأجسامهم والعيون مهابة ويتمالؤون على الباطل. ويفتنهم: يمنعهم بالتعذيب عن دين موسى. وهو الإسلام والتوحيد. والعالي: المتجبّر. والأرض: مصر وما حولها. والمسرفون: المتجاوزون للحد في الكفر والفساد.٨٣ قوم أي: قومي. وهم بنو إسرائيل. حذفت الياء للتخفيف. وآمنتم: عرفتْ قلوبكم التوحيد وما يلزمه. وعليه توكلوا: فوّضوا أموركم إليه وحده. ومسلمين: منقادين لحكمه وطاعته. ٨٤ ربّنا أي: يا ربّنا. ولا تجعلنا فتنة: لا تصيّرنا سبب إضلال. والظالمون: المتجاوزون للحد بالكفر والعصيان. ٨٥ نجّنا: أنقذنا. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن القوم: من جماعة فرعون وظلمهم. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة موسى. ٨٦ أوحينا: أمرنا على لسان جبريل. وأخوه: هارون. وأن بمعنى: أي. وتبوأا: اتّخذا واجعلا. ومصر: البلد الكبير المعروف غربي فلسطين. والبيوت: جمع بيت. وهو بعض الدار كالغرفة. واجعلوا: صيّروا، أيها المؤمنون. وبيوتكم أي: التي اتُّخذت من دوركم. والقِبلة: مكان الصلاة. وأقيموا الصلاة: حافظوا على أدائها بشروطها وأركانها وآدابها. وبشّر: أخبر - يا موسى - بما يَسرّ ويُسعد من العاقبة المحمودة. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله يقينًا. ٨٧ آتيت: أعطيتَ. والزينة: ما يُتزيّن به من اللباس والأثاث والمراكب. والأموال: جمع مال. وهو ما كان من الذهب والفضة والمتاع. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منهم يعيشون فيها. وليُضلوا أي: فهم يصرفون الناس. والسبيل: الدين. واطمس على أموالهم: أهلكها وامحقها. واشدد: شُدَّ بالمكاره والبلاء. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. ولا يؤمنوا: لا يصدّقوا توحيد اللهِ والبعث ودعوة الرسول. ويروا العذاب: ينزل بهم التعذيب فيبصروه ويعانوا ما فيه. والأليم: المؤلم جدًّا.٨٨

المعنى العام: متابعة ما كان من قصة موسى بأن فرعون أصرّ على الكفر وأمر بإحضار علماء السحرة في بلاده ليغلبوا موسى فيما يظن أنه سحر، ولما اجتمع الناس طلب موسى من السحرة أن يعرِضوا ما يستطيعون، وألقوا حبالهم وعصيّهم لخداع بصائر الناس وعيونهم، فقال لهم موسى: إن ما فعلوه سحر والله يمحق عمل الأشرار ويثبت الحق بأمره، على الرغم منهم ومن فرعون.

وكذلك ما حصل، فآمن بعض بني إسرائيل وهم خائفون بطش فرعون وأعوانه لِما هم عليه من الجبروت والطغيان، ونصحهم موسى بالتوكل على الله إن كانوا مؤمنين، واستجابوا له وطلبوا العون والنجاة من عذاب المستبدين، وأُمروا بالصلاة في بيوتهم نحو القبلة. وهي القدس حينذاك. ثم دعا موسى على الكافرين، لأن ما أعطاهم الله من الملك والغنى أفسدوا به الناس، وطلب من الله أن يمحق ذلك ويُنزل بالكافرين أنواع العذاب الشديد والمحن القاسية حتى يُضطرّوا إلى الإيمان.

تفسير المفردات: قال أي: الله - عز وجل - لموسى وهارون الذي كان يؤمّن على دعاء أخيه. وأجيبت: قُبلتْ ولُبّيتْ. والدعوة: طلب عقاب الكافرين. واستقيما: دوما على الصلاح والدعوة ولا تستعجلا العقاب. ولا تتبعانّ: لا تسلكانِّ. والسبيل: الطريق والتوجّه. والذين لا يعلمون: الجُهّال لا يدركون حكمة القضاء في الوعود والتهديد. ٨٩ جاوزنا ببني إسرائيل: جعلناهم يتجاوزون. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب من أبنائه. والبحر: بحر القُلزُم المعروف الآن بالأحمر. وأتبعهم: لحقهم. وفرعون: ملك مصر في ذلك الوقت. والجنود: جمع جند، واحده جندي، من أُعِدّ للحرب والقتال. والبغي: طلب الاستعلاء بالباطل. والعدْو: العدوان وتجاوز الحد بالظلم. وحتى إذا أدركه أي: فلما قارب القضاءُ على فرعون. وهو الغرق: الاختناق بماء البحر. وآمنت: عرفتُ بقلبي. والإلّه: المعبود بحق وحده. وآمنت به: صدّقته واتّبعت أمره. والمسلمون: الذين يستسلمون لأمر الله. ٩٠ آلآنَ أي: أفي هذه اللحظة من قرب الموت تؤمن وتقرّ بالعبودية؟ وعصيت: دمت على الخروج من الطاعة. وقبلُ: قبلَ الآنَ. والمفسدون: المقترفون للشر يُشيعون الفساد باختيار وقصد. ٩١ اليوم: الزمن الذي كان فيه الغرق. وننجّيك: نخرجك بأن يقذفك البحر إلى البر. وببدنك أي: مصاحبًا جسدك وحده، بلا روح ولا حياة . وتكون: تصير. وخلفك: بعدك. والآية: العِبرة. والكثير: العدد الوافر. والناس: البشر. والآيات: الدلائل على وحدانية الله وصفاته العُلا. وغافلون أي: ساهون لا يتنبهون ولا يعتبرون. ٩٢ بوّأنا: أنزلنا. والمبوّأ: المنزل. والصدق: الصالح المحمود يصدق فيه الظن الخيّر. ورزقناهم: خلقنا لهم ما ينتفعون به. والطيبات: ما يُستلذ من الطعام والشراب والمتاع. وما اختلفوا: ما تنازعوا في الدين. وجاءهم: أتاهم من عند الله وكُلّفوا به. والعلم: علم التوراة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويقضي: يحكم بالحق. واليوم: الزمن. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث. وكانوا أي: وما زالوا. وفيه يختلفون: بسببه يختصمون. ٩٣ الشك: الارتياب. وأنزلنا: أوحيناه في القرآن. واسأل: استخبر. ويقرؤون: يتلون. والكتاب: التوراة. وجاءك: أتاك بالوحي. والحق: ما ثبَتَ وقوعه. ومن ربك: من عنده وبأمره. ولا تكونن من الممترين أي: دم على حالك من اليقين. والممترون: الذين يشكون في صحة ذلك. ٩٤ كذّبوا: جحدوا وكفروا. والآيات: النصوص القرآنية والأدلة الكونية على التوحيد. وتكونَ: تصير. والخاسرون: الذين فسد عملهم وأهلكوا أنفسهم وما ينتظرون من الخير. ٩٥ حقت: وجبت. وكلمة ربك: علمه وقضاؤه بما يناسب الإصرارَ على الكفر والعصيان. ولا يؤمنون: لا تعرف قلوبهم التوحيد والتصديق لله والرسول. ٩٦ جاءتهم: أتتهم كما يطلبون. والآية: المعجزة والدلالة على التوحيد. ويروا العذاب: يصيبهم فيقاسوا شِدّته. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم جدًا. ٩٧

سورة يونس | الجزء الحادي عشر

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ
فَمَا اخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ
الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

المعنى العام: متابعة قصة موسى وفرعون بأن الله أجاب دعوة موسى وهارون بعقاب الكافرين، وأمرهما بالطاعة والاستقامة، فمحق أموال الكافرين، وصبّ عليهم أصناف العذاب، ثم يسّر عبور البحر لموسى وبني إسرائيل، بأن صار لهم أرض يابسة بارزة بين الأمواج الخفيض المنشقة، ولمّا لحقهم فرعون وجنوده للبغي والعدوان انخفضت الارتفاعات وانطبقت عليهم الأمواج. حينذاك اعترف فرعون بالإيمان والعبودية، فأنكر جبريل عليه فائدته، لأنه إيمانٌ وقت الموت، ثم أنقذ الله جثته ليراها الناس في مَومياء محنّطة عبرة وعظة. وقد يسر الله للمؤمنين مكانًا يلجؤون إليه من التشرد، ورزقهم أنواع الطيبات، ولمّا جاءتهم التوراة بالهداية تنازعوا في العقيدة والشريعة.

وفي هذا ذم لهم ولقريش، لأن العلم يجب أن يكون سببًا للاتفاق. فإذا راودك شك في هذه الأخبار - أيها النبي وهو مستبعد عنك ـ فاسأل علماء التوراة عن ذلك. ومحال أن يؤمن جبابرة المشركين إلّا حين ينزل بهم العذاب فلا ينفعهم الإيمان كما جرى لفرعون.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ
جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

تفسير المفردات: لولا: هلّا، للتوبيخ والتشنيع. والقرية: البلدة، أي: أهلها. وآمنت: صدقت الله ورسوله قبل نزول العذاب بها. ونفعها إيمانها أي: قَبِلَه اللهُ منها، فكشف عنها العذاب وتاب عليها. وقوم يونس: أهل نِينَوَى قرب المَوصل من العراق، كانوا يعبدون الأصنام. ولمّا آمنوا: حين صدّقوا الله ورسوله يقينًا. وكشفنا: منعنا. والخزي: الغضب والإذلال. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منهم يعيشون فيها. ومتعناهم: هيّأنا لهم ما ينتفعون به من الخيرات. والحين: الوقت المحدّد لموتهم. ٩٨ شاء: أراد الإيمان للناس. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وجميعًا أي: مجتمعين لا يتخلف منهم أحد. وأأنت تُكره أي: لن تستطيع أن تُجبر، أيها النبيّ. والناس: البشر الذين حولك. ويكونوا: يصيروا. ٩٩ ما كان: ما صح وما استقام. والنفس: الفرد من المخلوقات العاقلة. وتؤمن: يعرف قلبها التوحيد وما يلزمه. وبإذن الله أي: مع إرادته وتوفيقه. ويجعل: يقدّر ويُوقع. والرجس: العذاب والفساد. ولا يعقلون: لا يستعملون عقولهم للتدبر والاتعاظ. ١٠٠ قل أي: للكفار، أيها النبيّ. وانظروا: تأملوا بالأبصار والبصائر. وماذا أي: الذي. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وما تغني عن قوم: لا تكفيهم ولا تنفعهم. والآيات: البراهين الدالّة على التوحيد. والنذر: جمع نذير، الرسول يهدّد بالعذاب من يصرّ على الكفر. والقوم: الجماعة من الناس. ولا يؤمنون: لا تعرف قلوبهم التوحيد. ١٠١ هل ينتظرون أي: لا يتوقّعون بعد تكذيبك ونتيجة له. والمِثل: المُماثل. والأيام: جمع يوم. وهو زمن الوقيعة التي كانت فيه. وخلوا: هلكوا ومضوا. وقبلهم: قبل مشركي مكة. والمنتظرون: المتوقعون المراقبون. ١٠٢ ننجّي: نُنقذ من العذاب. والرسل: جمع رسول. وهو المكلف بالدعوة مع العمل. وكذلك أي: مثل ذلك الإنقاذ. وحقًّا أي: واجبًا ذلك المثل بتعهد الرحمة والفضل. وننجِ: ننجي، حذفت الياء رسمًا للتخفيف بالتقاء الساكنين في اللفظ. ١٠٣ الناس: البشر. والشك: التردد بين الإثبات والإنكار. والدين: العقيدة والشريعة، الإسلام دين التوحيد. ولا أعبد: لا أقدّس ولا أطيع. والذين تعبدون: الأصنام التي تقدّسونها. ودون الله: غيره. ويتوفاكم: يستوفي أرواحكم. وأمرت: أُعلمتُ وأُلزمت. وأكون: أصير. والمؤمنون: الذين أيقنوا بما دل عليه العقل ونطق به الوحي. ١٠٤ أن أقم وجهك أي: بأن سدّد نفسك للإقبال على ما أُمرتَ به. والحنيف: المتوجّه إلى التوحيد. ولا تكونَنّ: لا تصيرنَّ. والمشركون: الذين يدعون مع الله بعض المخلوقات. ١٠٥ لا تدع: لا تعبد. ولا ينفع: لا يجلب الخير. ولا يضر: لا يجلب بنفسه الضرر والإيذاء. وفعلت: اكتسبت ما نُهيتَ عنه. وإذًا أي: إن فعلت ذلك. والظالمون: الكافرون تجاوزوا الحد بالشرك. ١٠٦

المعنى العام: أنه لم تؤمن تلك الأمم إلّا مضطرة كما كان من فرعون، فلم ينفعها الإيمان، عدا قوم يونس لأنهم آمنوا عندما رأوا الدلالة على العذاب وقبل نزوله، فمنعه الله، وعمّهم بالخيرات. و لم يشأ الله إيمان الناس كلهم، بل آمن الذين فيهم استعداد طيب واختيار للصلاح. وليس إليك حمل الناس على ذلك، وما كان لنفس أن تختار إيمانها إلّا بإرادة الله. فهو يُمدّها بما يناسب استعدادها الطيب واختيارها للحق، عندما تطلبه وتسعى له، ويقضي بالكفر والعذاب على الذين يعطلون عقولهم.

وأمر الناس ـ أيها النبيّ - أن يتأملوا ما في الكون من أدلة على التوحيد، ولن تفيد الآيات وحدها والرسل مَن ليس عندهم استعداد لقبول الإيمان، لأنهم سينزل بهم مثل ما نزل بالكافرين قبل، ولينتظروا ذلك، حيث يُهلكون ويُنقَذ المؤمنون بوعد رباني محقّق، وأعلِم الكافرين أنك، إذا استمروا على الشك في التوحيد، لن تتبعهم أيضًا وقد أُمرتَ بالتوحيد، وبعبادة الله الذي يميتهم، وبالاستقامة في الإيمان والإعراض عن الأوثان التي لا تنفع ولا تضر، وإلّا كنتَ من الظالمين إذًا في كفر وظلم وعدوان.

تفسير المفردات: يمسَسْك: يُصِبك. والضر: الأذى. والكاشف: الرافع والمزيل. ويريدك: يقدّر عليك ويقضي. والخير: ما فيه نفع وفائدة. والرادّ: الدافع والمانع. والفضل: التفضل بزيادة النعم. ويصيب به أي: يقضي ما ذُكر من ضر وخير ويخص به. ومن يشاء أي: من يريد إصابته. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والغفور والرحيم: مبالغتا اسم الفاعل من المغفرة، أي: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة عليها، ومن الرحمة. وهي العطف والإحسان بالنعم. ١٠٧ قل أي: جاهر بالقول، أيها النبيّ. الناس: البشر. وجاءكم: أتاكم وبُلّغتم به. والحق: دين الإسلام. ومن ربكم: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد المتكفل بمصلحة الخلق. واهتدى: استجاب. والنفس: حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وضل: دام على الانحراف. وعليها أي: على نفسه. وما أنا أي: لستُ. وبوكيلٍ: حفيظًا توكَل إليه أمور الغير. ١٠٨ اتبع: دُمْ على العمل في جميع شؤونك. ويوحى إليك أي: تُبَلّغه على لسان جبريل، وييسّر لك حفظه وتبليغه وبيانه. واصبر: تجلّد ودم على الثبات. ويحكم: يقضي. وخير الحاكمين: أعدلهم. ١٠٩

المعنى العام: متابعة توجيه النبي ﷺ بأن ما يقدره الله له من خير أو شرّ لا يمنعه أحد، ولْيقل للناس بأنه وصل إليهم دين الحق من عند الله. فالمهتدي يفيد نفسه، والضال يؤذيها، وأنه هو رسول يبلّغ ويعمل بما يوحى إليه، وليس مسؤولًا عن هدايتهم، ولْيَلزم تَنفيذ ما أُنزل إليه مع الصبر حتى يحكم الله بعدله المطلق بينه وبينهم.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ
مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

١١ - سورة هود

تفسير المفردات: الٓر: أحرف مقطعة استأثر الله بعلمها، وهي سره المكنون في كتابه العزيز. والكتاب أي: القرآن الكريم. وأحكمت: نُظمت نظمًا متقنًا أجود ما يكون البناء المحكم. والآيات: الجملُ والعبارات من السور. وفصّلت: بُيّنت. ولدن: أي: عند. وحكيم خبير أي: أحكمَها حكيمٌ بالغ الإتقان فيما يُصدر، وفصَّلَها خبير عالم بوقائع الأمور. ١ ألّا تعبدوا أي: بألّا تقدّسوا. ومنه: من جهته وبأمره. والنذير: المهدِّد بعذاب من يكفر. والبشير: المخبر بما يُسعد من يؤمن. ٢ استغفروا: اطلبوا ستر ذنوبكم وعدم المحاسبة فيها. وتوبوا: ارجعوا بالطاعة. ويمتعْكم: يُنعم عليكم ما تنتفعون به وتَسعدون. والحسن: الطيب الواسع. والأجل: الوقت المعيّن لحياة المخلوق. والمسمَّى: المقدَّر عند الله. ويؤتِ: يجزي في الآخرة. وذو فضل: صاحب عمل صالح يزيد على غيره في الخير. وفضله: جزاء فضله. وتولَّوا: تُعرضوا عن الإيمان والطاعة. وأخاف: أتوقع باليقين. والعذاب: التعذيب. واليوم: الزمن. والكبير: العظيم لا مثيل له. ٣ إلى الله أي: إلى لقاء موعده يوم القيامة. والمرجع: الرجوع بالبعث للحساب والجزاء. والشيء: ما هو موجود أو ممكنٌ وجوده. والقدير: ذو القدرة المطلقة دون معين أو منازع. ٤ ألا أي: حقًا. يثنون صدورهم: يطوي أحدهم بعضه ليخفي ما في صدره من الشحناء والعداوة. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب. ويستخفوا منه: يطلبوا التستّر من الله. ويستغشون ثيابهم: يتغطَّون ويستترون بها. والثياب: جمع ثوب. ويعلم: يحيط اللهُ إحاطة تامة. ويُسِرّون: يُخفونه عن الآخرين. ويعلنون: يظهرونه. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وذات الصدور: السرائر المصاحبة للصدور، خفية لايطلع عليها أحد. ٥

المعنى العام: أن الله أحكم آيات القرآن وفصّل معانيه بحكمته وعلمه، وجاء فيه أمر الناس بالتوحيد والاستغفار، وأمر النبي ﷺ بإنذار العاصي وتبشير المطيعين، ليتوب عليهم ويرزقهم الخير ويجزي المحسن على إحسانه. فإن كفر المخاطبون واستمروا في العصيان يكن لهم عذاب فظيع يوم القيامة، لأنهم يُرجعون فيه إلى الله القادر على كل شيء والمحاسب بما كان منهم، وهو يعلم كل شيء منهم أيضًا حين يتستّرون ويتخفَّون، ويعلم ما تخفيه الضمائر.

تفسير المفردات: ما من دابةٍ: لا حيوانٌ يمشي أو يتحرك، أي: ليست كل نفس. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ورزقها: ما تعيش به من الغذاء وغيره. ويعلم: يطّلع ويحيط كامل الإحاطة. والمستقر: موضع الوجود والإقامة. والمستودع: موضع الحمل أو الدفن في المكان الخفيّ. وكل أي: ما ذكر عن الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها. والكتاب المبين: اللوح المحفوظ الواضح البيان. ٦ هو أي: الله تعالى. وخلق: قدّر الإيجاد من العدم. والسماء: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأيام: الأزمان المتتابعة. واليوم: الزمن الفلكي المديد، لا اليوم المعروف في الدنيا. وكان أي: قبل خلق السماوات والأرض. والعرش: مخلوق عظيم لا يعلم حقيقته إلّا الله. وعلى الماء أي: عاليًا فوقه. ويبلوكم: يمتحنكم فيُظهر حقيقة كل منكم في الواقع. وأيكم: مَن منكم؟ والأحسن: الأفضل. والعمل: ما يكون من نية أو قول أو فعل. ولئن: أُقسِمُ إن. وقلتَ أي: للكافرين، أيها النبيّ. ومبعوثون أي: مخرَجون من القبور أحياء للحساب والجزاء. والموت: مفارقة أرواحكم للأجساد. ويقولن: يجاهرَنّ بالقول. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وإن هذا أي: ما هذا القول الذي يرد في القرآن. والسحر: تخييلات تخدع سفهاء الناس. والمبين: البالغ البيان لا يخفى على أحد. ٧ أخّرنا: أجّلنا. والعذاب: تعذيبهم على الكفر. والأُمّة: الأوقات. والمعدودة: القليلة يسهل عدها. وما يحبسه: أيُّ شيء يمنعه من النزول؟ وألا أي: حقًّا. واليوم: الوقت. ويأتيهم: يُصيبهم العذاب. والمصروف: المدفوع. وحاق: أحاط من كل جانب. ويستهزئون: يسخرون. ٨ أذقنا: أعطينا ما تُتذوق لذّاته. والإنسان: الآدمي الكافر. ومنّا أي: من عندنا وبتفضلنا. والرحمة: العطف بالإحسان. ونزعناها: أزلناها. واليؤوس: الشديد اليأس من عودة الرحمة. والكفور: الكثير الكفر للنعم. ٩ النعماء: الحال الحسنة. والضرّاء: الحال السيئة. ومسته: أصابته. وذهب: مضى ولن يعود. والسيئات: ما يسوء الإنسان ويضره. والفرح: المبتهج بطرًا. والفخور: المتبجّح المتطاول. ١٠ صبروا: تجلّدوا وتحمّلوا الشدائد. وعملوا: اكتسبوا نية أو قولًا أو فعلًا. والصالحات: ما استحسنه الشرع. وأولئك أي: الموصوفون بالصبر والصلاح. والمغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها. والأجر: المكافأة. والكبير: العظيم لا مثيل له. ١١ لعلك أي: يُشفَق عليك وتُنهى. والتارك: المهمل. والبعض: الجزء. ويوحَى: يُنزَل على لسان جبريل وييسَّر حفظه، ويكلَّف بتبليغه وبيانه والعمل به. والضائق: العاجز عن التحمل والأداء. والصدر مراد به القلب والضمير. وأن يقولوا أي: لأن الكافرين يقولون. ولولا: هلّا، للتمني والتعجيز. وأُنزل: أُرسل وأُسقط من عند الله. والكنز: المال العظيم. وجاء معه: رافقه في التبليغ والرسالة. والملَك: مخلوق نوراني عظيم معصوم مطهّر. والنذير: المهدِّد بالعذاب لمن كفر. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والوكيل: الحفيظ يحاسب ويجازي. ١٢

الجزء الثاني عشر — سورة هود

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ
عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ
إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ
أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ
لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ
وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ
مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

المعنى العام: كل ذي حياة يرزقه الله ويعلم مكانه، ومسجَّل أمره وحاله في اللوح المحفوظ، وقد خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام متوالية، أولها يوافق السبت وآخرها يوافق الخميس، وكل يوم يقابله في عالم السماء ألوف السنوات، وكان عرشه قبل ذلك مستعليًا. وقد خلق هذا ليختبر الناس بما يعملون، ولكن الكافرين ينكرون البعث ووحي القرآن، وإذا تأخر عنهم عذاب الانتقام استعجلوه تحديًا وتعجيزًا، وعندما ينزل بهم يهلكهم ولا يُردّ. وكل منهم ييئس حين تنزع عنه النعمة، ويبطر ويتبجح حين ينال الخير، لكنّ المؤمن الصابر الصالح يصبر على الشِّدّة ويشكر النعمة وله مغفرة الذنوب والمكافأة العظيمة.

ولما اقترح المشركون المعجزات بنزول كنز أو ملائكة تؤيده، خشي النبي ﷺ مقالاتهم المؤذية واشتد عليه التهكم والمعاجزة وكاد يضيق بالتحمل والمصابرة، فنزلت الآية بالحض على متابعة التبليغ، وعدم الضيق أو التأثر بما يقولون، لأنه مكلف بالتبليغ والتهديد، والله هو المعين له والرقيب المحاسب لهم.

تفسير المفردات: أم يقولون أي: بل كيف يزعم الكافرون؟ وافتراه أي: اختلق محمد ما يوحى إليه. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. وائتوا: اصنعوا وأحضروا. والمثل: المماثل في الكيفية والحقيقة. والسورة: مجموعة من الآيات. ومفتريات: جمع مفتراة، مختلَقة صنعها البشر. وادعوا: نادوا مستعينين. ومن استطعتم: الذي تقدرون على الاستعانة به. ودون الله أي: غيره. وصادقين: من يقولون الحق. **١٣** لم يستجيبوا لكم: لم يجيبوكم إلى ما دعوتموهم إليه لعجزهم. واعلموا أي: أذعنوا بثبوت ما يُعلمكم النبي ﷺ علم اليقين. وأُنزل: أُوحي. وعلم الله: إذنه وأمره. وأنْ: أنّه. والإلّه: المعبود بحق دون غيره. وهل أنتم مسلمون أي: كونوا مسلمين. **١٤** يريد: يطلب باستغراق. والحياة : العيشة.والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. والزينة: ما يُتلذّذ به ويُتفاخر. ونوفّي: نؤدي بالكمال. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يكتسبه الإنسان. وفيها: في الدنيا. ولا يبخسون: لا يُنقصون شيئًا. **١٥** الآخرة: الحياة المؤخَّرة تكون بالبعث بعد الموت. والنار: العذاب في نار جهنم. وحبط: فسَد وضاع. وصنعوا: عملوا بدون إيمان أو إخلاص. وفيها أي: بطل في الآخرة. والباطل: الفاسد لا يُعتدّ به. ويعملون: يعملونه في الدنيا من البر والإحسان. **١٦** وأمن أي: ليس مَن. والبيّنة: البيان والهداية. ومن ربه: من عنده وبوحيه وأمره. ويتلوه: يتبعه ويؤيّده. والشاهد: المؤثّق يشهد بصحة ما كان، أي: جبريل والصحابة. ومنه: من عند الله. وقبله: قبل القرآن. وكتاب موسى: التوراة تشهد بذلك. والإمام: المقتدَى به في الدين. والرحمة: العطف والإحسان بالنعم. وأولئك أي: الذين يوثّقون. ويؤمنون به: يصدّقونه قلبًا ولسانًا وعملًا. ويكفر به: يكذّبه. والأحزاب: جماعات الكافرين، جمع حزب. وهو الجماعة من الناس على دين واحد. وموعده: مكان وعده الذي يصير إليه.ولا تك: لا تكنْ أي: لاتصِر. حذفت النون للتخفيف. والمرية: الشك. ومنه: من القرآن. والحق: الصدق الثابت. ومن ربك أي: من عنده وبوحيه وأمره. والأكثر: الغالبية. والناس: البشر. ولا يؤمنون أي: لقلة تبصرهم لا يتدبّرون ما في القرآن فلا يصدقونه. **١٧** من أظلم أي: لا أحد أكثر تجاوزًا للحق. وافترى: اختلق. والكذب: ما ليس له أصل في الوجود. ويُعرَضون على ربهم: يُحضرون يوم القيامة وتنشر أعمالهم. والأشهاد: جمع شاهد. وألا: حقًّا. واللعنة: الطرد من رحمة الله. والظالمون: الكافرون. **١٨** يصدون: يمتنعون ويمنعون الناس. والسبيل: الطريق الواضحة.ويبغونها: يطلبون السبيل.وعوجًا أي: مُعْوجّة مضطربة. والكافرون: المكذبون قلبًا ولسانًا وعملًا. **١٩**

سورة هود الجزء الثاني عشر

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ
وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ۚ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

المعنى العام: أن الكافرين يقولون منكرًا ويزعمون اختلاق النبي ﷺ للقرآن الكريم. فلْيأتوا بعشر سور مثله افتراها المخلوقون، وليستعينوا بمن يستطيعون من الخلق، إن كانوا صادقين فيما يزعمون. ولأنه لن يستجيب لهم أحد بذلك، فليعلموا أن القرآن الكريم وحي من عند الله المتفرد بالألوهية، ولْيُسلِموا مأمورين بذلك، تلطفًا بالدعوة وتأنيسًا بالاستجابة والإذعان. ومن شُغل بالدنيا وحدها نال ما فيها جزاء حسناته، وكان له عذاب جهنم لأنه ضيع أعماله بالكفر.

وليس من كان مصاحبًا للقرآن، ويشهد له التوراة مِن قبل موثِّقةً وجبريل والصحابة مؤمنين مصدّقين، كالمشرك الذي يريد الحياة الدنيا وزينتها، محال أن يكونا سواء، بل بينهما فرق عظيم، يتميز به الأول في الدنيا والآخرة، ويصدق النبيَّ ﷺ، ومن يكفر به من المشركين وأهل الكتاب فله نار جهنم.

واستمِرَّ -أيها النبيّ- على الثقة بالوحي من ربك، وإن لم يؤمن كثير من الناس. فليس في الوجود من هو أشد ظلمًا ممن يكذب على الله، سيُحضر هؤلاء يوم القيامة بالقهر والعنف وتُعرض أعمالهم، ويشهد عليهم أعضاؤهم والملائكة والأنبياء. فلهم الطرد من الرحمة، لأنهم امتنعوا عن الإيمان ومنعوا الناس أيضًا، وأفسدوا العقائد والشرائع، وكفروا بالبعث والحساب.

تفسير المفردات: أولئك أي: المفترون الكافرون. ومعجزين: متفلّتين هاربين لا يدركهم العقاب. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ودون الله: غيره. والأولياء: جمع وليّ، النصير يمنع من العذاب. ويضاعف: يجعل أضعافًا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وما كانوا يستطيعون السمع: لم يكونوا قادرين على استعماله للحق. والسمع: إدراك المسموعات. ويبصرون: يدركون دلائل الحق ويتعظون بها. ٢٠ خسروا أنفسهم: ضيعوا أنفسهم في الباطل و فقدوا ما كانوا يأملون من خير. وضل: غاب. ويفترون أي: يختلقون من الآلهة التي زعموا أنها تشفع لهم. ٢١ لا جرم: حقًّا. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. والأخسرون: الأكثر خسارة من غيرهم. ٢٢ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وعملوا الصالحات: قاموا بالأعمال التي حسّنها الشرع. وأخبتوا: خضعوا واطمأنوا. وإلى ربهم: إلى طاعته ورضاه ورحمته. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأصحاب الجنة: المقيمون فيها كالمالكين. والأصحاب: جمع صاحب. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الأشجار والقصور والأنهار والنعيم. وخالدون: يطيلون البقاء فيلزمونه أبدًا. ٢٣ المَثل: الصفة. والفريقان: جماعتا الكافرين والمؤمنين. وكالأعمى أي: كصفة الأعمى الذي لا يبصر. والبصير عكسه مع المبالغة في البصر. والأصم: الذي فقد السمع. والسميع عكسه مع المبالغة في السمع. وهل يستويان أي: لا يستوي الفريقان المختلفان في القدرة والعجز. ومثلًا أي: صفة. وألا تذكَّرون: ألا تتذكّرون أي: استحضِروا الأمور في الذهن، للاستدلال بها على الصواب. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. ٢٤ أرسلنا: بعثنا رسولًا لتبليغ التوحيد. ونوح: رابع نبي كان بعد آدم وشيث وإدريس، فيما نعلم. وقومه: جماعته كانت تعبد الأصنام. والنذير: المخوِّف بالعذاب لمن كفر. والمبين: البيّن الإنذار. ٢٥ ألّا تعبدوا أي: بألّا تطيعوا ولاتقدّسوا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأخاف: أتوقع بيقين. واليوم: الوقت. والأليم: المؤلم ما يكون فيه. ٢٦ الملأ: الذين يملؤون المجالس بأجسامهم والعيون بمهابتهم. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله وأشركوا. وما نراك: ما نبصرك عِيانًا. والبشر: الآدمي. ومثلنا أي: مماثلًا إيّانا في الصفة والعمل. واتّبعك: قلّدك وأطاعك. والأراذل: جمع أرذَل. وهو أكثر الناس رغبة عنه لرداءة حاله وضعف تفكيره. والبادي: الأول. والرأي: التفكر في الأمور لمعرفة الصواب والخطأ. ومن فضل أي: زيادةً في القدرات والصفات والعمل. ونظنّكم كاذبين: نعتقد أنكم كاذبون، أيها المؤمنون بالتوحيد والبعث. ٢٧ قال أي: نوح. وأرأيتم أي: فكّروا وتفهّموا وأخبروني. والبينة: البيان والوضوح. ومن ربي أي: من عنده وبوحيه. وآتاني: أعطاني ومنحني. والرحمة: العطف بالإحسان والنبوّة. ومن عنده أي: بفضله وإحسانه. وعُمِّيَت: أُخفِيَت. وأنلزمكموها: كيف نجبركم على قبولها؟ وكارهون: مبغضون منكرون جاحدون. ٢٨

الجزء الثاني عشر　سورة هود

أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ
ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ
هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ
وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا
مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ
ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ
مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

ربع الحزب ٢٣

المعنى العام: متابعة وصف المؤمنين والكافرين بأن المفترين على الله لن ينجوا من العذاب وليس لهم معين من معبوداتهم، وقد سببوا لأنفسهم مضاعفة العذاب وضياع ما كانوا ينتظرون، لتعطيل قدراتهم عن العمل. فحقًّا ما أعظم خسارتَهم! أما المؤمنون الصالحون المطيعون لله فلهم الخلود في الجنة. وفرق كبير بين هؤلاء وأولئك ولا يستوون أبدًا. فاتعظوا ـ أيها الكافرون ـ والزموا الإيمان .

وعندما أنذر نوح قومه بوجوبِ التوحيد وتوقعِ عذابهم، إن أصرّوا على الكفر، أجابه الأشراف المترفون الكافرون بأنه مجرَّد إنسان مثلهم، آمن به كل بسيط منافق، سريع الاستجابة والانقياد بلا تفكير، ولا يبالي ما يقول ولا ما يقال له، وبأنهم يعتقدون كذب الدعوة أصلاً. فقال نوح لهم: أعلموني، إن كنت على حقٍّ ورسالةٍ من الله لم تتضح لكم وتكرهونها، كيف نجبركم عليها؟ أي: لن يكون ذلك، وإنما نستطيع أن ندعوكم ونبيّن لكم وننذركم.

تفسير المفردات: يا قومِ: يا قومي. وحذفت الياء للتخفيف. ولا أسألكم: لا أطلب منكم. وعليه: على تبليغ الرسالة. والمال: ما يُملك من المتاع والزينة. وإن أجري أي: ما مكافأتي. وعلى الله أي: أوجبه على نفسه تفضلًا. وما أنا أي: لستُ. وبطارد الذين أي: مُبعِدَ الذين. وآمنوا: عرفت قلوبهم الإيمان وما يلزمه. وملاقو ربهم: راجعون إليه يوم القيامة. وأرى: أعلم بيقين. والقوم: الجماعة من الناس. وتجهلون: لا تفكرون ولا تعلمون. ٢٩ من ينصرني من الله : لا يمنعني أحد من عذابه. وطردتهم: أبعدتهم عني. وألا تذكّرون: ألا تتذكّرون أي: دعوا ما أنتم عليه، وسارعوا إلى الاتعاظ والإيمان. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. ٣٠ لا أقول: لا أدّعي. وعندي أي: في ملكي وتصرّفي. والخزائن: جمع خزانة، مكان الحفظ للممتلكات. ولا أعلم: لا أعرف. والغيب: ما غاب عن حواس المخلوقات ومداركهم. والمَلَك: واحد الملائكة. وللذين أي: عن الذين. وتزدري: تحتقر. والأعين: جمع عين، عضو البصر. ولن يؤتيهم: لن يعطيهم. وخيرًا أي: توفيقًا وهداية وإيمانًا وأجرًا. وأعلم: مطّلع ومحيط الإحاطة البالغة. والأنفس: جمع نفس، القلب والضمير. وإذًا: إن ادعيت وفعلت ذلك. والظالمون: الجائرون يضعون الأمور في غير مواضعها. ٣١ جادلتنا: خاصمتنا وحاورتنا بعنف. وأكثرت: أطلت كثيرًا. وائتنا بما تعدنا: استحضر العذاب الذي تهدّدنا به وأنزله علينا.

الجزء الثاني عشر — سورة هود

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ
أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ
نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ
هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ
قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

والصادقون: من يقولون الحق. ٣٢ يأتيكم به: يُنزله عليكم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وشاء: أراد التعجيل. وما أنتم أي: لستم. وبمعجزين أي: هاربين من عذاب الله. ٣٣ لا ينفعكم: لا يفيدكم ولا يجديكم. والنصح: الإرشاد إلى ما فيه الصلاح. وأردت : قصدت. ويريد: يقضي. ويغويكم: يضلكم ويثبّت في قلوبكم الضلال. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ما يملك. وإليه: إلى لقاء موعده يوم القيامة. وترجعون: تردون بالبعث للحساب والعقاب. ٣٤ أم يقولون أي: بل كيف يقول كفّار مكة؟ وافتراه: اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. والإجرام: اكتساب الذنب. والبريء: المتبرئ البعيد كل البعد. وتجرمون: تتحمّلون من الكفر والاتهام الكاذب. ٣٥ أوحي: بُلِّغ على لسان جبريل. ولن يؤمن: لن يعترف قلبه بالتوحيد. وآمن: توجّه إلى الإيمان باختياره الصالح. ولا تبتئس: لا تحزن. وبما كانوا يفعلون: بسبب ما لا يزالون يكتسبونه ويتحمّلونه من الكفر والتكذيب. ٣٦ اصنع الفلك: اعمل السفينة متقنة محكمة. وبأعيننا أي: مصحوبًا بمرأى منّا ورعايتنا. والأعين: جمع عين، يراد به التعظيم لا التكثير، مبالغة في الحفظ والرعاية. والوحي: الأمر والإرادة. ولا تخاطبني: لا تراجعني ولا تدعُني لرفع العذاب. وظلموا: تجاوزوا الحق فكفروا. ومغرقون أي: مخنوقون بالماء. ٣٧

المعنى العام: تتمة قول نوح، بأنه لا يطلب أجرًا من قومه، وأجره على الله، وأنه سيحتفظ بأصحابه المؤمنين طاعة لله، ويرى الكافرين جاهلين بالحقيقة فعليهم أن يفكروا ويتعظوا، وأنه لا يزعم ملك الكنوز والغيب، وهو إنسان لا مَلَك، وأن من احتقرهم الكافرون يعلم الله ما في نفوسهم ويكرمهم بالخير، وإن خالف ما ذكر يكن من الظالمين، فرد عليه قومه بأنه أطال في الخصام والجدال، وطالبوه بتعجيل العذاب الذي هدّدهم به، وأجابهم أن ذلك بيد الله، ولن ينجوا منه، ولن يفيدهم النصح إذا أراد الله لهم الضلال وسيحاسبهم عليه ـ وكذلك فعل مشركو مكة فكفروا، واتهموا النبي ﷺ أنه اختلق القرآن. فقل لهم، أيها النبيّ: إن حسابي على الله وأنا بريء مما تتهموني به وتفعلون من الكفر والعصيان - وقد بلّغ الله نوحًا باستمرارِ قومه على الكفر، وأنه لن يؤمن به غير من اتبعوه. فلا يحزن لتكذيب قومه وكفرهم وعصيانهم، ولْيصنعِ السفينة بتوجيه الله وعنايته، ثم لا يشفع لقومه حين يحيط بهم الغرق.

وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ
مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا
مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ
وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ
فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ
تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ
فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ
ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ
مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ
أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ
بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

نصف الحزب ٢٣

تفسير المفردات: يصنع: يعمل بإتقان وإحكام. والفلك: السفينة. وكلّما مرّ: كلَّ وقتٍ مرور. ومر عليه: مشى قريبًا منه. والملأ: الجماعة. وقومه: الذين كذّبوه وكفروا. وسخروا منه: استهزؤوا به. وقال أي: نوح لهم. وكما تسخرون: مثل سخريتكم. **٣٨** سوف تعلمون: لابدّ أن تعرفوا بيقين. ومن يأتيه: الذي ينزل به. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ويخزيه: يفضحه. ويحل: ينزل. والمقيم: الثابت الدائم. **٣٩** حتى إذا جاء أمرنا: فلما حلّ وقت إهلاكهم. وفار: نبع ماء. والتنُّور هنا: وجه الأرض. وقلنا أي: أوحينا إلى نوح. واحمل فيها: ضع في السفينة. والزوجان: كل فردين يحصل بينهما تزاوج. والأهل: الزوجة والأولاد. وسبق: مضى وتحقّق في علم الله. والقول: الأمر بالإهلاك. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. والقليل: العدد اليسير من قومه. **٤٠** قال أي: نوح للمؤمنين. واركبوا فيها: ادخلوا في السفينة. وباسم الله أي: مع ذكر اسمه العظيم. والمجرى: الجري. والمُرسى: الإرساء والإيقاف. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والغفور الرحيم: مبالغتا اسم الفاعل من المغفرة، أي: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة عليها، ومن الرحمة، أي: العطف بالإحسان. **٤١** تجري بهم: تنطلق مسرعة وهم فيها. والموج: ارتفاع الماء حين اضطرابه. والجبال: جمع جبل، ما علا من الأرض وتصلّب. ونادى: صرخ منبهًا. وابنه: ولده الكافر كنعان. والمعزل: الموضع البعيد. وبُنَيّ: ابني. ولا تكن: لا تبقَ. والكافرون: المكذبون المشركون.**٤٢** قال أي: كنعان لنوح. وسآوي: سألتجئ وأتحصّن. ويعصمني: يمنعني ويحميني. ومن الماء أي: من الغرق فيه. وقال أي: نوح له. والعاصم: المنجّي. وأمر الله: عذابه. ورحم: رحمه أي: عطف عليه بالنجاة. وحالَ: فصل. وكان: صار كنعان. والمغرقون: الميتون خنقًا بالماء. **٤٣** قيل: قضى الله وأمر. وابلعي ماءك: اشربي ما عليك من الماء. والسماء: السُّحب. وأقلعي: توقفي عن المطر. وغيض: استمرّ نقصه حتى ذهب كله. وقُضي الأمر: تمّ وانتهى أمر هلاكهم. واستوت: وقفت وثبّتت السفينة. والجودي: جبل في شمالي العراق. وبعدًا: هلاكًا. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: الذين جاوزوا الحدّ فكفروا وأشركوا **٤٤**. ونادى: دعا متضرعًا. ورب أي: يا ربي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى الأمر بالتنبيه، وحذفت الياء أيضًا للتخفيف. ومن أهلي أي: من صُلبي وأولادي. والوعد: العهد الموثّق. والحق: النافذ فعلًا دون شك. وأحكم الحاكمين: أعلم القاضين ذوي الحكمة وأعدلهم وأكثرهم دقة.**٤٥**

المعنى العام: متابعة قصة نوح مع قومه بأنه استجاب لأمر الله وصار يصنع السفينة مع المؤمنين، ويسخر منه الكافرون في كل وقت مرور بجانبه، وهو والمؤمنون العاملون معه يردّون على الكافرين بأنهم سيسخرون منهم كذلك قريبًا، وسيرى الكافرون من يحلّ به عذاب الدنيا بالعقاب، وعذاب الآخرة الأبدي. وقد استمر ذلك العمل مع السخرية من الجانبين، حتى إذا حل وقت الانتقام من الكافرين وتفجر نبع الأرض أمر الله نوحًا بحمل أنواع الحيوان والنبات والحاجات اللازمة، مع المؤمنين من قومه ومن أهله، فأمرهم نوح بالركوب، محفوظين بعناية الله في الانطلاق والتوقف.

وعندما جرت السفينة بين الأمواج نصح نوح ابنه الكافر البعيد عنه أن يأتي إلى السفينة سابحًا، وأجابه بأنه يلتجئ إلى الجبل لينجو من الغرق، فرد عليه أبوه بأن أمر الله لا ينجو منه إلّا من عطف عليه وأنقذه ، ثم فصل بينهما الماء، وغرق الابن الكافر. وبعد هلاك الكافرين جميعًا، قضى الله أن يذهب الماء في باطن الأرض، وينقطع المطر، وتستقر السفينة على جبل الجودي مع الدعاء على الكافرين بالهلاك والاستئصال. ثم نادى نوح ربه قائلًا: إنك وعدتني بنجاة أهلي من الغرق، وإن كنعان ابني من أهلي، وإن وعدك حق لا اختلال فيه، وأنت أعدل الحاكمين.

تفسير المفردات: قال أي: الله. وإنه ليس من أهلك : إن ابنك الكافر ليس من أهل دينك. وعمل أي: ذو عمل. وغير صالح: فاسد بالشهوات والكفر. ولا تسألنِ أي: لا تلتمس مني. وحذفت الياء للتخفيف. وما ليس لك به علم: ما لا تعلم أصواب هو أم لا؟ والعلم: الإدراك اليقيني. وأعظك: أنصحك. وأن تكون: عن أن تصير. والجاهلون: الذين تَصرِفهم العواطف عن معرفة ما يجب. ٤٦ قال أي: نوح. وربّ: يا ربي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى الأمر بالتنبيه، وحذفت الياء أيضًا للتخفيف. وأعوذ بك: ألتجئ إليك. وأن أسألك أي: من سؤالي لك. وإلّا تغفر لي: إن لم تصفح عني وآخذتني. وترحمني: تعطف عليّ فتحسن إليّ بالعفو والهداية. وأكن: أصِرْ. والخاسرون: الذين ضيّعوا أنفسهم وما كانوا يؤمّلون. ٤٧ قيل أي: قال الله. واهبط: انزل من السفينة. وبسلام أي: مع تحية وسلامة من السوء. ومنّا أي: من عندنا وبأمرنا. والبركات: الخيرات الدائمة. والأمم: جمع أُمّة. وممن معك أي: من أولاد المؤمنين الذين معك. ونمتعهم: نهيئ لهم ما ينتفعون به ويتلذّذون. ويمسهم: يَنزل بهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. ٤٨ تلك أي: قصة نوح وقومه. ومن أنباء: بعض أخبار عظيمة. والأنباء: جمع نبأ. والغيب: ما غاب تفصيله عنك، أيها النبيّ. ونوحيها إليك: نبلّغك إياها على لسان جبريل. وتعلمها: تعرفها. وقومك: جماعة قريش ومن حولها. وهذا أي: الوحي والبيان. واصبر: تجلّد وتحمّل ما يكون من الكافرين. والعاقبة: الخاتمة المحمودة. والمتقون: من يخافون الله ويتجنبون غضبه وعصيانه ويلزمون الامتثال للأمر والنهي. ٤٩ إلى عاد أي: أرسلنا إلى قبيلة عاد. وهي من العرب العاربة مساكنها بين عُمان وحضرموت. وأخوهم: من هو ابن قبيلتهم. واسمه هود أول نبي في الأمم المعروفة بعد نوح. ويا قومِ أي: يا قومي. وحذفت الياء للتخفيف. واعبدوا الله: وحّدوه بالتقديس والطاعة. وما لكم من إلَهٍ: ليس لكم معبودٌ بحق. وغيره: مغاير له. وإن أنتم :ما أنتم. ومفترون: كاذبون على الله. ٥٠ لا أسألكم: لا أطلب منكم. وعليه: على تبليغي إياكم التوحيد. والأجر: المكافأة. وإن أجري: ما ثوابي. وفطرني: خلقني. وألا تعقلون أي: استخدموا عقولكم لتعرفوا الصواب من الخطأ. ٥١ استغفروا ربكم: اطلبوا ممن خلقكم ستر الذنوب والصفح عنها. وتوبوا إليه: ارجعوا إلى الإيمان بالله وطاعته. ويرسل: ينزل. والسماء: المطر. والمدرار: الكثير النزول والتتابع. ويزيدكم: يضاعف عليكم. والقوة: الشّدّة والبأس. وإلى قوتكم: مع قوتكم. ولا تتولّوا: لا تُعرضوا عن التوحيد. ومجرمين أي: مقترفين الكفر والفساد.٥٢ قالوا أي: قوم هود له. ما جئتنا ببيّنة: ما أحضرت لنا برهانًا على قولك. وما نحن أي: لسنا. وبتاركي آلهتنا أي: متخلين عن عبادة الأصنام. والآلهة: جمع إلَه، المعبود من المخلوقات. وعن قولك: بسبب ما قلت. وما نحن لك بمؤمنين أي: لسنا مصدّقين إياك ومتّبعين. ٥٣

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا
تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ
وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ
مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ
مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ
مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ
بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾

المعنى العام: متابعة قصة نوح، فخاطبه الله بأن ابنه خرج عن أهل دينه لكفره فهو ممن سبق عليه القول بالانتقام، ونصحه أن يطلب الحق، فاعتذر نوح مما قال قبل، وطلب المغفرة والرحمة لئلّا يكون من الجاهلين للحقائق، فأُمر بمغادرة السفينة مع المؤمنين، محفوظين بالخير هم وذرياتهم الصالحة من البشر بعد، وأُعلم أنه سيكون من ذرياتهم ومن غيرها أمم كافرة يستدرجهم الله بالنعم إلى زيادة العصيان، لينالوا التعذيب الأليم.

فهذه الأخبار توحى إليك - أيها النبيّ ـ وييسر لك حفظها وتبليغ الناس إياها، وما كنت تعرفها مفصلة كما ذكرناها، وإن كنت تعلم بعض وقائعها مجملة. فتحمّل ما يكون من الكافرين، وانتظر بطمأنينة ما سيكون لك ولهم. وقد أرسلنا مثل نوح ومثلك هودًا إلى بني عاد الكافرين - وعاد هو سام بن نوح وأبو العرب ـ وبلّغهم دعوة التوحيد ولزوم الاستغفار والتوبة، لينالوا نعم المطر وزيادة القوة، فأصرّوا على الشرك وتكذيب دعوته، وطلبوا منه المعجزات القاهرة استهزاء ومكابرة.

تفسير المفردات: إن نقول أي: ما نقول. واعتراك: أصابك. وبعض الآلهة: واحد من الأصنام أو أكثر. والسوء: الشر وما يفسد العقل. وقال أي: هود للكافرين. وأُشهِد الله: أُقِرّ أمامه بالحق ليشهد لي ويؤيّدني. واشهدوا: اعلموا لكي تعترفوا يوم القيامة وتُقرّوا. والبريء: المتبرئ المتباعد. وما تشركون: ما تجعلونه مشاركًا لله في العبادة والطاعة. **٥٤** دونه أي: غيرَ الله. وكيدوني: احتالوا في هلاكي. وجميعًا: أنتم وأصنامكم مجتمعين. ولا تُنظرونِ: لا تُنظروني أي: أسرعوا في هلاكي ولا تمهلوني. حذفت الياء للتخفيف ولموافقة فواصل الآيات. **٥٥** وتوكلت على الله: اعتمدت عليه وحده. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وما من دابّةٍ: ليس كائن حي فيه روح وحركة. وآخذ بناصيتها: مالك التصرّف فيها. والناصية: الشعر في مقدّم الرأس. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. **٥٦** تولَّوا: تتولَّوا أي: تستمروا على الإعراض. حذفت التاء الثانية للتخفيف. وأبلغتكم: بيّنت لكم. وأرسلت به: بعثت للدعوة إليه. ويستخلف: يستأصلكم بالعذاب ويخلق من يكون صالحًا للطاعة. والقوم: الجماعة من الناس. وغيركم: مغايرين لكم. ولا تضرونه شيئًا أي: لا يسبّب كفركم لُملكه أيّما ضرر! والشيء: ما هو موجود. والحفيظ: الرقيب لا تخفى عليه الأحوال والأعمال. **٥٧** جاء: وقع وحصل.

الجزء الثاني عشر — سورة هود

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ
وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي
جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا
مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ
﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ
رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ
مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ
فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا
بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ
يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ
﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن
نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾

والأمر: الحكم والقضاء بالانتقام. ونجينا: أنقذنا. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ومعه أي: في النجاة. والرحمة: العطف بالإحسان. ومنّا أي: من عندنا وبأمرنا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والغليظ: الشديد المهلك. **٥٨** تلك عاد أي: تلك آثار قبيلة عاد باقية في موطنها. وجحدوا: كفروا وكذّبوا. والآيات: دلالة المعجزات. وعصَوا: أصرّوا على العصيان. والرسل: جمع رسول. واتّبعوا: وافقوا وأطاعوا. والأمر: الإلزام والتوجيه. والجبار: من يرغم الناس على ما يريد. والعنيد: من يخالف الحق وهو يعرفه. **٥٩** أُتبعوا لعنة: جُعلت ملازمة لهم. واللعنة: الطرد من رحمة الله. والدنيا: الحياة القريبة من الناس يعيشون فيها. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث للحساب. وكفروا ربهم: جحدوا أُلوهيته ووحدانيته. وألا أي: حقًّا. والبعد: الطرد والهلاك بالعذاب العظيم. **٦٠** إلى ثمود أخاهم أي: أرسلنا إليهم واحدًا منهم وهو النبي صالح. وثمود: عاد الثانية من العرب العاربة، أقدم الأمم التي لها آثار معروفة حتى الآن، كان موطنها شمال المدينة المنورة في وادي القرى. واعبدوا الله: وحّدوه بالتقديس والطاعة. وما لكم من إلَهٍ: ليس لكم معبودٌ بحق. وغيره أي: مغاير له. وأنشأكم: خلق أباكم آدم. والأرض أي: تراب الأرض. واستعمركم فيها: جعلكم تعمرونها. واستغفروه: اطلبوا منه أن يستر ذنوبكم ويصفح عنها. وتوبوا: ارجعوا. وإليه أي: إلى طاعة أمره ونهيه. وقريب أي: من خلقه بعلمه وسلطانه. ومجيب: يعطي ما سئل بالدعاء والرجاء. **٦١** المرجوّ: من يُنتظر أن يكون سيّدًا. وهذا أي: ما صدر منك عن العبادة والتوبة والاستغفار. وأتنهانا: كيف تمنعنا وتحرّم علينا؟ ونعبد: نقدّس ونطيع. والآباء: جمع أب. وهو الوالد أو الجدّ. والشك: التردّد. وتدعونا إليه: تبلّغنا وتحثّنا عليه. والمريب: المحيّر. ٦٢

الحزب ٢٣

المعنى العام: متابعة ما كان من قوم هود، إذ وصفوه بالجنون لأن أصنامهم آذته، فأجابهم بالتوحيد وتحديهم مع أصنامهم أن يؤذوه بما يستطيعون جميعًا دون تأخير، وأعلن توكله على الله المالك لجميع الأحياء، وهدّدهم بالهلاك إن استمروا في الكفر، ليكون بعدهم من يؤمن ويطيع. وقد أنجى الله هودًا والمؤمنين من الريح التي أهلكت الكافرين، وبقيت آثار ديارهم المهدّمة جزاء عصيانهم وطاعة الجبارين، ولهم الخلود في نار جهنم أيضًا.

وكذلك أرسل الله النبي صالحًا إلى قومه بني ثمود، فبلّغهم توحيدَ الله الذي أنشأ أباهم آدم من تراب، ولزومَ الاستغفار والتوبة ليرحمهم الله ويجيب دعاءهم، فردوا عليه أنه كان يُنتظر منه الخير لِما هو عليه من النجابة، وهم يشكُّون فيما يدعوهم إليه من التوحيد وترك الأصنام.

تفسير المفردات: قال أي: النبي صالح. ويا قومِ: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. وأرأيتم أي: تفكروا وتفهموا وأخبروني. والبيّنة: البيان والوضوح. ومن ربي: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح خلقه. وآتاني: أعطاني. والرحمة: العطف بالإحسان، أي: النبوة. ومن ينصرني من الله أي: من يمنعني من عذابه. وعصيته: خالفت أمره. وما تزيدونني: ما تضيفون إلى ما أنا عليه. وتخسير أي: تضليل ٦٣ الناقة: الأنثى اختارها صالح من إبل قومه. ولكم: مختصة بكم. والآية: المعجزة الدالة على صدق النبوة. وذروها أي: اتركوها. وتأكلُ: تتغذى. والأرض أي: البلاد التي فيها صالح وقبيلة ثمود. ولا تمسوها: لا تصيبوها. والسوء: الأذى. ويأخذكم: يعاقبكم. والعذاب: التعذيب المستأصِل. والقريب: العاجل لايتأخر. ٦٤ عقروها: قطعوا إحدى قوائمها لذبحها. وقال أي: صالح لهم. وتمتّعوا: عيشوا متمتّعين. وداركم: بلدكم. والأيام: جمع يوم. وذلك أي: ما هدّدتكم به من عذاب بعد الأيام المذكورة. والوعد: الوعيد بالهلاك. وغير مكذوب أي: متحقق حتمًا. ٦٥ جاء: وقع وحصل. والأمر: الحكم والقضاء بالانتقام. ونجينا: أنقذنا. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ومعه أي: في النجاة. والرحمة: العطف والإكرام. ومنّا أي: من عندنا وبأمرنا. والخزي: الذِّلّة والعار. ويومئذ: يوم هلاك الكافرين. والقوي: الكامل القوة بذاته. والعزيز: الغلّاب لا يعجزه شيء. ٦٦ أخذ: أهلك واستأصل بالقهر والعنف. وظلموا: تجاوزوا الحد بالكفر والعصيان. والصيحة: الصوت العظيم من السماء زُلزلت له الأرض. وأصبحوا: دخلوا في الصباح. والديار: المساكن، جمع دار. وجاثمين أي: ميتين باركين على ركبهم. ٦٧ كأنْ أي: كأنهم. ولم يغنوا: لم يقيموا. وألا أي: حقًّا. وكفروا ربهم: جحدوا ألوهيته وتوحيده. والبعد: الهلاك بالعذاب العظيم. ٦٨ جاءت: أتت وقابلت عِيانًا. والرسل: جمع رسول. وهم هنا ملائكة فيهم جبريل. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. وبالبشرى أي: مع الخبر يَسرّ ويُسعد. وسلامًا أي: نسلّم سلامًا. والسلام: السلامة والأمن. وقال أي: إبراهيم. وسلام أي: عليكم. وما لبث: ما أبطأ وما تأخّر. وأن جاء بعجل حنيذ: إحضارُه ولد بقرة مشويًّا. ٦٩ رأى: أبصر إبراهيمُ بعينه. والأيدي: جمع يد. ولا تصل إليه: لاتمتدّ إلى العِجل للأكل. ونكرهم: أنكر حالهم لعدم الأكل. وأوجس: أضمر في نفسه. ومنهم: من جهتهم. والخيفة: الخوف. ولاتخف: اطمئنّ وائتمَن. وأُرسلنا: بُعثنا بأمر الله. وقوم لوط: الجماعة التي يعيش بينها قريبًا من مدينة حمص. ٧٠ امرأته: زوجة إبراهيم واسمها سارة. وقائمة: في حالة قيام لإكرام الضيف. وضحكت: انفرجت شفتاها سرورًا لبشارة هلاكهم. وبشّرناها: أخبرناها على ألسنة الملائكة ما يَسرّها. وبإسحاق أي: بأن تحمل به وتلده. وكانت عقيمًا لم تحمل قطّ. ومن وراء إسحاق: بعده. ويعقوب: أبو يوسف وابن إسحاق. ٧١

الجزء الثاني عشر — سورة هود

قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ (٦٣) وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ
فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ
عَذَابٞ قَرِيبٞ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ (٦٥) فَلَمَّا جَآءَ
أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا
وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ
(٦٧) كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا
لِّثَمُودَ (٦٨) وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ
سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ (٦٩) فَلَمَّا
رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ
قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ (٧٠) وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ
فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ (٧١)

المعنى العام: متابعة ما كان من النبي صالح، إذ قال لقومه: تفكروا في أمرنا وتفهموه وأخبروني: أيُّ مخلوق يحميني من العذاب إن عصيت الله، وقد هداني ورحمني؟ إنكم تريدون ضلالي بأن أضيِّع ما منحني الله من الخير، وقد اخترتُ ناقة لله أختبر صلاحكم. فدعوها ترعى وتشرب، ولا تؤذوها لئلّا ينتقم الله منكم. فذبحها جزار اسمه قُدار، وأنذرهم صالح لذلك بوقوع العذاب بعد ثلاثة أيام، ثم أنقذ الله المؤمنين، وصبَّ الزلازل والصواعق على الكافرين، فهلكوا في ديارهم، مع اللعنة والغضب الرباني.

وعندما جاء الملائكة إبراهيم، وهو مقيم في نابلس، بعد أن هاجر مع زوجته سارة، حيَّوه وردّ عليهم بالتحية، دون أن يعلم أنهم ملائكة، وأحضر لهم عجلًا مشويًّا وامتنعوا عن الأكل، فخشي أن يكونوا لم يقبلوا الضيافة لأنهم أعداء، وأعلموه بحالهم وأن الله أرسلهم لإهلاك قوم لوط ـ وهو ابن أخي إبراهيم، أرسله الله إلى مدن قرب مدينة حمص بالشام بعد هجرته مع عمه إبراهيم وسارة من العراق ـ فضحكت سارة لذلك وهي قائمة بخدمتهم، فبشّروها أنها تحمل بإسحاق يكون له ولد اسمه يعقوب، وكانت عقيمًا لا تلد.

تفسير المفردات: قالت أي: سارة بعجب. وياويلتا: يا فضيحتي. يقال ذلك للتعجب والدهشة. وأألد: كيف أحمل وأضع طفلًا؟ والعجوز: التي تجاوزت الستين سنة. والبعل: الزوج. والشيخ: من أدرك الشيخوخة. وهذا: ما أُبشِّر به. والعجيب: الغريب حصوله. ٧٢ قالوا أي: الملائكة لها. وأتعجبين: لا تعجبي. وأمر الله: قدرته. والرحمة: العطف بالإحسان. والبركة: الفضل الثابت النامي. وأهل البيت: أهل بيت إبراهيم من أزواج وأولاد. وإنه أي: الله تعالى. والحميد: المستحق للحمد والثناء دائمًا. والمجيد: البالغ النهاية في الكرم والعزّ. ٧٣ ذهب: انكشف. والروع: الفزع من ضيوفه لعدم أكلهم. وجاءته: أتته. والبشرى: البشارة بالولد. ويجادلنا في قوم لوط: يعترض على قصد رسلنا الملائكة، حرصًا على استجابة قوم لوط للهداية. ٧٤ الحليم: الكثير التمهّل. والأوّاه: الكثير التضرّع إلى الله. والمنيب: الكثير الرجوع والتوكل على الله في أموره. ٧٥ يا إبراهيم أي: قال الملائكة. وأعرض عن هذا: اترك هذا الجدال. وإنه أي: إن الشأن والموضوع. وجاء: حان وقت وقوعه. والأمر: ما حكم به. وإنهم أي: قوم لوط. وآتيهم: واقع بهم. والعذاب: التعذيب المستأصِل. وغير مردود: حاصل لا محالة. ٧٦ جاءت رسلنا لوطًا: وصلت الملائكة إلى مدينة سَدوم التي فيها لوط. وسيء بهم: لحقه بسببهم ما يُحزن. وضاق بهم: لم يقوَ على احتمال زيارتهم لِما هم عليه من الجمال. والذرع: القُدرة. واليوم: الوقت. والعصيب: الشديد البلاء. ٧٧ جاءه: أتى إلى داره. والقوم: الجماعة من الرجال. ويهرعون: يساقون لطلب الفاحشة في الأضياف. وقبلُ أي: قبلِ مجيئهم. ويعملون: يقترفون. والسيئة: المعصية الشنيعة. قال أي: لوط لهم. ويا قوم أي: يا قومي. وهؤلاء: هذه. وبناتي أي: بنات قومي تتزوجونهن، لأن النبيّ يكون بمنزلة الأب لقومه. وأطهر: أزكى وأكرم. واتقوا الله: تجنّبوا عصيانه والتزموا طاعته. ولا تُخزونِ: لا تُخزوني أي: لا تفضحوني. حذفت الياء للتخفيف. وفي ضيفي: في الإساءة إلى أضيافي. والرجل: الذكر من البشر. والرشيد: المُرشِد إلى الحق. ٧٨ قالوا أي: قومه له. وعلمت: عرَفتَ معرفة يقينيّة. وما لنا أي: ليس لنا. ومن حقٍّ أي: نصيبٌ من الشهوة. ونريد: نطلب. ٧٩ لو أن لي: أتمنّى أن يكون لي. وبكم قوة أي: قدرة على دفعكم. وآوي: ألتجئ للاستعانة. والركن: ما يُستنَد إليه. والشديد: القوي المنيع. ٨٠ قالوا أي: الملائكة. والرسل: جمع رسول، ملائكة لإهلاك الكافرين من قومك. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ولن يصلوا إليك: لن يقدروا على إيصال ضرر إلينا، ليسببوا ضررًا لك. وأسرِ: سِرْ في الليل. وبأهلك: مع مَن آمن بك مِن أسرتك وقومك. وبقطع: في الجزء الأخير. والليل أي: هذه الليلة التي هم فيها. ولا يلتفت: لا يوجّه بصره إلى ما وراءه. وامرأتك: زوجة لوط الأولى كافرة اسمها والهة. ومصيبها: نازل بها ومهلكها. وموعدهم: وقت وعيد هلاكهم. والصبح: الفجر. وهو بُعيدَ السَّحر. وبقريب أي: سريعًا مجيئه. ٨١

الجزء الثاني عشر — سورة هود

قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ
وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ
قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ
﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ
﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا
يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا
مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

المعنى العام: متابعة ما كان من الملائكة في دار إبراهيم بتلك البشارة بأنّ سارة تعجبت أن تلد وهي عقيم وإبراهيم هرِم، فطمأنتها الملائكة أن الله يكرم أهل الأنبياء بالبركات العميمة. وعندما اطمأن إبراهيم شرع يجادل الملائكة لعلهم يدَعون قوم لوط فيؤمنون، وهو كثير الحلم والتوكل على الله، فردّوا عليه بأن هلاكهم أمر من الله، لا بد منه ولا رادّ له بجدال أو دعاء.

ثم زاروا لوطًا في داره، وهم كثيرو الجمال ولم يعلم أنهم ملائكة، فخاف أن يعتدي قومه عليهم، وهم مشهورون باللِّواطة. وفعلًا جاؤوا لذلك، فعرض عليهم زواج بناتٍ من حوله، فأنكروا ذلك لأنهم يريدون الفاحشة الشنيعة. وتمنى لوط أن يستطيع دفعهم، أو أن يرى فيهم من يساعده على ذلك، فطمأنه الملائكة وأعلموه بما جاؤوا له، وأمروه أن يرحل في آخر الليل مع المؤمنين ولا ينتبهوا إلى ما يقع خلفهم صباحًا على الكافرين، وأن يترك زوجته لأنها منهم وكافرة مثلهم، وما كانت تصدّق تهديد زوجها.

تفسير المفردات: جاء أمرنا: قُضي ما قدّرناه من العقاب. وجعلنا: صيّرنا. وعاليها: ما كان فوق الأرض من مساكن القرى. والسافل: ما كان تحت سطح الأرض. وأمطرنا: أسقطنا. والحجارة: جمع حجر. والسجّيل: الطين المطبوخ بالنار. والمنضود: المتتابع. ٨٢ المسومة: التي عليها علامات تميّزها من حجارة الأرض. وعند ربك أي: سُوِّمت بأمر الله. وما هي أي: ليست. والظالمون: من تجاوزوا الحق بالكفر والعصيان. وببعيد أي: شيئًا بعيدًا. ٨٣ إلى مَدْيَن أخاهم أي: وأرسلنا إلى قبيلة جدُّها مَدْيَنُ رسولًا منهم. ومعنى مدين: المُحكِم. وهو ابن إبراهيم من زوجته قنطورى بنت مقطور من العرب، وكان له أشقّاء أقاموا بمكة، ثم تفرقوا فكان منهم قوم شُعيب وترك خراسان وما حولها. وشُعيب هذا نبي عربي كان في عهد موسى وهو أبو زوجته. ويا قوم: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف.واعبدوا الله: وحّدوه. والإلَه: المعبود بحق وحده. وما لكم من إلَهٍ أي: ليس لكم إلَهٌ. وغيره أي: مغايرٌ له. ولا تنقصوا: لا تقلّلوا. والمكيال: الكيل. والميزان: الوزن. وأراكم: أعلمُكم. والخير: النعمة وسَعة العيش. وأخاف: أتوقّع بيقين. والعذاب: التعذيب الشديد. واليوم: الوقت. ومحيط أي: يحاوط من كل جانب ويُهلك. ٨٤ أوفو المكيال: اجعلوه وافيًا دون نقص. وبالقسط : مع العدل. ولا تبخسوا: لا تَنقصوا. والناس: البشر ممن حولكم ومعكم. والأشياء: الأعمال والحقوق، واحدها شيء. ولا تعثوا: لا تُفسدوا. والأرض: بلدة مدْيَن وما حولها. ومفسدين أي: مقترفين الفساد ومشيعين له بين الناس. ٨٥ البقية: الرزق الباقي بالحق. وخير أي: أكثر نفعًا. ومؤمنين أي: مصدّقين الله ورسوله. وما أنا أي: لستُ. والحفيظ: الرقيب يحاسِب ويجازي. ٨٦ قالوا أي: قومه له استهزاء. والصلوات: العبادات. وأتأمرك أي: كيف تفرض عليك؟ ونترك: نهمل. وما يعبد: ما يقدّس من الأصنام. والآباء: جمع أب. وهو الوالد والجدّ ونفعل: نتصرّ ف. والأموال: جمع مال، ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. ونشاء: نريد بدون احتيال وغش. والحليم: ذو العقل الراجح والرأي السليم. والرشيد: المهتدي إلى الحق والخير. ٨٧ أرأيتم أي: تفكّروا وافهموا وأخبروني. والبينة: البيان والوضوح. ومن ربي: من عنده وبأمره. ورزقني: أعطاني. ومنه: من عنده وبفضله. والحسن: الحلال الطيب. وما أريد: لا أقصد. وأخالفكم إلى ما أنهاكم: أخالف إصلاحكم لأعمل ما نهيتكم. وإن أريد: ما أقصد.والإصلاح: إصلاحكم. وما استطعت: قَدْرَ استطاعتي ذلك. وما توفيقي: ليس كوني ملهمًا الصواب. وبالله: بمعونته. وعليه توكلت: فوّضت أمري إليه وحده. وإليه أُنيب: أرجع إلى طاعته ورضاه. ٨٨

الجزء الثاني عشر — سورة هود

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ
وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ
وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ
أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن
نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ
مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

الجزء ٢٤

المعنى العام: متابعة ما كان من عقاب قوم لوط أنه عندما تحقق أمر الله بهلاكهم قلبت القرى ، فصار عاليها سافلًا وسافلُها عاليًا، بما نالها من الزلازل والدمار وتساقطِ الحجارة المطبوخة المتتابعة المعلّمة بأنها من انتقام الله. وهذه الأهوال القاصمة قريبة من كل كافر أيضًا كمشركي مكة وغيرهم، تنزل به حين يتحقق عليه الانتقام الربّانيّ.

ثم أرسل الله شُعيبًا إلى قومه قبيلة مدين، بالتوحيد والعدل والنصح وعدم الغش فيما يقدّر من أصناف المبيعات ليبارك الله لهم المكاسب الطيبة، كما نصحهم بإنصاف الناس في حقوقهم، والإصلاح للعمل والحياة إن كان فيهم شيء من الإيمان بالله والحساب، وأنه يخاف عليهم عقاب الله يحيط بهم إن استمروا على الشرك والظلم والفساد، وأنه ليس مسؤولًا عنهم إذ هو رسول مبلّغ، والله هو المحاسب المجازي.

فسخر المشركون من شُعيب أن تدعوه صلواته إلى أمرهم بالتخلي عن عبادة الأصنام، وعن المكاسب التي تأتيهم بإنقاص المبيعات والغش فيها وغصب حقوق الناس، وهو المتوقَّع منه أن يكون ناصحًا بالنفع لا بالخسارة. فقال لهم: تدبّروا ما أنتم فيه وتفهّموه وأعلموني: أيجوز أن تردّوا نصحي لكم بهذا الكلام، إن كان الله قد هداني ورزقني المال الطيّب ؟ إنني أفعل ما آمركم به، وأريد صلاحكم بقدر ما أستطيع، وأتوكل على الله في جميع أعمالي.

الجزء الثاني عشر سورة هود

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ
قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم
بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى
رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

تفسير المفردات: يا قومِ: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. ولا يجرمنكم: لا يُكسبنّكم. وشقاقي: خلافي. ويصيبكم: ينزل بكم. والمِثل: المماثل. والقوم: الجماعة من الناس. ونوح وهود وصالح ولوط: أنبياء أهلك الله أقوامهم لكفرهم. وما قوم لوط: ليسوا. وببعيد: بعيدين في الزمان والمكان. ٨٩ استغفروا: اطلبوا ستر الذنوب والصفح عنها. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وتوبوا إليه: ارجعوا إليه بالطاعة والتوحيد والعبادة وترك العصيان. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان على المؤمنين. والودود: المحب للصالحين يريد لهم الخير. ٩٠ قالوا أي: قوم شُعيب له. وما نفقه: ما نفهم. والكثير: الكميّة الوافرة. وما تقول أي: ما تتكلم به وتدعو إليه. ونراك فينا: نعلمك فيما بيننا. والضعيف: الذي لا قوة له ينتصر بها. ولولا أي: لولا وجود. ورهطك: عشيرتك. ورجمناك: قتلناك بالحجارة. وما أنت أي: لستَ. وبعزيز أي: غلاّبًا ممتنعًا بقوتك من الضرر. ٩١ الرهط: جماعة الإنسان من الأقربين. وأرهطي أي: كيف تكون جماعتي؟ وأعز: أكثر منَعة وحماية. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. واتخذتموه: جعلتموه. وظهريًّا: مهملًا لا تطيعونه. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ومحيط: كامل الاطّلاع والعلم والمعرفة. ٩٢ اعملوا: تصرّفوا وتحمّلوا ما شئتم. وعلى مكانتكم: مصاحبين حالتكم الاعتقادية وجهة رضاكم. وعامل أي: مستمر في عملي. وسوف تعلمون: لابد أن تعرفوا بيقين. ومن يأتيه: الذي يصيبه. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ويخزيه: يذله ويفضحه بين الأمم. ومن هو: الذي هو. والكاذب: من يقول الباطل. وارتقبوا: انتظروا عاقبة الأمر بيني وبينكم. ورقيب: منتظر. ٩٣ جاء: حان وقت حصوله. والأمر: الحكم والقضاء. ونجينا: أنقذنا. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. والرحمة: العطف بالإحسان. ومنا أي: من عندنا وبأمرنا. وأخذتْ: أهلكتْ. وظلموا: تجاوزوا الحد بالكفر والعصيان. والصيحة: الصرخة العظيمة تزلزل الأرض بمن فيها. وأصبحوا: صاروا. والديار: المساكن، جمع دار. وجاثمين: باركين على الركب ميتين. ٩٤ كأنْ أي: كأنهم. ولم يَغنوا: لم يقيموا. وألا أي: حقًّا. والبعد: الهلاك بالعذاب العظيم. ومدين: القبيلة التي كفرت بشُعيب. وبعدت: هَلَكَت وطُرِدَت من رحمة الله. وثمود: قوم النبي صالح. ٩٥ أرسلنا: بعثنا. وموسى: الرسول الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة. وبآياتنا: مع معجزاتنا. والسلطان المبين: البرهان الواضح يشهد بنبوة موسى. ٩٦ فرعون: ملك مصر في عهد موسى. والملأ: الرؤساء والسادة المترفون يتهالؤون على الباطل. واتّبعوا: استمروا على الاتّباع والطاعة. والأمر: ما أوجبه من المفاسد والمظالم والكفر. وما أمر فرعون أي: ليس أمره. وبرشيد أي: سديدًا صالحًا. ٩٧

المعنى العام: متابعة ما كان من شُعيب بأنه نهى قومه عن طلب الشر بمخالفته، لئلّا يتعرضوا لانتقام الله، كما جرى للأمم الكافرة قبلهم، وذكّرهم أن ما وقع على قوم لوط من الدمار والاستئصال قريب منهم في الزمان والمكان، وعليهم أن يتوبوا ويستغفروا ليرحمهم الله الودود، فزعموا أنهم لا يفهمون كلامه، وهو لا مكانة له عندهم وعاجز عن حماية نفسه، وهم لا يبطشون به إكرامًا لعشيرته، فرد عليهم بأن الله أحق من عشيرته بخوفهم، ويعلم ما يفعلون وسيحاسبهم. فليسيروا في طريقهم المعتادين عليه، وشعيب في طريقه الذي يعتقد صوابه، وسوف يرون من هو المفسد ويحل عليه عذاب الله. وعندما جاء وقت الانتقام، أنقذ الله المؤمنين برحمته، وانصبت على الكافرين صيحة الهلاك، فدمرت ديارهم وهلكوا بغضب الله عاجزين عن القيام ، كأنهم لم يكونوا من قبل. ثم جاء موسى بالمعجزات القاهرة إلى فرعون ورجال حاشيته المترفين المفسدين المتواطئين على الباطل، فأصروا على اتّباع فرعون بالكفر والفساد.

تفسير المفردات: يقدم: يتقدّم في الصدارة ويقود. وقومه: الجماعة من أتباعه وجنوده الأقباط العرب. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث للحساب والجزاء. وأوردهم: سبب لهم الدخول. والنار: نار جهنم. وبئس: بلغ الغاية في الشر والضرر والبؤس. والورد: مكان الدخول. والمورود: المدخول. ٩٨ أُتبعوا: أُلحقوا. وهذه أي: الحياة الدنيا. واللعنة: الدعاء بالطرد من رحمة الله. والرفد: العون. والمرفود: المُعان به. ٩٩ ذلك أي: ما ذكر في الآيات ٢٥ـ ٩٩. والأنباء: جمع نبأ. وهو الخبر العظيم. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. ونقصه: نسرده ونفصّله. ومنها أي: بعضها. والقائم: ما بقي منه آثار ظاهرة. والحصيد: ما دُمِّر واختفى. ١٠٠ ما ظلمناهم: ما تجاوزنا العدل في عقاب تلك الأمم المستأصَلة. وظلموا أنفسهم: جاروا عليها فعرّضوها للعذاب. والأنفس: جمع نفْس، حققة الإنسان بروحه وجسده. وما أغنت: ما دفعت. والآلهة: ما عُبد من المخلوقات، جمع إلَه. ويدعون: كانوا يعبدونها. ودون الله: غيره. ومن شيءٍ:أيّما إغناء! ولمّا جاء: حين وقع وحصل. والأمر: الحكم والقضاء بالانتقام. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وما زادوهم: ما أضاف إليهم معبودوهم. والتتبيب: التخسير والتدمير. ١٠١ كذلك أي: مثل ما ذكر في الآيات ٢٥ـ ١٠١. والأخذ: العقوبة قهرًا. وإذا أخذ أي: حين يعاقب. والظالمة: المتجاوز أهلُها للحق بالكفر والعصيان. والأليم: المؤلم جدًّا. والشديد: العنيف الفظيع.
١٠٢ الآية: العبرة والاتعاظ. وخاف: خشي. والعذاب: التعذيب الشديد. والآخرة: يوم القيامة في الحياة الآخرة. واليوم: الوقت. ومجموع: محشور من القبور بالقهر للحساب والجزاء. وله أي: فيه. والناس: البشر. والمشهود: الذي تشهد ما فيه الخلائق العاقلة وتحضره. ١٠٣ ما نؤخره: ما نؤجّل وقوعه. والأجل: الوقت المحدّد. والمعدود: القليل العدد بالنسبة إلى الزمن المطلق. ١٠٤ يوم أي: حين. ويأتِ: يأتي أي: يحدث. حذفت الياء للتخفيف. ولا تكلم: لا تتكلم أي: لا تنطق بما ينفع. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. والنفس: الكائن الحيّ من العاقلين. والإذن: السماح. ومنهم أي: بعضهم. والشقي: الذي وجبت له النار فكان له الشقاء، لاختياره الكفرَ وإصراره عليه. والسعيد: الذي ينعم بالجنة، لاختياره الإيمانَ وصلاحه. ١٠٥ شقوا: تعسوا. والنار: نار جهنم. والزفير: الصوت الشديد. والشهيق: الصوت الضعيف. ١٠٦ خالدين أي: مقيمين أبدًا. وما دامت: مدة بقائها. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وما شاء: الزمن الذي أراده. وفعّال: محقّق للفعل. ولِما يريد: ما يشاؤه.١٠٧ سُعدوا: أسعدهم الله بالنعيم الدائم. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الأشجار والقصور والنعيم. والعطاء: المنح تكرُّمًا. والمجذوذ: المقطوع أو الممنوع. ١٠٨

ربع الحزب ٢٤

الجزء الثاني عشر — سورة هود

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ
ٱلْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ
ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ (٩٩) ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ
مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ
أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا
نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
(١٠٧) ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)

المعنى العام: متابعة ما يكون لفرعون بأنه يتصدر قومه يوم القيامة ويقودهم إلى جهنم، وما أشقاها من موردا! وقد لحقتهم في الدنيا لعنة الله و سائر الأمم، لِما خلّفوا من أخبارهم القبيحة، ولهم في الآخرة عطاء فظيع، ما أشقاه من عطاء! فاللعنة مزدوجة لهم في الدارين: الأولى رفد للهلاك بالغرق، والثانية رفد للعذاب في جهنم.

فما ذُكر من قصص الأمم المهلكة أوحاه الله وبيّنه للعظة والاعتبار، فبقيت آثار لبعضها ، وامّحت الأُخرى بما غمرها من الأراضي، وكان الحكم فيهم عادلًا وهم ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان، ولم تسعفهم معبوداتهم، بل زادتهم خسارة بما سببت لهم من الضلال.

وكذلك يكون انتقام الله ممن يكفرون، وفيه عبرة لمن خاف الله ويوم الحساب والعقاب، حين يُحشر الناس، ولا يتكلم أحد إلاّ بإذن الله، ويفترقون: الأشقياء خالدون في جهنم بالعويل والصراخ، والسعداء خالدون في نعيم الجنة بعطاء دائم. وكلهم فيما انتهوا إليه يستمرون مادامت السماوات والأرض. غير أن عُصاة المؤمنين يخرجون من النار إلى الجنة بفضل الله استثناء بالقضاء المحتمل، وقد أمضوا في عذاب جهنم ما شاء لهم، وحُرموا ما شاء لهم من نعيم الجنة.

تفسير المفردات: لا تك في مرية أي: دُم على ما تعتقده، أيها النبيّ. وحذفت نون « تكن » للتخفيف. والمرية: الشك والتردد. وما يعبد: ما يقدّس من المخلوقات. وهؤلاء أي: المشركون. والآباء: جمع أب. وقبلُ أي: قبلِ هؤلاء المشركين. وموفّوهم نصيبهم: نطيعهم حظهم كاملًا. والمنقوص: المتروك بعضه. ١٠٩ آتينا: أعطينا وكلفنا بالتبليغ. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. والكتاب: التوراة. واختلف فيه: كان خلاف بسبب تقبل الكتاب. ولولا أي: لولا وجود. والكلمة: الحكم الأزلي من الله فيما قدّره. وسبقت: وقع تقديرها ووجب القضاء بها. ومن ربك أي: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وقُضي بينهم: فُصل عاجلًا بين المختلفين. وإنهم أي: المشركين والكافرين بالقرآن الكريم. والشك: التردد بين القبول والإنكار. والمريب: الموقع في الريب والداعي إلى توهم الأباطيل. ١١٠ كلًّا أي: كل البشر. ولمّا أي: لم يُجزَوا بعدُ ما يستحقون. وليوفّينّهم أي: والله ليعطينّهم بالوفاء والتمام. والأعمال أي: جزاؤها، جمع عمل. وهو ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل بالاختيار والقصد. والخبير: العالم بظاهر الأمور وبواطنها. ١١١ استقم: اثبُتْ فيما أنت عليه، أيها النبي. وأُمرت: فُرض عليك. وتاب: رجع عن الشرك ولزم الإيمان. ولا تطغوا: لا تتجاوزوا حدود ما شرع الله. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والبصير: المطّلع المحيط بدقائق الأمور وعظائمها وخفيّها وظاهرها. ١١٢ لا تركنوا: لا تميلوا ولا تطمئنوا. وظلموا: كفروا وأشركوا. وتمسكم: تصيبكم. والنار: نار جهنم. وما لكم أي: ليس لكم. ودون الله أي: غيره. والأولياء: جمع ولي. وهو النصير يعين في الشدائد. ولا تنصرون: لا تُمنعون من عذابه. ١١٣ أقم الصلاة: دُم على القيام بالعبادة المكتوبة كل يوم خمس مرات. وطرفا النهار: جانباه أوله وآخره. والنهار: ما بين الفجر والغروب. والزُّلَف: واحدها زُلفة. وهي القطعة. والليل عكس النهار. والحسنة: ما استحسنه الشرع من العمل. ويُذهبن: يَمحون. والسيئات: الذنوب الصغائر. وذلك أي: الأمر بالاستقامة وما بعده. والذكرى: ما يعظ ويذكر بالصلاح. والذاكر: المتعظ. ١١٤ اصبر: تجلّد وتحمّل. ولا يضيع: لا يهمل. والأجر: الثواب. والمحسن: من يخلص في نيته وعمله. ١١٥ لولا أي: هلّا، للتوبيخ والتشنيع. والقرون: الأمم، جمع قرن. وأولو بقية: أصحاب فضل من الصلاح. وأولو مفرده: ذو. وينهون: يمنعون ويزجرون. والفساد: عمل الشر. والقليل: العدد اليسير من الناس. وأنجينا: أنقذنا. واتّبع: انقاد. وظلموا: أفسدوا وكفروا. وما أُترفوا: ما تنعّموا وتلذّذوا. ومجرمين: مقترفين للجرائم والكفر. ١١٦ ما كان أي: ما أراد. وليُهلِك أي: أن يدمر بالكوارث والعذاب. والقرى أي: ومَن فيها. وهي جمع قرية، أي: بلدة. والظلم: مجاوزة العدل. وأهلها: المقيمون فيها. ومصلحون أي: طالبون للخير في العمل والتوجيه ومجتنبون للشر. ١١٧

الجزء الثاني عشر — سورة هود

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ
﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ
ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ
﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ
فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

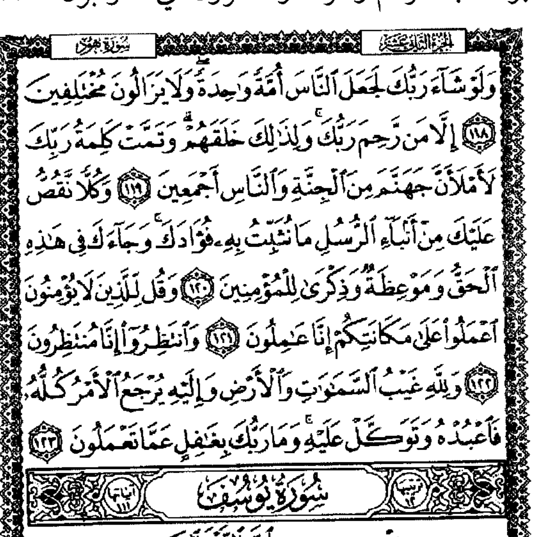
المعنى العام: لا يراودْك شك في ضلال المشركين - أيها النبيّ - ودم على ما تعتقده في بطلان ما يعبدون من الأصنام وغيرها من المخلوقات كالملائكة والجن والبشر والحيوان والأوهام، كما عبد آباؤهم. وسوف نجزيهم ما فعلوا بالوفاء والتمام. وكذلك كان قوم موسى، إذ أعطيناه التوراة، فاختلفوا في تقبلها كما يختلف المشركون في القرآن الكريم، ولولا القضاء المقدّر بتعيين زمن الانتقام لنزل بهم ما يلزمهم، وهم في حيرة مضللة من ذلك. فكل منهم لم يُكافأ بعدُ، وليعاقبنّهم الله بالعدل، وهو خبير بأعمالهم.

وعليكم بالاستقامة والإحسان وعدم المساهلة للكافرين بالتنازل عن الحق ـ أيها المؤمنون ـ لئلّا تنالوا العذاب بلا نصير، ودم على الصلاة في أوقاتها. ونزل فيمن ارتكب بعض المعاصي أن الحسنات يُذهبن السيئات، والسيئاتِ يُذهبن الحسناتِ. ولم يكن في الأمم الماضية إلّا قليل من الصالحين الواعظين، أنقذناهم من العذاب، وقد انساق المترفون مع شهواتهم، فأهلكناهم بظلمهم وإعراضهم عن الصلاح.

تفسير المفردات: شاء: أراد هداية الناس جميعًا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وجعل الناس: صيّرهم. والأمة: الجماعة على دين واحد. ولا يزالون مختلفين: سيبقون أبدًا متنازعين متخاصمين. ١١٧ رحم أي: عطف عليه بالإحسان. ولذلك أي: ليحصل الاختلاف والرحمة. وخلقهم: أنشأ أهل الخلاف وأهل الرحمة. وتمت: وجبت. وكلمة ربك: حُكمه الأزلي بحسب علمه ـ عز وجل ـ ما سيختاره كل مكلّف. ولأملأنّ جهنم أي: بي حلفتُ لأضعنّ فيها ما يَشغلها تمامًا. وجهنم: دار العذاب للكافرين وأمثالهم. والجِنّة: الجنّ. والناس: البشر. وأجمعين: كلهم مجتمعين. ١١٩ كلًّا أي: كلَّ ما يفيدك في الدعوة والعمل. ونقص: نسرد ونتلو. والأنباء: جمع نبأ. وهو الخبر العظيم. والرسل أي: مع أقوامهم، جمع رسول. وهو من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. ونثبت: نُطمْئن ونسكّن. والفؤاد: القلب الواعي. وجاءك: وصل إليك بالوحي. وهذه أي: الأنباء والآيات. والحق: الصدق من الأخبار والعلوم، والثابت من الأدلة على التوحيد والعدل والنبوة والبعث. والموعظة: ما يَزجر سامعَه ويحمله على الصلاح. والذكرى: التذكير بالحق ووجوب الإيمان. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ١٢٠ قل يعني: أيّها النبيّ. واعملوا: استمرّوا في العمل. ومكانتكم: حالتكم التي أنتم عليها من الكفر. وعاملون أي: مستمرّون على ما نحن فيه من الإيمان والعمل. ١٢١ انتظروا: ترقّبوا عاقبة أمركم وأمرنا. ومنتظرون أي: مترقّبون. ١٢٢ الغيب: ما غاب عن إدراك البشر. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجرام وعوالم عُلوية. وإليه: إلى قضائه وحكمته. ويُرجَع: يعاد في الدنيا والآخرة. والأمر: الحكم على الخلائق. واعبده: وحّده. وتوكّل عليه: ثق به وحده. وما ربك أي: ليس ربك. وبغافل أي: ساهيًا لا يدري ما يكون. وتعملون: تكتسبونه. ١٢٣

المعنى العام: أن الله لم يُرد جعل الناس على دين واحد، ولذلك سيبقون في خلاف إلّا الذين رحمهم وهداهم إلى الحق. ولكي يحصل ذلك فعلًا خلق الله الناس، فتحققت إرادته، وهي مَلء جهنم من الكافرين والعاصين.

وقد سردنا عليك - أيها النبيّ - من أخبار الرسل ما يطمئنك بما فيه من الحق والإرشاد. فقل للكافرين مهددًا: اعملوا ما يناسبكم، ونحن نعمل ما يناسبنا، وترقّبوا معنا نتائج ذلك. والله يحاسبكم بما تستحقون لأنه يعلم ما غاب في السماوات والأرض وفي غيرهما من الكون، وإليه تُرد أمور الخلق كلهم. واستمرّ على التوحيد والثقة بالله - أيها النبيّ ـ وهو مطّلع على ما تعملون جميعًا، يحاسب كلًّا بما يستحق.


الجزء الثاني عشر — سورة هود

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

١٢ ـ سورة يوسف

تفسير المفردات: الّر: أحرف مقطَّعة استأثر الله بعلمها، وهي سره المكنون في كتابه العزيز. وتلك أي: هذه معظمةً. والآيات: النصوص التي توحى. والكتاب: القرآن الكريم. والمبين: المُظهر للحق من الباطل. ١ أنزلناه: أوحيناه على لسان جبريل. والقرآن: المقروء. والعربي: الواضح البيان بلغة العرب المتناهية في البلاغة. ولعلكم: ليُرَجَّى لكم، أيها المخاطَبون. وتعقلون: تفهمون المعاني. ٢ نقص عليك: نتلو عليك، أيها النبيّ. والأحسن: الأجود لِما فيه من بالغ الصدق والعلم. والقَصص: ما يُروى من الأحداث. وبما أوحينا أي: بتبليغنا على لسان جبريل. وإنْ أي: قد. والغافلون: من لم يكن لهم علم بما في القرآن. ٣ إذ قال يوسف أي: اذكر وقت قوله. ويوسف: ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ومعناه الضيف. ويا أبَتِ أي: يا أبي. ورأيت: حَلَمتُ في المنام. والكوكب: الجرم يدور حول الشمس. والشمس: النجم النهاري. والقمر: الكوكب الليلي. وساجدين أي: خاضعين لي داخلين تحت أمري. ٤

المعنى العام: نزلت هذه السورة إجابة لطلب قريش أن يعرفوا قصة حياة يوسف. فهذه الآيات من القرآن المبين أوحاها الله ببلاغة العرب وبيانهم الرفيع، ليدركوا ويتعظوا. وهو يسرد أحسن القصص عليك ـ أيها النبيّ ـ مما لم يكن لك به ولا بالعقيدة والشريعة والأخبار والعلوم من معرفة. فاذكر لقومك ولنفسك ما جرى ليوسف، حين قال لأبيه: إنه رأى في منامه أحد عشر كوكبًا مع الشمس والقمر تخضع له وتجري كما يريد.

تفسير المفردات: قال أي: يعقوب لابنه يوسف. بُنيَّ: ابني الصغير، وهو في حوالَي العاشرة من عمره. ولا تقصص: لا تسرد. والإخوة: جمع أخ، أبناء يعقوب من أُمّ غير أُمّ يوسف. والرؤيا: ما يُرى في النوم من الأحلام. ويكيدوا لك: يحتالوا بالمكايد لقتلك. والشيطان: من يوسوس بالشر ويغري به من الإنس أو الجن. والإنسان: جنس البشر. والعدو: المعادي. والمبين: المُظهِر للعداوة. ٥ كذلك: كما رأيتَ في المنام من اختصاص الله إياك بالخير. ويجتبيك: يخصك بفضل منه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويعلمك: يلهمك وييسّر لك. والتأويل: تفسيرالشيء بردّه إلى الغاية المقصودة به. والأحاديث: جمع حديث، ما يُتحدث به من الأحلام. ويتم نعمته: يجعل إحسانه تامًّا. والآل: الأهل من الزوجة والأولاد والحفدة. ويعقوب هو أبو يوسف نفسه. وأبواك يعني: إسحاق جدّ يوسف وإبراهيم جدّ أبيه. وقبل: قبلك. والعليم: المحيط علمُه بالخفايا والظواهر. والحكيم: الذي تكون أقواله وأفعاله مع الحكمة البالغة، يضع الأشياء مواضعها الحقة. ٦ في يوسف أي: في قصته. والآيات: العِبَر والعظات. والسائلون: من يطلبون إخبارًا. ٧ إذ قالوا: وقت قول إخوة يوسف فيما بينهم. وأخوه هو شقيقه بنيامين. وأحب: أكثر حبًّا وتفضيلًا. ونحن عصبة: نحن جماعة أكثر نفعًا لأبينا. والضلال: الخطأ. والمبين: البيّن جدًّا. ٨ اقتلوا يوسف: أجهزوا عليه لتفارق روحه جسده. واطرحوه أرضًا: ألقوه في أرض بعيدة. ويخلو: يتفرغُ ويصفو. ووجه أبيكم: توجّهه بشخصه. وتكونوا: تصيروا. والقوم: الجماعة من الرجال. والصالحون: من أصلحوا عملهم بالتوبة والإحسان. ٩ القائل هو يَهوذَى. وألقوه: أسقطوه. والغَيابة: ما غاب لخفائه وظُلمته. والجبّ: البئر. ويلتقطه: يأخذه لُقَطةً. والبعض: الواحد أو الأكثر. والسيارة: مفرده سيّار. وهو الكثير الأسفار. وفاعلين أي: عازمين على التفرقة بينه وبين أبيه. ١٠ قالوا أي: الإخوة. وما لك: أيُّ عذر لك؟ ولا تأمنّا: لا تطمئنّ إلينا. والناصحون: من يخلصون المودة وإرادة الخير. ١١ أرسله: أطلقه ولا تمنعه من الذهاب. وغدًا: في اليوم التالي. ويرتع: ينشط. ويلعب: يسابق ويتدرب على الرمي والمناضلة. وناصحون أي: موجِّهون إلى الخير وحامون من كل آذى. ١٢ قال أي: يعقوب لهم. ويحزنني: يؤلم قلبي. وتذهبوا به: تصطحبوه. وأخاف: أخشى. ويأكله: يقتله ويفترسه. والذئب أي: حيوانٌ مّا متوحش. وغافلون أي: مشغولون باللعب والتدرب. ١٣ لئن أي: نُقسِمُ إن. والعصبة: الجماعة المتعاونة على حمايته. وإذًا أي: إن أكله الذئب. وخاسرون أي: عاجزون نضيّع ما نأمله ولا خير فينا. ١٤

الجزء الثاني عشر — سورة يوسف

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ
إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ
يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ
بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ
وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ
فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

نصف الحزب ٢٤

المعنى العام: أن يعقوب علِم من قصة الرؤيا أن الله يصطفي يوسف للرسالة دون إخوته من زوجاته الثلاث، وإذا علموا ذلك احتالوا للتخلص منه بالكيد لِما يوسوس لهم الشيطان به من المؤامرات، فنصحه أن يكتم عنهم خبر رؤياه، وأعلمه أن الله سيفضله بنعم كتفسير الرُّؤَى وإلهام الخير والهداية، فتحصل له منها أنواع المكرمات، كما كان لأجداده قبلُ بالفضل على إبراهيم وابنه إسحاق أبي يعقوب.

وكان الإخوة المذكورون يحسدون يوسف لمحبة أبيه له ولشقيقه بنيامين، ويرون أنهم أحق بها منهما وأن أباهم مخطئ في ذلك خطأ فادحًا، فكان بينهم تآمر على يوسف ليتخلصوا منه. كانوا يقترحون قتله، فنصحهم واحد منهم أن يلقوه في الجب ليأخذه عابرو الطريق مملوكًا مشرّدًا في بلاد بعيدة.

وعلى هذا اتفقوا، وطلبوا من أبيهم السماح ليوسف أن يذهب ليلعب معهم في الصحراء، مستنكرين الاحتفاظ به عنده وعدم ائتمانهم عليه مع أنهم يريدون له الخير، كما يزعمون، فأجابهم أبوهم أنه يُشفق من ذهاب يوسف معهم لئلا يفترسه ذئب وهو يلعبون، ثم سمح لهم باصطحابه، وكأنّه بذكره الذئب، لقّنهم ما يقولون من العذر بعد. فأجابوه بالحرص على سلامته، لأنهم جماعة متعاونة وليسوا قاصرين مضيعين للأمانة.

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ
دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

تفسير المفردات: لمـّا ذهبوا به: عندما أخذوه معهم. وأجمعوا: اتفقوا وعزموا. ويجعلوه: يُلقوه. والغيابة: ما هو خفيّ غائب لظُلمته. والجبّ: بئر قرب نابلس.و أوحينا إليه أي: أعلمناه على لسان جبريل. ولتنبئنّهم: والله لتعلمنّهم وتخبرنّهم. وأمرهم: عملهم ذلك. ولا يشعرون: لا يُحسون ولا يعلمون بك قُبيل الإنباء. ١٥ جاؤوا: رجعوا قاصدين. وأبوهم: يعقوب. وعشاء: مساء. ويبكون: يصرخون ويُعولون. ١٦ ذهبنا: انطلقنا. ونستبق: نتسابق بالجري ورمي السهام. وتركنا: جعلنا. ومتاعنا: بعض حوائجنا. وأكله: قتله وأكل بعضه. والذئب: الوحش المفترس. وما أنت أي: لستَ. وبمؤمن أي: مصدّقًا. ولو كنّا صادقين: مع أننا نقول الحق. ١٧ جاؤوا: أحضروا. والقميص: ما يُلبس من الثياب. والدم: ما يسيل من جرح الإنسان. والكذب: المكذوب المختلق. وقال أي: أبوهم لهم. وبل سوّلت: ليس الأمر كما تزعمون، وإنما زيّنت وحبّبت. والأنفس: جمع نفس، الضمير. والأمر: العمل. والصبر: حُسن الاحتمال والتجلّد. والجميل: الذي لا غضب فيه ولا تأنيب. والمستعان: المطلوب منه العون. وعلى ما تصفون: على تحمّل ماتصفونه من المزاعم. ١٨ جاءت: وصلت. والسيّارة: المسافرون، واحدهم سيّار. وأرسلوا: بعثوا. والوارد: من يأتي إلى البئر يستخرج منها الماء لجماعته. وأدلى: دلَّى. والدلو: إناء يربط بحبل ويُستقى به الماء من البئر. ويا بُشراي: يا بِشارتي، احضُري لِما لقيت من الدهشة. وهذا أي: مع الدلو. والغلام: الطفل. وأسرّوه أي: أخفى الإخوة أمر أُخوّتهم ليوسف. وبضاعة أي: زعموه شيئًا من مالهم مملوكًا للتجارة. والعليم: المطّلع المحيط بما يكون. ويعملون: يكتسبونه ويتحمّلونه. ١٩ شروه: باعوه. والثمن: ما يأخذه البائع قيمة للبضاعة.والبخس: القليل. والدراهم: جمع درهم، قطعة فضية من النقد ذات قيمة زهيدة. والمعدودة: القليلة يسهل عدها. وكانوا أي: إخوته. والزاهدون: الراغبون عن الشيء يريدون الخلاص منه. ٢٠ الذي اشتراه: الوزير الذي ابتاعه من القادمين به. ومصر: مدينة في البلد المعروف بهذا الاسم الآن. والمرأة: الزوجة. وأكرمي مثواه: اجعلي مكان إقامته مكرّمًا. وعسى: يُترجَّى ويُتوقع. وينفعنا: يكون فيه خير بقضاء مصالحنا. ونتخذه: نجعله. وولدًا أي: نتبنّاه كولد لنا. وكذلك أي:على هذه الحال من الإنقاذ والإكرام. ومكّنّا له: جعلنا له مكانًا ليصبح متحكّمًا. والأرض: أرض مصر. ونعلّمه: نلهمه المعرفة والتبصُّر. وتأويل الأحاديث: تفسير الأحلام بدقة وصدق. وغالب على أمره: محقّق ما يريد لا يُعجزه شيء. ولا يعلمون: لا يدركون ذلك. ٢١ بلغ: أدرك. والأشُدّ: منتهى اشتداد الجسم والقدرات في حواليَ الثلاثين من العمر. وآتيناه: أعطيناه. والحكم: الحِكمة في تصريف الأمور. والعلم: الفقه للأحكام الصالحة. وكذلك أي: كما يسرنا له تلك الخيرات. ونجزي: نكافئ. والمحسنون: الذين يحسنون العمل مع مراقبة الله. ٢٢

المعنى العام: أنه لما اتفق إخوة يوسف على رميه في الجب، وسمح لهم أبوهم باصطحابه، أخذوه معهم وأنزلوه بحبل إلى الجب وتركوه فيه، وأوحى الله إليه يطمئنه أنه سينجو من البئر، ويُخبرهم بما كان منهم، وهم جاهلون بحاله يومذاك، ثم رجعوا مساء يتباكون زاعمين أنهم تركوا يوسف مع أغراضهم وأكله الذئب، ومحضرين ثوبه سليمًا ملطخًا بالدم، فاتهمهم أبوهم بالكيد وفوّض أمره إلى الله مع الصبر الجميل.

ولمـّا أراد أحد المسافرين إخراج ماء من البئر لأصحابه تعلق يوسف بالدلو، فدهش الرجل بهذه البشرى السعيدة، أن يرى غلامًا مع الدلو، وادعى إخوته أنه عبد لهم هرب منهم فباعوه لجماعة المسافرين بقليل من المال، ثم اشتراه من الجماعة وزيرُ ملك مصر المسؤولُ عن خزائنها، وهو عقيم لا ولد له، فأوصى زوجته زليخا بإكرامه، ليجعلاه ولدًا لهما.

وعلى هذه الحال من الإكرام يسّر الله له الاستقرار، ولكي يهيّئ له اكتساب المعارف وحُسن تصريف الأمور وعلم تفسير الأحلام بصدق . وهكذا أبطل كيد إخوته له بما هو خير ونعمة، وأحسن جزاءه على الصبر والإيمان كما يجزي المحسنين دائمًا.

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا
ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ
قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

تفسير المفردات: راودته: خادعته لتزيل تمنّعه عن مضاجعتها زنًى. والبيت: القصر مكان الإقامة والاستقرار. ونفسه: قصده وإباؤه. وغلّقت: شدّت الإغلاق بعنف. والأبواب: مداخل القصر، جمع باب. وقالت أي: له. وهيتَ: أقبِلْ وأسرِعْ. ولك أي: أخاطبك والخطاب لك. ومعاذ الله: أعوذ بالله من ذلك. وإنه ربي: إن زوجك سيّدي. وأحسن مثواي: تعهّدني بالإكرام وأمَرَكِ بذلك فلا أخونه. وإنه أي: إنّ الشأن والحال. ولا يفلح: لا يظفر بخير. والظالمون: الكافرون للمعروف. ٢٣ همت به: قصدت مضاجعته بالقسر والعنف. وهمّ بها أي: كاد يقصد مضاجعتها. ولولا أي: لولا وجود. ورأى: تذكّر ببصيرته ما هو بمرتبة عين اليقين. والبرهان: العلم اليقيني والحُجّة الدالة على تحريم الفواحش. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وكذلك أي: حال يوسف ثابتة على ما ذكرنا من امتناعه عن الهمّ لرؤية برهان ربّه. ونصرف: نمنع ونحفظ. والسوء: ما يقبح من الفعل. والفحشاء: الشنيعة من الأفعال. والعباد: جمع عبد. وهو العابد. والمخلَص: مَن اختاره الله وفضله بالإكرام. ٢٤ استبقا الباب: أسرع يوسف إلى باب القصر هربًا، وتابعته زليخا لتمسك به وتمنعه من الهرب. وقدّت: شقّت وقطعت. والقميص: الثوب. ومن دبُر: من خلفه. وألفيا: وجدا. وسيدها: زوجها الوزير. ولدى: عند. وما جزاء أي: ليست عقوبة. وأراد: قصد. والأهل: الزوجة. والسوء: الزنى. ويسجن: يحبس. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم بالضرب. ٢٥ قال أي: يوسف. وراودتني: خادعتني وأغرتني. وعن نفسي أي: لتزيل تمنُّعي. وشهد: قال ما يَصلح لفض الخلاف. والشاهد: الرجل الحكيم. وأهلها: أقرباؤها الأدنون. وقُدّ: شُقّ وقطع. ومن قُبل: من قُدّام. وفصدقت: فقد صحّ ما تقوله وثبَت. والكاذبون: الذين يقولون غير الحق. ٢٦ فكذبت أي: فقد بطَلَ قولها وثبَتَ كذبها واختلاقها. والصادقون: من يقولون الحق. ٢٧ رأى: أبصر زوجها عِيانًا. وإنه أي: إن فعلك وقولك. والكيد: المكر والخديعة. والعظيم: لا مثيل له. ٢٨ يوسف يعني: يا يوسف. وأعرِضْ عن هذا: اكتم ما جرى. واستغفري: توبي واطلبي العفو. والذنب: المعصية تقتضي العقاب. والخاطئون: جمع خاطئ، وهم يشملون الرجال والنساء. والخطأ هنا: طلب الفاحشة واتهام يوسف. ٢٩ النسوة واحدته امرأة. والمدينة: بلدة مصر. والعزيز: الوزير. وتراود: تطلب الزنى. والفتى: العبد المملوك. شغفها: اخترق غلاف قلبها إلى صميمه. والحب: الرغبة القوية والشهوة. ونراها: نعلمها بحق. والضلال: الخطأ. والمبين: الظاهر الفاضح. ٣٠

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

المعنى العام: أن زليخا أغلقت أبواب القصر بشِدّة وحاولت خداع يوسف، ودعته للزنى بالتشجيع والإغراء قاصدة مصمّمة، ثم هجمت عليه لذلك، ولولا تقواه لله وإخلاص الله إياه للنبوة والإحسان لقصد ذلك أيضًا، لكنه أبى وهرب فتمسكت بذيل قميصه وتمزق بيدها. وما ذكره القصاصون من أقوال متناقضة مردود، لأنه يجب الوقف هنا على «به»، ليكون التحقيق بـ «لقد» مقصورًا على همها وحدها. وجواب «لولا» يدل عليه ما قبله، أي: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها. وهذا يعني أنه لم يهمّ قط.

فيوسف لم يحدِّث نفسه بالفاحشة ولم ينوِها، لأنه عرف البرهان الراسخ في نفسه، فهرب نحو الباب وتابعته لتمنعه من الهرب، وإذ ذاك صادفا الزوج عند الباب فاتهمت يوسفَ بما أرادت هي، وطلبت عقابه، وردّ عليها بأنها هي المراودة له، ثم شهد أحد أقربائها بأن يُستدلّ على الصواب بما في القميص من تمزّق. وعندما تبيّن أن التمزُّق من الخلف ثبَت كذبها وصدق يوسف، فطلب الزوج من يوسف كتمان الموضوع، وعنّفها وأمرها بالاستغفار. ولكن الخبر اشتهر لأن زليخا نفسها أخبرت بعض النساء بما حصل، ولا يكون سرًّا ماعرفته النساء، فدار بينهن الكلام على عشقها ومراودتها للفتى المملوك، وعلى ضلالها المبين في ذلك.

تفسير المفردات: سمعت: أدركت ما وصل إلى سمعها. والمكر: تدبير الأذى بالخفاء. وأرسلت إليهن: دعتهن لزيارتها. وأعتدت: هيّأت. والمتكأ: ما يُتّكأ عليه في الجلوس بارتياح للطعام. وآتت: أعطت. والسكّين: ما يقطع به من أدوات الطعام. وقالت أي: ليوسف. واخرج عليهن أي: فاجئهن بالظهور. ورأينه: أبصرنه عِيانًا. وأكبرنه: أعظمنه ودُهشْن بجماله وهيئته. وقطّعن: جرّحن. والأيدي: جمع يد. والمراد بها الكف. وحاشَ لله أي: تنزيهًا لله مع الإقرار بقدرته وعظمته، لخلق هذا الجمال الباهر! وحذفت ألف «حاشى» للتخفيف، تعبيرًا عن الدهشة والاستعظام. وما هذا أي: ليس يوسف. والبشر: الإنسان. وإن هذا أي: ليس يوسف. والمَلَك: المخلوق من نور. والكريم: الشريف المفضّل عند الله. **٣١** قالت أي: زليخا للنسوة. وذلكن أي: هذا معظّمًا. ولمتنني فيه: وصفتُنّني بالقبيح وعنّفتُنّني لحبه. وراودتُه عن نفسه: خادعتُه لأُزيل تمنُّعه عن مضاجعتي. واستعصم: امتنع وعَفَّ وتنزَّه. ولئن أي: والله إن. ولم يفعل: لم ينفّذ دون خلاف أو تقصير. وآمره به: أدعوه إليه وأطلبه منه. ويسجننّ: يوضعنّ في السجن. ويكوننْ: يصيرنْ. والصاغرون: الأذلّاء. **٣٢** قال أي: يوسف يدعو الله. وربّ أي: يا ربّي. حذف حرف النداء لِـما فيه من معنى الأمر، وحذفت ياء المتكلم للتخفيف. السجن: مكان الحبس. وأحبّ إليّ: هو الأفضل عندي. ويدعونني إليه: يأمرنني به من الزنى. وإلّا تصرف: إن لم تمنع. والكيد: المكر والإغراء وتدبير المكايد. وأصبو: أميل. وأكن: أصِرْ. والجاهلون: السفهاء لايميّزون الخير من الشر. **٣٣** استجاب: أجاب الدعاء. وإنه أي: الله. والسميع: العظيم الإدراك للمسموعات. والعليم: المبالغ في علم كل شيء. **٣٤** بدا لهم: تحقق للعزيز ومَن حوله وثَبَتَ في نفوسهم كاليقين مع القسم. ورأوا: علموا علم اليقين. والآيات: الحُجج الدالة على براءة يوسف. ويسجننّه: يحبسنّه لإخفاء جريمة النساء. وحتى حين: إلى وقت اختفاء الفضيحة. **٣٥** دخل معه أي: صاحَبَه في الدخول. وفتيان: غلامان. وقال أي: ليوسف. أحدهما: واحد منهما. وأراني: رأيتني في الحلم. وأعصر: أستخرج العصير من العنب. والخمر: ما يُسكِر. والآخر: الفتى الثاني. وأحمل: أضع. والخبز: ما يخبز من عجين القمح وما يشبهه. وتأكل: تتغذى. والطير: واحده طائر، الحيوان يحلّق بجناحيه. ونبّئنا: أخبرنا. وتأويله: تفسير ما ذكرنا لك من الحلم. ونراك: نبصرك عِيانًا. والمحسنون: من يعملون الخير لأنفسهم ولغيرهم. **٣٦** قال أي: يوسف لهما. ولا يأتيكما: لا يصل إليكما. والطعام: ما يؤكل. وترزقانه: تُطعَمانه. ونبّأت: أخبرتُ. ويأتيكما أي: يصل إليكما الطعام. وذلكما أي: ما سأفسّر به لكما. وعلّمني: أوحى إليّ وألهمني. وتركت: تجنّبت. والملة: الدين. والقوم: الجماعة من الناس. ولا يؤمنون: لا يصدّقون ويكفرون. والآخرة: الحياة يوم القيامة. وكافرون: جاحدون ومنكرون. **٣٧**

الجزء الثاني عشر — سورة يوسف

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ
كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا
مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

المعنى العام: أن زليخا بلغها ما كان من لوم النسوة وغِيبتهن وتجريمها، فدعتهن للطعام وقدمت لهن ما يُقطع بالسكاكين، ثم أمرت يوسف أن يفاجئهن بالظهور، فرأين فيه العظمة البالغة، وقطّعن أصابعهن وبعض الأكُفّ من الدهشة، وعظّمن الله على خلق ذلك الجمال الملائكي، وقلن: مُحال أن يكون هذا من البشر، إذ مُنح هذا الحسن الباهر. فأبدت زليخا لهن عذرها فيما فعلت قبلُ، واعترفت بمراودته وتمنعه، وهددته بالسجن إن لم يستجب لها، فأمرنه بطاعتها وطاعتهن أيضًا للزنى فيهن، كما هو شأن النساء المترفات في المجتمعات الفاسدة.

هنالك دعا يوسف الله بالعون مفضّلًا السجن على الفاحشه، فدخل السجنَ معه غلامان من خدّام الملك ورأيا فيه الصلاح والإحسان، لأنه يتقن عبادته ويساعد كل محتاج، فقصا عليه حلميهما، أن الأول رأى عصره خمرًا للملك والثاني رأى الطير تأكل خبزًا فوق رأسه، وطلبا تفسير ذلك، ووعدهما بالإجابة سريعًا موجهًا لهما إلى التوحيد والصلاح.

تفسير المفردات: اتّبعت: وافقت وتابعت. والمِلّة: الدين. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجدّ. ويعقوب أبو يوسف هو ابن إسحاق بن إبراهيم. وما كان: لا يجوز ولا يصحّ. ونشرك بالله: نعبد معه بعض مخلوقاته. و من شيءٍ أي: شيئًا، وهو ما كان موجودًا أو محتملاً وجوده أو متصوَّرًا. وذلك أي: التوحيد. والفضل: التفضّل بالإحسان والنعم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والناس: البشر. والأكثر: الغالبية. ولا يشكرون: لا يستحضرون النعم في نفوسهم وألسنتهم ولا يُثنون على المنعم فيكفرون. ٣٨ صاحبا السجن: المقيمان فيه. والأرباب: جمع ربّ. وهو المعبود. والمتفرّقون: المختلفون من بشر وملائكة وجن وحيوان وذهب وفضة وخشب وحجارة. وخير: أجلب للنفع وأدفع للضرر. والواحد: المتفرد بذاته وصفاته وأفعاله. والقهّار: الغالب لجميع الخلق بقدرته المطلقة. ٣٩ ما تعبدون: ما تقدسون ولا تطيعون، يا أهل السجن. ودونه: غير الله. والأسماء: جمع اسم. وهو لفظ يطلق على الشيء ليُعرف به. وسمَّيتموها: جعلتموها أسماء لما تعبدون. وما أنزل: ما أوحى ولا أعلم. وبها أي: عليها. والسلطان: الحُجّة والبرهان. وإن الحكم أي: ليس القضاء والفصل. وأمر: فرض وأوجب. وتعبدوا: تقدسوا وتطيعوا. وذلك أي: التوحيد.

والدين: العقيدة بالألوهية وصفاتها. والقيم: المستقيم. ولا يعلمون: لا يعرفون لأنهم يقلدون ولا يستعملون عقولهم. ٤٠ أحدكما: الواحد منكما. ويسقي ربه: يقدم للملِكه. والخمر: ما يُسكر. والآخر: الثاني. ويصلب: يثبّت صُلبُه ومن أطرافه على شجرة أو جدار ليقتل. وتأكل: تتغذّى. والطير: واحده طائر، ما يحلّق بجناحيه من الحيوان. وقُضي: وجب بإرادة الله. يعني: سيقع حتمًا. والأمر: حكم التأويل. وفيه تستفتيان: عنه تسألان وتطلبان تفسيره. ٤١ وظن أي: أيقن يوسف. وناج أي: سيتخلّص من السجن. واذكرني: تحدّث عما أنا فيه. والرب: السيّد الملِك. وأنساه: أذهله بما وسوس له من الهمّ. والشيطان: من يغري بالباطل من الجن. وذِكر ربه أي: التحدث بخبر يوسف عند الملك. ولبث: مكث يوسف. والبضع: العدد من الواحد إلى العشرة. والسنون: جمع سنة. ٤٢ الملك: الحاكم العربي المتصرف حينئذ، وهو الريّان بن الوليد. وأرى أي: أُبصِرُ في الحُلم. والبقرة: أنثى الحيوان تُشق به الأرض للزراعة. والسِّمان: جمع سمينة، كثيرة اللحم والشحم. ويأكلهنّ: يبتلعهنّ. والعجاف: جمع عجفاء. وهي الضعيفة. والسنبلة: الجزء الأعلى من نبات القمح وما يشبهه. والخضر: جمع خَضراء. والأُخر: المغايرات للسنبلات الأوائل، جمع أُخرَى. واليابسة: الجافة بلغت وقت حصادها.

الجزء الثاني عشر — سورة يوسف

وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ
ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ
﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ
أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ
مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي
ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ
﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ
سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾

والملأ: الجماعة من الكهنة والسحرة. وأفتوني: بيِّنوا لي التفسير. والرؤيا: ما يراه النائم من الخيالات. وللرؤيا تعبرون أي: الأحلامَ تفسّرون. ٤٣

المعنى العام: أن يوسف تابع الدعوة إلى التوحيد الذي تفضل الله به على سلفه من الأنبياء، وذكر لمن في السجن أن ذلك هو الواجب على الناس ولكنهم يتجاهلونه، وهو خير من الشرك بعبادة ألفاظ فارغة اخترعوها لِما لا صلة له بالألُوهية. فهي كلمات أحدثوها لا مسمَّياتٍ لها بالحق، والواجب هو الخضوع لله وحده، أي: ليس لأحد حكم نافذ دون إرادة الله، وفي ذلك سبيل الدين القيم الذي لا يعرفه أكثر الناس.

ثم فسر الحُلمَينِ لصاحبيه أن أحدهما يخرج من السجن ليكون ساقي الملك، والآخر يصلب وتأكل الطير من رأسه، وأن ذلك ما تحقق له من تأويل صادق لا بد من حصوله، وأوصى الأول أن يذكره عند الملك لينجو مما هو فيه، فنسي هذا وصيته بما شغله الشيطان من الهموم، وبقي يوسف في سجنه بضع سنوات. ثم رأى الملك ـ وهو من العرب سكّان مصر قبل وجود بني إسرائيل ـ في منامه سبع بقرات ضعاف يبتلعن سبعًا سمانًا، وسبع سنابل خضر وسبعًا يابسات ، وطلب من الكهنة تفسير ذلك له، إن كان لهم علم بتأويل الأحلام.

قالوا أضغث أحلم وما نحن بتأويل الأحلم بعلمين ﴿٤٤﴾
وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله
فأرسلون ﴿٤٥﴾ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرت
سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلت خضر
وأخر يابست لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴿٤٦﴾ قال
تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا
قليلا مما تأكلون ﴿٤٧﴾ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن
ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ﴿٤٨﴾ ثم يأتي من بعد ذلك
عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴿٤٩﴾ وقال الملك ائتوني
به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فسئله ما بال
النسوة التي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ﴿٥٠﴾ قال
ما خطبكن إذ رودتن يوسف عن نفسه قلن حش لله
ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص
الحق أنا رودته عن نفسه وإنه لمن الصدقين ﴿٥١﴾ ذلك
ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴿٥٢﴾

تفسير المفردات: قالوا أي: الكهنة للملك. والأضغاث: جمع ضِغث، ماجُمع وحُزم من أخلاط النبات، استعير للرؤيا الكاذبة. والأحلام: جمع حُلم، ما يُرى في النوم من الأخيلة. وما نحن أي: لسنا. والتأويل: التفسير والتعبير. وبعالمين أي: عارفين دقيق المعرفة. **٤٤** قال أي: الغلام الساقي. ونجا: تخلص من السجن. ومنهما أي: صاحبي يوسف في السجن. وادّكر: تذكّر. والأُمّة: المدة الطويلة. وأنبئكم: أُخبركم. وأرسلونِ: أرسلوني أي: ابعثوا بي إلى من عنده علم ذلك. وحذفت الياء للتخفيف. **٤٥** يوسف يعني: يا يوسف. والصِّدّيق: الملازم للصدق بكثرة. وأفتنا: أعلِمنا وبيِّن لنا. والسِّمان: جمع سمينة، كثيرة اللحم والشحم. ويأكلهنّ: يبتلعهنّ. والعجاف: جمع عجفاء. وهي الضعيفة. والسنبلة: الجزء الأعلى من نبات القمح وما يشبهه. والخضر: جمع خَضراء ناضجة. والأُخر: المغايرات للسنبلات الأوائل، جمع أُخرَى. واليابسة: الجافة بلغت وقت حصادها. ولعلي: أترجَّى. وأرجع: أعود. والناس: الملك وأصحابه. ولعلهم: كي يُترجَّى لهم. ويعلمون: يعرفون تفسيرها وما يُقصد بحلم الملك. **٤٦** قال أي: يوسف للفتى الساقي.و تزرعون: تنثرون الحَبّ في الأرض المعدّة للزراعة. والسنون: جمع سنة. والدأب: المداوَمة والمتابَعة. وحصدتم: قطعتموه مما انعقد حبه. وذروه: اتركوه. وفي سنبله أي: وفي قصبه ليكون أحفظ له من السوس. والقليل: القدر اليسير. وتأكلون: تستهلكونه في الغذاء. **٤٧** يأتي: يقع ويحصل. وذلك أي: سبع السنوات المخصِبات. وسبع أي: سبع سنين. والشداد: الصِّعاب، جمع شديدة. ويأكلن: يستهلكن، أي: تستهلكون أنتم فيهن. وقدمتم لهن أي: ادّخرتموه للاستهلاك فيهن، وللبذار حين الزراعة. وتحصنون: تخزنونه للبذار والاستنبات والغذاء. **٤٨** ذلك أي: سبع السنوات المجدِبات. والعام: السنة. ويغاث: يعان بالغيث. وهو المطر. والناس: سكان مصر وما هو قريب منها. وفيه يعصرون أي: في ذلك العام يضغطون الحبوب الطَّرِيّة بقوّة لإخراج ما فيها من السائل. **٤٩** قال أي: للسادة الحاضرين في المجلس. والملك: ملك مصر المذكور في الآية ٤٣. وائتوني به: أحضروا الذي فسّر الحلم. وجاءه: وصل إلى يوسف. والرسول: الفتى الساقي الذي أُرسل إليه من قبل. وقال أي: يوسف للساقي. وارجع: عُد. وربك: سيّدك الملك. واسأله: التمس منه الجواب عما جرى قبلُ لي. وما بال النسوة: أيُّ شيء حالهنّ وقصتهن معي؟ وقطّعن: جرّحن. والأيدي: جمع يد. والمراد بها الكف. وربّي يعني: الله. والكيد: تدبير الحيل. والعليم: المحيط كاملَ الإحاطة. **٥٠** قال أي: الملك للنسوة. وما خطبكن: ما شأنكن وقصتكن؟ وراودتنّ: خادعتنّ بطلب المضاجعة. وحاشَ لِله أي: تنزيهًا لله مع الإقرار بقدرته وعظمته! وحذفت ألف «حاشى» للتخفيف، تعبيرًا عن الاستعظام. وما علمنا عليه: ما عرفنا عن يوسف. ومن سوءٍ أي: فعلَ الشر. والعزيز: الوزير الذي اشترى يوسف في مصر. والآن حصحص: في هذا الوقت وضح وظهر. والحق: الأمر الذي كان. والصادقون: من يقولون ما لاشك فيه. **٥١** ذلك أي: تبرئتي ليوسف. ويعلم: يتيقن. ولم أخنه: لم أغدر به. والغيب: غيابه، أي: وهو غائب الآن. ولا يهدي: لا ينفّذ ولا يمضي. والكيد: المكر والمكايد. والخائنون: من يغدرون بمن ائتمنهم. **٥٢**

المعنى العام: أن الكهنة وصفوا الحُلم بأنه أوهام، وتذكر الفتى الساقي علم يوسف بتأويل الرؤيا، فطلب من الملك أن يرسله إليه. وعندما قص عليه حلم الملك أجابه أن يزرعوا سبع سنوات، يحفظون القمح الفائض في السنابل، لما سيُستهلك في السنوات السبع الماحلة، ثم يكون خير كثير يعصر فيه الناس العنب والزيتون وما أشبه ذلك، لكثرة الخصب والأمطار.

فأمر الملك إحضار يوسف إليه، ولكن يوسف قبل استجابته طلب من الفتى الساقي أن يسأل الملك النسوة عن قصتهن معه، فاعترفن أنه طاهر وبريء وهن راودنه للزنى، وقالت زليخا: لقد ظهر الحق ببراءته، وأنها هي التي راودته للزنى أيضًا، وهي تعترف الآن في غيابه ليعلم أنها عادت إلى الصدق، وتركت الغدر الذي لا يفتح الله له باب النجاح.

الجزء الثالث عشر سورة يوسف

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ
اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ
أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا
كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾

تفسير المفردات: ما أبرئ نفسي: ما أصف شخصي بالبعد عن الزلل. والنفس أي: كل نفس بشرية. والأمّارة بالسوء هي التي تدعو إلى الشهوات. وما رحم ربي أي: التي عطف عليها الله بالإحسان فعصمها من الشر. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والغفور: الكثير المغفرة. وهي ستر الذنب وعدم المؤاخذة به. والرحيم: العظيم الرحمة أي: العطف بتيسير الخير والعصمة للمؤمنين. ٥٣ الملك: ملك مصر حينئذ. وائتوني به: أحضروا يوسف إليّ. وأستخلصه: أختاره ملازمًا. وكلّمه أي: حدّث يوسفُ الملكَ. وقال أي: أجاب الملكُ. واليوم: منذ الآن. ولدينا: عندنا. والمكين: صاحب المكانة المتميّزة. والأمين: المؤتمن على الأسرار والأعمال. ٥٤ قال أي: يوسف. واجعلني: صيّرني قيّمًا ومديرًا. وخزائن الأرض: خزائن الأموال والثمار في مصر وما حولها. وحفيظ وعليم: مبالغتا اسم الفاعل من الحفظ والعلم ، أي: الحماية والدراية بالكتابة والحساب. ٥٥ كذلك أي: مثل إنعامنا بنجاة يوسف وتثبيت السلطان له. ومكّنا ليوسف: جعلناه ذا مكانة. ويتبوأ: يتنقّل وينزل. وحيث يشاء: أينما أراد. ونصيب برحمتنا: نخص بعطفنا. ونشاء: نريد أن نرحمه. ولا نضيع: لا نهمل. والأجر: المكافأة. والمحسنون: من يخلصون نياتهم ويتقنون أعمالهم بمراقبة الله. ٥٦ الآخرة: الحياة يوم القيامة. وخير: أكثر نفعًا وأبقى. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ويتقون: يتجنّبون غضب الله ويطلبون رضاه. ٥٧ جاء: أتى إلى مصر. ودخلوا عليه أي: صاروا في قصر يوسف أمامه. وعرفهم: علم أنهم إخوته. ومنكرون: جاهلون حقيقة أخيهم. ٥٨ جهّزهم: أمر يوسف بتجهيزهم للعودة. والجهاز: ما يُعدّ من المتاع والميرة. وائتوني بأخ لكم: أحضروا أخاكم الذي ذكرتم من قبل. وألا ترون أي: أنتم تعلمون حقًّا. وأوفي الكيل: أتمّ التقدير بالمكيال. وخير: أفضل وأكثر نفعًا. والمُنزِلون: المُضيفون. ٥٩ لا كيل لكم أي: ليس لكم طعام عندي أكيله مقابل ما تأتون به من البضاعة. ولا تقربون: لا تقربوني أي: لا تعودوا إليّ. وحذفت ياء المتكلم للتخفيف. ٦٠ نراود عنه أبانا: نطالبه بإلحاح أن يسمح لنا إحضار أخينا معنا. ولفاعلون: نحقق ما وعدناك. ٦١ قال أي: يوسف. والفتيان: جمع فتى، خَدَمة بين يديه قليلون. واجعلوا: ضعوا. والبضاعة: القطعة من المال تكون للتجارة. والرحال: جمع رَحْل، ما يكون فوق الإبل يُحمل فيه الزاد وغيره. ولعلهم: ليُتوقَّع منهم. ويعرفونها: يرونها كما هي. وإذا انقلبوا: حين يرجعون. والأهل: الأسرة. ولعلهم: ليُترجَّى لهم. ويرجعون: يعودون إلى مصر. ٦٢ رجعوا: عادوا. وأبوهم هو يعقوب. ومُنع الكيل: حُكم بمنع الطعام وحجبه في المستقبل. وأرسل أخانا: اسمح له بالذهاب. ونكتل: نأخذ من الطعام ما نحتاج إليه. والحافظون: الحامون من كل أذى. ٦٣

المعنى العام: اعتذرت زليخا مما فعلت مع يوسف بأن النفس أمارة بالسوء إلّا من عطف الله عليه بالفضل، فطلب الملك إحضار يوسف وبشّره بالإكرام والتمكن والأمن، واقترح يوسف عليه أن يجعله الوزير على خزائن مصر لِما هو عليه من الرعاية والعلم، فكان له ما أراد. وهكذا يسّر الله ليوسف السيادة والسلطان جزاء إحسانه كما يكرم المحسنين، مع الإعلام أن نعيم الآخرة أعظم للمتقين.

ثم جاء إخوته إلى مصر، لشراء ما يصلح للطعام، وهي موطن لجوئهم في محل شديد، وعندما دخلوا عليه في قصره عرفهم وأكرمهم وقرّبهم منه وحادثهم في أحوالهم وما لهم من الأهل دون أن يعرفوه، وأعطاهم من الميرة ما يقابل بضائعهم. ولما استعدوا للسفر طلب منهم أن يحضروا معهم أخاهم بنيامين، وهو شقيقه كما ذكروا له، وإلّا فليس لهم ما يريدون من الميرة بعدُ، ولا يعودوا إلى مصر أيضًا، فوعدوه بإرضاء أبيهم أن يصطحبوا أخاهم المذكور، وأمر من حوله أن يعيدوا إليهم ما اشتروا به بين أمتعتهم، على أمل أن يعودوا ليردّوه. ولما رجعوا إلى أبيهم أخبروه أنهم منعوا من الميرة في المستقبل، إلّا إذا أرسل معهم أخاهم ووعدوه أن يحفظوه من كل سوء.

تفسير المفردات: قال أي: أبوهم يعقوب. وهل آمنكم: ما أثق بكم. وعليه: على أخيهم بنيامين. وأمنتكم: وثقت بكم للحفاظ. وأخوه: يوسف. ومن قبلُ: من قبلِ هذا الوقت. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وخير: أكثر نفعًا. وحافظًا أي: واقيًا وحاميًا. وأرحم: أعظم عطفًا. والراحمون: من يعطفون بالخير. ٦٤ لـمّا: عندما. وفتحوا: فضوا لإخراج المحتوى. والمتاع: الأوعية التي فيها حوائجهم وما اشتروه. ووجدوا: رأوا. والبضاعة: ما كانوا دفعوه ليوسف مقابل الميرة التي اشتروها. وردّت: أعيدت مع ما اشتروا من الميرة. وما نبغي: أيَّ شيء نطلب أكثر من هذا ؟ ونمير أهلنا: نأتي لأسرتنا بالطعام مرة ثانية. ونحفظ أخانا: نحمي بنيامين. ونزداد: يضاف إلينا. وكيل بعير: مقدار ما يحمله الجمل. واليسير: السهل بكرم الوزير. ٦٥ قال أي: أبوهم لهم. لن أُرسله: لا أبعثه. ومعكم: بصحبتكم. وتؤتونِ: تؤتوني أي: تقدموا لي. وحذفت الياء للتخفيف. والموثق: العهد الموثّق باليمين. ومن الله: مؤكدًا بذكر الله. ولتأتُنّني به أي: تُقسِمون لتعيدُنّه معكم على كل حال. وأن يحاط بكم أي: حالةَ أن يعمّكم البلاء بالموت أو بالغلبة القاهرة. وآتوه موثقهم: عاهدوه مع القسَم. قال أي: يعقوب. وما نقول: اتفاقنا وعهدنا. والوكيل: الشاهد المتوكَّل عليه للرعاية. ٦٦ يا بَنيّ: يا أبنائي. ولا تدخلوا من باب واحد: لا تنفذوا إلى مصر مجتمعين. والأبواب: جمع باب، المدخل إلى البلد. والمتفرقة: المتباعدة. وما أغني: لا أدفع. ومن الله: من قضائه. ومن شيء أي: شيئًا من البلاء. وإن الحكم: ليس الأمر النافذ حتمًا. وعليه توكّلت: إليه وحده فوّضت أمرنا مطمئنًّا. والمتوكلون: من يريدون التوكّل. ٦٧ دخلوا أي: مصر وأسواقها. ومن حيث: من الأبواب المتفرّقة. وأمرهم: طلب منهم. وما كان أي: ذلك الدخول. ويغني: يدفع ويمنع. والحاجة: المقصَد يُفتقر إليه ويُتشبّث به. والنفس: الضمير والعقل. وقضاها: أرادها وسعى لها. وذو علم: مصاحب فقه وإحاطة واعية. ولِما علمناه أي: الشيءَ الذي ألهمناه وأوحينا إليه. والأكثر: الغالبية العظمى. والناس: البشر. ولا يعلمون: لا يدركون ولا يفقهون عواقب الأمور كما يعلم يعقوب. ٦٨ دخلوا على يوسف: حضروا في القصر متفرقين. وآوى أخاه: قرّبه وطمأنه. وأخوك أي: شقيقك يوسف. ولا تبتئس: لا تحزن. ويعملون: يصنعون من المكر والتآمر. ٦٩

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

المعنى العام: أن يعقوب قال لأبنائه: أنا لا آمنكم على بنيامين لأنكم تعرفون ما جرى على يوسف حين أمنتكم عليه، وهو طفل صغير. ثم استسلم لأمر الله، ونوى أن يرسل بنيامين معهم، واثقًا بالحفظ والرعاية. وعندما فتحوا ما معهم من مصر وجدوا بينه بضاعتهم التي أخذوها للتجارة مردودة بحالها، فبشّروا أباهم بما لقوا وما يكسبونه بالسفر ثانية وما يكون لبنيامين من تجارته أيضًا. فأبى أن يوافقهم على اصطحاب بنيامين حتى عاهدوه مقسمين أن يعودوا به على كل حال إلّا إذا قُضي عليهم أو أصابهم من البلاء ما لا يقدرون على تحمله. ثم أوصاهم أن يدخلوا مصر متفرقين، لأنه كان يأمل أن يرى بعضُهم يوسفَ، في هذا التفرق، ويحب أن يلقى يوسفُ شقيقَه بنيامين في خلوة من إخوته. وهذا خلاف ما ذكره المفسرون من خشية الأضرار وحسد الناس لهم في نيّة يعقوب.

فقد كان في نفسه إلهام أن سيلقى بنيامينُ يوسفَ، ويريد أن يكون ذلك على انفراد. وهي الحاجة التي في نفسه، على ما سيلي في الآية ٦٨. وهكذا توكل يعقوب على الله، وفعل أبناؤه ما أوصاهم به من الدخول إلى مصر متفرقين، تحقيقًا لما في نفسه من أمل، وهو مؤمن عليم مما علمه الله، خلافًا لأكثر الناس من الجاهلين الطائشين الذين لا يعلمون ما في حكمة الله من دقائق لعواقب الأُمور في الدنيا والآخرة. وكان فعلاً ما قدّره يعقوب، إذ انفرد يوسف بشقيقه بنيامين، وقرّبه إليه وعرّفه نفسه، وطمأنه برعاية الله والحماية مما فعل إخوته الباقون في الكيد لهما من الصغر إلى ذلك الوقت.

تفسير المفردات: لمـّا جهّزهم: عندما أمر من يقوم بإعدادهم للسفر. والجهاز: ما يُعدّ من المتاع وغيره من الحاجات. وجعل: وضع، أي: أمر من يضع. والسقاية: وعاء يُشرب به. والرحل: ما يُحمل فيه الزاد وغيره. وأخوه أي: شقيقه بنيامين. وأذّن: أعلم بصوت مرتفع. والمؤذّن: رجل ينادي للإعلام. والعير: اسم جمع عَير. وهو ما يُحمل عليه من الحيوان. والمراد أصحاب العير. وسارقون أي: آخذون مال غيركم من دون إذنه. ٧٠ قالوا أي: أبناء يعقوب. وأقبلوا عليهم: التفتوا إلى المنادي وأصحابه. وماذا تفقدون: ما الذي ضاع منكم ؟ ٧١ قالوا أي: المنادي وأصحابه. والصواع: المكيال للثمار. والملك: ملك مصر. وجاء به: حصّله أو دل عليه. وحمل بعير: ما يحمله البعير من الميرة. وأنا به زعيم أي: قال المنادي: أنا أؤدي حمل البعير إلى من جاء بالصواع. ٧٢ تالله: نُقسِم بالله عجبًا من أمركم. وعلمتم: أيقنتم لِما رأيتم من صلاحنا، أيها الناس. ما جئنا: ما حضرنا مصر. ونفسد: نُشيع الشر. والأرض: أرض مصر. ٧٣ قالوا أي: المنادي وأصحابه. وما جزاؤه: أيُّ شيء عقوبة السارق للصاع؟ وكاذبين: يقولون غير الواقع. ٧٤ قالوا أي: إخوة يوسف. ووجد في رحله: رؤي الصاع فيما يحمل على بعيره. وهو أي: صاحب البعير. وجزاؤه: أن يَستعبده صاحب المسروق سَنةً واحدة. وكذلك أي: مثلَ هذا الجزاء. ونجزي: نعاقب. والظالمون: المعتدون بالسرقة. ٧٥ بدأ بأوعيتهم: فتحها يوسف أول شيء. والأوعية: جمع وعاء. وأخوه: شقيقه بنيامين. واستخرجها: أخرج السِّقاية. وكذلك: مثلَ هذا الكيد والتدبير. وكدنا ليوسف: دبّرنا له كي يستبقي بنيامين. وما كان أي: ما قصد. ويأخذ أخاه: يستبقيه عنده. والدين: الحكم والشريعة. وإلّا أن يشاء الله أي: لكن في مشيئة الله وإذنه. ونرفع: نُعلي. والدرجة: المنزلة المقرَّبة. ونشاء: نريد إعلاءه. وفوق أي: في درجات عالية. وذي علم: صاحب معرفة. وعليم: أعلم منه. ٧٦ قالوا أي: إخوة يوسف. ويسرق: يأخذ بنيامين السقاية. وقد سرق أي: لأنه سرق. وأخ أي: يوسف. وقبلُ: قبلَ هذا الوقت. وأسرّها: أخفى آثار قولهم. ونفسه أي: ضميره وقلبه. ولم يبدها: لم يُظهر الآثار. وقال أي: يوسف في نفسه. وشر أي: أكثر شرًّا مما تزعمون. والمكان: المنزلة عند الله. وأعلم: محيط بالغَ الإحاطة. وتصفون: تذكرون من المزاعم. ٧٧ العزيز: القيّم على خزائن مصر. وهو يوسف. وله أي: لبنيامين. والشيخ: المسن تجاوز الخمسين. وكبيرًا: في سنه وقدره. وخذ أحدنا: احتفظ بواحد منّا. ومكانه: بدلًا من بنيامين. ونراك: نعلمك يقينًا. والمحسنون: الذين تتصف أقوالهم وأفعالهم بالخير. ٧٨

ربع الحزب ٢٥

الجزء الثالث عشر — سورة يوسف

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

المعنى العام: أن يوسف أمر غلمانه بإعداد إخوته للسفر وتجهيز حوائجهم على الإبل والحمير، وإخفاء الصاع في رحل بنيامبن، ثم نادى المنادي فيهم أنهم سارقون، فسألوا عما افتقده المنادي، فذكر لهم افتقاد الوعاء الذي تكال به البضاعة وأن يتكفل لمن يدل عليه بمكافأة هي مقدار ما يحمله جمل من الميرة. فأنكروا الاتهام بدهشة لأنهم معروفون بالأمانة والصلاح، وسألهم الغلمان عن عقوبة السارق في شريعتهم، فأجابوا أن من وجد عنده شيء سرقه فلصاحب المسروق أن يستعبده سنة، كما هو الشرع عندهم. وعلى هذا بدأ يوسف التفتيش بأوعية الإخوة، وأخيرًا استخرج الصاع من وعاء بنيامين. وبهذا تيسر له الاحتفاظ بأخيه، وما كان له ذلك بشريعة الملك، فهيأ الله له من الحكمة ما ينجح به، والله عالم الغيب والشهادة فوق كل العارفين، وهم درجات في المعارف.

قال الإخوة: إن يسرق بنيامين يكن مقلّدًا أخاه يوسف فيما عُرف عنه. فهم يفترون على يوسف هنا أنه سارق، كما كذبوا قبلُ حين ادّعوا أن الذئب أكله. فقال يوسف في نفسه: إنهم أحطّ منزلة من يوسف وبنيامين بما يدّعون، والله عالم حقيقة ما يزعمون من الاتهامات.

فطلبوا من يوسف أن يحتفظ بواحد منهم بدلًا من بنيامين، لأنهم يرونه يحسن المعاملة، ولأن أباهم كبير السن لا يحتمل فراق بنيامين.

تفسير المفردات: قال أي: يوسف لإخوته. ومعاذ الله: نعوذ بالله ونعتصم به ونستجير! ونأخذ: نستبقي عندنا. ووجدنا: رأينا عِيانًا. والمتاع: ما يستخدم في الحاجات. وعنده أي: في رحله. وإذًا: إن فعلنا ما تطلبون. والظالمون: المجاوزون للحق. ٧٩ استيئسوا: قطع الإخوة الرجاء. ومنه: من يوسف أن يجيبهم إلى ما طلبوه. وخلصوا: اعتزلوا بعيدًا. والنجيّ: المتحدثون سرًّا. وكبيرهم: أكبرهم سنًّا. وألم تعلموا أي: لقد علمتم بحقّ. وأبوكم أي: يعقوب. وأخذ: حصّل وفرض. والموثق: العهد الموثّق. ومن الله أي: مؤكّدًا باسمه في اليمين. وقبلُ أي: قبلِ هذا الموثق العظيم. وما فرطتم في يوسف: تفريطكم فيه وتضييعه. ولن أبرح: لا أفارق. والأرض: أرض مصر. ويأذن: يسمح. ويحكم: يأمر بخلاصي أو بخلاص بنيامين. وهو أي: الله. وخير الحاكمين:أعدل القاضين بالفصل بين المختلفين. ٨٠ ارجعوا: عودوا. وابنك: بنيامين. وسرق: أخذ مال غيره خِفية. وما شهدنا: ما أقررنا لك وأنبأناك. وعلمنا: رأينا عِيانًا. والغيب: ما خفي على عقولنا ومداركنا. وحافظين أي: عالمين بما سيكون عندما عاهدناك. ٨١ اسأل: استخبر طالبًا ما تريد. والقرية: البلدة، أي: أهلها ومن كان فيها. والعير: الإبل أي: القافلة. وأقبلنا: توجّهنا وجئنا. وفيها: معها. وصادقون: نقول الحق. ٨٢ قال أي: يعقوب. وبل أي: ليس الأمر كما زعمتم وإنما. وسوّلت: زيّنت. والأنفس: جمع نفس. وهي الضمير والعقل. وأمرًا: مكيدة. والصبر: حُسن الاحتمال. والجميل: الذي لا غضب فيه ولا تأنيب. وعسى: أترجّى. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد والجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويأتيني بهم: يعيد عليّ يوسف وأخويه بنيامين والكبير المعتصم في مصر. وجميعًا: مجتمعين. والعليم: المحيط بما خفي وما ظهر. والحكيم: الذي يضع الأمور في مواضعها بإتقان بالغ. ٨٣ تولى: أعرض بوجهه وانصرف. ويا أسفا: الأسف: الحزن الشديد والحسرة والتلهّف، أي: يا أسفي، هذا زمانك فاحضُرْ. وابيضت عيناه: صار سوادهما أبيض. ومن الحزن: بسبب الغم. والكظيم: الممتلئ من الحزن بدون شكوى. ٨٤ قالوا أي: أبناء يعقوب له. وتالله: نُقسم بالله مع التعجب من أمرك. وتفتأ: لا تفتأ أي: ستبقى وتستمرّ. وتذكر: تستحضر بالقلب واللسان تفجعًا. وتكون: تصير. والحرض: المشرف على الهلاك. والهالكين: الميتين. ٨٥ قال أي: يعقوب لهم. وأشكو بثي: أذكر بيان ما في نفسي من الهمّ. والحزن: الغمّ الشديد. وأعلم: أعرف باليقين. ومن الله أي: من رحمته وإحسانه. وما لا تعلمون: ما لا تعرفونه. ٨٦

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا
إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم
مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ
﴿٨١﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا
وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾
قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي
وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

المعنى العام: أن يوسف استعاذ بالله وتحصن به أن يظلم في شرع أبناء يعقوب باستبقاء غير من وجد عنه الصاع. وعند ذلك يئس الإخوة وانفردوا يتشاورون، فذكّرهم أكبرهم بما عاهدوا أباهم عليه قبل المجيء إلى مصر أخيرًا وبإضاعة يوسف من قبل ذلك، وأصرّ أن يبقى في مصر حتى يسمح له أبوه بالعودة، أو يتخلص بنيامين مما وقع فيه ليعود معه، وأمرهم أن يخبروا أباهم بما رأوا، ويستشهدوا أهل مصر ورجال القافلة الذين كانوا معهم، وهم جيران يعقوب. فهي شهادة بظاهر ما جرى عِيانًا. يعني أنهم لايجزمون بالسرقة، ولكنهم يقرّرون ما رأوه بأعينهم.

وعندما أخبروا أباهم بما كان اتهمهم بالتآمر على استبعاد بنيامين، وتعزّى بالصبر الجميل، والرجاء من الله أن يعيد عليه الإخوة الثلاثة، ويجمعهم كلهم، لتأويل الرؤيا التي رآها يوسف في طفولته، فكان ينتظر تحقيقها ويحسن الظن بالله في كل حال، وهو العليم بالأحوال والحكيم فيما يدبّر للخلق جميعًا. وقد اشتد به الحزن حتى افتقد البصر، وهو يخفي ما في نفسه بشدّة ومعاناة، فلاموه أنه يتألم لِما كان حتى يتهالك أويهلك نفسه، فأجابهم أنه يخفي شكواه عنهم، وينقلها إلى الله وحده، مطمئنًّا إلى إيمانه برحمته وإلى علمه ما لم يعلمون عن الله، ولا بد أن يأتي بالفرج حين ينقطع الأمل.

تفسير المفردات: يا بَنِيّ: يا أبنائي. واذهبوا: ارحلوا إلى مصر. وتحسّسوا: تلمّسوا وتعرّفوا ما يتيسر لكم. وأخوه هو بنيامين. ولا تيأسوا: لا تقنطوا. ورَوح الله: رحمته وتفريجه الهمّ. والقوم: الجماعة من الناس. والكافرون: من يكذّبون وحدانية الله وصفاته الجليلة. **٨٧** دخلوا عليه: زاروا يوسف في قصره. والعزيز: الوزير القيّم على خزائن المال والطعام. ومسّنا: أصابنا. وأهلنا: من نَعولهم من النساء والأولاد والموالي. والضرّ: سوء الحال. وجئنا: أتينا إليك. والبضاعة: القطعة من المال للتجارة. والمزجاة: المرغوب عنها لرداءتها. وأوف: تمّم. والكيل: التقدير بالمكيال لموادّ الغذاء. وتصدّق: تفضّل بالزيادة. ويجزي: يُثيب ويكافئ. والمتصدقين: المتفضلين بالمال على أهل الحاجة. **٨٨** قال أي: يوسف لهم. وهل علمتم: هل تذكرون ؟ وفعلتم: صنعتم وأوقعتم. وأخوه أي: بنيامين. وأخي: شقيقي. وجاهلون: طائشون لاتدركون الحقائق والواجبات الشرعية. **٨٩** قالوا أي: له مستثبتين منه متعجّبين. أإنك أي: ألستَ ؟ وهذا أي: بنيامين. منّ: أنعم بالنجاة والاجتماع. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويتقي: يخاف الله ويتجنب عصيانه ويلزم طاعته ورضاه. ويصبر: يتجلّد يتحمّل البلاء. ولايضيع: لا يهمل ولا يُنقص. والأجر: المكافأة والثواب. والمحسنون: من كان عملهم برقابة الله والإخلاص له. **٩٠** تالله: نُقسم بالله تعجبًا من أمرك. وآثرك: فضّلك. وإنْ أي: لقد. والخاطئون: المتعمدون للسوء والإيذاء. **٩١** قال أي: يوسف لهم. والتثريب: المبالغة في اللوم والعتب. واليوم: منذ هذا الوقت. ويغفر لكم: يستر ذنوبكم ولا يؤاخذكم عليها. والأرحم: الأكثر عطفًا بالإحسان. والراحمون: العاطفون على الخلق بالخير. **٩٢** اذهبوا بقميصي: ارحلوا إلى أبي مع ثوبي. وألقوه: ضعوه. والوجه: ما يقابل به الإنسان غيره من رأسه. ويأت بصيرًا: يرجع إليه بصره كما كان. وائتوني بأهلكم: أحضروا معكم ما تعولون من النساء والأولاد والموالي. وأجمعين: كلهم مجتمعين. **٩٣** فصلت: خرجت من أرض مصر. والعير: القافلة. قال أي: لأبنائه الباقين عنده. وأبوهم أي: يعقوب. وأجد ريح يوسف: أشَمّ رائحته. ولولا أي: لولا وجود. وتفندونِ: تفنّدوني أي: تصفوني بالطيش وضعف الرأي. وحذفت ياء المتكلم للتخفيف. **٩٤** الضلال: الخطأ. والقديم: الذي مضى عليه زمن طويل. **٩٥**

يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟
مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ
(٨٧) فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ (٨٩) قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ
لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٩٢)
ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ (٩٥)

المعنى العام: أن يعقوب أمر أبناءه بالرحيل إلى مصر ليستقصوا أخبار إخوتهم الثلاثة مطمئنين إلى عون الله وتيسيره، وإلّا كانوا مثل الكافرين اليائسين، فذهبوا كما أمرهم وزاروا يوسف يشكون إليه ضيق العيش، ليكرمهم ويتصدق عليهم مقابل ما معهم من البضاعة الرديئة، فأشفق عليهم وذكّرهم موبّخًا بما فعلوا في يوسف من قبل لطيشهم. هنالك أدركوا مما خاطبهم به أنه هو يوسف، ولكنهم لم يكونوا على يقين، فاستفهموا لتثبيت ما بدا لهم، وردّ عليهم بالإيجاب وأن الله أنقذه وجمعه بشقيقه بنيامين، لأنه لا يهمل مكافأة الأتقياء الصابرين المحسنين. فاعتذروا مما فعلوا معترفين بخطئهم ومتعجبين مما فضله الله به عليهم، وطالبين المسامحة.

قال لهم: لا عتب عليكم الآن وأبدًا، ولْيغفرِ الله لكم برحمته العظيمة، وارحلوا بقميصي لتضعوه على وجه أبي، فيرتد بصره من السرور، وعودوا إليّ مع من تعولون من الناس. وعندما خرج الأبناء من مصر في طريقهم إلى نابلس وصلت رائحة القميص إلى يعقوب، وهم بعداء عنه، فذكر لمن حوله من بقية أبنائه أنه يشَم تلك الرائحة، وأنهم لولا اتهامهم إياه بالوهم لصدقوه. أجابوه منكرين عليه ما قال، واتهموه أنه ما يزال في أوهامه القديمة، عن ترداد ذكر يوسف وحياته.

تفسير المفردات: لمّا أن جاء: حينما وصل إلى يعقوب. والبشير: من يبلّغ ما يَسرّ. وألقاه: وضع القميص. ووجهه: وجه يعقوب. وارتد: رجع. والبصير: الذي يبصر بعينيه. وقال أي: يعقوب لأبنائه. وألم أقل أي: لقد قلت. وأعلم: أعرف باليقين. ومن الله أي: من رحمته. ولا تعلمون: لا تعرفونه. **٩٦** استغفر لنا: اطلب لنا من الله المغفرة. والذنوب: جمع ذنب، المعصية يكون عليها عقاب. وخاطئين: مكتسبين الإثم عمدًا. **٩٧** الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف على المؤمنين. **٩٨** دخلوا على يوسف: صار الأهل في مكان استقباله لهم. وآوى: قرّب. وأبواه: أبوه وأُمّه. وقال أي: لأهله. وادخلوا: استقبلوا للنزول. ومصر: البلد المعروف. وشاء: أراد دخولكم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وآمنين: ناجين من المكروه ومطمئنين إلى السعادة. **٩٩** رفع أبويه: جعل لأبيه وأُمّه المكان الرفيع. والعرش: سريره الخاص. وخرّوا: حنَوا ظهورهم. والسجّد: جمع ساجد. وقال أي: يوسف. ويا أبت: يا أبي. وهذا أي: ما نحن فيه الآن. والتأويل: التفسير الصحيح. ورؤياي: الحُلم الذي رأيته. وقبلُ أي: قبلِ هذا الوقت في صغري. وجعلها: صيّرها. والحق: الحاصلة بالصدق. وأحسن بي: تفضل عليّ وأكرمني. وإذ أخرجني: حين أنقذني. والسجن: مكان الحبس. وجاء بكم: أحضركم. والبدو: البادية. ونزغ: أفسد. والشيطان: من يوسوس بالشر. والإخوة: جمع أخ. واللطيف: المحسِن إلى عباده في خفاء. ولِما يشاء أي: لتحقيق ما يريد حصوله. والعليم: المحيط بالخفي وغيره من الأمور. والحكيم: المتصرف بعلم كامل وحكمة بالغة. **١٠٠** ربّ أي: يا ربّي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى الأمر، وحذفت ياء المتكلم للتخفيف. وآتيتني: أعطيتني. والملك: السيادة والتصرُّف. وعلّمتني: فقّهتني بالوحي والإلهام. والتأويل: تفسير الأحلام. والأحاديث: جمع حديث. وهو الحلم وغيره من الأمور. والفاطر: الخالق. والسماوات: ما يحيط بالأرض من الأجواء والعوالم. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والوليّ: الذي يتولى المصالح. والدنيا: الحياة القريبة. والآخرة: الحياة يوم القيامة. وتوفني: استوفِ حياتي. ومسلمًا: مستسلمًا لأمرك. وألحقني بالصالحين: ارفعني إلى درجات العاملين للخيرات. **١٠١** ذلك: ما ذُكر من قصة يوسف. والأنباء: الأخبار، جمع نبأ. والغيب: ما غاب عن الإدراك والمعرفة. ونوحيه إليك: أنزلناه لتبليغك، أيها النبيّ. ولديهم: مع إخوة يوسف. وإذ أجمعوا أمرهم: حين دبّروا كيدهم بعزم. ويمكرون: يكيدون للتخلص من يوسف. **١٠٢** ما أكثر الناس: ليست الغالبية العظمى من البشر. ولو حرصت أي: وإن رغبت، أيها النبيّ. وبمؤمنين أي: مصدّقين الله ورسوله. **١٠٣**

نصف الحزب ٢٥

الجزء الثالث عشر — سورة يوسف

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ
أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ
يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ
أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ
لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم
مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞رَبِّ
قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي
مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ
نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ
﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

المعنى العام: أن مبشِّر يعقوب وضع قميص يوسف على وجهه، فعاد إليه بصره، وذكّر أبناءه بما قال لهم من الثقة برحمة الله، واعترفوا بذنوبهم وطلبوا الاستغفار، فوعدهم بذلك. وعندما وصل يعقوب ومن معه إلى مكان انتظار يوسف لهم رحب بهم، وبشرهم بالأمن والسلام، ورفع أبويه على سريره، وسجد له الإخوة والأبوان انحناء، فكان ذلك تفسيرًا لرؤياه في الطفولة. فشكر الله على تحقيق الرؤيا ونجاته من السجن وخروج أهله من البادية إلى مصر، بعد ما كان من إفساد الشياطين بينهم. وعندما قربت وفاته استعرض ما أكرمه الله به من السيادة والعلم، ودعاه أن يجعل موته على الإيمان، ويحشره مع الصالحين.

فهذه التفصيلات من حياة يوسف أخبار غيبية أوحاها الله إليك ـ أيها النبيّ ـ وأنت بعيد في الزمان والمكان عن الإخوة يدبرون المكايد. وفي هذا احتجاج نظري يلزم الكافرين الإقرار بصدق الرسالة والإيمان، مع تهكم بهم لأنهم أرادوا إعنات النبي ﷺ وإحراجه، إذ لا يخفى على أحد أنه لم يكن مع إخوة يوسف، ولكن معظم الناس لا يقبلون الإيمان، رغم حرص النبي ﷺ على هدايتهم.

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

تفسير المفردات: ما تسألهم: ما تطالب الكافرين، أيها النبيّ. وعليه: لتبليغ القرآن. والأجر: المكافأة. وإن هو: ليس القرآن. والذكر: التذكير والعظة. والعالمون: الإنس والجانّ. ١٠٤ كأين أي: كثير. والآية: الدليل على الوحدانية. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويمرون عليها: يشاهدها الكافرون. ومعرضون: منصرفون لا يتفكرون. ١٠٥ ما يؤمن بالله: لا يتيقن وجوده وبعض صفاته. وأكثرهم: غالبيتهم العظمى. ومشركون أي: يقدّسون بعض المخلوقات. ١٠٦ أفأمنوا: لا يطمئنّوا ولْيخافوا. وتأتيهم: تنزل بهم. والغاشية: النقمة تغطيهم بالدمار. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والساعة: يوم القيامة. وبغتة أي: مفاجئة. ولا يشعرون: لا يحسون بقرب مجيئها، لانشغالهم وعدم إيمانهم بها. ١٠٧ قل أي: للكافرين، أيها النبيّ. وهذه أي: عقيدة الإيمان بتوحيد الله والبعث. والسبيل: الطريق والسُّنّة. وأدعو إلى الله: أحثّ الناس وأوجّههم إلى دينه. وعلى بصيرة أي: مصاحبًا الحجة الواضحة. واتّبعني: آمن بي. وسبحان الله: تنزيهًا له عن الشركاء. وما أنا أي: لستُ. والمشركون: الذين يعبدون مع الله شيئًا من الخلق. ١٠٨ ما أرسلنا: ما بعثنا للدعوة. والرجال: جمع رجل. وهو الذكر من البشر. ونوحي إليهم: نبلّغهم على لسان جبريل. والأهل: السكان. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. وألم يسيروا أي: لقد مشى بعض أهل مكة ورحلوا. والأرض: ما هو أماكن للسفر. وينظروا: يتأمّلوا ويتفكّروا. والعاقبة: النهاية. والذين من قبلهم: المكذبون للرسل قبل أهل مكة. والدار: مكان الإقامة والاستقرار. والآخرة: يوم القيامة في الجنة. وخير: أكثر نفعًا وأبقى مما في الدنيا من المتاع. واتّقوا: تجنبوا عصيان الله ولزموا طاعته. وألا تعقلون أي: عليكم أن تستعملوا عقولكم لتعلموا ما هو خير، أيها المشركون. ١٠٩حتى إذا استيئس أي: فلمّا يئس من إيمان الكافرين. والرسل: جمع رسول. وظنوا: تيقّن الكافرون. وأنهم كُذبوا: أن الرسل أُخلفوا ما وُعدوه من النصر. وجاءهم: أتى الرسلَ. والنصر: العون على الكافرين بالهلاك. ونُنجّي: أُنقذ. ونشاء: نريد تنجيته. ولا يُردّ: لا يُمنع. والبأس: شِدّة العذاب. والقوم: الجماعة من الناس. والمجرمون: من يكتسبون الكفر والجرائم والشر. ١١٠ كان أي: وما يزال. وقَصصهم: أخبار الرسل. والعِبرة: الاعتبار والاتعاظ. وأولو: أصحاب، مفرده ذو. والألباب: جمع لبّ، القلب السليم المستعصي على الفساد. وما كان أي:ليس القرآن بما تضمن من القَصص وغيره. والحديث: ما يبلّغ الناسَ من الكلام. ويفترى: يُختلق ويُصطنع. والتصديق: المصدِّق. والذي بين يديه أي: ما قبله من الكتب المُنزلة. والتفصيل: التبيين. وكل شيء أي: ما يُحتاج إليه في الحياة. وهدى أي: هاديًا ومرشدًا إلى الحق. ورحمة أي: راحمًا بالإحسان ونعيم الآخرة. ويؤمنون: مستعدون لأن تعرف قلوبهم التوحيد والإخلاص. ١١١

المعنى العام: كان النبي ﷺ يتوقع أن يسبب نزول قصة يوسف إسلام الذين سألوا عنها، ولكنهم استمروا في العناد والمكابرة، فعزّاه الله بإنزال الآيات ١٠٣ـ١٠٧. فأنت لا تسألهم مكافأة ـ أيها النبيّ ـ بل تريد تذكيرهم، وكثير من الآيات الكونية يتجاهلونها، ويخلطون الإيمان بالشرك. وعليهم ألاّ يأمَنوا نزول العذاب بهم، أو مجيء يوم القيامة في غفلة منهم، وأبلغْهم أنك تدعو وتسير على بيّنة مع المؤمنين، وأنك موحد تنزه الله من كل شرك. وكذلك كان الرسل وأقوامهم قبلك في البلاد، وقد مرّ بعض المشركين بها مهدمة، وكان عليهم أن يتعظوا بأن نعيم الآخرة للمؤمنين أفضل مما هم فيه.

فقد اشتدت الأحوال على الرسل، ولما كادوا ييئسون، وتيقن الكافرون خذلان رسلهم، أتى نصر الله، ونُجّيَ المؤمنون من العذاب الذي لا يُمنع عن الكافرين. وإن تلك الأخبار عظة لذوي القلوب السليمة، وليس القرآن أقوالًا مصطنعة، وإنما هو تصديق لما قبله من النبوات، وتبيين ما يحتاج إليه الناس، وهداية ورحمة لمن يقبل الإيمان.

١٣ ـ سورة الرعد

تفسير المفردات: آلـمّر: أحرف مقطَّعة استأثر الله بعلمها، وهي سره المكنون في كتابه العزيز. وتلك أي: هذه الآيات معظَّمةً. والآيات: النصوص التي توحى. والكتاب: القرآن الكريم. وأُنزل إليك: تُبلَّغ به وحيًا. ومن ربك: من عنده وبأمره. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والحق: الصدق لا شك فيه. وأكثر الناس: غالبية البشر. ولايؤمنون: لا يصدقون أنه من عند الله. ١ رفع: بنى بارتفاع. والسماوات: ما حول الأرض من عوالم عُلوية. والعمد: جمع عِماد، ما يُعمد به البناء ليستقر. وترون: تبصرون عِيانًا. وثم استوى أي: وقصد كما يليق به. والعرش: مخلوق عظيم يحيط بالكون ولا يعرف كنهه إلّا الله. وسخّر: ذلل لطاعتة وإرادته. والشمس: النجم النهاري المنير. والقمر: الكوكب يستضيء بنور الشمس ويضيء الأرض ليلًا. وكل أي: كل منهما. ويجري: يتحرك في فلكه المحدد. والأجل: مُدة حياة الكائن. والمسمّى:المعيّن عند الله. ويدبّر: يقضي ويوجّه. والأمر: أحوال الكائنات. ويفصّل: يبيّن. والآيات: دلائل قدرته. ولعلكم: ليُترجّى لكم. ولقاء ربكم: حضور حسابه. وتوقنون: تعلمون العلم اليقين. ٢ هو أي: الله. ومدّ الأرض: بسطها ومهّدها لتيسير الحياة. وجعل: خلق. والرواسيَ: جمع الراسي، الجبل المستقر. والأنهار: جمع نهر، ما يجري فيه الماء الكثير. والثمر: ما ينعقد عن الزهر للغذاء والزينة والدواء. وزوجين أي: جنسين متقابلين متزاوجين. ويغشي: يجعل كالغطاء. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. وذلك أي: ما ذُكر من المخلوقات. والآيات: الأدلة. والقوم: الجماعة من الناس. ويتفكرون: يستعملون عقولهم وبصائرهم. ٣ القِطع: البقاع المتمايزة، جمع قِطعة. والمتجاورات: المتلاصق بعضها ببعض. والجنة: البستان. والأعناب: جمع عنب. والزرع: ما ينبت في الأرض. والنخيل: شجر ثمره البلح. والصنوان: جمع صِنو، النخلات يجمعها أصل واحد. وغير صنوان أي: منفردات. ويسقى: يُروى ويغذّى. والماء: السائل المشروب بلا لون ولا رائحة ولا طعم. ونفضّل: نميّز بصفات معيّنة. والبعض: الواحد أو الأكثر. والأكلُ: ما يؤكل. وذلك أي: ما ذكر في هذه الآية. ويعقلون: يستعملون عقولهم. ٤ تعجب: تتعجب وتُدهش، أيها النبيّ. وعجب أي: حقيق بالتعجب. وقولهم: قول الكافرين. وإذا كنا أي: حين نصير. والتراب: ما تفتت من الأجساد. وأإنّا أي: لسنا. والخلق: التكوين من العدم. والجديد: الحادث مرة ثانية. وأولئك أي: القائلون هذا القول. وكفروا: كذّبوا وجحدوا. والأغلال: جمع غُلّ، طوق من حديد تقيد به اليد إلى العنق مفردِ الأعناق أي: الرقبة. والأصحاب: جمع صاحب.، المصاحب الملازم. والنار: نار جهنم. وخالدون أي: مقيمون أبدًا. ٥

الجزء الثالث عشر — سورة الرعد

سُورَةُ الرَّعْدِ — ترتيبها ١٣ — آياتها ٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ
عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ
يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ
رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ
وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ
ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ
قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ
وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ
فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾
۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ
جَدِيدٍۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ
فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

ربع الحزب ٢٥

المعنى العام: أن هذه الآيات المعظمة هي من القرآن، وهو أوحي بأمر الله من دون شك، ولكن الغالبية من الناس لا يصدّقون ذلك. فالله أنشأ السماوات بلا عمد، وقصد العرش يقدّر ويدبّر، فذلل الشمس والقمر لقدرته ومصالح الكون، يجريان فيما رُسم لهما من المكان والزمان والعمر، ونظّم أمور الخلق وبيّن الأدلة على الوحدانية، ليؤمن الناس بالبعث، ومهّد الأرض خلافًا لما هي عليه الكواكب الأُخرى، وخلق الجبال والأنهار والثمار المتفاوتة والليل والنهار والأراضي المتجاورة المتنوعة والنباتات المتمايزة في طعمها وأشكالها وتزاوجها، مع أنها تسقى من ماء واحد.

وفي ذلك كله أدلة للناس الذين يفكرون ويتعظون لترك الكفر والتوجّه إلى الإيمان بالتوحيد والبعث. ولكن العجب العُجاب لك ـ أيها النبيّ ـ قول المشركين: محال أن نُخلق بعد تفتتنا. فهم كافرون بالله ولهم يوم القيامة أغلال من النار في أعناقهم وخلودٌ في جهنم.

الجزء الثالث عشر سورة الرعد

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا
أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ
الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن
وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

تفسير المفردات: يستعجلونك: يطلبون التعجيل منك، أيها النبيّ. والسيئة: ما يسوء الإنسان من العذاب. والحسنة: ما يَسرّ من الرحمة والنعم. وخلت: مضت. والمَثُلة: عقوبة من يشبههم من المكذبين. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. وذو مغفرة: صاحبها المختص بستر الذنوب وعدم التعجيل بالعقوبة. والناس: البشر. وعلى ظلمهم: مع تجاوزهم الحق. والشديد: القويّ. والعقاب: معاقبته. ٦ الذين كفروا: المكذّبون للنبي ﷺ. ولولا: هلّا، للتمني والتعجيز. وأُنزل عليه: أُعطي النبيّ. والآية: المعجزة تحمل على الإيمان. ومن ربه: من عند ربه كما يدعي. والمنذر: المهدّد بالعذاب للكافرين. والقوم: الأُمّة. والهادي: المرشد إلى الحق بما يوحى إليه. ٧ يعلم: يحيط بالخفايا حين التكوّن وقبله وبعده. وما تحمل أي: حفظُ البويضات والأجنّة والقدرةُ على الإنجاب. والأنثى: المخلوقة المُعدّة للإنجاب. وما تغيض أي: النقصُ. والأرحام: جمع رَحِم، موضع تكون الجنين. وما تزداد: التكثرُ ليتم خلق الجنين. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. وعنده بمقدار أي: في حُكمه وقضائه علمٌ بالكمّيّة والكيفيّة بلا لبس أو إخلال. ٨ العالم: المطّلع والمحيط كاملَ الإحاطة. والغيب: ماغاب عن المخلوقات. والشهادة: ما أدركته المخلوقات. والكبير: العظيم لا تحيط به العقول. والمتعالِ: المتعالي أي: المترفع المستعلي بذاته وصفاته وأفعاله. حذفت الياء للتخفيف ولموافقة بعض فواصل الآيات. ٩ سواء: متساوٍ في علم الله. وأسرّ: أخفى في نفسه. والقول: ما يقال. وجهر به: أظهره لغيره. والمستخفي: المتستّر. والليل: ما بين الغروب والفجر. والسارب: الظاهر في طريقه. والنهار: ما بين الفجر والغروب. ١٠ له: للإنسان. والمعقبات: جماعات الملائكة تتناوب المهامّ والأعمال لرعاية الخلق. بين يديه: أمامه. وخلفه: وراءه. ويحفظونه: يحمونه مما لا يَقدِر عليه. ومن أمر الله: بسبب قضائه وإرادته. ولا يغير: لا يبدّل نعمة أو نقمة. ويغيروا: يبدّلوا. والأنفس: جمع نفْس، ضمير الإنسان وعمله. وأراد: شاء. والسوء: العذاب. والمردّ: المنع. وما لهم: ليس للقوم. ودونه: غير الله. ومن والٍ أي: وليٌّ يتولّى أمورهم ويحميهم. ١١ هو أي: الله. ويريكم: يبصّركم عِيانًا. والبرق: اللمعان من خلال السحب المتصادمة. وخوفًا أي: فزعًا من الأهوال. وطمعًا أي: طلبًا لِلخير. وينشئ: يخلق. والسحاب: الغيم المتحرك، واحدته سحابة. والثقال: جمع ثقيلة بما فيها من المطر. ١٢ يسبّح: بخضوعه ينزّه الله عما يزعم المشركون. وبحمده أي: مع شكره والثناء عليه. والملائكة: جمع مَلَك. والخيفة: الهيبة والإجلال. ويرسل: يبعث. والصواعق: جمع صاعقة، نار تخرج من اصطدام السحاب. ويصيب: يرمي وينال. ويشاء: يريد إصابته. وهم أي: المشركون. ويجادلون: يخاصمون النبي ﷺ. في الله أي: بسبب وحدانيته وصفاته. والشديد: القوي الذي لا يقاوَم. والمِحال: الانتقام بالعنف مكايدة ومغالبة. ١٣

المعنى العام: أن المشركين يعاجزون النبي ﷺ بطلب الشر، وقبلهم أمم كافرة نزلت بها نكبات، والله لا يعجل عقابه الشديد قبل أوانه، وهم يقترحون معجزات كالرسل قبل، وإنما أنت رسول مبلغ، ولكل رسول أساليبه في الهداية، لا بما يريده الكافرون. ثم إن معجزتك تبليغُهم إحاطةَ علم الله بما يتكوّن في الكون بمقدار محكم، وعلمه بما في الغيب والشهادة، وعظمته وتعاليه على المخلوقات، واطّلاعه على الأسرار والجهر من القول، وعلى المستخفين والظاهرين، أي: أن الله محيط علمه بأقوال المكلفين وتصرفاتهم، لا يغيب عنه شيء.

وقد خلق للناس ملائكة تتابعهم بالرقابة والعون من كل صوب والحفظ، ولا يبدِّل بحالهم حالًا من الخير أو الشر إلّا حين يبدِّلون النيات والأعمال. وإنما ذُكر السوء هنا لأن المراد التهديد، فلا يستطيع مخلوق منع ما قدّره الله من التغيير. وهو يُظهر البرق تخويفًا وترغيبًا في الخير، ويخلق السحب المحمّلة بالأمطار، وينزهّه الرعد ويحمده بلسان الحال عن الشريك، والملائكة تسبّحه مع خشيتها منه، وهو ينزل الصواعق على من يريد إهلاكه، والكافرون يخاصمون في صفاته، وهو قاهر للعباد لا يقاوَم ولا يغالب.

تفسير المفردات: الدعوة: الدعاء. والحق: الصدق المحقَّق. ويدعون: يعبد المشركون. ودونه: غيره. ولا يستجيبون: لا يقضون. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والباسط: الذي يمدّ. والكفّ: مقدّم اليد. والماء: السائل المشروب بلا طعم ولا لون ولا رائحة. ويبلغ: يدرك. وفوه: فمه. وما هو أي: ليس الماء. وببالغه أي: مدركَه. وما دعاء أي: ليست استغاثة. والكافرون: المشركون. والضلال: الضياع. ١٤ يسجد: يخضع لأجل ما خُلق له. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والطوع: الامتثال برضا. والكُره: الانقياد بقهر. والظلال: جمع ظِلّ، ما ينعكس عن الشيء إذا تعرّض للنور. والغدوّ: جمع غَدوة، أول النهار. والآصال: جمع أُصُلٍ: جمع أصيل، ما بين العصر والغروب. ١٥ قل أي: للكافرين، أيها النبيّ. والربّ: الخالق المالك المتفرد بالتصرف. والله أي: هو الربّ. وأتّخذتم: كيف تجعلون ؟ ودونه أي: غير الله. والأولياء: جمع ولي. وهو المعبود. ولا يملكون: لا يستطيعون. والأنفس: جمع نفس. وهي ذات الشيء. والنفع: الفائدة. والضر: الأذى. وهل يستويان أي: لا يتماثلان في الحق والصفات. والأعمى: الكافر. والبصير: المؤمن. والظلمات: أحوال الكفر، جمع ظُلْمة. والنور: حال الإيمان. وأم جعلوا أي: بل أصيّر الكافرون ؟ والشركاء: جمع شريك، ما يشارك في الألوهية والعبادة. وخلقوا: أوجدوا من العدم. وكخلقه: شيئًا مثل ما خلق اللهُ. وتشابه: التبس واختلط. والخلق: المخلوقات. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده، والواجب الوجود المستحق للأُلوهيّة والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والواحد: المتفرد في الأُلوهيّة. والقهار: الذي يغلب ما عداه. ١٦ أنزل: أسقط. والسماء: السحاب. وسالت: جرت وتدفقت. والأودية: جمع الوادي، المنفرج بين مرتفعَين. وبقدرها أي: مصاحبةٌ مقدار ملئها. واحتمل: حمل معه. والسيل: ما سال من الماء. والزبد: الرغوة تطفو. والرابي: العالي. ويوقدون: يشعل المشركون. والنار: ما يوقد بالحطب ونحوه. والابتغاء: الطلب. والحلية: ما يُتزيّن به من الجواهر. والمتاع: ما يستفاد منه. والمِثل: المماثل. وكذلك أي: مِثل ما ذُكر في الآية من الزبد والمنافع. ويضرب: يبيّن. والحق: الثابت أي: الإيمان. والباطل: ما لا أصل له أي: الكفر. ويذهب: يفنى. وجفاء أي: متلاشيًا منبوذًا. وينفع: يكون فيه فائدة. ويمكث: يبقى ويثبت. والأمثال: جمع مَثَل، الحجة الدامغة. ١٧ استجابوا: أجابوا بالطاعة. والحسنى: الجنّة، أفضل الثواب. ولو أي: لو حصل. وجميعًا أي: كله مجتمعًا. ومعه أي: مضافًا إليه. وافتدوا: أرادوا أن ينقذوا أنفسهم. وسوء الحساب: الحساب الشديد العقاب. والمأوى: الملجأ. وجهنم: دار العذاب يوم القيامة. وبئس: بلغَتِ الغايةَ من السوء والشقاء. والمهاد: الفراش. ١٨

الجزء الثالث عشر — سورة الرعد

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى
ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ
لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

المعنى العام: أن لله دعوة التوحيد، وما يُعبد من المخلوقات دعوته باطلة لا يفيد بشيء نفسه ولا غيره، كمن يمدّ كفَّيه مفتوحتين ويطلب من الماء أن يرتفع بنفسه إليه دون فائدة. فليست دعوة المشركين إلّا في ضياع، ولله تخضع جميع المخلوقات حتى الظلال بالرضا أو القهر.

وإذا سألت ـ أيها النبيّ ـ الكافرين: من خالق الكون ؟ فالجواب: اللهُ. لا جواب غيره. فكيف يشركون به ما لا ينفع ولا يضر؟ محال أن يتساوى الكفر والإيمان. فهل خَلَقَتِ المعبودات شيئًا، فتداخلت مخلوقاتها وخلقُ الله، والتبست على المشركين الأمور بسبب خلق كخلق الله ؟ محال ما يتوهّمونه، والله هوالواحد القهار و خالق كل شيء.

والفرق بين التوحيد والشرك كالفرق بين زبد السيول وبين مياهها، وما يتصاعد من المعادن في النار وبين ما ينفع الناس من الخير. فهذا ثابت متحقّق بمنافعه، وذاك باطل مضمحل، وهكذا يبيّن الله أدلة التوحيد والإيمان. فالذين آمنوا لهم نعيم الجنة، والكافرون لو ملكوا ضعف ما في الدنيا، وحاولوا فداء أنفسهم، لما أفادهم ذلك، لأن لهم حسابًا عظيمًا والخلود في جهنم. فما أبأس مُقامهم!

تفسير المفردات: أمن يعلم: ليس من يتيقّن. وأنّ ما أي: أنّ الذي. وأُنزل: أُوحي. ومن ربك: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والحق: الصدق لا شك فيه. وكمن هو أعمى أي: مثلُ فاقد البصر والبصيرة. ويتذكّر: يتّعظ ويستفيد. وأولو: أصحاب، واحده ذو. والألباب: جمع لبّ. وهو خالص الشيء وخياره، أي: العقل السليم الثابت لا يتزعزع بالأباطيل. **١٩** يوفون: يؤدّون بوفاء كامل. وعهد الله: ما عاهدوا الله عليه في العقيدة والشريعة فوجبت تأديته. ولا ينقضون الميثاق: لا يُخلّون ولا يخالفون ما وثّقوه بالقسم. **٢٠** يصلون: يتابعون بالعمل. وأمرَ: فرض. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويخشون: يهابون بالتعظيم والإجلال. ويخافون: يفزعون ويتهيّبون. وسوء الحساب: الحساب الشديد العقاب. **٢١** صبروا: تجلّدوا وتحمّلوا الشدائد. والابتغاء: الطلب. ووجه ربهم: وجهه الكريم، صفة وصف الله بها نفسه، كما يليق بجلاله وعظمته. وأقاموا الصلاة: أدّوها كاملة كما فُرضت خمس مرات في اليوم. وأنفقوا: بذلوا المال والنفس فيما هو واجب أو مندوب. ورزقناهم: أعطيناهم. وسرًّا: بكتمان. وعلانية: بجهر. ويدرؤون: يدفعون ويعالجون. والحسنة: ما حسّنه الشرع. والسيئة: ما قبّحه. وأولئك أي: الموصوفون بمحاسن الآيات الثلاث. وعقبى الدار: العاقبة المحمودة في الآخرة.

أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ
﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ
بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ
﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ
أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ
مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

٢٢ الجنّة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. والعدن: المنزلة العالية والإقامة الدائمة. ويدخلونها: يقيمون فيها. وصلح: آمن. وآباؤهم: أصولهم من الآباء والأمهات والأجداد والجدات. والآباء: جمع أب. وأزواجهم: زوجاتهم اللواتي مُتْنَ في عصمتهم. والأزواج: جمع زوجة. وذرياتهم: من كان من سلالتهم. والملائكة: جمع مَلَك. ويدخلون عليهم: يزورونهم. والباب: المدخل في الجنة. **٢٣** السلام: دوام السلامة والاطمئنان. وبما صبرتم: بسبب صبركم. ونعم: بلغتِ الغايةَ في النعيم والخير وسعادة الإقامة. **٢٤** ينقضون عهد الله: يبطلون ما تعهّدوا به أو يخالفونه. وميثاقه: توثيقه بالإقرار والأيمان. ويقطعون: يُمزّقون. وأمر به: فرضه. ويوصل: يتّبع. ويفسدون: يشيعون الفساد. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وأولئك أي: الموصوفون في هذه الآية. واللعنة: البعد من الرحمة. وسوء الدار: العاقبة الشنيعة في الآخرة. **٢٥** يبسط: يوسّع. والرزق: ما ييسّر من المتاع والزينة. ويشاء: يريد الله رزقه. ويقدر: يضيّق لمن يشاء. وفرحوا: بطر المشركون وسَعدوا. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منهم وهم فيها. وما الحياة أي: ليست الحياة. وفي الآخرة أي: بالنسبة إلى الحياة يوم القيامة بما فيها من السعادة. والمتاع: ما ينتفع به لوقت محدود. **٢٦** كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ولولا: هلّا، للتمني والتعجيز. وأُنزل: أُوحي. وعليه: على محمد ﷺ. والآية: المعجزة تُجبر على الإيمان. ومن ربه: من عنده وبأمره. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. ويضل: يُمِدّ بحسب اختيار الإنسان للسيئ. ويشاء: يريد الله إضلاله. ويهدي: يرشد تبعًا للاختيار الصالح. وإليه: إلى دينه. وتاب: رجع إلى الطاعة. **٢٧** آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وتطمئنّ: تهدأ وتسكن. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. وبذكر الله أي: لذكر تسبيحه وتوحيده و وعده بالرحمة والثواب. وألا أي: حقًّا. والقلوب: قلوب المؤمنين. **٢٨**

المعنى العام: أن الفرق كبير بين المؤمن والكافر. فالأول يلتزم العهد ويتابع الخير ويتقي الله ويحتمل الشدائد طاعة لله ويبذل في الخير ما رزقه الله ويصلح ما هو فاسد، فله نعيمُ الجنة مع أقربائه المؤمنين، وتحياتُ الملائكة بالسلام والطمأنينة. والثاني ينقض العهود ويقطّع صلات الخير وينشر الفساد، فله غضب الله ولعنته وأشنع ما في يوم القيامة. والله يوزّع الأرزاق بحكمته، فيبطر الكافرون بغناهم الزائل، ويطلبون المعجزات تحديًا ليؤمنوا، ولكنهم لن تفيدهم إن حصلتْ لأن الله يهدي مَن عنده استعداد لذلك، ويضل من يكابر. فأصحاب الإيمان تطمئن قلوبهم بذكر الله واستحضار صفاته الجليلة، وهو حقًّا الوسيلة العظمى لاطمئنان القلوب الصالحة.

تفسير المفردات: آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا. والصالحات: الأعمال فيها خير. وطوبى: المُقام الذي لا مثيل له. وحسن مآب: الرجوع الحَسَن إلى الله يوم القيامة. **٢٩** كذلك أي: مثلَ إرسالنا الأنبياء قبل. وأرسلناك: كلّفناك بالدعوة. والأُمّة: الجماعة من الناس. وخلت: مضت. والأُمم: جمع أُمّة. وتتلو: تقرأ من دون كتاب. وعليهم: على الكافرين. وأوحينا: نزّلنا على لسان جبريل. ويكفرون: يُنكرون ويكذّبون. والرحمن: العظيم العطف بالإحسان إلى الخلق كلهم. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. وهو أي: الرحمن. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والإلّه: المعبود بحق. وعليه توكلت: عليه وحده أعتمد. وإليه: إلى طاعته ورضاه. ومتاب: متابي، توبتي في الدعاء، ورجوعي في النية والعمل. وحذفت الياء للتخفيف. **٣٠** لو أي: لو حصل. والقرآن: الكتاب المنزَّل يُقرأ. وسيّرت به: نُقلت بسببه من أماكنها. والجبال: جمع جبل، ما غلظ وارتفع من الأرض. وكلّم: خوطب فأجاب. والموتى: جمع ميت، من فارقت روحه جسده. والأمر جميعًا: القدرة على جميع الأشياء. وألم ييأس أي: فلْيتذكر ولْيعلم. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وأنْ أي: أنّه. ويشاء: أراد إيمان الناس كلهم. وهدى الناس: صرف قدراتهم إلى الهداية والصلاح. وجميعًا أي: كلهم مجتمعين. ولا يزال: سيبقى ويستمر. وتصيبهم: تنزل بهم. وبما صنعوا: بسبب كفرهم. والقارعة: المصيبة بأنواع البلاء. وتحل: تقيم وتستقر. وقريبًا: مكانًا دانيًا. والدار: البلد. ويأتي: يتحقّق. والوعد: البشارة بالنصر عليهم. ولا يخلف: يفي دائمًا. والميعاد: وعده. **٣١** استهزئ برسل: سَخر منهم أقوامهم. والرسل: جمع رسول. وأمليت: أخّرت العقاب استدراجًا. وأخذتهم: أهلكتهم بالعذاب. وعقاب: عقابي، جزائي لهم على كفرهم. **٣٢** أمن هو قائم أي: ليس الرقيب المسيطر كالمعبودات القاصرة. والنفس: المخلوق الحي. وبما كسبت أي: مصاحبةً عملها. وجعلوا: صيّر الكافرون. والشركاء: جمع شريك في العبادة والطاعة. وسموهم: صِفوهم وبيّنوا حقيقتهم. وأم تنبئونه أي: بل أتخبرون الله ؟ وما لا يعلم: ما ليس في علمه. وأم: بل تسمّونهم شركاء. وظاهر من القول: ما هو مجرد كلام سطحي تلفظه الأفواه من غير تدبُّر. وزُين: جُعل محبّبًا. والمكر: الكيد. وصُدوا: رُدّوا. والسبيل: طريق الهداية. ويضلّ: ويصرف إلى ما يناسب سوءَ الاختيار. وما له: ليس له. ومن هاد أي: مرشدٌ يوصله إلى الحق. **٣٣** العذاب: التعذيب. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منهم يعيشون فيها. والآخرة: الحياة يوم القيامة. وأشق: أعظم. ومن الله: من انتقامه. ومن واقٍ: مانعٌ. **٣٤**

الجزء الثالث عشر | سورة الرعد

الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ
لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ
قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ
بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

المعنى العام: أن المؤمنين الصالحين لهم أطيب النعيم في الآخرة. وقد أرسلناك ـ يا محمد ـ كما أرسلنا الأنبياء قبلك، لتبلّغ دعوة التوحيد ولكنّ الكافرين ينكرون الإيمان بالرحمن. فقل لهم: إنه هو مَن تعبده وتتوكّل عليه، وترجع إليه في جميع أمورك.

وعندما طلب المشركون من النبي ﷺ أن يبعد عنهم جبال مكة ويفجّر الأنهار ويحيي الموتى ليصدقوا نبوته، نزلت الآيات بأنه لو تحقق ذلك لما آمنوا، لأنهم يكابرون، ولأن الهداية هي بيد الله لمن يطلبها. فلْيعلم المؤمنون أن الكافرين يراوغون، ولو شاء الله لهدى الناس جميعًا، ولكن يتركهم لما يختارون، وسيبقون على ما ينالهم من البلاء عاجلًا أو آجلًا، والله لا يخلف مواعيد عذابه. وقد استهزأ كثير من الأمم بأنبيائهم فأجّل الله عقابهم، ثم نزل بهم على أحسن ما يجب.

وليس المالك للكون كالمعبودات من المخلوقات. وإلّا فمن هؤلاء ؟ وهل يستحقون العبادة فعلًا ؟ بل إنهم أوهام ومسمّيات ليس لها من الوجود الحقيقي نصيب. ولقد تزين في نفوس الكافرين خداعهم، ومُنعوا من الهداية فلا مصلح لهم، ولهم عذاب الدنيا، وعذاب في الآخرة أعظم بدون نصير أو حافظ.

الجزء الثالث عشر سورة الرعد

ربع الحزب ٢٦

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى
الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾

تفسير المفردات: المَثَل: الصفة العجيبة تُذكر للتعظيم. والجنّة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. ووُعد المتقون: وُعِدَها وبُشِّرَ بها في الدنيا الذين يتجنبون غضب الله ويطلبون رضاه. وتجري: تسيل وتتدفق. ومن تحتها: من تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر، المجرى العظيم للماء والعسل واللبن والخمر. والأُكل: ما يؤكل. ودائم أي: أبديّ. والظل: ما يرتسم للشخص إذا تعرض للنور. وتلك أي: الجنّة. والعقبى: النهاية. واتقوا: تجنبوا الشرك وأنكروه. والكافرون: المكذّبون للتوحيد والبعث. والنار: نار جهنم. ٣٥ آتيناهم: أعطيناهم. والكتاب: التوراة والإنجيل. ويفرحون: يَسعدون ويُسرّون. وأُنزل: أوحي على لسان جبريل. ومن الأحزاب أي: بعضها. والأحزاب: جمع حزب، الجماعة من الناس تشاكلت أهواؤهم. وينكر: يكذّب. والبعض: الجزء. وقل أي: للكافرين، أيها النبيّ. وأمرت: فُرض عليّ. وأعبد: أقدّس وأطيع. ولا أشرك به: أوحّده في العبادة. وأدعو: أحضّ الناس. وإليه مآبِ: إلى لقاء موعده بالبعث مرجعي بعد الموت. وحذفت الياء لموافقة فواصل الآيات. ٣٦ كذلك أي: مثلَ الإنزال للتوراة والإنجيل. وأنزلناه: أوحينا القرآن الكريم. وحكمًا: حاكمًا. والعربي: بلغة العرب فصيحًا مبيّنًا. ولئن: أُقسِمُ إن. واتّبعتَ: وافقتَ. والأهواء: جمع هوى، ما تميل إليه النفس من الشهوة. وجاءك: أتاك. والعلم: المعرفة اليقينيّة. وما لك: ليس لك. ومن الله أي: من عذابه. ومن وليٍّ أي: ناصرٌ. والواقي: المانع. ٣٧ أرسلنا: بعثنا. والرسل: جمع رسول. وجعلنا: خلقنا ويسّرنا. والأزواج: جمع زوج، امرأة الرجل. والذرية: الأولاد. وما كان: لا يصح ولا يجوز. ويأتي بآية: يجيء بمعجزة. وبإذن الله أي: مصاحبًا أمره وإرادته. والأجل: المُدّة لحدوث الشيء وبقائه. والكتاب: السجلّ. ٣٨ يمحو: يمسح ويزيل. ويشاء: يريد. ويثبت: يُبقي للوقت المحدد. وعنده: في علمه. وأُم الكتاب: السجلُ الذي فيه القضاء المُبرَم. والكتاب هنا هو صحف الملائكة، أي: كتبهم. ٣٩ إمّا نرينّك: إن نُبصّرنّك عِيانًا. والبعض: الجزء. ونعدهم: نتوعد الكافرين به من العذاب.. ونتوفينّك: نستوفينّ روحك الشريفة. والبلاغ: تبليغ العقيدة والشريعة. وعلينا أي: متحقّق بمقتضى الوعد. والحساب: حسابهم. ٤٠ ألم يروا أي: لقد علموا. ونأتي الأرض: نقصدها بالإرادة والأمر. وننقصها: نزيل بعضها من حكمهم. والأطراف: الجوانب، جمع طرَف. ويحكم: يقضي. والمعقب: المانع. والسريع: العاجل جدًّا. والحساب: محاسبته. ٤١ مكرَ: دبّر المكايد خِفية. وقبلهم: قبل أهل مكة. والمكر: تدبير القضاء كيدًا بعقوبته للكافرين. وجميعًا أي: مجتمعًا كله. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. وتكسب: تعمل وتتحمّل. والنفس: المخلوق الحي. وسيعلم:لا بد أن يدرك ويعاين. والكفّار: كل كافر. والعقبى: ما تنتهي إليه أمور المخلوق من المكلفين. والدار: مكان الإقامة. ٤٢

المعنى العام: أن الجنة فيها النعيم والظل الدائمان للمتقين، وللكافرين نار جهنم، والصالحون من أصحاب الكتاب كعبد الله بن سلام والنجاشي يُسعدهم نزول القرآن، والمشركون يكفرون به، وأنت ـ أيها النبيّ ـ أُمرتَ بالتوحيد والدعوة ومعك كتاب منزل. هو الحكَم الفصل فيما جاءت به الكتب السائدة. فهو المرجع المهيمن عليها وباللغة العربية. ولو اتبعتَ أهواءهم ما كان لك من يحميك.

ولما عيّر اليهود النبيَّ بكثرة الزوجات وطالبوه بالمعجزات نزلت الآية بأن الأنبياء كان لهم مثل ما عنده وأكثر، ليعقوب ثلاث زوجات وجاريتان، ولسليمان مئات الزوجات والسراري، والمعجزات لا تكون إلّا بإرادة الله، وكل شيء مسجَّل عنده مع تحديد وقته المعين. وقد سُجل تقدير ذلك في القضاء المُبرَم، مع تعيين ما هو غير محتوم منه. فالمحو والإثبات سبق بهما القضاء وثبتا في أُمّ الكتاب.

وإن شاهدتَ بعض عذاب الكافرين، أو تُوفِّيتَ قبله، فليس لك غير تبليغ الدعوة، وسترى عذابهم في الآخرة أيضًا، وها هم أولاء يرون سلطانك على بعض ما كان لهم بتقدير الله الذي لا يُردّ، وهم يخادعون، وهو يدبر القضاء كيدًا لهم بالعذاب من حيث لا يشعرون، ويعلم ما يكون من الخلق جميعًا، وسيعلم الكافرون يوم القيامة: من يكون له نعيم الخلود في الجنة ؟

تفسير المفردات: كفروا: كذّبوا دعوتك وكذّبوا وحدانية الله. والمرسل: المبعوث من عند الله للدعوة. وقل أي: لهم. وكفى بالله: يغني اللهُ عن دليل آخر. والشهيد: الشاهد يؤيّد الحقيقة. ومَن عنده: الذي في معرفته. وعلم الكتاب: ما في التوراة والإنجيل بحق. ٤٣

المعنى العام: أن الكافرين يكذّبون دعوتك، أيها النبيّ. فقل لهم: حسبي شهادة الله بيننا لي بالصدق، وشهادة الذين يعلمون ما في التوراة والإنجيل من حقائق.

١٤ ـ سورة إبراهيم

تفسير المفردات: الٓر: أحرف مقطّعة استأثر الله بعلمها، وهي سرّه المكنون في كتابه العزيز. والكتاب: القرآن الكريم. و أنزلناه: أوحيناه على لسان جبريل، وتكفلنا حفظه وتبليغه وبيانه. وتخرج: تنقل. والناس: البشر. والظُّلُمات: جمع ظُلْمة، السواد الشديد تغيب فيه معالم الخير والشر. والنور: ما يضيء لتمييز الحق من الباطل. وبإذن ربهم أي: مصاحبًا أمره وتيسيره. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والصراط: الطريق المستقيم. والعزيز: الغالب لما عداه. والحميد: المستوجب للثناء على كل حال. ١ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والويل: الهلاك وأشدّ العذاب. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: القوي لا مثيل له. ٢ يستحبون: يفضلون ويختارون. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة وما فيها من المتع الزائلة. والآخرة: الحياة المتأخرة يوم القيامة وما فيها من النعيم. ويصدون: يمنعون الناس. والسبيل: الطريق الواضحة. ويبغونها: يطلبون السبيل ويريدونها. وعوجًا أي: مُعْوَجّة. وأولئك أي: الموصوفون بما مضى. والضلال: الخطأ والضياع. والبعيد: المتناهي في الانحراف. ٣ ما أرسلنا: ما بعثنا بالوحي. والرسول: المكلّف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وبلسان قومه أي: مصاحبًا لغة قومه للتبليغ. والقوم: الجماعة التي يعيش بينها. ويبيّن: يشرح. ويضل: يصرف إلى ما يناسب الاختيار الفاسد. ويشاء: يريد الله إضلاله. ويهدي: يرشد إلى ما يناسب الاختيار للحق. ويشاء: يريد هدايته. وهو أي: الله. والعزيز: الغالب لكل الخلق. والحكيم: البالغ الإتقان فيما يريد ويقول ويفعل. ٤ موسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. والآيات: المعجزات تُجبر على الإيمان. وأن بمعنى: أي. وأخرج: انقل بالدعوة. وذكّرهم: اذكر لهم وعِظْهم. والأيام: جمع يوم، ما كان من نِعم ونِقم. وذلك أي: التذكير. والآيات: الدلالات القاطعة. والصبّار: الشديد التحمّل. والشكور: الكثير الشكر. ٥

الجزء الثالث عشر — سورة إبراهيم

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ — ترتيبها ١٤ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

المعنى العام: أن القرآن الكريم أوحاه الله إليك ـ أيها النبيّ ـ لتنقذ الناس بأمره من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وطريقه المستقيم، وهو المسيطر على الخلق والمحمود فيما يفعل والمالك للمخلوقات كلها. فالويل للكافرين مما سينالون من العذاب، ينصرفون إلى التمتع بلذائذ الدنيا عن الاستعداد لنعيم الآخرة ، ويمنعون الناس من الهداية والإيمان، ويشوّهون معالم الدين ليعيشوا في ضلال لا نهاية له.

ولما قال المشركون: لماذا كانت الكتب كلُّها بالأعجمية، وهذا الكتاب عربيّ ؟ نزلت الآيتان ٤ و٥ بأن الله ما أرسل رسولًا إلّا بلغة القوم الذين هو منهم ليفهموا، وأنت أرسلناك ـ أيها النبيّ ـ للناس كافة بلغة قومك، وهم سيترجمون لغيرهم ويعلمونهم، والهداية والضلال بأمر الله العزيز الحكيم ، يوجّه إلى كل منهما من عنده استعداد له. وقد جاء موسى إلى قومه بالمعجزات ينقذهم من الكفر، ويعظهم بما هيّأه الله للأمم المؤمنة والكافرة من مصير. وفي ذلك براهين لمن يصبر على الحقّ والبلاء ويشكر النعم.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي
ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن
بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم
بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

نصف الحزب ٢٦

تفسير المفردات: إذ قال موسى: وقت قوله. وقومه: الجماعة التي هو منها. واذكروا: استحضروا في أذهانكم. والنعمة: الإنعام بالخير. وأنجاكم: أنقذكم. وآل فرعون: أتباع ملك مصر. ويسومونكم: يذيقونكم. وسوء العذاب: التعذيب الشنيع. ويذبحون: يقتلون بالذبح. والأبناء: جمع ابن، الولد الذكر. ويستحيون: يستبقون على الحياة للاستخدام والفجور. والنساء: جمع نسوة. والنسوة واحدته امرأة. وذلكم أي: الإنقاذ والعذاب. والبلاء: الامتحان ليَظهر الشكور من الكفور. ومن ربكم: من عنده وبقدره. وعظيم أي: ضخم جدًّا لا مثيل له. ٦ تأذن: أعلمَ بعهد موثّق. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح عبيده. ولئن: بي حلفتُ إن. وشكرتم: استحضرتم النعم في أنفسكم وأثنيتم على المنعم. وأزيدنّكم: أضاعفنّ لكم النعم. وكفرتم: جحدتم النعم وأنكرتموها بالعصيان. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: القوي لا مثيل له. ٧ قال أي: لقومه بني إسرائيل. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وجميعًا أي: كلكم مجتمعين. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والغنيّ: المستغني عن كل شيء. والحميد: المستوجب للثناء على كل حال. ٨ ألم يأتكم أي: لقد بلغكم وعلمتم بحق. والنبأ: الخبر العظيم. والقوم: الجماعة من الناس. ونوح: النبي الرابع بعد آدم وشيث وإدريس، أول رسول كذّبه قومه الذين يعبدون الأصنام. ومعنى نوح: الساكن. وعاد: قوم النبي العربي هود. وثمود: قوم النبي العربي صالح. ولا يعلمهم: لا يعرف حقيقة أخبارهم. وجاءتهم رسلهم: أتاهم الذين أُرسلوا إليهم وبلّغوهم دعوة التوحيد. والرسل: جمع رسول. وبالبيّنات أي: مصاحبين الحجج على صدقهم. وردّوا: دفع الأقوام. والأيدي: جمع يد، أي: الكفّ. وفي: إلى. والأفواه: جمع فَوه، وهو الفم. وكفرنا: كذّبنا. وما أرسلتم به: البيّنات والدعوة. والشك: التردد والحيرة. وما تدعوننا إليه: التوحيد والبعث. والمريب: الذي يُحدث القلق والاضطراب. ٩ أفي الله أي: ليس في توحيده وصفاته الحُسنى. والفاطر: الخالق من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويدعوكم: يحضّكم على طاعته. ويغفر: يستر ويمحو. ومن ذنوبكم أي: بعضها. والذنوب: جمع ذنب، المعصية يكون عليها عقاب. ويؤخّركم: يؤجّل هلاككم. والأجل: المُدّة المحدّدة. والمسمَّى: المعلوم المعيّن عند الله. وقالوا أي: الأقوام لرسلهم. وإن أنتم أي: لستم. والبشر: الناس. ومِثلُنا: من جنسنا مماثلون لنا لا فضل لكم علينا. وتريدون: تقصدون. وتصدونا: تردّونا. ويعبد: يقدّس ويطيع. والآباء: جمع أب. وهو الوالد أو الجدّ. وائتونا: أحضروا لنا وأوجدوا. والسلطان: البرهان والدليل القاطع. والمبين: الظاهر البيان. ١٠

المعنى العام: متابعة ما جرى لموسى، حين وعظ قومه وذكّرهم بنعم الله عليهم وإنقاذهم من ظلم فرعون يذبّح الأبناء ويذل النساء ويفسدهنّ، وبشّرهم بتعهد الله لهم بالخير المحقق إن شكروا النعم، وبالعذاب العظيم إن كفروا، وأعلمهم أن كفرهم يعود وباله عليهم لأن الله ليس في حاجة إلى إيمانهم وإيمان غيرهم، وهو غني عن العالمين.

وقد ذكّرهم أيضًا بما كان من هلاك أقوام نوح وهود وصالح، ولهم أمثال كثيرة من الأقوام لا يعلم تفاصيل أمورهم إلّا الله ـ سبحانه تعالى ـ أتتهم الرسل بالهداية مع الأدلة على صدق الدعوة والرسالة، فأنكروا وكفروا وشكّوا في التوحيد، فأنكر عليهم الرسل شكهم، إذ كيف يشكون في الله، وقد تفرد بخلق الكائنات كلها، ويريد لهم الهداية والمغفرة، ويصبر على عصيانهم فلا يعجل عليهم العذاب تيسيرًا لإيمانهم. ولكنهم ردّوا على الرسل بتكذيبهم لأنهم مثلهم من البشر في الصفات. فليس لهم أن يكونوا أنبياء ، ولو أراد الله بعث رسل لكانوا من جنسٍ أفضل. فهؤلاء الرسل يريدون إذًا أن يترك الناس ما يعبده آباؤهم، وليس مع الرسل أدلة بيّنة واضحة الدلالة.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ
أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ
وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن
وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ
أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

تفسير المفردات: قالت لهم أي: للكافرين. والرسل: جمع رسول، من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. وإن نحن أي: لسنا. والبشر: الناس. ومثلكم أي: مماثلون لكم في الصفات. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويمنّ: ينعم ويتفضّل. ويشاء: يريد الله نبوته. والعباد: جمع عبد. وهو المخلوق المملوك الخاضع للطاعة. وما كان: لا يجوز ولا يمكن. ونأتيكم: نحضر لكم. والسلطان: الحجة والمعجزة. وبإذن الله أي: مع أمره وإرادته. وعلى الله فليتوكل: عليه وحده يجب أن يعتمد. والمؤمنون: الرسل وأتباعهم. ١١ مالنا أي: ما الذي يكون لنا. وألّا نتوكّل أي: في عدم الاعتماد. وهدانا: صرفنا إلى ما يوافق استعدادنا الطيب. والسبل: جمع سبيل. وهو الطريق المستقيم في الدين. ولنصبرنّ أي: والله لنحتملنّ ونتجلّدنّ. وآذيتمونا: أنزلتم بنا من الشر. والمتوكّلون: الذين يريدون الاعتماد والاطمئنان. ١٢ كفروا: كذّبوا وأنكروا. ولنخرجنّكم: تُقسِم لنطردنّكم ونبعدنّكم. وأرضنا: مكان إقامتنا. وتعودُنّ: تصيرُنّ. والملة: الدين. وأوحى إليهم: بلّغ الرسلَ على لسان جبريل. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ولنُهلكنّ: أُقسِم لندمّرنّ ولنستأصلنّ بالعذاب. والظالمون: من تجاوزوا الحد بالعصيان فكفروا. ١٣ ونسكنكم الأرض: نجعلنّكم مستقرين فيها بدلًا من الكافرين. وذلك أي: الإهلاك والنصر. وخاف: خشي. والمقام: مكان القيام للحساب. ووعيد: وعيدي، تهديدي بالانتقام من العصاة الكافرين. وحذفت الياء للتخفيف. ١٤ استفتحوا: طلب الرسل النصر من الله. وخاب: خسر. والجبّار: المتكبّر عن الطاعة. والعنيد: المعاند للحق والخير. ١٥ وراءه: أمامه يوم القيامة. وجهنم: دار العذاب فيها نار الله الموقدة. ويُسقى: يُضطرّ إلى الشرب لشدّة عطشه. والماء: السائل الذي يُشرب للارتواء. والصديد ما يسيل من أجسام أهل النار. ١٦ يتجرّعه: يبتلعه بتعسّر وتقطّع. ولا يكاد: لا يقارب. ويُسيغه: يتقبّله ويبتلعه. ويأتيه: يحيط به. والموت: مفارقة روحه للجسد. وكل مكان: جميع الجهات. والميّت: الصائر إلى الهلاك. ومن ورائه أي: بعد ذلك البلاء أيضًا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والغليظ: القوي الفظيع لا مثيل له. ١٧ المَثَل: الحال التي تشبه الأمثال في الغرابة. وكفروا بربهم: كذّبوا وحدانيته ودعوة رسله. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح عبيده. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يُكتسب من نية وقول وفعل. والرماد: ما يتخلف من احتراق المواد. واشتدت به: حملته ونثرته في الفضاء. والريح: الهواء الثائر. واليوم: الوقت. والعاصف: الشديد العواصف. ولا يقدرون على شيء: لا يستطيعونه ولا يصلون إليه. وكسبوا: عملوه مما ينفع. وذلك أي: ما دل عليه التمثيل من كفرهم وأعمالهم المتلاشية. والضلال: الهلاك والضياع. والبعيد: المبتعد عن طريق الحق فلا نهاية له. ١٨

المعنى العام: متابعة ما كان من الرسل بأن اعترفوا لأقوامهم بالبشرية، ثم ذكروا ما خُصّوا به من الصفات الكريمة، مبيّنين أنه من فضل الله، وهو وحده يعطي الأدلة والحجج حين يشاء، وإليه يجب أن يلجأ المؤمنون في جميع أمورهم، وليستمرُنّ في التوكل على الله وحده، فهددهم الكافرون بالتشريد إن لم يكفروا، وأوحى الله أنه سيهلك الكافرين، ويملّك المؤمنين البلاد، لأنهم متقون صالحون.

وعلى هذا استنصر الرسل بالله حين يئسوا من إيمان أقوامهم، وعجزوا عن دفع العدوان، فأهلك الله المتجبرين في الدنيا، وأعدّ لهم عذاب النار، يسيل منهم الصديد فيتجرّعونه من عطشهم بتقزز وغثيان، والموت محيط بهم من كل صوب، ولا يموتون بما ينالون من التعذيب. فحال كفرهم مِثلُ الريح العاصفة تشتت الرماد، يُبطل كفرُهم الأعمال النافعة ويفسدها فتتلاشى دون أثر، ولا يظفرون بشيء منها يوم القيامة، لأن ثواب الأعمال يكون مع الإيمان والتوحيد، وهم كافرون مشركون وفي ضياع لا حد له.

تفسير المفردات: ألم تر أي: ألم تنظر ـ أيها الإنسان ـ وتتدبّر وتعلم ؟ والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وخلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. وبالحق أي: بسبب الأمر المحكَم لا بد منه. ويشاء: يريد استبدالكم. ويذهبكم: يهلككم جميعًا، أيها الناس. ويأتي بخلق: يوجد مخلوقات. وجديد: آخر لم يكن من قبل. ١٩ ما ذلك أي: ليس الإهلاك والخلق. وبعزيز أي: متعذّرًا أو ممتنعًا. ٢٠ برزوا: خرج الناس بالبعث وظهروا من قبورهم يوم القيامة. ولله أي: لحساب الله وجزائه إيّاهم. وجميعًا: كلهم مجتمعين. والضعفاء: جمع ضعيف، أي: المستضعفون من الناس. واستكبروا: امتنعوا عن قبول الإيمان وحملوا غيرهم على الكفر. والتبع: المقلِّدون بطاعة عمياء. وهل أنتم مغنون: لستم دافعين مع أنكم أضللتمونا. والعذاب: التعذيب. ومن شيءٍ أي: شيئًا، ما هو موجود الآن. وقالوا أي: المتبوعون. وهدانا: أرشدنا إلى الإيمان ووفقنا. وهديناكم: أرشدناكم. وسواء أي: متساويان بقدر واحد. وأجزعنا أي: ضعفُنا عن التحمل. وصبرنا: تحمَّلنا. وما لنا: ليس لنا. ومن محيصٍ أي: مهربٌ مما نحن فيه. ٢١ قال أي: للتابعين والمتبوعين. والشيطان: من يغري بالشر من الجن. ولمّا قُضي الأمر: حين انتهى حساب كل منهم بما يستحق.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ
﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ
لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ
فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠
بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ
أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً
كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

ووعدكم: بلّغكم مبشّرًا ومهدِّدًا. والحق: الثابت الواقع لا شك فيه. ووعدتكم: منَّيتكم بعدم البعث والجزاء. وأخلفت: كنت كاذبًا. والسلطان: التسلّط والتحكّم. ودعوتكم: أغريتكم بالكفر. واستجبتم: استسلمتم. ولا تلوموني: لا توبّخوني. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وما أنا أي: لستُ. وبمصرخ أي: مغيثًا ومنقذًا. وما أنتم أي: لستم. وبمصرخيّ أي: منقذين لي. وكفرت بما أشركتمون: تبرأت مما أشركتموني، إشراكِكم إياي مع الله في التقديس والطاعة. وحذفت الياء للتخفيف. وقبلُ: قبلِ هذا الوقت. والظالمون: الكافرون. والأليم: الشديد الإيلام. ٢٢ أُدخل: قادته الملائكة برفق حتى دخل. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا الصالحات: اكتسبوا في الدنيا ما حسّنه الشرع. والجنّة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. وهو المجرى العظيم للماء واللبن والعسل والخمر. وخالدين أي: مقيمين أبدًا.. وبإذن ربهم أي: مصاحبين أمره. والتحية: ما يُدعى به حين المقابلة. والسلام: السلامة والاطمئنان الدائم. ٢٣ ألم تر أي: انظر بالقلب والبصيرة وتدبر، أيها الإنسان. وضرب: أوضح. والمَثل: الأمر العجيب يبيّن ما يشبهه. والكلمة: ما يقال. والطيبة: المباركة الدائمة الخير أي: عبارة التوحيد وما يتصل بها من توجيه. والشجرة: ما ينبت وله ساق وأغصان. والطيبة: المباركة الخيّرة في منبِت كريم ورعاية صالحة. وأصلها: أسفلها بجذوره. والثابت: المستقرّ المتمكّن. والفرع: الغصن. وفي السماء أي: متطاول في الأعالي. ٢٤

المعنى العام: لقد رأيتَ وعلمتَ بحق ـ أيها الإنسان ـ أن الله خلق الكون لغايات محكمة. فلماذا لم تعتبر؟ ولو أراد لأفناكم ـ أيها الناس ـ وخلق غيركم مطيعين. وهذا يسير على الله. وعندما يُبعث الناس للحساب، يطلب المقلِّدون من زعمائهم أن ينقذوهم من العذاب، ويردون عليهم بأن الله أضلهم فأضلوا من تبعهم، ولا نجاة من العذاب. ولما انتهى الحساب اعتذر الشيطان، بأنه دعا الكافرين فاستجابوا وليس له سلطان عليهم ـ فليلوموا أنفسهم ـ وأن الله هدّدهم بالحساب مُحِقًّا، ولن يفيد بعضهم بعضًا في إنقاذ، وأنكر إشراكهم إياه في العبادة. فأمر الله أن يكون للكافرين عذاب أليم، وللمؤمنين نعيم الخلود في الجنة، تقودهم الملائكة إليها مع التحيات الطيبات.

وعلى الإنسان أن ينظر فيما بيّن الله له. فتوحيده وما يلزمه بركة وخير للمؤمنين، كالشجرة المباركة في الأرض الصالحة، مستقرة بجذور متأصلة في باطن الأرض، وغصون شامخة في أعماق السماء...

الجزء الثالث عشر — سورة إبراهيم

تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ
﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ
ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ
ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ
تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ
فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

ربع الحزب ٢٦

تفسير المفردات: تؤتي: تعطي. والأكل: ما يؤكل من الثمار. والحين: الزمن. وبإذن ربها أي: مع إرادته. والرب: الخالق المالك المتفرد. ويضرب: يبيّن. والأمثال: جمع مَثَل، الأمر العجيب يبيّن ما يشبهه. والناس: البشر. ولعلهم: ليُترجَّى لهم. ويتذكّرون يستحضرون في أنفسهم ما تفيده الأمثال ليستدلوا على وجوب الإيمان والطاعة. ٢٥ ومثل كلمة أي: صفة العبارة وحالها. والخبيثة: الشنيعة من كلمات الكفر. والشجرة: ما ينبت. وخبيثة أي: شنيعة الثمر. واجتثت: اقتُلعت. والأرض: مكان نباتها. وما لها أي: ليس لها. ومن قرارٍ أي: استقرارٌ أو ثبات. ٢٦ يثبّت: يقوّي بالعزيمة والاستقرار. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. والقول: الكلام في النفس أو باللسان. والثابت: المتمكن في القلوب. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة قبل الموت. والآخرة: بعد الموت. ويُضلّ: يُمدّ بما يناسب الاختيار والاستعداد للباطل. والظالمون: من يجاوزون الحق فيكفرون. ويفعل: يخلق. وما يشاء: ما يريده. ٢٧ ألم تر أي: لقد نظرتَ ـ أيها المخاطَب ـ وعلمتَ بحق. وبدّلوا: جعلوا كفر النعم بدلًا من الشكر. والنعمة: الإحسان بالخير. وأحلّوا: أنزلوا. والقوم: الجماعة من الناس. ودار البوار: أمكنة الهلاك. ٢٨ جهنم: النار المهيأة للكافرين. ويصلونها: يدخلونها ويقاسون عذابها. وبئس: بلغتْ نهاية البؤس والشر والشقاء. والقرار: مكان الإقامة. ٢٩ جعلوا: صيّروا. والأنداد: جمع نِدّ، النظير المشابه. ويُضلوا: يصرفوا الناس. والسبيل: الطريق الواضح للدين. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. وتمتّعوا: تنعّموا وتلذّذوا. والمصير: المَرَدّ في النهاية. والنار: نار جهنم. ٣٠ العباد: العابدون المطيعون لله، جمع عبد. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد واليقين. ويقيموا الصلاة: ليؤدُّوها بشروطها وأركانها وآدابها. وينفقوا: ليبذلوا في وجوه الخير. ورزقناهم: خلقنا لهم من المتاع والزينة. وسرًّا: دون إطلاع أحد. وعلانية: جِهارًا بعلم الآخرين. ويأتي: يحصل. واليوم: الزمن. والبيع: المعاوضة بالشراء. والخلال: الصداقة النافعة. ٣١ خلق: أوجد من العدم. والسماوات ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وأنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما يشبهه. وأخرج به: أنبت بسببه. والثمرات: ما ينعقد من جنى النبات للطعام والدواء والزينة. والرزق: ما يُمنح من النعم. وسخّر لكم: هيّأ لمصالحكم. والفلك: السفن، مفرده بلفظه. وتجري: تسير فوق الماء. والبحر: المكان الجامع للماء الكثير. وبأمره: مصاحبةً تقديره. والأنهار: جمع نهر، المجرى الكبير للماء. ٣٢ الشمس والقمر: النجم النهاري والكوكب الليلي المعروفان. ودائبين أي: مستمرّين في النشاط. والليل: من الغروب إلى الفجر. والنهار عكسه. ٣٣

المعنى العام: متابعة وصف تلك الشجرة الطيبة بأنها تقدّم دائمًا الثمار تؤكل في كل وقت، وإن كان لجناها أجل معين. أما كلمات الكفر فكالشجرة الشنيعة الكريهة تُقتلع وتُلقى في الأرض بلا جذر أو عروق لأنها غير ثابتة أصلًا. وإنما يضرب الله الأمثال للتذكير والعظة، وليقوي عزائم المؤمنين بالبراهين القاطعة، فلا تزلزلهم الفتن ويفوزوا في الدنيا والآخرة، وليضل الظالمين، وهو يفعل ما يشاء.

وهؤلاء كفار مكة نزلت الآيات ٢٨ـ٣٠ فيهم بعدغزوة بدر، يراهم الإنسان قد أكرمهم الله بالحَرَم، ووسّع عليهم الرزق، وشرّفهم بالنبوة والإسلام، فقابلوا ذلك كله بالكفر والإنكار، وسبّبوا لقومهم الهلاكَ في الدنيا وعذابَ يوم القيامة، لأنهم أشركوا بالله ومنعوا الناس من الإيمان. فليتمتعوا بقليل اللذائذ، ونهايتهم إلى جهنم. وقل للمؤمنين ـ أيها النبيّ ـ أن يصلّوا ويزكّوا وينفقوا للخير في جميع أحوالهم قبل يوم الحساب بالحق. وقد خلق الله الكون وسخر ما فيه من المطر والنبات والسفنَ تجري في البحار والبحيرات والأنهار لمصلحة الناس، وكذلك الشمسُ والقمر يجريان مع مجرّتها بسرعة، ولكلٍّ جريان خاص أيضًا ضمن المجرّة، وتعاقبُ الليل والنهار.

تفسير المفردات: آتاكم: أعطاكم. وما سألتم أي: ما من شأنه أن تطلبوه أو تحتاجوا إليه. وتعدّوا: تُحصوا. والنعمة: التفضل بالخير. ولا تحصوها: لا تطيقوا عدّها. والإنسان: الفرد من البشر. والظلوم: المجاوز كثيرًا للحق والعدل بالمعصية. والكفّار: الكثير الجحود وعدم الشكر للمنعم. **٣٤** إذ قال إبراهيم: اذكرْ وقت قوله. وإبراهيم هو خليل الله، أُرسل بالتوحيد في السُّومريِّين الحاميِّين، ومعنى اسمه: أب رحيم. كان في العراق، وانتقل إلى فلسطين ومصر، ثم صار يزور مكة. ورب: يا ربي. حُذف حرفُ النداء لِـما فيه من معنى الأمر، وياءُ المتكلم للتخفيف. واجعل هذا البلد: صيّر مكة. والآمن: السالم من كل أذى هو ومن فيه. واجنبني: أبعدني. وبَنِيّ: أولادي. ونعبد: نقدّس ونطيع. والأصنام: جمع صنم، تمثال مصنوع يزعم المشركون أن عبادته تقربهم إلى الله. **٣٥** أضللن: سبّبْنَ اعتقادَ الشرك. والكثير: العدد الوافر. والناس: بنو آدم. وتبعني: أطاعني وتابعني. ومنّي: من أهل ديني. وعصاني: رفض دعوتي. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: الكثير العطف بالتفضل على المؤمنين. **٣٦** ربّنا: يا ربّنا. أسكنت من ذرّيّتي: أنزلت للإقامة بعض نسلي. والوادي: المنخفض بين جبلين. وغير ذي زرع: لايصلح للزراعة. والبيت المحرم: المسجد الممنّع من العدوان والانتهاك. ويقيموا الصلاة: يؤدّوها كما يجب. واجعل: صيّر. والأفئدة: القلوب، جمع فؤاد. وتهوي إليهم: تميل وتحنّ لزيارة بلدهم. وارزقهم: هيّئ لهم ما ينتفعون به. والثمر: ما ينعقد عن زهر النبات من غذاء وزينة ودواء. ولعلهم: ليُرتَجّى لهم. ويشكرون: يستحضرون النعم ويُثنون عليك بالقلب واللسان والعمل. **٣٧** تعلم: تحيط العلم. ونخفي: نُسِرّ في نفوسنا. ونعلن: نظهر للآخرين. وما يخفى: ما يغيب. والشيء: ما هو حاصل. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. **٣٨** الحمد: الثناء على النعم. ووهب لي: أعطاني. وعلى الكبر: مع بلوغ سن الشيخوخة. وإسماعيل: ابنه من زوجته هاجَر العربية القِبطية. وإسحاق: ابنه أيضًا من زوجته سارة السُّومريّة الحاميّة. والسميع: المجيب. والدعاء: الطلب بتذلل. **٣٩** اجعلني مقيم الصلاة: ثبّتني على أدائها كاملة. ومن ذرّيّتي: بعض أولادي وحفدتي. وتقبل: يسّر الإجابة. ودعاء: دعائي، طلبي متضرعًا. حذفت الياء للتخفيف. **٤٠** اغفر: استر الذنوب ولا تؤاخذ عليها. والوالدان: الأب والأُمّ. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. واليوم: الوقت. ويقوم: يحصل ويتحقق. والحساب: محاسبة الناس. **٤١** لا تحسبنّ: لا تظنَنَّ ودم على يقينك القاطع، أيها النبيّ. والغافل: الساهي. ويعمل: يكتسبه بنياته أو قوله أو فعله. والظالمون: من يتجاوزون الحق. ويؤخّرهم: يؤجّل عقابهم. وليوم: إلى وقت محدّد. وتشخص: تنفرج ولا تُغمض. والأبصار: العيون، جمع بصر. **٤٢**

سورة إبراهيم — الجزء الثالث عشر

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ
أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى
عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾
رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

المعنى العام: متابعة ذكر الفضل بأن الله أعطى الناس ما طلبوا من النعم التي يعجزون عن عدّ أنواعها، فكيف بعدِّ مفرداتها الكثيرة جدًّا غير المتناهية. ومع هذا كان الناس ظالمين بالكفر والمعصية.

واذكر للناس ـ أيها النبيّ ـ قصة إبراهيم حين دعا اللهَ أن يحفظ مكة المكرمة، ويديمه مع ذريته على التوحيد، لأن الأصنام أفسدت عقائد أكثر الناس ـ فالمطيعون لإبراهيم مؤمنون والعاصون يحاسبهم الله برحمته وغفرانه ـ وحين ذكرَ أيضًا أنه أنزل بعض أسرته: إسماعيل وإخوته المستعربين إذ نقل زوجته هاجرَ وابنَه إسماعيلَ من الشام، للإقامة قرب ما سيُبنى فيه البيت الحرام، فتعرّبت الذرّيّته، ثم تزوج أيضًا امرأة عربيّة صار له منها أولاد تعرّبوا، منهم مَدْيَنُ جد النبيّ شُعيب، وطلب أيضًا لهؤلاء الهداية وأن يحبَّ المؤمنون مكة ويرزقَ أهلها الخيرات ليشكروا، وأقرّ بعلم الله ما في الوجود، وحمده على نعمه بالولدين، وطلب أيضًا ثباته معهما ومع بعض نسله على الإيمان، مع غفران الذنوب لوالديه وللمؤمنين.

فلا تظننَّ ـ أيها النبيّ ـ أن الله غافل عن الظالمين، وإنما يؤجل حسابهم ليوم رهيب تشخص فيه الأبصار…

تفسير المفردات: مهطعين أي: مسرعين من الفزع. ومقنعين أي: رافعين إلى الأعلى. والرؤوس: جمع رأس. ولا يرتد إليهم طرفهم: لايملكون التصرف في أبصارهم. والأفئدة: جمع فؤاد. وهو القلب. والهواء: الخالية من العقل. ٤٣ أنذر: هدّد وخوّف، أيها النبيّ. والناس: الكافرون. واليوم: الوقت وما يكون فيه من الأهوال. يأتيهم: ينزل بهم. والعذاب: تعذيب جهنم. وظلموا: تجاوزوا الحق فكفروا. وربنا: يا ربنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى الأمر. وأخِّرنا: أجّل عذابنا. والأجل: المُدّة المحدودة. والقريب: اليسير. ونجب دعوتك: نؤمنْ كما أمرتَ. ونتبع الرسل: نعمل بما بلّغوا. والرسل: جمع رسول، من كلّف بالدعوة مع العمل. وألم تكونوا أي: يقال لهم: لقد كنتم، أيها الكافرون. وأقسمتم: حلفتم. وقبلُ أي: قبلِ هذا الوقت في الدنيا. وما لكم: ليس لكم. والزوال: الانتقال إلى الآخرة. ٤٤ سكنتم: أقمتم في الدنيا. والمساكن: جمع مسكن، مكان الإقامة والاستقرار. وظلموا أنفسهم: جاروا عليها بالكفر وسبّبوا لها الاستئصال وعذاب الآخرة. وتبيّن: اتّضح يقينًا. وكيف فعلنا بهم: كيفيةُ عقابنا لهم بالعذاب الماحق. وضربنا: بيّنّا. والأمثال: جمع مَثَل، قصة قوم مضوا تشبه حال المخاطَبين. ٤٥ مكروا: دبّر كفار مكة المكايد لإيذاء النبي ﷺ. وعند الله أي: ثابت ومسجل في علمه. وإن كان: ما استطاع. ولتزول: أن تنقلع وتتصدع. والجبال: جمع جبل، ما ارتفع وغلظ من الأرض. ٤٦ لا تحسبنّ: لا تظنّنَّ، أيها النبي. والمخلف للوعد: من لا يفي بما تعهّد. والعزيز: الغالب للمخلوقات. وذو انتقام: مالك العقاب الشديد لمن أصرّ على العصيان. ٤٧ تبدَّلُ: تزول ليكون غيرُها. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والسماوات أي: تبدل سماواتٍ أُخرى أيضًا. وبرزوا: خرج الناس من قبورهم بالبعث. ولله: للقاء حكمه ومجازاته. والواحد: المتفرّد بالألوهية. والقهار: الغلّاب لكل ما عداه. ٤٨ ترى: تبصر عِيانًا، أيها النبيّ. والمجرمون: من يقترفون الشر والكفر. ويومئذ: يومَ تُبدَّل الأرض والسماوات. ومقرّنين: مشدودين مع الشياطين. والأصفاد: جمع صَفَد، القيد تُشد به اليدان. ٤٩ السرابيل: الثياب، جمع سِربال. والقطران: ما تُطلَى بها الإبل الجربى. وتغشى: تعلو. والوجوه: جمع وجه. والنار: نار جهنم. ٥٠ يجزي: يكافئ. والنفس: المخلوق المكلّف. وكسبت: عملته اختيارًا وقصدًا. والسريع: العظيم السرعة. والحساب: محاسبته. ٥١ هذا أي: القرآن الكريم. والبلاغ: التبليغ والإعلام. ويندَروا: يخوّف الكافرون. ويعلموا: يعرفوا ويفهموا بتيقّن. وهو أي: الله. والإلّه: المعبود بحق. ويتذكر: يستحضر ما يوجبه ذلك التبليغ من الرشاد. وأولو: أصحاب، واحده ذو. والألباب: جمع لب. وهو العقل الراسخ بالإيمان لا يتزعزع. ٥٢

الجزء الثالث عشر — سورة إبراهيم

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ
الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا
بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

المعنى العام: متابعة ما يكون يوم القيامة بأن الناس يذهلهم الفزع، فيسرعون ورؤوسهم موجّهة إلى أعلى لا تتحرك، وعيونهم شاخصة لا تطرف، وقلوبهم خالية من الوعي والتفكير.

فخوّفْهم ـ أيها النبيّ ـ وهددهم بما يكون من العذاب، حيث يتمنّون أن يعودوا إلى الدنيا ليؤمنوا، ويجابون بأنهم قد أقسموا لن يُبعثوا، وأقاموا في ديار الظالمين قبلهم، ورأوا ما جرى عليهم من العذاب، ثم تمادَوا في الكيد للإسلام والمسلمين فكان كيدهم ضعيفًا متهافتًا، مُحالًا أن تنهد به الجبال. فكيف بأصول التوحيد والشرائع، وهي أشد رسوخًا بإرادة الله ؟

ولا تظنَّنَّ أن الله يخلف وعده. فلا بد أن يتحقق وعده بالنصر، وينتقم من المجرمين في الدنيا، وفي الآخرة حين تتغير معالم الكون أرضًا وسماء جديدتين ويُبعث الناس للحساب، ويكون الكافرون مشدودين بالقيود مع الشياطين، ويغطي القطران وجوههم، وتحيط بهم النار من كل جانب، لينالوا جزاء جرائمهم، والله سريعٌ حسابه لا يعرقل بعضه بعضًا. فلعلهم يتعظون قبل الموت ويدَعون الكفر ويهتدون إلى التوحيد. ولكن هذا لا يكون إلاّ لمن له قلب يتقبل الهداية ويستقر بالإيمان.

١٥ـ سورة الحِجر

الجزء الرابع عشر | سورة الحجر

سُورَةُ الحِجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟
وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا
مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ
ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟
إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى
قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ
﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

تفسير المفردات: الٓر: أحرف مقطّعة استأثر الله بعلمها وهي سره المكنون في كتابه العزيز. وتلك أي: هذه الآيات معظَّمةٌ. والآيات: نصوص الوحي. والكتاب: القرآن الكريم. والمبين: المُظهر للحق من الباطل. ١ ربَما يودّ أي: كثيرًا ما سيتمنّى. وكفروا: كذّبوا القرآن وما فيه. ولو كانوا مسلمين: أن استسلموا في الدنيا وآمنوا بالله ورسوله. ٢ ذرهم: لا تتعرض لخصامهم ودعْهم، أيها النبيّ. ويأكلوا: يتغذّوا بالطعام والشراب. ويتمتعوا: يتنعّموا ويتلذّذوا. ويلهيهم: يَشغلُهم. والأمل: التمنّي للأوهام. وسوف أي: لا بد. ويعلمون: يعرفون باليقين عِيانًا صدق دعوتك. ٣ ما أهلكنا: ما أفنينا بالعذاب. والقرية: البلدة العامرة. والكتاب: المكتوب المسجل، أي: وقت مدوّن. ومعلوم: محدود في علم الله لا يتغيّر. ٤ ما تسبق: لا تتقدم. والأُمّة: الجماعة يؤلف بينها عقيدة. وأجلها: المُدّة المعيّنة لنهاية حياتها. وما يستأخرون: لا يتأخّرون أيضًا. ٥ قالوا أي: كفار قريش. ونُزّل عليه: أُوحي إليه. والذكر: القرآن المذكّر بالحق. ومجنون أي: فاقد للتفكير السويّ. ٦ ولوما: هلّا، للتمني والتعجيز. وتأتينا: تُحضر إلينا للشهادة بصدق نبوتك. والملائكة: جمع مَلَك، مخلوقات نورانية مطهّرة. والصادقون: من يقولون الحق. ٧ ما نُنزّل: لا نُهبط بصور مرئيّة. وبالحق أي: مع العذاب الثابت بالقدْر المُحكَم. وما كانوا: ما أصبح المصرّون على الكفر. إذاً أي: حين ينزل الملائكة بالعذاب. ومنظرين أي: مؤخّرًا هلاكُهم. ٨ نحن: ضمير العظمة والتفخيم لله، سبحانه وتعالى. نزلنا: أوحينا. والحافظ: الواقي والحامي من النقص والزيادة والإخلال والتغيير. ٩ أرسلنا: بعثنا الرسل للتبليغ والعمل. والشيع: جمع شِيعة. وهي الجماعة لها توجّه في الدين. والأولون: الأقوام الماضية المستأصَلة. ١٠ ما يأتيهم: ما يجيئهم. ومن رسولٍ أي: مرسَلٌ لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ويستهزئون: يسخرون. ١١ كذلك أي: مثلَ إدخال ذلك الاستهزاء. ونسلكه: نُدخِل الاستهزاء بك والتكذيب لك. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. والمجرمون: كفار مكة وغيرها. ١٢ لا يؤمنون به: لا يصدّقون القرآن ولا يتّبعونه. وخلت: مضت نافذةً محقّقة. والسُّنّة: الطريقة المُحكَمة. ١٣ فتحنا عليهم بابًا: هيّأنا للكافرين سبيلًا ومكّناهم من الصعود فيه. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وظلوا: استمروا. وفيه يعرجون: يصعدون في ملكوت السماء تحقيقًا لصدق الرسالة. ١٤ سُكّرت: أُغلقت وسُدّت. والأبصار: العيون، جمع بصر. وبل أي: لم تُسكّر أبصارنا وإنما. ومسحورون: مخدوعون بتخييلات لا حقيقة لها.١٥

المعنى العام: أن ما يوحى من الآيات المعظّمة هو كتاب الله لإظهار الحق بأحسن لفظ وأوضح دلا لة على المراد، ولسوف يتمنى الكافرون كثيرًا يوم القيامة لو أنهم آمنوا، لينالوا النعيم وينجوا من العذاب. فلا تَشغل نفسك بهم واتركهم يتمتعوا في الدنيا باللذائذ وينقادوا للآمال الكاذبة حتى يروا العقاب في الدنيا، كما كان لغيرهم بقدر محدّد، لم يكن لهم تقدم عليه ولا تأخر عنه.

وهؤلاء الكافرون يتهمونك بالجنون، ويطلبون معاجزين ساخرين مجيء الملائكة لتشهد بصدقك، ولكن نزول الملائكة يكون لهلاك الكافرين، فخير لهم ألّا يطلبوا ذلك.

ونحن إنما أنزلنا القرآن، وتكفلنا بحفظه مع حفظ العرب والعربية والإسلام والمسلمين، لتستمر دعوة الإيمان إلى الأبد. فلن ننهي حياة هؤلاء المكذبين، وسيؤمن بعضهم لتحقيق ذلك الحفظ المؤكد. فلا تحزن بما تسمع وترى من الكافرين، أيها النبيّ. فقد كانت الأمم المتقدمة تكذب رسلها وتسخر منها، وكذلك ما يظهر من قلوب جبابرة مشركي مكة. فهم لن يؤمنوا ولا بد أن تتحقق سُنة الله فيهم، ولو صعدنا بهم في السماء كما طلبوا لتصديق رسالتك لزعموا أنهم عميان، بل وإنما يتخيلون الأباطيل بالسحر والتمويه. هذا إن لم تحرقهم الشهب المعدّة لكل شيطان يتصعد في السماء، كما يلي بعدُ.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا
خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ
لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ
بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن
صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

تفسير المفردات: جعلنا: خلقنا. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والبروج: جمع برج، محل نزولِ أحد الكواكب الأحد عشر وسيرِه المُحكم. وزيّنّاها: خلقنا في السماء ما يجمّلها. والناظرون: المتأمّلون للاستدلال والإيمان. ١٦ حفظناها: حميناها لمنع الدخول. والشيطان: مخلوق من النار. والرجيم: المطرود من الرحمة. ١٧ استرق: حاول السرقة اختلاسًا. والسمع: ما يُسمع من الكلام. وأتبعه: طارده. والشهاب: الكوكب المضيء. والمبين: الظاهر للعِيان. ١٨ الأرض: موطن الحياة الدنيا. ومددناها: جعلناها مبسوطة ممهّدة لتيسير حياة المخلوقات. وألقينا: جعلنا وثبّتنا. والرواسي: جمع الراسي، الجبل الثابت المثبّت لما حوله. وأنبتنا: أوجدنا وأظهرنا أنواع المعادن والنبات والحيوان. والشيء: ما هو موجود. والموزون: الذي له قدْر مُحكَم بما يكون لمصلحة الخلق. ١٩ لكم أي: لأجل مصالحكم. والمعايش: جمع مَعيشة، ما يعيش به الأحياء من الحاجات. وبرازقين أي: مهيّئين ما يُنتفع به. ٢٠ إن من شيءٍ: ليس شيءٌ. وعندنا: في علمنا وتصرّفنا. والخزائن: جمع خزانة. وهي ما تخزن فيه الأشياء. وما ننزّله: لا نوجده في الدنيا. وبقدر أي: مصاحبًا المقدار المعيَّن. والمعلوم: المحسوب بما تقتضيه مصالح الخلق. ٢١ أرسلنا: بعثنا. والرياح: جمع ريح، الهواء المتحرك. واللواقح: جمع لاقِح، الحاملة للماء تزوِّد به السحب. وأنزلنا: أسقطنا. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما أشبهه. وأسقيناكموه: جعلناه لكم مُعَدًّا لسقي أنفسكم والأرض والمواشي. وما أنتم أي: لستم. وبخازنين أي: جامعين ليخرج في الوقت المناسب. ٢٢ نحن: ضمير العظمة والتفخيم لله، تعالى. ونحيي: نخلق الحياة في فاقدها. ونميت: نزيل الحياة ممن هي فيه. والوارثون: الباقون بعد فناء الخلق، فيزول ملكهم المجازيّ لِما كان، ويعود إلينا كما هو حقيقة. ٢٣ علمنا: أحطنا بالأحوال علمًا. والمستقدمون: الأمم الماضية. والمستأخرون: الأمم الآتية. ٢٤ الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويحشرهم: يجمعهم بالقهر للحساب. والحكيم: من يتقن كل ما يصدر عنه بما فيه الحق ومصلحة الوجود. والعليم: المحيط بدقائق الأمور وخفاياها. ٢٥ خلقنا: أوجدنا من العدم. والإنسان: آدم. والصلصال: الطين اليابس إذا نُقر كان له صلصلة. والحمأ: المُسْوَدّ. والمسنون: الذي تغيرت رائحته بعد زمن. ٢٦ الجانّ: خلق مستورون عن أعين البشر، منهم المؤمنون ومنهم الشياطين يغرون بالشر. وقبلُ: قبلِ آدم. والنار: اللهيب يبدو من الاشتعال. والسموم: السريعة الاختراق. ٢٧إذ قال ربك: اذكرْ وقت قوله. والملائكة: جمع مَلَك، مخلوقات من النور. والخالق: الموجد للشيء من العدم. والبشر: آدم. ٢٨ سوّيته: أتممته وجعلته مستويًا. ونفخت فيه من روحي: خلقت فيه الحياة. وقعوا: انحنوا مسرعين. وساجدين: حانين الظهور مطأطئين الرؤوس احترامًا. ٢٩ أجمعون: مجتمعون في وقت واحد. ٣٠ إبليس: أبو الشياطين. وأبى: امتنع. ويكون: يصير. ومع الساجدين: مع الملائكة في استجابتهم لأمر الله. ٣١

المعنى العام: أن الله خلق في السماء بروجًا لتنظيم حركة الكواكب، وجمّل مناظر السماء وحفظها من تسمع شياطين الجنّ، بشهب تطاردهم وتحرق من يحاول ذلك بتصعده بين الأجرام العليا، وبسطَ سطح الأرض وسهّله للعيش وثبّته بالجبال الراسخة، وأخرج منه ما ييسر حياة المخلوقات وأرزاقها، وجعل لكل ذلك نظامًا مُحكمًا، وأرسل المياه في الرياح لتغذي السحب، وأسقط منها الأمطار للسقي، وهو يحيي ويميت ويرث ما كان للناس من ملك بعد فنائهم، ويعلم من جاء منهم ومن سيأتي، وسيحشرهم للحساب يوم القيامة، وقد خلق آدم من الطين، والجن من لهيب النار.

فاذكر للناس ـ أيها النبيّ ـ ما كان لآدم، حين خبّرَ الله الملائكة بخلقه من الطين اليابس المسْوَدّ، وجعله مستعدًّا لفيضان الروح، وأمر الملائكة بالانحناء له حين تدب فيه الحياة، فاستجابوا لذلك، عدا إبليس الذي كان بينهم فعصى وتكبر عن السجود.

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ
فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَنۡ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

تفسير المفردات: قال أي: الله تعالى. وما لك: أيُّ عُذر لك؟ وألّا تكون مع الساجدين: في عدم كونك مع الملائكة في سجودهم. وتكون: تصير. ٣٢ قال أي: إبليس. ولم أكن: ما يليق بي. والبشر: الإنسان. وخلقته: أوجدته. والصلصال: الطين اليابس له صلصلة. والحمأ: المُسْوَدّ. والمسنون: الذي تغيّرت رائحته بمرور الزمن. ٣٣ قال أي: الله تعالى. واخرج منها: فارقِ الجنّة وابتعد عنها. وإنك رجيم أي: لأنك مطرود من الرحمة. ٣٤ اللعنة: التعذيب الأبدي. واليوم: الوقت. والدين: الجزاء بالحق. ٣٥ ربّ: يا ربّي. حذف حرف النداء لِما فيه من التنبيه والأمر، وحذفت الياء للتخفيف. وأنظرني: أخّر وفاتي. ويبعثون: يخرج الناس من قبورهم للحساب. قال أي: الله تعالى. والمُنظَرون: المؤخَّرة وفاتُهم. ٣٧ الوقت: الزمن. والمعلوم: في علم الله محدّد لنهاية الأحياء. ٣٨ بما أغويتني أي: أُقسِمُ بإعانتك إياي على استحسان العصيان والضلال. وأزيّننّ: أحبّبنّ. ولهم: للناس. والأرض: مكان الحياة الدنيا. وأُغوينّهم: أحملنّهم على الضلال والعصيان. وأجمعين: كلَّهم. ٣٩ العباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبّدًا. والمخلَصون: من اختارهم الله وأخلصهم للطاعة والإحسان. ٤٠ قال أي: الله تعالى. وهذا أي: عجزك عن إغواء المخلَصين. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. ٤١ السلطان: التسلط. واتّبعك: أطاعك وانقاد لك. والغاوون: الضالّون يستجيبون للكفر. ٤٢ جهنم: النار المهيّأة للكافرين. والموعد: موضع تحقّق الوعد. ٤٣ لها أي: لجهنم. والأبواب: جمع باب. وهو المدخل. ومنهم: بعض الكافرين. والجزء: النصيب. والمقسوم: المتميز. ٤٤ المتقون: الذين تجنّبوا عصيان الله ولزموا الصلاح وطلبوا الرضا. والجنة: البستان العظيم فيه القصور والنخيل والأعناب وأنهار المياه والعسل واللبن والخمر. والعيون: جمع عين، ما ينبع من الماء. ٤٥ ادخلوها: صيروا فيها وأقيموا. وبسلام أي: مع النجاة من كل سوء. وآمنين أي: مطمئنين إلى النعيم. ٤٦ نزعنا: محونا وأزلنا. والصدور: جمع صدر. وهو القلب. والغِلّ: الحقد. وإخوانًا أي: متحابّين، جمع أخ. والسرر: جمع سرير، ما ينصب للجلوس أو النوم. ومتقابلين: متساوين في التواصل والتزاور. ٤٧ لا يمسهم: لا يصيبهم. وفيها: في الجنات. والنصب: التعب. وما هم أي: ليسوا. وبمخرجين أي: مبعدين بزوال أو فناء. ٤٨ نبّئ: أخبر، أيها النبيّ. والغفور: الكثير المغفرة للتائبين بستر الذنوب وعدم المؤاخذة. والرحيم: المبالغ في العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ٤٩ العذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. ٥٠ الضيف: الضيوف، نزلوا على غيرهم لينالوا معروفه. إبراهيم هو خليل الله، أُرسل بالتوحيد في السّومريّين الحاميّين، ومعنى اسمه: أب رحيم، كان في العراق، وانتقل إلى فلسطين. ٥١

ربع الحزب ٢٧

المعنى العام: متابعة ما كان من عصيان إبليس بأن الله أنكر عليه ذلك وطلب منه بيان الداعي إليه، فاحتج بهوان أصل آدم وتكوّنه من الطين الجاف المسودّ، وطرَده الله من الجنة والرحمة حتى يوم القيامة، فطلب تأخير موته إلى وقت البعث بالنفخة الثانية لئلا يناله ذلك، وأجيب أن موته لن يؤخر إلى ذلك الوقت بل يكون حين يفنى جميع المخلوقات الحية بالنفخة الأُولى، فأقسم بإغواء الله إياه أن يزيّن الشهوات للعاصين من الناس في الأرض ويفسدهم، ولم يذكر ما في الجنة لئلّا يَحذر آدمُ فيها إغراءه، وأجابه الله بوضوح الدين لدى الصالحين المخلَصين، وما سيكون لمن تبع إبليس في جهنم بطبقاتها لأنواع من العذاب متفاوتة، وللمؤمنين في الجنات من نعيم وتحيات واطمئنان وصفاء نفوس وتزاور وراحة وخلود.

فأخبر الناس ـ أيها النبيّ ـ ما عند الله للمستحقين من المغفرة والرحمة والعذاب الأليم، وما كان من الملائكة، حين زاروا إبراهيم بصورة الغلمان الحسان، ليبشروه بالولد وإهلاك قوم لوط. وجُعلوا ضيفًا لأنهم في صورة من كان ينزل عنده كذلك.

تفسير المفردات: إذ دخلوا عليه: حين قابل الملائكة إبراهيم داخل داره. وسلامًا: نحيّي تحيّةً بالأمان والطمأنينة. وقال أي: إبراهيم لهم. ووجلون: خائفون، لأن الضيف إذا لم يأكل مما يُقدَّم إليه يكون في نيته شرّ للمضيف. ٥٢ لا توجل: لا تخف واطمئنّ. ونبشّرك: نبلّغك ما يَسرّك. والغلام: الشاب البالغ، أي: الوليد الذي يكبر ويبلغ الشباب. والعليم: صاحب العلم الكثير. ٥٣ أبشّرتموني: كيف تبشّرونني؟ وعلى أن مسّني: مع ما أصابني. والكبر: الشيخوخة. و بمَ أي: بأيِّ شيءٍ عجيب؟ ٥٤ الحق: الصدق الواقع فعلًا. ولا تكن: لا تصِرْ. والقانطون: اليائسون من رحمة الله. ٥٥ من يقنط أي: لا ييأس. والرحمة: العطف بالإحسان. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والضالون: المخطئون لسبيل الإيمان. ٥٦ الخطب: القصد العظيم. والمرسلون: الملائكة يبعثهم الله إلى الناس لأمر مهمّ. ٥٧ أُرسلنا: بُعثنا بالعذاب المستأصِل. والقوم: الجماعة. والمجرمون: الذين يقترفون الكفر والشر باختيار وقصد. ٥٨ الآل: الأهل والمؤمنون. ولوط: ابن أخي إبراهيم نبي في بلدة سَدوم وما حولها قرب مدينة حمص. ومنجّوهم أي: منقذون لهم من العذاب. وأجمعين: كلهم لا يتخلف منهم أحد. ٥٩ امرأته: زوجته الأولى الكافرة التي تحرّض القوم عليه. وقدّرنا: قضينا، أي: قضى الله لنا.والغابرون: الباقون في العذاب. ٦٠ جاء المرسلون: وصلوا. والآل: أهل البيت من زوجة وأبناء. ٦١ قال أي: لوط لهم. ومنكَرون: غرباء في زيّهم وجمالهم لا يُعرفون. ٦٢ بل أي: ليس الأمر كما تظن وإنما. وجئناك: أتينا إليك لقصد. وبما كانوا يمترون أي: مصاحبين ما كان قومك يشكّون ويجادلون. وفيه: في وقوعه بهم. ٦٣ أتيناك: حضرنا بيتك. وبالحق أي: مصاحبين الأمر المتيقَّن. وصادقون: نتكلم بما هو واقع فعلًا. ٦٤ أسرِ: سِرْ في الليل. وبأهلك أي: معهم. والقطع: الجزء الأخير. والليل: ما بين الغروب والفجر. واتّبعْ أدبارهم: سر وراءهم. والأدبار: جمع دبر. وهو الظَّهر. ولا يلتفت: لا يوجِّه نظره إلى الخلف. وامضوا: اذهبوا. وحيث تؤمرون: مكان الطلب والإلزام. ٦٥ قضينا: أوحينا على لسان جبريل. وإليه: إلى لوط. والأمر: الحكم. ودابر القوم: آخر من يبقى منهم على قيد الحياة. والمقطوع: المقضيّ عليه بالهلاك. ومصبحين: صائرين في الصباح. ٦٦ جاء أهل المدينة: أتى سكان سَدوم إلى دار لوط. ويستبشرون: يغمرهم الفرح والسرور بما سيرون.٦٧ قال أي: لوط للآتين. وهؤلاء أي: من ترونهم في داري من الغرباء. وضيفي: نازلون في ضيافتي وحمايتي. ولا تفضحونِ: لا تفضحوني أي: لا تفعلوا ما يَلزمني العار منه بإيذاء ضيفي. وحذفت الياء للتخفيف. ٦٨ اتقوا الله: تجنّبوا عصيانه والزموا طاعته. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا تخزونِ: لا تخزوني أي: لا تُذلّوني بظلم ضيوفي. ٦٩ قالوا أي: الآتون من قومه. وألم ننهك أي: لقد منعناك. والعالمون: الناس. ٧٠

الجزء الرابع عشر سورة الحجر

إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

المعنى العام: متابعة ما كان من الملائكة بأنهم زاروا إبراهيم وحيّوه بالسلام، وخافهم لأنهم لم يأكلوا ما قدّمه لهم، فطمأنوه وبشّروه بإسحاق يكون من العلماء حين يشبّ، وعجبَ أن يكون له ولد وقد جاوز المِائَةَ من العمر، ولم يكن يعلم أنهم ملائكة، فأعلموه حقيقة أمرهم وأن ما بشّروه حق ولا يجوز له أن يقنط، وأجابهم بالطمأنينة والإيمان بما بشروه وأنه لا يقنط من رحمة الله إلّا الكافرون، وسألهم أيضًا عن مقصدهم، فأبلغوه قصد إهلاك قوم لوط مع زوجته الكافرة ونجاة المؤمنين.

وعندما وصل الملائكة إلى دار لوط أنكر حضورهم خوف عدوان قومه، فبلّغوه قصدهم وأن عليه التوجه آخر الليل مع المؤمنين إلى مكان إقامة إبراهيم من فلسطين، وسوف يُقضى على الكافرين كلهم وفيهم زوجته الكافرة، ثم جاء قوم لوط إلى داره وهم منغمسون في اللِّواطة، فرجاهم عدم إيذاء الضيف، وردوا عليه أنهم كثيرًا ما أمروه بالتخلي عن حماية الناس.

تفسير المفردات: ابنتايَ أي: بناتي وبنات قومي فتزوجوهنّ ونساؤكم تكفيكم. وفاعلين أي: راغبين في النكاح الشرعي. ٧١ لعمرك: أُقسِم بحياتك، أيها النبيّ. والسكرة: شِدّة الشهوة للِّواطة. ويعمهون: يتردّدون بضياع تائهين. ٧٢ أخذتْهم: أهلكتْهم. والصيحة: صرخة الصواعق من السماء. ومشرقين أي: داخلين في وقت الشروق. ٧٣ جعلنا: صيّرنا. وعاليها: ما هو فوق أرض بلادهم. وسافلها: ما كان تحت أرضها. وأمطرنا: أسقطنا. والحجارة: جمع حجر. والسجِّيل: الطين المطبوخ بالنار. ٧٤ ذلك أي: المذكور في الآيات ٥٧ ـ ٧٤. والآيات: الدلالات على وحدانية الله. والمتوسمون: الناظرون بتأمّل للاتعاظ. ٧٥ إنها أي: قرى قوم لوط. والسبيل: الطريق السهل. والمقيم: الباقي. ٧٦ ذلك أي: ما بقي من الآثار. والآية: العظة. والمؤمنون: الذين يصدّقون الحق. ٧٧ إنْ أي: لقد. وأصحاب الأيكة: قوم النبي شُعيب، المقيمون في موضع كثير الشجر. وظالمين: متجاوزين الحق بالكفر والعصيان. ٧٨ انتقمنا منهم: عاقبناهم. وإنهما لبإمام أي: موطنَي لوط وشعيب لفي طريق معروف. والمبين: الواضح. ٧٩ كذّب: نسب إلى الكذب. وأصحاب الحِجر: قومُ صالح أهلُ وادي القُرى. والمرسلون: من أرسلهم الله بالهداية. وتكذيب صالح تكذيب لجميع الرسل. ٨٠ آتيناهم: قدّمنا لهم. والآيات: الأدلة القاطعة بصدق النبي صالح. ومعرضين أي: منصرفين استهانة. ٨١ ينحتون: يحفرون. والجبال: جمع جبل، ما ارتفع وغلظ من الأرض. والبيوت: جمع بيت، مكان الإقامة والاستقرار. وآمنين أي: محفوظين من الشدائد. ٨٢ مصبحين أي: داخلين في وقت الصباح. ٨٣ ما أغنى: ما دفع العذاب. ويكسبون: يعملونه ويجمعونه. ٨٤ ما خلقنا: ما أوجدنا من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وبالحق أي: خلقًا مصاحبًا الحكمة ومصلحة الكون. والساعة: القيامة بالبعث. وآتية: حاصلة فعلًا. واصفح: سامح قومك، أيها النبيّ. والجميل: اللطيف بدون عتاب ولا عقاب. ٨٥ الربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والخلّاق: الموجد بكثرة عجيبة لكل شيء من العدم. والعليم: المحيط بخفايا الأمور وظواهرها. ٨٦ آتيناك: أعطيناك بالوحي. والسبع: الآيات السبع في سورة الفاتحة. والمثاني: جمع مَثْناة، ما تُعاد تلاوته في الصلاة. والقرآن: الآيات القرآنية كلها. والعظيم: الفخم لا مثيل له. ٨٧ لا تمدّنَّ عينيك: لا تطمح ببصرك راغبًا. ومتّعنا: هيأنا ما يُنتفع به. والأزواج: جمع زوج، الرجل وامرأته. ومنهم: من الكافرين. ولا تحزن: لا تتألم ولا تجزع. وعليهم: بسبب كفرهم. واخفض جناحك: تواضع وسهّل جانبك في المعاملة. والمؤمنون: المسلمون حولك. ٨٨ قل أي: للكافرين، أيها النبيّ. النذير: المهدّد بالعذاب لمن كفر. والمبين: البيِّن الإنذار. ٨٩ كما أنزلنا أي: إيتاءً مثلما أوحينا. والمقتسمون: اليهود والنصارى الذين قسّموا ما أُوحي إليهم تبعًا لشهواتهم. ٩٠

الجزء الرابع عشر — سورة الحجر

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ
ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ
أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

المعنى العام: متابعة ما كان من قوم لوط أنه ذكّرهم بنسائهم والزواج ببنتَيه وبنات من حولهم، وقد أقسم الله بحياة محمد ﷺ، أنهم في ضياع بين الشهوات لا ينصرفون عن الفواحش، فنزلت عليهم الصواعق في الصباح، وقلبت بلادهم رأسًا على عقب وعقبًا على رأس وتساقطت من السماء عليها الحجارة المدمّرة، وفيها عظة للمعتبرين، وهي في الشام يمرّ بها تجار قريش. وكذلك مَدْيَنُ العامرة بالخيرات وهي ديارُ قوم شُعيب، كذّبوه فكان الانتقام منهم بالهلاك، والحِجرُ ديار قوم صالح بين مكة والشام، أنكروا الآيات والمعجزات وتجبّروا بما ينحتون من الجبال، فزلزلتهم الصواعق صباحًا، دون أن ينفعهم الجبروت والطغيان.

فلقد خلق الله الكون لحكمة عالية، ولا بد من حساب المكلّفين. فتصبّر على قومك ـ أيها النبيّ ـ والله خلق الناس ويعلم ما يكون منهم، ومعك الوحي العظيم فلا تغتر أنت والمؤمنون بما عند المشركين من النعم ولا تحزن عليهم أو تُشغَل بهم، وتابع أمور المؤمنين بالتواضع واللطف، وبلّغ الكافرين ما يتهدّدهم من العذاب. وقد أوحينا إليك ما في القرآن كما أوحينا إلى أهل الكتاب، فصار كل منهم يؤمن ببعض كتابه ويكفر ببعض...

تفسير المفردات: جعلوا: صيّروا. والقرآن: ما يُقرأ من التوراة والإنجيل. وعضين أي: أقسامًا وأجزاء متناقضة. **٩١** وَربِّك: نُقسِمُ بمن خلق وملك وتفرد ورعى مصالح خلقه. نسألنّهم: نذكّرنّهم على لسان ملائكة العذاب. وأجمعين: كلهم. **٩٢** يعملون: يكتسبونه من التفرقة في الدين والتكذيب ومنع الإيمان. **٩٣** اصدع: جاهر وتابع الدعوة. وما تؤمر: ما يُوحى إليك ويفرض عليك. وأعرض عن المشركين: لا تخاصم الذين يقدّسون بعض المخلوقات ولا تبالِ بهم. **٩٤** كفيناك: تولّينا وقايتك. والمستهزئون: الساخرون منك ومن الدعوة. **٩٥** يجعلون: يصيّرون. والإلّه: المعبود المقدّس. وآخر أي: غير الله. وسوف يعلمون: لا بد أن يدركوا في المستقبل عاقبة كفرهم. **٩٦** قد نعلم أي: لقد علِمْنا وما زلنا كذلك. ويضيق: ينقبض ويعجز عن التحمّل. والصدر: ما بين البطن والعنق. ويراد به القلب. ويقولون: يتهمونك ويكذّبون. **٩٧** سبّح: نَزِّهِ اللهَ عما يصفون. وبحمد ربك أي: مع الثناء عليه لكثرة نعمه. وكن: دُم على حالك. والساجدون: من يحنون ظهورهم ويطأطئون رؤوسهم ليضعوا جباههم على الأرض تقديسًا وخضوعًا. **٩٨** اعبد: قدّس وادع للعون. ويأتيك: ينالك. واليقين: تحقق الموت. **٩٩**

المعنى العام: متابعة ما كان من أهل الكتاب بأنهم شوّهوا ما أُنزل إليهم من العقيدة والشريعة، حين حلّلوا وحرّموا وتناقضوا بخلاف ما أمرهم الله، ولا بدّ أن يحاسبهم على ذلك. فعليك تبليغ الدعوة جهارًا - أيها النبيّ - والإعراض عن الكافرين، أي: لا تَشغل نفسك بكفرهم عن واجبك. فقد حفظناك من كيد المستهزئين المشركين، وعلمنا تألمك من أقوالهم. دم على التسبيح والحمد والصلاة لتخفيف البلاء، حتى ينالك ما تيقّن من وفاتك الكريمة.

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ السَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ — ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَـٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ
أَنْ أَنذِرُوٓا أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
الْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَـٰمَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

١٦- سورة النحل

نصف الحزب ٢٧

تفسير المفردات: أتى: قرُب حتمًا. والأمر: الحكم بيوم القيامة والحساب. ولا تستعجلوه: لا تطلبوا تعجيله. وسبحانه: تنزيهًا لله. وتعالى: ترفّع وتعظّم. ويشركون: يجعلون لله بعض مخلوقاته مشاركًا في الألوهية. **١** ينزّل: يرسل للتبليغ. والملائكة: جمع ملَك.، مخلوقات من النور. والروح: الوحي. ومن أمره: بسبب إرادته. ويشاء: يريد الله جعله رسولًا بالدعوة مع العمل. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. وأن بمعنى: أي. وأنذروا: هدّدوا بالعذاب من كفر وبلّغوا. والإلّه: المعبود بحق وحده. واتقون: اتقوني أي: خافوني وتجنبوا غضبي والزموا الطاعة.حذفت الياء للتخفيف. **٢** خلق: أوجد من العدم. والسماوات والأرض أي: وما فيهما أيضًا. وبالحق أي: محقًّا مع ما يليق بمن هو صاحب الحياة والعلم والإرادة والقدرة. **٣** خلق: أوجد وكوّن. والإنسان: البشر عدا آدم وحواء وعيسى. والنطفة: أدقّ قطرة من ماء الرجل لتكوين الجنين. وإذا هو خصيم أي: فاجأ الخلقَ له من الضعف شدةُ خصومته. والمبين: البيّن. **٤** الأنعام: جمع نَعَم، أي: وخلق الأنعام. وهي الإبل والبقر والغنم. والدفء: ما يُستدفأ به. والمنافع: جمع منفعة، ما فيه خير. وتأكلون: تتغذّون. **٥** الجَمال: الزينة. وتريحون: تردّون الأنعام إلى مكان راحتها. وتسرحون: تُخرجونها للمرعى. **٦**

المعنى العام: لقد قرُب أمر الله بقيام الساعة وحسابكم. فلا تطلبوا تعجيله تعجيزًا، أيها الكافرون. والله المنزّه عن الشريك يوحي على ألسنة الملائكة إلى الأنبياء إنذار الكافرين، وإعلامهم بالتوحيد، ليتقوا الله الذي خلق الكون بالحق، وتنزه عن كل شرك.

ولما جاء أُبيُّ بن خلف بعظم متفتّت إلى الرسول ﷺ وقال: يا محمد، أترى اللهَ يحيي هذا، بعدما قد تفتت؟ نزلت الآيات التالية والآيات ٧٧-٨٣ من سورة يس، بأن الله أنشأ الناس من قطرة المنيّ لاحس لها ولا قدرة على النمو - وخُصّت القطرة بالذّكر، دون البُيَيضة النِّسوية، لأنها هي عنصر الإخصاب وبه تصبح البييضة مُنجبة - فصار الإنسان يخاصم ويجادل بالباطل. وقد أنشأ الله الإبل والبقر والغنم بما تقدّمه لكم من الثياب والخيام والخير والغذاء، والزينة في ذهابها وعودتها من المرعى.

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم
بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ
الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

تفسير المفردات: تحمل: تنقل بعض الأنعام على ظهورها. والأثقال: جمع ثِقْل. وهو الإنسان وما يحتاج إليه. والبلد: المكان المسكون. وبالغيه أي: واصلين إليه. وبشق الأنفس أي: مع جَهدها ومشقّتها. والأنفس: جمع نفْس، الإنسان بروحه وجسده. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والرؤوف: الكثير التعطف بالفضل. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ٧ الخيل: اسم جمع واحده خائل من الخُيلاء، مثل طير وطائر. والبغال: جمع بغل. وهو ابن الفرس من الحمار. والحمير: جمع حِمار. وهو الحيوان المعروف ببلادته. وتركبوها: تمتطوا ظهورها. والزينة: الجمال والمتعة. ويخلق: ينشئ من العدم. ولا تعلمون: لا تعرفونه. ٨ وعلى الله أي: ثابت عليه بفضله. وقصد السبيل: بيان الطريق الواضح للهداية. ومنها أي: بعض السبيل. والجائر: المنحرف. وشاء: أراد الله هدايتكم. وهداكم: وجّهكم إلى الحق وأوصلكم إليه. وأجمعين: كلكم. ٩ أنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والماء أي: والثلج والبرَد والندى. ومنه أي: بعضه. والشراب: ما يُشرب. ومنه أي: بسببه. والشجر: النبات. وتسيمون: ترعَون دوابّكم. ١٠ ينبت لكم: يُخرج لأجلكم. والزرع: ما زُرع لقوت الناس والحيوان والزينة والدواء. والزيتون: ثمر شجر يعصر منه الزيت. والنخيل: جمع نخل، شجر يثمر البلح. والأعناب: جمع عنب، شجر الكرم. والثمر: ما انعقد من نتاج الشجر. وذلك: ما ذُكر من النِّعم. والآية: البرهان على الوحدانية. والقوم: الجماعة من الناس. ويتفكّرون: يستدلّون بما يرون على كمال الألوهية والقدرة على الخلق والإبداع. ١١ سخَّر: جعل وهيَّأ للفائدة. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. والشمس والقمر: كوكبا النهار والليل. والنجوم: جمع نجم، ما يظهر ليلًا ببريقه في السماء. والمسخّرات: الميسّرات للنفع. وأمره: إرادته. وذلك: ما ذُكر في الآية. والآيات: البراهين على الوحدانية. ويعقلون: يتدبّرون بعقولهم هذه الآثار الدالّة على وجود الصانع وتفرّده. ١٢ ما ذرأ أي: الشيءَ الذي خلقه. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمختلف: المتباين. والألوان: جمع لون، النوع والهيئة والمنظر والشكل. ويذّكّرون: يتذكّرون أي: يتّعظون. أُدغمت التاء في الذال. ١٣ البحر: ما اجتمع فيه ماء كثير على وجه الأرض. وتأكلوا: تتغذَّوا وتتلذّذوا. واللحم: المادة العضلية الرِّخوة بين الجلد والعظم. والطريّ: الغضّ. وتستخرجوا: تُخرجوا. والحلية: ما يُتزين به. وتلبسونها: تتزينون بها. وترى: تبصر عِيانًا، أيها المخاطَب. والفلك: السُّفن، واحده بلفظه نفسه. والمواخر: جمع ماخرة، تشق الماء بجريها. وتبلغوا: تطلبوا وتدركوا. ومن فضله: بسبب تفضله تيسير المخلوقات. ولعلكم أي: ليُرجّى لكم. وتشكرون: تُظهرون نعم الله وتستحضرونها في نفوسكم، وتثنون عليه بالقلب واللسان والعمل. ١٤

المعنى العام: متابعة ذكر ما خلق الله من الفضل بأن بعض الأنعام يحملكم مع حاجاتكم بين البلاد بيسر، وكذلك الخيل والبغال والحمير، ويخلق الله ما لا تعلمون أيضًا، وهو يوجّه إلى الإسلام طريق الخير. وفي السبل طريق الكفر من يهودية ونصرانية ومجوسية وشرك وإلحاد، ولو أراد جعلَكم جميعًا مهديين بدون حاجة إلى أدلة ورسل. يعني: بل لم يرد هداية الجميع وقضى بيان الطريق والدلالة عليه، ليحمل كل إنسان مسؤولية ما يختاره قصدًا باستعداداته وتدبره.

وهو أيضًا أنزل الماء لنفعكم بالشرب والزرع، وهيّأ بإرادته ما في الليل والنهار والنبات المختلف الأشكال والهيئات والطعم لنفعكم، آيات على وحدانيته، وكذلك ما في البحر من أسماك للغذاء وحلية. وإنما جُعلت الحلية للرجال لأن أكثر ما تتزيّن به النساء من حليّ يكون من أجلهم، فكأنها زينتهم، ثم إن بعض الرجال يتزين بذلك. وإنك لترى ـ أيها المخاطَب ـ السفن تشق مياه البحار لطلب الكسب من نعم الله، وما في ذلك من تيسير قدرة على العلم والعمل والجهاد، وسبب لشكر الله والثناء عليه.

الجزء الرابع عشر سورة النحل

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ
أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ
فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ
لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ
قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا
سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

تفسير المفردات: ألقى: وضع الله ورسّخ. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والرواسي: جمع الراسي، الجبل الثابت. وأن تميد بكم: لئلّا تضطرب أجزاء الأرض أو تُخسف أو تزلزل معكم. والأنهار: جمع نهر. المجرى الكبير من الماء غير المالح. والسبل: جمع سبيل، الطريق للسير. ولعلكم: ليتيسّر لكم. وتهتدون: تتوجّهون إلى مقاصدكم. **١٥** العلامة: الدليل الواضح من جبل أو نهر أو أثر كبير. وبالنجم أي: بوساطة الكوكب يظهر في الليل ببريقه أو في النهار بضيائه. وهم أي: الناس. ويهتدون: يسترشدون في التوجه.**١٦** وأَمَن يخلق أي: ليس الخالق الذي يبدع الأشياء من العدم. وكمن لا يخلق: مثل المعبودات المخلوقة. وألا تذكّرون: ألا تتذكّرون؟ أي: عليكم أن تستحضروا هذا وما في الشرك من الجهل، لتعرفوا الحق فتؤمنوا بالتوحيد. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. **١٧** تعدُّوا: تُحصوا. والنعمة: التفضل بالخير. ولا تحصوها: لا تطيقوا عد أجناسها. والغفور: الكثير السترِ للذنب وعدمِ المؤاخذة عليه. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. **١٨** الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويعلم: يطّلع ويحيط كامل الإحاطة. وتُسرّون: تخفونه في أنفسكم. وتعلنون: تظهرونه للناس. **١٩** يدعون: يعبدونهم من الأصنام والأوثان. دون الله: غيره. ولا يخلقون: لا يوجدون من العدم. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. ويُخلقون: هم ذواتٌ مفتقرة إلى التخليق. **٢٠** الأموات: جمع ميْت، الفاقد للحياة. والأحياء: جمع حيّ، ما فيه روح. وما يشعرون: لا يحسّون. وأيّان: متى؟ ويبعثون: يُخرج العابدون من القبور للحساب والجزاء. **٢١** إلهكم: معبودكم بحق وحده. وواحد: متفرد لا نظير له. ولا يؤمنون: يكذّبون ولا يعترفون. والآخرة: الحياة يوم القيامة. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والمنكِرة: الجاحدة للوحدانية. والمستكبرون: الذين يطلبون من الأمور ما ليس لهم تكبرًا. **٢٢** لا جرم: حقًّا. ولا يحب: لا يودّ فيكره ويمقت. **٢٣** قيل لهم: سئل الكفار. وما ذا أنزل: ما الذي أوحى وبلّغ؟ والربّ: الخالق المالك المتفرد. والأساطير: الأكاذيب، جمع أسطورة. والأولون: الأمم الماضية. **٢٤** يحملوا: يتحمّلوا للحساب والعقاب. والأوزار: جمع وِزر، الذنب. والكاملة: التامة كما هي من دون نقص أو زيادة. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم للحساب. ومن أوزار: بسبب أوزار. ويضلونهم: يسبّبون لهم الكفر. وبغير علم أي: جهلًا من الأتباع بأن الداعين ضالون. وألا أي: حقًّا. وساء: بلغ الغاية في السوء والشر والفساد. ويزرون: يحملون. **٢٥** مكر: دبَّر المكايد ليُضل الناس. وأتى: قصد. والبنيان: ما يُبنَى. والقواعد: جمع قاعدة، الأصل يعتمد عليه البناء. وخرّ: سقط سريعًا. والسقف: غِطاء البيت يُبنى على الجدران. ومن فوقهم يعني أنهم تحته. وأتاهم: نزل بهم. والعذاب: التعذيب المهلِك. وحيث لا يشعرون: جهة عدم توقعهم واطمئنانِهم لما هم عليه من الاستغراق في الضلال. **٢٦**

المعنى العام: متابعة ذكر ما خلق الله من الفضل بأنه رسّخ جبالًا في الأرض تحفظ توازن أجزائها، وأنهارًا وطرقًا للتوجّه بها وبالنجوم في السعي ـ فليس الخالق كالمخلوق. وعلى الكافرين أنْ يتفكّروا ليؤمنوا ـ وقد أعطى الناس ما طلبوا من النعم التي يعجزون عن عدّ أنواعها، لامفرداتها غير المتناهية، ويستوي في علمه ما خفي وما ظهر. والمعبودات المخلوقة لا تخلق شيئًا، أموات لا يعلمون متى يبعث عابدوهم، والله متفرد بالألوهية، والمشركون يكفرون بالبعث وقلوبهم تنكر التوحيد الثابت بما مضى من الأدلة القاطعة، ويتعالون عن الحق ويخالفونه، ولا شك أن الله يعلم ما يفعلون ويَكرهُهم وسيحاسبهم.

وكان النضر بن الحارث يستقبل زُوّار مكة ويزعم لهم أن القرآن أكاذيب الأمم الماضية، فنزلت الآيات بأنه وأمثاله يكتسبون ذنوبهم مضاعفة بسبب تضليل الآخرين. فما أشنع ما يتحملون! وقد فعل مثلهم مَن قبلهم كالنُّمروذ حين دعاه إبراهيم، فهدّم الله ما كان لهم من القصور فوق رؤوسهم، وحل بهم العذاب الدنيوي من مكان ظنِّهم الأمانَ وتجنبَ البلاء.

تفسير المفردات: اليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. ويخزيهم: يُذِلُّ اللهُ الكافرين. ويقول أي: لهم على لسان الملائكة. وأين شركائي: لماذا لم تحضر الآلهة للدفاع عنكم؟ والشركاء: جمع شريك، المشارك في الألوهية والطاعة. وتشاقّون فيهم: تخاصمون المؤمنين لأجلهم. وقال أي: في موقف الحساب. وأُوتوا: أُعطوا. والعلم: المعرفة اليقينيّة. والخزي: الهوان. واليوم: هذا الوقت. والسوء: ما يَغُمّ ويؤذي. والكافرون: من ينكرون التوحيد والبعث. **٢٧** تتوفّاهم: تقبض أرواحهم. والملائكة: ملَك الموت وأعوانه. والظالم: المتجاوز للحق يُكسِب عذاب جهنم. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وألقوا السلم: قدّموا الخضوع طوعًا يوم القيامة. ونعمل: نكسب ونجني. والسوء: الكفر والشرك. وبلى أي: تقول الملائكة لهم: كذبتم. والعليم: المحيط إحاطة تامة. **٢٨** ادخلوا: اعبروا. والأبواب: المداخل، جمع باب. وجهنم: دار العذاب. وخالدين: مقيمين أبدًا. وبئس: بلغ الغاية في السوء والبؤس والشقاء. والمثوى: المأوى. والمتكبرون: من تكلّفوا العظمة وترفّعوا أن يكونوا من المؤمنين. **٢٩** قيل للذين أي: سئلوا وقت قبض الأرواح. واتقوا: تجنبوا بالإيمان والطاعة كل شرك. وماذا أنزل: أيَّ شيء أوحى؟ والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والخير: ما فيه نفع الدنيا والآخرة. وأحسنوا: اكتسبوا الأعمال المَرْضية إيمانًا واحتسابًا. والدنيا: الحياة التي يعيش فيها الناس. والحسنة: الحياة البهيجة. والدار: مكان الإقامة في الجنة. والآخرة: الحياة يوم القيامة. وخير: أكثر نفعًا من الدنيا وما فيها. ونعم: بلغ الغاية في الخير والنعيم والسعادة. **٣٠** الجنة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. والعدن: الإقامة الدائمة. ويدخلونها: يصيرون فيها ويقيمون. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت أشجارها وقصورها. والأنهار: جمع نهر. وهو المجرى العظيم من الماء والعسل واللبن والخمر. ويشاؤون: يريدون من النعم. وكذلك: مثلَ هذا الجزاء. ويجزي: يكافئ. **٣١** طيبين أي: طاهرين من الكفر. ويقولون أي: تقول الملائكة لهم يوم القيامة. والسلام: السلامة من كل سوء. وبما كنتم تعملون: بسبب ما كنتم تكتسبونه من الصالحات. **٣٢** هل ينظرون: ما ينتظر الكفّار. وتأتيهم الملائكة: تقصدهم لقبض الأرواح. ويأتي: يحصل ويُقضى. وأمر ربك: حُكمه وقضاؤه بالعذاب. وكذلك: مثلَ فعل المشركين في مكة. وفعل: اكتسب واقترف. وما ظلمهم: لقد عاقبهم بما يستحقون. ويظلمون: يؤذون ويُكسِبون العذاب والخسارة الأبدية بالكفر. **٣٣** أصابهم: نالهم. والسيئة: ما قبح من القول والفعل. وعملوا: اكتسبوا وتحمّلوا. وحاق: نزل وأحاط من كل جانب. ويستهزئون: يسخرون. **٣٤**

ثلاثة أرباع الحزب ٢٧

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ
الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

المعنى العام: والمعنى أن الله يُذِل الكافرين يوم القيامة، وتسألهم الملائكة: لماذا لم يحضر المعبودون معكم ليدافعوا عنكم، وكنتم تخاصمون لأجلهم؟ فيذكر المؤمنون العلماء أن الذل والعذاب للذين قُبضت أرواحهم وهم كافرون، فسبّبوا لأنفسهم العذاب، ثم يدّعون أنهم ما كفروا، فتكذّبهم الملائكة بعلم الله ما فعلوا وتحشرهم في جهنم، وما أشنع نهاية المتكبّرين ومأواهم!

فللكفّار عند موتهم عذاب شديد، خلاف ما يكون للمؤمنين من طمأنينة، إذ يعترفون بما أنزل الله من الخير للمحسنين، وأن ما يكون لهم في الآخرة أفضل. فما أنعم نهايتهم ومأواهم! جنات الخلود بخيراتها الدائمة، مع ما يريدون من أنواع النعيم. كذلك هي مكافأة المتقين الذين تتوفى الملائكة أرواحهم على الإيمان، ويحيَّون يوم القيامة بالسلام لِما تجنبوا من الفسق وقبائح الأعمال، ولما تحلّوا به من العلم والإيمان والصلاح والإحسان.

أما الكافرون في الدنيا فينتظرهم عذاب الموت، أو عذاب الدنيا باستئصالهم ونصر المؤمنين. وقد سبقهم كُفّار الأمم المتقدمة بمثل فعلهم فاستحقوا أشد العذاب، وكان عقاب الله لهم بالعدل وما جنوه لأنفسهم هو الظلم الحقيقي، فنزل بهم جزاء قبائحهم والانتقامُ الذي كانوا يسخرون منه.

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ
﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ
حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ
وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ
كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ
لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ
يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

تفسير المفردات: أشركوا: جعلوا بعض المخلوقات شريكةً لله في التقديس والطاعة. وشاء: أراد مَنْعَ إشراكنا وشريعتنا. وما عبدنا: ما قدّسنا وما أطعنا. ودونه: غيره. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده أو متصوَّر. والآباء: جمع أب. وحرّم: منع. ومن دونه أي: بغير إرادته. وكذلك أي: مثل هذا العمل. وفعل: عمل من التكذيب والكفر. وهل على الرسل أي: ما عليهم. والرسل: جمع رسول، من كلّفه الله بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والبلاغ: التبليغ لا الهداية. والمبين: البيّن. **٣٥** بعثنا: أرسلنا بالوحي للتبليغ والعمل. والأُمّة: الجماعة من الناس. وأن أي: بأن. واعبدوا: وحّدوا وأطيعوا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. واجتنبوا: اتركوا وحاربوا. والطاغوت: كل ما يُعبد من المخلوقات. ومنهم أي: بعض الناس المذكورين. وهدى الله: صرف وأرشد إلى ما يناسب الاستعداد الطيب. وحقت: وجبت لِمَا في النفس من الإصرار على الكفر. والضلالة: الانصراف إلى التكذيب والشرك. وسيروا: تنقّلوا للنظر والاعتبار، أيها الكافرون. وانظروا: تبصّروا وتفكّروا. والعاقبة: النهاية. والمكذبون: المنكرون للتوحيد والبعث. **٣٦** وتحرص: ترغب وتصرّ، أيها النبيّ. وهداهم: هداية رؤساء الكفر إلى الإيمان. ولا يَهدي: لا يرشد ولا يوفق في الهداية. ويضل: يصرفه إلى ما يناسب اختياره السيئ. وما لهم أي: ليس لهم. ومن ناصرين أي: مانعون من العذاب في الدنيا والآخرة. **٣٧** أقسموا: حلف المشركون. والجهد: نهاية العزم. والأيمان: جمع يمين. وهو القَسَم. ولا يبعث: لا يحيي بعد الموت. ويموت: تفارق روحه جسده. وبلى أي: قال الله: كذبوا وهو يبعثهم. ووعدًا أي: بعثَ تعهّد. وحقًّا أي: تعهُّدَ وجوب بالحِكمة والعدل. وأكثر الناس: غالبيتهم. ولا يعلمون: يجهلون قدرة الله لعدم تفكّرهم بالأدلة القاطعة. **٣٨** يبيّن: يوضّح يوم القيامة. ولهم: للكافرين. ويختلفون فيه: يختصمون بسببه. ويعلم: يدرك يقينًا. وكفروا: أنكروا التوحيد والبعث. وكاذبين: قائلين للباطل حين أقسموا ذلك القسم. **٣٩** قولنا: حكمنا وقضاؤنا. وإذا أردناه: حين مشيئتنا لإيجاده. ونقول له أي: نقضي خلقه. وكن: احدُثْ. ويكون: يحدث. **٤٠** هاجروا: انتقلوا من مكة إلى غيرها. وفي الله: لأجل رضاه وإظهار دينه. وظُلموا: أصابهم عدوان المشركين. ولنبوئنّهم: أُقسِمُ لنُنزلنّهم ونُحِلّنّهم. والدنيا: الحياة الحاضرة. والحسنة: الدار التي فيها الخير والسعادة. والأجر: الثواب. والآخرة: الحياة يوم القيامة. وأكبر: أعظم من الأجر في الدنيا. ولو كانوا يعلمون أي: كم يُتمنّى للمشركين أن يدركوا ذلك! **٤١** صبروا: تحمّلوا البلاء والشدائد. وعلى ربهم يتوكّلون: يفوّضون أمرهم إليه وحده. **٤٢**

المعنى العام: أن المشركين ينسبون كفرهم وأباطيلهم إلى مشيئة الله، وكذلك فعل من قبلهم، والاحتجاج بالمشيئة تهرب من المسؤولية وإنكار للإصلاح، ما زال يتردّد على ألسنة كثير من المسلمين جهلًا أو مكابرة أو مغالطة. فالرسل مكلفون بالتبليغ وحده، وليس عليهم إلزام الهداية. لقد بلّغوا أممهم بالتوحيد، واهتدى بعض بطيب أنفسهم وكفر آخرون لِما في نفوسهم من الباطل. وهذه آثار هلاكهم بالعذاب في بقايا الديار، ترونها حين تنقلكم بين البلدان.

أما المكابرون من المشركين فلن تفيدهم مهما عملت ـ أيها النبيّ ـ لأن الله ثبّتهم على الكفر. فلقد أنكروا بأغلظ الأيمان حصول البعث، وهم كاذبون وسيبعث الله الناس جميعًا لتحقيق الحق فيما اختلفوا وتكذيب الكافرين، وهم أكثر الناس وفي جهل وضلال.

وعندما يريد الله شيئًا يحصل فورًا بالإرادة، وليس هناك قول ولا مقول له ولا مأمور يطلب وجوده حتى يوجّه إليه الأمر. إنما هو إرادة وحصول معًا. وهذا بيان لسرعة الخلق بمحض المشيئة والقدرة. وأما المهاجرون من الظلم لنصرة دينهم فلهم وطن كريم في الدنيا، ومكافأة أعظم في الآخرة، لصبرهم وتوكلهم على الله إطلاقًا. وما أحرى الكافرين بعلم ذلك!

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ
فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ
رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ
يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ
وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ
ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

الحزب ٢٨ سجدة

تفسير المفردات: ما أرسلنا: لم نبعث لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. وقبلك أي: قبل زمانك، أيها النبيّ. والرجال: جمع رجل. وهو الذكر من الناس. ونوحي إليهم: يبلّغهم جبريل أمرنا. واسألوا: اطلبوا معرفة الحقيقة، أيها المشركون. والأهل: العلماء. والذكر: التوراة والإنجيل. ولا تعلمون: تجهلون كون الأنبياء من البشر. **٤٣** بالبيّنات أي: مصاحبين الحجج الواضحة. والزبر: الكتب، جمع زَبور. وأنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. والذكر: القرآن الكريم. وتبين: توضّح. والناس: البشر. ونُزِّل: أوحي على دفَعات. ولعلهم: ليُترجَّى لهم. ويتفكّرون: يتدبّرون الوحي ليدركوا دلالته على التوحيد وصدق النبوّة. **٤٤** أأمن: كيف يأمن ويَسلم من العقاب؟ ومكروا: احتالوا ودبروا المكايد. والسيئة: شنيعة الأعمال. ويخسف الله بهم الأرض: يزلزلها ويطمرهم فيها. ويأتيهم: يَنزل بهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ومن حيث لا يشعرون: من جهة اطمئنانهم وعدم توقعهم الخطر. **٤٥** يأخذهم: يعاقبهم. والتقلب: التنقل في السفر. وما هم أي: ليسوا. وبمعجزين أي: هاربين متخلصين من العذاب. **٤٦** على التخوف أي: في حال الفزع من الأهوال. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والرؤوف: الكثير الرأفة بالخلق. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان على المؤمنين. **٤٧** ألم يروا أي: لقد رأى الكافرون ونظروا بأعينهم. وخلق: أوجد من العدم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والشيء: ما هو موجود. ويتفيأ: يتنقل من جانب إلى آخر. والظلال: جمع ظِلّ، ما ينعكس عن الشيء إذا تعرض للضوء. واليمين: يمين الشيء. والشمائل: جمع الشِّمال. وسجّدًا أي: خاضعة للإرادة والتسيير، جمع ساجد. وهم أي: المخلوقون. وداخرون: صاغرون ذليلون. **٤٨** السماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والدابّة: ما فيه حياة من المخلوقات فيتحرك في السماوات أو الأرض. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية. ولا يستكبرون: يتذلّلون ولا يتكبرون عن العبادة. **٤٩** يخافون: يخشون ويطلبون الرضا. ومن فوقهم أي: مستعليًا بالقهر. ويفعلون: ينفّذون. ويؤمرون: يطلب منهم. **٥٠** قال أي: أمر وفرض. ولا تتخذوا: لا تعبدوا ولا تقدّسوا. وإلـهين أي: معبودَين. وهو أي: المعبود بحق. وواحد أي: متفرد لا مثيل له. وإيّاي يعني: خافوني وحدي. وارهبون: ارهبوني أي: خافوني. حذفت الياء للتخفيف ولموافقة فواصل الآيات. **٥١** والدين: الخضوع بالطاعة. والواصب: الدائم. وأغير الله تتقون أي: لا يجوز أن تخافوا غيره. **٥٢** النعمة: الحال الحسنة. ومن الله: من عنده وبتفضله. ومسكم: أصابكم. والضر: ما يؤذي كالفقر والمرض. وإليه أي: إلى الله. وتجأرون: ترفعون أصواتكم بالدعاء. **٥٣** كشف: رفع وأزال. وإذا فريق يشركون أي: يفاجئ كشفَ الضر إشراكُهم. والفريق: الجماعة. و بربهم يشركون: يعبدون معه بعض مخلوقاته تقديسًا وطاعة. **٥٤**

المعنى العام: كان المشركون في مكة يقولون: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا. فهلّا بعث إلينا ملَكًا. فنزلت الآيات ٤٣ـ٤٧ بأن جميع الرسل كانوا رجالًا. وليسأل المشركون أهلَ الكتاب، إن كانوا يجهلون ذلك، وإنما كان الوحي ليتفكروا ويهتدوا إلى الحق. فلا يأمنوا نقمة الله بزلزلة أو عذاب أو عقاب وهم مطمئنون أو فزعون من عقاب، لأنهم تحت سلطانه ولا نجاة لهم منه، وهو يلطف بهم ويمهلهم فلا يعجّل ذلك.

ولقد رأوا قدرته في حركة الظلال من جميع الجهات، وخضوع جميع المخلوقات لإرادته وتسييره. حتى إن الملائكة يخضعون له مع عظمتهم ويفعلون ما يؤمرون به. وقد أمر بالتوحيد المطلق وخشيته وحده، وهو يملك الكون وله الطاعة أيضًا. والمشركون موبَّخون لِما يقومون به من الكفر، بعد ما عرفوا من تفرد الله بالملك والطاعة، و يزداد تحقق التوبيخ عليهم بوجود الإنعام والغوث. فهم يستغيثون به وحده كلما أصابهم بلاء، ثم يعودون إلى الشرك بعد النجاة.

لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن
قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

تفسير المفردات: يكفروا: يجحدوا وينكروا ويعبدوا بعض المخلوقات للشكر. وآتيناهم: أعطيناهم إياه من النعم. وتمتعوا: انتفِعوا وتلذّذوا. وسوف تعلمون أي: لا بدّ أن تدركوا باليقين والمعاينة. **٥٥** يجعلون: يصيّر المشركون. ولا يعلمون: ليس عندهم به علم يقيني. والنصيب: القدر المعيّن. ورزقناهم: أعطيناهم من الزرع والإبل والبقر والغنم. وتالله: أُقسِم بالله مع التعجيب مما تعملون. ولتُسألُنّ: ليُطلبَنّ منكم البيان يوم القيامة. وتفترون: تختلقونه وتكذبونه من الأحكام الباطلة. **٥٦** يجعلون لله: ينسبون إليه أبوّة. والبنات أي: الملائكة، يزعمون فيهم أنهم بنات الله. وسبحانه: تنزيهًا له عما يزعمون. وما يشتهون: ما تميل إليه نفوسهم، أي: الذكور. **٥٧** بُشّر: أُخبر. والأنثى: المولودة. وظلّ: صار. والوجه: ما يقابل به الإنسان غيره من رأسه. والمسودّ: المتلوّن بالسواد للغيظ. والكظيم: الحابس للغضب. **٥٨** يتوارى: يختفي خوف التعيير. والقوم: الناس. ومن سوء: بسبب قبح وإيذاء. ويمسكه: يبقيه حيًّا. وعلى هون أي: مع الهوان والمذلّة. ويدسّه: يطمره ويدفنه وهو حي. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. وساء: بلغ الغاية في السوء والفساد والشر. وما يحكمون: اختلاقهم الأحكام والعمل بها. **٥٩** لا يؤمنون: يكفرون ويجحدون. والآخرة: الحياة يوم القيامة. والمَثَل: الصفة. والسوء: القبح والشناعة. والأعلى: الوصف الذي يفوق كل صفة كريمة. والعزيز: الغالب القهّار لما سواه. والحكيم: البالغ الإتقان بوضع الأشياء في مواضعها. **٦٠** يؤاخذ: يعاقب ويُهلِك. والناس: البشر. وبظلمهم: بسبب عصيانهم وكفرهم. وما ترك: أفنى وأهلك. وعليها: على الأرض. والدابة: ما فيه حياة من المخلوقات يتحرّك. ويؤخرهم: يرجئ عقابهم. والأجل: وقت نهاية حياة المخلوق. والمسمّى: المعيّن عند الله. وجاء: أتى وقتُ حصوله. ولا يستأخرون: لا يتأخّرون. والساعة: القليل من الزمن. ولا يستقدمون: لا يتقدّمون. **٦١** يكرهون أي: يبغضونه لأنفسهم. وتصف: تقول. والألسنة: جمع لسان أي: الفم. والكذب: ما هو مختلق. والحسنى: المنزلة الرفيعة أي: الجنّة. ولا جرم: لا بدّ. والنار: نار جهنم. ومفرَطون أي: مقدَّمون إليها ومتروكون فيها. **٦٢** أرسلنا: بعثنا على لسان جبريل والرسل. والأمم: جمع أُمّة، الجماعة من الناس على دين واحد. وقبلك: قبل زمانك، أيها النبيّ. وزيّن لهم: حسّن لأجلهم وحبّب إليهم. والشيطان: من يوسوس بالشر من الجنّ أو الإنس. والأعمال: جمع عمل، ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. والوليّ: متولي الأمور والتوجيه.واليوم: هذا الزمن في الدنيا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. **٦٣** ما أنزلنا: ما أوحينا على لسان جبريل. والكتاب: القرآن الكريم. وتبيّن لهم: توضح وتفسر للناس بالقول والعمل. واختلفوا فيه: تنازعوا بسببه وتخاصموا. والهدى: الإرشاد إلى الحق. والرحمة: العطف بالإحسان والنعم. ويؤمنون: يصدّقون ويتيقّنون أن القرآن حق من عند الله. **٦٤**

المعنى العام: أن الله يهدد الكافرين بأن يفعلوا ما يريدون من الشرك والتمتع، فلا بد من السؤال والعقاب، وهم يخصون الأصنام ببعض رزقهم، ويزعمون أن الملائكة بنات الله، مع أنهم يكرهون البنات ويئدونها، ويغضب كل منهم لولادة الأنثى، حائرًا بين قتلها وتحمل عارها. ألا ما أسوأ أحكامهم!

فهم في حالة حقيرة، ولله المثل الأعلى بعزته وحكمته، ولو عاقبهم على ظلمهم لأفنى الحياة بمن فيها، ولكن يؤجل حساب ما يزعمون ويفعلون إلى الوقت المحدد لنهاية آجالهم دون تأخير أو تقديم. إنهم ينسبون لله ما يكرهون من البنات فيزعمون أن الملائكة بنات له، ويختلقون الأباطيل ثم يدّعون أنهم سيُكرَمون يوم القيامة بالمنازل الرفيعة. والحق أنهم سيَلقون في جهنم جزاءهم بلا شك.

والله إن الله قد بعث رسلًا إلى أمم كثيرة في الماضي، وأضلها الشيطان بتزيين الأباطيل لها وتولى شؤونها في الحياة الدنيا، وسيكون لها العقاب الشديد في الآخرة، وقد أوحى الله القرآن الكريم إلى النبي ﷺ ليهدي الناس إلى الحق، ويكون رحمة لمن يؤمن ويطيع.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا
فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾
وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ
فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى
رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

تفسير المفردات: الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته. وأنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما أشبهه. وأحيا به الأرض: خلق بسببه فيها الحياة. وموتها: يبسها. وذلك: ما ذُكر. والآية: البرهان على القدرة والبعث. والقوم: الجماعة من الناس. ويسمعون: يدركون ما يقال. ٦٥ الأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. والعبرة: العظة. ونُسقيكم: نهيّئ لشربكم. والبطون: جمع بطن، ما بين الصدر والفخذين. ومن بين فرث ودم أي: من بين أجزاء ما بقي في المعدة والدم. واللبن: ما يُحلب من الضرع. والخالص: الصافي المعقَّم. والسائغ: السهل التقبل. والشاربون: من يريدون الشرب. ٦٦ الثمرات: جمع ثمرة، ما ينعقد عن زهر النبات. والنخيل: شجر البلح. والأعناب: جمع عنب، شجر الكرمة. وتتخذون: تحصّلون. والسَّكَر: الخمر. والرزق: ما يخلقه الله غذاء ومتاعًا. والحسن: ما يَسُرّ وينفع. وذلك أي: المذكور في الآيتين ٦٦ و ٦٧. ويعقلون: يستعملون عقولهم لإدراك البراهين. ٦٧ أوحى: ألهم وقدّر في النفس والفطرة ما سُخّرت له من العمل. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والنحل: واحدته نحلة، الحشرة تصنع العسل. وأن بمعنى: أي. واتخذي: اجعلي. والجبال: جمع جبل، ما غلظ وارتفع من الأرض. والبيوت: جمع بيت للعيش فيه. والشجر: واحدته شجرة، النبتة لها ساق وأغصان. وما يعرشون: ما يبني النحل لنفسه أو الناس للنحل من خلايا. ٦٨ كلي: تغذّي. واسلكي: ادخلي. والسبل: جمع سبيل، طريق الرزق والعمل. والذلل: المسخَّرة الميسّرة، جمع ذَلول. ويخرج: يظهر. والشراب: ما يُشرب ويؤكل. ومختلف أي: متفرقة متفاوتة. والألوان: جمع لون. وهو الشكل والصفات. وفيه: في تناوله. والشفاء: البُرء من المرض. وذلك أي: ما ذُكر في الآيتين ٦٨ و ٦٩. ويتفكّرون: يتدبّرون تلك النعم ليعلموا حقيقة الألوهية. ٦٩ خلقكم: أنشأكم وأوجد فيكم الحياة. ويتوفّاكم: يستوفي أرواحكم. ومنكم أي: بعضكم. ويُردّ: يُنقل ويحوّل. وأرذل العمر: آخره الذي تفسد فيه الحواس والقُدرات. ولكيلا يعلم: لئلّا يدرك. والشيء: ما يدرَك ويُعقل. والعليم: المحيط كاملَ الإحاطة بما يدبّر. والقدير: البالغ القدرة والتمكن مما يريد. ٧٠ فضّل: ميّز بشيء من القُدرات. والبعض: الواحد أو الأكثر. والرزق: ما يهيّأ للإنسان من النعم. وما أي: ليس. وبرادّي رزقهم أي: معطين ما عندهم. وما ملكت أيمانهم أي: من تملكوا من العبيد والإماء. والأيمان: جمع يمين، اليد اليمنى. وفيه أي: في الرزق. والسواء: المتساوون. والنعمة: الإنعام بما ينفع. وأبنعمة الله يجحدون أي: كيف يجحدون نعم الله فيشركون به؟ ٧١ وجعل لكم: خلق لمصلحتكم. ومن أنفسكم: من جنسكم. والأزواج: النساء، جمع زوج. والبنون: جمع ابن. والحفدة: جمع حافد، ولد الولد. ورزقكم: هيّأ لكم. والطيب: ما يُستلذ من النعم. والباطل: ما بُني على الكذب. وأيؤمنون: كيف يعتقدون؟ ويكفرون: يجحدون. ٧٢

المعنى العام: أن نعم الله كثيرة، يحيي الأرض بالمطر، وفي لبن الأنعام السائغ للشرب عظة، وهو مستخلص من أخلاط مستقذرة في باطن الحيوان، متميز تولّد من بعض تلك الأجزاء، أي ما يتبقى من الطعام بعد امتصاص ما فيه، وكذلك في ثمر النخيل والأعناب، وما خلق في النحل من نشاط وعمل وإنتاج يَشفي بعض الأمراض، وفيما يمر به الإنسان من خلق وموت أو حياة مديدة يختل في آخرها النطق والفكر والحركة والإرادة، وليس هذا مقيّدًا بسنّ معينة، فتكون سرعة النسيان بضعف الذاكرة، أو العجز عن الإدراك والفهم، بعد ما كان من تعلُّم كثير. والمعنيان مقصودان معًا وحاصلان بكثرة في حياة الناس. وقد فضل الله بعضهم على بعض، فما المالكون ومماليكهم بالسواء، وخلق لهم نساء يسكنون إليها وبنين وحفدة، ورزقهم مستلذات الطعام والشراب والمتع. فكيف يجيزون لأنفسهم اعتقاد الأباطيل، بإشراك المخلوقات مع الله ونسبة ما يكرهون إليه وكفران النعم بنسبتها إلى الآلهة المزعومة وإنكار فضل الله؟

تفسير المفردات: يعبدون: يقدّس المشركون ويطيعون. ودون الله: غيره. ولا يملك: لا ينفرد بحيازة ولا تصرُّف. ولهم: للعابدين. والرزق: ما يهيّأ من المتاع والزينة. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. ولا يستطيعون: لا يقدرون على شيء من ذلك. **٧٣** لا تضربوا: لا تجعلوا. والأمثال: جمع مِثْل. وهو الشبيه والمثيل. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويعلم: يحيط إحاطة كاملة بدقائق الأمور وخفاياها. ولا تعلمون: تجهلون ذلك ولا تعرفونه. **٧٤** ضرب: وضّح وبيّن. والمَثَل: ما يُذكر لبيان شيء يشبهه. والعبد: المخلوق من البشر. والمملوك: من يملكه إنسان آخر فهو سيّده. ولا يقدر: لا يستطيع ولا يَحكم بدون إذن سيّده. ومن رزقناه: وإنسانًا أعطيناه. ومنّا أي: بفضلنا. والحَسَن: ما يَسرّ وينفع. وينفق: يبذل بحرّيّة. وسرًّا: دون أن يُطلع أحدًا. وجهرًا: بإطلاع الناس. وهل يستوون: لا يكون المملوكون والمالكون متساوين في القدرة والعمل والمنزلة. والحمد: الثناء على الفضل والإنعام. وأكثرهم: أكثر الناس. ولا يعلمون: يجهلون الحق وما سيصيرون إليه فيشركون. **٧٥** والأبكَم: من وُلد أعمى مع بلاهة وعجز عن الإبانة. والكَلّ: الثقيل. ومولاه: وليّ أمره وسيّده. وأينما يوجّهه: إلى أيّ مكان يرسله في حاجة. ولا يأتي بخير: يرجع بشرّ وإخفاق.

ويستوي هو ومن: يتساويان في المنزلة والقدرة والعمل. ويأمر بالعدل: يحكم بالحق ويوجّه الناس إليه. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. **٧٦** الغيب: ما غاب عن إدراك المخلوقات. وما أمر أي: ليس شأن. والساعة: وقت إماتة الأحياء أو إحياء الأموات. ولمح البصر: فتح العين للإبصار. وأو هو أي: بل مجيء الساعة. وأقرب: أسرع من لمح البصر. والقدير: البالغ القدرة بذاته دون عون أو ممانع. **٧٧** أخرجكم: قدّر إخراجكم. والبطون: جمع بطن، ما بين الصدر والفخذين. والمراد به الرَّحِم. والأُمّهات: جمع أُمّ أي: الوالدة للإنسان. ولا تعلمون شيئًا: تجهلونه كل الجهل. وجعل: خلق. والسمع: القدرة على إدراك المسموعات. والأبصار: جمع بصر، القدرة على الرؤية. والأفئدة: جمع فؤاد، القلب المتوقد بالذكاء موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. ولعلكم: ليُرجّى لكم. وتشكرون: تستحضرون النعم وتذكرونها بالثناء على منعمها. **٧٨** ألم يروا أي: لقد نظروا و رأوا بحق ويقين. والطير: مفرده طائر. وهو الحيوان ذو الجناحين. والمسخّر: المذلّل لما خلق له. والجو: الفضاء الواسع. والسماء أي: القريبة من الأرض. وما يمسكهنّ: ما يحفظهنّ في القيام بالطيران. وذلك أي: ما ذكر في الآيات ٧٣ ـ ٧٩.
والآية: البرهان القاطع. والقوم: الجماعة من الناس. ويؤمنون: يصدّقون ما يرون من الحق ويقرّون به. **٧٩**

ربع الحزب ٢٨

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا
مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ
أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن
يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ
أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ
أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ
﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾

المعنى العام: متابعة جحود المشركين وكفرانهم النعم، بأنهم يعبدون ما لا ملك له في الكون بل هو عاجز عن كل شيء أيضًا. ولهذا يخاطبهم الله بقوله: فلا تجعلوا معي إلَـهًا آخر ـ أيها المشركون ـ بجهل وتنطع، واعلموا أنه لا معبود بحق غيري، إذ ليس العبد المملوك العاجزعن كل شيء بنفسه كالغني يتصرف بإرادته ـ فالحمد كله لله وأكثر المشركين جاهلون ـ وما يستوي الأبلهُ الأعمى يفسد كل شيء يعمل فيه والحَكَمُ العادل بين الناس في وضوح واستقامة. ولله ملك الكون وما اختفى فيه عن حواس المخلوقات وإدراكها.

وأمر البعث والحساب عنده أسرع من لمح البصر عندكم، لأنه على كل شيء بالغ القدرة. ولقد أخرجكم بالولادة عاجزين عن كل شيء، وخلق لكم قدرات الإدراك والتفهم والإرادة والاختيار، لتعلموا وحدانيته وتشكروه. ثم كل عاقل منكم يرى تحليق الطير في الأجواء، بتقدير الله يتصرفن بيسر ونشاط محفوظات من الوقوع. وفي تلك الأمثال والنعم أدلة كافية لبيان التوحيد والبعث عند ذوي العقول والإيمان بما يدركونه يقينًا.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ
وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ
٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ
عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ
ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ
شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ
٨٤ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ
يُنظَرُونَ ٨٥ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ
قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ
فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٨٦ وَأَلۡقَوۡاْ
إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٨٧

تفسير المفردات: الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وجعل لكم: صيّر لأجلكم. والبيوت: جمع بيت، مكان الإقامة. وسكنًا أي: موطن سكون واستقرار. والجلود: جمع جلد. وهو غشاء الجسم. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. وتستخفّونها: تجدونها يسيرة الاستعمال والنقل. واليوم: الوقت. والظعن: السفر والرحيل. والإقامة: المبيت والاستقرار. والأصواف: جمع صوف، الشعر يغطي جلد الضأن. والأوبار: جمع وَبَر، يغطي جلد الإبل. والأشعار: جمع شَعر، يغطي جلد الماعز. والأثاث: ما كثُر من آلات البيت وحوائجه، واحدته أثاثة. والمتاع: ما يُنتفع به في الحياة. والحين: الوقت المحدّد للشيء. ٨٠ جعل لكم: يسّر لمصالحكم. وخلق: أوجده من العدم. والظلال: جمع ظِلّ، ما يرتسم عن الشيء إذا تعرّض للشمس. وجعل: خلق. والجبال: جمع جبل، ما غلظ وارتفع من الأرض. والأكنان: جمع كِنّ، كالغار والكهف. والسرابيل: جمع سِربال، القميص والثوب. وتقيكم الحر: تحفظكم من حرارة الشمس. والبأس: شدة الحرب والعدوان. وكذلك أي: كما خلق هذه الأشياء تامة الفائدة. ويتمّ نعمته: يجعل عطاياه الدنيوية وافية بالحاجات. ولعلكم: ليُترَجّى لكم. وتسلمون:تستجيبون للهدى وتوحّدون. ٨١ تولّوا: أعرضوا عن الإيمان بعد هذه الأدلة القاطعة. وعليك البلاغ أي: أنت مسؤول عن التبليغ، أيها النبيّ. والمبين: البيّن. ٨٢ يعرفون: يدرك المشركون ويعلمون. والنعمة: الفضل والتكرّم. وينكرونها: يزعمون أنها بشفاعة آلهتهم. وأكثرهم: معظمهم. وكافرون أي: مكذّبون لوحدانية الله ودعوة رسوله. ٨٣ ويوم نبعث: اذكرْ وقت البعث والحشر بالقهر. والأمة: الجماعة من الناس. والشهيد: الشاهد يؤدي ما يعلمه يقينًا. ولا يؤذن: لا يباح الاعتذار ولا يسمح به. ولا هم: ليسوا. ويستعتبون: يطلب منهم الرجوع إلى الطاعة. ٨٤ ورأى: أدرك ونال. وظلموا: كفروا. والعذاب: تعذيب جهنم. ولا يخفف: لا يقلَّل ولا يهوَّن. ولا يُنظرون: لا يُمهلون ولا يؤخَّرون. ٨٥ رأى: أبصر. وأشركوا: عبدوا مع الله بعض مخلوقاته. والشركاء: جمع شريك لله في التقديس. وربّنا: يا ربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وندعو: نعبدهم. ودونك: غيرك. وألقَوا إليهم: قدّم المعبودون إلى العابدين. وكاذبون أي: قائلون غير الواقع. ٨٦ ألقَوا السلم: قدّم الذين أشركوا الاستسلام طائعين. وإلى الله: إلى حكمه وقضائه.ويومئذ أي: يوم وقت الحساب والعقاب. وضل: غاب واختفى دون فائدة. ويفترون: يختلقونه من شفاعة المعبودات لهم. ٨٧

المعنى العام: متابعة ذكر الأدلة على فضل الله وقدرته أنه أنعم على الناس بالمساكن الثابتة بالبناء، والمتنقلة مع الأثاث والأمتعة من جلود الأنعام، وبالظلال تقي حر الشمس، وبمنافع الجبال وفوائد اللباس للحفظ من الحر والبرد ومضار السعي والأمراض وقبائح الجسم والعلل، وبالدروع وأمثالها للحماية من سلاح الحرب والخصام. وهكذا يتمّم نعمه الأُخرى ليتعظوا بفضله وعظمته ويؤمنوا. فإن أعرضوا عن الإيمان لم تكن مسؤولًا عنهم ـ أيها النبيّ ـ وحسبك التبليغ الواضح، لأنهم يعرفون أن النعم هي من عند الله وحده، ويزعمون أنها بشفاعة آلهتهم ويشركون.

فاذكر لهم ما يكون يوم القيامة، حين يبعث الله الأنبياء ليشهدوا على أُممهم بما فعلوا، أي: على بعضها بالكفر والعصيان، وعلى بعضها الآخر بالإيمان والطاعة ، فلا يُسمح للمشركين بالاعتذار عما أجرموا، بعد شهادة الأنبياء عليهم، لأن الاعتذار يكون لمن آمن وأطاع في الدنيا، وكان منه بعض الذنوب، ولا يسمح بالرجوع إلى الطاعة. وعندما يقاسون العذاب يدوم عليهم ولا يؤجل، ويطلبون زيادة التعذيب لمعبوداتهم المضلِّلة لهم من البشر، فيكذبهم هؤلاء بأنهم كانوا يعبدون شهواتهم ومصالحهم، وتسيّرهم الأهواء ومكاسب الدنيا. وبذلك يستسلم الجميع لما هم فيه، ولا يفيدهم ما زعموا من الأباطيل.

تفسير المفردات: كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وصدّوا: منعوا الناس. والسبيل: الطريق الواضح. وزدناهم: أضفنا عليهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وبما كانوا يفسدون أي: بسبب كونهم يقترفون الشر ويشيعونه. ٨٨ يوم نبعث: اذكر وقت البعث والحشر بالقهر. والأُمّة: الجماعة من الناس. والشهيد: الشاهد يؤدي ما يعلمه يقينًا. ومن أنفسهم: منهم عاش بينهم ويشهد لهم وعليهم بما يعلمه حقًّا. وجئنا بك: أحضرناك بعد البعث. وهؤلاء أي: الأُمّة الإسلامية. ونزّلنا: أوحينا على لسان جبريل في مراحل متعددة. والكتاب: القرآن الكريم. والتبيان: البيان الواضح. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده مما يحتاج إليه الناس. والهدى: الإرشاد إلى الحق. والرحمة: العطف بالفضل والصلاح. والبشرى: التبشير السارّ. والمسلمون: من انقادوا لله واستسلموا لأمره ونهيه. ٨٩ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويأمر: يفرض ويُلزم. والعدل: التوسط في كل شيء، والتوحيد أساس لذلك. والإحسان: الإخلاص في العمل مع مراقبة الله. والإيتاء: الإعطاء. وذو القربى: صاحب القرابة. وينهى عن الفحشاء: يأمر بالكفّ عما قبُح من القول والفعل. والمنكر: ما قبّحه الشرع. والبغي: الظلم والعدوان. ويعظكم: يذكّركم بفعل الخير وترك الشر وينصحكم. ولعلكم: ليُترجَّى لكم. وتذكّرون: تتذكّرون أي: تتعظون. حذفت التاء الثانية للتخفيف. ٩٠ أوفوا: أدُّوا بالوفاء والتمام، أيها الناس. وعهد الله: ما تلتزمونه مما يوافق الشريعة. وإذا عاهدتم: حين تعاهدون بالالتزام. ولاتنقضوا: لاتُخِلّوا ولا تخالفوا. والأيمان: جمع يمين، القسَم. والتوكيد: التوثيق. وجعلتم: صيّرتم. والكفيل: الشاهد. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. وتفعلون: تكتسبونه من النيات والأقوال والأعمال. ٩١ لاتكونوا: لا تصيروا. ونقضت: نفشت وخلخلت. والغزل: ما غزلت من القطن وجعلته خيوطًا. والقوة: الإحكام بالبرم والتقوية. والأنكاث: جمع نِكث، ما يُخلخَل إحكامه. وتتخذون: تجعلون. والدخل: الفساد والخديعة. وأن تكون أمة: بسبب وجود جماعة. وأربى: أكثر عددًا وعُدة ومالًا. ويبلوكم: يمتحنكم ليظهر كل إنسان على حقيقته. وليبيّننّ: أُقسِمُ ليكشفنّ. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. وفيه تختلفون: بسببه تختصمون. ٩٢ شاء: أراد إيمانَ جميع الناس أو كفرَهم. وجعلكم: صيّركم. وواحدة: متوحّدة في العقيدة والشريعة والعمل. ويضل: يصرف إلى ما يناسب الاختيار السيئ. ويهدي: يوجّه إلى ما يناسب الاستعداد لقبول الخير. ويشاء: يريد إضلاله أو هدايته، لِما في نفسه. ولتسألُنّ: أُقسِمُ لَيُطلَبنّ منكم الإجابة للإشعار بالذنب والحساب. وتعملون: تكتسبونه من الكفر والإيمان. ٩٣

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ
وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا
بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ
ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

نصف الحزب ٢٨

المعنى العام: متابعة ما يكون يوم القيامة من الحساب، بأن الكافرين يضاعف عذابهم جزاء ما منعوا الناس من الإيمان والصلاح وما أشاعوا من الشرّ والضلال. فاذكر للناس ـ أيها النبي ـ ذلك اليوم حين يبعث الله الأنبياء معك ليشهد كل نبي على ما كان من قومه. ولقد جاءك القرآن الكريم بالهداية والرحمة وبشارة الخير، وتبيانًا لكل شيء بما فيه من نص على الكثير الكثير، وإحالةً بالباقي على السُّنّة الشريفة التي هي تطبيق له وتفصيل.

والله يوجب على عباده في أحكامه وشريعته الإنصاف ومراقبته في العمل وإكرام القرباء، ويأمر بالبعد عن الشرور والمعاصي والظلم، وبوفاء العهود وهو شاهد عليها. وفي هذا وعظ وتوجيه إلى الهداية والخير. فلا تخالفوا شيئًا من العهود بالفساد والخداع، كما تفعل الغبيّة بغزلها تنقضه بعد إتقانه، لمحالفة القوي وخيانة الضعيف المعاهد.

والله يمتحنكم بالعهود، ليَظهر كل بما يُسِّرَ له وما في ضميره من الخير أو الشر، ولسوف يكشف يوم القيامة ما فعلتم من الخلاف، ولو أراد لكنتم على دين واحد، ولكنه سيّركم فيما تختارون من العمل، لتحاسَبوا على ما فعلتم بقصد واختيار.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

تفسير المفردات: لا تتخذوا: لا تجعلوا. والأيمان: جمع يمين. وهو القسَم. والدخل: الفساد والخديعة. وتزل: تنزلق وتنحرف. والقدم: ما يطأ الإنسان به الأرض. والثبوت: الاستقرار. وتذوقوا: تنالوا وتقاسوا. والسوء: عذاب الدنيا بالمحن والبلاء. وبما صددتم: بسبب امتناعكم ومنعكم غيركم. وسبيل الله: دين الإسلام بما فيه من العقيدة والشريعة. والعذاب: التعذيب في الآخرة عقوبة وإهانة. والعظيم: الضخم لا مثيل له. **٩٤** لا تشتروا: لا تستبدلوا. وعهد الله: ما التزمتم مما يوافق الشريعة. والثمن: ما يكون عِوَضًا في بيع أو مبادلة. والقليل: اليسير مهما كثر. وإنّ ما أي: إن الذي. وعند الله: في حكمه وتفضله من الثواب. وخير: أكثر نفعًا. وتعلمون: تعرفون الحق معرفة يقينية. **٩٥** ما عندكم أي: الشيء الذي بحوزتكم وتصرّفكم في الدنيا. وينفد: يفنى. والباقي: الدائم. ولنجزينّ: والله لنكافئنّ ونُثيبنّ. وصبروا: تجلدوا وتحملوا الشدائد. والأجر: الثواب. وبأحسن: بأفضل. ويعملون: يكتسبونه من نية أو قول أو فعل. **٩٦** الصالح: ما حسّنه الشرع. والذكر: الرجل المكلَّف. والأنثى: المرأة المكلَّفة. والمؤمن: الذي صدّق قلبه التوحيد وما يلزمه. ولنحيينّه: والله لنجعلنّه يعيش بروحه وجسده. والطيبة: السعيدة المطمئنة الراضية. **٩٧** قرأت: أردت أن تتلو سرًّا أو جهرًا. والقرآن أي: شيئًا من الآيات. واستعذ بالله: اسأله أن يحميك من الوساوس. ومن الشيطان: بسبب إبليس وأعوانه من الجنّ والإنس. والرجيم: المطرود من رحمة الله. **٩٨** إنه أي: الشيطان. والسلطان: التسلط والتحكّم. وآمنوا: صدّقوا الله والرسول. وعلى ربهم يتوكلون: إلى الله وحده يفوّضون أمورهم. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. **٩٩** يتولَّونه: يطيعون وساوسه. وبه مشركون أي: جاعلون لله شركاء في الألوهية والطاعة. **١٠٠** بدلنا آية مكان آية: جعلنا نصًّا قرآنيًّا بدلًا من آخر. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد والجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأعلم بما ينزّل: محيط كامل الإحاطة بما يوحيه من أحكام لمصلحة العباد. وقالوا أي: المشركون للنبي ﷺ. والمفتري: الكذّاب يخترع الآيات من تلقاء نفسه. وبل أي: ليس الأمر كما قالوا وهم كاذبون. والأكثر: الغالبية. ولا يعلمون: ولا يعرفون ما هو الحق والأفضل، فيلقون الاتهام تقليدًا لزعمائهم من المعاندين. **١٠١** قل أي: لهم، أيها النبيّ. ونزّله: نزل به وجاء وحيًا للإبلاغ وإيجاب العمل. وروح القدس: جبريل. ومن ربك: من عنده وبأمره. وبالحق: مصاحبًا ما هو واقع ثابت لاشك فيه. ويثبّت: يقوّي ويرسّخ. والهدى: الإرشاد إلى الحق. والبشرى: التبشير بما فيه الخير والسعادة. والمسلمون: من استسلموا لحكم الله. **١٠٢**

المعنى العام: متابعة توجيه الناس مرة ثانية بالنهي عن خيانة العهود ، لئلّا تضطرب أحوال الأمم بعد استقرار المواثيق، ويناهم الشرُّ في الدنيا جزاءَ الكفر والعصيان ثم أعظمُ العذاب في الآخرة، وبالنهي أيضًا عن التجارة بالمواثيق للكسب الرخيص، لأن نِعَمَ الله أعظم من المكاسب الفانية، ومكافأةَ الصابرين تكون بخير مما فعلوا. فالصالحون المؤمنون من الرجال والنساء لهم حياة كريمة في الدنيا وأفضل المكافأة في الآخرة على ما قدّموا من خير الأعمال.

وعندما تريدون تلاوة شيء من القرآن ـ أيها المسلمون ـ يجب عليكم الاستعاذة من شيطان الجن والإنس، بقول كل منكم: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »، وهو يتسلط على متابعيه ومطيعيه في الكفر والشرك لا على المؤمنين المتحصنين بالله.

وكلما نسخ الله آية بغيرها لِما يناسب الأحوال المتجدّدة في عهد النبوّة بعلمه وحِكمته، اتهم المشركون النبي ﷺ بأن ذلك من صنعه، وهم جاهلون بحقيقة الوحي، وأنه يتنزَّل به جبريل بأمر الله ـ عز وجلّ ـ لتثبيت المسلمين بما تحتاج إليه أوضاعهم ومصالحهم، ولهدايتهم إلى الصواب وتبشيرهم بالخير.

تفسير المفردات: لقد نعلم أي: لقد علمنا ونحيط إحاطة تامة. وأنهم: أن الكافرين. ويعلّمه: ينقل إلى النبي ﷺ ويلقنه. والبشر: الإنسان. واللسان: اللغة والكلام المنطوق. ويُلحدون إليه: يميلون إليه بأقوالهم فينسبون إليه ما يزعمون. وأعجمي أي: منسوب إلى غير العرب. وهذا أي: القرآن الكريم. وعربي: متميّز بلغة العرب. والمبين: ذو البيان العالي والفصاحة العليا. ١٠٣ لا يؤمنون: يكذّبون مكابرة وعنادًا. والآيات: آيات القرآن الكريم والأدلة الكونية. ولا يهديهم: لا يرشدهم إلى الحق. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. ١٠٤ يفتري: يختلق ويصطنع. والكذب: ما لا أصل له في الواقع الحق. والكاذبون: البالغون حد النهاية في الكذب. ١٠٥ كفر: أنكر التوحيد. وإيمانه: تصديقه بتوحيد الله وبالنبوة. وإلّا من أُكره أي: غيرَ الذي أُجبر بالقوّة على لفظ الكفر. والقلب: العضو بين الرئتين، وهو موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال يُمدّ الدماغ بماء الحياة صافيًا ويعينه على القيام بوظائفه. وقلبه مطمئن بالإيمان أي: لم تتغير عقيدته الراسخة بما استقر في قلبه. ولكن أي: وإنما. وشرح بالكفر صدرًا: فتح صدره وما فيه من ضمير واعتقاد للكفر والشرك. والصدر: ما بين البطن والعنق. ويراد به القلب. والغضب: السخط الشديد. ومن الله: من عنده وبتقديره. والعظيم: الضخم الذي لا مثيل له. ١٠٦ ذلك أي: الوعيد والتهديد. وبأنهم: بسبب أن المرتدّين إلى الكفر. واستحبوا: اختاروا وفضّلوا. والحياة أي: حياتهم. والدنيا: التي هم فيها. والآخرة: الحياة يوم القيامة بما فيها من النعيم. ولا يهدي: لا يرشد إلى الحق لِما يعلم من سوء الاستعداد. والقوم: الجماعة من الناس. والكافرون: الذين كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ١٠٧ أولئك أي: الموصوفون بالكفر. وطبع: ختم لئلّا ينفذ خير. والقلوب: جمع قلب. والسمع: حاسة الإدراك للمسموعات. والأبصار: جمع بصر. وهو العين. والغافلون: البالغون نهاية السهو لا يتدبّرون العواقب. ١٠٨ لا جرم: لا بدّ. والخاسرون: الذين بلغوا نهاية إضاعة كل شيء مما بذلوه وينتظرونه. ١٠٩ الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ما يملك. وهاجروا: غادروا ديارهم هربًا بدينهم من طغيان المشركين إلى المدينة أو الحبشة. وفُتنوا: عُذّبوا وأُهينوا ليكفروا. وجاهدوا: بذلوا جهدهم لنصرة دين الله. وصبروا: تجلدوا وتحملوا الشدائد والعذاب. وبعدها أي: بعد تلك الفتنة. والغفور: الكثير السترِ للذنوب وعدمِ المؤاخذة عليها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان على المؤمنين. ١١٠

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟
وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

المعنى العام: لّما زعم بعض المشركين أن القرآن تعليم من رومي يزوره النبي ﷺ نزلت الآيات بتكذيبهم، لِما بين اللغتين من فارق عظيم. فالرومي المذكور لغته أعجمية، والقرآن الكريم في أعلى مراتب البيان العربي المبين، والكافرون يضلهم الله بما يزعمون ويعملون ويهيئ لهم أشد العذاب، لِما يعلم من سوء استعدادهم، ويتركهم على ما اختاروه من الانهماك في العصيان ويُمدهم في ذلك، وهم البالغون منتهى درجات الكذب بإنكارهم لآيات الله وهدايته.

وعندما عذّب المشركون عمّار بن ياسر وبعض الصحابة ﷺ، ليرتدوا عن الإسلام، واضطرّ عمّار أن يلفظ كلمة الكفر، نزلت الآيات ١٠٦ـ ١٠٩ بأن الذي يكفر مضطرًّا لا يؤاخذ، وإنما الذي يرضى بالكفر بعد الإيمان يغضب الله عليه لتفضيله الدنيا على الآخرة، ولا يهديه إلى الحق ويسد على قلبه منافذ الخير، فيخسر ما أمّل في الدنيا والآخرة. ولّما هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة نزلت الآية ١١٠ بمديح عملهم والوعد بكل خير. فلقد صبروا وبذلوا نفوسهم وأموالهم وأوطانهم في سبيل الله، ولهم الرحمة ومغفرة ما كان من الذنوب.

تفسير المفردات: يوم تأتي: اذكرْ وقت الحضور بعد البعث. والنفس: المخلوق المكلف من البشر بروحه وكيانه. وتجادل: تخاصم بالحُجج. وعن نفسها: عن ذاتها وحقيقتها. وتُوفّى: تُعطى بالوفاء لا نقص ولا زيادة. وعملت: اكتسبته من نية أو قول أو فعل. وهم: جميع البشر. ولا يظلمون: يجزون بلا نقص أو إهمال. ١١١ ضرب: أوضح وبيّن. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والمَثَل: قول فيه ما يشبه حوادث أُخرى. والقرية: البلدة العامرة بالسكان. والآمنة: المحفوظة المَحمِيّة. والمطمئنة: الهادئة المستقرّة بأهلها. ويأتيها: يصل إليها. والرزق: ما يحصل عليه الناس من متاع وزينة. والرغد: الواسع. والمكان: الموضع والجهة. وكفرت: جحد أهلها وكذّبوا. والأنعم: جمع نعمة. وهي الإكرام بالرزق والخير. وأذاقها لباس الجوع: خصها بالقحط والحاجة إلى الغذاء. والخوف: الفزع من العدوان والمصائب. وبما كانوا يصنعون: بسبب ما كانوا يُتقنونه من الشرك والظلم. ١١٢ جاءهم: أُرسل إليهم وبلّغهم. والرسول: محمد ﷺ مرسَلًا بوحي من الله لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ومنهم: من قومهم لتيسير التبيين والإقناع. وكذّبوه: أنكروا أنه رسول من عند الله. وأخذهم: نزل بهم للعقاب فآذاهم. والعذاب: التعذيب. وظالمون: كافرون. ١١٣ كلوا: تناولوا الطعام والشراب، أيها المؤمنون والكافرون في مكة. ورزقكم: أعطاكم وهيّأ لكم من المباح. والحلال: الذي أباحه الله وعليه ثواب. والطيب: ما تستلذّه الأذواق السليمة. واشكروا: استحضروا النعم في قلوبكم وأثنوا على الله باللسان والعمل. وإياه تعبدون: تقدّسونه وحده وتطيعونه. ١١٤ حرّم: جعل ذنبًا. والميتة: أكل ما مات مما كان حلالًا أن يؤكل بعد ذبحه. والدم: ما يسيل من الحيوان حين ذبحه. واللحم: ما كان بين الجلد والعظم من عضل وشحم. والخنزير: الحيوان البري المعروف إنسيًّا كان أو وحشيًّا. وأُهلّ: صِيحَ بصوت عال. ولغير أي: لأجل غير. وبه أي: في وقت ذبحه. واضطر: ألجأته الضرورة. والباغي: الظالم. والعادي: المجاوز لحاجته. والغفور: الكثير العفو وستر القبيح. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة والتيسير للمؤمنين. ١١٥لا تقولوا أي: لا تشرّعوا قائلين. وتصف: تذكر. والألسنة: جمع لسان، والمراد به الفم. والكذب: ما لا أصل له من شرع أو حِكمة. والحرام: المنوع شرعًا. وتفتروا: تختلقوا وتصطنعوا. ولا يفلحون: لا يفوزون في الدنيا ولا الآخرة. ١١٦ المتاع: ما يتمتع به الإنسان من منافع زائلة. والقليل: اليسير بالنسبة إلى ما في الآخرة من نعيم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: الشديد الإيلام. ١١٧ هادوا: اعتنقوا اليهودية. وحرّمنا: جعلنا ممنوعًا لا يجوز أكله. وقصصنا: حكيناه بالوحي في الآية ١٤٦ من سورة الأنعام. وما ظلمناهم: لم نعاقبهم بما لا يستحقون. ولكن: وإنما. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ويظلمون: يسببون العقوبة والعذاب. ١١٨

ثلاثة أرباع الحزب
٢٨

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

المعنى العام: واذكر لقومك ولنفسك وأصحابك تهديدًا وتأنيسًا ـ أيها النبيّ ـ ما يكون في يوم القيامة، من دفاعِ الناس عن أنفسهم والعدلِ في الحكم دون نقص لحسنة ولا زيادة لسيئة. وقد جعل الله مكة مثلًا لِما فيها من عجيب فعل أهلها، كانت بأمن واطمئنان وخير ونعم تأتيها من جميع الجهات، فكذّب أهلها النبي ﷺ، فعمّها الجوع والخوف لكفر أهلها وظلمهم كالثوب اللاصق بالجسد.

فكلوا ما أحلّه الله لكم ـ أيها الناس ـ واشكروه على نعمه، إن كنتم موحّدين. فلقد حرّم عليكم ما هو فاسد وخبيث أي: أكل ما مات مما كان حلالًا أكل لحمه، وما كان من الدم السائل، ولحم الخنزير، وما ذُبح لأجل الآلهة المزعومة. وكل هذا يجوز للمضطر أن يأكل منه حاجته، إن لم يكن ظالمًا أو متجاوزًا لحاجته. فلا تغيروا ذلك بالباطل، لأن المفترين لا يفلحون، إذ يكون لهم تمتع محدود في الدنيا، وعذاب دائم في الآخرة. وعلى اليهود حرّم الله ما ذُكر قبل هذا، فظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان.

الجزء الرابع عشر سورة النحل

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

تفسير المفردات: الربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وعملوا: اقترفوا واكتسبوا باختيار وقصد. والسوء: الشرك يَشين صاحبه ويقبّحه. وبجهالة: مع عدم المعرفة للفساد والصلاح. وتابوا: تركوا ما كانوا عليه وطلبوا المغفرة. وذلك أي: عمل السوء. وأصلحوا: جعلوا عملهم موافقًا لأمر الله. وبعدها أي: بعد التوبة. والغفور: العظيم السترِ للذنوب وعدمِ المؤاخذة عليها. والرحيم: الكثير العطف بالعفو والإحسان إلى المؤمنين. **١١٩** إبراهيم: أبو الأنبياء العرب وأنبياء بني إسرائيل الحاميِّين السُّومريِّين. والأُمّة: الإمام. والقانت: الخاضع والمطيع. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والحنيف: المائل عن جميع الأديان الفاسدة متوجهًا إلى الإسلام. ويك: يكن. حذفت النون للتخفيف. والمشركون: الذين يعبدون مع الله بعض المخلوقات. **١٢٠** الشاكر للأنعم: من يستحضرها في ذهنه ويثني على صانعها بقلبه ولسانه وعمله. والأنعم: جمع نعمة. وهي الإكرام بالحال الحسنة. واجتباه: اختاره نبيًّا وخليلًا. وهداه: أرشده إلى ما يناسب استعداده الطيّب. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. **١٢١**آتيناه: أعطيناه. والدنيا: الحياة التي فيها الناس. والحسنة: الثناء الجميل. والآخرة: يوم القيامة. والصالحون: من صلَحت أعمالهم لوجه الله. **١٢٢** أوحينا إليك: أنزلنا إليك ـ أيها النبيّ ـ على لسان جبريل. وأن بمعنى: أي. واتّبع: تابع منقادًا. والملة: دين الإسلام. **١٢٣** جعل السبت: فُرض تعظيمه بترك الأعمال فيه والتفرغ للعبادة. واختلفوا فيه: خالفوا الأمر في تعيين اليوم للعبادة. ويحكم: يقضي بالحق. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث للحساب والجزاء. وفيه يختلفون: بسببه يختصمون ويقتتلون. **١٢٤** ادع: حُضّ الناس على الاستجابة والاتّباع، أيها النبيّ. والسبيل: الطريق الواضح. وبالحكمة أي: مصاحبًا القول المُحكم والدليل الموضّح. والموعظة: النصح بالطاعة مع بيان العواقب. والحسنة: اللطيفة بالترغيب والترهيب. وجادلهم: حاورهم. والتي: الطريقة والوسيلة. والأحسن: الأكثر رفقًا ولينًا بالوجه الأيسر. وأعلم أي: محيط بما خفي أو ظهر. وضل عن سبيله: انحرف عنه وخرج عليه. والمهتدون: المسترشدون الطالبون للحق والطاعة. **١٢٥** عاقبتم: أردتم المجازاة، أيها المسلمون. وعاقبوا: جازوا. وبمثل ما عوقبتم: بما يماثل ما نالكم دون زيادة. ولئن: أُقسِمُ إن. وصبرتم: تحملتم الشدائد. وهو أي: الصبر. وخير: أكثر نفعًا من الانتقام. **١٢٦** ما صبرك أي: ليس تحمُّلك. وبالله أي: حاصل بتوفيقه وعونه. ولا تحزن: لا تتألّم. وتك: تكن. حذفت النون للتخفيف. والضيق: الهمّ والحسرة. ومما يمكرون: بسبب تدبيرهم المكايد. **١٢٧** ومع الذين اتقَوا: ينصر الذين تجنّبوا الكفر والمعصية ولا زموا طاعة الله. والمحسنون: الذين يعبدون الله مستحضرين رقابته. **١٢٨**

المعنى العام: أن الله الغفور الرحيم يغفر للمسيء الجاهل التائب، ولجميع من تاب وأصلح عمله. وكان إبراهيم إمام المسلمين موحّدًا وشاكرًا لله، لا مشركًا كما يفعل العرب واليهود والنصارى، اختاره الله للنبوة وهداه وجعل له في الدنيا محبّة وفي الآخرة مقام الصالحين، وأوحى إليك وجوب اتّباع دينه.

وعندما زعم اليهود أن تعظيم يوم السبت من شرع إبراهيم، جاءت الآية ١٢٤ تبيّن أن فرض تعظيمه كان في عهد موسى على اليهود المعاندين به، بعد إبراهيم الذي كان يعظم يوم الجمعة، كما في الإسلام. فعليك ـ أيها النبي ـ دعوة الناس بأحسن ما يكون من القول المرغّب والمجادلة الكريمة، والله يعلم الكافر ومن يريد الهداية.

ولمّا نوى الأنصار ﷺ الانتقام المضاعف من المشركين، لتمثيلهم بحمزة في غزوة أُحد، نزلت الآيات ١٢٦ ـ ١٢٨ بالصبر والاعتدال، والانصراف عن مكر المشركين وكيدهم، وبالتقوى والإحسان في العمل ليدوم عون الله للمؤمنين المتقين المحسنين.

١٧ـ سورة الإسراء

تفسير المفردات: سبحان: ننزّهُ التنزيه من السوء ومما يصف المشركون والكافرون. وأسرى بعبده ليلًا: نقل محمدًا ﷺ بشخصه الكريم روحًا وجسدًا في بعض الليل. والمسجد الحرام أي: مكة المحرّم فيها كثير مما يجوز في غيرها. والمسجد الأقصى: بيت المقدس البعيد جدًّا. وباركنا حوله: أدمنا خيرات ما يحيط به. ونريه: نبصّر محمدًا ﷺ عِيانًا. والآيات: عجائب القُدرة. وإنه أي: الله تعالى. والسميع: البالغ السمع لِمَا له صوت مهما خفي. والبصير: البالغ الاطّلاع والإحاطة بالغيب والشهادة.١ آتينا: أعطينا بالوحي. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. والكتاب: التوراة كُتبت في ألواح بعد الوحي. وجعلناه: صيّرنا التوراة. والهدى: المرشد إلى الحق. وبنو إسرائيل: قوم موسى من ذرية يعقوب. وأن بمعنى: أي. ولا تتخذوا: لا تجعلوا. ودوني: غيري. والوكيل: من يفوّض بالأمر ويُتّكل عليه. ٢ ذرية أي: يا نسل وسلالة. وحملنا: يسّرنا الحمل في السفينة للنجاة من الغرق. ومع نوح أي: أهل النبي نوح والمؤمنون. والعبد: المخلوق المملوك قهرًا وتعبدًا. والشكور: الكثير استحضار النعم مع الثناء على المنعم. ٣ قضينا: حكمنا مع القسَم. والكتاب: التوراة. ولتفسدُنّ: لتُشيعُنّ الشر. والأرض: موطن الحياة الدنيا، حيثما وجد يهودي. ومرتين أي: مرارًا. ولتعلُنّ: لتبغُنّ وتظلمُنّ. والكبير: العظيم لا مثيل له. ٤ جاء: حان. والوعد: وقت الإفساد. وأولاهما: مرحلة الإفساد الأولى. وبعثنا: سلّطنا. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. وأولو بأس: أصحاب قوة وبطش. والشديد: الفظيع. وجاسوا: طافوا وتنقّلوا. وخلال الديار: وسط بلدكم. والديار: جمع دار. وكان أي: تحقق وعدُ أولاهما. ومفعولاً: مقضيًّا لا بدّ منه. ٥ رددنا لكم: أعدنا إليكم. والكرّة: الغلبة. وأمددناكم: أعنّاكم. والأموال: جمع مال، ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والبنون: جمع ابن. وجعلناكم: صيّرناكم. والنفير: جمع نَفْر، القوم المعِينون. ٦ أحسنتم: جعلتم أعمالكم مع الشرع. ولأنفسكم أي: ذلك لها. والأنفس: جمع نفس، الإنسان بروحه وجسده. وأسأتم: خالفتم الأمر والنهي. والآخرة: المرة التالية من الفساد. ويسوءُوا: يُلحقوا التقبيح. والوجوه: جمع وجه، ما يقابل به الإنسان غيره من رأسه. ويدخلوا: يقتحموا بالقوة. والمسجد: بيت المقدس. ويتبّروا: يُهلكوا. وما علوا أي: ما تغلبوا عليه. ٧

سُورَةُ الإسْرَاءِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ
وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

المعنى العام: لمّا وصل النبي ﷺ إلى المراتب الرفيعة في المعراج ليلًا أوحى الله إليه: «يامُحَمَّدُ، بِمَ أُشَرِّفُكَ»؟ قال: «يا رَبِّ، بِنِسبتِي إلَيكَ بالعُبُودِيَّةِ»، فأنزل الله هذه الآية بأن التنزيه الكامل لله الذي أسرى بعبده روحًا وجسدًا، من مكة إلى القدس الذي جعل فيه وحوله خيرًا دائمًا، ليطلع محمدًا ﷺ على عجائب خلقه، والله سميع بصير بما يكون.

وقد أوحى إلى موسى التوراة، ثم سُجّلت على ألواح لتهتدوا ـ يا بني إسرائيل ـ بالتوحيد. فيا سلالة المؤمنين الذين كانوا في سفينة نوح، إنه رسول شكور للنعم. فاقتدوا به. ولقد حكمنا عليكم وبلّغناكم في التوراة بالقسَم أنكم تفسدون في الأرض وتطغَون كثيرًا لأنكم شياطين البشر، وكأنكم من سلالة إبليس كما جاء عن عيسى ﷺ في الإصحاح ٨ من الإنجيل.

وفي المرة الأولى أرسل الله عليهم العرب الجبابرة بقيادة جالوت، فقتّلوا وشرّدوا وسلبوا التوراة، ثم انتصر اليهود بما أعطاهم الله من القوة والعدد، وقتل ملكُهم طالوتُ جالوتَ، ثم أفسدوا ثانية بقتل النبي شَعياء، فجاءهم بُختَنَصَّرُ بالعرب وقتل كثيرًا وشرّد. وإنما إحسانهم وإساءتهم لأنفسهم في الدنيا والآخرة. وسيكون منهم الإفساد الأخير، بغزوهم فلسطين ليقضي عليهم المجاهدون، إن شاء الله، كما سترى في الآية ١٠٤.

تفسير المفردات: عسى ربكم: يُترجَّى منه. والرب: الخالق المالك المتفرد. ويرحمكم: يعطف عليكم بالنجاة. وعدتم: رجعتم إلى الإفساد. وعُدنا: رجعنا نعاقبكم. وجعلنا: صيّرنا. وجهنم: دار العذاب. والكافرون: المكذّبون للوحدانية والبعث. وحصيرًا: ذات حَصر وحَبس. ٨ القرآن: الكتاب الكريم. ويهدي: يرشد من بلغهم. والتي هي أقوم: الطريقة المُثلى في الخير. ويبشّر: يخبر بما يُسعِد. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ويعملون: يكتسبون. والصالحات: الأعمال التي يرضاها الشرع. والأجر: الثواب. والكبير: العظيم. ٩ لا يؤمنون: ينكرون. والآخرة: الحياة بعد الموت. وأعتدنا لهم: هيّأنا لأجلهم. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم جدًّا. ١٠ يدع: يدعو أي: يطلب بإلحاح. حذفت الواو في الرسم لأنها تحذف في القراءة لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف بعد. والإنسان: كل إنسان في الغالب. والشرّ: ما يضرّه أو يضرّ غيره. ودعاءه أي: بسرعة واهتمام مثل دعائه. والخير: ما ينفع. وكان: خُلق. والإنسان: جنس الناس، إذ لا يخلو أكثرهم مما سيُذكر. والعجول: الذي يسارع إلى ما يخطر بباله أو يريده. ١١ جعلنا: صيّرنا. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. وآيتين: علامتين دالتين على الوحدانية والقدرة والإحكام، بما فيهما من الانتظام والاختلاف والخير. ومحونا: خلقنا على حال الظلام. والمبصِرة: المضيئة يبصر مَن فيها المرئيات. وتبتغوا: تتوصلوا إلى مصالحكم. والفضل: التفضل بالنعم. ومن ربكم: من عنده وبأمره. وتعلموا: تدركوا بالاستدلال. والعدد: ما يُعدّ. والسنون: جمع سنة. والحساب: إحصاء ما يتعلق بالوقت والعمل. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. وفصّلناه: بيّنّا حاله. ١٢ الإنسان: الآدمي المكلّف. وألزمناه: ألصقنا به. وطائره: ما صدر عنه من العمل. والعنق: الرقبة. ونخرج: نُظهِر. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث. والكتاب: ما يُكتب فيه. ويلقاه: يراه بعينيه. والمنشور: المفتوح. ١٣ اقرأ: تتبّع القراءة. وكتابك: سِجلّ أعمالك. وكفى بنفسك: أغنت نفسك عن غيرها. والحسيب: المحاسب. ١٤ اهتدى: استرشد إلى الخير. ولنفسه أي: الثواب لها. وضل: انحرف إلى الكفر. وعليها أي: العقاب. ولا تزر: لا تحمل. والوازرة: النفس الآثمة. والوزر: ثقل الذنوب. والأخرى: المغايرة. وما كنّا أي: لم نكن. ومعذبين: منتقمين بعذاب استئصال. ونبعث رسولًا: نكلفه بتبليغ الدين ولزوم الطاعة. ١٥ أردنا: شئنا. ونهلك قرية: ندمر بلدة ومن فيها. وأمرنا مترفيها: بلّغنا المنعّمين أن يطيعوا الحقّ. وفسقوا: خالفوا الأمر. وحقّ: وجب. والقول: وعيدُنا وتهديدنا. ودمّرناها: خرّبناها بإهلاك أهلها. ١٦ كم أي: كثيرًا. والقرون: الأمم، جمع قرن. ونوح: أول رسول كذّبه قومه. وكفى بربك: أغنى ربُّك عن غيره. والذنوب: جمع ذنب. والعباد: جمع عبد. والخبير: العليم ببواطن الأمور. والبصير: العليم بظواهرها. ١٧

الجزء الخامس عشر سورة الإسراء

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ
ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ
ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا
يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ
ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

المعنى العام: متابعة ما جاء في التوارة بأن الله قد يرحم اليهود بعد بُختَنصّر، كما لجؤوا إلى مخيمات حول المدينة ثم في فلسطين أخيرًا، وإن عادوا إلى البغي أعاد عليهم الانتقام. وإذا تحقق وعد آخر مخازيكم، على ما سيأتي في الآية ١٠٤، جاهدكم المسلمون في فلسطين، وأهلكوكم جميعًا، وكانت لكم جهنم يوم القيامة لا خلاص منها.

والقرآن الكريم يدعو إلى أمثل الديانات، ويبشر المؤمنين بخير الدنيا والآخرة، والكافرين بعذاب جهنم. وكثيرًا ما يدعو الإنسان بالشرّ حين الغضب كدعائه بالخير، لِما هو عليه من الطيش والنزق.

وقد خلق الله الليل والنهار دليلين على الألوهية، فكان الليل مظلمًا والنهار مضيئًا، لتيسير العمل ومعرفة حساب ما فيه، وكل إنسان يحمل عمله ويراه مسجلًا يوم القيامة، ليطلع عليه ويكون هو محاسِبًا نفسه، فالمهتدي والضال كل منهما ينال ما عمل، ولا يحمل إلّا ما اكتسب، ولا يكون تعذيب الهلاك إلّا بعد تبليغ الرسول أُمّتَه وإصرارها على الكفر. فعندما تضل الأمة يبعث الله فيها رسولًا للدعوة، ويكفر به المترفون فيكون الهلاك. وكثيرًا ما أهلك الله من الأمم بعد نوح. وحسبك بعلمه وخبرته فيما يكون وبحسابه المطلق العادل!

تفسير المفردات: يريد العاجلة: يطلب متاع الدنيا. وعجلنا له فيها: حققنا له في الدنيا. وما نشاء: ما نريد حصوله. ونريد أي: عطاءه. وجعلنا: صيّرنا. وجهنم: الدار التي أعدت للكافرين يوم القيامة. ويصلاها: يقاسي أهوالها. والمذموم: الملوم. والمدحور: المطرود من الرحمة. ١٨ أراد الآخرة: طلب ثواب الدار الآخرة. وسعى لها: عمل لأجلها. والمؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. والمشكور: المكافأ عند الله. ١٩ كلًّا أي: من الفريقين. ونمد: نعطي. والعطاء: ما قُدّر ويُسّر من الرزق. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ما يملك. والمحظور: الممنوع. ٢٠ انظر: تفكّر وتدبّر، أيها المخاطَب. وكيف فضلنا: كيفية تمييزنا في الرزق والجاه. والبعض: الواحد أو الأكثر. وأكبر: أعظم. والدرجات: التفاوت في الجزاء. ٢١ لا تجعل: لا تتخذ. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإلَه: المعبود المطاع. والآخر: الثاني مغايرًا للمولى، تعالى. وتقعد: تصير. والمخذول: المُهمَل بلا عون. ٢٢ قضى: أمر. وأن أي: بأن. ولاتعبدوا: لا تقدّسوا وتطيعوا. والوالدان: الأب والأم. وكذلك الجدّ والجدّة. والإحسان: البِرّ وحُسن المعاملة. وإمّا يبلغ: إن يصلْ ويدرك. وعندك: في حياتك. والكبر: السنّ العالية. وأحدهما: الواحد منهما. وكلاهما: الوالدان معًا. ولهما: لكليهما معًا أو لواحد منهما. وأُفّ أي: خُسرانًا وتأفُّفًا. ولا تنهرهما: لا ترفع صوتك أمامهما. والكريم: اللطيف. ٢٣ اخفض جناح الذل: تواضع وسهّل جانبك الذليل في المعاملة. ومن الرحمة: للعطف والإحسان. وربّ أي: يا ربّي. حذف حرف النداء لما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وارحمهما: اعطف عليهما بالإكرام. وكما ربّياني: بسبب عطفهما عليّ. والصغير: العاجز بجسمه وقدراته. ٢٤ أعلَم: أكثر اطّلاعًا منكم. والنفوس: جمع نفس، القلب والضمير. والصالح: من يعمل كما أمر الله. وكان أي: وما يزال دون حد من الزمان. والأوّاب: الكثير الرجوع إلى الطاعة بالتوبة والاستغفار. والغفور: الكثير الستر للذنوب والصفح عنها. ٢٥ آتِ: أعطِ. وذو القربى: صاحب قرابتك. وحقه: ما يتعيّن له شرعًا من الحقوق والبرّ. والمسكين: من لا يملك شيئًا. وابن السبيل: البعيد عن بلده وهو في حاجة إلى المساعدة. والتبذير: الإسراف و إتلاف المال في الترف والمفاخر والعبث. ٢٦ كانوا أي: وما يزالون. والإخوان: جمع أخ، المصاحب في الدنيا والآخرة. والشياطين: جمع شيطان، من يوسوس بالشر من الجنّ والناس. والكفور: الشديد الجحود وعدم الشكر. ٢٧

ربع الحزب ٢٩

الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ
سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ
رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾
۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

المعنى العام: أن من يطلب الدنيا بعمله يدرك ما ييسر له الله من متاعها ثم له يوم القيامة عذاب جهنم، ومن يفضّل الآخرة على متاع الدنيا بإيمان وعمل صالح يحصّل نعيم الجنة مع الشكر والتقدير، والله يعين كليهما بالعطاء الواسع غير الممنوع. فتأمّل وتدبّر - أيها الإنسان - كيفية التفضيل بين الناس - وما سيكون في الآخرة أعظم اختلافًا في ذلك - ولا تشرك بالله وكن موحّدًا في العبادة والطاعة لئلّا تصير ملومًا بلا نا صر ولا معين.

وقد أمر الله بواجبات أساسية هي اثنا عشر، أولها التوحيد المطلق، والثاني إكرام الأبوين - فمن عاش منهما في حياتك كان عليك الخطاب اللطيف له، والتواضع والإحسان في المعاملة، والدعاء له بالرحمة لما قدمه لك من العناية. والله يعلم ما تضمرون، ويكرم الصالحين التوّابين بمغفرته - وثالث الواجبات تأدية حقوق القرباء والمحتاجين والمنقطعين بعيدًا عن الديار، والرابع هو الاقتصاد والاعتدال في النفقة المباحة، لأن المبذرين يشجعهم الشيطان على الترف والمفاخرة واللذات المتكاثرة بالعبث والأباطيل، وهو كافر يطيعونه ويجرّهم بذلك معه إلى الكفر....

الجزء الخامس عشر | سورة الإسراء

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ
مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

تفسير المفردات: إمّا تُعرض: إن تعرضْ وتتصرفْ بوجهك. وعنهم: عن القرباء والمساكين والمنقطعين. والابتغاء: الطلب. والرحمة: العطف بالرزق تنتظره. ومن ربك: من عنده. والربّ: الخالق المالك المتصرف يرعى مصالح ملكه. وترجوها: تتأمّل حصولها. والميسور: الوعد باليسر القريب. **٢٨** لا تجعل: لا تصيّر. واليد: الكف. ومغلولة: مقيّدة مشدودة تمنعك من العطاء. والعنق: الرقبة. ولا تبسطها: لا تمدّها وتفتحها في الإنفاق. وتقعد: تصير. والملوم: الذي يذمّه الخلق والخالق. والمحسور: المنقطع. **٢٩** يبسط: يوسّع. والرزق: ما يُعطاه المخلوقُ من المتاع والمنافع والزينة. ويشاء: يريد التوسعة عليه. ويقدر: يضيّقه لمن يشاء. وكان أي: وما يزال دون قيد بالزمان. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبّدًا. والخبير: العالم ببواطن العباد. والبصير: المطّلع على ظواهرهم. **٣٠** لا تقتلوا: لا تزهقوا الروح بوأد البنات وذبح البنين. والأولاد: الأبناء والبنات، جمع ولد. والخشية: الخوف. والإملاق: الفقر. ونرزقهم: نيسّر ما يحتاجون إليه في حياتهم. والخطء: الذنب. والكبير: العظيم. **٣١** لا تقربوا الزنى: تجنّبوا مقدماته، كالخلوة والتغزل واللمس والنظر والقُبلة. والزنى: مجامعة المرأة بخلاف حكم الشرع. وإنه أي: الزنى. وكان أي: وما يزال. والفاحشة: الذنب الشنيع. وساء: بلغ الغاية في القبح والسوء والشر. وسبيلًا: طريقًا واضحًا إلى الفساد وعذاب النار. **٣٢** النفس: الإنسان الحي. وحرّم: منع قتلها. وبالحق: مع العدل الذي يوجب القتل. والمظلوم: الذي لا يحق قتله. وجعلنا: شرّعنا. والوليّ: الوارث. والسلطان: التحكّم والتسلّط على القاتل. ولا يسرف: لا يتجاوز حدّ الشرع من الحكم. والقتل: العقوبة للقاتل. وإنه أي: الوليّ الوارث للقتيل. والمنصور: المؤيّد بالشرع والحكّام. **٣٣** لا تقربوا: تجنبوا الأخذ والتصرُّف. والمال: ما اجتمع في المُلك من نقد ومتاع وزينة. واليتيم: الطفل فُقِدَ والده. والتي هي أحسن: تنميةُ المال والإنفاقُ على صاحبه بالمعروف وأفضل السبل. ويبلغ: يدرك. والأشُدّ: مرحلة الرُّشد واكتمال العقل. وأوفوا بالعهد: أدّوا تامًّا ما تعهّدتم بالتزامه. والمسؤول: المحاسَب صاحبه. **٣٤** الكيل: تحديد ما يقاس مقداره بالمكيال من المبيعات. وكلتم: قدّرتم المبيع. والقسطاس: الميزان. والمستقيم: السويّ العادل. وذلك أي: إتمامُ الكيل والوزنُ العادل. وخير: أكثر نفعًا من مكاسب الظلم في الكيل والوزن. وأحسن: أجمل وأهنأ. والتأويل: العاقبة في الدنيا والآخرة. **٣٥** لا تقفُ: لا تتّبع. والعلم: الإدراك والمعرفة. والسمع: إدراك المسموعات. والبصر: إدراك المرئيّات. والفؤاد: العقل الذي يدرك. وهو القلب يمدّ الدماغ بماء الحياة. ومسؤولًا أي: محاسبًا صاحبه للجزاء على استعماله بحق والاستفادة منه. **٣٦** لا تمش: لا تسِر ولا تتنقل. والأرض: حيث كنت. والمرح: البطر والتكبر. وتخرق: تحفر وتثقب بقدميك. وتبلغ: تدرك. والجبال: جمع جبل، ما غلظ وعلا من الأرض. والطول: الارتفاع. **٣٧** ذلك: المذكور في الآيات ٢٢-٣٧، مما نُهي عنه أو أُمر به أو بتركه. وهو أربع وعشرون خصلة. وكان أي: ومايزال. والسيئ: العمل القبيح حرّمه الله. وعند ربك: في حكمه وشرعه. والمكروه: البغيض يعاقَب فاعله. **٣٨**

المعنى العام: متابعة ما فرض الله أي: أن يصحب عدمَ عطاء القرباء والمساكين والمنقطعين لفقد المال قولٌ طيب. وخامس الواجبات الاعتدال في الإنفاق، بلا بخل ولا تبذير يسبب الحاجة، والله يعطي من يشاء بكثرة أو قلة، والسادس تجنب قتل الأولاد خشية الفقر، والسابع تجنب الزنى، والثامن تجنب قتل النفس المحرّمة ولأهل من قُتل حق القصاص بالعدل ونُصرة الحكّام له، والثامن التصرّف في مال اليتيم لمصلحته بأفضل الوسائل، والتاسع عدم الخيانة للعهد، والعاشر التزام الدقة فيما يباع بمقياس، والحادي عشر اتباع ما يحقّقه السماع والقياس والاجتهاد مما ستُسأل عنه وتحاسب عليه - أيها الإنسان - والثاني عشر التواضع في العمل والمعاملة. والإساءة في هذه الواجبات، أي: القيام بخلاف ذلك أو عكسه، عمل شنيع يبغضه الله ويبغض من يقوم به.

تفسير المفردات: ذلك أي: ما ذكر في الآيات ٢٢ـ٣٨. ومما أي: بعض الذي. وأوحى: أنزله إليك على لسان جبريل. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والحكمة: معرفةُ الحق للعمل به والإتقانُ لوضع الأمور في مواضعها. ولا تجعل: لا تتخذ، أيها الإنسان. والإلّه: المعبود. والآخر: المغاير لله. وتلقى: تُرمى. وجهنم: دار العذاب. والملوم: المذموم. والمدحور: المطرود من الرحمة. ٣٩ أأصفاكم أي: لم يخصّكم، أيها المشركون. والبنون: الذكور من الأولاد، جمع ابن. واتّخذ: ولم يصنع لنفسه. والملائكة: جمع ملَك. والإناث: جمع أُنثى. وعظيمًا: مبالِغًا في القبح. ٤٠ صرّفنا: أوضحنا مرارًا بالأمثال والأدلة. والقرآن: الكتاب الكريم. ويذّكّروا: يَتَذَكّروا: يتّعظ الكافرون. أدغمت التاء في الذال. ويزيدهم: يضيف التصريفُ إليهم. والنفور: البعد عن الحق. ٤١ قل أي: لهم، أيها النبيّ. ومعه: مع الله. والآلهة: جمع إلّه، المعبود المطاع. ويقولون: يزعمون. وإذًا أي: لو كان فعلًا. وابتغوا: طلبوا. وذو العرش: صاحب المُلك والربوبية متفردًا بهما. والسبيل: الطريق للقتال والخلاف. ٤٢ سبحانه: تنزيهًا له. وتعالى: تعظّم وتنزّه. ويقولون: يزعمون. والكبير: العظيم لاحد له. ٤٣ تسبّح: تخضع وتدلّ على التوحيد. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ومن فيهن أي: من في السماوات والأرض وبينهما من المخلوقات.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم
بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا
﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ
ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا
مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا
﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ
إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ
كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

وإن من شيءٍ: ليس شيءٌ موجودٌ. وبحمده أي: مع الثناء على فضله والإحسان. ولا تفقهون: لا تفهمون. وكان أي: ولايزال بدون قيد من الزمان. والحليم: المتأنّي في العقاب مع قوة وتمكن. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والصفحِ عنها. ٤٤ قرأت: تلوت. والقرآن أي: بعض آياته الكريمة. وجعلنا: صيّرنا. ولا يؤمنون: ينكرون. والآخرة: الحياة بالبعث. والحجاب: الحاجز. والمستور: الخفيّ. ٤٥ القلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. والأكنة: جمع كِنان. وهو الغِطاء. وأن يفقهوه: لئلّا يفهموه. والآذان: جمع أُذن. والوقر: الصمم. وذكرتَ ربك: تلوت آيات التوحيد. ووحده: متفردًا متوحّدًا. وولّوا: ابتعدوا عنك. والأدبار: الظهور، جمع دُبر. والنفور: جمع نافر، المبتعد هربًا. ٤٦ نحن: ضمير العَظمة. وأعلم: أدرى وأكثر إحاطة. وبما يستمعون به أي: بالطريقة التي يُنصتون بها إلى القرآن. وإذ أي: حين. والنجوى: المتحدثون سرًّا بينهم، جمع نَجِيّ. والظالمون: الكافرون. وإن تتّبعون: ما توافقون وما تطيعون. والمسحور: المخدوع بالسحر. ٤٧ انظر: تفكر وتأمل، أيها النبيّ. وضربوا: جعلوا. والأمثال: جمع مَثَل. وهو الشَّبَه. وضلوا: ضاعوا وانحرفوا عن الهدى. ولا يستطيعون سبيلًا: لا يجدون طريقًا إلى الهدى بحَيرتهم وجهلهم. ٤٨ وإذا كنا أي: حين نصير. والعظام: جمع عظم، قصب الجسم يكون عليه اللحم. والرفات: الأجزاء المفتتة كالتراب. وأإنا أي: محال أنّنا. والمبعوث: الذي يحييه الله للحساب والجزاء. والخلق: التكوين من العدم. والجديد: المستحدث مرة ثانية. ٤٩

المعنى العام: أن ما ذكر في الآيات الثماني عشرة ٢٢ـ ٣٩ هو من الوحي والحكمة. فالزموا التوحيد ـ أيها الناس ـ لئلّا تخلدوا في جهنم ، وباطل و كفر شنيع ما تزعمون من أن لكم الذكور ولله بنات هن الملائكة، وكم ذكرنا من أدلة التوحيد ، وأنتم تزدادون ضلالًا! ولو كان مع الله شركاء لخاصموه وأفسدوا الكون، كما يحدث بين الملوك. فقد تنزّه الله عن الشريك، والمخلوقات كلها تدل على ذلك، ولكن المشركين لا يعتبرون. والعاقلون يسبحونه بألسنتهم، وغير العاقلين بالخضوع للدلالة على الوحدانية.

وكلما قرأ النبي ﷺ شيئًا من القرآن كان بينه وبين المشركين حاجز معنوي، وعلى قلوبهم أغطية وفي آذانهم انسداد لئلّا يفهموا، وكلما ذكر اللهَ وحده هربوا مدبرين منقلبين. وعندما لقيهم وقرأ عليهم بعض الآيات، وصاروا يتهامسون أنه مجنون أو مسحور أو شاعر، نزل الوحي لفضح أسرارهم، بأنهم يتسارّون بما يحيّرهم، ويقول بعضهم لبعض: إن اتبعتموه فإنما تطيعون من فَقَدَ عقله. فتأمل كيفية حيرتهم في وصفك. وهم ينكرون أن يُبعثوا من جديد للحساب بعد الفناء.

تفسير المفردات: قل أي: للكافرين، أيها النبيّ. وكونوا: صيروا. والحجارة: جمع حجر، ما تصلب من وجه الأرض. والحديد: المعِدن الصلب الأسود المعروف. **٥٠** الخلق: المخلوق. ويكبر: يتعالى ويستبعد عن قبول الحياة. والصدور أي: القلوب التي تدرك وتعي، جمع صدر. ويعيدنا: يقدر أن يبعثنا. وفطركم: خلقكم. وأول مرّة: الخلقة الأُولى. وينغضون: يُميلون ويحرّكون تعجبًا. والرؤوس: جمع رأس، ما يعلو العنق من الإنسان. ومتى هو يعني: أيُّ وقت زمنُ البعث ؟ وعسى: وجب وتحقّق. ويكون: يحصل ويقع. وقريبًا أي: في قريب. **٥١** اليوم: الزمن. ويدعوكم: يناديكم الله على لسان المَلَك. وتستجيبون: تسارعون الإجابة. وبحمده: مع الثناء على فضله. وتظنون: تتيقّنون. وإن لبثتم: ما أقمتم في الدنيا والقبور. وقليلًا أي: زمنًا يسيرًا. **٥٢** العباد أي: المؤمنون، جمع عبد. ويقولوا أي: إن أمرتهم قالوا. والتي هي أحسن: العبارة الأنفع. والشيطان: إبليس وأعوانه من الجنّ والإنس. وينزغ: يُفسد. والعدوّ: المعادي. والمبين: البيّن العداوة. **٥٣** الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأعلَم: أدرى منكم. ويشاء: يريد رحمتكم. ويرحمكم: يعطف عليكم بالإحسان. ويشاء: يريد عذابكم. ويعذبكم: يحكم بموتكم على الكفر. وما أرسلناك: ما بعثناك. ووكيلًا: كفيلًا بهدايتهم. **٥٤** بمن أي: بالكائنات. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وفضّلنا: ميّزنا بشيء من النعم. والبعض: الواحد أو الأكثر. والنبيون: الأنبياء. وآتينا: أعطينا. وداود: من أنبياء بني إسرائيل. والزبور: كتاب فيه مائة وخمسون سورة، كلها دعاء وتمجيد ومواعظ. **٥٥** قل أي: للمشركين، أيها النبيّ. وادعوا: استغيثوا. وزعمتم: ادعيتم ألوهيتهم. ودونه: غير الله. ولا يملكون: لا يستطيعون بأنفسهم. والكشف: الإزالة. والضرّ: الأذى. والتحويل: التبديل. **٥٦** الذين يدعون: الملائكة الذين يسمّيهم المشركون معبودات بالكذب. ويبتغون: يطلبون. والوسيلة: التقرب بالطاعة. وأيُّهم أقرب: الذي هو أدنى إلى طاعة الله. ويرجون: يتمنّون. والرحمة: العطف بالإحسان. ويخافون: يخشَون. والعذاب: التعذيب. والمحذور: المخوف. **٥٧** إن من قرية: ليست بلدةٌ. ونحن: ضمير العظمة والتفخيم لله تعالى. ومهلكوها: نُفني أهلها حتف الأنف. واليوم: الزمن. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. ومعذبوها: نعذّب أهلها. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد الفظيع لا مثيل له. وذلك: ما ذُكر من الإهلاك والتعذيب. والكتاب: اللوح المحفوظ. والمسطور: المسجّل بقدَر. **٥٨**

نصف الحزب ٢٩

الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى
صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ
وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ
أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ
عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ
وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾
وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

المعنى العام: متابعة تسفيه المنكرين للبعث والمتعجبين من ذلك، بتحديهم أن يصيروا بعيدين عن الاتصال بالبشرية، حجارة أو حديدًا أو أبعد من ذلك فيما يتصورون. ومع هذا يردّ الله إليهم الأرواح ويجدّد فيهم الحياة حين يشاء، كما خلقهم من قبل. وهم سيهزّون رؤوسهم منكرين ومتسائلين عن تعيين الوقت. والجواب أنه سيعيدهم الله في وقتٍ تحقَّق قربه، حين يناديهم جبريل من قبورهم، وينفخ إسرافيل في الصور، ويلبون النداء فيُبعثون من قبورهم، حامدين الله وحده على كمال قدرته بإيمان وصدق ولا ينفعهم ذلك لأنهم ماتوا على الكفر، وظانّين أن ما قضوه في الدنيا والقبور زمن يسير.

فقل للمؤمنين ـ أيها النبيّ ـ إن تقل لهم يدْعوا الناس بالحُسنى من القول والعمل، ولا يستجيبوا للشيطان فإنه عدوّ لهم يفسد بينهم، والله محيط بما في النفوس يهدي من يشاء ويعذب من يشاء، ولستَ مطالبًا بهداية الكافرين، وهو يعلم أيضًا ما في الكون كله، وقد فضّل بعض الأنبياء على بعض بما أعطى من الصفات والوحي. وقل للمشركين أن يستعينوا بمعبوداتهم الملائكة. فإنها لا تفيدهم لأنها مخلوقات تتنافس في التقرب إلى الله وتتضرع إليه في طلب رضاه وتخاف عذابه الرهيب.

ثم إن الناس جميعًا إلى فناء، فبعضهم يموت حتف أنفه، وبعض يناله عذاب الانتقام، وذلك مسجّل بأقداره في اللوح المحفوظ.

تفسير المفردات: منعنا: كان سببَ تركِنا. ونرسل بالآيات: نحقّق المعجزات للمشركين. وأن كذّب بها الأولون: إنكار الأُمم الماضية لها. وآتينا: أعطينا. وثمود: قوم النبي صالح من العرب العاربة. والناقة: الأنثى من الإبل، اختارها لهم معجزة. والمبصرة: الواضحة الدلالة على نبوته. وظلموا بها: كفروا بها وأنكروها بالذبح. والتخويف: التهديد بالعذاب لمن يكفر. ٥٩ إذ قلنا لك: اذكرْ وقت تبليغنا إياك بالوحي. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأحاط بالناس أي: هو عالم بما يكون وقاهرهم على ما يريد. وما جعلنا: ما صيّرنا. والرؤيا: ما يُرى بالعين. وأريناك: جعلناك تنظر بعينيك ليلة الإسراء والمعراج. والفتنة: امتحان الناس لتمييز الصالح من الفاسد. والشجرة: النبتة لها ساق وأغصان. والملعونة: الخبيثة مطرودًا من رحمة الله آكلُ ثمارها. والقرآن: ما أوحى الله من الآيات على محمد ﷺ. ونخوّفهم: نهدد المشركين. وما يزيدهم: ما يضيف إليهم التخويفُ. والطغيان: التمادي في العصيان. والكبير: الضخم جدًّا. ٦٠ الملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية مطهّرة. واسجدوا: انحنوا سجودَ احترام. وآدم: أبو البشر. وإبليس: أبو شياطين الجن. قال أي: إبليس لله، تعالى. وأأسجد: كيف أسجد؟. وخلقتَ: أوجدت. والطين: التراب المجبول بالماء. ٦١ أرأيتك أي: أخبرني. وهذا أي: آدم. وكرّمت: فضّلت بالسجود. ولئن أي: أُقسِمُ إن. وأخرتن: أخرتني أي: أجلت موتي. حذفت الياء للتخفيف. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث للحساب. وأحتنكنّ: أُهلِكَنّ بالإغواء. والذرّيّة: ما يكون من النسل. والقليل: العدد اليسير. ٦٢ قال أي: الله له. واذهب: امض لشأنك الذي اخترتَه. وتبعك: أطاعك. وجهنم: دار العذاب للكافرين. والجزاء: العقاب. والموفور: الوافر الكامل. ٦٣ استفزز: هيّج. واستطعت: تتمكن من إضلاله. والصوت: الوسوسة. وأجلب عليهم: اجمع عليهم وتصرّف بكل ما تستطيع. والخيل: اسم جمع واحده خائل من الخُيلاء. وهو الفرس، والمراد من يركبه. والرَّجِل: الراجل. وهو الماشي. وشاركهم في الأموال أي: كن شريكًا لهم فيما يملكون من المتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد من الذكور والإناث. وعدهم: اخدعهم بالوعد الكاذب. والشيطان: إبليس. والغرور: تزيين الباطل. ٦٤ العباد: جمع عبد. وهو المؤمن العابد الصالح. والسلطان: التحكم بالإغواء. وكفى بربك أي: يكفي ربُّك ويغني عن غيره. والوكيل: الحافظ من الضلال. ٦٥ يزجي لكم: ييسّر الجريان لمصالحكم. والفلك: السفن، مفرده من لفظه. والبحر: ما كان فيه ماء كثير، كالنهر وغيره. وتبتغوا: تطلبوا. ومن فضله: بسبب تفضله. وكان أي: وما يزال بدون قيد زماني. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ٦٦

الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ
وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا
جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ
فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ
قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ
مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ
فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ
فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

المعنى العام: أن الله لم ينزل المعجزات للمشركين لأنها تكون إنذارًا باستئصال من يكفر بها، ولأنها قد كذبتها الأمم قبل، كما جرى لقوم صالح حين ذبحوا الناقة فقُضي عليهم.

واذكر ـ أيها النبيّ ـ تهديدنا المشركين بالعلم والقدرة عليهم ومعجزة الإسراء والمعراج وتخويفنا إياهم بشجرة الزقوم في جهنم، فسخروا، وقال أبو جهل: « إن الزقّوم هو الثريد بالزُّبد. أما والله لئن أمكنَنا منه لنتزقَّمَنّه تزقُّمًا». والتخويف يزيدهم كفرًا.

واذكر أيضًا أمرنا الملائكة بالسجود احترامًا لآدم فأطاعوا، لكن إبليس أبى أن يسجد لمن خُلق من طين، وتساءل عن سبب تفضيله عليه، وأقسم أن يضل من يستطيع إضلاله من بني آدم، فطرده الله مُتوعدًا إياه ومن يتبعه بنار جهنم، وسمح له أن يغريهم بما شاء هو والبشر الذين يمشون معه بإشاعة الفواحش والمنكرات والمعاصي. وذِكرُ الراكبين والمشاة يراد به جميع المضلِّلين من الإنس والجان. فالشياطين مشاركون للمجرمين في أموالهم ومصيرهم إلى جهنم، يعدونهم بالباطل، ولا يستجيب لهم المؤمنون الصالحون، لأن الله يحفظهم من الإغواء بقدرته القاهرة. وهذه آيات معجزة ونِعم أيضًا من تفضل الله، هي تيسير جريان السفن في البحار والأنهار والبحيرات، لحصولكم على ما تفضَّل به، وهو ذو الرحمة والإحسان...

الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ
إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ
فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ
بِإِمَـٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِۦٓ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٩

تفسير المفردات: مسكم الضرّ: أصابكم شديد الخطر. والبحر: المكان فيه الماء الكثير. وضل: غاب عن خواطركم وعونكم. وتدعون: تذكرونه بالتقديس والطاعة من المعبودات. وإياه أي: الله. ونجاكم: أنقذكم وخلصكم من الغرق. والبر: الأرض اليابسة. وأعرضتم: انصرفتم إلى تقديس غير الله. وكان أي: وما يزال. والإنسان: جنس البشر. والكفور: الكثير الكفر بالنعم. ٦٧ أأمنتم: كيف تأمنون ؟ ويخسف بكم: يصيّركم تحت الصخور والتراب أو الماء. وجانب البر: الجزء من الأرض اليابسة. ويرسل: يوجّه. والحاصب: الريح ترمي بالحصى. ولا تجدوا: لا تروا. والوكيل: الحافظ من البلاء. ٦٨ يعيدكم فيه: يجعلكم في البحر. والتارة: المُدّة من الزمن. والأُخرى: المغايرة لِما كان وقت الإنقاذ. والقاصف: المحطِّم المهلك. والريح: الهواء المتحرك بعنف. ويغرقكم: يميتكم خنقًا بالماء. وبما كفرتم: بسبب تكذيبكم وحدانية الله ودعوة رسوله. وبه تبيعًا أي: ناصرًا لكم يتابعنا مطالبًا إيانا بها فعلنا. ٦٩ كرّمنا بني آدم: جعلنا البشر أصحاب شرف ومحاسن بالعقول والأنبياء. وحملناهم: جعلنا لهم ما يُحملون عليه. ورزقناهم: خلقنا لهم. والطيب: ما يُستلذ من الطعام والمتاع. وفضلناهم: ميّزناهم بمنزلة أظهر وأرفع بالتعقل والإرادة والاختيار. والكثير: العدد الوافر. وخلقنا: أوجدناه من العدم. ٧٠ يوم ندعو: اذكرْ وقت ننادي للحساب والجزاء. وأناس: اسم جمع واحده إنسان. والإمام: من يُقتدى به. وأوتي: أُعطي. وكتابه: صحائف تسجيل أعماله. واليمين: اليد اليمنى. ويقرؤون: يتلون ما فيه. ولا يظلمون: لا يُنقص من عملهم. والفتيل: الخيط الدقيق في شق النواة. ٧١ هذه أي: الدنيا. والأعمى: الفاقد للبصيرة والرشد. والآخرة: الحياة يوم القيامة. وأضل: أكثر ضلالًا مما هو فيه. والسبيل: طريق الهداية والنجاة. ٧٢ إن كادوا: لقد قارب المشركون بزعمهم وتوهّمهم. ويفتنونك: يضلونك ويجعلونك توافقهم. والذي أوحينا: ما أنزلناه في القرآن الكريم. وتفتري: تختلق. وغيره: ما يغايره. وإذًا أي: حين ذلك. ولاتخذوك خليلًا: والله ليجعلُنّك صديقًا مصافيًا. ٧٣ لولا أي: لولا وجود. وثبتناك: رسّخناك وأيّدناك. وكدت: قاربت. وتركن: تميل. وشيئًا: ميلًا. والقليل: اليسير. ٧٤ أذقناك: أنزلنا بك. وضعفَ الحياة: مثلَي ما يعذَّب به غيرك في الحياة. وضعف المهات: ضعفي ما يعاقب به الكافرون في الآخرة. ولا تجد لك: لا ترى لأجلك. والنصير: المانع من العذاب. ٧٥

المعنى العام: متابعة ما ذكر من فضل الله ودلالات قدرته، بأن المشركين إذا كانوا في البحر يستغيثون بالله وحده حين تحيط بهم المهالك، ولا يبقى للشرك في نفوسِهم ذكر، ثم يعودون إلى كفرهم بعد النجاة، لِما هم عليه من الشرك المتأصل. فليس لهم أن يأمنوا خسف البر كما جرى لقارون، أو العواصف مع الحجارة كما كان لثمود، أو عودتهم إلى بلاء البحر مع الغرق كما كان لفرعون، ولا معين لهم إذ ذاك.

ولقد أكرم الله جنس البشر وفضّلهم على كثير من المخلوقات، ويسر لهم التعقُّل والتنقل بين البحار والسهول والجبال، والرزق من المستلذات. فذكّرهم بيوم القيامة ـ أيها النبيّ ـ حين تُدعى كل أمة باسم نبيها. فالذي يتناول سجلّ أعماله بيمينه يقرؤه بسرور وينال حقه، والذي كان في الدنيا ضالًا مصرًا على العصيان حتى الموت فهو أشد ضياعًا يوم القيامة يغتمّ بما في كتابه ويتمنى ألّا يكون.

وعندما سأل بنو ثقيف النبيَّ ﷺ بعض الامتيازات، كتحريم واديهم مثل مكة وإعفائهم من الجهاد والزكاة والانحناء في الصلاة وتأخير هدم اللات سنة، وخالفهم في ذلك نزلت الآية بأنه كاد يوافق شيئًا من ذلك ويخالف ما جاءه من الهداية، وإنما امتنع عنه بتثبيت الله. ولو أجاب طلبهم لجعلوه خليلهم المحبب، ولنال في الدنيا والآخرة أضعاف جزاء الكافرين، وبلا نصير أو معين أيضًا. وروي أن النبي ﷺ صار يقول بعد نزول هذه الآية: « اللَّهُمَّ، لاتَكِلْنِي إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ».

تفسير المفردات: إن كادوا: لقد قارب المشركون والكافرون. ويستفزونك: يُزعجونك بالتشريد. والأرض: مكة المكرمة. ويخرجوك: يبعدوك عن مكة. وإذًا أي: لو تمكنوا من ذلك. ولا يلبثون: لا يبقون في البلاد فيُستأصَلون.. وخلافَك: بعدك. وقليلًا أي: زمنًا يسيرًا. **٧٦** السُّنّة: الطريقة المستقرّة. وأرسلنا: بعثنا لتبليغ الدعوة والعمل. والرسل: جمع رسول. ولا تجد: لا ترى. والتحويل: التبديل. **٧٧** أقم الصلاة: أدِّها كما فُرِضتْ. ولدلوك الشمس أي: من وقت تحولها وسط السماء في النهار. والغسق: سواد الليل. وقرآن الفجر: قراءة الآيات الكريمة في الصلاة وقت انكشاف ظلمة الليل. والمشهود: تشهده الملائكة. **٧٨** من الليل أي: في بعض أوقاته. وتهجد: قم أو اسهر للصلاة. وبه: بتلاوة القرآن. والنافلة: الفريضة الزائدة لك يلزمك القيام بها. وعسى: وجب وتحقّق. ويبعثك: يُقيمك يوم القيامة للفصل بين الناس. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والمَقام: القيام للشفاعة في الآخرة. والمحمود: الذي يُذكر بالشكر. **٧٩** ربِّ: يا ربّي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وأدخلني: يسّر لي الدخول إلى المدينة. والمُدخَل: الإدخال. والصدق: المرضيّ يرضاه الله ويطمئن صاحبه. وأخرجني: يسّر لي الخروج من مكة. والمُخرج: الإخراج. واجعل لي: صيّر لأجلي. ومن لدنك: من عندك وبأمرك. والسلطان: القوة. والنصير: الناصر على العدو. **٨٠** وقل أي: عند فتح مكة ودخولك إياها. وجاء: ظهر. والحق: الإسلام والتوحيد. وزهق: بطَل واضمحلّ.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ — الجزء الخامس عشر

وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ
قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ
أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن
لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا
﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

والباطل: الكفر والشرك. وكان أي: وما يزال. والزهوق: الزائل حتمًا. **٨١** ننزّل: نوحي. والقرآن: الكتاب الكريم الذي أوحي إلى محمد ﷺ. والشفاء: الشافي يكشف علل القلوب في العقيدة والفكر والخُلق وبعض علل الأبدان. والرحمة: العطف بالهداية. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. ولا يزيد الظالمين: لا يضيف إلى الكافرين. والخسار: تضييع خير الدنيا والآخرة. **٨٢** أنعمنا: تفضلنا بالخير. والإنسان: جنس البشر. وأعرض: انصرف عن الشكر. ونأى بجانبه: انصرف متبخترًا وأبعد أحد طرفيه. ومسّه: نزل به. والشرّ: ما فيه ضرر. وكان: صار. واليؤوس: الشديد اليأس من الرحمة. **٨٣** قل أي: للكافرين. وكل أي: كل واحد منّا ومنكم. ويعمل: يتصرّف باختيار. وشاكلته: مُشابِهته من الاستعدادات وما ألفه من الأخلاق. وأعلم بمن: أكثر دراية به من نفسه. وأهدى: أكثر رشادًا إلى الحق. والسبيل: الطريق إلى الخير. **٨٤** يسألونك: يطلب اليهود منك الجواب تعجيزًا. والروح: حقيقةُ ما تقوم به حياة البدن. ومن أمر ربي أي: مما استأثر الله بعلمه ولا تدركه العقول. وما أوتيتم: ما أعطيتم. والعلم: المعرفة للحقائق. وقليلًا أي: شيئًا يسيرًا. **٨٥** لئن: أُقسِمُ إن. وشئنا: أردنا إذهاب القرآن كما فعلنا بالكتب المنزلة قبلك. ونذهبن بالذي أوحينا: نمحوَنّ ما أنزلنا على لسان جبريل. ولا تجد: لا تلقى. وبه وكيلًا: متسلطًا يطالبنا بردّ ما نمحو. **٨٦**

المعنى العام: كانت قريش تحاول إخراج النبي ﷺ من مكة، وأراد الله ألّا يكون ذلك منهم فأنزل الآيات بأنهم كادوا يخرجونك ـ أيها النبيّ ـ ولو فعلوه لقُضي عليهم بالهلاك، كما جرى في الأمم المستأصَلة، وهي سُنّة لا تتغير. فدُم على الصلوات وتلاوة القرآن بالفجر وقيام الليل فريضةً عليك، محقّقًا مقامك المحمود يوم القيامة، وادع أن تكون هجرتك من مكة إلى المدينة بخير واعتزاز، وأن تعود إلى مكة بالنصر وظهور الإيمان على الكفر.

والله يوحي ما يشفي من الضلالة، ويزيد المشركين خسارة، والإنسان بشكل عام يقابل النعم بالتكبر لا بالشكر والحمد، والمصائب باليأس لا بالصبر، لأنه قلّ أن يقدّر نعمَ الله حق قدرها، وكلٌّ يعمل بما يناسب عقيدته ونفسه، والله يعلم من طلب الهداية فيوفقه في ذلك.

وعندما سأل اليهود النبي ﷺ عن الروح للتحدي والتعجيز نزلت الآيات بأن ذلك من علم الله، وما يعرفه الناس من الحقائق قليل جدًّا مما هو في الكون، ولو شاء الله لمحا ما نزل من القرآن أيضًا ليمنع الهداية عن الناس، ولا معارض له يطالب برده...

تفسير المفردات: الرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربك: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والفضل: التفضل بالخير. والكبير: العظيم لا مثيل له. ٨٧ قل أي: لمنكري الوحي عليك، أيها النبيّ. ولئن أي: أُقسِم إن. واجتمعت: اتفقت. والإنس والجنّ أي: وسائر المخلوقات. ويأتوا بمثل القرآن: يصنعوا مماثله. ولو كان أي: وإن صار. والبعض: الواحد أو الأكثر. والظهير: المعين. ٨٨ وصرّفنا للناس: بيّنّا لأجل البشر. والمَثَل: المعنى البديع للوعظ والهداية، يشبه الأمثال في غرابته. وأبى: أنكر ولم يقبل. والأكثر: الغالبية. والكفور: الجحود والإنكار للحق. ٨٩ وقالوا أي: المشركون. ولن نؤمن لك: لن نصدّق نبوّتك. وتفجر: تشقّق وتُجري. والأرض: أرض مكة. والينبوع: النبع الجاري. ٩٠ تكون: تصير. والجنّة: البستان العظيم. والنخيل: الشجر ثمره التمر. والعنب: ثمر شجر الكرم واحدته عنبة. والأنهار: جمع نهر، المجرى العظيم للماء. وخلالها: وسط الجنّة. ٩١ تسقط: تُنزل. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وكما زعمت أي: مثلما ادّعيت بتهديدك لنا من قبل. والكسف: جمع كِسْفة، القطع. وتأتي بالله: تحضره إلينا. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية. وقبيلًا: مقابلًا ومواجهًا لنا. ٩٢ يكون: يصير. والبيت: ما يُبنى للإقامة. والزخرف: الذهب المزيّن. وترقى: تصعد. وفي السماء: في السبل التي تؤدي إليها. والرقي: الصعود. وتنزّل علينا: تلقي إلينا. والكتاب: الصحف فيها كتابة. ونقرؤه: نتلو ما كُتب فيه. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. وسبحان ربي: تنزيهًا له عما تقترحون من الأباطيل. وهل كنت أي: ما كنت. والبشر: الإنسان. والرسول: المرسَل للعمل والتبليغ. ٩٣ منع الناس: صرف الكافرين. ويؤمنوا: تعترف قلوبهم بالتوحيد والبعث. وإذ جاءهم: حين أتاهم من عند الله. والهدى: الإرشاد إلى خير الدنيا والآخرة. وقالوا: تكلموا معتقدين. وأبعثَ الله بشرًا رسولًا: محالٌ أن يُرسل الله إنسانًا بالنبوّة. ٩٤ قل أي: لهم. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويمشون: يتصرفون في الأرض. ومطمئنين أي: مقيمين مستقرين. ونزلنا: أرسل الله. ٩٥ كفى بالله: بلغ اللهُ الغاية في الاستغناء عما سواه. والشهيد: الشاهد والمُثبِت أني رسول بلّغتكم ما كُلّفتُ به، وأنكم تعاندون وتكابرون. وكان أي: وما يزال دائمًا أبدًا. والعباد: جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والخبير: المطّلع على بواطن الأمور. والبصير: العالم بظواهرها. ٩٦

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل
لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ
الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِاللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ
كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ
الْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ
فِى الْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم
مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

المعنى العام: متابعة ما ذُكر من تثبيت الوحي والنبوّة بأنه إنما استمر إتمام الرسالة رحمة من الله، وهو تفضل عظيم عليك، أيها النبيّ. فقل للكافرين: لو أراد جميع الإنس والجن وسائر المخلوقات تقليد القرآن الكريم بما فيه من الفصاحة وبليغ البيان والعلوم الكونية والأخبار الحقيقية والعقيدة والشريعة لعجزوا، وهم متعاونون متناصرون.

وعندما طلب رؤساء قريش من النبي ﷺ المعجزات: تفجير الينابيع، وجعل جبال مكة ذهبًا، وخلق الحدائق والبساتين فيها، وإحضار الملائكة تشهد له، والبيت من ذهب، وصعوده إلى السماء، وأنهم لا يؤمنون حتى تُنزَّل عليهم كتب تُقرأ لتصديقه، وإلّا فليُسقط عليهم السماء، نزلت هذه الآيات بأنه رسول للتبليغ والإرشاد، لا سلطان له فيما يقترحون، وأنه قد أنزل الله - عز وجل - في القرآن الكريم عظيم الهداية الفائقة، فأصرُّوا على الكفر والعناد، ولو حقق لهم ما طلبوه لم يؤمنوا لتعنتهم. فأجبهم - أيها النبيّ - بتنزيه الله عما يظنون من الأباطيل وأنك إنسان تبلغ الرسالة، وليس عليك أن تهديهم.

وإنما منع الكافرين من الإيمان، حين وصلت إليهم دعوة الهداية، أنهم ينكرون ولا يصدّقون أبدًا أن يكون الرسول من البشر. فقل لهم: لو كان من في الأرض ملائكة يعيشون بطمأنينة واستقرار لجاءتهم رسل ملائكة من جنسهم ليكون بينهم استئناس وتقبل، وحسبنا حكمًا فيما بيننا وفي صدق النبوة شهادة الله، وهو العليم كلَّ العلم بما في الكون من ظواهر وخفايا.

تفسير المفردات: يهديه: يوجّهُه إلى ما في استعداده من الخير. والمهتِدِ: المهتدي: المسترشد للحق. حذفت الياء في الرسم للتخفيف. ويضلُّه: يصرفُه إلى ما لديه من الشر والعصيان. ولن تجد: لن ترى، أيها النبيّ. والأولياء: جمع وليّ. وهو الذي يتولّى الأمور ويهدي إلى الحق. ودونه: غير الله. ونحشرهم: نبعثهم بالقهر للحساب. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث. وعلى وجوههم أي: منكّسين. والوجوه: جمع وجه. وهو ما يقابل به الإنسان غيره من رأسه. والعُمي: جمع أعمى لا يبصر. والبكم: جمع أبكم، من وُلد أعمى مع بلاهة وعجز عن الإبانة. والصم: جمع أصم لا يسمع. والمأوى: مكان الالتجاء. وجهنم: دار العذاب أُعدت للكافرين. وكلّما خبت أي: كل وقت سكون لهيبها. وزدناهم: أضفنا إليهم. والسعير: تلهّب النار. ٩٧ ذلك أي: ما ذكر من الأهوال. والجزاء: العقاب. وبأنهم كفروا: بسبب كفرهم. والآيات: آيات القرآن الكريم والأدلة على التوحيد والبعث. وإذا كنا أي: حين نصير. والعظام: جمع عظم. وهو اللوح أو القصب الذي عليه اللحم من الجسد. والرفات: الحطام المتفتت كالتراب. وأإنا أي: محال أنّنا. والمبعوث: الذي يحييه الله للحساب والجزاء. والخلق: التكوين من العدم. والجديد: المستحدث مرة ثانية. ٩٨ ألم يروا: لماذا لا يعتقدون ؟ وخلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وقادر: متمكن. ومثلَهم أي: أنفُسَهم بعد الموت. وجعل: صيّر. ولهم أي: لموتهم ولبعثهم من القبور. والأجل: الوقت المعيّن. والريب: الشك. وأبى: امتنع. والظالمون: من يتجاوزون الحق. والكفور: الإنكار والتكذيب. ٩٩ قل أي: للمشركين، أيها النبيّ. ولو أنتم أي: لو تملكون وتنفردون بالتصرف. والخزائن: جمع خزانة، ما تُحفظ فيه الأشياء. والرحمة: العطف بالإحسان. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وإذًا أي: لو كان لكم ذلك. وأمسكتم: بخلتم. والخشية: الخوف. والإنفاق: فناء المال بالبذل. وكان أي: وما يزال. والإنسان: كل مخلوق بشريّ. والقتور: الشديد البخل. ١٠٠ آتينا: أعطينا للتأييد والإعجاز. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. والآيات: الخوارق المعجزة. والبينات: الظاهرات الدلالة على صدقه. واسأل: اطلب تحقيق المراد، ياموسى. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب من أبنائه اليهود. وإذ جاءهم: وقت مجيئه للتبليغ والدعوة. وفرعون ملك مصر في عهد موسى. وأظنّك: أعلمك. ومسحورًا أي: سُحرتَ فتغلّب السحر على عقلك. ١٠١ قال أي: موسى. وعلمتَ: تيقنتَ. ما أنزل هؤلاء: ما خلق هذه الآيات. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والبصائر: جمع بصيرة، ما يكون حُجّة قاطعة. وأظن: أعلم باليقين. ومثبورًا: هالكًا بعيدًا عن الخير. ١٠٢ أراد: قصد فرعون. ويستفزهم: يُخرج بني إسرائيل بالقتل والإبادة. والأرض: موطن الحياة الدنيا في الموضعين. وأغرقناه: قتلناه خنقًا بماء البحر. ومن معه: جنوده الأقباط. وجميعًا: مجتمعين. ١٠٣ بعده: بعد إغراقه. واسكنوا: انزلوا مشردين. وجاء: حصل. والوعد: وقت ما وَعدناكم به. والآخرة: آخر إفساد مما ذكر في الآية ٤. وجئنا بكم: أحضرناكم إلى فلسطين. ولفيفًا أي: مجتمعين. ١٠٤

سورة الإسراء — الجزء الخامس عشر

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا
وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

المعنى العام: أن الهداية بيد الله، ولن يستطيع غيره أن يمنحها أو يمنعها أحدًا، ويوم القيامة يُحشر الكافرون سحبًا على وجوههم بعمى وبَلَه وصمم في جهنم، ونيرانها تزداد اشتعالًا كلما خبت، لِما كان من إنكارهم التوحيد والبعث. فهم لم يدركوا أن خالق الكون قادر على بعثهم بلا شك، كما قدّر لهم، وهم يبخلون على الناس أن ينالهم خير، حتى لو ملكوا رحمة الله.

وعندما جاء موسى إلى فرعون بالمعجزات، وصفه فرعون بالجنون، وهو يعلم أن المعجزات من عند الله، ولكنه كابر واتهم موسى بالجنون، فوصفه موسى بأنه هالك وبعيد عن الخير. ثم أراد فرعون البطش ببني إسرائيل ليفنيهم ، فأغرقه الله مع جنوده في البحر، ويسّر لبني إسرائيل التشرد في العالم، شياطين للبشر بما يثرون من الفتن والإفساد، وسيردّهم مجتمعين إلى فلسطين ليحاربوا المسلمين، وينتهي تاريخهم وجرائمهم على أيدي المؤمنين المجاهدين بعون الله، كما جاء في تعليقنا على الآية ٤.

تفسير المفردات: بالحق: مع الحِكمة المقتضية للتبليغ. وأنزلناه: أوحينا القرآن الكريم. وبالحق أي: بما يتضمن من الهداية إلى الخير والصلاح. ونزل أي: على لسان جبريل دون تبديل. وما أرسلناك: ما بعثناك، أيها النبيّ. والمبشر: المبلّغ بالخير لمن آمن. والنذير: المنذر المهدّد بالعذاب لمن كفر. ١٠٥ قرآنًا فرقناه أي: نزّلنا على مراحل ما يُتلى. وتقرؤه: تتلوه وتبلّغه. والناس: البشر. والمكث: التمهّل. ونزّلناه أي: أوحيناه مفرّقًا لا دُفعةً واحدة. ١٠٦ قل أي: للكفار تهديدًا. وآمِنوا به: صدّقوا ما جئتُ به. وأُوتوا العلم: أُعطُوا المعرفة اليقينيّة. وقبله: قبل نزول القرآن الكريم. ويتلى: يقرأ. ويخرّون: يسقطون بسرعة. وللأذقان: على أذقانهم، جمع ذَقَن. والسُّجّد: جمع ساجد. ١٠٧ سبحان ربّنا: تنزيهًا له عن إخلاف الوعد بإرسال محمد ﷺ. والرب: الخالق المالك المتفرد يرى مصالح مُلكه. وإنْ: لقد. وكان أي: وما يزال. والوعد: التعهّد بما سيكون. والمفعول: المحقّق. ١٠٨ يبكون أي: تذلّلًا وفرحًا. ويزيدهم: يضيف إليهم. والخشوع: التواضع. ١٠٩ ادعوا: نادوا في العبادة. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرحمن من أسماء الله. وأيًّا ما: أيَّ أسمائه. والأسماء: جمع اسم. والحسنى: أحسن الأسماء وأفضلها. ولا تجهر: لا تُظهر صوتك عاليًا. وبصلاتك: في الصلاة. ولا تخافت: لا تخفِّف صوتك. وابتغ: اطلب واقصد. وذلك أي: الجهر والمخافتة. والسبيل: الطريق الوسط. ١١٠ الحمد: الثناء على الفضل والإحسان. ولم يتخذ ولدًا أي: لا ولد له. والشريك: المشارك. والملك: الحيازة والتصرف في الكون. والوليّ: الناصر المعين. ومن الذل: بسبب حدوث شيء من المذلة. وكبّره: عظّمه بالإجلال. ١١١

المعنى العام: أن القرآن أُوحي بحكمة الله مشتملًا على ما أراده كاملًا، وأُرسل محمد ﷺ للتبشير والإنذار، وجُعل الوحي على مراحل ليقرأه بتمهل وتُفصَّل أحكامه. فخيِّر الكافرين ـ أيها النبيّ ـ بين الإيمان والكفر، ومؤمنو أهل الكتاب يتلقَّون تلاوة القرآن بالسجود والبكاء والخشوع، منزهين الله أن يخلف وعده ببعثتك الشريفة لأن ما يَعِد به لا بد أن يتحقق، وخيّرهم أيضًا أن ينادوا الله أو الرحمن. فهما من أسمائه العُليا.

ولما كان النبي يرفع صوته في قراءة الصلاة، والمشركون يشتمون ذلك، نزلت الآية بأن تكون قراءته وسطًا لدفع الأذى، وأن يحمد ويعظم الله المتنزّه عن الولد والشريك والحاجة إلى العون.

سورة الإسراء

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الكَهْفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

١٨ ـ سورة الكهف

تفسير المفردات: الحمد: الثناء بالجميل على النعم. ولله أي: مُلك لله ويستحقه وحده. وأنزل الكتاب: أوحى القرآن الكريم على لسان جبريل. والعبد: المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. ولم يجعل له: لم يصيّر فيه. والعوج: الاختلاف والتناقض. ١ القيّم: المستقيم. وينذر: يهدّد الكتابُ. والبأس: العذاب. والشديد: القوي العنيف. ومن لدنه: من عند الله وبأمره. ويبشر: يبلّغ الخبر السارّ. والمؤمنون: المصدّقون بيقين. ويعملون: يكتسبون. والصالحات: الأعمال التي حسّنها الشرع. والأجر: الثواب. والحسن: الجميل. وهو الجنة. ٢ ماكثين أي: مقيمين. وفيه: في الأجر. والأبد: الزمن غير المتناهي. ٣ اتّخذ الله: صنع لنفسه. والولد: الأولاد من ذكور وإناث. ٤

المعنى العام: عندما سمع بعض أهل الكتاب آيات من القرآن الكريم، آمنوا وذكروا أنه جاء مصدّقًا التوراة والإنجيل، فنزلت هذه الآيات بحمد الله أن أوحى القرآن متقنًا مستقيًا لإنذار الكافرين بالعذاب العظيم من عنده، وتبشير المؤمنين الصالحين العاملين للخير والمعروف بالخلود في نعيم الجنة. فهو يهدّد مشركي اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين، لِما زعموا من بنوّة عُزير والمسيح والملائكة لله...

تفسير المفردات: ما لهم به من علم: ليس للمشركين معرفة يقينية بزعم أولاد لله. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجدّ. وكبرت: عظمت جدًّا في الباطل. والكلمة: عبارة الشرك. وتخرج: تُلفظ. والأفواه مفرده فُوهٌ. وهو الفم. وإن يقولون: ما يقولون. والكذب: المكذوب من الباطل. ٥ لعلك: يُشفَق عليك وتُنهى. والباخع: المُهلِك. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. وعلى آثارهم: بعد تولّي الكافرين عنك. والآثار: جمع أثر. ويؤمنوا: يصدّقوا. وهذا الحديث: القرآن الكريم. والأسف: الغيظ والحزن والتلهف. ٦ جعلنا: صيّرنا. وما على الأرض: ما على موطن الحياة الدنيا، من الإنسان والحيوان والنبات والجماد. والزينة: التجميل. ونبلوهم: نختبر الناس ليظهر المحسن من المسيء. وأيُّهم أحسن: مَن منهم أجود؟ والعمل: ما يقوم به القلب واللسان والأعضاء. ٧ جاعلون: مصيّرون. وعليها: على الأرض. والصعيد: التراب المتفتّت. والجرز: اليابس لا يُنبِت. ٨ أم حسبت أي: بل أ ظننتَ، أيها المخاطَب ؟ الأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم كالساكن. والكهف: الغار في الجبل. والرقيم: اللوح الطينيّ يكتب عليه. والآيات: المُعجزات. والعجب: الغريبة العجيبة دون آيات الله في خلق الكون والحياة. ٩إذ أوى: حين التجأ. والفتية: جمع فتى. وهو الشابّ. وربَّنا: يا ربّنا. حذف حرف النداء لِـما فيه من معنى التنبيه.

الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

وآتنا: أعطنا. ولدنك: عندك. والرحمة: العطف بالإحسان. وهيّئ: يسّر. وأمرنا: شأننا الذي صرنا إليه. والرشد: الهداية والتثبيت على الإيمان والصلاح. ١٠ ضربنا: أوجدنا وألقينا حجابًا. والآذان: جمع أُذن، عضو السمع. والسنون: السنوات. والعدد: الكثيرة. ١١ بعثناهم: أيقظناهم من النوم. ولنعلم: لنُظهر لهم ويشاهَد ما علمناه من ضبطهم مُدّةَ لبثهم في النوم. وأيّ الحزبين يعني: مَن منهما ؟ والحزبان: الفريقان من أهل الكهف. وأحصى: ضبطَ الحِسبة وحفظها. وما لبثوا: المدّة التي أقاموا فيها نائمين. والأمد: مُدّة الزمن. ١٢ نقص: نسرد بالتفصيل. والنبأ: الخبر العظيم. والحق: الصدق. وآمنوا بربهم: اعتقدوا وحدانيته. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وزدناهم: أضفنا إليهم. والهدى: الإرشاد إلى الحق. ١٣ ربطنا على قلوبهم: شددنا عليها وقويناها. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. وقاموا أي: انتصبوا أمام المشركين ولم يسجدوا للأصنام. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ولن ندعو: لن نعبد ولن نطيع. ودونه: غيره. والإلّه: المعبود. وإذًا: إن دعونا غيره. والشطط: الإفراط في الكفر. ١٤ هؤلاء أي: المشركون. وقومنا: الجماعة التي نعيش معها. واتخذوا: صيّروا. والآلهة: المعبودات، جمع إلّه. ولولا: هلّا، للتحضيض والإنكار. ويأتون: يُحضرون. والسلطان: الحُجّة والبرهان. والبين: الظاهر. ومن أظلم: لا أحد أكثر تجاوزًا للحق. وافترى: اختلق واصطنع: والكذب: ما لا أصل له في الواقع.١٥

المعنى العام: أن الشرك بالله إنما حصل بجهل المشركين وآبائهم، وما أفظع ما يخرج من أفواههم في ذلك، من عبارة مكذوبة لا مثيل لها في الأباطيل ! وما هو إلّا كذب صُراح. وأنتَ ـ أيها النبيّ ـ يشفَق عليك أن تُهلك نفسك حزنًا لإعراض قومك، إن استمروا على الكفر. فاعلم أن ما في الكون فتنة لهم تظهر بها أعمالهم، وسوف نفني ذلك كله فيتلاشى.

ودعْ هذا الموضوع ـ أيها المخاطب ـ لأنه حق لا شك فيه، ولا تحسب قصة الكهف أعجب من خلق السماوات والأرض، وهم شُبّان جاهروا بالتوحيد، ولجؤوا إلى الكهف للنجاة من الشرك، وطلبوا الرحمة والهداية فاستجبنا دعاءهم وقضينا عليهم النوم وسدَّ أسماعهم سنوات كثيرة، ثم أيقظناهم لتظهر معرفتهم لما مضى عليهم. وقصتهم بالحق أنهم خالفوا قومهم المشركين وهديناهم ، وقوّيناهم حتى جاهروا بالتوحيدِ وتكفيرِ من حولهم لما هم عليه من الشرك، وجعلِهم أظلم الناس لافترائهم على الله...

تفسير المفردات: وإذ اعتزلتموهم أي: لأنكم خالفتموهم وفارقتموهم. ويعبدون: يقدسونه ويطيعونه من المخلوقات. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وائْوُوا إلى الكهف: التجئوا إلى غار في الجبل. وينشر: يوسّع. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والرحمة: العطف بالإحسان. ويهيئ: ييسّر. والأمر: الشأن والحال. والمِرفق: العون من حاجات الحياة. ١٦ ترى: تبصر عِيانًا، أيها الإنسان المشاهد لهم. والشمس: النجم النهاري. وطلعتْ: ظهرت. وتزاورُ: تتزاورُ: تميل. حذفت التاء الثانية للتخفيف. وذات اليمين: نحو يمين الكهف. وغربت: دنت من المغيب. وتقرضهم: تتجاوزهم. وذات الشمال: نحو شِمال الكهف. والفجوة: المتّسع. ومنه أي: من الكهف. وذلك: أي: شأنهم المذكور. والآيات: دلائل الألوهية والقدرة. ويهدي: يُرشده إلى الحق. والمهتد: المهتدي،المخلص في إيمانه. حذفت الياء للتخفيف وإتّباعًا لرسم المصاحف. ويضلل: يدعْه في الكفر ولا يرشده. ولن تجد: لن ترى. والوليّ: من يتولى أمره ويعينه. والمرشد: الذي يدل على الخير. ١٧ تحسبهم: تتوهّمهم. والأيقاظ: جمع يَقِظ. وهو الصاحي غير النائم. والرقود: جمع راقد. وهو النائم. ونقلّبهم: نقدّر لهم التقلُّب. واليمين: يمينهم. والشمال: شمالهم. والكلب: الحيوان المعروف بالوفاء والحراسة. وباسط ذراعيه: مادٌّ يديه مسترخٍ على الأرض في نومه. والوصيد: ما اتسع في أول الكهف. واطّلعتَ عليهم: نظرتَ إليهم. ووليت: أعرضت بنفسك وجسمك. والفرار: الهرب. وملئت: امتلأت نفسك. والرعب: الفزع. ١٨ كذلك أي: مثل ما ذكرنا من التقدير. وبعثناهم: أيقظناهم من النوم. ويتساءلون: يسأل بعضهم بعضًا. وكم لبثتم: كم يومًا بقيتم في النوم ؟ وقالوا أي: المسؤولون منهم.واليوم: النهار والليل. وبعض يوم: قطعة من زمنه. وأعلم: أصح علمًا. وابعثوا: أرسلوا. وأحدَكم: واحدًا منكم. والورِق: الفضّة المضروبة عُملة للتداول. والمدينة: بلدة طَرَسوس. وينظر: يتدبر ويعلم. وأيّها أزكى: أيّ أطعمة المدينة أحلّ ؟ ويأتيكم برزق: يجيء إليكم بما يتيسّر من الطعام والحاجات. ويتلطّف: يتكلّف اللطف والتأنّي في المعاملة. ولا يشعرنّ: لا يعملنّ ما يؤدّي إلى الشعور. وبكم: بما أنتم عليه من العقيدة. ١٩ إنهم أي: الكفّار أهل المدينة. ويظهروا عليكم: يطّلعوا على أمركم من الإيمان ومخالفة الشرك. ويرجموكم: يقتلوكم رميًا بالحجارة. ويعيدوكم: يصيّروكم بالقوة. والملة: دين الكفر والشرك. ولن تفلحوا: لن تظفروا بخير. وأبدًا: على مدى الزمن في الدنيا والآخرة.٢٠

ربع الحزب ٣٠

سُورَةُ الكَهْفِ — الجُزْءُ الخَامِسَ عَشَرَ

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا
﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ
مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن
يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم
بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ
لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

المعنى العام: متابعة ما قاله الفتيان بأن أمر بعضهم بعضًا باللجوء إلى الكهف، لأنهم خالفوا بالتوحيد ما عليه قومهم من الشرك، معتمدين على الله أن يمدهم بالعون وييسّر لهم أسباب العيش. ولو راقبتهم ـ أيها المخاطَب ـ وهم في الكهف راقدون في فُسحة منه لرأيت الشمس تنحرف عنهم صباحًا وعصرًا، لاتجاه الكهف نحو الجنوب. فهي تقابل يمينه صباحًا وشِماله قبل الغروب، وتدخله ظهرًا دون أن تتوجه إليهم. وذلك بتقدير الله وهدايته.

وقد تيسّرتْ لي منذ سنوات زيارة الكهف في طَرَسوس، بين أنطاكية وحلب على ساحل البحر ـ وكان اسمها من قبل أُفسوس ـ فشاهدته كما قلتُ، وصلّيت في المسجد قربه. والحمد لله. ولو رأيتَهم ـ أيها المخاطب ـ لظننتهم يقظين لتفتّح أعينهم، مع أنهم نائمون، يتقلبون يمنة ويسرة، وكلبهم منبسط بنومه على الأرض في ساحة الكهف الأمامية، ولوليتهم ظهرك وهربت ممتلئًا بالفزع منهم.

ثم أيقظناهم بآية معجزة كآية إنامتِهم، وتساءلوا عن مدة نومهم، وظنوا أنها يوم أو ساعات منه، ثم فوّضوا ذلك إلى الله، واتفقوا أن يرسلوا بما معهم من الدراهم القديمة من يختار لهم الحاجات الطاهرة البعيد من الظلم والشرك، وأوصوه بالتلطف والكياسة في المعاملة لئلا يشعر بأمرهم الناسَ، فيقتلوهم أو يجعلوهم كافرين فاقدين للخير أبدًا.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟
ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ
إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا
﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

تفسير المفردات: كذلك أي: كما بعثناهم بعد نومهم. وأعثرنا: أطلعنا الناس من مؤمنين وكافرين. ويعلموا: يدرك الناس باليقين. والوعد: التعهّد بما سيكون. والحق: الصدق الثابت. والساعة: القيامة. والريب: الشك. وفيها: في مجيئها. وإذ يتنازعون: حين يختصمون ويتداولون. وأمرهم: شأن الفتية. وقالوا أي: الكفار بعد موت الفِتية. وابنوا عليهم بنيانًا: شيّدوا حولهم بناء يغطيهم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح خلقه. وأعلم: أدقّ وأصحّ علمًا. وقال الذين غَلَبوا أي: المؤمنون الذين تغلّبوا في الخصام. ونتخذ عليهم: نبني قربهم. والمسجد: المكان للصلاة. ٢١ سيقولون أي: بعض المتنازعين أيّام النبوّة في عدد الفتية. وثلاثة أي: هم ثلاثة. ورابعهم كلبهم أي يصير عددهم مع الكلب أربعة. ويقولون أي: بعض آخر. ورجمًا بالغيب: رميًا للرأي فيما غاب عنهم دون علم. وقل أي: للمختلفين، أيها النبيّ. والعِدّة: المعدود. وما يعلمهم: ما يعرف حقيقة عددهم. وقليل أي: عدد يسير من الخلق. ولا تمار فيهم: لا تجادل بسببهم. وظاهرًا أي: بما أوحي إليك من غير تجهيل ولا تعنيف. ولا تستفت فيهم: لا تطلب الحكم فيما يشكِل عليك من أمرهم. ومنهم: من اليهود والنصارى. ٢٢ لا تقولن لشيء أي: لا تذكرنّ عن شيء يمكن وقوعه. وفاعل: منفّذ. وغدًا: في اليوم التالي. ٢٣ أن يشاء الله أي: مصاحبًا إرادة الله لوقوعه. واذكر ربك أي: قل: إن شاء الله. وإذا نسيت: حين تنسى ذكر المشيئة. وعسى: أترجّى وأتوقّع. ويهدين: يهديني أي: يرشدني. حذفت الياء للتخفيف. ولأقرب أي: إلى شيء أدنى وأعظم. وهذا أي: الأمر الذي تحدثتَ عنه. والرشد: الهداية إلى الحق. ٢٤ لبثوا: بقُوا. والكهف: المغارة في الجبل. والسنون: السنوات، جمع سنة. وازدادوا: أُضيف إلى الثلاثمِائَةِ. ٢٥ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وما لبثوا: مُدّة بقائهم في الكهف. والغيب: ما غاب عن حواس الخلق وإدراكهم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وأبصر به وأسمع: ما أبصرَه وما أسمعَه بكل موجود وحاصل ! وما لهم: ليس لأهل السماوات والأرض. ودونه: غير الله. والوليّ: الناصر والمعين. ولا يشرك في حكمه أحدًا: لا يجعل الله مخلوقًا مشاركًا له في الملك والأمر والقضاء. ٢٦ اتل: اقرأ وبلّغ. وأُوحي: أُنزل على لسان جبريل مع التكفّل بالتبليغ والحفظ والبيان. والكتاب: القرآن الكريم. والمبدّل: القادر من الخلق على التبديل. والكلمات: الآيات وما فيها. ولن تجد: لن ترى. ومِن دونه: مِن عند غيره. والملتحد: الملجأ. ٢٧

المعنى العام: متابعة قصة أهل الكهف بأن الله يسّر عثور الناس عليهم، كما يسّر نومهم ويقظتهم، ليعلم الناس تحقق وعد الله بالبعث دون شك، فاختلفوا وأراد الكافرون أن يبنوا فوقهم بعد موتهم بناء يسدّ الغار ويمسح ذكرهم، ولكن تغلب رأي المؤمنين فبنوا حولهم مسجدًا للتذكير بأمر الله. وسيختلف أهل الكتاب في عدد الفتيان: ثلاثة أو أربعة أو خمسة ـ وصوابه سبعة ـ فرُدَّ ذلك إلى علم الله ـ أيها النبيّ ـ ولا تجادلهم إلّا بلطف، ولا تستعن في ذلك بما عندهم.

ولمّا سأل أهل مكة النبي ﷺ عن خبر أهل الكهف ووعدهم بالغد، من دون قول: «إن شاء الله»، نزلت الآيتان ٢٣ و ٢٤ تأديبًا له ولأُمّته بوجوب ردّ الأمور إلى مشيئة الله بذلك القول، تقييدًا للأمر المحتمل وتوكيدًا للمحتّم، ووجوب ذكره فيما يُستقبل حين نسيانه، ولو بعدَ حين، مع الترجي أن ييسر الله الهداية إلى الصواب.

أما الفتية فقضوا في الكهف ٣٠٠ سنة شمسية، أي ٣٠٩ سنوات قمرية. ومع هذا فعلم الله أوفى وأصح في تلك المُدّة وغيرها من أُمور الكون، لأنه علم عظيم عجيب جدًّا، خارج عن حدّ ما عليه بصر وسمع المخلوقات كلها. والمراد بالتعجب هنا الإخبار بما في ذلك من استعظام أمر خفيَ على الخلق سببه، وليس لهم معين غيره. فبلغْهم ـ أيها النبيّ ـ ما أُوحي إليك، وهو يحفظه دون تبديل إلى الأبد، وهو أيضًا الملجأ الوحيد لك في جميع الأحوال.

تفسير المفردات: اصبر نفسك: صبّرها لتحمل الشدائد، أيها النبيّ. ويدعون: يعبدون ويوحّدون. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والغداة: أول النهار. والعشي: آخره. ويريدون وجهه: يطلبون بعبادتهم وجه الله مخلصين. ولا تعدُ عيناك: لا تنصرف بنفسك. وتريد: تطلب. والزينة: ما يُتزين به. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس لأنهم فيها. ولا تطع: لا توافق. وأغفلنا قلبه: شغلناه بالضلال وصرفناه. وذكرنا: تذكّر الله وصفاته مع التسبيح والتهليل والحمد. واتبع هواه: انقاد لما تشتهيه نفسه. وكان: صار. والأمر: الشأن في جميع أعماله. وفرطًا أي: ضائعًا مسرفًا في مجاوزة حد الصواب. **٢٨** قل أي: للكافرين. والحق: الصدق الثابت. ومن ربكم أي: حاصل من عنده. وشاء: أراد الإيمان. ويؤمن أي: يصدّق الله ورسوله ويعرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وشاء: أراد الكفر بالتوحيد والبعث. وأعتدنا: هيّأنا. والظالمون: الكافرون. والنار: نار جهنم. وأحاط بهم: كان من جميع جوانبهم. والسرادق: جدار من النار والدخان. ويستغيثوا: يطلبوا الإنقاذ. ويغاثوا: يقدّم لهم. والماء: ما يُشرب. والمهل: عكر الزيت بأعلى درجات الحرارة. ويشوي: يحرق. والوجوه: جمع وجه. وهو ما يستقبل به الإنسان غيره من رأسه. وبئس: بلغ الغاية في السوء والبؤس والشقاء. والشراب: ما يُشرب. وساءت: بلغت النار الغاية من السوء والشرّ. والمرتفق: مكان الراحة والانتفاع. **٢٩** آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزم عنه.

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن
شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ
وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ
لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ
لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ
تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

وعملوا: اكتسبوا بالنية أو القول أو الفعل. والصالحات: الأعمال التي حسّنها الشرع. ولا نضيع: نؤدي بالكمال. والأجر: المكافأة. وأحسن عملًا: جاء بعمله على ما يرضاه الله. **٣٠** أولئك: الموصوفون في الآية الماضية. والجنّات: الحدائق العظيمة بالنعيم الأبدي. والعدن: الإقامة الدائمة. وتجري: تسيل وتتدفّق. ومن تحتهم: من تحت مساكنهم. والأنهار: جمع نهر. ويحلون: يزيَّنون. والأساور: جمع أسورة. والأسوِرة: جمع سِوار، ما يوضع في المعصم من الزينة. ويلبسون: يرتدون. والثياب: جمع ثوب، ما يلبس. والخضر: جمع أخضر. والسندس: ما رقّ من الحرير. والإستبرق: الغليظ من الحرير. ومتكئين أي: مضطجعين بارتياح وطمأنينة. والأرائك: جمع أريكة، السرير في البيت المزيّن بالستور. ونعم: بلغ الغاية في الخير والنعم. والثواب: المكافأة. وحسنت: بلغت الجنة الغاية في الجمال والحسن. **٣١** اضرب لهم: اجعل للمشركين، أيها النبيّ. والمثل: الشّبه تُبيَّن به حال الأمور الخفية بحالٍ واضحة. ورجلين أي: ذكرين من البشر. وجعلنا: صيّرنا. وأحدهما: واحد منهما. والجنّة: البستان العظيم. والأعناب: جمع عنب، ثمر الكرمة. وحففناهما بنخل: جعلنا النخل محيطًا بكل منهما. والنخل ثمره التمر بأنواعه. وجعلنا: خلقنا وأنبتنا. والزرع: ما يزرع للغذاء والزينة والدواء. **٣٢** كلتا الجنتين: كل واحدة منهما. وآتت: أعطت. والأُكل: ما يؤكل. ولم تظلم: لم تنقص. وفجّرنا: شققنا. وخلالهما: بينهما. والنهر: المجرى العظيم من الماء. **٣٣** له أي: للرجل المذكور قبل. والثمر: ما يزيد وينمو من المال كالنقد والمواشي. وصاحبه: الرجل الثاني المذكور قبل. ويحاوره: يجاوبه ويفاخره. وأكثر: أغنى. وأعزّ: أقوى. والنفر: واحده نافر من ينفر مع الرجل لعونه. **٣٤**

الحزب ٣٠

المعنى العام: طلب بعض المشركين إبعاد مساكين المؤمنين عن مجلس النبي ﷺ ليجالسوه فنزلت الآيات ٢٧ ـ ٢٩، بوجوب اصطحاب المؤمنين العابدين كل وقت من النهار، وعدم الانصراف عنهم إلى متاع الحياة وقول الكافرين الغافلين، وأن يهدِّد هؤلاء بأن يختاروا بين الإيمان الذي ثوابه جنات الخلود مع فاخر الزينة والثياب والمجالس المريحة الفاخرة، ما أجودها مكافأة وأحسنها منزلًا ! وبين الكفر الذي جزاؤه جهنم والمهل الملتهب يشوي الوجوه، ما أبأسه وأسوأ جهنم من منزل ! وأن يوضّح حال المكابرين والمؤمنين بقصة رجلين من بني إسرائيل، أحدهما كافر كان له بستانان عامران بالخيرات الدائمة، لما فيهما من الثمار والمياه الجارية، فتبجّح أمام الآخر لأنه أغنى منه وأقوى، بما عنده من المال والأولاد والأملاك المختلفة...

تفسير المفردات: دخل جنته: طاف مع صاحبه في بستانه العظيم. وظالم لنفسه: معرّض إيّاها بالكفر لغضب الله ونقمته. وقال أي: لصاحبه. وما أظن: ما أعتقد. وتبيد: تنعدم. وهذه أي: الجنّة في الدنيا. والأبد: ما لا ينتهي من الزمن. **٣٥** ما أظنّ الساعة: لا أعتقد أن حياة البعث للحساب. وقائمة: كائنة وحاصلة. ولئن أي: أُقسِمُ إن. ورُددت: أُرجِعت بعد الموت. وإلى ربي: إلى لقاء موعد حسابه. وأجد: أرى. وخيرًا: أكثر انتفاعًا. ومنها: من جنّة الدنيا. والمنقلب: العاقبة لِما أنا عليه. **٣٦** الصاحب: الرجل الثاني مصاحبًا للأول. ويحاوره: يجاوبه. وأكفرت: كيف تكفر؟ وخلقك: أوجدك. والتراب: ما تفتّت من وجه الأرض. والنطفة: القطرة الدقيقة من ماء الرجل والمرأة في الجماع. وسوّاك: صيّرك باعتدال. والرجل: الذكر من البشر. **٣٧** لكنّا أي: لكنْ أنا. حذفت الهمزة للتخفيف وأدغمت النون في الثانية. وهو أي: الشأن والأمر الذي نتحدث عنه. والله: المعبود بحق وحده والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ولا أشرك به: أوحّده ولا أجعل له شريكًا. وأحدًا أي: مخلوقًا. **٣٨** لولا: هلّا. للزجر والتوبيخ. وإذ دخلت: حين دخلت. وما شاء الله: ما أراده الله كان. والقوّة: القدرة على كل عمل. وبالله أي: بعونه وإرادته. وترنِ: ترني أي: تجدني. حذفت الياء للتخفيف. وأقل: أدنى في العدد.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

والمال: ما يملك من المتاع والزينة. والولد: الأولاد. والواحد بلفظه أيضًا. وعسى: أترجّى. ويؤتينِ: يؤتيني أي: يعطيني. وحذفت الياء للتخفيف. وخيرًا: أفضل. ويرسل عليها: يبعث على جنّتك. والحسبان: واحدته حُسبانة، الصاعقة. والسماء: ما يحيط بالأرض من أجرام. وتصبح: تصير. والصعيد: الأرض. والزلَق: الملساء. **٤٠** ماؤها: النهر الذي يجري فيها. والغور: الغائر. ولن تستطيع: لا تقدر ولا تملك. والطلب: الإدراك والتحصيل. **٤١** أُحيط بثمره: أصاب ثمرَ النبات دمارٌ من كل جانب. وأصبح: صار صاحب البستان. ويقلب كفّيه: يحرّكهما وجهًا لظهر، ويضرب إحداهما على الأُخرى. وعلى ما أنفق: بسبب ما بذله من المال والعناية. وهي أي: الجنّة. والخاوية: الساقطة. والعروش: جمع عَرش، ما يُنصب كالجدران والسقف تمتد عليه فروع الأشجار. ويا ليتني: أتمنّى. ولم أشرك بربي: لم أعبد ولم أعتزّ بغيره. **٤٢** الفئة: الجماعة. وينصرونه: يدفعون عنه العذاب. ودون الله أي: غيره. ومنتصرًا: قادرًا على ما عجزت عنه أعوانه. **٤٣** هنالك أي: يوم القيامة. والولاية: الملك والتسلط. والحقّ: المتحقّق الثابت وجوده أزلًا وأبدًا. وهو أي: الله. وخير: أكثر نفعًا وأدوم. والثواب: المكافأة. والعقب: العاقبة والنهاية لمن يتولاه. **٤٤** اضرب لهم: اجعل لقومك، أيها النبي. مثل الحياة: صفتها وحالها. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. وكماء أي: شِبهَ صفةِ ماءٍ وحالِه. وأنزلناه: أسقطناه. والسماء: السحاب. واختلط: امتزج. والنبات: ما ينبت من شجر وغيره. وأصبح: صار. وهشيمًا أي: يابسًا متكسّرًا. وتذروه: تنسفه وتفرّقه. والرياح: جمع ريح، الهواء المتحرك بشِدّة. وكان أي: ولا يزال من دون قيد زماني. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والمقتدر: العظيم الاقتدار بذاته.**٤٥**

المعنى العام: أن صاحب البستان في الدنيا طاف فيه مع صاحبه كافرًا بالبعث يدعي أن بستانه سيبقى أبدًا، وأنه لا بعث بعد الموت وإن بُعث نال خيرًا منه بكرامته، فوبخه صاحبه على كفر خالقه، معترفًا بالإيمان والتوحيد، وذكّره أن واجبه نسبة النعم والقوة إلى الله، وأن ما يرى من فقر صاحبه لا يمنع أن يُنزل الله بالبستان ما يمحقه ويذهب بمائه، دون أن يستطيع الدفاع عنهما. وفعلًا تهاوت الأشجار والعرائش والأبنية برياح ماحقة، فصار صاحبها يتأسف ويتمنى أنه لم يكفر. ويوم القيامة لسوف يجد حكم الله بالعدل على ما كان.

فاجعل لقومك ـ أيها النبيّ ـ شَبه حياتهم بالنبات الحاصل من الماء، يكون فيه الاخضرار فالتحطم والضياع بما تثيره الرياح. والله مقتدر على ذلك وغيره من الأحوال. فلا يغترَّ الناس بما في الحياة من متاع زائل، وينسوا ما يكون في الآخرة.

تفسير المفردات: المال: ما يملك من النقد والمتاع والزخارف. والبنون: الأبناء. والزينة: ما يُتزين به ويفاخَر. والحياة: المعيشة. والدنيا: التي يعيش فيها الناس. والباقيات: الدائمات أبدًا. والصالحات: الأعمال التي يرضاها الله. وخير: أكثر وأعظم. وعند ربك: في حكمه وقضائه. والثواب: المكافأة. والأمل: الرجاء والترقب. **٤٦** يوم نسيّر: اذكرْ حين ننسف ونفتّت. والجبال: جمع جبل، ما غلظ وارتفع من الأرض. وترى: تبصر عِيانًا ـ أيها المخاطَب حينئذ ـ والأرض أي: سطحها. والبارزة: الظاهرة بدون حواجز. وحشرناهم: أخرجنا الناس من القبور بالبعث. ولم نغادر: لم نترك. وأحدًا أي: فردًا. **٤٧** عُرضوا: أُوقفوا للحساب. والربّ: الخالق المالك المتفرد. والصف: الصفوف. وجئتم: حضرتم حقيقة. وكما خلقناكم: مثلَما أوجدناكم من العدم. وأول مرة أي: أول خلقة في الأرحام. وزعمتم أنْ: ادّعيتم أنّه. ولن نجعل: لن نحقّق. والموعد: مكان الوعد وزمانه للحشر. **٤٨** وُضع: أُحضر في أيدي أصحابه. والكتاب: ما كتب عن البشر في الدنيا. والمجرمون: الذين اقترفوا الكفر والجرائم. ومشفقين أي: فزعين. وفيه أي: في الكتاب. ويا ويلتنا: يا هلاكنا، احضر الآن. وما لهذا الكتاب: ما أعجب أمره! ولا يغادر: لا يُهمل. الصغيرة: البسيطة من الحوادث. والكبيرة: العظيمة. وأحصاها: عدّها وأثبتها. ووجدوا: رأوا بأعينهم. وعملوا: اكتسبوه من نية أو قول أو فعل. والحاضر: المثبت في الكتاب. ولا يظلم: لا يجور بل يضع كل حكم موضعه من العدل. **٤٩** إذ قلنا: حين خاطبنا بالقول. والملائكة: مخلوقون من نور. والمفرد مَلَكٌ. واسجدوا أي: سجودَ تحية بالانحناء. وآدم: أبو البشر. وإلّا إبليس أي: لم يسجد. وهو أبو شياطين الجنّ. والجنّ: مخلوقات من النار. وفسق عن أمر ربه: خرج عن طاعته. وأتتخذونه: كيف تجعلون إبليس؟ والذرّيّة: الأبناء والأعوان. والأولياء: جمع وليّ. وهو الصديق يتولّى أمور غيره ويطاع. ومن دوني: بدلًا مني. والعدوّ: الأعداء. وبئس: بلغ الغاية في الشر والبؤس والشقاء. والظالمون: المجاوزون للحق بالعصيان. والبدل: العِوَض. **٥٠** ما أشهدتهم: ما أحضرتهم ليروا. والخلق: الإيجاد من عدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والأنفس: الأشخاص المخلوقة، جمع نفس. وما كنت أي: لم أكن وما أزال. والمتخذ: الجاعل والمصيّر. والمضلون: الداعون إلى العصيان. والعضد: ما بين المرفق إلى الكتف، تستعار للدلالة على المُساعد. **٥١** يوم يقول: وقت قول الله للمشركين على لسان ملائكة العذاب. ونادُوا: ادعوا واستحضروا. والشركاء: جمع شريك. وهو من يشارك غيره في صفاته وأفعاله. وزعمتم: جعلتموهم شركاء في الألوهيّة. ودعَوهم: نادوهم. ولم يستجيبوا لهم: لم يجيبوهم. وجعلنا بينهم: صيّرنا بين العابدين والمعبودين. والموبق: مكان الهلاك. **٥٢** رأى النار: صار أمام نار جهنم. وظنوا: أيقنوا. ومواقعوها أي: واقعون فيها ومخالطوها. ولم يجدوا: لم يروا. والمصرف: موضع الانصراف والهرب. **٥٣**

الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٠

المعنى العام: متابعة وصف الحياة بتوكيد ما في الآية الماضية، أن نعيم الدنيا زائل وأعمال الخير إذا أريد بها وجه الله أبقى وأنفع. فليتذكر الناس ما سيكون حين مسح وجه الأرض بما فيها من الجبال، وحشر الناس جميعًا للحساب مجردين من كل ما يملكون، خلافًا لما زعم الكافرون من إنكار البعث، وكما وُجدوا زمن الخلقة الأولى في الأرحام، وأُحضرت سجلّات الأعمال فيها كل ما كان منهم بالعدل المطلق، فيفزعون لِما جمعت من الأعمال دون إخلال بصغير أوكبير، ويتمنون أن يكون لهم الهلاك حينئذ.

وليذكروا أيضًا انحناء الملائكة لآدم بأمر الله، وعصيان إبليس معاديًا البشر. فلا يجوز لهم أن ينقادوا له ولسلالته لأنهم شرٌّ وبلي، وبعيدون عن السلطان والولاية والقيادة، ما شهدوا خَلق الكون ولا خلق أنفسهم، والله لا يحتاج إلى معين، ولا سيما إذا كان مضلًّا، وليذكروا ما سيكون من استعانتهم بالآلهة يوم القيامة دون جدوى، وحضورهم في جهنم بلا عون ولا نجاة.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟
إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِالْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ
الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ الْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

تفسير المفردات: صرّفنا: بيّنّا وفصّلنا. والقرآن: ما أُوحي على محمد ﷺ من الآيات الكريمة. والناس: البشر. والمثل: المعنى الغريب يشبه الأمثال المضروبة للاتعاظ. وكان أي: وما يزال. والإنسان: جنس البشر. والشيء: المخلوقات التي يكون منها تفكير. والجدل: المجادلة. **٥٤** ما منع الناس: ما أبعد الكفار. ويؤمنوا: يقبلوا تصديق توحيد الله ودعوة رسوله. وإذ جاءهم: حين أُنزل إليهم. والهدى: القرآن الكريم. ويستغفروا: يطلبوا ستر الذنوب والعفو عنها. وتأتيهم: تنزل بهم. والسُّنّة: العادة المتّبعة. والأولون: الأمم المستأصلة بالعذاب. ويأتيهم: يصيبهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وقُبُلًا: جماعات من الأنواع، جمع قَبيل. **٥٥** ما نرسل: ما نكلّف بالدعوة والعمل. والمرسل: من كلِّف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة. ومبشرين أي: مبلغين المؤمنين بالنعيم. ومنذرين أي: مهدّدين بالانتقام من الكافرين. ويجادل: يخاصم. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وبالباطل أي: معتمدين المختلَق الذي لا أصل له. ويُدحضوا: يُبطلوا. والحق: القرآن الكريم. واتخذوا: جعلوا. والآيات: النصوص القرآنية والحُجج الدالّة على التوحيد والبعث. وما أُنذروا: إنذارهم بالنار. وهزوًا: سخريّة. **٥٦** من أظلم أي: لا أحد أكثر تجاوزًا للحق. وذُكِّر: وُعظ. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأعرض عنها: انصرف عنها ولم يدرك ما تدلّ عليه. ونسي: تجاهل. وما قدّمت يداه أي: ما اكتسب هو من قول أو عمل. وجعلنا: صيّرنا. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. والأكنّة: جمع كِنان، الغِطاء. وأن يفقهوه: لئلّا يفهموا القرآن الكريم. والآذان: جمع أُذن، عضو السمع. والوقر: الصمم. وتدعوهم: تحضّهم. والهدى: الرشاد. ولن يهتدوا: لن يستجيبوا ولن يصلحوا. وإذًا أي: نتيجة للغِطاء والصمم. وأبدًا: مُدّة حياتهم. **٥٧** الغفور: الكثير السترِ للذنوب والتجاوزِ عنها. وذو الرحمة: المتفرد بالعطف والإحسان المتميّزين. ويؤاخذهم: يريد عقاب الكافرين. وبما كسبوا أي: بسبب ما اقترفوه من الكفر. وعجّل العذاب: أوقعه سريعًا. وبل لهم أي: لكن لهم. والموعد: زمن الوعد. ولن يجدوا: لن يروا. ومن دونه أي: قبل العذاب. والموئل: النجاة. **٥٨** القرى: جمع قرية، أي: أهل البلدان وهم المكذّبون. وأهلكناهم: استأصلناهم بالعذاب. ولمّا ظلموا: حين كفروا. وجعلنا: عيّنّا. ومَهلكهم: هلاكهم. والموعد: الزمن المحدد. **٥٩** إذ قال موسى أي: اذكر لقومك ـ أيها النبي ـ وقت قوله. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. وفتاه: خادمه وتلميذه. ولا أبرح: لا أزال أسير. وأبلُغ مجمع البحرين: أصل إلى مكان التقاء بحر العرب وبحر فارس. وأمضي: أسير. والحقب: الدهر الطويل. **٦٠** بلغا: أدركا. والبين: الافتراق. ومجمع بينهما: مكان اجتماع البحرين المذكورين. ونسيا: أغفلا بالنوم. والحوت: السمكة من البرْمائيّ. واتخذ سبيله: انطلق الحوت في طريقه. والسرب: الكوّة المسدودة بالماء. **٦١**

المعنى العام: أن الله عرض في القرآن الكريم أمثالًا متنوعة ليتعظ الناس بها فاعترضوا وجادلوا، والإنسانُ أكثر العاقلين في الاعتراض والمجادلة. وإنما امتنع الكافرون من الإيمان والاستغفار حين جاءتهم الدعوة، امتنعوا لتنالهم سُنّة الله بأنواع العذاب. فهو يرسل من يبشرهم وينذرهم ولكنهم يجادلون بالباطل لدفع الحق، ويسخرون بالدعوة والدعاة. إنهم أظلم أهل الأرض بكفرهم وتجاهُلِ ما هم فيه من الفساد، قلوبهم محجوبة لا تفهم، وآذانهم مغلقة لئلّا يسمعوا القرآن سماع انتفاع، ولن يهتدوا. ولو عاقبهم الله بما يستحقون لأهلكهم سريعًا، وإنما يؤجلهم لموعدهم المحدّد. وهذه بلاد من قبلهم دُمّرت في مواعدها بالعقاب الرباني.

واذكر قصة موسى مع الخَضِر ـ أيها النبيّ ـ لِما فيها من العِبَر، حين بلّغ موسى تلميذه يوشع ابن أخته أنه يطلب ملتقى البحرين في جنوبيّ العراق عند مصب الفرات ودجلة، ولمّا ناما هناك غفلا عن تفقُّد حوت اصطاداه ، فارتدّ إلى البحر يشق الماء في مثل الكوّة مسدودةَ الآخِر لا نفوذ منها.

تفسير المفردات: جاوزا: غادرا ملتقى البحرين. وقال أي: موسى. وفتاه: يوشع بن نون. وآتنا: قدّم لنا. والغداء: ما يؤكل أول النهار. ولقينا: صادفنا وتحمّلنا. والسفر: التنقل. والنصب: التعب. ٦٢ قال أي: الفتى. وأرأيتَ: أعلمتَ ما جرى ؟ أي: أتذكر؟ وإذ أوينا: حين لجأنا. والصخرة: القطعة الضخمة من الحجر.؟ ونسيتُ الحوتَ: نسيت إخبارك ما جرى للسمكة. وأنسانيهُ: شغلني عنه بالوسوسة. وضم الهاء هنا لغة الحجازيين. والشيطان: من نسل إبليس يَشغل عن الخير. وأذكره أي: أُحدّثك عنه. واتخذ سبيله: انطلق الحوت في طريقه. والبحر أي: مجمع البحرين. وعجبًا أي: مُدهشًا من يراه. ٦٣ قال أي: موسى. وذلك أي: ما جرى للحوت. ونبغِ: نبغي أي: نطلبه لأنه علامة لمكان أقصده. وحذفت الياء تبعًا لرسم المصاحف. وارتدّا على آثارهما أي: رجعا على طريقهما من حيث جاءا. والآثار: جمع أثر، ما يتركه الإنسان من تأثير في الأرض بمشيه. والقصص: الاتبّاع. ٦٤ وَجدا: لقيا. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وتصرفًا وتعبدًا. وهو الخَضِر، نبي من بني إسرائيل، اسمه إيليًا بن مَلْكان والخَضِر لقب له. وآتيناه: أعطيناه. والرحمة: العطف بالإحسان أي: النبوّة. وعلمناه: أوحينا إليه وألهمناه. ومن لدنّا أي: مما يخصنا ولا يعلمه أحد إلّا بتوقيفنا. والعلم: المعرفة الحقيقية. ٦٥ هل أتبعك: أ تسمح لي أن أصحبك؟ وعلى أن تعلّمن: شريطة أن تجعلني أتعلم. وحذفت الياء للتخفيف تبعًا لرسم المصاحف. وعُلِّمتَ أي: عَلَّمك الله إياه. والرشد: الهداية إلى الخير. ٦٦ قال أي: الخَضِر. ولن تستطيع: لن تقدر. والصبر: التحمّل بدون اعتراض. ٦٧ كيف تصبر أي: محال أن تتحمّل ولا تعترض. ولم تحط به: لم تعلم حقيقته. والخُبر: العلم اليقيني. ٦٨ قال أي: موسى. وتجدني: تبصرني وتراني. وشاء: أراد لي الصبر. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا أعصي: لا أخالف. والأمر: التكليف بشيء. ٦٩ قال أي: الخَضِر. واتبعتني: سرت معي. ولا تسألني: لاتفاتحني بالاستعلام أو الاعتراض. والشيء: ما يحصل من قول أو فعل. وأحدث ذِكرًا: أذكر بنفسي. ٧٠ انطلقا: تابعا السفر. وحتى إذا أي: فلمّا. وركبا في السفينة: صارا في سفينة بالبحر. وخرقها أي: بقلع لوح منها. وقال أي: موسى. وأخرقتها أي: فعلتَ ما لا يجوز بخرقها. وتغرق أهلها: تُميت الراكبين فيها خنقًا بالماء. وجئت شيئًا: فعلته. والإمر: الفظيع المنكر. ٧١ قال أي: الخَضِر. وألم أقل أي: لقد قلت لك. ٧٢ قال أي: موسى. ولا تؤاخذني: لا تعاقبني وسامحني. وبما نسيت أي: بسبب ما غاب عني. ولا ترهقني: لا تكلّفني. والأمر: الشأن والحال. والعسر: المشقّة. ٧٣ حتى إذا أي: فلمّا. ولقيا: صادفا. والغلام: الشابّ. وقتله: أزهق روحه الخَضِر. وأقتلتَ: كيف يجوز لك أن تقتل ؟ والنفس: الإنسان الحيّ. والزكية: التي لم تذنب. وبغير نفس: بدون قتل الإنسان نفسًا أُخرى مظلومة. والنكر: العظيم المنكر. ٧٤

الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

المعنى العام: متابعة قصة موسى ويوشع بأنهما غادرا ملتقى البحرين وطلب موسى الحوت للغداء، فحدثه يوشع عن رجوعه إلى الماء بالشكل العجيب، وكان نسي أن يذكر له ذلك قبل. وهو ما ينتظر موسى حدوثه.

وحينئذ رجعا إلى ذلك المكان فوجدا النبيّ العالِمَ الربانيّ الخَضِر، وطلب موسى مصاحبته ليتعلم منه هداية، وأجابه الخَضِر بعجزه عن تحمّل ما يرى من عمله دون معرفة سببه، واشترط عليه عدم الاعتراض عليه قبل أن يفسّر له ذلك بنفسه.

وعلى هذا تابعا الرحلة، فلما ركبا سفينة اقتلع الخَضِر لوحًا من أعلاها، فأنكر عليه موسى ذلك لأنه يسبب الغرق لمن فيها، وذكّره الخَضِر بالشرط بينهما، فاعتذر موسى وطلب الرفق والعفو وإعطاءه فرصة أُخرى. ثم تابعا رحلتهما، فلما وجدا في إحدى القرى شابًّا قتله الخَضِر، فوبّخه موسى على قتله، وهو لم يقترف ما يجيز له ذلك...

سورة الكهف — الجزء السادس عشر

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ
عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

تفسير المفردات: قال أي: الخضر. وألم أقل أي: لقد قلت . ولن تستطيع: لن تقدر. والصبر: التحمّل بدون اعتراض. **٧٥** قال أي: موسى. سألتك: بادرتك بسؤال أو اعتراض. وشيء أي: عمل أو قول تقوم به. وبعدها: بعد هذه المرّة. ولا تصاحبني: لا تتركني معك. وبلغتَ عذرًا: وجدتَ الحُجّة الكافية. ومن لدنّي: من جهتي. **٧٦** انطلقا: تابعا رحلتهما. وحتى إذا أي: فلمّا. وأتيا أهل قرية: دخلا بلدة أُناس. واستطعما: طلبا الضيافة بطعام. وأهلَها: جميع أهلها واحدًا واحدًا. وأبَوا: امتنعوا. ويضيّفوهما: يُنزلوهما عندهم للضيافة. ووجدا: رأيا. والجدار: الحائط المبنيّ. ويريد أي: يكاد. وينقض: يسقط. وأقامه: أصلحه الخَضِر بردّه معتدلًا كما يجب. وقال أي: موسى. وشئت: أردت أخذ الأجر. واتّخذت: تناولت. والأجر: المكافأة. **٧٧** قال أي: الخَضِر. وهذا أي: اعتراضك الأخير يوجب. والفراق: ترك الصحبة. وأنبّئك: أبيّن لك. والتأويل: إظهار ما كان خفيًّا. **٧٨** السفينة أي: التي خرقها الخَضِر. والمساكين: جمع مِسكين، من لا يملك ما يكفيه. ويعملون: يشتغلون بأجر. والبحر: ما اجتمع فيه ماء كثير. وأردت: قصدت. وأعيبها: أجعلها ذات نقص. ووراءهم: أمامهم. والملك: الحاكم المستبدّ. ويأخذ: ينتزع. والسفينة: ما يُركب في البحر. والغصب: القهر والظلم. **٧٩** الغلام أي: الشابّ الذي قتله الخَضِر. وأبواه: أبوه وأُمّه. والمؤمن: من عرف قلبه التوحيد. وخشينا: خفنا. ويرهقهما: يكلّفهما شِدّة. والطغيان: مجاوزة الحدّ بالشر. والكفر: الجحود للإيمان والجميل. **٨٠** وأردنا: قصدنا. ويبدلهما: يرزقهما بديلًا. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وخيرًا منه: ولدًا نفعه أكثر. وزكاة أي: صلاحًا وتقوى. وأقرب رحمًا: رحمتُه أشدّ. **٨١** الجدار أي: الذي أصلحه الخَضِر. الغلامان: الطفلان الصغيران. واليتيمان: اللذان فقدا أباهما. والمدينة: البلدة التي زارها الخَضِر وموسى. والكنز: المال المدفون. والصالح: المؤمن يفعل ما يرضي الله. وأراد: قضى. ويبلغا: يدركا. والأشُد: كمال القوة والاقتدار. ويستخرجا: يُخرجا. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربك أي: من عنده وبفضله. وما فعلته: لم أقم بكل ذلك. وعن أمري أي: باختياري وتلقاء نفسي. وذلك أي: ما ذكرته لك. **٨٢** يسألونك: يطلب اليهود بيانًا منك، أيها النبيّ. وذو القرنين: الإسكندر ملك أعجمي من الصالحين هو غير المقدونيّ، عاش قبل موسى وكان الخَضِر وزيره، وله سدّ عظيم مشهور. وقل أي: لهم. وأتلو: أقص وأسرد. ومنه: من حاله. والذكر: الخبر. **٨٣**

المعنى العام: متابعة ما كان بين الخَضِر وموسى بأن الخضر عاتب موسى مرة ثانية على تعجله بالاعتراض، واعتذر موسى طالبًا إعطاءه فرصة أخيرة، يكون بعدها للخضر حق في الفراق لأنه يكون قد استقصى كل عذر. وفي طريق رحلتهما زارا قرية أبى جميع سكانها ضيافتهما بطعام، ثم وجدا فيها جدارًا مائلًا يكاد يسقط، وأصلحه الخَضِر حتى صار معتدلًا، واعترضه موسى أن يخدم هؤلاء البخلاء بدون أجر، فواجهه الخَضِر بتحقق المفارقة بينهما للمخالفة الثالثة والشرط المتفق عليه، ثم فسّر له الأحداث الثلاثة بقوله:

أما السفينة فيملكها مساكين يؤجّرونها ويعملون فيها ليعيشوا بالأجر، وملكُهم يغتصب كل سفينة صالحة، وثقبُها يحول دون ذلك، وأما الشابّ فعاقّ لأبويه المؤمنين ومشهور بأنه قاطع طريق وكافر للإيمان والجميل، وأراد الله أن يكون لهما ابن غيره فيه خير وصلاح، وأما الجدار فيملكه طفلان يتيمان وتحته كنز لأب صالح ، فأراد الله أن يُحفظ الكنز حتى يبلغا الشباب، ويستفيدا منه. فكل ما جرى من الخرق للسفينة وقتل الشابّ وإصلاح الجدار كان من تفضّل الله بخير على محتاجين لذلك، وليس من التصرفات الخاصة لي، وهو ما لم تصبر عليه حتى تعرف حقيقته.

ولما سأل اليهود النبي ﷺ عن إسكندر ذي القرنين تعجيزًا نزلت الآيات بأن يخبرهم بعض ما يسر الله له من السلطان والأعمال العظيمة في حياته.

الجزء السادس عشر — سورة الكهف

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا
لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ
مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ
سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ
وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ
قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا
﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾

تفسير المفردات: مكّنّا له: ثبّتنا له التمكّن والملك. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وآتيناه: أعطيناه ويسّرنا له. والشيء: ما هو موجود حينذاك. والسبب: الطريق الموصل إلى المراد. ٨٤ أتبع سببًا: جدّ في اتخاذ الأسباب والعمل. ٨٥ حتى إذا بلغ: فلمّا وصل وأدرك. ومغرب الشمس: مكان غروبها أي: غرب إفريقية. ووجدها: رأى الشمس. وتغرب: تغوص. والعين: الماء الكثير، أي: ماء البحر. والحمئة: السوداء كأن فيها الطين. وعندها: قرب الماء المذكور. والقوم: الجماعة من الناس. وقلنا أي: ألهمه الله. وتعذّب: ترهق القوم بشِدّة أو قتل إذا أنكروا الإيمان. وتتّخذ: تجعل وتستعمل. والحُسن: العمل فيه اللطف والإرشاد. ٨٦ قال أي: ذو القرنين في نفسه. وظلم: أصرّ على الكفر والظلم. ويُردّ: يصير في الآخرة. وإلى ربه: إلى لقاء حسابه يوم القيامة. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعذاب: التعذيب في جهنم. والنكر: الشديد. ٨٧ آمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب من النية أو القول أو الفعل. والصالح: ما يرضاه الله. والجزاء: المكافأة. والحسنى: أفضل الثواب، أي: الجنة. ونقول له أي: نخاطبه ونعامله. ومن أمرنا يسرًا أي: مما نيسّره له من التصرّف. ٨٨ أتبع أي: جدّ في مسيره نحو الشرق. ٨٩ مطلع الشمس: موضع طلوعها، البلاد التي تشرق الشمس عليها أولًا من الهند وما حولها. وتطلع: تُشرق. ولم نجعل: لم نيسّر. ومن دونها أي: بينها وبينهم. والستر: السقف والألبسة الكافية. ٩٠ كذلك أي: هذا ما كان. وأحطنا: علمنا كل شيء. ولديه: عند ذي القرنين. والخبر: العلم الدقيق المفصّل. ٩١ أتبع سببًا: جدّ نحو شماليّ إيران. ٩٢ وبين السدين: ما يفصل كلًّا من الجبلين عن الآخر. ودونهما: أمامهما. ولا يكادون يفقهون قولاً: لا يفهمون بسرعة ما يقال من الكلام. ٩٣ قالوا أي: هؤلاء القوم المذكورون. ويأجوج ومأجوج: قومان مشهوران بالبدائية والعدوان والخِلقة الشوهاء. ومفسدون: عملهم الشرّ وإشاعته. وهل نجعل أي: أترضى أن نصيّر؟ والخرج: الأجر. وتجعل: تبني. والسد: الحاجز يمنع الاتصال والعدوان. ٩٤ ما مكّـنّي: ما مكّنني و بسط لي ويسر. أدغمت النون الأولى في الثانية. وخير: أكثر فائدة من الأجر. وأعينوني: ساعدوني. والقوة: ما يُتقوّى به من عمال وحاجات. والردم: الحاجز الحصين. ٩٥ آتوني: أحضروا لي. والزبر: القِطَع. والحديد: المعدن الأسود المعروف. وحتى إذا أي: فلمّا. وساوى بين الصدفين: ملأ ما بين جانبَي الجبلين المتقابلين. وانفخوا: أثيروا الهواء بالمنافيخ. وجعله نارًا: صيّر الحديد ملتهبًا كالنار. وأفرغ: أصبّ. والقطر: النحاس المُذاب. ٩٦ ما اسطاعوا: لم يستطع يأجوج ومأجوج. ويظهروه: يعلوا ظهر الردم للغزو. وما استطاعوا: لم يستطيعوا. والنقب: الخرق من أسفل. ٩٧

المعنى العام: متابعة ما كان من إسكندرالمقدونيّ ذي القرنين، بأن هيّأ الله له سلطانًا في الأرض وقدرات على التصرف فائقة، فتوجه نحو غرب إفريقية حتى أدرك آخر ما يمكن منه حيث رأى الشمس تغيب في البحر، وكأنها تغرق في طين أسود، وخيّره الله إلهامًا في معاملة الأقوام الكافرة هناك بالعذاب أو الإحسان، فكان له مع المصرّين على الكفر شِدّة ومع المؤمنين رحمة، وأخيرًا ينال الجميع حساب الله. ثم توجه نحو الشرق فوجد الأقوام البدائية في أقصاه معرّضين للشمس بلا حواجز أو قباب حافظة، والله عليم بكل ما كان من ذي القرنين مفصّلًا، يوجّهه نحو عمل الخير.

ثم انصرف ذو القرنين إلى الشمال حتى صار بين جبلين في بلاد الصين أو بين أرمينية وأذْربيجان، حيث الأقوام الأكثر بدائية وقصورًا في الفهم. فشكا هؤلاء إليه عدوان يأجوج ومأجوج عليهم، ورجوه أن يقيم دونهم سدًّا بأجر يدفعونه له، فأبى الأجر وطلب منهم معونته بالعمال والحديد، يذيبه بين الحجارة والصخور ويصبّ على ذلك ذائب النحاس، حتى بنى لهم سدًّا لا يستطيع المعتدون له صعودًا أو اختراقًا للغزو.

تفسير المفردات: قال أي: ذو القرنين. وهذا أي: الردم. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربي: من عنده وبأمره. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وجاء: قُضي. والوعد: الوقت المقدّر لطغيان الأقوام الباغية الماحقة. وجعله دكّاء: زلزله ونسفه وصيّره مبسوطًا. وكان أي: وما يزال. ووعد ربي: ما وعد الخلق به مما سيكون. والحق: الواقع فعلًا بتحقّق. **٩٨** تركنا: جعلنا. وبعضهم: بعض الناس. ويومئذ: يوم تجاوُز الطغاة للسد ودكّه. ويموج: يصطدم ويتداخل لتنتهي الحياة الدنيا. ونفخ: دُفع الهواء بصوت يبعث الموتى. والصور. خلق عجيب يشبه القرن. وجمعناهم: حشرنا الإنس والجن والملائكة بالبعث. **٩٩** عرضنا جهنم: أبرزناها قريبة للرؤية. ويومئذ: يوم الحشر. والكافرون: المكذبون لوحدانية الله ودعوة رسوله. **١٠٠** الأعين: جمع عين، عضو البصر. والغطاء: الحِجاب. والذكر: التوحيد في الألوهيّة. ولا يستطيعون: لا يحتملون ولا يقدرون. والسمع: إدراك ما يقال من الهداية. **١٠١** أحسِبَ: لا يظنَّ. وكفروا: كذبوا التوحيد والدعوة. ويتخذوا: يجعلوا بلا عقاب لهم. والعباد: جمع عبد. وهو المخلوق المملوك قهرًا وتعبُّدًا. ودوني: غيري. والأولياء: الأرباب، جمع وليّ. وأعتدنا: هيّأنا. وجهنم: دار العذاب في الآخرة. والنزل: ما يُعدّ للإقامة. **١٠٢** قل أي: للكافرين، أيها النبيّ. ونُنبئكم: نخبركم. والأخسرون: الأشدّ خسارة ونتيجة. والأعمال: جمع عمل، ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. **١٠٣** ضل: بطَل وفسَد. والسعي: العمل. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منهم يعيشون فيها. ويحسبون: يظنّون. ويحسنون: يُتقنون. والصنع: العمل لنيل الجزاء. **١٠٤** كفروا: كذّبوا. والآيات: النصوص القرآنية ودلائل التوحيد. ولقاؤه: تلقي حسابه وجزائه يوم القيامة. وحبطت: بطَلت وامّحقت. ولا نقيم: لا نجعل. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث. والوزن: القيمة والقدر. **١٠٥** ذلك أي: ما ذكر من العاقبة. والجزاء: العقاب. وبما كفروا: بسبب كفرهم. واتخذوا: جعلوا. والرسل: جمع رسول، من يكلّفه الله بالدعوة مع العمل. والهزو: السخرية. **١٠٦** آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وعملوا الصالحات: اكتسبوا ما حسّنه الشرع. وكانت: قُدّرت في علم الله الأزليّ. والجنة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. والفردوس: وسَط الجنّة وأعلاها. **١٠٧** خالدين أي: مقيمين دائمًا وأبدًا. ولا يبغون: لا يطلبون ولا يرضَون. والحِوَل: التحوّل والانتقال. **١٠٨** كان: صار. والبحر: ما يجتمع فيه الماء الكثير، من ينابيع وبحيرات وغيرها. والمداد: ما يُكتب به كالحبر وغيره. والكلمات: ما يُعبَّر به من الحِكم والأقدار والعجائب. ونفد: فني وامّحق. ولو جئنا بمثله: وإن خلقنا مُماثله أيضًا. والمدد: الزيادة للمساعدة. **١٠٩** البشر: الآدميّ. ومثلكم أي: مُماثل لكم في صفات الآدميّة. ويوحى: يُنزَل على لسان جبريل. والإله: المعبود بحق. والواحد: المتفرّد لامثيل له. ويرجو: يتوقّع ويأمُل. ويعمل: يكتسب ويتحمّل. ولا يشرك أحدًا: لا يجعل أحد مخلوقات الله شريكًا له. والعبادة: الطاعة والتقديس. **١١٠**

ربع الحزب ٣١

الجزء السادس عشر — سورة الكهف

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي
أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

المعنى العام: متابعة ما كان من ذي القرنين في الشمال الشرقي من العالَم بقوله: إن السد هو رحمة من الله، سيندك في أجله المحدد ، وهو وعد ربانيّ محقّق. وسيكون حين تطغى الأقوام الهمجية ، وبعد ذلك تنتهي الحياة الدنيا، ثم يُنفخ في الصور النفخة الثانية للبعث والحشر، ويرى الكافرون جهنم. فلا يظنوا أن يشركوا ولا يحاسَبوا، لأن لهم الخلود في جهنم.

فأبلغ الناس ـ أيها النبيّ ـ بخسارة الكافرين، لأنهم قد ضاعت أعمالهم بالكفر والسخرية من الأنبياء، وبشّر المؤمنين الصالحين بخلودهم في أعظم الجنات، لا يرضون بها بديلًا. وقل للكافرين أيضًا: لو كان للبحار أضعاف يخلقها الله، وجُعلت كلها مدادًا لأقداره وحكمه، لعجَزت عن الإحاطة بها. أما أنتَ فإنسان مثلهم، ولكنك رسول تبلّغ التوحيد، والمؤمن بالبعث يستعد له فيُصلح عمله ويعبد الله وحده.

١٩ـ سورة مريم

تفسير المفردات: كٓهيعٓصٓ: أحرف مقطَّعة استأثر الله بعلمها، وهو سرّه المكنون في كتابه العزيز. ١ الذكر: الإيراد والبيان. والرحمة: العطف بالإحسان والخير. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعبد: المخلوق المملوك قهرًا وتعبُّدًا. وزكريّا: أحد أنبياء بني إسرائيل، وهم قتلوه بعد قتل ابنه يحيى. ٢ إذ نادى ربه: حين دعاه باسمه متضرعًا مستغيثًا. والخفي: المكتوم عن الآخرين. ٣ ربّ أي: يا ربّي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. ووَهن: ضعف. والعظم: عظام جسمه. وهي القصب أو اللوح الذي يكون عليه اللحم. واشتعل الرأس شيبًا: انتشر الشيب في شعر رأسي. ولم أكن: ما كنت في حياتي. وبدعائك أي: بسبب طلب عونك. والشقي: الخائب المحروم الاستجابة. ٤ خفت: خشيت على الدين والناس. والموالي: جمع مولى، بنو العم والقرابة. وورائي: بعد موتي. وامرأتي: زوجتي أشاعُ. وهي خالة مَريم. والعاقر: التي لا تلد. وهب لي: ارزقني بفضلك. ولدنك: عندك. والوليّ: الابن المعين. ٥ يرثني: يتولى أمر الدين عني. ويرث: يتلقى. ومن آل يعقوب أي: العلم والنبوّة من ذريته أبنائه اليهود. واجعله: صيّره وقدّر فيه أن يكون. والرضي: المَرْضيّ عندك. ٦ نبشرك: نبلّغك الخبر السارّ. والغلام: الولد الذكر. ويحيى هو ابن زكريا وابن خالة مريم، قتله ملك بني إسرائيل. ولم نجعل: لم نصيّر. وقبلُ: قبلِ زمانه. والسميّ: المسمَّى بهذا الاسم. ٧ قال أي: زكريا. وأنّى يعني: كيف ؟ ويكون: يصير. وكانت أي: وما زالت. وبلغت: أدركتُ. والكِبر: العمر. والعتيّ: النهاية بالضعف واليُبس. ٨ قال أي: المَلك جبريل. وكذلك أي: شأن خلق الغلام منكما على ما ذُكر. وهو أي: ذلك الخلق. والهين: اليسير لا عجب فيه ولا استبعاد له. وخلقتك: أوجدتك من العدم. وقبل: قبل وجودك. وتك: تكن. حذفت النون للتخفيف. والشيء: ما هو موجود. ٩ قال أي: زكريا. واجعل لي: صيّر لأجلي. والآية: العلامة على حمل زوجتي. وقال أي: الله لزكريّا. وألّا تكلم الناس: أن تمتنع من تكليم مَن حولك من البشر. والليالي: جمع ليلة. وهي ما بين الغروب والفجر، مرادًا به اليوم كله. وسويًّا أي: سليم الأعضاء بلا عِلّة ولا مرض، وإنما المنع بقدرة الله، سبحانه وتعالى. ١٠ خرج على قومه أي: فاجأ زكريّا بني إسرائيل وظهر لهم. والمحراب عندهم اسم للمسجد. وأوحى: أشار بالحركات. وأن بمعنى: أي. وسبّحوا: صلُّوا وادعوا مع الحمد والتعظيم. والبكرة: ما بين الفجر وطلوع الشمس. والعشي: ما بعد الظهر إلى غروب الشمس. ١١

سُورَةُ مَرْيَمَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ
مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

المعنى العام: أن الله ـ عزّ وجلّ ـ يذكر قصة رحمته للنبي زكريا، حين دعا ربه في خفاء مستغيثًا به، وشكا إليه بتذلل وتضرّع شيخوخته بما فيها من العجز والشيب الطاغي مع ثقته برحمة الله له واستجابة دعائه في جميع حياته الماضية، وأوضحَ خشيته أن يفسد أقرباؤه الدين والبلاد، بالإضافة إلى عجز زوجته عن الحمل والولادة، ودعا اللهَ أن يهبه ولدًا بارًّا مرْضيًّا يحلّ محله في الهداية، فأجابه الله على لسان جبريل يبشّره بابن يولد له ويكون اسمه يحيى. وهو اسم لم يعرف من قبل.

عجب زكريا أن يكون له على عجزه ولد من زوجته وهي عاقر لا تلد، فقيل له: إن هذا أمر الله يسير عليه ولا عجب فيه، وقد خلق زكريا نفسَه من العدم. فطلب دليلًا على حمل زوجته، وأُجيب با نقطاعه عن الكلام ثلاثة أيام دون مرض أو قصور. وعندما منع من الكلام فعلاً كما ذُكر من قبل، علم أن امرأته حملت بيحيى، فخرج إلى قومه من المسجد وطلب منهم بالإشارة أن يسبّحوا الله شكرًا على ما قدّر ويحمدوه ويصلّوا له في الصباح والمساء.

تفسير المفردات: يا يحيى: خطاب لابن زكريا على لسان جبريل بعد ولادته بسنوات. وخذ الكتاب: اشتغل بالتوراة حفظًا وفهمًا وعملًا. والقوّة: الجِدّ والنشاط. وآتيناه: وهب الله له. والحكم: الحِكمة في التدبّر والقول والعمل. وصبيًّا أي: في شبابه. ١٢ الحنان: رحمة الناس. ومن لدنا أي: من عند الله. والزكاة: الطهارةُ من الآثام والزيادةُ في الخير. والتقيّ: من يطلب رضا الله بامتثال الأمر والنهي. ١٣ البَرّ: البارّ المحسن في المعاملة. وبوالديه أي: إلى أُمّه وأبيه. والجبّار: المتكبر المتعنّت في التصرّف. والعصيّ: المتمرّد على أمر الله وطاعة والديه. ١٤ سلام أي: أمان وطمأنينة من الشر. ووُلد: وضعتْه أُمّه. ويموت: يفارق الحياة. ويُبعث: يقوم من قبره. والحيّ: من هو بروحه وجسده. ١٥ اذكر: اقرأ على من بُعثت إليهم، أيها النبيّ. والكتاب: القرآن الكريم. ومَريم: ابنة عِمران وأُمّ عيسى. وإذ انتبذت: حين اعتزلت وتباعدت. وأهلها: الذين تعيش بينهم من اليهود الأقرباء والمتعبدين. والمكان: الموضع. والشرقي: الواقع شرق منازلهم. ١٦ اتخذت: جعلت. ومن دونهم: بينها وبينهم. والحجاب: الستار. وأرسلنا: بعثنا. وروحنا: أميننا جبريل. وتمثل: تحوّل وتصوّر. والبشر: الإنسان. والسويّ: التام الخلق. ١٧قالت أي: له. وأعوذ: التجئ وأتحصّن. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. ومنك: بسببك. ١٨ الرسول: المرسل بمُهِمّة.

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى
غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ
بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ
قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأهب: أرزق بأمره وإرادته. والغلام: الصبي. والزكي: الصالح الطاهر من الآثام والذنوب. ١٩أنّى: كيف؟ ويكون: يصير. ولم يمسسني: لم ينكِحني. وبشر أي: زوج. وأكُ: أكن. حذفت النون للتخفيف. والبغيّ: الزانية. ٢٠ كذلك أي: الأمر كما ذكرتُ، من خلق الغلام بدون أب. وهو أي: خلقُه. والهيّن: اليسير. ونجعله: نصيّره. والآية: الحُجّة القاهرة والدلالة على قدرة الله.والناس: البشر. ورحمة أي: عطفًا بالتكرم وطريقَ هداية. والأمر: الشيء المأمور به. والمقضيّ: المحقّق. ٢١ حملته: علِقت به في رحِمها ليتكوّن جنينًا. وبه أي: معه. والقصي: البعيد. ٢٢ أجاءها: ألجأها. والمخاض: وجع الولادة. والجذع: الساق. والنخلة: شجرة ثمرها البلح والرُّطَب. ويا ليتني: أتمنّى. ومتُّ: فارقت الحياة. وهذا أي: الأمر العصيب. وكنت: صرت. والنّسي المنسيّ: ما يُنسى لأنه لا قيمة له. ٢٣ ناداها مِن تحتها: خاطبها جبريل وهو تحت الربوة. وأن بمعنى: أي. ولا تحزني: لاتغتمّي ولا تجزعي. وجعل: صيّر. وتحتك: قربك في أسفل من مكانك. والسريّ: النهر الجاري. ٢٤ هزّي إليك: قرّبي منك وحرّكي. وتُساقط: تُسقط النخلة بكثرة. والرُّطَب: ثمر النخل إذا لان وحلا. والجنيّ: الطريّ طاب واستحق أن يُجنى.٢٥

نصف الحزب ٣١

المعنى العام: متابعة ما كان من أمر يحيى بأن الله خاطبه وهو في صباه على لسان جبريل، ليحمل عِلم التوراة ودعوتها بجِدّ، ومنحه النبوة والرحمة والبرّ للناس والطاعة للوالدين والتقوى والتواضع، ومصاحبة الطمأنينة والرضا في جميع حياته دنيا وآخرة، وإن هدّده المجرمون. أما مقتله فشهادة له يأمن بها من عذاب القبر و تُقرّبه من ربه، ولا يناقض الرضا والطمأنينة.

وعلى محمد ﷺ أن يقرأ على الناس قصة مريم في القرآن الكريم، حين ابتعدت عن قومها في مكان شرقيّ مستور بحجاب عنهم، وجاءها جبريل في صورة الإنسان، فخشيت حضوره واستعاذت بالله منه إن كان من التقاة، وطمأنها بأن حضوره إليها بأمر الله، ونفخ في طوق القميص ما انتقل إلى رحِمها وجعلها تحمل بجنين دون أب، يكون دلالة على الألوهية والقدرة ورحمة للناس وسبيل هداية. وهو حكم ربانيّ متحقّق. ولما انتهى وقت الولادة ابتعدت عن قومها، حيث استندت إلى نخلة، وتمنّت أن تكون ميتة قبل ذلك وتغيب عن الوجود دون ذكر، فشجعها جبريل أن تطمئن، وتستعين بما حولها من الماء والشجر، وتحرك النخلة ليسقط عليها البلح الناضج...

تفسير المفردات: كلي أي: من الرُّطب. واشربي أي: من النهر. وقرّي عيناً: طيّبي نفسَك واتركي ما يُحزن. وإمّا ترينّ: إن صادفتِ. والبشر: الناس. وقولي أي: في نفسك. ونذرت: أوجبت على نفسي. والرحمن: الله الكثير العطف والإحسان. والصوم: الامتناع عن الكلام. أكلّم: أخاطب بالكلام. واليوم: هذا الوقت. والإنسي: الإنسان. ٢٦ أتت به: جاءت ومعها الوليد. والقوم: الجماعة من اليهود تعيش بينهم. وتحمله: تضع عيسى بين يديها. وقالوا أي: اليهود لها. جئتِ: ارتكبتِ. والشيء: العمل. والفريّ: الفظيع. ٢٧ أخت هارون أي: شبيهةُ إسرائيليٍّ يُضرب به المثل في العفاف. وأبوك: والدك عِمران. وامرؤ السوء: مصاحبُ الفحش وفاعله. وأُمّك: والدتك حنّة. والبغيّ: الزانية. ٢٨ أشارت أي: بيدها أو برأسها. وإليه: إلى عيسى أن كلّموه. وكيف نكلّم أي: محال أن نكلّم. وكان: حصل واستقر. والمهد: ما يمهّد كالسرير للوليد. والصبي: الصغير الذي لم يفطم. ٢٩ قال أي: عيسى. والعبد: المملوك خلقًا وتصرّفًا وتعبُّدًا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وآتاني الكتاب: سيعطيني الإنجيل. وجعلني: صيّرني. والنبي: من كُلّف بالدعوة إلى التوحيد مع العمل. ٣٠ المبارك: الكثير النفع للناس. وأينما كنت: في كل مكان أحله. وأوصاني: أمرني. والصلاة: العبادة المعروفة مع الدعاء. والزكاة: تطهير النفس والمال من كل حرام. وما دمت حيًّا: مدّة بقائي على الحياة. ٣١ البَرّ: البارّ المحسن للمعاملة. والوالدة: الأم. والجبّار: المتكبر. والشقيّ: العاصي لربه. ٣٢ السلام: الأمان الكامل والطمأنينة التامّة من كل شرّ. ووُلدت: وَضعتْني أُمّي. وأموت: ألحق بربّي. وأُبعث: أقوم حيًّا مع البشر. ٣٣ ذلك أي: المولود كما وصف نفسه حقيقة. وابن مريم يعني ثبوتَ بُنوّته منها خاصة دون أب. وقول الحق أي: قائلًا القول الصادق الثابت. وفيه يمترون: يشكّون في أمره ويختصمون. ٣٤ ما كان: لا يصح ويستحيل. ويتخذ ولدًا: يصنع لنفسه ابنًا بحمل أنثى أو غيرها. وسبحانه: تنزيهًا له عمّا زعموه من اتخاذ من ولد. وقضى: أراد. والأمر: الشيء. ويقول له أي: يأمره أمر تكوين بلا كلام. وكن فيكون أي: احدُث فيحدثُ. ٣٥ الربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واعبدوه: خُصّوه وحده بالتقديس. وهذا أي: المذكور من الدعوة. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. ٣٦ اختلف: اختصم واقتتل. والأحزاب: جمع حزب، الجماعة على مذهب. وبينهم أي: بين اليهود والنصارى. والويل: العذاب الشديد. وكفروا أي: بما ذُكر من أمر عيسى. والمشهد: الحضور. والعظيم: لا مثيل له في الشِّدّة. ٣٧ أسمع بهم وأبصر: ما أشدّ سمعهم وبصرهم! ويأتوننا: يحضرون للحساب. والظالم: من يتجاوز الحق بالكفر. واليوم: في أيام الدنيا. والضلال: الضياع والانحراف. والمبين: البيّن الواضح. ٣٨

سورة مريم — الجزء السادس عشر

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى
ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ
ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

المعنى العام: متابعة قول جبريل إذ أمر مريم أن تأكل من البلح المتساقط، وتشرب من ماء النهر، وتُذهب عن نفسها الاضطراب، وتواجه الناس بالصمت. فلما وصلت إليهم تحمل عيسى اتهموها بالزنى، وهي الصالحة ابنة الطاهرين الأتقياء، فأشارت إليهم أن يكلموه، واستنكروا تكليم الوليد فأنطقه الله، وذكر لهم أنه عبد لله ونبي ومبارك وتقي وبارّ بوالدته ومطيع مرْضيّ، يصاحبه السلام الكامل في مراحل حياته أكثر من يحيى ـ ولذلك أنقذه الله من كيد اليهود لصلبه ورفعَه إليه ـ وأن الله ربه ورب الناس جميعًا، يجب عليهم توحيده، كما جاء في الدين القويم.

تلك هي حقيقة عيسى، وباطل ما زعمه النصارى. فليس لله ولد، وهو يقضي ما يشاء بمجرد الإرادة دون قول يذكر. ومع هذا اختلف النصارى في عيسى، فكان منهم أربعة مذاهب: أنه ابن الله، أو إلّه معه، أو الآلهة ثلاثة، أو هو عبدُ الله وكلمتُه وروحٌ منه. فالذين كفروا هم الأحزاب الثلاثة الأُولى، لهم العذاب الشديد يوم القيامة، وقد تجاهلوا الحقيقة في الدنيا بالضلال المطبق عن التبصر، وسوف يكونون في الآخرة على عكس ذلك، شدة سمع وبصر. وما أشدّ سمعهم وبصرهم حينذاك!

تفسير المفردات: أنذرهم: خوّف الناس، أيها النبيّ. ويوم الحسرة: وقت التلهّف والندامة في الآخرة على ما كان من العصيان. وإذ قضي الأمر: حين انتهى الحساب. وهم في غفلة: الناس بالدنيا في انشغال عن الحساب. ولا يؤمنون: لا يصدّقون حصوله. **٣٩** نحن: ضمير العظمة والتفخيم لله، تعالى. نرث: نتفرد بالملك ظاهرًا وحقيقة. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وإلينا: إلى لقاء حسابنا. ويُرجعون: يُردّ جميع الناس. **٤٠** اذكر: اقرأ للتذكير. والكتاب: القرآن الكريم. وإبراهيم خليل الله: أبو الأنبياء، كان حاميًا من السُّومريّين في مدينة كُوثَى من العراق. والصِّدّيق: المُبالغ في الصدق. والنبيّ: الذي كلفه الله بالدعوة مع العمل. **٤١** الأب: الوالد.ويا أبتِ: يا أبي. ولِمَ تعبد: لا يجوز لك أن تقدّس.و ما لا يسمع ولا يبصر: الصنم لا يستطيع السمع ولا البصر. ولا يغني: لا يدفع. وشيئًا: أيّما دفع ! **٤٢** جاءني: أُوحي إليّ. والعلم: المعرفة اليقينيّة. ولم يأتك: لم تعلمه. واتّبِعني: وافقني في التوحيد. وأهدِك: إن تتّبعني أُرشدْك. والصراط: الطريق. والسويّ: المستقيم لا اعوجاج فيه ولا اضطراب. **٤٣** لا تعبد: لا تطع بعبادة الأصنام. والشيطان: إبليس وأتباعه من الجنّ والإنس. وكان أي: ولا يزال. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. والعصيّ: الكثير المخالفة للأمر والنهي. **٤٤** أخاف: أتوقع وأخشى. ويمسّك: يَنزل بك. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ومن الرحمن: من عنده وبأمره. وتكون: تصير. والولي: الناصر والمقارن في النار.**٤٥** قال أي: آزر أبو إبراهيم له. أراغب: لا تنصرف وتبتعد. والآلهة: الأصنام المعبودة، جمع إلَه. ولئن: أقسِمُ إن. ولم تنته: لم تمتنع عما تقول. وأرجمنّك: أرمينّك بالحجارة فأقتلك. واهجرني: فارقني. والمليّ: الزمن الطويل. **٤٦** قال أي: إبراهيم لأبيه. والسلام: الوعد بالموادعة. وأستغفر: أطلب المغفرة. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وكان أي: وما يزال. والحفيّ: الرؤوف المكرِم يجيب الدعاء. **٤٧** أعتزلكم: أفارقكم ـ أيها الكافرون ـ بترك البلد. وتدعون: تعبدونه. ودون الله: غيره. وأدعو: أطلب العون والهداية. وعسى أي: أترجّى. وألّا أكون: ألّا أصير. وبالدعاء: بسبب الدعاء. والشقي: الضائع السعي. **٤٨** وهبنا: يسّرنا. وإسحاق: ابن إبراهيم. ويعقوب: ابن إسحاق حفيدٌ لإبراهيم. وكلًّا أي: كلّ واحد منهما. وجعلنا: صيّرنا. **٤٩** ومن رحمتنا أي: بسبب عطفنا وإحساننا. واللسان: ما يصدر عنه من الذّكر الحميد والخير. والصدق: الفضل ظاهرًا وباطنًا. والعليّ: العظيم القدر. **٥٠** اذكر في الكتاب: أخبر الناس ـ أيها النبيّ ـ بما في القرآن. وموسى: أعظم أنبياء اليهود أُنزلت عليه التوارة. والمخلَص: من طهّره الله من السوء. والرسول: من أرسله الله وأوحى إليه كتابًا. والنبي: من يخبر عن الله التزام التوحيد والشريعة. **٥١**

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ
فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ
لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ
إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا
سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ
فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي
يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ
أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

المعنى العام: أن على محمد ﷺ التهديدَ بعذاب الآخرة للكافرين، حين يرث الله الكون وما فيه ويرجِّع الناس بالبعث من القبور للحساب والجزاء، وتذكيرَهم بقصة إبراهيم الصِّدّيق النبيّ حين أنكر على أبيه عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تفيد شيئًا، ونصحه بالتوحيد الذي أوحاه الله وبمعصية الشيطان العظيم العصيان وبتجنب غضب الله وعذابه، وهما جزاؤه إن أصرّ على الكفر وطاعة الشيطان، وأمره أبوه بالتزام عبادة الأصنام وأنكر عليه الكفر بها، وهدده بالعذاب والقتل والطرد بعيدًا، فأجابه بالموادعة والاستغفار له بما يعهد عن الله من استجابة له، وباشر الرحيل إلى نابلس، مع الاتكال على الله، حيث رزقه الله مع شيخوخته وعقم زوجته نبيّين: ابنه إسحاق، وبعده يعقوب بن إسحاق، وأكرمهم بالعناية والإحسان والذكر الحميد بين المؤمنين.

وعلى محمد ﷺ تذكيرُ الناس أيضًا بما في القرآن الكريم من قصة موسى عليه السلام الذي أخلصه الله من الدنس السوء وجعله أحد الرسل والأنبياء...

تفسير المفردات: ناديناه: دعوناه باسمه تشريفًا وتنبيهًا. والجانب: الطرَف. وجبل الطور في سَيناء. والأيمن: المبارك. وقرّبناه: رفعنا منزلته. والنجيّ: المناجي في الكلام دون توسط جبريل. ٥٢ وَهبنا له: أعنّاه ونصرناه. ومن رحمتنا: بسبب إنعامنا. وهارون: أخو موسى وأكبر منه وأفصح. والنبيّ: من يخبر عن الله التزام التوحيد والشريعة. ٥٣ اذكر: اقرأ للتذكير. والكتاب: القرآن الكريم. وإسماعيل: ابن إبراهيم من زوجته العربية هاجر، عاش في مكة فكان عربيًا وجدًّا لعرب الشمال. والصادق: الوفيّ بالكمال والتمام. والوعد: ما يتعهد به. ورسولاً: مكلَّفًا بتبليغ شريعة أبيه للعرب. ٥٤ يأمر: يحضّ ويشجع. وأهله: قومه من العرب. والصلاة والزكاة: المفروضتان شرعًا في جميع الأديان السماوية. وعند ربه: في حكمه ورحمته. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والمرضي: المقبول سعيُه وعمله. ٥٥ إدريس: من ذريّة شيث بن آدم، اسمه أُخنُوخ، وهو أول رسول جاءه جبريل بالوحي، وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة. والصدِّيق: المبالغ في الصدق. ٥٦ رفعناه: أعلينا منزلته بالرسالة. والمكان: الرتبة. والعليّ: الرفيع المقام. ٥٧ أولئك أي: المذكورون في هذه السورة من الأنبياء. أنعم: تفضل بالإكرام. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والذرّيّة: النسل. وآدم: أبو البشر ما عدا حواء. وحملنا أي: في السفينة. ونوح: أول نبي كذّبه قومه. وإبراهيم: أبو إسحاق وإسماعيل وكان من الحاميّين السُّومريّين. وإسرائيل: لقب يعقوب بن إسحاق. وهدينا: أرشدنا إلى الحق ووفقنا فيه. واجتبينا: اخترنا للنبوة. وتتلى: تقرأ. والآيات: آيات الكتب المنزلة. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. وخرّوا: سقطوا سراعًا. والسجّد: جمع الساجد، من يضع جبهته على الأرض ذلة وانكسارًا. والبُكيّ: جمع الباكي من الخشوع والخوف. ٥٨ خلف من بعدهم: جاء عقبَ موتهم. والخلف: الأتباع. وأضاعوا الصلاة: شُغلوا عن أوقاتها وأدائها وأهملوها. واتَّبعوا الشهوات: انصرفوا إلى ميول أنفسهم من المعاصي. وسوف يلقون أي: لا بدّ أن يلاقوا. والغيّ: الخيبة والخسارة. ٥٩ تاب: ترك المعصية وطلب المغفرة. وعمل صالحًا: قام بالأعمال التي حسّنها الشرع. ويدخلون: يتيسر لهم الدخول. والجنّة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. ولا يظلمون شيئًا: لاينقصون شيئًا من أعمالهم. ٦٠ العدن: الإقامة الدائمة. ووعد: تعهّد بها. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. وبالغيب أي: مع غيابهم عما كان الوعد به. والمأتيّ: يحضره مَن وُعد به. ٦١ لا يسمعون: لا يبلغ سمعهم. واللغو: ما لا يفيد. والسلام: التحية بالأمان ودوام النعيم. والرزق: ما يتيسّر من الحاجات. وبكرة وعشيًا: صباحا ومساء، أي: على الدوام أبدًا. ٦٢ نورث: نعطي ونُنزل فيها. والتقي: من يخاف الله فيلزم الطاعة. ٦٣ نتنزّل: ننزل دون مواصلة. وبأمر ربك أي: بإرادته. وما بين أيدينا: ما هو أمامنا من أمور الآخرة. وخلفنا: وراءنا من أمور الدنيا. والنسيّ: التارك والمهمل لما هو كائن. ٦٤

وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن
رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ
إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ
عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ
أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

المعنى العام: أن الله خاطب موسى ورحمه بعون أخيه هارون نبيًّا. واذكر للناس أيضًا ـ أيها النبيّ ـ في القرآن إسماعيل الصادق المَرْضي الآمر أهله بالتقوى، وإدريس الصِّدّيق الرفيع المنزلة. فقد أكرم الله الأنبياء المذكورين في السورة، وهم المهديُّون من سلالة آدم وإبراهيم، والساجدون الباكون لسماع آياته، جاء أتباع لهم أهملوا العبادات وانساقوا مع الشهوات فخسروا الدنيا والآخرة. لكن الذين تابوا منهم وأصلحوا أعمالهم فموعدهم المحقّق جنة الخلود بما فيها من النعيم والطمأنينة والرضا.

وعندما سأل النبيُّ ﷺ جبريلَ عن انقطاع زيارته له، أخبره أن تنزّل الملائكة يكون بأمر الله، وهو محيط بها حول الملائكة ولم يُهملك، ولا يهمل ما كان وما سيكون.

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ
هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ
أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ
وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ
هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ
أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن
كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ
إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا
وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ
وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

تفسير المفردات: الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. واعبده: أخلص له التقديس. واصطبر لعبادته: تصبَّر عليها بشدّة. وهل تعلم: ما تعرف ولن تعرف. والسميّ: مَن له اسمُ غيرِه. ٦٥ الإنسان أي: المنكر للبعث. وإذا مت: محالٌ حين تفارق روحي الجسد. وأُخرج: أُبعث من القبر. والحي: الذي يعيش بروحه وجسده. ٦٦ ألا يذكر: عليه أن يستحضر الأحداث للاستدلال. وخلقناه: أوجدناه من العدم. وقبل أي: قبلِ هذا الوقت. ويك: يكن. حذفت النون للتخفيف. والشيء: ما له حضور في الوجود. ٦٧ وَربك: أُقسِمُ بربك. نحشرهم: نجمع بالقهر من ينكرون البعث بعد الموت. والشياطين: جمع شيطان، من يغري بالشر من سلالة إبليس. ونحضرهم: نأتي بهم. وجهنم: دار العذاب يوم القيامة. والجِثيّ: جمع الجاثي، القائم على ركبتيه بمذلّة. ٦٨ ننزع: نقتلع للإلقاء في النار. والشيعة: الفرقة. وأيهم: مَن منهم. وأشدّ أي: هو أكثر شِدّة. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. والعتيّ: الجرأة والوقاحة. ٦٩ نحن: ضمير العظمة والتفخيم لله، تعالى. وأعلم: أكثر اطّلاعًا وإحاطة من جميع المخلوقات. وأولى بها: أحقّ بجهنم. والصليّ: الدخول ومقاساة الأهوال. ٧٠ إن منكم: ما أحد من الناس عدا الأنبياء والرسل. و واردها: داخل في جهنم. وكان أي: ولايزال الورود بمقتضى الحكمة والعدل. والحتم: الواجب الحصول. والمقضيّ: المحكوم به.٧١ وننجّي: ننقذ من جهنم. واتقَوا: تجنّبوا الشرك وآمنوا بالتوحيد والرسالات. ونذر: نترك. والظالمون: المشركون والكافرون. وفيها: في جهنم. ٧٢ تتلى: تقرأ. وعليهم: على الناس. والآيات: النصوص القرآنية. والبيّنات: الواضحات الدلالة. وكفروا: كذبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وآمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وأيّ الفريقين: مَن مِن الجماعتين؟ أنحن أم أنتم ؟ وخير: أفضل. والمقام: المنزلة في الدنيا. والأحسن: الأجمل. والنديّ: النادي ومجتمع السادة. ٧٣ كم أهلكنا: كثيرًا استأصلنا بالعذاب. والقرن: الأُمّة. وهم أي: المهلكون. وأحسن: أفضل من مشركي مكة وأجمل. والأثاث: المال والمتاع. والرِّئي: المنظر والهيئة يراهما الإنسان عِيانًا. ٧٤ قل أي: للكافرين، أيها النبيّ. والضلالة: الكفر. ويمدُّ: يزيده مُتعًا ويُمهله. وحتى إذا أي: فإذا. ورأوا: أبصروا عِيانًا. وما يوعدون: ما هُدّدوا به. والعذاب: القتل والأسر في الدنيا. والساعة: يوم القيامة. وسيعلمون أي: لا بدّ أن يعلموا يقينيًا. وشرّ: أحقر. والمكان: المنزلة. وأضعف: أقلّ قدرة. والجند: واحده جندي، المعين والنصير. ٧٥ يزيد: يبارك ويضاعف. واهتدَوا: اتّبعوا الحق. والهدى: البصيرة والرشاد. والباقيات: الأعمال الثابتة في ميزان الحق. والصالحات: التي حسّنها الشرع. وعند ربك: في حكمه وقضائه. والثواب: الأجر. والمردّ: ما يُردّ إليه ويرجع في النهاية، أي: الجنة. ٧٦

المعنى العام: أن الله مالك الكون ومسيّره ومتفرد بالربوبية والأُلوهية، وعليك ملازمة عبادته وتوحيده ـ أيها النبيّ ـ مع التصبرعلى ما تلقى. أما المنكر للبعث كأُبيّ بن خلف والوليد بن المغيرة، من جبابرة قريش، فيقول: «لن نُخرَج أحياء بعد الموت». فليتعظ لتحقق البعث بما في خلقه من العدم، إذ لم يكن له وجود. ولا بد أن يحشر الكافرون والشياطين أذلاء حول جهنم، ويُقتلع من بينهم المبالغون في الطغيان، ويلقَون قبل غيرهم فيها، والله أعلم بمن هو أجدر من غيره بذلك، ثم يدخلها جميع المكلَّفين عدا الأنبياء. فالمؤمن الصالح يمر بها وتكون بردًا وسلامًا عليه، ثم يُخرج إلى الجنّة، ويبقى الكافرون خالدين. فقد كانوا يفتخرون بالمال والمظهر، حين يسمعون ذكر الجنة وجهنم، مدعين أن ذلك يدل على كرامتهم في الآخرة، وقد أهلك الله كثيرًا من الأمم كانت أكثر منهم غنى وترفًا.

فبلّغ ـ أيها النبي ـ الناسَ أن الله يزيد الكافرين ضلالًا، حتى يروا العذاب ويعلموا: أهم أعز أم المؤمنون ؟ ويزيد المهتدين هدى، وأن الأعمال الصالحة هي أفضل عنده وأجود عاقبة يوم القيامة لصاحبها.

الجزء السادس عشر — سورة مريم

أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَـٰطِينَ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ
الرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَـٰوَٰتُ يَنفَطِرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي
السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

تفسير المفردات: أرأيت: تفكّر وأخبر، أيها المخاطَب. وكفر: كذّب. والآيات: دلائل التوحيد والعبودية والبعث. ولأوتيَنّ أي: أُقسِمُ لأُعطيَنّ يوم القيامة. والمال: ما يُملك من المتاع والزينة. والولد بمعنى الأولاد. ٧٧ أطّلَع أي: هل رأى وأدرك ؟ حذفت همزة الوصل لدلالة الهمزة قبلها. والغيب: ما كان في علم الله. واتخذ: نال وحصّل. والرحمن: الله الكثير الرحمة. والعهد: الوعد المؤكّد. ٧٨ كلّا: ما حصل شيء من ذلك. وسنكتب أي: لقد أمرنا بالتسجيل في صحيفة عمله. وما يقول: ما يدّعيه. ونمد له: نزيد له. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ٧٩ نرثه ما يقول: نكون كالوارث لما افتخر به، ولا يكون له في الآخرة ما زعم. ويأتينا: يحضر لحسابنا إياه. وفردًا أي: وحيدًا مجرّدًا مما معه وحوله. ٨٠ اتخذوا: جعل المشركون. ودون الله: غيره. والآلهة: جمع إلّه للتقديس والعبادة. ويكونوا: يصيروا. والعزّ: العون يتصرون به في الشفاعة. ٨١ كلّا أي: كذبوا، لاعزّ لهم ولا شفيعًا في العذاب. وسيكفرون: لا بدّ أن يكذّب المعبودون ويجحدوا يوم القيامة. وعبادتهم: تقديس المشركين لهم. ويكونون: يصيرون. والضدّ: المضادّ المعادي. ٨٢ ألم تر أي: أنت تعلم حقًّا، أيها المخاطَب. وأرسلنا: سلّطنا. والشياطين: جمع شيطان، من يغري بالشر من الإنس والجنّ. والكافرون: المكذبون لوحدانية الله ودعوة رسوله. وتؤزّهم: تثيرهم وتهيّجهم بالوسوسة وتزيين الكفر والشهوات. ٨٣ لا تعجلْ: لا تطلب التعجيل، أيها النبيّ. وعليهم: لأجلهم. ونَعُدّ: نحسُب ونُحصي بلا زيادة ولا نقص. ٨٤ يوم نحشر: وقت جمعنا مِن القبور للحساب. والمتقون: الذين يخافون الله فيمتثلون الأمر والنهي. والوفد: القادمون على من يُكرمهم ويُعزّهم. ٨٥ نسوق: ندفع بالذلة. والمجرمون: من يقترفون الكفر والشر. وجهنم: دار العذاب يوم القيامة. والوِرد: المستعجلون إلى الماء، جمع وارد. ٨٦ لا يملكون الشفاعة: لا يستطيع أحد منهم طلب العفو عنه أو عن غيره. واتخذ: جعل لنفسه. وعند الرحمن: في حكمه وقضائه. والعهد: الوعد المؤكّد. وهو الشهادة بعبارة التوحيد. ٨٧ قالوا أي: أهل الكتاب وبعض العرب المشركين. واتخذ ولدًا: صنع لنفسه أولادًا. ٨٨ جئتم: قلتم. والشيء: القول. والإدّ: الفظيع المنكر بشِدّة. ٨٩ تكاد: تُقارب. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ويتفطّرن: يتشقّقن و يتفتّتن. ومنه: بسبب القول المزعوم. وتنشق: تتزلزل وتتفسخ. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وتخرّ: تسقط وتتداعى. والجبال: جمع جبل، ما علا وصلب من الأرض. وهدًّا: مهدَّمة. ٩٠ أن دعوا: بسبب ما سمَّوا وزعموا. ٩١ ما ينبغي: لا يمكن ولا يجوز. ويتخذ: يصنع لنفسه. ٩٢ إنْ كل مَن في السماوات والأرض أي: ما كلُّ المكلّفين من المخلوقات. والآتي: الحاضر بالبعث والحشر. والعبد: المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. ٩٣ أحصاهم: أحاط علمه بهم وبكل شيء منهم. وعدّهم: علم عددهم وأعمالهم وأنفاسهم. ٩٤ كلهم أي: جميع المخلوقات المكلّفة. وآتيه: آتٍ لحسابه. ٩٥

المعنى العام: أن يفكر الإنسان ويتدبر حال من كفر وادعى أن سيكون له في الآخرة بعزته وسيادته أموال كثيرة وأولاد كما له في الدنيا، أليس كاذبًا في ذلك، أعَلِمَ ما في الغيب أم نال عهدًا من الله بما زعم ؟ فقد سُجّل ما فعل واستُدرج بالنعم، ليأتي يوم القيامة مجرّدًا من ذلك للحساب. ولقد عبد المشركون من ينكر عبادتهم ويعاديهم يوم القيامة، وينفي أنها كانت لأجله، ويثبت أنها تلبية لأطماع العابدين في المستلذات.

ولقد رأيتَ - أيها النبيّ - كيف نسلّط عليهم الشياطين تثيرهم للبغي والضلال ؟ فلا تستعجل لهم العقاب. إنهم يستجيبون للشياطين، و يوم نكرم المتقين نسوق المجرمين، إلى جهنم دون شفيع، لأنهم زعموا لله أولادًا. وهو قول فظيع لا تحتمله السماوات والأرض والجبال وتلاشى لفظاعته، ولا يكون التوالد إلّا فيما هو مخلوق ومن جنس واحد، والله ليس كذلك، وكل الخلق حتى المسيح وعُزير والملائكة خاضعون لله، مقيّدون بسلطانه وعلمه بما لِما يكون منهم، وسيأتي كل منهم للحساب يوم القيامة منفردًا بلا معين.

تفسير المفردات: آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا. والصالحات: الأعمال التي يرضاها الله. وسيجعل: لا بدّ أن يخلق. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. والودّ: المحبّة فيما بينهم. ٩٦ يسرناه: جعلنا القرآن الكريم سهلًا ميسَّرًا حفظه وبيانه وفهمه. واللسان: اللغة. وتبشّر: تبلغ ما يَسرّ. والمتقون: الذين يتجنبون الشرك ويلزمون الإيمان والصلاح. وتنذر: تخوّف. والقوم: الجماعة من الناس. واللدّ: جمع ألدّ، الممعن في الجدل بالباطل. ٩٧ كم أهلكنا: لقد أفنينا بالعذاب كثيرًا. والقرن: الأُمّة. وهل تحس: لا تجد، أيها المخاطَب. ومن أحد أي: إنسانًا. وتسمع: تتلقى. ولهم أي: للأقوام المهلكة بالاستئصال. والركز: الصوت الخفيّ. ٩٨

المعنى العام: أن المؤمنين الصالحين يقدّر الله بينهم المودة، وأن القرآن هو باللغة العربية ميسَّر للعرب وغيرهم حفظه وفهمه، خلاف الكتب التي قبله، كانت خاصة بمن نزلت عليهم ثم انقرضت. وأنت ـ أيها النبيّ ـ تبشّر المتّقين وتهدّد بالعذاب للمشركين الألدّاء، ليكونوا مثل كثرة مَن أفنينا من الأمم المكذِّبة، ما بقي منها مكابر ولا صدى لما كانت تعتز به.

٢٠ ـ سورة طه

سورة طه الجزء السادس عشر

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم
مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه — ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ
لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾
ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ
فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ
ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا
فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ
أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾
إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

تفسير المفردات: طه:من الأحرف المقطّعة استأثر الله بعلمها، وهي سرّه المكنون في كتابه العزيز. ١ ما أنزلنا عليك: ما أوحينا إليك، أيها النبيّ. والقرآن: الكتاب الكريم. وتشقى: تتعب وتتألم. ٢ إلّا تذكرة أي: لكن أوحيناه تذكيرًا بالحق. ويخشى: يخاف عقاب الله. ٣ التنزيل: الوحي على مراحل. وممن خلق: مِن عند مَن أوجد وأنشأ. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجرام وعوالم عُلوية. والعلى: جمع عُليا، العظيمة الارتفاع. ٤ الرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. والعرش: مخلوق عظيم لا يعرف حقيقته إلّا الله. واستوى: قصد قصدًا يليق بعظمته. ٥ الثرى: التراب. ٦ تجهر بالقول: تظهر قولك بصوت مسموع. وإنه أي: الله تعالى. ويعلم: يحيط إحاطة تامة. والسرّ: ما يُكتم في النفس. والأخفى: ما كان أبعد في الخفاء. ٧ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإلّه: المعبود بحق.وله أي: مُلكه ومستحَقه وحده. والأسماء الحُسنى: التسميات الفائقة كل حُسن في الوجود. ٨ هل أتاك أي: قد وصل إليك. وحديث موسى: قصته مع فرعون. وموسى معناه: الماء والشجر. وهو من السُّومريِّين الحاميِّين أعظم أنبياء اليهود. ٩ إذ رأى: حين أبصر عِيانًا. والنار: شجرة خضراء تتّقد بنور رباني. وأهله: زوجته وولداه والخادم. وامكثوا: أقيموا حيث أنتم. وآنستُ: أبصرت بوضوح. ولعلي: أترجَّى. وآتيكم: أُحضر لكم. والقبس: الشُّعلة بعود. وأجد: أرى. وعلى النار أي: قربها. والهدى: الهادي إلى الطريق. ١٠ أتاها: دنا من الشجرة. ونودي: قيل له. ١١ الربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واخلع: انزع من قدميك. والنعل: لباس القدم في الطرقات. والواد: الوادي، منخفض بين مرتفعين. حذفت الياء لحذفها لفظًا بالتقاء الساكنين. والمقدس: المطهّر المبارك. وطوًى: اسم مكان بين مَديَنَ ومصر.١٢

المعنى العام: نزلت الآيات ١ ـ ٨ بيانًا للغاية من التكليف بالرسالة، ودفعًا لما يعانيه النبي ﷺ والمؤمنون من تعنت المشركين. فغاية الوحي تبليغ وهداية مِن خالق الكون، لا الشقاء والألم. وهو الرحمن يملك المخلوقات كلها، حتى ما هو تحت الثرى في باطن الأرض، ويعلم الظاهر والخفيّ، ويتفرد بالألوهية والأسماء والصفات الحسنى.

وها قد جاءك ـ أيها النبيّ ـ تفصيل ما كان من موسى وقومه وفرعون ، إذ رأى النور الربانيّ في شجرة مباركة، وطلب من أهله الانتظار، ليأتي بشعلة أو هداية في السفر، بين مدين ومصر، ولما دنا من الشجرة أعلمه الله أنه ربه، وعليه خلع نعليه لأنه في الوادي المبارك طوى...

تفسير المفردات: اخترتك: خصصتك بالرسالة. واستمع: أصغِ وتفهّم. ويوحى: يلقى إليك. ١٣ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإلّه: المعبود بحق وحده. واعبدني: قدّسني وحدي وأطعني. وأقم الصلاة: أدّها كاملة بشروطها وآدابها. ولذكري: لتذكرني وتسبحني. ١٤ الساعة: يوم القيامة. وآتية: حاصلة لا محالة. وأكاد أخفيها: أُقارب سترها من نفسي. وتُجزى: تكافأ. والنفس: المخلوق المكلف من البشر والجن. وبما تسعى: بسبب عملها من نية أو قول أو فعل. ١٥ لا يصدنّك عنها: لا يصرفنّك عن الاهتمام بالعمل للساعة. ولا يؤمن: لا يصدّق ويكفر. واتبع هواه: أطاع ما تزينه له نفسه من الشهوة. وتردى: تهلِك. ١٦ تلك أي: هذه معظمةً. واليمين: اليد اليمنى. ١٧ قال أي: موسى. والعصا: ما يكون من الخشب للاستعانة به. وأتوكّأ: أعتمد في القفز والنهوض للقيام. وأهش: أخبط ورق الشجر ليسقط. والغنم: القطيع من المعز والضأن. والمآرب: الحاجات، جمع مأرب. والأُخرى: المغايرة لما ذكرتُ. ١٨ قال أي: الله. وألقها: اطرحها في الأرض.١٩ إذا هي حية: فاجأ إلقاءها وموسى تحوُّلُها ثعبانًا عظيمًا. وتسعى: تجري بسرعة. ٢٠ قال أي: الله. وخذها: أمسكها. ولا تخف: لا تفزع. ونعيدها سيرتها: نُصيّرها على حالتها بوضع يدك في فمها. والأولى: السابقة. ٢١ اضمم يدك: أدخِل كفك من فتحة عنق القميص. والجناح: الجنب الأيسر تحت الإبط. وتخرج: تظهر إذا سحبتها. وبيضاء: مُبيَضّة. ومن غير: بدون. والسوء: القبح والأذى. وآية: معجزة بيّنة. ٢٢ نريك: نطلعك عِيانًا. ومن آياتنا: بعض معجزاتنا. والكبرى: العُظمى. ٢٣ اذهب: توجّه. وفرعون: ملك مصر حينذاك. وطغى: جاوز الحق فادّعى الألوهية. ٢٤ قال أي: موسى. ربّ: يا ربّي. حذف حرف النداء لما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. واشرح: وسّع. والصدر: ما بين البطن والعنق. ٢٥ يسّر: سهّل. وأمري: ما كلّفتني به. ٢٦ احلل: أطلق وأزل. والعقدة: الثقل عن التعبير. واللسان: ما يكون به نطق الكلام. ٢٧ يفقهوا: يفهم فرعون وقومه. والقول: ما يقال. ٢٨ اجعل: صيّر. والوزير: المعين. والأهل: الأسرة والأقربون. ٢٩ أخي: شقيقي. ٣٠ اشدد: ادعمْ وثبّتْ. والأزر: الظَّهر والعزم. ٣١ أشركه: اجعله مُشاركًا. ٣٢ كي نسبحك: لِيتيسر لنا أن ننزهك عما لا يليق بجلالك. وكثيرًا: عددًا وافرًا. ٣٣ نذكرك: نردّد ذِكرك للعبادة والتوحيد. ٣٤ وكنت أي: ولا تزال. والبصير: البالغ العلم. ٣٥ قال أي: الله. وأُوتيت: أُعطيتَ. والسؤل: المطلوب. ٣٦ مننا: أنعمنا. ومرة أُخرى: مَنّةً غير ما أنت عليه الآن.٣٧

الجزء السادس عشر سورة طه

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ
عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ
بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا
وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا
وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ
مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ
رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ
لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ
أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ
أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

المعنى العام: متابعة قول الله لموسى بأنه اصطفاه للرسالة من دون الناس في عصره، وأمره بالإصغاء إلى ما يبلّغه، أي: وجوب التوحيد وملازمة العبادة بالصلاة والزكاة، وأنّ يوم القيامة سيأتي بلا شك ليحاسب الناس، والله يكاد يخفي علم زمن ذلك اليوم عن نفسه، فمحال أن يعلمه أحد من الخلق كلهم، ولا يجوز لموسى الانشغال عن ذلك لئلّا يهلك بالباطل. ثم سأله عما في يمينه، فأجاب موسى أنها عصا يستفيد منها في الحركة والمشي والرعي، وأمره الله بإلقائها فاستجاب للأمر وطرحها في الأرض فصارت ثعبانًا متوثّبًا وفزع موسى من ذلك، فطمأنه الله وأمره أن يتناولها لأنها ستعود كما كانت بأن يضع يده في فمها، وأمره أيضًا بوضع كفه اليمنى تحت إبطه الأيسر وأن يخرجها، فأصبحت بيضاء بعد سُمرتها من دون خلل، ثم تعود إلى حالها بتكرار وضعها وإخراجها.

وبلّغه أن تحوّل العصا واليد من المعجزات العظيمة على صدق النبوّة، وأمره بالتوجه لدعوة فرعون المتأله، فطلب موسى العون على ذلك باليسر وإزالة ضعف بيانه وجعل أخيه هارون مساعدًا له، ليتيسر لهما العبادة والعمل، فأجابه الله إلى ما سأل، وذكّره بعونه ونجاته من القتل حين وُلد وحين قتل القبطي، وفي ذلك مِنّة تضاف إلى ما ناله بحمل الرسالة...

الجزء السادس عشر — سورة طه

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ
فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ
فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ
عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا
فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ
أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ
كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

تفسير المفردات: إذ أوحينا: حين ألهمنا وأعلمنا. والأمّ: الوالدة. وما يوحى أي: ما ألهمت إياه. ٣٨ أن اقذفيه أي: إلقاء موسى. والتابوت: صندوق من الخشب. واليمّ: نهر النيل. ويلقيه: يطرحه ويضعه. والساحل: الشاطئ. ويأخذه: يخرجه ويتناوله. والعدوّ: المعادي. وألقيت: جعلت في الناس. والمحبّة: المودّة والإكرام. ومنّي: من عندي. وتصنع: تُربَّى وتنشأ. وعلى عيني: على مرأى مني ورعايتي. ٣٩ إذ تمشي: حين تتنقل بين المنازل. وأختك: شقيقتك. وتقول أي: لأهل فرعون. وهل أدلكم: أتريدون أن أرشدكم ؟ ويكفله: يرضعه ويربّيه. ورجعناك: أعدْناك. وكي تقرّ عينها: لتطمئنّ ويهدأ قلبها. ولا تحزن: يزول عنها الغمّ. وقتلت نفسًا: أفقدت القبطي روحه. ونجّيناك: أنقذناك. والغم: الحزن. وفتنّاك: اختبرناك بالمصائب. والفتون: المِحنة الشديدة. ولبثت: أقمت. وأهل مدين: سكّان بلدة مدين وفيها النبي شُعيب. وجئت: حضرت الآن. وعلى قدر: مصاحبًا الوقت المعين قدّرناه. ٤٠ اصطنعتك: اخترتك وهيّأتك بالعناية. ولنفسي أي: موضع الصنيعة عندي ومقر الإكمال والإحسان. ٤١ اذهب: ارحل إلى فرعون ومَن حوله. وأخوك أي: هارون. وبآياتي: مصاحبَين المعجزات التي ذُكرت قبلُ، من تغيرات العصا واليد. ولا تنيا: لا تقصّرا. والذكر: التسبيح والتعظيم والعبادة. ٤٢ طغى: تجاوز حد العبودية فتألّه. ٤٣ اللين: اللطيف. ولعله يتذكر، ليترجّى له الاتعاظ والاستجابة. ويخشى: يتهيّب العظمة الإلهية. ٤٤ ربّنا: يا ربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. ونخاف: نخشى. ويفرط علينا: يُعاجلنا بالبطش. ويطغى: يظلمنا. ٤٥ قال أي: الله. ولا تخافا: كونا مطمئنَّين. ومعكما: مصاحب لكما بالعون. وأسمع وأرى أي: أطّلع على حالكما وأحفظكما منه. ٤٦ ائتياه: احضُرا مجلسه. والرسول: من كلّفه الله تبليغ الدعوة مع العمل. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأرسل بني إسرائيل: أطلق ذرّية يعقوب من التحكم، ودعْهم يذهبون إلى بيت المقدس. ولا تعذّبهم: ارفع عنهم العذاب والقتل والإهانة. وجئناك بآية: أتيناك ومعنا حُجّة على النبوة والتوحيد. ومن ربك: من عنده وبأمره. والسلام: السلامة من عذاب الله. واتّبع الهدى: استجاب للحق وأسلم. ٤٧ أُوحي إلينا: أعلمَنا الله وأمرنا بالتبليغ. والعذاب: التعذيب الربانيّ. وكذّب: أنكر وجحد. وتولّى: أعرض عن الإيمان. ٤٨ قال أي: فرعون. ومَن أي: من هو وما صفته ؟ ٤٩ قال أي: موسى. وأعطى كل شيء: جعل في كل موجود. وخلْقه: تكوينه وما يناسبه من الإتقان. وهدى: وجّهه وعرّفه كيف ينتفع بها أعطاه. ٥٠ قال أي: فرعون. وما بال القرون: ماذا تقول في عبادة الأمم للأوثان ؟ والأُولى: الماضية. ٥١

المعنى العام: متابعة ما ذكّر الله به موسى من العون والنعم، في أمره أُمّه أن تلقيه في النيل ضمن صندوق لينقذه الأعداء، مطمئنًا لها بالحفظ والإعادة، وفيها أحاطه به من المحبة والرعاية، ووصوله إلى فرعون وإكرامه، وكيف سعت أخته في متابعة الصندوق مع جريان النهر، وإقناع أهل فرعون بعودته إلى أُمّه للرضاعة دون معرفتهم لها. وكذلك ما كان في إنقاذه من عقوبة قتله للقبطي، واطمئنانه في مدين، ثم مجيئه لتلقي الرسالة وتبليغها وإقامة الحجج عليها، مع بالغ العناية له ورعايته وعونه.

ثم أمر الله موسى بالذهاب مع أخيه إلى فرعون ودعوته بلطف لعله يؤمن، فخشيا أن يبطش بهما وطمأنهما الله بالمصاحبة والحفظ من شر فرعون. وعندما بلّغاه الرسالة والتوحيد والتهديد للكافرين بالاستئصال وسلامة المؤمنين من العذاب، وطلبا منه رفع الظلم عن بني إسرائيل وإطلاق سراحهم ليرحلوا إلى القدس، سألهما عن ربّهما: أي الله، وأجابه موسى بأنه الخالق للكائنات مع الإعداد والتوجيه إلى التصرف المناسب لها، فاعترض فرعون على تهديد الكافرين بأن الأمم الماضية لم تكن على التوحيد، وإن كان الحق ما وصفتَ فلِمَ بقيت تلك الأمم على عبادة الأوثان، ولم تهتد إلى التوحيد الذي تدعو إليه ؟

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا
وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ
فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ
وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا
النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾

ربع الحزب ٣٢

تفسير المفردات: قال أي: موسى لفرعون. وعلمها: معرفة أحوال تلك الأمم وما جرى عليها. وعند ربي: حاضر عنده. والرب: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. والكتاب: اللوح المحفوظ، السجلّ فيه ما كان وما سيكون في الوجود. ولا يضل: لا يخطئ فيما يريد ويفعل. ولا ينسى: لايذهل عن شيء. **٥٢** الذي جعل أي: قال الله: ربكم هو الذي صيّر. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمهد: الممهدة للسعي والعمل. وسلك لكم: سهّل لأجل مصالحكم. والسبل: الطرق، جمع سبيل. وأنزل: أسقط إلى الأرض. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما يشبهه. وأخرجنا به: أظهرنا من الأرض بسبب الماء. والأزواج: الأصناف، جمع زوج. والنبات: ما يظهر على الأرض من شجر وحشائش وأعشاب. والشتّى: المختلفة الصفات، جمع شَتيت. **٥٣** كلوا: تغذّوا منه وتمتّعوا به. وارعوا أنعامكم: دعوها تسرح لتتغذّى مع غيرها من الحيوانات كالخيل والحمير. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. وذلك أي: ما ذكر من النِّعم الربّانيّة. والآيات: العِبَر والأدلّة على الألوهية. وأولو: أصحاب، اسم جمع واحده ذو. والنهى: جمع نُهية، العقول تنهى عن القبائح. **٥٤** منها: من تربة الأرض. وخلقناكم: أوجدنا أباكم آدم. ونعيدكم: نردّكم ونرجعكم بالموت. ونخرجكم: نبرزكم ونخلقكم بالبعث. والتارة الأُخرى: الإخراجة الثانية المغايرة. **٥٥** أريناه: بصّرنا فرعون عِيانًا. والآيات: المعجزات الدالّة على صدق موسى. وكذّب: أنكر أنها من عندنا. وأبى: رفض التوحيد. **٥٦** قال أي: فرعون بعد ما رأى آيتَي العصا واليد. وأجئتنا: كيف تأتي إلينا ؟ وتخرجنا أي: توهم الناس أنك نبيّ فتخرجني مع أتباعي. وأرضنا: مصر. والسحر: ما يخدع الحواس والعقول الساذجة ويخيل لها غير الواقع. **٥٧** لنأتينك أي: نُقسِمُ لنُحضرنّ لك. ومثله: مماثل إياه في الخصائص والتأثير. واجعل: صيّر وحدّد. وموعدًا أي: زمن لقاء نتعهّد بحضوره. ولا نخلفه: لا نخلّ بالوفاء به. ومكانًا أي: في موضع. والسوى: الوسط بين الآتين إليه من طرفَي مصر. **٥٨** قال أي: موسى لفرعون. وموعدكم: وقت لقائكم. واليوم: النهار. والزينة: التزيّن للاحتفال بالعيد. ويحشر الناس: يُجمع أهل مصر. والضحى: قبل الظهر. **٥٩** تولى: انصرف من المجلس. وجمع: أمر بالجمع والحشد. والكيد: الاحتيال بها يخدع الناس. وأتى: جاء بالسَّحَرة والناس. **٦٠** لهم أي: للسَّحرة. الويل: العذاب والهلاك. ولا تفتروا: لا تكذبوا بها تخدعون الناس من السحر. والكذب: ما لا أصل له في الحق. يُسحتكم: يهلككم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وخاب: خسر. **٦١** تنازعوا أمرهم: تشاور السَّحَرة في العمل. وأسرّوا: أخفَوا وكتموا بينهم. والنجوى: الكلام الخفي. **٦٢** قالوا أي: بعضهم لبعض سرًّا. وإن هذان: إن موسى وهارون. وفي قراءة «إنّ» يكون نصب اسم الإشارة بحركة مقدرة على الألف كالاسم المقصور. وهي لغة بعض العرب. والساحر: من يخدع الحواسّ والعقول الساذَجة ويخيِّل إليها غير الواقع. ويريدان: يقصدان. ويخرجاكم: يشرّداكم. ويذهبا بطريقتكم: يقضيا على طريقتكم في السحر وتأليه فرعون. والمثلى: العظيمة جدًّا. **٦٣** أجمعوا كيدكم: أحكموا السحر وأتقنوه لتكون له الغلبة. وائتوا صفًّا: اندفعوا للسحر مصطفّين متعاونين. وأفلح: فاز. واليوم: هذا الوقت. واستعلى: تغلب على خصمه في المعارضة. **٦٤**

المعنى العام: أن موسى تابع كلامه على ضلال الأمم الماضية بأن أحوالها محفوظة عند ربه، فذكر اللهُ بعض نعمه دلالة على قدرته: تمهيد الأرض وإنزال المطر وخلق النباتات للإنسان والحيوان، وخلق آدم من التراب وموت البشر وبعثهم. ولمّا عُرضت المعجزات على فرعون تكبّر على الإيمان واتهم موسى بقصد تشريده مع قومه، وأنه سيقابل معجزاته بسحر، وتم الاتفاق على اللقاء في ضحى يوم عيد لهم، فجمع فرعون في ذلك الموعد ما في مملكته من السَّحَرة الإسرائيليين وفيهم السامري، وهدّدهم موسى لعلهم يتراجعون عن باطلهم، ولكنهم ردّدوا مقولة فرعون في اتهام موسى وهارون أنهما يريدان تشريدهم وتضليلهم، واتفقوا على العمل دُفعة واحدة للفوز والتغلب.

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى
﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا
كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا
قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ
لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ
أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا
فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ
عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

تفسير المفردات: قالوا أي: السَّحَرة. وتلقي: ترمي عصاك على الأرض. والأول: الأسبق في الإلقاء. ٦٥ قال أي: موسى. وألقوا أي: أنتم. وإذا حبالهم وعصيهم: فاجأت الحبالُ والعصيُّ بسرعةٍ إلقاءها. وهي جمع حبل وعصا. ويخيل إليه: يصوَّر إلى موسى. ومن سحرهم: بسبب خداعهم. وتسعى: حيّات تتحرك وتنتقل بسرعة. ٦٦ أوجس: أحس. والنفس: الضمير. والخيفة: خوف شديد أن يلتبس الأمر على الناس بين المعجزة والسحر. ٦٧ قلنا أي: قال الله لموسى. ولا تخف: انزع الخوف من نفسك واطمئنّ. والأعلى: الأكثر تغلّبًا. ٦٨ ألق: ارمِ. واليمين: اليد اليمنى. وتلقف: تبلع وتمحق وتبطل. وصنعوا: أتقنوه من السحر لا قيمة له. والكيد: الحيلة بها يخدع. والساحر: من يقوم بالسحر. ولا يفلح: لا يظفر ببُغيته. وحيث أتى: أينما فَعل ذلك. ٦٩ أُلقي: خرّوا عندما ابتلعت العصا سحرهم. والسَّحَرة: جمع ساحر. والسُّجّد: جمع ساجد خضوعًا. وآمنّا: صدّقنا وعرفت قلوبنا التوحيد. والربّ: الإلّه المعبود بحق. ٧٠ قال أي: فرعون. آمنتم له: كيف صدّقتموه؟ وآذن: أسمح. وكبيركم: العظيم بينكم في هذا العمل. وعلّمكم السحر: نقل إليكم خداعه. ولأُقطّعنّ: أُقسِم لأُمزّقنّ. والأيدي: جمع يد. والأرجل: جمع رِجل. والخلاف: مخالفة العضو لغيره في الجهة. وأصلّبنّكم: أجعلنّكم مصلوبين. وفي جذوع النخل: على سوقها بشِدّة. والجذوع: جمع جِذع. والنخل: الشجر ثمره البلح. وتعلمنّ: تعلمون أي: تتيقّنون. وأيّنا أشد: مَن مِنّا أقوى، ربّ موسى أم أنا ؟ والعذاب: التعذيب. والأبقى: الأدومُ والأثبتُ. ٧١ قالوا أي: السَّحَرة لفرعون. ولن نؤثرك: لا نفضّلك. وجاءنا: أتانا ورأيناهُ عِيانًا. والبيّنات: الدلالات على صدق موسى. والذي فطرنا: وعلى الله الذي خلقنا. واقضِ: احكم. وقاض: حاكم. وتقضي الحياة: تحكم على حياتنا. والدنيا: القريبة منّا ونحن فيها. ٧٢ آمنّا: اعتقدنا الوحدانيّة. ويغفر: يستر ويمحو. والخطايا: جمع خطيئة ، ما كان من الذنب عن عمد. وأكرهتنا: أجبرتنا. والله: المعبود بحق. وخير: أفضل وأنفع. ٧٣ يأتي ربه: يحضر حساب الله يوم القيامة. والمجرم: الكافر. وجهنم: التعذيب الذي فيها. ولا يموت: لايكون فيه الموت المريح. ولا يحيا: لا تكون فيه الحياة النافعة. ٧٤ المؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب وتحمل. والصالحات: ما حسّنه الله. والدرجات: المراتب. والعلى: العالية في الجنة، جمع عُليا. ٧٥ الجنة: الحديقة فيها الشجر والقصور والنعيم. والعدن: الإقامة. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. والخالد: المقيم أبدًا بلا تعرض للفساد. وذلك: ما ذُكر من الثواب. والجزاء: المكافأة. وتزكى: تطهر من الذنوب بالتوبة والصلاح.٧٦

المعنى العام: ما كان بين السَّحرة وموسى، إذ خيّروه في بدء العمل واختار لهم أن يبدؤوا، فألقوا الحبال والعصيّ يسحرون بها كأنها أفاع تتواثب، وأوهموه أنها تتحرك بأشكال عجيبه، فخشي أن يَفتن الناسَ شَبهُ معجزته بما ظهر من سحرهم، لأن ظاهر الأمرين أنهما أفاع متواثبة من جنس واحد، فطمأنه الله بتغلب معجزته وأمره بإلقاء عصاه لتقضي على السحر الذي لا يفيد صاحبه مهما فعل.

ولما فعل موسى ما أُمر به التهمت العصا أوهامهم، وخرّ السَّحَرة ساجدين مؤمنين، وأنكر عليهم فرعون إيمانهم دون إذنه، واتهمهم أنهم تلاميذ لموسى علّمهم السحر، وتواطؤوا معًا على المكر والخداع، وهدّدهم بتقطيع الأطراف مخالفًا بينها يدًا من طرف ورجلًا من الطرف الآخر مع صلبهم، ليروا أن بأسه وانتقامه أعظم مما هدّد به موسى، فأجابوه بالثبات على الإيمان والتوحيد وليفعلْ ما يشاء في الدنيا، وأنهم آمنوا ليغفر الله لهم الخطايا و ما أُجبروا على فعله من الأباطيل والخداع، وأن ثواب الله خير وأبقى.

وقد عقّب الله على قولهم بأن الكافر يخلد في جهنم فيقارب الموت ولا يُجهَز عليه، ولا تكون له حياة نافعة، والمؤمن الصالح له المنازل الرفيعة في جنات الخلود، بما فيها من النعيم والمكافأة الربّانيّة، جزاء إيمانه وصلاحه وتطهّره من الكفر والمعاصي.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

تفسير المفردات: أوحينا إلى موسى: أمره الله. وأن بمعنى: أي. وأسرِ بعبادي: سِر مع بني إسرائيل ليلًا. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. واضرب لهم: اجعل بعصاك لعبورهم. والطريق: المسلك تطؤه الأقدام. والبحر معروف باسم الأحمر. واليبس: اليابس. ولا تخاف: لا تتوقعُ. والدرك: لحاق فرعون بك. ولا تخشى: لا ترهبُ غرقًا. ٧٧ أتبعهم بجنوده: تبعهم وأرسل وراءهم الجنود، واحده جندي. وغشيهم: طمرهم. واليم: موج البحر. ٧٨ أضلّ: ضلّل وأهلك. وقومه: الأقباط العرب. وما هدى: ما أرشدهم إلى الصواب. ٧٩ بنو إسرائيل: سلالته اليهود الحاميّون من ذرية يعقوب ولقبه إسرائيل، أي: عبد الله. وأنجيناكم: أنقذناكم. العدو: المعادي. وواعدناكم: حدّدنا لكم وقتًا. والجانب: الطرف. والطور: جبل في سَيناء. والأيمن: المبارك. ونزّلنا: أسقطنا. والمنّ: نوع من الحلوى كالثلج. والسلوى: طير السُّماني. ٨٠ كلوا: تغذّوا. والطيّب: الحلال المستلذّ. ورزقناكم: أنعمنا عليكم. ولا تطغوا: لا تتجاوزوا بالإسراف ومنع الحقوق وعدم الشكر. ويحل: يجب. والغضب: السخط العظيم وإرادة الانتقام. وهوى: سقط في النار. ٨١ الغفّار: الكثير الستر للذنوب والتجاوز عنها. وتاب: رجع عن الشرك. وآمن: وحّد الله. وعمل: اكتسب وتحمّل. والصالح: ما شرعه الله. واهتدى: استقام على الحق. ٨٢ ما أعجلك: ما الذي أوجب سبقك ؟ والقوم: وفد بني إسرائيل. ٨٣ قال أي: موسى. أولاء: قريبون مني. وعلى أثري: يمشون بتتبع أثري. وعجلت: سبقت إلى المناجاة. وربّ: يا ربّي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وترضى:يزداد رضاك عليّ. ٨٤ قال أي: الله. وفتنّا قومك: ابتلينا بني إسرائيل لامتحان إخلاصهم. وبعدك: بعد فراقك لهم. وأضلّهم: أفسد اعتقادهم. والسامري: صائغ منافق من بني إسرائيل اسمه موسى بن ظفر، أحد سحرة فرعون. ٨٥ رجع: عاد من موقف المناجاة. والغضبان: الشديد السخط عليهم. والأسف: الشديد الحزن. ويا قوم: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. وألم يعدكم: لقد أمّلكم وتعهّد لكم. والحسن: الخيّر. وطال: امتدّ. والعهد: زمن مفارقتي لكم. وأردتم: قصدتم. ومن ربكم: من عنده. وأخلفتم موعدي: نقضتم ما تعهّدتم به من التوحيد. ٨٦ بمَلكنا: مع قدرتنا على ضبط أمرنا. وحُمّلنا: حمّلنا قومُ فرعون بمصر. والأوزار: الأثقال، جمع وِزر. والزينة: ما يُتزيّن به من مصوغات المعادن الثمينة. وقذفناها: ألقيناها في النار. وكذلك أي: كما ألقينا. وألقى: رمى ترابَ أثرك ـ يا موسى ـ فيما صاغه من صورة العجل. ٨٧

المعنى العام: أن الله أمر موسى بالذهاب ليلًا مع بني إسرائيل إلى ما كانوا فيه قبلُ من التشرّد، وأن يضرب البحر بعصاه، لتنشق المياه بمرتفعات من قاعِه، تجفّ ويعبر عليها قومه ناجين دون خوف أو خطر من فرعون، وقد تبعهم هذا وأراد العبور بجنوده، فغارت المرتفعات وغرقوا جميعًا، وأنقذ الله موسى وقومه من الهلاك. وهكذا سبب فرعون لقومه الكفر والهلاك ولم يقدم لهم ما وعدهم من الخير.

وقد خاطب الله بني إسرائيل في عهد النبوّة، يذكرهم بنعمه على أجدادهم حين أنجاهم من التعذيب والهوان، وحين ضرب لهم موعدًا لوحي التوراة، وأنزل عليهم في التيه المنّ والسلوى ـ فليأكلوا وليستقيموا لئلّا ينتقم الله منهم. وهو المنتقم من الظالمين والغفور للصالحين ـ وأنه لمّا تعجّل موسى لتلقي التوراة ورضا الله أعلمه الله أن قومه أضلهم السامري بعبادة العجل، فعاد موسى غاضبًا حزينًا ، وأنكر عليهم الكفر، وحين أنعم الله عليهم بالنجاة والتوراة، فاعتذروا بأن ما فعلوه فوق طاقتهم، لأن السامري صنع لهم من المعادن الثمينة التي كانت معهم صنم العجل، وألقى فيه تراب أثر مشي موسى...

فما ذكره المفسرون من تراب حافر فرس جبريل كلام باطل لا أصل له، لأن بني إسرائيل يكفرون بجبريل، ولايقبلون منه شيئًا. فكيف يؤمنون بتراب أثر حافر فرسه ؟ وجبريل مخلوق نوراني، لا يحتاج إلى فرس في زيارة الأنبياء للتبليغ.

الجزء السادس عشر سورة طه

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ
أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ
إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ
فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ
إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

تفسير المفردات: أخرج لهم: صنع السامري وصاغ لتضليلهم. وعجلًا: صنمًا في صورة ولد البقرة. والجسد: شكل الجسم. والخوار: صوت كخوار البقر. وقالوا أي: السامري وأتباعه لبني إسرائيل. وهذا أي: العِجل. والإلّه: المعبود بحق. ونسي: نسيه، أي: غفل عنه وتركه. **٨٨** ألا يرون أن: إنهم يرون ويعلمون أنّه. ولا يرجع قولًا: لا يردّ جوابًا. ولا يملك: لا يقدر ولا يستطيع. والضر: دفع الأذى. والنفع: جلب ما فيه الخير. **٨٩** هارون: أخو موسى. وقبلُ: قبلِ عودة موسى. وقوم: قومي. حذفت الياء للتخفيف. وفُتنتم: ابتُليتم لتُصرفوا عن الإيمان. وبه: بتضليل العجل لكم وعبادته. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. واتّبعوني: استجيبوا لي. وأطيعوا أمري: امتثلوا ما آمركم به. **٩٠** لن نبرح: لا نزال. وعليه عاكفين: على عبادته مقيمين. ويرجع: يعود من المناجاة. **٩١** قال أي: موسى. وما منعك: ما الذي صدّك ؟ وإذ رأيتهم: حين بصُرت بهم. وضلّوا: خرجوا عن الإيمان إلى الكفر. **٩٢** ألّا تتّبعنِ: من ألّا تتّبعني أي: لا تلحقني إلى الجبل لتخبرني بما حصل. وحذفت الياء للتخفيف. وأعصيت: هل خالفت ؟ والأمر: الطلب بما يجب. **٩٣** قال أي: هارون. ويا ابنَ أُمَّ: يا ابن أُمّي. حذفت الألف المبدلة من الياء تخفيفًا. ولا تأخذ بلحيتي: لا تمسكها ولا تجرَّها. واللحية: شعر الخدَّين والذقن. والرأس: ما فوق العنق. وخشيت: خفت. وفرّقت بين بني إسرائيل: قسّمتهم وجعلتهم يختصمون. وترقب: تنتظر. وقولي: حكمي وأمري. **٩٤** قال أي: موسى. وما خطبك: ما شأنك الذي دعاك إلى ما صنعت ؟ **٩٥** قال أي: السامريّ لموسى. وبصرت: علمت. ولم يبصروا به: لم يعلموه. وقبضت: ملأت كفّي. والقبضة: ما يملأ الكفّ. والأثر: ما يتركه المشي على التراب. والرسول أي: أنت يا موسى. ونبذتها: ألقيتها في صورة العجل المصوغ. وكذلك أي: هذا العملَ. وسوّلت: زيّنت. والنفس: الضمير والعقل. **٩٦** قال أي: موسى للسامري. واذهب: ارحل عنّا. والحياة: حياتك. وتقول أي: لمن تراه. ولا مِساس: لا لَمسَ باليد أو غيرها، أي: لا تقربني ولا تمَسّني ولا أمَسّك. والموعد: الوقت المحدّد للعذاب. ولَن تُخلَفَه: لن يُخلِفك اللهُ إياه. وانظر: وجّه بصرك. وإلّهك: معبودك. وظلت: ظَلِلت أي: دمت. حذفت اللام الأولى للتخفيف. وعليه عاكف: على عبادته مقيم. ولنحرّقنّه: أُقسِمُ لنبرُدنّه بالمِبرد بردًا نمحقه به. ونسفنه: نُلقينه بتفرقة وتشتيت. واليم: البحر. **٩٧** والإلّه: المعبود بحق وحده. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ووسع كل شيء: احتوى كل مخلوق وحفظه. والعلم: الإحاطة المطلقة. **٩٨**

المعنى العام: متابعة ما فعل السامري بأنه صاغ لبني إسرائيل من المعادن الثمينة صنمًا على شكل العجل، جثة جامدة من المعادن، إذا جرت الريح في جوفها صدر منه ما يشبه الخوار، وزعم مع أصحابه لبني إسرائيل أن ذلك هو رب موسى نسيه بينهم.

هكذا ضلوا بعبادة العجل مع أنهم يعلمون عجزه عن الكلام وجلب النفع ومنع الضر، وكان هارون قد نصحهم بأنهم فتنوا بالباطل وعليهم العودة إلى التوحيد فلم يطيعوه، واستمروا على عبادة العجل حتى يعود موسى.

وعندما رجع موسى من المناجاة ومعه ألواح التوراة، أنّب أخاه هارون وشدّه من لحيته ورأسه يعنّفه، فرجاه هارون أن يرأف به، واعتذر بخشية تفرُّقِ القوم واقتتالهم، وسأل موسى السامريَّ عما دعاه إلى ما فعل لقومه، فأجابه أنه علم ما لم يعلموا، وأخذ قبضة من تراب الرسول، لا من أثر حافر فرس جبريل كما يزعم المفسّرون، وألقاها على العجل المصوغ بما زينت له نفسه، ليوهمهم أنّه إلّه. والرسول هنا هو موسى عليه السلام خاطبه السامري، كما يخاطب الإنسان الأمير أو صاحبه بقوله: ما يقول الأمير أو الأخ في كذا ؟

فطرده موسى ودعا عليه أن يصاب بالحُمَّى، لا يحتمل مسّ إنسان، وله عذاب في موعده المحدد، ثم حطم العجل وبرده بالمبارد وألقى نُثاره في هواء البحر، وذكر للقوم أن الله هو المعبود بحق وحده، والمحيط بالكون كله علمًا وتصرفًا.

تفسير المفردات: كذلك: كما سردنا عليك قصة موسى، أيها النبيّ. ونقص: نسرد. والأنباء: جمع نبأ. وهو الخبر العظيم. وما سبق: من مضى من الأُمم. وآتيناك: أعطيناك. ولدنّا: عندنا. والذكر: القرآن بما فيه تذكير وهداية ووعظ. ٩٩ أعرض: انصرف وامتنع. ويحمل: يكلَّف بالحمل ونيل الجزاء. واليوم: الوقت. والقيامة: بعث الناس للحساب. والوزر: ما ثقل من عذاب العصيان. ١٠٠ خالدين أي:مقيمين أبدًا. وفيه: في العذاب. وساء: بلغ الغاية في السوء والقبح والشر. والحمل: ما يُحمل من الإثم والعقاب. ١٠١ ينفخ: يدفع الريح من فم إسرافيل. والصور: مخلوق عظيم يشبه القرن. ونحشر: نُخرج من القبور ونجمع بالقهر. والمجرمون:الكافرون. ويومئذ: حين الحشر.والزرق: جمع أزرق. والمراد زُرقة الجلود من مكابدة الشدائد. ١٠٢ يتخافتون: يتهامسون. وإن لبثتم: ما أقمتم في الدنيا والقبور. وعشرًا أي: عشر ليال بأيامها. ١٠٣ نحن: ضمير العظمة والتفخيم لله، تعالى. وأعلم: أكثر إحاطة منهم ودقّة اطّلاع.وما يقولون أي: قولهم. وأمثلهم: أعدلهم. والطريقة: الرأي. واليوم: ليل ونهار. ١٠٤ يسألونك: يطلب الكافرون جوابًا منك، أيها النبيّ. والجبال: جمع جبل. وهو ما علا وصلب من الأرض. وقل أي: لهم. وينسفها: يدكّها ويفجّرها وينثرها. والربّ: الخالق المالك المتصرف المتفرد. ١٠٥ يذرها: يجعلها. والقاع: الأرض المنبسطة. والصفصف: المستوي. ١٠٦ لا ترى: لا تبصر، أيها المخاطَب. والعوج: الانخفاض والتعرج. والأمت: الارتفاع. ١٠٧ يومئذ: حين تُنسف الجبال. ويتّبعون: يتابع الناس. والداعي: جبريل يدعو الناس جميعًا يوم القيامة للعرض على الحساب. والعوج: الزيغ في الاتّباع. وخشعت: سكنت وهدأت. والأصوات: ما يصدر عن الناس من كلام وصراخ، جمع صوت. وللرحمن: لهيبة الله الكثير العطف بالإحسان. ولا تسمع: لا تدرك بالسمع. والهمس: الصوت الخفيّ. ١٠٨ يومئذ: يوم القيامة. ولا تنفع: لا تفيد. والشفاعة: طلب الإحسان والتجاوز عن الذنب. وأذن له: سَمح بالشفاعة لأجله. ورضي: قبِلَ. والقول هو عبارة التوحيد التي كان يقولها في الدنيا. ١٠٩ يعلم: يطّلع الله ويحيط بالغَ الإحاطة. وما بين أيديهم: ما سيحصل لهم في الآخرة. وما خلفهم: ما مضى في الدنيا. ولا يحيطون به: لا يدركون من ذات الله وصفاته. والعلم: الدراية اليقينيّة. ١١٠ عنت: خضعت. والوجوه: جمع وجه، أي الرؤوس. وللحيّ: لعظمة الله وجلاله. وهو الدائم الوجود. والقيوم: الدائم القيام بتدبير شؤون الخلق. وخاب: خسر. وحمل: اكتسب وتحمّل. والظلم:الكفر. ١١١ يعمل: يكتسب. والصالحات: ما حسّنه الشرع. والمؤمن: الذي صدّق الله ورسوله. ولا يخاف: لا يخشى ولا يتوقع. والظلم: الجَور. والهضم: نقص الثواب. ١١٢ كذلك: كما أنزلنا القِصص المتقدّمة. وأنزلناه: أوحينا القرآن. وقرآنًا: مقروءًا. وعربيًّا: فصيحًا في منتهى البلاغة بلغة المخاطبين. وصرّفنا: فصّلنا. والوعيد: التهديد بالانتقام من المشركين. ولعلهم: ليُترجّى لهم. ويتّقون: يتجنّبون الشرك ويلزمون الطاعة. ويحدث: يوجد القرآن. والذكر: الاتعاظ والاعتبار. ١١٣

الجزء السادس عشر — سورة طه

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ
فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ
لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا
﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ
قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ
حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٢

المعنى العام: أن أخبار الأمم ترد في القرآن كما جاء فيما مضى وفي ذلك تذكير وتوجيه إلى الهداية، وللكافرين ما يحملون من الذنوب مع خلود في العذاب أسوأ ما يكون، يوم يستجيبون بالقهر لنفخة إسرافيل في الصُّور، ويُحشرون بأشنع الهيئات، يتهامسون بأن ما أمضوه في الدنيا والقبور أيام قليلة أو يوم واحد، والله أعلم بقولهم وبذلك.

يسألك الكافرون ـ أيها النبيّ ـ عن الجبال، والجواب أن الله يفجرها ويسوّي بها الأرض، وينساقون خلف جبريل للحساب، بخشوع وذلّة وهمس. وهنالك لا شفاعة إلّا لمن رضي الله عنه بإيمانه ـ والله يحيط بعلمه الكون ولا يعلم المخلوقون من حقيقته شيئًا ـ وقد ذلت العباد وانقادت له وكانت الخسارة لمن كفر.

وهذا القرآن أوحي واضحًا يتكرر فيه التهديد بالحساب، ليستجيب إليه الكافرون أو يتعظوا بشيء من الهداية.

تفسير المفردات: تعالى: تعظّم وتنزّه. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والمِلك: المالك للخلق. والحق: الثابت في ذاته وصفاته. ولا تعجل بالقرآن: تمهّل ـ أيها النبيّ ـ في التلقي والتلاوة والحفظ لِما يوحى إليك. ويقضى: يُنهى. والوحي: التنزيل. وربّ: يا ربّي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وزدني: أضف إلى علمي. والعلم: المعرفة. **١١٤** عهدنا إلى آدم: وصّيناه وأمرناه بعدم الأكل من الشجرة. قبلُ أي: قبلِ أكله منها. ونسي: غفَل عن الأمر. ولم نجد له عزمًا: لم يكن له في علمنا حفظ للأمر. **١١٥** إذ قلنا: وقت أمرنا. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية مطهّرة. واسجدوا أي: سجودَ انحناء للإكرام. وإبليس: أبو شياطين الجنّ. وأبى: امتنع. **١١٦** هذا أي: إبليس. والعدو: المعادي. والزوج: الزوجة حوّاء. ولايخرجَنّكما أي: لاتفعلا بطاعته أسباب الخروج. والجنّة: الحديقة العظيمة في الأرض. وتشقى: تتعب كثيرًا. **١١٧** لا تجوع: لا تشعر بالحاجة إلى الطعام ولا تجده. وفيها: في الجنّة. وتعرى: تكون بدون ما يقي بدنك من الضرر. **١١٨** تظمأ: تعطش ولا تجد الشراب. وتضحى: تتأذّى بحر الشمس. **١١٩** وَسوس إليه: أسرّ إليه إغراء بالعصيان. والشيطان: إبليس. وهل أدلك أي: أتريد أن أُرشدك؟ والشجرة: ما ينبت مما له ساق وجذور وثمر. والخلد: البقاء وعدم الموت. والمُلك: التملّك والتصرُّف. ولا يبلى: يدوم أبدًا ولا يفنى. **١٢٠** أكلا: أكَلَ آدم وحواء. ومنها: من ثمر الشجرة. وبدت: انكشفت لسقوط ما كان يسترها. والسوءة: ما يسوء صاحبه إذا انكشف: الفرج والدُّبر. وطفقا: صارا. ويخصفان: يُلزقان للتستُّر. وورق الجنّة: ورق أشجارها. وعصى: خالف. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح خلقه. وغوى: ضلّ عن الصواب. **١٢١** اجتباه: قرّبه إلى رحمته. وتاب عليه: قبِلَ توبته وغفر له. وهدى: أرشده إلى الحق. **١٢٢** قال أي: الله. واهبطا منها: اخرجا من الجنّة المتميّزة في الأرض وانزلا من المرتبة العالية. والبعض: الواحد أو الأكثر. وإمّا يأتينّكم: إن يصل إليكم. ومنّي: من عندي وبأمري. والهدى: ما يرشد إلى التوحيد. واتّبع هداي: أطاع ما فيه من الأمر والنهي. ولا يضل: يهتدي ولا يخرج عن الحق. ولا يشقى: لا تسوء حاله. **١٢٣** أعرض: انصرف بالكفر. والذكر: التذكير والوعظ. والمعيشة: العيش والحياة. والضنك: العسيرة الخانقة. ونحشره: نخرجه من قبره للحساب. واليوم: الوقت. والقيامة: بعث الناس للحساب. والأعمى: الذي لا يبصر. **١٢٤** لِمَ أي: لأيّ سبب ؟ وكنت أي: في الدنيا. والبصير: ذو البصر. **١٢٥**

الجزء السادس عشر سورة طه

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن
يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا (١١٤) وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ
إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا (١١٥) وَإِذۡ قُلۡنَا
لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ
(١١٦) فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا
مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ (١١٨)
وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ (١١٩) فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ
ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ
لَّا يَبۡلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١)
ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا
جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى
فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ (١٢٣) وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن
ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
أَعۡمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا (١٢٥)

المعنى العام: أن الله المالك للخلائق بحق تعظَّم وترفَّع عن كل نقص.

ولمّا كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي يُتعِب نفسه في التسرع بالترداد والحفظ نزلت الآيات توجّهُه إلى التريّث ليتيسّر له التلقي باطمئنان، وإلى دعاء الله أن يزيده علمًا وتثبيتًا، وتَذكرُ ما كان من نسيان آدم وصيةَ الله إيّاه، وضعفه عن حفظ الأمر في الجنّة.

فقد أمر الله الملائكة بالسجود احترامًا لآدم واستجابوا لذلك بالطاعة، وأبى الجنيُّ إبليس، وهو بين الملائكة، فنبّه الله آدم إلى عداوة إبليس له ولحوّاء وحذّرهما أن يطيعاه لئلّا يسبب لهما الخروج من الجنّة للشقاء في غيرها، وهي عامرة بما يُحتاج إليه من الغذاء والشراب والوقاية من كل أذى، ونهاه عن الأكل من الشجرة، فأغراه إبليس بأن الأكل من ثمرها يجعله ملِكًا خالدًا.

ولمّا نسي آدم نهيَ الله له وأكل منها هو وحواء انكشفت عوراتهما وصارا يتستّران بورق الشجر، ثم تاب آدم عن العصيان واستغفر فقرّبه الله وعفا عنه وعن حواء وهداهما سبيل الصواب، وأخرجهما من الجنّة ليكون بين أبنائه الحياة بما فيها من العداوة، وليتلقوا النبوة والهداية، فالمطيع من سلالته يسعد في الدنيا والآخرة بالصلاح والنعيم، والعاصي بالكفر عن الوعظ والإرشاد والإيمان يشقى في الدنيا بحياة شاقة، ويُحشر يوم القيامة أعمى، فيعجب لِما هو فيه متسائلًا لأنه لم يكن كذلك في الدنيا...

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ
نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ
فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ
سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ
وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا
تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ
﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي
ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ
لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن
قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

تفسير المفردات: قال أي: الله للأعمى يوم القيامة على لسان ملائكة العذاب. وكذلك: مثلَ هذه الحال تلقَّيت الهداية بالتعامي. وأتتك: جاءت إليك وكُلِّفت باتباعها. والآيات: الأدلة على التوحيد من الوحي على الرسل. ونسيتها: تعاميت عنها. واليوم: يوم القيامة. وتُنسى: تُهمل وتترك في النار أعمى. ١٢٦ كذلك: مثلَ هذا الجزاء. ونجزي: نعاقب في الدنيا. وأسرف: جاوز الحدّ بالعصيان فأشرك. ولم يؤمن: لم يصدّق. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والآخرة: يوم القيامة. وأشدّ: أقوى. وأبقى: أدوَم. ١٢٧ ألم يهد لهم: كان على كفار قريش أن يبيّن لهم ويرشدهم. وكم أهلكنا: كثير إهلاكنا وإفنائنا. والقرون: الأمم، جمع قرن. ويمشون: يسير كفار قريش ويتنقلون. ومساكنهم أي: مساكن الأمم الماضية. والمفرد مَسكَن. وذلك أي: الإهلاك للأمم الكافرة. والآيات: العِبر والعظات. وأولو: أصحاب، واحده ذو. والنهى: جمع نُهية. وهو العقل. ١٢٨ لولا أي: لولا وجود. وكلمة أي: حكم أزلي. وسبقت: سُجلت وقُدّرت فيما مضى. ومن ربك: من عنده وبعلمه. وكان لزامًا: كان إفناء مشركي قريش لازمًا في الدنيا. والأجل: الزمن المؤخر. والمسمى: المحدّد لحدوث الشيء. ١٢٩ اصبر: تجلّد وتحمّل، أيها النبيّ. ويقولون أي: المشركون. وسبّح: صلِّ ونزّهِ الله. وبحمد ربك: مع الثناء عليه بالجميل للهداية والتوفيق. وطلوع الشمس: شروقها. وغروبها: غيابها. والآناء: الساعات، جمع إنًى. والليل: ما بين الغروب والفجر. والأطراف: الجوانب، جمع طرَف. ولعلك: لترجّي. وترضى: تطمئن وتَسعد. ١٣٠ لاتمدّنّ عينيك: لا تُطِلِ النظر إعجابًا. ومتّعنا: أعطينا من المُتع استدراجًا. والأزواج: جمع زوج، الفرد من الناس. والزهرة: الزينة والبهجة. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. ونفتنهم: نختبرهم ليظهر المحسن من المسيء. والرزق: ما يصل إلى المؤمنين في الجنّة. وخير: أفضل من نعم الدنيا. ١٣١ اؤمر: دُم على المطالبة والمتابعة. وأهلك: أهل بيتك ومِلّتك. والصلاة: العبادة المكتوبة خمس مرات في اليوم. واصطبر عليها: تصبّر لأدائهم إيّاها. ولا نسألك: لا نكلّفك. والرزق: تأمين حاجات الناس. ونرزقك: نعطيك. والعاقبة: النتيجة المحمودة. والتقوى: خشية الله وتجنب غضبه وطلب رضاه بالطاعة. ١٣٢ قالوا أي: المشركون. ولولا: هلّا، للتحضيض والتعجيز. ويأتينا: يُحضر لنا محمد. والآية: المعجزة. ومن ربه: من عند ربه. وألم تأتهم: لقد وصلتْ إليهم. والبينة: البيان الواضح في القرآن الكريم. والصحف: الكتب الإلّهية، جمع صحيفة. والأولى: القديمة. ١٣٣ لو أي: لو حصل. وأهلكناهم: أفنينا مشركي قريش. والعذاب: التعذيب بالكوارث والجائحات. وقبله: قبل محمد. وربّنا: يا ربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. ولولا: هلاّ، للتمنّي والابتهال. أرسلتَ: بعثت بالعقيدة والشريعة. ونتّبع: نصدّق ونطيع. ونذلّ: نُحتقر يوم القيامة. ونخزى: نَفتضح. ١٣٤ قل أي: لهم. وكلٌّ: كلُّ واحد منّا ومنكم. ومتربص: منتظر بمشقّة ما سيكون. وتربّصوا: انتظروا. وستعلمون: سترون باليقين. والأصحاب: جمع صاحب. والصراط: الطريق. والسويّ: المستقيم. واهتدى: توجه إلى الصواب والحق. ١٣٥

المعنى العام: متابعة ما كان يوم القيام بأنه يقال للكافر: إنه ينال عقاب تعاميه عن الوعظ وانصرافه إلى الكفر. وسينال الكافرون مثل عقابه في الدنيا وأشدّ منه في الآخرة.

وقد كان على مشركي قريش أن يتعظوا بما جاءهم من إهلاكنا للأمم الكافرة، وهم يمرّون بديارها، وفيها عبرة للعاقلين. ولولا القدر المسجّل بأن أمة محمد ﷺ يؤخّر عذابها، ولولا الأجل المضروب لها، لهلكتْ كما جرى لغيرها. فاصبر على مزاعمهم - أيها النبيّ - ودُم على تأدية الصلوات الخمس في أوقاتها مع التسبيح، ليكون لك الرضا والطأنينة، ولا تشغل نفسك أنت وأمتك بما أنعمنا على الكافرين من المتاع نستدرجهم به، لأن نعيم الآخرة أعظم وأثبت، وتابع أمر الصلاة بين المؤمنين بصبر، ولك الرزق منّا في الدنيا ونعيم الجنة في الآخرة. وقد طالبك الكافرون بالمعجزات ليكذبوها، وفيما بلغهم من أخبار الماضين عظة لهم وبيان لِما في كتب الرسل المتقدمين، ولو نزل بهم الدمار لكفرهم قبلك لاحتجوا في الآخرة بأنهم ظُلموا وإنما ضلوا لفقد المرسلين. فبلّغهم - أيها النبي - أنكم أنتم وهم جميعًا تنتظرون حكم الله بينكم. فليتنظروا ليروا: من هو المهتدي إلى الصواب؟

٢١ ـ سورة الأنبياء

تفسير المفردات: اقترب: دنا. والناس: أهل مكة. وحسابهم: وقت محاسبتهم. والغفلة: السهو لعدم التفكير. ومعرضون أي: لايبالون إذا ذكّروا. ١ ما يأتيهم: ما ينزل و يُتلى عليهم.ومن ذكرٍ أي: ذكرٌ. وهو: النص القرآني. ومن ربهم: من عند خالقهم ومالكهم المتفرّد. ومحدث: يتجدد وقتًا بعد آخر. واستمعوه: سمعوه. ويلعبون: يسخرون. ٢ اللاهية: الغافلة. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يمدّ الدماغ بماء الحياة سائغًا ويساعده على القيام بوظائفه. وأسرّوا: كتموا بينهم. والنجوى: تحاورهم فيما بينهم بالكلام الخفيّ. وظلموا: كفروا. وهل هذا أي: ليس محمد. وبشرٌ أي: إنسان لا ملَك ولاجنيّ. ومثلكم: مماثل لكم في الخلقة. وأتأتون: لا يجوز أن تتبعوا. والسحر: ما يوهم الحواس والعقول السفيهة ويخيل إليها غير الواقع. وتبصرون: تعلمون ذلك. ٣ قال أي: النبي ﷺ لهم. ويعلم القول: يطّلع و يحيط بما يقال. والسماء: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة. ٤ قالوا أي: المشركون عن القرآن الكريم. والأضغاث: جمع ضِغث، المجموعة من الأمور المختلطة. والأحلام: جمع حُلم، الأوهام مما يُرى في المنام والخيال. وافتراه: اختلقه محمد ﷺ و ليس من عند الله. وشاعر أي: كذّاب، لأن الشعر عندهم مصدره الكذب. ويأتينا: يُحضر لنا. والآية: المعجزة الخارقة تحملنا على الإيمان. وأُرسل: بُعث بالدعوة. والأولون: الرسل المتقدّمون. ٥ ما آمنت: ما صدّقت. ومن قريةٍ أي: بلدةٌ طلب أهلُها من رسولهم معجزات. وأهلكناها: قضينا تدميرها. وأهم يؤمنون أي: لن يؤمنوا إذا جئتَهم بالمعجزات. ٦ ما أرسلنا: ما كلّفنا بالدعوة إلى التوحيد مع العمل. والرجال: جمع رجل، الذكر من البشر. ونوحى إليهم: نبلّغهم. واسألوا: اطلبوا المعرفة عن الرسل، أبشرًا كانوا أم ملائكة ؟ وأهل الذكر: علماء الكتب المقدّسة كالإنجيل والتوارة. ولا تعلمون: لاتدرون حقيقة الرسل. ٧ ما جعلناهم: ما صيّرنا الرسل. والجسد: الجسم. لا يأكلون: لا يتغذّون كالبشر. والطعام: ما يكون للأكل والشرب. وخالدين أي: باقين في الدنيا. ٨ صدقناهم الوعد: حقّقنا ما وعدناهم به من النصر. وأنجيناهم أي: أنقذناهم. ونشاء: نريد إنقاذه. وأهلكنا أي: أفنينا بالاستئصال. والمسرفون: المفرطون في الكفر. ٩ أنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. وإليكم يعني: أيها العرب. والكتاب: القرآن الكريم. وذكركم: وصفكم الحميد خالدًا. وألا تعقلون: استعملوا عقولكم للاتعاظ وترك المكابرة بالباطل. ١٠

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ
افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

المعنى العام: أن يوم القيامة اقترب لحساب الكافرين، ولكنهم مشغولون بالإعراض والشهوات، يتقبلون الدعوة متهكمين عابثين، متهامسين أن النبي إنسان من الناس مسحور، فلا يجوز اتباع السحر المرئيّ عِيانًا. وقد ردّ عليهم النبي ﷺ بأن أسرارهم مكشوفة لأن الله يعلم ما يقولون وما في الكون كله.

ثم زعموا أن ما في القرآن أوهام أحلام واختلاق شاعر، وطلبوا معجزة مثل معجزات الرسل، وتجاهلوا أن الأمم التي جاءتها المعجزات كفرت بها فأُهلكت، وهؤلاء سيكذبون المعجزات إن جاءتهم فيكون مصيرهم كمصير أولئك.

وإنما كان الرسل فيما مضى رجالًا مثلك من البشر يأكلون ويموتون، نصرهم الله وأنقذهم مع المؤمنين، وأهلك الكافرين. فاسألوا ـ أيها الكافرون ـ أصحاب الكتب السماوية، إن كنتم جاهلين.

وهذا القرآن يخلّد ذكركم الحميد بين الأمم. فتدبّروا بالعقل ما هو خير لكم واعملوا ما يوجبه عليكم لمصلحتكم في الدنيا والآخرة.

تفسير المفردات: كم قصمنا: كثيرًا ما حطمنا وأهلكنا. ومن قريةٍ أي: بلدةً بمن فيها. والظالمة: الكافرة. وأنشأنا: أوجدنا بدلًا ممن استؤصلوا. والقوم: الجماعة من الناس. والآخرون: المغايرون لمن أُبيد. ١١ لمـّا أحسوا: حينما رأوا وأدركوا. والبأس: البطش. وإذا هم يركضون: فاجأ نزولَ البأس هربُهم للنجاة. ومنها: من القرية. ١٢ لا تركضوا: لاتهربوا. وارجعوا: عودوا. وأترفتم: تنعّمتم. والمساكن: جمع مسكن، مكان الإقامة. ولعلّكم: ليُرَجَّى لكم. وتُسألون: يطلب منكم العطاء من النعم عندكم.١٣ياويلنا: يا هلاكنا عجِّل علينا. وظالمين: متجاوزين الحد بالكفر. ١٤ ما زالت: استمرّت. وتلك أي: الكلمات. والدعوى: الدعاء. وجعلناهم: صيّرناهم. وحصيدًا: مقطّعين ممزقين. وخامدين: هامدين بلا حياة ولا حركة. ١٥ ما خلقنا: ما أوجدنا من العدم. والسماء: السماوات. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وما بينهما أي: من المخلوقات. ولاعبين أي: عابثين لغير قصد كما يتوهمون. ١٦ أردنا: شئنا. ونتخذ: نصنع لأنفسنا. واللهو: العبث. واتخذناه: جعلناه. ومن لدنّا: من عندنا. وفاعلين: قائمين باللهو وعابثين. ١٧ نقذف: نرمي. والحق: ما هو ثابت. والباطل: ما لا أصل له في الحقيقة. ويدمغه: يُذهبه ويمحقه. وإذا أي: يتحقّق. وهو أي: الباطل. وزاهق: ذاهب لا وجود له. والويل: العذاب الشديد. ومما تصفون: بسبب ما تصفون الله به من الشرك. ١٨ من عنده أي: في شرف المكانة وعلو المنزلة من الملائكة. ولا يستكبرون: لا يأنفون. والعبادة: الطاعة والتقديس. ولا يستحسرون: لا يتعبون في ذلك. ١٩ يسبّحون: ينزّهون الله عما لا يليق به. والليل والنهار أي: دائمًا في كلّ وقت. ولا يفترون: لا يضعفون ولا ينقطعون. ٢٠ أم اتخذوا: بل كيف زعم المشركون لأنفسهم؟ والآلهة: جمع إلَه، المعبود المقدّس. وهم ينشرون: ليست المعبودات تحيي الموتى. ٢١ فيهما: في السماوات والأرض. وإلّا الله: غيره. وفسدتا: اختل نظامهما وتهدّم. وسبحان الله: تنزيهًا له عما لا يليق به. والرب: الخالق المالك المتفرد. والعرش: مخلوق عظيم لا يعرف حقيقته إلاّ الله. ٢٢ لايُسأل: لا يراجَع لعظمته وكمال حكمته. ويفعل: يقضي في الكون. ويسألون: يراجَعون ويحاسبون. ٢٣ قل أي: لهم، أيها النبيّ. وهاتوا: أحضروا. والبرهان: الدليل اليقيني. وهذا أي: القرآن الكريم. والذكر: ما يُذكر فيه الحق ويعتمد عليه. و مَن معي أي: المؤمنون. ومَن قبلي أي: أهل الكتاب. وأكثرهم: غالبية الكافرين. ولا يعلمون الحق: يقلّدون الأباطيل دون معرفة. ومعرضون أي: منصرفون عن الحق استهانة. ٢٤

الجزء السابع عشر — سورة الأنبياء

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَـٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ
دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا
لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ
عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ
وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

المعنى العام: ما أكثر ما أهلك الله من الأمم لكفرها، وأنشأ بعدها أقوامًا أُخرى ! ولمّا شعرت تلك الأمم بحضور البطش حاولت النجاة، فأُمر أنباؤها سخرية أن يعودوا إلى ترفهم ويفاخروا بالغنى والمجد والعطاء، ولكنهم هربوا ساخطين على أنفسهم يطلبون عجلة هلاكهم، فكانوا أوصالًا ممزقة خامدة.

وقد خلق الله الكون لحكمة بالغة، ومقاصد مقدَّرة، لا عبثًا بلا غاية مما يناقض الألوهية ولا يناسبها كما يزعم الكافرون، ولو أراد اللهو لخلق ذلك بلا أرض ولا سماء، وهو يلقي بالإيمان والجِدّ الذي ضدُّ اللهو على الكفر والفساد اللذين في نفوس الكفار وأمثالهم ليمحقهما، ولهم أشد العذاب بسبب ما يزعمون.

ولله ملك المخلوقات كلها، والملائكة مسبحة له لا تقصر ولا تتكبر ولا تعجز. فكيف يعبد المشركون آلهة لا تحيي الموتى؟ ولو كان واحد منها شريكًا لله لاختل نظام الكون وامّحق ما فيه. فاستقرار نظامه دليل على الوحدانية، وسبحان الله رب الكون عما يصفون.

إنه يفعل ما يريد بلا منازع، والكافرون سيحاسَبون فيما يفعلون. فاطلب منهم ـ أيها النبيّ ـ برهانًا على ما يعبدون من الآلهة، وأنت برهانك ما في القرآن والتوراة والإنجيل من دليل قاطع على التوحيد.

تفسير المفردات: ما أرسلنا من رسول: ما بعثنا مكلّفًا بالتوحيد والتبليغ مع العمل. وقبلك يعني: أيها النبي الكريم. ونوحي إليه: نبلّغه بالوحي. والإلّه: المعبود بحق وحده. وأنا أي: الله. واعبدونِ: اعبدوني أي: وحدوني في الألُوهيّة والتقديس والطاعة. حذفت الياء للتخفيف. **٢٥** قالوا أي: بعض العرب، زعموا أن الملائكة بنات الله. واتخذ: صنع لنفسه. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. والولد: البنات. وسبحانه: تنزيهًا له عما يزعمون. وبل أي: كذبوا فيما زعموا. والعباد: جمع عبد، المخلوق المملوك المقهور. ومكرمون أي: مفضَّلون. **٢٦** ولا يسبقونه بالقول: يتّبعون أمر الله بما يقولون. وبأمره: بما يأمرهم. ويعملون: يتصرّفون. **٢٧** يعلم مابين أيديهم: يحيط جملة وتفصيلًا بما تقدم من أعمالهم. وما خلفهم: ما تأخر من ذلك. ولا يشفعون: لا يتوسّلون لدفع الشرّ والعقاب. وارتضى: قَبِلَ أن يُشفع له. ومن خشيته: بسبب خوفهم إيّاه. ومشفقون: حذرون. **٢٨** يقل: يزعم. ومنهم: من الملائكة. وإلّه: معبود. ودونه: غيره. ونجزيه: نعاقبه. وجهنم: دار العذاب في الآخرة. وكذلك: مثل ذلك الجزاء. والظالمين: المشركين. **٢٩** ألم ير الذين كفروا: ليتفكّرِ الكافرون وليَعلموا. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ورتقًا: مضمومًا بعضهما إلى بعض باتحاد. وفتقناهما: فصلنا بينهما بتمييز بعض من بعض. وجعلنا: صيّرنا. ومن الماء: بسبب السائل المشروب لا لون له ولا طعم ولا رائحة. والشيء: ما هو مخلوق، عدا الملائكة وما لا يعلمه إلّا الله.

الجزء السابع عشر سورة الأنبياء

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ
بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم
بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ
جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ
آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ
الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

والحي: ذو الحياة. وألا يؤمنون أي: يجب عليهم الاعتقاد بالتوحيد يقينًا جازمًا. **٣٠** جعلنا: خلقنا. والرواسي: جمع الراسي، الجبل الثابت. وأن تميد: لئلّا تضطرب أجزاؤها وتتزلزل. وفيها: في جبال الأرض وسهولها. والفجاج: جمع فجّ، الطريق الوعر الضيق بين مرتفعين. والسبل: جمع سبيل، الطريق السهل الواسع. ولعلهم: ليتيسر للناس. ويهتدون: يتّجهون إلى مقاصدهم. **٣١** جعلنا: صيّرنا. وسقفًا: بناء كالسقف للبيت. والمحفوظ: المحميّ من السقوط والشياطين. وهم أي: الكافرون. وآياتها: ما فيها من الأدلة تحقّق الألُوهية والوحدانية وكمال الحكمة. والمعرضون: المنصرفون بلا تفكير. **٣٢** هو أي: الله. وخلق: أوجد من العدم. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. والشمس: النجم النهاري. والقمر: الكوكب المضيء ليلًا. وكلٌّ أي: كل واحد منهما وما يليه أيضًا. وفلك أي: أفلاك، مستديرات في السماء. ويسبحون: يتحركون ويطوفون ويدورون. **٣٣** ما جعلنا: ما صيّرنا. والبشر: الإنسان. والخلد: البقاء في الدنيا. ومتَّ: فارقتْ روحك الشريفة الجسدَ الطاهر، أيها النبي العظيم. وأهم: ليس الكافرون. **٣٤** النفس: المخلوق الحي بروحه وتكوينه. وذائقة الموت: ينالها وينزل بها موتها في الدنيا. ونبلوكم: نمتحنكم. والشر: ما يغم المخلوق ويضرّه. والخير: ما ينفعه ويسرّه. والفتنة: الامتحان. وإلينا: إلى موعد لقاء حسابنا. وتُرجعون: تُردّون بالبعث للجزاء. **٣٥**

ربع الحزب ٣٣

المعنى العام: أن الله كلف بالتوحيد كل رسول وأُمّته، ولكن المشركين زعموا أن الملائكة بنات الله، والتنزيه الكامل له عن ذلك، لأنهم عباد مخلوقون خاضعون لإرادته وعلمه وتدبيره مع الفزع منه، ولا يشفعون إلّا لمن سمح لهم بالشفاعة له، ومن ادعى الربوبية منهم عاقبه الله بجهنم. وهذا كله ينافي البنوّة و يعارضها أبدًا.

وعلى الكافرين العلم أن السماوات والأرض كانت شيئًا واحدًا وحقيقة متحدة، فصّلها الله ـ جلّ ثناؤه ـ بالتنويع والتمييز، وجعل الماء أساسًا في تكوين كل مخلوق حي ما عدا الملائكة والجن ـ وهذا يحمل الناس على الإيمان والتوحيد ـ وغرس في الأرض جبالًا تحفظ تماسكها، وطرقًا لتيسير الحياة، وفوقها سماء محفوظة، وهم لاهون عن دلالة كل ذلك لا يفكرون، وخلق الليل والنهار والشمس والقمر، يدور كل منها في نظامه. والتعبير بضمير العقلاء هو لِذكر السباحة التي يعرفها الناس في الماء.

وعندما قال الكفار «إن محمدًا سيموت»، شماتةً وإنكارًا للنبوّة، لأنه بشر يأكل ويشرب ويموت، فكيف يصح إرساله؟ نزلت الآيتان بأن كل إنسان غير خالد، وإن مات النبي ﷺ فلا علاقة للحياة بالرسالة، وهم أيضًا ميّتون، ومبتلَون بها في الدنيا للامتحان ثم الحساب يوم القيامة.

تفسير المفردات: رآك: أبصرك، أيها النبي الكريم. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله وكذّبوك. وإن يتخذونك: ما يجعلونك. وهزوًا أي: مهزوءًا بك للسخرية. ويذكر أي: يصف ويذمّ بالعيب والتسفيه. والآلهة: الأصنام، جمع إلّه. وذِكر الرحمن: ما أنزل الله من القرآن والتوحيد. وكافرون أي: جاحدون مكذّبون. ٣٦ خُلق: أُنشئ ولم يكن له وجود. والإنسان: آدم وحواء وذريتهما. والعجل: التعجل في طلب الأمور قبل أوانها. وسأريكم: لا بدّ أن أبصّركم عيانًا باليقين، أيها الكافرون. والآيات: جمع آية، إيعادات التهديد. ولا تستعجلون: لا تستعجلوني أي: لا تطلبوا العجلة في رؤية العذاب. وحذفت الياء للتخفيف وموافقة فواصل الآيات. ٣٧ يقولون أي: تعجيزًا وتهكمًا. ومتى: أيُّ زمن؟ والوعد: وقت حصول ما نُتوعَّد به. وصادقين: تقولون الحق. ٣٨ يعلم: يدري يقينًا. وحين لا يكفون: وقت لا يستطيعون أن يدفعوا. والوجوه: جمع وجه، ما يستقبل به الإنسان غيره من رأسه. والنار: نار جهنم. والظهور: جمع ظَهر، ما يقابل الصدر من الجسم. ولا هم أي: ليسوا. وينصرون: يُمنعون ويُنقذون من العذاب. ٣٩ تأتيهم: تنزل القيامة بهم. وبغتة: مفاجئة. وتبهتهم: تحيّرهم بقلق واضطراب. ولا يستطيعون: لا يقدرون ولا يملكون. والرد: المنع والدفع. ولا هم يُنظرون: لا يُمهَلون ليتوبوا. ٤٠ استُهزئ برسل: قابلهم أقوامهم بالسخرية والتهكم. والرسل: جمع رسول، من بعث للدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وقبلك يعني: أيها النبي العظيم. وحاق: نزل وأحاط من كل جانب. وسخروا: استهزؤوا وتهكموا. ومنهم أي: من الرسل. ٤١ قل أي: للكفار، أيها النبيّ. ومن يكلؤكم: لا أحد يحفظكم. وبالليل والنهار أي: في جميع أوقاتكم. ومن الرحمن: من انتقام الله الكثير العطف بالإحسان على جميع خلقه. وهم أي: الكافرون. ومعرضون أي: منصرفون بالكفر والشرك استهتارًا. ٤٢ أم لهم أي: بل ليس لهم. والآلهة: جمع قلة لإلّه. وهو المعبود. وحصر الجمع في القلة دائمًا مراد به الاحتقار والتهكم. وتمنع: تحفظ وتحمي. ومن دوننا: من غيرنا نحن. ونصر أنفسهم: عونها وإنقاذها. والأنفس: جمع نفس، ذات المخلوق بحقيقته. ومنّا: من عذابنا. ويُصحبون:يُحفظون و يجارُون.٤٣ متّعنا: يسرنا المتع واللذات. والآباء: جمع أب. وهو الوالد والجدّ. وطال: امتد دون عذاب. والعمر: مُدّة الحياة. وألا يرون: لقد رأوا بتبصّر ويقين. ونأتي: نقصد بالأمر والإرادة. والأرض: أرض الكافرين. وننقصها: نزيلها من تسلّطهم. والأطراف: جمع طرَف. وهو الجانب. وأهُمُ الغالبون أي: ليسوا بمتغلبين على المؤمنين ٤٤.

الجزء السابع عشر — سورة الأنبياء

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ
ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا
هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ
بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ
ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ
لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ
أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ
وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي
ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

المعنى العام: أن المشركين يسخرون بالنبي ﷺ كلما رأوه، لإنكاره عبادة الأصنام، ويكفرون بتوحيد الله.

وحينما طلب النضر بن الحارث نزول العذاب، إن كان القرآن حقًّا من عند الله، نزلت الآيات بأنهم يتعجّلون انتقام الله، لِما في خَلق كل إنسان من صفة التعجّل ـ حتى كأن العجلة أصله ومادته. (ومثل ذلك ماذُكر عن المرأة أنها خلقت من ضلع). فلا يستعجلوا عذابهم لأنه آتيهم في حينه ـ ويتساءلون عن موعد العذاب، وهم عاجزون عن ردّه حين ينزل بهم فجأة ويحيط بهم من كل جانب، فيتحيرون ويضطربون في ذلك ولا ناصر لهم، كما جرى في كثير من الأمم المكذبة المستهزئة من قبل.

فأخبرهم ـ أيها النبيّ الكريم ـ أنه لا أحد يحفظهم من العذاب حين ينزل ـ وأمر النبي ﷺ هنا يعني أنه رسول مكلّف بالدعوة والعمل، لا كما يزعم الكافرون من الأباطيل، وتكرار ذلك من قبل ومن بعدُ هو للمبالغة في توكيد هذا المعنى ـ وهم يعلمون أنه لا حامي لهم، ويُعرِضون عن الهداية منصرفين إلى الكفر والشرك ومتاع الحياة وطولها، وليس لآلهتهم قدرة على حماية أنفسها أو حمايتهم، ويعلمون ما كان من انتصارات المؤمنين عليهم. فكيف يتوهّمون أنهم على صواب، وأن لهم الغلبة ؟ الحقّ أنه لن يكون النصر إلّا للمؤمنين.

تفسير المفردات: قل أي: للكفار، أيها النبيّ. وأُنذركم: أخوّفكم ما تستعجلون من العذاب. وبالوحي: بما يبلّغني ربي من القرآن الكريم. ولا يسمع: لا يدرك الكلام. والصم: جمع أصم، من فقدَ حاسة السمع، أي: الكافرون لتعطيلهم أسماعهم. والدعاء: المناداة. وإذا ما ينذرون أي: حين يخوَّفون الانتقام. **٤٥** لئن أي: أُقسِمُ إن. ومستهم: نزلت بهم. والنفحة: اللمسة الخفيفة. والعذاب: التعذيب. والربّ: الخالق المالك المتفرد. وليقولنّ: ليجاهرُنّ بالقول فزعًا ويأسًا. ويا ويلنا: الهلاك لنا. وظالمون أي: كافرون. **٤٦** نضع: نُحضر ونهيّئ. والموازين: جمع ميزان للأعمال والجزاء. والقسط: العادلة. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الأموات بالبعث للحساب. ولا تُظلم: لا يُنقص حقها ولا يجار عليها. والنفس: الفرد من الإنس والجن والملائكة. وشيئًا: أيّما ظلم ! وإن كان أي: العمل. والمثقال: مقدار الوزن. والحبّة: الواحدة من البزر. والخردل: نبات يُضرب به المَثل في الصغر. وأتينا بها: أحضرناها للحساب. وكفى بنا: بلغْنا الغاية في الكفاية والاقتدار! وحاسبين أي: محصين لِما كان. **٤٧** آتينا: أعطينا. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. وهارون: أخوه ونبيّ معه أيضًا. والفرقان: التوراة تفرق بين الحق والباطل. والضياء: الهداية إلى الحق. والذكر: التذكرة والعظة بما هو خير. والمتقون: من يتجنّبون غضب الله ويطلبون رضاه بالطاعة. **٤٨** يخشون ربهم: يخافون عقابه. وبالغيب أي: غائبًا عن حواسهم وإدراكهم. وهم أي: المتقون. ومن الساعة أي: بسبب أهوال القيامة. ومشفقون أي: فزعون. **٤٩** هذا أي: القرآن الكريم. وذكر: تخليد لذكر العرب وعظة لمن يتّعظ به. والمبارك: الكثير المنافع والخير. وأنزلناه: أوحيناه إلى الرسول ﷺ. وأأنتم له منكِرون أي: فلماذا تنكرونه ؟ **٥٠** آتينا: وهبنا بالخلق فيه. وإبراهيم: أبو إسماعيل وإسحاق، وهو من السُّومريِّين الحاميِّين كان في كوثَى قرب بابل من العراق. والرشد: الهداية إلى وجوه الخير. وقبلُ أي: قبل بِعثته. وبه عالمين أي: محيطين بما لديه من أحوال بديعة تؤهله للرسالة. **٥١** إذ قال أي: حين قوله. وأبوه: والده آزر. وقومه: جماعته التي هو منها وخاضعة للنُّمروذ. وما هذه أي: ما حقيقتها وقيمتها في الألوهية ؟ والتماثيل: جمع تمثال، المصنوع من حجر أو غيره للتقديس. ولها عاكفون: مقيمون على عبادتها. **٥٢** قالوا أي: أجابوه. ووجدنا: أبصرنا بأعيننا. والآباء: جمع أب. وعابدين أي: مقدّسين. **٥٣** كنتم أي: وما تزالون. والضلال: الخروج عن الهداية. والمبين: البيّن. **٥٤** أجئتنا بالحق أي: أأحضرت إلينا الصدق والجِدّ. واللاعبون: الهازلون. **٥٥** السماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وفطرهنّ: خلقهنّ وأنشأهنّ على غير مثال سابق. وذلكم أي: الذي قلته. والشاهدون: العالمون بالحقيقة والمقرّرون لها. **٥٦** تالله: أُقسم بالله مع التعجب من ضلالكم. وأكيدنّ أصنامكم: أجتهدنّ في كسرها. والأصنام: جمع صنم، ما يُصنع على شكل إنسان للعبادة. وتولوا: تذهبوا. ومدبرين أي: منصرفين موجّهين ظهوركم. **٥٧**

الجزء السابع عشر — سورة الأنبياء

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ
ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ
ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ
أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

نصف الحزب ٣٣

المعنى العام: على النبي ﷺ أن يبلغ الناس ما يوحى إليه، وكأنّ الكافرين صُمّ لا يدركون ذلك ويتجاهلون التوحيد، ولكنهم عندما يمسهم قليل العذاب يدعون على أنفسهم بالهلاك مقرّين بالتوحيد وأنهم ظالمون، وسيحاسب الله جميع الناس بالعدل يوم القيامة، مهما صغرت الأعمال، وهو خير الحاسبين. ولقد أوحى إلى موسى وهارون بالتوراة، هادية المستعدّين للتقوى والطاعة وخوّف عذاب الآخرة، وإلى محمد ﷺ بالقرآن. فلماذا تنكرونه، وفيه تخليد لذكركم وهداية ؟

وكذلك كان شأن أبيكم إبراهيم وهبه الله إدراك البالغين الراشدين، قبل أوانه وقبل بِعثته، فأنكر على قومه عبادة الأوثان، ووصفهم بالجهل والضلال، فظنوه يلهو بما يقول، وبيّن لهم أن العبادة لا تكون إلّا لله الذي خلق الكون، وتوعدهم بتحطيم ما يعبدون في غيابهم.

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
(٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٩)
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِۦ
عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ (٦٩)
وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَٰهُ
وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ (٧٢)

تفسير المفردات: جعلهم: صيّر إبراهيم الأصنام. والجُذاذ: الفُتات والحطام. والكبير: الأكبر. ولعلهم: لعل القوم، أي: لِيُتوقعَ منهم. وإليه يرجعون: يعودون إلى هذا الصنم يسألونه، على ما يعتقدون فيه. ٥٨ قالوا أي: الكافرون بعضهم لبعض بعد رجوعهم. وفعل هذا: قام بالتحطيم. والآلهة: جمع إلَه، المعبود المقدّس. والظالمون: المتجاوزون للحد بالعمل. ٥٩ قالوا أي: بعضهم لبعض. وسمعنا: أدركنا بأسماعنا. والفتى: الشابّ. ويذكرهم: يعيبهم ويتهددهم. ويقال له أي: يُسمَّى. ومعنى إبراهيم: أبٌ رحيم. ٦٠ قالوا أي: النُّمروذ وزبانيته. وائتوا به: أحضِروه. وعلى أعين الناس أي: معايَنًا بمرأًى منهم. والأعين: جمع عين. والناس: من كان يعيش في ذلك المكان. ولعلهم: ليكون لهم. ويشهدون: يَذكر بعضهم ما سمعوا منه، أو ما رأوا من تكسيره. ٦١ قالوا أي: سألوه. وفعلت هذا: قمت به. ٦٢ كبيرهم: أكبر الأصنام. واسألوهم: استخبروهم. وينطقون أي: يتكلمون. ٦٣ رجعوا: عادوا بالتفكر. والأنفس: جمع نفس. وهي العقل. ٦٤ نكسوا: انقلبوا. وعلى رؤوسهم أي: كان رجوعهم إلى الحِجاج كمن قُلب رأسًا على عقب. وعلمت: عرفت يقينًا. وما هؤلاء أي: ليسوا. ٦٥ أتعبدون: كيف تقدّسون ؟ ودون الله: غيره. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا ينفع: لا يفيد. وشيئًا: أيّما نفع ! ولا يضر: لا يقوم بما هو مكروه. ٦٦ أُفّ أي: قُبحًا وخُبثًا. وألا تعقلون أي: هلّا تفكّرون وتتدبّرون لتعلموا. ٦٧ قالوا أي: النُّمروذ وزبانيته للقوم. وحرّقوه: أهلكوه تحريقًا بالنار. وانصروا آلهتكم: أعينوها بالانتقام ممن آذاها. وفاعلين أي: مريدين وقاصدين العون والانتقام. ٦٨ قلنا أي: أمرنا بالإرادة أمر خلق. وكوني: صيري. وبردًا: ذات بُرود، أي: ابردي بردًا غير ضارّ. والسلام: السلامة والنجاة من الأذى والضرر. ٦٩ أرادوا: قصدوا. والكيد: تدبير الهلاك. وجعلناهم: صيّرناهم. والأخسرون: البالغون نهاية الخسارة. ٧٠ نجّيناه: انقذناه وأخرجناه. ولوط: ابن هاران أخي إبراهيم. والأرض: بلاد الشام. وباركنا: جعلنا الخير دائمًا. والعالمون: أجناس المخلوقات. ٧١ وَهبنا له: منحنا إبراهيم إجابة لدعائه. وإسحاق: ابن إبراهيم. ويعقوب: ابن إسحاق. والنافلة: زيادة على السؤال. وكلًّا أي: كلَّ واحد منهم. وصالحين أي: من كانت أعمالهم على ما يرضي الله. ٧٢

المعنى العام: أن إبراهيم حطم الأصنام، وترك أكبرها ليحتجّ به عليهم بما هم فيه من الأباطيل، ولما عادوا ورأوا ذلك تساءلوا عمن فعله واصفين إياه بالظلم، فذكر بعضهم أنهم سمعوا إبراهيم يعيبها، وطلبوا إحضاره على مشهد من الناس ليروا ما يكون منه ويُدلُوا بما يعرفون عنه.

وعلى هذا جاؤوا بإبراهيم وسألوه يقرّرونه: أأنت حطّمتَ الأصنام ؟ فلم ينكر ذلك، ولكنه أجابهم متهكمًا بأن الفاعل هو أكبر الأصنام، وهي تخبرهم. وفي هذا إلزام الخصم بالحجّة، أي: ارجعوا إلى معبوداتكم واسألوها، إن كانت تتكلم. هنالك أدركوا ضلالهم، ولكنهم رجعوا إلى المكابرة بأن الأصنام لا تنطق ولا يجوز سؤالها، فوبخهم بعبادة ما لا ينفع ولا يضر، وحرضهم على التفكير والتعقل، فأمر النُّمروذ وزبانيته الناس بإحراق إبراهيم لنصر الأصنام، إن كانوا غاضبين لها وراغبين في الانتقام.

ولما أعدّوا النار لذلك وألقوه فيها قدّر الله لها أن تكون بردًا وسلامًا، ليخرج منها إبراهيم معافًى ناجيًا من الكيد والأذى، ومحقّقًا هزيمة الكافرين، فكانت أعظم آية له على صدقه وامّحاق الباطل. وبذلك انقلب كيد الكافرين عليهم، وأرسل الله إبراهيم مع لوط ابن أخيه إلى الشام، فنزل الأول في القدس، والثاني بقرية سَدوم قرب مدينة حمص، ثم أجاب الله دعاء إبراهيم بأنه سيكون له ابنٌ اسمه إسحاق وحفيده يعقوب، وجعلهم جميعًا من الأنبياء الصالحين المصلحين...

تفسير المفردات: جعلناهم: صيّرنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب. والأئمة: جمع إمام، من يأتمُّ الناس بعمله. ويهدون: يرشدون إلى الدين القويم. وبأمرنا أي: مصاحبين الوحي والتكليف. وأوحينا إليهم: بلّغناهم على لسان جبريل. والفعل: العمل من نية أو قول أو تصرّف. والخيرات: الشرائع المنزلة. وإقام الصلاة: إقامتها أي أداؤها كاملة. وحذفت التاء تخفيفًا لإضافة إقامة إلى الصلاة. وإيتاء الزكاة: دفعها لمن يستحقها. والزكاة: ما يجب في المال لمباركته وتطهيره وتطهير صاحبه. ولنا عابدين أي: لله وحده مقدسين مطيعين. ٧٣ لوطًا أي: وآتينا لوطًا. وآتيناه: وهبنا له ومنحناه. والحكم: الحِكمة والنبوّة والفصل بين الناس. والعلم: الفقه اللائق بالنبوّة. ونجيناه: أنقذناه. والقرية: مدينته التي كان فيها واسمها سَدوم. وتعمل أي: يقترف أهلها. والخبائث: جمع خبيثة أي: الفاحشة في أدبار الذكور. والقوم: الجماعة من الناس. والسوء: الشر. وفاسقين أي: خارجين عن طاعة الله إلى الكفر والفواحش. ٧٤ أدخلناه: قدّرنا للوط الدخول وجعلناه. وفي رحمتنا أي: فيمن يستحق عطفنا بالإحسان والنجاة من العذاب. والصالحون: من كانت أعمالهم على ما يرضي الله. ٧٥ نوح: نبي بعد آدم وشيث وإدريس فيما نعلم، وهو أول نبي كذّبه قومه. وإذ نادى: حين دعا اللهَ على قومه. وقبلُ: قبلِ إبراهيم. واستجبنا له: حققنا ما طلبه. وأهله: أصحاب دينه من أسرته وقومه. والكرب: أقصى الغم. والعظيم: الذي لا مثيل له. ٧٦

الجزء السابع عشر — سورة الأنبياء

وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ
ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا
عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ
ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ
فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ
وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ
نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا
مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾
وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ
فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ
إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

نصرناه: منعناه. والقوم: الجماعة من الناس. وكذّبوا: أنكروا. والآيات: الدلالات على صحة رسالته. وأغرقناهم: أمتناهم خنقًا بالطوفان. وأجمعين: كلهم مجتمعين. ٧٧ داود وسليمان: من عظماء أنبياء بني إسرائيل، وسليمان: ابن داود. ويحكمان: يقضيان بين المتخاصمين. والحرث: الزرع. وإذ نفشت فيه: حين انتشرت ورعته بلا راع. والغنم: الماعز والضأن. والقوم أي: بعض الناس. ولحكمهم: قضاءهم في الخلافات. وشاهدين: حاضرين بعلم ومرأى. ٧٨ فهّمناها سليمان: خصصناه بفضل من فهم الحكمة، فأدرك به الصواب. وكلًّا آتينا: أعطينا كل واحد منهما. وسخّرنا: ذلّلنا وكلّفنا العمل. والجبال: جمع جبل، ما غلظ وارتفع من الأرض. ويسبّحن: ينزّهن الله ويقدّسنه بالخضوع والاستجابة للإرادة. والطير: واحده طائر، ما يحلّق بجناحين من الحيوان. وكنّا أي: وما نزال دون قيد بزمان. وفاعلين أي: قادرين على فعل ذلك وغيره. ٧٩ علمناه: ألهمنا داود. والصنعة: العمل المتقن. واللبوس: ما يلبس للوقاية من الأذى في القتال. وتُحصنكم: تحميكم. والبأس: الشدة في الحرب والخصام. وهل أنتم شاكرون أي: اشكروا الله على ذلك. ٨٠ لسليمان أي: سخّرنا له. والريح: الهواء المتحرك. والعاصفة: الشديدة الهبوب. وتجري: تسير. وبأمره أي: بسبب دعائه وطلبه. والأرض: أرض الشام. وباركنا: جعلنا الخير. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. وعالمين: محيطين علمًا بالخفايا والظواهر. ٨١

المعنى العام: متابعة ما أكرم الله به إبراهيم وإسحاق ويعقوب بأن جعلهم أئمة، يرشدون إلى الخير ويعملون بما يوحى إليهم من العبادات، وكذلك لوطٌ نال النبوة ومعرفة الأحكام، وأنقذه الله من القوم الذين دُمّرت عليم ديارهم بكفرهم وفواحشهم الشنيعة، ونوحٌ دعا على قومه المكذبين فأغرقهم الله بالطوفان ونجاه مع المؤمنين.

أما داود وسليمان فأُوتيا الخبرة بالقضاء فيما بين المختلفين، مع النبوة والعلم ورقابتنا لهما، وظهر سليمان على أبيه في ذلك بفهمه المتميز، وكان لداود أن سُخّرت الجبال والطيور تسبّح معه بلسان الحال، وهُدي إلى صناعة الدروع للوقاية في الحرب والقتال، ولسليمان أن سُخّرت الرياح تسير بدعائه وطلبه في أراضي الشام المباركة تحمل معها الخيرات، وهي تسبّح منزّهة الله عما لا يليق بجلاله بخضوعها المطلق لِما خلقت له في الكون من الواجبات والمصالح الربّانية. كل ذلك بقدرة الله على ما يريد وبعلمه وإرادته وفضله. فلا بد أن تشكروه ـ أيها الناس ـ وتعظموه على ما تفضل ويسّر.

الجزء السابع عشر | سورة الأنبياء

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا
دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ
نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ
وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي
كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ
مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا
لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

الحزب ٣٣

تفسير المفردات: الشياطين: جمع شيطان، أي: الكافر من الجنّ. ويغوصون له: يخوضون البحار لخدمة سليمان. ويعملون: ينفّذون بطاعة وخضوع. ودون ذلك أي: أعمالًا كثيرة غير الغوص. وحافظين أي: مانعين من العصيان والأذى والشر. ٨٢ أيوب: نبيّ من ذرية إسحاق وزوجتُه اسمها رحمة حفيدة يوسف. وإذ نادى ربه: حين استغاث بذكر اسمه الأعظم لينقذه من الأهوال وافتقاد الأهل. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ومسني: أصابني. والضرّ: شديد البلاء والمصائب. والراحمون: المتفضلون بالعطف والإحسان. ٨٣ استجبنا له: أجبنا دعاءه وحقّقنا طلبه. وكشفنا: أزلنا ورفعنا. وآتيناه: أعدنا إليه ورددنا عليه. وأهله: زوجته وأولاده. ومثلهم: ما يماثلهم في العدد. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن عندنا أي: بأمرنا وتقديرنا. والذكرى: التذكير والعظة. والعابدون: المقدّسون المطيعون لله. ٨٤ إسماعيل: ابن إبراهيم من زوجته العربية القبطية هاجَر، عاش في مكة وكان جدًّا للعرب العدنانيين. وإدريس: جدّ نوح أوحيت إليه ثلاثون صحيفة. وذو الكفل: بِشر بن أيّوب. وكلٌّ أي: كل واحد منهم. والصابرون: المتجلّدون على العبادة والمصائب بدون جزع. ٨٥ أدخلناهم: يسّرنا لهم وجعلناهم. والرحمة: النبوّة والفضل والإحسان. والصالحون: المستحقون للنبوة والخير. ٨٦ ذو النون: صاحب الحوت، يونس بن متّى، وهو نبيّ من بني إسرائيل كان في نِينَوى قرب المَوصل. وإذ ذهب: حين غادر القوم في نِينَوى من دون أمر الله. والمغاضب: هو ساخط على قومه وهم ساخطون عليه. وظن: حسب. وأن أي: أنّه. ونقدر: نُقدّر ونَحكم. ونادى: دعا اللهَ باسمه الأعظم. والظُّلْمة: السواد الشديد في بطن الحوت. والإلَه: المعبود بحق وحده. وسبحانك: تنزيهًا لك عما لا يليق بجلالك. والظالمون: المخطئون. ٨٧ نجّيناه: أنقذناه. والغم: الحزن الشديد. وكذلك أي: مثلَ ذلك الإنقاذ والعون. وننجي: ننقذ. والمؤمنون: المصدّقون لله ورسوله. ٨٨ زكريا: نبيّ من بني إسرائيل قتلوه، وهو زوج خالة مريم. وربِّ أي: يا ربّي. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. ولا تذرني: لاتتركني ولا تَدَعْني. والفرد: الوحيد لانسل له. وخير الوارثين: أفضلهم، أي: إنك من يملك الأشياء بعد فناء أصحابها. ٨٩ وَهبنا له: يسّرنا له وأعطيناه. ويحيى: ابن زكريّا نبيّ قتله اليهود مهرًا لزواج الملك. وأصلحنا له زوجه: جعلنا امرأة زكريّا صالحة للحمل بعد عقم. وإنهم أي: مَن ذُكر من الأنبياء في الآيات ٤٨ـ٩٠. ويسارعون: يسعون بسرعة. وفي الخيرات: في عمل الطاعات والدعوة لها. ويدعوننا: يرجوننا متذلّلين. ورغبًا: راغبين في الرحمة ومؤمّلين. ورهبًا: خائفين العذاب وفزعين منه. وخاشعين أي: متواضعين متضرّعين. ٩٠

المعنى العام: متابعة ذكر نعم الله على الأنبياء بأنه سخّر لسليمان شياطين من الجنّ يستخرجون له الجواهر من البحر، ويقومون بالأعمال التي يريدها خاضعين، وأجاب دعاء أيّوب لِما نزل به من الأهوال والمصائب، فأنقذه من الأمراض والشدائد، وأكرمه بردّ أهله إليه مع ما يماثلهم من زوج وأولاد عظة للمعتبرين، وتفضل على إسماعيل وإدريس وذي الكفل بالرحمة والصلاح لِما هم فيه من الصبر، وعلى ذي النون الذي خاصم قومه معتقدًا سهولة ذلك وعدم عقاب الله له، وهرب منهم بركوب سفينة في البحر، وكان له نصيب القذف في الأمواج وصار في باطن الحوت ثم استغاث بالله معترفًا بخطئه، فأنقذه مما هو فيه برحمته وفضله كما ينقذ المؤمنين، وأجاب دعاء زكريا بشفاء زوجته العاقر وإعادة قدرته على الإنجاب، فولدت له يحيى ليحمل معه أعباء النبوة والإصلاح.

وهؤلاء الأنبياء المذكورون في الآيات المتقدمة كانوا يسارعون في عمل الخير، ويستعينون بالله رغبة في رحمته وفضله ورهبة من غضبه وعذابه، ويتذللون له بالعبودية والطاعة.

تفسير المفردات: أحصنت فرجها: حفظت مكان الجماع منها أن يناله أحد بحلال أو حرام. وهي مريم بنة عمران أُمُّ عيسى. ونفخنا: أجرينا الهواء بنفَس جبريل. وفيها: في جيب درعها لتكوين ابنها من دون أب. ومن روحنا: من جهة جبريل. وجعلناها: صيّرناها. والآية: المعجزة. والعالمون: مجموع الأجناس من الخلق. **٩١** هذه أي: ملّة الأنبياء المذكورين في الآيات ٤٨ـ٩٠. ومِلّتكم: عقيدتكم، أيها الناس. و واحدة أي: متفرّدة متوحّدة في العقيدة والعبادة. وأنا أي: الله. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واعبدون: اعبدوني أي: وحّدوني في التقديس. حذفت الياء للتخفيف. **٩٢** تقطعوا أمرهم: تفرّقت الأقوام فيما أُمروا به من العقيدة والشرائع. وكلٌّ أي: كل واحد منهم. وإلينا أي: إلى لقاء حسابنا. والراجعون: العائدون من قبورهم بالبعث. **٩٣** يعمل: يكتسب من نية أو قول أو فعل. والصالحات: ما شُرع من الفرائض والنوافل. والمؤمن: الذي صدّق الله ورسوله. والكفران: الجحود والتضييع. والسعي: العمل بقصد. وكاتبون أي: مسجلون وحافظون ليوم القيامة. **٩٤** حرام أي: لا يكون أبدًا. والقرية: البلدة العامرة. وأهلكناها: قضينا على أهلها بالاستئصال لكفرهم. وأنهم لا يرجعون: عودتُهم إلى الحياة الدنيا ليستدركوا ما فرطوا فيه. **٩٥** حتى إذا أي: فإذا. وفتحت: أزيل ما يمنع انتشارها في العالم. و المراد بأجوج ومأجوج هنا همج البشر، وما يخرج اليوم أو مستقبلًا بعمليات الاستنساخ أو الاستنسال والبغاء والسمسرة بالأعضاء. والحدب: المرتفع من الأرض. وينسلون: يُسرعون في العدوان والغزو. **٩٦** اقترب: قرُب. والوعد: يوم القيامة. والحق: الثابت المتحقّق. وإذا أي: فجأة حينئذ. وهي أي: القصة والموضوع. وشاخصة: مرتفعة لا تكاد تطرف. والأبصار: جمع بصر. وهو العين. وكفروا: كذبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والويل: الهلاك. وكنا أي: في الدنيا. والغفلة: السهو والانشغال. والظالمون: المعتدون على أنفسهم بالكفر. **٩٧** إنكم أي: المخاطبين من الكافرين. وتعبدون: تقدّسون. ودون الله: غيره. والحصب: ما يُرمى به للاشتعال. وجهنم: دار العذاب في الآخرة. والواردون: الداخلون. **٩٨** هؤلاء أي: الأوثان ومن عُبد برغبته من البشر. والآلهة: جمع إلَه، المعبود بحق. وما وردوها: ما دخلوا جهنم. وكلٌّ أي: كل واحد من العابدين والمعبودين الراضين بذلك. وخالدون: مقيمون أبدًا. **٩٩** الزفير: الأنين مع التنفس الشديد. ولا يسمعون: لا يدركون الأصوات لشدة غليان جهنم الصراخ والغم. **١٠٠** سبقت: قُضي بها. ومنّا أي: من عندنا. والحسنى: أفضل المراتب. وعنها مبعدون: لا يدخلون جهنم ولا يردونها. **١٠١**

سورة الأنبياء — الجزء السابع عشر

وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا
وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ
أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾
وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ
لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ
أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ
يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ
هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

المعنى العام: أن مريم حفظت عفّتها وحملت بعيسى من دون أب، بنفخة جبريل في فتحة قميصها عند العنق، فكانت مع ابنها معجزة للإنس والجنّ والملائكة. وقد كان جميع الرسل والأنبياء المذكورين قبلُ في الآيات على دين واحد هو الإسلام والتوحيد. فكان على الناس جميعًا أن يتبعوهم بالتوحيد، ولكنهم تفرقوا فآمن كل قوم بشيء منه وكفر بغيره، وهم عائدون للحساب، لينالوا جزاء ذلك. وما مضى من الأمم المهلكة بالاستئصال لن يعود إلى الحياة الدنيا، ليتدارك ما فاته من الإيمان والصلاح.

وعندما تنحل القيود المانعة لنهاية تلك الحياة، وتقرب أيام الآخرة، تتدفق الشعوب الهمجية المتوحشة والمشوّهة، وتندفع بالتقتيل والتخريب والتكفير حتى يكون الفناء الكامل، ثم يُبعث الناس فيكون الكافرون شاخصي الأبصار يدعون على أنفسهم بالهلاك، لظلمهم في الدنيا وانهماكهم في الضلال. فالمشركون وما عبدوا من دون الله هم وقود جهنم، خالدين مستغيثين لا يسمعون شيئًا لكثرة الضجيج، ولو كان هؤلاء آلهة بحق لما دخلوا جهنم.

ولما نزلت الآيتان ٩٩ و ١٠٠ ذكر الكافر عبد الله بن الزِّبَعرَى أن المشركين يرضون بوجود عيسى وعُزير والملائكة مع الأوثان في جهنم لعبادة الناس إياهم، فنزلت الآيات التالية بأن المذكورين موحّدون لم يرضَوا بعبادتهم وهم بعيدون عن النار، ولهم منزلة رفيعة في نعيم الجنة، والمراد من المعبودات الحية إبليس والطغاة المتألهون من البشر، أي: من عُبد برضاه.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا
لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ
فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ
رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجِّ

تفسير المفردات: لا يسمعون: لا يصل إلى سمعهم. وحسيسها: صوت جهنم. واشتهت: طلبت وتمنّت. والأنفس: جمع نفس، الروح والجسد معًا. وخالدون أي: مقيمون أبدًا. ١٠٢ لا يَحزُنهم: لا يؤلمهم ولا يغمّهم. والفزع: الخوف. والأكبر: الأضخم من كل خوف. وتتلقاهم: تستقبلهم. والملائكة: جمع مَلَك. وهم مخلوقات نورانية معصومة مطهّرة. وهذا أي: يوم القيامة. ويومكم: وقتكم الكريم. وتوعدون: تبشّرون به. ١٠٣ يوم نطوي السماء: وقت درجها وإخفائها. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والسجلّ: الصحيفة. وللكتاب أي:على ما كُتب فيها من العمل كله. وكما بدأنا: مثلَما أنشأنا من العدم. وأول خلق: الخلق الأول للبشر والجن والملائكة. ونعيده: نكرر خلقه مرة ثانية. والوعد: التعهد. وعلينا أي: ثابت علينا إنجازه بمقتضى الرحمة. وكنّا أي: ولا نزال دون قيد زمني. وفاعلين أي: محققين وقادرين على الفعل لما نريد أو نقول. ١٠٤ كتبنا: أوحينا وأمرنا بالكتابة. والزبور: الكتب المُنزلة. والذكر: أُمّ الكتاب، مخلوق عظيم مسجَّل فيه ما كان وما سيكون، من الأقدار المبرمة محققةً والمحتملة مطلقةً، لا يعلم ما فيه إلّا الله. والأرض: أرض الجنّة بعد تغيير أرض الدنيا. ويرثها: ينزل فيها كأنه مالك لها. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والصالحون: من عملوا ما يرضاه الله مع الإيمان والتوحيد. ١٠٥ هذا أي: القرآن الكريم. والبلاغ: العبرة الكافية للصلاح ودخول الجنّة. والقوم: الجماعة من الإنس أو الجنّ. وعابدين أي: مقدّسين لله وخاضعين. ١٠٦ ما أرسلناك: ما بعثناك، أيها النبيّ. والرحمة: الإحسان واللطف والرأفة والتفضل بالنعم. والعالَمون: مجموع الأجناس من الخلق. ١٠٧ قل أي: للمشركين والكافرين. ويوحَى إليَّ: يَنزل جبريل للتبليغ، وييسّر لي الحفظ والتفسير. وإلهكم: الله تعالى. والإلّه: المعبود بحق. والواحد: المتفرّد لا شريك له. وهل أنتم مسلمون أي: أسلِموا لله مخلصين. ١٠٨ تولَّوا: أصرّوا على الإعراض والكفر. وآذنتكم: أعلمتكم ما أُنزل إليّ. وعلى سواء أي: متساوين في علم ما أُنزل. وإن أدري: لا أعلم. والقريب: العاجل حصوله. والبعيد: المتأخّر. وما توعدون: الذي تهدَّدون به وتُنذَرون. ١٠٩ إنه أي: الله تعالى. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. والجهر: ما يظهر للغير. والقول: ما يقال. وتكتمون: تُخفون عن الغير. ١١٠ لعله: يُتوقع أن يكون ما هددتكم به. والفتنة: الاختبار والاستدراج. ومتاع أي: هو تمتّع وتنعّم. والحين: الوقت المحدّد. ١١١ قال أي: النبيّ في الدعاء. وربّ: يا ربّي. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. واحكم: افصل بيني وبين الكافرين. والحق: حكمك العادل. والرب: الخالق المالك المفرد يرعى مصالح ملكه، والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. والمستعان: المطلوب منه العون. وما تصفون: وصفكم الحقائق بما لا يصح فيها. ١١٢

المعنى العام: متابعة ما يكون للمؤمنين أنهم يُبعَدون عن النار، فلا يسمعون الخفيّ من صوتها، وخالدون في نعيم الجنة، لا يُفزعهم الهول العظيم الذي يواجهه الكافرون، وتستقبلهم الملائكة بالبشائر المباركة، أنّ ما هم فيه هو الوعد الرباني الكريم الذي كانوا يبشّرون به.

وعند البعث تُطوى السماوات ويُبعث الموتى للحساب، يُخلقون ثانية كما خلقوا أولًا، بالوعد المحقق لا محالة. ولقد سجل الله في أُمّ الكتاب، ثم في الكتب المنزلة، أن الجنّة يتملّكها المؤمنون الصالحون، وحسبهم بما في القرآن من هداية إلى ذلك.

وما أرسلناك ـ أيها النبيّ ـ إلّا رحمة وإكرامًا للعالمين. فمَن آمن بك سَعد، ومن كفر أُخّر عنه العقاب المستأصِل. فبلّغ الناس ما أوحي إليك من التوحيد، ومرْهم أن يكونوا مسلمين. وإذا أصرّ الكافرون على إعراضهم فأعلمهم أنك بلّغتهم الدعوة، وصرتم فيها سواء، وأنك لا تعلم متى يكون عقابهم ؟ فهو من علم الله المحيط بالظاهر والخفي. أما تأخير العقوبة فاستدراج لهم، ولا بد أن يكون في وقته المحدد. ولهذا فقد دعا النبيّ ﷺ الله أن يحكم بالعدل في أمره. وهو الربّ الرحمن والمستعان على محق ما يزعمه الكافرون.

٢٢ ـ سورة الحج

تفسير المفردات: الناس: البشر. واتقوا ربكم: تجنّبوا عذابه واطلبوا رضاه. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والزلزلة: الاضطراب العظيم مع التدمير، من علامات قرب نهاية الحياة الدنيا. والساعة: يوم القيامة. والشيء: الأمر. والعظيم: الخطير لا مثيل له. ١ اليوم: الوقت. وترونها: تبصرون الزلزلة عِيانًا. وتذهل: تنشغل دهشة وفزعًا. والمرضعة: التي تُلقِم الرضيعَ ثديها. وما أرضعت: مَن ألقمتْه ثديها ليمَصّ اللبن الحليب. وتضع: تلقي. وذات حمل: صاحبة جنين في بطنها. وترى: تُبصر ـ أيها الإنسان ـ عِيانًا. والسكارى: جمع سكران. وهو الفاقد العقل والإدراك. وما هم أي: ليسوا. والعذاب: التعذيب. والشديد: القوي الفظيع. ٢ من الناس: بعضهم. ويجادل يخاصم. وفي الله: بسبب وحدانيته وصفاته. وبغير: بدون. والعلم: الدراية اليقينيّة. ويتّبع: يتولّى ويطيع. والشيطان: من يغري بالضلال من الجنّ أو البشر. والمَريد: المتمرّد المصرّ على العصيان. ٣ كُتب عليه: قُضي على الشيطان. وتولاه: انقاد إليه. ويضلّه: يسبّب الشيطان له الخروج عن الحق. ويهديه: يدعوه. والسعير: النار الموقّدة. ٤ الريب: الشك. والبعث: خروج الناس من قبورهم أحياء للحساب. وخلقناكم: أوجدناكم ولم تكونوا من قبل. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض، خُلق منه آدم. والنطفة: القطرة الدقيقة جدًّا من منيّ الرجل، خلق منها أبناء آدم ما عدا عيسى. والعلقة: الدم الجامد يعلق بما حوله. والمضغة: القطعة من اللحم. والمخلّقة: التامّة التكوين. وغير المخلّقة: التي تسقط من الرحم قبل تمام التكوين. ونبيّن: نوضّح. ونقرّ: نُثبّت. والأرحام: جمع رَحِم، موضع استقرار الجنين. ونشاء: نريد تثبيته. والأجل: الوقت الخاص للشيء. والمسمَّى: المقدَّر تعيينه. ونخرجكم: نقدّر لكم الخروج ونيسّره. والطفل: واحده من لفظه أيضًا. وهو الوليد يكون ضعيفًا في بدنه وقدراته. وتبلغوا: تدركوا. والأشُدّ: جمع شِدّة، كمال القوة بين الثلاثين والأربعين. ومنكم أي: بعضكم. ويتوفَّ: تَستوفي الملائكة روحه. ويردّ: يُترك في الحياة. والأرذل: الأسوأ. والعمر: مُدّة الحياة. ولا يعلم: لا يعقل ولا يدرك. وعلم أي: علمه. والشيء: ما هو موجود. والأرض: القطعة منها. والهامدة: اليابسة الميتة. وأنزلنا: أسقطنا. والماء: المطر وما في الأنهار والينابيع. واهتزت: تحركت وتنشّطت. وربت: ارتفعت. وأنبتت: أخرجت النبات بأمر الله. والزوج: الصنف. والبهيج: الجميل السارّ. ٥

الجزء السابع عشر — سورة الحج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ
أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ
سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ
﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ
وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى
رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ
وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

الحزب ٣٤

المعنى العام: أن الله أمر الناس بالتقوى وحذرهم من زلزلة نهاية الحياة وما في ذلك من الأهوال العظيمة، حيث تلقي الأمّهات والمرضعات أجنّتها وأولادها، ويبدو الجميع كالسكارى من دون خمر، لشدة ما يكون من الهول والعذاب.

ولما كان النضر بن الحارث يدعي أنه أحسنُ حديثًا بكتب القدماء عنده مما في القرآن الكريم نزلت فيه الآيات ٣ـ٧، بأن المجادل للقرآن الكريم بجهله ينقاد للشياطين ويضل الناس بالأباطيل، وقد كُتب على تلك الشياطين أن من انقاد إليها أوصلته إلى جهنم.

فإن كنتم ـ أيها الناس ـ في شك من البعث وجدتم الأدلة في تكوين الإنسان والنبات بإرادة الله. فآدم خلق من تراب، وأبناؤه من قطرة منيّ الرجل ـ وإنما خُصّ المني هنا بالذكر دون ما يكون من بُوَيضة المرأة، لأنه مصدر الخصوبة وأصل فيها ـ ثم يكون تسلسل الخلق في الرحم: علقة فمضغة واستقرارًا وتكاملًا ، وفيما يمر به الإنسان من خلق وموت أو حياة مديدة يختل في آخرها النطق والفكر والحركة والإرادة، فيفقد الإنسان ما اكتسبه ولا يضيف إليه شيئًا. وليس هذا مقيَّدًا بسنّ معينة، فتكون سرعة النسيان بضعف الذاكرة، أو العجز عن الإدراك والفهم، بعد ما كان من تعلُّم كثير. والمعنيان مقصودان معًا وحاصلان بكثرة في حياة الناس. ففي هذا كله دلالات وكذلك دلالة النبات على تحقق البعث، ترى الأرض اليابسة ميتة، فتأتيها المياه لتحييها وتُخرج أنواع النبات الفتّانة.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي
ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي
ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ
فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ
وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن
ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ
يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

تفسير المفردات: ذلك أي: المذكور من خلق الإنسان والنبات. وبأن أي: حاصل بسبب أن. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والحق: المعبود وحده والثابت الدائم. ويحيي الموتى: يخلق الحياة في الموتى: جمع ميت أي: فاقد الحياة. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: البالغ الاقتدار بذاته. ٦ الساعة: يوم القيامة. وآتية: واقعة حتمًا. والريب: الشكّ. ويبعث: يُخرج بالإحياء ويحشر للحساب والجزاء. والقبور: جمع قبر، موضع الميت أينما كان. ٧ من الناس: بعضهم. ويجادل: يخاصم. وفي الله: بسبب وجوده وصفاته. والعلم: المعرفة الفطرية للإنسان. والهدى: الاستدلال يرشد إلى المعرفة اليقينيّة. والكتاب: ما أنزل الله من وحي مسجّل. والمنير: الكاشف للحقيقة. ٨ ثانيَ عطفه أي: لاويَ عنقه وجانبه منصرفًا ومستخفًّا ومعارضًا. ويُضلّ: يُخرج الناس ويدفعهم. والسبيل: الطريق الواضح للحق. والدنيا: الحياة الدنيوية. والخزي: العذاب والهوان. ونذيقه: نُنزل به. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الموتى من القبور بالبعث. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والحريق: الإحراق بنار جهنم. ٩ ذلك أي: ما ذكر من الخزي والعذاب. وبما قدمتْ: حاصل بسبب ما اكتسبتْ لك مقدَّمًا. واليد: ما تُعمل به الأشياء. وبظلّام أي: كثير الجور. والعبيد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. ١٠ يعبد: يوحّد ويطيع. وعلى حرف أي: مصاحبًا التردد كمن هو على حرف جبل. وأصابه: نزل به. والخير: ما ينفع ويَسرّ. واطمأنّ به: سكن إلى الإيمان واستقرّ فيه. والفتنة: المحنة والاختبار بما تكرهه النفس. وانقلب على وجهه: ارتدّ ساقطًا إلى الشرك كمن سقط على وجهه. وخسر: ضيّع. والآخرة: ما في يوم القيامة من النعيم. وذلك أي: الارتداد والتضيع. والمبين: البيّن جدًّا. ١١ يدعو: يعبد. ودون الله: غيره. ولا يضرّه: لا يُلحق به المكروه بذاته. ولا ينفعه: لا يُلحق به ما يَسرّ. وذلك أي: دعاء الشرك. والضلال: الذهاب عن الصواب. والبعيد: الذي لا حدّ له. ١٢ لَمن ضره أقرب أي: المعبودُ الذي ضرره أكثر. والنفع: الفائدة. وبئس: بلغ الغاية في الشقاء والشرّ! والمولى: الناصر. والعشير: الصاحب. ١٣ يُدخل: يقضي بالدخول. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وعملوا: اكتسبوا بنية أو قول أو عمل. والصالح: ما يرضاه الله. والجنة: الحديقة العظيمة بالنعيم. وتجري: تسيل وتتدفق. ومن تحتها: من تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. ويفعل: يخلق. ويريد: يقضي. ١٤ يظن: يتوهّم. وأن لن ينصره: أنّ محمدًا ﷺ لن يغلّبه على الكفر. ويمدُّ: يعلي ويعلّق. والسبب: الحبل. والسماء: ما يحيط بالأرض. ويقطع: يفصل بحبس مجاري نفَسه. وينظر: يتصوّر في نفْسه. ويذهبنّ: يمنعنّ. وكيده: ما فعل بنفسه. وما يغيظ: ما يغضبه من نصرة الله لرسوله ﷺ. ١٥

المعنى العام: أن ما جاء في الآية السابقة من الخلق العجيب الباهر حاصلٌ لأن الله المعبود بحق هو القادرعلى كل شيء، وبرهانٌ على مجيء يوم القيامة وبعث الموتى من القبور. فمن يخاصم في ذلك بالجهل ليفسد الناس له عذاب الدنيا والآخرة، ويقال له: هذا العقاب هو بسبب ما فعلتَ بنياتك وأقوالك وأعمالك - وإنما خصت اليدان بالذكر لأنها الأصل في أكثر الأعمال - وبسبب أن الله هو ذو العدل والإنصاف. ونفي المبالغة هو مبالغة في نفي الفعل أصلًا.

وبما أن البعض كان يؤمن، وإذا كثر ماله رضي وإذا أصابه شرّ ارتد، فقد نزلت الآيات بأنه متردد يكون على شكّ في الاعتقاد، يخسر خير الدنيا والآخرة. فهو غير مطمئن إلى التوحيد، يعبد المخلوقات التي تسبّب له البلاء، وما أسوأَه من معبود !

أما المؤمن الصالح فله الخلود في نعيم الجنة، ومَن يحقد على النبي ﷺ ويظن أنه غير منصور على الكفر فلْيخنق نفسه، ليرى ما يحقق له ذلك من ذهاب حقده وغيظه.

تفسير المفردات: كذلك أي: مثلَ إنزالنا الآيات السابقة بما فيها من الأدلة. وأنزلناه: أوحينا القرآن الكريم ونوحيه. والآيات: النصوص والأدلة. والبينة: الواضحة الدلالة. ويهدي: يوجّه إلى الصلاح. ويريد: يشاء الله هدايته. ١٦ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وهادوا: تهوّدوا. والصابئون: كانوا على اعتقاد الفطرة بلا دين مقرر، تنصّر بعضهم وتهوّد آخرون وبقي آخرون على حالهم. والنصارى: جمع نصران، الذي يتبع النصرانية. والمجوس: العابدون للنار. وأشركوا: جعلوا لله شريكًا في التقديس. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويفصل: يحكم. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الموتى من قبورهم بالبعث. والشيء: ما هو حاصل. والشهيد: العالم علمَ مشاهدة وتحقق واقع يترتب عليه الحساب بالعدل. ١٧ ألم تر أي: اعلمْ، أيها الإنسان. ويسجد: يخضع ويذل. والسماوات: ما حول الأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والشمس: النجم النهاري. والقمر: الكوكب الليلي. والنجوم: جمع نجم، ما يتلألأ في السماء ليلًا. والجبال: جمع جبل، ما علا وغلظ من الأرض. والشجر: واحدته شجرة، أي: النبات عامة. والدوابّ: جمع دابّة، ما يمشي أو يتحرك من المذكر والمؤنث. والكثير: العدد الوافر جدًّا. والناس: البشر. وحق عليه: وجب عليه لكفره. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ويهِن: يشقيه ويذلّه بالشقاوة. وما له من مكرمٍ أي: ليس له مُعِزٌّ مُسعِدٌ. ويفعل أي: قادر على الفعل والتحقيق لا رادّ له ولا مانع. ويشاء: يريده ويقضيه. ١٨ هذان أي: المؤمن والكافر. وخصمان أي: فريقان مختلفان متعاديان. واختصموا في ربهم: اختلفوا وتجادلوا بسبب وجوده وصفاته. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وقطّعت لهم: فصّلت لأجلهم على مقدار أجسامهم وأعمالهم. والثياب: جمع ثوب، ما يُلبس. والنار: نيران جهنم. ويصبّ: يلقى. والرؤوس: جمع رأس، ما فوق العنق من الإنسان. والحميم: الماء البالغ نهاية الحرارة. ١٩ يُصهر به: يُذاب بسببه. والبطون: جمع بطن، ما بين الصدر والفخذين. والجلود: جمع جِلد، غشاء الجسم. ٢٠ المقامع: جمع مِقمعة. وهي المطرقة. والحديد: المعدن الأسود المعروف. ٢١ كلّما: كلَّ وقت. وأرادوا: قصدوا. ويخرجوا منها: يهربوا من النار المخصّصة لهم. ومن غم أي: بسبب شِدّة الحزن. وأُعيدوا فيها: رُدّوا في المواضع المُعَدّة لتعذيبهم. وذوقوا: تحسّسوا وكابدوا. والحريق: البالغ نهاية الإحراق. ٢٢ يُدخل: ييسّر الدخول. وعملوا: اكتسبوا من نية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الله. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها النعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. ويحلَّون: يُلبَسون حُلِيَّ المجوهرات. ومن أساور أي: بعضها. والأساور: جمع أسورة: جمع سِوار. وهو ما يوضع في المعصم من الحُلِيّ. والذهب: المعدن الأصفر الثمين. واللؤلؤ: ما يُخرج من أصداف البحر. واللباس: ما يلبس من الثياب. والحرير: ما نسج من الخيوط التي تفرزها دودة القزّ. ٢٣

سورة الحج　　الجزء السابع عشر

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ
﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ
وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ
يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ
وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟
فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ
مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ
وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟
أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ
﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

ربع الحزب ٣٤ سجدة

المعنى العام: أن الله أنزل آياته، كما فصّل من قبل، ليهدي من كان عنده استعداد للهداية ويضل من فقد ذلك، وسيفصِل بالعدل يوم القيامة بين المختلفين في الأديان، لأنه عالم بكل ما فعلوا. ولْيعلمِ الإنسان المفكر الواعي أن المخلوقات في الكون تخضع كلها بانقياد لقدرة الله، فكأنها تسجد له، ويخضع المؤمنون بمثل ذلك الانقياد مع العبادة والطاعة. فسجودهم نوعان حقيقي ومجازي. ومن أذلّه الله فلا مكرم له.

والناس فريقان مختصمان في العقيدة. أما الكافرون فلهم أنواع العذاب الأبدي في جهنم، تحيط بهم النار، مع المهل الذي لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها، ومع المطارق المتهاوية عليهم، وتوجيه عبارات التوبيخ والتحقير لهم، وأما المؤمنون الصالحون فخلودهم في الجنة، بين القصور والأشجار والزينة باللباس والمجوهرات والنعيم الأبدي.

تفسير المفردات: هدوا: أُلهموا، أي: ألهمهم الله وأرشدهم في الدنيا. والطيّب: الصالح الكثير الخير. والقول: ما يقال من الكلام. والصراط: الطريق الواضح. والحميد: الله المستحق لجميع الثناء بذاته وصفاته وأفعاله. **٢٤** كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ويصدّون: يردّون الناس. والسبيل: الطاعة. و المسجد: مكان العبادة والتوحيد في الكعبة. والحرام: المحرّم فيه ما لا يحرم في غيره. وجعلناه: صيّرناه. والناس: البشر. والسواء: المستوي في حقوق النزول والعبادة. والعاكف: المقيم في مكة. والبادِ: البادي، البدوي القادم للعبادة. وحذفت الياء للتخفيف تبعًا لرسم المصاحف. ويرِيد فيه بإلحاد: يفعل في المسجد انحرافًا عن الحق. وبظلم: بسبب عدوان. ونذيقه: نُنزل به. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. **٢٥** إذ بوّأنا: وقت تبييننا. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. ومكان البيت: موضع الكعبة المشرّفة، وكان تلًّا صغيرًا. والكعبة لم تُنشأ قبل إبراهيم. وأن بمعنى: أي. ولا تشرك شيئًا: لا تجعل مخلوقًا شريكًا في التقديس والطاعة. وطهّر: انزع ما يكون من الأوثان. والطائف: من يطوف حول الكعبة عبادة. والقائم: المقيم فيه. والرُّكَّع: جمع راكع للعبادة. والسجود: جمع ساجد. **٢٦** أذّن في الناس: أعلِم البشر بصوت عال. وبالحج: بالدعوة إلى زيارة البيت الحرام عبادة. ويأتوك: يجيئوا إلى البيت الحرام. والرجال: المشاة على أقدامهم، جمع راجل. والضامر: البعير الضعيف. ويأتين أي: تأتي الإبل الضعيفة. والفج: الطريق. والعميق: البعيد. **٢٧** يشهدوا: يكونوا حاضرين مشاهدين. والمنافع: جمع منفعة، خير الدنيا والآخرة. ويذكروا اسم الله: يردّدوا الدعاء باسمه الكريم. والأيام: جمع يوم. والمعلومات: المعيّنات شرعًا. وعلى ما رزقهم أي: بسبب ما أعطاهم. والبهيمة: ذات القوائم الأربع من الدواب عدا الوحوش. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. وكلوا منها أي: تغذَّوا من لحومها. وأطعموا: قدّموا الطعام. والبائس الفقير: الشديد الفقر. **٢٨** يقضوا: يقطعوا ويزيلوا. والتفث: ما ظهر من الأظافر والأوساخ وبعض شعر الرأس. ويوفوا: يحقّقوا الأداء تامًّا. والنذور: جمع نذر، ما أوجبه الإنسان على نفسه من ذبح الأنعام. ويطّوَّفوا بالبيت العتيق أي: يطوفوا طواف الإفاضة حول الكعبة المشرّفة سبعة أشواط بعد النزول من عرفات. **٢٩** ذلك أي: المذكور في الآيات ٢٦ـ٢٩ هو حكم الله. ويعظم: يُجِلّ بالمراعاة والامتثال. والحُرُمات: جمع حُرْمة، ماحُرّم شرعًا. وهو أي: التعظيم. والخير: العمل المكرّم. وعند ربه أي: في حكمه. وأُحلّت: جعل أكل لحمها حلالًا. ويُتلى: يُقرأ تحريمه. واجتنبوا الرجس: ابتعدوا عن القذر واكفروا به. والأوثان: جمع وثن، تمثال يعبد ويقدس. والزور: الشهادة بالكذب وتلبية المشركين في الحج. **٣٠**

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ
وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادِۭ بِظُلْمٖ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾
وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي
شَيْـٔٗا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٖ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ
مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ
ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن
يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتْ
لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْۖ فَٱجْتَنِبُواْ
ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

المعنى العام: متابعة وصف المؤمنين بأنهم كانوا في الدنيا مع الكلام الطيب والاعتقاد المحمود. أما الكافرون المانعون للإيمان وللتوحيد وللمسلمين من العُمرة في الكعبة، والمفسدون فيها بالظلم والكفر، فلهم العذاب العظيم.

وعليهم أن يتذكروا ما وجّه الله به إبراهيم إلى موضع الكعبة، وأمره أن ينشئها للتوحيد، ويدْعو الناس إليها، فيزورها من كل صوب المُشاة والراكبون، يحضرون في الحج والعُمرة ما يفيدهم في الدنيا والآخرة، ويلبّون بالحمد والشكر على ما يسّر لهم من النعم وذبح الهدي والأضاحي، يأكلون منها ويقدّمون الباقي للفقراء والمحتاجين، ثم يُنهوا الإحرام بقص بعض الشعر وما كان من ظفر وتنظيف ما علق بهم، ويؤدّوا ما عليهم من كفّارة أو نذر، ويطوفوا طواف الإفاضة للرحيل. هذا هو ما أوجبه الله، ومن أحسن القيام به والتزم حدود الحرمات كان خيرًا له عند الله، وكذلك أكلُ ما أبيح من لحم الأنعام، وتجنبُ ما ذكر تحريمه في الشرع.

فعلى المؤمنين الكفر بالأوثان وإنكار عبادتها، وكذلك تجنبُ شهادة الزور و ما كان يلبي به المشركون في المسجد الحرام من عبارات الشرك...

تفسير المفردات: الحنفاء: جمع حنيف، المتوجّه باستقامة إلى الإسلام. وغير مشركين به أي: غير عابدين مع الله أو مطيعين في المعصية شيئًا من المخلوقات. وخرّ: سقط. والسماء: ما يحيط بالأرض من أجواء وفضاء. وتخطفه: تسلبه وتتوزعه. والطير: واحده طائر، ما يحلّق بجناحيه. وتهوي به: تلقيه. والريح: الهواء الشديد الحركة. والمكان: الموضع من الأرض. والسحيق: البعيد العمق. **٣١** ذلك أي: ما ذكر من التوجيه هو حكم الله. ويعظم: يُجِلّ في الالتزام والعمل. والشعائر: جمع شعيرة. وهي العبادات المشروعة في الحج وغيره. وتقوى القلوب: أفعال قلوبهم التقيّة. والتقوى: خشية الله وتجنّب غضبه وطلب رضاه بالطاعة. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. **٣٢** فيها: فيما يذبح في الحَرَم. والمنافع: جمع منفعة. وهي خير الدنيا والآخرة. والأجل: الوقت المحدّد. والمسمّى: المعلوم شرعًا. ومحلها: مكان ذبحها. والبيت: الكعبة المشرّفة وما حولها من مكة. والعتيق: القديم الكريم. **٣٣** الأُمّة: الجماعة المؤمنة من الأقدمين. وجعلنا: فرضنا. والمنسَك: ذبح ما يُتقرّب به إلى الله. ويذكروا اسم الله: يردّدوا اسمه الكريم وحده عند الذبح. وعلى ما رزقهم أي: بسبب ما يسّر لهم. والبهيمة: الحيوان لا يميّز. والأنعام: الإبل والبقر والغنم. وإلهكم: المعبود بحق. وواحد أي: متفرد بالأُلوهيّة ليس كمثله شيء. وأسلموا: انقادوا بالإيمان والطاعة. وبشّر: بلّغ ـ أيها النبيّ ـ ما يَسُرّ. والمخبتون: المطيعون المتذللون لله. **٣٤** ذكر الله: ذكر اسمه الكريم أو وعده ووعيده وأحكامه. ووجلت: خافت إجلالًا له.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ
(٣١) ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ
(٣٢) لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ
ٱلۡعَتِيقِ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ
ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ
فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ (٣٤) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ
قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (٣٥) وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ
جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا
لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (٣٦) لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا
وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٣٧) ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ (٣٨)

والصابرون: المتجلّدون يتحمّلون. وأصابهم: نزل بهم. والمقيمو الصلاة: الذين يؤدونها بشروطها وأركانها وآدابها. ورزقنا: أعطينا. وينفقون: يتصدّقون فوق ما يجب من الزكاة. **٣٥** البدن: واحدتها بَدَنة، الإبل والبقر. وجعلناها: صيّرناها. والخير: منافع الدنيا والآخرة. واذكروا اسم الله عليها أي: قولوا عند ذبحها: «الله أكبر، لا إله إلّا الله، والله أكبر، اللّهمّ منك وإليك». والصوافّ: جمع صافّة للذبح، قائمة تصفّ رجليها ويدها اليمنى، واليسرى مقيدة بالحبل. ووجبت: سقطت بعد النحر على الأرض. والجنوب: جمع جنب، طرَف الحيوان. وكلوا منها: تغذّوا ببعض لحمها. وأطعموا: قدّموا طعامًا. والقانع: من يرضى ما يُعطى ولا يتعرّض للسؤال. والمعترّ: السائل. وكذلك أي: مثلَ ذلك التسخير. وسخرناها: هيأناها لِما خُلقت له. ولعلكم: ليُرَجّى لكم. وتشكرون: تُثنون على المسخِّر بالقلب واللسان والعمل. **٣٦** لن ينال اللهَ: لا يصل إليه. واللحوم: جمع لحم. وهو العضل الرِّخو بين الجلد والعظم. والدماء: جمع دم، ما يسيل من الذبيح. ومنكم: من أعمالكم. وتكبّروا الله: تعظمّوه وتشكروه وحده. وعلى ما هداكم: بسبب هدايته لكم. والمحسنون: المؤمنون الموحّدون يحسنون عبادتهم. **٣٧** يدافع: يمنع ويدفع الشر. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ولا يحب: يكره. والخوّان: الكثير الغدر. والكفور: الكثير الإنكار، يزعم أن النِّعم تأتيه من الأصنام. **٣٨**

نصف الحزب ٣٤

المعنى العام: متابعة ما يكون عليه المؤمنون من الصفات بالتوجّه إلى الإسلام وحده. أما المشرك فإنه يسقط في الضلال هالكًا، كمن تمزّق وهوى في الفضاء بين النسور تتنازع أشلاءه أو قذفته الرياح في أعماق المجاهيل. وما ذُكر قبلُ هو أحكام الله، ومنها ما يُنحر من الأضاحي بمكة تقربًا إلى الله. فمن يحسن فيها يكن تقيًّا، وهي خير في الدنيا والآخرة، ولكل شريعة شعائر لذكر الله وشكره، وهو متفرد بالألوهية. فعلى النبي ﷺ أن يبشر بنعيم الدنيا والآخرة هؤلاء المتقين لله والصابرين والعابدين والمنفقين في وجوه الخير.

و لما كان الجاهليون يلطّخون بالدماء شرائح اللحم حول الكعبة، وأراد المسلمون فعل ذلك، نزلت الآيات تبين طريقة الذبح والتوزيع. فالله لا يقبل نحر الهدي ولا يثيب عليه، إلّا إذا ذُكر اسمه عليه وكان لوجه من وجوه الخير، وحينئذ يأكل أصحاب الذبائح منها ويطعمون المحتاجين منها أيضًا. ولقد سخّرها لمنافعهم ولتيسير شكرهم له. وهو يريد منهم التوحيد والتقوى في ذبحها، وتعظيمه على الهداية، وهو يبشرهم ويحميهم وينصرهم، ويكره الخوانين الكفورين وينتقم منهم.

تفسير المفردات: أُذن: أبيح الجهاد بالسلاح. ويقاتَلون: يحاربهم الكفار بالعدوان والظلم والتشريد. وبأنهم ظلموا: لأنهم اعتُدي عليهم. والنصر: العون والتغليب على المعتدين. وقديرأي: مبالغ في الاقتدار. **٣٩** أُخرجوا: أُلجئوا إلى الهجرة. والديار: جمع دار، موضع الإقامة والاستقرار. والحق: السبب الموجب للإخراج. وأن يقولوا أي: بسبب قولهم. والربّ: الخالق المالك المتفرد. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولولا أي: لولا وجود. ودفع بعضهم ببعض أي: الردع بقوة وتسليط المؤمنين على الكافرين. وهُدّمت: خُرّبت ونُقضت من أساسها. والصوامع: جمع صَومعة، متعبَّد للرهبان. والبِيَع: جمع بِيعة، كنيسة النصارى. والصلوات: بمعنى المُصلَّى، مكان صلاة اليهود. والمساجد: جمع مسجد، موضع صلاة المسلمين. ويذكر: يقدّس بالدعاء والعبادة. ولينصرنّ الله: أُقسِم ليقوّينّ ويغلّب على الأعداء. وينصره: يجاهد للدفاع عن دين الله وحماية المؤمنين وحقوقهم. والقوي: المتسلط المغلّب. والعزيز: المنيع الغالب على أمره. **٤٠** مكّنّاهم: جعلنا لهم السلطان. والأرض أي:بعض منها. وأقاموا الصلاة: أدَّوها كما فُرضت. وآتوا الزكاة: دفعوها لمن يستحقها. وأمروا بالمعروف: حضّوا على ما استحسنه الشرع. ونهوا عن المنكر: منعوا ما أنكره الشرع. ولِله أي: إليه وحده. وعاقبة الأمور: رجوع الحكم في أُمور الخلق في الآخرة للثواب والعقاب. **٤١** يكذّبوك: ينكر الكافرون دعوة التوحيد. وكذَّبت: أنكرت دعوات الأنبياء. وقبلهم: قبل كفار مكة. والقوم: الجماعة من الناس. ونوح: أول نبي كذّبه قومه. وعاد وثمود: الجيل الأول والجيل الثاني بعد نوح، وهما العرب العاربة. **٤٢** إبراهيم: أبو إسماعيل وإسحاق. ولوط: ابن أخي إبراهيم. **٤٣** أصحاب مدين: أهل بلدة على ساحل البحر الأحمر، نبيُّها شُعيب العربي من ذرية مَدْيَن بن إبراهيم. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل، كذبه فرعون والقبط العرب القدماء. وأمليت للكافرين: أمهلتُ المكذِّبين. وأخذتهم: أهلكتهم. ونكيرِ: نكيري، إنكاري كفرَهم وانتقامي. وحذفت الياء للتخفيف. **٤٤** كأين: كثير. والقرية: البلدة العامرة بأهلها. وأهلكناها: دمّرناها واستأصلنا أصحابها. والظالمة: أهلها مجاوزون الحد بالتكذيب والكفر. والخاوية: فارغة من الخير وساقطة البنيان. والعروش: جمع عرش، ما يكون فوق الجدران من سقف ونحوه. والبئر: ما يحفر في الأرض لاستخراج الماء. والمعطلة: المتروكة إهمالًا. والقصر: البناء الضخم المحصّن. والمشيد: العالي. **٤٥** ألم يسيروا أي: لقد سافر مشركو قريش. والأرض: ما حول مكة من البلدان. والقلوب: جمع قلب، موطن الإدراك والاعتقاد والانفعال. ويعقلون: يتدبّرون ويعتبرون. والآذان: جمع أُذن. ويسمعون أي: أخبار الأمم المهلكة ليتعظوا. وإنها أي:إن الشأن والقضية في هذا الموضوع. ولا تعمى: لم تفقد القدرة. والأبصار: جمع بصر. والصدور: جمع صدر.**٤٦**

الجزء السابع عشر سورة الحج

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن
يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ
صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ
كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ
وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾
وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

المعنى العام: أن الله سمح للمظلومين أن يجاهدوا بالسلاح الطغاة ، وهو قادر على نصرهم. فقد شُرّدوا لا لشيء إلّا أنهم موحّدون، ولولا جهاد المؤمنين لعطّل المشركون عبادات النصارى واليهود والمسلمين في كل زمان ومكان. فواجب المسلمين حمايتها، والله ناصرهم إن نصروا دينه وحققوا العبادات والشريعة، وله وحده عاقبة الحساب والجزاء.

ولك أسوة - أيها النبيّ - بالرسل الذين كذّبتهم أقوامهم قبلك من نوح إلى موسى، فلا تحزن لأن التكذيب ليس لك ولا لهم، وإنما هو للتوحيد الذي يهدم مطامع الكافرين. وقد أمهل الله أولئك الكافرين ثم أهلكهم بالعذاب، وحصل فيه الجزاء لهم على أحسن ما يكون.

فكثير من المدن دُمِّرت وسقطت السقوف وتداعت فوقها الجدران، وبقيت القصور والآبار مهدّمة مهجورة، ورأى آثارها مشركو مكة أو بلغتهم أخبارها، ولكن قلوبهم معطّلة لا تعقل ولا تتعظ. وجعلُ العقل للقلوب لا ينكِرُ أن للدماغ بالقلب اتصالًا يقتضي فساد العقل إذا فسد الدماغ، لأنه يستمد من القلب ماء الحياة صافيًا بما يحمله من التدبر والانفعال، ويستعين بذلك على القيام بوظائفه.

تفسير المفردات: يستعجلونك بالعذاب: يطلب الكافرون تعجيل عذاب الدنيا. ولن يخلف الله وعده: لن يخلّ بما تعهد وهدّد. واليوم: يوم في الآخرة. وعنده كألف سنة أي: في لقاء عذابه، يعني أن مقدار اليوم الواحد كمقدار ألف سنة. وتعدون: تحسبونه. **٤٧** كأيّن: كثير. والقرية: البلدة العامرة بالسكان. وأمليت لها: أمهلت أهلها. والظالمة: المجاوزُ الحدَّ أهلُها. وأخذتها: عاقبت أهلها. وإليّ: إلى لقاء حسابي يوم القيامة. والمصير: المرجع النهائي بعد البعث. **٤٨** قل أي: للكافرين، أيها النبيّ. والناس: البشر. النذير: المهدِّد بالعذاب لمن كفر. والمبين: البيّن الإنذار. **٤٩** آمنوا: اعترفت قلوبهم بالتوحيد وما يلزمه. وعملوا: اكتسبوا من نية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الله. والمغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها. والرزق: ما يعطَى وييسّر من حاجات مادية ومعنوية. والكريم: ما كان جامعًا للفضائل والكمالات. **٥٠** سعوا: اجتهدوا مختارين قاصدين. وفي آياتنا أي: لأجل إبطالها بالتكذيب. والآيات: النصوص القرآنية والأدلّة الكونية على التوحيد. ومعاجزين أي: مسابقين لنا ومغالبين. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم لا يفارق. والجحيم: نار جهنم. **٥١** ما أرسلنا: ما بعثنا. ومن رسولٍ أي: مكلفًا بالدعوة للتوحيد ومعه كتاب منزل. والنبي:من يبلغ رسالة غيره. وتمنّى: ودّ وحاول بكل رغبة وتقدير أن يبلّغ الدعوة. وألقى: دسّ بين أقواله شُبَهًا في نفوس الناس يثبطهم بها عن الإيمان. والشيطان: من يوسوس بالشر من الإنس أو الجنّ. والأمنيّة: الرغبة والتقدير. وينسخ: يبطل ويزيل. ويحكم: يُثبت. والعليم: المحيط بخفايا الأمور وظواهرها. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. **٥٢** يجعل: يصيّر. والفتنة: المحنة. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاتعاظ والانفعال. والمرض: الشك والنفاق. والقاسية: المتصلبة لا يدخلها صلاح. والظالمون: الكافرون. والشقاق: العداوة والخلاف لله ورسوله. والبعيد: الذي لا حدّ له. **٥٣** يعلم: يدرك باليقين. وأُوتوا: أُعطوا. والعلم أي: المعرفة القائمة على الأدلة والبراهين. وأنه أي: القرآن الكريم. والحق: الصدق الموحى. ومن ربك: من عنده وبأمره. ويؤمنوا به: يَثْبُتوا ويستمروا على تصديقه. وتخبت: تطمئن وتستجيب. والهادِ: الهادي، المرشد الموفّق. وحذفت الياء في الرسم تبعًا لحذفها في اللفظ بالتقاء الساكنين. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: القويم وهو دين الإسلام. **٥٤** لايزال: سيبقى. والمرية: الشكّ والتردد. ومنه: من القرآن. وتأتيهم: تنزل بهم. والساعة: ساعة موتهم. والبغتة: المفاجئة. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. واليوم: الوقت. والعقيم: الذي لا خير فيه بل الشرُّ كله. **٥٥**

سورة الحج — الجزء السابع عشر

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

المعنى العام: متابعة ما عليه المشركون من الأباطيل. فهم يطلبون تعجيل عذاب الدنيا، والله محقّقه ولا يؤخّره عن موعده يومًا واحدًا، لأن اليوم بالنسبة إلى الآخرة وتقدير الله كعشرات آلالاف السنوات. وكثير من المدن أُمهلت ثم أُهلكت بالعذاب وحسابها لله.

فقل للناس ـ أيها النبي ـ بأنك نذير وبشير لا معاقِب، والأمر بيد الله لمكافأةِ المؤمنين بالمغفرة والنعم، والعقابِ بالجحيم للكافرين المعتقدين أنهم يخاصمونه وينجون منه. وهذه هي حال من عاش قبلك، كل رسول أو نبي كان عندما يعظ الناس لإصلاح عقائدهم يدسّ شياطين الكفر بين عباراته الشبهات التي تشوّهها من تعليق وتوجيه وتفسير مضلل، فيمحق الله الشبهات ويُثبت ما كان على ألسنة الرسول أو النبي من آيات ربانيّة.

وإنما يقع مثل هذا ليُمتحن المنافقون والكافرون. وسيبقى هؤلاء في خصام، ويزداد العلماء المؤمنون الراسخون في العلم طمأنينة إلى صدق القرآن، يرشدهم الله إلى الحق، ويبقى الكافرون في شك منه وتردد حتى ينزل بهم الموت أو عذاب الآخرة.

والذي عليه المحققون أن قصة الغرانيق التي ترِد في بعض كتب التفسير هي موضوعة، صنعها الزنادقة من دسائس الإسرائيليات، للطعن في عصمة الأنبياء، ولا علاقة لها بهذه الآيات ولا بالقرآن الكريم كله.

تفسير المفردات: الملك: التملك الحقيقي والتصرف المطلق بلا منازع أو شريك. ويومئذ: يوم القيامة. ويحكم بينهم: يقضي بين المؤمنين والكافرين. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا من نية وقول وفعل. والصالحات: ما حسّنه الشرع. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والرضا. والنعيم: المبالغة في طيب العيش. ٥٦ كفروا: جحدوا التوحيد والرسالة. وكذبوا: أنكروا. والآيات: نصوص القرآن الكريم والأدلّة على التوحيد. والعذاب: التعذيب. والمهين: الذي يُهين من ينزل به. ٥٧ هاجروا: فارقوا وطنهم وأهلهم من ظلم الكافرين. وفي سبيل الله: لإعلاء كلمته ونصرة دينه. وقُتلوا: قَتلهم العدو. وماتوا: فارقت أرواحهم الأجساد بدون قتال. وليرزقنّهم أي: أُقسِمُ ليبسِّرنّ لهم ويعطيهم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والحسن: المبهج تستلذّه النفس الصالحة. وخير الرازقين: أفضل المُعطِين. ٥٨ يدخلهم: يقضي بدخولهم. والمُدخل: الإدخال. ويرضونه: يرغبون فيه ويطمئنون إليه. والعليم: المحيط إحاطة مطلقة. والحليم: ذو العفو المطلق لا يستخفه عصيان ولا يعجّل الانتقام. ٥٩ ذلك أي: الأمرالمقرر هو ما ذكر في الآيتين ٥٨ و٥٩. وعاقب: جازى. والمِثل: المماثل دون تجاوز للحق. وعوقب: اعتُدِي عليه. وبُغي: اعتُدِي. ولينصرنّه أي: أُقسِمُ ليعيننّه ويقوّينّه على عدوه. والعفوّ: الكثير الترك للمؤاخذة على الذنوب. والغفور: العظيم الإظهار للجميل والستر للقبيح. ٦٠ ذلك أي: النصر. وبأن الله أي: حاصل لأن الله، تعالى. ويولج: يُدخل. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. والسميع: المدرك لأقوال العباد مهما خفيت. والبصير: العليم بالبواطن والظواهر. ٦١ ذلك: ما ذكر في الآية الماضية. والحق: الذي يستحق العبادة وحده ويتفرد بالقدرة على كل شيء. ويدعون: يعبد الكافرون. ودونه: غيره من المخلوقات. والباطل: الزائل لا ينفع ولا يضر. والعليّ: المستعلي على كل شيء. والكبير: العظيم عجزت عن إدراكه العقول والحواس. ٦٢ ألم تر أي: لقد علمتَ، أيها المخاطَب البصير. وأنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والماء: المطر والثلج والبرَد وما أشبه ذلك. وتصبح: تصير. والأرض: اليابس منها. والمخضرة: التي يكثر فيها النبات. واللطيف: الذي يصل فضله إلى كل شيء. والخبير: العليم ببواطن الأمور ودقائقها. ٦٣ السماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والغني: المستغني عما سواه لا يحتاج إلى شيء. والحميد: الكثير الثناء والرضا والتقدير للصلاح. ٦٤

علامة ربع الحزب ٣٤

الجزء السابع عشر — سورة الحج

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

المعنى العام: متابعة ما يكون يوم القيامة بأن المُلك حينئذ يتحقق لله وحده، بعد أن كان ظاهر بعضه في الدنيا للناس، فيحكم بنعيم الجنة للمؤمنين الصالحين وبالجحيم والعذاب المهين للكافرين الجاحدين بآياته، وبالإكرام الزائد والمنزلة الرفيعة المُرضية للمهاجرين بدينهم من مكايد الكافرين، إن قتلوا في سبيل الله شهداء أو ماتوا على فراشهم. فلهم على كل حال الرزق الكريم في الجنة، والله خير الرازقين بما يديم من النعم وعليم حليم يجزي بالحق.

هذا ما يكون يوم القيامة لكل فئة من الناس باختلاف مواقفهم إزاء دعوة الإيمان، وفي الدنيا ينصر الله من اقتص بمثل ما وقع عليه ثم ظُلم، وقدرته على النصر والتصرف لعظمة سلطانه. فهويقلّب الليل والنهار بدخول كل منهما في الآخر ليزيد به أي: يجعل كلًّا منهما يزيد فيه ما ينقص من الآخر، وهو السميع البصير لما يكون ويستحق العبادة وحده ويتفرد بالقدرة على كل شيء، وسائر المعبودات باطلة متلاشية لا بقاء لها، وهو المستعلي على الكائنات والعظيم في ذاته وصفاته، وقد أنزل من السحب ما يحيي الأرض الميتة، فتصير مزدهرة بالنبات، وله ملك ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما في غيرهما أيضًا ـ وإنما خصهما بالذكر لأنهما منتهى علم المخاطَبين ـ وهو غني عن العباد وما عندهم وشاكر بالإكرام والفضل لكل عمل طيب.

تفسير المفردات: ألم ترَ أي: لقد علمت بحق، أيها المخاطَب المفكر. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وسخر: ذلّل ويسّر لتأمين المقاصد. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والفُلك: السفن، واحده فُلك أيضًا. وتجري: تسير وتندفع. والبحر: ما اجتمع فيه الماء الكثير، كالنهر والبحيرة وأمثالهما. وبأمره أي: مصاحبةً إذن الله وإرادته. ويمسك: يحفظ ويمنع. والسماء: ما يقابل الأرض من العوالم التي لانهاية لها. وتقع: تسقط. وبإذنه أي: مصاحبةً إرادته. والناس: البشر. والرؤوف: الكثير التعطف بالتوبة والإحسان. والرحيم: العظيم العطف بالفضل على المؤمنين. ٦٥ أحياكم: أنشأكم وخلق فيكم الحياة. ويميتكم: ينزع منكم الأرواح. ويحييكم أي: يخلق فيكم الحياة بالبعث. والإنسان أي: المشرك. والكفور: الكثير الإنكار للحق والنعم بعبادة المخلوقات. ٦٦ الأُمّة: الجماعة من أصحاب الأديان المشروعة. وجعلنا: وضعنا. والمنسَك: الشريعة. وناسكوه أي: عاملون به. ولا ينازعُنّك أي: لا تيسّرنّ لهم أن يجادلوك ويخاصموك. والأمر: الشريعة التي أمرك الله بها. وادع إلى ربك: وجّه الناس إلى توحيده ودينه. والهدى: الرشاد إلى الحق. والمستقيم: السوي يؤدي إلى رضا الله وثوابه. ٦٧ جادلوك: خاصمك المشركون. وقل أي: لهم. وأعلم: أكثر اطّلاعًا وإحاطة. وتعملون: تقترفونه نية أو قولًا أو فعلًا. ٦٨ يحكم: يبيّن الحق من الباطل، ويجازي كلّ إنسان بما يستحق. وبينكم: بين المؤمنين والكافرين. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث للحساب والجزاء. وفيه تختلفون: بسببه تختصمون. ٦٩ ألم تعلم أي: لقد علمتَ بحقّ، أيها الإنسان المفكر. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. وذلك أي: ما ذُكر من العلم. والكتاب: اللوح المحفوظ. وذلك أي: علمه جملة وتفصيلًا. واليسير: السهل جدًا. ٧٠ يعبدون: يقدس المشركون ويطيعون. ودون الله: غيره. ولم ينزّل به: لم يُوحِ عليه. والسلطان: الحجة والدليل. والعلم: المعرفة العقلية اليقينية. وما للظالمين أي: ليس للمشركين. ومن نصيرٍ أي: معينٌ يدفع عنهم العذاب. ٧١ تتلى: تُقرأ. والآيات: نصوص القرآن الكريم. وبيّنات أي: ظاهرات في رفض الشرك. وتعرف: تدرك، أيها النبيّ. والوجوه: جمع وجه. وهو ما يقابل به الإنسان غيره من رأسه. وكفروا: ستروا الحق وغطّوه وهو واضح. والمنكر: الإنكار لِما تتلو. ويكادون: يقاربون. ويسطون: يبطشون. ويتلون: يقرؤون. وقل أي: للمشركين. وأأُنبّئكم: أأُخاطبكم وأخبركم؟ وشرّ: أكثر سوءًا إليكم وإيذاءً. وذلكم أي: سماع الحق. والنار: نار جهنم. ووعدها: تعهد لها وقضى. وبئس: بلغ الغاية في الشقاء والبؤس. والمصير: مكان النهاية والعاقبة بعد البعث. ٧٢

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ
اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾
وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ
فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن
ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

المعنى العام: متابعة ذكر نعم الله ودلائل قدرته بأن الناس يرون تسخيرَ الأرض مسهّلة والسفن تجري في البحار لمصالحهم، وحِفظ السماء من السقوط وخلْق الحياة والموت، وكل هذا برهان على الوحدانية وقدرة الله على البعث بعد الموت، ولكنهم يكفرون بذلك و يشركون.

وعندما قال بنو خُزاعة للمسلمين في الجدال: «ما قتلَ اللهُ أحقُّ أن تأكلوه مما قتلتم»، يسخرون بتحريم الأكل من لحم الميتة، نزلت الآيات ٦٧ـ٦٩ بأن الله قد شرع لكل دين سبل العقيدة والعبادة، فلا تدَعْ مجالًا للنزاع والخلاف ـ أيها النبيّ ـ بينك وبين الكافرين والمشركين لأن أمر الدين أظهر من أن يقبل النزاع، وادعُ إلى الإسلام. فإن جادلك الكافرون فاترك الأمر لعلم الله، هو يحكم بالحق فيما كان من الخلاف. يعني: فادفعهم بردّ الحكم إليّ، مترفقًا ومتلطفًا. فهم يعرفون علم الله وقدرته، وقد سُجّل ما كان وما سيكون من المخلوقات والأحداث في اللوح المحفوظ ، ولكنهم يتجاهلون وجوب التوحيد ويشركون ما لا دليل لهم عليه، وإذا سمعوا آيات التوحيد ظهر منهم الإنكار وكادوا يقتلون من يقرؤها وإنما خصت الوجوه بالذكر لأنها أوضح ما يبدو فيه القبول والرفض. فقل لهم بأنه تنتظرهم نار جهنم بوعد من الله، وهي أشد عليهم مما يسمعون. فكأنّ النار وُعِدَت بالكفار لتنال منهم، وما أبأسها من نهاية !

تفسير المفردات: الناس: المشركون. وضرب: وُضّح. والمثل: قصة عجيبة فيها العظة والاعتبار. واستمعوا له: تنبهوا له وتدبّروه. وتدعون: تعبدونه. ودون الله: غيره. ولن يخلقوا: لن ينشئوا من العدم. والذباب: حشرات معروفة واحدتها ذبابة. ولو اجتمعوا له: إن احتشدوا لأجله وتعاونوا. ويسلبهم شيئًا: يختطف بسرعة ما عليهم من الطيب والعسل مثلًا. ولا يستنقذوه: لا يستردّوه. وضعف: بلغ الغاية في العجز والقصور. والطالب: العابد. والمطلوب: المعبود المطلوب منه إيصال الخير ودفع الشر. ٧٣ ما قدروا: ما عظّم المشركون. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وحقّ قدره: ما يستحقه من التقدير والإجلال. والقوي: الكامل القوة والمتمكن من كل شيء. والعزيز: الغالب القاهر لجميع الخلق. ٧٤ يصطفي: يختار. ومن الملائكة أي: بعضهم كجبريل وميكائيل لأعمال عظيمة خاصة. والملائكة: جمع مَلَك، مخلوقات نورانية. والرسل: جمع رسول. وهو من يكلف بعمل. والناس: البشر. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والبصير: الخبير بكل شيء. ٧٥ يعلم: يحيط كامل الإحاطة. وما بين أيديهم: ما قدّموا من العمل. وما خلفهم: ما تركوا. وإلى الله: إلى حُكمه وقضائه. وترجع: تردّ في تقديرها والحكم فيها. والأمور: جمع أمر، شؤون الخلق كلهم. ٧٦ آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. واركعوا واسجدوا أي: صلُّوا. واعبدوا: وحّدوا في التقديس. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وافعلوا الخير: قوموا بما حسّنه الشرع من نية أو قول أو عمل. ولعلكم: ليُرَجَّى لكم. وتفلحون: تفوزون بالنعيم. ٧٧ جاهدوا: ابذلوا الجهد من كل ما تملكون. وفي الله: لأجل نُصرة دينه. وحقّ جهاده: جهاده الصادق بنيّة خالصة. واجتباكم: اختاركم للإسلام. وما جعل: ما وضع. والدين: العقيدة والشريعة. والحرج: الضيق. والملّة: عقيدة التوحيد. وأبيكم: جدّكم. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيلَ جد عرب الشمال وإسحاقَ جد اليهود، سُومريّ من بني حام، انتقل من العراق إلى القدس ومصر ومكة. وهو أي: الله تعالى. وسمّاكم أي: اختار لكم اسمًا تتميزون به. والمسلمون: المنقادون لأمر الله في جميع شؤونهم. وقبلُ أي: قبل نزول القرآن. وهذا أي: القرآن الكريم. ويكون: يصير. والرسول: محمد ﷺ. والشهيد: الشاهد يبلّغ ماعلمه بحق. وتكونوا: تصيروا. والشهداء: جمع شهيد أي: شاهد. وأقيموا الصلاة: أدّوها وداوموا عليها بشروطها وأركانها وآدابها. وآتوا الزكاة: أعطوها مستحقيها. والزكاة: ما فُرض في المال لتطهيره وتنميته وتطهير صاحبه. واعتصموا بالله: ثقوا به والجؤوا إليه وحده. والمولى: المتولي للأمور. ونعم: بلغ الغاية في الخير والفضل والإنعام. والنصير: الناصر المعين على كل بلاء. ٧٨

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ
وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ
اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ
رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا
رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ
الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

المعنى العام: أن الله ضرب مثلًا لبيان عجز ما يُعبد من المخلوقات، فيه تدرُّج من عدم القدرة على الخلق، إلى القصور عن حمايةِ النفس، فاستردادِ الحق من أضعف المخلوقات أي: الذباب إذا اختطف شيئًا منها. فما أضعف العابد والمعبود ! وقد قصّروا في تعظيم الله بما أشركوا، وهو القوي العزيز.

وعندما قال الوليد بن المغيرة حسدًا عن النبي ﷺ في اختيار الله له: «ليس بأكبرنا ولا أشرفنا»، نزلت الآيات بأن الله يختار بحكمته من الملائكة والبشر من يكلفه، فاختياره محمدًا ﷺ عن حكمة وتقدير لمصالح الكون. وعلى المسلمين القيام بالعبادة وفعلُ الخير ليفلحوا، والجهادُ اللازم لنصرة الدين. وقد اختارهم للإسلام أيضًا ويسّر لهم أحكامه، كما كانت مِلّة جدهم إبراهيم، وسمّاهم بالمسلمين في الكتب المنزلة، ليشهد النبي عليهم، ويشهدوا هم على غيرهم لِما أعلمهم الله، بنصوص القرآن والسُّنّة، أن الأنبياء بلّغتْ أقوامها وأخبرتهم بوجوب التوحيد والطاعة لله. فليلزم المسلمون عباداتهم والاعتصامَ بالله مولاهم الحق، وما أكرمه وأنعمه من مولى ونصير !

٢٣ ـ سورة المؤمنون

الجزء الثامن عشر | سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾
فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ
لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ
خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

الجزء ١٨ الحزب ٣٥

تفسير المفردات: أفلح: فاز بخير الدنيا والآخرة. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله وعرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه، من الرجال والنساء. ١ الصلاة: العبادة المكتوبة كل يوم خمس مرات. وخاشعون أي: متواضعون متذلّلون لله. ٢ اللغو: ما كان من الكلام حرامًا أو مكروهًا، أو مباحًا ولم تدعُ إليه حاجة. و معرضون: متجنّبون يبتعدون وينكرون. ٣ والزكاة: ما يجب في المال لتطهيره وتنميته وتطهير صاحبه. وفاعلون أي: مؤدّون لمن يستحق. ٤ الفروج: جمع فرْج، عورة ما بين الرِّجلين من أمام. وحافظون: مانعون. ٥ الأزواج: جمع زوج. وهو المرأة المتزوجة أو الرجل المتزوج. وملكت: حازت بتملك شرعيّ. والأيمان: جمع يمين، اليد اليمنى للرجل. وملومين أي: مؤاخذين بمعصية. ٦ ابتغى: قصد بشهوته. ووراء ذلك: غير ما استُثني من الزوجات والمملوكات. والعادون: المتجاوزون الحلال إلى الحرام. ٧ الأمانة: ما تكفّل الإنسان برعايته أو القيام به. والعهد: ما وُعد به الغيرُ. وراعون أي: حافظون الوفاء والأداء. ٨ على صلواتهم يحافظون: يقيمونها بشروطها وآدابها. ٩ أولئك أي: الموصوفون في الآيات ١ـ٦ و٨ و٩. والوارثون: المستحقون أن يسمَّوا وارثين لنعيم الآخرة. ١٠ يرثون: ينالون كالمالكين. والفردوس: أعلى الجنّات. وخالدون أي: مقيمون أبدًا. ١١ خلقنا: أنشأنا من العدم. والإنسان: آدم. والسلالة: الشيء المستخرج. والطين: التراب المجبول بالماء. ١٢ جعلناه: صيّرنا نسل آدم من ذكور وإناث ما عدا عيسى. والنطفة: القطرة الدقيقة جدًّا من ماء شهوة الرجل. والقرار: المستقَرّ. والمكين: المتمكّن المحوط بالوقاية. ١٣ خلقنا: جعلنا وصيّرنا. والعلقة: الدم الجامد يلصق بما حوله. والمضغة: القطعة من اللحم. والعظام: جمع عظم، القصب أو اللوح الذي في الجسم. وكسونا: غطّينا. واللحم: العضل وما يشبهه. وأنشأناه: خلقناه بالروح. والآخر: المغاير لِما كان قبل. وتبارك: تعالى شأنه في جميع ما يقدّر وما يخلق. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والأحسن: الأعظم لا مثيل له. والخالقون: المقدّرون لِما يعملون. ١٤ إنكم أي: أيها الناس. ذلك أي: الإنشاء بالروح. والميت: الذي فارقت روحه الجسد. ١٥ اليوم: الوقت. والقيامة: القيام من القبور، حيثما كانت بقايا الجسد. وتبعثون: تُخرجون أحياء بالبعث. ١٦ فوقكم: فوق أرضكم. والطرائق: السماوات، جمع طريقة. وما كنا أي: لم نكن ولا نزال من دون قيد زماني. والخلق: المخلوقات في الكون. وغافلين أي: ساهين لا نتنبّه للأمور ولا نرعاها. ١٧

المعنى العام: أن الفوز بخير الدنيا والآخرة هو للمؤمنين رجالًا ونساء، الخاشعين في صلاتهم، المتجنّبين لما لم يحسّنه الشرع من القول، والمؤدّين لزكاة أموالهم إلى المستحقين، والمانعين لفروجهم إلّا بمضاجعة الزوجة والسُّرّيّة، أي: المملوكة تُنكح سِرًّا، وحكم التسرّي خاص بالرجال ـ والقاصدُ لغير ما ذُكر في النكاح مرتكب لما هو محرّم ـ والحافظين بالوفاء للأمانة والعهد، والمقيمين لصَلاتهم بشروطها وآدابها. فهؤلاء يرثون الخلود في أعالي الجنان.

وقد أنشأ الله آدم من طين الأرض، وصيّر كل فرد من نسله عدا عيسى قطرة منيّ في الرحم مع بُويضة المرأة، فدَمًا جامدًا يلتصق بما حوله، فقطعة من اللحم صغيرة، فعظامًا مجردة فمكسوة باللحم، ثم هيئة تمتاز بالبشرية الحية ـ فالعظمة المثلى لله أحسن من يقدِّر ويخطِّط لِما يريد ويعمل ـ وبعد ذلك الإحياء يموت كل إنسان، ويبعث يوم القيامة للحساب.

وخلق الله أيضًا السماوات السبع وما تحويه من أجرام وعوالم عُلوية في طبقات فوق الأرض وحولها، وهو محيط كل الإحاطة بما في الكون وما تُحدثه المخلوقات من صغيرة أو كبيرة...

تفسير المفردات: أنزلنا: أسقطنا. والسماء: السحاب. والماء: المطر والثلج والبرَد والندى. وبقدر أي: مصاحبًا المقدار المعين بحسب مصلحة الكون والحياة. وأسكنّاه: جعلناه يستقرّ أو يجري من مكان إلى آخر. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وذهاب به: إفناؤه وإبادته. والقادر: المتمكن بأقصى الاقتدار. **١٨** أنشأنا لكم به: خلقنا لأجلكم بسبب الماء من العدم. والجنّة: الحديقة والبستان فيهما النبات. والنخيل: شجر ثمره التمر. والأعناب: جمع عنب. وهو ثمر الكرم . وفيها: في الجنات والبساتين. والفواكه: جمع فاكهة. وهي الثمار المستلذّة. والكثيرة: الوافرة الأنواع والأشكال. وتأكلون: تتناولون طعامًا وشرابا للتغذية والمتعة والاستشفاء. **١٩** الشجرة: النبتة لها جذور وساق وأغصان وأوراق وثمار. تخرج: تظهر. والطور: الجبل. وسَيناء: مِنطقة في غربيّ فلسطين. وتَنبت: تنمو وتُثمر. والدهن: عُصارة الدسم. والصِّبغ: ما يؤتدم به من الغذاء. والآكلون: المتغذُّون. **٢٠** الأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. والعِبرة: العظة للاستدلال على عظمة الخالق ووحدانيته. ونُسقيكم: نيَسّر لكم الشرب. والبطون: جمع بطن، ما بين االفخذين والصدر. وفيها: في الأنعام. والمنافع: جمع منفعة، ينفع. والكثيرة: الوافرة العدد. ومنها: من لحمها وألبانها. وتأكلون: تتناولون الطعام والشراب. **٢١** عليها: على بعضها، أي: الإبل. والفُلك: السفن، واحدتها بلفظها أيضًا. وتُحملون: تُرفعون للركوب في السفر والانتقال.

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ
بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ
لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن
طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَٰكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي
الْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي
بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن
كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

٢٢ أرسلنا: كلفنا بالدعوة للتوحيد مع العمل. ونوح: نبيّ بعد آدم وشيث وإدريس. والقوم: الجماعة يعيش فيها الإنسان وهو من أبنائها. ويا قوم: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. واعبدوا: وحّدوا في التقديس والطاعة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ومن إلَهٍ أي: إلَهٌ. وهو المعبود بحق. وغيره: مغاير له. وألا تتّقون أي: اتّقوا عقوبته واطلبوا رضاه بالطاعة. **٢٣** قال الملأ أي: الأشراف والزعماء، أي: بعضهم لبعض. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وما هذا أي: ليس نوح. والبشر: الإنسان. ومثلكم أي: في الصفات. ويريد: يطلب. ويتفضل: يتشرّف ويتزعّم. وشاء: أراد ألّا يُعبد غيره. وأنزل: أرسل. والملائكة: مخلوقات نورانية، جمع مَلَك. وما سمعنا: ما علمنا. وهذا: ما يدعو إليه نوح. والآباء: جمع أب، الوالد أو الجدّ. والأولون: المتقدمون من قبل. **٢٤** إن هو أي: ليس نوح. والرجل: الإنسان الذكر. والجِنّة: الجنون. وتربّصوا به: انتظروه في مشقة. وحتى حين: إلى وقت موته. **٢٥** قال أي: نوح. وربّ أي: يا ربي. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وانصرني: أعِنّي. وبما كذّبونِ: بما كذّبوني، بسبب تكذيبهم رسالتي. وحذفت الياء لموافقة الفواصل. **٢٦** أوحينا: أنزلنا على لسان جبريل. وأن بمعنى: أي. واصنع الفلك: اعمل السفينة متقنة مُحكمة. وبأعيننا: مصاحبًا مرأى منا ورعاية. وجمع العين للتعظيم. والوحي: الأمر والإرادة. وجاء: ابتدأ ظهوره. وأمرنا: قضاؤنا بإهلاك الكافرين. وفار: نبع الماء. والتنور هنا: وجه الأرض. واسلك فيها: أدخل في السفينة. والزوج: الصنف له مقابل من جنسه للتزاوج. واثنين أي: ذكرًا وأُنثى. وأهلك: أسرتك ومن تعولهم. وسبق عليه القول: وقع عليه من الأزل حكم الله بالعذاب، لإصراره على الكفر. ومنهم: مِن أهلك أي: زوجته الكافرة، وكنعان الكافر أيضًا، وهو غير جد الكنعانيّين العرب. ولا تخاطبني: لا تراجعني في الكلام بعدم الإهلاك. وظلموا: تجاوزوا الحد وكفروا. ومغرقون:أي مختنقون غرقًا بالطوفان. **٢٧**

المعنى العام: متابعة ذكر نعم الله بأنه أرسل الماء من السحب، يُختزن في الأرض ويجري، فينشئ البساتين والحدائق بالفواكه والنباتات، منها الزيتون في جبل سَيناء بما فيه من الخير، وخلق الأنعام بما فيها من اللبن والمنافع في الغذاء والركوب كالسفن، وبعث نوحًا بالتوحيد فكذّبه زعماء قومه بدعوى أنه إنسان يريد التسلط عليهم، وأوصى بعضهم بعضًا أن يتصبّروا عليه ينتظرون وفاته، فدعا عليهم بالهلاك وأجاب الله ذلك أن يصنعَ نوح السفينة برعايته ـ تعالى ـ حتى يأتي الطوفان ويحمل فيها المؤمنين، ولا يشفعَ للكافرين لأنهم هالكون غرقًا...

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا
مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ
﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ
﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

تفسير المفردات: استويت: اعتدلتَ واستقررتَ. ومعك أي: من المؤمنين والمخلوقات. والفلك: السفينة. والحمد: الثناء بالجميل على الفضل والإنعام. ولله أي: مُلك ومستحق له وحده. ونجّانا: أنقذنا. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: الذين تجاوزوا الحق وأصرّوا على الباطل. ٢٨ ربّ: يا ربّي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وأنزلني: هيّئ لي النزول ويسّره. والمُنزَل: الإنزال من السفينة إلى الأرض. والمبارك: الكثير الخير. وخير المُنزِلين: أفضلهم في التقدير والتوفيق. ٢٩ ذلك أي: ما ذُكر من قصة نوح. والآيات: الدلالات على قدرة الله. وإنْ: لقد. وكنّا أي: ولا نزال من دون قيد زماني. ومبتلين أي: مختبرين الناس بإرسال الرسل. ٣٠ أنشأنا: أوجدنا. وبعدهم: بعد ما غرق من قوم نوح. والقرن: القوم. والآخرون: غير قوم نوح. ٣١ أرسلنا: بعثنا. والرسول: النبيّ هُود كلّف بالدعوة إلى التوحيد والشريعة مع العمل. ومنهم أي: من جنسهم، وهم الساميون العرب، الجيل الأول بعد نوح. وأن بمعنى: أي. واعبدوا: وحّدوا في التقديس والطاعة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإلَه: المعبود بحق. وغيره أي: مغاير لله تعالى. وألا تتقون أي: اتقوه: تجنبوا غضبه وتطلّبوا رضاه بالطاعة. ٣٢ قال الملأ أي: السادة الأشراف بعضهم لبعض. وكفروا:أنكروا التوحيد. وكذّبوا: أنكروا. ولقاء الآخرة: المصير إلى يوم القيامة بالبعث. وأترفناهم: أنعمنا عليهم بالغنى والترف. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. وما هذا أي: ليس النبي هود. والبشر: الآدمي. ومثلكم: مماثل لكم في البشرية. ويأكل: يتغذّى بالطعام. ويشرب: يرتوي بالشراب. ٣٣ لئن أي: نُقسم إن. وأطعتم: استجبتم للدعوة. وإذًا أي: إن فعلتم ذلك. والخاسرون: المضيّعون للمكاسب والنعم. ٣٤ أيعدكم أي: كيف يهددكم؟ لا تصدقوا ما يقول. وإذا متم أي: حين فقدكم للحياة. وكنتم: صرتم. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض.

ربع الحزب ٣٥

والعظام: جمع عظم. ومخرجون أي: مبعوثون إلى الحياة والحساب. ٣٥ هيهات: بعُد جدًّا. وما توعدون: ما تهدَّدون به. ٣٦ إن هي أي: ليست الحياة. ونموت: تفارق أرواحنا الأجساد. ونحيا: يستمرّ نسلنا بحياة أبنائنا. وما نحن أي: لسنا. وبمبعوثين أي: مخرجين من القبور أحياء. ٣٧ إن هو: ليس هود. وافترى: اختلق واصطنع. والكذب: ماليس له أصل. وله بمؤمنين أي: مصدقين إيّاه. ٣٨ انصرني: أعنّي عليهم. وبما كذبون أي: بسبب تكذيبهم إياي. ٣٩ قال أي: الله تعالى. وعما قليل: بعد قليل من الزمن. وليصحبنّ: أُقسِمُ ليصيرُنّ. ونادمين أي: متحسرين على ما ضيّعوا بالكفر. ٤٠ أخذتْهم: تناولتْهم بالعقاب. والصيحة: الصوت الهائل الصاعق يدمر ويقتل. وبالحق أي: مصاحبة الوجوب، لأنهم استحقوا العذاب بكفرهم. وجعلناهم: صيّرناهم. والغثاء: كالنبت اليابس. والبعد: الطرد من الرحمة. والظالمون: المجاوزون للحق بالتكذيب والكفر. ٤١ أنشأنا: خلقنا وأوجدنا. والقرون: جمع قرن. وهو الأُمّة. والآخرون: المغايرون لقوم هود. ٤٢

المعنى العام: متابعة ما كان من نوح أن الله أمره بحمده على نجاته مع المؤمنين، وبدعائه لتيسير نزولهم إلى البرّ بسلام. وفي ذلك أدلة على وجوب الإيمان، وامتحان يُظهر الصالح من المفسد.

ثم كانت كثرة ذرية المؤمنين الذين نجوا في السفينة، وظهر الكفر في قوم عاد ـ وهو جد العرب سام بن نوح ـ فأرسل الله إليهم النبيّ هودًا بالتوحيد، فكذّبه المترفون بدعوى أنه إنسان مثلهم في صفاته وتصرفاته، ولا يجوز أن يصدَّق بما يهدّد من البعث بعد الموت، لأن ذلك من المستحيلات، وإنما تستمر الحياة أبدًا بتناسل الناس في أجيال متعاقبة. فهو يختلق الكذب ولن يصدّقوه أبدًا.

هنالك دعا هود عليهم، وبلّغه الله بالاستجابة لإهلاكم بعد قليل من الزمن، فاستأصلهم بالصواعق فصاروا كالهشيم من النبات، ثم أنشأ الله بعدهم أممًا أُخرى...

تفسير المفردات: ما تسبق من أُمةٍ أجلها: لا تتقدّم أُمّةٌ عليه بالموت. والأجل: المُدّة المحددة لحياة المخلوق. وما يستأخرون: لا يتأخّرون ليكون موتهم بعد الزمن المعيّن. ٤٣ أرسلنا: بعثنا. والرسل: جمع رسول، من يكلّف بالدعوة إلى التوحيد مع العمل. وتترى أي: متتابعين. وكلّما: كلّ وقت. وجاء أُمّةً: أتى الجماعةَ من الناس. وكذّبوه: أنكروا ما جاء به. وأتبعنا بعضهم بعضًا: ألحقنا المتأخرين بالمتقدمين في الهلاك. وجعلناهم: صيّرناهم. والأحاديث: جمع أُحدوثة، ما يُتحدّث به عجبًا. والبعد: الطرد من الرحمة. والقوم: الجماعة من الناس. ولا يؤمنون: لا يستجيبون للإيمان بالحق. ٤٤ موسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. وهارون: شقيقه. وبآياتنا أي: مع معجزاتنا. والسلطان: البرهان القاطع يحمل على التصديق. والمبين: البيّن الواضح. ٤٥ فرعون: ملك مصر حينذاك. والملأ: السادة الأشراف من الأقباط العرب. واستكبروا: تكلّفوا ما ليس لهم من التعالي. والعالون: المتطاولون على الناس. ٤٦ أنؤمن لبشرين: لا نصدّق آدميَّين. ومثلنا أي: مماثلَين لنا في البشرية. وقومهما هم بنو إسرائيل السُّومريُّون الحاميُّون. والعابدون: الخاضعون المطيعون. ٤٧ كذّبوهما: أنكروا دعوتها. وكانوا: صاروا. والمهلكون: المحكوم عليهم بالإهلاك. ٤٨ آتينا موسى: أعطيناه بالوحي. والكتاب: التوراة. ولعلهم: ليُترجّى لبني إسرائيل. ويهتدون: يسترشدون إلى الحق. ٤٩ جعلنا ابن مريم: صيّرنا عيسى. وأُمّه أي: والدته مريم. والآية: المعجزة الخارقة للعادة. وآويناهما: ألجأناهما حين ولادة عيسى، أي: يسّرنا لهما ذلك. والرّبوة: المكان المرتفع في القدس. وذات أي: صاحبة. والقرار: الاستقرار والوقاية. والمعين: النهر الجاري. ٥٠ كلوا: تغذّوا وتمتّعوا. والطيّبات: المستلذّات أحلّها الشرع. واعملوا: اكتسبوا. والصالح: ما يرضاه الله. والعليم: المبالغ في الاطّلاع والإحاطة. ٥١ هذه أي: دعوة الإسلام. وأُمّتكم: مِلّتكم جميعًا. وواحدة: متوحّدة متميزة لا تختلف في أصولها. والربّ: الخالق المالك المتفرد. واتّقونِ: اتّقوني أي: تجنبوا غضبي واطلبوا رضاي بالطاعة. حذفت الياء لموافقة الفواصل. ٥٢ تقطعوا أمرهم: قطّع الأتباع أمر دينهم وجزّؤوه. والزبر: جمع زُبْرة وهي الفئة. والحزب: الجماعة من الناس يؤلف بينهم دين. ولديهم: عندهم من الدين. وفرحون أي: مسرورون بما هم فيه. ٥٣ ذرهم: اترك كفار مكة، أيها النبيّ. والغمرة: الماء يغمر القامة، استعيرت للجهالة والضلال. وحتى حين: إلى وقت عقابهم. ٥٤ أيحسبون أي: لا يظنّوا. وأن ما نمدهم به: أن الذي نعطيهم إياه ونجعله لهم متاعًا وزينة. والمال: ما يملك من النقد والمتاع. والبنون: الأولاد. ٥٥ نسارع: نعجّل للإكرام. والخيرات: ما ينفع. وبل: ليس الأمر كما ظنوا. ولا يشعرون أي: هم لا يستفيدون من حواسهم لمعرفة الخير من الشر. ٥٦ الخشية: الخوف والفزع. ومشفقون أي: فيهم مع الخشية والفزع زيادةُ رقة وحذر وضعف. ٥٧ الآيات: نصوص القرآن. ٥٨ لا يشركون: يخصّونه وحده بالتقديس والطاعة. ٥٩

الجزء الثامن عشر — سورة المؤمنون

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا
كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ
أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

المعنى العام: أن نهاية حياة الأمم محدّدة لا تتغير، وقد جاءها الرسل متتابعين فكذبتهم وذهبت بالاستئصال لكفرها عِبرًا في التاريخ. ثم جاء موسى وهارون إلى فرعون وزبانيته من الأقباط بالمعجزات والبراهين، فتكبروا على الإيمان بإنسانين قومهما عابدون لهم وطغوا، فكان لهم الهلاك غرقًا في البحر، وأوحى الله التوراة ليهتدي بنو إسرائيل بها، وجعل عيسى وأُمّه مريم معجزة تلده من دون أب في مكان آمن وغذاء وشراب. وفي ذلك دلالة على وحدانية الله وعظمة قدرته وسلطانه.

وقد وجّه الله إلى كل رسول في حينه على مر الزمن والشرائع المنزلة، أن يبلغوا الدعوة ويعملوا الصالحات ويعيشوا في خيرات، وأنَّ دينهم واحد، ولكن التابعين لهم تفرقوا شيعًا يكفّر بعضهم بعضًا فرحين بما عندهم. فلا تَشغل نفسك ـ أيها النبي ـ بإعراض الكافرين حتى يأتي وقت عقابهم أو هلاكهم، ولْيعلموا أن الأمر ليس كما يزعمون، فنحن نسارع لهم بالخيرات استدراجًا لا إكرامًا، وهم يعطّلون حواسهم أضل من البهائم التي تعتمدها لنيل الخير أما المؤمنون المتقون لله فيوحّدونه في العبادة ويخلصون له.

الجزء الثامن عشر — سورة المؤمنون

والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم رٰجعون ﴿٦٠﴾
أولٰئك يسٰرعون في الخيرٰت وهم لها سٰبقون ﴿٦١﴾ ولا نكلف
نفسا إلا وسعها ولدينا كتٰب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ﴿٦٢﴾
بل قلوبهم في غمرة من هٰذا ولهم أعمٰل من دون ذٰلك هم لها
عٰملون ﴿٦٣﴾ حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجٔرون
﴿٦٤﴾ لا تجٔروا اليوم إنكم منا لا تنصرون ﴿٦٥﴾ قد كانت ءايٰتي
تتلىٰ عليكم فكنتم علىٰ أعقٰبكم تنكصون ﴿٦٦﴾ مستكبرين
به سٰمرا تهجرون ﴿٦٧﴾ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت
ءاباءهم الأولين ﴿٦٨﴾ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون
﴿٦٩﴾ أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق
كٰرهون ﴿٧٠﴾ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السمٰوٰت
والأرض ومن فيهن بل أتينٰهم بذكرهم فهم عن
ذكرهم معرضون ﴿٧١﴾ أم تسٔلهم خرجا فخراج ربك خير
وهو خير الرٰزقين ﴿٧٢﴾ وإنك لتدعوهم إلىٰ صرٰط مستقيم ﴿٧٣﴾
وإن الذين لا يؤمنون بالأخرة عن الصرٰط لنٰكبون ﴿٧٤﴾

تفسير المفردات: يؤتون: يبذلون المال والجهد والعلم والعمل في سبل الخير. وآتوا: أعطوا وبذلوا. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. والوجلة: الخائفة. وأنهم أي: لأنهم. وإلى ربهم: إلى لقاء حسابه وجزائه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وراجعون: مردودون بالبعث. ٦٠ أولئك أي: الموصوفون بما مضى. ويسارعون في الخيرات: يرغبون في الأعمال الصالحة أشد الرغبة فيبادرونها. ولها سابقون أي: إلى نيلها يتقدمون غيرهم من الناس. ٦١ لا نكلّف: لا نُلزِم ولا نحمّل. والنفس: الإنسان. والوسع: القُدرة، ما يُطاق القيام به دون مشقة. ولدينا: عندنا. والكتاب: اللوح المحفوظ. وينطق: يبيّن ويُظهر. والحق: الصدق مما حصل. ولا يظلمون: لا يجار عليهم في الحكم والحساب. ٦٢ قلوبهم أي: قلوب الكفار. والغمرة: ما يغطّي ويمنع من التدبُّر. ومن هذا أي: بسبب الإعراض عن القرآن. والأعمال: جمع عمل، ما يكتسبه الإنسان. ودون ذلك أي: مضادّ لما ذُكر عن المؤمنين. ولها عاملون: لها معتادون ولا يُشغلون عنها. ٦٣ حتى إذا أي: فلمّا. وأخذنا: عاقبنا. والمترفون: الأغنياء. والعذاب: تعذيب الدنيا. وإذا هم يجأرون: فاجأ نزولَ العذاب صراخُهم بالدعاء والاستغاثة. ٦٤ لا تجأروا أي: يقال لهم: لا تصرخوا. واليوم: هذا الوقت. ولا تنصرون: لاتُمنعون العذابَ. ٦٥ الآيات: نصوص القرآن الكريم. وتتلى: تقرأ. والأعقاب: جمع عَقِب. وهو الدُّبر أي: الظهر. وتنكصون: تتراجعون القهقرى، إلى جهة الخلف. ٦٦ مستكبرين به أي: مترفعين بسبب ما لكم في البيت الحرام من عِزّة. وسامرًا أي: تتسامرون ليلًا حول الكعبة. وتهجرون: تُعرِضون عن القرآن وتكذّبونه. ٦٧ ألم يدّبّروا: ألم يتدبّروا أي: عليهم أن يفكّروا ليستدلوا على الصحة والصدق. وأدغمت التاء في الدال. والقول: القرآن الكريم. وأم جاءهم أي: بل هل يدّعون أنه بلغهم من الوحي. ولم يأت آباءهم: لم يصل إليهم ولم يكلّفوا به. والآباء: جمع أب. ويطلق على الجدّ أيضًا. والأولون: الأقدمون من العرب. ٦٨ أم لم يعرفوا رسولهم أي: بل هم يعلمون مكانته ﷺ فيهم وصدقه وأمانته. والمنكِرون: المكذّبون. ٦٩ أم يقولون أي: بل يزعمون. وبه أي: في النبي ﷺ. والجِنّة: حالة من الجنون. وبل أي: لقد كذبوا. وجاءهم: أتاهم وبلّغهم. والحق: القرآن الكريم بما فيه. وأكثرهم: غالبيتهم. والكارهون: المبغضون حسدًا. ٧٠ اتبعَ: وافق واستجاب في المزاعم. والأهواء: جمع هوى، ميل النفس إلى الشهوة. وفسدت: اضطربت وتدمّرت. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ومن فيهن: المخلوقات. وأتيناهم: أنزلنا إليهم الوحي والتكليف. وذكرهم: القرآن وهو شرف لهم بين الأمم. والمعرضون: المتهرّبون نفورًا. ٧١ أم تسألهم أي: إنك لا تطلب منهم ولا تريد. والخرج: الأجر. والخراج: ما يلزم دفعه مرارًا. وخير: أكثر نفعًا. وهو أي: الله تعالى. والرازقون: الذين يعطون غيرهم الأجر. ٧٢ تدعوهم: توجّههم. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل لا اضطراب فيه. ٧٣ ولا يؤمنون بالآخرة: يكذّبون بالقيامة وينكرون حصولها. والناكبون: المنحرفون والخارجون. ٧٤

المعنى العام: متابعة وصف المؤمنين المتقين بأنهم يبذلون ما عندهم، وهم خائفون ألّا يقبل منهم لأنهم سيحاسبون، ويستعجلون إلى فعل الخير، والله يشرّع ما يناسب قدرات الناس، وقد سُجل في اللوح المحفوظ بالحق ما كان وما سيكون، ولكن االكافرين غارقون في الضلال لا يتدبّرون القرآن، ويعملون خلاف ما يقوم به المؤمنون، وقد ضجّ مترفوهم حين نزل بهم عذاب الدنيا مستغيثين، فقيل لهم تهكمًا: لا تضجّوا، فلا ناصر لكم، وقد أعرضتم عن الاستجابة للقرآن بتكبر وسخرية. لقد كان عليهم أن يتفكروا فيه، وهو مما يعرفون قبل، دعا إليه إبراهيم وإسماعيل، ومما روي أن عدنان ومعدًّا وربيعة ومضر وخُزيمة وأسد وتُبّع كانوا عليه تبعًا لإبراهيم، وكان عليهم أيضًا الثقة بما يعرفون عن محمد ﷺ ولا يدّعوا له الصفات المكذوبة. فلقد بلّغهم الحق وخلود ذكرهم بما في القرآن الكريم، وأكثرهم نافرون من ذلك حسدًا، ولم يَطلب منهم أجرًا لأن ثواب الله أعظم، ودعاهم إلى طريق الإسلام، وهم ينكرونه وينصرفون إلى الأباطيل.

تفسير المفردات: رحمناهم: عطفنا عليهم فأكرمناهم. وكشفنا: رفعنا. والضرّ: الأذى بالقحط والجوع. ولجّوا: تمادَوا. والطغيان: المبالغة في الضلال. ويعمهون: يتردّدون في حيرة واضطراب. ٧٥ أخذناهم: عاقبناهم من قبل. والعذاب: المصائب وشِدة البلاء. وما استكانوا: لم يتواضعوا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وما يتضرعون: ما يتذلّلون. ٧٦ حتى إذا: فإذا. وفتحنا بابًا: أزلنا حجاب الحياة الدنيا وأطلقنا ما وراءه من العقاب. وذا عذاب: صاحب تعذيب. والشديد: القوي الفظيع. وإذا هم مبلسون: فاجأ فتحَ الباب يأسُهم من كل خير. ٧٧ هو أي: الله تعالى. وأنشأ لكم: خلق لمصالحكم. والسمع: الحاسة التي تدرك الأصوات. والأبصار: جمع بصر. وهو العين. والأفئدة: جمع فؤاد، القلب الواعي. وقليلًا ما تشكرون أي: ما أقلّ شكرَكم لله! وتشكرون: تستحضرون النعم وتُظهرونها وتُثنون على منعمها بالقلب واللسان والعمل. ٧٨ ذرأكم: خلقكم. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وإليه: إلى لقاء حسابه. وتحشرون: تبعثون. ٧٩ يحيي: يخلق الحياة في فاقدها. ويميت: يخلق الموت في الحيّ. وله أي: بيده وحده. والاختلاف: التعاقب والتباين والتضادّ. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. وألا تعقلون أي: عليكم أن تستعملوا عقولكم للاستدلال والإيمان. ٨٠ قالوا أي: ادعى مشركو مكة. ومثلما قال الأولون: قولًا مماثلًا لقول الأُمم الماضية المهلكة. ٨١ قالوا أي: الأولون. وأإذا متنا: حين نموت. وكنّا: صرنا. والتراب: ما تفتت من الأجساد. والعظام: جمع عظم. وإنا لمبعوثون أي: لن نُبعث. ٨٢ وُعدنا: هُدّدنا وأُنذرنا. والآباء: جمع أب. وهو الوالد أو الجدّ. وهذا أي: البعث بعد الموت. وقبلُ: قبل الآن. وإنْ هذا أي: ليس هذا القول. والأساطير: جمع أُسطورة، ما يُسطر في الكتب أو الأذهان من أباطيل. ٨٣ قل أي: لهم، أيها النبيّ. ولمن الأرض أي: من الخالق المالك المتصرّف فيها؟ ومن فيها أي: المخلوقات. وتعلمون: تدركون يقينًا. ٨٤ سيقولون أي: لا بدّ أن يقولوا. وألا تذكّرون: ألا تتذكّرون أي: عليكم أن تتذكّروا إذًا وتتّعظوا وتؤمنوا. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. ٨٥ السماوات: جمع سماء، ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والعرش: مخلوق كريم يحيط بالسماوات والأرض وسائر الخلق، ولا يعلم حقيقته إلّا الله. والعظيم: الفخم لا مثيل له. ٨٦ وألا تتقون أي: تجنبوا إذًا عبادة غير الله وأخلصوها له وحده. ٨٧ بيده: في قبضته تحت تصرفه وقدرته وأمره وحده. والملكوت: عظمة الملك والتصرّف. والشيء: ما هو موجود أو محتملُ الوجود. ويجير: يحمي المظلومين. ولا يجار عليه: لا يمكن أن يُحمى من يعاقبه. ٨٨ أنّى: كيف؟ وتُسحرون: تُخدعون وتُصرفون عن الإيمان بالتوحيد والبعث، وتتصوّرون أنه باطل. ٨٩

الحزب ٣٥

الجزء الثامن عشر سورة المؤمنون

۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ٧٥ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ
وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ٧٦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ
إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ
وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٩ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ
ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ
ٱلۡأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨٣ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ
٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ
مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩

المعنى العام: متابعة ذكر قبائح الكافرين بأنهم لو كُشف عنهم القحط ليتوبوا لازداد طغيانهم في حيرة وتخبط، كما قابلوا عذابًا قبل ذلك بالتكبر والكفران. لكنهم عندما يتحقق يوم القيامة وتحيط بهم جهنم يتخبطون في اليأس النهائي.

ولقد خلق الله لكم ـ أيها الكافرون ـ نعم السمع والبصر والتدبّر، فما أقل ما شكرتم ذلك واستفدتم به! وخلقكم في الأرض، وسيحشركم للحساب، وخلق الموت والحياة، وبقبضته اختلاف الليل والنهار في الصفات واستمرار الحضور والغياب. وكان عليكم أن تفكروا في هذا وتؤمنوا. لكن زعماء الكفر أنكروا البعث مثلما فعل الأقدمون الذين أنكروه بدعوى أن من مضى قبلهم لم يعد إلى الحياة. فهو عندهم من أباطيل الأمم المتقدمة أيضًا.

وقد وُجّهت إليهم أسئلة ثلاثة في الآيات ٨٤ و٨٦ و٨٨، وجاءت الإجابات الثلاث إخبارًا من الله بما سيقع منهم قبل حصوله، وهي أن ملك الأرض ومن فيها، والسلطان في الكون كله، والتصرف في كل شيء وحماية المظلومين دون منازع أو مانع، كل ذلك لله ـ عز وجل ـ وحده. وهذا يوجب عليهم أن يتفكروا ويتقوا الله فيؤمنوا بما يُدعَون إليه ويوحّدوه في العبادة، ولا ينصرفوا إلى أباطيل الآباء والأجداد، من دون تدبّر واتعاظ.

تفسير المفردات: بل أي: لقد ضلوا وما اتعظو. وأتيناهم: بلّغناهم. والحق: الصدق. وكاذبون أي: في نفيه وإنكاره. **٩٠** ما اتخذ: ما صنع لنفسه. والولد: الذكر أو الأُنثى. ومن إلٰهٍ أي: معبودٌ بحق. وإذًا أي: لو كان ذلك. وذهب: انفرد. وخلق أي: أنشأه من العدم. وعلا: تسلّط بالخصام. وبعضهم: الواحد منهم أو الأكثر. وسبحان الله: تنزيهًا له. وما يصفون: ما يذكره الكافرون من الصفات الباطلة. **٩١** العالم: المحيط بالشيء. والغيب: ما غاب عن حواس المخلوقات وإدراكها. والشهادة: ما تدركه الحواس أو العقول. وتعالى: تعظّم وترفّع. وما يشركون: ما يجعلونه نِدًّا له في العبادة والطاعة. **٩٢** قل أي: في الدعاء، أيها النبيّ. وربّ أي: يا ربّي. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وإمّا تريني: إن تبصّرَنّي عِيانًا. وما يوعدون: ما يهدَّدون به من العذاب. **٩٣** لا تجعلني: لا تصيّرني. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: الكافرون المعرّضون للعذاب. **٩٤** نريك: نبصّرك. ونعدهم: نهدّدهم به. وقادرون: متمكنون ولا يمنعنا أحد. **٩٥** ادفع: قابل وجازِ. وبالتي هي أحسن: بوساطة أفضل المعاملات. والسيئة: الإيذاء والإساءة.ونحن: ضمير العظمة والتفخيم لله، تعالى. وأعلم: أكثر إحاطة ودراية من جميع الخلق. **٩٦** وأعوذ: أعتصم وأحتمي. والهمْزة: الدفعة إلى الشر. والشياطين: جمع شيطان، من يغري بالباطل من الإنس والجنّ. **٩٧** يحضرونِ: يحضروني أي: يجيئوني ويحوموا حولي في أموري وأحوالي. **٩٨** حتى إذا أي: فإذا. وجاء أحدهم الموت: أتى واحدًا من الكافرين ملَك الموت. قال أي: الكافر . وارجعونِ: ارجعوني أي: أعيدوني إلى الحياة. حذفت الياء للتخفيف. **٩٩** لعلي أي: ليكون لي. وأعمل: أكتسب. والصالح: ما يرضاه الله. وتركت: ضيعت في عمري. وكلّا أي: لا عودة ولا رجوع. وإنها كلمة: إنَّ دعوته عبارة. وقائلها أي: يقولها بدون فائدة. ومن ورائهم أي: من أمامهم. والبرزخ: المانع من الرجوع لا بد من حصوله. واليوم: الوقت. ويبعثون: يُخرجون من القبور للحساب والجزاء. **١٠٠** نفخ: دفع الهواء ليكون صوت عظيم. والصور: ما يشبه القرن. والأنساب: جمع نسب. وهو القرابة. ويومئذ: يوم البعث. ولا يتساءلون: لا يسأل بعضهم بعضًا عن القرابات. **١٠١** ثقلت: كان لها وزن أثقل من السيّئات. والموازين: جمع موزون، ما يكون له قدر من النيّة والقول والفعل. والمفلحون: الفائزون بالخير. **١٠٢** خفّت: ضعُفت بتغلّب السيّئات عليها. وخسروا: ضيّعوا بالكفر. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وجهنم: دار العذاب. وخالدون أي: مقيمون أبدًا. **١٠٣** تلفح: تحرق. والنار: نار جهنم. وفيها: في جهنم. وكالحون أي: منشمرة شفاههم عن أسنانهم من الأهوال. **١٠٤**

الجزء الثامن عشر — سورة المؤمنون

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ
إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾
وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ
رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ
هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾
فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

المعنى العام: متابعة ذكر قبائح الكافرين بأن الله أرسل إليهم التوحيد، فأصروا على إنكاره وادعاء الشركاء، وهو متفرد في الألوهية بلا ولد ولا شريك، وقد تعالى وتنزه عما يزعمون، ولو كان معه شركاء لاختصموا وتنافسوا في السيادة كما تفعل الملوك والرؤساء.

فادعُ ـ أيها النبيّ ـ أن يحفظك الله من عقاب الكافرين، إن أنزل بهم العذاب، وهو قادر على ذلك وعالم بما يقولون، وادفعْ إيذاءهم بأحسن التصرفات والأقوال، وادعُ أيضًا أن يحفظك من وسوسة شياطين الجن والإنس وتضليلهم.

فالواحد من الكافرين إذا حضره ملك الموت تمنّى العودة إلى الدنيا ليصلح عمله بالإيمان، والحق أنه كاذب فيما يدّعيه، والموت مانع من العودة إلى الدنيا، ببرزخ بعده البعث والحساب. وإذا نفخ إسرافيل في الصور وانبعث الناس تخلى كل امرئ عن علاقاته بالآخرين ولم يكن بينهم تساؤل عن ذلك. هنالك يكون الفوز لمن رجحت حسناته على سيئاته، والخسارة لمن ترجح سيئاته، بتضييع نفسه وما كان يؤمّل من الخير، إذ يصير إلى الخلود في جهنم معانيًا الأهوال ومكشرًا عن أنيابه لشدة ما يعاني من الأهوال.

تفسير المفردات: ألم تكن أي: لقد كانت. والآيات: نصوص القرآن الكريم. وتتلى: تقرأ وتبيَّن للوعظ والتهديد. وبها تكذبون: تنكرونها وتكابرون في جحودها، أيها الكافرون. ١٠٥ ربنا أي: يا ربنا. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وغلبت علينا: استبدّت بنا وأضلتنا. والشقوة: التعاسة وسوء العاقبة. والقوم: الجماعة من الناس. وضالين أي: منصرفين عن الهدى إلى الباطل. ١٠٦ أخرجْنا منها: أنقِذنا من جهنم. وعدنا: رجعنا إلى العصيان والكفر. والظالمون: المتجاوزون الحد في البغي والعدوان. ١٠٧ قال أي: الله على لسان خازن جهنم. واخسؤوا: ابعُدوا أذلّاء في النار. ولاتكلّمون: لا تكلّموني أي: لا تعودوا إلى سؤالي. وحذفت الياء لموافقة فواصل الآيات. ١٠٨ إنه أي: إن الأمر العظيم. والفريق: الجماعة. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. واغفر لنا: استر ذنوبنا ولا تؤاخذنا بها. وارحمنا: اعطف علينا بالعفو. وخير الراحمين: أفضلهم لأن رحمتك واسعة ودائمة. ١٠٩ اتخذتموهم: جعلتم أولئك المؤمنين الداعين. والسخريّ: التهكم والهزء. وأنسوكم: أبعدكم الاستهزاء بهم. وذكري: أن تذكروني وتؤمنوا وتخافوني في معاملة أوليائي. ومنهم تضحكون أي: بسببهم تستهزئون. ١١٠ جزيتهم: قابلت عملهم وكافأتهم. واليوم: في هذا الوقت. وبما صبروا: بسبب تحمّلهم. والفائزون: الحاصلون على النعيم. ١١١ قال أي: الله على لسان مالِك خازن جهنم. وكم لبثتم: ما زمن حياتكم؟ والأرض: موطن الحياة الدنيا. والعدد: ما يُعَدّ. والسنون: جمع سنة. ١١٢ بعض يوم أي: جزءًا منه. واسأل: استخبر. والعادُّون: الذين يضبطون الحِسبة. ١١٣ قال أي: مالِك. وإن لبثتم: ما أقمتم. وقليلًا أي: زمنًا يسيرًا جدًّا بالنسبة إلى ما ستروْن في الآخرة. ولو أي: كم يُتمنَّى لكم! وتعلمون: تدركون باليقين ما كان وما سيكون. ١١٤ أحسبتم أي: كيف ظننتم؟ وخلقناكم: أنشأناكم من العدم. والعبث: اللهو بما لاغرض له. وإلينا: إلى ما هدّدناكم به. ولا تُرجعون: لا تعادون بالبعث. ١١٥ تعالى: تعاظم في ذاته وصفاته وأفعاله. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والملك: المالك لكل الخلق. والحق: الثابت أزلًا وأبدًا في تملكه. والإلَه: المعبود بحق. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعرش: كائن عظيم يحيط بسائر الخلق. والكريم: المكرّم المعظّم. ١١٦ يدعو: يعبد ويطيع. والإلَه: المعبود المطاع. والآخر: المغاير لله. والبرهان: الدليل القطعي. والحساب: المحاسبة والجزاء. وعند ربه أي: في تقديره وقضائه. ولا يفلح: لا يَسعد بل يشقى. والكافرون: الذين كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله بقلب أو قول أو عمل. ١١٧ قل أي: ادعُ للمؤمنين، أيها النبيّ. ورب: يا ربي. وحذفت الياء للتخفيف. واغفر: امح الذنوب ولا تؤاخذ عليها. وارحم: أوصل العطف بالتسديد، والتوفيق في القول والعمل. وخير الراحمين: أفضلهم رحمة بدوامها. ١١٨

الجزء الثامن عشر | سورة المؤمنون

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟
رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ
سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾
إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ
كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّور

المعنى العام: متابعة ما يكون للكافرين يوم القيامة أن الله يقول لهم على لسان مالك خازن النار بأنهم كذَّبوا ما جاءهم من القرآن الكريم، فيردّون بأن شقاءهم وضلالهم سببا ذلك، ويطلبون أن يعادوا إلى الدنيا ليصلحوا ما أفسدوا، فيُزجرون عن الادعاءات والدعاء ويمنعون من الكلام لأنهم كانوا يسخرون بشهواتهم من المؤمنين الذين حازوا نعيم الجنة. ثم يسأل مالكٌ الكافرين عما أمضوا في الدنيا من الزمن، ويكون جوابهم بالقليل وعجزهم عن المعرفة، فيقول لهم بأنهم فعلًا لبثوا قليلًا بالنسبة إلى ما يقضون في الآخرة، وكم يُتمنَّى لهم أن يكونوا عرفوا ذلك في الدنيا ليتعظوا ويؤمنوا! فلقد كان عليهم أن يعرفوا حكمة خلقهم وما سيؤول إليه أمرهم.

وتعالى الله المالك المتفرد بالعرش العظيم وبالألوهية أن يخلق الدنيا لغير حِكَم ومقاصد ربانية، ولن يَسعد من يشرك بالله شيئًا، وكل ما عُبد من دون الله ليس عليه دليل، فمحال وجود الشريك.

وادعُ للمؤمنين ـ أيها النبيّ ـ أن تُغفر ذنوبهم ويَرحمهم في الدنيا والآخرة ربهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ خير الراحمين.

٢٤ ـ سورة النور

تفسير المفردات: السورة: مجموعة آيات لها بدء وختام. وأنزلناها: أوحيناها على لسان جبريل إلى النبي ﷺ للتبليغ مع العمل. وفرضناها: أوجبنا ما فيها من أحكام إيجابًا قطعيًّا. والآيات: نصوص القرآن. والبينات: الواضحات الدلالة. ولعلكم: ليُرَجَّى لكم. وتذكَّرون: تَتَذَكَّرون أي: تتعظون وتعملون الصواب. حذفت التاء الثانية للتخفيف. ١ الزانية: التي ترتكب الزنى برضا، وهي لم تتزوج. والزاني: كذلك. واجلدوا: اضربوا ضرب جَلد، أيها الولاة للأمور. ومنهما: من الزاني والزانية. ولا تأخذكم: لا تؤثر فيكم. وبهما رأفة: رحمةٌ لهما. والدين: الحكم الشرعي. وتؤمنون بالله: تصدّقونه وتقرّون بقلوبكم ما يوجبه. واليوم الآخر: يوم القيامة. وليشهد: ليحضرْ ويرَ عِيانًا. وعذابهما: جلدهما. والطائفة: الجماعة ما فوق الاثنين. والمؤمنون: من صدّقوا الله ورسوله. ٢ لا ينكح: لا يتزوّج .والمشركة: التي تقدس غير الله. وحُرّم ذلك: جعل الزواج من الزانية محرّمًا حتى تتوب. ٣ يرمون: يشتمون بالزنى. والمحصنة: النفس المكلّفة العفيفة من رجل أو امرأته. ولم يأتوا: لم يجيئوا. والشهداء: جمع شهيد عدل يقرّ بذلك عِيانًا. واجلدوهم أي: كل واحد منهم. ولا تقبلوا: لا ترضَوا. والشهادة: القول للقضاء في الأمور الشرعية. وأبدًا: مدة حياة المذكور. والفاسقون: الخارجون عن الشرع. ٤ تابوا: أقروا بالذنب واستغفروا وتعهدوا ألّا يعودوا إليه. وذلك أي: الرمي بالزنى. وأصلحوا: جعلوا عملهم كما أمر الله. والغفور: الكثير الستر والعفو عن الذنوب. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ٥ يرمون: يتهمون بالزنى. والأزواج: جمع زوج أي: الزوجة. وشهداء أي: على الزنى. وإلّا أنفسهم: غيرهم. والأنفس: جمع نفس، ذات الإنسان وحقيقته. والشهادة: الإقرار المؤكد. وأحدهم: الواحد منهم. وشهادات أي: مرّات. وبالله أي: مع القسم بالله. والصادقون: من يقولون الحق. ٦ الخامسة: الشهادة الخامسة. واللعنة: الطرد من الرحمة. والكاذبون: من يقولون الكذب. ٧ يدرأ: يدفع. وعنها: عن الزوجة المتهمة. والعذاب: حد الزنى وهو الرجم. وأن تشهد: شهادتها. ٨ والخامسة: الشهادة الخامسة منها. والغضب: السخط الشديد مع الانتقام. ٩ لولا أي: لولا وجود. والفضل: التفضل بالخير. والرحمة: العطف بالإحسان. والتواب: الكثير المغفرة والعفو. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ١٠

الجزء الثامن عشر — سورة النور

ربع الحزب ٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ
عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ
مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾
وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ
عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ
﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

المعنى العام: أن الله أوحى سورة النور وفرض ما فيها من الأحكام لتوجيه المسلمين إلى الحق. فمن لم يتزوج وزنى يجلده ولاة الأمور مِائَةَ مرة بدون تهاون أو رأفة في تنفيذ الشرع، ذكرًا كان أو أنثى من غير المماليك، ويحضر ذلك بعض المسلمين، مع الإبعاد له عن البلد مدة عام. وللمملوك من الذكور أو الإناث نصف ما ذُكر من الجلد والتغريب.

وعندما أراد بعض المهاجرين أن يتزوج زانية تنفق عليه، نزلت الآية ٣ بتحريم ذلك لأن الزاني لا يرغب في نكاح الصالحة، وإنما يرغب في نكاح من هي مثله، وكذلك شأن الزانية لا ينكحها المؤمن الصالح حتى تتوب. ومن اتهم رجلًا أو امرأة بالزنى ولم يُحضر أربعة شهداء أنهم رأوا الزنى بالمعاينة البليغة يجلد ثمانين جلدة، وتُرفض شهادته بعدُ في القضاء إلّا إذا تاب وأصلح عمله، ومن يتهم زوجته بذلك وليس عنده شهداء يحلف أربع مرات على صِدقه، ويزيد في الشهادة الخامسة أن يلعنه الله إن كان كاذبًا، ويدفع عن امرأته حد الزنى أن تشهد أربعًا أيضًا، وتزيد في الخامسة أن يغضب الله عليها إن كانت كاذبة. ولولا تفضل الله التواب الحكيم على المسلمين ورحمته إياهم بوضع هذه الأحكام وتيسير أمورها، لأنزل بالمجرم عقوبته في الدنيا، وكان البلاء أعظم.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى
كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا
جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ
عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ
قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

تفسير المفردات: جاؤوا: اختلقوا واصطنعوا. والإفك: اتهام السيدة عائشة ﵂ بالفاحشة. والعصبة: المجموعة القليلة جدًّا. ومنكم: من المؤمنين والمنافقين. ولاتحسبوه: لاتظنوا الإفك وتتوهموه. والشر: ما زاد ضرره على نفعه. بل أي : إنما. والخير: ما زاد نفعه على ضره. والمرء: الإنسان. ومنهم: من المفترين للإفك. وما اكتسب: جزاء ما اقترف بقصد. والإثم: ما يستحق العقوبة من الذنب. وتولى: تحمّل. وكبره: معظم الخوض في الإفك. ومنهم أي: من المتِهمين. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة يوم القيامة. والعظيم: الكبير لا مثيل له. ١١ لولا: هلّا، للتوبيخ والزجر. وإذ سمعتموه: حين بلغ خبر الإفك أسماعكم. وظن: دام ظنّه واعتقاده. والمؤمن: الذي عرف قلبه الإيمان وما يلزمه. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والخير: الاستقامة والصلاح والتقوى . وهذا أي: ما يشاع وينقل من التُّهم. والإفك: الكذب الفظيع الفاحش. والمبين: الواضح البيان. ١٢ لولا: هلّا. وجاؤوا: أتوا وأحضروا. والشهداء: جمع شاهد، عاينوا حقًّا ما يزعمون. وإذ لم يأتوا: لأنهم لم يُحضروا. وأولئك أي: القائلون للإفك. وعند الله: في حكمه المؤسَّس على الدلائل الشرعية. والكاذبون: الذين يقولون الكذب. ١٣ لولا أي: لولا وجود. والفضل: التفضل بالهداية والرعاية. والرحمة: العطف بالإحسان. والدنيا: الحياة القريبة من الناس وهم فيها. والآخرة: المتأخرة تكون بالبعث يوم القيامة. ومسكم: خصكم ونزل بكم. وفيما أفضتم: بسبب خوضكم. والعذاب: التعذيب. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ١٤ إذ تلقَّونه: حين تتلقَّونه أي: تتقبلونه وتنقلونه. والألسنة: جمع لسان أي: الفم وجهاز النطق كله. وتقولون: تلفظون. والأفواه: جمع الفُوه: الفم. والعلم: الدراية اليقينية. وتحسبونه: تظنونه وتتوهمونه. والهين: اليسير من الذنب. وعند الله أي: في حكمه وعلمه. والعظيم: الخطير من الكبائر. ١٥ لولا: هلّا، للتوبيخ والزجر. وإذ سمعتموه: حين بلغ الإفك سمعَكم. وما يكون: ما يجوز ولا يصح. ونتكلم: نلفظ بألسنتنا. وهذا أي: الإفك. وسبحانك: تنزيهًا لك ـ يارب ـ عن أن يكون لحُرمة نبيك ما يفترون. والبهتان: ما يَبهت سامعَه ويُدهشه لفظاعته. ١٦ يعظكم: ينهاكم ويحذركم. وتعودوا: تتعرضوا مرة ثانية. ومثله: مماثل إياه في قذف المحصنات. وأبدًا أي: مدة حياتكم. ١٧ يبين: يوضح ويفصّل. والآيات: النصوص القرآنية والأحكام. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة بكل شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية فيما يأمر وينهى ويقضي ويفعل. ١٨ يحبون: يريدون ويتمنَّون. وتشيع: تنتشر. والفاحشة: الزنى وما يشبهه من الفساد. والأليم: المؤلم جدًّا. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة بكذب المفترين المفسدين. ولا تعلمون: تجهلون حقائق ما يكون وما يعلمه المولى. ١٩ لولا أي: لولا وجود. والرؤوف: الكثير التعطف بالتوبة والعصمة. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ٢٠

المعنى العام: أن الإفك اختلقه بعض المسلمين والمنافقين، وفيه خير بنزول الآيات ١١ـ ٢٦ لتشريع حكم القذف، ولكلٍّ جزاء ما فعل، وللمنافق منهم عبد الله بن أُبيّ تعذيب عظيم، لِما تحمّل من كثرة نشره الاختلاق، وكان عليكم حين سماع الإفك أن تستمروا على حسن الظن بالمؤمنين وتكذيب الإفك، فضلًا عن التمادي في السماع والنقل، وعلى القاذفين المفترين أن يأتوا بأربعة شهداء عِيان، ولأنهم لم يأتوا بذلك فهم كاذبون حقيقة، ولولا فضل الله ورحمته لنزل بكم عذابه العظيم، حين تشيعون قول ما لا علم لكم به.

وعندما سمع أبو أيوبَ الأنصاري قول أهل الإفك قال: « مايكون لنا أن نتكلم بهذا - سبحانك - هذا بهتان عظيم »، فنزلت الآية بمثل قوله، مع النهي عن تكرار قذف المحصنات بشكل عامّ، وبيان أن من يشيع الفواحش والمنكرات والمفاسد باللسان أو الإغراء والضغط والإعلانات له تعذيب شديد الإيلام في الدنيا بالعقوبة، وفي الآخرة بنار جهنم، وأن الله يعلم كذب الآفكين، وتفضل على المسلمين بلطفه ورحمته فلم يعاجلهم بالعقوبة.

سورة النور — الجزء الثامن عشر

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي
مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ
ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾
يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ
﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ
وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ
وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

الحزب ٣٦

تفسير المفردات: آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ولا تتبعوا: لا تتابعوا ولا توافقوا. والخطوات: طرق التزيين والإغراء، جمع خُطْوة. والشيطان: من يوسوس بالشر والضلال من الإنس والجن. وإنه أي: من يتبع الشيطان. ويأمر: يُغري ويحبِّب. والفحشاء: الخَصلة الشنيعة. والمنكر: ما نهى عنه الشرع. ولولا أي: لولا وجود. والفضل: التفضل بالإحسان. والرحمة: التعطف بالخير. وما زكا: ما طهُر. ومن أحدٍ أي: أحدٌ. وأبدًا: آخر الدهر. ويزكّي: يطهّر بالهداية. ويشاء: يريد تزكيته. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المحيط بالغ الإحاطة بكل شيء. ٢١ لا يأتلِ: لا يحلف. وأولو الفضل: أصحاب التفضل والسخاء. ومنكم: من المسلمين. والسعة: الرفاهية بالمال. وأن يؤتوا: ألّا يعطوا. وأولو القربى: أصحاب قرابتهم. وأولو: واحده ذو. والمساكين: جمع مسكين، الفقير المحتاج. والمهاجرون: الذين هاجروا إلى المدينة. وفي سبيل الله: للاحتفاظ بدينه. وليعفوا: ليتجاوزوا عن الذنب. وليصفحوا: ليتركوا اللوم ويتناسوُا الجرم. وألا تحبون أي: أنتم تتمنون. ويغفر: يستر الذنب ولا يؤاخذ عليه. والغفور: الكثير المغفرة والعفو. والرحيم: الكثير العطف بالعصمة والإكرام للمؤمنين. ٢٢ يرمون: يشتمون بالزنى من الرجال والنساء. والمحصنات: الأنفس المحصنة من ذكور وإناث. والغافلات: السليمات الصدور المشغولات بالتقى والصلاح. والمؤمنات: المقرّات بالتوحيد وما يلزمه. ولعنوا: أُبعدوا عن رحمة الله. والدنيا: الحياة القريبة من الناس وهم فيها. والآخرة: المتأخرة تكون بالبعث يوم القيامة. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ٢٣ يوم تشهد: حين تعترف يقينًا. والألسنة: جمع لسان، أي: جهاز الكلام. والأيدي والأرجل: مفردهما يد ورِجل. ويعملون: يكتسبونه من قول وفعل. ٢٤ يومئذ: حين تلك الشهادة. ويوفيهم: يؤدّي إليهم بالكامل. والدِّين: الجزاء. والحق: الواجب عليهم. ويعلمون: يدركون باليقين. وهو الحقُّ: هو وحده الثابت في ذاته وصفاته وأفعاله. والمبين: المُظهِر للأشياء كما هي حقيقة. ٢٥ الخبيث: الخسيس الحقير من الناس والكلمات والأفعال. والطيب: المتحلّي بالخير والصلاح من ذلك. وأولئك أي: الطيبون والطيبات. ومبرؤون: طاهرون منزَّهون. ويقولون أي: يزعمه الخبيثون والخبيثات. والمغفرة: السترُ للذنوب والعفوُ عنها. والرزق: ما يعطيه الله عباده من حاجات الدنيا والآخرة. والكريم: العظيم لا مثيل له. ٢٦ لا تدخلوا: لا تبدؤوا الدخول. والبيوت: جمع بيت، موضع السكن. وحتى تستأنسوا: إلى أن تستأذنوا. وتسلموا: تحيّوا وتدعوا بالسلامة. وأهلها: المقيمون فيها. وذلكم أي: الدخول باستئذان وتحية. وخير: أفضل وأنفع. ولعلكم: لتترجّوا. وتذكّرون: تتذكّرون أي: تستحضرون الخير في العمل. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. ٢٧

المعنى العام: توجيه المسلمين أن يتجنبوا متابعة الشيطان، لئلّا يشيعوا الفواحش والمنكرات، والله تفضل عليهم فطهّر نفوس الصالحين منهم. وعندما أقسم أبو بكرﷺ ألّا يتصدق على أحد المتكلمين بالإفك، وهو من أقربائه، نزلت الآية بالنهي عن ذلك وبالصفح والعفو كما يجب كل مؤمن أن يعفو الله عنه. أما الذين يقذفون المؤمنات فلهم لعنة الله في الدنيا والآخرة، والعذاب العظيم حين تشهد عليهم أعضاؤهم بما فعلوا، وحينئذ ينالون عقابهم العادل ويتحقق لديهم أن الله لا يظلم أحدًا. وإنما تكون الكلمات القذرة والنفوس الحقيرة للحقيرين من الناس رجالًا ونساء، وتصدر الكلمات الصالحات وتكون النفوس الخيّرة للطيّبين من الناس أيضًا، البريئين من مزاعم الخبثاء، ولهم المغفرة والعطاء الكريم.

ولمّا قالت امرأة من الأنصار: «يارسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد» نزلت الآيتان ٢٧ و٢٨ بوجوب الاستئذان والتحية قبل الدخول في بيوت الآخرين. وفي ذلك تذكير بخير الدنيا والآخرة من العمل الكريم.

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن
قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾
قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ
ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ
أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

تفسير المفردات: لم تجدوا فيها أحدًا أي: لم يكن في البيوت أحد فلم تروه. ولا تدخلوها: لا تعبروا إليها واصبروا. وحتى يؤذن: إلى أن يُسمح بالدخول. وقيل لكم أي: أُمرتم بالقول. وارجعوا: لا تدخلوا. وهو أي: الرجوع من حيث أتيتم. وأزكى: خير وأطهر. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. ٢٨ الجناح: الإثم. والبيوت: جمع بيت، مكان المبيت والاستقرار. وغير مسكونة: لا ساكن فيها. والمتاع: ما يُنتفع به. ويعلم: يحيط بالغ الإحاطة. وتبدون: تُظهرونه من العمل. وتكتمون: تُخفونه. ٢٩ قل أي: يا أيها النبي. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ويغضوا من أبصارهم أي: إن تأمرْهم يخفضوا أجفانهم لئلا يروا ما لا يحلّ نظره. والأبصار: جمع بصر. وهو العين. ويحفظوا: يمنعوا من الحرام ويستروا. والفروج: جمع الفرج، العورة المغلظة من أمام ومن خلف. والخبير: العالم ببواطن الأمور ودقائقها. ويصنعون: يتصرفون فيه بقصد. ٣٠ لا يبدين: لا يُظهرن. والزينة: ما في البدن وما عليه يثير الشهوة. وما ظهر: ما جرت الحال على ظهوره ضرورة في التصرف. ومنها أي: من الزينة المذكورة. ويضربن: يلقين ويضعن. والخُمر: جمع خِمار، وهوو المِقنعة أي: ما تستر به المرأة رأسها وبعض وجهها. والجيوب: جمع جيب. وهو العنق. والبعولة: جمع بعل، الزوج. والآباء: جمع أب، الوالد والجد. والأبناء: جمع ابن، الذكر من الأولاد والحفدة. والإخوان: جمع أخ، الشقيق وغيره. والأخوات: جمع أخت، الشقيقة وغيرها. ونساؤهن أي: الإناث من المسلمات. وملكت: كان لها ملك شرعي من عبد أو أمة. والأيمان: جمع يمين. عُبِّر باليد اليمنى عن صاحبتها المرأة، أي: ما ملكنَ. والتابعون: من يرافقون المرأة كالأُجراء. وأولو الإربة: أصحاب الشهوة إلى النساء. والرجال: جمع رجل، الإنسان الذكر. والطفل: واحده طفل أيضًا. وهو مَن دون البلوغ. ولم يظهروا: لم يطلعوا ولا يعرفون لعدم بلوغهم الشهوة. والعورة: ما يجب ستره من المرأة. والنساء: جمع نسوة. والنسوة واحدته امرأة. ولا يضربن: لا يخبطن الأرض وما يمشين عليه. والأرجل: جمع رِجل أي: القدم والحذاء ونحوه. ويُعلم: يُلحظ ويرى. ويخفين: يَسترن. والزينة: ما يُتحلى به من ثياب ومصوغات وأصباغ. وتوبوا: ارجعوا إلى الطاعة. ولعلكم: ليُرَجَّى لكم. وتفلحون: تنجون بقبول التوبة. ٣١

المعنى العام: متابعة التوجيه بأن البيوت التي ليس فيها أهلها لا تدخلوها إلّا بإذنهم - أيها المسلمون - وإن مُنعتم فارجعوا خير لكم، وغير المسكونة وفيها حاجاتكم لا ما نع من دخولها، وعلى المؤمنين والمؤمنات أن يغضوا أبصارهم ويمنعوا فروجهم عن الحرام.

وعندما استقبحت أسماء بنت مرثد ما رأت من كشف صدور بعض النساء وشعورهن، نزلت الآية تفصل أمر الحجاب، بإخفاء ما يثير شهوة من الجسم وبإلقاء الخمار على العنق، وإظهار ما يجوز للأقرباء من أزواج وآباء وأبناء وإخوة وأخوات وأعمام وأخوال وفروع ذلك كله، وللعبيد وإناث المسلمات والمصاحِبين من الأطفال وغير البالغين والمصاحِبات للخدمة من الكتابيات والكافرات، مع وجوب عدم الخبط بالأقدام حين المشي، سواء كان فيه تنبيه إلى الزينة أو لم يكن، وإنما ذكر الإعلام بالزينة من باب الأغلبية. أما الوجه والكفان بغير زينة فلا بأس في ظهورها عند بعض الفقهاء، إن لم يكن في ذلك إثارة. ثم تختلف مراتب المذكورين في حُرمة الحجاب ومقدار ما يُكشف عنه من المرأة، إذ للأب والأخ مثلًا ما لا يجوز لابن الزوج، وكذلك من هم أبعد في القرابة. وأبو حنيفة وآخرون من العلماء يرون أن العبيد ليسوا من المحارم، وإن كانوا خصيانًا.

وعلى جميع المسلمين أن يرجعوا عن المعاصي إلى الطاعة والإحسان ، مقرّين بالخطأ وطالبين للمغفرة، وألّا يعودوا إلى ما كانوا عليه، ليتيسر لهم النجاة بالرحمة وقبول التوبة.

تفسير المفردات: أنكحوا: زوِّجوا. والأيامى: جمع أيِّمَى وأيِّمان، التي لا زوج لها والذي لا زوجة له. ومنكم: من المسلمين. والصالحون: المؤمنون يعملون الصالحات. والعباد: جمع عبد، المملوك. والإماء: جمع أمة، المملوكة. والفقراء: جمع فقير، من يحتاج إلى العون. ويغنيهم: يوسّع رزقهم بالتزوج. والفضل: التفضل بالنعم. وواسع: ذو غنى لا حدّ له. وعليم: مطلع على ما يكون. **٣٢** ليستعفف: ليجتهد في صون النفس. ولا يجدون نكاحًا: لا يملكون ما يتزوجون به من مال. وحتى يغنيهم: إلى أن يرزقهم ما يكفيهم. ويبتغون: يريدون ويطلبون. والكتاب: المكاتبة للتحرر من الملك للغير. وملكت: كان لها ملك شرعي. والأيمان: جمع يمين، اليد اليمنى أي: صاحبها من الرجال والنساء. وكاتبوهم: أجرُوا لهم بالمكاتبة ما ييسر تحريرهم. وعلمتم: وجدتم. والخير: الأمانة والقدرة على التحرر. وآتوهم: وأعطوهم بالعون. ومال الله يعني: أن ما يملكه الإنسان هو ملك الله أصلًا. وآتاكم: أعطاكم. ولا تكرهوا: لا تُرغموا. والفتيات: الإماء. والبغاء: الزنى. وأردن: طلبن. والتحصن: التعفف. وتبتغوا: تطلبوا. والعرَض: ما يزول من النفع. والحياة: المعيشة. والدنيا: التي يعيش فيها الناس. والغفور: الكثير العفو عن المُكرَهات. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إليهنّ. **٣٣** أنزلنا: أوحينا. والآيات: النصوص القرآنية. ومبيّنات: موضّحات بالتفصيل. والمَثل: الخبر العجيب المفيد. وخلوا: مضوا. والموعظة: ما يَزجر ويوجه إلى الصلاح. والمتقون: الذين يتجنبون غضب الله ويطلبون رضاه. **٣٤** الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والنور: الفائض بالأنوار العظيمة. والسماوات والأرض أي: وغيرهما وما في ذلك من المخلوقات. والمَثل: الصفة العجيبة. وكمشكاة: مِثْل الكوّة. والمصباح: السِّراج يتوقّد ويتلهب. والزجاجة: وعاء شفاف. والكوكب: النجم النيِّر. والدرّيّ: كالدُّرّ. ويوقد: يكون وقوده. والشجرة: النبتة لها ساق وأغصان وأوراق وثمار. والمباركة: العميمة النفع. والشرقية: التي تصيبها الشمس إذا شرقت. والغربية عكسها. ويكاد: يقارب. وزيتها: ما توقد به. ويضيء: يتوقّد. ولم تمسسه: لم تقترب منه. والنار: ما يُشعل به. ونور أي: في الزيت وحده. وعلى نور أي: مضاف إلى مثله. ويهدي: يرشد. ونوره: دينه بما فيه من عقيدة وشريعة وعبادة. ويشاء: يريد هدايته. ويضرب: يبيّن. والأمثال: جمع مَثَل، الأمر العجيب. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. **٣٥** البيوت: جمع بيت العبادة. وأذن: أمر. وترفع: تُبنى وتعظم بالتطهير والعبادة. ويذكر: يردد بالقلوب والألسنة والأعمال. واسمه: أسماؤه الحسنى. ويسبّح: يصلي. والغدو: مابين الفجر وطلوع الشمس. والآصال: جمع أُصُل. والأُصُل جمع أصيل، ما بعد الظهر إلى المساء. ٣٦

ربع الحزب ٣٦

الجزء الثامن عشر — سورة النور

وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن
يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ
عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا
تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾

المعنى العام: الأمر بتزويج من لم يتزوج من الذكور والإناث، والله يغني الفقراء منهم، لأن الزواج يكون سببًا للغنى لِما فيه من بركة، وبتعفف من لم يملك المهر والنفقة حتى يتيسر له ذلك، وبمكاتبة المماليك الذين يريدون التحرر وهم صالحون له، مع إسقاط بعض المال عنهم مسامحة، وبعدم حمل الإماء على الزنى طلبًا للكسب الخبيث، أردن التعفف أم لم يردنه. فالشرط لا يعني جواز الحمل على البغاء، إذا لم يردن التعفف، بل المراد هو المبالغة في النهي أصلًا. وقد جاء في القرآن الكريم هلاك الأُمم العاصية، عظة للمتقين.

والله يعمّ الكون بأنواره الربانية الغامرة، بالشمس والقمر وما أفاضه في الوجود من كواكب، وآيات تكوينية وتنزيلية دالة على الصفات العظمى، مع النعم التي هيأها للخلق، وإحكامِ أمور الحياة والكائنات، وتيسيرِ كلٍّ لِما خلق له، وإمداده بما يساعده على القيام بوظائفه. والصفة التقريبية لنوره ما ينبعث من كوّة تجمع نور مصباح في قنديل، يتوقد كالنجم الدرّيّ من زيتِ شجرة تمر بها الشمس من كل صوب، ويكاد الزيت لصفائه يضيء بنفسه. فهو أنوار مضاعفة متلألئة يهدي الله إليها من كان عنده استعداد للصلاح، وله مساجد أمر ببنائها وتعظيمها وإشراقها بالعبادة والذكر والتسبيح دائمًا، وفي أوقات صلوات الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء...

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ
ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا
وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن
فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ
يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ
عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ
وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

تفسير المفردات: الرجال: جمع رَجل، أي: ونساء أيضًا. ولا تلهيهم: لا تَشغلهم. والتجارة: الشِّراء للبضائع. والبيع: تصريف البضائع. وذكر الله: ترديد أسمائه بالدعاء والتسبيح. وإقام الصلاة: أداء الصلوات. وحذفت تاء «إقامة» للإضافة. وإيتاء الزكاة: أداء ما فُرض في المال لتطهيره وتنميته وتطهير صاحبه. ويخافون: يخشَون. واليوم: الزمن. وتتقلب: تضطرب. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والأبصار: جمع بصر، العين. ٣٧ يجزيهم: يكافئهم. والأحسن: الحسَن. وعملوا: اكتسبوا وتحمّلوا. ويزيدهم: يضيف إلى ثوابهم.ومن فضله أي: بسبب تفضّله. ويرزق: يعطي. ويشاء: يريد الله أن يعطيه. وبغير حساب: من غير أن يكون الرزق على قدر الاستحقاق. ٣٨ كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والأعمال: جمع عمل من نية أو قول أو تصرف. والسراب: شعاع يظهر في وسط النهار بالصحراء كالمياه الجارية. والقيعة: جمع قاع، الأرض المستوية كالفلاة. ويحسبه: يظنه. والظمآن: العطشان. وحتى إذا جاءه أي: فإذا أتى الكافر إلى موضع عمله يوم القيامة. ولم يجده: لم يره. ووجد الله عنده أي: رأى حكم الله بالمرصاد عند عمله. ووفّاه حسابه: أعطاه جزاء عمله كاملًا. والسريع: المعجِّل. والحساب: مجازاته للناس. ٣٩ الظُّلْمة: السواد الدامس. والبحر: ما اجتمع فيه ماء كثير. واللجّي: المنسوب إلى اللجّ، الماء الغزير. ويغشاه: يغمره. والموج: ما يعلو من الماء ويضطرب. والسحاب: الغيم، واحدته سحابة. والبعض: القسم. وأخرج يده: رفعها. ولم يكد يراها: لم يقارب رؤيتها بعينيه. ولم يجعل: لم يخلق ولم يقدّر. والنور: الهداية والتوفيق فيها. ٤٠ ألم تر أي: لقد علمتَ - أيها النبي - بالوحي والاستدلال. ويسبح له: ينزّهه بالخضوع لسلطانه. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والطير: واحده طائر، ما يطير بجناحين. وصافات: باسطات أجنحتها. وكل: كلُّ واحد مما ذُكر. وعَلِم: أحاط الله بالغ الإحاطة. والصلاة: الدعاء من العاقلين. والتسبيح: التنزيه من العاقلين وغيرهم بالخضوع. والعليم: العظيم العلم لا مثيل له. ويفعلون: يكتسبون في الحياة من نية وقول وعمل. ٣١ لِله أي: مستحَق له وحده. والمُلك: الحيازة والتصرف. وإلى الله: إلى حكمه يوم القيامة. والمصير: رجوع الإنس والجن والملائكة. ٤٢ ألم تر أي: لقد رأيتَ عِيانًا، أيها المخاطَب. ويزجي: يسوق ويدفع. ويؤلف: يجمع. وبينه أي: بين أجزائه. ويجعله: يصيّره. وركامًا: متراكمًا مكدّسًا. وترى: تبصر بعينيك. والودق: المطر والثلج والبرَد. ويخرج: يظهر ويهوي. والخلال: جمع خَلَل. وهو الشَّقّ. وينزّل: يُسقط. والسماء: السحاب. والجبال: جمع جبل، الكتلة الضخمة كجبال الدنيا. والبَرَد: حبّات الماء الجامد. ويصيب: ينال. ويشاء: يريد الله إصابته به. ويصرفه: يُبعده. ويشاء: يريد إبعاده عنه. ويكاد: يقارب. وسنا برقه: لَمعان برق السحاب. ويذهب بالأبصار: يمحق بصر العيون الناظرة إليه. ٤٣

المعنى العام: يسبّح في المساجد المذكورة قبلُ رجال ونساء، ولا يُشغلون بالأعمال عن ترديد أسماء الله وصفاته ومواعيده، وأداء الصلاة والزكاة كما يجب، ويستعدون ليوم القيامة الرهيب حيث تضطرب القلوب والأبصار بين الخوف والرجاء في المصير، لينالوا أحسن الجزاء، مع زيادات من تفضل الله. أما الكافرون فأعمالهم كالسراب، تضمحل في الآخرة لفقد الإيمان، ويكون الحساب وافيًا بما جنوا أسرع ما يمكن، أو هي كالظلمات المتراكمة فوق سحب كثيمة وأمواج بحر متلاطم بالظلام، لا يُرى فيها شيء أبدًا، لأن الله منع عنهم نور الهداية.

ولقد رأيتَ - أيها النبي - بالوحي والعِيان كيف تسبّح المخلوقات لله، المؤمنين بلسان المقال والعمل، وغيرهم بلسان الحال خضوعًا للتحكم والسلطان؟ وهو عالم بكل ذلك وله وحده الملك والحساب يوم القيامة، وقد رأيت عِيانًا - أيها الإنسان - تأليفه السحاب وتساقط الأمطار منه بين أجزائه، ونزول البرَد كالجبال في بعض المواطن بمشيئة الله، والبرق يلتمع بشِدّة فيكاد يخطف أبصار من يرونه.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن
يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ
وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ
يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ
أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾
إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ
أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن
يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ
﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل
لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾

تفسير المفردات: يقلّب: يراوح في الإظهار والإخفاء. والليل: ما بين الغروب والشروق. والنهار عكسه. وذلك أي: التقليب. والعبرة: الدلالة. وأولو: أصحاب، واحده ذو. والأبصار: جمع بصر، قوة الإدراك والتدبر للدلائل. **٤٨** خلق: أوجد من العدم. والدابة: من يمشي أو يتحرك في الأرض أو الجو. والماء: السائل المعروف بلا لون ولا طعم ولا رائحة. ومنهم: بعض المخلوقات. ويمشي: ينتقل. والبطن: ما يقابل الظهر. والرِّجل: أسفل القدم. والأربع: القوائم. ويشاء: يريد الله خلقه. والشيء: ما هو موجود أو محتمل الوجود. والقدير: المبالغ في التمكن مما يريد. **٤٥** أنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. والآيات: نصوص القرآن. والمبينات: الموضحات الدلالة. ويهدي: يرشد ويوفق. ويشاء: يريد الله هدايته. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. **٤٦** يقولون أي: المنافقون بألسنتهم خلاف ما في قلوبهم. وآمنّا: صدّقنا. والرسول: محمد ﷺ. وأطعنا: امتثلنا الأمر والنهي. ويتولى: يُعرض ويخالف. والفريق: الجماعة. وذلك أي: الإقرار بالإيمان والطاعة. وما أولئك: ليس المنافقون. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. **٤٧** دُعوا: طُلب منهم الانقياد. وإلى الله أي: إلى حكمه. والرسول: محمد ﷺ. ويحكم: يقضي الرسول. والمعرضون:المتنعون. **٤٨** يكن: يثبت. والحق: الحكم على الخصم. ويأتوا إليه: يجيئوا إلى الرسول. والمذعنون: المطيعون . **٤٩** القلوب: جمع قلب، موطن الاعتقاد والتدبر والاتعاظ. والمرض: الكفر والنفاق. وارتابوا: شكّوا في النبوة. ويخافون: يتوقعون. ويحيف: يجور. وبل أي: ليس الأمر خوفهم. وأولئك أي: المنافقون. والظالمون: الجائرون على الحقيقة وأنفسهم بالكفر والنفاق. **٥٠** القول: الجواب. وإذا دعوا: حين يُطلب منهم الانقياد للحكم. وسمعنا: أدركنا وفهمنا. وأطعنا: نقوم بالإجابة والعمل. وأولئك أي: المؤمنون. والمفلحون: الناجون من العذاب إلى رحمة الله. **٥١** يطيع الله: يجيبه إلى ما أمر ونهى. ويخشى الله: يخافه. ويتقه: يتجنب غضبه ويطلب رضاه بالطاعة. والفائزون: الظافرون بما طلبوا من الخير. **٥٢** أقسموا: حلف المنافقون. والجهد: أقصى ما يكون. والأيمان: جمع يمين. وهو القسَم. وأمرتهم: ألزمتهم الجهاد. ويخرجون: يغادرون ديارهم للقاء العدو. وقل أي: لهم، أيها النبي. لا تقسموا: لا تحلفوا. والطاعة: الاستجابة والانقياد. والمعروفة: المعلومة المحققة. والخبير: المطّلع المحيط بالغَ الإحاطة. وتعملون: تكتسبونه وتتحملونه من نية أو قول أو فعل.**٥٣**

الحزب ٣٦

المعنى العام: أن الله يتابع إظهار الليل والنهار أحدهما بدل الآخر، في نظام محكم وعظة لمن يتدبر ويفكر، وخلق من جنس الماء جميع الكائنات الحية المتحركة المرئية، بألوان من المشي والتحرك، ولم يُذكر من يمشي على أكثر من أربع لقلته ـ فالندرة مشمولة بما فُصّل أمره ـ ويخلق ما يشاء باقتدار، وقد أوحى القرآن الكريم بيانًا يهدي إلى الخير مَن عنده استعداد للصلاح.

ولّما اختصم منافق اسمه بِشر ويهودي، وأراد اليهوديُّ الاحتكام إلى النبي ﷺ وبِشرٌ وأقرباؤه الاحتكام إلى كعب بن الأشرف اليهودي، نزلت الآيات ٤٧ـ ٥٢ ببيان رذائلهم النفسية. فهم غير مؤمنين، يطلبون الظلم ويترددون في العقيدة، ويعلمون عدل النبي الكريم في الحكم فيحضرون إليه إذا كان في مصلحتهم . فما سبب إعراضهم؟ أهو ضعف الإيمان أم النفاق أم خوف جور النبي؟ لا الخوف ولكنهم بنفاقهم يريدون حكم اليهود لتحقيق ظلمهم. أما المؤمنون فمستسلمون لحكم الله ورسوله بالاستجابة والتنفيذ، ولهم الفوز بنعيم الدنيا والآخرة. وروي أن المنافقين كانوا يقولون للرسول ﷺ: « أينما كنت نكن معك، ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا »، ثم يتخلفون في الغزوات، فنزلت الآيتان ٥٣ و٥٤ توجهان إلى العمل مع القول، أي: طاعة لا شك فيها ولا تردُّد كطاعة المخلصين الصادقين في الخير، ولا حاجة إلى القسم والأكاذيب، لأن الله خبير بما يكون.

تفسير المفردات: قل أي: للمنافقين، أيها النبي. وأطيعوا: استجيبوا بالانقياد والعمل. والرسول: محمد ﷺ. وتولوا: تتولَّوا أي: تُعرضوا وتمتنعوا. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. وعليه: على النبي ﷺ. وحُمّل: كُلّف به من التبليغ. وحُمّلتم: كُلّفتم به من الطاعة. وتهتدوا: تُصيبوا الحق والرشد. والبلاغ: تبليغ الرسالة. والمبين: الموضِّح. **٥٤** وَعَدَ الله: تعهّد وتكفّل. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. ومنكم أي: من الناس المخاطَبين. وعملوا: اكتسبوا بالنية أو اللسان أو الفعل. والصالحات: ما شرع الله. ويستخلفهم: يجعلهم خلفاء بالحكم والتصرف. والأرض: بلاد العرب والعجم. واستخلف أي: الأمم المؤمنة المتقدمة. ويمكّن: يقوّي بالاستقرار ويغلّب على الجميع. ودينهم: الإسلام. وارتضى: اختار وقبِلَ. ويبدّلهم من بعد خوفهم أمنًا: يزيل الفزع ويثبّت الطمأنينة مكانه. ويعبدون: يقدسون ويطيعون. ولا يشركون: يوحدون ويخلصون الطاعة. والشيء: ما هو موجود أو محتمل الوجود أو متخيَّل. وكفر: جحد النعمة ولم يقم بحقها من الشكر والإخلاص. وذلك أي: الإنعام. والفاسقون: المخلّون بأحكام الشريعة والإيمان. **٥٥** أقيموا الصلاة: أدّوها بأحكامها وآدابها. وآتوا الزكاة: أدفعوها إلى مستحقيها لتطهير المال وتنميته وتطهيركم. ولعلكم: لتترجَّوا. وترحمون: يُعطف عليكم بالتوفيق والنعم. **٥٦** لا تحسبنّ: لا تظننّ، أيها الإنسان المخاطب. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ومعجزين أي: سابقين عذاب الله لا يدركهم. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمأوى: المكان الذي يُلتجأ إليه. والنار: نار جهنم. وبئس: بلغ الغاية في البؤس والشر والضرر. والمصير: المرجع النهائي. **٥٧** ليستأذنكم: يجب أن يطلب منكم السماح بالدخول عليكم. وملكت أيمانكم: حازت أيديكم من العبيد والجواري. والأيمان: جمع يمين، اليد اليمنى. ولم يبلغوا الحلم: لم يصلوا إلى القدرة على الجماع. ومنكم: من أولادكم. والمرة: المدة من الوقت. والفجر: الصبح. وتضعون: تنزعون عنكم. والثياب أي: بعضها، جمع ثوب. والظهيرة: وقت الظهر. والعِشاء: ما بعد صلاة المغرب. والعورة: اختلال التستر. وليس عليكم أي: لا عليكم في تمكينهم من الدخول. ولا عليهم أي: في الدخول. والجناح: الذنب. وبعدهن: في غير تلك الأوقات الثلاثة. وطوّافون عليكم : يذهبون ويجيئون للخدمة وأنتم تتصرّفون. والبعض: الواحد أو الأكثر. وكذلك: كما بيّن ما مضى. ويبين: يوضّح ويفصّل. والآيات: نصوص الأحكام. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. **٥٨**

الجزء الثامن عشر — سورة النور

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ
وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

المعنى العام: أن يؤمر المنافقون بالطاعة، فإن خالفوا كان النبي ﷺ قد قام بواجبه وتحملوا نتائج عصيانهم، والطاعةُ خير لهم.

ولما شكا بعض الصحابة ما يلقون من عداوة المشركين وأهل الكتاب، ومن دوام الحروب وحمل السلاح، نزلت الآية تبشرهم بالنصر والسيادة وتغليب الإسلام وترسيخ الأمن والطمأنينة، كما جرى للمؤمنين في الأمم الماضية جزاء توحيدهم. فواجب المسلمين قيامهم بالعبادات ليرحمهم الله، ولا يظنَنَّ أحد أن الكافرين سيهربون من عذاب الله في الدنيا والآخرة، لأن نهايتهم العقاب في جهنم، وما أشقاها من نهاية!

وروي أن النبي ﷺ بعث غلامًا إلى عمر، وقت الظهيرة، فرأى من عورة عمر ما لا يجوز، فقال عمر رضي ﷺ: « وددتُ أن الله نهى أبناءنا ونساءنا، عن الدخول علينا في هذه الساعات، إلّا بإذن »، ثم انطلق إلى الرسول ﷺ، فوجد الآيات ٥٨-٦٠ قد نزلت، فخرّ ساجدًا. فالاستئذان واجب بعد العِشاء وقبل الفجر وفي الظهيرة على العبيد والإماء ومن أدرك أمور النساء من الأحرار، ولا مانع من الدخول بدون استئذان في غير ذلك، لِما يكون من واجبات الاختلاط والخدمة والمساعدة، والله يفصّل الأحكام بعلم وحكمة.

وإذا بلغ الأطفل منكم الحلم فليستئذنوا كما استئذن
الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم ءايته والله
عليم حكيم ٥٩ والقوعد من النساء التي لا يرجون
نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن
غير متبرجت بزينة وأن يستعففن خير لهن والله
سميع عليم ٦٠ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج
حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا
من بيوتكم أو بيوت ءابائكم أو بيوت أمهتكم
أو بيوت إخونكم أو بيوت أخوتكم أو بيوت
أعممكم أو بيوت عمتكم أو بيوت أخولكم
أو بيوت خلتكم أو ما ملكتم مفاتحه
أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا
جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم
تحية من عند الله مبركة طيبة كذلك
يبين الله لكم الأيت لعلكم تعقلون ٦١

تفسير المفردات: بلغ: أدرك. والأطفال: جمع طفل، الصبي الصغير. ومنكم: من أولادكم. والحلم: القدرة على الجماع. وليستأذنوا: ليطلبوا دائمًا الإذن قبل الدخول عليكم. والذين من قبلهم: الكبار الذين ورد حكمهم في الآية ٥٨. وكذلك أي: كما بيّن ذلك الحكم. ويبيّن: يوضّح ويفصّل. والآيات: نصوص الأحكام. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. **٥٩** القواعد: جمع قاعد، المرأة انقطعت عن الحيض والحمل. والنساء: جمع نسوة. والنسوة: واحدته امرأة. واللاتي: اللواتي. ولا يرجون: لا يرغبن. والنكاح: المضاجعة. والجناح: الذنب. ويضعن: يخلعن. والثياب: جمع ثوب، أي: ثياب الحجاب: الخمار والجلباب. والمتبرجات: المتأنقات. والزينة: ما يُتزيَّن به. ويستعففن: يطلبن العفة بعدم نزع بعض تلك الثياب. وخير: أفضل. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. **٦٠**الأعمى: الذي لا يبصر. والحرج: الإثم في مؤاكلة الأصحّاء. والأعرج: من في رجله عرَج. والمريض: من فسدت صحته بعلة. وعلى أنفسكم أي: عليكم أنتم وأمثالكم، أيها المسلمون. والأنفس: جمع نفس،الإنسان بروحه وجسده. وتأكلوا أي: طعامًا أو شرابًا. والبيوت: جمع بيت، مكان الإقامة والسكن. والآباء: جمع أب. وهو الوالد والجد. والأمهات: جمع أُمّهة. وهي الوالدة والجدة. والإخوان: جمع أخ، الشقيق وغيره. والأخوات: جمع أُخت، الشقيقة وغيرها. والأعمام: جمع عم، أخو الأب. والعمّات: جمع عمّة، أُخت الأب. والأخوال: جمع خال،أخو الأُمّ. والخالات: جمع خالة، أُخت الأُم. وملكتم: صار في حوزتكم حق التصرف فيه. والمفاتح: جمع مِفتح، الآلة لفتح ما يغلَق به. وصديقكم أي: بيوت أصدقائكم. والصديق: واحده صديق أيضًا. وجميعًا أي: باجتماع بيوت المذكورين قبل. والأشتات: جمع شتّ أي: المنفرد مما ذُكر. ودخلتم: بدأتم بالدخول. وبيوتًا أي: لا أهل فيها خالية من السكان. وسلموا: ادعوا بالسلامة من كل بلاء وضرر. وتحية: دعاء بالخير. ومِن عند الله أي: بأمره وحكمته. والمباركة: التي يثاب عليها ويرجى بها دوام الخير والثواب. والطيبة: التي تطيب بها نفس السامع وتطمئن. وكذلك: كما بيّن الله حكم الأكل والدخول هنا. ولعلكم: لتترجَّوا. وتعقلون: تفكرون وتصلحون أحوالكم. ٦١

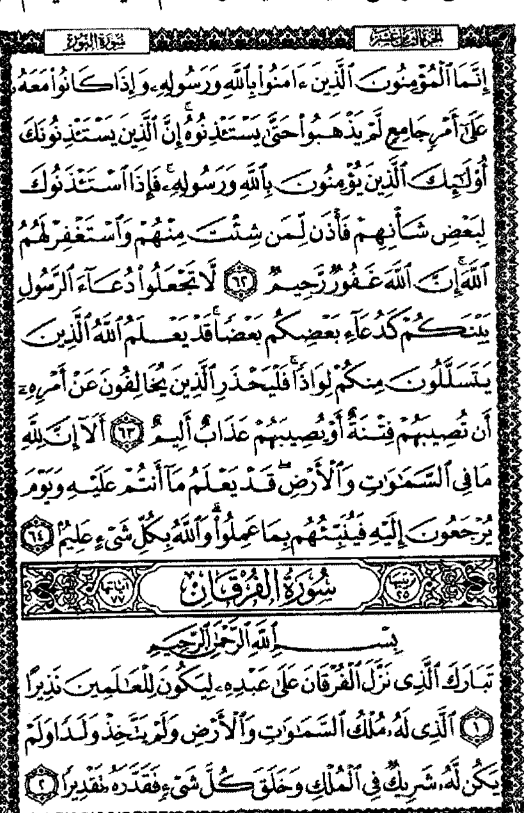
المعنى العام: متابعة بيان حكم الحجاب والاستئذان من الزوجين، بالوجوب على البالغين أن يستأذنوا قبل الدخول إليهما دائمًا، كما تبيّن في دخول الكبار للبيوت عامّة في الآيات ٢٧ـ٢٩، لافي الأوقات الثلاثة المذكورة قبل فقط.

و لعجائز النساء أن يخلعن في البيوت أمام البالغين لباس الحجاب، كالملحفة التي تستر الثياب، بدون تبرج وتأنق، وعدمُ خلعهن ذلك أفضل.

ولما حصل أن بعض المسلمين يتحرجون من مؤاكلة المرضى، وهؤلاء يتنزهون عن مؤاكلتهم، وأن آخرين كانوا إذا خرجوا من ديارهم وتركوا مفاتيحها مع أقاربهم تحرج الأقارب أن يأكلوا مما فيها، وأن آخرين تحرجوا من دخول ديار غير مسكونة، نزلت الآية ٦١ ببيان الحكم في ذلك، بجواز الأكل من منازل الأقارب: الآباء والأُمّهات والإخوة والأخوات والأعمام والعمّات والأخوال والخالات، وما كان من طعام في بيوت الأصدقاء، وجواز مؤاكلة المرضى بالعمى والعرج وأشباه ذلك. فلا حرج فيما ذُكر، بل عليه أجر أيضًا، لِما يشيعه من المودة وتبادل الإكرام.

أما دخول الديار غير المسكونة فيكون بسلام الداخلين على أنفسهم، بالتحية الطيبة المباركة من الله: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، فتجيبهم الملائكة على ذلك. وعلى هذه الصورة من التفصيل يبيّن الله أحكام شريعته ليتدبر المسلمون أحوالهم ويفهموا صلاحها بالعمل الكريم .

تفسير المفردات: المؤمنون: الكاملو الإيمان. وآمنوا: صدّقوا تصديقًا يقينيًا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرسول: من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. ومعه: مع محمدﷺ. والأمر: الشأن والحال. وجامع أي: سبَّبَ جمعهم. ولم يذهبوا: لم يغادروا مكان الاجتماع. ويستأذنوه: يطلبوا منه السماح بالذهاب. وشأنهم: أحوالهم. وائذن: اسمح بالذهاب. وشئت: أردت الإذن له. ومنهم: من المؤمنين. واستغفر: اطلب ستر الذنوب والعفو عنها. والغفور: الكثير الستر للذنوب والتجاوز عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والإحسان إلى المؤمنين. ٦٢ لا تجعلوا: لا تصيّروا. والدعاء: النداء. والبعض: الواحد أو الأكثر. وقد يَعلم: قد علم وأحاط بالأمر والعمل. ويتسللون: يخرجون خِفية. ومنكم: من جماعتكم. واللواذ: الاستتار، والمراد: المتستّرون بشيء. ويحذرُ: يتوقّى. ويخالفون: يُعرِضون ويصدّون. والأمر: الطلب للفعل. وتصيبهم: تنزل بهم في الدنيا. والفتنة: البلاء والمحن. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة. والأليم: المؤلم جدًّا. ٦٣ لِلّه أي: مُلكه واستحقاقه وحده. والسماوات والأرض أي: وما بينهما وما في غيرهما من مخلوق. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وما أنتم عليه: ما فيكم من الإيمان والنفاق. واليوم: الوقت. ويُرجعون: يُردّ الناس بالبعث بعد الموت للحساب والجزاء. وإليه: إلى قضائه وحكمه. وينبئهم: يخبرهم ليجازيهم. وعملوا: اكتسبوا من نية أو قول أو فعل. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. ٦٤


سورة النور — الجزء الثامن عشر
إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه
على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه إن الذين يستئذنونك
أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استئذنوك
لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم
الله إن الله غفور رحيم ﴿٦٢﴾ لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره
أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿٦٣﴾ ألا إن لله
ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم
يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ﴿٦٤﴾
سورة الفرقان
بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
﴿١﴾ الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴿٢﴾

المعنى العام: كان المنافقون يتسللون، بدون إذن في غزوة الخندق، وبعضُ المسلمين يستأذن ويعود، وآخرون ينادون النبي ﷺ باسمه، فنزلت الآيات ٦٢ـ ٦٤ ببيان أحوالهم، وبالإذن للمستأذن في حاجة مع الدعاء له لأن خروجه أيضًا تقصير عن حضور الجماعة، وبوجوب القول: « يارسول الله» في ندائه، وترك المخالفة والعصيان لئلا يحلّ البلاء والعذاب في الدنيا وما سيكون في الآخرة.

علامة الحزب ٣٦

فالله يعلم ما يحصل من الظاهر والخفي، ويملك جميع المخلوقات العاقلة وغيرها، وخَصّ السماوات والأرض بالذكر لأنهما منتهى ما يعرفه المخاطبون، وسينبئ المكلّفين ما عملوا ويكافئهم عليه يوم القيامة. وفي هذا تهديد ووعيد للردع، والحث على الطاعة والإخلاص.

٢٥ ـ سورة الفرقان

تفسير المفردات: تبارك: تكاثر خيره وتعالى وتسامى. ونزّل: أوحى مفرّقًا مفصّلًا. والفرقان: القرآن يفرق بين الحق والباطل. والعبد: المخلوق المملوك بالقهر والرعاية والتعبد. ويكون: يصير. والعالمون: مجموع أجناس المخلوقات. والنذير: المخوّف بالعذاب للكافر. ١ المُلك: الحيازة والقهر والتصرف. ولم يتخذ: لم يصنع لنفسه ولن يُنزِل أحدًا تلك المنزلة. والولد: الابن ذكرًا أو أنثى. والشريك: المشارك والمماثل. وخلق: أوجد من العدم. والشيء: ما هو موجود. وقدّره: جعله مستويًا وميسّرًا لِما خلق له. ٢

المعنى العام: أن الله هو المتعالي عما سواه، في ذاته وصفاته وأفعاله، وقد أوحى ويوحي القرآن على محمد ﷺ، ليدعو الإنس والجن ويهدد بعذاب الدنيا والآخرة من كفر، والله ـ عز وجل ـ يملك المخلوقات كلها متنزّهًا عن الولد والشريك، ويخلق كل شيء بتقدير وإحكام يناسب وظيفته في الكون والحياة.

سورة الفرقان الجزء الثامن عشر

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ
ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ
فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟
مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ
لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ
إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ
ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

تفسير المفردات: اتخذوا: جعل المشركون. ودونه: غير الله. والآلهة: جمع إلَه، المعبود تقديسًا وطاعة. ولا يَخلقون شيئًا: لا يوجدونه من عدم. ويُخلقون: يُصنعون بأيدي الناس أو أوهامهم. ولا يملكون: لا يستطيعون. والأنفس: جمع نفس، ذات الشيء وحقيقته. والضرّ: ما فيه الأذى، أي: دفعه ومنعه. والنفع: ما فيه الخير أي: جلبه. والموت: خلق الموت في الحيّ. والحياة: خلق الحياة في الميّت. والنشور: بعث الأموات من القبور. ٣ قال أي: جاهر بالقول. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وإنْ هذا: ليس القرآن. والإفك: الكذب الصُّراح. وافتراه: اختلقه محمد ﷺ من نفسه وليس وحيًا من عند الله. وأعانه: ساعده فيه و قدّم له أخبار الأمم وبعض شرائعهم. والقوم: الجماعة من الناس. والآخرون: المغايرون للنبي ﷺ. وجاؤوا ظلمًا: اقترفوا كفرًا. والزور: الكذب والباطل. ٤ قالوا أي: الكافرون. والأساطير: الأكاذيب المتداولة، جمع أُسطورة. والأولون: الأمم الماضية. واكتتبها: طلب كتابتها له. وتملى: تقرأ ليحفظها. والبكرة: الصباح. والأصيل: المساء. ٥ قل أي: للكافرين، أيها النبي. وأنزله: أوحاه وأمر باتّباعه. ويعلم: يحيط إحاطة كاملة. والسر: الغيب ما غاب عن إدراك المخلوقات وحواسهم. السماوات: ما يحيط بالأرض من جو وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وكان أي: وما يزال دون قيد زماني. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالصفح عن المؤمنين. ٦ ما لهذا الرسول: أيّ شيء عجيب لهذا الذي يزعم أنه رسول؟ ويأكل الطعام: يتغذى بما يؤكل مثل الناس. ويمشي في الأسواق: يسير في مواضع اجتماع الناس للبيع والشراء. والأسواق: جمع سوق. ولولا أُنزل: هلّا أُرسل. والمَلَك: مخلوق نوراني مطهَّر مكرَم. ويكون: يصير. والنذير: المهدِّد بالانتقام من العاصي. ٧ يلقى: يُسقَط. والكنز: ما كثر من مال ومجوهرات ومعادن ثمينة. والجنة: البستان العظيم. ومنها: من ثمارها. وقال الظالمون أي: قال الكافرون للمؤمنين. وإنْ تتبعون: ما تطيعون وما توافقون. والرجل: الإنسان الذكر. والمسحور: من خُدع بالأوهام وغلبته الجنّ على عقله. ٨ انظر: تدبّر وتأمل، أيها النبي. وضربوا: جعلوا. والأمثال: جمع مَثَل، الأمر العجيب المخالف للمعقول يذكر للتندّر. وضلوا: خرجوا عن الصواب. ولا يستطيعون سبيلًا: لا يجدون وسيلة يهتدون بها إلى تصحيح تكذيبهم وتأييده. ٩ تبارك: تكاثر خيره وتعالى وتسامى. وشاء: أراد عطاءك في الدنيا. وجعل: وهب. والخير: الأفضل. وذلك أي: ما ذكروه من الكنوز والبساتين الدنيوية. والجنات: الحدائق العظيمة بالنعيم الأبدي في الآخرة. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر، مجرى الماء والعسل واللبن والخمر. والقصور: جمع قصر، البيت الرفيع الفخم. ١٠ كذّبوا بالساعة: أنكروا مجيء القيامة. وأعتدنا: هيأنا. والسعير: النار المتوقدة. ١١

المعنى العام: أن المشركين يعبدون ما يصنعونه من الأصنام ولا يستطيع لنفسه أو لغيره شيئًا من النفع والضرر والموت والحياة والبعث.

ولمّا زعموا أن النبي ﷺ اقتبس القرآن الكريم من أهل الكتاب نزلت الآيات تفصّل تكذيبهم الوحيَ، وادّعاءهم نقلَ القرآن بوساطة من يكتب له من النصارى في الأوقات المختلفة. فلْيعلِمْهم النبي الكريم أنّ الله ـ عز وجل ـ هو الذي أوحى القرآن، وهو العليم بخفايا الكون وصاحب المغفرة لمن تاب والرحمة للمؤمنين.

وهم يعجبون من محمد كيف يأكل ويتصرف كالبشر، وينتظرون أن يكون للنبي ملَك يؤيده وكنوز وبساتين خاصة، ويتهمون المؤمنين باتباع من هو مسحور مختل العقل، ويضطربون في مزاعم وصفه بمختلِف الصفات للطعن في نبوته.

لقد كان عليهم الاحتجاج المعقول، لا اقتراحات متضاربة متوهَّمة، وما منعهم من الإيمان أنك بشر تتصرف مثلهم، بل تكذيبُهم بالساعة لِما سيلقون فيها من عذاب جهنم...

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا
أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ
أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ
لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ
كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي
هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ
يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ
وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

تفسير المفردات: رأتهم أي: رأى الكافرون جهنم عِيانًا. وفي العبارة قلب للمبالغة. والمكان: الموضع. والبعيد: الأقصى لا يمكن أن يُرى منه الشيء. وسمعوا: أدرك سمعهم. والتغيظ: إظهار الغضب بحركات وغليان وأصوات. والزفير: الصوت الشديد. ١٢ ألقوا: قُذفوا. والضيق: المنضم بعضه إلى بعض. ومقرنين أي: مشدودة أرجلهم بالقيود، وشُدّت أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال. ودعَوا ثبورًا: نادَوا مستغيثين: يا هلاكنا احضر. وهنالك: في ذلك المكان. والثبور: الهلاك. ١٣ لا تدعوا: لا تطلبوا. واليوم: في هذا الوقت. والواحد: المفرد. وادعُوا: اطلبوا. والكثير: المتعدد. ١٤ قل أي: لهم، أيها النبي. وذلك: ما ذكر من العذاب. وخير: أفضل. والجنة: الحديقة العظيمة بالنعيم. والخلد: البقاء أبدًا. ووُعد المتقون: بُشِّرَ بها الذين يخافون الله ويطلبون رضاه. وكانت: تحققت في علم الله. والجزاء: الثواب. والمصير: المسكن النهائي. ١٥ ما يشاؤون: ما يريدون من النعيم. وخالدين أي: مقيمين أبدًا. وكان: تحقق حكمها. وعلى ربك: بسبب ما أوجبه على نفسه. والوعد: التعهد والتكفل. والمسؤول: المطلوب تحقيقه. ١٦ اليوم: الوقت. ويحشرهم: يُخرج اللهُ الكافرين من قبورهم ويجمعهم للحساب. وما يعبدون: ما يقدسونه ويطيعونه من البشر والجن والملائكة. ودون الله: غيره. ويقول أي: الله للمعبودين. وأضللتم: أخرجتم عن طريق الإيمان. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. وضلوا: ضيعوا بأنفسهم. والسبيل: طريق الحق. ١٧ قالوا أي: المعبودون. وسبحانك: تنزيهًا لك عما لا يليق بك. وينبغي: يصح ويستقيم. ونتخذ: نجعل. والأولياء: جمع ولي. وهو المعبود. ومتعتهم: أنعمت عليهم بلذائذ الحياة. والآباء: جمع أب. وهو الوالد وما فوقه من الجدود. ونسوا: تركوا. والذكر: تذكر أدلة التوحيد للعظة والإيمان. وكانوا: صاروا. والقوم: الجماعة من الناس. والبور: الهالكون بكفرهم. ١٨ كذبوكم: أنكر المعبودون عليكم ادعاءكم. وبما تقولون أي: في قولكم. وما تستطيعون: ما تملكون. والصرف: دفع العذاب. والنصر: الامتناع من العذاب. ويظلم: يضع الشيء في غير موضعه بعبادة المخلوقات. ومنكم أي: من المكلفين جميعًا. ونذيقه: نُنزل به في الدنيا والآخرة. والعذاب: التعذيب. والكبير: الشديد الفظيع. ١٩ ما أرسلنا: ما بعثنا للعمل والتبليغ. والمرسلون: الرسل. ويأكلون الطعام: يتغذون بالمأكولات والمشروبات. ويمشون: يسيرون. والأسواق: جمع سوق، مكان اجتماع الناس للبيع والشراء. وجعلنا: صيّرنا. وبعضكم: بعض الناس. وفتنة: امتحانًا ليظهر المصلح من المفسد. وأتصبرون أي: اصبروا على ما ابتُليتم به. وكان أي: ولا يزال دون قيد زماني. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والبصير: العالم المحيط بكل شيء. ٢٠

المعنى العام: متابعة ما يكون لمن أنكر يوم القيامة بأنّ الكافرين حين يرون جهنم من بعيد يسمعون تفجر غليانها، ويُقذفون فيما ضاق منها مقيَّدين بالسلاسل والأغلال فيستغيثون بالموت: تعال ـ ياهلاكنا ـ فهذا أوانك، وأنت أهون علينا مما نحن فيه. فيقال لهم سخرية: ادعوا مجموعة من الهلاك تناسب أنواع عذابكم، ليكون دعاؤكم موافقًا لقدرها.

فاسألهم، أيها النبي: أهذا العذاب أفضل أم جنة الخلد بنعيمها المطلوب محققة بوعد الله؟ وسيسأل الله المعبودين كالمسيح وعُزير والملائكة يوم القيامة عن تضليلهم المشركين، فيتعجبون مما نُسب إليهم مسبحين، وينكرونه لأنهم هم يعبدون الله ولا يرضون الشرك، ويعللونه بطغيان المترفين وانشغالهم عن التذكر والهداية. وهكذا يكذّب المعبودون المشركين، لينال هؤلاء العذاب بلا نجاة ولا نصير.

وكل المرسلين كانوا بشرًا في طعامهم وتصرفاتهم، وها أنتم تُفتنون بتفاوت أفرادكم في الإيمان والتملك والقدرات وتضطربون لذلك. فاصبروا إن استطعتم واحبسوا أنفسكم عن الضجر من تمييز النبي عليكم وما بينكم من التفاوت، والله خبير بمن صبر ومن ضجر.

تفسير المفردات: لا يرجون: لا يخافون. ولقاؤنا: الوصول إلى حسابنا بالبعث. ولولا أُنزل: هلّا أُرسل. والملائكة: مخلوقات نورانية معصومة مكرمة، جمع مَلَك. ونرى: نبصر عِيانًا. وربنا أي: الله. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واستكبروا: تكبروا. الأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان وذاته. وعتوا: طغوا. والكبير: العظيم المبالَغ فيه. **٢١** اليوم: الوقت. والبشرى: التبليغ بالخير. ويومئذ: يوم رؤيتهم الملائكة. والمجرمون: الذين يقترفون الجرائم بالكفر. ويقولون أي: المجرمون لأنفسهم. والحِجر: الاستعاذة والامتناع من الشر. والمحجور: المستعاذ به. **٢٢** قدِمنا: قصدنا. وعملوا: اكتسبوا وتحمّلوا. والعمل: ما كان من نية أو قول أو فعل. وجعلناه: صيّرناه. والهباء: الغبار الدقيق جدًّا. والمنثور: المفرّق المشتت. **٢٣** الأصحاب: جمع صاحب، المرافق للشيء. والجنة: الحديقة العظيمة فيها الأشجار والقصور والنعيم. ويومئذ: يوم القيامة. وخير: أفضل. والمستقر: مكان الاستقرار. وأحسن: أكثر جمالًا. والمقيل: موضع القيلولة في منتصف النهار. **٢٤** تشقّق: تتقطّع. والسماء: ما يحيط بالأرض من الأكوان العليا. وبالغمام أي: مصاحبة السحاب الأبيض. ونُزِّل: أُنزل بالتتابع. **٢٥** المُلك: الحيازة والتصرف في الأمور كلها. ويومئذ: يوم تَشقُّق السماء. والحق: الثابت. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. وكان أي: سيكون اليوم. والكافرون: المكذبون وحدانية الله ودعوة رسوله. والعسير: الشديد. **٢٦** يعض: يضغط بأسنانه. والظالم: المشرك والكافر. واليد: الكف. ويا ليتني: أتمنى. واتخذتُ: سلكتُ. والرسول: محمد ﷺ. والسبيل: الطريق إلى الهدى. **٢٧** يا ويلتا: ياويلتي أي: يا هَلكتي احضري. ولم أتخذ: لم أجعل. وفلانًا أي: الذي اتبعتُه من المشركين. والخليل: الصديق المطاع. **٢٨** أضلني: كان سبب انصرافي. والذكر: القرآن الكريم. وإذ جاءني: حين وصل إليّ الذكر. وكان أي: وما يزال. والشيطان: من يوسوس بالشر من الإنس والجن. والإنسان: البشر. والخذول: مَن يتخلى عن غيره بعد تضليله. **٢٩** الرسول: محمد ﷺ. ويا رب: يا ربي. حذفت الياء للتخفيف. وقومي أي: قريش ومن معهم. واتخذوا: جعلوا. والمهجور: المتروك المهمل. **٣٠** كذلك: مثلَ جعلنا أعداء لك. وجعلنا: صيّرنا. والنبي: من بعثه الله للهداية إلى التوحيد والشريعة مع العمل. والعدو: المعادي. وكفى بربك: بلغ ربُّك الغاية في الكفاية والإغناء عن معونة الآخرين. والهادي: المرشد إلى الحق. والنصير: المؤيد والمعين. **٣١** لولا نُزِّل: هلّا أُوحي. وجملة: دُفعة مجتمعة الأجزاء. وكذلك أي: هذا التفريق حاصل. ونثبت: نقوّي. والفؤاد: القلب الواعي المطمئن. ورتلناه: أنزلناه على دفعات بتمهل وتؤدة. **٣٢**

الجزء التاسع عشر — سورة الفرقان

الجزء ١٩ الحزب ٣٧

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا
﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ
هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ
وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ
يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً
وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

المعنى العام: أن الكافرين يتطاولون في أنفسهم متكبرين عن الإيمان، ويتطلبون للتعجيز والتحدي والتعنت أن تُنزَّل عليهم الملائكة أو يروا الله ليؤمنوا به. ولكن إذا ظهرت لهم الملائكة جاءتهم بالعذاب أي: يوم القيامة، واستعاذوا منها ومما جاءت به يطلبون النجاة والحماية، وقد تناثرت أعمالهم الخيرة وتلاشت كالغبار، لأنها لم يرافقها الإيمان والتوحيد، وتحققت الجنة للمؤمنين الناعمين بالخير والجمال، وهي أعظم مما سيكون للكافرين بلا شك. فذلك النزول للملائكة على الكافرين يصحبه تشقق السماوات مع السحب، وتجريد الناس من كل مُلك لهم كان مؤقتًا، ليتفرد الله به ويشتد العذاب على الكافر، فيعض يديه ندمًا، ويتمنى أن يكون آمنَ، ولم يستجب لمغريات شياطين الإنس والجن، وقد خذلوه بعد أن أوقعوه في الضلال والعذاب.

وهذا محمد ﷺ يشكو في الدنيا ما يلاقي من قومه بالإعراض عن القرآن ـ وقد كان لكل رسولٍ أمثال هؤلاء المكذبين ـ وما يسمع من مطاليب التعنت والتعجيز أن يُنزَّل القرآن دُفعة واحدة، كما كانت التوراة، مع أن تنزيله كذلك هو لحكمة ربانية، منها متابعة التثبيت للرسول في المواقف العارضة، وتيسير الفهم والحفظ والعمل لِما فيه من العلوم والأحكام...

تفسير المفردات: لا يأتونك: لا يجابهك الكافرون. والمَثَل: العجيب من الأسئلة والاعتراضات. وجئناك بالحق: أوحينا إليك القول المُحكَم لدفع أباطيلهم. والأحسن: الأكثر وضوحًا وكمالًا. والتفسير: البيان. ٣٣ يحشرون: يجرّون بالعنف. والوجوه: جمع وجه. وجهنم: دار العذاب يوم القيامة. وشر: أكثر ضررًا وفسادًا. والمكان: منزلة الإقامة الاستقرار. وأضل: أكثر بعدًا عن الصواب. والسبيل: طريق الحق. ٣٤ آتينا: أعطينا. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. والكتاب: التوراة. وجعلنا: صيّرنا. والوزير: المعين في النبوة، وهو نبي أيضًا. ٣٥ قلنا أي: لهما. اذهبا إلى القوم: اقصدا الجماعة من الناس في مجالسهم. وكذّبوا بآياتنا: أنكروا ما خلقناه وفيه الدلالة على التوحيد والبعث ولم يعتبروا به. ودمرناهم: أهلكناهم غرقًا في البحر. ٣٦ نوح: نبي بعد آدم وشيث وإدريس كذبه قومه. ولمّا: عندما. والرسل: جمع رسول، من كلفه الله بالدعوة مع العمل. وأغرقناهم: أمتناهم خنقًا بالماء. وجعلناهم: صيّرنا إغراقهم. والناس: البشر. والآية: العبرة والعظة. وأعتدنا: هيّأنا في الآخرة. والظالمون: الكافرون. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. ٣٧ عاد: قوم النبي هود. وثمود: قوم النبي صالح. والأصحاب: الأهل المصاحبون، جمع صاحب. والرسّ: بئر كانت لقوم النبي العربي شُعيب في بلدة مَدْيَن. والقرون: جمع قرن. وهو مائة سنة. والمراد: أهل تلك القرون من الأُمم. وبين ذلك: بين ثمود وأصحاب الرسّ. وكثيرًا أي: بعدد كبير جدًّا. ٣٨ كلًّا: كلَّ مَن مضى من المهلكين. وضربنا: أوضحنا. والأمثال: جمع مَثَل، القصة العجيبة تشبه حال من تُذكر له عظة وإرشادًا. وتبّرنا: أهلكنا وفتّتنا. ٣٩ أتوا: مرّ جبابرة كفار قريش. والقرية: بلدة قوم لوط. وأمطرت مطر السوء أي: جُزِيتْ برمي حجارة من سجّيل. والسوء: ما يُكره ويَضرّ. وألم يكونوا أي: لقد كانوا. ويرونها: يبصرون آثارها عِيانًا. وبل أي: لم يعتبروا. وكانوا أي: ومازالوا. ولا يرجون: لا يخافون ولا يؤمنون. والنشور: البعث. ٤٠ رأوك: أبصروك. وإن يتخذونك: ما يجعلونك. والهزُو: السخرية. وبعث اللهُ: أرسله ليبلغ دعوته. ٤١ إنْ كاد: لقد قارب. ويضلنا: يصرفنا ويصدّنا. والآلهة: جمع إلَه، ما يعبد ويطاع من المخلوقات. ولولا أي: لولا حصول. وصبرنا: تجلدنا وتحملنا. وعليها: على عبادتها. وسوف يعلمون: لا بد أن يدروا باليقين. ويرون: يبصرون عِيانًا. وأضلّ سبيلًا: أخطأ طريقًا. ٤٢ أرأيت: انظر وأخبرني ما في رأيك من العجب. واتخذ: جعل. وإلَهه: معبوده المطاع. والهوى: الشهوة وما تميل إليه النفس بشِدّة. أأنت تكون: لن تكون. والوكيل: الحافظ يمنع من الضلال. ٤٣

الجزء التاسع عشر — سورة الفرقان

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾
ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ
مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى
ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ
نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ
ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ
وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا
لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ
ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ
كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ
مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

المعنى العام: متابعة تنزيل الوحي على دفعات، بأنّ من حِكَم توزيع نزول القرآن أيضًا حلَّ المشكلات التي يصطنعها المشركون بما هو جواب متميز بالحق والجودة. وسوف يُسحبون على وجوههم إلى جهنم، بما فيها من أسوأ العذاب وأفظع المصير لكفرهم وتكذيبهم، كما كذّب فرعون وقومه الأقباطُ موسى وهارونَ وأهلكهم الله في البحر، وكذلك أهلك قومَ نوح بالغرق، فكانوا عبر ة للناس، وعادًا وثمود من العرب العاربة قبل الميلاد بعشرات آلاف السنين، وأصحابَ البئر التي انهارت بهم وبمنازلهم، وأممًا كثيرة جدًّا لا يعلمها إلّا الله كانت بين ثمود وأصحاب البئر. وقد أوضح الله لهم الحجج والأدلة على التوحيد والبعث فأبوا وأُهلكوا، وكثيرًا ما يمر كفار قريش بتلك البلاد المهدمة ويرون آثارها الدالة على الدمار، ولكنهم لا يعتبرون لإنكارهم البعث، وكلما رأوك - أيها النبي - سخروا منك وكذّبوا نبوتك لأنك تحاول صرفهم عن الأصنام، وسوف يعلمون أنهم في ضلال مبين.

وروي أن الحارث بن قيس كان يعبد ما تهواه نفسه، ويبدّل آلهته دائمًا فنزلت الآية بأنه متروك لشهواته وتصرفاته العجيبة، ولم يكلَّف النبي بحمله على الهداية وليس مسؤولًا عنه. فليفوّض أمره إلى الله، ولا يَحزنْ لكفره.

تفسير المفردات: أم تحسب أي: بل لا تظنّ. وأكثرهم: معظم من اتخذك هزوًا أو عبد هواه. ويسمعون: يتدبرون ما يطرق أسماعهم. ويعقلون: يدركون ويفهمون. وإنْ هم: ليسوا. والأنعام: جمع نعَم، الإبل والبقر والغنم. وأضل سبيلًا: أكثر ضلالًا منها في التوجه. **٤٤** ألم تر أي: لقد نظرت، أيها المخاطب. وإلى ربك أي: إلى خلْقه العجيب. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ومدّ: وسّع. والظل: ما كان بين الظلمة والنور وقت صلاة الصبح. وشاء: أراد تثبيته. وجعله: صيّره. والساكن: الثابت على صورته الأُولى. والشمس أي: نورها. وعليه: على حركة الظل وتغيراته. والدليل: المرشد. **٤٥** قبضناه إلينا: نقصنا من الظل بقدرتنا. ويسيرًا أي: ببطء خفي. **٤٦** هو أي: الله عز وجل. والليل: ما بين الغروب والفجر. ولباسًا: ساترًا كاللباس. والنوم: راحة البدن والعقل بغياب الإرادة والوعي. والسبات: القطع، أي: السكون تكون به راحة النفوس والأبدان. والنهار: ما بين الفجر والغروب. والنشور: الإحياء واليقظة. **٤٧** أرسل: أطلق. والرياح: جمع ريح، الهواء المتحرك. وبُشرًا أي: مبشّرات، جمع بَشيرة. وبين يدي: أمام وقبل. والرحمة: العطف بالإحسان. وأنزلنا: أسقطنا. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما أشبهه. والطهور: المطهِّر. **٤٨** نحيي: نبعث الحياة. والبلدة: الأرض. والميت:الهامدة لا نبات فيها. ونسقيه: نُروّي به. وخلقنا أي: أنشأناه. والأناسي: الأناسين أي: البشر، جمع إنسان. **٤٩** صرّفناه: فرّقنا الماء في البلاد والأوقات. وبينهم: بين الناس. وليذّكّروا: يستحضروا النعمة في أنفسهم، ويشكروا منعمها على رحمته بالقلب واللسان والعمل. وأبى: امتنع. والأكثر: الغالبية العُظمى. والكُفور: الجحود للنعم. **٥٠** شئنا: أردنا بعث النذر في جميع القرى. وبعثنا: أرسلنا في زمانك معاونين لك. والقرية: البلدة العامرة. والنذير: المهدّد بالعذاب للكافرين. **٥١** لا تطع: لا توافق واثبُت على ما كُلّفتَ به. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ورسالة نبيه. وجاهدهم: ابذل أقصى قدرتك في مقاومتهم. وبه: بالقرآن الكريم. والكبير: العظيم لا مثيل له. **٥٢** هو أي: الله سبحانه وتعالى. ومرج: مزج وفصل. والبحر: ما اجتمع فيه ماء كثير. وهذا أي: أحدهما. وعذب أي: ماؤه مستلذ. وملح: ماؤه مالح. والأُجاج: الشديد الملوحة. وجعل: خلق. والبرزخ: الحاجز المادي من الأرض. والحِجر: التنافر المرئيّ كالسّتر الحائل بين الشيئين. والمحجور: الممنوع به اختلاط الماءين. **٥٣** خلق: أنشأ. والماء: منيّ الرجل وبويضة المرأة. والبشر: الإنسان الحي. وجعل: صيّر. والنسب: الذّكر تُنسب إليه القرابة. والصهر: الأنثى يكون بزواجها المصاهرة.

ربع الحزب ٣٧

الجزء التاسع عشر — سورة الفرقان

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ
لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

وكان أي: وما يزال بدون قيد زماني. والقدير: البالغ القدرة على ما يشاء. **٥٤** يعبدون: يقدس المشركون ويطيعون. ودون الله: غيره. ولا ينفعهم: لا يقدم لهم بعبادته ما يفيدهم. ولا يضرهم: لا يؤذيهم بترك عبادته. وعلى ربه: على عصيان الله. والظهير: العون للشيطان. **٥٥**

المعنى العام: اعلم ـ أيها النبي ـ أن أكثر المشركين أحط من الحيوانات، عطلوا أسماعَهم فلا يدركون بها وعقولَهم فلا يستفيدون منها. وأنت ـ أيها الإنسان ـ ترى كيف خلق الله الظل وحركتَه ببطء تبعًا لتدرّج طلوع الشمس، وخلق الليلَ راحة للبشر وللحيوان والنهارَ نشاطًا للجميع، وبعث الرياح بشارة بالخير وأنزل المطر ونشره في الأرض حياة للكائنات إنعامًا وتذكيرًا بالفضل، ولكن الكافرين يتجاهلون ذلك، وينسبون الأمطار إلى الأنواء التي تكون بحركة بعض النجوم. وقد خصّك الله بالرسالة ـ أيها النبي ـ وهو قادر على بعث رسل معك، فدمْ على الدعوة والجهاد، ومزجَ بعض البحار ببعض، وفصل بين العذبة والمالحة بحواجز مادية تلمس، وخَلقية غير ملموسة كالذي في مكان واحد منها يفصل بين نوعين متدافعين من المياه، وجعل من المنيّ والبويضات رجالًا للنسب ونساء للمصاهرة. فقُدرته لا حد لها، والكافرون يعبدون الأصنام العاجزة عن كل شيء، ويناصرون الشيطان.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ
خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ
أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ
فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ
شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ
لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

سجدة

تفسير المفردات: ما أرسلناك: ما بعثناك ـ أيها النبي ـ بالعقيدة والشريعة مع العمل. والمبشر: المبلغ بالخير للمؤمنين. والنذير: المخوّف بالعذاب للكافرين. **٥٦** قل أي: للمشركين. وما أسألكم: لا أطلب منكم. والأجر: المكافأة بمال أو جاه. وإلّا من شاء: لكن من أراد. ويتخذ: يسلك. وإلى ربه: إلى طاعته. والسبيل: طريق الحق. **٥٧** توكل: استمرّ في الاعتماد. والحيّ الذي لا يموت: الله الدائم الوجود. وسبّح: نزهْه عن النقصان في ذاته وصفاته وأفعاله. وبحمده: مع الثناء بأوصاف الكمال على الفضل. وكفى به: بلغ اللهُ الغاية في الكفاية والإغناء عما سواه. والذنوب: جمع ذنب، المعصية عليها عقاب. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. وخبيرًا أي: عالمًا كمال العلم. **٥٨** خلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من الأكوان العُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وما بينهما أي: ومن أجناس الكائنات ما فيهما أيضًا. وستة أيام: ستة أوقات متتابعة من الأزمان الفلكية الكبرى. وثم أي: في ذلك الوقت أيضًا. استوى: قصد يدبر ويخلق بقدرته. والعرش: كائن عظيم يحيط بالخلق كله. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. واسأل: اطلب العلم، أيها الإنسان. وبه أي: عنه. والخبير: العالم باليقين. **٥٩** قيل لهم: وُجّه القول إلى الكافرين. واسجدوا: خُرّوا على جباهكم ذلة وتقديسًا. وما الرحمن: لا نعرف أيُّ شيء هو الرحمن؟ وأنسجد: لن نسجد. ولما تأمرنا: استجابةً لأمرك. وزادهم: أضاف قولك إليهم. والنفور: الابتعاد. **٦٠** تبارك: تعظّم وكثر خيره. وجعل: خلق. والبروج: جمع بُرج، فلك الكوكب السيّار يدور فيه. وفيها: في السماء. والسراج: الشمس تضيء بنفسها. والقمر: الكوكب الليلي. والمنير: ما ينعكس نوره عن غيره. **٦١** هو أي: الله تعالى. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار: عكسه. وخلفة أي: مختلفين في الصفات والحضور. وأراد: قصد. ويذّكّر: يتذكّر: يتعظ بما يرى فيؤمن. أدغمت التاء في الذال. والشكور: الشكر على النعم. **٦٢** يمشون: يسيرون. والهون: السكينة والتواضع. وخاطبهم: كلّمهم بسوء. والجاهل: الأحمق المؤذي. وسلامًا أي: قولًا سليمًا من الإثم. **٦٣** يبيتون: يقضون بعض الليل. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والسجّد: جمع ساجد في الصلاة والتعظيم. والقيام: جمع قائم، المنتصب للعبادة. **٦٤** ربنا: يا ربنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. واصرف: أبعِد. والعذاب: التعذيب. وجهنم: الدار المهيأة للكافرين يوم القيامة. والغرام: اللازم. **٦٥** ساءت: بلغت الغاية في الضرر والبؤس. والمستقر: موضع الاستقرار. والمُقام: مكان الإقامة. **٦٦** أنفقوا: بذلوا المال على الأهل وغيرهم. ولم يسرفوا: لم يبذّروا. ولم يقتروا: لم يضيّقوا ويبخلوا. وكان أي: إنفاقهم. وذلك أي: الإسراف والتقتير. والقوام: المعتدل بتوسط واقتصاد. **٦٧**

المعنى العام: أن الله أرسلك ـ يا محمد ـ لبشارة الصالحين وتهديد العاصين. فقل للكافرين بأنك لا تطلب أجرًا على دعوتك لهم وإنما ترشد المؤمنين، وتوكلْ على الله الحي الباقي ونزّهْه عن النقصان مع حمده، ويكفي علمه بعباده ليكون حسابهم العادل.

فهو خلق الكون في ستة أوقات فلكية، واستوى على العرش يدبر أمور الحياة، وهو الرحمن يُخبر الناسَ عنه الحقائقَ ويعلمهم به من كان عنده علم يقيني. ولكن المشركين يتجاهلون ذلك وينكرون معرفته، ويزدادون كفرًا، كلما وجّهوا إلى عبادته. وهوـ تعاظمت بركاته ـ قد خلق بروج السماء والشمس والقمر واختلاف الليل والنهار تيسيرًا للحياة، و تذكرة لمن يفكر ويتعظ ويشكر.

وعباده الصالحون من الرجال والنساء يتصرفون بوقار وسكينة، ويقابلون كلام الجاهلين بالمسالمة، ويقضون كثيرًا من الليل في عبادة، ويدعون الله أن ينقذهم من جهنم، لِما فيها من العذاب الدائم والبلاء العظيم، ألا ما أسوأها مكان استقرار وإقامة ! وينفقون في سبيل الخير والجهاد باعتدال لا إسراف ولا تقتير...

تفسير المفردات: لا يدعون: لا يعبدون ولا يقدسون. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والإلّه: المعبود المقدس. والآخر: المغاير لله. ولا يقتلون: لا يزهقون الروح. والنفس: الإنسان الحي. وحرّم: جعل من المحرّمات. والحق: العدل الموجب للقتل. ولا يزنُون: لا يستحلون الفروج بدون نكاح مشروع. ويفعل: يقترف ويرتكب. وذلك أي: ما ذُكر من المحرّمات. ويلقى: ويصادف وينال. والأثام: عقوبة الجريمة. ٦٨ يضاعف: يكرّر ويغلّظ. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. ويخلد: يستقرّ مدة طويلة، بحسب ما يستحق. وفيه: في العذاب. والمهان: المحتقَر. ٦٩ إلّا من تاب: لكن من اعترف بذنبه وندم على فعله وتعهد بتركه وأصلح ما أفسد وطلب العفو. وآمن: صدّق الله ورسوله. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. والصالح: ما يرضاه الله. ويبدل سيئاتهم حسنات: يمحو السيئات ويثبت مكانها أعمالًا صالحات. وكان أي: وما يزال من دون قيد زماني. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والتجاوزِ عنها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان على المؤمنين. ٧٠ تاب أي: صلَح مِن غير مَن ورد ذكرهم في الآيات ٦٨ـ٧٠. ويتوب: يرجع. وإلى الله: إلى طاعته. ٧١ لا يشهدون: لا يقيمون شهادة الاعتراف

وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ
ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ
أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ
مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ
مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ
لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا
لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا
صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي
لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ ٱلشُّعَرَاءِ

والإقرار. والزور: الكذب. ومرّوا باللغو: صادفوا أهل قبيح الكلام والفعل. وكرامًا: جمع كريم، أي: مكرِمين أنفسَهم عن الخوض أو المتابعة. ٧٢ إذا ذُكِّروا: كلّما وُعظوا. والآيات: النصوص القرآنية ودلائل التوحيد. ولم يخرّوا عليها: لم يقعوا ويسقطوا بسببها. والصم: جمع أصم، من لا يسمع. والعميان: جمع أعمى، من لا يبصر. ٧٣ ربنا: يا ربنا. وحذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وهب لنا: ارزقنا. والأزواج: جمع زوج، المرأة لزوجها والرجل لامرأته. والذرية: النسل من بنين وبنات. والقُرّة: ما يكون سببًا للبرودة والطمأنينة. والأعين: جمع عين، عضو الإبصار. واجعلنا: صيّرنا. والمتقين: الذين يتجنبون غضب الله ويطلبون رضاه. والإمام: القدوة. ٧٤ أولئك أي: المتصفون بها جاء مع الموصولات الثمانية: الذين. ويجزون: يكافؤون. والغرفة: أشرف أماكن الجنة. وبما صبروا: بسبب تحملهم الشدائد. ويلقّون: يُعطَون. وفيها: في الغرفة. والتحية: الدعاء بالبقاء الطيب الدائم. والسلام: الدعاء بالسلامة من كل سوء. ٧٥ الخالدون: المقيمون أبدًا. وحسنت: بلغت الغاية في الخير والنعيم والبركة. والمستقر: موضع الاستقرار. والمُقام: مكان الإقامة. ٧٦ قل أي: للمشركين، أيها النبي. وما يعبأ: ما يكترث. ولولا أي: لولا حصول. والدعاء: التضرع. وكذّبتم: أنكرتم صدق الرسول والقرآن. ويكون لزامًا أي: يصبح العذاب ملازمًا لكم. ٧٧

المعنى العام: ومن صفات عباد الرحمن ذكورًا وإناثًا توحيدُهم في العبادة، وحماية النفس من القتل إلّا بالحق، والتعفف عن الزنى. ومن يخالف تلك الصفات الكريمة باقتراف الذنوب المذكورة يستحق خلودًا وهوانًا في عذاب مضاعف. لكن إذا تاب بالعودة إلى الله والعمل الصالح في الدنيا تصبح له حسنات مكان سيئاته الماضية بالرحمة والمغفرة، وكذلك من كان له معاص تاب عنها وأصلح عمله. ومن صفات عباد الرحمن أيضًا عدمُ شهادة الزور، والترفعُ عن قبيح الكلام والفعل، واستماعُ القرآن بوعي وتنبه للتوجه إلى ما يستلزمه التدبر، والدعاءُ أن يكونوا أئمة للخير وتكون ذريّتهم بصلاحها مصدر السرور والفرح.

فلهم مكافأة صبرهم بالخلود في أعلى مراتب الجنة، مع التحية والسلام وطيب المستقر والمُقام. أما الكافرون فقل لهم ـ أيها النبي ـ بأنه لولا دعاؤهم لَمَا بالى بهم الله، أي: أن الله لم ينتقم منهم عاجلًا بما يستحقون، ودفع عنهم كثيرًا من الشدائد والعذاب، بسبب دعائهم إياه. ولكن لا بد أن ينزل فيما بعدُ بهم ذلك العقاب بسبب كفرهم ويكون ملازمًا إياهم.

٢٦ ـ سورة الشعراء

تفسير المفردات: طسٓمٓ: أحرف مقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ١ تلك أي: هذه الآيات معظَّمةً. والآيات: النصوص القرآنية. والكتاب: القرآن. والمبين: المظهر للحق من الباطل. ٢ لعلك: يُشفَق عليك وتُنهى. والباخع: المهلِك بالغمّ. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. وألّا يكونوا: بسبب عدم كون أهل مكة. والمؤمنون: الذين يصدّقون الله ورسوله. ٣ نشاء: نريد تأييدك بمعجزات. وننزّل: نسقط. والسماء: ما يحيط بالأرض من مخلوقات عُلوية. والآية: المعجزة. وظلت: تدوم وتستمر. والأعناق: جمع عنق، الرقبة. ولها أي: بسبب تلك الآية. والخاضع: المستجيب بذلة. ٤ ما يأتيهم: ما يُتلى عليهم. والذكر: ما يذكّر بالإيمان. ومن الرحمن: من عند الله الكثير العطف بالإحسان. والمحدث: المتجدّد نزولُه. وكانوا: صاروا. وعنه: عن الإيمان به. والمعرضون: المنصرفون استصغارًا. ٥ كذّبوا: أنكروا صحة القرآن. ويأتيهم: ينزل بهم. والأنباء: جمع نبأ. وهو الخبر العظيم أي: عاقبته وتأويله. ويستهزئون: يسخرون. ٦ ألم يروا أي: لقد نظروا بأعينهم. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وكم أنبتنا: كثيرًا ما أخرجنا. والزوج: النوع منه جنسان متقابلان. والكريم: الحسن. ٧ ذلك أي: الإنبات. والآية: الدلالة على قدرة الله. وما كان أي: ولن يكون. وأكثرهم: أكثر المشركين. ٨ الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعزيز: المغلّب لك بالقوة والانتقام من الكافرين. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ٩ إذ نادى: اذكر ـ أيها النبي ـ لقومك وقت تنبيه. وموسى: الرسول الذي أنزلت عليه التوراة. وأن ائت أي: بأن اذهب لتبليغ التوحيد. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: المجاوزون للحد بالكفر والعدوان. ١٠ قوم فرعون هم العرب الأقباط. وألا يتقون أي: يجب عليهم أن يتجنبوا غضب الله ويوحدوه. ١١ قال أي: موسى. ورب أي: يا ربي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه وأخاف: أخشى. ويكذبونِ: يكذبوني أي: ينكروا رسالتي. وحذفت الياء للتخفيف. ١٢ يضيق صدري: يعجز قلبي عن الاحتمال. ولا ينطلق: يحتبس ويتلجلج فلا يفصح عن المقصود. واللسان: آلة النطق. وأرسل إلى هارون: ابعث إلى أخي من يبلّغه أنه رسول. ١٣ لهم: لفرعون وقومه. وذنب: عقوبة جناية. ويقتلونِ: يقتلوني أي: يزهقوا روحي عقوبة. ١٤ قال أي: الله. كلّا أي: لا يقتلونك. واذهبا: انطلق أنت وهارون. وبآياتنا: مع معجزاتنا الدالة على صدق الرسالة. ومعكم أي: بالعون والرعاية. ومستمعون أي: شاهدون بحضورنا. ١٥ ائتيا فرعون: احضُرا مجلس ملك مصر. وقولا أي: لفرعون. وإنّا رسول: إن كلًّا منّا مرسل بالتوحيد وتحرير بني إسرائيل. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ١٦ وأن أرسل: بأن اسمح بالذهاب إلى فلسطين. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب المشردون. ١٧ قال أي: فرعون. وألم نربك أي: لقد أشرفنا عليك بالرعاية والعطف. وفينا: في منازلنا. والوليد: الطفل الصغير. ولبثت: أقمت واطمأننت. وفينا: بيننا. والعمر: مدة الحياة. والسنون: السنوات. ١٨ فعلتَ فعلتك: جنيتَ جنايتك بقتل القبطي. والكافرون: الجاحدون لنعمة التربية وعدم الاستعباد. ١٩

نصف الحزب ٣٧

الجزء التاسع عشر — سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓمٓ ﴿١﴾ تلك ءايت الكتب المبين ﴿٢﴾ لعلك بخع نفسك
ألا يكونوا مؤمنين ﴿٣﴾ إن نشأ ننزل عليهم من السماء ءاية فظلت
أعنقهم لها خضعين ﴿٤﴾ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
إلا كانوا عنه معرضين ﴿٥﴾ فقد كذبوا فسيأتيهم أنبؤا ما كانوا
به يستهزءون ﴿٦﴾ أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج
كريم ﴿٧﴾ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿٨﴾ وإن
ربك لهو العزيز الرحيم ﴿٩﴾ وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم
الظلمين ﴿١٠﴾ قوم فرعون ألا يتقون ﴿١١﴾ قال رب إني أخاف
أن يكذبون ﴿١٢﴾ ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل
إلى هرون ﴿١٣﴾ ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون ﴿١٤﴾ قال
كلا فاذهبا بـٔايتنا إنا معكم مستمعون ﴿١٥﴾ فأتيا فرعون
فقولا إنا رسول رب العلمين ﴿١٦﴾ أن أرسل معنا بني إسرءيل
﴿١٧﴾ قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ﴿١٨﴾
وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكفرين ﴿١٩﴾

المعنى العام: أن هذه الآيات المعظمة هي من كتاب الله الفارق بين الحق والباطل. فأشفِقْ على نفسك ـ أيها النبي ـ ولا تحمّلها ما لا تطيق من الحزن لكفر أهل مكة. ولو أراد الله إعجازهم لأنزل آية واحدة تجبرهم على الخضوع والاستسلام، وهم الآن يكذبون كل برهان، وسوف يرون تحقيق ما يهزؤون به من الوعيد. وهذه الأدلة على التوحيد يرونها في الأرض من نبات كريم، ولكن أكثرهم لا يتفكرون ليؤمنوا، والله منتقم منهم ورحيم بالمؤمنين. فاذكر لهم للوعظ ما كان من موسى، حين أمره الله بدعوة فرعون والأقباط، وخشي موسى أن يعجز عن البيان لما في لسانه من أثر حرقة بالنار في صِغره، وأن يقتلوه بجنايته على القبطي، فأيّده الله بأخيه هارون، وطمأنه بالرعاية والسلامة، وذهبا إلى قصر فرعون يدعوانه ويطلبان السماح بسفر بني إسرائيل من مصر، فذكّر فرعون موسى بتربيته ونشأته في قصور المُلك، وقتله القبطي وكفرانه لنعم التربية والعفو...

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

تفسير المفردات: قال أي: موسى لفرعون. وفعلتها إذًا: جئتها يومئذ. والضالون: الجاهلون لهداية الله. ٢٠ فررت: هربت. ولما خفتكم: حين خشيت انتقامكم. ووهب لي: أعطاني. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والحُكم: العلم. وجعلني: صيّرني. والمرسلون: المكلفون بالدعوة مع العمل. ٢١ تلك أي: استعباد بني إسرائيل وعدم استعبادي، كما سيذُكر بعد. والنعمة: ما يكون من الإحسان. وتمنها: تذكرها بالفخر. وعبّدت: استعبدت. ٢٢ قال أي: فرعون لموسى. وما رب العالمين: أيُّ شيء رب المخلوقات؟ ٢٣ قال أي: موسى لمن حوله. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا وما بينهما أي: من الخلائق. والموقنون: الذين يستطيعون الاعتقاد الحق. ٢٤ قال أي: فرعون. ومَن حوله أي: الزبانية المترفون والكهنة. وألا تستمعون: هل أصغيتم إلى كلامه؟ ٢٥ قال أي: موسى لهم. والآباء: جمع أب. والأولون: الأقدمون. ٢٦ قال أي: فرعون لمن حوله. ورسولكم: من يزعم أنه مرسل إليكم. وأرسل: كلّف بالتبليغ. ومجنون: لا يعقل السؤال فيجيب عن غيره. ٢٧ قال أي: موسى لهم. والمشرق: مكان الشروق. والمغرب: مكان الغروب. وما بينهما أي: الكون والمخلوقات. وتعقلون: تدركون الحقائق. ٢٨ قال أي: فرعون ولئن: أُقْسِمُ إن. لموسى. واتخذت: جعلت. والإلّه: المعبود المطاع. وأجعلك: أصيّرك. والمسجونون: المحبوسون في شديد العذاب. ٢٩ قال أي: موسى له. وأوَلو جئتك بشيء أي: أتسجنني وإن أريتك برهانًا؟ والمبين: البين الدلالة. ٣٠ قال أي: فرعون له. وائت به: أحضره. والصادقون: من يقولون الحق. ٣١ ألقى عصاه: رمى موسى ما يتوكأ عليه حين المشي. وإذا هي ثعبان أي: فاجأ إلقاءها كونُها حية عظيمة. والمبين: الظاهر حقيقة. ٣٢ نزع يده: أخرج كفه بعد أن وضعها تحت إبطه. وإذا هي بيضاء أي: فاجأ خروجَها كونُها مبيضة ذات شعاع. والناظرون: من يبصرون. ٣٣ قال أي: فرعون. والملأ: السادة والأشراف المترفون. وهذا أي: موسى. والساحر: من يخيِّل للحواس والعقول بالتمويه ما هو غير حقيقي. والعليم: المتمكن من السحر. ٣٤ يريد: يقصد. ويخرجكم: يبعدكم ـ أيها السادة ـ ليكون له السيادة. وأرضكم: وطنكم. وبسحرة: بوساطة أباطيله المموّهة. وماذا تأمرون: أيّ شيء تطلبون في شأنه؟ ٣٥ قالوا أي: المخاطَبون. وأرجِه: أجّل أمره. وأخوه: هارون. وابعث: أرسل. والمدائن: جمع مدينة، البلد العامر. والحاشرون: الجامعون للسَّحَرة. ٣٦ يأتوك: يُحضروا لطاعتك. والسحّار: العظيم السِّحر. ٣٧ جُمع: جعل في مكان واحد. والسَّحَرة: جمع ساحر. ولميقات يوم: في وقت محدد من يوم. والمعلوم: المعيَّن بين موسى وفرعون. ٣٨ قيل للناس: أُمر أهل مصر. وهل أنتم مجتمعون أي: اجتمعوا. ٣٩

المعنى العام: متابعة الحوار بين موسى وفرعون، فيعتذر موسى أنه قتل القبطي بجهل وهرب خوف العقوبة فكلفه الله بالرسالة، وأن إطلاقَ سراحه مع استعباد قومه ليس مما يُمنّ به عليه. فسأله فرعونُ عن حقيقة الله وأجابه بأنه خالق الكون، فنبّه فرعون من معه إلى إخلال موسى بالجواب، لأن السؤال كان عن الحقيقة، وجوابه هو ذكر الصفة لا الحقيقة. فتابع موسى أن الله هو خالق البشر ومالكهم، واتهمه فرعون بالجنون وهدده بالسجن، فأنكر عليه موسى ذلك لأن معه البرهان على صدق الرسالة، وطلب فرعون منه ذلك، فرمى عصاه على الأرض لتكون حية عظيمة تتوثب بسرعة، وأدخل كفه السمراء تحت إبطه وأخرجها لتصير بيضاء مشعة، فاتهمه فرعون بأنه ساحر عظيم، يريد السيادة وتشريد أهل مصر ليتحكم فيها، وسأل مَن حوله رأيهم فيه، فطلبوا تأجيلَ الحكم عليه وعلى هارون، وجمْعَ السحرة ليغلبوه بما عندهم، ثم أُحضر هؤلاء في يوم عيد، وقد أُمر الناس بالاحتشاد لمشاهدة ما يكون.

تفسير المفردات: لعلنا: نترجّى. ونتبع السحرة: نستمرعلى موافقتهم في تأليه فرعون. وكانوا: صاروا. والغالبون: القاهرون لموسى والمستعلون بما يصنعونه من سحر. ٤٠ لما: عندما. وجاء السحرة: حضروا للمغالبة. إن لنا لأجرًا: أيكون لنا مكافأة؟ والغالبون: المتغلبون على موسى. ٤١ نعم أي: لكم مكافأة. وإذًا: حينئذ. والمقربون: المفضَّلون في حسن المعاملة. ٤٢ لهم: للسحرة. وألقوا ما أنتم ملقون: ارموا ما تريدون رميه من السّحر. ٤٣ الحبال: جمع حبل، ما يُربط به ويحزم. والعصي: جمع عصا، قناة من الخشب. وقالوا أي: مقسمين. والعزة: العظمة. ٤٤ ألقى موسى عصاه: رماها على الأرض. وإذا هي تلقف ما يأفكون: فاجأ إلقاءها ابتلاعُها ما خيّلوا للناس من السحر. ٤٥ أُلقي السحرة ساجدين: طُرحوا فجأة على وجوههم وأيديهم. ٤٦ آمنّا: عرفت قلوبنا التوحيد. والرب: الخالق المالك المتفرد. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٤٧ موسى وهارون: النبيان اللذان معهم. ٤٨ قال أي: فرعون للسَّحَرة. آمنتم له: صدّقتم موسى. وآذن: أسمح. وإنه أي: موسى. وكبيركم: أعظمكم في السِّحر. وعلّمكم: منحكم بعض الخِبرة وغلبكم. وتعلمون: تدركون يقينًا. وأقطع: آمر بالتقطيع. والأيدي: جمع يد. والأرجل: جمع رِجل. والخلاف: مخالفة جهة اليد لجهة الرِّجل. وأصلّبكم: أشدّ أصلابكم على الشجر بالمسامير والحبال. وأجمعين أي: كلكم مجتمعين. ٤٩ قالوا أي: السحرة لفرعون. ولا ضير: لا ضرر علينا في هذا. وإلى ربنا: إلى لقائه وثوابه. والمنقلبون: الراجعون يوم القيامة. ٥٠ نطمع: نرجو. ويغفر: يستر ويمحو. والخطايا: جمع خطيئة،الذنب المتعمَّد. وأن كنا: بأن صرنا. والمؤمنون: الذين يصدّقون الله ورسوله. ٥١ أوحينا: بلّغنا على لسان جبريل. وأسرِ: سرْ ليلًا. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. ومتبعون: ملاحقون من قِبل فرعون وجنوده. ٥٢ أرسل: بعث. والمدائن: جمع مدينة، البلدة العامرة. والحاشرون: الجامعون للجيش. ٥٣ هؤلاء أي: موسى وهارون وقومهما. والشرذمة: الطائفة. والقليلون أي: في العدد والعُدّة. ٥٤ الغائظون: المُغضِبون. ٥٥ والجميع: الجماعة المؤتلفة. والحذرون: المتيقظون لِما يفعل قوم موسى. ٥٦ أخرجناهم: حملنا فرعون وجنوده على الخروج من ديارهم. والجنة: البستان العظيم. والعيون: جمع عين، الماء الجاري. ٥٧ الكنوز: جمع كنز، المال المكدّس من النقد والمجوهرات والمعادن الثمينة. والمَقام: المجلس. والكريم: المكرّم بالمفاخر. ٥٨ كذلك أي: إخراجهم كما ذُكر. وأورثناها بني إسرائيل: جعلنا النعم ملكًا لهم. ٥٩ أتبعوهم: لحق فرعون وجنوده موسى وقومه. والمُشرِقون: من كانوا في وقت الشروق. ٦٠

الحزب ٣٧

الجزء التاسع عشر — سورة الشعراء

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

المعنى العام: أن الجامعين للناس كانوا يبشرونهم بتغلب السحرة واستمرار تأله فرعون، فطلب السحرة منه المكافأة فوعدهم بها مع التكريم. ثم اجتمع موسى وإياهم في الحفل، وأمرهم البدء بما يريدون فعله، فألقوا من العصي والحبال ما سحر أعين الناس بأفاع تتواثب، وألقى موسى عصاه فا بتلعت ما خيّلوه للناس، وسجد السحرة معلنين التوحيد، وأنكر فرعون ذلك واتهمهم بالتواطؤ على تغلب معلمهم موسى لأنه رئيسهم في السحر، وهددهم بتقطيع أطرافهم مخالفًا بعضها جهات البعض وبالتصليب، فأجابوا باستسلامهم لله وطلب مغفرته لأنهم أول المسلمين في زمانهم.ثم أمر الله موسى بالرحيل مع قومه ليلًا نحو بحرالقُلزُم أي: الأحمر، وأعلمه باتّباع فرعون لهم، فجمع فرعون جنوده ليقضي على موسى وقومه، مدعيًا عجزهم وقوة جيشه، وخرجوا صباحًا من القصور والجنان والكنوز يلاحقونهم ، لتكون أمثالها في الدنيا بعدُ للملاحَقين، إذ لم يُعرف في التاريخ أنهم رجعوا إلى مصر. وزعمَ بعض القصاصين أن الكنوز مدفونة في جبل المقطم، فأصبح بعض المصريين مفتونين بالبحث عنها، بالحفر والجهد والمال ومتابعة الطلاسم والشعبذة.

تفسير المفردات: تراءى الجمعان: رأى كل منهما الآخر. والجمع: الفئة المجتمعة. والأصحاب: جمع صاحب. وهم المرافقون. ومدركون أي: سيصل إلينا جيش فرعون وينال ما يريد. ٦١ قال أي: موسى لهم. وكلّا: لا لن يدركونا. ومعي ربي أي: يصحبني بعونه ونصره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويهدين: يهديني أي: يرشدني إلى النجاة من فرعون وقومه. وحذفت الياء للتخفيف وموافقة الفواصل. ٦٢ أوحينا: أخبرنا على لسان جبريل. واضرب: اصدُم واقرع. والبحر: ماء بحر القُلزم، أي: الأحمر. والعصا: ما يُتوكأ عليه من قضيب. وانفلق: تشقق بارتفاع قطع من الأرض بين المياه. وكان: صار. والفرق: الطريق نفسه. والطود: الجبل. والعظيم: الضخم. ٦٣ أزلفنا ثَمّ: قرّبنا إلى تلك الطرق. والآخرون: فرعون وجنوده. ٦٤ أنجينا: أنقذنا. وأجمعين: كلهم جميعًا. ٦٥ أغرقنا الآخرين: أهلكناهم خنقًا بالماء. ٦٦ ذلك أي: نجاة قوم موسى وغرق فرعون وجنوده. والآية: العظة تنبّه من يفكر. وأكثرهم: الغالبية العظمى من قوم فرعون. وهم الأقباط العرب. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله وموسى. ٦٧ العزيز: الغلّاب يَذلّ لعزته من عداه. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان على المؤمنين. ٦٨ اتل عليهم: اقصص على كفار قريش، أيها النبي. والنبأ: الخبر العظيم. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. ٦٩ إذ قال: حين خاطب بالقول جهارًا. وأبوه:

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب
بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم
مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ
نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ
نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ
تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ
وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ
﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

والده. وقومه: الجماعة من السُّومريِّين الحاميِّين، هو منها ويعيش بينها. وما تعبدون: أيَّ شيء تقدسون وتستعينون به؟ ٧٠ قالوا أي: لإبراهيم. والأصنام: جمع صنم، ما يُصنع من الحجارة أو غيرها للعبادة. ونظل: نبقى ونستمر. ولها: لأجلها. والعاكفون: المقيمون على التقديس. ٧١ قال أي: إبراهيم لهم. ويسمعونكم: يدركون ما تقولون لهم. وإذ تدعون: حين تنادونهم وتستعينون بهم. ٧٢ ينفعونكم: يوصلون الخير إليكم. ويضرون: يوصلون الشرّ. ٧٣ بل أي: لا يسمعون لكن. ووَجدنا: أبصرنا. والآباء: جمع أب. وهو الوالد والجدّ. وكذلك يفعلون أي: يعملون مثل عملنا هذا. ٧٣ أرأيتم ما كنتم تعبدون أي: هل أبصرتم وتفكرتم فعرفتم أنكم على ضلال؟ وكنتم أي: وما زلتم. ٧٤ الأقدمون: القدماء. ٧٥ إنهم عدو لي: إنّ الأصنام معادية لي لا أعبدها. وإلّا رب العلمين: لكن أعبد خالق الكائنات ومالكها متفردًا. ٧٦ خلقني: أنشأني من العدم. ويهدين: يهديني أي: يرشدني إلى مصالح الدنيا والآخرة ويوفقني فيها. ٧٨ يطعمني ويسقين: ييسر لي الطعام والشراب. ٧٩ مرضت: أصابني مرض. ويشفينِ: ينقذني من المرض. ٨٠ ويميتني ويحيينِ أي: يقدّر لي ذلك من الموت والبعث ويخلقه. ٨١ أطمع: أرجو. ويغفر: يستر ويمحو. والخطيئة: المعصية والذنب. واليوم: الوقت. والدين: الجزاء. ٨٢ رب أي: يا ربي. وحذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وهب لي: أعطِني. والحكم: العلم. وألحقني بالصالحين: اجعلني مع العاملين للصالحات. ٨٣

المعنى العام: أن بني إسرائيل خافوا لحاق فرعون بهم فطمأنهم موسى برعاية الله والعون، وأمره الله فضرب البحر بعصاه فتفلّق عن مرتفعات بِعَدَد فرقهم، كل مرتفع كالجبل، انحسر عنه الماء بانخفاض ييسر ارتفاع المسالك المذكورة، وعبر عليها بنو إسرائيل، ثم تابعهم فرعون وقومه فانخفضت المرتفعات تحتهم وهلكوا غرقًا بماء البحر، ولم يكن بينهم الذين آمنوا منهم، كزوجة فرعون وبعض السَّحَرة الأقباط وفيهم السامري المنافق اللعين، وهيّأ الله للناجين من الغرق مُلكًا وسيادة بعد ذلة وهوان، ولكنهم لم يتعظوا فضلّوا وأضلوا الناس. وفي ذلك عبرة وفي قصة إبراهيم أيضًا، حين أنكر على قومه عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وجاهرهم بعداوتها وتوحيد لله الذي له التصرف المطلق بأمور الخلق في الهداية والرزق والشفاء والموت والبعث، ليحاسبهم يوم القيامة، ودعاه اللّٰه أن ييسر له العلم والهداية ويجمعه بالصالحين...

وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ
أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ
إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ
قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

تفسير المفردات: اجعل: صيّر. واللسان: ما يقال من الكلام. والصدق: الثناء الحسن. والآخِرون: الأمم الآتية بعد. ٨٤ الورثة: جمع وارث، الذي يملك الشيء كأنه له. والجنة: الحديقة العظيمة فيها القصور والنخيل والأعناب. والنعيم: الحالة الحسنة. ٨٥ اغفر: استر الذنب ولا تؤاخذ عليه. والأب: الوالد. والضالون: الكافرون. ٨٦ لا تخزني: لا تفضحني وتذلّني. واليوم: الوقت. ويبعثون: يخرج الناس أحياء من القبور للحساب. ٨٧ لا ينفع: لا يوصل خيرًا. والمال: ما يملك من النقد والزينة والمتاع. والبنون: جمع ابن، الذكور والإناث من الأولاد والحفدة. ٨٨ أتى: جاء للحساب. والقلب: موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والسليم: المعافى من الكفر والفساد. ٨٩ أُزلفت: أُظهرت وهي قريبة. والمتقون: الذين يتجنبون غضب الله وعقابه ويلزمون الطاعة وطلب الرضا. ٩٠ برّزت: أُظهرت بجلاء. والجحيم: نار جهنم المتأججة. والغاوون: الكافرون. ٩١ وقيل لهم أي: خاطبتهم ملائكة العذاب. وتعبدون: تقدسونه وتستعينون به. ٩٢ دون الله: غيره. وهل ينصرونكم أي: لا يعينونكم ولا يساعدونكم. وينتصرون: يحمون أنفسهم. ٩٣ كبكبوا: أُلقوا. وفيها: في الجحيم. وهم أي: المعبودون من البشر برضاهم. ٩٤ الجنود: الأعوان، جمع جُند. والجند: واحده جندي. وإبليس: أبو الشياطين من الجن. وأجمعون أي: كلهم مجتمعون. ٩٥ قالوا أي: الغاوون. ويختصمون: يجادلون أسيادهم المضلِّلين. ٩٦ تالله: نُقسم بالله ونعجب. وإنْ كنا: لقد كنّا. والضلال: الكفر والخروج عن الحق. والمبين: الواضح البيان. ٩٧ إذ نسويكم برب العلمين: حين جعلناكم آلهة مثل الخالق للكون.والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. ٩٨ ما أضلنا: ما سبب لنا الكفر. والمجرمون: الذين يقترفون الكفر والجرائم والمعاصي. ٩٩ ما لنا: ليس لنا. والشافعون: الذين يطلبون دفع الأذى وجلب الخير. ١٠٠ الصديق: الصادق المودّة. والحميم: من يهتم بصديقه. ١٠١ لو: نتمنى. والكرة: العودة إلى الدنيا. ونكون: نصير. والمؤمنون: الذين يصدّقون الله ورسوله. ١٠٢ ذلك أي: ما ذكر عن إبراهيم والقيامة. والآية: العِبرة والعظة. وأكثرهم: الأغلبية العظمى من الناس. ١٠٣ العزيز: الغلّاب للخلق. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان إلى المؤمنين.١٠٤ كذّبت: أنكرت وجحدت. والقوم: الجماعة من الناس. ونوح: نبي كان قومه يعبدون الأصنام. والمرسَلون: من بعثهم الله لتبليغ الدعوة مع العمل. ١٠٥ إذ أي: حين. وأخوهم أي: هو من القوم المذكورين. وألا تتقون: تجنّبوا غضب الله وأطيعوه. ١٠٦ الرسول: من كلفه الله الدعوة إلى التوحيد مع العمل.والأمين: المؤتمن على التبليغ. ١٠٧ أطيعونِ: أطيعوني، أي: استجيبوا لِما أقول.وحذفت الياء للتخفيف وموافقة فواصل الآيات. ١٠٨ ما أسألكم عليه: لا أطلب منكم على التبليغ. والأجر: المكافأة. وإن أجري: ما ثوابي. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ١٠٩ اتقوا الله وأطيعون: انظر ما مضى. ١١٠ قالوا أي: القوم لنوح. وأنؤمن لك: لن نصدقك. واتبعك: قد أطاعك. والأرذلون: جمع أرذل، الأقل جاهًا ونسبًا ومالًا وتفكيرًا. ١١١

الحزب ٣٨

المعنى العام: متابعة دعاء إبراهيم أن يكون له ذكر حسن في الناس، ويخلد في الجنة عزيزًا مكرّمًا، ويغفر الله لأبيه كفره، يوم القيامة حين تُحضر الجنة وجهنم وتكون نجاةُ الصالحين في النعيم، وحشرُ الكافرين في الأهوال مع الشياطين، ثم توبيخُ المشركين بافتقاد آلهتهم التي كانوا يدّعون أنها تشفع لهم، وما يكون من مخاصمتِهم لمن عبدوا من البشر برضاهم، وحسرتِهم على تخلي الأصدقاء والشفعاء، وتمنيهم العودة إلى الدنيا لإصلاح ما أفسدوه قبل. فليتعظ بذلك من يبلغه. وقلَّ من اتعظ. وكذلك ما في قصة نوح حين وجّه قومه إلى التوحيد والتقوى متجردًا من المكاسب الدنيوية، فأجابوه بأنهم لن يؤمنوا بما يقول، ما دام يتبعه كل سفيه سريع الانقياد، لا يبالي ما يقول وما يقال له. فإيمانه لم يكن عن تدبر ونظر صحيح، لِما هو عليه من السذاجة والضعف، مع الطمع في الغنى والسيادة. فمحال أن يتساووا وإياهم.

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

تفسير المفردات: قال أي: نوح لقومه. والعلم: المعرفة اليقينية. وكانوا أي: ومازالوا. ويعملون: يكتسبونه من إيمان صادق وغيره. ١١٢ وإنْ حسابهم: ما محاسبتهم وجزاء ما في نفوسهم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ولو تشعرون: أتمنى أن تعلموا حقيقة ما تعيرونهم به. ١١٣ ما أنا: لستُ. والطارد: المُبعِد. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ١١٤ إن أنا: ما أنا. والنذير: المهدد بعذاب الكافرين. والمبين: البيّن الإنذار. ١١٥ لئن أي: نُقسِمُ إن.ولم تنته: لم تترك دعوتك وتشاركنا في عبادة الأصنام. وتكون: تصير. والمرجومون: المقذوفون بالحجارة حتى الموت. ١١٦ قال أي: نوح. ورب: ياربي. حُذف حرفُ النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وكذبون: كذبوني أي: أصرّوا على تكذيب ما جئت به من التوحيد. ١١٧ افتح: افصل بِعَدلِك. ونجني: أنقِذني. ومن معي أي: أصحابي. ١١٨ من معه أي: من المؤمنين. والفلك: السفينة العظيمة. والمشحون: المملوء بالناس والحيوانات والنبات والحاجات الضرورية. ١١٩ أغرقنا: أمتنا خنقًا بالماء وبعدُ أي: بعد النجاة للمؤمنين. والباقون: من بقي من قومه على الكفر. ١٢٠ ذلك أي: قصة نوح وقومه. والآية: العِبرة والعظة. وأكثرهم: الاغلبية العظمى من الناس. ١٢١ العزيز: الغلّاب للخلق. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ١٢٢ كذّبت: نسبت إلى الكذب. وعاد هو سام بن نوح جدّ العرب العاربة، أي: جماعة قبيلته. وكانت بلادها بين حضرموت وعُمان. والمرسلون: من بعثوا لتبليغ التوحيد والبعث مع العمل. ١٢٣ إذ أي: حين. وأخوهم أي: في النسب. وهود: نبي من ذرّيّة عاد. وألا تتقون أي: تجنّبوا غضب الله واطلبوا رضاه بالإيمان والطاعة. ١٢٤ الأمين: المؤتمن على التبليغ. ١٢٥ أطيعونِ: أطيعوني، أي: استجيبوا لِما أقول. ١٢٦ ما أسألكم عليه: لا أطلب منكم على التبليغ. والأجر: المكافأة. وإن أجري: ما ثوابي. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ١٢٧ تبنون: تُشيّدون وترفعون. والريع: المكان المرتفع. والآية: البناء العالي كالقصور والقلاع. وتعبثون: تلعبون وتتلهَون بالشر والشهوات والإيذاء. ١٢٨ تتخذون: تبنون وتعملون. والمصانع: جمع مصنع، مكان خزن الماء. ولعلكم: ليكون لكم الترجّي. وتخلدون: تعيشون أبدًا. ١٢٩ إذا بطشتم: كلّماأردتم تعذيب الناس. والجبارون: الظالمون القاهرون المتفردون بالترفع على الجميع. ١٣٠ أطيعونِ: أطيعوني: انظر ما مضى. ١٣١ أمدكم: أنعم عليكم. وما تعلمون أي: ما تعرفونه من أنواع النعم عندكم. ١٣٢ الأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. والبنون: جمع ابن، الأولاد من الذكور. ١٣٣والجنات: البساتين والحدائق. والعيون: جمع عين، النهر والينبوع. ١٣٤ أخاف: أتوقع وأخشى. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة. واليوم: الوقت. والعظيم: الفظيع لا مثيل له. ١٣٥ قالوا أي: قوم هود له. وسواء: مستويان لا فرق بينهما. ووعظت: نصحت مع تبيين عاقبة المخالفة. والواعظون: الناصحون. ١٣٦

المعنى العام: أن نوحًا أصر على تقريب الصالحين، لأنه منذر ناصح ولا علم له بأعمالهم السابقة ولا يُسأل عنها، وفوّض أمرهم لله، وهدده قومه بالرجم إن استمر فيما يقول، فدعا عليهم وكان جزاءهم الغرق ونجاة نوح بالسفينة مع المؤمنين. وفي هذا عظة واعتبار للناس وقل من يتعظ، وكذلك ما كان من أجيال عاد بن نوح، أقدم من عرفت لهم آثار حتى الآن، كذّبوا نبيهم هودًا، فكان ذلك تكذيبًا لجميع الأنبياء، لأن دعوتهم واحدة.

فقد نصحهم هود متجردًا من المكاسب، وأنكر عليهم الانصرافَ إلى الترف والعبث والمفاسد والبطش والجبروت، والاعتمادَ على الخلود في الدنيا بما يبنون من القصور، وذكّرهم بنعم الله عليهم، وخوّفهم ما يكون في الدنيا من العذاب المستأصِل، وما سيكون في الآخرة مما هو أعظم، فكان ردهم عليه أن كلامه وصمته سواء عندهم، وجعلوا دعوته وعظًا لا رسالة، إذ لم يؤمنوا بصحة ما جاء به. وفي ذلك استخفاف وتهكم.

تفسير المفردات: إنْ هذا: ما الذي نحن عليه من الكفر. والخلق: العادات الظاهرة من العيش والموت بدون بعث. والأولون: الأمم الماضية. ١٣٧ ما نحن: لسنا. والمعذبون: المعرّضون للعذاب. ١٣٨ كذبوه: أصرّوا على تكذيبه بما توعّدهم من التعذيب. وأهلكناهم: أفنيناهم واستأصلناهم. وذلك أي: قصة هود وقومه. والآية: العِبرة والعظة. وأكثرهم: الاغلبية العظمى من القوم. والمؤمنون: المصدقون للوحدانية والبعث. ١٣٩. الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعزيز: الغلّاب للخلق. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ١٤٠كذبت: نَسبت إلى الكذب. وثمود: من العرب بعد قوم هود منازلها بوادي القرى بين الشام والحجاز. والمرسلون: من بعثوا لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. ١٤١ إذ أي: حين. وقال لهم أي: خاطبهم بالقول. وأخوهم: مَن هو مِن قبيلتهم. وصالح: نبي عربي. وألا تتقونَ أي: تجنبوا غضب الله واطلبوا رضاه بالطاعة. ١٤٢ الرسول: المُرسَل. والأمين: المؤتمن على التبليغ. ١٤٣ أطيعونِ: أطيعوني، أي: استجيبوا لما أقول. حذفت الياء للتخفيف. ١٤٤ ما أسألكم عليه: لا أطلب منكم على التبليغ. والأجر: المكافأة. وإن أجري: ما ثوابي. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ١٤٥ أتُتركون: لن تُهملوا دون عقاب. وههنا: هذا المكان. والآمنون: المطمئنون. ١٤٦ الجنات: البساتين والحدائق. والعيون: جمع عين، النهر واليَنبوع. ١٤٧ الزروع: جمع زرع، ما يزرع من النبات. والنخل: واحدته نخلة ثمرها التمر. والطلع: أول ما يظهر من الثمر. والهضيم: اليانع النضيج. ١٤٨ تنحتون: تحفرون. والجبال: جمع جبل، ما علا من الأرض وصلب. والبيوت: جمع بيت، مكان الإقامة. والفارهون: المتقنون لِما يعملون. ١٤٩ اطيعونِ: أطيعوني أي: اعملوا ما أقول لكم. ١٥٠ لاتطيعوا أي: خالفوا واستجيبوا لطاعة الله. والأمر: ما يوجَب عليهم بالإغراء والتهديد. والمسرفون: المنهمكون في الكفر. ١٥١ يفسدون: يصنعون الفساد وينشرونه. والأرض: المكان يعيشون فيه. ولا يُصلحون: لا يعملون ما يرضاه الله. ١٥٢ قالوا أي: أجاب القوم رسولهم صالحًا. والمسحَّرون: الذين سُحروا مرارًا وفسَدت عقولهم. ١٥٣ ما أنت: لستَ. والبشر: الإنسان. ومِثلنا: مُماثل لنا في الحياة. وائت بآية: اصنع المعجزة الدالة على صحة دعواك ترغمنا على الخضوع. والصادقون: من يقولون الحق. ١٥٤ قال أي: صالح لقومه. الناقة: الأنثى من الإبل. ولها شِرب أي: ما يُشرب في يوم خاص بها لا تزاحمونها فيه. ولكم شرب أي: ما يُشرب في يوم خاص بكم. والمعلوم: المحدد لا تزاحمكم فيه أيضًا. ١٥٥ لا تمسوها بسوء: لاتسببوا لها ضررًا. ويأخذكم: يهلككم جميعًا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والعظيم: الشديد لا مثيل له. ١٥٦ عقروها: ضرب بعضهم ساقها بالسيف لتقع إلى الأرض فتذبح. وأصبحوا: صاروا. ونادمين: آسفين كارهين ما جرى خوف العذاب. ١٥٧ أخذهم: عاقبهم وأهلكهم. وذلك أي: قصة صالح وقومه. والآية: العِبرة والعظة. وأكثرهم: الأغلبية العظمى من القوم. والمؤمنون: المصدقون للواحدانية والبعث. ١٥٨. الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ١٥٩

إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا
نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

المعنى العام: زعم قوم هود أن الأقدمين كانوا مثلهم ولن يبعثوا ولن يعذبوا، فأهلكهم الله عقوبة وانتقامًا، وكان في ذلك عبرة للناس ولكنهم قلما يعتبرون ببطش الله ورحمته. وكذلك ثمود كذبوا النبي صالحًا، مع إخلاصه لهم وتجرده عن المكاسب، وتذكيرهم بما هم عليه من النعم والجبروت، وتوجيههم إلى عصيان المفسدين وطاعة الله، فاتهموه بالجنون لأنه إنسان مثلهم، فكيف يكون رسولًا؟ وطالبوه بمعجزة، فاختار لهم ناقة بوحي الله، يكون لها أن تشرب في يوم، وهم يشربون في آخر، دون تعرض لها بإيذاء. وقد لزموا ذلك مدة، ثم ضاقوا بما يتطلبه الإيمان، من توحيد وصلاح وأحكام، فحرّض بعضهم بعضًا وذبح الناقة قُدار بن سالف، أحد الجزارين الأشقياء بمساعدتهم، ثم ندموا خوف العقاب فنزل بهم، والله غالب على أمره، وكان في ذلك عبرة للناس أيضًا ولكنهم قلما يعتبرون ببطش الله ورحمته.

تفسير المفردات: كذّبت: نسبتْ إلى الكذب. والقوم: الجماعة التي يقيم بينها لوط. وهو حاميّ سُومريّ ابن أخي إبراهيم، جاء من العراق إلى مدينة سَدوم قرب حمص بالشام للدعوة. والمرسلون: من بعثهم الله لتبليغ الدعوة مع العمل. ١٦٠ إذ أي: حين. و أخوهم: مجاورهم في البلد وصهرهم. وألا تتقون: تجنبوا غضب الله واطلبوا رضاه بالطاعة. ١٦١ الرسول: المرسَل. والأمين: المؤتمن على التبليغ. ١٦٢ أطيعونِ: أطيعوني، أي: استجيبوا لما أقول. حذفت الياء للتخفيف وموافقة الفواصل ١٦٣ ما أسألكم عليه: لا أطلب منكم على التبليغ. والأجر: المكافأة. وإن أجري: ما ثوابي. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ١٦٤ تأتون الذكران: تزنُون بأدبار الرجال. والذكران: جمع ذَكَر. ١٦٥ تذرون: تهملون. وخلق: أوجد. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح عبيده. والأزواج: جمع زوج، أي: الزوجة. والعادون: المتجاوزون الحلال إلى الحرام. ١٦٦ قالوا أي: القوم للوط. ولئن أي: نُقسِم إن. و لم تنته: لم تترك ما تقوله. وتكون: تصير. والمخرجون: المطرودون المبعدون عن البلد. ١٦٧ قال أي: لوط لهم. وعملكم: ما تقومون به من قول أو فعل. والقالون: المبغضون المحاربون. ١٦٨ ورب: ياربي. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. ونجني: أنقذني. والأهل: الزوجة المؤمنه وابنتاه والمؤمنون. ويعملون: يكتسبون القوم من نية أو قول أو فعل. ١٦٩ نجيناه: أنقذناه. وأجمعين أي: كلهم مجتمعين. ١٧٠ العجوز: التي بلغت سنّ العجز. والغابرون: الباقون في العذاب. ١٧١ دمرنا: أتلفنا ومحقنا. والآخرون: المغايرون للذين نجَوا. ١٧٢ أمطرنا: أسقطنا. والمطر: ما سقط من الحجارة. وساء: بلغ الغاية في السوء والضرر. والمنذَرون: المهدَّدون بالانتقام لعصيانهم. ١٧٣ ذلك: قصة قوم لوط. والآية: العِبرة والعظة. وأكثرهم: الأغلبية العُظمى من القوم. والمؤمنون: المصدقون للواحدانية والبعث. ١٧٤ الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعزيز: الغلّاب للخلق. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ١٧٥ الأصحاب: جمع صاحب. والأيكة: المكان شجره كثير ملتف بعضه على بعض. ١٧٦ شُعيب: نبي عربي من ذرية مَدْينِ بن إبراهيم. ١٧٧ ولتفسير الآيات ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ انظر تفسير الآيات ١٦١ ـ ١٦٤. أوفوا: أتمّوا إذا كِلتم لغيركم. والكيل: التقدير بالمِكيال. والمخسرون: الذين ينقصون ما يبيعون. ١٨١ زنوا: أدّوا حقوق غيركم في البيع. والقسطاس: االميزان. والمستقيم: العادل. ١٨٢ لا تبخسوا: لا تُنقصوا. والناس: البشر. والأشياء: جمع شيء، ما وُجد وما يحتمل وجوده من المال والمتاع والزينة والقول والفعل. ولا تعثوا: لا تفسدوا. والأرض أي: البلاد. والمفسدون: الذين يرتكبون الشر بقصد وعزم وينشرونه بين الناس. ١٨٣

الجزء التاسع عشر — سورة الشعراء

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾
أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ
مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ
لْـَٔيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

ربع الحزب ٣٨

المعنى العام: أن النبي لوطًا دعا أهل سدوم وما حولها من المدن إلى الإيمان وتقوى الله بالطاعة والصلاح، وتزوُّجِ النساء وترك اللِّواطة وما يلازم ذلك من الكفر والفساد والفواحش، وصارحهم بأنه مرسل إليهم ومخلص لهم في نصحه، ليكون منهم الاستجابة الكريمة، وهو لا يريد منهم مكافأة على نصحه وإرشاده، لأن ثوابه على الله تعالى، وبيّن لهم أنهم في الزنى بأدبار الرجال يخرجون عن الحق إلى الباطل، فكذّبوه وهددوه بالنبذ والتشريد، إن بقي على دعوته، وأصر على مجابهتهم بكراهية أعمالهم، ودعا أن ينقذه الله من شرورهم وما يكون عقابًا لها، فنزلت الحجارة من السماء بهم مع امرأته العجوز التي كانت كافرة به تبلغهم أخباره، ونجا لوط مع زوجته الأُخرى المؤمنة وابنتيه والمؤمنين به. وفي ذلك عظة بهلاك الكافرين، وانتقام الله العزيز، ورحمته للمؤمنين بالنجاة والنصر على الأعداء، ولكن أكثر الناس لا يتعظون.

وقد كذّب أيضًا أهل مَدْيَن: البلدةِ على ساحل البحر الأحمر محاذية لتبوك، كذّبوا النبي العربي شُعيبًا حين دعاهم إلى الإيمان متجردًا من المكاسب، وأمرهم بوفاء الكيل وما يشبهه واحترام حقوق الناس، وترك الفساد والإفساد في البلاد...

وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ
مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ
ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ
مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ
عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾
فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ
فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ
هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ
إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

تفسير المفردات: اتقوا الذي خلقكم: تجنبوا غضب الله خالقكم من نطفة والزموا طاعته. والجِبلّة: الخلائق. والأولون: الماضون قبلكم من الأمم. ١٨٤ المسحَّرون: الذين سُحروا مرارًا وفسدت عقولهم. ١٨٥ ما أنت: لستَ. والبشر: الإنسان. ومثلنا أي: مماثل لنا في الحياة والتصرف. وإنْ نظنك: إنّنا نعتقدك. والكاذبون: من يدَّعون غير الحق. ١٨٦ أسقط: ادعُ الذي أرسلك أن يُسقط. والكِسَف: القِطَع، جمع كِسْفة. والسماء: العوالم العُلوية. والصادقون: من يقولون الحق. ١٨٧الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأعلم: أكثر إحاطة من الجميع. وتعملون: تكتسبونه وتتحملون عقابه. ١٨٨ وكذبوه: استمروا في تكذيبه. وأخذهم: عاقبهم وأهلكهم. والعذاب: التعذيب. واليوم: الوقت. والظُّلَّة: السحابة أمطرت عليهم نيرانًا واستأصلتهم. وإنه أي: العذاب. والعظيم: الفظيع لا مثيل له. ١٨٩ ذلك: ما جرى على قوم شُعيب. والآية: العِبرة والعظة. وأكثرهم: الأغلبية العظمى من القوم. والمؤمنون: المصدقون للواحدانية والبعث. ١٩٠ العزيز: الغلّاب للخلق. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ١٩١ إنه أي: القرآن الكريم. والتنزيل: الوحي المنزَّل. والعالَمون: مجموع الأجناس من الخلق. ١٩٢ نَزَل به: جاء معه مكلفًا بالتبليغ. والروح: جبريل. والأمين: المؤتمن على الوحي. ١٩٣ على قلبك أي: عليك ليحفظه قلبك، موضع الوعي والتثبيت والتمييز والاختيار. وتكون: تصير. والمنذِرون: المهدِّدون بعذاب الكافرين. ١٩٤. اللسان: الكلام. والعربي: المنسوب إلى العرب. والمبين: الفصيح الواضح. والرسل العرب: هود وصالح والشُّعَيبانِ وإسماعيل ومحمد، عليهم السلام.١٩٥ إنه أي: ذِكر القرآن. والزبر: جمع زَبُور. وهو الكتاب. والأولون: الأمم المتقدمة. ١٩٦ ألم يكن لهم أي: لقد كان لكفار مكة. والآية: العلامة والدلالة على صحة الوحي. ويعلمه: يدريه يقينًا. والعلماء: جمع عالم بحقائق الكتب المنزلة. وبنو إسرائيل: سلالة يعقوب من أولاده الحاميِّين السُّومريِّين. ١٩٧ نزّلناه: أوحيناه. وبعض الأعجمين: أحد من لا يحسن العربية. ١٩٨ قرأه عليهم: تلاه على العرب. والمؤمنون: المصدِّقون. ١٩٩ كذلك أي: مثلَ إدخالنا التكذيب له بقراءة الأعجمي. وسلكناه: أدخلنا التكذيب للقرآن. والقلوب: جمع قلب.والمجرمون: الكافرون. ٢٠٠ لا يؤمنون به: لا يصدّقونه. ويروا: يبصروا عِيانًا. والأليم: المؤلم جدًّا يضطرهم إلى الإيمان. ٢٠١ يأتيهم: ينزل بهم. وبغتة: مفاجِئًا. ولا يشعرون أي: يتلهَّون بما كان يصرفهم عن توقع العذاب. ٢٠٢ والمنظرون: المُمهَلون كي نؤمن.٢٠٣ أبعذابنا يستعجلون: لا يطلبْ مشركو مكة وقوع عذابنا سريعًا لأن له وقتًا محددًا. ٢٠٤ أرأيت: تفكرْ ـ أيها النبي ـ وأخبرني: أيَّ غَناء يغني عنهم تمتعُهم؟ ومتعناهم: منحناهم ما يتلذذون به. والسنون: عدة سنوات. ٢٠٥ جاءهم: حلّ بهم. ويوعدون: يهدَّدون به. ٢٠٦

المعنى العام: أن شعيبًا أمر القوم بتقوى الله الذي خلقهم وخلق البشر الماضين، فاتهموه بالجنون والكذب، لأنه إنسان مثلهم، فكيف يكون رسولًا؟ وتحدَّوه أن ينزّل عليهم ما هددهم به، فسقطت عليهم نيران من السحب أهلكتهم. وفي ذلك عظة بانتقام الله من الكافرين وإنقاذ المؤمنين، ولكن لم يستجب للإيمان إلّا القليل.

وكذلك شأن القرآن الكريم، نزل به جبريل عربيًّا بيّنًا ليُحفظ ويبلَّغ، ومضمونه ثابت في الكتب المنزلة قبله، وإيمان الحبر عبد الله بن سلام وبعض أصحابه أقرب دليل للمشركين. ولو أُرسل إليهم أعجميٌّ لما تقبلوا منه ذلك، والقضية واحدة في تقبلهم الدعوة بالإنكار، لن يؤمنوا حتى ينزل بهم العذاب الماحق وهم منهمكون في الضلال، فيطلبوا تأجيله ليصلحوا ما أفسدوا. وخير لهم ألّا يستعجلوا ذلك.

فتدبَّر حالهم ـ أيها النبي ـ ما الذي يكون لهم بعد تمتعهم بالشهوات؟ سيأتيهم ما كانوا يهدَّدون به من العذاب العظيم...

تفسير المفردات: ما أغنى عنهم: لم ينفعهم قط. وما كانوا يمتعون: ما استمتعوا به من السيادة والغنى والشهوات. **٢٠٧** ما أهلكنا: ما أفنينا بالعقوبة. ومن قرية: بلدةٍ أي: بمن فيها. والمنذرون: الأنبياء المهدِّدون بالانتقام ممن كفر. **٢٠٨** ذكرى أي: عظة وتذكيرًا لأهل القرية. وما كنا أي: ولا نزال دون قيد زمني. والظالم: من يتجاوز الحق والعدل. **٢٠٩** ما تنزلت به: ما حملت القرآن ولا بلّغته. والشياطين: جمع شيطان، الجنّيّ يغري بالشر والضلال. **٢١٠** ما ينبغي لهم: لا يصلح لهم أن ينزلوا به. وما يستطيعون: لا يقدرون على ذلك. **٢١١** السمع: الإنصات لِما يكون في السماء. والمعزولون: المحجوبون. **٢١٢** لا تدع: لا تعبد ولا تطع. والإلّه: المعبود. والآخر: المُغايِر لله. وتكون: تصير. والمعذبون: المستحقون للعذاب. **٢١٣** أنذر عشيرتك: هدّد بالعذاب أهلك الذين تستعين بهم. والأقربون: الأكثر قربًا كالأبناء والأعمام والعمات وأبنائهم. **٢١٤** واخفض جناحك: أَلِن جانبك بتواضع وتلطُّف. واتَّبعك: استجاب لك. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. **٢١٥**عصوك: خالفك أقرباؤك. وقل أي: لهم. والبريء: المتبرئ. وتعملون: تكتسبون من الشرك والعصيان. **٢١٦** توكّل أي: دم على توكّلكَ. والعزيز: الغلّاب يَذِلّ لعزته ما عداه. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة للمؤمنين. **٢١٧** يراك: يكون معك فيبصرك ويرعاك. وتقوم: تنهض إلى الصلاة وغيرها. **٢١٨** التقلب: التصرف والعمل. وفي الساجدين أي: في صلاتهم معك. **٢١٩** السميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة. **٢٢٠** أنبئكم: أُخبركم، أيها الكافرون. وتنزَّل: توسوس إيهامًا وتضليلًا. **٢٢١** الأفّاك: الكذّاب. والأثيم: الكثير الفجور. **٢٢٢** يلقون: يوسوسون. والسمع: ما سمعوه من الكهنة والمضلِّلين. وأكثرهم أي: أكثر الشياطين والكهنة. والكاذبون: من يقولون غير الواقع. **٢٢٣** الشعراء: جمع شاعر. وهو الذي ينظم الشعر ويتقنه. ويتَّبعه: ينقاد إليه بما في شعره. والغاوون: الضالّون. **٢٢٤** ألم ترَ أي: إنك تعلم. وأنهم أي: الشعراء. والوادي: توجّه الكلام. ويهيمون: يعتسفون الأباطيل على غير قصد للصدق. **٢٢٥** يقولون أي: في أشعارهم. وما لا يفعلون: الشيء الذي لم يكن منهم ولم يعملوه. **٢٢٦** آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا بقلوبهم وألسنتهم وفعلهم. والصالحات: ما رضيه الله. وذكروا الله: استحضروا عظمتَه في قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم. وكثيرًا أي: عددًا وافرًا من المرات. انتصروا: ردّوا العدوان. وظُلموا: اعتُدي عليهم. وسيعلم: لا بد أن يدرك عِيانًا. وظَلموا: تجاوزوا حد الحق. والمنقلب: الانتكاس والانقلاب. وينقلبون: ينتكسون في الآخرة. **٢٢٧**

الجزء التاسع عشر سورة الشعراء

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ
عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى
بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمْلِ

المعنى العام: أن المشركين المستعجلين للعذاب لن يدفعه عنهم الغنى والزعامة، وكل أُمّة كذّبت رسولها بإصرار أُهلكت بالعقاب، وفي ذلك عظة بأن الله لا يظلم أبدًا وحكمه العدل المطلق.

وعندما زعم كفار قريش أن الشياطين يُلقون القرآن إلى الرسول ﷺ، كما ينقلون إلى الكهنة بعض أخبار السماء في الجاهلية، نزلت الآيات بأن القرآن وحي من عند الله، وأن الشياطين لا علاقة لهم بوحيه ولا قدرة لهم على شيء منه، وهم قد مُنعوا بالشهب عن استماع الملأ الأعلى، لأنها تحرق من دنا لذلك. فدم على التوحيد ـ أيها النبي ـ وبلّغ أقرباءك ذلك. ولمّا عظم هذا التعيين للمبلّغين على بعض الصحابة نزلت الآية ٢١٥ تطمئنهم بتواضع النبي لهم ومراعاتهم، وبراءته ممن يخالفه، وتوكله على الله الذي يرعاه في جميع أحواله.

أما وسوسة الشياطين فتكون للكذّابين الفاجرين من الشعراء والكهنة، أمثال مُسَيلِمة الكذّاب الذي تنبأ في الجاهلية وتلقب برحمن اليمامة، يدسّون لهم الأباطيل والأوهام. فالشعراء يصوغون ذلك ويُفسدون به من يصدقهم من الضالين، لأنهم يتتبعون سبل الفساد ويزعمون في شعرهم أكاذيب القول، عدا المؤمنين الصالحين منهم يردّون بغي الكافرين، وينتصرون لدينهم وأُمّتهم.

وسوف يرى جميع الظالمين ما سيصيرون إليه من ذلة وعذاب في الآخرة، خلاف ما هم عليه في الدنيا من مظاهر المتاع والزينه.

٢٧ ـ سورة النمل

تفسير المفردات: طسٓ: من الأحرف المقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. وتلك أي: هذه الآيات معظَّمةً. وآيات القرآن: نصوصه الكريمة. والكتاب: القرآن العظيم. والمبين: المُظهر للحق من الباطل. ١ الهدى: الهادي المرشد إلى الخير. والبشرى: البِشارة. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. ٢ يقيمون الصلاة: يؤدّونها بشروطها وأركانها وآدابها. ويؤتون الزكاة: يعطونها مستحقيها لتطيهر المال وصاحبه. والآخرة: الحياة بالبعث للحساب. ويوقنون: يعلمون حصولها بالاستدلال والاطمئنان. ٣ لا يؤمنون بالآخرة: يكذّبون حصولها. وزيّنّا: جمّلنا بالشهوات وإغراء الشياطين. وأعمالهم أي: القبيحة من نية أو قول أو فعل، جمع عمل. ويعمهون: يتحيّرون ويترددون في المتابعة. ٤ والسوء: السيّئ. والعذاب: التعذيب في الدنيا. والأخسرون: أشد الناس خسارة. ٥ تلقّى القرآن: يوحَى إليك. ولدن: عند. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم و الإحسان للفعل وإتقان الأشياء. والعليم: المبالغ في الإحاطة بما كان وما يكون. ٦ إذ: حين. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. وأهله: من معه من زوجة وولد وخادم. وآنست: أبصرت من بعيد. والنار: النور الوضّاح. وآتيكم: أُحضر لكم. والخبر: المعلومات عن طريق السفر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ
لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ
وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن
لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم
مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧ فَلَمَّا
جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ
فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ
سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ
مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ
١٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣

نصف الحزب ٣٨

والشهاب: الشُّعلة. والقبس: النار. ولعلكم: لترجُوا. وتصطلون: تستدفئون. ٧ لمّا: عندما. وجاءها: وصل إليها. ونودي: خوطب باسمه. وأن بورك: بأن باركَ الله وطهّر. ومن في النار أي: موسى. ومَن حولها أي: الملائكة. وسبحان الله: تنزيهًا له عما يزعمه المشركون. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٨ إنه: إن الشأن العظيم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعزيز: الغلّاب لا يُعجزه شيء. ٩ ألق: اطرح من يدك على الأرض. والعصا: ما يُتوكّأ عليه حين المشي. ورآها: أبصر العصا عِيانًا. وتهتز: تتحرك وتتواثب. والجانّ: الحيّة العظيمة. وولى مدبرًا: هرب منصرفًا. ولم يعقب: ترك العصا ولم يرجع. لا تخف أي: لا تفزع واطمئن. ولديّ: عندي في موقف المناجاة. والمرسلون: الذين يكلّفون بالدعوة والعمل. ١٠ إلّا من ظلم: لكنّ الظالم لنفسه. وبدّل حُسنًا: جعل العمل الحَسن. والسوء: السيّئ. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة للمؤمنين. ١١ أدخل يدك: ضع كفك. والجيب: فتحة الثوب يدخل منها الرأس. وتخرج: تظهر حين تسحبها. والبيضاء: المبيضّة.والسوء: المرض. والآيات: المعجزات. وفرعون: ملك مصر حينذاك. وقومه: الأقباط العرب. والفاسقون: الخارجون على الحق. ١٢جاءتهم: وصلت إليهم. والمبصرة: الواضحة الدلالة. وهذا أي: ما نراه من الآيات. والسحر: ما يخيّل للحواس والعقول السفيهة ويوهمها خلاف الواقع. والمبين: الواضح البيان. ١٣

المعنى العام: أن آيات القرآن العظيم وحي من الله، هدايةً وبشارة للمؤمنين القائمين بالعبادات الواثقين بحصول يوم القيامة، وأن الكافرين مفتونون بضلالهم تائهون في متابعته، ولهم عذاب الدنيا والخسارة العظمى في الآخرة.

ويا أيها النبي، إنك تتلقى القرآن من الحكيم العليم. فاذكر لنفسك ولقومك ما كان من موسى، حين رأى نورًا في سفره مع أهله ليلًا، وأخبرهم أنه سيحضر لهم من النور ما يفيدهم، ثم قصده لينال شعلة أو دلالة على الطريق، فناداه الله بمباركته له وللملائكة معه، وبلّغه كيفية التنزيه والتوحيد، وأمره أن يلقي عصاه فصارت ثعبانًا متواثبًا خافه وهرب منه، فطمأنه برحمته، وأمره بإدخال كفه اليمنى تحت إبطه الأيسر وسحبها فصارت ذات شعاع أبيض، وبتبليغ فرعون والأقباط. ولكنهم عندما رأوا المعجزات ادّعوا أنها أباطيل من السحر المكشوف.

تفسير المفردات: جحدوا: أنكر الكافرون ولم يُقرّوا. وبها: بالآيات المعجزة التي زعموا أنها سحر. واستيقنتها: أدركتها وتيقنت أنها من عند الله. والأنفس: جمع نفس، القلب والعقل. والظلم: مجاوزة حد المعقول. والعلو: التكبر عن الإيمان. وانظر: تفكر وتدبر عظة واعتبارًا، أيها السامع والقارئ. والعاقبة: النهاية والنتيجة. والمفسدون: المقترفون للفساد والمشيعون له بين المخلوقات. **١٤** آتينا: أعطينا ومنحنا. وداود وسليمان: نبيّان عظيمان من يهود بني إسرائيل سُومريّان حاميّان. والعلم: الدراية بالقضاء بين الناس. والحمد: الثناء العظيم على النعم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وفضّلَنا: رفع منزلتنا. والكثير: العدد الوافر. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. **١٥** وَرِث: ملكَ النبوة والعلم بالوحي والإلهام والتعليم. وقال أي: سليمان. والناس: مَن حوله من اليهود. وعُلّمنا منطق الطير: عَلَّمني الله فهْم نُطقها. والطير: واحده طائر، ما يحلق بجناحيه من الحيوان. ومن كل شيء أي: مما يصلح لنا ونتمناه ونحتاج إليه. وهذا أي: ما أعطانا الله من النعم. والفضل: الزيادة في الإنعام والإكرام. والمبين: الظاهر البيان. **١٦** حشر: جمع بالقوة والعنف. والجنود: جمع جند. والجند واحده جندي، من أُعدّ للحرب والقتال. والجن: مخلوقات نارية، واحدها جنيّ. والإنس: البشر، واحده إنسي. ويوزعون: يجمعون ويساقون. **١٧** حتى إذا أتوا: فلمّا أشرفوا. والوادي: ما انخفض بين مرتفعين. حذفت الياء اتّباعًا لرسم المصاحف. والنمل: واحدته نملة. وادخلوا: أسرعوا إلى الدخول. والمساكن: جمع مسكن، مكان الاستقرار. ولا يحطمنكم: لا يسحقكم. ولا يشعرون: لا يعلمون. **١٨** تبسم ضاحكًا: شرع سليمان في قليل من الضحك. ومن قولها: بسبب ما قالته. وربِّ: ياربّي. حُذف حرفُ النداء لِما فيه من معنى التنبيه، والياءُ للتخفيف. وأوزعني: ألهمني ووفقني. وأشكر نعمتك: أستحضرها في نفسي وأقابلها بالثناء والطاعة. وأنعمت: تكرمت بفضلك. والوالدان: الأب والأم. وأعمل: أكتسب وأتحمل من النيات والأقوال والأفعال. والصالح: ما حسّنه الله والشرع الحنيف. وترضاه: تقبله وتثيب عليه. وأدخلني في عبادك: اجعلني في جملتهم. والرحمة: العطف بالإحسان إلى المؤمنين. والصالحون: من يعملون ما شرعه الله. **١٩** تفقد الطير: طلب سليمان ما فُقد منها. وما لي: أيّ شيء يجعلني؟ ولا أرى: لا أجد بين الطير. والهدهد: طائر يشبه الحمام وفي رأسه قُنْزُعة. والغائبون: البعيدون عني. **٢٠** أعذبه: أعرّضه للعذاب. والشديد: القوي المؤذي. وأذبحه: أقطع حُلقومه ليموت. ويأتيني: يُحضِر لي. والسلطان: البرهان على عذره في الغياب. **٢١** مكث: بقي الهدهد في غيابه. وغير بعيد: وقتًا قليلًا. وقال أي: الهدهد لسليمان بعد عودته من الغياب. وأحطت: علمتُ. ولم تحط: لم تعلم. وجئتك: أحضرت لك. وسبأ: قبيلة عربية في اليمن. والنبأ: الخبر العظيم. واليقين: الثابت.**٢٢**

الجزء التاسع عشر — سورة النمل

وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ
وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾
وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ
وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ
لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟
مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

المعنى العام: أن فرعون وقومه أنكروا معجزات موسى ظلمًا وتكبرًا، وهم يعلمون صدقها في أنفسهم، وانتهوا بالغرق. فليتأمل الناس كيفية نهاية المفسدين الكافرين.

ولقد أعطى الله داود وسليمان نعمًا كثيرة من العلم والنبوة وميّزهما عن كثير من الصالحين فشكراه بالقول والفعل، وكان لسليمان جيوش عظيمة من الإنس والجن سار بها مرة، ولمّا وصل إلى الطائف في طريقه إلى الحجّ وقرُبَ من واد فيه نمل كثير حذّرت إحداها من معها وأمرتها أن تدخل مساكنها لئلا تسحقها الجنود بدون تنبه إلى وجودها، فتبسم سليمان من ذلك لمّا سمعه ودعا أن يلهمه الله الشكرَ على ما أنعم، والعملَ الصالح وجعْله من الصالحين، ثم بحث عن الهدهد ولم يجده بين الطير فعزم أن يعذبه أو يذبحه إن لم يكن معه عذر من غيابه. وبعد قليل من الزمن جاء الهدهد واعتذر لسليمان بأنه يحمل له خبرًا مهمًّا عن قوم سبأ الذين يعيشون في اليمن حينذاك.

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا
عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا
فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ
تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ
فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً
أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٨
سجدة

تفسير المفردات: وجدت: رأيت. والمرأة: الأنثى من البشر. وتملكهم: تحكمهم وتتصرف في شؤونهم. وأُوتيتْ: أُعطِيتْ. ومن كل شيء أي: مما يصلح لها وتتمناه وتحتاج إليه. والعرش: سرير الملك. والعظيم: الفخم لا مثيل له. ٢٣ قومها: الجماعة التي تحكمها وهي منها. ويسجدون: يخرّون على جباههم للعبادة. والشمس: النجم النهاري. ودون الله: غيره. وزيّن: حسّن وجمّل. والشيطان: من يغري بالباطل من الإنس والجن. والأعمال: جمع عمل، ما يقومون به من الشرك والضلال. وصدهم: منعهم. والسبيل: طريق الحق. ولا يهتدون: ضالون لا يسترشدون إلى الإيمان. ٢٤ ألّا يسجدوا أي: أن يخروا على الجباه خضوعًا وعبادة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويخرج: ينشئ ويظهر. والخبء: ما هو خفيّ من المطر والنبات والمياه والمعادن. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويعلم: يحيط إحاطة تامة. وتخفون: تضمرونه من قول أو فعل. وتعلنون: تجاهرون به. ٢٥ الإلَه: المعبود بحق. والرب: الخالق المالك المتفرد. والعرش: أعظم مخلوق يحيط بالكون ولا يعلم حقيقته إلّا الله. ٢٦ قال أي: سليمان للهدهد. وننظر: نتعرّف لنعلم. وصدقت: قلت حقًّا. والكاذبون: الذين يقولون ما لا صحة له. ٢٧ اذهب: انطلق. وبكتابي: مع رسالتي. وألقه: ارمِه. وإليهم: إلى بِلقيس وقومها. وتولّ: ابتعد. وانظر: ترقّب وتعرّف واستحضر في ذهنك لتنقل إلينا. وماذا يرجعون: أيَّ شيء يردون من الجواب؟ ٢٨ قالت أي: بِلقيس. والملأ: الأسياد يملؤون العيون والقلوب مهابة والمجالس بأجسامهم ويتمالؤون على الباطل. وألقي: رُمي. وكريم: مكرّم معظّم لأنه مختوم. ٢٩ إنه أي: الكتاب. ومن سليمان: حاصل من عند الملك سليمان. وبسم الله الرحمن الرحيم أي: أوله البسملة. ٣٠ لاتعلوا: تواضعوا ولاتتكبروا كالجبابرة. وائتوني: جيئوني. ومسلمين أي: طائعين مؤمنين بالتوحيد. ٣١ أفتوني: أشيروا عليّ. والأمر: الشأن المهم. وقاطعة: قاضية ومنفذة. وتشهدون: تشهدوني أي: تكونوا معي وتقرّوا التنفيذ. حذفت الياء للتخفيف وموافقة فواصل الآيات. ٣٢ قالوا أي: الملأ لبِلقيس. وأولو قوة: أصحاب قدرة عظيمة في الحرب والقتال. والبأس: الشجاعة. والشديد: العظيم. والأمر إليك: الحكم والرأي لك وحدك. وانظري: تدبّري وتبصري. وماذا تأمرين: أيَّ شيء تُوجبين علينا. ٣٣ قالت أي: بِلقيس لهم. والملوك: جمع ملك، الحاكم المتصرف في شؤون الناس. ودخلوا قرية أي: افتتحوا بلدة قهرًا. وأفسدوها: أشاعوا فيها الضرر والشر. وجعلوا: صيّروا. والأعزة: جمع عزيز، السيّد الشريف. وأهلها: المقيمون فيها. والأذلة: جمع ذليل، الحقير المهان. وكذلك أي: مثل ما ذكرتْ. ويفعلون: يتصرّفون. ٣٤ مرسلة: باعثة مع وفد. والهدية: الأشياء الثمينة للإكرام. وناظرة: منتظرة. وبم يرجع: بأيِّ شيء يعود؟ والمرسلون: أعضاء الوفد. ٣٥

المعنى العام: أن الهدهد رأى بلقيس بنت شُرَحبِيل ملكة للعرب اليمانية، وعندها مفاخر عجيبة وسرير للملك فخم، وكلهم يعبدون الشمس وينقادون للشيطان في ضلال وفساد، ولا يعبدون خالق النعم والمحيط بالكون وما فيه، والمتفرد بالألوهية والعرش العظيم، فأراد سليمان معرفة صدق الهدهد، وبعثه برسالة إلى بلقيس، يرميها إليها وينتظر ليعود بما يكون من التصرف جوابًا لها.

ولمّا اطلعت بِلقيس على ما في الرسالة، من أمر بالخضوع والإسلام، استشارت أشراف قومها لأنها لا تستبد بموضوع خطير دون رأيهم، وذكرت لهم ما في الرسالة من الأمر والإلزام بالاستسلام، وأجابوها باستعدادهم للحرب، وتركوا الأمر لها، فأخبرتهم ما يكون في استيلاء الملوك على البلاد المفتوحة بالقوة، من إفساد وإذلال وشر ـ وأكّد الله قولها ذلك ـ وأنها ترسل إلى سليمان وفدًا مع هدايا فخمة، وتنتظر ما سيعودون به. أما التفصيلات المذكورة في كتب التفسير عن الهدايا والأُبّهة فأكثرها مأخوذ من الإسرائيليات الخرافية لا سند لها.

سُورَةُ النَّمْلِ — الجُزْءُ التَّاسِعَ عَشَرَ

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم
بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى
عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ
بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا
نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ
أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ
﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ
﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن
سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى
ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

تفسير المفردات: جاء: أتى الوفد وقابلَ بما معه من الهدية. وقال أي: سليمان لهم موبخًا. وأتمدونن: كيف تمدونني أي: تساعدونني؟حذفت الياء للتخفيف. والمال:الأشياء ا الثمينة. وآتانِ: آتاني أي: أعطاني إياه. وخير: أفضل وأعظم. وآتاكم: أعطاكم. وبهديتكم: بما يُهدى إليكم. وتفرحون: تُسرّون وتَسعدون. ٣٦ ارجع إليهم: عُدْ إلى قومك، أيها الوفد. ونأتينَّهم: نَدخلنّ بلدتَهم. وبجنود: مع جنود، جمع جند. والجند واحده جندي، مَن أُعِدّ للحرب والقتال. ولا قِبل لهم: لا قدرة ولا طاقة لقومك. وبها: بمقاومة الجنود المذكورة. ونخرجنّهم: نطردنّهم ونشرّدنَهم. ومنها: من البلدة. والأذلة: جمع ذليل، المهان المحتقر. والصاغرون: الوضيعون المستعبَدون. ٣٧ قال أي: سليمان لمن حوله. والملأ: الأسياد يملؤون العيون والقلوب مهابة والمجالس بأجسامهم. وأيكم: مَن منكم؟ ويأتيني: يجيئني ويُحضر لي. وعرشها: سرير ملكها. ويأتوني: يحضروا إلى مجلسي. ومسلمين أي: طائعين مؤمنين بالتوحيد. ٣٨ قال أي: لسليمان. والعفريت: المارد الداهي المتشيطن. والجنّ: واحده جنّيّ، مخلوق من النار. وآتيك به: أُحضر العرش إلى مجلسك. وتقوم: تنصرف. والمقام: مجلس القضاء. والقوي: المستطيع المقتدر. والأمين: الحافظ للأمانة. ٣٩ العلم: الدراية اليقينية. والكتاب: الذي أنزله الله على الرسل. ويرتد: يرجع. وإليك: إلى جفنك الأسفل. والطرف: الجفن الأعلى. ولمّا: عندما. ورآه: أبصر سليمان العرش. ومستقرًّا أي: ثابتًا ساكنًا. وعنده: أمامه في مجلسه. وهذا أي: إحضار العرش. والفضل: الإحسان والإكرام. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويبلوني: يمتحنني. وأشكر: أقوم بحق ذلك من الثناء بالقلب واللسان والعمل. وأكفر: أقصّر في حمد النعم. ويشكر لنفسه: يكون مردود شكره لنفسه هو. والغني: المستغني عما سواه. والكريم: الكثير الجود بالخير على الناس جميعًا. ٤٠ قال أي: سليمان لمن حوله. ونكِّروا: غيّروا بزيادة ونقص وتبديل لبعض الصفات. وننظرْ: نرى ونعلم. وتهتدي: تستدل على معرفة العرش. وتكون: تبدو وتظهر. لا يهتدون: ليس عندهم قدرة على التعرّف. ٤١ جاءت: دخلت مجلس سليمان. وقيل أي: لها. وهكذا: مثل هذا. وكأنه هو أي: إنه يشبهه. وأوتينا أي: أعطانا نحن ـ سليمانَ ـ اللهُ. والعلم: معرفة الصواب. والمسلمون: الذين استسلموا لأمر الله. ٤٢ وصدّها: كان قد منعها من التوحيد. وتعبد: تسجد له وتقدسه. ودون الله: غيره. والقوم: الجماعة من الناس. والكافرون: المشركون. ٤٣ قيل لها: أُمرت بِلقيس. وادخلي الصرح: اعبُريه. وهو سطح زجاجي شفاف فوق ماء تسبح فيه الأسماك. ورأته: أبصرته. وحسبته: توهّمته. واللجة: الأمواج المضطربة. وكشفت: شمرت ثوبها. والساق: ما بين الركبة والكعب. قال أي: سليمان لها. وإنه أي: ما رأته. والممرَّد: المملّس. والقوارير: الزجاج، جمع قارورة. وربّ أي: يا ربّي.حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وظلمت نفسي: سببت لنفسي ارتكاب العصيان. وأسلمتُ لله: استسلمت له. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٤٤

المعنى العام: أن سليمان أنكر على الوفد الحضور بالهدية دون الإسلام، وردّهم مهددًا بالحرب والتشريد والاستعباد، وسأل جلساءه عمن يُحضر عرشها قبل مجيئهم مسلمين، فأخبره جني أنه يحضره قبل انتهاء المجلس، وذكر رجل صالح عليم أنه يحضره قبل لمحة بصر، وعندما صارالعرش أمام سليمان ذكر أن ذلك تفضُّل من الله ليمتحن صحة ما في نفسه ، وهو يجزي الشاكرين والكافرين باستغناء وكرم، وطلب تبديل ظواهر العرش ليختبر ذكاء بلقيس.

و لّما حضرت خاضعة سئلت: أهكذا عرشك؟ قالت: «كأنه هو». فكان في جوابها مثل ما سئلت به من التشبيه. فذكر سليمان أنه أعلم منها، وهي ضالة لِما كانت عليه من الشرك مع قومها، ثم وُجّهت إلى الصرح لتجتازه، فظنته أمواجًا جارية، ورفعت ثوبها عن ساقيها لئلا يبتل، فبيّن لها سليمان حقيقته الزجاجية. عند ذلك شعرت بالقصور واعترفت بظلمها نفسَها، وأعلنت إسلامها لله رب العلمين.

تفسير المفردات: أرسلنا: بعثنا للعمل والتبليغ. وثمود: قوم النبي صالح، من أقدم العرب عرفت آثارهم في وادي القرى بين المدينة والشام. وأخوهم: واحد منهم. وأن اعبدوا الله أي: بالتوحيد له. وإذا هم فريقان: فاجأ الدعوةَ انقسامُهم جماعتين: مؤمنة وكافرة. ويختصمون: يتنازعون في الدين. **٤٥** قال أي: صالح للكافرين حين تحدَّوه أن ينتقم منهم بسبب كفرهم. ويا قومِ: ياقومي. حُذفت الياء للتخفيف. ولِمَ تستعجلون بالسيئة: لا تعجلوا وتكابروا، لماذا تطلبون تعجيل عذابكم تحدّيًا ومكابرة؟ والحسنة: الرحمة. ولولا تستغفرون: هلّا تطلبون سترَ ذنب الشرك وعدمَ المؤاخذة عليه، بالتوبة والتوحيد والطاعة. ولعلكم: لترجَّوا. وترحمون: يَعطف عليكم الله بإحسانه وعفوه. **٤٦** قالوا أي: القوم للنبي صالح. واطّيّرنا بك: أصابنا الشؤم والضرر بوجودك وكلامك. أدغمت تاء «تطيّر» في الطاء وزيدت الهمزة للنطق بالساكن. ومَن معك أي: مِن المؤمنين. وقال أي: صالح للقوم. وطائركم: عملكم الذي يصدر عنكم ويسبب المصائب. وعند الله أي: في علمه وتقديره. والقوم: الجماعة من الناس. وتُفتنون: تمتحنون بالخير والشر. **٤٧** المدينة: بلدة الحِجر، في وادي القُرى. والرهط: الرجال دون العشرة. ويفسدون: يشيعون الفساد والجرائم. والأرض: البلاد التي كانوا فيها وما حولها. ولا يُصلحون: لا يفعلون الخير. **٤٨** قالوا أي: بعض الرهط لبعض. وتقاسموا: احلفوا فيما بينكم. ونبيِّتنّه: نقتلنّه ليلًا. وأهله: من آمن به. والولي: المسؤول عن الحماية. وما شهدنا: ما حضرنا. والمهلك: الهلاكَ. وصادقون أي: قائلون للصدق. **٤٩** مكروا: دبّروا الغدر. ومكرنا: جازينا مكرهم بتعجيل العقوبة قبل غدرهم. ولا يشعرون: لايعلمون ما قدّرنا. **٥٠** انظر: تأمل وتدبر. والعاقبة: النهاية. ودمرناهم: أهلكنا الرهط وأفنيناهم بالعذاب المستأصِل. وأجمعين أي: كلهم جميعًا. **٥١** تلك أي: ها هي ذي قريبةً. والبيوت: جمع بيت، أي: آثارها. وخاوية: خالية من السكان. وبما ظلموا: بسبب كفرهم. وذلك أي: ما جرى منهم ولهم. والآية: العِبرة والعظة. ويعلمون: يدركون الحقائق بعقولهم ويستفيدون منها. **٥٢** أنجينا: أنقذنا من الدمار والهلاك. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. ويتقون: يتجنبون الشرك. **٥٣** لوط: رسول من السُّومريِّين الحاميِّين هو ابن أخي إبراهيم، جاء من العراق إلى سدوم وما حولها قرب مدينة حمص بالشام. والقوم: الجماعة يعيش بينها الإنسان. وأتأتون أي: لا تقترفوا. والفاحشة: الشنيع من الذنوب والآثام. وتبصرون: تشهدون بأعينكم ما يفعل بعضكم ببعض. **٥٤** تأتون الرجال: تستحلون الزنى في أدبار الذكور. والشهوة: ميل النفس إلى ما تريده من الشر. ودون أي: غير. والنساء أي: نكاح فُروجهن كما أباح الشرع. والنساء: جمع نسوة. والنسوة: واحدته امرأة. وتجهلون: لا تعلمون ولا تتدبّرون بعقولكم. **٥٥**

الجزء التاسع عشر سورة النمل

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا
هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ
عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ
رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟
تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا
وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

المعنى العام: أن الله أرسل النبي صالحًا إلى قومه بني ثمود بالتوحيد، فاختلفوا وصاروا فريقين يختصمون في ذلك، وطلب الكافرون منه للتحدي أن ينزل بهم ما يهددهم به من العذاب، فنصحهم بالكف عن ذلك والاستجابة للإيمان والاستغفار، ثم تشاءموا به وبالمؤمنين لِما شاع فيهم من البلاء، وبيّن لهم أن ما أصابهم هو نتيجة الكفر والفحش، فائتمر منهم جماعة بقتله وقتل المؤمنين وإنكار ذلك، ولكن الله واجه مكرهم بما هو أشد، دمّر ديارهم فوقهم فأهلكهم وأنجى النبي صالحًا والمؤمنين، وهم عاد الثانية من العرب العاربة، أقدم الأمم التي عُرفت لها آثار في التاريخ، رحلوا إلى حضرَموتَ ثم أقاموا مع أبناء عمهم من بقية عاد الأُولى مملكة في اليمن، ونقلوا ذلك إلى مصر والمغرب والشام والعراق في ممالك لهم. وهذه آثار ديارهم القديمة بين المدينة والشام يمر بها كفّار مكة ولا يتعظون.

وكذلك كان الانتقام من قوم النبي لوط قرب مدينة حمص في الشام، أنكر عليهم فاحشة اللِّواطة، وهم يرتكبونها فيما بينهم بمشاهدة بعضهم بعضًا، ونصحهم بتجنب ذلك وبالإيمان موحّدين والصلاح والانصراف إلى نكاح زوجاتهم، والتخلي عن الجهل الخبيث.

تفسير المفردات: الجواب: نتيجة الردّ على النصيحة. والقوم: الجماعة من الناس. وقالوا أي: بعضهم لبعض. وأخرجوا: اطردوا وشرّدوا. وآل لوط: أهله والمؤمنون به معه. والقرية هي مدينة سدوم. والأناس: الناس. ويتطهرون: يتنزهون عن اللِّواطة والفواحش والكفر والمنكرات. **٥٦** أنجيناه: أنقذناه من التشريد والدمار. وامرأته هي الكافرة كانت تنقل أخباره إلى قومها وتعينهم عليه. وقدّرناها: جعلناها بقدر. والغابرون: الباقون في العذاب. **٥٧** أمطرنا: أنزلنا وأسقطنا. ومطرًا أي: حجارة الطين المحروق. وساء: بلغ النهاية في السوء والشر والضرر. والمنذَرون: المهدَّدون بالانتقام لكفرهم. **٥٨** قل أي: للكافرين ـ أيها النبي ـ فيما تذكر من الوعظ والتنبيه والتعليم. والحمد: الثناء بالجميل على الفضل. ولله أي: مستحَقه وحده. والسلام: التحية بدوام الخير. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وتعبدًا. واصطفى: خصهم بواجب تبليغ التوحيد والشرائع. وخير: أكثر نفعًا وأدومه. و ما يشركون: ما يجعلونه شريكًا في الألوهية والتقديس والطاعة؟ **٥٩** أم من خلق: بل من الذي أوجد من العدم؟ والسماوات: ما حول الأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وأنزل: أمطر. والسماء: السحاب. والماء: المطر والبَرَد والثلج والندى. وأنبتنا به: أخرجنا بسببه. والحدائق: جمع حديقة، البستان المحوط بسياج. وذات بهجة: صاحبة حُسن وجمال. وما كان

الجزء العشرون — سورة النمل

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ
لُوطٖ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ
عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءٗ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمْ
أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٞ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾
أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٞ
مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

لكم أي: ليس بمقدوركم، أيها المخاطَبون. والشجر: واحدته شجرة، النبتة لها ساق وأغصان. والإلّه: المعبود. ومع الله أي: أعانه في ذلك وكان شريكًا له. وبل أي: ليس الأمر كذلك. وهم أي: المشركون. ويعدلون: يُسوُّون بالله غيره في الألوهية. **٦٠** أم من جعل: بل من الذي صيّر؟ والأرض: اليابسة من الكرة الأرضية. وقرارًا: مستقرة لا تميد بمن فيها. وجعل أي: خلق. والخلال: جمع خَلَل، المنفرج بين شيئين. والأنهار: جمع نهر، ما يجري فيه ماء كثير. والرواسي: جمع الراسي، ما استقر من الجبال وكان مثبتًا لغيره. والبحر: موضع اجتماع الماء الكثير. والحاجز: ما فصل بأرض يابسة أو تنافر يمنع امتزاج الماءين المختلفين. وأكثرهم: الغالبية العُظمى من الكافرين. لا يعلمون: يجهلون قدرة الله فيشركون. **٦١** أم من يجيب: بل من الذي يستجيب ويعين؟ والمضطر: الإنسان يصيبه ضرر يحمله على الاستغاثة بعد سعيه وعجزه عن النجاح. وإذا دعاه: حين يتضرّع إليه يطلب عونه. ويكشف: يزيل. والسوء: ما يُحزن ويؤلم. ويجعلكم: يصيّركم. والخلفاء: يخلف بعضكم بعضًا، جمع خليفة. وقليلًا ما تذكّرون: ما أقل اتعاظكم بالحق! **٦٢** أم من يهديكم: بل من الذي يرشدكم إلى المقاصد. والظُّلْمة: فقدُ النور. والبر: الأرض اليابسة. ويرسل: يحرك ويبعث. والرياح: جمع ريح، الهواء المتحرك. وبشرًا: مبشِّرات بالخير، جمع بَشيرة. وبين يدي رحمته: أمام عطفه بالمطر. وتعالى: ترفَّع وتعاظم. وما يشركون: ما يجعلونه شريكًا في الألوهية والتقديس. **٦٣**

المعنى العام: أن قوم لوط أنكروا دعوته واتمروا بإخراجه مع المؤمنين من البلدة، بوصفهم أنهم يتنزهون عن الفواحش، فدمّر الله عليهم ديارهم بحجارة قاصمة، وأنقذ المؤمنين وبقيت امرأة لوط بين قومها لأنها كافرة مثلهم. وما أسوأ المطر ينزل بالكافرين المنذَرين!

فخاطبْ كفار قريش ـ أيها النبي ـ بحمد الله والدعاء لعباده المخلَصين بالسلامة من كل سوء، وأن الله لا تجوز مقارنته بما يعبد المشركون، واسألهم مَن خلق نعم الكون والنبات وتيسيرَ الأرض للحياة، وتسييرَ الأنهار وتثبيت الجبال، والفصلَ بين البحار بحواجز مادية ملموسة وأُخرى تنافرية تمنع التمازج؟ ومَن أجابَ دعاء المصاب لإنقاذه بعد أن سعى هو بكل الوسائل، وجعلَ الكافرين متتابعين بعضهم بعد بعض، وهيّأ لهم التوجه في البر والبحر بالكواكب وعلامات الأرض، وأرسل الرياح مبشرة أمام االغيث الكريم؟ كل هذا خلقه الله وحده، فليس له شريك، وتعالى عما يزعمون من الأباطيل، وما أقلّ ما يتفكرون ليتعظوا ويستجيبوا للإيمان!

تفسير المفردات: أم من يبدأ: بل من الذي ينشئ من النطفة؟ والخلق: الناس. ويعيده: يبعثه حيًّا. ويرزقكم: يخلق لكم ما تحتاجون إليه. ومن السماء والأرض أي: من الأرزاق السماوية والأرضية. والإلّه: المعبود. ومع الله أي: أعانه في ذلك وكان شريكًا له. وقل أي: للمشركين، أيها النبي. وهاتوا: قدّموا لي. والبرهان: الحُجة والدليل. والصادقون: من يقولون الحق. ٦٤ لا يعلم: لا يحيط كامل الإحاطة. والسماوات: ما يحيط بالأرض من جو وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والغيب: ما غاب عن حواس الخلق وإدراكهم. وما يشعرون: لا يعلمون. وأيان يبعثون: وقت عودتهم إلى الحياة بعد الموت. ٦٥ بل ادّارك أي: ما تلاحق ولا تكامل. والعلم: الدراية والمعرفة. وفي الآخرة: بوقتها وما يكون فيها. وشك منها: تحيُّر من أمرها. والعمون: جمع العمي، من اختلت بصيرته فلا يتدبر الدلائل كالبهائم.٦٦ كفروا: كذبوا وحدانية الله ودعوة نبيه. إذا كنا: حين نصير. والتراب: ما تفتت وانتثر من وجه الأرض. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد ومن قبله من الجدود. وأإنا أي: لسنا نحن ولا آباؤنا. والمخرجون: المبعوثون أحياء. ٦٧ وُعدنا هذا: أُنذرنا بالبعث. ومن قبل: الذين كانوا قبل مجيء محمد ﷺ. وإنْ هذا: ما البعث. والأساطير: جمع أُسطورة، ما يُسطر من الكذب. والأولون: المتقدمون من المتنبئين. ٦٨ سيروا: امشوا للعمل والتجارة والتصرف. وانظروا: تأمّلوا. والعاقبة: النتيجة. والمجرمون: الكافرون يقترفون الجرائم. ٦٩ لا تحزن عليهم: لا تتألم لكفر المشركين. ولا تكن: لا تصِر. والضيق: الحال الشاقّة. ومما يمكرون: بسبب ما يدبّرون من الكيد والمؤامرات. ٧٠ يقولون أي: الكافرون تعجيزًا وتحدّيًا. ومتى: أيُّ وقت؟ والوعد: وقت الوعيد. ٧١ قل أي: لهم. وعسى: يُتوقّع ويُشفق عليكم. وردف: قرُب. والبعض: القسم. وتستعجلون: تطلبون تعجيله. ٧٢ والرب: الخالق المالك المتفرد. وذو فضل: صاحب التفضل بالنعم. والناس: البشر. وأكثرهم: الغالبية العُظمى منهم. ولا يشكرون: لا يقومون بحق الثناء على الله. ٧٣ يعلم: يحيط الإحاطة التامة. وتكنّ: تُخفي. والصدور: جمع صدر، أي: القلب الذي فيه. ويعلنون: يظهرونه بألسنتهم وأعمالهم. ٧٤ ما من غائبةٍ أي: ليست غائبةٌ. وهي: الشيء الخفيّ جدًّا. وفي السماء والأرض أي: وبينهما وفي غيرهما أيضًا. والكتاب: اللوح المحفوظ. والمبين: الواضح البيان. ٧٥ القرآن: ما أوحي على محمد ﷺ ويقص: يبيّن. وبنو إسرائيل: أتباع التوراة والإنجيل. والأكثر: الأغلب. وفيه يختلفون: بسببه يختصمون.٧٦

المعنى العام: متابعة السؤال للمشركين عمن يخلق البشر ويرزقهم. إنه الله وحده، وليس له شريك. وإلّا فليُحضروا الدليل على مزاعمهم. وقد كُرّر «أإلّه مع الله» في الآيات ٦٠ـ٦٤، على سبيل التوكيد والتقرير للإلزام بالحجة على التوحيد، أنه لا إلّه إلّا هو تعالى.

الجزء العشرون — سورة النمل

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ
أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾
قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ
فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا
هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ
أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ
فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

ولمّا سأل المشركون عن وقت الساعة للتعجيز وأنكروا البعث نزلت الآيات بأن علم الغيب لله وحده، وهم لا يعلمون وقت بعثهم، وليس عندهم من ذلك شيء يُعتدّ به، يشكّون ويتيهون في الضلال، وينكرون أن يُبعث أحد بعد الموت، لأن من مضوا قبلهم من البشر لم يبعثوا. والتهديد بذلك عندهم هو من أكاذيب قدماء المتنبئين.

فليمشوا فيما حولهم من البلاد، ليروا ما انتهى إليه الكافرون من الدمار والهلاك بالعذاب. لقد كانت نهاية في موقعها من الحق والوحوب، ولكنهم لم يتدبروا ذلك ولم يتعظوا، لِما هم عليه من الجهل والغباء. وفي هذا تدرج في أحوال المشركين: فقدِ الشعور حين البعث، ثم عدمِ الإيمان بيوم القيامة، ثم التخبّطِ في الشك والمراء، ثم تعطيلِ البصائر والعقول.

فلا تتألم ولا تتضايق ـ أيها النبي ـ من أعمالهم، وأخبرهم أن ما يستعجلونه آتٍ قريبًا وفظيع لا مثيل له، والله يُكرم الناس بالفضل والنعم وأكثرهم كافرون جاحدون، وهو يعلم ما يكون منهم في سر أو جهر، وكل ما يحصل في الكون من محتوم ومحتمل هو مسجل واضح في اللوح المحفوظ، والقرآن يفصّل لليهود والنصارى ويروي لهم صواب أكثر ما يختلفون بسببه ويختصمون.

تفسير المفردات: إنه أي: القرآن الكريم. والهدى: المرشد إلى الحق. والرحمة: المحسن والمنقذ. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. ٧٧ الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويقضي: يفصل. وبينهم: بين اليهود والنصارى. والحكم: القضاء العادل بالجزاء. والعزيز: الغالب لمن عداه. والعليم: المحيط بإتقان وحكمة بالغة. ٧٨ توكل على الله: دُم على الثقة به وحده، أيها النبي. والحق: الدين الصحيح الثابت. والمبين: الواضح البيان. ٧٩ لا تُسمع: لا تستطيع الإسماع. والموتى: جمع ميت، الذي فارقت روحه جسده. والصمّ: جمع أصمّ، الذي فقد حاسة السمع. والدعاء: النداء والتصويت. وإذا ولوا: حين ينصرفون عنك. والمدبرون: من وجّهوا ظهورهم لك إعراضًا واستخفافًا. ٨٠ ما أنت: لستَ. والهادي: الصارف والمانع. والعمي: جمع أعمى، الذي فقد البصيرة. والضلالة: اتّباع الباطل. وإن تُسمع. لا تُسمع. ويؤمن: يصدّق لأنه على استعداد وتقبل. والآيات: النصوص القرآنية وأدلة الكون على التوحيد وصدق الرسالة. والمسلمون: المخلصون بتوحيد الله. ٨١ وَقع: وجب وتحقق. والقول: الوعيد بالعذاب. وأخرجنا لهم: أظهرنا للبشر. والدابّة: مخلوق عظيم يدِبّ ويتحرك. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وتكلمهم: تخاطب البشر بالكلام. والناس: الكافرون عامة حتى ذلك الزمن. ولا يوقنون: لا يؤمنون ويكذبون. ٨٢ يوم نحشر: وقت الجمع بالقوة للحساب. والأمة: الجماعة على دين أو زعامة. والفوج: الفئة. ويكذب بآياتنا: ينكرها ويكفر بها. وهم: الفوج المحشور. ويوزعون: يُدفعون بردّ آخرهم إلى أولهم.٨٣ حتى إذا جاؤوا: فإذا صاروا في مكان الحساب. وقال أي: الله على لسان ملائكة العذاب. وأكذبتم: لماذا أنكرتم؟ ولم تحيطوا بها: لم تحاولوا فهم دلالاتها. والعلم: الإدراك والمعرفة. وأم ماذا: بل ما الذي؟ وتعملون: تكتسبون مما أُمرتم به. ٨٤ بما ظلموا: بسبب كفرهم. ولا ينطقون: لا يتكلمون بجواب لأنه لا حجة عندهم. ٨٥ ألم يروا: لقد علموا. وجعلنا: خلقنا. والليل: ما بين الغروب والفجر. ويسكنوا: يهدؤوا من العمل. والنهار: ما بين الفجر والغروب. ومبصرًا أي: مضيئًا يبصر الناسُ فيه ليتصرّفوا. وذلك أي: خلق الليل والنهار. ٨٦ ينفخ: يُدفع الهواء بشِدّة لأجل فناء الأحياء. والصور: مخلوق عظيم على شكل القرن. وفزع: خاف واضطرب. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. وشاء الله: أراد ألّا يميته حينذاك. وكل أي: كل الذين يُبعثون ويعادون إلى الحياة. وأتوه: جاؤوا إلى حساب الله. والداخرون: الأذلّاء الصاغرون. ٨٧ ترى: تبصر عِيانًا، أيها المخاطب. والجبال: جمع جبل، ما علا وصلب من الأرض. وتحسبها: تظنها. والجامدة: الثابتة لا تتحرك. وتمر: تنتقل مع الأرض. والسحاب: الغيم، واحدته سحابة. والصنع: الخلق البديع. وأتقن: أحكم بدقة. والشيء: المخلوق. والخبير: العالم بظواهر الأمور وخفاياها. وتفعلون: تكتسبونه من نية وقول وعمل. ٨٨

الجزء العشرون — سورة النمل

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم
بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى
ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن
تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا
وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو
قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ
دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ
صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

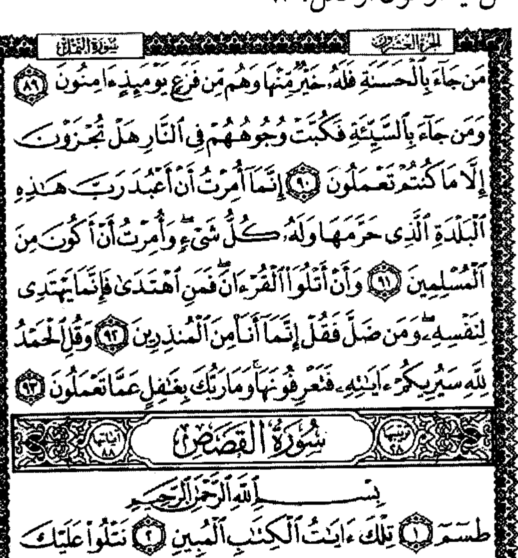
ربع الحزب ٣٩

المعنى العام: أن القرآن الكريم يهدي المؤمنين وينقذهم من العذاب، والله يقضي بين اليهود والنصارى بالعدل والعلم. فدُم على الثقة بالله ـ أيها النبي ـ لأنك على الحق، ولن تستطيع هداية المصرّين على الكفر، ولن تُسمع الصمّ دعاءك وهم نافرون، ولن تهدي العميان في الضلال، وإنما تُصلح حال المؤمنين المخلصين، واذكر للناس أنه عندما يقرب وقتُ حصول الساعة تخاطبهم دابّة الأرض بما كان من كفر المشركين، وأنهم يُحشرون يوم القيامة، ويوبّخون بكفرهم وتقصيرهم عما أُمروا به، فلا يستطيعون الكلام لفقدهم الحُجّة على ما كان.

وقد خلق الله نعم الليل والنهار للبشر البشر، فإذا نُفخ في الصور النفخة الأولى فزع الناس مما سيكون إلّا الملائكة والشهداء.

وها أنت ذا ـ أيها الإنسان ـ ترى الجبال في الحياة الدنيا تمرّ بسرعة مرّ السحاب مع دوران الأرض، وتبدو ثابتة فلا تَشعر بتحركها لأنها تسبح مع الأرض، ولأن الأجسام العظيمة المتحركة يظنها البصر ثابتة. وهذا صنع الله المتقن لكل شيء والخبير بما تفعلون، أيها الناس.

تفسير المفردات: جاء بالحسنة: أتى يوم القيامة مصاحبًا العمل الصالح. وخير منها: ثواب كريم بسببها. وهم أي: المصاحبون للحسنة. والفزع: الخوف والاضطراب. ويومئذ أي: يوم مجيئهم. والآمنون: السالمون المطمئنون. **٨٩** السيئة: العمل القبيح. وكبت: أُلقيت. والوجوه: جمع وجه، ما يقابل به الإنسان غيره من رأسه. والنار: نار جهنم. وهل تجزون: لا تعاقبون. وتعملون: تقترفونه بنية أو قول أو فعل. **٩٠** أُمرت أي: قل، أيها النبي: فُرض عليّ. وأعبد: أُقدّس وأُطيع. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وهذه البلدة: مكة المكرمة. وحرمها: جعلها حَرَمًا آمِنًا فمنع فيها كثيرًا مما يجوز في غيرها. وله أي: مُلكه وحده.وكل شيء: كل المخلوقات. وأكون: أبقى. والمسلمون: المؤمنون بالتوحيد لله. **٩١** أتلو: أقرأ وأوضّح.والقرآن: ما أُوحي إليّ وهو معجز. واهتدى: استرشد واستجاب. ولنفسه أي: ثواب هدايته لمصلحته بنفسه. وضل: أخطأ طريق الهدى. وقل أي: للكافرين، أيها النبي. والمنذرون: المخوِّفون بعذاب الله من كفر وعصى.**٩٢** الحمد: الثناء الجميل على الفضل. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وسيريكم: لا بد أن يبصّركم عِيانًا. والآيات: الأحداث والوقائع الدالة على صدق التوحيد والتهديد. وتعرفونها: تُضطرّون إلى الإقرار بصدقها. وما ربك: ليس الله. وبغافلٍ أي: ساهيًا يهمل ما يكون. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. **٩٣**



المعنى العام: أن الموحدين ينالون الخير والطمأنينة من فزع يوم القيامة بما فعلوا، والكافرين يُجرّون على وجوههم في النار، مخاطَبين للتهكم على لسان ملائكة العذاب: ليس هذا إلّا جزاء الشرك والكفر.

فقل لهم ـ يا محمد ـ بأنك مأمور بتوحيد من جعل مكة حرَمًا مقدّسًا، وله الملك والتصرف في جميع المخلوقات، وأنك أولهم إيمانًا بالتوحيد تستمر على الإسلام وتبلّغ القرآن، فالمهتدي ينفع نفسه، والكافر أنت تنذره ولا تُسأل عن هدايته، والحمد مستحَق لله وحده، وسيحقق لكم ما هددكم به من العذاب ختمًا، فتُقرّون بالإيمان حينذاك، والله مطلع على أعمالكم يحاسبكم عليها بعلم وعدل واقتدار.

٢٨ ـ سورة القَصص

تفسير المفردات: طسٓمٓ: أحرف مقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. **١** تلك أي: هذه الآيات القرآنية معظَّمةً. والكتاب: القرآن الكريم. والمبين: المُظهر للحق من الباطل. **٢** نتلو: نسرد بلسان جبريل. والنبأ: الخبر العظيم. وموسى: النبي الذي أُوحيت إليه التوراة. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. والحق: الصدق الثابت. والقوم: الجماعة من الناس. ويؤمنون أي: مستعدون لتصديق أن ما نزل إليك هو الحق. **٣** علا: تكبّر على الخلق وادّعى الأُلوهيّة. والأرض: مصر وما حولها. وجعل: صيّر. وأهلها: المقيمون فيها من أقباط عرب وإسرائيليّين سُومريِّين حاميّين. والشيع: جمع شيعة. وهي الجماعة المتناصرة. ويستضعف: يستذلّ. والطائفة: الفرقة جماعة بني إسرائيل. ويذبّح: يقطع الحلاقيم. والأبناء: جمع ابن، المولود الذكر. ويستحيي: يُبقي على الحياة للخدمة والإذلال والفجور. والنساء: جمع نسوة. والنسوة واحدته امرأة. والمفسدون: الراسخون في إشاعة الشر والفساد. **٤** نريد أي: شئنا. ونمنّ: نتفضّل. ونجعلهم: نصيّرهم. والأئمة: جمع إمام، من يُقتدى به في الخير. والوارثون: المتصرفون في بعض مُلك فرعون. **٥**

المعنى العام: أن هذه الآيات العظيمة هي من القرآن الكريم المبيّن للحق، تَسرد قصة موسى وفرعون لمن عنده استعداد للإيمان. فقد تألّه فرعون في مصر، وفرّق من فيها شيعًا متمايزة متناحرة، يذبّح بأيدي الأقباط العرب ذكور بني إسرائيل السُّومريِّين المشرّدين من عهد إبراهيم ويوسف، ويستبقي النساء للبغي والهوان، ويشيع الفساد في البلاد، والله يريد لهم أن يهتدوا إلى الحق، ويكونوا قدوة، ووارثين لأمثال ما كان يستبدّ به فرعون.

تفسير المفردات: نمكّن لهم: نجعل لهم مكانًا يلجؤون إليه. والأرض: موطن الحياة الدنيا في الموضعين. ونُري فرعون: نبصّره عِيانًا. وهامان: وزير فرعون. والجنود: جمع جند. والجند واحده جندي، من أُعدّ للقتال. ومنهم: من بني إسرائيل. ويحذرون: يخافون ويتجنبون. ٦ أوحينا: ألقينا بالإلهام. وأُمّ موسى: التي حملته وولدته. وأرضعيه: ألقِميه ثديك ليرضع. وخفت: خشيت أن يذبحه جنود فرعون. وألقيه: ضعيه. واليم: بحر النيل. ولا تخافي: اطمئني إلى نجاته. ولا تحزني: لا تغتمي ولا تتألمي لفراقه. ورادّوه: سنرجعه لتربيته. وجاعلوه: مصيّروه. والمرسلون: الذين كلّفهم الله بالدعوة إلى العقيدة والشريعة والعمل، مع كتاب منزل. ٧ التقطه: أخذ الطفلَ بسرعة من صندوق على سطح الماء. وآل فرعون: أعوانه من الأقباط. وليكون: سوف يصير. والعدو: المعادي بشدة. والحزَن: المسبب للحُزن بما يقول ويفعل. والخاطئون: المرتكبون للذنوب والجرائم. ٨ قالت: خاطبت فرعون بالقول. وامرأة فرعون: زوجته واسمها آسية، وهي من خير النساء وقد آمنت بعدُ بموسى. وقرة عين أي: أن الطفل الملتقط يُطمأن به ويُسرّ. ولك أي: يا فرعون. ولا تقتلوه: اتركوه حيًّا. وعسى: نتوقع ونترجّى. وينفع: يسبب الخير. ونتخذه ولدًا: نجعله ابنًا لنا. ولا يشعرون: لا يعلمون ما يكون منه بعدُ. ٩ أصبح: صار. والفؤاد: القلب. وفارغًا أي: طاشَ لبُّها وتفرّغ. وإنْ كادت: لقد قاربت. وتبدي به: تصرّح أن الطفل ولدها. ولولا أي: لولا حصول وربطنا: شددنا بالهدوء والطمأنة. وتكون: تصير. والمؤمنون: المصدّقون لوعد الله. ١٠ أُخته اسمها مريم وهي غير أُم عيسى. قصيه: اتبعي أثر موسى من شاطئ النهر. وبصرت به: رأته عِيانًا. وعن جنب: من مكان بعيد. وهم لا يشعرون: آل فرعون لا يحسون بها. ١١ حرّمنا عليه: منعنا عنه القبول. والمراضع: جمع مُرضِع، المرأة ترضع غير ابنها. وقبلُ: قبلِ إعادته إلى أُمّه. وقالت أي: أخته مريم لأعوان فرعون. وهل أدلكم: هل تريدون أن أُرشدكم؟ وأهل بيت: أسرة. ويكفلونه: يتعهّدون برعايته. والناصحون: المشفقون يُخلصون عملهم من كل فساد. ١٢ رددناه: أعدناه كما وعدْنا. وتقر: تهدأ وتستقر. ولا تحزن: لا تغتمّ لفراقه. وتعلم: تدرك بالمشاهدة والواقع. والوعد: التعهد بما يَسرّ. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وحق: صدق متحقق لا محالة. وأكثرهم: أكثر المعاصرين آنذاك. ولا يعلمون: يجهلون حِكمة الله فيما يدبّر للخلق. ١٣

نصف الحزب ٣٩

الجزء العشرون — سورة القصص

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ
أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن
رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

المعنى العام: أن الله هيأ للمظلومين المشردين من بني إسرائيل الفرج واللجوء إلى مقر، وأهلك انتقامًا لهم فرعون وهامان وجنودهما غرقًا في بحر القُلزم ـ وقد سُمّي «الأحمر» لِما كان فيه من دماء غرقى الأقباط العرب ـ وألهمَ اللهُ أيضًا أُمّ موسى أن تكثر إرضاعه وتضعه في صندوق وتدفعه مع موج النيل يحمله ويسير به، مطمْئنًا لها بعودته إلى رعايتها وكونه رسولًا لقومه فيما بعد، فأوصله ماء النيل إلى جانب قصر فرعون، وأخرجه أعوانه ليصير عدوهم بعد، ففرحت به زوجة فرعون إذ لم يكن لها ولد، وحمته من القتل الذي كان يلحق جميع ذكور بني إسرائيل، لتتبناه منتظرة أن يكون لها ولفرعون منه السعادة والهناءة.

هذا في حين أن أُمّه اشتد اضطرابها وكادت تصرح للقوم بالحقيقة، لولا طمأنة الله إياها، فأرسلت أُخته تتابع مسيره في النيل حتى علمت وصوله إلى قصر فرعون، فعرضت عليهم عونهم بمن يرضعه ويحسن رعايته، وهو يرفض قبول رضاعة جميع النساء المعروض عليها. وهكذا أعاده الله إلى أُمّه ليتحقق وعده لها ولا تغتم، وإن كان أكثر الناس يجهلون ذلك، ولا يعرفون ما يقدره الله للبشر، ويحققه حتمًا بلا معين أو منازع. هذا ما جرى لموسى في ولادته، وكثير مما جاء في التفسير تفصيلات لقصته ليس له مصدر موثق، وهو من الإسرائيليات المصنوعة. فلا يلتفت إليه.

تفسير المفردات: لمّا: عندما. وبلغ: أدرك موسى. والأشُدّ: العمر قبل الثلاثين، جمع شِدّة. واستوى: استحكم بنيانه وعقله ببلوغ الثلاثين. وآتيناه: ألهمناه ورسّخنا فيه. والحكم: إحسان القول والعمل. والعلم: الفقه الشرعي في ذلك الزمن. وكذلك أي: كما جزينا موسى وأُمّه. ونجزي: نكافئ ونكرم. والمحسنون: الذين يعملون الخير بنية خالصة وصلاح. ١٤ دخل المدينة: صار في مدينة مَنَف بعد غياب عنها. وعلى حين الغفلة: في وقت الانصراف إلى لهو أو راحة. والأهل: السكّان من الأقباط. ووجد: لقي في الطريق. والرجل: الذكر البالغ من الناس. ويقتتلان: يختصمان بعنف وشراسة. وهذا أي: أحدهما. وشيعته: جماعة موسى بنو إسرائيل. وهذا أي: الآخر. وعدوّه: أعداؤه الأقباط العرب. واستغاثه: طلب منه العون والنصر بالقتال. ووكزه: دفع موسى بقبضته القبطي. وقضى عليه: قتله عن غير قصد للقتل. وقال أي: موسى. وهذا أي: قتله. وعمل الشيطان أي: شر وفساد وإغراء ممن يوسوس بالفساد. والعدوّ: المعادي للخير. والمضلّ: المسبّب لمخالفة الحق. والمبين: الظاهر الإضلال. ١٥ ربِّ: يا ربّي. حُذف حرفُ النداء لِما فيه من معنى التنبيه، والياءُ للتخفيف. وظلمت نفسي: سبّبت لها الذنب الكبير. واغفر لي: استر ما فعلتُ ولا تؤاخذني عليه. والغفور: الكثير الستر للذنوب والتجاوز عنها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان للمؤمنين. ١٦ بما أنعمت: لِشكر تفضُّلك. ولن أكون: لن أصير أبدًا. والظهير: المعاون المناصر. والمجرمون: المقترفون للجرائم والكفر. ١٧ أصبح: صار موسى بعد يوم من ذلك. والمدينة هي بلدة مَنَفَ عاصمة حكم فرعون. والخائف: الفزع. ويترقب: يتوقع الشرّ والأذى لقتله القبطي. وإذا الذي: فاجأ تخوّفَه وتوقُّعَه الرجلُ. واستنصره: طلب منه العون. والأمس: اليوم الماضي. ويستصرخه: يناديه مستغيثًا. وله أي: للإسرائيلي. والغوي: الكثير الشر والضرر. والمبين: الظاهر الإغواء. ١٨ لمّا أن أراد: حين قصد. ويبطش أي: يستعمل العنف والقسوة بقوة. وقال أي: القبطي. وتريد: تقصد. وتقتلني: تُزهق روحي. والنفس: الإنسان. وإن تريد: لا تطلب. وتكون: تصير. والجبار: المتعاظم لا ينظر في العواقب. والأرض: مصر وما حولها. والمصلحون: من يعملون الخير ويدعون الناس إليه. ١٩ جاء: أتى إلى موسى. وأقصى المدينة: أبعد منطقة في البلدة. ويسعى: يسرع في قدومه. والملأ: السادة الذين يملؤون العيون مهابة والمجالس بأجسامهم ويتواطؤون على الفساد. ويأتمرون بك: يتشاورون في أمرك. ويقتلوك: يُزهقوا روحك. واخرج: غادر البلدة مهاجرًا إلى مكان آخر. والناصحون: المشفقون يرشدون إلى ما فيه الصلاح والخير. ٢٠ خرج: انطلق. ويترقب: يتوقع البلاء أو رحمة الله. ونجّني: خلّصني واحفظني. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: الذين يتجاوزون حدّ الحق فيطغون.٢١

الجزء العشرون سورة القصص

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ
فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ
فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ
﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ
يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ
أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ
يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

المعنى العام: أن موسى أكرمه الله بالعلم والإحسان لحل الأمور المشكلات عندما بلغ الشباب، كما يكافئ المحسنين، ثم غاب عن عاصمة ملك فرعون مدة ـ وهي بلدة مَنَف، تتصل بمدينة مصر، وقريبة من الفسطاط وعين شمس ـ وعندما رجع إليها صادف قبطيًّا يقاتل إسرائيليًّا ليذله، واستغاث به الإسرائيلي، فضرب موسى القبطي بقبضته ليدفعه عن الإسرائيلي، فسقط ذلك ميتًا وكان القتل للعدوّ خطأً عن غير عمد. ومع هذا ندم موسى وأعلن التوبة طالبًا المغفرة، ومتعهدًا بترك عون المجرمين.

وفي اليوم التالي كان يترصد في المدينة ما يكون بين الناس من حديث عن قتل القبطي بخوف من العقاب، فاستغاث به الإسرائيلي نفسه على قبطي آخر يقاتله، فوبخه موسى، ثم حاول القسوة على القبطي، فأنكر عليه أن يفعل ما كان منه بالأمس، لئلّا يصير متجبرًا، وهو معروف بالصلاح. وإذ ذاك وصل رجل من حاشية فرعون مسرعًا، يبلغ موسى ما قرّره الزبانية من قتله، وينصحه بالنجاة هربًا، فانطلق موسى من البلدة بين الخوف والرجاء، داعيًا الله أن ينقذه من رجال فرعون السفاحين.

تفسير المفردات: لمّا: عندما. وتوجّه: قصد للنجاة. وتلقاء مدين: نحو بلدة قرب الساحل الشرقي للبحر الأحمر من جزيرة العرب. وقال: دعا. وعسى: أترجّى. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويهديني: يُرشدني ويوفقني. وسواء السبيل:الطريق المستقيم القاصد للخير. ٢٢ وَرد: وصل وأدرك. وماء مدين: مكان فيه بئر مشهورة هناك. ووجد عليه: لقي حوله. والأُمّة: الجماعة. والناس: العرب. ويسقون: يَعرضون مواشيهم على الماء. ومن دونهم أي: بعيدًا منهم. وامرأتين أي: فتاتين. وتذودان: تدفعان غنمهما عن الماء. وقال أي: موسى لهما. وما خطبكما: ما المانع لكما أن تسقيا الغنم؟ لا نسقي: نمتنع من السقي لضعفنا. ويُصدِر الرعاء: يَصرف الرعاة مواشيهم عن الماء. والرعاء: جمع الراعي. والأب: الوالد. والشيخ: من تجاوز الستين من العمر. وهو شُعيب النبي العربي حينذاك. والكبير: العاجز. ٢٣ سقى لهما: ساق غنمهما إلى الماء وشربت. وتولى: انصرف. والظل: ظل شجرة يقيه حرّ الشمس. وربّ: يا ربّي. ولِما أنزلتَ أي: إلى أيّ شيء تُيسِّره. والخير: ما ينفع. والفقير: المحتاج. ٢٤ جاءته: رجعت إليه. وإحداهما: إحدى الفتاتين. وتمشي: تسير. والاستحياء: المبالغة في الحِشمة والحياء. وقالت أي: له. وأبي: والدي. ويدعوك: يطلب حضورك إليه. ويجزيك: يكافئك. والأجر: الثواب. وما سقيت: سقيك الغنم. وجاءه: وصل موسى إلى والدها شُعيب. وقصّ: حكى. والقصص: ما يُحكى. قال أي: شعيب لموسى. ولا تخف: اطمئن واهدأ. ونجوتَ: تخلّصت. والقوم: الجماعة من الأقباط العرب. والظالمون: الكافرون. ٢٥ قالت أي: لأبيها. يا أبتِ: يا أبتي. حذفت الياء للتخفيف. استأجره: استخدمه بالأُجرة. والخير: الأكثر نفعًا. واستأجرت أي: تستأجره. والقوي: القادر على العمل العسير. والأمين: من يُطمأن إليه. ٢٦ قال أي: شعيب لموسى. وأريد: أرغب وأعرض عليك. وأُنكِحك: أزوّجك. وعلى أن أي: شريطة أن. وتأجرني: تكون أجيرًا لي. والحجج: السنوات، جمع حِجّة. وأتممت: أكملت. ومن عندك أي: هو تفضل منك لا إلزام مني لك. وما أريد: لا أطلب. وأشقّ عليك: أحمّلك ما يصعب عليك من السنوات العشر. وستجدني: سوف تراني بحق. وشاء الله: أراد الله أن أصدق. والصالحون: الوافون بالعهد. ٢٧ قال أي: موسى. وذلك أي: ما قلتَه. وبيني وبينك أي: عهد مؤكّد بيننا لا نخالفه. وأيّما الأجلين: أيَّ المدتين المحددتين للعمل. وقضيت: أمضيتُ. والعدوان: التجاوز للحق. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وما نقول: ما تعاهدنا عليه. والوكيل: الشهيد الحافظ. ٢٨

الجزء العشرون — سورة القصص

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ
ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا
تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ
أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ
لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا
يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ
وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

المعنى العام: أن موسى غادر مصر إلى بلدة مَدْيَنَ، بلدةِ شُعيب النبي العربي من ذرية مَدْيَن بن إبراهيم قرب ساحل للبحر الأحمر محاذية لتبوك، ودعا أن يرشده الله إلى الطريق المبارك، وعندما وصل إلى بئر مدين رأى حولها رعاة يسقون ماشيتهم، وفتاتين مع غنمهما بعيدتين عنهم، فسألهما عن ذلك وأجاباته بأنهما ضعيفتان لا تستطيعان مدافعة الناس، وتنتظران انتهاء الرعاة لتسقيا بعدهم، وأبوهما عجوز لا يستطيع العمل. إذ ذاك ساق لهما غنمهما، ودافع الرعاة حتى سقى لهما، ثم استظل بشجرة ودعا أن يوفَّق في الخير وهو في حاجة إليه دائمًا، فذهبت الفتاتان بالغنم.

ثم عادت إحداهما واسمها صفوراء من عند أبيها، تدعو موسى ليجزيه بما ساعدهما، فاستجاب لطلبها دون أن يفكر في الجزاء، وحكى لشعيب ما كان له في مصر فطمأنه، وطلبت صفوراء من أبيها أن يستأجره لِما فيه من القوة والأمانة، فعرض عليه تزوُّجها شريطة خدمته باختياره ثماني سنين أو عشرًا، مع الإكرام والإحسان، معلّقًا ذلك بمشيئة الله، فقبل موسى ما خيّره إيّاه وعاهده على ذلك مؤكدًا بشهادة الله. وفي قصة موسى هنا أيضًا وفيما بعدُ مبالغات من الإسرائيليات المصنوعة، نقلها المفسرون على غير بيان للحقيقة.

الجزء العشرون — سورة القصص

(الحزب ٣٩)

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ
ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ
مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ
غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ
بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا
فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾
قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا
يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

تفسير المفردات: لمّا: عندما. وقضى: وفّى بالتمام. والأجل: المدة المتفق عليها للخِدمة. وسار بأهله: خرج من مَدْيَنَ عائدًا إلى مصر مع زوجته وابنتيه وخادمه. وآنس: أبصر. والجانب: الطرف. والطور: الجبل المشهور في سيناء. والنار: النور الفيّاض. وامكثوا: ابقَوا هنا. ولعلي: أترجّى. وآتيكم: أُحضر لكم. والخبر: الهداية في طريق السفر. والجَذوة: الشعلة. ولعلكم: ليُترجّى لكم. وتصطلون: تستدفئون. **٢٩** أتاها: قرُب من الأنوار. ونودي: دعاه الله باسمه. والشاطئ: الجانب. والوادِ: الوادي أي: ما يفصل بين جبلين. وحذفت الياء تبعًا لرسم المصاحف.والأيمن: الكثير اليُمن والنفع. والبقعة: القطعة من الأرض. والمباركة: العميمة الخير. والشجرة: التي تشعّ منها الأنوار. وأنْ أي: بأن. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود والمستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد في ذاته وصفاته وأفعاله. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. **٣٠** ألق: ارمِ من يدك إلى الأرض. والعصا: القناة من خشب يُتوكّأ عليها حين المشي. ورآها: وجد العصا عِيانًا. وتهتزّ: تتحرك وتتوثّب. والجانّ: الحية العظيمة. وولّى: هرب منها. ومدبرًا أي: موجهًا ظهره إليها دون التفات. ولم يعقّب: لم يعد إليها. وأقبل: تقرّب. ولا تخف: اهدأ واطمئنّ. والآمنون: المحفوظون من كل خطر. **٣١** اسلك: أدخل تحت الإبط. ويدك أي: كفك اليمنى. والجيب: الفتحة العليا من الثوب يدخل منها الرأس. وتخرج: تظهر بإخراجها بعد إدخالها. وبيضاء: مبيضّة مشعّة. والسوء: المرض والأذى كالبرص. واضمم إليك: أدخل إلى إبطك مرة ثانية. والجناح: الكف اليمنى. ومن الرهب: بسبب خوف ضياء الكف. وذانك: هاذان. والبرهان: الدليل القاطع على صدقك. ومن ربك: من عنده وبأمره. وفرعون: ملك مصر من العرب حينئذ. والملأ: الأعوان من الأشراف يملؤون العيون مهابة والمجالس بأجسامهم ويتمالؤون على الباطل. والقوم: الجماعة من الناس. والفاسقون: الكافرون الخارجون على الحق والصواب. **٣٢** قال أي: موسى. وربِّ: يا ربّي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وحذفت الياء للتخفيف. وقتلت نفسًا: سببت قتل إنسان حي. ومنهم: من قوم فرعون. وأخاف: أتوقع وأخشى. ويقتلونِ: يقتلوني أي: يُزهقوا روحي عقوبة. **٣٣** أخي: شقيقي. وأفصح: أبيَن وأوضح. واللسان: الكلام. وأرسله: اجعله رسولاً. والردء: المُعين. ويصدّقني: يكون مصدّقًا لي ومؤيّدًا. ويكذّبونِ: يكذّبوني أي: ينكروا رسالتي. **٣٤** قال أي: الله لموسى. وسنشد: سوف نقوّي حتمًا. والعضد: ما بين الكتف والمِرفق، أي: نؤيّدك ونساعدك. ونجعل: نخلق. والسلطان: التسلّط والغلبة على فرعون وقومه. ولا يصلون إليكما: لا ينالونكما بأذى. وبآياتنا: بسبب المعجزات الدالة على الحق. واتّبعَكما: يستجيب لدعوة التوحيد ويؤمن. والغالبون: المنتصرون القاهرون. **٣٥**

المعنى العام: أن موسى وفى بعهده لشعيب في مهر زواجه، ورجع بها مع ابنتين لهما وخادم يطلب مصر، ورآى في الليل أنوارًا بعيدة، فطلب من أهله انتظاره ليعود إليهم منها بضياء ودلالة على الطريق أو شعلة لنار تدفئهم. وعندما دنا من الأنوار ناداه الله في الوادي المقدس من الشجرة المباركة، وبلّغة توحيد ألوهيته والربوبية آمرًا إياه برمي عصاه، فصارت كالثعبان المتوثّب، وهرب موسى خوفًا دون أن يلتفت أو يعود، ثم أُمر بالعودة والاطمئنان، وإدخالِ كفّه اليُمنى تحت إبطه اليسرى، ليخرجها بعدَ سُمرتها بيضاء بإشعاع يكاد يحول دون البصر، ثم يدخلها ثانية ليخرجها بعد ابيضاضها كما كانت قبل.

وهكذا ستكون العصا واليد دليلين على صدق الرسالة التي أمره الله بتبليغها فرعون وأعوانه من الأقباط العرب. فاعتذر موسى عن ذهابه وحده بقتل القبطي وخوفه الانتقام، وطلب العون بأخيه هارون لأنه أفصح منه، واستجاب الله دعاءه ليقوّيه بأخيه، وبمنعِ الكافرين منهما والتغلبِ عليهم بما معهما من المعجزات. وقد عُبّر عن العصا واليد بالجمع لأن كل واحدة تشتمل على عدد من الآيات.

تفسير المفردات: لمّا: عندما. و جاءهم بآياتنا: عرض على فرعون وأعوانه المعجزات عِيانًا. وبينات أي: واضحات في الدلالة على صحة الرسالة. وقالوا أي: فرعون وأعوانه. وما هذا: ليس ما جئتَ به. والسحر: ما يخدع الحواس والعقول الساذجة ويخيِّل لها غير الواقع. والمفترى: الذي اختُرِع للتضليل والإفساد. وما سمعنا بهذا: لم يبلغنا خبر مثل قولك بالتوحيد. وفي آبائنا: في أيامهم. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد وأقدم الجدود. والأولون: المتقدّمون. ٣٦ قال أي: موسى. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأعلم: محيط كامل الإحاطة. وجاء: أحضر وبلّغ الآخَرين. والهدى: الرشاد إلى الحق والخير في الدنيا والآخرة. وعنده: بأمر الربّ وإرادته. وتكون: تصير. والعاقبة: النهاية المحمودة. والدار أي: الآخرة يوم القيامة. وإنه: إنّ الشأن والأمر العظيم. ولا يفلح: لا يظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة. والظالمون: الكافرون. ٣٧ فرعون: ملك مصر حينئذ. والملأ: السادة والقادة يملؤون النفوس مهابة والمجالس بأجسامهم ويتواطؤون على الباطل. وما علمت: لم يصل إليّ خبر. والإلّه: المعبود. وأوقد: أشعل نارًا. وهامان: وزير فرعون من الأقباط العرب. وعلى الطين: حول التراب المجبول بعد جعله لَبِناتٍ ليتصلب كالحجارة. واجعل: ابنِ واصنع. والصرح: القصر المرتفع. ولعلي: أترجَّى. وأطّلع: أنظر. وأظنه: أعتقد أن موسى.

الجزء العشرون سورة القصص

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ
لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ
لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا
لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى
ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

والكاذبون: الذين يقولون غير الواقع. ٣٨ واستكبر: أظهر فرعون في نفسه ما لا تستحقه من التعالي. والجنود: جمع جند. والجند واحده جنديّ، الإنسان المعدّ للقتال والحرب. والأرض: مصر وما حولها. وبغير الحق: مصاحبًا الباطل الذي لا أصل له في الواقع. وظنوا: اعتقدوا. وإلينا: إلى لقاء حسابنا والعقاب. ولا يرجَعون: يكون الموت نهاية أخيرة لهم فلا يُردّون بالبعث للحساب والجزاء. ٣٩ أخذناه: قضينا اقتلاعه من مصر إلى البحر. ونبذناهم: رميناهم. واليم: بحر القُلزُم «الأحمر». وانظر: تأمل وتدبر بفكرك، أيها السامع أو القارئ. وكان: صار. والعاقبة: النهاية والختام. ٤٠ جعلناهم: صيّرناهم. والأئمة: جمع إمام، الرئيس يُقتدى به. ويدعون: يحضّون الناس. وإلى النار: إلى الخلود في عذاب جهنم. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث للحساب والجزاء. ولا يُنصرون: لا يُمنع عنهم العذاب. ٤١ أتبعناهم: ألحقنا بهم. والدنيا: الحياة القريبة من الناس يعيشون فيها. واللعنة: الخزي والطرد من رحمة الله. والمقبوحون: المستقذَرون المبعَدون إلى العذاب. ٤٢ آتينا: أوحينا على لسان جبريل. والكتاب: التوراة. وأهلكنا: أفنينا بالعذاب انتقامًا. والقرون: جمع قرن، الجيل البشري. والأُولى: الماضية المتقدمة. والبصائر: ما يُتبصَّر به من العظات والأنوار للقلوب، جمع بَصيرة. والناس: البشر من بني إسرائيل. والهدى: الإرشاد والتوجيه. والرحمة: الإحسان والعطف. ولعلهم: ليُرَجَّى لهم. ويتذكّرون: يتعظون فيتركون الشرك ويؤمنون بالتوحيد والبعث. ٤٣

المعنى العام: أن فرعون وأتباعه لما رأوا معجزتَي العصا واليد وصفوا ذلك بأنه سحر واضح يخدع الناس بالباطل، وأنهم ما علموا بشيء من دعوة التوحيد فيما مضى من الأمم، وردّ عليهم موسى بأن الله يعلم حقيقة الصادق ومن تكون له عقبى الآخرة بالنعيم، إذ لا يفلح إلّا المؤمنون. أما فرعون فادّعى أنه المعبود الوحيد وأمر هامان ببناء قصر عال ليرى الله، وكذّب رسالة موسى، وتجبّر مع جنوده بالباطل منكرين البعث، فعاقبهم الله برميهم في البحر والهلاك غرقًا.

وفي ذلك العقاب عظة واعتبار، فصاروا بكفرهم قدوة يدفعون الناس إلى جهنم بلا نصير، وعليهم اللعنة في الدنيا بألسنة المؤمنين والملائكة، ولهم الاستقذار والحقارة يوم القيامة. وأما موسى فقد أوحى الله إليه التوراة، ثم كُتبت على الألواح، كالأنوار يُستبصَر بما فيها من الهداية والأحكام، فيتعظ بنو إسرائيل بها لطلب الحق، وقد مضت قبلهم أممٌ كافرة مستأصلة، كما جرى لفرعون وقومه.

تفسير المفردات: ما كنت أي: لم تكن، أيها النبي. والجانب: طرف الوادي. والغربي: موضع المناجاة لله غربيَّ الوادي. وإذ قضينا: حين أوحينا. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. الأمر: التكليف بالرسالة. والشاهدون: الحاضرون يرون ويسمعون. ٤٤ أنشأنا: خلقنا وأوجدنا بعد موسى. والقرون: الأمم، جمع قرن. وتطاول: امتدّ كثيرًا. والعمر: المدة المحددة لحياة المخلوق. والثاوي: المقيم. والأهل: السكّان. ومدين: البلدة التي كان فيها شُعيب وأقام فيها موسى. وتتلو: تقرأ وترتل. والآيات: النصوص القرآنية فيها قصة شعيب ومن معه. وكنّا أي: وما زلنا. والمرسِل: المبلِّغ بالوحي للتكليف والدعوة. ٤٥ الطور: الجبل الذي كانت فيه المناجاة. وإذ نادينا: حين خاطبنا موسى باسمه. ولكن أي: وإنما أرسلناك. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربك: من قضائه وبأمره. وتنذر: تخوّف انتقام الله من العاصين. والقوم: الجماعة من الناس. وما أتاهم: ما جاءهم بتكليف من الله. ومن نذيرٍ: مخوّفٌ بالعذاب لمن كفر. وقبلك أي: في الفترة بينك وبين إسماعيل. ولعلهم: ليُرَجَّى لهم. ويتذكرون: يتعظون ويؤمنون. ٤٦ لولا: لولا توقُّع. وتصيبهم: تنزل بهم. والمصيبة: العقوبة العظيمة. وبما قدمت أيديهم أي: بسبب ما اكتسبوه وتحمّلوه. والأيدي: جمع يد. وربنا: يا ربنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه ولولا: هلّا. وأرسلتَ: كلّفت وبعثت بالدعوة. ونتّبع آياتك: نعمل بما أوحيت وأمرت. ونكون: نصير. والمؤمنون: المصدّقون لله والرسول. ٤٧ لمّا: عندما. وجاءهم: أتى مشركي مكة مبلّغًا ومنذرًا. والحق: محمد ﷺ الصادق صدق اليقين. ومن عندنا: بأمرنا وتكليفنا. قالوا أي: مشركو مكة. ولولا: هلّا. وأوتي: أُعطي. والمثل: المماثل من المعجزات. وألم يكفروا: لقد أنكروا وجحدوا. وقبلُ: قبلِ القرآن الكريم. وقالوا: جاهروا بالقول. وساحران أي: موسى ومحمد يخدعان العقول والحواس بتخييل ما ليس له وجود. وتظاهرا: عاون كل منهما الآخر في الباطل. وبكل أي: من التوراة والقرآن. والكافرون: المكذبون. ٤٨ قل أي: للكافرين، أيها النبي. وائتوا بكتاب: أحضروا كتابًا. ومن عند الله: بوحيه وأمره. وأهدى: أوضح في إرشاد الناس إلى الحق. ومنهما أي: من التوراة والقرآن الكريم. وأتّبعه: أُومنُ بصحته. والصادقون: الذين يقولون الحق. ٤٩ لم يستجيبوا لك: لم يفعلوا ما أمرتهم بإحضاره. واعلم أي: دم على علمك اليقيني. ويتبعون: يفضّلون على الحق في الانقياد. والأهواء: جمع هوى، ما تزّينه النفس وتشتهيه. ومن أضل أي: لا أحد أكثر بعدًا عن الحق. وبغير أي: بدون. والهدى: الرشاد والتوفيق. ومن الله: من عنده وبأمره. ولا يهديه: لا يُمِدّه بتقبل الإيمان لِما في نفسه من الخبث والعناد، ويتركه لِما هو فيه ويزيده. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: الذين اختاروا الكفر فظلموا الحقيقة وجاروا على أنفسهم. ٥٠

الجزء العشرون — سورة القصص

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ
مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟
رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟
لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ
مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

المعنى العام: أن محمدًا ﷺ لم يكن حاضرًا مناجاة موسى ولا دعوة شعيب أهلَ مَدْين. فكيف يزعم المشركون أن ما يسمعونه منقول من هناك؟ فقد كانت بعد موسى وشعيب أمم طالت أعمارهم فضاعت حقائق الإيمان وضل الناس، واقتضت الحكمة تجديد العقيدة والتشريع برسول يبلّغ الناس، وما كان هذا الرسول حين أوحى الله على موسى التوراة، ليصير ما يتلوه في القرآن هو من تلقاء نفسه، وإنما ارسله الله إرشادًا لقوم لم يأتهم رسول رجاءً لهم أن يتعظوا ويستجيبوا للحق، ومنعًا لاحتجاجهم بأنهم لم يبلَّغوا، ويتمنوا أن يكونوا قد بُلّغوا ليؤمنوا. ولولا توقُّع احتجاجهم هذا لما جاءهم رسول.

فقد جاءهم محمد ﷺ وتمنوا عليه أن يكون له معجزات كموسى، مع أنهم اتهموهما معًا بالسحر، وكفروا بالتوراة والقرآن الكريم معًا. فاطلب منهم ـ أيها النبي ـ أن يأتوا من عند الله بما هو أهدى من القرآن لتتبعه، وهم لن يستطيعوا ذلك لأنهم جاحدون للحق يتبعون شهواتهم، وما أضلّ من يتبعها من دون تبصّر، ولا هداية من الله !

الجزء العشرون — سورة القصص

۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ
ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ
ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ
أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن
نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

الحزب ٤٠

تفسير المفردات: وصَّلنا: تابعنا التنزيل متواصلًا. ولهم: للكافرين في مكة. والقول: ما يقال بالوحي. ولعلهم: ليُرجَّى لهم. ويتذكرون: يتعظون ويتركون الشرك والعصيان. ٥١ آتيناهم: أنزلنا إلى آبائهم فبلّغوهم وعلّموهم. والكتاب: الكتب نُزّلت على موسى وداود وعيسى. وقبله: قبل القرآن. وبه يؤمنون: يصدّقونه يقينًا ويتبعونه. ٥٢ يتلى: يقرأ. وآمنّا به: أيقنا أنه كلام الله. والحق: الصدق لا شك فيه. ومن ربنا: من عنده وبأمره. ومن قبله: من قبل تنزيله. والمسلمون: المستسلمون لأمر الله مصدقين للوحي وللقرآن الكريم. ٥٣ أولئك أي: أهل الكتاب المؤمنون بالقرآن. ويؤتون:يكافؤون في الدنيا والآخرة. ومرّتين: في زمانين مختلفين فيكون الأجر مضاعفًا. وبما صبروا: بسبب حبس أنفسهم على الثبات والتحمل. ويدرؤون: يدفعون. وبالحسنة: بوساطة العمل الصالح. والسيئة: المعصية منهم، أو إيذاء الأعداء لهم. ورزقناهم: خلقنا وهيّأنا لهم من المال الطاهر والحاجات الحيوية. وينفقون: يبذلون في العون والبرّ والجهاد. ٥٤ سمعوا: بلغ سمعَهم. واللغو: الباطل والأذى. وأعرضوا: انصرفوا. وقالوا أي: للكافرين المؤذين. والأعمال: جمع عمل، ما يكتسبه الإنسان بقلبه أو لسانه أو جوارحه. والسلام: التحية بالمسالمة والموادعة. ولا نبتغي: لا نصحب ولا نقابل بالمثل. والجاهلون: الطائشون لا يحسنون التصرف. ٥٥ إنك أي: أيها النبي. ولا تهدي: لا تقدر على خلق الهداية، وإنما ترشد وتنصح. وأحببتَ: رغبتَ هدايته. ويشاء: يريد هدايته. وأعلم: عالم مع المبالغة. والمهتدون: الذين يتقبلون الهداية لِما لديهم من استعداد وطيب نفس. ٥٦ قالوا أي: كفار قريش. ونتّبع الهدى معك أي: نوافقك ونصاحبك في التوحيد. ونُتخطَّف: نُنتزَع بالقتل والأسر. والأرض: مكة المكرمة. وألم نمكن: لقد أثبتنا. والحرم: البلد يُحرَّم القتال فيه والعدوان. والآمن: الذي يأمن أهله ويطمئنون. ويجبى: يجمع ويساق. والثمر: ما ينعقد عن زهر النبات غذاء وزينة ومتاعًا ودواء. والشيء: ما هو موجود. والرزق: ما ييسَّر للخلق من الحاجات المادية والمعنوية. ولدنا: عندنا. وأكثرهم: غالبيتهم. ولا يعلمون: يجهلون حقيقة ما نقول. ٥٧ كم أهلكنا: ما أكثر ما أفنينا ! والقرية: البلدة بمن فيها. وبطرت: طغت لعدم القيام بحق النعمة. ومعيشتها: في عيشها. والمساكن: جمع مسكن، ما بقي من آثار التدمير. ولم تسكن: هُجرت وأُهملت. وقليلًا أي: بالزيارة والمرور. والوارثون: المالكون للشيء نتصرف فيه. ٥٨ ما كان: ما صح في القضاء المحكم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. والمهلك: المستأصل. والقرى: جمع قرية. ويبعث: يرسل للدعوة والإنذار. وأُمّها: أعظم المدن. والرسول: من يكلّف بالدعوة مع العمل. ويتلو: يبلّغ ويقرأ. والآيات: النصوص الإلَهية في العقيدة والتشريع. وأهلها: أصحابها المقيمون فيها. والظالمون: الكافرون بالرسل.٥٩

المعنى العام: أن الله تابع الوحي بالمواعظ والعقيدة والشريعة ليهتدي كفار مكة. ولمّا جاء بعض اليهود والنصارى مؤمنين من المدينة والحبشة والشام نزلت الآيات ٥١ـ٥٥، تذكر استجابتهم للحق وما كانوا عليه من التوحيد والبحث عن نبوة محمد ﷺ لأنهم علموا ذلك مما في أصل التوراة والإنجيل، وينتظرونه للإيمان به. فهؤلاء لهم أجر مضاعف في الدنيا والآخرة، لِثباتهم على الحق في دينهم ورسالة القرآن الكريم، ولسعيهم بالخير دون الشر، وبذلهم ما يملكون في سبيل الله، وإعراضهم عن الشتم والأذى، ولمسالمة الكافرين إذ الإنسان مسؤول وحده عن عمله. ولمّا أراد النبي ﷺ هداية عمه أبي طالب نزلت الآية ٥٦ بأن ذلك لا يفيده، والله يهدي من كان عنده استعداد للصلاح. وهؤلاء المشركون يحتجون لكفرهم بخوف اعتداء الناس عليهم، متجاهلين ما أحاط الله به مكة من أمن ونعم ورخاء. وما أكثر ما أهلك الله أممًا كافرة، هُجرت منازلها المدمرة إلّا من زيارات خاطفة للمارّة، ورجع ملكها لله كما هو الأصل ! وهو لا يُهلك قومًا بكفرهم إلّا بعد أن يأتيهم من أعظم مدنهم رسول يبلّغهم، ليكون الانتقام منهم بحق وعدل.

الجزء العشرون سورة القصص

وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ
اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا
فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ
كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ
الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا
يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا
لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ
يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

تفسير المفردات: أوتيتم: أُعطيتم. والشيء: ما هو موجود من النعم. والمتاع: ما يُستلذ به ويفاخَر. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. والزينة: ما يحسَّن به الشيء. وعند الله: في ملكه وتصرفه من مكافأة الإيمان. وخير: أكثر نفعًا. وأبقى: أكثر دوامًا. وألا تعقلون: استعمِلوا عقولكم لتدبر الأدلة والتوجّه إلى التوحيد. ٦٠ أمَن وعدناه: ليس من تعهدنا له. والحسَن: الجميل يُسعَد به. ولاقيه: واصل إليه ومدركه لا محالة. ومتعناه: أمددناه بما يستلذه موقتًا. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث للحساب. والمحضرون: الذين يحشرون للعقاب. ٦١ يوم يناديهم: وقت دعوة الله المشركين على لسان ملائكة العذاب. وأين الشركاء: لماذا لم يحضر الذين جعلتم لهم شركة في استحقاق العبادة؟ وتزعمون: تظنونهم آلهة. ٦٢ حق: وجب لِما هم عليه من الكفر. والقول: ما يقتضيه الوعيد بالعذاب. وربّنا: يا ربّنا. وأغوينا: زيّنّا لهم الشرك والباطل. وكما غوينا: مثلَما ضللنا. وتبرأنا: تخلّصنا منهم. وإيانا يعبدون: يقدسوننا ويطيعوننا. ٦٣ قيل أي: قالت ملائكة العذاب للمشركين. وادعوا شركاءكم: استغيثوا بمعبوديكم من الأصنام. ولم يستجيبوا: لم يجيبوهم بشيء. ورأوا: أبصر المشركون المخاطَبون عِيانًا. والعذاب: التعذيب. ولو أنهم: تمنوا أنهم. ويهتدون: يستجيبون للتوحيد والطاعة. ٦٤ يوم يناديهم: وقت ندائهم على لسان الزبانية. وماذا: أيَّ جواب؟ وأجبتم المرسلين: رددتم على من أرسلناهم لتبليغ التوحيد. ٦٥ عميت: صارت كالعُمْي لاتهتدي. والأنباء: الأخبار المفيدة، جمع نبأ. ويومئذ: يوم القيامة. ولا يتساءلون: يسكتون من الحَيرة واليأس، فلا يسأل بعضهم بعضًا. ٦٦ تاب: اعترف بذنبه وتعهد بعدم العودة إليه وأصلح ما أفسد في الدنيا وطلبَ المغفرة. وآمن: عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب. والصالح: ما يرضاه الله. وعسى: وجب. ويكون: يصير. والمفلحون: الناجون من العذاب لِما وعد الله إياهم. ٦٧ الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. ويخلق: ينشئ. ويشاء: يريد أن يخلقه. ويختار: يصطفي من البشر من يريده للنبوة. وما كان لهم: ما صح للمشركين ولا يجوز. والخيرة: اختيار شيء بإرادة مطلقة. وسبحان الله: تنزيهًا له عما يدّعونه. وتعالى: ترفع وتسامى. ويشركون: يزعمون من الشركاء في الألوهية. ٦٨ يعلم: يحيط إحاطة تامة. وتكنّ: تُخفي وتَستر. والصدور: جمع صدر. والمراد هو القلب موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. ويعلنون: يجهرون به. ٦٩ الإلَه: المعبود بحق. وله أي: مُلكه وحده. والحمد: الثناء بالجميل على النعم. والأولى: الحياة الدنيا. والآخرة: يوم القيامة. والحكم: القضاء المحقَّق. وإليه: إلى لقاء وعده بالحشر. وترجعون: تُردّون للحساب والجزاء. ٧٠

المعنى العام: أن ما في الدنيا من المستلذات آنيّ من المتاع والزينة، وثواب الله أفضل وأدوم ـ فعلى الكافرين تدبر ذلك ـ وليس الموعود بالجنة كالذي يتمتع في الدنيا ومصيره جهنم، حين يُطلب من المشركين إحضار معبوداتهم لتنقذهم، ويتبرأ المعبودون البشريون ممن عبدوهم، لأنهم كانوا يقدّسون أهواءهم وشهواتهم، والأصنامُ ليس لها حضور فقد فنيت، ويتمنى المشركون أنهم كانوا مؤمنين، وحين يُسأل المشركون عما أجابوا به المرسلين، فيعمَون عن الإجابة بشيء، ولا يتعاونون على الجواب. أما التائبون والمؤمنون الصالحون فواجب لهم الفوز بالنجاة. والخلق كله بيد الله، وليس لأحد أن يختار شيئًا اختيارًا حقيقيًّا قاطعًا، بدون إذن الله وعلمه.

فسبحانه وتعالى عما يشركون ويصفون، وهو يعلم أسرار القلوب وظواهرالأعمال، متفردًا في الألوهية والحكم بالدنيا والآخرة والحساب والجزاء النهائي، حيث يُبعث الناس من قبورهم ويُحشرون للقاء ما كانوا يوعدون.

وإنما يذكّر القلب السليم في مثل هذه الأحوال ويقبل الهداية لأنه هو موطن التفكر والاعتقاد والأسرار، يمد الدماغ بماء الحياة صافيًا، ولا يُنكر بهذا ما بينهما من اتصال، يقتضي فساد العقل إذا فسد الدماغ، لأن ذلك ينعكس من القلب أيضًا.

تفسير المفردات: قل أي: للكافرين ـ أيها النبي ـ إلزامًا بالحجة. وأرأيتم: انظروا في حقائق الكون وتدبروها لتخبروني بالجواب الصحيح. وجعل: صيّر. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والليل: مابين الغروب والفجر. وسرمدًا: دائمًا بحجبِ الشمس وعدم شروقها. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث للحساب. والإِلَه: المعبود. ويأتيكم بضياء: يحضر لكم ضوء نهار. وألا تسمعون: اسمعوا وأدرِكوا ما يقال لترجعوا عن الإشراك إلى التوحيد والطاعة. ٧١ النهار: من الفجر إلى الغروب. وسرمدًا: دائمًا يحجب الليل بعدم غروب الشمس. وليل أي: ظلام. وتسكنون: تستريحون. وألا تبصرون: تبصّروا ما أنتم فيه من الخطأ وارجعوا إلى الصواب.٧٢ رحمته: عطف الله بالفضل والنعم. وجعل لكم: خلق لأجلكم. وتبتغوا: تطلبوا في النهار. وفضلُه: تفضُّل الله بتيسير متاع الدنيا وزينتها. ولعلكم: ليُترجَّى لكم. وتشكرون: تذكرون النعمة وتُثنون على منعمها بالقلب واللسان والعمل. ٧٣ يوم يناديهم: وقت نداء الله المشركين على لسان ملائكة العذاب. وأين شركائي: لماذا لم يحضر الذين جعلتموهم شركاء في العبادة؟ وتزعمون: تدَّعون لهم التألّه. ٧٤ نزعنا: أخرجنا. والأمة: الجماعة من الناس على دين واحد. والشهيد: من يتكلّم بما يعلم للفصل في الحكم. وقلنا أي: لأفراد الأمم من المشركين. وهاتوا: أحضروا وقدّموا. وبرهانكم: الحُجّة التي تؤيّدكم. وعلموا: أدركوا بالعِيان واليقين. والحق: الأمر الثابت دون شك أو إخلال. وضل: غاب. ويفترون: يصطنعون الأكاذيب والأباطيل عن الشركة في الألوهية. ٧٥ قارون: أحد أقرباء موسى. وقوم موسى: ذرية يعقوب الحاميّة المشرّدة في مصر. وبغى: طلب التعالي والتسلط بماله وسيادته. وآتيناه: أعطيناه ورزقناه. والكنوز: جمع كنز، ما يُجمع من المال ولا يؤدَّى حقه. والمفاتح: جمع مِفتح، ما يكون لفتح الأقفال وإغلاقها. وتنوء بالعُصبة: تُثقِل الجماعة من الناس فلا يستطيعون حملها ولا ضبط ما تحفظه.

ربع الحزب ٤٠

وأولو: أصحاب، واحده ذو. والقوة: القدرة العظيمة. وقومه: المؤمنون من بني إسرائيل. ولا تفرح: اترك السرور والتفاخر. ولا يحب الفرحين: يكره البطِرين بما عندهم فينتقم منهم. ٧٦ ابتغِ: اطلب. وفيما آتاك: بما أعطاك من المال. والدار الآخرة هي الجنة. ولا تنس: لا تترك. ونصيبك: ما تحتاج إليه في الحقوق والواجبات. ومن الدنيا: من حاجات الحياة الدنيا. وأحسِنْ: قدّم الحسن النافع. وكما أحسنَ إليك: مثلما أنعم عليك. ولا تبغ: لا تلتمس وتطلب. والفساد: إشاعة الضرر والشر. والأرض: مصر وما حولها. والمفسدون: الذين يقترفون الفساد ويشيعونه. ٧٧

الجزء العشرون — سورة القصص

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ
فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

المعنى العام: أن يأمر محمد ﷺ الكافرين من أهل مكة المكرمة بتدبّر حال الدنيا وما يحدث فيها، ويخبروه بعد التفكير والعلم اليقين: إنْ محق الله الليل أو النهار إلى الأبد بتثبيت أحدهما دون الآخر فمن يأتيهم بشيء من ضياء يعملون فيه أو ظلام يهدؤون فيه؟ فلْيتبصَّروا ما في الليل والنهار وتعاقبهما وما يكون فيهما من نقص وزيادة واختلاف في الصفات، تيسيرًا للسعي والراحة للبشر البشر، وليتعظوا ويؤمنوا ويشكروا، ولْيتذكروا ما سيكون يوم القيامة حين يُسألون عن غياب آلهتم، وتشهد عليهم أنبياؤهم بالكفر، ويطالَب المشركون بالدليل على شركهم، ويتحقق لهم توحيد الله وبطلان ما كانوا يختلقون من الأكاذيب.

وهذا قارون قد أغناه الله بما تعجز الجماعة القوية عن تحمل مفاتيح كنوزه وحساباتها، وتكبَّر بما يملك من النعيم والجاه، فنصحه المؤمنون أن يتواضع ليتفادى انتقام الله من البطرين المتفاخرين بالمتاع ، وينفقَ ما ييسِّر له النجاة يوم القيامة، مع التمتع بما يحتاج إليه في الدنيا، وأن يحسن بالصدقات كما أحسن الله إليه، ولا يطلب المعاصي والشر لأن الله يكره المفسدين ويعاقبهم بدون رحمة.

تفسير المفردات: قال أي: قارون للمؤمنين. أوتيته: أُعطيتُ المال والجاه. وعلى علم عندي: مكافأةً باستحقاق درايتي ومعرفتي، لا تفضلًا وإنعامًا من الله. وألم يعلم: لقد علم يقينًا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأهلك: أفنى بالانتقام. والقرون: الأُمم، جمع قرن. وأشدّ: أعظم وأبلغ. والقوة: الصلابة والعزم. وأكثر: أوفر. والجمع: الحشد والكنز للمال. ولا يُسأل أي: سؤالَ استعلام عن مجهول. والذنوب: جمع ذنب. وهو المعصية. والمجرمون: الذين يقترفون الجرائم. ٧٨ خرج: برز قارون من قصوره مفاجئًا. والقوم: الجماعة من بني إسرائيل. وفي زينته: متلبسًا ما يَتحلّى به ويفاخِر. وقال أي: صرّح بالقول أو أضمره. ويريدون الحياة الدنيا: يفضّلون الحياة التي هم فيها على الآخرة. ويا ليت: نتمنّى. والمِثل: الشبيه المقارب في القدر. وأوتي: أعطيَه. وذو حظ: صاحب نصيب. والعظيم: الكثير يُحسد ويغبط عليه. ٧٩ وقال أي: لأصحاب القول الماضي. وأُوتوا: أعطوا. والعلم: الدراية اليقينية. وويلكم: الويل والشقاء لكم مما قلتم. والثواب: المكافأة. وخير: أكثر نفعًا. وآمن: عرف قلبه الإيمان وما يلزمه. وعمل: اكتسب بنية أو قول أو فعل. والصالح: ما أمر الله به. ولا يلقّاها: لا يعطَى تلك الحال المذكورة. والصابرون: الذين يتجلدون ويتحملون عمل الطاعة وترك المعصية. ٨٠ خسفنا بداره: غوّرنا قصوره وغمرناها بالأنقاض. وبه أي: وهو فيها. والأرض: ما كانت عليه تلك القصور والكنوز. والفئة: الجماعة من الناس وغيرهم. وينصرونه: يمنعون عنه الهلاك. ودون الله: غيره. والمنتصرون: الممتنعون بأنفسهم من العذاب. ٨١ أصبح: صار. وتمنوا: أحبّوا. والمكان: المنزلة من الغنى والجاه. والأمس: الزمن القريب. ووَي: نعجب. وكأنّ أي: لأنّ. ويبسط: يوسّع. والرزق: ما يُعطاه المخلوق من المتاع والزينة مادة ومعنى. ويشاء: يريد أن يبسط رزقه. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. ويقدر: يضيّق على من يشاء. ولولا: لولا حصل. ومنّ علينا: تفضّل علينا بالإيمان والرحمة. وخسف بنا: غوّر الأرض وطمرنا بالأنقاض. ولا يفلح: لا يظفر بالرحمة. والكافرون: الذين لا يقومون بواجب النعم من الشكر. ٨٢ الدار: مكان الإقامة. والآخرة: الأخيرة تكون بعد الحساب يوم القيامة. ونجعلها: نصيّرها ونهيّئها. ولا يريدون: لا يطلبون. والعلو: التكبر. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والفساد: عمل المعاصي والفواحش. والعاقبة: النهاية المحمودة. والمتقون: الذين يخافون العذاب ويتجنبون ما يسببه ويلزمون الطاعة. ٨٣ جاء: حضر يومَ القيامة. وبالحسنة: مع ما يُحمد فعله شرعًا. وخير: أكثر نفعًا. وبالسيئة: مع ما يُذمّ فاعله شرعًا. ولا يجزى: لا يعاقَب. وعملوا: اكتسبوا من نية أو قول أو فعل. ٨٤

سورة القصص — الجزء العشرون

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ
وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا
بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟
مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ
وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

المعنى العام: زعم قارون لنفسه وصرح للقوم أن غناه وسيادته هما مكافأة لعِلمه، ونسي ما لقيتْ قبله الأمم الكافرة من الدمار، رغم أنها أغنى منه وأقوى، ولن يُسأل أولئك المجرمون في الآخرة سؤال استعلام أو عتاب، بل سؤال توبيخ وتقريع وتجريم. وكان قارون يتظاهر بالزينة دائمًا، فخرج على بني إسرائيل من قصوره بما عنده من الحرس ومظاهر الأُبّهة، وتعجب الإسرائيليون من ذلك وتمنى أصحاب الدنيا منهم أن يكونوا مثله، فوبخهم العلماء بالويل والشقاء على ما كان منهم لأن ثواب الآخرة أنفع للمؤمن الصالح، ولا يكون ذلك إلّا بالصبر والتقوى. ثم نزل الانتقام الرباني بقارون وأملاكه، فزلزل الله القصور وطمره بأنقاضها، دون أن ينقذه أحد، فصار أصحاب الدنيا يعجبون لعدم فلاح الكافرين، مع غناهم الذي يوسّعه الله على من يشاء للاستدراج والامتحان، ويذكرون أن الله أكرمهم فلم يعاقبهم كما عاقب قارون، وأنه لا نجاة للكافرين من العذاب. فنعيم الآخرة والعاقبة المحمودة للمتقين يتواضعون ولا يفسدون، والحسنة تجزى بخير منها، والسيئة تقابل بقدرها من العقاب والعذاب.

تفسير المفردات: فرض عليك: أوحى إليك ـ أيها النبي ـ وكلفك بالتبليغ والعمل. والقرآن: ما أوحي من الكتاب العظيم. والرادّ: مَن يردّ ويعيد. والمَعاد: الموضع الذي خرجتَ منه مهاجرًا. وقل أي: للكافرين، أيها النبي. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والأعلم: العالم بالغ العلم. وجاء بالهدى: صاحبَ الهداية إلى الحق في الدنيا. والضلال: الخروج عن الحق إلى الباطل. والمبين: الظاهر لاشك فيه. ٨٥ ترجو: تطلب قبل تكليفك بالرسالة. ويلقى: يوحَى. والكتاب: القرآن الكريم. والرحمة: العطف بالإحسان. ومن ربك: من عنده وبأمره. ولا تكونن ظهيرًا للكافرين أي: اثبُت على التوحيد ولا تلتفت إلى عون المشركين. والكافر: من كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. ٨٦ لا يصدّنك: لا يمنعنَّك. وعن الآيات: عن تلاوتها وتبليغها والعمل بها. وإذ أنزلت إليك: وقت إيحائها إليك وتكليفك العمل بها. وادع: بلِّغ الناس الدعوة. وإلى ربك: إلى دينه وطاعته. والمشركون: الذين يقدسون غير الله. ٨٧ لا تدع: لا تعبد. والإلٰه: المعبود. والآخر: المغاير لله. والشيء: المخلوق. والهالك: الفاني بالعدم. ووجهه أي: وجه الله صفة له كما يليق بجلاله، وحياة الوجه تقتضي حياة الذات بالضرورة. والحكم: القضاء النافذ. وإليه: إلى لقاء حسابه وجزائه. وتُرجعون: تُردّون.٨٨

سورة القصص — الجزء العشرون

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي
أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ
تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ
اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الْعَنكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

المعنى العام: أن النبي ﷺ عندما هاجر اشتاق إلى مكة، فنزلت الآية تبشّره بالعودة إليها. فالله الذي أوحى إليه القرآن سيعيد النبي منتصرًا على المشركين، فلا يتضعضعْ من عناد الكافرين ولا يكونوا مانعين له من الدعوة بمضايقتهم، ولْيواجهْهم بأن الله يعلم المصلح من المفسد، ولْيتابعِ التبليغ والتوحيد. وقد اختصّه بالوحي رحمة، ولله الحكم النافذ دائمًا وله البقاء بعد فناء المخلوقات، ثم يعود الناس إلى الحساب.

٢٩ ـ سورة العنكبوت

الحزب ٤٠

تفسير المفردات: الٓمٓ: أحرف مقطَّعة هي سِرّالله المكنون في كتابه العزيز. ١ أحسب: لا يظنّ ولا يحسَبْ. والناس: المؤمنون. ويتركوا أن يقولوا: يهملوا بقولهم. وآمنّا: صدّقنا الله ورسوله. ولا يفتنون: لا يُمتحنون بالشدائد المختلفة. ٢ فتنّا: امتحنّا بالبلاء. ويعلمنّ الله: يُظهرنّ علمه للعِيان في الواقع. وصدقوا: وافق فعلهم ما قالوا واعتقدوا. والكاذبون: الذين ينافقون.٣ أم حسب: بل أيظنُّ؟ ويعملون: يكتسبون بنية أو قول أو فعل. والسيئة: الشرك والمعصية. ويسبقونا: ينجوا من عذابنا. وساء: بلغ الغاية في السوء والشر والقبح. وما يحكمون: الذي يظنونه ويدّعونه. ٤ يرجو: يخاف. ولقاء الله: لقاء حسابه وعقابه. وأجل الله: الوقت الذي حدّده للقاء الجزاء. وآت: واقع لا محالة. والسميع: البالغ الإدراك لِما خفي وظهر. والعليم: المحيط إحاطة بالغة بكل شيء. ٥ جاهد: بذل أقصى ما يستطيع من المال والقدرة والصبر والعلم والعمل في سبيل الله. ولنفسه أي: أن نفع الجهاد يعود عليه في الدنيا والآخرة. والغني: المستغني لا يحتاج إلى أحد. والعالَمون: مجموع جنس المخلوقات. ٦

المعنى العام: لِيعلمِ المؤمنون أنه لا تتحقق العقيدة بلا بذل تضحيات، فلا بد من نزول المصائب عليهم بسبب إيمانهم، كما جرى للأمم الماضية من قبلهم، إذ امتحنهم الله بكثير من الأهوال لتظهر حقائق نفوس الصادقين والمنافقين، ويُشاهَد ما تتضمنه بعد أن كان خفيًّا في علم الله وقدره. وعلى الكافرين أن يعلموا أيضًا تحقق ما ينتظرهم من العذاب، ولن ينجوا منه مهما فعلوا. فما أشنع ما يدّعونه ويظنون من عدم الحساب، أو نجاتهم منه !

ولهذا فإن المؤمن الذي يخاف لقاء حساب الله يوم القيامة يستعد بالطاعة له في الأمر والنهي، لأن ذلك اللقاء لا مفر منه، والأعمال مسجّلة باطّلاع وعلم. ومن استجاب لجهاد العدو ونصرة دين الله، بما يملك من القدرات، فإن نتيجة عمله ترتد عليه عزة في الدنيا وثوابًا في الآخرة، والله يعلم كل شيء وغني عن المخلوقات جميعًا، فيكون حسابه بعلم وعدل.

تفسير المفردات: أمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا بنية أو قول أو فعل. والصالح: ما حسّنه الشرع. ونكفّر: نستر ونمحو. والسيئة: ما نهى عنه الشرع. ونجزي: نكافئ. والأحسن: الأفضل. ٧ وَصّينا: أمرنا بالتعهد والبرّ. والإنسان: ابن آدم. والوالدان: الأب والأم، أو الجد والجدة. والحُسن: جمال القول والفعل والمعاملة. وجاهدك: أكرهك وحملك. وتشرك بي: تجعل معي شريكًا في الألُوهية والعبادة. والعلم: المعرفة الحقيقية. ولا تطعهما: لا تستجب لهما. وإليّ: إلى لقاء ما وعدتُ في يوم القيامة. والمرجع: العودة بعد البعث للحساب والجزاء. وأنبّئ: أُخبر وأذكّر. ٨ ندخلهم: نجعلهم. وفي الصالحين: في جملة المطيعين المخلصين ومنزلتهم معهم في الجنة. ٩ من الناس: بعضهم. وآمنّا بالله: صدّقناه وأقررنا بوحدانيته. وأوذي: عُذب تعذيبًا لا يصبر عليه. وفي الله: بسبب دينه واعتقاده. وجعل: صيّر. والفتنة: الأذى. والناس: الكافرون. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة. ولئن: أُقسِمُ إن. وجاء: وقع وحصل. والنصر: العون والتغلب على العدو. ومن ربك: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويقول: يجاهر بالقول لكم. ومعكم أي: في الإيمان. وأليس الله أي: إنه حقًا. وأعلم: عالم نهاية العلم وبالغَه. والصدور: جمع صدر. يراد به القلب الذي فيه. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والعالَمون: مجموع أجناس المخلوقات التي تعقل. ١٠ ليعلمن: ليُظهرن في الواقع فعلًا ما هو في علمه القديم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والمنافقون: الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم ولم تطمئن به قلوبهم. ١١ كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. واتبِعوا: اسلكوا ووافقوا. وسبيلنا: طريقنا في الدين. ونحمل خطاياكم: نتحمل عنكم عقاب ذنوبكم. والخطايا: جمع خطيئة. وهي الذنب والمعصية. وما هم: ليس الذين كفروا. وخطاياهم: خطايا المسلمين. والشيء: ما هو موجود. والكاذبون: من يقولون غير الحق. ١٢ الأثقال: جمع ثِقْل، مسؤولية الذنب. ويُسأل: يذكَّر. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم للحساب والجزاء. ويفترون: يكذبون على الله. ١٣ وأرسلنا: بعثنا للتبليغ والإنذار. ونوح: نبي بعد آدم وشيث وإدريس، فيما نعلم. وقومه: الجماعة التي هو من أبنائها، وكانت تعبد الأصنام. ولبث: أقام وبقي. والسنة والعام شيء واحد في المدة. وأخذهم: عاقبهم وأهلكهم. والطوفان: الماء الغامر الجارف. والظالمون: الذين تجاوزوا الحق وكفروا. ١٤

الجزء العشرون — سورة العنكبوت

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّـٰلِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن
شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

المعنى العام: أن المؤمنين الصالحين تُغفر ذنوبهم بما لهم من حسنات، ويُجزون الجزاء الكريم يفوق ما كان منهم. وعندما أسلم سعد بن أبي وقاص أقسمت أمّه ألّا تكلمه ولا تأكل ولا تشرب حتى يعود إلى الشرك ولم يستجب لها، فنزلت الآية ٨ بوجوب برّ الوالدين وطاعتهما، ولكن لا في الكفر والمعصية، ولا سيما الشرك الذي ليس له أصل ليُعلم ويُتبع، والله هو الذي يحاسب ويكافئ المؤمنين ويجعلهم مع الصالحين في نعيم الجنة. ونزلت الآيتان ١٠ و١١ في بعض المسلمين، آذاهم المشركون فرجعوا إلى الكفر، فوُصفوا بالنفاق يستجيبون للكفر، ويدّعون أنهم مؤمنون عندما ينتصر المسلمون، ليشتركوا في المغانم. ولكن الله عالم بالسرائر، ويمتحن الناس ليظهر علمه على حقيقة ما في نفوسهم من إيمان أو نفاق.

وكان بعض المشركين يقولون لمن آمن: لا نُبعث نحن ولا أنتم. فاكفروا بالتوحيد والبعث، وإن كان عليكم من العودة إلى دين الآباء شيء من الخطايا فحسابه علينا نتحمله عنكم وتنجون أنتم من العقاب، وجاءت الآيتان ١٢ و ١٣ تبين حقيقة الأمر، بأنهم كاذبون فيما يقولون من نجاة المضلَّلين، وسيحملون مسؤولية جرائمهم وجريمة إضلالهم الآخرين، ويوبّخون يوم القيامة على مزاعمهم. ولهم عبرة بما كان لقوم نوح، دعاهم في مئات السنوات، ولم يستجيبوا فكان الانتقام منهم خنقًا بالطوفان، لكفرهم والإصرار على العصيان.

الجزء العشرون سورة العنكبوت

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

تفسير المفردات: أنجيناه: أنقذنا نوحًا. والأصحاب: جمع صاحب. وهو الملازم للشيء كمن يملكه. وجعلناها: صيّرنا عاقبة الكافرين والمؤمنين. والآية: العِبرة والعظة. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ١٥ إبراهيم: أبو إسماعيل وإسحاق وهو خليل الله أرسله بالتوحيد، ومعنى اسمه: أب رحيم. كان في العراق، وانتقل إلى فلسطين ومصر، ثم صار يزور مكة. وقومه: الجماعة التي هو منها ويعيش بينها، وهي من السُّومريّين الحاميّين. واعبدوا الله: قدّسوه وحده. واتقوه: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة في الأمر والنهي. وذلكم أي: التوحيد والطاعة. وخير: أكثر نفعًا. وتعلمون: تميّزون الخير من الشر. ١٦ دون الله: غيره. والأوثان: جمع وثن، ما جعل معبودًا من خشب أو غير ذلك. وتخلقون: تصطنعون من الباطل. والإفك: الكذب الصُّراح. ولا يملكون: لا يستطيعون. والرزق: تيسير المتاع والزينة. وابتغوا: اطلبوا. واشكروا له: أثنوا عليه بالقلب واللسان والطاعة. وإليه: إلى لقاء حسابه. وترجعون: تُردّون بالبعث بعد الموت. ١٧ تكذِّبوا: تنكروا ما دعوتي ورسالتي، يا أهل مكة. وكذّب: نسب أنبياءَ إلى الكذب. والأمم: جمع أُمّة، الجماعة من الناس. والرسول: من كلّفه الله بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع كتاب منزَل. والبلاغ: إبلاغ الرسالة. والمبين: البيّن الواضح. ١٨ ألم يروا: لقد علم كفّار مكة بما رأوا من آيات وأدلة كونية. ويبدئ: ينشئ من العدم. والخلق: المخلوقات. ويعيده: يردّ تكوين الأجسام بعد الفناء ويردّ إليها أرواحها. وذلك أي: الخلق الأول والإعادة. واليسير: الهين. ١٩ قل أي: للمشركين، أيها النبي. وسيروا: امشوا مسافرين ومتنقلين. والأرض: ما فيه طريق السير. وانظروا: تأمّلوا بالتفكر وتفهّم الدلائل. وبدأ: أنشأ ابتداء دون سابق وجود. والخلق: الإيجاد من العدم. وينشئ: يكوّن ويُحدث. والآخرة: التالية تكون يوم القيامة. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: المبالغ في الاقتدار لا يعجزه شيء. ٢٠ يعذب: يخصّ بما يسوء ويُشقي في الدنيا والآخرة. ويشاء: يريد تعذيبه. ويرحم: يعطف بما يُسعد في الدارين. ويشاء: يريد رحمته. وتقلبون: تردّون يوم القيامة للحساب والجزاء. ٢١ ما أنتم: لستم، أيها الكافرون. المعجزون: القادرون على التخلص والنجاة من القهر والحساب. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والسماء: ما يحيط بالأرض من الجو والأجرام والعوالم الغيبية. وما لكم: ليس لكم. والولي: من يتولّى أمور غيره ويرعى مصالحه. والنصير: من يدفع البلاء وينقذ منه. ٢٢ كفروا: جحدوا وأنكروا. والآيات: النصوص القرآنية والأدلة الكونية على التوحيد والبعث. واللقاء: حضور الحساب. ويئسوا: قطعوا الأمل والرجاء. والرحمة: العطف بالإحسان. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًا. ٢٣

المعنى العام: أن الله أنقذ نوحًا والمؤمنين بركوب السفينة لتفادي الغرق الذي أهلك الكافرين، فكان ذلك عظة لمن بعدهم، وكذلك ما حصل لإبراهيم، أمر قومه بتوحيد الله والتقوى له وتجنب أباطيل عبادة الأوثان التي لا تفيد، وأن يطلبوا النعم من الله مع الشكر بالقول والفعل، لأنهم سينتهون إلى لقاء حسابه وجزاء أعمالهم يوم القيامة، فكذبوه وأرادوا إحراقه، وانتقم الله منهم وأنقذه.

لِيقلِ النبي الكريم للمشركين إن استمررتم في تكذيبي فلن تضروني لأنني ليس عليّ إلّا تبليغ . الرسالة بالبيان والتوضيح، ثم كم في خلق الكائنات من العدم برهان على الألوهية وتحقق البعث حتمًا، ولْيسيروا فيما حول بلادهم ليروا بالتفكر والتدبر قدرةَ الله على الخلق والبعث، فيما يحصل من تكوين الإنسان والحيوان والنبات والجماد، ويسرَ ما سيكون منه بالبعث والنشور. فهو سيجازي كلًّا بما يستحق في الدنيا والآخرة حين يُحشر الناس لحسابه، وليس لهم خلاص في الأرض ولا في السماء، ولن يجدوا معينًا ولا منقذًا، لأنهم لم يتدبروا أدلة الإيمان بالتوحيد والبعث، واستمروا في كفرهم، وافتقدوا الأمل في الرحمة والإحسان، وفعلوا من المعاصي والجرائم ما يستحق العذاب الأليم.

تفسير المفردات: جواب قومه: ردّ قوم إبراهيم على حُججه الإيمانية. وقالوا أي: أمر زعماء القوم أتباعهم. واقتلوه: أزهقوا روح إبراهيم. وحرقوه: ألقوه في نار لتحرقه. وأنجاه: أنقذه وحفظه. والنار: ما أوقده الكافرون وألقوا فيه إبراهيم. وذلك أي: الإنجاء. والآيات: البراهين الدالة على التوحيد والقدرة البالغة، بعدم تأثير النار في إبراهيم. والقوم: الجماعة من الناس. ويؤمنون: يستطيعون الإيمان بالحق. ٢٤ قال أي: إبراهيم لقومه. واتخذتم: جعلتم للعبادة. ودون الله: غيره. والأوثان: جمع وثن، ما يصنع من حجر وغيره للعبادة. ومودة بينكم: للألفة والصداقة فيما بينكم، أيها الكافرون. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منهم لأنهم يعيشون فيها. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. ويكفر: يتبرّأ. وبعضكم: الواحد منكم أو الأكثر. ويلعن: يدعو بالطرد من الرحمة. والمأوى: الملجأ النهائي. والنار: نار جهنم. ومالكم: ليس لكم. والناصر: المانع من العذاب. ٢٥ آمن له. صدّق نبوته. ولوط: ابن أخي إبراهيم. وقال أي: إبراهيم. والمهاجر: المغادر للوطن ولقومه. وإلى ربي: إلى حيث أمرني من الشام. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعزيز: الغالب على أمره لا يعجزه شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٢٦وَهبنا له: منحناه. وإسحاق: ابنه. ويعقوب: ابنُ إسحاق حفيدٌ لإبراهيم. وجعلنا: صيّرنا. وذريته: نسل إبراهيم من العرب الساميِّين وبني إسرائيل الحاميِّين. والنبوة: التكليف بوحي وإلهام للدعوة إلى التوحيد مع العمل. والكتاب: الكتب المنزلة. وآتيناه: أعطيناه. والأجر: المكافأة. والآخرة: الحياة يوم القيامة بالبعث بعد الموت. والصالحون: الذين لهم الدرجات العليا. ٢٧ قومه: الجماعة التي يعيش لوط بينها وقد صاهرها. وإنكم أي: التوبيخ لكم والعجب منكم. وتأتون الرجال: تفعلون. والفاحشة: اللِّواطة الشنيعة بين المنكرات. وما سبقكم بها: لم يفعلها قبلكم. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٢٨ تأتون الرجال: تستحلون أدبارهم باللِّواطة. والرجال: جمع رجل، الذكر من الناس. وتقطعون السبيل: تمنعون الناس من العبور في طريق السير بالعدوان عليهم وعلى أعراضهم. والنادي: مكان الاجتماع. والمنكر: ما قبّحه الشرع والنفس الكريمة. والجواب: رد ما قيل. وقالوا: جاهروا بالقول تحدّيًا وتعجيزًا. وائتنا بعذاب الله: أوقع علينا ما هدّدتنا به من التعذيب. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والصادقون: الذين يقولون الحق. ٢٩ قال أي: لوط. وربِّ: يا ربّي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وانصرني: أعِنّي للتغلب. والمفسدون: الذين ينشرون الفساد والشر. ٣٠

الجزء العشرون سورة العنكبوت

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ
إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ
وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ
مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

نصف الحزب ٤٠

المعنى العام: أن زعماء قوم إبراهيم أمروا بقتله أو تحريقه، وأنقذه الله من النار إذ جعلها بردًا وسلامًا له، معجزة للذين يستطيعون التفكر والاعتبار والإيمان، وكان إبراهيم يصف عبادة المشركين أوثانَهم بأنها لإرضاء بعضهم بعضًا ومودته، لا لاعتقادهم صحة ما يفعلون، وسيختصمون ويتلاعنون يوم القيامة، لِما يرون من العذاب، ثم آمن معه ابن أخيه لوط وهاجر معه من العراق إلى الشام، يهديهما الله إلى الخير، فكان لإبراهيم إكرام بابنه إسحاق وحفيده يعقوب، وسلالةٍ فيها الأنبياء والرسل من العرب واليهود مع كتب التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، ورحمة بنعم الدنيا والآخرة.

وفارقه لوط نبيًّا إلى بلدة سَدوم وما حولها قرب مدينة حمص في الشام، فدعا من فيها إلى التوحيد مهددًا بعذاب الله، وأنكر عليهم اللِّواطة التي لم يعرفها الإنس والجن والحيوان أيضًا، فهم بما يقومون أحط من البهائم، إضافة إلى إيذائهم الناس المارين ببلدهم ومجاهرتهم بالفواحش الجماعية في مجالسهم العامة، فتحدَّوه أن يُنزل بهم عذاب الله مصرّين على الكفر والفواحش، واستغاث لوط بالله أن ينصره على المفسدين، وكان في ذلك فناؤهم بالدمار ونجاة لوط ومن آمن معه.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟
أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ
هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى
دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

تفسير المفردات: جاءت: أتت وقابلت. والرسل: جمع رسول. وهم الملائكة هنا وبينهم جبريل. وكذلك ما سيرد في الآية ٣٣. وإبراهيم هو خليل الله، أُرسل بالتوحيد في السُّومريِّين الحاميِّين، كان في العراق، وانتقل إلى فلسطين ومصر، ثم صار يزور مكة. والبشرى: البشارة بالخبر السار. والمهلِكون: المفنون بالعذاب. والأهل: السكّان والأصحاب. والقرية: بلدة سَدوم وما حولها. وكانوا أي: وما زالوا حينذاك. والظالمون: المجاوزون للحق بالكفر والفواحش. ٣١ قال أي: إبراهيم للملائكة. وفيها: في القرية. ولوط: النبي ابن أخي إبراهيم. وقالوا أي: الملائكة. وأعلم: أدرى منك. وننجيه: ننقذه من العذاب. والأهل: من يعولهم الرجل من نساء وأولاد. وامرأته: زوجة لوط الكافرة. وكانت أي: في علم الله وحكمه الأزلي لأنها تساعد قومها على زوجها. والغابرون: المنغمسون في العذاب. ٣٢ سيء بهم: حزن لحضورهم. وضاق بهم ذرعًا: عجز عن احتمال جمالهم الباهر في بلدته، ولم يكن يعلم أنهم ملائكة. ولاتخف: لاتخش أذى لنا أو لك واطمئن. ولا تحزن: لا تجزع. ومنجّوك: منقذوك من العذاب. والأهل: ما يعولهم الرجال من نساء وأولاد. ٣٣ منزلون: مرسِلون ومسقطون. والرجز: العذاب يسبب الاضطراب والهلاك. ومن السماء: من عند الله. وبما يفسقون: بسبب خروجهم على الحق وارتكاب الفواحش. ٣٤ تركنا منها: جعلنا من ديار قوم لوط. والآية: العظة فيها ينزل بالكافرين العُصاة. والبينة: الظاهرة الدلالة. والقوم: الجماعة من الناس. ويعقلون: يفكرون تفكير ذوي العقول. ٣٥ إلى مدين أي: أرسلنا إلى مَن فيها مِن قدماء العرب ذرية مَدينِ بن إبراهيم. وأخوهم: واحد منهم. وشُعيب: نبي زوّجَ ابنتَه موسى. ويا قوم: يا قومي. وحذفت الياء للتخفيف. واعبدوا: وحّدوا بالتقديس والطاعة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وارجوا: اخشَوا. واليوم: الوقت. والآخر: المتأخر يكون بالبعث بعد الموت. ولا تعثوا: لا تُشيعوا الشر والسوء بين الناس. والأرض: البلدة التي هم فيها وما حولها. والمفسدون: الذين يشيعون الفساد والشر. ٣٦ كذّبوه: أنكروا ما ذكره من التوحيد والحساب. وأخذتْهم: أهلكتْهم. والرجفة: الزلزلة الشديدة التي دمرت ديارهم وخسفت بهم الأرض. وأصبحوا: صاروا. والجاثمون: الباركون على ركبهم أمواتًا. ٣٧ عادًا أي: أهلكنا عادًا قوم النبي هود بين عُمان وحضرَموت. وثمود: قوم النبي صالح كانوا بالحِجرفي وادي القُرى على طريق المدينة إلى الشام. وتبيّن لكم: ظهر هلاكهم لبصركم، يا مشركي مكة. والمساكن: جمع مسكن، ما بقي في الديار من آثار الدمار. وزيّن: جمّل. والشيطان: من يوسوس بالشر والضلال من الجن والإنس. والأعمال: جمع عمل، ما يقوم به الإنسان من تفكير أو تدبير أو تصرف. وصدهم: منعهم. والسبيل: الطريق المستقيم. والمستبصرون: العقلاء أصحاب القدرات على معرفة الحق من الباطل. ٣٨

المعنى العام: أن الملائكة بشرت إبراهيم بإهلاك قوم لوط وما سيكون من ولادة ابنه إسحاق وحفيده يعقوب، فذكّرهم بوجود لوط بين قومه لينثنوا عن الإهلاك، ووعدوه بنجاته مع المؤمنين إلّا امراته الكافرة كانت تؤيد قومها وتنقل إليهم أخباره.

وعندما وصلت الملائكة إلى دار لوط ظنهم من البشر، وضاق بجمالهم في بلدته، فعرّفوه أنفسهم وطمأنوه بتدمير البلدة فوق أهلها ونجاته مع المؤمنين، فكان في ذلك دلا لة لمن يتفكر. وكذلك قومُ شعيب في مدينة على ساحل البحر القُلزُم «الأحمر» محاذية لتبوك، نصحهم بالتوحيد والتقوى وترك الفساد، وأن يخشوا عذاب يوم القيامة بالامتثال للأمر والنهي، وكذبوه فزُلزلت بلدتهم وانطمروا بأنقاضها، وقوما النبيَّينِ هودٍ وصالح من أبناء إرم العرب العاربة، في ديارهم المنكوبة للدلالة على الانتقام الرباني، يراها من يمرّ بها ويعرف مصير الكافرين، وقد كانوا متمكنين من التدبر والتفكير، لكنهم لم يفعلوا ذلك تعنتًا وإصرارًا على الكفر والعصيان.

الجزء العشرون — سورة العنكبوت

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ
لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

تفسير المفردات: قارون: من قوم موسى وابن عمه. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. وهامان: وزير فرعون. وجاءهم بالبينات: أحضر لهم المعجزات والبراهين يدعوهم إلى التوحيد. واستكبروا: طلبوا بتكبرهم ما ليس لهم من التعالي. والأرض: المكان الذي يعيشون فيه. والسابقون: الهاربون من الانتقام الرباني. **٣٩** كلًّا أي: كل واحد من الأقوام والأفراد المذكورة. أخذنا: عاقبنا وأهلكنا. وبذنبه: بسبب معصيته. ومنهم: بعضهم. وأرسلنا: أطلقنا وبعثنا. والحاصب: العاصفة معها حجارة. وأخذته: قضت عليه. والصيحة: الصرخة العظيمة تزلزل الأرض وتدمر. وخسفنا به الأرض: أغرناها وأخفيناه تحت الأنقاض. وأغرقنا: أمتناه خنقًا بالماء. وما كان: ما قصد ولا أراد. ويظلمهم: يتجاوز الحق والعدل في عقابهم. ولكن: إنّما. والأنفس: جمع نفس. وهي حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ويظلمون: يسببون لها الشر والضرر. **٤٠** المَثل: الصفة والحال. واتخذوا: جعلوا. ودون الله أي: غيره. والأولياء: جمع ولي. وهو ما يتولاه الإنسان ويعتمد عليه. وكمَثل أي: مِثل صفة. والعنكبوت: دُوَيْبّة تنسج في الهواء من لعابها شبكة خيوط دقيقة تسكن فيها وتصيد بها ما تأكله. واتخذت: صنعت. والبيت: ما يُسكن فيه. والأوهن: الأضعف. والبيوت: جمع بيت. ولو كانوا يعلمون: يُتمنّى للمشركين أنهم كانوا يدركون هشاشة ما يعتقدون. **٤١** يعلم: يحيط بالغَ الإحاطة. ويدعون: يعبدون. ودونه أي: غيره من المخلوقات. والعزيز: الغالب القهّار يَذل له ماعداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. **٤٢** تلك أي: الأمثال هذا وغيره. والأمثال: جمع مَثَل. وهو الأمر العجيب يُذكر لبيان ما يشبهه من الأحوال للعظة والاعتبار. ونضربها: نذكرها ونوضّحها. والناس: البشر. وما يعقلها: ما يدرك فائدتها. والعالِمون: الذين يفهمون ما يذكره الله من الآيات والشريعة. **٤٣** خلق: أوجد من العدم. والسماء: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام ومغيَّبات عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والحق: الواجب للخير والصلاح. وذلك أي: الخلق المذكور. والآية: الدلالة تبين وتوضح. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. **٤٤** اتل: اقرأ تقربًا إلى الله ـ أيها النبي ـ وتذكّرًا للمعاني وتذكيرًا للمؤمنين بالعمل. وأوحي: أُنزل على لسان جبريل ويُسّر حفظه وتبليغه. والكتاب: القرآن الكريم. وأقم الصلاة: دُم على تأدية العبادة المكتوبة كما يجب. وتنهى: تصرف وتمنع. والفحشاء: العمل الذي قبّحه الشرع. والمنكر: ما أنكره الشرع وحرّمه. وذكر الله: استحضار عظمته وجلاله بالقلب واللسان والعمل. وأكبر: أعظم أثرًا من سائر الطاعات في النهي. ويعلم: يحيط إحاطة تامة. وتصنعون: تكتسبونه من خير وشر. **٤٥**

المعنى العام: أن موسى بلّغ قارون وفرعون وهامان دعوة التوحيد وأظهر لهم المعجزات المؤكدة لذلك، فتكبروا على الإيمان وأصروا على الكفر والعصيان، فما نجوا من العذاب الماحق. تلك هي حال الكافرين بشكل عام، أهلكهم الله بما يناسب أعمالهم بالعواصف والزلازل والدمار والغرق، رغم ما هم عليه من الغنى والسلطان. فعقابُهم ظلم منهم لأنفسهم وهو العدل من الله، لإصرارهم على الكفر والعصيان. وإن اعتماد المشركين على آلهتهم، من الأصنام والجن والملائكة والبشر والحيوانات، كاعتماد العنكبوت على بيتها للعيش والحماية، بالغ من الوهن أقصى الغاية، فليتهم كانوا يعلمون ذلك من حالهم، والله محيط بما عبدوا من المخلوقات ومنتقم منهم حكيم في انتقامه. وإنما تُضرب الأمثال، من العنكبوت وغيرها، ليفهمها الذين يتدبرون الحقائق، ويعملوا بطاعة الله ويتجنبوا سخطه. فقد خلق الكون قاصدًا ما يجب بالحكمة، لإفاضة الخير ودلالة المؤمنين على ذاته وصفاته، لا عابثًا أو لاعبًا.

فاقرأ آيات القرآن ـ أيها النبي ـ ودُم أنت والمؤمنون على الصلاة، لأنها تقي من القبائح والمنكرات، واذكروا عظمة الله ومواعيده الكريمة المتناهية في الفائدة، تزدادوا خيرًا. وهو يعلم ما تفعلون ويجازيكم عليه في الدنيا والآخرة.

وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ
إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ
إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ
وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ
ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ
ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ
يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

تفسير المفردات: لا تجادلوا: لا تناقشوا، أيها المؤمنون. وأهل الكتاب: أصحاب الكتب الإلَهية كالتوراة والإنجيل. والأحسن: الأجمل في الأسلوب ملاطفة للترغيب. وظلموا: اعتدوا عليكم بالكيد والإيذاء. وقولوا أي: لهم. وآمنّا: صدّقنا وأقررنا. وأُنزل: أُوحي من عند الله. وإليكم: إلى آبائكم القدماء. والإلَه: المعبود بحق. والواحد: المتفرد لا شريك له ولا مثيل. والمسلمون: المطيعون باستسلام كامل. **٤٦** كذلك أي: كما أنزلنا التوراة والإنجيل. وأنزلنا: أوحينا وكلّفنا بالدعوة والعمل. والكتاب: القرآن الكريم. وآتيناهم: أعطيناهم. والكتاب: كتب التوراة والإنجيل والزبور. ويؤمنون به: يصدّقون القرآن الكريم يقينًا. ومن هؤلاء: بعض أهل مكة. وما يجحد بآياتنا: لا ينكر ما نوحيه إليك وهو يعلم أنه حق. والكافرون: الذين استغرقوا في تكذيب الله ورسوله. **٤٧** تتلو: تقرأ. وقبله: قبل نزول القرآن. والكتاب: ما يكتب ويقرأ. ولا تخط: لا تكتب. واليمين: اليد اليمنى. وإذًا أي: لو كنت قارئًا كاتبًا للكتب. وارتاب: تشكّك بذلك في دعوتك. والمبطلون: المصرّون على الباطل وإنكار الحق. **٤٨** هو أي: القرآن الكريم. والآيات: النصوص الإلَهية. والبينات: الواضحات الإعجاز والدلالة على صدق الرسالة. والصدور: جمع صدر. والمراد به القلب يعي ويحتفظ بالعلم. وأوتوا: أُعطوا. والعلم: الدراية اليقينية لِما جاء بالوحي والسُّنّة. والظالمون: الكافرون الذين تجاوزوا الحق كاليهود والمشركين. **٤٩** قالوا أي: كفّار مكة. ولولا: هلّا، للتعجيز والتحضيض. وأنزل عليه: يوحى إلى محمد. والآيات: المعجزات تحمل على الإيمان. ومن ربه: من عند الله. وقل أي: لهم، أيها النبي. وعند الله أي: في قدرته وقضائه. والنذير: المخوّف بالعذاب لمن عصى. والمبين: الظاهر البيان. **٥٠** ألم يكفهم أي: لقد كفاهم وأغناهم عن تطلب المعجزات. وأنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. والكتاب: القرآن الكريم. ويتلى: يقرأ باستمرار. وذلك أي: الكتاب وإنزاله. والرحمة: العطف بالإحسان. والذكرى: العظة. والقوم: الجماعة من الناس. ويؤمنون: يصدقون الحق ويقرّون به. **٥١** قل أي: للذين يقترحون المعجزات. وكفى بالله: بلغ اللهُ الغاية في الكفاية والإغناء عن كل شيء. والشهيد: مَن يشهد بالعلم اليقيني للفصل في الخلاف. ويعلم: يحيط إحاطة بالغة. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. أي: وما بينهما وما في غيرهما من العوالم الخفيّة. وآمنوا بالباطل: اعتقدوا ألوهية المخلوقات وقدسوها. وكفروا بالله: جحدوا وحدانيته. والخاسرون: الكاملو الخسارة في الدنيا والآخرة. **٥٢**

المعنى العام: أمرُ المسلمين أن يخاطبوا اليهود والنصارى بأفضل الكلام للدعوة إلى الإيمان، فإن تعنتوا وقاتلوا فلا بد من مقابلتهم بالمثل، مع تصديقِهم فيما أقره الإسلام وتكذيبهم فيما أنكره الإسلام أو الحق، وإخبارِهم الإيمانَ بما أُنزل من التوراة والإنجيل والقرآن، وبالتوحيد والإسلام.

فقد أوحي القرآن كما أوحيت الكتب قبله، والذين كانوا قبل عصر النبوة من اليهود والنصاري وأهل مكة ينتظرون نزول القرآن هم يؤمنون به، ولا ينكره إلّا المكابرون بالإصرار على الكفر. وقد كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدًا لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتابًا، فنزلت الآية بذلك، وأنه دليل على صحة الرسالة، وأن القرآن وحي يحفظه علماء المؤمنين عن ظهر قلب. فهو مثبت في الصدور، مع كتابته في الصحف، لا يمكن تحريفه أبدًا خلافًا للتوراة والإنجيل وغيرهما، وإنما يكذّبه الكافرون الذين يعلمون الحق ويجحدونه.

فهم يتابعون توجيهات اليهود ويطالبون بالمعجزات تعنتًا، وهي بتقدير الله وأمره، لا تكون بطلبهم أو طلب النبي ﷺ. فحسبهم دلالة على صحة الرسالة والوحدانية والبعث ما جاء في القرآن من أخبار الأمم والأمور الغيبية والبلاغة، وهو أعظم دليل على أنه من عند الله، وحسبهم أيضًا شهادة الله بصدق ذلك، وهو عالم بكل شيء، ولكن العابدين للأوهام والأباطيل سيظلمون أنفسهم بالكفر، وما أخسرهم في الدنيا والآخرة!

تفسير المفردات: يستعجلونك بالعذاب: يطلب الكافرون إنزال التعذيب المستأصِل قبل أوانه. ولولا: لولا وجود. والأجل: وقت وقوع الشيء. والمسمى: المحدّد عند الله. وجاءهم: نزل بهم عاجلًا. ويأتيهم: يقع بهم. والبغتة: الفجأة. ولا يشعرون: لايحسون بوقت إتيانه لانشغالهم بالكفر والشهوات. ٥٣ جهنم: اسمٌ علم لدار العذاب المهيأة للكافرين. ومحيطة أي: ستضم في جنباتها محتفظة. والكافرون: الذين كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ٥٤ اليوم: الوقت. ويغشاهم: يغمر الكافرين. والأرجل: جمع رِجل. ويقول أي: الله لهم على لسان ملك العذاب. وذوقوا: تحسسوا وقاسوا بكامل أجسامكم. وما تعملون: جزاء ما تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ٥٥ العباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وتعبدًا. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والواسعة: الفسيحة للسعي والهجرة من الظلم. وإياي: أنا وحدي. واعبدون: اعبدوني أي: قدّسوني بلا شريك. ٥٦ النفس: المخلوق الحي. وذائقة: مقاسية بجميع جوارحها. والموت: مفارقة الروح لجسدها. وإلينا أي: إلى حسابنا والجزاء. وترجعون: تردّون، أيها الناس. ٥٧ عملوا: اكتسبوا بنية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الله. ونبوّئنّهم: نُنزلنّهم. والجنة: الحديقة العظيمة فيها القصور والنخيل والأعناب والنعيم. والغرف: جمع غُرفة، البناء العالي. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت الغرف. والأنهار: جمع نهر. وخالدين أي: مقيمين أبدًا. ونعم: بلغ الغاية في الخير والنعيم. والأجر: الثواب والمكافأة. والعاملون: الذين يكتسبون الصالحات. ٥٨ صبروا: تحمّلوا الأذى والشدائد. ويتوكلون: يعتمدون في جميع أمورهم. ٥٩ كأيّن: كثير. والدابّة: ما يدبّ أو يتحرك. ولا تحمل: لا تجمع ولا تملك لضعفها. والرزق: النصيب من الحاجات. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويرزقها: يقدّر لها ما تحتاج إليه. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الإحاطة بما في الضمائر. ٦٠ لئن: أُقسِمُ إن. سألتهم: استجوبت الكفّار، أيها النبي. وخلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وسخّر: ذلّل وسهّل التكوين والحركة للمصالح. والشمس: النجم النهاري. والقمر: الكوكب الليلي. ويقولون: يجيبون. والله أي: هو الذي خلق ذلك. وأنّى: كيف؟ ويؤفكون: يُصرفون عن التوحيد. ٦١ يبسط: يوسّع للامتحان. ويشاء: يريد الله أن يوسع له. ويقدر له: يضيّقه ويقلّله لمن يريد ابتلاءه. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. ٦٢ نزّل: أطلق وأسقط. والسماء: السحاب. وماء أي: وبرَدًا وثلجًا وندًى. وأحيا به: خلق الحياة بسبب الماء. والأرض: ما يبس منها. وموتها: همودها بالجدب والقحط. والله أي: هو الذي فعل ذلك. وقل أي: لهم، أيها النبي. والحمد: الثناء بالجميل على النعم. وأكثرهم: غالبية الكافرين. ولا يعقلون: لا يستخدمون عقولهم فيما هم عليه. ٦٣

الجزء الحادي والعشرون — سورة العنكبوت

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ
﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

المعنى العام: كان المشركون يكذّبون ما يهدَّدون به من العذاب، ويطلبون تعجيل إنزاله بهم تعجيزًا واستهزاء، فنزلت الآيات بأن ذلك له وقت محدد، وسيكون لهم يوم القيامة أيضًا ما هو أشد جزاء لأعمالهم.

وكان ضعفاء المسلمين لا يستطيعون إظهار دينهم في مكة فوجّهتهم الآيات ٥٦ ـ ٦٢ إلى الهجرة في سعة الأرض، ليُظهروا التوحيد، ولا مفرّ من الموت بالجبن والكسل، فالمؤمنون الصالحون لهم نعيم الجنة بعملهم وصبرهم وتوكّلهم على الله، ورزق جميع المخلوقات يهيّئه الله السميع العليم. ولكن المشركين يناقضون أنفسهم ولا يستخدمون عقولهم، فهم يعلمون أن خالق الكون بما فيه ومحيي الأرض بالماء بعد موتها هو الله، ثم يكفرون بوحدانيته، ويقولون للمؤمنين: «لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء»، مع علمهم أن الله يوزّع الرزق بحكمته لا تبعًا لمنازل الناس. فالحُجة ثابتة على زيغ عقيدتهم وجهلهم، والحمد لله رب العالمين.

تفسير المفردات: الحياة: ما فيها من المتع والزينة. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. واللهو: الاستمتاع باللذّات. واللعب: العبث بما هو باطل لا خير فيه. والدار الآخرة: ما في يوم القيامة. والحيوان: الحياة العُظمى. وكانوا أي: الكافرون والمشركون. ويعلمون: يدركون الحق من الباطل. ٦٤ ركبوا في الفلك: صار الكافرون في السفن وخافوا الغرق. ودعوا الله: استغاثوا به. ومخلصين أي: متجردين من كل شرك. والدين: الدعاء. ولما: عندما. ونجاهم: أنقذهم. والبر: الأرض اليابسة. وإذا هم يشركون: فاجأت إنقاذكم عبادتُهم بعضَ المخلوقات بالشرك. ٦٥ يكفروا: يجحدوا وينكروا. وآتيناهم: أعطيناهم من النعم. ويتمتعوا: يتلذذوا بالشرك. وسوف يعلمون: لا بد أن يدركوا باليقين عاقبة ذلك. ٦٦ ألم يروا: لقد رأى مشركو مكة وعلموا بحق ويقين. وجعلنا: صيّرنا بلدهم. والحرم: ما يُمنع فيه كثير مما يحلّ في غيره. والآمن: ذو الأمن يَطمئن من فيه. ويتخطَّف: يُسلب وينزع بالعدوان. والناس: البشر. ومن حولهم أي: من حول أهل مكة في جميع البلاد. وأبالباطل يؤمنون: لا يجوز أن يعتقدوا استحقاق الأصنام للعبادة. وبنعمة الله يكفرون: لا يجوز أن يجحدوا بشركهم نعمةَ الله. ٦٧ ومن أظلم أي: لا أحد أكثر مجاوزة للحق وكفرًا. وافترى: اختلق وادّعى. والكذب: ما ليس له أصل في الواقع. وكذّب بالحق: أنكر صدق النبي ﷺ وتنكر له. ولما جاءه: حين وصل إليه. وأليس في جهنم: إنّ في نار الله الموقدة. والمثوى: مكان الإقامة. والكافرون: الجاحدون للتوحيد والرسالة. ٦٨ جاهدوا: بذلوا أقصى ما لديهم من الإمكانات. وفينا: لأداء حقنا، من مقاومة الفتن والمنكرات والظلم والعدوان. ونهديهم: نزيدهم إرشادًا. والسبل: جمع سبيل، الطريق المستقيم إلى طاعة الله. ومع المحسنين أي: يؤيّد الذين أخلصوا في عملهم كما حدده الشرع، مع رقابتهم الدائمة لرضا الله. ٦٩

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

المعنى العام: أن ما في الدنيا عبث زائل، والخلود هو في الدار الآخرة، وكم يكون للمشركين من الخير لو علموا ذلك! فهم يستغيثون بالله وحده حين يشعرون بأخطار البحر، ثم يعودون إلى الشرك بعد النجاة، فيجحدون الرحمة ويتنعمون بعبادة الأصنام ومتابعة الباطل، مع أنهم يعرفون باليقين أمنهم في مكة وخيراتها، وغيرهم في أخطار وفتن وقتل وتشريد.

ربع الحزب ٤١

فما أحراهم أن يؤمنوا بالتوحيد ويكفروا بالأباطيل ! إنهم أظلم الناس، باختلاق الكذب في العقائد وإنكارهم الحق، وقد تحقق لهم الخلود في جهنم، وللمجاهدين الصابرين المحسنين هداية إلى الخير وعون الله في الدنيا والآخرة.

٣٠ ـ سورة الروم

تفسير المفردات: الٓمٓ: أحرف مقطّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ١ غُلبت: هَزمها الفرس المشركون. والروم: الفرَنجة من النصارى. ٢ أدنى الأرض: أقرب أراضي الشام. وهم أي: الروم. وغلَبهم: تغلب الفرس عليهم. وسيغلبون: يَهزمون الفرس حتمًا. ٣ البضع: ما بين ثلاث وعشر. والسنة: مدة قطع الشمس البروج الاثني عشر ظاهرًا. والأمر: الإرادة والقضاء. ومن قبل ومن بعد أي: من قبل ذلك وبعده وبينهما أيضًا. ويومئذ أي: حين ينتصر الروم. ويفرح: يُسَرّ ويَسعد. والمؤمنون: من صدّقوا الله ورسوله. ٤ النصر: العون والتقوية للتغلب على العدوّ. ويشاء: يريد الله نصره. والعزيز: الغالب لما عداه. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ٥

المعنى العام: غزا الفرس المشركون بلاد الشام وهَزموا الروم، فنزلت الآيات تواسي المسلمين في مكة وتعلمهم قرب انتصار الروم، ثم حصل ذلك بعد سبع سنوات من الهزيمة، فبشّر جبريل المسلمين وهم في غزوة بدر، فكان فرحهم مضاعفًا بالنصر على الشرك. فتصريف الأمور هو دائمًا بيد الله، يساعد من يريد له الغلبة، وهو الغلّاب القهّار الرؤوف الرحيم.

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ
﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ
أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ
شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

تفسير المفردات: الوعد: التعهد بالخير. ولا يُخلف وعده: لا يهمل تحقيقه ولا يخلّ به. والأكثر: الغالبية. والناس: البشر. ولا يعلمون: يجهلون حقيقة وعود الله لعدم إيمانهم وإهمال التفكير السوي. ٦ يعلمون: يعرفون. والظاهر: ما يبدو لكل طائش ولا يقتضي التدبر للحقائق. والحياة: العيش بالروح والجسد وما فيه من عمل. والدنيا: القريبة يعيش فيها الناس. والآخرة: البعيدة يوم القيامة. والغافلون: الساهون لا يدرون ما يحيط بهم. ٧ ألم يتفكروا: عليهم أن يَشغلوا قلوبهم بالتدبر والاعتبار. والأنفس: جمع نفس. وهي العقل والضمير. وما خلق: ما أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من الجو والأجرام والغيبيّات. والحق: الحِكمة البالغة حد الكمال. والأجل: مدة بقاء المخلوق. والمسمى: المحدد عند الله. والكثير: العدد الوافر. واللقاء: الحضور للحساب والجزاء. والكافرون: المكذّبون ينكرون ويجحدون. ٨ ألم يسيروا: فلْيمشوا للتنقل والتجارة والسعي. والأرض: ما حولهم من البلاد. وينظروا: يتأملوا ويفكروا بعقولهم. والعاقبة: العقوبة والنهاية الفظيعة بالهلاك. والأشد: الأكثر شِدّة. والقوة: التمكن من العمل والمقاومة والتمتع. وأثاروا: حرثوا للزراعة والعمل والسعي في قضاء الحاجات. وعمروها: بنوا فيها وأنشؤوا العمارات. وأكثر أي: عددًا وضخامة وأثرًا. ومما عمروها أي: مما فعل مشركو مكة في الأرض. وجاءتهم: حضرت مجالسَ القدماء. والرسل: جمع رسول. وهو المكلف بتبليغ التوحيد والشريعة مع العمل. والبينات: الحُجج الظاهرة. وما كان: ما قصد ولا أراد. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويظلمهم: يجور عليهم ويغبنهم حقهم. ولكن: إنما. والأنفس: جمع نفس، الإنسان بروحه وجسده. ٩ كان أي: يكون يوم القيامة. وأساؤوا: اقترفوا الشر وقبيح القول والفعل. والسوءى: أقبح العقوبات. وأن كذّبوا: بسبب إنكارهم وعدم تصديقهم. والآيات: نصوص القرآن والأدلة الكونية على التوحيد والبعث. ويستهزئون: يسخرون. ١٠ يبدأ: يفعل ابتداء على غير مثال سابق. والخلق: إيجاد الإنسان من نطفة. ويعيده: يُحدِثه ثانية بعد الموت. وإليه: إلى موعده يوم القيامة. وترجعون: تردّون للحساب. ١١ اليوم: الزمن. وتقوم الساعة: يكون يوم القيامة. ويُبلس: يسكت لفقد الحُجّة. والمجرمون: الذين يقترفون الجرائم والشرك. ١٢ ولم يكن: ولا يكون. والشركاء: جمع شريك، الأصنام وغيرها من المخلوقات تقدّس وتطاع. والشفعاء: جمع شفيع، من يتوسط ليدفع الضرر ويجلب الخير. وكانوا: صار المشركون. والكافرون: المتبرّئون من التأليه والعبادة. ١٣ يومئذ أي: يوم قيام الساعة. ويتفرقون: ينفصل الناس ويمتازون بعضهم من بعض. ١٤ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا بنية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الله. والروضة: الجنة. ويحبرون: يُسرّون ويسعدون. ١٥

المعنى العام: أن نصر الروم هو وعد قضاه الله متحقق فعلًا، وأكثر الناس جاهلون بذلك منصرفون عنه وعن أمثاله من أسرار الدنيا والآخرة، لا يعرفون إلّا مظاهر الحياة وزخارفها، وكان عليهم أن يتدبروا بعقولهم أحوال الوجود ليعلموا أنها بحكمة الله لغايات كريمة معيّنة الزمان والمكان ومحققة، فلا يكونوا كافرين للبعث والحساب، وأن يستفيدوا من أسفارهم ليعتبروا بما لقيت الأُمم الكافرة، وهي أقوى منهم وأكثر نشاطًا، فظلموا أنفسهم بالانتقام الرباني جزاء إجرامهم واستهزائهم بالحق.

فالله يخلق البشر ابتداء ويبعثهم للحساب، ويومئذ يلزم الكافرون الصمت لعجزهم عن الاحتجاج، ولا يجدون شفاعة لِما عبدوا من الأصنام، بل يتبرؤون من ألوهيتها واستحقاقها العبادة والطاعة. والناس جميعًا حينئذ صنفان: أما المؤمنون الصالحون ففي نعيم الجنة خالدين سعداء، وأما الكافرون...

تفسير المفردات: كفروا: جحدوا الرسالة والتوحيد والبعث. وكذّبوا بالآيات: أنكروا النصوص القرآنية والأدلة الكونية على صدق الدعوة. واللقاء: المقابلة والحضور. والآخرة: يوم القيامة يكون بالبعث بعد الموت. والعذاب: التعذيب في جهنم عقوبة وإهانة. ومحضرون أي: مجموعون بالقهر والعنف. ١٦ سبحان الله أي: سبّحوا الله منزهين له عما لا يليق بجلاله وأدّوا الصلوات المفروضة. وتمسون: تدخلون في المساء. وتصبحون: تدخلون في الصباح. ١٧ له أي: يحق له وحده على الخلق. والحمد: الثناء بالجميل على الفضل. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والعشي: آخر النهار. وتظهرون: تدخلون في وقت الظهر. ١٨ يُخرج: يُظهِر ويخلق. والحي: ما فيه حياة بخلقها فيه. والميت: ما ليس فيه حياة بنزعها منه. ويحيي الأرض: يخلق فيها القدرة على العطاء. وموتها: يبسها بالمحل. وكذلك: مثلَ إخراج الحي من الميت. وتُخرجون: تُبعثون أحياءً بعد الموت. ١٩ من آياته: بعض العلامات والبراهين القاطعة التي أوجدها الله. وخلقكم: أنشأكم. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. وإذا أنتم بشر: فاجأت بشريتُكم الحيةُ تكوّنَ الخلق. وتنتشرون: تتصرفون بفكر وتدبر واختيار وإرادة. ٢٠ خلق لكم: أوجد من العدم لمصلحتكم، أيها الرجال والنساء. وأنفسكم أي: جنس ذواتكم البشرية. ونفس الإنسان حقيقته بروحه وجسده. والأزواج: جمع زوج، الذكر والأنثى. وتسكنوا: تميلوا وتطمئنوا. وجعل: خلق وأوجد. والمودّة: ميل النفس والرغبة. والرحمة: العطف والشفقة. وذلك: ما ذكر في الآيات ١٩ ـ ٢١. والقوم: الجماعة من الرجال والنساء. ويتفكرون: يستعملون عقولهم لمعرفة الحق من الباطل. ٢١ الخلق: الإنشاء من العدم دون سابق مثال. والاختلاف: التنوع وعدم التماثل. والألسنة: اللغات، جمع لسان. والألوان: جمع لون، ما يكون من بياض وسواد وهيئة مميزة للفرد من غيره. وذلك أي: الخلق والاختلاف. والعالِمون: أصحاب العلم والمعرفة. ٢٢ المنام: النوم. وبالليل: ما بين الغروب والفجر للراحة. والنهار فيما يقابل الليل للقيلولة. والابتغاء: الطلب والسعي. والفضل: التفضل بالنعم. وذلك أي: النوم والسعي. ويسمعون: يدركون المسموعات سماع تأمل وتفكير واعتبار. ٢٣ يريكم: أن يبصّركم عِيانًا. والبرق: اللهب الخاطف من اصطدام السحب بعضها ببعض. والخوف: الفزع. والطمع: الشهوة وطلب المزيد. وينزّل: يُطلق ويسقط. والسماء: السحاب. والماء: المطر والبرَد والثلج والندى. وذلك أي: البرق وإحياء الأرض. ويعقلون: يتدبرون بعقولهم ليدركوا العلم والمعرفة ويؤمنوا بالحق. ٢٤

الجزء الحادي والعشرون — سورة الروم

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ
فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ (١٦) فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ
وَحِينَ تُصۡبِحُونَ (١٧) وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ (١٨) يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ
ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ
(١٩) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ
تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ
أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ (٢٢) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ
وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ (٢٣) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ
خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ
بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (٢٤)

المعنى العام: وأما الكافرون المكذبون فيحشرون يومئذ بالعنف والقهر للعقاب في جهنم. فعلى المسلمين أن ينزّهوا الله عما يصفه البشر من النقص ويشكروه، ويؤدّوا الصلوات في أوقاتها، وله كل الحمد في جميع الكون والأوقات، لِما خلقَ من الحياة والموت متعاقبين في الكائنات، ويولّد الله أحدهما من الآخر مع أنهما متناقضان ـ وكذلك يكون البعث بعد الموت ـ وخلقَ البشر من تراب فانطلقوا أحياء منتشرين في الأرض يتصرفون بقدرات عجيبة من الإرادة والاختيار والتفكير والقول والسعي، وخلقَ الأزواج من جنس واحد وبعضهم من بعض للتوافق والتمازج والتوادّ وحسن المعاشرة والسكن، وأنشأ إبداعَ السماوات والأرض وما بينهما وتنوع اللغات والألوان بين الناس، ونومهم ليلًا ونهارًا وسعيهم لحاجات الحياة، وإظهار البرق بما فيه من أخطار ومنافع كثيرة وإنزال المطر لإحياء الأرض وما فيها بعد الجفاف والجدب.

ففي تلك العجائب العظمى، من حياة الناس والحيوان والنبات وتكوّن الجمادات والمظاهر الحيوية المختلفة، أدلة وبراهين لذوي التفكير الواعي والعلم المتقن والسمع المدرك والعقل المستوعب للحقائق، براهين وأدلة على قدرة الله وتوحيده وصفاته الحسنى...

تفسير المفردات: الآيات: الأدلة والبراهين الكونية. وتقوم: تدوم ما شاء الله لها ذلك. والسماء: ما يحيط بالأرض من جو وأجرام ومغيَّبات. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وأمره: إرادته. ودعاكم: ناداكم بنفخ إسرافيل في الصور، ونداء جبريل لكم. وإذا أنتم تخرجون: فاجأ الدعوةَ خروجُكم أحياء. **٢٥** له أي: مستحَقه وحده الخلق والملك والتصرف. وكلٌّ: كلُّ من في السماوات والأرض وغيرهما أيضًا. والقانتون: المطيعون انقيادًا لإرادته في الحياة والموت والبعث والحساب. **٢٦** يبدأ: يفعل ابتداء على غير مثال سابق. والخلق: إيجاد الإنسان من نطفة. ويعيده: يُحدِثه ثانية بعد الموت. وهو أي: إنشاء الخلق ثانية. وأهون: أيسر. والمَثَل: الصفة العجيبة تذكر للاتعاظ. والأعلى: المتعالي لا مثيل له. والعزيز: الغلّاب لا يُعجزه شيء ويَذِلّ لعزته ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة البالغة بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. **٢٧** ضرب: جعل. والمَثَل: الأمر الواضح يُذكر لبيان ما يشبهه من الأحوال. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وهل لكم: ليس لكم. وملكتْ: كان لها حق التسلط والتصرف فيه. والأيمان: جمع يمين، اليد اليمنى بها يكون البيع والشراء. والشركاء: جمع شريك، من يساوي غيره في حق التسلط. ورزقناكم: يسّرنا وأعطيناكم من المنافع. وفيه: في تملّكه. وسواء: متساوون. وتخافونهم: تخشون أن ينازعوكم في التملك. وكذلك: مِثلَ هذا التفصيل. ونفصل: نبيّن. والآيات: الأدلة والبراهين المعقولة. والقوم: الجماعة من الناس. ويعقلون: يتفكرون ويفهمون. **٢٨** اتبع: انقاد وتابع. وظلموا: أشركوا. والأهواء: جمع هوى، ما تشتهيه النفس. والعلم: الدراية اليقينية. ومن يهدي: لا أحد يرشد إلى الحق. وأضل: صرف قدراته إلى ما يناسب اختياره الفاسد. وما لهم: ليس لمن أضلهم الله. ومن ناصرين أي: مانعون من العذاب. **٢٩** أقم وجهك: دُم على التوجه والإقبال. والدين: عقيدة الإسلام وشريعته. والحنيف: المخلص لله. والفطرة: ما خَلَق من القابلية للحق وإدراكه. وفطر: أنشأ. والناس: البشر. والتبديل: الإزالة للشيء ووضع غيره محله. وخلق الله: فطرة القابلية للحق. وذلك: ما ذكر من الفطرة والتوحيد. والقيم: المستقيم. الأكثر: الغالبية. ولا يعلمون: لا يعرفون تمييز الحق من الباطل. **٣٠**منيبين إليه أي: راجعين إلى الله في الطاعة. واتقوه: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه. وأقيموا الصلاة: أدّوها كاملة. ولا تكونوا: لاتصيروا. والمشركون: الذين جعلوا مع الله شريكًا. **٣١** وفرّقوا دينهم: جعلوا دين التوحيد أديانًا متباينة. وكانوا: صاروا. والشيع: جمع شيعة، الفرقة بمذهب من الدين. والحزب: الجماعة من الناس تتبع وجهة واحدة. ولديهم: عندهم. والفرحون: المسرورون. **٣٢**

نصف الحزب ٤١

سورة الروم — الجزء الحادي والعشرون

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى
مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

المعنى العام: متابعة ذكر الأدلة على الوحدانية. فقد كان الكافرون ينكرون إحياء الموتى، فنزلت الآيات بأن انتظام السماء والأرض وخضوع المخلوقات لِما يُسّرت له، وإنشاء الخلق الأول، دلائل على يسر البعث. فالله له المثل الأعلى والصفات الحُسنى والتوحيد بعبارة «لا إلّه إلّا الله». وكان أهل الشرك يقولون في التلبية: «لبّيك اللّهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إلّا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك»، فنزلت الآية بالتمثيل لإثبات الحُجّة عليهم بالضلال. فالمماليك للناس لا يشاركونهم أموالهم، ولا يُخشى تسلطهم، وكذلك ما يُعبد من الأباطيل، لا صلة له بالألوهية. وإنما يدرك هذا من يعقل، لا من يجري مع الشهوات في ضلال، لا علم له ولا ناصر ينقذ من العقاب.

فواجب النبي ﷺ والمسلمين أن يدوموا على الاستقامة في دين الفطرة التي يُخلق الناس عليها باستعداد وقدرات، وهو الدين الإسلامي، لا يقدر أحد أن يغير ذلك الأصل الخَلْقي، وإن كان أكثر الناس لا يعرفه، وقد يفسده شياطين الإنس والجن بالشرك والكفر فيما ينشأ الإنسان عليه بعد، وواجبهم أيضًا أن يعودوا بالطاعة لله دائمًا في العبادة والتوحيد، ولا يصيروا كأصحاب الأديان السابقة، تقسّموا ما جاءهم من الله، وكانوا أحزابًا وفرقًا متخاصمة سعيدة بالتفرق والخصام.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم
مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ
حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا
لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن
شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

تفسير المفردات: مسّ الناس: نزل بهم. والضر: شِدّة البلاء. ودعوا: نادوا باستغاثة. والرب: الخالق المالك المتفرد. ومنيبين أي: راجعين بالعبادة والطاعة. وأذاقهم: تفضل عليهم. ومنه: من عنده وبأمره. والرحمة: العطف بالإحسان. وإذا فريق بربهم يشركون: فاجأ الرحمةَ إشراكُ جماعة، جعْلُهم لله مشاركًا في الألوهية ينسبون إليه كشف الضر. **٣٣** ليكفروا: ليكنْ منهم إنكار التوحيد والنبوة. وبما آتيناهم: بسبب ما أعطيناهم من النعم. وتمتعوا: انتفِعوا بالنعم. وسوف تعلمون: لا بد أن تدركوا عاقبة الكفر والتمتع. **٣٤** أم أنزلنا: بل ما أوحينا. وسلطانًا أي: برهانًا. ويتكلّم: يدلّ بما فيه من البيان. وبما يشركون: بالإشراك. وبه أي: بالله. **٣٥** أذقنا: رزقنا ومنحنا. والناس: البشر. وفرحوا: سَعدوا وبطروا. وتصيبهم: تنزلُ بهم. والسيئة: الضرر والأذى. وبما قدمت: بسبب ما اكتسبته من قبل. والأيدي: جمع يد. وإذا هم يقنطون: فاجأ إصابةَ السيّئةِ يأسُهم. **٣٦** ألم يروا: لقد علموا. ويبسط: يوسّع. والرزق: ما يهيّأ للخلق وييسّر من المتاع والزينة. ولمن يشاء: للذي يريد الله بسط رزقه امتحانًا. ويقدر: يضيّق على من يشاء. وذلك أي: المذكور من التوسعة والتضييق. والآيات: البراهين القاطعة الدلالة على الوحدانية. والقوم: الجماعة من الناس. ويؤمنون: يصدّقون ما يرون من الأدلة اليقينية ويستجيبون لِما تقتضيه. **٣٧** آت: أعطِ، أيها المسلم. وذو القربى: صاحب القرابة. وحقه: نصيبه وهو يحتاج إليه. والمسكين: من يملك ما لا يكفي حاجاته. وابن السبيل: من كان في طريق سفر واحتاج إلى ما يوصله إلى بلده. وذلك أي: إيتاء الحق. وخير أي: عمل نافع يضاعف الأجر وينمّي المال. ويريدون: يطلبون. ووجه الله: الإخلاص لوجهه الكريم. والمفلحون: الفائزون برضا الله. **٣٨** آتيتم: أعطيتم. والربا هنا: ما يقتضي طلب الزيادة في الهبة والمهاداة. ويربو: يزداد. والأموال: جمع مال. وهو ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والناس: الذين يعطَون الهبة والهدية. وعند الله: في حكمه. والزكاة هنا: ما يدفع بدون قدر معين. وأولئك أي: المزكّون. والمضعفون: المضاعِفون للشيء بزيادة الثواب. **٣٩** خلقكم: أوجدكم من العدم. ورزقكم: أعطاكم النعم. ويميتكم: ينزع منكم الحياة. ويحييكم: يعيدكم إلى الحياة. وهل من شركائكم: ليس فيهم. والشركاء: جمع شريك، ما يعبد من دون الله. ويفعل ذلكم: يخلق الموت والحياة والرزق. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. وسبحانه: تنزُّهًا له. وتعالى: تعظم وتكبر. وما يشركون: ما يجعلونه شريكًا في العبادة والطاعة. **٤٠** ظهر: حصل وانتشر ولم يكن له وجود. والفساد: الشر والأذى. وبما كسبت: بسبب ربحها واستمتاعها واقترافها المعاصي. والأيدي: جمع يد. ويذيقهم: ينزل بهم الله في الدنيا. والبعض: القسم. وعملوا: اقترفوا واكتسبوا. ولعلهم: ليُترجّى لهم. ويرجعون: يتوبون عما هم فيه من العصيان. **٤١**

المعنى العام: أن الناس يرجعون إلى الله بالاستغاثة حين يصيبهم ضرر شديد، وبعضهم يشرك به حين ينال الخير. فليفعلوا ما شاؤوا من الكفر والانتفاع لأنهم سيحاسبون على الكفر والعصيان. فالله لم ينزل ما يأمرهم بالشرك، ولكن الرحمة تبطرهم، والمصيبة بسبب معاصيهم تدعوهم لليأس، وهم يعلمون أن النعم والنقم ابتلاء للجميع . وهي أيضًا عِبَر للمؤمنين، يستدلون بها على أن الله هو الباسط القابض، فيشكرون ويصبرون مع التوبة، ولا يبطرون ولا ييأسون.

فعلى المسلم أداء الحق للأقرباء والمحتاجين والمنقطعين في الغربة، طلبًا لثواب الله. أما العطاء بهدية أو هبة طمعًا بالكسب الأعلى ـ وهو غير الربا المحرّم قطعًا ـ فلا يضاعف عند الله، وإنما تضاعف الصدقات الخالصة لوجه الكريم، وهو الذي يخلق الحياة والرزق والموت ـ سبحانه وتعالى عما يشركون ـ وليس في المعبودات من يفعل ذلك. أما هذه المفاسد في الدنيا فقد انتشرت بأعمال الناس، زما فعلوا من الشرور والآثام ليروا قبل الآخرة عقوبة بعض ما عملوا، فيعودوا إلى الإيمان والصلاح، وينكشف عنهم ما ظهر من الفساد.

تفسير المفردات: قل أي: للمشركين، أيها النبي. وسيروا: امشوا وتنقلوا للتأمل والاعتبار. والأرض: ما هو قريب من مكة في الشمال والجنوب. وانظروا: تفكّروا وتدبروا. والعاقبة: النهاية. وقبلُ أي: قبلِكم. والأكثر: الغالبية. والمشركون: من يجعلون مع الله نِدًّا له في الألوهية.
٤٢ أقم وجهك أي: دُم على التوجه والإقبال بالقلب واللسان والعمل، أيها المخاطَب. والدين: الإسلام. والقيم: المستقيم. ويأتي: يقع ويحصل. واليوم: الوقت والزمن. والمرد: الردّ والمنع. ومن الله: من أمره وقضائه. ويومئذ: يوم يأتي ذلك الوقت. ويصّدّعون: يتصدّعون: يتفرّق الناس لنيل الجزاء. أُدغمت التاء في الصاد. **٤٣** كفر: كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. وكفره أي: عقاب كفره. وعمل: اكتسب وتحمل. والصالح: ما يرضاه الله. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان وذاته. ويمهدون: يوطّئون المنازل في الجنة. **٤٤** يجزي: يكافىء. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. والفضل: التفضل بالإحسان. ولا يحب: لا يود بل يكره فلا يرحم. **٤٥** الآيات: العلامات والدلالات على بديع قدرته ورحمته. ويرسل: يطلق ويحرك. والرياح: جمع ريح، أنواع الهواء المتحرك. والمبشرة: التي تبلّغ ما فيه الخير والسعادة. ويذيقكم: ييسّر لكم بها ما تنالونه. والرحمة: العطف بالنعم. وتجري: تسير. والفلك: السفن، واحدته من لفظه. وأمره: إرادته. وتبتغوا: تطلبوا الرزق. ولعلكم: ليُترجّى لكم. وتشكرون: تستحضرون النعم وتثنون بالقلوب والألسنة والعمل على خالقها. **٤٦** أرسلنا: بعثنا. والرسل: جمع رسول، من يكلفه الله بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والقوم: الجماعة من الناس. وجاؤوهم بالبينات: أتوهم بالحُجج على صدقهم. وانتقمنا: جازينا وعاقبنا. وأجرموا: اقترفوا الكفر والمعاصي. والحق: الثابت لا بد منه. والنصر: العون والتأييد. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله قلبًا وعملًا. **٤٧** الله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وتثير: تحرك وتهيج. والسحاب: واحدته سحابة، الغيم فيه الماء. ويبسطه: ينشره متواصلًا. والسماء: ما يحيط بالأرض من الجو. وكيف يشاء: بالصورة التي يريد أن يبسطه عليها. ويجعله: يصيّره. والكسف: القطع المتفرقة، جمع كِسْفة. وترى: تبصر بعينك، أيها الإنسان. والودق: المطر. ويخرج: يظهر وينفذ. والخلال: جمع خَلَل، الوسْط. وأصاب به: أنزله ومنحه. ويشاء: يريد إصابته بالمطر. والعباد: جمع عبد، المخلوق المملوك تعبدًا وقهرًا. وإذا هم يستبشرون: يفاجئ الإصابةَ بالمطر فرحُهم. **٤٨** إنْ: لقد. وينزَّل: يُسقط. والمبلسون: اليائسون لشدة القحط وفقد المطر. **٤٩** انظر: تفكر باستبصار واعتبار، أيها المخاطَب. والأثر: حصول ما يترتب على الشيء. ويحيي: يخلق الحياة. والأرض: القسم اليابس من الدنيا. والموت: اليبس. وذلك أي: المحيي للأرض. والموتى: جمع ميت، الفاقد للحياة. وهو أي: المحيي. والشيء: ما هو موجود أو ممكنٌ وجوده. والقدير: البالغ القدرة بذاته. **٥٠**

الجزء الحادي والعشرون — سورة الروم

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم
مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

المعنى العام: أمرُ النبي بتوجيه المشركين إلى التفكر فيما جرى على البلاد المجاورة وأهلها الكافرين من دمار، وأمرُ المؤمنين بملازمة الإسلام حتى يوم القيامة، حيث يتفرق الناس متفاوتين، لينال كل منهم جزاء ما فعل، الكافر يكون وباله عليه، والمؤمن الصالح قد هيأ لنفسه منزلة رفيعة في الجنة، والله يكافئ المحسنين ويمقت الكافرين فلا يرحمهم.

ولهم في حمل الرياح للأمطار والحركة للسفن مع الخيرات والمنافع أدلةٌ على وجوب الإيمان، وقد جاءت بمثل هذه الأدلة رسل كثيرة قبل محمد ﷺ فكان الهلاك للكافرين والنصر للمؤمنين. فالله هو الذي يوجّه تلك السحب حاملة الأمطار تبشر بالخير والبركات من تصل إليهم، بعد أن استحكم يأسهم، فيكون استبشارهم على قدر اغتمامهم بذلك. فتأمل ـ أيها الإنسان ـ آثار الرحمة، وما فيها من أدلة على التوحيد وعجيب القدرة وتحقق البعث. فإن الذي خلق تلك الكائنات العظيمة قادر أن يحيي الموتى بلا شك.

تفسير المفردات: أرسلنا: أطلقنا وحرّكنا. والريح: الهواء فيه ضرر. ورأوه: أبصر المشركون النبات. والمصفر: الذي تغير لونه لييسه. وظلوا: صاروا. وبعده: بعد اصفراره. ويكفرون: يجحدون نعمة المطر. ٥١ إنك أي: أنت، أيها النبي. لا تُسمع: لا تُبلّغ المسموعات. والموتى: جمع ميت، الذي مات قلبه فلا يدرك الحق. والصم: جمع أصمّ، الذي فقد حاسة السمع. والدعاء: النداء والأصوات. وإذا: حين. وولوا: أعرضوا. والمدبرون: الذين يوجهون ظهورهم هربًا واستصغارًا. ٥٢ ما أنت: لستَ. وهادِ: هادي أي: صارف إلى الحق. وحذفت الياء لالتقاء الساكنين. والعمي: جمع أعمى، من لا يبصر. والضلالة: الخروج على الصواب. وإن تُسمع: ما تُسمع. ويؤمن: يصدّق يقينيًّا. والآيات: نصوص القرآن الكريم. والمسلمون: المخلصون بالتوحيد خاضعين لأمر الله.٥٣ خلقكم: أنشأكم وأوجدكم. والضعف: الشيء الضعيف لا قوة فيه. وجعل: خلق. والضعف الثاني والثالث بمعنى العجز والقصور. والقوة: القدرة المؤثرة. والشيبة: بياض الشعر. ويشاء: يريد خلقه. والعليم: المبالغ في الإحاطة بما يكون. والقدير: البالغ القدرة بذاته. ٥٤ اليوم: الوقت. وتقوم: تحصل وتقع. والساعة: القيامة. ويقسم: يحلف. والمجرمون: الذين يقترفون الكفر. ما لبثوا: ما بقُوا في الدنيا والقبور. والساعة: القطعة اليسيرة من الزمن. وكذلك: مثلَ هذا الصرف عن المعرفة

سورة الروم — الجزء الحادي والعشرون

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا
مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم
مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ
قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ
كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ
وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ
لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤١

للمدة. ويؤفكون: يصرفون ويمتنعون في الدنيا من الإقرار بالبعث. ٥٥ أُوتوا: أُعطوا. والعلم: الدراية اليقينية. والإيمان: إقرار القلب بالتوحيد وما يلزم عنه. ولبثتم: بقيتم في الدنيا والقبور، أيها الكافرون. وكتاب الله: اللوح المحفوظ وأُمّ الكتاب، بحسب ما علمه الله وقدّره. والبعث: الخروج بالحياة من القبور، حيثما كان فتات الميت. ولا تعلمون: لا تعترفون وقوعه ولا تقرون بأنه سيكون. ٥٦ يومئذ: يوم تقوم الساعة. ولا ينفع: لا يفيد بتقديم خير ودفع شر. وظلموا: تجاوزوا حد الحق فكفروا. والمعذرة: الاعتذار وطلب العفو. ولا هم: ليسوا. ويستعتبون: يُطلب منهم أن يُرضوا الله. ٥٨ ضربنا: جعلنا. والناس: البشر. والمَثَل: الأمر العجيب يذكر للعظة. ولئن: أُقسِمُ إن. وجئتهم: بلّغتهم. والآية: المعجزة للدلالة على صدق الرسالة. ويقول: يجاهر بالقول مكابرة. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وإن أنتم: لستم، يا مسلمون. والمبطلون: أصحاب الأباطيل والأوهام. ٥٨ كذلك: كما طبع الله على قلوب هؤلاء. ويطبع: يختم ويقدّر بعلمه وإرادته. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. ولا يعلمون: لا يدركون الحقائق والأدلة. ٥٩ اصبر: استمر على التحمل، أيها المسلم. والوعد: ما تعهد به وبشّر. والحق: الثابت لاشك فيه. ولا يستخفنك: لا يزحزحنك عن الصبر. ولا يوقنون: لا يصدّقون البعث. ٦٠

المعنى العام: أن المشركين يجحدون الرحمة والنعم، وإذا أصابت زرعهم ريح متلفة كفروا بالله، وهم لا يفيدهم نصحك ـ أيها النبي ـ لأنهم كالموتى والصمّ الذين لا يسمعون، معرضون بطيشهم وإصرارهم على الكفر، وإنما يهتدي المؤمنون المخلصون وينتفعون بالتوجيه إلى أدلة التوحيد. ومن هذه الأدلة أن الله خلق الإنسان من قطرة المنيّ المتناهية في الضعف والعجز عن الحياة والنمو، ثم سيّره في مراحل من الضعف والقوة بعلم واقتدار. وسوف يذهل الكافرون يوم القيامة حتى يظنوا بجهلهم اللازم لهم أنهم أقاموا في الدنيا والقبور ساعة من الزمن، في حين أن المؤمنين يذكرون أن ذلك مضى بطوله المديد حتى جاء البعث الذي أنكره الكافرون، ولا فائدة لهم حينذاك إذ لا يسمح لهم باعتذار أو رجوع إلى الصواب. فقد ضرب الله لهم في الدنيا أمثالًا للبيان، ولكنهم لا يؤمنون بها ولا بالمعجزات، بل يتهمون المؤمنين بأنهم أتباع الأباطيل. هذه هي عادة المكابرين، قلوبهم مغلقة عن الحق. فلا يَشغلك إنكارهم ـ أيها المسلم ـ عن العمل والصبر والإحسان، ولا بد أن يتحقق وعد الله بالنصر عليهم.

٣١ ـ سورة لقمان

سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

تفسير المفردات: الٓمٓ: أحرف مقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ١ تلك أي: هذه الآيات معظَّمةً. وآيات الكتاب: نصوص القرآن الكريم. والحكيم: ذو الحكمة المتقنة في العقيدة والشريعة والأخبار والعلوم والمعارف والإعجازين البياني والنحوي. ٢ والهدى: الإرشاد إلى الحق. والرحمة: العطف بالفضل. والمحسنون: الذين يعبدون الله بإخلاص. ٣ يقيمون الصلاة: يؤدّون العبادة المكتوبة كاملة. ويؤتون الزكاة: يؤدّون ما يطهّر أموالهم وأنفسهم إلى مستحقيه. والآخرة: الحياة يوم القيامة. ويوقنون: يصدّقون واثقين مطمئنين. ٤ أولئك أي: الموصوفون بما مضى. ومن ربهم: من عنده وبأمره. والمفلحون: الفائزون بالخير. ٥ من الناس: بعضهم. ويشتري: يختار ويفضل بدلًا من القرآن الكريم. واللهو: العبث بما يُلهي عن الخير. والحديث: الكلام. ويُضل: يصدّ الناس. والسبيل: طريق الإسلام. والعلم: الدراية اليقينية. ويتخذها: يجعل سبيل الله. والهزُو: السخرية والتهكم. والعذاب: التعذيب. والمهين: المذلّ المحقّر. ٦ تتلى: تقرأ وتبيَّن. وولى: أعرض. والمستكبر: المتكبر. وكأنْ: كأنّه. ولم يسمعها: لم يدرك الآيات بالسمع. والأذن: عضو السمع. والوقر: الصمم. وبشّره: أعلمه مهدِّدًا. والأليم: المؤلم جدًّا. ٧ وآمنوا: اعترفت قلوبهم بالتوحيد وما يلزمه. وعملوا: اكتسبوا بنية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضي الله. والجنة: البستان العظيم فيه القصور والنخيل والأعناب والأنهار. والنعيم: الخير الكثير الدائم. ٨ الخالدون: المقيمون أبدًا. ووعْدَ أي: خلودَ التعهد بِشارة. والحق: وعْدَ الوقوع الثابت. وهو أي: الله. والعزيز: الغالب المحقق لما يريد. والحكيم: المتقن لما يفعل. ٩ خلق: أنشأ من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والعمد: جمع عِماد، ما يُعمد به. وترونها: تبصرونها عِيانًا. وألقى: أثبت. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والرواسي: جمع الراسي. وهو الراسخ من الجبال. وأن تميد بكم: لئلّا تضطرب وتنهار وتتزحزح أجزاؤها وأنتم فيها. وبث: فرّق ونشر. والدابة: ما يمشي أو يتحرك. وأنزلنا: أطلقنا وأسقطنا. والسماء: السحاب. والماء: المطر والثلج والبرَد والندى. وأنبتنا: أخرجنا. وفيها: في الأرض. والزوج: الصنف. والبهيج: الحسَن. ١٠ هذا أي: ما ذُكر في الآية المتقدمة من النعم. والخلق: المخلوق. وأروني: أخبروني، أيها المشركون. ودونه: غير الله. وبل أي: ليس عندهم شيء من ذلك. والظالمون: الذين يتجاوزون الحق فيكفرون. والضلال: البعد عن الصواب. والمبين: الظاهر بوضوح. ١١

المعنى العام: أن آيات القرآن المحكم بما فيه، من التشريع والتوجيه والتعليم والإعجاز، تهدي المؤمنين القائمين بعبادات الصلاة والزكاة والواثقين بيوم القيامة، تهديهم إلى الحق والصواب، وهم مسترشدون إلى توجيه ربهم وفائزون بكل خير في الدنيا والآخرة.

وكان النضر بن الحارث من مشركي مكة يقرأ عليهم كتب القدماء ويزعم أنه ينقل مثل ما جاء في القرآن الكريم، فنزلت الآيتان ٦ و٧ بوصف تضليله وسخريته وجهله وسخف مزاعمه، وإعراضه وتكبره كأنه أصم لا يسمع ولا يفهم، وبما سيكون له من العذاب يوم القيامة. أما المؤمنون الصالحون فلهم الخلود في نعيم الجنة خلودَ وعدٍ محقّق من فضل الله الغالب على أمره والمتقن لما يريد، والرافع للسماء بقدرته من دون عمد، والمثبِّت للأرض بالجبال تحفظها من التشقق والانهيار والاضطراب، والمفرّق للأحياء المختلفة المتنوعة، والمنزل للمطر بالخير العميم.

تلك النعم خلقها الله، وليس للآلهة المزعومة نصيب في إيجاد شيء منها، ولكن المشركين يتيهون في الضلال الواضح للعيان، فيعبدون ويقدّسون ما لا يستحق ذلك.

تفسير المفردات: آتينا: أعطينا. ولقمان: من الحكماء الصالحين، اختلف القصاصون في أوصافه وسرد أقواله. والحكمة: إتقان الفهم والمعرفة والقول والعمل. واشكر لله: استحضر نعمه وأثنِ عليه بالقلب واللسان والعمل. ولنفسه أي: أن الشكر يعود خيره عليه. وكفر: لم يشكر على النعم. والغني: المستغني لا يحتاج إلى شيء. والحميد: الحقيق بأن يُحمد. ١٢ إذ قال: وقت قوله. وابنه: ولده. ويعظه: يوجّهه إلى الصواب. وبنيّ: تصغير ابني للتودد. ولا تشرك بالله: لا تجعل له مشاركًا في الألُوهية. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه بالجهل والكفر. والعظيم: الذي لا مثيل له. ١٣ وَصينا: أوجبنا البرّ والإحسان. والإنسان: كل إنسان. والوالدان: الأب والأم. وحملته أي: في رحمها. والوهن: الضعف. وعلى وهن أي: مع ضعف آخر. والفصال: الفطام. والعامان: سنتان، مدة الحمل مع الرضاعة. وإليّ المصير: إلى لقاء حسابي رجوعك يوم القيامة. ١٤ جاهدك: قاومك لإرغامك. والعلم: الدراية اليقينية. ولا تطعه: خالفه ولا توافقه. وصاحبه: عاشره. وفي الدنيا أي: في أمور الحياة عامة. والمعروف: المعاملة الكريمة. واتّبع: تابع بالموافقة. والسبيل: الطريق. وأناب إليّ: أقبل إلى طاعتي. وإليّ مرجعكم: إلى لقاء حسابي مصيركم يوم القيامة. وأنبّئكم: أُخبركم. وتعملون: تكتسبونه بالقلب واللسان والجوارح. ١٥ إنها أي: الخَصلة السيئة أو الحسنة من العمل. وتك: تكن. حذفت النون للتخفيف ومثقال حبة: مقدار ثقل ثمرة. والخردل: ثمر نباتٍ يضرب به المثل في الدقّة. وتكن: تحصل وتختفي. والصخرة: ما صلب من الحجارة. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم غيبية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويأتي بها: يحضرُها يوم القيامة للحساب. واللطيف: الذي يتوصل علمه إلى كل خفيّ. والخبير: العليم ببواطن الأشياء ودقائقها. ١٦ أقم الصلاة: أدِّها بشروطها وواجباتها وآدابها. وأؤمر بالمعروف: حُضّ الناس على ما يرضي الله. وانهَ عن المنكر: ازجر الناس وامنعهم من عمل ما حرّمه الشرع. واصبر: تحمل وتصبّر. وأصابك: نزل بك. وذلك أي: المذكور من الأمر والنهي في الآيتين ١٣ و١٧. وعزم الأمور: الضبط والمراعاة لصلاح الأحوال الواجب متابعتها. ١٧ لا تصعر خدك: تواضع ولا تَمل بوجهك تكبّرًا. وللناس: عنهم. ولا تمش: لا تسر. ومرحًا: متكبرًا. ولا يحب: يبغض ولا يرحم. والمختال: المتبختر في مشيه. والفخور: المتبجح بالنعم لا يشكر عليها. ١٨ واغضض: اخفِض وليّن. والصوت: قرع الكلام. والأنكر: الأقبح. والأصوات: جمع صوت. والحمير: جمع حِمار، الحيوان الأهلي المعروف بالبلادة. ١٩

الجزء الحادي والعشرون — سورة لقمان

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

المعنى العام: أن الله وهب عبده الصالح لقمان المشهور بالحكمة والصلاح، وهبه إتقان التدبر والقول والعمل، وألهمه الشكر على ذلك ـ وكلٌّ من الشكر والكفر يعود بالنتيجة على صاحبه ـ فنصح لقمان ابنه من تجاربه ومعارفه وحكمته بالتوحيد في الاعتقاد والعبادة، لأن الشرك ظلم لا مثيل له.

ولما أسلم سعد بن أبي وقاص أقسمت أمه أن تترك الطعام والشراب حتى يرجع إلى الكفر، فنزلت الآيتان ١٤ و ١٥ بوجوب بر الوالدين، ولا سيما الأمّ التي حملت وأرضعت مدة عامين، وبلزوم الشكرِ لله و لهما وطاعتِهما، إذا لم يأمرا بشرك أو معصية، مع وجوب مصاحبتهما بالإحسان، والاستقامة في العمل لأن الحساب قادم في يوم القيامة.

ومما أوصى به لقمان ابنه الاستمرارُ في مراعاة الأمور العالية الأهمية، والاستعداد لذلك الحساب، إذ يُحضر الله جميع أعمال الناس من خير أو شر مهما صغرت وكانت بعيدة أو خفية، ومتابعةُ الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ما يصيب من الشدائد والتواضع للناس وعدم التفاخر والاختيال وخفض الصوت في الكلام والخطاب، لأن ارتفاعه يشبه صوت الحمير، وهو أشنع الأصوات أوله زفير بصوت قوي وآخره شهيق بصوت ضعيف.

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ
وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

الحزب ٤٢

تفسير المفردات: ألم تروا أي: لقد علمتم بحق، أيها الناس. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وسخّر لكم: جعل لمنافعكم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وأسبغ: وسّع وتمم. والنعم: جمع نعمة، الحال الحسنة. والظاهرة: التي تُرى وتشاهد. والباطنة: الخفية تُدرك بالعقول. ومن الناس: بعضهم. ويجادل في الله: يخاصم في وجود الله وصفاته. والعلم: ما كان بدليل يقيني. والهدى: الرشاد بقول رسول. والكتاب: الكتب السماوية. والمنير: المضيء بالحقائق والتوجيه. ٢٠ قيل أي: لهؤلاء المجادلين. واتبعوا: تابعوا. وأنزل: أوحى على لسان جبريل. وقالوا أي: أجابوا. وبل أي: لا نتبع ذلك وإنما. ووجدنا: رأينا. والآباء: جمع أب. وأولو كان: أيتبعونهم وإن كان. والشيطان: من يغري بالباطل من الإنس والجن. ويدعوهم: يحضّ الآباء ويقودهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والسعير: نار جهنم الموقدة. ٢١ يُسلم وجهه: يتوجّه بنفسه وعمله. والمحسن: الموحّد بإخلاص وتجرد من كل شرك أو هوى. واستمسك: ارتبط. والعروة: ما يكون في الحبل من مستمسَك كالعقدة الأُنشوطة تُضم فيها الأصابع. والوثقى: الأشد قوة وثباتًا. وإلى الله: إلى حكمه وقضائه. والعاقبة: الرجوع للحكم. والأمور: جمع أمر، شؤون الخلق. ٢٢ كفر: كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. ولا يحزنك: لا يسبب لك الألم، أيها النبي. والمرجع: العودة يوم القيامة للحساب. وننبئهم: نخبرهم. وعملوا: اكتسبوه من نية أو قول أو فعل. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وذات الصدور: ما في الصدور، والمراد بها القلوب. ٢٣ ونمتعهم: نمدّهم بالنعم إيهامًا أنهم مكرمون. والقليل: ما يكون في الدنيا ثم يزول. ونضطرهم: نُلزمهم وندفعهم. والغليظ: الشديد الثقيل. ٢٤ لئن: أُقسِمُ إن. وسألتهم: طلبت الجواب من المشركين. وخلق: أوجد من العدم. ويقولون: يجيبون. والله أي: الله هو خلق ذلك. وقل أي: قل توجيهًا لهم. والحمد: الثناء بالجميل على الفضل. وبل أكثرهم: لكن الغالبية منهم. ولا يعلمون: لا يدركون وجوب توحيد الله وحمده. ٢٥ لله أي: مُلكه ومستحَقه وحده. والغني: المستغني لا يحتاج إلى شيء. والحميد: الحقيق وحده بأن يُحمد. ٢٦ لو: لو حصل. وأنما: أن الذي. والشجرة: النبتة الكبيرة لها جذع وساق وأغصان. والأقلام: جمع قلم، آلة الكتابة. والبحر: ما يجتمع فيه الماء الكثير كالنهر والبحيرة والمحيط. ويمدّه: ينصبّ فيه. والأبحر: جمع بحر. والمراد بالسبعة المبالغة في الكثرة. وما نفدت: ما انتهت. وكلمات الله: كلامه القديم وما يحيط به من علم. والعزيز: الغالب قهرًا لكل ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٢٧ ما خلْقكم: ليس إيجادكم من العدم. والبعث: الإحياء بعد الموت. وكنفس: كخلق نفس أو بعثها. والسميع: المدرك لأصوات. والبصير: المبصر لما يكون. ٢٨

المعنى العام: أن الكافرين يعلمون ما هيّأ الله لهم في الكون وأنعم عليهم، ولكنّ بعضهم يخاصم في التوحيد بجهل، ويصرّ على تقليد الآباء وإن كانوا تابعين للشياطين إلى جهنم، والمؤمنين المحسنين يعتصمون بأوثق التوجّهات، ولكلٍّ حسابه عند الله. فلا تحزن ـ أيها النبي ـ بكفر المشركين، لأن الله يعلم ما هم فيه، فيتمتّعون قليلًا في الدنيا ويبعثون يوم القيامة لعذاب غليظ، وهم يعترفون بأن الله خالق الكون، ثم يشركون بجهلهم، والله غني عنهم ومحمود فيما يفعل بهم وبغيرهم. ولما احتج اليهود بأن عندهم التوراة وفيها علم كثير، وأنكروا أن يوصف علمهم بالقلة، نزلت الآية ٢٧ بأن علم الله هو العظيم، لا تستوعب كتابتَه بحار المداد مضاعفة ولا أقلام الأشجار. وعندما قال بعض الكافرين للنبي: «إن الله خلقنا أطوارًا، نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا، ثم تقول: إنا نُبعث خلقًا جديدًا، جميعًا في ساعة واحدة»، نزلت الآية ٢٨ بأن خلق البشر وبعثهم يسيران كالنفس الواحدة، والله سميع بهم وبصير بأعمالهم والأقوال.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ
كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ
عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ
الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

تفسير المفردات: ألم تر أي: لقد علمتَ بحقّ، أيها الإنسان. ويولج: يُدخل. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. وسخّر: ذلّل لنفع الخلق في نظام دقيق متقن. والشمس: النجم النهاري. والقمر: الكوكب الليلي. ويجري: يتحرك ويدور في فلكه المحدّد. والأجل: مدة حياة الكائن. والمسمّى: المعيّن في علم الله. وتعملون: تكتسبونه بالقلب واللسان والجوارح. والخبير: المحيط علمًا. **٢٩** ذلك أي:المذكور في الآيات **٢٠ـ ٢٩** من سعة العلم وشمول القدرة لعجائبِ الصنع واختصاص الباري بها. وبأن أي:حاصل لأن. والحق: المعبود الثابتة ألوهيتُه وحده. ويدعون: يعبد المشركون. ودونه: غيره. والباطل: ما لا أصل له وهو زائل. والعلي: المتكبر المتعالي على جميع الخلق. والكبير: العظيم لا مثيل له في ذاته وصفاته وأفعاله، ولا يتصوره عقل ولا تحيط بكنهه بصيرة. **٣٠** الفلك: السفن، واحدتها بلفظها. وتجري: تسير. والبحر: ما اجتمع فيه الماء الكثير كالنهر والبحيرة والمحيط. وبنعمة الله: بفضله من تهيئة أسباب الجري. ويريكم: يعرّفكم. وآياته: دلائله على التفرد بالألوهية. وذلك أي: ما ذُكر من خلق النِّعم. والصبار: الكثير الاحتمال للطاعة والبلاء. والشكور: الكثيرالاعتراف بالنعم يستحضرها ويثني على ميسّرها بالقلب واللسان والعمل. **٣١** غشيهم: علا الكفارَ وأحاط بهم في سفن البحر. والموج: ما يعلو من سطح الماء ويتتابع، واحدته موجة. والظلل: جمع ظُلّة، الجبل يظلّل ما حوله. ودعوا الله: نادوه وحده مستغيثين. والمخلصون: الذين يتجرّدون من كل شرك. والدين: العبادة والدعاء. ونجّاهم: أنقذهم. والبر: ما يبس من الأرض. ومنهم: بعضهم. والمقتصد: المقيم على التوحيد والإخلاص. وما يجحد: ما ينكر ويكفر. والختار: الكثير الغدر. والكفور: الكثير السَّتر والإنكار للنعم. **٣٢** الناس: بنو آدم. واتقوا: تجنبوا الغضب واطلبوا الرضا بالطاعة. والرب: الخالق المالك المتفرد. واخشوا: اعملوا ما ينجيكم من العذاب ويدخلكم النعيم. واليوم: الوقت. ولا يجزي: لا يغني. والوالد: الأب. والمولود: الولد. والجازي: الدافع والمغني. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والوعد: ما تعهّد به من نعيم أو عذاب. والحق: الواقع في حينه لا يتخلف. ولا تغرّنكم: لا تصرفنّكم. والحياة أي: ما فيها من المتع والزينة. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. وبالله: في حلمه وإمهاله. والغرور: الشيطان الكثير الإغراء بالشر. **٣٣** عنده أي: مختص به وحده. وعلم الساعة: الإحاطة التامة بوقت حصول يوم القيامة. وينزّل: يرسل ويطلق. والغيث: المطر. ويعلم أي: يعرف قبل تخلق الجنين وبعده من جميع الأحياء. والأرحام: جمع رَحِم، ما يستقر فيه الجنين. وما تدري: ما تعرف معرفة اليقين. والنفس: المخلوق من العاقلين. وتكسب: تعمل وتُرزق. والغد: الوقت القادم بعد لحظة أو أكثر. والأرض: المكان. وتموت: تفارق الحياة. والعليم: البالغ الإحاطة بكل شيء. والخبير: البالغ الخبرة والاطلاع على الظواهر والخفايا. **٣٤**

المعنى العام: أنت تعلم بحق ـ أيها الإنسان ـ أن الله خالقٌ لتعاقب الليل والنهار، ولتسيير الكواكب في أفلاكها بتقديرٍ تحقيقًا لمصالح الكون، ومطلعٌ على الخفايا والظواهر، وتعلم كيف تسير السفن في البحر بفضل الله، وكل ذلك يحقق التوحيد لدى الصابرين الشاكرين.

وهؤلاء الناس يناقضون أنفسهم في العقيدة، يستغيثون بالله وحده حين الخطر في البحار، وبعد نجاتهم يستقيم بعضهم، ويكفر الخائنون الجاحدون. فعلى الجميع أن يتقوا الله ولا يغتروا بمتاع الحياة وكيد الشيطان، ويعملوا ما ينجيهم من عذاب يوم القيامة، حين لا يغني أحد عن غيره أيّما إغناء، ولو كان أقرب الأقربين. وإن وعد الله محقق، فلا يغترّ الناس بتضليل الشياطين.

و لما سأل أعرابي النبي عن وقت قيام الساعة ونزول المطر وبعض المغيَّبات نزلت الآية ٣٤ بأن مفاتيح الغيب خمسة: وقت الساعة ونزول الغيث وما في الأجنة كلها وأرزاق البشر وأمكنة الوفيات، لا تحيط بها قدرات الخلق، ولا يعلمها بدقة وإحكام وتفصيل إلاّ الله العليم الخبير.

٣٢ ـ سورة السجدة

تفسير المفردات: الٓمٓ: أحرف مقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ١ التنزيل: الإيحاء على لسان جبريل. والكتاب: القرآن الكريم. والريب: الشكّ. وفيه: في التنزيل. ومن الرب: من عند الخالق المالك المتفرد. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٢ أم يقولون أي: بل يقول الكافرون. وافتراه: اختلقه محمد ﷺ بنفسه وزعم أنه من عند الله. وبل أي: إنما. وهو أي: القرآن الكريم. والحق: الثابت قطعًا. وتنذر: تخوّف بانتقام الله. والقوم: الجماعة من الناس. وما أتاهم: ما جاءهم. والنذير: الرسول المنذر بالعذاب. ومن قبلك: في الفترة بعد الرسل. ولعلهم: ليُترجّى لهم. ويهتدون: يسترشدون إلى الحق. ٣ الله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وخلق: قدّر الإيجاد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من العوالم العُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والأيام: الأزمنة الفلكية، جمع يوم. ومقداره ألف سنة وأكثر من سنوات الدنيا. وثم استوى أي: وقصد وعلا يُحكِم بقدرته ويخلق. والعرش: مخلوق عظيم يحيط بالعالم كله. وما لكم: ليس لكم، أيها الناس. ودونه: غيره. ومن وليٍّ أي: ناصرٌ. والشفيع: الدافع للعذاب. وألا تتذكرون: تفكروا لتتعظوا وتوحّدوا. ٤ يدبر: يقضي بإرادته الأزلية للكون. والأمر: شؤون الخلق. ويعرج: يعود الأمر والتدبير. وإليه: إلى قضائه دائمًا. واليوم: الوقت، وقت القضاء في الأمور. ومقداره: مدته بالنسبة إلى البشر. وتعدون: تحسبونه. ٥ ذلك أي: الموصوف بما ذُكر في الآيتين ٤ و٥. والعالِم: المحيط إحاطة بالغة ودائمة. والغيب: ما غاب عن قدرات الخلق. والشهادة: ما يشاهده الخلق. والعزيز: المنيع في ملكه. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة للمؤمنين. ٦ أحسن: أتقن. والشيء: ما هو موجود. وخلقه: أوجده. وبدأ: أحدث أول مرة. والإنسان: آدم. والطين: التراب المجبول بالماء. ٧ جعل: صيّر. والنسل: الذرّيّة. والسلالة: ما يُسلّ ويُنزع. والماء: شهوة الرجل والمرأة. والمهين: الضعيف المبتذل. ٨ سوّاه: قوّمه بتكوينه على ما ينبغي. ونفخ فيه من روحه: جعل فيه الروح التي خلقها للإحياء. وجعل: أنشأ. والسمع: نِعَم الأسماع. والأبصار: جمع بصر، قدرة الرؤية. والأفئدة: جمع فؤاد، صميم القلب موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. وقليلًا ما أي: نادرًا. وتشكرون: تستحضرون النعم وتثنون على منعمها. ٩ قالوا أي: الكافرون. وأإذا ضللنا: حين غيابنا. والأرض أي: التراب. وأإنا: لسنا. والخلق: النشأة. والجديد: الثاني بالبعث. واللقاء: لقاء الحساب والجزاء. والكافرون: الجاحدون المكذبون. ١٠ قل أي: لهم، أيها النبي. ويتوفاكم: يستردّ أرواحكم. وملك الموت عزرائيل، ومعناه: عبد الله. وله أعوان من الملائكة. ووكّل بكم: فُوّض إليه أمر موتكم. وإلى ربكم: إلى لقاء حسابه وعقابه. وترجعون: تعودون بالبعث. ١١

ربع الحزب ٤٢

سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ
﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ
كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ
مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا
مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي
خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم
مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

المعنى العام: أن القرآن الكريم منزّل من عند الله حقًّا، لينذر الذين ما جاءهم رسول فيهتدوا، وهم يدّعون أنه من صنع محمد ﷺ، ويوبّخون على ذلك.

فالله هو الذي خلق الكون واستوى على العرش يدبر الخلق، وستعودون إليه يوم القيامة، لا معين لكم غيره ولا شفيع، وعليكم التدبر والاتعاظ بذلك لتؤمنوا، وهو عالم الغيب والشهادة والعزيز الرحيم المتقن لما يخلق، خلق آدم من طين، وسلالته من قطرة دقيقة من منيّ الرجل وبُوَيضة المرأة، وعدّله ونفخ فيه من روحه لإحيائه ـ وإضافة الروح إلى ذاته دلالة على أنه خلقٌ عجيب، لا يعلم حقيقته إلّا هو ـ ومنحه قدرات السمع والبصر والتفكر. فما أقل ما تشكرون!

لقد أنكر المشركون أن يبعثوا بعد الموت، لأنهم كافرون بلقاء حساب الله. فلْيعلموا أن ملك الموت يتوفى أرواحهم، والمتوفّي حقيقة هو الله يخلق الموت، ثم يُبعثون يوم القيامة ويردّون لنيل الجزاء بالحق.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ
رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ
مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾
فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ
وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا
لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ
جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟
فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

تفسير المفردات: ترى: تُبصر عِيانًا، أيها الإنسان. وإذ المجرمون: وقت كون من يقترفون الكفر والجرائم. والناكسون: المطأطئون الخافضون. والرؤوس: جمع رأس. وعند ربهم: في موقف حسابه. وربنا أي: يقولون: يا ربنا. وحذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأبصرنا وسمعنا: حصل لنا الآن استعداد للإبصار والسمع كاملين. وارجعنا: أعِدنا إلى الدنيا. ونعمل: نكتسب ونتحمل. والصالح: ما يرضاه الله. وموقنون أي: مؤمنون بما كنا نكذب من التوحيد والبعث. **١٢** شئنا: أردنا هداية جميع الناس. وآتينا: أعطينا. والنفس: الإنسان المكلّف. وهداها: هدايتها إلى الإيمان. ولكن: إنّما. وحقّ القول: ثبَتَ الوعيد. وأملأ جهنم: أضع في نار جهنم بقدر ما تسَع. والجِنّة: الجِنّ، مخلوقات نارية فيها المؤمنون والكافرون. والناس: البشر، واحدهم إنسان. وأجمعين أي: كلهم مجتمعين. **١٣** ذوقوا: تحسّسوا وتحمّلوا. وبما نسيتم: بسبب نسيانكم وإهمالكم. واللقاء: الحضور بالبعث للحساب. واليوم: الوقت. ونسيناكم: أهملناكم ولم نبالِ بكم. والعذاب: التعذيب. والخلد: الدوام الأبدي. وتعملون: تكتسبونه بنية أو قول أو فعل. **١٤** يؤمن: يصدّق ويعمل بما يجب. والآيات: القرآن الكريم. وذكّروا بها: وُعظوا بمعانيها أو تلاوتها. وخرّوا: سقطوا ملاصِقةً وجوهُم للأرض. والسجَّد: جمع ساجد. وسبّحوا: نزّهوا الله عما لا يليق بجلاله. وبحمد أي: مع ثناء القول الجميل على النعم. ولا يستكبرون: لا يتكبرون عن الإيمان والطاعة. **١٥** تتجافى: تتباعد. والجنوب: جمع جنب، طرَف الإنسان. والمضاجع: جمع مَضجع، موضع الاضطجاع في الفراش. ويدعون: ينادون مستغيثين. والخوف: الفزع. والطمع: طلب الزيادة. ورزقناهم: أعطيناهم. وينفقون: يبذلون في سبيل الخير والجهاد. **١٦** لا تعلم: لا تعرف بالتفصيل. والنفس: المخلوق الواعي. وأخفي: خبِئ. وقرة الأعين: ما تطمئن وتُسَرّ به أعينهم. والجزاء: المكافأة. **١٧** أمَن: أي: ليس الذي. والمؤمن: من صدّق الله ورسوله. والفاسق: من خرج على الإيمان. ولا يستون أي: يتفاوتون في المرتبة. **١٨** الصالحات: ما حسّنه الشرع. والجنة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. والمأوى: ما يُلجأ إليه. والنزل: ما يُعدّ للضيف. وبما يعملون: بسبب ما اكتسبوهُ. **١٩** النار: نار جهنم. وكلما أرادوا: في كل وقت محاولة منهم. ويخرجوا: يتخلصوا وينجوا. وأعيدوا: رُدّوا بالقهر والعنف. وقيل لهم أي: تقول لهم الزبانية. وبه تكذّبون: تنكرون وقوعه وتكابرون في رفض حصوله. **٢٠**

المعنى العام: لو ترى ـ أيها المخاطب ـ ذلة الكافرين يوم القيامة بالخضوع والانكسار، وهم يطلبون العودة إلى الدنيا ليؤمنوا بعد أن كانوا عُميًا وصُمًّا عن التدبر والاتعاظ، لرأيت أمرًا فظيعًا. والتعبير بالمضارع هنا عن الماضي للدلالة على التجدد والاستمرار، وجُعل سياقه بالماضي للدلالة على تحقق الوقوع، كأنه حصل فيما مضى مع ما ذكرنا من التجدد والاستمرار. ولو أراد الله هداية الناس جميعًا لكان ذلك، ولكنه تركهم لاختيارهم، وقد تعهد أن يملأ النار من الجن والإنس، وتوبخهم ملائكة العذاب بأنهم أنكروا الحساب، فأُهملوا في النار جزاء كفرهم.

وقد نزلت الآيتان ١٦ و١٧ فيمن يصلي المغرب من المؤمنين، وينتظر صلاة العشاء وهو في ذكر ودعاء، بأنهم يتركون النوم قيامًا للصلاة والدعاء خوف العقاب وطمعًا في الثواب، وينفقون ما رزقهم الله من المال الطيب. فلهم ما لا يعرفه أحد من النعيم وطمأنينة النفس، جزاء ما كانوا فيه من الإيمان والتقوى والعمل الصالح.

ولما نازع الوليد بن عقبة عليّ بن أبي طالب ﷺ مفتخرًا بالبيان والشجاعة والسيادة نزلت الآيات بتكذيبه وإنكار مزاعمه، لأنه ليس سواء هو وأحد المؤمنين، بل الفرق كبير جدًّا بين المنزلتين: فوز المؤمنين والصالحين بنعيم الجنات مكرَّمين مطمئنين، وعقاب الكافرين بنار جهنم يحاولون النجاة منها ويُردّون إليها قسرًا، ثم يواجَهون بالتوبيخ والتبكيت مع ما نالوا جزاء كفرهم وإنكارهم البعث...

تفسير المفردات: نذيقنّهم: ننزلنّ بهم في الدنيا. والعذاب: التعذيب. والأدنى: الأصغر. ودون: قبل. والأكبر: الأعظم. ولعلهم أي: ليكون لهم رجاء. ويرجعون: يتوبون عن الكفر ويؤمنون. ٢١ من أظلم أي: لا أحد أكثر مجاوزة للحق وكفرًا. وذُكِّر: وُعظ ونُصح. والآيات: الأدلة القاطعة من القرآن والحياة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه، يدبّر الجميع بالحكمةوالاقتدار. وأعرض: انصرف مستخِفًّا. ومن المجرمين أي: ممن ذُكروا. والمجرمون: من يقترفون الكفر والفساد. ومنتقمون: معاقبون بالعذاب. ٢٢ آتينا موسى: أعطينا نبيّ بني إسرائيل مكلّفين له بالدعوة مع العمل. والكتاب: التوراة على لسان جبريل. ولا تكن أي: اثبُت على ما أنت عليه ـ أيها النبي ـ ولا تِصر. والمرية: الشك. واللقاء: المقابلة والمصادقة لموسى. وجعلناه: صيّرنا موسى أو التوراة. والهدى: المرشد إلى الحق. وبنو إسرائيل: سلالة يعقوب من أبنائه وهم سُومريّون حاميّون. ٢٣ منهم: بعضهم. والأئمة: القادة، جمع إمام. ويهدون: يرشدون إلى الحق. والأمر: الإرادة والتوفيق. ولمّا صبروا: حين تحمّلوا بلاء الإيمان. والآيات: النصوص الإلٰهية والمعجزات. ويوقنون: يصدّقون يقينًا. ٢٤. يفصل: يحكم. واليوم: الوقت والزمن. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث للحساب والجزاء. وفيه يختلفون: بسببه يختصمون. ٢٥ ألم يهد لهم: لقد تبين للكافرين واتضح. وكم أهلكنا: كثرةُ ما أفنينا بالعذاب. والقرون: الأُمم المكذبة، جمع قرن. ويمشون: يسير المشركون ويتنقلون. والمساكن: جمع مسكن، منازل الأمم المكذبة. وذلك أي: كثرة إهلاكنا للمكذبين. والآيات: الدلالات على الانتقام والقدرة. وألا يسمعون: على المشركين أن يسمعوا ويتدبروا ما يقال. ٢٦ ألم يروا أي: لقد أبصروا عِيانًا. ونسوق: نرسل وندفع. والماء: المطر والينابيع والأنهار. والأرض: البر. والجرز: اليابسة الغليظة. ونخرج به: نُظهر ونُنبت بالماء. والزرع: ما يُزرع ويَنبت. وتأكل: تتغذى وتستمتع. ومنه: من بقاياه وأوراقه وأغصانه وثماره وحبوبه. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. والأنفس: جمع نفس، ذات الإنسان. وألا يبصرون: عليهم أن يتبصّروا في ذلك ويعلموا منه أن الله قادر على إعادتهم بالبعث. ٢٧ يقولون أي: الكافرون للمؤمنين استهزاء. ومتى: أيُّ وقت يكون؟ والفتح: الفصل بالحكم القاطع. والصادقون: من يقولون الحق. ٢٨ قل أي: للمشركين، أيها النبي. ويوم الفتح: وقت نزول العذاب بهم. ولا ينفع: لا يفيد ولا يقدم خيرًا. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله وماتوا على ذلك. والإيمان: التصديق والإقرار بالتوحيد والبعث. ولا هم: ليسوا. وينظرون: يُمهلون للتوبة أو المعذرة. ٢٩ أعرض عنهم: انصرفْ عن تكذيبهم ولا تقابلهم بالجدال. وانتظر: ترقّب وتوقّع عقابهم. ومنتظرون: يتوقعون لك وللمؤمنين موتًا أو بلاء عظيمًا.

الجزء الحادي والعشرون — سورة السجدة

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

المعنى العام: متابعة تهديد الكافرين بأن يعذبهم الله في الدنيا قليلًا قبل العذاب الشديد يوم القيامة، لعلهم يؤمنون. فهم لا مثيل لهم في الظلم العظيم بسبب إعراضهم عن الاتعاظ، وسيكون لهم انتقام رباني، وكذلك كان شأن موسى مع الكافرين.

فدُم على اليقين أنك ستلقاه، أيها النبي. ولقدأوحينا إليه التوراة، لهداية بني إسرائيل، فآمن منهم جماعة تهدي إلى الخير، وكفر آخرون، وسيحكم بينهم الله يوم القيامة. وكان على المشركين أن يهتدوا بما جرى للأمم المكذبة قبلهم من كثرة الانتقام، يرون في آثارها ما نالت من العذاب، وفي ذلك دلالات على صحة الانتقام الرباني منهم أيضًا، ولكنهم لا يهتدون، وفي حياة الأرض بالماء بعد موتها دليل لهم على البعث، إلّا أنهم لا يتبصرون. ولمّا سَخِر المشركون بتهديد انتقام الله، وسألوا الصحابة: متى يكون؟ نزلت الآيات ببيان استهزائهم، وأنه حين ينزل بهم العذاب المستأصِل لا يفيدهم أن يؤمنوا، ولا يُقبل منهم الإيمان لأنه كان بعد الإصرار على الكفر. فدعهم ولا تُشغل بجدالهم ـ أيها النبي ـ وانتظر ما يصيبهم من العذاب، وهم ينتظرون لكم البلاء العظيم.

٣٣ ـ سورة الأحزاب

تفسير المفردات: النبي: محمد ﷺ. واتق الله: دُم على تجنّب غضبه وطلب رضاه. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا تطع الكافرين: لا توافق المشركين وأهل الكتاب. والمنافقون: الذين أظهروا الإسلام بألسنتهم وهم كافرون. وكان أي: ولا يزال دون قيد زمني. والعليم: المحيط بما كان وما سيكون. والحكيم: ذو الحكمة العالية في قوله وحكمه و فعله. **١** اتبع: الزم. ويوحى: يُنزل على لسان جبريل وييسّر حفظه وبيانه. ومن ربك: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وتعملون: تكتسبون وتتحملون من نية وقول وعمل. والخبير: العالم المطلع. **٢** توكل على الله: اعتمد عليه وحده في أمورك. وكفى بالله: بلغ اللهُ الغاية في الكفاية! والوكيل: من تفوّض إليه الأمور ويُعتمد عليه. **٣** ما جعل: ما وضع ولا خلق. والرجل: الذكر من البشر. والأنثى تدخل في هذا الحكم من باب الأولى، لأنها أقل قدرة على الاحتمال. والقلب: موطن التدبر والاعتقاد والشعور. والجوف: باطن الصدر. وما جعل: ما صيّر. والأزواج: جمع زوج، أي: الزوجة. واللائي: اللاتي. وتُظاهرون: تحرّمون نكاحهن كحُرمة الأم. والأُمّهات: جمع أُمّهة، الأُمّ. وما جعل: ما صيّر أيضًا. والأدعياء: جمع دعيّ، من يتبنّاه غير أبيه. والأبناء: جمع ابن. وذلكم أي: ادعاء التبنّي. والقول: ما يقال. والأفواه: جمع فوه. وهو الفم. ويقول: يبلّغ ويحكم. الحق: ما هو العدل الثابت. ويهدي: يرشد الخلق. والسبيل: طريق الصواب. **٤** ادعوهم لآبائهم: انسبوا الأولاد إلى والديهم. والآباء: جمع أب. وهو أي: نسبتهم إلى آبائهم. وأقسط: العدل والصواب. وعند الله: في حكمه. ولم تعلموا: جهلتم. والإخوان: جمع أخ. والدين: الاعتقاد. والموالي: جمع مولى، ابن العم والنصير والمعين. والجناح: الإثم. وأخطأتم: غلطتم عن غير قصد. ولكن: وإنّما. وتعمّدت: قصدت. والقلوب: جمع قلب. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والتجاوزِ عنها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. **٥** النبي: محمد ﷺ. وأولى: أحق وأرأف. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وأزواجه: مَن عقد عليهنّ من النساء. وأمهاتهم: كأمهات المؤمنين في حُرمة النكاح. وأولو: واحده: ذو، أي: صاحب. والأرحام: جمع رحِم، من يكون لهم حق الإرث. وبعضهم: الواحد منهم والأكثر. والأولى: ذو الحق الشرعي. وكتاب الله: اللوح المحفوظ، في الموضعين. والمهاجرون: الذين تركوا بلدهم هربًا بدينهم إلى المدينة. وإلّا أن تفعلوا: لكن أن تُقدِّموا. والأولياء: جمع ولي، من تتولونه من المؤمنين. والمعروف: ما حسّنه الشرع من الوصية والبرّ. وذلك أي: نسخ الإرث بصِلات الإيمان والهجرة، ليعود إلى الأقرباء. والمسطور: المثبت كتابة. ٦

حزب ٤٢

الجزء الحادي والعشرون — سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن
رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي
جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ
يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم
بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ
وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم
مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

المعنى العام: أمرُ النبي ﷺ بالاستمرار على التقوى ومخالفة الكفرين والمنافقين، واتباعِ الوحي والتوكل على الله العليم الحكيم الخبير.

وعندما ادّعى المشرك أبو مَعمر أن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من النبي الكريم ثم انهزم في بدر وطاش لبّه، وكان الجاهليون يقرّون الظِّهار والتبني، نزلت الآية تهزأ بذلك وتفصِّل أمر الظِّهار والتبنّي. فما زعمه هذا الغبيّ محال، وما جمع الله قلبين في جوف إنسان، ولا الأُمومةَ والزوجية للابن في امرأة، ولا الادعاءَ والبنوّة في أحد، وإنما تلك ادعاءات التقاليد الجاهلية أقوال لا حقيقة لها.

ولمّا طلق زيد ﷺ ربيب النبي زوجتَه وتزوجها النبي ﷺ، وقال المُرجِفون ما قالوا في ذلك من تزوُّج مطلقة الابن، للتشهير والإيذاء، جاءت الآية بأن ينسب الولد إلى أبيه، وأن يقال لمن لم يُعرف أبوه: يا أخي، يا ابن عمي. وكان العفوُ عما مضى من خلاف ذلك، وأن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وزوجاته كأمهاتهم في الحُرمة والمنزلة، ونسخُ إرث أُخوّة الإيمان والهجرة الذي كان بالآية ٧٥ من سورة الأنفال أولَ الهجرة إلى المدينة، وجاءت الآية ٦ تؤكد ذلك النسخ للحكم مع جواز إكرام المؤمنين غير الورَثة، وأن إرث القرابة مسجّل في اللوح المحفوظ منذ الأزل.

تفسير المفردات: إذ أخذنا ميثاقهم: حين أمرنا إياهم وتحميلنا لهم العهد الموثّق بالقسم. والنبي: من كُلِّف بالدعوة مع العمل. ونوح: أول رسول كذبه قومه. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. وموسى: الذي نزلت عليه التوراة. وعيسى: الذي نزل عليه الإنجيل. ومريم: بنت عمران. وأخذنا ميثاقًا غليظًا: حصّلنا وأثبتنا العهد المؤكّد بالأيمان. ٧ يسأل: يطلب الله الجواب. والصادقين أي: في التبليغ والعمل. وعن صدقهم أي: عن جواب الكافرين له. وأعدّ: هيّأ. والكافرون: المكذّبون للأنبياء. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. ٨ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. واذكروا: استحضروا في نفوسكم، واشكروا المنعِم بالقلب واللسان والعمل. والنعمة: الرحمة والإحسان بالنصر والنجاة من العدوّ. وإذ جاءتكم: حين أحاطت بكم. والجنود: جمع جند. والجند واحده جندي، المعَدّ للحرب والقتال. وأرسلنا: أطلقنا. والريح: الهواء الشديد الحركة. ولم تروها: لم تبصروها عِيانًا. وكان أي: وما يزال. وما تعملون: ما تتحملون مَشاقّه. والبصير: المحيط بالغَ الإحاطة. ٩ فوقكم أي: أعلى الوادي من جهة الشرق. وأسفل منكم: أسفل الوادي من جهة الغرب. وزاغت: شخصت ومالت إلى جهات العدو. والأبصار: جمع بصر، العيون. وبلغت: وصلت. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال، يُمِدّ الدماغ والجسم كله بماء الحياة صافيًا. والحناجر: جمع حَنجرة، منتهى الحُلقوم. وتظنون: تُحدِثون التوقُّعات. والظنونا: جمع ظنّ، التكهّن والتقدير الواهم. وثبَتَتِ الألف في الآخر جوازًا للوقف على الفاصلة القرآنية. ١٠ هنالك: في ذلك الوقت. وابتلي: امتُحن بشدّة. والمؤمنون: من اعترفت قلوبهم بالتوحيد وما يلزمه. وزلزلوا: هُزّوا وقُلقلوا باضطراب. والشديد: القوي. ١١ إذ يقول: وقتَ قولِ. والمنافقون: من أظهروا الإيمان بألسنتهم وهم كافرون في قلوبهم. والمرض: ضعف اعتقاد. وما وعدنا: ما تعهّد لنا بالنصر. والرسول: محمد ﷺ. وغرورًا أي: وعدًا باطلًا غير صادق. ١٢ إذ قالت: وقت قولِ. والطائفة: جماعة المنافقين. وأهل يثرب: أصحاب المدينة المنورة وسكّانها المسلمون. والمُقام: الإقامة والمرابطة. وارجعوا: انصرفوا عن حرب الكافرين وعودوا. ويستأذن: يطلب السماح بترك المرابطة. والفريق: جماعة المنافقين. والبيوت: جمع بيت، مكان الاستقرار والمبيت. وعورة: غير محصنة لدفع العدو. وما هي أي: ليست. وإن يريدون: ما يقصدون. والفرار: الهرب من المرابطة والقتال. ١٣ دُخلت: اقتُحمت المدينة المنورة. والأقطار: جمع قُطر، الناحية والجانب. وسئلوا: طَلَب منهم المقتحمون. والفتنة: الكفر والشرك. وأتوها: فعلوها. وما تلبثوا بها: ما ثبتوا في اجتناب الفتنة، بل أسرعوا إليها راغبين. ويسيرًا أي: تلبثًا قليلًا. ١٤ عاهدوا الله: أقسموا معاهِدين له. وقبلُ: قبلِ الغزوة. ولا يولون الأدبار: لا يهربون ولا يوجهون ظهورهم للعدو. والأدبار: جمع دُبر، الظَّهر. وكان أي: وما يزال. والعهد: التعهد. ومسؤولًا: مطالبًا الوفاء به. ١٥

سورة الأحزاب — الجزء الحادي والعشرون

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾
لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ
لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا
اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

المعنى العام: تذكير النبي ﷺ بتعهُّدِ الرسل لله بالطاعة عند إرسالهم، وبالميثاق الثاني المؤكد مع القَسَم للوفاء به، التذكير بذلك ليحاسبوا بعدُ على صدقهم وجواب أقوامهم وينال الكافرون ما أُعِدّ لهم من عقاب، وتذكير المسلمين أيضًا بفضل الله عليهم حين تحالفت أحزاب المشركين واليهود في غزوة الخندق، وأحاطت جيوشهم بالمدينة واضطربت أبصار المسلمين موجَّهة إلى تكالب العدو وتصاعدت قلوبهم من الفزع، وكثرت الأوهام والأباطيل بينهم وتزلزلت صفوفهم بالخطر، ثم شَرّدت الرياح والحجارة والملائكة بأمر الله وتقديره جيوش الأحزاب وردتها خاسرة. كان المنافقون وأتباعهم حينئذ يشكّكون في وعد الله والرسول بالنصر، ويثبطون المجاهدين المرابطين لينهزموا، ويتهربون هم من المرابطة بحجة الخطر على بيوتهم كذبًا، وهم في الوقت نفسه على استعداد للردّة والكفر إذا اقتُحمت المدينة وطُلب منهم ذلك، مع أنهم قد عاهدوا على الثبات في الجهاد، وهم مطالبون بعهدهم.

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا
لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ
ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ
لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ
فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم
مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٢

تفسير المفردات: قل أي: للمنافقين ـ أيها النبي ـ ومن يفر من المرابطة والقتال. ولن ينفع: لن يفيد بتأخير الموت. والفرار: هربكم. وفررتم: حاولتم النجاة. والموت: فراق الروح للجسد. والقتل: زهوق الروح في الحرب. وإذًا: لو هربتم. ولا تُمتعون: لم تُمنحوا اللذائذ. وقليلًا: قدرًا يسيرًا. ١٦ من ذا: من هذا؟ أي: لا أحد. ويعصمكم من الله: يمنعكم من قضائه. وأراد بكم: حكم عليكم. والسوء: ما فيه ضرر. والرحمة: العطف بالإحسان والنعم. ولا يجدون: لا يرون. ودون الله: غيره. والولي: من يتولى الأمور ويرعى المصالح. والنصير: من يدفع البلاء والأذى. ١٧ قد يَعلم أي: لقد أحاط بالأحوال إحاطة تامة. والمعوِّقون: المثبِّطون عن الجهاد. والإخوان: جمع أخ، الجار والصديق كالأخ في المعاملة والتقدير. وهلمّ: تعالَوا وانضموا. ولا يأتون: لا يحضرون ولا يشاركون. والبأس: القتال. ١٨ الأشحة: جمع شحيح، الشديد البخل بالمعاونة. وجاء: حضر وحصل. والخوف: خشية بطش العدو. ورأيتهم: أبصرتهم عِيانًا. وينظرون إليك: يحدّقون النظر إليك خوفًا من القتال، لعلك تُعفيهم منه. وتدور: تضطرب وتجول يمنة ويسرة. والأعين: جمع عين، عضو البصر. ويُغشى عليه: يُغمى عليه فيَشخص بصره. وذهب: مضى وانتهى. وسلقوكم: آذَوكم. والألسنة: جمع لسان، والمراد الأفواه يكون بها الكلام. والحداد: جمع حديد، السليط المؤذي. وأشحة على الخير: بخلاء بالمال حريصون على حيازته دون غيرهم. وأولئك أي: الموصوفون بما مضى من الآيتين. ولم يؤمنوا: لم تعترف قلوبهم بالتوحيد والبعث. وأحبط الأعمال: أظهر بطلانها ومحق ثوابها لفساد عقيدة أصحابها. والأعمال: جمع عمل، ما يكتسب من قول وفعل. وذلك أي: الإحباط. واليسير: الهين السهل. ١٩ يحسبون: يتوهم المنافقون لجبنهم. والأحزاب: جمع حزب، مجموعات قريش واليهود وغطفان وقيس عيلان. ولم يذهبوا أي: هم ما زالوا حول المدينة. ويأتي: يعود مرة ثانية. ويودّوا: يتمنَّ المنافقون. ولو أنهم بادون: أن يكونوا في البادية. والأعراب: واحده أعرابي، من يقيم في البادية. ويسألون: يستخبرون. والأنباء: الأخبار، جمع نبأ. وكانوا فيكم أي: بقوا معكم يوم الخندق. وما قاتلوا: ما حاربوا. ٢٠ لكم: الخطاب للمؤمنين. والرسول: محمد ﷺ. والأُسوة: ما يؤتَسى به ويُقتدى. والحسنة: الصالحة من حقها أن تقلَّد. ويرجو: يخاف. واليوم الآخر: يوم القيامة. وذكرَ الله: ردّد اسمه ووعْده الجميل. وكثيرًا: مرارًا وافرة ٢١ لمّا: عندما. ورأى: أبصر عِيانًا. وقالوا: صرحوا بالقول جهارًا، يشجع بعضهم بعضًا. وهذا أي: البلاء بمجيء العدو وحصاره. ووعدَنا الله: بلّغنا وأعلمَنا إياه. ووعد الرسول: أعلمنا، حين حفر الخندق، أن الأحزاب سيحضرون ويشتدّ بهم الأمر. وصدق أي: ظهر صدق خبره. وما زادهم: ما أضاف إلى المؤمنين ذلك البلاء. والإيمان: التصديق بما وعد الله من النصر. والتسليم: التفويض والتوكل بإخلاص. ٢٢

المعنى العام: أمرُ النبي ﷺ أن يُعلم المنافقين بعدم جدوى الفرار، لأنهم لا ينجون من الموت، ولا يحفظهم من قضاء الله أحد، ولا ينصرهم من عذابه معين. وقد كان بعضهم متخلفين عن الخندق، ويُغرون الأنصار بالفرار، يقولون: «ما محمد وأصحابه إلاّ أكْلة رأس ـ أي: جماعة قليلة ـ ولو كانوا لحمًا لالتهمهم أبو سفيان وأحزابه. فخلُّوهم وتعالَوا إلينا»، فنزلت الآيات بخيانتهم وجبنهم ومنعهم العون، والفزعِ من القتال كمن فقد الإدراك والإحساس، وشناعةِ القول، وخشيتهم الأحزاب وتمنيهم الهربَ إلى البادية، والنجاةَ من القتال. فهم غير مؤمنين، قد أبطل الله تصنّعهم ومحق ما ينتظرونه من الثواب لفساد عقيدتهم، فلم يبق لتصنُّعهم منفعة أصلًا، ولا أثر له في جلب خير ولا منع شر عن المؤمنين. أما القدوة الممتازة فبالنبي العظيم، تمثَّلها المؤمنون الصادقون، واستقبلوا الأحزاب باطمئنان إلى وعد الله ورسوله وتحقق النصر، وازديادهم إيمانًا وتسليمًا.

تفسير المفردات: من المؤمنين أي: بعضهم. والرجال: جمع رجل، الذكر من البشر بالغًا حد الرجولة. وصدقوا: وفَوا وحقّقوا. وعاهدوا الله: عاهدوه بيمين موثّق. وقضى: أنهى بالشهادة. والنحب: مدة الأجل. وينتظر: يترقب. وما بدّلوا: ما غيّروا العهد ولا أخلّوا به. ٢٣ يجزي: يكافئ. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والصادقون: المحقّقون ما يقولون. وبصدقهم: بسبب صحة قولهم. ويعذب المنافقين: يقدّر لهم العذاب. وإن شاء: إن أراد تعذيبهم بموتهم على النفاق. ويتوب عليهم: يقبل توبتهم، إن تابوا من النفاق. وكان أي: ولا يزال دون قيد زماني. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والتجاوزِ عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والإحسان إلى المؤمنين. ٢٤ ردّ: أبعد عنكم. وكفروا: كذبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وبغيظهم: مصاحبين أشد الغضب. ولم ينالوا: لم يحصّلوا. والخير: ما فيه نفع. وكفى: منع. والقتال: مقاتلة العدو. والقوي: الكامل القدرة لا يعجزه شيء. والعزيز: الغلّاب لمن عداه. ٢٥ أنزل: قضى بالاستسلام والنزول. وظاهروهم: أعانوا المشركين. وأهل الكتاب: اليهود. والصياصي: الحصون، جمع صِصية. وقذف: ألقى وبثّ. والقلوب: جمع قلب، فيه يكون التدبر والعواطف والشعور. والرعب: الفزع الشديد. والفريق: الجماعة. وتقتلون: تُجهزون عليهم. وتأسرون: تحوزون أسرى وسبايا.
٢٦ أورثكم: ملّككم الشيء بعد ذهاب صاحبه. والأرض: مكان الاستقرار. والديار: جمع دار، المسكن. والأموال: جمع مال، ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. ولم تطؤوها: لم تدوسوها قبلُ لعزة أصحابها. والشيء: المخلوق. والقدير: الكامل الاقتدار دون حاجة إلى أحد. ٢٧ النبي محمد ﷺ. والأزواج: جمع زوج، الزوجة. وتردنَ: تطلبن. والحياة الدنيا أي: ما فيها من التنعم. والزينة: الزخارف والأُبّهة. وتعالين: أقبِلْن. وأمتّعكنّ: أُكرمكن بنفقة الطلاق. وأسرّحكنّ: أُطلّقكنّ بدون ضِرار. والجميل: الحسن الكريم. ٢٨ الله ورسوله أي: ماعندهما من الخير. والدار الآخرة أي: ما فيها من النعيم الأبدي. وأعدّ: هيّأ. والمحسنات: اللواتي يفعلن الحسنات. والأجر: المكافأة. والعظيم: الفخم لا مثيل له. ٢٩ النساء: جمع نسوة، والواحدة امرأة. ويأتي بفاحشة: يفعل المعصية أو النشوز. والمبيّنة: الظاهرة. ويضاعَفُ: يزاد عليه. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة. وكان ذلك يسيرًا أي: كان تضعيف العذاب هيّنًا رغم منزلتكنّ العالية. ٣٠

سورة الأحزاب — الجزء الحادي والعشرون

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ٢٣ لِّيَجْزِيَ
اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ٢٤ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ٢٥ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرًا ٢٧ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ
الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ٢٩
يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٣٠

المعنى العام: كان أنس بن النضر قد تخلف عن بدر فأقسم أن يكفّر عن ذنبه، ولمّا تضعضع المسلمون في أُحد اندفع بسلاحه على المشركين، حتى استُشهد، فنزلت الآيتان فيه وفي أمثاله. فبعض المؤمنين حققوا الاستشهاد أي: طلب الشهادة، وبعض يتابع ذلك ولهم الجزاء الطيب، وللمنافقين عذاب إن ماتوا على النفاق، وتوبة إن رجعوا إلى الإيمان.

ولقد هزم الله الأحزاب مغتاظين خاسرين، وحفظ المؤمنين من العدوان، فقال النبي ﷺ بعد الخندق عن المشركين واليهود: «الآنَ نَغزُوهُم ولا يَغزُونَنا». ولأن بني قريظة جمعوا الأحزاب لغزوة الخندق، أمر الله المسلمين بعد الغزوة فحاصروهم حتى نزلوا على حكم سعد بن مُعاذ: قتلِ المحاربين وسبي الذراري والنساء والأموال، وأن تكون الأرض والثمار للمهاجرين. ونزلت الآيتان ٢٦ و٢٧ بأنه قد نال اليهود جزاءهم، وصارت ديارهم للمجاهدين، مع البشارة أن يفتحوا بلادًا بعد نزول الآية: خيبر وكل ما حصل بالجهاد.

ولما كان فتح ديار قُريظة والنَّضير ظن نساء النبي الكريم أنه اختص بنفائس اليهود، وطالبنه بما يكون لنساء الملوك من زينة ونفقة وأُبّهة، فهجرهن على ذلك شهرًا، حتى نزلت الآيتان بتخييرهن بين الرضا بما هنّ فيه وبين الطلاق والنفقة، وبأن الله هيّأ لمحسناتهن نعيم الجنة، وللناشزة منهن عذابًا مضاعفًا، إذ ليس زواج النبي إياهن مما يدفع عنهنّ العذاب، بل يسبب لهن مضاعفة العقاب. ولهذا اختارت كل منهن الرضا بالله ورسوله...

تفسير المفردات: يقنتُ: يدوم على الطاعة. وفي الفعل مراعاة التذكير في لفظ «من». والرسول: محمد ﷺ. وتعمل: تكتسب. والمراعاة هنا لمعنى التأنيث ولفظ «منكنّ». والصالح: ما يرضاه الله. ونؤتها: نعطِها. والأجر: المكافأة. ومرتين أي: مضاعفًا لأن إحداهما للطاعة والتقوى، والأُخرى لحسن المعاشرة وطلب الرضا. وأعتدنا: هيّأنا ليوم القيامة. والرزق: ما يُيسر للمخلوق من المتاع والمنافع والزينة. والكريم: الحسن الطيب. **٣١** النساء: جمع نِسوة. والنسوة واحدتها امرأة. ولستن كأحد أي: ليست كل واحدة منكن كغيرها من نساء الآخرين. واتقيتُنّ: استمررتن في الطاعة لتجنب السخط وطلب الرضا. ولا تخضعن بالقول: لا تلِنّ الكلام وتخرجنه خَنِثًا، كما يهوى ضِعاف الإيمان. ويطمع: يطلب الزيادة ويشتهي الفساد. والقلب: العضو المشهور بين الرئتين. والمرض: النفاق. والمعروف: الحسن أوجبه الدين وقت الحاجة. **٣٢** قرن: اقرَرْن أي: اثبُتن إن لم تكن ضرورة للذهاب. والبيوت: جمع بيت، مكان المبيت والإقامة. ولا تبرجن: لا تتزيَّنّ ولا تُظهرنَ ما وجب ستره. والجاهلية: الجهل والضلال مما كان عليه الناس قبلُ. والأُولى: التي قبل الإسلام. وأقمن الصلاة: أدِّين العبادة المكتوبة بواجباتها وشروطها وآدابها. وآتين الزكاة: أوصلن ما يجب في المال من حق مفروض إلى مستحقيه، للتطهير والنماء. وأطعن: الزمْنَ العمل بالأمر والنهي. ويريد: يقصد بها مضى من التوجيه. ويُذهب عنكم: يجنّبكم ويُبعد عنكم. والرجس: الأذى والسوء والشر والإثم وما يكون من سببه. وأهل البيت: نساء النبي وبناته وأزواجهن وأولادهن. ويطهركم: ينزّهكم ويحفظكم. **٣٣** اذكرن: استحضرن في القلوب والقول والعمل. ويتلى: يوحى ويسرد. والآيات: نصوص القرآن الكريم. والحكمة: السُّنّة المطهّرة. وكان أي: ولا يزال من دون قيد زماني. واللطيف: المحسن إلى أوليائه في خفاء وستر. والخبير: العليم بالبواطن والخفايا. **٣٤** المسلم: من أسلم إلى الله أموره وانقاد للطاعة. والمؤمن: الذي صدّق الله ورسوله، وعرف قلبه التوحيد وما يلزمه. والقانت: المطيع. والصادق: من كان إيمانه بقلبه ولسانه وعمله. والصابر: من يتحمل مشاقّ التكاليف. والخاشع: المتواضع لله. والمتصدق: الذي ينفق مما يملك في سبيل الله. والصائم: من يمتنع عما يفطر، في واجب أو مندوب. والحافظ لفرجه: من يصونه ويمنعه من الحرام. والفروج: جمع فرج، عضو النكاح. والحافظات أي: فروجهنّ. والذاكرون الله: الذين يستحضرون عظمته وجلاله في القلب واللسان والعمل. والذاكرات يعني: اللهَ كثيرًا. وأعد: هيأ ويسّر. ولهم: للجامعين والجامعات هذه الصفات، غُلّب ضمير الذكور على الإناث. والمغفرة: الستر للمعاصي وعدم المؤاخذة عليها. والأجر: الثواب والمكافأة. والعظيم: الكبير لا مثيل له. **٣٥**

وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

المعنى العام: متابعة توجيه نساء النبي ﷺ، بأنه من تطع منهن الله ورسوله وتُصلح عملها يكن لها مضاعفة الأجر والنعم. فهن لسنَ كجماعةٍ من غيرهنّ، بل قدرُهُنّ أفضل وكل منهن كذلك. فالمتقية منهن التي لا تُلين القول للرجال حتى لا يطمع المنافقون بالزيادة، بل تتكلم بالحشمة وتلزم دارها في غير حاجة إلى الذهاب، ولا تتزين كتزين الجاهليات، وتقوم بالعبادات والطاعة، تلك الزوجة المكرَّمة يجنبها الله الأذى والسوء ويحفظها مع جميع أهل البيت نساء ورجالًا مما يكون فيه شرّ أو إثم، ويجعل أيضًا نساء النبي ﷺ وحدهن طاهرات مطهرات، بما يرد في بيوتهن من القرآن والسُّنّة.

وعندما استشكلت صحابية إغفال ذكر النساء مع الرجال في الخير والنعم، نزلت الآية ٣٥ تسوّي بين الفئتين عند الله، بتدرج في الوصف: البدء بالانقياد الظاهر فالتصديق القلبي، فما ذُكر من القنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدّق والصيام وحفظ الفرج، حتى كانت الخاتمة بالمراقبة والإخلاص في ذلك كله، ليكون الثواب بالمغفرة والأجر العظيم.

تفسير المفردات: ما كان: ما صحّ وما ينبغي. والمؤمن: الذي صدّق الله ورسوله. وإذا قضى: حين أوجب. والرسول: محمد ﷺ. والأمر: الحكم. ويكون: يصير. والخيرة: الاختيار. وأمرهم: شأنهم. ويعصي الله: يخالف أمره. وضل: سار في الباطل. والمبين: البيّن. ٣٦ إذ تقول: وقت قولك، أيها النبي. أنعم عليه: أكرمه. وأمسكْ عليك: لا تطلّق. والزوج: الزوجة. واتق الله: تجنب سخطه في معاشرتها وأمر طلاقها. وتخفي: تكتم. والنفس: الضمير. ومبديه: مُظهره. وتخشى الناس: تخاف ادعاءات المنافقين. وأحق: أولى. وتخشاه: تخافه. وقضى منها وطرًا: لم يَبق له فيها حاجة وطلّقها. وزوّجناكها: قضينا زواجك إيّاها. والحرج: الضيق. والأزواج: جمع زوج، الزوجة. والأدعياء: جمع دعيّ، الذي يتبناه غير أبيه. وكان أي: وما يزال. ومفعولًا: محققًا لا مرد له. ٣٧ النبي: محمد ﷺ. وفرض: أحلّ. والسُّنّة: الشرع والسبيل المتبع. وخلوا: مضوا. وقبلُ: قبلِ النبي. والقدَر: الحكم الثابت. والمقدور: المحقّق. ٣٨ يبلّغون: يؤدّون بأمانة إلى المكلّفين. والرسالة: ما يُرسل به من العقيدة والشريعة. ويخشون: يخافون. وكفى بالله: بلغ اللهُ الغاية في الكفاية. والحسيب: المحاسب. ٣٩ الأب: الوالد الحقيقي. والرجال: جمع رجل، الذكر. والرسول: المكلّف بالدعوة مع كتاب منزل. والخاتَم: من به يُختم. والنبي: المكلّف بالدعوة. والشيء: الموجود. والعليم: المُبالِغ في الإحاطة دائمًا. ٤٠ اذكروا أي: بالتمجيد والدعاء والتهليل. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ٤١ سبّحوه: نزّهوه عما لا يليق به. وبكرة وأصيلًا: أول النهار وآخره. ٤٢ يصلي عليكم: يرحمكم. والملائكة: مخلوقات نورانية. ويخرجكم: ييسر خلاصكم. والظلمة: السواد الدامس يمنع الرؤية والهداية، ويضلل من فيه. والنور: عكسها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة. ٤٣

الجزء الثاني والعشرون سورة الأحزاب

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا
مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ
مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ
أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا
﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

المعنى العام: خطب النبي ﷺ ابنة عمته زينب ـ وهو يريدها لربيبه زيد بن حارثة ـ وظنت أن الخطبة للنبي نفسه فرضيتْ، ولما علمت أنها لزيد، وهي بيضاء اللون وهو أسوده، قالت: أنا خير منه حسبًا. أنا بنت عمتك. فلا أرضاه. فنزلت الآية موجبة الزواج، ومنع الاختيار فيما يقضي الله أو الرسول، لأن ذلك عصيان وضلال مبين. وقد ألهم الله النبيَّ ما سيكون من نشوز زينب، ووجوب تزوّجه إياها بعد طلاقها، لإبطال ما تعارفه الجاهليون من حُرمة تزوج الرجل مطلقةَ ابنِهِ الدعيّ. فلما شكا زيد نشوزها أمره بالإمساك، كراهة أن يقال: وافقه على الطلاق ليتزوجها هو، فنزلت الآيات بأن النبي يلحّ على زيد بالتقوى وعدم الطلاق، ويخفي ما سيُظهره الله من وجوب زواجها، معاتبًا إياه على الإخفاءِ مخافةَ كلام المنافقين، وهو لم يؤمر بتبليغ ما يعلمه من ذلك، وقاضيًا بعد طلاقها من زيد بزواج النبي إياها دون عقد ولا مهر ولا شهود. فهي هدية منه، سبحانه. وما يرويه المفسرون من قصة الحب افتراه القديس يوحنّى الدمشقي للطعن في عصمة النبي ﷺ. وقد جاء خبر زواج زينب في كتب الصحاح، خاليًا من تلك الافتراءات، وذكرَ علي بن الحسين أن الله أوحى إلى النبيّ ما سيكون مما أوردنا نحن، وذكرت عائشة أنه لما تزوج النبي زينب قال المرجفون: «تزوج حليلة ابنه»، فنزلت الآية تكذبهم.

و روي أن اليهود عابوا النبي بكثرة الأزواج ـ وكان لداود وسليمان أضعاف أضعاف ذلك ـ فنزلت الآية ٣٨ بأنه لا حرج في تنفيذ الشريعة، كما كان في الرسالات المتقدمة وهي قدر محتوم، بالإرادة الأزلية في الكون، والأنبياء مكلفون بالعمل طاعة لله ودون خشية أحد، وليس لمحمد ﷺ ولد ذكر يعيش، لأنه آخر الأنبياء.

ولّما نزلت الآية ٥٦ قال أبو بكر: «يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خيرًا إلّا أشركنا فيه»، فنزلت الآية ٤٣ تأمر المؤمنين بذكر الله وتسبيحه دائمًا، وأنه يرحمهم والملائكة تستغفر لهم، ليكونوا في الخير على كل حال، وهو يتغمدهم بالعطف والإحسان في الدنيا والآخرة.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

تفسير المفردات: التحية: ما يُحيَّى به مِن الدعاء. واليوم: الوقت. ويلقونه: يصادفهم قضاء الله بالموت والبعث ودخول الجنة. وسلام أي: إخبار بالسلامة من كل مكروه وآفة. وأعد: هيأ ويسّر. والأجر: الثواب والمكافأة. والكريم: الممتاز بالرحمة والفضل. **٤٤** النبي: محمد ﷺ. وأرسلناك: بعثناك بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والشاهد: من يقول ما يعلمه يقينًا يوم القيامة. والمبشّر: المبلّغ بالسعادة لمن آمن. والنذير: المهدِّد بالعقاب لمن كذّب. **٤٥** الداعي: من يحضّ. وإلى الله: إلى توحيده وعبادته وطاعته. وبإذنه: مصاحبًا أمره. والسراج: المضيء كالشمس. والمنير: الذي ينشر النور لتبديد الظلامات. **٤٦** بشّر: أبلغ بالسعادة والخير العميم. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ومن الله: من عنده وبأمره. والفضل: التفضل بالمزيد من الخير. والكبير: العظيم لا مثيل له. **٤٧** لاتطع: خالفْ ولاتوافق. والكافرون: من كذّبوا توحيد الله ودعوة رسوله. والمنافقون: من ادّعوُا الإيمان بألسنتهم وفي قلوبهم الكفر. ودع: اترك وأهمل. وأذاهم: ما يقولونه ويفعلونه من التكذيب والكيد. وتوكل على الله: دُم على تفويض أمرك إليه وحده. وكفى بالله: بلغ اللهُ الغاية في الكفاية. والوكيل: المفوَّض إليه الأمر. **٤٨** آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ونكحتم: عقدتم عقد النكاح. والمؤمنات: اللواتي صدّقن الله ورسوله. وطلقتموهن: حلّلتموهن من قيد النكاح. وتمسوهن: تجامعوهن. وما لكم: ليس لكم. والعِدّة: المدّة المحدَّدة شرعًا تقضيها المرأة المطلقة دون زواج لاستبراء الرحم من الحمل. وتعتدّونها: تُحصونها. ومتّعوهن: أعطوهن ما يستمتعن به من نفقة الطلاق. وسرّحوهن: أطلقوا سبيلهن. والجميل: الحسن الكريم. **٤٩** أحللنا: جعلنا مباحًا وعليه أجر أيضًا. والأزواج أي: نكاح زوجاتك. وآتيت أي: أعطيتهن أو سمّيت لهن في عَقد. والأجور: جمع أجر، المهر. وملكتْ يمينك: ملكتَها فكانت أمة لك. واليمين: اليد اليمنى بها يكون عقد الشراء. وأفاء الله: جعله غنيمة. والبنات: جمع بنت. والعمّ والخال أي: الأعمام والأخوال أي: إخوة الأب وإخوة الأُمّ. والعمّات: أخوات الأب. والخالات: أخوات الأُمّ. وهاجرن: تركن بلدهن وقومهن هربًا بدينهن، ليُقمن في المدينة. ومعك أي: في الهجرة إلى المدينة، دون شرط المصاحبة فيها. والمرأة: الأنثى. ووهبت نفسها: عرضت نفسها للنكاح دون مَهر. وللنبي والنبي:لك وأنت، فيهما عدول عن ضمير الخطاب إلى الاسم الصريح، للإيذان أن ذلك مما خُصّ به وحده، تكرمة لأجل النبوة وما يتحمله صاحبها. وأراد: رضي. ويستنكحها: يطلب نكاحها. وخالصة أي: خلوصًا وخصوصًا. وعلمنا: أحطنا إحاطة تامة. وفرضنا: أوجبنا. والأزواج: الزوجات، جمع زوج. ولكيلا: لئلا. ويكون: يصير. والحرج: الضيق في النكاح. وكان أي: ولا يزال بدون قيد زمني. والغفور: الكثير الستر للذنب والصفح عنه. والرحيم: العظيم العطف بالتيسير والإحسان إلى المؤمنين. **٥٠**

المعنى العام: متابعة ما للمؤمنين، فلهم في الجنة تحية بالسلام الدائم والثواب الكريم. أما النبي فقد أرسله الله شاهدًا على ما يكون من الناس في قول وعمل، ومبشرًا للمؤمنين بالمنازل الرفيعة، ونذيرًا للكافرين بالعذاب الشديد، وداعيًا وهاديًا إلى الخير والصلاح. فعليه الاستمرار في مخالفة المشركين وعدم مقابلة أذاهم، وليتوكل على الله لأنه كافيه شرهم وحده.

وإذا طلّق المسلم زوجته المسلمة دون أن يضاجعها فلها النفقة وحسن المعاملة وليس عليها عِدّة في تلك الحال، وللنبي ﷺ زوجاته وسريّاته وما يكون من زواجه قريباته المهاجرات والمرأة التي تعرض نفسها بدون مهر ويرضى زواجها، وهذا خاص به توسعة عليه وليس لغيره الزواج بدون مهر. وللمؤمنين زوجاتهم بالعقود الشرعية ومملوكاتهم بلا حرج، مع ثواب الله وعطفه، وهو عظيم المغفرة والرحمة...

ربع الحزب ٤٣

۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ
وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ
ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا
﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن
يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا
يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن
وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ
مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن
تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

تفسير المفردات: ترجي: تؤخر في قِسمة المَبيت. وتشاء: تريد تأخيرها. وتؤوي: تقرّب. وتشاء: تريد تقريبها. وابتغيتَ: طلبتَ ردَّها إلى المبيت معها. وعزلت: أبعدت. والجناح: الضيق. وذلك أي: التخيير في القِسمة. وأدنى: أقرب. وتقر: تبرد وتُطمئن. والأعين: جمع عين، عضو البصر. ولا يحزنَّ: لا يصيبهنّ حزن. ويرضين: يقبلن. وآتيتهن: أعطيتهن من القسمة. وكلهن: جميعهن. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال يمد الدماغ وسائر الجسم بماء الحياة صافيًا. وكان أي: ولا يزال بدون قيد زماني. والحليم: العظيم الصفح وتأخير العقوبة للعصاة. ٥١ لا يحل: يكون حرامًا. والنساء أي: نكاحهنّ، جمع نِسوة. والنسوة: واحدته امرأة. وبعدُ أي: بعدَ ما حُدّد لك في الآية ٥٠. وتبدّل: تتبدّل أي: تتخذ عوضًا بالبدل. حذفت التاء الثانية للتخفيف. والأزواج: الزوجات، جمع زوج. ولو أعجبك: وإن عظم في نفسك. والحسن: الجمال. وملكت يمينك: ملكتَ أنت بسبي أو شراء أو هِبة. والشيء: ما هو موجود. والرقيب: المراقب الحفيظ. ٥٢ آمنوا: عرفت قلوبهم الإيمان وما يلزمه. لا تدخلوا: لا تشرعوا في الدخول. والبيوت: جمع بيت، مكان المبيت والاستقرار. وأن يؤذنَ: في حال الإباحة والسماح. والطعام: ما يؤكل أو يشرب. والناظرون: المنتظرون. والإنى: النضج والإعداد. ولكن: إنما. ودعيتم: طلب منكم الحضور. وادخلوا: استجيبوا بالدخول. وطعمتم: تناولتم الطعام أو الشراب. وانتشروا: اخرجوا وتفرّقوا لشؤونكم. والمستأنسون: المتسمعون بملاطفة. والحديث: ما يلقى من الكلام. وذلكم أي: ما ذكر من الدخول بغير إذن والانتظار والاستئناس لحديث. ويؤذي: يؤلم. والنبي: محمد ﷺ. ويستحيي: يخجل. ولا يستحيي: لا يمتنع. والحق: ما يجب ولا يجوز إغفاله. وسألتموهن أي: أردتم الطلب من زوجات النبي ﷺ. والمتاع: ما يستعان به في حوائج الدين والدنيا. واسألوهن: اطلبوا ذلك المتاع منهن. ووراء حجاب: خلف ستر. وذلكم: ما ذكر من الدخول بإذن، وعدم الانتظار، والسؤال من وراء حجاب. وأطهر: أحصن وأبعد للتهمة وأنفى للريبة. وما كان أي: ما صح ولا استقام. وتؤذوا: تفعلوا ما يكره. وتنكحوا: تتزوجوا. وبعده: بعد زواجه. وأبدًا: مدة الزمن. وذلكم: إيذاؤه أو نكاح إحدى زوجاته. وعند الله أي: في حكمه وشرعه. والعظيم: الإثم الكبير جدًّا لا مثيل له. ٥٣ تبدوا: تظهروا. وتخفوا: تكتموا في أنفسكم. ٥٤

المعنى العام: متابعة أحكام نكاح النبي الكريم للنساء بأن الله وسّع عليه في قِسمة المبيت بين زوجاته، وأجاز له من دون المؤمنين الحكمَ بأن يعتزل من شاء منهن ويبيت عند من شاء، ليكون له ولهن الرضا ـ ومع هذا فقد بقي يلازم العدل بينهن برحمته وفضله ـ وليس له زواجٌ بعدُ أو طلاقُ إحداهن لتزوُّج غيرها، عدا ما يكون من الإماء المملوكات.

ولمّا تزوج النبي ﷺ زينبَ بنت عمته دعا الناس إلى وليمة، وبقي ثلاثة منهم أطالوا الجلوس، وكان بعضهم يدخلون بيوته أحيانًا دون دعوة ويطيلون الجلوس ثم يأكلون، فقال عمر: «يا رسول الله، يدخل عليك البَرُّ والفاجر. فلو أمرتَ أُمّهات المؤمنين بالحجاب»، فنزل في الآية ٥٣ أنه ليس للمؤمنين دخول بيته إلّا بإذنه لطعام جاهز، وعليهم الذهاب بعدُ دون تأخر، لأنه يتحرج أن يصرفهم، والله يحكم بالحق دون حرج، وإذا حدَّثوا إحدى نسائه فليكن من وراء حجاب لدفع الريبة والتطفل.

وعندما قال أحد سادات قريش: «لئن مات محمد لأتزوجنَّ عائشة»، نزل آخر الآية ٥٣ والآية ٥٤ بتحريم ذلك تحريمًا قطعيًّا، ووجوب صلاح ما يكون من السر والجهر في القول والفعل، لأن الله يعلمه ويحاسب عليه.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ
إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

تفسير المفردات: الجناح: الحرج والإثم. وعليهن: على نساء النبي ﷺ وغيرهن. وفي آبائهن أي: في إظهار الزينة وعدم الاحتجاب أمامهم. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد والأبناء: جمع ابن، الولد والحفيد. والإخوان: جمع أخ، الشقيق وغيره. والأخوات: جمع أخت، الشقيقة وغيرها. والنساء أي: المؤمنات. والواحدة امرأة. وما ملكت أيمانهن أي: ما ملكْنَه من الإماء والعبيد. والأيمان: جمع يمين، اليد اليمنى. واتقين الله: تجنّبْنَ سخطه ـ أيها النساء ـ واطلبن الرضا. وكان أي: وما يزال دون قيد زمني. والشيء: ما يحصل في الكون. والشهيد: المطلع غاية الاطلاع للحساب والجزاء. **٥٥** الله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود، المستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية معصومة مطهرة. والصلاة من الله رحمة وإعلاء للمقام، ومن الملائكة دعاء واستغفار، ومن الأمّة دعاء وتعظيم. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. والتسليم: الدعاء بالسلامة من كل مكروه. وصلوا عليه وسلموا أي: قولوا: ﷺ. **٥٦** يؤذون الله: يفعلون ما يكره من كفر وعصيان. والرسول: محمد ﷺ. ولعنهم: طردهم من رحمته. والدنيا: الحياة الأقرب إلى الناس وهم فيها. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. وأعدّ: خلق وهيّأ. والعذاب: التعذيب عقوبة وتحقيرًا. والمهين: المُذِل. **٥٧** يؤذون: يسببون الإيذاء والضرر. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. وكذلك المؤمنات في الحكم. وبغير ما كسبوا. بسبب ما لم يعملوا. واحتملوا: اكتسبوا واقترفوا. والبهتان: أفحش الكذب. والإثم: الذنب الذي يستحق العقاب. والمبين: الواضح الظهور. **٥٨** قل لأزواجك: مُرْ نساءك، أيها النبي. والبنات: واحدته بنت. ويُدنين: يقرّبن ويُرخين. والجلابيب: جمع جِلباب، المُلاءة وكل ما تستر به المرأة نفسها فوق اللباس. وذلك أي: التستر المذكور. وأدنى: أقرب. ويُعرفن: يُميَّزن من الإماء والمُريبات. ولا يؤذين: لا يُتعرّض لهن بسوء. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والعون للمؤمنين. **٥٩** لئن: أُقسِمُ إن. ولم ينته: لم يرتدع. والمنافقون: الذين أظهروا الإيمان باللسان دون الاعتقاد. والقلوب: جمع قلب، موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال. والمرض: ضعف الإيمان وتسلط الشهوة. والمرجفون: الذين يُثيرون الفتن ويختلقون الأكاذيب لإضعاف المسلمين وإيذائهم. والمدينة: البلدة المنوّرة برسول الله. ونغرينّك بهم: نسلّطنّك عليهم. ولا يجاورونك: لا يُقيمون. وفيها: في المدينة المنوّرة. والقليل: الوقت اليسير. **٦٠** الملعونون: المطرودون من الرحمة. وأينما ثقفوا: في أيّ مكان وُجودهم. وأُخذوا: أُسروا واعتقلوا. وقتّلوا: أزهقت أرواحهم بالسلاح. **٦١** السُّنّة: طريقة الحِكمة والشرع. وخلوا: مضوا وماتوا. وقبلُ: قبلِك. ولن تجد: لن ترى. والتبديل: التغيير والتحويل. **٦٢**

الحزب ٤٣

المعنى العام: لما نزلت الآية **٥٣** سأل أقارب نساء النبي ﷺ عن حالهم معهن فنزلت الآية **٥٥** بجواز إظهار زينتهن ـ وكذلك حكم النساء المؤمنات أمام أقاربهن ـ وعدم الاحتجاب أمامهم وأمام المخالِطين المذكورين، ونزل أن الله والملائكة والمؤمنين يصلّون على النبي، فالله يرحمه ويعلي منزلته والملائكة والمؤمنون مأمورون أن يُثنوا عليه ويدعوا له بالخير والسلامة من كل سوء، والذين يسيئون إليه لهم اللعنة والعذاب المهين.

وكانت المؤمنات يخرجن بالليل إلى حاجاتهن، فيتعرّض لهن المنافقون ويؤذونهن بالكلام، وشكا أزواجهم ذلك إلى النبي ﷺ، فنزلت الآيات بوعيد للمنافقين المتعرضين بالإيذاء، وبوجوب التستر التامّ للمؤمنات الحرائر تميُّزًا عن مواقع الإيذاء، وبتيسير الأمر على غيرهن في الحجاب. فإن استمر المنافقون والمثيرون للفتن وأكاذيب الشرّ في بغيهم سلّط الله رسوله عليهم بالعقاب قتلًا وتشريدًا، كما كان الحكم في الشرائع الماضية، لا تُبدل سُنة الله لأنها مبنية على أساس الحكمة التي توجّه التشريع، وليست كغيرها تُبدل أو تُغيّر.

تفسير المفردات: يسألك: يطلب الجواب منك تعجيزًا، أيها النبي. والناس: من في المدينة من الكفار واليهود. والساعة: وقت قيام الناس بالبعث. وقل أي: لهم. وعلمها أي: علم وقت حصولها. وعند الله أي: هو متفرد به وحده. وما يدريك: أنت لا تعلم. ولعل: يُتوقّع. وتكون: تصير. وقريبًا: في وقت غير بعيد. ٦٣ لعن: أبعد عن رحمته. والكافرون: المكذّبون للوحدانية والدعوة. وأعدّ: خلق وهيّأ. والسعير: النار الفظيعة. ٦٤ الخالدين: المقيمين مدة طويلة. والأبد: الزمن كله. ولا يجدون: لا يرون. والولي: من يتولى الأمور ويرعاها. والنصير: المنقذ من العذاب.٦٥ اليوم: الوقت والزمن. وتقلب: تحرّك كاللحم حين يشوى. والوجوه: جمع وجه، ما يستقبل به الإنسان غيره من رأسه. والنار: نار جهنم. ويا ليتنا: نتمنّى. وأطعنا: استجبنا للأمر والنهي. والرسولا: من بعثه الله للدعوة إلى العقيدة والشريعة ومعه كتاب منزل. وثبَتَتِ الألف في الآخر جوازًا للوقف على الفاصلة القرآنية. ٦٦ قالوا أي: أتباع الكافرين. وربّنا: يا ربّنا. وأطعنا: اتّبعنا بجهل. والسادة: جمع سائد، الرؤساء المستبدّون. والكبراء: جمع كبير، القُوّاد الذين يلقّنون الكفر. وأضلونا السبيلا: صرفونا عن طريق الهدى والإيمان إلى الكفر والعصيان. وثبَتَتِ الألف في الآخر هنا أيضًا كما ذكرنا قبلُ. ٦٧ آتهم: أعطِهم وأنزل بهم. والضعف: المضاعف. والعذاب: التعذيب. والعنهم: اطردهم من الرحمة. والكبير: العظيم. ٦٨ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. ولا تكونوا: لا تصيروا. وآذوا: سببوا ما يحزن بالقول. وموسى: النبي الذي تلقى التوراة. وبرّأه: أظهر براءته. وقالوا أي: ادَّعوا. وعند الله: في حكمه بالمنزلة المقربة. والوجيه: صاحب الوجاهة والمكانة العالية. ٦٩ اتقوا الله: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه بالاستجابة للأمر والنهي. والسديد: الصواب الطيب. ٧٠ يصلح: يوجّه إلى الخير. والأعمال: جمع عمل، ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. ويغفر: يستر ولا يعاقب. والذنوب: جمع ذنب، ما يستحق العقاب. ويطيع: يستجيب ويوافق. وفاز: ظفر بخير الدنيا والآخرة. والعظيم: الضخم لا مثيل له في القدر. ٧١عرضنا: بسطنا وكشفنا للتكليف. والأمانة: مسؤولية التكاليف الشرعية. والسماء: ما يحيط بالأرض من الأجرام العُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا.والجبال: جمع جبل، ما ارتفع وغلظ من الأرض. وأبين: امتنعن لئلا يقصّرن. وأشفقت: خفن وفزعن. ويحملنها: يُلزمن التكاليف المذكورة. وحملها: رضي بحملها لِما فيه من الإرادة والاختيار. والإنسان: البشر. والظلوم: الكثير الإتعاب والإرهاق لنفسه. والجهول: الكثير الطيش والاغترار. ٧٢ ويعذب: يقضي بالعذاب. والمنافقون: الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر. والمشركون: الذين يجعلون مع الله بعض خلقه شريكًا في الألوهية والطاعة. ويتوب: يوفق للتوبة ويقبلها. وكان أي: وما يزال دون قيد زمني. والغفور: الكثير الستر والعفو. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان.٧٣

الجزء الثاني والعشرون — سورة الأحزاب

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾

المعنى العام: أن الكافرين يسألون النبي ﷺ عن وقت الساعة للتعجيز. فليجبهم أن ذلك من علم الله وحده، ومتوقّع أن يحصل قريبًا. فليستعدوا له، وقد لعنهم الله وهيّأ لهم خلودًا في عذاب جهنم، حيث يتقلبون فيها وتشوى وجوههم ويتمنون أنهم آمنوا وأطاعوا، ويطلبُ أتباع الكافرين أن تضاعف عقوبات زعمائهم، مع اللعنة الأبدية.

فعلى المؤمنين أن يتجنبوا إيذاء النبي ﷺ، كما كان من قول بعضهم في زواجه بزينب، وكما زعم اليهود مرَض موسى في جلده، واتهموه بالزنى والكذب والسحر والجنون، وغير ذلك، فحقق الله براءته وكذِبَهم وكرّمه بالمقام الرفيع.

والمسؤولية عن تكاليف الشريعة عظيمة جدًّا، حتى إن الأجرام المادية العظيمة عندما عُرضت عليها للتكليف بها اعتذرت وخافت، لِما يكون من الحساب على العجز والتقصير، ولكن الإنسان بما خلق عليه من الفطرة الإيمانية والإرادة والاختيار والسعي تقبل التكاليف والمسؤولية برضا، فتنطع بطيشه وغروره وظلم نفسه حين تساهل في العمل. فالعصاة من المنافقين والكافرين لهم عذاب شديد، والمؤمنون لهم المغفرة والرحمة.

٣٤ـ سورة سبأ

تفسير المفردات: الحمد: المدح والثناء بالوصف الجميل على النعم. ولله أي: مُلكه ومستحَقه وحده. والسماوات: ما يحيط بالأرض من الجو والأجرام العُلوية والأفلاك. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. والخبير: العليم ببواطن الأشياء وظواهرها. **١** يعلم: يحيط إحاطة تامة. ويلج: يدخل. ويخرج: يظهر. وينزل: يهبط. ويعرج: يصعد. وفيها: في السماء. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والتوفيق للمؤمنين. والغفور: الكثير الستر والتجاوز عن الذنوب. **٢** قال: جاهر بالقول. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ولا تأتينا: لا تصادف أحدًا من البشر ولا تكون. وقل لهم أي: خاطبهم بالقول جِهارًا. وهذا يعني أن المأمور رسول مكلف، لا كما يزعم الكافرون. وبلى أي: ليس شأن الساعة كما زعمتم. وربي: أُقسِم بالله. وتأتينكم: تجيئنّكم جميعًا وتلاقُنّها. والعالم: العليم كامل العلم. والغيب: ما غاب عن حواس الخلق وإدراكهم. ولا يعزب: لا يغيب. ومثقال ذرة: وزن أبسط كائن في الوجود. والأصغر: الأدقّ والأخفى. والأكبر: الأضخم والأعظم. والكتاب: اللوح المحفوظ. والمبين: الواضح البيان. **٣** يجزي: يكافئ. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وعملوا: اكتسبوا من نية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الله. والمغفرة: ستر الذنب وعدم المؤاخذة عليه. والرزق: ما يهيأ للإنسان وييسّر من النعيم الأبدي. والكريم: الحسن المحمود العاقبة. **٤** سعَوا: عملوا بجدّ ونشاط. وفي آياتنا: للطعن في النصوص القرآنية ونسبتها إلى السحر والكذب. ومعاجزين أي: مقدِّرين ومعتقدين عجزنا عن حسابهم. والعذاب: التعذيب. والرجز: السيئ الشنيع من العقوبة. والأليم: المؤلم جدًّا. **٥** يرى: يعلم بالتيقُّن. وأوتوا: أُعطوا. والعلم: الدراية اليقينية بالتوراة والإنجيل. وأنزل: أُوحي على لسان جبريل ويُسّر حفظه وتبليغه وبيانه. ومن ربك: من عنده وبأمره. والحق: الصدق الثابت. ويهدي: يرشد ويوصل. والصراط: الطريق. والعزيز: صاحب الغلبة والقهر للخلق. والحميد: المحمود في ذاته وصفاته وأفعاله. **٦** قال الذين كفروا أي: بعضهم لبعض متهكمين. ندلكم: نرشدكم. والرجل: محمد ﷺ. وينبئكم: يخبركم. وإذا مزّقتم: حين تمزيقكم بعد الموت. والممزق: التمزيق. والخلق: الإيجاد والإحياء. والجديد: الحادث ثانية بالبعث. **٧**

سُورَةُ سَبَإٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ
قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ
وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

المعنى العام: يمدح الله نفسه ثناءً عليها، وإعلامًا للخلق بذلك في الدنيا للإيمان به والتعبد بحمده، وهو مالك لِما في الكون من سماوات وأرض ومخلوقات مبثوثة فيهما، وفي غيرهما مما لا يعلمه إلّا هو، وله الثناء في الآخرة أيضًا، ويعلم ما يتنقل بين السماوات والأرض ويظهر ويختفي فيهما، وهو الرحيم بأوليائه والغفور لهم.

ولما قال أبو سفيان ـ وهو في الشرك ـ لكفار مكة: «إن محمدًا يتوعّدنا بالعذاب بعد الموت، ويخوّفنا بالبعث. واللاتِ والعُزّى لاتأتينا الساعة أبدًا ولا نُبعث»، نزلت الآيات ردًّا لقوله، وباقي السورة تهديدًا لهم وتخويفًا. فالساعة حاصلة حقًّا، ولا يخفى على الله شيء في الكون، مهما دقّ أو عظُم، لينال المؤمنون نعيم الآخرة والمغفرة، وينزل العذاب الأليم بالكافرين المتصوّرين أنهم ينجون من الانتقام ويطمعون في التفلّت من العقاب.

أما العلماء من اليهود والنصارى بحق، وهم الذين آمنوا بالقرآن، فيعتقدون أن ما أوحي عليك ـ أيها النبي ـ هو الصدق لا شك فيه ويرشد إلى طاعة الله، وأما المشركون فيسخرون من التهديد بالبعث، ويتبادلون التهكم بمن يحدثهم عن ذلك ويذكر لهم أنهم سوف يخلقون ثانية من جديد بعد فنائهم كل فناء.

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ
فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ
ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ
يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ
سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ
وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ
أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٣

تفسير المفردات: أفترى: أمحمدٌ اختلق التهديد بالبعث؟ والكذب: ما ليس له أصل. وبه جِنّة: فيه جنون. وبل أي: ليس الأمر كما يزعمون. ولا يؤمنون: لا يعتقدون ولا يصدّقون. وبالآخرة أي: بحصولها. والعذاب: التعذيب فيها. والضلال: الخروج عن الحق. والبعيد: الذي لا حدّ له. ٨ ألم يروا: لقد نظر المشركون وعلموا. وما بين أيديهم وما خلفهم أي: أن ما حولهم من الكون خاضع لقدرة الله وتصرفه. والسماء: ما يحيط بالأرض من جو وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ونشاء: نريد إهلاكهم. ونخسف بهم: نزلزل مع محقهم. ونسقط: ننزل. والكسف: جمع كِسْف أي: قطعة. وذلك أي: ما يرونه ويمكن حصوله. والآية: الحُجّة القاطعة. والعبد: المخلوق المملوك قهرًا وتعبدًا. والمنيب: العائد إلى التوبة وطاعة الله. ٩ آتينا: أعطينا. وداود: نبي لليهود، معنى اسمه الودود. ومنّا: من عندنا. والفضل: التفضل بالنعم. والجبال: جمع جبل، ما ارتفع وصلب من الأرض. وأوّبي: ردّدي التسبيح. والطير: واحده طائر، ما يحلق بجناحيه. وألنّا الحديد: طوّعنا المعدِن الصلب كالعجين. ١٠ أن بمعنى: أي. واعمل: اصنع بمهارة وإتقان. والسابغات: الدروع الطويلة تنجرّ على الأرض. وقدّر: دقّق الصنعة المتظمة. والسرد: نسج حلقات الدروع. واعملوا: اكتسبوا وتحمّلوا. والصالح: ما يرضاه الله. والبصير: المدرك للأحداث والأسرار حال وجودها. ١١ لسليمان أي: سخّرنا له، وهو ابن داود نبيّ معنى اسمه من السلام. والريح: الهواء المتحرك. وغدوّها: مدّة ذهابها. وشهر أي: شهر من الزمان. ورواحها: مدّة عودتها. وأسلنا: وأذبنا. والعين: ما ينبع ويجري كالماء. والقطر: النحاس. والجنّ: مفرده جنّي، مخلوق من النار مستتر عن حواس البشر وقدراتهم. ويعمل: يصنع بإتقان. وبين يديه: في مملكة سليمان. والإذن: الأمر والإرادة. والرب: الخالق المالك المتفرد. ويزغ: يطيش وينحرف. والأمر: التوجيه والإلزام. ونذيقه: نُنزل به. والعذاب: التعذيب. والسعير: نار جهنم. ١٢ يشاء: يريد سليمان صنعه. والمحاريب: جمع مِحراب، البناء العالي. والتماثيل: جمع تمثال، ما يصنع من النحاس أو الحجر أو الخشب للزينة. والجفان: جمع جَفنة، القصعة الضخمة. والجوابِ: الجوابي: جمع جابية، الحوض الكبير. حذفت الياء للتخفيف. والقدور: جمع قِدر، ما يطبخ به. والراسية: الثابتة على قوائم. وآل داود: أهل بيته. والشكر: الاعتراف بالنعمة والثناء على منعِمها. والقليل: العدد اليسير. والعباد: جمع عبد. ١٣ لمّا: عندما. وقضينا: أنفذنا القضاء. والموت: مفارقة روحه لجسده. وما دلهم: ما أرشدهم. ودابة الأرض: حشرة دقيقة تنخر الخشب ونحوه. وتأكل: تقرض. والمِنسأة: العصا يتوكأ عليها. وخرّ: سقط سليمان على وجهه. وتبينت: علمت. وأنْ: أنّهم. ويعلمون: يعرفون. والغيب: ما يخفى على البشر. وما لبثوا: ما أقاموا. والمهين: المُذلّ المحقِّر. ١٤

المعنى العام: أن المشركين يحارون في تلقي التهديد بالبعث، فيتهمون النبي ﷺ باطلًا بالكذب أو الجنون، وهم في الآخرة لهم عذاب جهنم، وفي الدنيا ضالون تائهون ومحاطون ومهدّدون بالنقمة والعذاب أيضًا، ويعلمون أن ما حولهم من الكون هو بيد الله زلزلتُه وإسقاط بعضه عليهم، ولكنهم لا يعتبرون بذلك لانصرافهم عن الحق.

وقد أنعم الله على داود بالجبال والطير تردد معه التسبيح، وطوّع له الحديد ليتقن صنع الدروع ، مأمورًا مع أهله أن يشكر الله على الفضل، وكذلك ابنه سليمان سخّر الله له طوع الرياح، تنقُّلها في الأرض خلال أشهر، وذوّب له النحاس للصناعة، وذلّل له الجن مهدَّدين بالعذاب إن عصوا، فهم يعملون ما يريد، من أبنية وتماثيل وأدوات الإعداد للطعام، ليشكر النعم أيضًا وما أقلّ الشاكرين !

وعندما جاءه الموت كان معتمدًا على عصاه للعبادة، فبقي كذلك حتى أكلت الأرَضة أسفل العصا وسقط. حينذلك علمت الجن بموته، وأنهم لا يعرفون من الغيب شيئًا. فما جاء عن مدّةِ موته قبل السقوط وحسابها هو من الإسرائيليات وليس له ما يصححه.

تفسير المفردات: لسبأ أي: لبني تلك القبيلة العربية في اليمن، وجدُّها سبأ بن يشجب. وفي مساكنهم أي: عندها. والمساكن: جمع مَسكن، موضع الإقامة والاستيطان. والآية: البرهان على قدرة الله. وجنتان: جماعتان من الجِنان. واليمين والشمال: يمين واديهم وشماله. وكلوا: تمتّعوا بالغذاء والشراب. والرزق: ما ييسَّر للمخلوق من المنافع. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واشكروا له: أثنوا عليه بالقلب واللسان والعمل. والبلدة: المدينة العامرة. والطيبة: الكريمة التربة والهواء. والغفور: الكثير ستر الذنوب والصفح عنها. **١٥** أعرضوا: امتنعوا عن الطاعة والشكر. وأرسلنا: فجّرنا. والسيل: الماء العظيم الغامر الجارف. والعرم هو سدّ مأرِب. وبدّلنا: أبدلنا. وذواتا: صاحبتا. والمفرد: ذات. والأُكل: ما يؤكل. والخمط: المرّ الشنيع. والأثل: شجر عظيم لا ثمر له. والسدر: نوع من الشجر. **١٦** ذلك أي: التبديل. وجزينا: عاقبنا. وبما كفروا: بسبب كفرهم. وهل نجازي: لا نجازي. والكفور: المبالغ في إنكار النعم مصرًّا عليه. **١٧** جعلنا: أنشأنا قبل مجيء السيل. وبينهم: بين سبأ. والقرى: مدن الشام، جمع قرية. وباركنا: أكثرنا الخير. وظاهرة أي: يَرى مَن كان فى واحدة منها ما حولها من القرى. وقدرنا: جعلنا مقدَّرًا بين القرى. والسير: التنقل بالسفر للتجارة. وسيروا: ترحّلوا. والليالي: جمع ليلة، ما بين الغروب والفجر. والأيام: جمع يوم يراد به النهار، وهو عكس الليل. وآمنين أي: مطمئنين لا تخافون خطرًا. **١٨** قالوا أي: بنو سبأ. وربّنا: ياربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وباعد: أبعِد بالصحارى التي تمنع الفقراء من التنقل. والأسفار: جمع سفر، الترحل بين البلاد. وظلموا: سبّبوا العذاب والعقاب بكفر النعم. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وجعلناهم: صيّرناهم. وأحاديث: جمع حديث، الخبر للعظة. ومزقناهم: فرقناهم بالعذاب في البلاد. والممزق: التمزيق. وذلك: عقاب الكافرين للنعم. والآيات: العِبر والعظات. والصبّار: الكثير التجلّد على البلاء. والشكور: الدائم الشكر على النعم. **١٩** صدّق ظنَّه: وجد ما توقَّعه من تضليله محقَّقًا. وإبليس: أبو شياطين الجن. واتبعوه: انقادوا له وحقَّقوا ظنّه. والفريق: الجماعة. والمؤمنون: الذين اعترفت قلوبهم بالتوحيد وما يلزمه. **٢٠** ما كان: ما صار. ومن سلطانٍ أي: تسلطٌ وتحكمٌ. ونعلم: نميّز ونحقق علمنا القديم بظهور الواقع فعلًا في الحياة الدنيا. ويؤمن: يصدّق يقينًا. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. ومنها: فيها. والشك: التردد. والشيء: الموجود. الحفيظ: الرقيب. **٢١** قل أي: للمشركين، أيها النبي. وادعوا: نادُوا مستغيثين. والذين زعمتم: الذين ادعيتم لهم شركة في الأُلوهية. ودون الله: غيره. ولا يملكون المثقال: لا يقوَون على إيجاده. ومثقال ذرة: وزن أصغر كائن في الوجود. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ومن شركٍ أي: شركٌ في الحيازة والتصرف. وما له إي: ليس لله. ومن ظهيرٍ أي : معينٌ. **٢٢**

الجزء الثاني والعشرون سورة سبأ

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

المعنى العام: أن قوم سبأ كان لهم دليل على الإيمان في نعم بلادهم من الحدائق، وكأنهم يوجَّهون إلى التنعم والشكر لله، ولكنهم شغلوا بالشهوات والكفر، فجاءهم العذاب باجتياح السيل ديارَهم، فصار عندهم الدمار والنبات المر، وإنما يكون العقاب لكافرِي النعم. وكان بين بلادهم والشام مدن متواصلة، يتيسر التنقل بينها والمبيت في خير وأمن، فكفروا ذلك أيضًا وتمنوا أن تتلف تلك المدن لئلّا يستفيد الفقراء من التجارة. وبذلك ظلموا أنفسهم ثانية ونزل بهم العقاب، فتشردوا وصاروا قصة في التاريخ لعظة الصابرين الشاكرين، و تحقق لإبليس ما أراد لهم، إلّا بعض المؤمنين منهم لم يكن له تسلط عليهم. وما كان لإبليس تلك الصولة لولا إرادة الله أن يظهر علمه الأزلي بتمييز المؤمنين من الكافرين، وهو رقيب على الجميع للحساب. فقل للمشركين ـ يا محمد ـ أن يستعينوا بمعبوداتهم على البلاء، وهي عاجزة عن ذلك إذ ليس لها خلق شيء أو تصرف فيه، وليس لها من مساعدة أو عون لله.

تفسير المفردات: لا تنفع: لا تقدّم خيرًا ولا تدفع شرًّا. والشفاعة: طلب التجاوز عن الذنوب. وعنده: عند الله في الآخرة. ولمن أي: للشفيع. وأذن: أباح الله. وحتى إذا فُزِّع: فإذا كُشِف الفزع بقبول الشفاعة. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والانفعال. وقالوا أي: بعض الناس لبعض. وماذا: أيَّ شيء؟ والرب: الخالق المالك المتفرد. والحق: الإذن بالحق. والعلي: البالغ في علو الرتبة والقدرة فوق ما سواه. والكبير: العظيم لا يُدرك قدره. ٢٣ قل أي: للمشركين، أيها النبي. ويرزقكم: ييسر لكم المُتع والزينة. والسماوات: ما حول الأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وقل اللهُ أي: قل «اللهُ يرزقهم»، إن لم يقولوا ذلك وتلعثموا في الجواب. والهدى: الرشد إلى الحق. والضلال: الخروج إلى الباطل. والمبين: الواضح البيان. ٢٤ لا تُسألون: لا تحاسَبون وتجازَون. وأجرمنا: أذنبنا. ولا نُسأل: لا نحاسَب. وتعملون: تكتسبونه بالقلب واللسان والجوارح. ٢٥ يجمع بيننا: يبعثنا معًا بعد الموت ويحشرنا. ويفتح: يحكم. والحق: العدل المطلق. والفتّاح: الحكم العادل. والعليم أي: العظيم العلم بما كان وبما يحكم. ٢٦ أروني: أعلموني بالحجة شيئًا من الشركة المزعومة. وألحقتم به: أتبعتموهم بالله. والشركاء: جمع شريك. وهو المشارك. وكلّا: للردع والزجر، أي: اتركوا دعوى المشاركة والزموا التوحيد. وبل أي: إنّما. وهو أي: الذي أشركتم به مخلوقاتِه. والعزيز: الغالب لغيره. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم والفعل وإتقان الأشياء.٢٧ ما أرسلناك: ما بعثناك ـ أيها النبي ـ وما كلّفناك بالعمل والتبليغ. وكافة: جميعًا. والناس: بنو آدم. والبشير: من يبلغ المؤمنين بالخير. والنذير: من يهدد الكافرين بالعذاب. والأكثر: الغالبية العظمى. ولا يعلمون: يجهلون عموم الرسالة وما فيها. ٢٨ متى: أيُّ وقت؟ والوعد: وقت وقوع العذاب. والصادقون: الذين يقولون الحق. ٢٩ وقل أي: أجبهم. والميعاد: الوعد المحدد. ولا تستأخرون: لا تتأخرون وإن طلبتم التأخير. والساعة: القدر القليل من الزمن. ولا تستقدمون: لا تُقدَّمون وإن طلبتم التقديم. ٣٠ كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ولن نؤمن: لن نصدّق ولن نتبع. والقرآن: ما أوحاه الله. وبين يديه أي: كان قبله كالتوراة والإنجيل. وترى أي: تبصر عيانًا، أيها النبي. وإذ الظالمون: وقت الكافرون. والموقوفون: المحبوسون بالقهر لا يستطيعون النجاة. وعند ربهم أي: في موقف حسابه وجزائه. ويرجع القول: يردّد ويتداول في جدال ونزاع. وبعضهم: الواحد منهم أو الأكثر. والقول: الكلام. واستضعفوا: وُجدوا ضعفاء واستُذلّوا. واستكبروا: تعاظموا وتسلّطوا. وأنتم أي: ماكان من إضلالكم. والمؤمنون: المصدِّقون للنبي بالتوحيد والبعث. ٣١

الجزء الثاني والعشرون — سورة سبأ

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ
﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل
لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

المعنى العام: أن الشفاعة تكون يوم القيامة بإذن الله، يجيزها بالحق، بعد أن تُزلزَل النفوس من الرهبة، وهو القاهر للخلق والعظيم في صفاته، والرزّاق للكافرين وإن لم يقروا بذلك حين تسألهم.

فخاطبهم ـ أيها النبي ـ متلطفًا في إبهام الحكم بالهدى بينكم لعلهم يستجيبون، وأعلمهم أن كل إنسان مسؤول عن عمله، والله يحاسب الجميع يوم القيامة بالعدل، واطلب منهم دليل الشرك المزعوم. فليس عندهم منه شيء، والله هو المتفرد بالعلوّ عما عداه والحكيم في تدبيره. وإنما أنت ـ أيها النبي الكريم ـ مبشِّر لجميع الناس في عصرك وما بعد ونذير لهم، ولستَ مسؤولًا عن إيمانهم ولا مكلّفًا به، وأكثرهم يجهل ذلك، ويسألك مشركو مكة عن موعد البعث تعجيزًا وتحدّيًا، وهو لا يتأخر ولا يتقدم تبعًا لمطالبهم. ولمّا سألوا أهلَ الكتاب عن النبي ﷺ، وأُخبروا أن صفته في كتبهم موافقة له، قالوا: نكفر بكم وبه. فظهر بذلك أن تعنتهم هو لإنكار البعث، ونزلت الآية بذلك.

ولو تراهم يومئذ وهم محجوزون للحساب لرأيت العجب، إذ يعنّف الضعفاءُ الجبابرةَ لمنعهم من الإيمان. والتعبير بالمضارع عن الماضي للدلالة على التجدد والاستمرار، وجعل سياقه بالماضي للدلالة على تحقق الوقوع، كأنه حصل فيما مضى مع التجدد والاستمرار.

تفسير المفردات: استكبروا: تكبروا وتسلّطوا. واستضعفوا: وُجدوا ضعفاء تابعين. أنحن صددناكم: ما نحن منعناكم. والهدى: الرشد إلى الحق. وإذ جاءكم: حين بُلّغتم به. والمجرمون: الراسخون بأنفسهم في الإجرام باختيار. ٣٢ المكر: الخداع وتدبير المكايد. والليل والنهار أي: في كل وقت من حياتنا. وإذ تأمروننا: حين تطلبون منا وتفرضون علينا. ونكفر: نكذّب ونجحد. ونجعل له: نصيّر لله. والأنداد: جمع نِدّ، الشريك والمثيل. وأسرّوا: أخفى الفريقان. والندامة: الأسف الشديد. ولمّا رأوا: حين أبصروا عِيانًا. والعذاب: التعذيب عقوبة وتنكيلًا. وجعلنا: حكمنا ووضعنا. والأغلال: جمع غُل، الطوق من الحديد. والأعناق: جمع عنق، الرقبة. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وهل يجزون: ما يعاقبون. ويعملون: يكتسبونه. ٣٣ وما أرسلنا: ما بعثنا لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. والقرية: البلدة العامرة. ومن نذير أي: مهدّدًا بعذاب العصاة. والمترفون: الأغنياء المنعّمون. وأرسلتم: كُلّفتم تبليغه. وكافرون أي: مكذبون جاحدون. ٣٤ الأموال: جمع مال، ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد، من الذكور والإناث. وما نحن أي: لسنا. والمعذبون: المعاقبون في الآخرة، إن حصلت فعلًا. ٣٥ قل أي: لهم، أيها النبي. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح خلقه. ويبسط: يوسّع. الرزق: ما يهيأ للمخلوق من المتاع والمنافع والزينة. ويشاء: يريد الله أن يرزقه. ويقدر: يضيقه على من يشاء. وأكثر الناس: الغالبية العظمى منهم. ولا يعلمون: لا يدرون ولا يدركون الحكمة من ذلك، فهم جاهلون بتقدير الله يظنون الغنى إكرامًا والفقر إهانة. ٣٦ ما أموالكم: ليست أموالكم. وتقربكم: تُدني مراتبكم وتزيدها رفعة. وعندنا: في حكمنا وقضائنا. والزلفى: التقريب. وإلّا: لكن. وآمن: اعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه. وعمل: اكتسب بالنية أو القول أو الفعل. والصالح: ما يرضاه الشرع. والجزاء: الثواب. والضعف: الزيادة المضاعفة بقدر أمثال الشيء. والغرفات: جمع غُرْفة، القصر الفخم. والآمنون: السالمون والناجون من العذاب والموت والأذى. ٣٧ يسعون: يجدّون ويُسرعون. في الآيات أي: لإبطال حقيقة القرآن. ومعاجزين أي: مغالبين للتهرب من العقاب. ومحضرون أي: تجيء بهم الزبانية فلا يستطيعون التفلت والنجاة. ٣٨ العباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. وله أي: لمن يشاء التضييق عليه. وأنفقتم: بذلتم وصرفتم. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. ويخلفه: يعوّضه. وخير: أفضل. ٣٩

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ
عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ
أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

المعنى العام: متابعة ما يكون من جدال بين الكافرين في جهنم، بأن المتسلّطين ينكرون اتهام الضعفاء لهم، ويصفونهم بأنهم منعوا أنفسهم من الخير وسببوا لها العذاب، ويرد هؤلاء عليهم بأنهم حملوهم على الضلال بالكيد والأمر ليلًا ونهارًا، ثم يتكتّم الجميع ويسترون ما في أنفسهم من الحسرة عندما يرون العذاب والأغلال في أعناقهم، ولا يكون ذلك إلّا جزاء أعمالهم.

ففي الآيات تسلية للنبي ﷺ، وتصديق لما قاله تاجر كان يقرأ كتب الأولين، ووصلت إليه أخبار الدعوة، فجاء مكة مسلمًا وذكر أنه لم يُرسَل نبي إلّا اتبعه المساكين، ثم نزلت الآيات بتصديق قوله وتعنُّت المترفين لأنهم يظنون أن الذي أغناهم في الدنيا لا يهينهم في الآخرة، إن جاءت. والحق أن الرزق بمشيئة الله وحكمته العالية لا بمنزلة الإنسان ومكانته عند ربه. فلن تفيد الممتلكات والأولاد أصحابها يوم القيامة، لأن المؤمنين الصالحين لهم نعيم الجنات ومضاعفة الإكرام لِما عملوا، والمكابرين المحاربين للحق يحشرون بالقوة لنيل العذاب. فقل ـ أيها النبي ـ لهم بأن الله يقسم الأرزاق بحكمته في البسط والتضييق، ويعوّض ما يبذَل من خير في وجوه الحياة المختلفة، يعوّض ذلك بمال أو كشف الضر أو توفيق في الخير أو قناعة أو ثواب، ورزقه أفضل مما عداه لأصالته في حقيقة الرزق والعطاء، وما يمنحه دائم لا ينقطع خلافًا لما يكون من عطاء الخلق.

الجزء الثاني والعشرون — سورة سبأ

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن
تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم
مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

تفسير المفردات: يوم يحشرهم: وقت جمع المشركين بالعنف والقهر. وجميعًا أي: كلهم مجتمعين. ويقول أي: الله. والملائكة: مخلوقات نورانية، جمع ملَك. وإياكم يعبدون: يقدسونكم ويطيعونكم. ٤٠ قالوا: أجاب الملائكة. وسبحانك: تنزيهًا لك عن الشريك. وولينا: متولي أمورنا نتقرب إليك بالعبادة. ومن دونهم أي: لا علاقة لنا بهم ونتبرأ من عبادتهم. وبل: إنّما. والجنّ: واحدهم جنّيّ، مخلوق من النار. وأكثرهم: الغالبية العظمى من المشركين. المؤمنون: المصدقون لما يوسوسون لهم. ٤١ اليوم: في هذا الوقت من القيامة. ولا يملك: لا يقدر ولا يستطيع. والبعض: الواحد أو الأكثر. ونفعًا أي: تقديم خير. وضرًّا أي: منع شرّ أو عذاب. ونقول أي: يقول الله على ألسنة ملائكة العذاب. وظلموا: أشركوا. وذوقوا: تحسسوا وقاسوا بكامل أجسامكم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والنار: نار جهنم. وبها تكذبون: تنكرونها.٤٢ تتلى: تقرأ. والآيات: نصوص القرآن. والبينات: الواضحات البيان. وقالوا أي: بعض المشركين لبعض. وما هذا: ليس محمد ﷺ. ورجل أي: إنسان بشري. ويريد: يقصد. ويصدكم: يصرفكم. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجد. وما هذا: ليس القرآن. والإفك: الكذب. والمفترى: المصطنع منسوبًا إلى الله. وللحق: عن القرآن. ولما جاءهم: حين وصل إليهم وبُلّغوا به. وإن هذا: ما هو. والسحر: ما يخدع العقل والحواس بما هو غير واقع. والمبين: الظاهر البيان. ٤٣ ما آتيناهم: ما أعطيناهم. والكتب: جمع كتاب. ويدرسونها: يقرؤونها. وما أرسلنا: ما بعثنا بالدعوة. والنذير: المهدد بعقوبة العصاة. ٤٤ كذّب: أنكر التوحيد والبعث. وما بلغوا: ما نال هؤلاء المشركون. والمعشار: الجزء من الألف. وآتيناهم: أعطينا قدماء الكافرين. والرسل: جمع رسول، من بُعث بالدعوة والعمل. ونكيرِ: نكيري: إبطالي للمنكَر. ٤٥ قل أي: للمشركين، أيها النبي. وأعظكم: أوصيكم. وواحدة أي: خَصلة منفردة لا ثانية لها. وتقوموا: تنهض هممكم وتشتغل قلوبكم. ولله: لأجله تعالى. ومثنى أي: اثنين اثنين معًا يتحاوران. والفرادى: جمع فرد، المنفرد وحده. وتتفكروا: تستعملوا عقولكم لتدبر الأدلة ومعرفة الصواب. وما بصاحبكم: ليس في الملازم لكم بالعيش. والجِنّة: الجنون. وإن هو: ما هو. وبين يدي عذاب أي: قبل التعذيب. والشديد: القوي لا مثيل له. ٤٦ ما سألتكم: الذي طلبته منكم، إن حصل ذلك فعلًا. والأجر: المكافأة. ولكم أي: تنفردون به من دوني. وإن أجري: ما مكافأتي. وعلى الله: متحقق عليه بفضله. والشيء: ماهو موجود. والشهيد: المطّلع يعلم صدقي وكفركم، فيثيبني على طاعتي ويعاقبكم على العصيان. ٤٧ الرب: الخالق المالك المتفرد. ويقذف: يلقي إلى الأنبياء والرسل. والحق: الأمر الثابت لاشك فيه، ما يوحي به أو يلهم. والعلّام: المبالغ في الإحاطة الكاملة. والغيوب: جمع غيب، ما غاب عن المخلوقات. ٤٨

ربع الحزب ٤٤

المعنى العام: تذكير المشركين بما يحصل يوم القيامة، من توبيخهم بسؤال الملائكة عن عبادة المشركين لهم، ويتبرؤون منها بأنهم مخلصون لله وأن عبادة أولئك كانت للجنّ، فلا يبقى نفع بينهم ويوبَّخ المشركون بما نالوا من عقاب.

لقد كانوا يكذبون الرسالة ويتمسكون بتقليد آبائهم في الشرك، ويصفون النبيَّ ﷺ بالمضلِّل عن الصواب، والقرآنَ بالكذب والسحر، مع أنهم ليس عندهم دليل وحي يعتمدون عليه. وكذلك فعل الكافرون من قبل، وهؤلاء أضعف منهم بآلاف الدرجات، فنال أولئك جزاءهم في غاية الحق والعدل، خاليًا من كل ظلم وجور. فليحذر هؤلاء أمثاله. وعِظهم ـ أيها النبي ـ بشيء واحد، أن يتفكروا في رسالتك كل منهم منفرد أو متحاورين اثنين اثنين ليعلموا صدق دعوتك وتهديدك لهم، وأنت لا تطالبهم بأجر على ذلك لأن اعتمادك على الله الشهيد لِما يكون.

وعندما قال المشركون للنبي: «تركتَ دين آبائك فضللتَ»، أُمر أن يرد عليهم بأن الله يمحق بالوحي باطلَهم، وهو علّام الغيوب، يجزي كل إنسان بما يستحق.

تفسير المفردات: قل أي: للمشركين، أيها النبي. وجاء: ظهر وثَبَت. والحق: الإسلام. وما يبدئ: ما يُحدِث شيئًا يذكر. والباطل: الكفر. وما يعيد: لا يجدّد أمرًا مضى ولا يبقى له أثر بعدُ. ٤٩ ضللتُ: خرجتُ عن الحق. واهتديت: استرشدت إلى الحق. وبما يوحي إليّ: بسبب ما يرسل إليّ أو يلهمني مع تيسير الحفظ والتبليغ. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والسميع: المبالغ في الإدراك للمسموعات والأسرار. وقريب أي: من الخلق جميعًا يعلم ما يفعلون. ٥٠ ترى أي: تبصر. وإذ فزعوا: حين خوف المشركين واضطرابهم عند البعث. ولا فوت: لا تفلُّت ولا نجاة لهم من سلطاننا. وأُخذوا: بُعثوا بقوة وقهر. والمكان: الموضع. وقريب أي: تناله قدرة الله بمنتهى اليسر. ٥١ قالوا أي: بعد البعث. وآمنّا به: أيقنّا بما جاء به النبي. وأنّى أي: كيف؟ والتناوش: تناول الإيمان والاستفادة منه. والبعيد: المُحال إدراكه لأنه وهمٌ باطل في الآخرة. ٥٢ كفروا به: كذّبوه. ومن قبل أي: في الدنيا. ويقذفون: كانوا يرمون. والغيب: الظن ليس له حقيقة، أي: الاتهام بالكذب والسحر. ٥٣ حيل: حُجز. ويشتهون: يرغبون ويتمنّون. وفُعل: أُوقع وأُنزل. والأشياع: جمع شِيَع. والشيع: جمع شِيعة. وهي الشبيه والمماثل في الكفر. وقبل أي: قبلهم. والشك: التردد. والمريب: الموقع في الريب والحيرة. ٥٤

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

المعنى العام: أمرُ النبي ﷺ بمخاطبة المشركين أن دين الحق جاء بالوحي، وليس للكفر فائدة، وأن خطأ النبي إن حصل فهو من نفسه وعليها، وهدايته من الله. وتكرار «قل» هنا وفيما قبلُ وبعدُ هو للمبالغة في تقرير أن المخاطب رسول مكلف، لا كما يزعم الكافرون.

ولو ترى ـ أيها الإنسان ـ ما يلقى المشركون يوم القيامة من الفزع لحشرهم بالقهر دون نجاة وإقرارَهم بالإيمان حيث لا يصلون إلى نفعه، وقد كفروا من قبل وتوهموا الأباطيل فلن يقبل منهم ما يقرّون به في الآخرة، لأن الإيمان ينفع صاحبه في الدنيا وكفرهم قبلُ يسفه اعترافهم الآن، وهكذا يمنعون مما يطلبون، كما كان لأمثالهم من الكافرين الذين عاشوا في شك من الإيمان، لو ترى هذا كله لشاهدت أعجب العجب.

٣٥ـ سورة فاطر

تفسير المفردات: الحمد: الثناء بالجميل على النعم. ولله: ملكه ومستحقه وحده. والفاطر: المخرج للشيء من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من العوالم العُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والجاعل: المصيّر. والملائكة: جمع ملَك. والرسل: جمع رسول، الوسيط لنقل الرسالات وآثار الصنع. وأولو: أصحاب، واحده ذو. والأجنحة: جمع جَناح، ما يكون في المخلوق للطيران. ومثنى أي: اثنين اثنين تكرارًا. وكذلك: ثلاث ورباع. ويزيد: يضيف ويضاعف. والخلق: المخلوق. ويشاء: يريد زيادته. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: البالغ القدرة. ١ ما يفتح: ما يطلق ويرسل. والناس هنا: الكافرون. والرحمة: العطف بالنعمة. والممسك: الحابس. والمرسل: المطلِق. وبعده: بعد فتحه أو إمساكه. والعزيز: الغالب لما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم والإحسان والإتقان. ٢ والناس: البشر. واذكروا: أكثِروا الثناء على المنعم. والنعمة: التفضل بالخير. وهل من خالق: لا منشئ من العدم. وغير الله: مغاير له. ويرزقكم: ييسّر لكم النعم. والسماء: السحاب. والإلّه: المعبود بحق. وأنّى: من أين؟ وتؤفكون: يقع لكم الصرف عن التوحيد. ٣

المعنى العام: الثناء كله مستحَق ومُلك لله الذي خلق الكون، وجعل بعض الملائكة رسله إلى البشر بالخير والرعاية والحماية، ولهم أجنحة مختلفة العدد لا تحصى، ويزيد في الخلق ما يشاء، ويعطي ويمنع ما لا يستطيع أحد التدخل فيه، لعزته وحكمته.

فواجب الناس شكره على النعم، وهو الخالق المتفرد بذلك لا شريك له، و يرزقهم من نعم السماء والأرض. فمن أين يأتيهم الانصراف عن التوحيد إلى الشرك، ولا مجال لذلك؟

تفسير المفردات: إن يكذبوك: لقد جحد المشركون ماجئت به. وكُذِّبت: اتُّهِمتْ بالكذب. والرسل: جمع رسول، مَن يوحى إليه ويكلّف بالدعوة مع العمل. وإلى الله: إلى حكمه وقضائه. وترجع: تَرُد للفصل والجزاء. والأمور: جمع أمر. وهو الشأن. ٤ الناس: البشر. والوعد: التعهد بما سيكون. والحق: الثابت لا يتخلف. ولا تغرنكم: لا تخدعنكم وتصرفنّكم عن الحق. والحياة: ما في العيش من متع وزينة. والدنيا: القريبة التي أنتم فيها. وبالله: في حلمه وإمهاله بالعذاب. والغرور: المخلوق الكثير الخداع بخفاء. ٥ الشيطان: من يوسوس بالشر من الجن والإنس. والعدوّ: المعادي. واتخذوه: اجعلوه وجابهوه بعصيانه وطاعة الله. ويدعو: يحضّ. والحزب: الأتباع. ويكونوا: يصيروا. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم للشيء لا يفارقه. والسعير: النار المتوقدة.٦ كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والعذاب: التعذيب. والشديد: القوي الفظيع. وآمَنُوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وعملوا: اكتسبوا بنية أو قول أو فعل. والصالح: ما يرضاه الله. والمغفرة: الستر للذنوب والعفو عنها. والأجر: الثواب. والكبير: العظيم لا مثيل له. ٧ أمَن زُيِّن له: ليس الذي جمّل الشيطانُ ونفسه له. والسوء: القبيح الشنيع. ورآه: ظنه. والحسن: الصالح. ويُضل: يوجّه القدرات بحسب الفساد والاستعداد السيئ. ويشاء: يريد الله إضلاله. ويهدي: يصرف القدرات بحسب الاختيار الصالح والاستعداد الطيب. ولا تذهب: لا تتلف. والنفس: الروح والجسد. وعليهم حسرات: تلهفًا على كفرهم. والحسرات: جمع حسْرة. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة. ويصنعون: يكتسبونه بقصد. ٨ أرسل: أطلق. والرياح: جمع ريح، الهواء المتحرك. وتثير: تحرك وتهيّج. والسحاب: الغيم النافع، واحدته سحابة. وسقناه: دفعناه. والبلد: الأرض. والميّت: اليابس لا نبات فيه ولا ماء. وأحيينا به: أنبتنا الزرع بالماء. وكذلك أي: مثلُ ذلك الإحياء للأراضي الموات، في صحة القُدرة الربانية. والنشور: بعث الأموات. ٩ يريد: يطلب. والعزة: الرفعة والغلبة. وجميعًا: مجموعة كلها. وإليه: إلى المنزلة المقرّبة. ويصعد: يعلو ويرتفع ويُقبل ويبارك. والكلم: الكلمات والعبارات، واحدتها كلمة. والطيب: الحسن. والصالح: ما حسّنه الشرع. ويرفعه: يُعلي قدره ويكرمه. ويمكرون: يكيدون ويخدعون. والسيئة: الشنيع من الشر. والمكر: الكيد والخداع. ويبور: يفسُد فيزلّ صاحبه ويخسر. ١٠ خلقكم: أوجد أباكم آدم. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. والنطفة: القطرة الدقيقة من ماء الرجل. وجعلكم: صيّركم. وأزواجًا: جمع زوج. وهو الصِّنف من رجال ونساء. وما تحمل أي: من جنين في الرحم. والأنثى: المرأة. ولا تضع:لا تلد أو تُسقط. وبعلمه أي: معلومة لديه علمًا كاملًا. وما يعمَّر: ما يزاد في عمر مدة معينة. والمعمَّر: الطويل العمر. ولا ينقص: لا يُقضى ويُذهب بمرور الأيام. والكتاب: اللوح المحفوظ وأُمّ الكتاب. وذلك أي: الخلق والعلم والحفظ. واليسير: الهين، أي: لا يتعذر مع كثرته وانتشاره. ١١

سورة فاطر — الجزء الثاني والعشرون

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا
فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا
إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

المعنى العام: لقد كذبك المشركون. وأمثالُ موقفهم في التاريخ كثيرة مع الرسل وعلى الله حسابها، وهو واقع لا محالة فلا يغتر الناس بالدنيا ومزاعم الشيطان المعادي لهم، وليعادوه ويخالفوه، لئلا يوصلهم إلى جهنم، في حين أن للمؤمنين نعيم الجنة وفرق كبير بين المفتون بكفره والمهتدي إلى الحق. فلا تتلف نفسك ـ أيها النبي ـ حزنًا على المشركين، لأن الله مطلع عليهم ومحاسبهم بما يستحقون، وهو ينعم بالمطر لإحياء الأرض اليابسة، وكذلك يبعث الموتى يوم القيامة.

فالذين يريدون الغلبة يطلبونها من الله المالك لها، وهو يتقبل الكلام الطيب والعمل الكريم، ويَمحق كيد الكافرين ويُنزل بهم أشد العذاب. وقد خلق آدم من تراب، ثم أنشأكم من أدقّ قطرة شهوة الرجل ـ وهي عنصر الإخصاب والتولد ـ وهو يحيط علمه بكل حمل وولادة، وكل حياة وموت، سُجّل ذلك في اللوح المحفوظ وأُمّ الكتاب، وفي كل منهما ما كان وما سيحصل في الكون.

الجزء الثاني والعشرون — سورة فاطر

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

نصف الحزب ٤٤

تفسير المفردات: ما يستوي: لا يكون متساويًا في الصفات والخصائص. والبحر: ما اجتمع من الماء في غدير أو يَنبوع أو نهر أو أكبر. والعذب: الشراب اللذيذ. والفرات: الشديد الصفاء. والسائغ: المقبول يُذهب الحرارة والعطش. والشراب: الشرب. والملح: المُرّ. والأجاج: الشديد الملوحة. وكل أي: كل نوع منهما. وتأكلون: تتغذّون وتتمتّعون. واللحم: العضل وما أشبهه. والطريّ: الغضّ الجديد. وتستخرجون: تُخرجون. والحلية: ما يُتزين به من المجوهرات. وتلبسونها: تتزينون بها. وترى: تُبصر عِيانًا. والفلك: السفن، واحدته بلفظه. وفيه: في البحر. والمواخر: جمع ماخرة، تشق الماء. وتبتغوا: تطلبوا. والفضل: التفضل بالخير. ولعلكم: ليُترجّى لكم. وتشكرون: تذكرون نعم الله وتُثنون عليه بالقلب واللسان والعمل. ١٢ يولج: يُدخل. والليل في النهار أي: ما ينقص من الليل في مدّة النهار. وكذلك العكس بعدُ. وسخّر: ذلّل ويسّر لمصلحة الكون والحياة. والشمس والقمر: الكوكبان المعروفان في النهار والليل. ويجري: يتحرك ويدور. والأجل: عمر الكائن. والمسمى: المقدّر في علم الله. وذلكم أي: المتصف بالصفات المذكورة في الآيات ٨ ـ١٣. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح خلقه. والملك: الحيازة والتصرف والقهر لما عداه. وتدعون: تعبدونهم. ودونه: غيره. وما يملكون من قطمير: ليس لهم ملك حقيقي في شيء من الكون، ولو كان بمقدار لِفافة النواة أي: القطمير، ولا يستطيعون خلقه. ١٣ تدعوهم: تنادوهم. ولا يسمعوا: لا يستطيعوا السمع. والدعاء: النداء. ولو سمعوا: لواستطاعوا السمع افتراضًا. وما استجابوا لكم: ما أجابوكم. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. ويكفرون: يتبرؤون ويستنكرون. والشرك: إشراككم إياهم في العبادة. ولا ينبئك: لا يعلِمك. والخبير هو الله. ١٤ الناس: كل مخاطب وسامع. والفقراء: جمع فقير، المحتاج إلى العون والمساعدة. والغني: المستغني بذاته وصفاته وأفعاله. والحميد: المحمود على نعمه. ١٥ يشاء: يريد إهلاككم. ويُذهبكم: يهلككم. ويأت بخلق: يوجد مخلوقًا. والجديد: المُحدَث المغاير بالطاعة. ١٦ ما ذلك أي: ليس إذهابكم والإتيان بالجديد. والعزيز: المتعذر المتعسر. ١٧ لا تزر: لا تحمل. والوازرة: النفس المكتسبة للإثم. والوزر: الذنب يكون عليه عقوبة. والأُخرى: النفس المغايرة. وتدعو: تستغيث. والمثقلة: المرهَقة. والحمل: ما يُحمل من الذنوب. ولا يحمل: لا يؤخذ. ولو كان ذا قربى: وإن كان المدعوّ من الأقرباء جدًّا. وتنذر: تهدد بتعذيب العصاة. ويخشون: يخافون. والغيب: ما خفي عن إدراك الخلق وحواسهم. وأقاموا الصلاة: داوموا على أدائها بشروطها وأركانها وآدابها. وتزكّى: تطهّر من الشرك والعصيان. ولنفسه أي: له وحده بروحه وجسده. وإلى الله: إلى لقاء موعد قضائه. والمصير: المَرجع يوم القيامة للحساب. ١٨

المعنى العام: أن مجامع المياه مختلفة جدًّا في العذوبة والملوحة، يُخرَج منها الأسماك للغذاء والمجوهرات للزينة، وتجري فيها السفن لطلب الخير، ويتبادل الليل والنهار حضورهما وبعض طولهما، والشمس والقمر يجريان بنظام إلى نهاية أجلهما، وكل ذلك بإرادة الله وخلقه، والآلهة المعبودة لا دخل لها فيه، بل لو دُعيت لما استجابت، ويوم القيامة لا تحضر الأصنام فتخيّب ظن المشركين وتنكر المعبودات العاقلة عبادتهم لها. هذا هوالحق ينبوع به الله دون سائر المبلِّغين.

وعندما زعم الوليد بن المغيرة لبعض المؤمنين أنه يتحمل أوزار من يكفر، نزلت الآيات بتكذيبه، وأنه لا يتحمل الأقرباء ذنوب أقربائهم. وإنما يتعظ بذلك ويستجيب للحق من يخاف الله دون أن يراه ويقيم الصلاة، ومن تطهر من الشرك والعصيان فثواب ذلك له وحده، ثم يكون مصير الجميع إلى لقاء وعد الله في يوم القيامة للحساب والجزاء.

تفسير المفردات: ما يستوي: لا يتساويان في المنزلة أو العمل. والأعمى: الفاقد البصيرة. وعكسه البصير. ١٩ الظلمة: افتقاد النور الذي يكشف الأمور لتمييز الحق من الباطل. ٢٠ الظل: ما ينعكس عن الأشياء في النور. والحرور: شدة الحرّ. ٢١ والأحياء والأموات: جمعا الحي والميت، من فيه روح ومن فقدها. ويُسمع: يخلق تقبُّل الهداية. ويشاء: يريد هدايته. وما أنت: لستَ، أيها النبي. والمسمِع: المبلّغ للمسموعات. والقبور: جمع قبر، أمكنة الموتى. ٢٢ إن أنت: لستَ. والنذير: المهدد بالعذاب للكافرين. ٢٣ أرسلناك: بعثناك مكلَّفًا بالدعوة. والحق: الهدى إلى الصواب. والبشير: من يبلّغ المطيعين بالخير. وإن من أُمّة: ما جماعة من الناس. وخلا: مضى. ٢٤ يكذبوك: يستمرَّ المشركون في تكذيب رسالتك. وكذّب: أنكر وجحد. وقبلهم أي: قبل المشركين. وجاءتهم: أتتهم مبلّغة. والرسل: جمع رسول، المكلّف بالعقيدة والشريعة مع العمل. وبالبينات: مع الأدلة على صحة الرسالة. والزبر: جمع زَبور، ما يسجّل في صحف. والكتاب: الكتب كالتوراة والإنجيل. والمنير: الموضح لطريق الخير. ٢٥ أخذتُ: عاقبتُ. وكفروا: كذّبوا الرسل والرسالات. ونكيرِ: نكيري أي: إنكاري بالعقوبة تكذيبَهم. حذفت الياء لموافقة فواصل الآيات. ٢٦ ألم تر: لقد علمتَ، أيها المخاطب. أنزل: أسقط. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما يشبهه. وأخرجنا به: أنبتنا بالماء.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ
﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ
إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ
أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ
أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ
ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا
أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا
وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

والثمرة: ما ينعقد عن الزهر للغذاء والدواء والزينة. والمختلف: المتنوّع ليس بينه اتفاق. والألوان: جمع لون، ما يفيد الهيئة والشكل، بالإضافة إلى ما عُرف من: أخضر وأحمر وأصفر. والجبال: جمع جبل، ما صلب وارتفع من الأرض. والجُدَد: جمع جُدّة، المقطوعة المميَّزة كالطريق وغيره. والبيض: جمع بيضاء. والحمر: جمع حمراء. ومختلف أي: صِنف متنوّع. والغرابيب: جمع غِربيب، الصخر الحالك اللون. والسود: جمع أسود. ٢٧ من الناس: بعض البشر. والدوابّ: جمع دابّة، ما يمشي أو يتحرك من الأحياء. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. وكذلك: كاختلاف الثمار والجبال. ويخشى الله: يخافه ويطيعه. والعباد: جمع عبد، المخلوق المملوك قهرًا وتعبُّدًا. والعلماء: جمع عالِم، من يَعرف ما يلزم من صفات الله، أو يطّلع على حقائق العلوم ببصيرة. والعزيز: الغلّاب لا يعجزه شيء. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عن المؤمنين. ٢٨ يتلون: يقرؤون. والكتاب: القرآن الكريم. وأقاموا الصلاة: أدَّوُا العبادة المكتوبة كما يجب. وأنفقوا: بذلوا في سبل الخير. ورزقناهم: أعطيناهم إياه ويسرناه لهم. والسر: الخفاء عن الآخرين. والعلانية: الإظهار والإعلام لهم. ويرجون: يطلبون ويتمنَّون. والتجارة: تحصيل ثواب الطاعة. ولن تبور: لن تتلف ولن تخسر. ٢٩ يوفيهم: يعطيهم بالوفاء والكمال. والأجور: جمع أجر، ثواب العمل. ويزيدهم: يضيف إليهم ويضاعف. والفضل: التفضل بالنعم. والشكور: الكثير الإثابة والمكافأة. ٣٠

المعنى العام: أن الفرق كبير بين المتناقضات في الكون كتناقض المؤمنين والكفّار الذين ماتت قلوبهم، والله يهدي من يعلم فيه الاستجابة فيهديه، وأنت لا تهدي الموتى ـ أيها النبي ـ لأنك رسول تنذر وتبشر، وجميع الأمم كان لكل منها نبيّ ينذرها أو عالم مصلح ينقل عنه، كما قد يكون في الأمم الآتية بعد البعثة النبوية.

وإن استمر الكافرون على تكذيبك فلك أسوة بمن قبلك، كذّبتهم الأقوام بما معهم من الصحف: لإبراهيم ثلاثون، ولموسى عشر غير التوراة، ولشِيث وإدريس ستون، كما كُذِّبَ مثل التوراة والإنجيل، فانتقم الله من الكافرين، وكان انتقامه واقعًا موقعه من الحق.

ولقد أنبت الله نباتًا مختلفًا في الصفات، وكذلك اختلاف الجبال والناس والدوابّ، وفي ذلك براهين للعلماء على وحدانية الله، فيكونون أخشى الناس له بحقّ، ومثلهم التالون للقرآن والمقيمون للصلاة والمنفقون من الرزق الطيب دائمًا، وهم يطلبون نجاحًا لا يخيب، ويجزيهم الله جزاءهم الكامل، ويزيدهم بمضاعفة الثواب والنظر إلى وجهه الكريم والتمتع برضوانه.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا
فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ
عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ
فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ
غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

تفسير المفردات: أوحينا إليك: أنزلناهُ إليك ـ أيها النبي ـ على لسان جبريل ويسرنا الحفظ والتبليغ والبيان. والكتاب: القرآن الكريم. والحق: الصدق الثابت لا شك فيه. والمصدّق: المؤيِّد المحقِّق بما يتضمن من العقيدة والشريعة والمواعظ والعلوم والمعارف والأخبار. وما بين يديه: ما كان قبله من الكتب. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والخبير: العليم ببواطن الأمور. والبصير: العليم بظواهرها. **٣١** أورثنا الكتاب: نُورثه بعدك. واصطفينا: اخترنا وفضّلنا. ومنهم: بعضهم. والظالم: الجائر المتجاوز للحق. والمقتصد: المتوسط بين الظالم والسابق: الذي يتقدم غيره ويرشده. والخَيرة: العمل الصالح. وإذن الله: إرادته وقضاؤه. وذلك أي: توريث القرآن للمسلمين. والفضل: التفضل والإكرام. والكبير: العظيم لا مثيل له. **٣٢** الجنة: البستان العظيم فيه الشجر والقصور والنعيم. والعدن: الإقامة الأبدية. ويدخلونها: يصيرون فيها. ويُحلَّون: يزيَّنون ويجمَّلون. والأساور: جمع أسوِرة. والأسوِرة: جمع سِوار، ما يحيط بالمِعصم. والذهب واللؤلؤ: الكائنان الثمينان معروفان أصفر وأبيض برّاقان يصنع منهما الحُليّ. واللباس: ما يُلبس. والحرير: النسيج مما تفرزه دودة القزّ. **٣٣** قالوا أي: يقول المؤمنون في نعيم الجنة. والحمد: الثناء بالجميل على النعم. وأذهب: أزال. والحزن: الغمّ والهم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والغفور: الكثير الستر والعفو عن الذنوب. والشكور: الكثير الإثابة على الطاعات. **٣٤** أحلّنا: أنزلَنا. والدار: المنزل. والمُقامة: الإقامة. والفضل: التفضل والإكرام. ولا يمسنا: لا يصيبنا ولو إصابة خفيفة. واللغوب: الإعياء من التعب. **٣٥** كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ونار جهنم أي: عذابها. ولا يقضى عليهم: لا يَهلِكون بعد البعث. ويموتوا: تفارق أرواحهم أجسادهم. ولا يخفف: لا يقلّل. والعذاب: التعذيب. وكذلك: كما جزيناهم بالعذاب. ونجزي: نعاقب. والكفور: المُمعن في الكفر وقد مات عليه. **٣٦** يصطرخون: يستغيثون بعويل وصراخ. وربّنا: يا ربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وأخرجنا: أنقِذْنا ورُدّنا إلى الدنيا. ونعمل: نكتسب ونتحمل. والصالح: ما يرضاه الله من العمل. وغير الذي: مغايرًا الذي. وألم نعمركم: لقد أمهلنا كم وأخّرنا كم عُمرًا في الدنيا. وما يتذكر فيه أي: وقتًا يتدبر فيه ويمكن أن يتذكر. وجاءكم: أتاكم وبلغكم. والنذير: من ينذر بعذاب العُصاة. وذوقوا: تحسسوا بكامل أجسامكم عذاب جهنم وتحملوه. وما: ليس. والظالمون: الكافرون. ومن نصيرٍ أي: دافعٌ للعذاب. **٣٧** العالم: المطلع بالغَ الاطلاع. والغيب: ما خفي على حواس الخلق وإدراكهم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والعليم: المبالغ في الإحاطة والاطلاع. وذات الصدور: صاحبتها التي تُضمر فيها. والصدور: جمع صدر. والمراد: القلب موطن التدبر والاعتقاد والنيات. **٣٨**

المعنى العام: أن القرآن وحي من الله بكامل الثقة والتحقق، يصدِّق الكتب التي قبله بأصول العقيدة والشريعة والتوجيه إلى الخير والرشاد، والله الذي أوحاه محيط بما يكون من عباده لا يخفى عليه شيء، وسيحمّله للدعوة والعمل من يصطفي من الناس بفضله ورحمته، فيكون بإرادته فيهم الظالمون والسبّاقون للخير والجادّون في الحق، وللصالحين نعيم جنة الخلود مع زينة المجوهرات واللباس والسرور والاطمئنان، فيحمدون الله على ما جعلهم فيه من الطمأنينة وأنزلهم فيه من ديار الإقامة الأبدية الخيّرة، وما غفر لهم وأكرمهم، بعيدين عن كل تعب أو إعياء. أما الكافرون فعذابهم أبدي أيضًا ولكنه في جهنم، لا يموتون ليتخلصوا منه ولا يخفف عنهم لينالوا شيئًا من الراحة، وهم يتبادلون الصراخ والعويل، ويطلبون الرجوع إلى الدنيا ليصلحوا ما أفسدوا، فيوبخون بأنهم عاشوا كثيرًا من العمر ولم يتعظوا بما جاءهم من الدعوات الربانية. فليذوقوا جزاء الكفر بلا نصير. وفي هذا تهكم وتقريع على ما كان منهم، وتحقيق أن الله محيط بما في الكون وما في القلوب، يحاسب الناس بالحق، لأن جميع الأشياء منكشفة له على حد سواء، لا فرق بين ما خفي على الخلق وما ظهر لهم.

تفسير المفردات: هو أي: الله تعالى. وجعلكم: صيّركم، أيها الناس. والخلائف: الذين يخلف بعضهم بعضًا في الحياة والأعمال والوراثة، جمع خليفة. وكفر: كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. وكفره أي: جزاء كفره. ولا يزيد: لا يُكسب. وعند ربهم أي: في حسابه وتقديره. والمقت: الغضب والكره الشديد. والخسار: ضياع ما بُذل وما يُنتظر. ٣٩ قل أي: لمشركي مكة وغيرها، أيها النبي. وأرأيتم: تفكّروا أخبروني. والشركاء: جمع شريك. وهو المشارك في الألوهية والعبادة. وتدعون: تعبدونهم وتقدسونهم وتطيعونهم. ودون الله أي: غيره. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأروني: أعلموني. وهذا توكيد لفظي لـ «أرأيتم» قبله. وماذا: أيَّ شيء؟ وخلقوا: أوجدوا وأنشؤوا من العدم. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمراد ما فيها أيضًا من المخلوقات. وأم لهم أي: بل ليس لهم. والشرك: الشركة مع الله. وفي السماوات: في خلق ما يحيط بالأرض من جو وعوالم عُلوية. وأم آتيناهم أي: بل لم نوحِ إليهم. والكتاب: ما يُكتب من الوحي. وهم أي: ليس المشركون. والبينة: الحُجّة الواضحة. وإن يعد: ما يتعهد ويبشّر بشفاعة الأصنام. والظالمون: المشركون. وبعضهم: الكبراء المتبوعون منهم. وبعضًا أي: المستضعفين التابعين. والغرور: الخداع والباطل. ٤٠ يمسك: يثبّت. وتزول: تنحرف عما وُضعت عليه وتتلاشى. ولئن: أُقسِمُ إن.وزالتا أي: قضى الله بزوالهما. وإن أمسكهما: ما يمنع زوالهما. وأحد أي: مخلوق. وإنه: إنّ الله. وكان أي: ولا يزال دون قيد بالزمن. والحليم: ذو العفو المطلق لا يعجل بالانتقام. والغفور: الكثير العفو للذنوب. ٤١ أقسموا: حلف المشركون. والجهد: غاية الاجتهاد. والأيمان: جمع يمين. وهي القسَم. وجاءهم نذير: أُرسل إليهم رسول وبلّغهم. ويكونُنّ: يصيرُنّ. وأهدى: أكثر توجُّهًا إلى الحق. والأمم: جمع أمة، الجماعة من الناس. ولمّا: عندما. والنذير: محمد ﷺ. وزادهم: أضاف إليهم.والنفور: التباعد عن الهدى. ٤٢ الاستكبار: طلب التكبر والتعالي. والأرض: مكة المكرمة وما حولها. والمكر: الكيد والخداع. والسيئ: القبيح. ولا يحيق: لا يحيط وينال. وأهله: أصحابه الذين صنعوه. وهل ينظرون: ما ينتظر المشركون. وسُنّة الأولين: الطريقة التي تحقّقت في الأُمم الماضية من التعذيب. ولن تجد: لن ترى، أيها المخاطب. وسُنّة الله: حكمه الذي قضاه لعقوبة المصرّين على الكفر. والتبديل: التغيير. والتحويل: النقل من المستحقّ إلى غيره. ٤٣ ألم يسيروا أي: لقد تنقلوا وسافروا. والأرض: ما حولهم من البلاد. وينظروا أي: لم يتأملوا ولا فكروا. والعاقبة: الخاتمة والنهاية. والأشد: الأمنع والأحصن. والقوة: الاقتدار والتمكن. وما كان أي: ليس وما يزال. وليعجزه أي: أن يتخلص من قدرته. والشيء: ما كان من المخلوقات. والعليم: المطّلع اطّلاعًا تامًّا. والقدير: الكامل القدرة والتمكّن.٤٤

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا
يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ
كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ
بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن
جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ
وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ
ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا
﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٤

المعنى العام: متابعة بيان قدرات الله بأنه جعل البشر متتابعين في ميادين الحياة زمانًا ومكانًا، فالكافرون منهم يزدادون عند الله كرهًا وينالون جزاءهم غضبًا وخسارة. ولْيأتوا بشيء خلقته آلهتهم، أو شاركت فيه، أو بكتاب منزل يعتمدونه، وليس لهم من ذلك إلّا الأباطيل والمواعيد الكاذبة التي يغري بعضهم بعضًا بها. فالله يقدّر انتظام الكون ومسيرته كما قضى ودبّر، وإن أراد دماره لم يستطع أحد منع ذلك أو تثبيته، وهو الحليم الغفور، لا يعجل الانتقام من المشركين والعُصاة.

وكانت قريش تسخر من أهل الكتاب، وتقول:«لئن بعث الله نبيًّا منّا ما كانت أمة أطوع لخالقها وكتابها منّا»، فنزلت هذه الآيات إلى آخر السورة، توبخهم بأنهم قد ازدادوا كفرًا لنزول القرآن، وذلك لتكبرهم ومقاصدهم الكيد. فليس لهم إلّا انتظار جزاء مكرهم، وما تحقّق في الأمم الكافرة الماضية من سُنّة ربانية لا تتغير. ولقد رأوا ما جرى عليها من عاقبة وخيمة، وهي أشد منهم، وكذلك انتقام الله مما هو أقوى وأعظم، ولكنهم لم يتعظوا فلن ينجوا من نقمة العليم القدير.

تفسير المفردات: يؤاخذ الناس: ينتقم منهم عاجلًا. وبما كسبوا: بسبب ما اقترفوا من الكفر والعصيان. وما ترك: أفنى واستأصل بالعذاب وإزالة النعم. وظهرها: ما ظهر من الأرض للعِيان. والدابّة: ما يمشي أو يتحرك من الأحياء. ولكن: إنما. ويؤخرهم: يؤجل حسابهم. والأجل: الوقت. والمسمَّى: المعيّن عند الله. وجاء: تحقّق تنفيذه. وكان أي: وما يزال. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والبصير: المدرك لخفايا الأمور وظواهرها. ٤٥

المعنى العام: لو حاسب الله الناس على معاصيهم في أوقاتها لأفناهم مع ما سخَّره لهم من المخلوقات، ولكنه يؤجل ذلك إلى أوقاته المحدّدة للانتقام والتعذيب والإهانة، وحين تأتي تلك الأوقات يحاسبهم على ما جمعه عنهم بعلم دقيق كامل.

٣٦- سورة يسٓ

الجزء الثاني والعشرون | سورة يس

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ
ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ — ترتيبها ٣٦ — آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

تفسير المفردات: يسٓ: من الأحرف المقطّعة التي استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ١و- القرآن -: أُقسِم بالقرآن الكريم. والحكيم: المُحكَم بمعجز النظم والتركيب وبديع العلوم والأخبار والمعاني ودقائق العقيدة والشريعة والتوجيه. ٢ إنك أي: أيها النبي. والمرسلون: المكلفون بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ٣ الصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: القويم المعتدل. ٤ التنزيل: الإيحاء على لسان جبريل، مع التكفل بتيسير التبليغ والبيان والحفظ. والعزيز: الغالب لكل ما عداه. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والإحسان إلى المؤمنين. ٥ تنذر: تهدد بعذاب الكافر. والقوم: الجماعة من الناس. وما أُنذر: لم يأتهم منذر. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجدّ. والغافلون: الساهون المنصرفون عن الإيمان إلى شهواتهم. ٦ حق: وجب وثبَت. والقول أي: الحكم الأزلي بحصول ما عليه المتعنتون من استعداد خبيث. والأكثر: الغالبية العظمى. ولا يؤمنون: لا تعرف قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ٧ جعلنا: قدّرنا وصيّرنا. والأعناق: الرِّقاب، جمع عنق. والأغلال: جمع غُلّ، طوق من الحديد تُشد به اليدان إلى العنق. وهي أي: الأغلال. والأذقان: جمع ذقَن، أسفل الوجه. والمقمحون: المشدودة رؤوسهم إلى أعلى. ٨ بين أيديهم أي: أمامهم. والسد: الحاجز القوي. والخلف: الوراء. وأغشيناهم: غطينا أبصارهم وأعميناها. ولا يبصرون: لا يرون بأعينهم ما هو مرئيّ. ٩ السواء: المستويان. وأأنذرتهم أي: إنذارك لهم. ولم تنذرهم أي: عدم إنذارك لهم. ولا يؤمنون: يكذّبون وحدانية الله ودعوة رسوله. ١٠ تنذر: ينفع إنذارك. واتبع الذِّكر: آمن بالقرآن وعمل بما فيه. وخشي: خاف. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. وبالغيب أي: مصاحبًا الخفاء على حواس المخلوقات وإدراكهم. وبشّره: أبلغه ما يسعده. والمغفرة: الستر للذنوب والعفو عنها. والأجر: الثواب. والكريم: الحسن الجميل. ١١ نحيي: سوف نبعث. والموتى: جمع ميت، من فارقت روحه جسده. ونكتب: نسجل. وقدموا: فعلوا في حياتهم. والآثار: جمع أثر، ما يترك الإنسان من تقليد يُتّبع. والشيء: ما هو موجود. وأحصيناه: ضبطنا حسابه. والإمام: السجلّ، اللوح المحفوظ وأُمّ الكتاب. والمبين: الواضح البيان. ١٢

المعنى العام: أقسم الله بالقرآن الكريم على صدق رسالة النبي مكلَّفًا بالدعوة إلى الهداية والصلاح، ليبلِّغ من لم يأتهم رسول قبله فهم تائهون في الضلال، وقد ثبَت ما في العلم الأزلي أن أكثر المعاندين لن يؤمنوا، كأنهم مقيدون محصورون لا يبصرون ولا يتوجّهون إلى صواب، فلا يفيدهم الإنذار والتهديد، وإنما يستجيب للهداية الذين يؤمنون بالقرآن ويعملون بما فيه ويخافون الله دون أن يروه. فلهم البشارة بالمغفرة والثواب، وسوف يُبعث الناس من قبورهم، وقد سجِّلت أعمالهم في اللوح المحفوظ وأُم الكتاب، اللذَينِ يتضمنان بكل وضوح ودقّة واستيفاء ما كان وما سيكون في الوجود.

تفسير المفردات: اضرب لهم: اجعلْ للكفار، أيها النبي. والمَثَل: القصة تُذكر اعتبارًا لشَبهها بحالة حاضرة. والأصحاب: السكان، جمع صاحب. والقرية: البلدة المشهورة. وجاءها: وصل إليها. والمرسلون: المبلِّغون لدعوة التوحيد بكتاب منزل. ١٣ أرسلنا: بعثنا. وإليهم: إلى أهل القرية. واثنين: رسولين. وكذّبوهما: نسبوهما إلى الكذب. وعزّزنا: قوّيناهما. وقالوا أي: الرسل للناس. ومرسلون أي: موجَّهون للدعوة والهداية. ١٤ قالوا أي: الناس للرسل. وما أنتم أي: لستم. والبشر: الآدميون. ومثلنا أي: مماثلون لنا في البشرية لا مزيّة لكم علينا لتكونوا رسلًا. وما أنزل: ما أوحى. الرحمن: الله ذو العطف على الخلق. والشيء: الوحي. وإن أنتم: لستم. وتكذبون: تقولون ما هو باطل مختلق. ١٥ قالوا أي: الرسل للناس. وربنا يعلم أي: نُقسِم بالله وهو يعلم أيضًا. ومرسلون أي: أُرسلنا وكلّفنا بالدعوة. ١٦ ماعلينا إلّا البلاغ: لسنا مسؤولين عن الهداية والضلال لأننا مكلَّفون بالتبليغ فقط. والمبين: الظاهر البيان. ١٧ قالوا أي: الناس. وتطيّرنا بكم: تشاءمنا بحضوركم لِما نرى من البلاء. ولئن: نُقسِم إن. ولم تنتهوا: لم تتركوا ادعاءكم هذا. ونرجمنّكم: نرمينّكم بالحجارة. ويمسّنّكم: يصيبنّكم. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم جدًّا. ١٨ قالوا أي: الرسل. وطائركم معكم: شؤمكم هو من نفوسكم وكفركم. وأإن ذُكّرتم: أبسبب التذكير تشاؤمكم؟ وبل: إنما. والقوم: الجماعة من الناس. والمسرفون: الطاغون المتجاوزون الحد بالشرك. ١٩ جاء: أتى. وأقصى المدينة: أبعد مكان في القرية. والرجل: الذَّكر البالغ من البشر. ويسعى: يسرع في الجري. ويا قومِ: يا قومي. وحذفت الياء للتخفيف. واتّبعوا المرسلين: آمِنوا بما دعوكم إليه. ٢٠ لا يسألكم: لا يطلب منكم. والأجر: المكافأة. والمهتدون: المسترشدون للحق. ٢١ ما لي: أيُّ شيء يدعوني. ولا أعبد: لا أُوحّد بالعبادة. وفطرني: خلقني. وإليه: إلى لقاء موعده يوم القيامة. وترجعون: تردّون أحياء بالبعث للحساب. ٢٢ أأتخذ: لن أجعل. ودونه: غيره. والآلهة: المعبودات، جمع إلَه. ويردنِ: يردني أي: يقصدني. والضرّ: ما يكون فيه الأذى. ولا تغني: لا تدفعُ. والشفاعة: السؤال لإزالة الضرر أو جلب الخير. وشيئًا: أيّما إغناء ! ولا ينقذونِ:لا ينقذوني أي: لا ينصروني بالنجاة.حذفت الياء لموافقة فواصل الآيات. ٢٣ إذًا: لو عبدت غيره. والضلال: الخطأ والخروج على الحق. ٢٤ آمنت: صدّقت يقينًا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واسمعون: اسمعوني أي: تفهموا قولي وأطيعوه. ٢٥ قيل أي: قالت له الملائكة بعد أن قتله قومه. وادخل الجنة: هيّا إلى دخول الجنة. ويا ليت: أتمنى. وقومي: جماعتي التي كنت أعيش بينها. ويعلمون: يعرفون. ٢٦ ما غفر لي: سترُ ذنوبي والعفو عنها. وجعلني: صيّرني. والمكرمون: المعظّمون المبجّلون بالنعم. ٢٧

الجزء الثاني والعشرون — سورة يس

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ
إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ
إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ
بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ
يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن
لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي
يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

المعنى العام: أمرُ النبي ﷺ أن يذكر لمشركي مكة ما كان لمدينةٍ كفر أهلها، فجاءهم الرسل الثلاثة بالتوحيد وأقسموا على صدق ذلك بالله وأنهم جاؤوا بتكليف منه للتبليغ والبيان، فتشاءم المشركون بوجودهم وكذبوهم لأنهم بشر لا مزيّة لهم ليكونوا رسلا، وهدّدوهم بالعذاب والقتل، فأنكر الرسل عليهم بقولهم: إنما شؤمكم من كفركم لا منّا نحن. وكيف تجعلون الوعظ سببًا للتشاؤم، وهو سبب للإيمان؟ دعُوا ما أنتم عليه من الطغيان والزموا الطاعة.

ثم حضر من آخر المدينة رجل مؤمن، دعا القوم إلى تصديق الرسل المهتدين المتجرّدين للدعوة بإخلاص، وأعلن أن كل الأدلة الكونية والقولية تفرض عليه الإيمان بالخالق الذي يحاسب الناس جميعًا يوم القيامة. فلا يجوز له الشرك بآلهة لا تفيد في الدنيا ولا في الآخرة، وإلاّ كان في كفر للحق وضياع محقّق. ثم أكّد لهم الإيمان ودعاهم إليه فقتله المشركون، واستقبلته الملائكة مبشرين له بدخول الجنّة، فتمنى أن يعلم قومه الكافرون ما كان له من مغفرة وإكرام رباني، لعلهم يؤمنون. وللمفسرين في هذا المَثَل زيادات لا أساس لها من الصحة.

تفسير المفردات: ما أنزلنا: ما أرسلنا وما أطلقنا. والقوم: الجماعة من الناس. وبعده: بعد قتل الرجل المؤمن المذكور قبل. والجند: الملائكة لإهلاك الكافرين، واحده جندي. والسماء: العالَمَ العُلوي. وما كنّا: لم نكن. ومنزلين أي: لإهلاك الأقوام المكذّبة. **٢٨** إن كانت: ما كانت عقوبتهم. والصيحة: الصوت العظيم يزلزل ويهدم ويمحق. وإذا هم خامدون: فاجأ الصيحةَ خمودُهم هامدين ميتين. **٢٩** الحسرة: شدة الألم والتلهف. والعباد أي: الكافرون منهم، جمع عبد. وهو المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. وما يأتيهم: ما ينذرهم. والرسول: المكلّف بالدعوة مع العمل. ويستهزئون: يسخرون. **٣٠** ألم يروا أي: قد علم يقينيًّا مشركو مكة المكرمة. وكم أهلكنا: كثرة من استأصلنا بالعذاب. والقرون: جمع قرن. وهو القوم المجتمعون في زمن واحد. ولا يرجعون: لا يعودون أحياء في الدنيا. **٣١** إن كلٌّ لمّا: ما كلُّ الخلائق العاقلة إلّا. وجميع أي: مجتمعون. ولدينا: عندنا يوم القيامة. والمحضرون: المحشورون بالقوة والقهر. **٣٢** آية لهم أي: البرهان القاطع للمشركين على التوحيد والبعث. والأرض أي: بعض أجزائها. والميْتة: اليابسة لا نبات فيها ولا ماء. وأحييناها: خلقنا فيها النشاط وما هو حياة للناس والحيوان والنبات. وأخرجنا: أنبتنا. والحَبّ: واحدته حبة، ثمر النبات والأشجار. ويأكلون: يتغذّون. **٣٣** جعلنا: خلقنا. والجنة: البستان. والنخيل: الشجر ثمره التمر. والأعناب: جمع عِنَب، ثمر الكرمة. وفجّرنا: أظهرنا وأطلقنا. والعيون: جمع عين، يَنبوع الماء. **٣٤** ما عملته: ما صنعته ولا أنبتته. والأيدي: جمع يد. وألا يشكرون: عليهم أن يستحضروا النعمة في أنفسهم، ويثنوا على خالقها بالقلب واللسان والعمل. **٣٥** سبحان: التنزيه عما لا يليق من الصفات. وخلق: أوجد من العدم. والأزواج: جمع زوج. وهوالصنف الذي يكون فيه متقابلان من ذكر وأُنثى. وتنبت: تُخرج. والأنفس: جنس البشر، جمع نفس. ولا يعلمون أي: يجهلونه لأنهم لم يطّلعوا عليه. **٣٦** الليل: ما بين الغروب والفجر. ونسلخ: نفصل. والنهار عكس الليل. وإذا هم مظلمون أي: فاجأ فصلَ النهار دخول المشركين في الظلام. **٣٧** الشمس: النجم النهاري. وتجري: تتحرك وتدور. والمستقرّ: وقت الاستقرار بانتهاء الحياة. وذلك أي: جريان الشمس. والتقدير: التنظيم والتسخير لمصلحة الكون. والعزيز: الغالب لكل شيء. والعليم: المطّلع والمحيط إحاطة تامّة. **٣٨** القمَرَ أي: جعلنا الكوكب الليلي بالتسخير أيضًا. والمنازل: المراتب والأشكال بالنقص والزيادة، جمع منزل. وعاد: صار في رؤية العين. والعُرجون: العود المتقوّس. والقديم: العتيق مضى عليه زمن. **٣٩** ينبغي: يسهل ويتيسّر. وتدرك القمر: تلحقه في مسيره ليلًا. وسابقُ النهار أي: سابقَ انقضائه. وكل أي: كلُّ ما ذُكر. والفلك: المدار المنتظم. ويسبحون: يسيرون ويتحركون. **٤٠**

الجزء الثالث والعشرون — سورة يس

۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ
٢٩ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ
أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ
٣٢ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا
فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ
وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي
خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ
وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ
ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ
ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠

المعنى العام: أن الله لم يُنزل الملائكة على قوم المقتول المؤمن لينتقموا له، وإنما هلكوا هم وأمثالهم بزلازل مدمرة، فيا لِلأسف على الأقوام الكافرة، يردّده الناس متألّمين لِما جرى من الكافرين المجرمين وعليهم، استهزؤوا بالرسل فكان لهم انتقام الاستئصال الرباني. وقد علم مشركو قريش كثرة من أهلك الله من الأمم المكذّبه ثم لم ترجع إلى الحياة الدنيا، وإنما ستُبعث كلها وتُحضر قسرًا للحساب هي وأمثالها من الكافرين بعد. ومن الأدلة لهم على ذلك البعثِ إحياءُ الأرض الجافة تُبعث بالأشجار والينابيع، فيكون فيها غذاؤهم وشرابهم بقدرة الله، سبحانه لِما أنشأ من أزواج النبات والبشر والمخلوقات الغيبية لاستمرار الكون والحياة، وكذلك من الأدلة لهم تميّز الليل عن النهار بالظلام عليهم، وما يكون من الشمس والقمر في الدوران والانتقال ضمن الفلك الخاص، وما يبدو من اختلاف شكل القمر في الليالي المختلفة، وحركة الكلّ من تلك المخلوقات العُلوية محوطة بفلك السماوات العُظمى، ومستمرة حتى تنتهي حياتهم المحدّدة بقدر، كالعقلاء يعيشون ويموتون بأقدارهم.

تفسير المفردات: الآية: البرهان القاطع على التوحيد والبعث. ولهم: لمشركي مكة. وحملنا ذريتهم: قدّرنا حمل أجدادهم القدماء ونجاتهم. والفلك: السفينة الضخمة. والمشحون: المملوء بالمخلوقات. **٤١** خلقنا أي: علّمنا الإنسان الصنع إلهامًا. ومثله: ما يماثل الفلك من أنواع السفن. ويركبون: يكونون في باطنه أو على سطحه. **٤٢** نشاء: نريد إغراقهم. والصريخ: المغيث المنجد. ولا هم: ليسوا. وينقذون: يُنجَون من الغرق. **٤٣** الرحمة: العطف بالإحسان. ومنّا: من عندنا وبأمرنا. والمتاع: التمتع بالعيش. والحين: وقت انتهاء الأجل. **٤٤** قيل لهم أي: خوطب المشركون بالقول جِهارًا. واتّقوا: تجنبوا واحفظوا أنفسكم مما يسببه الكفر والعصيان. وما بين أيديكم أي: العذاب يأتيكم في الدنيا كمن كان قبلكم. والأيدي: جمع يد. وما خلفكم: عذاب الآخرة بعدُ. ولعلكم: ليُترجَّى لكم. وترحمون: يُعطف عليكم بالمغفرة والنعم. **٤٥** ما تأتيهم: ما تصل إليهم ويرونها عِيانًا. والآية: الدلالة الواضحة على صحة النبوة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ومعرضين أي: منصرفين استهانة. **٤٦** أنفِقوا: جودوا على المحتاجين. ورَزقكم: أعطاكم. وكفروا: جحدوا الألوهية والتوحيد. وآمنوا: اعترفت قلوبهم بالتوحيد وما يلزمه. وأنطعم: لن نطعم. ويشاء: أراد إطعامه. وأطعمه: أعطاه ورزقه. وإن أنتم: لستم. والضلال: الخطأ والذهاب عن الحق. والمبين: البيّن الواضح. **٤٧** متى: أيُّ وقت؟ والوعد: وقتُ وقوع العذاب وتحقُّقه. والصادقون: الذين يقولون الحق. **٤٨** ما ينظرون: ما ينتظر المشركون. والصيحة: النفخة العظيمة الأولى. وتأخذهم: تُهلكهم. ويَخِصِّمون: يتنازعون ويختلفون. **٤٩** لا يستطيعون: لا يملكون ولا يتمكّنون. والتوصية: الوصية قبل الموت. ولا: ليسوا. والأهل: الأقارب والعشيرة. ويرجعون: يعودون في الدنيا. **٥٠** نفخ: دفع الهواء بشدة للبعث. وهي النفخة الثانية. والصور: مخلوق عظيم يشبه القرن. وإذا هم: فاجأ النفخةَ أنّ جميع الأموات. وإلى ربهم: إلى موقف حسابه. والأجداث: جمع جَدَث، القبور. وينسلون: يخرجون بسرعة. **٥١** قالوا أي: المشركون المكذبون للبعث. ويا ويلنا: الويل لنا والهلاك. وبعثنا: أحيانا. والمرقد: القبر. وهذا أي: البعث. وما وعد: الذي هدّد به وتعهد بحصوله. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. وصدق: قال ما هو حق. والمرسلون: الرسل والأنبياء. **٥٢** إن كانت: ما كانت عملية البعث. والصيحة: النفخة العظيمة الثانية في الصور تزلزل وتحيي. وهم: البشر. وجميع: كلهم مجتمعين. ولدينا: عندنا للحساب. والمحضرون: المحشورون بالقهر. **٥٣** اليوم: يوم القيامة. ولا تظلم: لا يجار عليها بنقص حسنة أو زيادة سيئة. والنفس: المخلوق المكلَّف. ولا تُجزون: لا تكافؤون. وتعملون: تكتسبونه بالنية أو القول أو الفعل. **٥٤**

سورة يس — الجزء الثالث والعشرون

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

سكتة لطيفة على الألف

المعنى العام: ومن الآيات للمشركين على التوحيد والبعث أن الله أنقذ من الغرق أبناء نوح ومن آمن به، أجدادَ البشر المخاطَبين، ويسر لهم صناعة السفن، ولو أراد الله عدم إنقاذهم لهلكوا خنقًا دون مغيث. فرحمة الله أنقذتهم ويسّرت لهم المتاع في حياتهم المقدّرة، ثم هم يقابلون الوعظ والأدلة الواضحة بالإعراض استهانة وتكبرًا.

ولما رفض المشركون التصدق على المساكين بقولهم: «أيُفقرهم الله، ونطعمهم نحن؟ لا نطعمهم، ونحن نوافق مشيئته، ما أنتم ـ أيها المسلمون ـ إلّا ضالون تائهون في الباطل» نزلت الآيات تصف حالهم، وسخريتهم بالصدقة والإيمان، وتعجيزَهم المؤمنين بالسؤال عن موعد البعث. والحق أنهم تنتظرهم نهاية حتميّة ما هي إلّا نفخة إسرافيل الأُولى، ليموت جميع الأحياء في الأرض فجأة، دون أن يتيسر لأحدهم توصية أو وداع أو عودة. ثم تكون النفخة الثانية فيُبعثون محشورين للحساب، حيث يُدهش الكافرون ساخطين على أنفسهم وداعين عليها بالهلاك نهائيًّا، وحائرين مما يرون متسائلين: من أحيانا بعد الموت؟ فيقابلون بالتوبيخ والتعنيف، أن ما يرونه هو ما وُعدوا به وكذّبوه، وفيه تصديقُ دعوة المرسلين والعدلُ المطلق للجميع، وجزاءُ الكافرين بما كانوا يقترفون...

تفسير المفردات: الأصحاب: جمع صاحب، المرافق كالمالك. والجنّة: البستان العظيم بالسعادة والأشجار والقصور والأنهار. واليوم: يوم القيامة. والشغل: ما يَشغل ويسلّي، كالنعيم وصحبة الأخيار ورضا الله والنظر إليه. والفاكهون: الناعمون بالسعادة رجالًا ونساء. **٥٥** الأزواج: جمع زوج، الزوجات للرجال والأزواج للنساء. والظلال: جمع ظُلّة، ما يظلّل من الحر. والأرائك: جمع أريكة، السرير والفراش. والمتكئون: القاعدون بتمكن وارتياح. **٥٦** الفاكهة: ما يُتناول من الثمار للتلذُّذ. ويدّعون: يتمنَّون ويطلبون. **٥٧** السلام: إرادة حياة في النعيم، مع سلامة من الهموم والأذى والموت. وقولًا أي: بقول من جهة الله، تنقله الملائكة بشارة. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان إلى المؤمنين. **٥٨** امتازوا: انفردوا عن المؤمنين. والمجرمون: الكافرون والمفسدون. **٥٩** ألم أعهد: لقد أبلغتكم. وبنو آدم: البشر. ولا تعبدوا: لا تطيعوا. والشيطان: من يغري بالشر من الجن والإنس. والعدو: المعادي. والمبين: البيّن العداوة. **٦٠** اعبدوني: وحّدوني وأطيعوني. وهذا أي: ما ذُكر من العهد. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. **٦١** أضل: ضلّل الشيطان وسبب الخروج عن الحق. والجِبِلّ: المخلوق المجبول. ولم تكونوا: ما كنتم وتعقلون: تدركون عداوته. **٦٢** جهنم: دار العذاب. توعدون: تهدَّدون بها. **٦٣** اصلوها: قاسُوا عذابها. وبما كنتم تكفرون: بسبب كفركم. **٦٤** نختم على أفواههم: نمنعها من الكلام. والأفواه: جمع فم. وتكلّم وتشهد أي: تنطق وتُقرّ. والأيدي: جمع يد. والأرجل: جمع رِجل. ويكسبون: يفعلونه من نية أو قول أو عمل. **٦٥** نشاء: أردنا في الدنيا. وطمسنا: مسحنا وأعمينا. الأعين: جمع عين. واستبقوا الصراط: أسرعوا باضطراب في الطرق. وأنّى يبصرون: مُحال أن يبصروا جهة السلوك. **٦٦** مسخناهم: غيّرنا صورهم وشوّهناها. ومكانتهم: منازلهم وأماكنهم. وما استطاعوا: ما قدروا ولا تملّكوا. والمضيّ: الذّهاب. ولا يرجعون: لا يقدرون على الرجوع. **٦٧** نعمّره: نطوّل عمره. وننكّسه: نعكس نموه فيستمر ضعفه. والخلق: التكوين. وألا يعقلون: عليهم أن يدركوا ويتعظوا. **٦٨** ما علّمناه الشعر أي: لم نخلق في النبي ﷺ موهبة الشعر منظومًا أو غير منظوم. وما ينبغي: لا يسهل ولا يصحّ. وإن هو: ليس القرآن الكريم. والذكر: التذكير والوعظ. والمبين: المظهر للحقائق العظمى. **٦٩** ينذر: يهدّد بالعذاب. والحي: الآدمي العائش، عُبِّر به عمن يعقل ويؤمن، ليقابل الكافر الذي هو كالميت. ويحق: يجب ويظهر. والقول: القضاء بالعقوبة. والكافرون: المكذبون وحدانية الله ودعوة رسوله. **٧٠**

ربع الحزب ٤٥

الجزء الثالث والعشرون — سورة يس

إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ
فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ
أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ
هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ
أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ
عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

المعنى العام: متابعة وصف ما يكون يوم القيامة بأن المؤمنين مع أزواجهم في نعيم الجنة، بسعادة وهناءة واستقرار ونيل ما يتمنَّون من الفضل العظيم، مع تحية من الله مباركة، وأن الكافرين مُبعدون عنهم يوبَّخون بطاعتهم الشيطانَ الذي حُذّروا عداوته وإغراءاته بالشر، فأضل كثيرًا من البشر، وتركوا التوحيد وطاعة الله. فقد عطلوا عقولهم، وصاروا في جهنم التي أنكروا مجيئها من قبل، وهم يصلَونها يوم القيامة وتشهد عليهم أعضاؤهم بما اكتسبوا. والله قد أنعم عليهم في الدنيا، ولو أراد لذهب بأبصارهم ومسخهم في ديارهم بلا حراك ـ وكذلك يستمرعمر العجوز بالتهافت والاستكانة ـ ولكن أبقى نِعمه عليهم ليستطيعوا التدبر، ولعلهم يشكرون ذلك، فما كان منهم إلّا الكفر والجحود. ولو تدبروا لعرفوا الحق. ولما زعم عُقبة بن أبي مُعيط أن قول النبي ﷺ شِعر، وكان المشركون يرددون معه ذلك الزعم، نزلت الآية بأن محمدًا ﷺ نبي مرسل، وليس من الشعراء، بل ليس له أن يقول الشعر، وذلك للحكمة العالية بإقامة الحجة ودفع مزاعم المكابرين. ولو كان ممن يقول الشعر لتطرقت التهمة إليه، في أن القرآن هو من صنعه وإنشائه، ومن نسج الخيال والأوهام. فما أوحي إليه هو قرآن كريم واضح البيان، يرشد المؤمنين ويُثبت جناية الكافرين.

تفسير المفردات: ألم يروا: لقد علم الكافرون يقينًا. وخلقنا: أوجدنا من العدم. وعملت أيدينا أي: تولينا إحداثه متفردين. والأيدي: جمع يد هنا مبالغة في التعظيم لشأن المخلوق. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. والمالكون: الحائزون الضابطون. ٧١ ذللناها: سخّرناها بالخضوع والعمل. والرَّكوب: المركوب. ويأكلون: يتغذّون بالطعام والشراب. ٧٢ المنافع: جمع مَنفعة، ما يكون فيه خير وفائدة. والمشارب: جمع مَشرب، موضع الشرب هو الضَّرع. وألا يشكرون أي: فلْيشكروا المنعِم ولْيُثنوا عليه بما هو أهله من التوحيد والتمجيد. ٧٣ اتخذوا: جعلوا. ودون الله: غيره. والآلهة: المعبودون، جمع إلَه. ولعلهم: ليترجَّوا. وينصرون: يعانون في الدنيا ويمنعون من العذاب بالشفاعة في الآخرة. ٧٤ لا يستطيعون نصرهم: لا يقدر المعبودون عليه. والجند: المعدّون للدفاع والنصر، واحده جندي. ومحضرون أي: محشورون بالعنف. ٧٥ لا يحزنك: لا يسببْ لك الغمّ والحسرة، أيها النبي. وقولهم: قول المشركين تكذيبًا وعصيانًا. ونعلم: نطّلع ونحيط بالغ الإحاطة. ويسرّون: يخفون عن الخلق في الضمائر. ويعلنون: يطلعون عليه الغير. ٧٦ ألم ير أي: لقد علم يقينًا. والإنسان: العاصِ بن وائل وأمثاله من المنكرين للبعث. وخلقناه: أوجدناه. والنطفة: القطرة الدقيقة من المنيّ. و إذا هو خصيم: فاجأت خلقَ القطرة شدةُ خصومته ونزاعه. والمبين: البيّن الخصومة في إنكار البعث. ٧٧ ضرب: قدّم. ولنا: للسؤال عن قدرتنا على البعث. والمثل: الحال الغريبة لبيان الإنكار. ونسي: ترك التذكر مكابرة. وخلْقه: تكوّنه. وقال أي: العاصِ بن وائل. ويحيي: يبعث بالحياة. والعظام: جمع عظم، القصب أو اللوح الذي يكون عليه اللحم في الإنسان. والرميم: البالية المتفتتة كالتراب. ٧٨ قل أي: له، أيها النبي. وأنشأها: خلقها من العدم. وأول مرّة: في ابتداء الخلق من تراب. والخلق: المخلوق. والعليم: المحيط بكامل التفصيلات والكيفيات. ٨٩ جعل: صيّر. والشجر: النبات له جذر وساق وأغصان، واحده شجرة. والأخضر: الطريّ النابت. والنار: ما يوقد. وإذا أنتم منه توقدون: فاجأ خُضرةَ الشجر إيقادُكم النار. ٨٠ أليس: إنه بحقّ يكون؟ والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والقادر: المستطيع. ومثلهم: المماثل للناس في الذات والصفات. وبلى أي: حقًّا أنه قادر على ذلك. والخلّاق: العظيم الخلق جدًّا. ٨١ أمره: شأنه. وإذا أراد شيئًا: حين قصدِه خلق شيء. وكن أي: احدُث. ويكون: يحدُث. ٨٢ سبحانه: تنزيهًا له عما لا يليق بذاته وصفاته وأفعاله. وبيده: بقبضته وسلطانه. والملكوت: المُلك الكامل. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. وإليه: إلى لقاء حشْره. وترجعون: تردّون بالبعث أحياء في الآخرة. ٨٣

الجزء الثالث والعشرين — سورة يس

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

المعنى العام: المشركون يعلمون أن الله خلق الأنعام لمصلحتهم وحده، مسخّرة يملكونها للركوب والغذاء والانتفاع، وكان عليهم شكر ذلك بالتوحيد، ولكنهم كفروا النعمة وكذّبوا رسوله، وأشركوا به أصنامًا يعتمدون عليها في الدنيا والآخرة، وهي عاجزة تُحرَق في جهنم بلا معين. فلا تجزع - أيها النبي - بكفرهم، لأنا نحاسبهم بذلك.

وجاء العاصِ بنُ وائل بعظم بال وفتته كالتراب وقال: أترى يُحيي اللهُ هذا بعدما بليَ ورَمّ؟ وأجابه النبي ﷺ: «نعم ويُدخِلكَ النارَ»، ونزلت الآيات تبيّن ذلك، لأن هذا المشرك يعلم خلق الله إياه من نطفة لا تملك النمو وحدها، فصار مخاصمًا بالجدال، وقد تناسى كيف خُلق هو فالإجابة له أن الذي أنشأ الإنسان من التراب وجعل بعض الشجر كالمرخ والعَفار يُتخذ من أغصانه عودانِ لقدح النار بالحكّ، الذي فعل ذلك يحيي العظام البالية كالتراب، وأن الذي خلق الكون قادر بحق على بعث الموتى، وعندما يريد شيئًا، فهو يوجَد فعلًا بمجرد الإرادة. وإنما ذُكر الأمر بالكون لبيان سرعة الخلق، بلا قول ولا مقول له. فالتنزيه له عن الشركة، وهو مالك لكل مخلوق وإليه رجوع البشر للحساب يوم القيامة.

٣٧ـ سورة الصافّات

الجزء الثالث والعشرون — سورة الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾
۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

نصف الحزب ٤٥

تفسير المفردات: الصافّات: الملائكة تصطف للعبادة، جمع صافّة. والصافّة واحدها صافّ. وكذلك يقال في الزاجرات والتاليات. ١ الزاجرات: الرياح الدافعات للسُّحب. ٢ التاليات: جماعات قراءة القرآن. والذكر: التلاوة. ٣ الإله: المعبود بحق. والواحد: المتفرد لا مثيل له. ٤ الرب: الخالق المالك المتفرد. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمشارق: أمكنة شروق الشمس مع الأيام، جمع مَشرِق. ٥ زيّنّا: جمّلنا. والدنيا: الأقرب إلى الناس. والزينة: ما يستعمل للتزيين. والكواكب: النجوم المضيئة، جمع كوكب. ٦ الحفظ: الوقاية. والشيطان: مخلوق ناري غير مرئيّ للإنسان عدا الرسول. والمارد: المتمرد على الطاعة. ٧ لا يسّمّعون: لا يستطيعون الإصغاء. والملأ: السادة من الملائكة. والأعلى: المقرَّب من المولى، تعالى. ويُقذفون: يُرجَمون. والجانب: طرف السماء. ٨ الدحور: الطرد والإبعاد. والعذاب: التعذيب. والواصب: الدائم. ٩ خطف: استرق بسرعة. وأتبعه: تبعه وأصابه فقتله. والشهاب: الكوكب المضيء يُرى منقضًّا في السماء. والثاقب: المتوقّد. ١٠ استفتهم: اسأل الكفار ـ أيها النبي ـ للتقرير والتوبيخ. أشد خلقًا: أقوى بنية وأصعب إنشاء. وخلقنا: أوجدْنا من الملائكة والسماوات. وخلقناهم: أنشأنا أباهم آدم. والطين: التراب المجبول بالماء. واللازب: السريع الالتصاق. ١١ عجبتَ: رأيت ـ أيها النبي ـ ما تُنكره من أعمالهم. ويسخرون: يهزؤون بقولك وتعجّبك. ١٢ ذكّروا: وُعظوا ونُصحوا. ولا يذّكرون: لا يتذكرون. أدغمت التاء في الذال. ١٣ رأوا: أبصروا عِيانًا. والآية: المعجزة. ويستسخرون: يبالغون في التهكم. ١٤ قالوا: جاهروا بالقول. وإنْ هذا: ليس الذي يرونه من الآيات الباهرة. والسحر: خداع يخيِّل للإدراك والحواس ما يخالف الواقع. والمبين: البين الخداع. ١٥ إذا متنا: حين نموت. وكنا: صرنا. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. والعظام: جمع عظم، القصب أو اللوح يكون عليه العضل. وأإنا أي: لسنا. والمبعوثون: المخرجون من القبور. ١٦ الآباء: جمع أب. وهو الجد. والأولون: الأقدمون. ١٧ قل أي: لهم. ونعم أي: سوف تُبعثون. والداخرون: الصاغرون. ١٨ هي أي: القيامة. والزجرة: النفخة الثانية في الصور. وإذا هم ينظرون: فاجأتِ الزجرةَ حياتُهم يُبصرون عِيانًا ما يكون. ١٩ قالوا أي: الكفار حينئذ. وياويلنا: الويل والهلاك لنا. وهذا أي: وقت البعث. واليوم: الزمن. والدين: الحساب. ٢٠ الفصل: الحكم بين الخلائق المكلّفة. وتكذّبون: تكفرون وتجحدون. ٢١ احشروا: اجمعوا بالقوة والعنف، أيها الملائكة. وظلموا: كفروا. والأزواج: القرناء من الشياطين، جمع زوج. ويعبدون: يقدسونه من المخلوقات. ٢٢ دون الله: غيره. واهدوهم: سوقوهم. والصراط: الطريق. والجحيم: دار العذاب. ٢٣ قفوهم: أوقفوهم عند الصراط. والمسؤولون: الموبَّخون على ما فعلوا. ٢٤

المعنى العام: أقسمَ الله بالملائكة والرياح والقُرّاء، أنه متفرّد خالقُ الكون والمشارق والمغارب ، ومزيّنُ السماء بالكواكب، للتجميل وحفظها من استراق الشياطين السمعَ، فمن حاول ذلك اخترقه الشهاب وقضى عليه ـ وهذا يُبطل زعم اتصالِ الدجاجلة بالجن ومعرفةِ الشياطين للغيب ـ وأمرَ محمدًا ﷺ أن يبيّن للمشركين ضآلتهم بالنسبة إلى ما في الكون. فقد خلق الله آدم من الطين، وهم يسخرون من ذكر البعث، ويصفون أدلته بالسحر، وينكرون أن تبعث العظام بعد تفتتها كالتراب. فليعلموا أنهم سيبعثون بنفخة واحدة من إسرافيل في الصور، ويحشرون أذلّاء يرون الحقيقة بأعينهم، فيتمنون الهلاك والفناء النهائي لئلّا ينالوا ما يتوقعون من العذاب، ثم يوبَّخون بأن ما هم فيه هو ما أنكروه، حيث يُدفعون مع أصحابهم من الشياطين إلى طريق جهنم، ثم يوقفون للتعنيف بما فعلوا...

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ
الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

تفسير المفردات: مالكم: أيّ شيء يجعلكم؟ ولا تناصرون: لا تتناصرون أي: لا ينصر بعضكم بعضًا. حذفت التاء الثانية للتخفيف. ٢٥ اليوم: يوم القيامة. ومستسلمون أي: منقادون طواعية لأمر الله. ٢٦ أقبل: توجّه. وبعضهم: الواحد منهم أو الأكثر. ويتساءلون: يتخاصمون. ٢٧ قالوا أي: الضعفاء التابعون للزعماء. وتأتوننا: تجيئوننا للإغراء والإكراه. واليمين: الوجه المأمون بالقَسَم.٢٨ قالوا أي: الزعماء المتبوعون للتابعين. وبل أي: ليس الأمر كما ادعيتم. ومؤمنين أي: متصفين بالإيمان. ٢٩ ومن سلطانٍ أي: شيءٌ من القدرة والقوة القاهرة. وبل أي: إنّما. والقوم: الجماعة من الناس. والطاغون: الضالّون. ٣٠ حق علينا: وجب علينا جميعًا. والقول: الحكم. والرب: الخالق المالك المتفرد برعى مصالح ملكه. والذائقون: الذين يقاسون العذاب. ٣١ أغويناكم: أغريناكم. والغاوون: الضالّون. ٣٢ إنهم أي: التابعين والمتبوعين. ويومئذ: يوم القيامة. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والمشتركون: الذين يشارك بعضهم بعضًا. ٣٣ كذلك أي: كما نفعل بهؤلاء. ونفعل: نجزي. والمجرمون: الذين استغرقوا في الشر بالكفر والعصيان. ٣٤ إنهم أي: إنّ المشركين. وقيل لهم: ذُكرتْ لهم عبارة التوحيد. والإلّه: المعبود بحق. ويستكبرون: يترفعون عن القبول. ٣٥ إنأ لتاركو آلهتنا: محال أن نهمل معبوداتنا. والآلهة: جمع إلّه. والشاعر: من ينظم الشعر ويقول ما لا أصل له. والمجنون: الذي فقدَ عقله. ٣٦ بل أي: لقد كذبوا فيما قالوا. وجاء: أُرسل. والحق: ما هو ثابت لا يتغير. وصدّق المرسلين: وافق ما دعا إليه الرسل وأثبته. ٣٧ إنكم يعني: أيها المشركون. والأليم: الشديد الإيلام. ٣٨ ما تجزون: ما تعاقبون. وتعملون: تكتسبونه بالنية أو القول أو الفعل. ٣٩ العباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. والمخلَصون: الذين أخلصهم الله بالسلامة من كل سوء. ٤٠ أولئك أي: المخلَصون. ولهم أي: يخصّهم. والرزق: ما يهيئه الله من المتاع والزينة. والمعلوم: المعيّنُ المقدارِ والصفات. ٤١ الفواكه: ما يؤكل للتلذذ، جمع فاكهة. والمكرمون: الذين يصل إليه ما يريدون من دون طلب. ٤٢ الجنة: البستان العظيم فيه القصور والشجر. والنعيم: حُسن الحال. ٤٣ السرر: جمع سرير، ما يُعدّ للجلوس والراحة. والمتقابلون: المتساوون في التواصل والتزاور والشوق والصفاء. ٤٤ يطاف: يطوف الوِلدان والغلمان. والكأس: الإناء مملوءًا بالشراب. والمَعين: الخمر المرئية بالعيون. ٤٥ البيضاء: الصافية البياض. واللذة: اللذيذة. والشاربون: الذين يشربون منها. ٤٦ لا: ليس. والغول: ما يغتال العقول ويفسدها. ولا هم: ليسوا. وعنها ينزفون: يسكرون بشربها. ٤٧ عندهم: في قصورهم. والقاصرات: الحاجزات. والطرف: العين، أي: قاصراتٌ أبصارهن لأجل أزواجهن. والعِين: جمع عيناء، الواسعة العَين تتسم بالجمال. ٤٨ البَيض: بيض النعام، واحدته بَيضة. والمكنون: المستور بالريش. ٤٩ أقبل: توجه بالكلام. ويتساءلون: يتحدثون. ٥٠ القائل: المتكلم. والقرين: الصاحب الملازم.٥١

المعنى العام: متابعة وصف ما في يوم القيامة، إذ تسأل الزبانية الكافرين موبخين لهم: ما الذي يمنعكم من التناصر؟ والحق أنهم يستسلمون لحكم الله بذل، لاقدرة لهم على حماية أنفسهم. فمن أين لهم أن يدافع بعضهم عن بعض؟ بل يختصمون لأن الضعفاء يلومون الزعماء بتضليلهم، وينكر هؤلاء عليهم ذلك، ويصفونهم بأنهم كفروا لطغيانهم وشهوتهم وكونهم ضالّين، فلا بد من عذابهم معًا.

وهكذا يكون جزاء مشركي مكة، لأنهم لا يحتملون ذكر التوحيد ويصرّون على الشرك، متهمين النبي ﷺ بقول الشعر والجنون، وهو المرسَل بالحق والمصدّق للرسل قبله. فهم أي: المشركون يوم القيامة في عذاب شديد بما عملوا، والمؤمنون في نعيم الجنة بإكرام دائم وتزاور ومودّة، وحولهم الشراب الخالص من الضرر، والزوجات المخلصات مع سعة العيون وتناسب في الجمال شبيه بالتناسب في ظاهر البَيض المصون، وهم في حوار وتآلف بينهم، فيذكر أحدهم صاحبًا له كان كافرًا...

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى
لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ
﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم
مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

تفسير المفردات: يقول أي: الكافر في الدنيا لصاحبه المؤمن. وأإنك أي: كيف تكون؟ والمصدّقون: المؤمنون. **٥٢** أإذا متنا: محال حين موتنا. وكنا: صرنا. والتراب: ما تفتت. والعظام جمع عظم، القصب أو اللوح الذي يكون عليه العضل في الجسم. والمدينون: المجزيّون المحاسبون. **٥٣** قال أي: المؤمن لمن معه في الجنة. ومطلعون أي: متوجّهون بالنظر لنطّلع على حال ذلك الكافر. **٥٤** اطّلع: نظر المؤمن يبحث عن صاحبه. ورآه: أبصره. وسواء الجحيم: وسط نار جهنم. **٥٥** قال أي: المؤمن للكافر. وتالله: أُقسم بالله مع التعجب. وإن كدت: لقد قاربت. وتُردينِ: تُرديني أي: تُهلكني بالضلال.حُذفت الياء لموافقة فواصل الآيات. **٥٦** لولا: لولا وجود. والنعمة: الإنعام بالفضل.والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وكنتُ: صرتُ. والمحضرون: المسوقون بقوة وقهر معك إلى جهنم. **٥٧** أما نحن: ألسنا؟ وبميتين أي: مفارقين أرواحنا. **٥٨** الموتة الأولى: التي في الدنيا. وما نحن: ألسنا؟ وبمعذبين أي: معاقبين ينالنا الإيذاء. **٥٩** هذا أي: ما ذُكر في الآيات ٤٠ـ٥٩. والفوز: النجاح و نيل المطلوب. والعظيم: الضخم لا نظير له. **٦٠** المِثل: المماثل والمشابه. ويعمل: يسعى بجدّ. **٦١** ذلك أي: المذكور عن المؤمنين. وخير أي: أفضل عاقبةً. والنزل: ما يُعَدّ للضيف. والشجرة: النبتة لها جذر وساق وأغصان. والزقّوم: مرّ المذاق لا يُستساغ. **٦٢** جعلناها: ذكرناها في الدنيا. والفتنة: الامتحان لكشف ما في النفوس. والظالمون: الكافرون المتجاوزون للحق. **٦٣** تخرج: تَنبت. وأصل الجحيم: الأماكن السُّفلى من جهنم. **٦٤** الطلع: ما يظهر من الثمر قبل انعقاده. والرؤوس: جمع رأس. والشياطين: جمع شيطان الجن. **٦٥** إنهم أي: المشركين. والآكلون: الملتهمون. والمالئون: الحاشرون. والبطون: بطونهم جمع بطن، ما بين الصدر والفخذين. **٦٦** عليها: على ما يأكلون منها. والشوب: الخليط. والحميم: الماء العالي الحرارة. **٦٧** المرجع: الرجوع بإحساسهم بعد الشرب. **٦٨** ألفوا: وجدوا. الآباء: جمع أب. والضالون: الخارجون عن الحق. **٦٩** الآثار: جمع أثر، مزاعم الشرك. ويهرعون: يُدفعون فيسرعون. **٧٠** ضل: كفر وخرج عن الحق. والأكثر: الغالبية. والأولون: الأقوام الماضية. **٧١** أرسلنا: بعثنا وكلّفنا بالدعوة مع العمل. والمنذِرون: الرسل المهدِّدون بعذاب الكافر. **٧٢** انظر: تفكر وتدبر، أيها السامع أو القارئ. وكان: صار. والعاقبة: النهاية. والمنذَرون: المهدَّدون. **٧٣** العباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والمخلَصون: الذين أخلصهم الله بالسلامة من كل سوء. **٧٤** نادانا: استغاث بنا. ونوح: أول نبي عبد قومه الأصنام. ونعم أي: بلغ الغاية في الخير والنعيم والفضل. والمجيبون: الذين يلبّون دعوة المستغيث. **٧٥** نجيناه: أنقذناه. وأهله: المؤمنون به. والكرب: الغمّ الشديد. والعظيم: الضخم لا مثيل له. **٧٦**

المعنى العام: متابعة حديث المؤمن لأصحابه بأن صديقه الكافر كان في الدنيا يسخر من إيمانه بالبعث منكرًا عليه ذلك، ثم يبحث المؤمن عنه فيراه في وسط الجحيم، ويخاطبه بشماتة أنه كاد يجرّه معه إلى العذاب، ولكن الله تفضل عليه بالرحمة فأنقذه. وهنا يتعجب المؤمنون مما يرون من النعيم الخالد لا موت بعد موتة الدنيا. ثم يخاطب الله أهل الدنيا بأن هذا أفضل النجاح، وليعملوا له بإخلاص، أي: قد سمعتم ما في الجنة، فاعملوا لنواله، وهو بلا شك خير من شجر الزقوم الكريه المنظر والطعم، يلتهمه أهل النار لكثرة ما فيهم من الجوع والعطش، ويضيفون عليه المياه المحرقة، ثم يبقون في الجحيم إلى الأبد.

فقد انقادوا لكفر آبائهم، وكانوا كغالبية الأمم قبلهم في الضلال، إذ جاءتها الرسل فكذبتهم وكانت عاقبتها الاستئصال بالعذاب، عدا من آمن منها. وهذا أعدل ما يكون من العقاب لأنه واقع موقعه الحق. وكذلك ما جرى لقوم نوح استغاث بالله من إصرارهم على الكفر بعد مئات السنوات من الدعوة، فأنجاه مع المؤمنين من الغرق العظيم. وما أعظم إنقاذ الله للمستغيثين ! وما أكرم هذه النجاة !

الجزء الثالث والعشرون — سورة الصافات

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٥

تفسير المفردات: جعلنا: صيّرنا. وذريته: نسل نوح ونسل من آمن معه. والباقين: الذين بقُوا على الحياة فتناسلوا. ٧٧ تركنا عليه: أبقينا ثناء عليه كريمًا. والآخرون: القادمون من الأمم والأنبياء حتى يوم القيامة. ٧٨ السلام: السلامة من كل سوء. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٧٩ كذلك: كما جزينا نوحًا والمؤمنين. ونجزي: نكافئ. والمحسنون: الذين يخلصون العبادة برقابة الله. ٨٠ العباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ٨١ أغرقنا الآخرين: جعلنا موت كفار قومه خنقًا بالماء. ٨٢ الشيعة: الأتباع في أصول العقيدة والشريعة. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. ٨٣ إذ جاء: حين استجاب وأطاع مخلصًا. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وبقلب أي: مع قلب. وهو موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والسليم: الصافي والمعافَى من كل ضلال. ٨٤ الأب: الوالد. وقومه: جماعته من السُّومريِّين الحاميِّين. وتعبدون: تقدسون. ٨٥ والإفك: أسوأ الكذب. والآلهة: جمع إلَه. وهو المعبود. ودون الله: غيره. وأتريدون أي: لا يجوز أن تطلبوا. ٨٦ ما ظنكم: أيُّ شيء اعتقادكم؟ ٨٧ نظر: تأمّل. والنجوم: الكواكب المضيئة، جمع نجم. ٨٨ السقيم: المريض. ٨٩ تولّوا: أعرضوا وانصرفوا. والمدبر: من يوجه ظهره إلى غيره. ٩٠ راغ: مال وتوجه مستخفيًا. وقال أي: للآلهة. وألا تأكلون أي: هيّا كُلوا. ٩١ ما لكم: ما الذي يجعلكم؟ ولا تنطقون: لا تلفظون شيئًا. ٩٢ راغ عليهم: أقبل على الآلهة مسرعًا. والضرب: الخبط للتكسير. واليمين: القوة. ٩٣ أقبلوا: توجه القوم. ويزفون: يسرعون. ٩٤ قال أي: إبراهيم لهم موبخًا. وتنحتون: تشكّلون بأيديكم. ٩٥ خلقكم: أوجدكم من العدم. وتعملون: تصنعونه وتفعلونه. ٩٦ قالوا أي: بعضهم لبعض. وابنوا: شيّدوا. وألقوه: اقذفوه. والجحيم: النار المتوقدة. ٩٧ أرادوا: قصدوا. والكيد: الإيذاء والهلاك. وجعلناهم: صيّرناهم. والأسفلون: المغلوبون المقهورون. ٩٨ قال أي: إبراهيم لمن حوله. والذاهب: المتوجّه. وإلى ربي: إلى ما وجّهني إليه. ويهدين: يهديني أي: يرشدني ويوفقني. حُذفت الياء لموافقة فواصل الآيات. ٩٩ ربِّ أي: يا ربِّي. وحذف حرف النداء لِمَا فيه من معنى التنبيه. وهب لي: ارزقني. والصالحون: الذين يعملون ما يرضي الله. ١٠٠ بشرناه: بلّغناه على لسان الملائكة ما يَسُرّه. والغلام: الوليد الذكر إسماعيل. والحليم: المتزن في تعقله وقت الرجولة ١٠١ لمّا: عندما. وبلغ السعي: صار إسماعيل في مرحلة الجدّ من العمل. وقال أي: إبراهيم لإسماعيل. وبُنيّ: تصغير ابن. وأرى: رأيت مرارًا. والمنام: وقت نومي. وأذبحك أي: أُومَرُ بذبحك. وانظر أي: فكّر وأشر عليّ. وما ذا ترى أي: ما الذي تشير به؟ وقال أي: إسماعيل. ويا أبتِ: يا أبي. وافعل ما تؤمر: نفّذ ما وجب عليك فعلُه بأمر الله. وستجدني: سوف تراني بحق. وشاء أي: أراد أن أصبر. والصابرون: المتحمّلون للبلاء والمحن. ١٠٢

المعنى العام: أن الله أغرق من كذّبوا نوحًا، وأنقذه من ذلك مع المؤمنين، وأبقاهم على الحياة، ثم كان لهم سلالات تتناسل على الأيام والقرون، فتولّد العرب من سام بن نوح - وهو إرم - والروم من يافِث، والسودان من حام، ومن سلالة المؤمنين وأبناء آخرين لنوح أيضًا أقوام آخرون، وخلّد الله - سبحانه وتعالى - لنوح ذكرًا طيّبًا بين الأمم، كما يجزي المحسنين.

وقد تابعه في التوحيد إبراهيم فيما بعد، إذ أنكر على أبيه وقومه المنجّمين عبادة الأصنام وسوء ظنهم بالله، ولمّا تأمل معهم النجوم وطلبوا منه الخروج لعيد لهم، قال: «إنه مريض لا يستطيع الذهاب». ثم أنكر على الأصنام بسخرية أنها لا تأكل من الطعام أمامها، ولا تنطق بجواب، وانهال عليها بالتكسير في غياب الناس، فغضبوا لفعله عندما رجعوا وأردوا إحراقه بالنار، فنصره الله عليهم وأنقذه منها، وألهمه مغادرة مدينة كُوثَى من العراق إلى الأرض المقدسة مقدّرًا له الهداية إلى الخير، حيث رزقه ابنه إسماعيل، فلما شبّ وشارك أباه في السعي والعمل رأى الأب في المنام أنه يذبح ابنه. وعندما أخبره ذلك استجاب بالطاعة صابرًا لتنفيذ أمر الله.

تفسير المفردات: أسلما: تهيَّأا لطاعة أمر الله بالذبح. وتلّه للجبين: ألقى إبراهيم إسماعيلَ على أحد الجنبين يريد ذبحه. ١٠٣ ناديناه: خاطبناه. وأن يا إبراهيم: أي يا إبراهيم. ١٠٤ صدّقت الرؤيا: حقّقت ما رأيت في المنام. وكذلك: كما جزيناك بالرضا والهداية. ونجزي: نكافئ. والمحسنون: المطيعون المخلصون. ١٠٥ هذا أي: أمرنا إياك بالذبح لإسماعيل. والبلاء: الامتحان لإظهار ما في النفس. والمبين: الظاهر البيان. ١٠٦ فديناه: أنقذنا إسماعيل. والذِّبح: ما يُذبح من الضأن. والعظيم: الكبير الكريم. ١٠٧ تركنا عليه: أبقينا ثناء عليه عظيمًا. والآخِرون: القادمون من الأمم والأنبياء حتى يوم القيامة. ١٠٨ السلام: السلامة من كل سوء. ١٠٩ كذلك: كما جزينا إبراهيم. ونجزي: نكافئ. والمحسنون: الذين يخلصون العبادة. ١١٠ العباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والمؤمنون: الذين اعترفت قلوبهم بالتوحيد وما يلزمه. ١١١ بشرناه: بلّغناه ما يَسُرّه. وإسحاق: ابنه أبو يعقوب وجدّ بني إسرائيل. ونبيًّا أي: مقدَّرًا اللهُ له النبوة. والصالحون: الذين يعملون ما يرضي الله. ١١٢ باركنا: أفضنا خيرات الدين والدنيا. وعليه: على إبراهيم. والذرية: النسل. والظالم: الجائر بالكفر والخروج عن الحق. ونفس الإنسان: حقيقته بروحه وجسده. والمبين: البيّن الظلم. ١١٣ مننّا: تفضلنا. وموسى: النبي الذي تلقى التوراة. وهارون: أخوه. ١١٤ نجّيناهما: أنقذناهما.

الجزء الثالث والعشرون — سورة الصافات

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ
صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي
ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ
ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكۡنَا
عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ
﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ
عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ
ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

وقومهما: بنو إسرائيل الحاميُّون السُّومريُّون. والكرب: الغمّ الشديد. والعظيم: الكبير الضخم. ١١٥ ونصرناهم: أعنّاهم. وكانوا: صاروا. والغالبون: المتفوّقون المستعلون على فرعون والأقباط العرب. ١١٦ آتيناهما: أعطينا موسى وهارون. والكتاب: التوراة. والمستبين: الواضح البيان لما فيه من العقيدة والتشريع. ١١٧ هَديناهما: أرشدناهما. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل يوصل إلى الحق والصواب. ١١٨ تركنا عليهما: أبقينا ثناء عليهما كريمًا. ١١٩ السلام: السلامة من كل سوء. ١٢٠ كذلك: كما جزيناهما بالهداية والنصر. ١٢١ إنهما أي: موسى وهارون. ١٢٢ إلياس: نبيّ كان في بعلبكّ. والمرسلون: الذين بُعثوا لتبليغ التوحيد. ١٢٣ وإذ قال أي: حين قال. والقوم: الجماعة التي يعيش بينها الإنسان وهو منها. وألا تتقون أي: تجنَّبوا غضب الله واطلبوا رضاه بالإيمان والطاعة في الأمر والنهي. ١٢٤ وأتدْعون أي: لا يجوز لكم أن تعبدوا. وبعل: اسم صنم لهم. وتذرون: تتركون. والأحسن: الأعظم والأكثر إتقانًا بتفرده. والخالق: من يقدّر تهيئة الشيء وتسويته وينشئه. ١٢٥ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وآباء: جمع أب. وهو الوالد والجدّ. والأولون: الأقدمون ومن جاء بعدهم. ١٢٦

المعنى العام: أن إبراهيم وإسماعيل استجابا لأمر الله وتهيَّأا للذبح، باستسلام إسماعيل على جنبه لذلك، فأعلم الله إبراهيم أنه حقق ما أُمر به في المنام، وهو امتحان خطير نجح فيه مع ابنه إسماعيل، فجزاهما بالرضا على الطاعة الممتازة، وافتدى إسماعيل بكبش للذَّبح بدلًا منه، وخلّد له الذكر الطيب في التاريخ كما يكون للمخلصين في الإيمان، ثم بشّره في شيخوخته وشيخوخة زوجته بولادة إسحاق منهما نبيًّا مباركًا في قومه، مع المباركة له أيضًا باليمن والخير، فتولّد منهم المؤمنون والكافرون.

ثم كان فضل الله على موسى وهارون، فأنقذهما مع بني إسرائيل من بطش فرعون وقومه ومن الغرق، ونصرهم على ظالميهم هؤلاء حتى صاروا المتغلبين، وأوحى إلى موسى وهارون التوراة، وأرشدهما إلى سبيل الحق والصواب، وخلّد ذكرهما بالمديح بين الناس كما يجزي المخلصين للإيمان. وكذلك كان إلياس رسولًا في بعلبكّ، دعا قومه إلى تقوى الله وأنكر عليهم تركَ توحيد الله وعبادةَ الصنم بعل، وحثهم على عبادة خالق الكون والحياة.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم
مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ
وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ
اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

تفسير المفردات: كذّبوه: أنكر قوم إلياس ما جاء به. والمحضرون: المحشورون في النار بالقوة. **١٢٧** العباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والمخلَصون: الذين أخلصهم الله من كل سوء. **١٢٨** تركنا عليه: أبقينا ثناء عليه كريمًا. والآخِرون: القادمون من الأمم حتى يوم القيامة. **١٢٩** والسلام: السلامة من كل شرّ. وإلياسين: إلياس ومَن آمن معه، أي: أن كل مؤمن به أُطلق عليه «إلياس» تغليبًا. **١٣٠** كذلك: كما جزيناه بالرضا والهداية. ونجزي: نكافئ. والمحسنون: المطيعون بإخلاص. **١٣١** المؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. **١٣٢** لوط: ابن هاران أخي إبراهيم، أقام في مدينة سَدُوم قرب حمص يدعو إلى التوحيد. والمرسلون: الذين كلَّفهم الله بالدعوة إلى التوحيد مع العمل. **١٣٣** إذ نجيناه: حين أنقذناه من العذاب المستأصِل. والأهل: الأسرة والمؤمنون. وأجمعين أي: كلهم مجتمعين. **١٣٤** عجوزًا أي: زوجته الكبيرة السنّ كانت تناصر قومها الكافرين. والغابرون: الباقون في العذاب. **١٣٥** دمّرنا: أهلكنا بالتدمير. والآخَرون: المغايرون للوط ومن آمن معه. **١٣٦** وتمرون عليهم: تعبرون قرب ديارهم المدمّرة، يا أهل مكة. والمصبحون: الداخلون في الصباح. **١٣٧** الليل: ما بين الغروب والفجر. ألا تعقلون أي: تدبّروا لتدركوا بعقولكم ما ترون. **١٣٨** يونس: بن متّى وهو ذو النون، أُرسل إلى قوم في نِينَوَى من العراق. **١٣٩** أبق: هرب من قومه بدون إذن الله. والفلك: السفينة الضخمة. والمشحون: المملوء. **١٤٠** ساهم: شارك أهل السفينة في القرعة ليُعلم من يُرمى في البحر. والمدحضون: المغلوبون بالقُرعة. **١٤١** التقمه: ابتلعه. والحوت: السمكة الضخمة لها جوف واسع. والمليم: المستحق للوم. **١٤٢** لولا: لولا حصول. والمسبحون: الذين يذكرون الله وينزهّونه تائبين. **١٤٣** لبث: بقي. وبطنه: بطن الحوت. واليوم: الوقت. ويبعثون: يُخرج الناس من قبورهم أحياء للحساب. **١٤٤** نبذناه: ألقيناه من بطن الحوت. والعراء: الأرض لا نبات فيها. والسقيم: العليل. **١٤٥** أنبتنا: أخرجنا من الأرض. واليقطين: نوع من القرع. **١٤٦** أرسلناه: كلّفناه بالدعوة ثانية. وأو يزيدون أي: بل يتجاوزون مِائَة الألف. **١٤٧** آمنوا: صدّقوا الله ورسوله عند معاينة العذاب قريبًا منهم. ومتعناهم: أبقيناهم ممتَّعين منتفعين. والحين: وقت انقضاء آجالهم. **١٤٨** استفتهم أي: اسأل الكافرين ـ أيها النبي ـ عن القسمة المزعومة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والبنات: الإناث، جمع بنت. والبنون: الذكور، جمع ابن. **١٤٩** خلقنا: أوجدنا وأنشأنا. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية. والإناث: جمع أُنثى. والشاهدون: الحاضرون يدركون ما يرونه. **١٥٠** ألا أي: حقًّا. والإفك: الكذب العظيم. **١٥١** وولدَ: صنع ولدًا لنفسه. والكاذبون: من يقولون الباطل. **١٥٢** أصطفى: هل اصطفى واختار؟ **١٥٣**

الحزب ٤٦

المعنى العام: متابعة حال قوم إلياس، بأنهم أنكروا رسالته وسيُحشرون للعذاب، وخُلِّد ذكره الكريم في التاريخ لإحسانه، كما يُجزَى المحسنون. وكذلك لوط عليه السلام أنقذه الله مع أهله والمؤمنين إلّا امرأته الكافرة، من هلاك الدمار للمكذبين ـ وأنتم تمرّون بديارهم المهدمة كل وقت ولا تتعظون، يا مشركي مكة ـ وكذلك قوم يونس عليه السلام غضب عليهم لأنهم لم يؤمنوا، وغضبوا هم لتهديدهم بالعذاب، فهرب بدون أمر الله إلى سفينة، وأشرفت على الغرق لكثرة ما فيها، فساهم الركاب على من تقع القرعة فيُلقى في البحر لتخفيف الثقل، فوقعت القرعة عليه وعلى آخرين. ولمّا أُلقي ابتلعه الحوت دون مضغٍ وهضمٍ، فاستغاث مسبّحًا تائبًا وألقاه الحوت في الساحل عليلًا، وحفظه الله من حرّ الشمس والأذى بالعناية وعافاه، وأعاده إلى قومه الذين شاهدوا بوادر العذاب وآمنوا، وأنجاهم منه. فليتعظ هؤلاء المشركون في مكة، ويتركوا ما هم عليه من الشرك، بزعم أن الملائكة بنات الله، مع محبتهم للذكور دون الإناث. فهل شهدوا خلق الملائكة؟ إنهم يزعمون الأباطيل، وأن الله اصطفى البنات له وترك لهم البنين، ويئدون البنات لذلك.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ
﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ
﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ
سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ ص

تفسير المفردات: مالكم: أيُّ شيء ينالكم؟ وتحكمون أي: هذا الحكم الفاسد. ١٥٤ ألا تذكّرون: ألا تتذكّرون أي: تذكّروا أنه محال ما تزعمون ودَعُوا الشرك. ١٥٥ أم لكم سلطان: بل ليس عندكم برهان على مزاعمكم؟ والمبين: الواضح البيان. ١٥٦ ائتوا بكتابكم: أحضروا الكتاب الذي تعتمدون عليه. والصادقون: الذين يقولون الحق. ١٥٧ جعلوا: صيّر المشركون. وبينه: بين الله. والجِنّة: الملائكة وهم مختفون عن الأبصار. والنسب: القرابة بالولادة. وعلمتْ: أدركتْ باليقين. وإنهم لمحضرون: إنّ عابديهم المشركين لمحشورون بالعنف لحضور الحساب والعذاب. ١٥٨ سبحان الله: تنزيهًا له. ويصفون: يزعمه المشركون من الأوصاف الباطلة. وفي هذا تعليم للناس ما يجب عليهم من التسبيح. ١٥٩ العباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والمخلَصون: الذين أخلصهم الله من كل شر. ١٦٠ إنكم يعني: أيها المشركون. وتعبدون أي: تقدسونه من الأصنام. ١٦١ ما أنتم أي: لستم. وعليه: على معبودكم. والفاتنون: المفسدون المضلّون. ١٦٢ صالِ الجحيم: صالي الجحيم: المقاسي لنار جهنم المتقدة.حذفت الياء تبعًا لرسم المصاحف. ١٦٣ ما منّا: لا أحد منّا، نحن الملائكة. والمَقام: مكان القيام بالعبادة. والمعلوم: المعروف المحدَّد. ١٦٤ الصافّون: المنتظمون في صفوف للعبادة والطاعة. ١٦٥ المسبحون: المنزِّهون الله عما لا يليق به. ١٦٦ إنْ كانوا أي: لقد كان كفار مكة قبل البِعثة النبوية. ويقولون: يجاهرون بالقول. ١٦٧ لو أي: لو حصل. والذكر: الكتاب الإلّهي يعظ وينبّه. ومن الأولين: من كتب القدماء. ١٦٨ لكنّا: لصِرنا. ١٦٩ كفروا به: كذّبوا القرآن الكريم الذي جاءهم. وسوف يعلمون: لا بدّ أن يدركوا باليقين عاقبة كفرهم. ١٧٠ سبقت: قُضي تحققُها في أُمّ الكتاب. والكلمة: القول. والمرسلون: الرسل يكلَّفون بالدعوة إلى التوحيد والشريعة مع العمل. ١٧١المنصورون: المعانُون المتغلّبون على عدوهم. ١٧٢ جندنا أي: المؤمنون. والواحد جندي، التابع استعدّ للنزاع والقتال. والغالبون: المنتصرون على عدوهم. ١٧٣ تولّ عنهم: أعرض عن خصام المشركين وقتالهم، أيها النبي. وحتى حين: إلى وقت الأمر بالقتال. ١٧٤ أبصرهم: أجّل أمرهم وانتظر لترى ما يحل بهم. ويبصرون: يرون نزول العذاب بالقتل والأسر والهوان. ١٧٥أبعذابنا يستعجلون: لا يطلبوا تعجيل وقوع العذاب قبل موعده المحدّد. ١٧٦ نزل: وقع. والساحة: ما كان من أرض أمام البيوت. وساء: بلغ الغاية في السوء والشر، حتى صار مما يُتعجّب منه. والصباح: تصبيح العدوّ بالغارة، استعير لنزول العذاب صباحًا. والمنذَرون: المهدَّدون بالعذاب. ١٧٧ حتى حين: حتى يأذن الله بعذابهم. ١٧٨ أبصر: انتظر لترى ما ينزل بهم ١٧٩ العزة: الغلبة. ١٨٠ والسلام: التحية بالسلامة والأمان. ١٨١ الحمد: الثناء بالجميل على النعم. والعالَمون: مجموع أجناس المخلوقات. ١٨٢

المعنى العام: كان بعض المشركين يزعمون أن الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر: فمَن أُمّهاتهم؟ قالوا: بنات الجنّ. فنزلت الآيات تكذبهم، إذ ليس عندهم برهان ولا كتاب بذلك، وسيحاسبون عليه، والتنزيه لله عنه، وهم يُضلون به من يعرّض نفسه لجهنم.

ولمّا بلغ النبيُّ ﷺ في المعراج سِدرة المنتهى تأخّر عنه جبريل، فقال له: «أهُنا تُفارِقُني»؟ فقال: ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني. وأنزل الله ذِكر جبريل تحديدَ أمكنة الملائكة وانتظامَهم للعبادة.

أما المشركون فكانوا يتمنّون نزول كتاب عليهم ليؤمنوا، وهاهم أولاء يكفرون بالقرآن، وسيأتيهم ما وعد الله به الرسل من النصر. وعندما نزل هذا التهديد، قال المشركون: «يا محمد، أرِنا العذاب الذي تخوّفنا به عجّله لنا»، فنزلت الآيات ١٧٦ـ ١٧٩ بألّا يستعجلوا، وسوف يأتيهم في وقته المحدد، وما أسوأه حين ينزل! فلا تَشغل نفسك بخصامهم ـ أيها النبي ـ وانتظر ما سيرونه عيانًا من البلاء. والتنزيه لله عما يصفون والثناء عليه لِما أنعم، والأمان والنصر للرسل والمؤمنين.

٣٨ـ سورة صٓ

تفسير المفردات: صٓ: من الأحرف المقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. والذكر: البيان وتوضيح ما يُحتاج إليه. ١ كفروا: كذَّبوا من مشركي مكة وعصَوا. والعزة: التكبر عن الإيمان. والشقاق: المعاداة والخصام للنبي ﷺ. ٢ كم أهلكنا: كثيرًا أفنينا بالعذاب ! والقرن: الأمة والقوم. ونادَوا: رفعوا أصواتهم بالاستغاثة. ولات حين مناص: ليس الوقت وقت فرار ولا نجاة. ٣ عجبوا: دَهِش كفّار مكة وأنكروا. وأن جاءهم منذر: من مجيء رسول يهدّدهم. ومنهم: من جنسهم. والساحر: من يوهم بالخداع ما ليس واقعًا. والكذاب: من يقول الباطل. ٤ أجعل: ليس له أن يصيّر. والآلهة: جمع إلَه. وهو المعبود. وواحدًا أي: إلَهًا متفردًا. وهذا أي: الذي يقوله. والعجاب: العجيب جدًّا. ٥ انطلق: انصرف من المجالس. والملأ: سادة قريش. وأن امشوا يعني: أي : دوموا على ما أنتم عليه. واصبروا: استمرّوا بصبر. وعلى آلهتكم: على عبادتها. وهذا أي: التوحيد. يراد أي: يُقصد فرضه علينا. ٦ ما سمعنا: ما بلغَنا خبر. والمِلّة الآخرة: دين الآباء المشركين من العرب. وإنْ هذا: ما هذا التوحيد. والاختلاق: الكذب. ٧ أأُنزل عليه: لم يُنزل على محمد ﷺ. والذكر: القرآن. والشك: التردد. وذكري أي: وحيي. ولمّا يذوقوا: لم ينالوا حتى الآنَ وسينالون. وعذاب: عذابي أي: تعذيبي.حذفت الياء لموافقة فواصل الآيات. ٨ أم عندهم: بل ليس في حوزتهم. والخزائن: جمع خزينة، الشيء المخزون. والرحمة: العطف بالنعم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعزيز: الغالب لِما سواه. والوهاب: من يَهب بكثرةٍ ما يريد. ٩ أم لهم: بل ليس لهم. والملك: الحيازة والتصرف. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وليرتقوا: لِيصعدوا ليأتوا بالوحي كما يريدون. والأسباب: الطرق المؤدّيه إلى السماء، جمع سبب. ١٠ جند ما أي: جنودهم المهيَّؤون للحرب حقيرون لا قيمة لهم. وهنالك: في تكذيبهم. والمهزوم: المغلوب. والأحزاب: جمع حزب، الجماعة على دين أو زعامة في الأمم الماضية. ١١ كذّبت أي نَسبتْ إلى الكذب: رسولَها. والقوم: الجماعة من الناس. ونوح: أول نبي كان قومه يعبدون الأصنام. وعاد: قوم النبي هود. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. وذو الأوتاد: صاحبها المشهور بها. والأوتاد: جمع وَتِد، ما تُشدّ به أطراف السجناء إلى الأرض أو الجدار. ١٢ ثمود: قوم النبي صالح. ولوط: ابن أخي إبراهيم. والأصحاب: جمع صاحب. والأيكة: الأشجار الملتفة. وأصحابها هم قوم النبي شُعيب.١٣ إنْ كلٌّ: ما كلُّ هؤلاء. والرسل: جمع رسول. وحق: وجب وتحقق. وعقابِ: عقابي أي: انتقامي. ١٤ ما ينظر: ما ينتظر. وهؤلاء أي: كفّار مكة. والصيحة: النفخة الثانية في الصور يُبعث بها الناس. وما لها من فواق: لا تُردّ عنهم ولا تتأخر. ١٥ عجّل لنا أي: قدّم لنا. والقطّ: سجلّ العمل. واليوم: الزمن. والحساب: المحاسبة.١٦

الجزء الثالث والعشرون — سورة صٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا
أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ
عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ
﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم
مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾
جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

المعنى العام: أقسم الله بالقرآن لتكذيب المشركين ودواعي خصامهم، وما أكثر الأمم المكذِّبة استغاثت من الهلاك، ولم يكن لها نجاة !

فهؤلاء مشركو مكة ينكرون نبوة إنسان منهم، ويتهمونه بالسحر والكذب في التوحيد، بدعوى أن هذا لا يُعرف فيما كان عليه آباؤهم من قبل، ويصرّون على الشرك، ويرتابون في القرآن دون دليل، ولسوف ينالون العقاب. فليس لهم أن يوزعوا النبوات، ولا التصرف في الكون والهداية. وإلاّ فليصعدوا إلى السماء ليحقّقوا مزاعمهم. ولقد أُهلكت بالعذاب قبلهم جنود الأُمم المكذبة لنوح وهود وموسى وصالح ولوط، كما سيُهزم هؤلاء قريبًا، ولهم بالبعث حساب آخر لا مفرّ منه. و لما نزلت الآية ١٩ من سورة الحاقة، بأن الإنسان يتسلم سجلّ عمله يوم القيامة، سخر المشركون من ذلك وطلبوا تعجيل تسليمهم سجلاّتهم قبل يوم القيامة.

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٧)
إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ (١٨) وَٱلطَّيْرَ
مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ (٢٠) ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟
ٱلْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ
خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ (٢٣) قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩
(٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ
(٢٥) يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ (٢٦)

تفسير المفردات: اصبر: تجلد، أيها النبي. ويقولون أي: يذكره المشركون لك من المزعجات. واذكر: تذكّر للاعتبار. والعبد: المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. وداود من أنبياء بني إسرائيل. وذو الأيد: صاحب القوة في الجهاد والعبادة. والأوّاب: الكثير العودة إلى مرضاة الله وطاعته. **١٧** سخرنا: ذلّلنا وكلفنا بالعمل. والجبال: جمع جبل، ما غلظ وارتفع من الأرض. ومعه أي: مقتدية به في الطاعة. ويسبّحن أي: يكون منهن بلسان الحال ما يؤكد التنزيه لله عما لا يليق به. والعشيّ: وقت صلاة المغرب. والإشراق: وقت صلاة الضُّحى. **١٨** الطير: واحدها طائر، ما يحلق بجناحيه. ومحشورة أي: مجموعة لديه للتسبيح أيضًا. وكلٌّ: كلُّ شيء من الجبال والطير. وله: لداود. وأوّاب: شديد الطاعة. **١٩** شددنا: قوّينا. والمُلك: السيادة والتصرُّف. وآتيناه: أعطيناه. والحِكمة: النبوة. وفصل الخطاب: البيان الشافي لكل مطلوب. **٢٠** أتاك: بلغك، أيها النبي. والنبأ: الخبر العظيم. والخصم: المتخاصمون. وهم رجلان متخاصمان على نعجة، عُبِّر عنهما بالجمع للمبالغة. وتسوّروا المِحراب: ارتقَوا جدار المسجد للدخول. **٢١** إذ دخلوا: حين اقتحموا المسجد. وفزع: اضطرب لأنهم دخلوا فجأة، فظنّ بهم شرًّا. ولا تخف: اطمئنَّ ولا تفزع. وخصمان: متخاصمان نريد حكمك. وبغى بعضنا: تجاوز أحدنا الصواب. واحكم: اقض وافصل. والحق: العدل. ولا تشطط: أنصِف ولا تجُر. واهدنا: أرشدنا. وسواء الصراط: وسط الطريق أي: الصواب. **٢٢** النعجة: الأُنثى من الضأن. وقال أي: لي. وأكفلنيها: اجعلني كافلها وراعيها. وعزَّني: اشتدّ عليّ وغلبني. والخطاب: الجدال. **٢٣** قال أي: داود للمتكلم قبل. وظلمك: جار عليك واعتدى. والسؤال: الطلب. والكثير: العدد الوافر. والخلطاء: جمع خليط، الشريك والمخالط في العمل. ويبغي: يجور ويعتدي. والبعض: الواحد أو الأكثر. وآمنوا: اعترفت قلوبهم بالتوحيد وما يلزمه. وعملوا: اكتسبوا. والصالحات: الأعمال التي ترضي الله. وقليل ما هم أي: هم قليلون. وظنّ: أيقن. وفتنّاه: امتحناه بهذه الخصومة. واستغفر: طلب ستر الذنب والعفو عنه. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وخرّ راكعًا: سقط بسرعة على ركبتيه. وأناب: رجع عما لا يليق بالأنبياء. **٢٤** غفرنا: سترنا ومحونا. وذلك: تعجُّله في الحكم. وعندنا: في المنزلة المقربة. والزُّلفى: زيادة الخير في الدنيا. والحُسن: الجمال. والمآب: المصير في الآخرة. **٢٥** جعلناك خليفة: استخلفناك على المُلك والدعوة. والأرض أي: ما حولك من البلاد. والناس: مَن عندك من البشر. والحق: العدل. ولا تتبع: لا تنقد ولا تخضع. والهوى: الميل المتبادِر للنفس. ويُضلك: يُخرِجك ويَصرفك. والسبيل: الطريق الظاهر. ويَضلون: يَخرجون وينصرفون. وسبيل الله: شريعته ودينه. والعذاب: التعذيب في الدنيا والآخرة. والشديد: القوي. وبما نسوا أي: بسبب نسيانهم وتجاهلهم. واليوم: الوقت. والحساب: المحاسبة على الخير والشر. **٢٦**

ربع الحزب ٤٦

السجدة
عند أبي حنيفة ومالك

المعنى العام: أن الله يأمر النبي الكريم بالصبر والاعتصام به، وتذكُّر ما كان لداود القوي العزيز من مثل ذلك. فقد أكرمه المولى بطواعية الجبال والطير له في ترديد التسبيح، وبالسلطة والحكمة والنفاذ في الأمور. ومع ذلك كان له زَلّة لا يُعرف تفصيلها كما هو. فقد تسلق جدارَ المسجد عليه رجلان، يشكو أحدهما ظلم الآخر باحتجاز نعجته غصبًا وضمِّها إلى نعاجه التسع والتسعين، وحكم داود بظلم الآخر دون أن يسمع رأيه ـ وما أكثر طغيان بعض الناس على بعض ـ! ثم علم أنه لم يصبر وتعجّل في الحكم وقد يكون جائرًا، فاستغفر وركع تائبًا، وغفر الله له وأعلى منزلته في الدنيا والآخرة، وجعله خليفة ومَلِكًا وأمره بالحق وعدم التسرع في الحكم، لئلّا يكون كالضالّين المتجاهلين للبعث والمعذَّبين يوم القيامة أشدَّ العذاب. والقصة التي يوردها المفسرون عن طلب داود امرأةَ غيره هي من أكاذيب الإسرائيليات، وقال فيها الإمام عليّ ﷺ: مَن حدّث بحديث داود، على ما يرويه القُصّاص، جلدتُه مِائَةً وستّين. وهي حدّ الفِرْية على الأنبياء.

تفسير المفردات: ما خلقنا: ما أوجدنا. والسماء: ما يحيط بالأرض من جو ومخلوقات عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وباطلًا أي: عبثًا لغير حِكمة. وذلك أي: الخلق بلا غاية وحكمة. والظنّ: المظنون جهلًا. وكفروا: كذبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والويل: الدعاء بالعذاب الشديد. والنار: نار جهنم. ٢٧ أم نجعل أي: بل لن نصيّر. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا. والصالحات: ما حسّنه الشرع. والمفسدون: الملازمون للشر ينشرونه بين المخلوقات. والمتقون: الذين يتجنّبون غضب الله ويطلبون الرضا. والفجّار: جمع فاجر، المنهمك في المعاصي. ٢٨ الكتاب: القرآن الكريم. وأنزلناه: أوحينا به على لسان جبريل. والمبارك: العميم الخير. ويدّبّروا: يتدبّروا أي: يتفهموا ويُدركوا. والآيات: النصوص الكريمة. ويتذكّر: يتّعظ. وأولو الألباب: أصحاب العقول الراسخة في الحق. وأولو واحده ذو. والألباب: جمع لب. ٢٩ وَهبنا: أعطينا. وسليمان: ابن داود. ونعمَ: بلغ الغاية في الخير والفضل. والعبد: المخلوق ملكًا وقهرًا وتعبُّدًا. والأوّاب: الكثير العودة إلى ذكر الله وتسبيحه ورضاه. ٣٠ إذ عُرض عليه: حين أُظهرت أمامه ليراها. والعشيّ: ما بعد الظهر. والصافنات: جمع صافنة من الخيل، يقوم كل منها على ثلاث وتضع الرابعة على طرف حافرها. والجياد: جمع جواد، الفرس السابق. ٣١ أحببت: ودِدت. والخير: ما في الخيل من المنافع. وعن ذكر ربي: لذكره وأمره بالتقوى. والرب: الخالق المالك المتفرد. وتوارت أي: جرت الخيل واختفت. والحجاب: المكان العالي يُخفي ما وراءه. ٣٢ رُدُّوها: أعيدوا عرضَها. وطفق: جعل. والمسح: تمرير الكفّ والتربيت تلطُّفًا. والسوق: جمع ساق. والأعناق: جمع عنق، الرقبة. ٣٣ فتنّا: ابتلينا بمُصيبة. وألقينا: رمينا. والكرسي: كرسي المُلك. والجسد: الطفل المشوّه ولدته إحدى زوجاته. وأناب: رجع إلى الطاعة والاستغفار. ٣٤ ربِّ: يا ربّي. واغفر: امسح الذنب. وهب لي: أعطني. والمُلك: التسلط والتحكم في الأُمور. ولا ينبغي: لا يكون. والأحد: الإنسان. والوهّاب: العظيم العطاء. ٣٥ سخّرنا: ذلّلنا. والريح: الهواء المتحرك. وتجري: تسير. وأمره: طلبه. والرخاء: الرخيّة اللينة. وأصاب: أراد. ٣٦ الشياطين: جمع شيطان، من يوسوس بالشر من الجنّ. والبنّاء: الذي يبني الأبنية العجيبة. والغوّاص: الذي يغوص في البحر ويستخرج اللؤلؤ. ٣٧ الآخَرين: الشياطين المغايرين لأولئك. والمقرنون: المشدودون. و الأصفاد: جمع صفد، ما تُشد اليدان به إلى العنق. ٣٨ العطاء: ما يعطَى. وامنُن: أعطِ من شئتَ بمنٍّ. وأمسك: امنع عطاء من شئتَ. وبغير حساب: من دون محاسبة لمن تعطي أو تمنع. ٣٩ عندنا: في المنزلة المقرّبة. والزُّلفى: زيادة الخير في الدنيا. والحُسن: الجمال. والمآب: المصير في الآخرة. ٤٠ اذكر: تذكّر للاعتبار، أيها النبي. وأيوب: من حفدة إسحاق نبيٌّ كان شمال البحر الميت. ونادى: استغاث بالدعاء. ومسني: أصابني. والنُّصب: الضرر. والعذاب: الألم. ٤١ اركض: اضرب. والرِّجل: القدم. والمغتسل: الماء يُغتسل به. والشراب: ما يصلح للشرب. ٤٢

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ
﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ
﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ
أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ
لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ
كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا
عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ
مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

المعنى العام: إنما خلق الله الكون لحكمة وقصد رباني عظيم، لا عبثًا كما يظنّ الكافرون المهيَّؤون لنار جهنم، ولن تكون عاقبة المؤمنين والمتقين كالكافرين والمفسدين. فقد أنزل القرآن مباركًا ليهتدي به ذوو العقول المطمئنة، ووهب لداود ابنه سليمان العابد الأوّاب، فاستعرض عشية يومٍ الخيل المعدّة للجهاد بمحبة وطاعة لله، وحينما بعدت عنه استعاد عرضها يكرمها ويتودد إليها بمسح سوقها وأعناقها. ولمّا أقسم أن نساءه ستلد له الفرسان المجاهدين، ولم يقل: «إن شاء الله»، امتحنه الله بعدم إنجابهن، إلّا واحدة جاءت بنصف ولد، كأنه الوارث لعرش ملكه، فتاب لذلك ودعا أن يكون له ملك متميز، وسخر اللهُ لأمره الريح وشياطين الجن خادمة ومذلّلة، يعطي ويمنع بغير حساب، وله المنزلة الكريمة. وأيوب في ذكره عظة واطمئنان إلى عون الله، أُصيب بفقد أهله وأمراض شديدة، واستغاث بالله، فيسّر له تفجر نبع بارد يغتسل به ويشرب منه للشفاء.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ
نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ
إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ
وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ
﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ
ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ
لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

نصف الحزب ٤٦

تفسير المفردات: وَهبنا له: أعطيناه. والأهل: الأُسرة. ومثلهم: ما هو بقدرهم. والرحمة: العطف بالنعم. ومنا: من عندنا. والذكرى: العِظة. وأولو الألباب: أصحاب العقول المطمئنة. وأولو واحده ذو. والألباب: جمع لب. **٤٣** خذ: أمسك. والضغث: الحُزمة من الأغصان. واضرب به: اقرع به للبرِّ بقَسَمك. ولا تحنث: لا تذنب بمخالفة القَسم. ووجدناه: حقّقنا علمنا ظاهرًا في الواقع. والصابر: من يتجلّد. ونعمَ: بلغ الغاية في الخير والفضل. والعبد: المخلوق. والأوّاب: الكثير العودة إلى طاعة الله. **٤٤** اذكر: تذكّر للعظة، أيها النبي. العباد: جمع عبد. وإسحاق: ابن إبراهيم. ويعقوب: ابن إسحاق. وأولو الأيدي: أصحاب العزم في الطاعة والعبادة. والأيدي: جمع يد، أي: القوة. والأبصار: جمع بصيرة، التدبر والتفكير. **٤٥** أخلصناهم: جعلناهم خالصين لنا من كل ما يَشغل. وبخالصة: بسبب خَصلة صافية. والذكرى: التذكر للاعتبار. والدار: الآخرة. **٤٦** عندنا: في حكمنا وتقديرنا للمنزلة. والمصطفَون: المختارون للصلاح. والأخيار: جمع خيّر، الكثير العمل الصالح. **٤٧** إسماعيل: ابن إبراهيم. واليسع: استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استُنبئ. وذو الكفل: بِشر بن أيّوب. وكلٌّ: كلُّ واحد مِن داود ومَن ذكر بعده. **٤٨** الذكر: التشريف بإيراد الخبر والصفات. والمتقون: الذين يتجنبون غضب الله ويلزمون الطاعة. والحُسن: الجمال. والمآب: المصير في الآخرة. **٤٩** الجنة: البستان العظيم بالنعيم. والعدن: الإقامة الدائمة. والمفتَّحة: المُشرَعة لتيسير الدخول. والأبواب: جمع باب. **٥٠** المتكئون: الجالسون باستقرار وطمأنينة. ويدعون بفاكهة: يطلبون الثمار اللذيذة. والشراب: ما يُشرب من العسل واللبن والخمر. **٥١** عندهم أي: في منازلهم. وقاصرات الطرف أي: نساء حابسات النظر على الأزواج. والأتراب: اللواتي في عمر واحد، جمع تِرب. **٥٢** هذا أي: ما ذكر في الآيات ٤٩ـ٥٢. وتوعدون: تبشَّرون به ويهيأ لكم، أيها المتقون. واليوم: الوقت. والحساب: المحاسبة. **٥٣** الرزق: ما يهيأ للخلق. ومن نفادٍ: انتهاءٌ. **٥٤** هذا أي: المذكور للمتقين. والطاغون: الكافرون المتجاوزون للحق. والشرّ: السوء. والمآب: المرجع الذي يُنتهى إليه. **٥٥** جهنم: دار العذاب في الآخرة. ويصلونها: يدخلونها ويقاسون أهوالها. وبئس: بلغ الغاية في الشر والبؤس والفساد. والمهاد: الفراش. **٥٦** هذا أي: العذاب المذكور. ولْيذوقوه: لِيقاسوه ويعانوه. والحميم: الماء المُحرِق. والغسّاق: ما يسيل من جسم أهل النار. **٥٧** آخَر أي: عذاب من نوع مغاير. وشكله أي: مثل المذكور في الشدّة والإيذاء. والأزواج: جمع زوج. وهو الصنف. **٥٨** الفوج: الجمع من الناس. والمقتحم: الداخل بعنف تَضطره ملائكة العذاب إلى رمي نفسه. ومعكم: مع زعماء الكافرين. ولا مرحبًا بهم: لاسَعة عليهم، أي: الضيق والشِّدّة لهم. وصالو النار: مقاسو حرها وأهوالها. **٥٩** قالوا أي: ضعفاء الكفار لزعمائهم. وأنتم لا مرحبًا بكم أي: أنتم أحق بهذا الدعاء. وقدمتموه لنا: أوقعتمونا فيه بما زيّنتم. والقرار: مكان الاستقرار والإقامة. **٦٠** قالوا أي: الضعفاء. وربّنا: يا ربّنا. وزده: أضف إليه. والضعف: المضاعف. والنار: نار جهنم. **٦١**

المعنى العام: أن الله عوّض أيوب مما فقده بأهل مضاعفين، ويسر له البر بقَسمه أن يجمع حُزمة يضرب بها فتكون كالعدد الذي أقسم عليه. وكذلك كان الأنبياء من مثل إبراهيم ومَن بعده، على عزم وبصيرة وإخلاص وتقوى وطلب للخير وذكرِهم للتمجيد واقتداء الأتقياء بهم، فسيكون لهم نعيم الجنة باطمئنان ومتع من اللذات والزوجات الشابات المخلصات، وعْدًا من الله لا ينقص ولا يبيد في يوم القيامة. هذا هو نعيم المؤمنين، وللكافرين عاقبة وخيمة، نار جهنم يقاسون شدائدها مع المياه المحرقة وصديدِ تمزُّقِ الجراح الملتهبة، وأنواع مختلفة من التعذيب. وعندما يدخل ضعفاء الكفّار جهنم يستقبلهم الزعماء بالسخط والدعاء أن تُضيّق عليهم الأحوال ويشتدّ العذاب، فيرد الضعفاء بأن يكون ذلك للزعماء مضاعفًا. وما أفظع ما يكون للزعماء الذين قدّموا لهم هذا العقاب!

تفسير المفردات: قالوا أي: الكفّار في جهنم. وما لنا: أيّ شيء حاصل لنا؟ ولا نرى: لا نبصر في النار. والرجال: جمع رجل، الذكر من البشر. ونعدّهم: نظنهم في الدنيا. والأشرار: جمع شَرّ. وهو الفاسد. ٦٢ أتخذناهم سخريًا: أَلسُخريتنا منهم على خطأ؟ وزاغت: مالت وانحرفت. والأبصار: جمع بصر. ٦٣ الحق: الواجب الوقوع. والتخاصم: تبادل الدعاء والمذمّة. والأهل: الملازمون للشيء. والنار: نار جهنم. ٦٤ قل أي: للكافرين، أيها النبي. ومنذر أي: مخوّف بالعذاب من يكفر. وما من إلَه أي: لا إلَه، أي: لا معبود بحق. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والواحد: المتفرد بالوحدانية. والقهار: المبالغ في تذليل الخلق. ٦٥ الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى ما يملك. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والعزيز: الغالب لمن سواه. والغفار: العظيم الإظهار للجميل والستر للقبيح. ٦٦ هو أي: القرآن الكريم بما فيه من العقيدة والشريعة والعلم. والنبأ: الخبر. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ٦٧ المعرضون: المنصرفون استهانة. ٦٨ العلم: المعرفة والإدراك اليقيني. والملأ: الخَلق الكريم. والأعلى: الرفيع المَقام. ويختصمون: يختلفون ويتحاورون في شأن آدم. ٦٩ إن يوحى: ما يُنزَل من عند الله. وأنما أنا: أنني. والنذير: المنذر بعذاب الكافرين. والمبين: البيّن الإنذار. ٧٠ إذ قال ربك: وقت قوله. والملائكة: جمع مَلَك، مخلوقات نورانية. وخالق: منشئ. والبشر: الإنسان. والطين: التراب المجبول بالماء. ٧١ سوّيته: أتممت خلقه. ونفخت: خلقت. وروحي: الروح التي أملكها ولا يملكها ولا يعرفها غيري. وقعوا: اسقطوا سريعًا. والساجدون: المنحنون إلى الأرض تكريمًا. ٧٢ كلهم: جميعهم. وأجمعون: مجتمعون. ٧٣ إبليس: أبو شياطين الجنّ. واستكبر: طلب الترفُّع. والكافرون: المنكرون للنعم وما توجبه. ٧٤ قال أي: الله. وما منعك: أيُّ شيء صدّك؟ خلقت بيديّ: أوجدته بيديَّ وتوليتُ إنشاءه متفردًا. وأستكبرت: كيف تترفع عمّا لا يجوز لك؟ وأم كنت أي: بل أكنتَ في تصوّرك؟ والعالون: المتكبرون يحق لهم التكبر. ٧٥ قال أي: إبليس. والخير: الأكثر فضلًا ورفعة. والنار: ما يتّقد ويتلهّب. والطين: التراب المجبول بالماء. ٧٦ قال أي: الله. واخرج منها: غادر الجنة وانصرف عنها. والرجيم: المطرود من الجنّة. ٧٧ اللعنة: الحرمان من الرحمة. واليوم: الوقت. والدين: الجزاء. ٧٨ ربّ أي: يا ربّي. وأنظرني: دعني حيًّا وأمهلني وأخّر وفاتي. ويبعثون: ينشر الموتى من القبور للحساب. ٧٩ المنظرون: المؤخرةُ وفاتُهم. ٨٠ المعلوم: المحدّد لفناء الخلق. ٨١ العزة: الغلبة والقهر. وأغوينّهم: أُغرينّهم بتزيين الكفر والعصيان. وأجمعون: كلهم. ٨٢ العباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والمخلَصون: الذين سلّمهم الله من كل سوء. ٨٣

الجزء الثالث والعشرون — سورة صٓ

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ
سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ
النَّارِ (٦٤) قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥)
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ
عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ
إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ
يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ
مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ
(٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ
الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)

المعنى العام: متابعة ما يكون يوم القيامة، بأن الكافرين تساءلوا عمن كانوا يصفونهم بالشر لإيمانهم: لماذا لا يجدونهم في جهنم؟ ألأنهم سخروا منهم خطأً فلم يدخلوها، أم هم فيها ولكنهم غير ظاهرين؟ فهذا المذكور في الآيات ٥٩ـ ٦٢ لا بد من حصوله.

وقل للكافرين، أيها النبي: ما أنت إلّا رسولٌ بتوحيد القهار الخالق للكون العزيز الغفار، لا شاعرٌ ولا ساحر ولا مدَّعٍ، وإن القرآن خبر عظيم لا يأبهون له، وما فيه من المعلومات الغيبية لم تكن أنت تعرفها من قبل، وإنما هي وحي من الله.

ومن ذلك خلقُه آدم بيديه من دون تولد ولا وساطة أحد، وإجراءُ الروح فيه بإفاضة الحياة على المادة القابلة له بالإرادة ، من دون نفخ ولا منفوخ، وجدالُ الملائكة في خلقه وسجودهم لآدم بالانحناء، وعصيانُ إبليس تكبرًا بخلقه من نار أمام آدم المخلوق من طين، وطردُه من الجنة مع لعنته الأبدية، وطلبُه الحياة إلى يوم البعث عند النفخة الثانية، لئلا يموت بعدُ إذ لا موت بعد البعث، وتأجيلُ الله إياه إلى وقت النفخة الأولى مع موت الخلائق، وقسَمُه أن يُضل الناس إلّا الذين اختارهم الله للسلامة والصلاح.

تفسير المفردات: قال أي: الله. الحق: الأمر الثابت الذي لا بد منه. وأقول: أُعلِم وأقرّر. ٨٤ أملأ جهنم: أَشغل دار العذاب كلها يوم القيامة. وَمنك أي: ومن ذريتك، يا إبليس. وتبعك: وافق إغراءك وانقاد إليك. ومنهم: من الناس. وأجمعين أي: كلهم. ٨٥ قل أي: للكافرين، أيها النبي.و ما أسألكم: ما أطلب منكم. وعليه أي: على تبليغ الرسالة. والأجر: المكافأة. وما أنا أي: لستُ. والمتكلفون: الذين يتصفون بها هم ليسوا من أهله. ٨٦ إن هو أي: ليس القرآنُ. والذكر: العظة. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق ومراد به جنسا الإنس والجن، جُمعا للمبالغة. ٨٧ تعلمون: تعرفون يقينًا. ونبأه: خبر صدقه. والحين: الوقت المحدد لعذابكم أو لحياة الناس. ٨٨

المعنى العام: إجابة الله إبليس أن أقسم بالحق، وهو قوله الذي لا مراء فيه، ليَحشرَنّ في جهنم ما يملؤها من الجنّ والبشر التابعين لإبليس معه. فعلى محمد ﷺ إعلام الكافرين أنه يدعوهم إلى الإيمان ولا يسألهم عليه أجرًا، ولا يتقول ذلك من عنده، بل يبلّغ ما هو عظة للإنس والجن، ووالله لسوف يرون حقيقة الأمر بعد هزيمتهم أو موتهم حين يلقون الحساب.

٣٩ - سورة الزُّمر

الجزء الثالث والعشرون — سورة الزمر

قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ
﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ ٱلزُّمَرِ — آياتها ٧٥ — ترتيبها ٣٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ
كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

تفسير المفردات: التنزيل: الوحي على لسان جبريل، مع التعهد بالحفظ والتبليغ والبيان. والكتاب: القرآن الكريم. ومن الله أي: من عنده وبأمره. والعزيز: الغلّاب لا يُعجزه معاند. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ١ أنزلنا: أوحينا. وبالحق أي: مصاحبًا شمول المنفعة للعالم. واعبد: قدّس وأطع. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والمخلص: المجرِّد المصفّي. والدين: العبادة والطاعة. ٢ ألا أي: حقًّا. الخالص: المجرد السالم من الشرك. واتخذوا: جعلوا. ودونه: غير الله. والأولياء: جمع ولي، من يتولى أمور غيره ويُتكل عليه. وما نعبدهم: ما نقدّسهم. ويقربونا: يدنوا منزلتنا بالشفاعة. والزلفى: التقريب. ويحكم بينهم: يفصل يوم القيامة بين الكافرين والمؤمنين. وفيه يختلفون: يتنازعون ويتجادلون بسببه. ولا يهدي: لا يرشد ولا يوفق في الاسترشاد، بل يصرف إلى ما يناسب الاختيار الفاسد والاستعداد الخبيث. والكاذب: من يقول غير الواقع. والكَفّار: الكثير التمادي في إنكار نعم الله. ٣ أراد: شاء. ويتخذ يصنع لنفسه. والولد: المولود ذكرًا أو أُنثى. واصطفى: اختار. ويخلق: يوجده. وما يشاء: من يريد اتخاذه. وسبحانه: تنزيهًا له عما لا يليق بجلاله. والواحد: المتفرد بالأُلوهية والذات والصفات والأفعال. والقهّار: الشديد الغلبة والتذليل لِما سواه. ٤ خلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويكوّر الليل: يضيف بعض وقته. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. وسخّر: ذلّل وهيّأ لمنفعة الخلق. والشمس: النجم النهاري. والقمر: الكوكب الليلي. وكلٌّ أي: كل واحد منهما. ويجري: يتحرك بنظام معين في فلكه فيدور في مكانه وينتقل منه في حركته، أو يقوم بالعملين معًا. والأجل: وقت نهاية البقاء للمخلوق. والمسمّى: المحدد في علم الله. والغفّار: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها.٥

المعنى العام: أن القرآن الكريم وحي من عند الله لِتحقيق ما هو ثابت من مصلحة الخلق. وكان بعض العرب يعبدون الأصنام ويقولون: «الملائكة بنات الله، وإنما نعبدهم ليقربونا إليه زُلفى»، فنزلت الآيات تسفيهًا للشرك، بوجوب توحيد الله، وهو سيحكم بين الناس يوم القيامة، ولا يهدي من يصرّون على الكفر واختلاق الأكاذيب، وهو متفرد في الألوهية عزيز غفّار منزَّه أن يكون له ولد أو شريك، وخلق الكون لقصد متحقّق، وراوح بين الليل والنهار في النقص والزيادة، وسخر الشمس والقمر لمصلحة الكون، يدوران كل منهما في مداره ويتحرك بنظام محكم إلى يوم القيامة.

تفسير المفردات: خلقكم: أوجدكم في الحياة. والنفس: الإنسان بروحه وبدنه. وهو آدم. وثم جعل أي: وأنشأ. ومنها أي: من جنسها. والزوج: الزوجة. وهي حواء. وأنزل: خلق بأمره النازلِ المحقَّق. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. والأزواج: جمع زوج، المخلوق يقابل آخر من نوعه كالذكر والأنثى. والبطون: جمع بطن، أي: ما فيه من الرحِم. والأُمّهات: جمع أُمّهة. وهي الأُمّ. والخلق: التكوين الرباني. والظلمات: جمع ظُلْمة أي: فقدُ النور. والثلاث: البطن والرحم والمَشيمة. وذلكم أي: الموصوف بعظيم فعله. والله: المعبود بحق وحده والواجب الوجود، والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وله أي: استحقاقه وحده. والمُلك: حيازة المخلوقات والتصرّف فيها. والإلّه: المعبود بحق. وأنّى: كيف؟ وتصرفون: تُمنعون من التوحيد. ٦ تكفروا: تجحدوا وحدانية الله ونعمه. والغني: المكتفي بذاته لا يرجع إليه منفعة من أحد. ولا يرضى: لا يقبل بل يُنكر. ولعباده: لأجل منفعتهم. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والكفر: تكذيب الوحدانية وجحود النعم. وتشكروا: تُثنوا على المنعم. ويرضه: يقبله ويضاعف ثوابه. ولكم: لأجل منفعتكم. ولا تزر: لا تحمل. والوازرة: النفس الحاملة لذنب. والوزر: الذنب. والأُخرى: النفس المغايرة للأُولى. وإلى ربكم: إلى لقاء حسابه. والمرجع: العودة بالبعث. وينبئكم: يُخبركم للمحاسبة. وتعملون: تكتسبون من النية والقول والفعل. والعليم: المطّلع المحيط بالغَ الإحاطة. وذات الصدور: ما في الضمائر والقلوب. والصدور: جمع صدر. ٧ مس الإنسان: نزل بالكافر. والضر: ما يُكره. ودعا ربه: نادى الله متضرّعًا مستغيثًا. ومنيبًا إليه: راجعًا إلى تقديسه وحده. وخوله: أعطاه. والنعمة: الفضل بالإغاثة أو الخير. ومنه: من عنده وبأمره. ونسي: ترك وتجاهل. وقبلُ: قبلِ تخويل النعمة. وجعل: ظنّ واعتقد. والأنداد: جمع نِدّ. وهو الشريك. ويُضل: يصدّ غيره. وسبيله: دين الله. وقل أي: للكافر، أيها النبي. وتمتع: تلذذ وانتفع. وقليلًا أي: بقيّة حياتك. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم لا يفارق. والنار: نار جهنم. ٨ أم منْ أي: بل ليس الذي. والقانت: المؤدّي للطاعة. والآناء: جمع إنًى. وهو الساعة من الزمن. والليل: ما بين الغروب والفجر. وساجدًا وقائمًا أي: مصلّيًا. ويحذر: يخاف. والآخرة: ما في يوم القيامة. ويرجو رحمة ربه: يطلب عطفه ويعمل له. وهل يستوي: لا يستوي في المنزلة والعمل. ويعلمون: يدركون الحقائق باليقين. ويتذكّر: يتّعظ. وأولو: أصحاب، واحده ذو. والألباب: جمع لب، العقول الراسخة في الحق. ٩ قل أي: أيها النبي عني بلسانك. ويا عبادِ: ياعبادي أي: ياعبادَ الله ، جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. حذفت الياء للتخفيف. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. واتقوا ربكم : تجنبوا غضبه وعذابه واطلبوا رضاه. وأحسنوا: أخلصوا عملهم لوجه الله. والدنيا: الحياة التي فيها الناس. والحسنة: الأجر الكريم، أي: الجنّة. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والواسعة: الكبيرة المدى. ويوفّى: يعطَى الوافيَ. والصابرون: الثابتون على الطاعة والمتحمّلون للشدائد. والأجر: الثواب. وبغير حساب: بدون محاسبة على قدر العمل أو الاستحقاق. ١٠

الجزء الثالث والعشرون — سورة الزمر

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٦

المعنى العام: ذكرُ قدرة الله بخلق آدم وحواء ثم أبنائهما في التكوين الجنيني، مما يدعو إلى التوحيد. فالكافر للتوحيد والنعم لا يضر إلّا نفسه والشاكر له ثوابه، وكل نفس تحمل مكافأة عملها، لتحاسب يوم القيامة بالحق، والمشرك يرجع إلى التوحيد حين يحيط به البلاء، ثم ينسى ذلك حين ينجو فيعود إلى الشرك واللذائذ ومصيرُه جهنم، إذ ليس المؤمن الصالح كالعاصي الكافر، والفرق بينهما كبير، كما أنه ليس العالِم كالجاهل. فقل أيها النبي للمؤمنين: إن الله يناديكم بقوله: الزموا التقوى، وللمحسن نعيم الجنة يوم القيامة، وأرض الله واسعة ليهاجروا من أرض الكفر، وللصابرين منهم ثواب أعظم مما اكتسبوا.

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

تفسير المفردات: قل أي: للمشركين، أيها النبي. وأُمرت: فُرض عليّ. وأعبد: أقدس وأطيع. والمخلص: المصفّي والمجرِّد من الشرك. والدين: العبادة والطاعة. ١١ لأن أكون: أن أصير. والأول: السابق المتقدم في الإيمان والطاعة. والمسلمون: الذين أسلموا أمورهم لله. ١٢ أخاف: أتوقّع. وعصيت: خالفت الأمر أو النهي. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعذاب: التعذيب. واليوم: الوقت. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ١٣ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ١٤ اعبدوا: قدّسوا وأطيعوا. وما شئتم: ما أردتم عبادته. ودونه: غير الله. والخاسرون: الذين ضيّعوا ما كان لهم وما يتنظرون. وخسروا: ضيعوا بهلاكهم في العذاب. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والأهلون: جمع أهل، ما أُعدّ للإنسان في الجنة من الحور العين والولدان. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث للحساب. وألا أي: حقًّا. وذلك أي: خسارة الأنفس والأهل. والمبين: الواضح البيان. ١٥ الظلل: جمع ظُلّة، طبقات العذاب. والنار: نار جهنم. وذلك أي: العذاب المذكور. ويخوّف: يهدّد. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. وياعبادِ: ياعِبادِي. واتقون: اتقوني أي: تجنبوا غضبي والزموا رضاي بالطاعة. ١٦ اجتنبوا: تجنبوا وأنكروا. والطاغوت: البالغ غايةَ الطغيان. وهو الأوثان. وأنابوا: أقبلوا. وإلى الله: إلى توحيده وطاعته. والبشرى: الخبر السارّ على ألسنة الرسل والملائكة. وبشِّر: بلِّغ الخير، أيها النبي. وعباد: عبادي أي: المجتنبين لعبادة الطاغوت. ١٧ يستمعون: يتلقون بانتباه ويدركون. والقول: ما يقال من الكلام. ويتّبعون: يتابعون وينفّذون. والأحسن: الأكثر نفعًا في الدنيا والآخرة. وهداهم: أرشدهم إلى الحق وصرف قدراتهم إلى ما يناسب اختيارهم واستعداداتهم الصالحة. وأولو: أصحاب، واحده ذو. والألباب: جمع لُبّ، القلب الراسخ في الإيمان. ١٨ أمن: ليس الذي. وحق: وجب وثبَتَ. وكلمة العذاب: عبارة الحكم بالتعذيب. وأأنت تنقذ أي: لن تستطيع الإنقاذ بالهداية. ١٩ اتقوا ربهم: تجنبوا غضبه وطلبوا رضاه. والغرف: جمع غرفة، العلالي والقصور. والمبنية: المشيّدة بعضها فوق بعض. وتجري: تسيل بسرعة. والأنهار: جمع نهر. والوعد: التعهد بالخير. ولا يخلف: لا ينقض ولا ينقص. والميعاد: الوعد. ٢٠ ألم تر أي: لقد رأيت وعلمت، أيها المخاطَب. وأنزل: أرسل وأسقط. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما يشبهه. وسلكه: أدخله. والينابيع: الآبار والعيون، جمع يَنبوع. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويخرج: يُنبت. والزرع: ما يَنبت. والمختلف: المتباين. والألوان: جمع لون، ما يُرى من هيئات وصفات ومظاهر. ويهيج: ييبس. وتراه: تبصره عِيانًا. والمصفر: ما تحوّل إلى الصُّفرة لجفافه. ويجعله: يصيّره. والحطام: المحطَّم المفتَّت. وذلك أي: ما جاء في الآية. والذكرى: التذكير والعظة. ٢١

المعنى العام: على النبي ﷺ أن يبلغ الناس بما أُلزم من التوحيد والإسلام والإخلاص قبل أفراد أُمته، وأنه يخشى الله وعذابه إن عصاه فيطيعه ويوحّده، وأن الكافرين مخيّرون بعبادة ما يريدون وهم الخاسرون بحق، يؤذون أنفسهم بتعريضها لأنواع عذاب جهنم وضياع نعيم الجنة. وهذا ما يخشاه المؤمنون المنكرون للشرك، والمنصتون للوعظ يتابعون منه أحسن الأعمال، وهم المهتدون إلى الخير والراسخون في الإيمان. فالذين تحقق عليهم عذاب النار لإصرارهم على الكفر لن يفيدهم نصح وتوجيه، وليس لك - أيها النبي - أن تنقذ من تحقق عليه عقاب الله لكفره، وليس المستحق للعذاب كالمؤمن المتقي. فهذا بخلاف ذلك.

أما المتقون فلهم نعيم الجنة وعدًا من الله محقّقًا. وكل إنسان يرى بحقٍّ أدلة التوحيد والقدرة على الإكرام والتحطيم، في هطول الأمطار وما يكون عنها في الينابيع والنبات، وما تصير إليه الثمار والأزهار والأشجار من الفناء. وفي هذا عِبرة وعظة لمن يتدبر ويفكر.

تفسير المفردات: أمَن شرح الله صدره أي: ليس من هيّأه الله للاستجابة واهتدى كالذي أصرّ على الكفر والعصيان. والصدر: ما بين البطن والعنق، أي: ما في ذلك من القلب. والإسلام: الدين الحنيف. والنور: المعرفة للوصول إلى الحق. ومن ربه: من عند الله وبأمره. والويل: الدعاء بالتعذيب. والقاسية: المتصلبة. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. ومن ذكر الله: عن قبول ما يذكّر بالله والحقّ. والضلال: الضياع. والمبين: الواضح البيان. ٢٢ نزّل: أوحى بلسان جبريل على مراحل. والأحسن: الأفضل والأعلى. والحديث: ما يُتكلم به. والكتاب: القرآن الكريم. والمتشابه: المتوافق يشبه بعضه بعضًا. والمثاني: جمع مَثنًى، ما عُطف بعضه على بعض من الهداية والوعيد والأحكام والعلوم. وتقشعر: ترتعد وترتجف. والجلود: جمع جِلد، ويراد به الجسم كله. ويخشون: يخافون. والرب: الخالق المالك المتفرد. وتلين: تطمئنّ وتهدأ. والذكر: التهليل والتسبيح والحمد ما يذكّر في الآيات من الوعد والرحمة. وذلك أي: الكتاب. وهدى الله: ما يرشد به. ويهدي: يصرف القدرات إلى ما يناسب الاختيار الطيب والاستعداد للخير. ويشاء: يريد الله هدايته. ويضل: يصرف القدرات إلى ما يناسب الاختيار الفاسد والاستعداد للضلال. وما: ليس. والهادي: المرشد إلى الصواب. ٢٣ أمَن يتقي سوء العذاب أي: ليس من يلقى أشد التعذيب كالمطمئنّ بدخول الجنة. والوجه: ما يلقى به الإنسان غيره من رأسه. والسوء: السيّئ. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ويوم القيامة: وقت قيام الناس بالبعث للحساب. وقيل أي: يقول الزبانية. والظالمون: الكافرون الذين تجاوزوا الحق. وذوقوا: تحسّسوا وقاسوا. وتكسبون: تجمعونه من نية أو قول أو فعل. ٢٤ كذّب: أنكر الرسالات وجحد الإيمان. وقبلهم: قبل أهل مكة. وأتاهم: نزل بهم. ومن حيث لا يشعرون: من جهة اطمئنانهم لغفلتهم عن العذاب. ٢٥ أذاقهم: أنزل بهم. والخزي: الذلّ والهوان بأنواع الإهلاك والاستئصال. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: الأقرب إليهم وهم فيها. والآخرة: البعيدة عنهم تكون يوم القيامة. وأكبر: أعظم من عذاب الدنيا وأشدّ. ولو كانوا يعلمون: يُتمنَّى لهم أن يدركوا باليقين ما سيكون. ٢٦وضربنا: جعلنا وأوضحنا. والناس: البشر. والمَثل: الأمر العجيب الواضح يُذكر لبيان ما يشبهه. ولعلهم: ليُترجّى لهم. ويتذكّرون: يتّعظون فيهتدون. ٢٧ العربيّ: الواضح البيان بلغة العرب. وغير ذي عوج: قويمًا ليس مصاحب اضطراب ولا اختلاف. ويتقون: يحفظون أنفسهم من الكفر. ٢٨ الرجل: الذكر من الناس. والشركاء: جمع شريك، المشارك في المُلك. والمتشاكسون: المتنازعون بأخلاق سيّئة. وسلمًا لرجل أي: مملوكًا لواحد. وهل يستويان مثلًا أي: لا يستوي مَثلاهما، لا يكونان متساويين في التسلّط والتصرّف. والحمد: الثناء بالجميل على النعم. وأكثرهم: غالبية الكافرين. ولا يعلمون: لا يدركون وضوح هذا المَثل، للتفريق بين العبوديتين، فيشركون ويكذّبون. ٢٩ إنك أي: أيها النبي. والميت: من هو في الحياة وسوف يموت. وإنكم يعني: أيها الناس. ٣٠عند ربكم: في مقام الحساب. وتختصمون: تتنازعون في الاتهام والبراءة.٣١

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

المعنى العام: الفرق كبير بين المطمئن إلى الإيمان والهداية وبين المصرّ على الكفر والضلال بقلب متحجر لا يتعظ. وقد أوحى الله في القرآن الكريم أفضل ما يمكن، يهدي إلى الحق بما فيه من البلاغة والإعجاز والمعاني والعلوم والأخبار والدلالة على الخير والصلاح، فتضطرب نفوس المؤمنين لآيات العذاب ثم تطمئن بآيات الرحمة، وليس المتلقي للعذاب يقاسيه كالمتنعم بالجنة.

وقد كذّبت أُمم كثيرة فمحقها الاستئصال في وقت اطمئنانها، ولها في الآخرة ما هو أعظم، وقد كثرت الأمثال في القرآن للهداية، كمَثَل الإنسان الموزّع بين آلهة متنازعة والموحّد لله، ولكن المشركين لا يفهمون ذلك. فهم ينتظرون موت النبي ﷺ، ليتخلصوا مما يدعو إليه، وقد أخبرهم الله أن الموت يعمّهم جميعًا، ولا شماتة للفاني بالفاني، ثم يكون خصامكم يوم القيامة، والفصل بينكم بالحق.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

تفسير المفردات: من أظلم أي: لا أحد أكثر جورًا ومجاوزة للحق. وكذب: تقوّل ما هو باطل. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وكذّب: أنكر وجحد. والصدق: الحق لا شك فيه. وإذ جاءه: حين أتاه وبلغه. وأليس: إنه. وجهنم: اسمٌ علم لدار العذاب يوم القيامة. والمثوى: المأوى. والكافرون: المكذّبون لوحدانية الله ودعوة رسوله. **٣٢** جاء بالصدق: أتى بقول الله وصاحبه. وصدّق به: آمن به واتبعه دائمًا. وأولئك أي: الجائي بالصدق والمصدّقون. والمتقون: المتجنبون للشرك يحفظون أنفسهم منه. **٣٣** ما يشاؤون: ما يريدونه من النعيم في الآخرة. وعند ربهم: في المنزلة العالية المقرّبة. وذلك أي: ما ذكر من النعيم. والجزاء: المكافأة. والمحسنون: الذين يكتسبون أفضل الأعمال مع التوحيد. **٣٤** يكفّر: يعفو ويصفح. والأسوأ: السيّئ. وعملوا: اكتسبوه من نية أو قول أو فعل. ويجزي: يكافئ. والأجر: الثواب. والأحسن: الحسن. **٣٥** أليس الله أي: إنّ الله. والكافي: من يغني عن الاستعانة بغيره. والعبد: المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. ويخوفونك: يهدّدك المشركون. ودونه: غير الله. ويضلّ: يوجه قدراته بحسب اختياره للضلال وما يناسب استعداده الخبيث. وما له: ليس له. والهادي: المرشد إلى الحق والموفّق فيه. **٣٦** يهدي: يصرف قدراته إلى ما يناسب اختياره الطيب واستعداده الكريم فيوصل إلى الحق. والمضل: من يوجِّه إلى الكفر والفساد. والعزيز: الغالب من عداه. وذو انتقام: مالك المعاقبة وحده للعاصي والمعتدي. **٣٧** لئن: أُقسِم إن. وسألتهم: استخبرت المشركين ـ أيها النبي ـ للاعتراف بما يعلمون. وخلق: أوجد. والسماوات: ما يحيط بالأرض من جو وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويقولون: يصرّحون بالقول. والله أي: الله خلقها. وقل أي: لهم. وأرأيتم: تفكروا وأخبروني. وتدعون: تعبدون. ودون الله: غيره. وأرادني بضرّ: قدّر لي شِدّة بلاء. وهل هن: هل المعبودات. وكاشفات: مزيلات. والرحمة: العطف بالنعمة. وممسكات: مانعات. وحسبي: يكفيني ويغنيني عن غيره. وعليه يتوكل: عليه وحده يعتمد في جميع الأحوال. **٣٨** يا قوم: يا قومي. والقوم: الجماعة من الناس. واعملوا: اكتسبوا ما شئتم. ومكانتكم: ما يوافق حالتكم. وعامل أي: متصرّف بما يوافق حالتي. وسوف:تعلمون: لا بدّ أن تعرفوا عِيانًا باليقين. **٣٩** من أي: الذي. ويأتيه: ينزل به في الدنيا. والعذاب: التعذيب. ويخزيه: يُهينه ويُذلّه. ويحل: يقع في الآخرة. والمقيم: الدائم. **٤٠**

المعنى العام: أن أظلم الناس من يتقوّل على الله وينكر الحق حين يصادفه، وقد هُيِّئَتْ جهنم فكان فيها جزاؤه بحق، وأن المبلّغ للصدق والمصدقين له هم الأتقياء لله بحق، ينالون نعيم الجنة مع المغفرة والجزاء بالرحمة والفضل، لأنهم يطيعون الله وكأنهم يرونه ويلاحظون رقابته لهم. ولذلك يغفر لهم سيئاتهم ويكافئ حسناتهم بفضله ورحمته. وإنما فسّر الأسوأ والأحسن بالسيئ والحسن، ليعم العفوُ جميعَ السيئات، والثوابُ جميعَ الحسنات. وعندما قال المشركون للنبي ﷺ: «لتكفّنّ عن شتم آلهتنا، أو لنأمرنّها فلتخبلنّك»، أي: تفسد عقلك، سألهم عن نفعها وضررها قالوا: «لاتدفع شيئًا قدّره الله، ولكنها تشفع»، فنزلت الآيات ٣٦-٤٠ بأن تهديدهم بالأصنام لا قيمة له في نفع أو ضرر، لأن الله هو الذي يحفظ رسوله الكريم بلا معين ولا منازع، وقد أضلهم الله، وهو وحده يُضل ويهدي، فلا يستطيع أحد تغيير ما قضى. وعندما يُسألون عن الخالق للكون يجيبون أنه الله، فهم يعتقدون ذلك. وقل لهم ـ أيها النبي ـ لتثبيت الحُجة عليهم: أخبروني هل تستطيع معبوداتكم دفع شيء قدّره الله من خير أو شرّ؟ وسيكون جوابهم بالنفي. فبلّغهم أن الله يكفيك عن غيره، وعليه يعتمد كل مؤمن في جميع أحواله، ولْيعملوا هم ما شاؤوا بحسَب اعتقادهم، وأنت تعمل كذلك تبعًا لاعتقادك، ثم يرون من يكون له عذاب يذله في الدنيا وما هو أعظم منه وأثبت في الآخرة إلى الأبد.

تفسير المفردات: أنزلنا: أوحينا على لسان جبريل. والكتاب: القرآن الكريم. وللناس: لهداية البشر. وبالحق أي: مصاحبًا شمول المنفعة للعالم. واهتدى: استرشد واتّبع الحق. ونفس الإنسان: ذاته بروحه وجسده. وضل: تحيّر وخرج عن الحق إلى الباطل. وعليها أي: على نفسه. وما أنت: لستَ. والوكيل: الموكول إليه الأمر يحاسَب عليه. ٤١ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويتوفى: يقبض عن الأبدان، فيميت أصحابها. والأنفس: جمع نفس. وهي روح الحياة. والموت: مفارقة روحه للجسد. والتي لم تمت: يقبض روح الإدراك عن بدن مَن لم يقض عليه الموت بعدُ. والمنام: وقت النوم. ويمسك التي: يحتفظ بروح الحياة ولا يردها إلى الجسد. وقضى: حكم. وعليها أي: على صاحبها. ويرسل الأُخرى: يردّ روح الحياة إلى جسد مَن لم يقض عليه بالموت بعدُ. والأجل: وقت انتهاء الحياة. والمسمى: المعيَّن بعلم الله. وذلك أي: ما ذُكر من الموت والنوم واليقظة. والآيات: أدلة القدرة على البعث. والقوم: الجماعة من الناس. ويتفكرون: يتدبرون الأدلة بعقولهم لمعرفة الحق من الباطل. ٤٢ أم اتخذوا: بل لقد جعل المشركون. ودون الله: غيره. والشفعاء: جمع شفيع، من ينصر لدفع ضرّ وجلب منفعة. وقل أي: لهم، أيها النبي. وأوَلو أي: أيشفعون مع أنهم. ولا يملكون شيئًا: لا يحوزونه ولا يتصرفون فيه. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. ولا يعقلون: لا يفكرون ولا يدركون. ٤٣ لِلّه: مستحقّه ومُلكه وحده. الشفاعة: العون لدفع الضرر وجلب المنفعة. وجميعًا أي: مجموعة كاملة. والمُلك: الحيازة والتصرف إطلاقًا. والسماوات: ما يحيط بالأرض. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وإليه: إلى لقاء ما وعدكم من البعث. وترجعون: تردّون بالبعث للحساب والجزاء. ٤٤ إذا ذُكِرَ اللهُ وحده أي: كلّما ورد اسمه بدون آلهتهم. واشمأزت: نفرت وانقبضت. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. ولا يؤمنون: ينكرون ويجحدون. والآخرة: الحياة بعد الموت. ودونه: غير الله. وإذا هم يستبشرون: فاجأ سرورُهم ذكرَ الأصنام، لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله. ٤٥ اللهم: يا ألله. والفاطر: المبدع على غير مثال سابق. والعالم: المطّلع والمحيط بالغَ الإحاطة. والغيب: ما غاب عن إدراك الخلق وحواسهم. والشهادة: ما يشاهَد. وتحكم: تقضي في الدنيا والآخرة. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وتعبّدًا. وفيه يختلفون: بسببه يتنازعون ويتخاصمون. ٤٦ لو أي: لو حصل. وظلموا: تجاوزوا الحق فكفروا. والمثل: ما هو بمقدار الشيء، أي: مماثل له في ذلك. وافتدوا به: طلبوا بدفعه إنقاذ أنفسهم. والسوء: الشديد القبح. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. واليوم: الزمن. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. وبدا: ظهر. ومن الله أي: من حسابه وعقوباته. ويحتسبون: يظنون. ٤٧

الجزء الرابع والعشرون سورة الزمر

إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي
لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ
وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ
قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ
قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن
دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

المعنى العام: أنّ الله أوحى القرآن لهداية الناس، وكل يختار لنفسه ما شاء من الثواب والعقاب، ولن يُسأل النبي ﷺ عنهم، وأنّ الله يستوفي روح الحياة ممن يموت، ويستوفي روح الإدراك ممن ينام ثم يردّها إليه في اليقظة، حتى يأتي وقت موته. فهو مالك الإرشاد والتوفيق، كما يملك التصرف في الأرواح، وروحُ الإدراك بالنسبة إلى الثانية كشعاع الشمس. ولكن المشركين يجهلون هذا فيعبدون الأصنام لتشفع لهم، مع أنها لا تملك شيئًا ولا تعقل، والشفاعة كلها مع الكون والحياة لله وإليه الرجوع يوم القيامة.

ولمّا قرأ النبي ﷺ سورة النجم عند الكعبة وفرحِ المشركون بذكر آلهتهم، ولو بصورة المذمة، نزلت الآية ٤٥ بذكر نفورهم من التوحيد وسرورهم بالشرك. فلْيلزم النبي ﷺ ذكرَ الله وتوحيده وصفاته، وذكر علمِه بكل شيء، وفصلِهِ يوم القيامة بين الناس بالحق، وعجزِ الكافرين عن إنقاذ أنفسهم من العذاب، ولو بذلوا أضعاف ما في الدنيا، لأنهم سيرون من حساب الله وعقابه غير ما كانوا يزعمون ويتوهمون...

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ
عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن
رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

ربع الحزب ٤٧

تفسير المفردات: بدا لهم ظهر للكافرين يوم القيامة. والسيئة: العمل القبيح من الذنوب والمعاصي. وكسبوا: عملوه من نية أو قول أو فعل. وحاق: نزل وأحاط من كل جانب. ويستهزئون: يسخرون. **٤٨** مس: أصاب. والإنسان أي: الكافر. والضّر: ما يؤذي أو يؤلم. ودعانا: نادانا موحدًا مستغيثًا لكشف الضر. وخولناه: أعطيناه ومنحناه. والنعمة: التفضل بخير وكشف الضرّ. ومنا أي: من عندنا وبإرادتنا. وقال: جاهر بالقول. وأُوتيته: أعطيت ذلك. وعلى علم أي: بسبب معرفة الله لاستحقاقي لنعمته. وبل أي: لا وإنما. وهي أي: النعمة. والفتنة: الامتحان والابتلاء. وأكثرهم: غالبية الكافرين. ولا يعلمون: لا يدركون أن النعم امتحان ليظهر الصالح من الفاسد. **٤٩** قالها أي: قال مثل تلك المقولة. وقبلهم: قبل هؤلاء الكافرين. وما أغنى: ما منع. ويكسبون: يربحونه من الغنى والقوة. **٥٠** أصابهم: نزل بهم واستأصلهم. وظلموا: تجاوزوا الحد لأنهم كفروا. وهؤلاء أي: مشركو مكة. سيصيبهم: لا بدّ أن ينزل بهم، إن أصرّوا على الكفر. وما هم أي: ليسوا. والمعجزون: المتخلّصون من العذاب. **٥١** ألم يعلموا: عليهم أن يدَعوا الجهل ويعلموا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويبسط: يوسّع. والرزق: ما ييسّر للمخلوق من الحاجات. ويشاء: يريد الله أن يوسّع عليه. ويقدر: يضيّقه لمن يريد ابتلاءه. وذلك: ما ذُكر من التوسعة والتضييق. والآيات: أدلة القدرة الربانية. والقوم: الجماعة من الناس. ويؤمنون: تعرف قلوبهم الإيمان بالله. **٥٢** قل أي: جاهر المشركين والعصاة ـ أيها النبي ـ بالقول: ربكم المحسن إليكم يقول. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. وفي هذه الإضافة تشريف. وأسرفوا: أفرطوا في الجناية أو الكفر. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ولا تقنطوا: لا تيأسوا. والرحمة: العطف بالإحسان والنعم. ويغفر: يستر ويمحو. والذنوب: جمع ذنب، العمل القبيح عليه عقاب. والغفور: الكثير المغفرة للذنوب. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة لعباده المؤمنين. **٥٣** أنيبوا: ارجعوا بالتوبة. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. وأسلموا: انقادوا وأخلصوا العبادة والعمل. ويأتيكم: يصيبكم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ولا تنصرون: لا يُدفع عنكم العذاب. **٥٤** اتّبعوا: استجيبوا بالعمل. والأحسن: الأفضل، وهو القرآن الكريم. وأُنزل: وصل. ومن ربكم: من عنده وبأمره. وبغتة أي: مفاجئًا. ولا تشعرون: لا تقدّرون وقت مجيئه. **٥٥** أن تقول أي: كراهةَ أن تجاهر بالقول يوم القيامة. ونفس أي: إنسان. يعني بعض البشر وهم الكافرون. ويا حسرتا: يا حسرتي أي: يا ندامتي وتأسفي. قلبت الياء ألفًا وفرّطت: ضيّعت. وجنب الله أي: ما يجب له من الحق عليّ. وإن كنت: ولقد كنت. والساخرون: المستهزئون. **٥٦**

المعنى العام: متابعة ما يكون من المشركين يوم القيامة، إذ يرون جزاء عملهم ويحيط بهم العذاب الذي سخروا منه، مع أنهم كانوا في الدنيا يستغيثون بالله عند البلاء، ثم ينكرون فضله ويظنون النعم وكشف البلاء إكرامًا لمكانتهم، ولا يعلمون أن ذلك استدراج لكشف ما في نفوسهم وتحقق عذابهم، كما جرى على كافرين قبلهم نزل العقاب بهم جزاء كفرهم ولم تفدهم زعاماتهم، وكذلك هؤلاء سينالهم عقاب عصيانهم، ويعلمون أنهم لا ينجون منه. ولما أراد بعض المشركين المرتدّين والمجرمين، مثل وحشيٍّ قاتل حمزة، التوبة وخافوا ألّا يُقبل منهم ذلك نزلت الآيات ٥٣ ـ ٧٠ تبشر بالقبول للإيمان والتوبة، وبالاطمئنان إلى رحمة الله. فليرجعوا إلى رضا الله بالإسلام إليه والتوبة قبل نزول العذاب بهم في الدنيا، وتعرضهم لما هو أفظع في الآخرة، وليتّبعوا ما جاء في القرآن ـ وهو أفضل ما أكرمهم به الله ـ قبل مفاجأة العذاب لهم، وتحسرهم على العصيان بدون فائدة، واعترافهم بالظلم في سخريتهم بالتهديد والوعيد من قبل...

تفسير المفردات: تقول أي: النفس الكافرة. ولو أي: لو حصل. وهداني: أرشدني ووفقني في الطاعة. وكنتُ: صرت. والمتقون: المتجنبون للعذاب بلزوم الإيمان والصلاح. ٥٧ ترى: تبصر عِيانًا. والعذاب: تعذيب جهنم. ولو أنّ: أتمنّى أنْ تكون. والكرّة: الرجعة إلى الدنيا. وأكون: أصير. والمحسنون: المخلصون في الإيمان والعمل. ٥٨ بلى أي: ليس الأمر كما تدّعي. جاءتك آياتي أي: قد هديتك بمجيء الآيات والأدلة وأرشدتك فأبيتَ. وكذّبت بها: أنكرتها وجحدتها. واستكبرت: تكبرت على الإيمان. والكافرون: المكذّبون لوحدانية الله ودعوة رسوله. ٥٩ اليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. وترى: تبصر عِيانًا باليقين، أيها المخاطَب. وكذَبوا على الله: تقوّلوا عليه واختلقوا الأكاذيب في الأحكام والعلوم والمعارف والأخبار. والوجوه: جمع وجه، ما يقابل به الإنسان غيره من رأسه. ومسْودّة: شديدة السواد من اللعنة والهول. وأليس: إنه.وجهنم: دار العذاب. والمثوى: المأوى. والمتكبرون: المتعالون على الإيمان. ٦٠ ينجي: ينقذ. واتّقوا: تجنّبوا الشرك ولزموا التوحيد. وبمفازتهم يعني: بجعلهم في مكان الفوز أي: الجنة. ولا يمسهم: لا ينالهم. والسوء: القبيح المؤذي. ولا يحزنون: لا يتألّمون. ٦١ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والخالق: المنشئ من العدم. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والوكيل: المتصرف كيف يشاء. ٦٢ المقاليد: جمع مِقلاد، مفتاح الخزائن من الخير والشر. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وكفروا: كذّبوا وجحدوا. والخاسرون: الذين ضيّعوا أموالهم وأنفسهم وما كان لهم وما ينتظرونه من الخير. ٦٣ قل أي: للمشركين،أيها النبي. وغير الله: المغاير له. وأتأمرونّي: كيف تطالبونني؟ وأعبد: أقدّس وأُطيع. والجاهلون: الذين لا يميزون الحق من الباطل. ٦٤ أُوحي: أُنزل وفُرض. والذين من قبلك أي: الأنبياء قبلك. ولئن أشركت: بي أُقسِمُ إن عبدتَ بعض المخلوقات. ويحبط: يَفسد. والعمل: ما يُكتسب من نية وقول وفعل. وتكون: تصير. ٦٥ الله فاعبد: استمِرَّ على تقديسه وطاعته وحده. وكن: دُم على ما أنت عليه. والشاكرون: الذين يستحضرون النعم في النفس، ويثنون على منعمها بالقلب واللسان والعمل. ٦٦ ما قدَروا الله: ما عرف المشركون وأهل الكتاب عظمته وما قاموا له بما يجب عليهم. والحق: الثابت اللازم. والأرض أي: أجزاؤها البادية والخفية. وجميعًا: كلها مجتمعة. وقبضته أي: مجموعة في قبضته مطواع لإرادته وقضائه. ومطويات: مجموعات. ويمينه أي: يده كما يليق بجلاله. وسبحانه: تنزيهًا له عما لا يليق بعظمته وجلاله. وتعالى عما يشركون: ترفع وتعاظم عما يجعلونه مشاركًا له في الألوهية. ٦٧

الجزء الرابع والعشرون سورة الزمر

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ
مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟
بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ
خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا
ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ
أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ
فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ
وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

المعنى العام: متابعة ما يكون من الكافر يوم القيامه، فيحتج أن الله لم يهده، ويتمنى العودة إلى الدنيا ليؤمن، فيوبّخه الله على لسان الزبانية بتكذيب ما يدعيه، لأنه قد بلغته الدعوة بالآيات القرآنية والأدلة الكونية. فتكبر عليها بالكفر. وحينذاك تسودّ وجوه الكافرين من الشقاء والغضب، ويحشرون في جهنم، وينعم المؤمنون في الجنة بطمأنينة وسرور، لأن الله هو الذي يجزي الجميع، ويملك التصرف في الكون. فما أعظم خسارة الكافرين ! ولمّا قال المشركون للنبي ﷺ: «استلِمْ بعض آلهتنا، ونؤمن بإلهك»، نزلت الآيات تسفّه آراءهم، وتبيّن فرط غبائهم، وتحث النبي العظيم على متابعة التوحيد، وتوبيخهم على الدعوة الباطلة، وتبيّن أن الأنبياء جميعًا هدّدوا بالخسارة في الدنيا والآخرة، إذا كان منهم شرك. فلتكن عبادته لله مع الشكر، وقد جهل المشركون والكافرون عظمة الله، فما قدّسوه كما يجب، وسوف يرون يوم القيامة تصرفه في الملكوت بما فيه السماواتُ والأرض. وإنما خُصّ يوم القيامة، مع أن ذلك ثابت في الدنيا أيضًا، للرد على المشركين ما زعموه من شفاعة آلهتهم لهم. فما أشدّ بُعدَه وترفُّعَه عما يشركونه به، وهو هذه عظمته وقدرته !

سورة الزمر الجزء الرابع والعشرون

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ
٦٨ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
٦٩ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ٧٠
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
٧١ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣
وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ٧٤

تفسير المفردات: نُفخ: دفع الهواء بقوة للتصويت بالصرخة الأولى. والصور: ما يصوَّت به فيزلزل الكائنات ويبيد الحياة، مخلوق عظيم كالبوق لا يُعرف قدره. وصعق: مات. ومَن أي: الأحياء من الخلق. والسماء: ما يحيط بالأرض من جو وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وشاء: أراد له ألّا يموت. وأُخرى أي: نفخةً ثانيةً. وهم: جميع الموتى من العاقلين. والقيام: جمع قائم، لِما فيه من الحياة والفزع. وينظرون: ينتظرون ما يُفعل بهم وعيونهم شاخصة من الهول. ٦٨ أشرقت: أضاءت. والأرض هي غير أرضنا هذه، يخلقها الله يوم القيامة. والنور: ما يبدد الظلمات ويمحق الباطل. والرب: الخالق المالك المتفرد. ووُضع: أُحضر ليَرى كلٌّ في يده سجلّ أعماله. والكتاب: ما سُجلت فيه الأعمال. وجيء بالنبيين: أحضروا ليشهدوا على الأمم بما فعلت. والنبي: من بلّغ الدعوة إلى التوحيد والشريعة. والشهداء: جمع شهيد، من يُقرّ بما يعلم. وقضي: حَكم الله. وبينهم: بين الإنس والجن. وبالحق: مصاحبًا العدل. ولا يظلمون: لا يجار عليهم بنقص حسنات أو زيادة سيئات. ٦٩ وُفِّيتْ: أعطيت حقَّها كاملًا. والنفس: المخلوق المكلَّف. وعملت: اكتسبت وتحمّلت. وهو أي: الله. وأعلم: أكثر اطّلاعًا وحفظًا من الشهود والكُتّاب وأصحاب الأعمال. ويفعلون: يعملونه. ٧٠ سيق: دُفع بالعنف والقهر. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة الرسل. وجهنم: دار العذاب. والزمر: الجماعات المتفرقة، جمع زُمْرة. وحتى إذا: فإذا.وجاؤوها: وصلوا إليها. وفتحت: أزيل إغلاقها. والأبواب: جمع باب، الطرق المؤدية إلى النار. وقال لهم: استقبلهم بالقول عند الأبواب. والخزنة: جمع خازن، زبانية العذاب. وألم يأتكم رسل: لقد جاؤوا إليكم وبلّغوكم. والرسل: جمع رسول، المكلف بالتبليغ للعقيدة والشريعة مع العمل. ومنكم أي: بشر من جنسكم. ويتلون: يقرؤون ويبيّنون. والآيات: النصوص المنزلة. وينذرونكم: يخوّفونكم. واللقاء: المقابلة والحضور. واليوم: الزمن. وقالوا أي: الكافرون. وبلى: لقد حصل ذلك. وحقّت: وجبت. والكلمة: عبارة الحكم على الكافرين. والعذاب: التعذيب. ٧١ قيل أي: قالت الزبانية لهم. وادخلوا: مروا واعبروا. والخالدون: المقيمون أبدًا. وبئس: بلغ الغاية في البؤس والسوء والشقاء. والمثوى: المأوى. والمتكبرون: الذين يترفعون عما يجب عليهم. ٧٢ سيق: دعي للسير والتوجّه بلطف. واتّقوا: تجنبوا غضب الله وطلبوا رضاه بلزوم الطاعة. والجنة: البستان العظيم فيه الشجر والقصور والنعيم. وحتى إذا جاؤوها أي: إلى وقت وصولهم إليها. وفتحت أي: مفتَّحةً. والخزنة: ملائكة الرحمة. وسلام أي: السلامة من كل مكروه. وطبتم: طابت حالُكم في الاعتقاد والعمل. ٧٣ قالوا أي: المتقون. والحمد: الثناء بالجميل على النعم. ولله أي: مستحقّه وحده. وصدقنا: أخبرنا بما هو صدق وحقّقه فعلًا. والوعد: التعهّد بخير. وأورثنا: ملّكنا للتصرف والاستمتاع. والأرض: أرض الجنة. ونتبوأ: ننزل ونقيم. وحيث نشاء: في مكان إرادتنا أن نتبوّأ. ونعم: بلغ الغاية في الخير والنعيم والسعادة. والأجر: الثواب والمكافأة. والعاملون: القائمون بالطاعة والإخلاص.٧٤

المعنى العام: أن إسرافيل ينفخ في الصور النفخة الأولى، فتموت الخلائق، إلّا بعض الملائكة المقرّبين الذين سيموتون قبل النفخة الثانية، حيث يُبعث المكلّفون للحساب، ويُشرق الكون بتجلّي الله ليراه المؤمنون عِيانًا، ويؤتَى بسجلّ الأعمال والشهداء من الأنبياء والملائكة وأُمّة محمد ﷺ، تذكيرًا للمنكرين وإلزامًا بالحجة، لأن علم الله لا يحتاج إلى شهود الكتب وغيرها، ثم يُحكم بين الجميع ويتعين لكلٍّ ما يستحقّ بالعدل والعلم لِما كان. فأمّا الكافرون فيُدفعون إلى النار بالقوة والقهر جماعات متفرقة، فتُفتح لهم أبوابها ويستقبلهم الزبانية بالتوبيخ لأنهم عصَوُا الأنبياء، ويعترفون بذلك ويقحمون في جهنم خالدين، وما أبأسها من ملجأ ! وأمّا المتقون فيقادون برفق للوصول إلى الجنة وقد فُتحت أبوابها، وتستقبلهم الملائكة بالترحاب والدعاء بالخير والبشارة بالخلود، فيحمَدون الله على فضله وتحقيق وعده بدخول الجنة. وما أنعمها من مكافأة للمجتهدين في الطاعة !

تفسير المفردات: ترى: تبصر عِيانًا، أيها المخاطَب. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية. وحافين: محدقين ومحيطين بانتظام، جمع حافّ. والعرش: أعظم مخلوقات الله ولا يعرف مخلوق وصفه. ويسبحون: ينزّهون اللهَ عما لا يليق بعظمته وجلاله. وبالحمد أي: مع الثناء على النعم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وقُضي بينهم: حَكم الله بين الإنس والجن. وبالحق: مع العدل. وقيل أي: قال الملائكة والمؤمنون. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٧٥

المعنى العام: أن الحاضرين من المؤمنين حينئذ يرون الملائكة محدقين بالعرش، ينزّهون الله مع حمده وتمجيده، وقد انتهى الحكم بين الإنس والجن، وخُتم بالحمد لله على ما كان منه.

٤٠ ـ سورة غافر

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

نصف الحزب ٤٧

تفسير المفردات: حمٓ: من الأحرف المقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ١ التنزيل: الوحي على لسان جبريل. والكتاب: القرآن الكريم. ومن الله أي: من عنده وبأمره. والعزيز: الغلّاب لا يُعجزه شيء. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. ٢ الغافر: الساتر والماحي. والذنب: العمل يقتضي العقوبة. والقابل: المتقبّل بالرضا. والتوب: الاعتراف بالذنب مع الندم على فعله والتعهد بتركه وإصلاح ما أفسد وطلب المغفرة. والشديد: العظيم لا مثيل له. والعقاب: جزاء العصيان. وذو الطول: صاحب الإنعام الواسع متفردًا به. والإلّه: المعبود بحق. وإليه: إلى لقاء حسابه. والمصير: المرجع بالبعث بعد الموت. ٣ ما يجادل: ما يخاصم للتكذيب بالباطل. والآيات: نصوص القرآن الكريم. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ولا يغررك: لا يخدعْك. والتقلب: التصرف بالتجارة والسيادة والغنى والنعم. والبلاد: جمع بلد، مواطن السكن وغيرها.٤ وقبلهم: قبل كفّار قريش. والقوم: الجماعة من الناس. ونوح: أول نبي عبد قومه الأصنام. والأحزاب: جمع حزب، الجماعة تتحزب على رأي. وبعدهم: بعد قوم نوح. وهمت: قصدت الإيذاء. والأُمّة: الجيل من الناس على دين واحد. والرسول: من كلّف بالدعوة مع العمل. ويأخذوه: يأسروه لقتله. وجادلوا: خاصموا الرسول. والباطل: ما لا أصل له ولا ثبات. ويُدحضوا: يزيلوا ويمحقوا. والحق: الأمر الثابت، التوحيد والبعث. وأخذتُهم: انتقمتُ منهم. وعقابِ: عقابي أي: جزائي لهم. وحذفت الياء للتخفيف. ٥ كذلك: مثلَ عقاب أولئك. وحقت: وجبت. والكلمة: عبارة التهديد بوجوب التعذيب. والأصحاب: جمع صاحب، المرافق الملازم. والنار: نار جهنم. ٦ الذين يحملون العرش: الملائكة المكلفون بحفظه وتدبّره حافّين به. ومَن حوله: المحدقون به من الملائكة. وفي التسبيح إشارة إلى الإجلال، وفي التحميد إشارة إلى الإكرام. ويؤمنون به: يصدّقون وحدانيته بحق. ويستغفرون: يطلبون ستر الذنوب والعفو عنها. وربّنا أي: يقولون: يا ربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. ووسعتَ: أحطتَ وشملت. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والرحمة: العطف بالإحسان. والعلم: الاطّلاع التامّ مع الحفظ. واغفر: استر الذنب ولا تؤاخذه به. واتّبعوا: تابعوا وسلكوا. والسبيل: الطريق الواضح. وقهم: احفظهم وجنّبهم. والعذاب: التعذيب. والجحيم: نار جهنم.٧

المعنى العام: أن الله العزيز العليم أنزل القرآن، ويغفر ذنوب المؤمنين ويقبل توبتهم بشروطها الشرعية، ويعاقب الكافرين بشدّة ويُنعم على الجميع، وهو المتفرد بالألوهية ويعود إليه الحساب والعقاب، وإنما يجادل في آياته الكافرون، وليس في نعيمهم ما يغرّ المؤمنين، لأن نهايتهم العذاب، كما جرى لأقوام نوح ومَن بعده، كادوا يقتلون رسلهم فنزل بهم الهلاك الماحق، على أحسن ما يجب أن يكون، ليتحقق وعد الله بالحساب. هذا وإنّ أعلى طبقات الملائكة من المقربين يحملون العرش ويحفّون به، مسبحين الله حامدين له ومؤمنين به ومستغفرين للمؤمنين، وداعين للتائبين المحسنين بالمغفرة والحماية من العذاب...

تفسير المفردات: ربّنا: يا ربّنا. وأدخلهم: يسّر لهم الدخول. والجنة: الحديقة العظيمة بنعيم أبدي. والعدن: الإقامة الدائمة. ووعدتَهم: تعهّدت لهم بها. وصلَح: كان في نيّته وقوله وفعله كما أمر الشرع. والآباء: جمع أب. وهو الوالد أو الجدّ. والأزواج: جمع زوج، أي: الزوجة. والذرّيّة: السُّلالة. والعزيز: الغلاّب لا يُعجزه شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٨ قهم: احفظ الآباء والأزواج والذرّيّات. والسيئات: المعاصي، أي: عقابها. ويومئذ: يوم القيامة. ورحِمتَه: عطفتَ عليه فأحسنتَ إليه. وذلك أي: ما ذُكر من الغفران ودخول الجنة والوقاية من العذاب. والفوز: النجاة والظفر. والعظيم: الذي لا مثيل له. ٩ كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وينادَون: تدعوهم الزبانية بأسمائهم وتقول لهم. ومقت الله: كرهُه الشديد لهم في الدنيا مع إرادة الانتقام. وأكبر: أعظم. والأنفس: جمع نفس، أي: الأمّارة بالسوء. وإذ تُدعون: لأنكم كنتم تُحضّون. والإيمان: إقرار القلب بالتوحيد. وتكفرون: تأبَون الإيمان وتختارون الكفر. ١٠ قالوا أي: الكافرون. وأمتّنا: خلقت فينا الموت. واثنتين: إماتتين قبل نفخ الروح في النطف، وحين انتهت حياتنا في الدنيا. وأحييتنا اثنتين: خلقت فينا إحياءة الأجنّة وإحياءة البعث. واعترفنا: أقررنا. والذنوب: جمع ذنب، ما يؤاخذ عليه من العمل. والخروج: النجاة. والسبيل: الطريق. ١١ ذلكم أي: يجابون أن ما هم فيه من ذلك العذاب. وبأنه: حاصل بسبب أنه. ودعي الله وحده: أُفرد بالألوهيّة وذُكر وحده. وكفرتم: كذّبتم بالتوحيد. ويشرَك به: يُجعَل له مشارك في الألوهيّة. وتؤمنوا: تصدّقوا الشرك. والحكم: القضاء. والعليّ: البالغ في علو الرتبة دونه كل مخلوق. والكبير: العظيم الكبرياء. ١٢ يريكم: يبصّركم عِيانًا ـ أيها المخاطَبون ـ في أعاجيب خلقه. والآيات: دلائل التوحيد. وينزّل: يطلق ويرسل مرارًا. والسماء: السحاب. والرزق: ما ييسَّر للخلق من المتاع. وما يتذكّر: لا يتّعظ. وينيب: يرجع إلى التوحيد والطاعة. ١٣ ادعوا: اعبدوا. ومخلصين له: جاعلين له وحده. والدين: الطاعة والعباد. ولو كره الكافرون: رغم كرههم ذلك. ١٤ رفيع الدرجات: الله عظيم الصفات. وذو العرش: صاحب العرش متفرد به. والعرش: المخلوق الأعظم الذي يحيط بسائر المخلوقات. ويلقي: يُنزل. والروح: الوحي. والأمر: القول والإرادة. ويشاء: يريد الله أن يكلفه بالدعوة. والعباد: جمع عبد، المملوك تعبدًا. وينذر: يخوّف النبيُّ الناسَ. واليوم: الوقت. والتلاق: التلاقي أي: اجتماع أهل السماء والأرض. ١٥ هم بارزون أي: الناس خارجون من القبور. ولا يخفى: لا يغيب. ومنهم: من أعمالهم وأحوالهم وسرائرهم. والملك: الحيازة والتصرف والقهر. واليوم: هذا الوقت. والواحد: المتفرد بالألوهيّة. والقهّار: البالغ التحكّم والتسلّط على خلقه. ١٦

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ
ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ
ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

المعنى العام: متابعة ما يكون من الملائكة في الدنيا، يدعون الله للمؤمنين بدخولهم الجنة الموعودين بها، وحمايتهم من جهنم برحمته، ثم يخاطِبون يوم القيامة الكافرين الكارهين لأنفسهم بأن بغض الله لهم أشدّ من بغضهم أنفسَهم، لِما كانوا عليه من إصرار على الكفر، فيعترفون بذنوبهم بعد إدراكهم حقائق الموت والحياة، ويطلبون العودة إلى الدنيا ليؤمنوا، فيجابون بأنه لا سبيل إلى الرجوع إلى الحياة الدنيا، وأن ما هم فيه جزاء نفورِهم من التوحيد واستجابتِهم للشرك، والحكمُ هو لله المتعالي العظيم، وهو الذي بصّر الناس بأدلة قدرته وتوحيده، فيما أنزل من السماء من خير، ولكن لم يتعظ بذلك إلاّ المؤمنون الملازمون للطاعة وإخلاص العبادة. فعليهم في الدنيا أن يعبدوه موحدين على الرغم من كره المشركين لذلك، وهو المتفرد بالصفات العليا، والمالك للكون والموحي إلى من يختارهم للرسالة بما يحيي القلوب ويجعلها على بصيرة، فيخوّفوا الناس ما سيكون يوم تلاقي المخلوقات العاقلة كلها، حين يبعثون وما عملوه ظاهر للعيان، ويقول الله: لمن الملك اليوم، بعد أن كان في ظاهر بعضه للبشر؟ ويجيب نفسَه: للهِ الواحد القهّار، أي: الحكم متفرد به اللهُ المُبالِغُ في توحده وتذليل خلقه وإخضاعهم لإرادته...

الجزء الرابع والعشرون — سورة غافر

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ
لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ
بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ
كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ
قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا
وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ
فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ
عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟
نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾

ربع الحزب ٤٧

تفسير المفردات: اليوم: يوم القيامة. وتجزى: تكافأ. والنفس: الإنسان المكلَّف. وبما كسبت أي: ما يقابل عملها بالقلب واللسان والجوارح. والظلم: مجاوزة الحق بنقص الثواب أو زيادة العقاب. والسريع: العاجل جدًّا. والحساب: المحاسبة والحكم بالجزاء. أي: سريعٌ حسابُه. **١٧** أنذرهم: خوّف الكافرين، أيها النبي. واليوم: الوقت. والآزفة: القيامة القريبة من الخلق. وإذ القلوب: حين قلوبهم، جمع قلب. ولدى الحناجر أي: مرتفعة من الفزع متعلقة بها. والحناجر: جمع حَنجَرة، مجرى النفَس في الرقبة. وكاظمين: ممتلئين غمًّا. وما للظالمين أي: ليس للكافرين. والحميم: الصاحب المحبّ. الشفيع: من يُتوسل به ليدفع الشر. ويطاع: تُقبل شفاعته. **١٨** يعلم: يطّلع الله ويحيط بالغَ الإحاطة. والخائنة: المخالِفة للشرع. والأعين: جمع عين، عضو البصر. وتخفي: تستر عن الغير. والصدور: جمع صدر أي:القلب الذي فيه.**١٩** يقضي: يحكم بين الجميع. والحق: العدل الكامل. ويدعون: يعبد الكفّارُ. ودونه أي: غير الله. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده أو متوهم. والسميع: العالم بالمسموعات والأسرار. والبصير: المدرك للأحداث في الكون. **٢٠** ألم يسيروا: لقد تنقل المشركون حقًّا للتجارة وغيرها. والأرض: ما حول مكّة من البلاد. وينظروا: يرَوا ويتدبّروا ليتّعظوا. والعاقبة: النهاية. وهم أي: الأقوام المهلَكة. وأشدّ: أكثر وأظهر. ومنهم أي: من المشركين. والقوة: القدرة على التصرّف. والآثار: جمع أثر، ما يخلّفه الإنسان من عمل مادي ظاهر. وأخذَهم: أهلكهم. وبذنوبهم: بسبب معاصيهم التي تقتضي العقوبة. وما كان أي: ليس. ومن الله أي: من انتقامه. والواقي: المانع الحامي. **٢١** ذلك بأنهم أي: إهلاكهم حاصل بسبب أنهم. وتأتيهم: تجيئهم وتبلّغهم. والرسل: جمع رسول، المكلَّف بتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. والبيّنات: المعجزات الواضحة البيان. وكفروا: كذّبوا وأنكروا. والقوي: الكامل القدرة على كل شيء. والشديد: العنيف لا مثيل له. والعقاب: الانتقام من العصاة، أي: شديدٌ عقابُه.

٢٢ أرسلنا: بعثنا للتبليغ مع العمل. وموسى: أعظم أنبياء بني إسرائيل. والآيات: المعجزات القاهرة كالعصا واليد. والسلطان: البرهان على صحة الرسالة. والمبين: البيّن الدلالة. **٢٣** فرعون: ملك مصر حينذاك. وهامان: وزيره ومعينه على الطغيان. وقارون: سيد غني من أقرباء موسى. وقالوا أي: المذكورون من الكفّار. والساحر: من يوهم في معجزاته العيون والعقول بما يخالف الواقع. والكذّاب: الكثير الاختلاق في ادعاء الرسالة. **٢٤** جاءهم: أتاهم وبلّغهم. والحق: الصدق الثابت لا شك فيه. ومن عندنا: من عند الله وبإرادته. وقالوا أي: للجنود والأقباط العرب. واقتلوا أي: أعيدوا القتل الذي تركتموه. والأبناء: جمع ابن، الولد الذكر. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. واستحيوا: استبقوا على الحياة. والنساء: جمع نسوة، أي: الإناث. وواحدة النسوة امرأة.وما كيد الكافرين: ليس مكرهم وتدبير التعذيب. والضلال: الضياع والبطلان فلا يغني شيئًا ولا يدفع نقمة الله. **٢٥**

المعنى العام: متابعة ما يكون يوم القيامة، بأن الناس ينالون جزاءهم بالعدل وأسرع ما يكون. فحذِّرِ الكافرين ـ أيها النبي ـ ذلك الموقفَ الرهيب وهو قريب مهما تأخر، حيث ترتفع قلوب الناس إلى الحناجر من الفزع، وقد ملأهم الغمّ، ولا معين أو شفيع تُرضى شفاعته للكافرين. والله يعلم كل خفيّ ويسمع الأقوال ويحيط بالأفعال ويحكم بالحق، والأصنام لا تحكم بشيء.

ولقد مر المشركون بديار الكافرين المهلكين. فلماذا لم يتعظوا بمن كانوا قبلهم، وهم جبابرة أكثر منهم تركوا آثار القلاع والسدود. ومع ذلك أهلكهم الله بكفرهم، ولم يكن لهم معين، لأنهم كذّبوا الرسل ونالوا انتقام القوي السريع العقاب. وهذا موسى أرسلناه بالمعجزات إلى فرعون ومن معه من الكافرين، فاتهموه بالسحر والكذب، وأعادوا على بني إسرائيل قتل الأبناء المولودين، وأبقوا الإناث للخدمة والذل والفجور، ولكن طغيانهم انتهى بالخسارة وهلاك أصحابه معه في البحر...

تفسير المفردات: قال أي: لأشراف قومه. وذروني أقتلْ: لا تنصحوني بعدم قتل موسى. وليدع ربه: ليستعن بإلّهه ومرسله كما يزعم. وأخاف: أخشى. ويبدل دينكم: يزيل عبادتكم إياي ويضع غيرها لكم. ويُظهر: يصنع ويشيع. والأرض يعني مصر وما حولها. والفساد: السوء والشر. ٢٦ قال أي: لقوم فرعون وبني إسرائيل. وعذت: استعنت وتحصّنت. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والمتكبر: المتعاظم في نفسه مع حقارته. ولا يؤمن: يكذّب. واليوم: الزمن. والحساب: البعث والجزاء. ٢٧ قال أي: صرح بالقول جهارًا. والرجل: الذكر من البشر. ومؤمن أي: يصدّق الله وموسى ويتبع أمرهما. والآل: الأهل، أي: الأقرباء. ويكتم: يخفي عن الناس. وإيمانه: اعتقاده بالتوحيد وتصديقه موسى ورسالته. وأتقتلون أي: لا يجوز لكم القتل. وأن يقول أي: لأنه يصرح بالقول اعتقادًا. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وجاءكم: أتاكم وبصّركم عِيانًا. والبيّنات: المعجزات. ومن ربكم: من عند ربكم وبأمره. ويك: يكن. والكاذب: من يدّعي ما هو باطل لا أصل له. وكذبه أي: ضرر كذبه. والصادق: من يقول الحق الذي لاشك فيه. ويصيبكم: ينزل بكم ويخصكم. والبعض: الجزء. ويعدكم: يُوعدكم ويخوّفكم به. ولا يهدي أي: يوجه القدرات إلى ما يناسب الاختيار الفاسد ولا يرشد إلى الحق. والمسرف: المستغرق في الشرك والفساد. ٢٨ يا قوم أي: ياقومي. والمراد هنا السادة من الأقباط العرب. والمُلك: السلطان والقهر لبني إسرائيل. واليوم: هذا الزمن. والظاهرون: الغالبون. والأرض: أرض مصر وما حولها. ومن ينصرنا: لا ناصر لنا يُعيننا. والبأس: العذاب الشديد. وجاءنا: نزل بنا. قال فرعون أي: لهم أيضًا. وما أريكم: ما أُعلمكم وما أُحمّلكم. وما أرى أي: الذي أعرفه وأريده. وما أهديكم: ما أُعرّفكم وأُعلمكم. والسبيل: الطريق. والرشاد: الصواب. ٢٩ الذي آمن: هو المؤمن المذكور في الآية ٢٨. وأخاف: أخشى وأتوقّع. والمثل: المُشابه في الأهوال المستأصلة. ويوم الأحزاب: الوقائع التي أُهلكت فيها الأمم المكذّبة. واليوم: الوقيعة، اسم جنس يدل على الكثرة بإضافته إلى الجمع. والأحزاب: جمع حزب، الجماعة من الناس يتعصبون لمذهب أو زعيم. ٣٠ الدأب: العادة المستمرّة. والقوم: الجماعة من الناس. ونوح: نبي غرق مكذّبوه بالطوفان. وعاد: قوم النبي هود. وثمود: قوم النبي صالح. والذين مِن بعدهم: أقوام إبراهيم ولوط وغيرهما من الأنبياء. وما الله أي: ليس الله. ويريد ظلمًا أي: بل يريد العدل وجزاء كلٍّ بما يستحقّ. فهلاكهم كان عدلاً منه. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. ٣١ التناد: التنادي: أن يكون نداء متبادَل بين أفراد أو فئات. وذلك في يوم القيامة. ٣٢ تولُّون: تنصرفون من موقف الحساب إلى جهنم. ومدبرين: محاولين الهَرَب من النار. وما لكم: ليس لكم. ومن الله: من عذابه. والعاصم: المانع. ويضل: يصرف قدراته إلى ما يناسب اختياره واستعداده الخبيث، ويدعه في طريق الفساد. والهادي: المرشد إلى الحق والخير.٣٣

الجزء الرابع والعشرون — سورة غافر

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي
يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

المعنى العام: متابعة ما كان بين موسى وفرعون، إذ يطلب هذا من ملئه أن يتركوه يقتل موسى، خشية استبدال التوحيد بتألُّهه، ولْيستعن موسى بربه. وقد صرح موسى أنه يستعين بالله من المتجبرين الكافرين، ثم نصح مؤمنٌ قبطي متكتم قومَه بعدم قتل موسى لأنه يؤمن بالله ويدعم رسالته بالمعجزات، فعليه جزاء صدقه وكذبه ولا يهدي الله الكاذبين. وإلّا فهم الآن متسلطون وسيتعرضون للهلاك بلا مُعين. وصار فرعون يكرر للناس وجوب ألوهيته وقيادتهم فيما يريد، وذكّر المؤمنُ قومه بما كان للأمم الكافرة من أقوام نوح وهود وصالح وغيرهم، يخوّفهم مثل ذلك العقاب الماحق، لأن الله ينتقم بعدله من الظالمين، كما خوّفهم ما يكون يوم القيامة من أهوال الحساب، حين يحاولون الهرب من جهنم دون نصير، وأنهم مدعوّون إلى التوحيد، وإذا أضلهم الله فليس لهم من يرشدهم إلى الصواب...

تفسير المفردات: جاءكم: أتى أسلافكم نبيًّا ليبلغكم أيضًا. ويوسف: ابن يعقوب صاحب القصة المشهورة. وقبل أي: قبل موسى. والبينات: الأدلة الظاهرة على النبوة والتوحيد والبعث. وما زلتم: بقيتم واستمررتم. والمراد هم الأسلاف والمخاطبون. والشك: التردد والكفر. وجاءكم به أي: بلّغ أسلافكم ليبلّغوكم. وحتى إذا هلك أي: فلما مات. وقلتم أي: قال أسلافكم وأنتم بعدهم. ولن يبعث: لن يرسل. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرسول: من يكلَّف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. وكذلك أي: مثلَ إضلالكم. ويُضلّ: يوجّه القدرات بحسب الاختيار الفاسد، فيقضي بدوام مخالفة الحق. والمسرف: المستغرق في الشرك. والمرتاب: الشاكّ فيما دلّت عليه البيّنات. **٣٤** يجادلون: يخاصمون مكابرة. والآيات: المعجزات والأدلة القاطعة. وبغير: بدون. والسلطان: البرهان. وأتاهم: وصل إليهم بوحي أو علم يقيني. وكبر: عظُم وبلغ الغاية في الضخامة. والمقت: الكُره الشديد. وعند الله أي: في حكمه وقضائه. وآمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. وكذلك أي: مثلَ إضلالهم. ويطبع: يختم. والقلب: موطن التدبر والإدراك والعواطف. والمتكبر: من يتعاظم بما ليس فيه. والجبّار: المتعالي عن قبول الحق. **٣٥** هامان: وزير فرعون ومعينه على الطغيان. وابنِ: شيّدْ وارفع. والصرح: البناء العالي. ولعلي: أترجّى وأتوقّع. وأبلغ: أصِل وأدرك. والأسباب: الطرق، جمع سبب. **٣٦** السماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وأطّلع: أنظر وأتعرّف. والإلّه: المعبود. وأظن: أعتقد. والكاذب: من يقول غير الحق. وكذلك: مثلَ ذلك التزيين لقوله المذكور. وزُيّن له: حَسّنَ الشيطانُ وجمّل له مغريًا. والسوء: القبيح المنكَر. والعمل: ما يقوم به من نية أو قول أو فعل. وصُدّ: صُرِفَ صَرَفَه الشيطان ومنعه. والسبيل: طريق الهدى. وما كيد فرعون: ليس مكره وخِداعه لإبطال آيات موسى ودعوته. والتباب: الخسارة. **٣٧** الذي آمن: هو المؤمن المذكور قبل. انظر الآية ٣٠. ويا قومِ: يا قومي. واتّبعونِ: اتّبعوني أي: اعملوا بنصيحتي في الإيمان. وحذفت الياء للتخفيف في الموضعين؟ وأهدي: أدلّ وأُبلّغ. والسبيل: الطريق. والرشاد: الصواب. **٣٨** الحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: الأقرب إلى الناس يعيشون فيها. والمتاع: ما يُنتفع به قليلًا. والآخرة: الحياة في يوم القيامة. والدار: مكان النزول. والقرار: الإقامة الدائمة بلا انتقال ولا تحوّل. **٣٩** وعمل: اكتسب من نية أو قول أو فعل. والسيئة: المعصية فيها الشرّ والإيذاء. ولا يجزى: لا يعاقَب. ومثلها أي: ما يماثلها في القدر. والصالح: ما يرضاه الله. والذكر: الرجل. والأُنثى: المرأة. والمؤمن: الذي اعترف قلبه بالتوحيد وما يلزمه. ويدخلون: يقدَّر لهم الدخول. والجنة: البستان العظيم فيه الشجر والقصور والنعيم. ويُرزقون: يهيّأ لهم ما يحتاجون إليه. وبغير: بدون. والحساب: المحاسبة على ما يستحقه العمل في الدنيا. **٤٠**

الجزء الرابع والعشرون — سورة غافر

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ
مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ
دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ
وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

المعنى العام: متابعة ما يذكره المؤمن القبطي، بأنّ أجداد الأقباط تردّدوا في دعوة يوسف، واستمروا بعده في الكفر، مدّعين أن الله لن يبعث بعده نبيًّا، ثم ورّثوا أسلافهم ذلك، وبأنّ الله يُضل المتردّدين والمجادلين بالباطل الممقوت جدًّا عنده، فيسدّ منافذ الخير على كل قلوب جميع المتكبرين، لئلّا تتقبل الخير.

أما فرعون فقد زيّن له الشيطان عمله والاستمرار في تكذيب الدعوة، فطلب من هامان تشييد بناء عال، متأملًا أن يَصعده ليرى الله، وهو يعتقد كذب موسى، ويدبر المكايد المنتهية إلى الخسران، وأما المؤمن القبطي فناشد قومه أن يستجيبوا لقوله ويتبعوه بالهداية إلى الحق، لأن ما في الدنيا متاع آنيّ زائل، والخلود يكون في الآخرة، والحساب هناك للعمل، فالمعاصي تُجزى بمثلها، والعمل الصالح مع الإيمان له نعيم الجنة عطاءَ فضلٍ وتكرم بغير محاسبة، أي: لا يكون ذلك بقدر ما يستحقه المؤمن فقط، بل بفضل الله ورحمته أيضًا...

تفسير المفردات: يا قومِ: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. والقوم: الجماعة يعيش بينها الإنسان ونسبه من نسبها. ومالي: أيُّ شيء عجيب حاصل لي وحاصل منكم؟ وأدعوكم: أُرشدكم وأحضّكم. والنجاة: الخلاص بالإيمان من الانتقام الرباني. والنار أي: التعذيب فيها للشرك. **٤١** تدعونني: تطلبون مني. وأكفر بالله: أُنكر ألوهيته وتوحيده. وأشرك به: أجعل له شريكًا في الألوهية والعبادة. والعلم: الدراية اليقينية. والعزيز: الغالب لِما سواه. والغفّار: العظيم الإظهار للجميل والستر للقبيح مع العفو. **٤٢** لا جرم: لا منع، أي: ثبَتَ حقًّا. وأنّما تدعونني إليه: أن الذي تطلبون مني عبادته. والدعوة: قبول التوجّه. والدنيا والآخرة: الحياة فيهما. والمردّ: الرجوع يوم القيامة بالبعث. وإلى الله: إلى لقاء ما وعد به من الحساب. والمسرفون: الذين جاوزوا الحد بالكفر والعصيان. والأصحاب: جمع صاحب، مَن يلازم الشيء ولا يفارقه. والنار: نار جهنم. **٤٣** تذكرون: تستحضرون وتعلمون، فتندمون حين لا ينفع الندم. وما أقول لكم أي: ما أمرتكم به ونهيتكم عنه. وأفوض أمري إلى الله: أتوكل عليه وحده، وأعتمد في جميع شؤوني. والبصير: المدرك لكل شيء من الظواهر والخفايا. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. **٤٤** وَقاه: جنَّبه وحفظه. والسيئات: القبائح الشنيعة. ومكروا: دبّروا من الإيذاء. وحاق: نزل من كل جانب. وآل فرعون: قومه من الجند والأقباط وهو معهم. والسوء: السيئ القبيح. والعذاب: التعذيب الماحق. **٤٥** النار: نار جهنم. ويعرضون عليها: يخوَّفون بها ويهدَّدون برؤيتها وهم في البرزخ قبل يوم القيامة. والغدوّ: الصباح. والعشيّ: المساء. واليوم: الوقت. وتقوم: تحصل. والساعة: القيام من القبور بالبعث للحساب والجزاء. وأدخلوا آل فرعون: ادفعوهم ليقاسوا. والأشد: الأقوى وليس له مثيل. **٤٦** إذ يتحاجّون: حين يتخاصم الكفار. ويقول أي: يجاهر بالقول عتابًا وتوبيخًا. والضعفاء: جمع ضعيف، الذي استضعفه السادة وأغروه بالكفر. واستكبروا: ترفّعوا بسيادتهم أن يستجيبوا للإيمان وتسلّطوا على الضعفاء. والتبع: جمع تابع، مَن يقلّد غيره وينقاد إليه. والمغنون: المانعون. والنصيب: الجزء. **٤٧** كل أي: كلنا نحن وأنتم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وحكم: قضى. **٤٨** الخزنة: جمع خازن، الزبانية الموكلون بالتعذيب. وجهنم: دار العذاب يوم القيامة. وادعوا ربكم: ارجوه وتوسّلوا إليه. ويخفف: يدفع ويقلل. ويومًا: قدر يوم من أيام الدنيا. **٤٩**

الجزء ٢٤ — سورة غافر

الحزب ٤٨

۞ وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى
النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ
لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ
مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا
لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ
قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

المعنى العام: متابعة ما مضى بأن المؤمن القبطي يعجب من قومه ومن حاله، فينكر عليهم ما يواجهون به خيره من الشر: كيف أدعوكم إلى التوحيد والنجاة من العذاب، وأنتم تدعونني إلى الشرك والخلود في جهنم؟ تطلبون مني الكفر والشرك، على ما تصوِّره لكم أوهامكم بلا علم ولا معرفة، وأنا أدعوكم إلى الله العزيز الغفّار. حقًّا أن ما تزعمون من الاعتقاد به ليس له استجابة بشيء من منافع الدنيا والآخرة، لأن نهاية الجميع إلى حساب الله يوم القيامة، حيث يكون للكافرين عذاب النار، وستذكرون دعوتي لكم وتندمون حين لا ينفع الندم، وأُفوّض أمري إلى الله المحيط بأمور الناس وأحوالهم.

فأنقذه الله من مكايدهم وضلالهم، وأنزل بهم أنواع العذاب عقوبة وإهانة: غرقًا في الدنيا، وترهيبًا بالنار دائمًا بعد الموت، وإقحامًا فيها يوم القيامة بأمره للزبانية أن يفعلوه بهم، ليقاسوا أفظع العذاب، يوم يكون خصام أهل النار من الكافرين والمشركين، يوبخ الضعفاء أسيادهم على ما سببوه لهم من التكفير، ويطلبون عونهم ولو على شيء يسير من عذاب جهنم، ويجيبهم أولئك أنهم جميعًا في العذاب، وقد حكم الله بين الناس في نيل ما يستحقون بالعدل والحكمة البالغة، فلن يغني أحد في ذلك عن أحد شيئًا.

وهنالك ينقطع أمل الجميع من الجدوى، فيستغيثون بالزبانية أن يدعوا الله بتخفيف شيء عنهم من العذاب...

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ
بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ
﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا
وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى
ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى
وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ
حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ
وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ
خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

تفسير المفردات: قالوا أي: الزبانية للكافرين. وتك: تكن. حذفت النون للتخفيف. وتأتيكم: تجيء إليكم لتبلغكم. والرسل: جمع رسول. وهو من يُبعث للتبليغ مع العمل. والبينات: المعجزات والأدلة الظاهرة. وقالوا أي: الكافرون يجيبون. وبلى أي: لقد جاؤونا وكفرنا. وقالوا أي: الزبانية لهم. وادعوا أي: استغيثوا أنتم. والدعاء: الاستغاثة والرجاء. والضلال: الانعدام، لا ينفع كأنه لم يكن. **٥٠** ننصر: نعين على الأعداء ونغلّب بالحجة والانتقام. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: الأقرب إلى الناس يعيشون فيها. واليوم: الوقت. ويقوم: ينهض ويحضر. والأشهاد: جمع شاهد، من يذكر حقيقة ما يعرف للفصل في الأمور. **٥١** لا ينفع: لا يفيد لأنه باطل. والظالمون: المتجاوزون للحق بالكفر. والمعذرة: الحجة للتبرؤ. واللعنة: الطرد من الرحمة. والسوء: القبيح المنكر. والدار: مكان الإقامة والاستقرار. **٥٢** وآتينا: أعطينا وكلفنا بالرسالة. وموسى الرسول الذي تلقى التوراة. والهدى: ما يرشد إلى الحق. وأورثنا بني إسرائيل: جعلنا بينهم ما يتوارثونه. وبنو إسرائيل: اليهود من ذرية يعقوب. والكتاب: التوراة. **٥٣** هدى أي: هاديًا. وذكرى: تذكرة لِما يمكن أن يُنسى. وأولو: أصحاب، واحده ذو. والألباب: جمع لب، القلب الراسخ في الإيمان. **٥٤** واصبر: استمر ـ أيها النبي ـ على الصبر. والوعد: التعهّد بما هو محبوب. والحق: الصدق الواقع لاشك فيه. واستغفر: دُم على طلب السّتر والعفو. والذنب: ما يؤاخَذ عليه. وسبّح: صلِّ. وبحمد ربك: مع الثناء عليه بالجميل. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملْكه. والعشي: ما بعد الظهر. والإبكار: ما بعد الفجر. **٥٥** يجادلون: يخاصمون بالباطل. وآيات الله: النصوص القرآنية والأدلة الكونية. وبغير سلطان: بدون برهان. وأتاهم: وصل إليهم بعلم يقيني. وإنْ أي: ليس. والصدور: جمع صدر، فيه القلب موطن العواطف والإدراك والتدبر. والكبر: التكبر. وما هم: ليسوا. وبالغيه أي: مدركي غايته. واستعذ بالله: الجأ إليه وتحصّن به وحده. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والبصير: المدرك. **٥٦** الخلق: الإيجاد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وأكبر: أعظم. والناس: البشر المنكرون للبعث. والأكثر: الغالبية العظمى. ولا يعلمون: لا يدركون الفرق بين الخلقين. **٥٧** ما يستوي: لا يكون متماثلًا في القدرة أو القيمة. والأعمى: الغافل عن التمييز بين الحق والباطل. والبصير: من يستبصر الأمور ويميز ما بينها من خلاف. وعملوا: اكتسبوا. والصالح: العمل يرضاه الله. والمسيء: من قبح قوله وعمله. وقليلًا ما أي: نادرًا جدًّا. وتتذكرون: تتعظون بما يُعرض عليكم. **٥٨**

المعنى العام: متابعة ما يجري في جهنم بسؤالِ الزبانية للكافرين عن رسلهم، وإجابتِهم أنهم لم يؤمنوا، فتخبرهم الزبانية متهكمين أن ليدعوا بأنفسهم، وأن الله بيّنَ عدم جدوى ذلك. فهو يعين الرسل والمؤمنين في الدنيا، وفي الآخرة حين يشهد الملائكة والأنبياء والمؤمنون وجوارح الناس كل بما يعلم، ولا يفيد الاعتذار شيئًا، فينال الكافرون اللعنة وأقبح المصير،

وهو قد أوحى إلى موسى وقومه التوراة ليهتدوا ويتذكروا الخير، ونصرهم على فرعون، وفي هذا بشارة وتسلية للنبي ﷺ عما يلقاه من الكافرين. فليصبر حتى يأتي النصر بالحق، وليستغفر ويصلّ مع الحمد دائمًا، فيصير ذلك سنّة لأمته.

ولما قال يهود له: «لستَ صاحبنا، بل هو المسيح بن داود ـ يعنون المسيح الدجّال ـ يبلغ سلطانه البر والبحر، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، يَرجع إلينا مُلكنا»، نزلت الآية ٥٦ تبين تكبّرهم ، وتطمئنه بنصر الله، يستطيع حفظه ممّا يكيدون.

أمّا من ينكر إحياء الموتى فليعلم أن خلق الكون أعظم من بعثه بحسب ما تعارفه الناس من الأعمال، وإن كان بالنسبة إلى الله لاتفاوت بين مستويات الخلق، ولكن أكثر الكافرين لا يعلمون هذا، والفرق كبير بين المؤمنين الصالحين وبينهم. وما أقلّ ما يتعظون !

تفسير المفردات: الساعة: وقت البعث للحساب. وآتية أي: حاصلة في وقتها المحدَّد. والريب: الشك. وفيها: في مجيئها المقدّر. والأكثر: الغالبية العظمى. والناس: البشر. ولا يؤمنون: لا يصدقون أنها واقعة لا محالة. **٥٩** الرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وادعوني أستجب لكم: اعبدوني وحدي واطلبوا ما تحتاجون إليه، أُجِبْ رجاءكم وأكافئكم بالخير والنعيم. ويستكبرون: يترفعون ويتكبرون. والعبادة: التقديس والطاعة. وسيدخلون جهنم: سوف يصيرون في دار العذاب بلا شكّ. وداخرين أي: أذلّاء محتقرين. **٦٠** الله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وجعل: خلق وأوجد. والليل: ما بين غروب الشمس والفجر. وتسكنوا: تستقروا وتستريحوا بالهدوء والنوم، أيها البشر البشر. والنهار: مدة ما بين الفجر والغروب بما فيها من النشاط. ومبصرًا: مضيئًا يُبصِر الأحياء فيه ما يحتاجون إليه. وذو فضل: صاحبه المتفرد به. والفضل: التفضل والإحسان بالنعم. ولا يشكرون: لا يُثنون على الله لِما تفضل به وأنعم. **٦١** ذلكم أي: الموصوف باستجابة الدعاء وخلق الليل والنهار والتفضل. والخالق: المنشئ من العدم. والشيء: ما هو موجود. والإلّه: المعبود بحق. وأنّى: كيف؟ وتؤفكون: تُصرفون عن الإيمان إلى الكفر. **٦٢** كذلك: مثلَ ذلك الصرف والمنع. والآيات: النصوص الربانية والمعجزات. ويجحدون: يكذّبون وينكرون. **٦٣** جعل: خلق وصيّر. والأرض موطن الحياة الدنيا. وقرارًا: مستقرّة لتيسير الإقامة والسعي. والسماء: ما يحيط بالأرض من الجو والأجرام والعوالم العُلوية. وبناء أي: مبنيّة كالقبة المضروبة من غير عمد. وصوّركم: أنشأ صوركم على غير مثال واحد. وأحسنَ صوركم: جعلها حسنة لما يناسب العمل واكتساب الكمالات. والصور: جمع صورة، الشكل والهيئة والبنيان. ورزقكم: هيّأ لكم ما تحتاجون إليه ويسّره. والطيب: ما يُستلذ طعمه وملبسه ومكسبه وفيه الخير.

وذلكم أي: المذكور بالجعل والتصوير والرزق. وتبارك: تعاظم عما لا يليق به وكثُر خيره العميم. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. **٦٤** الحي: المتفرد بالحياة الحقيقية الدائمة لا أول لها ولا انقضاء. وادعوه: اعبدوه. ومخلصين أي: مجرَّدين مصفِّين. والدين: العبادة والتقديس. والحمد: الثناء الجميل على الفضل. **٦٥** قل أي: للمشركين، أيها النبي. ونُهيت: مُنعت وحُرّم عليّ بأمر الله. وأعبد: أقدس وأطيع. وتدعون: تعبدونهم. ودون الله: غيره. ولمّا جاءني: حين نزل عليّ. والبينات: دلائل التوحيد والآيات الواضحة. ومن ربي: من عنده بالوحي والإلهام. وأُمرت: وَجب عليّ وأُلزمتُ. وأسلم: أُخلص وأنقاد بالرضا وأفوض أمري. **٦٦**

ربع الحزب ٤٨

الجزء الرابع والعشرون — سورة غافر

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ
﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ
مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ
إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ
ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

المعنى العام: أن يوم القيامة آت بلا شك، ولكن أكثر الناس يكفرون به، وقد أمر الله الناس بتوحيده واللجوء إليه بالدعاء، ليلبي حاجاتهم ويثيبهم بالرحمة والفضل، ويعذب الكافرين بنار جهنم عقوبة وإهانة. فهو وحده الذي خلق الليل ليسكن فيه البشر البشر، والنهار ليعملوا في ضيائه بفضله وعونه، وخلق كل شيء متفردًا بالألوهيّة. فكيف يكفر الضالّون قديمًا وحديثًا وبعدُ، مع ثبوت البراهين على وجوب الإيمان والتوحيد؟ وهو الذي جعل الأرض مستقرة لسعيكم والسماء بناء لمنافعكم، وأحسن صوركم ويسر رزقكم من الطيّبات، فما أعظم تعاليَه وخيراتِه على العالمين ! وهو الحي الباقي متفردًا بالألوهيّة، وقد وجب له التوحيد والإخلاص والحمد.

وعندما قال بعض مشركي مكة: «يا محمد، ارجع عما تقول، وعليك بدين آبائك وأجدادك»، نزلت الآية ٦٦ تردّ عليهم ما دعوا إليه، وأن محمدًا ﷺ مأمور بالتوحيد والاستسلام والإخلاص، لله رب العالمين...

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟
شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا
قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ
مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ
نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

تفسير المفردات: هو أي: الله. وخلقكم: أوجدكم وأنشأكم. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. والنطفة: أدق قطرة من المنيّ والبويضة. والعلقة: الدم الغليظ. ويخرجكم: ييسّر خروجكم من الأرحام. والطفل: الأطفال، والمفرد طفل أيضًا. وتبلغوا: تدركوا. والأشُدّ: تكامل القوة بين سنّ الثلاثين والأربعين، جمع شِدّة. وتكونوا: تصيروا. والشيوخ: جمع شيخ، الذي قارب سن الستين. ومنكم أي: بعضكم. ويتوفى: تُستردّ روحه من جسده. وقبل أي: قبل الخروجِ من الرحم أو بلوغِ الأشُدّ أو الشيخوخة. وتبلغوا: تدركوا. والأجل: مُدّة عمر المخلوق. والمسمّى: المحدّد عند الله. ولعلكم: ليُترجّى لكم. وتعقلون: تتفكرون لتدركوا ما يجب من الاعتقاد والعمل. ٦٧ يحيي: يخلق الحياة ببث الروح في الجسد. ويميت: يخلق الموت بنزع الروح من الجسد. وقضى: أراد. والأمر: الشيء. وكن أي: احدُث وتحقّق. ويكون: يحدُث ويتحقّق. ٦٨ ألم تر: ألا تنظر وتعجب؟ أيها النبي. ويجادلون: يخاصمون بالباطل لدفع الحقّ. وآيات الله: نصوص القرآن. وأنّى: كيف؟ ويُصرفون: يُدفعون عن الإيمان إلى الكفر. ٦٩ كذّبوا بالكتاب: أنكروا صحة القرآن الكريم. وأرسلنا: بعثنا للدعوة. والرسل: جمع رسول. وسوف يعلمون: لا بد أن يدركوا عقوبة تكذيبهم عِيانًا. ٧٠ إذ: حين. والأغلال: جمع غُلّ، طوق من الحديد يجمع اليدين إلى العنق. والأعناق: جمع عنق، الرقبة. والسلاسل: جمع سِلسلة، حلقات من المعدِن متواصلة. ويسحبون: يُجرّون. ٧١ الحميم: الماء الحارّ جدًّا يشوي الأجسام. والنار: نار جهنم. ويُسجرون: يوقَدون كما يوقَد الحطب والحجارة. ٧٢ قيل أي: تقول الزبانية. وتشركون: تجعلونه شريكًا في الألوهية. ٧٣ دون الله: غيره. وقالوا أي: المشركون للزبانية. وضلوا: غابوا. وندعو: نعبد. وقبلُ: قبلِ هذا الوقت. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده أو متصوَّر. وكذلك: مثلَ إضلال هؤلاء المذكورين في الآيات ٦٩-٧٤. ويضل: يحيّر بالكذب والمكابرة. والكافرون: المكذبون لوحدانية الله ودعوة رسوله. ٧٤ ذلكم أي: العذاب. وبما كنتم: حاصل بسبب كونكم. وتفرحون: تُظهرون السرور والبطر. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وبغير الحق أي: مع الباطل. وتمرحون: تبالغون في الفرح. ٧٥ ادخلوا: اعبروا إلى الداخل. والأبواب: جمع باب، المعبَر. وجهنم: دار العذاب. وخالدين أي: مقيمين أبدًا. وبئس: بلغ الغاية في السوء والشرّ والضرر. والمثوى: المأوى. والمتكبرون: المتعالون عن الإيمان والطاعة. ٧٦ اصبر: دم على تحمل مشاق الدعوة، أيها النبي. والوعد: البشارة بالنصر والتهديد بالعذاب. والحق: الصدق يحصل فعلًا. وإمّا نرينك: إن نبصّرنّك عِيانًا. والبعض: الجزء. ونتوفينّك: نقبضنّ روحك الشريفة قبل تعذيبهم. وإلينا: إلى ميعاد حسابنا. ويُرجعون: يُردّون بالبعث والنشور بعد الموت. ٧٧

المعنى العام: متابعة ذكر نعم الله وقدرته بأنه هو وحده الذي خلق أبا البشر آدم من تراب، والناس في مراحل عجيبة من التكوين، ليمروا من ضعف إلى قوة فضعف، ويموتَ بعضهم بين ذلك في أعمار محدّدة، ويخلقُ الموت والحياة فيحصل ما يريده بمجرد الإرادة. وإنما ذكر القول «كن» تمثيلًا لتأثير قدرته في إيجاد المخلوقات، وتصويرًا للسرعة في الوجود، من غير أن يكون هناك أمر ولا مأمور.

كل هذا يورَد ليعقل الناس حقيقة الألوهيّة ويستجيبوا للإيمان بالتوحيد والبعث. أفلا تعجب ـ أيها النبي ـ إلى هؤلاء، في جدالهم بالباطل وانصرافهم عن الإيمان وتكذيبهم الحق؟ لا بد أن يروا ما يكون لهم من التعذيب والإهانة، مع التوبيخ بسؤال الزبانية لهم عن غياب آلهتهم وعدم شفاعتها لهم، فينكروا ما كانوا عليه من الشرك. وهكذا يتحيرون هم وأمثالهم بسبب أباطيلهم وبطرهم بها.

فليدخلوا جهنم خالدين، وما أبأسها مأوى للمتكبرين ! واصبر ـ أيها النبي ـ على ما ترى وتسمع منهم، حتى يتحقق ما نهددهم به. ومهما يكن لهم في الدنيا فنحن نُقِرّ عينك ببعض عذابهم فيها، ونريك عذابهم الشديد بعد وفاتك يوم القيامة، لأن إلينا مرجعهم.

تفسير المفردات: أرسلنا: بعثنا للدعوة. والرسل: جمع رسول. وقبلك أي: الأزمان الماضية قبلك، أيها النبي. ومنهم: بعضهم. وقصصنا: سردنا أخبارهم وأسماءهم في القرآن وغيره. وما كان: ما صح وما جاز. ويأتي بآية: يصنع معجزة. وبإذن الله: مع أمره وإرادته. وجاء: وقع وتحقّق. والأمر: القضاء بالعذاب. وقُضي: حُكم. والحق: العدل. وخسر: أضاع ما كان لديه أو يتوقعه. وهنالك: حين نزول العذاب. والمبطلون: الذين يلزمزن الباطل ويعاندون باقتراح الآيات مكابرة. ٧٨ الله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وجعل: خلق وأنشأ من العدم. ولكم: لأجل منافعكم، أيها الناس. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. وتركبوا منها: تمتطوا بعضها. ومنها تأكلون: تتغذون من بعضها بالطعام والشراب. ٧٩ المنافع: جمع مَنفعة، المتعة والزينة. وتبلغوا: تدركوا وتنالوا. والحاجة: ما يطلبه الإنسان ويفتقر إليه. والصدور: جمع صدر، أي: القلب موطن التدبر والإرادة والعواطف. والفلك: السفن، واحده من لفظه. وتُحملون: تُرفعون للركوب والاستخدام. ٨٠ يريكم: يبيّن لكم ويفصّل. والآيات: أدلة التوحيد. وأيَّ الآيات: أيَّ واحدة منها؟ وتنكرون: تكذّبون بالبراهين العلمية فلا تصدقونها. ٨١ ألم يسيروا: لقد تنقل المشركون للتجارة والارتحال. والأرض: ما حول مكة من البلاد. وينظروا: يروا ويتدبّروا. والعاقبة: النهاية. وأكثر: أوفر عددًا. وأشدّ: أعنف وأمتن. والقوة: القدرة على نيل المراد. والآثار: جمع أثر، ما يبقى ظاهرًا من نتائج العمل.والأرض: موطن حياتهم. وما أغنى: ما دفع البلاءَ. ويكسبون: يعملونه من القلاع والحصون وينالونه من المال والسيادة. ٨٢ لمّا: عندما. وجاءتهم: أتتهم تبلّغهم. والبيّنات: المعجزات والنصوص المنزلة. وفرحوا: أظهر الكفار سرور الاستهزاء والإنكار. وبما عندهم أي: بسبب ما يملكون. والعلم هنا: المعارف الخرافية المتناقضة، مقابل المعرفة اليقينية بالتوحيد والبعث عند الرسل. وحاق: نزل محيطًا من كل جانب. ويستهزئون: يسخرون. ٨٣ رأوا بأسنا: أبصروا عذابنا عِيانًا في الدنيا، وهو نازل بهم. وآمنّا: صدّقنا يقينيًّا. ووحده: متفردًا بالألوهية. وكفرنا: أنكرنا. ومشركين: جاعلين مع الله مثيلًا له في الألوهية. ٨٤ لم يك: لم يكن أي: لم يصح. وحذفت النون للتخفيف. وينفع: يفيد في دفع العقاب. إيمانهم: توحيدهم. ولمّا رأوا: حين أبصروا. والسُّنّة: الطريقة المحققة دائمًا. وخلت: مضت واستمرّ وقوعها. وفي عباده أي: في عقابهم. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والكافرون: المكذّبون لوحدانية الله ودعوة الرسول. ٨٥

الجزء الرابع والعشرون سورة غافر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ
بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ
اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم
مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

المعنى العام: أن الله بعث كثيرًا من الرسل قبل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعضهم ورد ذكره في القرآن الكريم وبعض لم يذكروا، وكل منهم لم يستجب لِما اقترحه قومه من المعجزات إلّا برضا الله وإرادته، لأن الله أعلم بما يصلح من ذلك، وما هو مَطالِبُ عنادٍ وتعنت. وعندما يتعيّن حصول عقاب الكافرين يكون الخسران فعلاً لهم.

وقد خلق الأنعام أيضًا لمنافع الناس بالغذاء والسعي، وكذلك السفن وما يفصّل لمشركي مكة من الأدلّة على التوحيد. فما هي الآية منها ينكرونها ببراهين موثّقة واضحة لا يمكن نقض شيء منها؟ ليدَعوا ما هم عليه من التعنت وليلزموا الإيمان و الطاعة.

وهاهم أولاء يسيرون في أسفارهم ويرون نكبات المشركين قبلهم واقعة على أحسن ما يكون من الحكمة والعدل بالانتقام. فلماذا لا يتعظون، وقد كان أولئك أعظم منهم، فما أفادتهم العظمة دفعًا للعذاب؟ لقد تفاخر أولئك بسيادتهم ومعارفهم الباطلة عندما بلغتهم الرسالة، وسخروا بالأنبياء، ولكنهم حين نزل بهم العقاب عرفوا الحقيقة، فآمنوا بالتوحيد وكفروا بالشرك، ولم يفدهم ذلك شيئًا، لأنه كان عند تحقق الانتقام. وهذا هو الحكم الرباني الدائم، جرى فيما مضى فهلك الكافرون، وسيكون له استمرار حتى الأبد.

٤١ ـ سورة فُصِّلتْ

تفسير المفردات: حمٓ: من الأحرف المقطعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ١ تنزيل أي: مُنَزَّل. ومن الرحمن: من عند الله الكثير العطف بالإحسان. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة للمؤمنين. ٢ كتاب أي: القرآن الكريم يُكتب ويقرأ. وفصّلت: بُيِّنت بالأحكام والعلوم والمعارف والمواعظ. والآيات: النصوص القرآنية. والعربي: المنسوب إلى العرب، أي: نزل بلغتهم الفصيحة البليغة، لتيسير قراءته وفهمه والعمل به. والقوم: الجماعة من الناس. ويعلمون: يفهمون لغته ومعانيه وتوجيهاته. ٣ البشير: المبشِّر بالنعيم لمن آمن. والنذير: المهدِّد بالعذاب لمن كفر. وأعرض: امتنع عن فهمه وتقبُّله. والأكثر: الغالبية العظمى. ولا يسمعون أي: سماعَ قبول. ٤ قالوا أي: لمحمد ﷺ. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. والأكنة: جمع كِنان، الغِطاء المغلق يمنع الفهم. وتدعونا: توجّهنا وتحضّنا. والآذان: جمع أذن، عضو السمع. والوقر:الصمم. والحجاب: حاجز في الدين والاعتقاد يمنع التفاهم. واعمل: استمِرَّ وحدك على دينك. وعاملون: مستمرّون على ديننا لا نستجيب لك. ٥ قل أي: لهم، أيها النبي. وبشر أي: إنسان. ومثلكم: مماثل إياكم في البشرية، ولا مانع بيننا من التواصل. ويوحى: يُنزل بأمر الله وييسر له الحفظ والتبليغ. والإلَه: المعبود بحق. والواحد: المتفرد بالألوهية. واستقيموا: توجّهوا واستسلموا. واستغفروه: اطلبوا منه ستر ذنوبكم والعفو عنها. وويل: دعاء بالتعذيب والهلاك. والمشركون: الذين يجعلون مع الله شريكًا في الألوهية. ٦ لا يؤتون الزكاة: لا يؤدّون النفقات التي تطهّر أموالهم وأنفسهم. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. والكافرون: المنكرون. ٧ آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا بنيّة أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الله. والأجر: المكافأة. والممنون: المقطوع. ٨ أإنكم: لا يجوز لكم. وتكفرون: تجحدون الوحدانية في الأُلوهية. وخلق: قضى أن يوجد ذلك. والأرض: موطن الحياة الدنيا. واليومان هما السبت والأحد. واليوم هنا: ما يقابله في العالَم الفلكي ألف سنة وأكثر. وتجعلون: تظنون. والأنداد: جمع نِدّ، الشريك والمماثل في الصفات. وذلك أي: الخالق. والرب: المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٩ جعل: قضى أن يكون ذلك وخلق. وفيها: في الأرض.والرواسي: جمع الراسي، الجبل الثابت. وبارك: جعل الخيرات كثيرة. وقدّر: قسّم ونظّم. والأقوات: جمع قوت، ما يحتاج إليه المخلوق. وأربعة الأيام هنا: تقابل السبت والأحد والاثنين والثلاثاء في العالم الفلكي. وسواء أي: مستوية لا تزيد ولا تنقص. والسائلون: المستخبرون عن خلق الأرض. ١٠ ثم استوى أي: وقصد يقدّر ويخلق. والسماء: ما يحيط بالأرض من الجو والأجرام العُلوية. والدخان: البخار المرتفع. وقال: أمر بالإرادة والقصد. وائتيا: اخضعا. الطوع: الانقياد برضا. والكره: الانقياد بالقهر. وفي «أتينا»: تصوير لتأثير القدرة فيها وتمثيلها بالمجيب المطيع.١١

الجزء الرابع والعشرون سُورَةُ فُصِّلَتْ

سُورَةُ فُصِّلَتْ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ
مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ
أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

المعنى العام: أن القرآن وحي من الله الرحمن الرحيم، في تفصيل وبيان للعرب بلغتهم الفصحى يفهمونه بلا واسطة، وللناس جميعًا لا يفهمونه إلّا بواسطتهم ومعرفة لغتهم. وهذا إكرام للعرب وذكر خالد، وفيه بشارة للمصدّقين وتهديد للمكذبين، الذين أغلقوا قلوبهم وآذانهم واصطنعوا حاجزًا بينهم وبين الإيمان، واستمروا على الكفر.

فقل لهم، أيها النبي: إنهم كاذبون فيما يدّعون من الحواجز. وإنك إنسان مثلهم يمكن أن يفهموا قولك، تبلغهم ما يوحى من التوحيدِ والطاعة، والعذابِ للمشركين المانعين للزكاة والكافرين بيوم القيامة، والنعيمِ الدائم للمؤمنين الصالحين. فليدَعوا الكفر بمن خلق الأرضَ وما فيها من النعم في أربعة أوقات متوالية مديدة، والسماءَ من الدخان، وقدّر فيهما الانتظام والخضوع لإرادته فيما يشاء...

تفسير المفردات: قضاهن: جعل السماوات. واليومان: ما يقابل الأربعاء والخميس من العالم الفلكي. وأوحى: خلق. والأمر: الشأن اللازم بانتظام. وزينًا: جمّلنا. والدنيا: الأقرب إلى الأرض. والمصابيح: جمع مِصباح، ما يضيء وينير. وحفظًا أي: وقاية من الاضطراب واستراق الشياطين سمعَ المغيَّبات. وذلك: ما ذكر في الآيات ٩-١٢ من الخلق والتكوين. والتقدير: الإبداع المتقن المنتظم بلا زيادة أو نقصان. والعزيز: الغلّاب لكل مخلو ق. والعليم: المبالغ في الاطّلاع والإحاطة بكل شيء قبل وجوده وبعده. ١٢ أعرضوا: امتنع المشركون عن الاستجابة بالإيمان والتصديق للتوحيد والرسالة. وقل أي: لهم، أيها النبي. وأنذرتكم: هدّدتكم وخوّفتكم. والصاعقة: الصوت العنيف يزلزل مع نار من السماء تحرق. والمِثل: المماثلة. وعاد: قوم النبي هود. وثمود: قوم النبي صالح. ١٣ إذ جاءتهم: حين وصلت إليهم وبلّغتهم. والرسل: جمع رسول، من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. وبين أيديهم: أمامهم. والأيدي: جمع يد. والخلف: الوراء. وأن لا تعبدوا: بأن لا تقدّسوا ولا تطيعوا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وقالوا أي: أقوام الرسل. وشاء ربنا: أراد الله إرسال مبلّغ بالتوحيد. وأنزل: بعث وكلّف. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات من النور. وأُرسلتم به: كلفتم بالدعوة إليه. وكافرون: منكرون وجاحدون. ١٤ استكبروا: طلبوا التعاظم والترفع عن الإيمان. والأرض: موطن عيشهم. والحق: استحقاقهم. ومن أشدّ: لا أحد أعظم. والقوة: القدرة على المراد. وألم يروا: لقد علموا يقينيًّا. وخلقهم: أنشأهم على هذه القوة الظاهرة. وأشدّ: أعظم. والآيات: الحُجج والأدلة على التوحيد. ويجحدون: يكفرون. ١٥ أرسلنا: أطلقنا. والريح: الهواء العنيف. والصرصر: العظيمة الصوت بلا مطر. والأيام: جمع يوم من الفجر إلى مثله بعده. والنَّحسات: المشؤومات. ونذيقهم: ننزل بهم. والعذاب: التعذيب. والخزي: الذل. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة يعيشون فيها. والآخرة: البعيدة بعد الموت تكون بالبعث. وأخزى: أشد بالذل والهوان. ولا ينصرون: لا يُدفع عنهم ما يضرهم. ١٦ هديناهم: أرشدناهم إلى الخير. واستحبوا: فضّلوا واختاروا. والعمى: الضلال بفقد البصيرة. والهدى: الرشاد إلى الحق. وأخذتْهم: عاقبتْهم بالهلاك. والهون: الهوان. وبما يكسبون: بسبب ما يقترفونه من الكفر والتكذيب. ١٧ نجّينا: أنقذنا. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. ويتقون: يتجنبون غضب الله ويطلبون رضاه بطاعة الأمر والنهي. ١٨ يوم يحشر: وقت الحشر. والأعداء: جمع عدوّ. وهو المعادي، أي: الكافرون من الأمم كلها. وإلى النار أي: لدخول جهنم بعد الحساب. ويوزعون: يساقون بالعنف. ١٩ حتى إذا جاؤوها: فإذا قرُبوا منها للدخول. وشهد: أقرّ بما يعلم. والسمع: عضو السمع. والأبصار: جمع بصر، العين. والجلود: جمع جلد. غشاء الجسم، ويراد به هنا أعضاء الإنسان كلها. ويعملون: يكتسبونه من المعاصي. ٢٠

الجزء الرابع والعشرون — سورة فصلت

فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ
عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ
خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ
فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ
عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى
ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ
أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾

المعنى العام: متابعة الخلق بأن الله جعل السماوات سبعًا في زمانين متواليين مديدين جدًّا يقابلان الأربعاء والخميس، ثم كان خلق آدم يوم جمعة، بعد ذلك بألوف القرون، وخلق في كل سماء ما يناسبها، وفي أولها نجومًا تزينها وتحفظ انتظامها وتمنع تجسس الشياطين.

هذه بعض أدلة القدرة والوحدانية. فإن لم يستجب المشركون لذلك فهم مهدّدون بالصواعق كما حصل لقوم كل من هود وصالح، وهما نبيان من العرب العاربة بين نوح وإبراهيم، بلّغا قوميهما التوحيد فسخروا منهما بأن الله لا يرسل بشرًا للهداية، بل يرسل ملائكة، واعتزوا بجبروتهم المتميز، ناسين عظمة الله وبطشه وأنه في ذلك قادر على محقهم، فأطلق عليهم الرياح والصواعق بعذاب الدنيا، ولهم في الآخرة بلا معين ما هو أفظع، وأنجى المؤمنين برحمته.

فاذكر ـ أيها النبي ـ لقومك أهوال يوم القيامة، حين يُجمع الكافرون للنار بالقهر، وتشهد عليهم أعضاؤهم بما فعلوا من العصيان...

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي
أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ
كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ
وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ
أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

الحزب ٤٨

تفسير المفردات: قالوا أي: الكافرون. وجلودهم أي: أعضاؤهم. ولِمَ شهدتم أي: ما الذي حملكم على هذه الشهادات والمقولات؟ وقالوا أي: تكلمت الجلود وأجابت جِهارًا. وأنطقنا: خلق فينا القدرة على الكلام. والشيء: ما هو موجود. وخلقكم: أوجدكم وأنشأكم من العدم. وأول مرة: في الحياة الدنيا. وإليه: إلى لقاء حسابه. وترجعون: تردّون بالبعث الآن. **٢١** تستترون: تستخفون من أنفسكم. ويشهد: يطّلع ويقرّ بما يعلم. والسمع: عضو السمع. والأبصار: جمع بصر، عضو الرؤية. وظننتم: اعتقدتم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا يعلم: لا يطّلع ولا يحفظ. وكثيرًا أي: عددًا وافرًا. وهو ما يخفى ويُستر. وتعملون: تكتسب من النية والقول والفعل. **٢٢** ذلكم أي: ما ذُكر من الاعتقاد الباطل. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأرداكم: أهلككم بما أنتم فيه الآن. وأصبحتم: صرتم. والخاسرون: الذين ضيعوا ما لديهم وما يتوقّعون. **٢٣** يصبروا: يتحمّلوا. والنار: نار جهنم. والمثوى: المأوى. ويستعتبوا: يطلبوا الرضا ورفع العتب عنهم. وما هم: ليسوا. والمعتبون: الذين تُقبل توبتهم ويُرضَى عنهم. **٢٤** قيّضنا: قدّرنا وهيّأنا. والقرناء: جمع قرين، النظير في البغي من الشياطين يقارن ويلازم. وزينوا: جمّلوا. وبين أيديهم أي: أمامهم من شهوات الدنيا. والأيدي: جمع يد. وما خلفهم: ما يكون بعدُ من زعم عدم البعث. وحقّ: وجب وثبَت. والقول: ما قيل، أي: الحكم بعذاب الكافرين. وفي أمم أي: مع جماعات الأُمم المستأصلة بالعذاب. وخلت: مضت. والجنّ: واحده جنّيّ. وهو المخلوق من النار. والإنس: البشر، واحده إنسيّ. وكانوا أي: وسيبقون. والخاسرون: الأشقياء أضاعوا ما لديهم وما يتوقّعون من النعيم. **٢٥** قال أي: بعضهم لبعض. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ولا تسمعوا: لا تُنصتوا ولا تنتبهوا. والقرآن: المقروء من الآيات الكريمة. والغَوا فيه: صيحوا وضجّوا وخلِّطوا حين يُقرأ. ولعلكم: ليكون لكم الترجّي والتوقّع. وتغلبون: تتغلّبون على مقصَده وتميتون ذِكره. **٢٦** نذيق: نخصّ ونحمّل. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: العنيف لا مثيل له. ونجزي: نعاقب. والأسوأ: الأقبح. ويعملون: يكتسبونه بالنية أو القول أو الفعل. **٢٧** ذلك أي: العذاب. والجزاء: المكافأة. والأعداء: جمع عدو، المعادي يحارب الإسلام والمسلمين. والنار أي: عذابها. والدار: مكان النزول للاستقرار. والخلد: الإقامة الدائمة أبدًا. وبما كانوا: بسبب كونهم. والآيات: القرآن الكريم. ويجحدون: يكفرون. **٢٨** ربّنا: يا ربّنا. وأرنا: بصّرنا عِيانًا. وأضلّانا: سبّبا لنا الخروجَ عن الحق واتباعَ الباطل. ونجعلهما: نضعهما. والأقدام: جمع قدم. وهي ما يطأ الإنسان به الأرض. ويكونا: يصيرا. والأسفلون: الأكثر انخفاضًا في النار وذلة. **٢٩**

المعنى العام: متابعة ما يكون للكافرين في جهنم بأنهم يستغربون من أعضائهم الشهادات، فتجيبهم أن الله أنطقها كما يُنطق كل شيء يريد له الكلام، وهم كانوا يظنون أن الله لا يطلّع على خفاياهم ولا يخلق هذه الشهادات فلم يستتروا من أنفسهم، وسقطوا بجهلهم وعصيانهم في الخسران الذي لا يفيد فيه صبر ولا اعتذار، لأنهم خالدون في جهنم ولا يقبل منهم عذر.

ولقد هيّأ الله في الدنيا لكل كافر شيطانًا من الإنس والجن يغريه بالشهوات ويوهمه عدم البعث، فتحقق عليه ما يجب من الخسارة والعذاب للأمم الكافرة الماضية والقادمة. وهؤلاء مشركو مكة يأمر بعضهم بعضًا بالتهرب من سماع القرآن، ويصطنعون الفوضى والإنكار حين تلاوته، لتنتهي بلا فائدة. فلا بد أن ينالوا العقاب الفظيع، والجزاء بأشنع ما فعلوا. وهو عقاب المعادين لله ودينه بخلودهم في جهنم، حيث يطلبون أن يروا رُوّاد الضلال والبغي، إبليس رمز المُوَسوِسين بالكفر والشرّ، وقابيل قاتل أخيه هابيل، ومن سنّوا الفواحش والمنكرات، ليطؤوهم في أحط منازل العذاب.

تفسير المفردات: قالوا: صرّحوا بالقول. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. واستقاموا: داموا واستمرّوا في العقيدة والعمل. وتتنزل عليهم أي: تبشّرهم وتطمئنهم. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات من النور. وأن لا تخافوا: بأن لا تفزعوا مما يكون من مكروه واطمئنّوا. ولا تحزنوا: لا تغتموا لفوات ما ذهب من خير. وأبشروا: افرحوا واسعدوا. والجنة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي في الآخرة. وكنتم توعدون أي: تعهّد لكم بها الله من قبل. ٣٠ الأولياء: جمع ولي، القرين يتولّى الحفظ والمعونة. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: الأقرب إلى الناس يعيشون فيها. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. وتشتهي: ترغب فيه. والأنفس: جمع نفس. وهي الضمير. وتدّعون: تطلبون. ٣١ النزل: ما يُحضَّر للضيف إكرامًا له. ومن غفور: من عنده في المراتب المقربة. والغفور: الكثير السترِ للذنوب والعفوِ عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والمغفرة للمؤمنين. ٣٢ من أحسن: لا أحد أجمل وأفضل. وقولًا أي: ما يكون باللسان أو الإشارة أو التوجيه. ودعا: حضّ. وإلى الله: إلى طريقه المستقيم. وعمل: اكتسب بالنية أو القول أو الفعل. والصالح: ما يرضاه الله. والمسلمون: من استسلموا إلى الله في جميع شؤونهم. ٣٣ لا تستوي: لا تكون متساوية في القيمة والجزاء. والحسنة: السجيّات والأعمال النافعة. والسيئة: المعاملات الضارّة. وادفع: قابل

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ
ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ
وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾
وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ
إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ
ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ
وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ
فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ
وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ
إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾

وعامل. وأحسن: أفضل من غيرها بين الأقوال والمعاملات. وإذا الذي... وليٌّ أي: فاجأ الإحسانَ صيرورةُ العدوّ كالصديق. والعداوة: والخصومة. والوليّ: الصديق. والحميم: المحبّ. ٣٤ ما يلقّاها: ما يعطى الخَصلةَ الأحسن، وصيرورةَ العدو وليًّا حميًا. وصبروا: تجلّدوا وتحمّلوا المكروه. وذو حظ: صاحب نصيب من الخلق الكريم. والعظيم: الكبير لا مثيل له. ٣٥ إمّا ينزغنّك: إن يُوَسوِسَنّ إليك. والشيطان: من يغري بالشرّ من الجن أو الإنس. والنزغ: الإغراء والغيبة والنميمة. واستعذ: تحصّن من الشيطان. والسميع: المدرك للمسموعات مهما كانت خفيّة. والعليم: المبالغ في الاطلاع والإحاطة بكل شيء. ٣٦ الآيات: الأدلة على الألوهية والوحدانية. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. والشمس: النجم النهاري. والقمر: الكوكب الليلي. ولا تسجدوا: لا تحنوا ظهوركم وركبكم لتضعوا جباهكم على الأرض عبادة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وخلقهن: أوجد الليل والنهار والشمس والقمر من العدم. وإياه تعبدون: تقدسونه وحده. ٣٧ استكبروا: تعاظم المشركون وامتنعوا عن السجود. وعند ربك: في المنزلة المقرّبة. ويسبّحون له: ينزّهونه عما لا يليق بجلاله. ولا يسأمون: لا يملّون من العبادة والتنزيه. ٣٨

سجدة

المعنى العام: أن المؤمنين الصالحين تطمْئنهم الملائكة دائمًا، وتبشرهم بنعيم الجنة، وعونهم في الدنيا والآخرة مع إكرام الله لهم بالطمأنة والرحمة، لأنهم متميزون بالدعوة إلى الخير والعمل الصالح والاستسلام له، وليس لهم نظير بين الآخرين ولن يفضلهم أحد. وإذا كانت الحسنات لا تتساوى والسيئات كذلك فكيف تساوي السيئة الحسنة؟ محال ذلك. فعلى المؤمن مقابلة الآخرين بالإحسان، لتألُّف القلوب وتقريب الخصم من المسالمة والمحبّة. لكن ليس الإحسان بمُصلح نفسَ العدو، إلّا إذا كان فيه استعداد لذلك، أي: من الذين صبروا وملكوا النصيب العظيم من الموادعة.

فإن أصابتك من الشيطان إثارة فاستعن بالله السميع العليم ـ أيها المؤمن ـ يحفظْك برحمته وفضله. و ما كان هنا من الجنّ إثارة فهو للمؤمنين عامة، وما كان من الإنس فهو لهم وللنبي، لأن سلطان الجن عليه محال. ومن دلائل القدرة والوحدانية ما في الكون من المخلوقات المُحكمة فالعبادة له لا لشيء من تلك المخلوقات، وإن امتنع المشركون عن التوحيد كان ضررهم لأنفسهم، لأن الله غني عنهم، والملائكة عنده يلازمون عبادته وتنزيهه بلا ملل.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن
يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ
إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ
لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ
وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

تفسير المفردات: الآيات: دلائل التوحيد والبعث. وترى: تبصر عِيانًا، أيها المخاطَب. والأرض: ما يبس منها. وخاشعة: هامدة من الجفاف. وأنزلنا: أسقطنا. والماء: المطر وما يشبهه. واهتزت: تحرّكت. وربت: انتفخت قبل تصدعها بالنبات. وأحياها: خلق فيها الحياة. والمحيي: الخالق للحياة. والموتى: جمع ميت، من فارقت روحه جسده. والشيء: ما هو موجود أو محتملُ الوجود. والقدير: البالغ القدرة دون معين. **٣٩** يلحدون: يميلون عن الحق بالجدال. وفي آياتنا: بتكذيب القرآن. ولا يَخفَون: لا يستترون. ويُلقى: يرمى. والنار: نار جهنم. وخير: أحسن حالًا. ويأتي: يحضر بنفسه. وآمنًا: مطمئنًا إلى ما هو عليه من الصلاح. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. واعملوا: افعلوا وتحملوا. وشئتم: أردتم عمله. وإنه أي: الله. والبصير: المدرك للأحداث مهما كانت خفية. **٤٠** كفروا بالذِّكر: كذّبوا القرآن. ولمّا جاءهم: حين وصل إليهم وبُلِّغوه. والعزيز: المنيع. **٤١** لا يأتيه: لا يصل إليه ولا يناله. والباطل: ما هو خطأ أو اختلال. وبين يديه: بعد نزوله. وخلفه: قبل نزوله. والتنزيل: الوحي. والحكيم: المتقِن لما يفعل. والحميد: الممجَّد في أمره. **٤٢** ما يقال لك أي: لا تواجه ـ أيها النبي ـ بشيء من التكذيب. والرسل: جمع رسول، من كلِّف بالدعوة والعمل. وذو مغفرة: مالكُ العفو عن الذنوب للمؤمنين. وذو عقاب: مالك الجزاء للكافرين والعاصين. والأليم: المؤلم جدًّا. **٤٣** جعلناه: أوحيناه. والأعجمي: المنسوب إلى الأعجم، أي: بلغة العجم. وقالوا أي: المشركون. ولولا فصلت: هلّا تُفصَّل وتبيَّن. والآيات: النصوص التي تتميز بالفواصل المعروفة. والعربي: المنسوب إلى العرب، أي: بلغتهم الواضحة البيان. وقل أي: لهم، أيها النبي. وهو أي: القرآن الكريم. وآمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. والهدى: الهادي يرشد إلى الحق والخير. والشفاء: الشافي لما في النفوس والعقول. والآذان: جمع أذن، عضو السمع. والوقر: الثقل والانسداد. والعمى: العَمِي المُشكِل المستغلق. وينادَون: يخاطَبون. والبعيد: المغرق في البعد. **٤٤** آتينا: أعطينا وكلفنا بالدعوة والعمل. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. والكتاب: التوراة. واختُلف فيه: كان خصام بين قوم موسى ومن حولهم وبعدهم في شأنه والحكم عليه. ولولا: لولا وجود. والكلمة: القضاء المحكم. وسبقت: مضت في اللوح المحفوظ. ومن ربك: من عنده وبأمره. وقضي بينهم: فُصل بين قومك، بتعجيل العذاب على الكافرين. وإنهم أي: المكذّبين للقرآن. وفي شك منه أي: في اضطراب بشأن القرآن. والمريب: الموقع في التردّد والحيرة. **٤٥** عمل: اكتسب بالنية أو القول أو الفعل. والصالح: ما يرضاه الله. ولنفسه: الثواب حاصل لشخصه وحده. وأساء: أفسد العمل وقبّحه. وعليها: الإثم كائن على نفسه. وما ربّك: ليس ربّك. والظلّام: الكثير الجور. والعبيد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. **٤٦**

المعنى العام: ومن أدلة التوحيد والبعث ما يكون في الأرض من الجفاف، فيصير بالماء حياة ونباتًا تنتفخ به وتنشق عنه، والذي أحيا هذا يحيي الموتى بالبعث. فالمكذبون للقرآن يعلمهم الله، ولاشك أن المؤمنين أفضل منهم في الدنيا والآخرة، وكل ما في القرآن حق. فلا يتطرق إليه اعتراض بما نزل قبله ولا ما سيرد بعده من العلوم، بل يكون ذلك كله مصدِّقًا له. والمشركون يكذّبون كما كُذِّب الرسل من قبل، والله ينتقم من الكافرين ويغفر للمؤمنين. وكان النبي ﷺ يلقَى يسارًا اليهودي الأعجمي ليدعوه ويعظه، فزعم المشركون أنه يعلّم النبيَّ العظيم آياتِ القرآن الكريم، وتمنّى بعض المشركين للتعجيز أن ينزل بلغة العجم كالكتب المتقدمة، وآخرون أن يكون بعضه بلغة العجم والآخر بلغة العرب، فنزلت الآية ٤٤ تنكر ما هم عليه من التناقض والاضطراب، إذ كيف يجمعون بين عُجمة اليهودي وعروبة القرآن، ثم لو نزل بالأعجمية لاحتاجوا هم إلى ترجمته. فهو هداية وشفاء للمؤمنين، وللكافرين تعمية كأنهم يخاطبون به من المجاهيل.

وقد جرى مثل هذا التكذيب والخلاف في التوراة، وهذه عادة مألوفة منذ القدم. ولكن الله يمهل المشركين، لِما قضى من تأجيل العذاب، وهو ذو العدل المطلق حقًّا. وما كان من نفي للمبالغة هنا فهو مبالغة في النفي للظلم أصلًا، وتثبيت مؤكد للعدل البالغ.

تفسير المفردات: إليه: إلى الله وحده. ويُردّ: يُصرف ويُرجع. والعلم: الإحاطة الحقّة بالوقت المحدّد. والساعة: يوم القيامة. وما تخرج: ما تظهر. والثمرة: ما ينعقد عن الزهر للغذاء والزينة والدواء. والأكمام: جمع كُمّ، ما يحيط بالثمرة قبل ظهورها. وتحمل: تحوي من الأجنّة. والأنثى: التي تلد من الإنسان والحيوان. وتضع: تلد. والعلم: الإحاطة التامّة والإرادة. واليوم: الوقت. ويناديهم: يسأل الله المشركين على لسان ملائكة العذاب. والشركاء: جمع شريك، المخلوقات التي جُعلت شريكة في الألوهية. وآذنّاك: اعترفنا الآن. وما منّا من شهيد: ليس فينا شاهد بشريك لك. **٤٧** ضل: غاب. ويدعون: يعبدونه. وقبلُ: قبلِ يوم القيامة. وظنّوا: أيقنوا. وما لهم: ليس لهم. والمحيص: المهرب من العذاب. **٤٨** لا يسأم: لا ينقطع رجاؤه. والإنسان: المشرك. والدعاء: الإلحاح في الطلب. والخير: ما يتغلب فيه النفع. ومسّه: أصابه. والشرّ: ما فيه ضرر. واليؤوس: مَن يشتد فيه قطع الأمل. والقَنوط: مَن يَكثر فيه اليأس والغمّ. **٤٩** لئن: أُقسِمُ إن. أذقناه: آتيناه. والرحمة: العطف بالإحسان. ومنّا: من عندنا. والضرّاء: الشِّدّة. وهذا لي أي: الإنعام أستحِقه بعملي وما لي من الفضل. وما أظنّ: لا أعتقد. وقائمة: حاصلة كما يزعم المؤمنون. ورُجعت: بُعثت للحساب. والربّ: الخالق المالك المتفرد. وعنده: في حكمه. والحسنى: الكبرى من النعم. ونُنبئنّ: نُخبرنّ. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وعملوا: اكتسبوه بقلوبهم وألسنتهم وفعلهم.

سورة فصلت الجزء الخامس والعشرون

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾
لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟
وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ
أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم
بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ
ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

ونذيقنّهم: ننزلنّ بهم. والعذاب: التعذيب. والغليظ: الشديد. **٥٠** أنعمنا: تفضّلنا بالمتاع والزينة. وأعرض: شُغل بالشرك واللذائذ. ونأى: انحرف وتباعد. والجانب: أحد طرفَي الإنسان. والشر: الأذى. وذو دعاء أي: صاحب استغاثة وطلب للعون. والعريض: الواسع. **٥١** قل أي: للكافرين، أيها النبي. وأرأيتم: تفكروا وأعلموني ما يتحقّق لديكم. وكان أي: القرآن الكريم. ومن عندالله أي: من وحيه. وكفرتم به: أنكرتموه من غير دليل. وأضل: أكثر انسياقًا إلى الباطل. والشقاق: الخلاف والخصام. والبعيد: المفارق للحق. **٥٢** سنريهم: لا بد أن نبصّرهم ونعرّفهم بما يُكشَف لهم من أسرار في الكون والحياة، والأحداث العجيبة الخلق والتقدير. والآيات: الأدلة القاطعة. والآفاق: جمع أُفُق، أقطار السماوات والأرض. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ويتبيّن: يتحقّق بالبراهين. وأنه أي: القرآن الكريم. والحق: الثابت أنه منزّل من عند الله. وألم يكف بربك: قد كفى ربُّك وأغنى عن التعنّت. والشيء: ما هو موجود. والشهيد: العالم جملة وتفصيلًا. **٥٣** وألا: حقًّا. والمرية: الشك والتردّد. ولقاء ربهم: مقابلة ما توعّدهم به من يوم القيامة. وإنه أي: الله. والمحيط: العالم بالغَ العلم لا يخفى عليه أبدًا. **٥٤**

المعنى العام: لمّا قال المشركون: يامحمد، إن كنت نبيًّا فخبّرنا: متى قيامُ الساعة؟ نزلت الآيتان ٤٧ و٤٨ بأن عند الله وحده علم ذلك، وكلِّ حمل وعطاء من ثمر وجَنين، ويوم القيامة يسأل الزبانيةُ الكافرين للتوبيخ عن غياب معبوداتهم التي تشفع لهم فينكرون الشرك، ويفتقدون أباطيل كفرهم ويتحقق لديهم أنه لا نجاة من العذاب.

لقد كان الواحد منهم لا يتواني في طلب الخير، ويتلقى الأذى باليأس الشديد والدعاء العريض، وإذا أكرمه الله بنعمة وأنقذه من سوء يزعم أنه يستحق ذلك بمنزلته، ومع إنكاره للبعث يدعي أن إكرامه في الدنيا يقتضي تفضيله في الآخرة، إن حصلت. فهو يتجاهل شكر الله على النعم، ويستغيث به عند النقم، ولا بد أن يرى الكافرون أعمالهم يوم القيامة، وينالوا عليها أشد العقاب.

وسلهم أن يخبروك ـ أيها النبي ـ عن مدى شقائهم ونتائج كفرهم، إذا علموا أن نزول القرآن هو وحي محقق من عند الله. ثم ولا بد أن يروا في عجائب الكون والنفس الإنسانية من الحقائق العلمية ومباهر التكوين المُحكم وغرائب الأحداث في الناس والأمم والحيوان والنبات والجماد والعلم والخيال والعاطفة ما يؤكد لهم ذلك، وكفى بالله شهيداً عليه، وهو بكل شيء عليم مهما بعد أو غاب. غير أنهم يتردّدون في قبول الإيمان للتهرب من مسؤولية البعث، وسوف يجازيهم الله بما يقابل كفرهم من العقاب.

٤٢ ـ سورة الشورى

سُورَةُ الشُّورَىٰ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ
ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ
ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ
حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي
ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ
مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾
أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

تفسير المفردات: حمٓ ١ عٓسٓقٓ: أحرف مقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ٢ كذلك أي: مثلَ إيحاء ما كان قبل الآيات التالية. ويوحي: يبلّغ على لسان جبريل للتكليف بالعمل والدعوة، ويتكفل بالتبليغ والحفظ والبيان. والذين أي: الرسل. والعزيز: الغلّاب يَذل لعزته ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٣ له أي: مُلكه متفردًا به. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والعليّ: البالغ في علو الرتبة ودونه كل مخلوق. والعظيم: الذي لا يتصوّره عقل ولا تحيط بكنهه بصيرة. ٤ تكاد: تقارب. ويتفطّرن من فوقهنّ: تتشقق كل واحدة فوق التي تليها. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات من النور. ويسبّحون: ينزهون الله عما لا يليق بجلاله. وبحمد: مع ثناء بالجميل على الفضل. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. ويستغفرون: يشفعون بطلب محو الذنوب. ومن في الأرض أي: مِن المؤمنين. وألا أي: حقًّا. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة للمؤمنين. ٥ اتّخذوا: جعلوا. ودونه: غير الله. والأولياء: جمع وليّ. وهو المعبود يُعتمد عليه. والحفيظ: المحصي للأعمال كلها والمجازي عليها. وما أنت عليهم بوكيل أي: لست بموكول إليك ـ أيها النبي ـ أمرهم في إلزام الهداية والطاعة. ٦ قرآنًا أي: ما يُقرأ ويُكتب. وعربيًّا يعني: أنه بلغة العرب واضح بيّن لك ولهم. وتنذر: تهدّد بالعذاب لمن يصرّ على الكفر. وأُمّ القرى أي: سُكّان أعظم المدن وأكرمها مكة. والقرى: المدن، جمع قرية. ومن حولها أي: سائر الناس. واليوم: الوقت. والجمع أي: جمعهم للحساب. ولا ريب فيه: لا شك في مجيئه كما قُدّر له. والفريق: القسم المتميز. والجنّة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. والسعير: نار جهنم المتوقّدة. ٧ شاء: أراد أن يجعل الناس على الهدى. والله: اسمٌ علَمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وجعلهم: صيّر الناس. والأمّة: الجماعة على دين واحد في العقيدة والشريعة. ويُدخل: يقدّر الدخول ويقضيه. ويشاء: يريد الله أن يرحمه لِما في نفسه من الصلاح. والرحمة: العطف بالإحسان أي: الإسلام. والظالمون: المجاوزون للحقّ بالكفر. وما لهم: ليس لهم. والولي: من يتولى أمر غيره ويحميه. والنصير: المدافع للعذاب. ٨ أم اتخذوا: بل لا يجوز أن يجعلوا. ويحيي: يخلق الحياة. والموتى: جمع ميت، مَن كان بغير روح. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: البالغ القدرة والتمكّن. ٩ واختلفتم فيه: تنازعتم والكفارَ بسببه. والحكم: الفصل والقضاء بالحق. وإلى الله أي: إلى كتابه المنزل في الدنيا وإلى حسابه يوم القيامة. وذلكم أي: الموصوف بما مضى من الصفات الحسنى. وتوكلتُ: اعتمدتُ في جميع شؤوني. وإليه: إلى أمره ونهيه ورضاه. وأنيب: أرجع دائمًا. ١٠

المعنى العام: أن الله العزيز الحكيم والعلي العظيم والمالك لِما في الكون هو الذي أوحى إلى محمد ﷺ والأنبياء، ومِن عظمته تكاد السماوات تتشقق متوالية وتنهار، والملائكة ينزّهونه مع حمده ويستغفرون للمؤمنين، لأنه هو الغفور الرحيم.

أما المشركون فيعبدون غير الله، وسيحاسبهم وليس عليك ـ أيها النبي ـ غير تبليغ الرسالة والإنذار. فالقرآن كالكتب المتقدمة قبله وحي من الله، وهو واضح بلغة العرب تبلّغه أهلَ مكة وغيرهم، وتهدّدهم بما في البعث الذي لا شك فيه من نعيم للمؤمن وعذاب للكافر.

وقد ترك الله للناس حقّ اختيار العقيدة، لينال كلٌّ جزاءه من الرحمة والعذاب، ولو شاء لجعلهم جميعًا على دين واحد من إيمان أو كفر. والمشركون يوبَّخون على إشراكهم، ويؤمرون بالتوحيد، لأن الله هو الولي بحق، بيده الحياة والموت والقدرة على كل شيء، ثم له الحكم فيما اختلف بسببه الناس. وأنت ـ أيها النبي ـ تبلّغ التوحيد والتوكل على الله.

سورة الشورى — الجزء الخامس والعشرون

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا
وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾
۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ
إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ
يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ
سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ
أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ
وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ
بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ
لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾

ربع الحزب ٤٩

تفسير المفردات: الفاطر: المبدع على غير مثال سابق. والسماوات: ما يحيط بالأرض من جو وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وجعل لكم: خلق لأجلكم. ومن أنفسكم أي: من جنسها الإنساني. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والأزواج: الزوجات، جمع زوج. وهو الزوجة. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. وأزواجًا أي: أصنافًا يتقابل فيها ذكر وأنثى. ويذرؤكم: يكثّركم بالتوالد. وفيه: بسبب التزاوج. وليس كمِثله: ليس مُماثلًا له في الذات أو الصفات أو الأفعال. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده أو متصوّر. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والبصير: المدرك للأحداث وقت وقوعها. ١١ له أي: مُلكه وحده. والمقاليد: مفاتيح الخزائن، جمع مِقلاد. ويبسط: يوسّع. والرزق: ما يهيّأ للمخلوق من حاجاته المادية. ويشاء: يريد أن يبسط له. ويقدر: يضيقه لمن يشاء تضييقه عليه. والعليم: المطّلع المحيط بالغَ الإحاطة. ١٢ شرع لكم: بيّن لأجلكم وفرض عليكم. والدين: العقيدة والعبادة والأخلاق والعمل. ووصّى به: أمر وأوجب. ونوح هو رابع نبي فيما نعلم كان قومه يعبدون الأصنام. وأوحينا: أنزلنا على لسان جبريل وتكفلنا بالحفظ والتبليغ والبيان. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. وعيسى: نبي النصارى. وأن أقيموا الدين أي: إقامته وتحقيقه والمواظبة عليه قويًا تامًّا. ولا تتفرّقوا: لا تتوزّعوا جماعات متنازعة. وكبر: عظُم. والمشركون: الذين يقدّسون مع الله غيره. وتدعوهم إليه: تحضّهم عليه، وهو التوحيد. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويجتبي: يختار. ويشاء: يريد الله أن يجتبيه. ويهدي إليه: يصرف إلى توحيده. وينيب: يُقبل إلى الطاعة. ١٣ ما تفرقوا: ما اختلف أهل الأديان. وجاءهم: وصل إليهم. والعلم: المعرفة اليقينيّة. والبغي: الظلم والحسد. ولولا أي: لولا وجود. والكلمة: الحكم والقضاء. وسبقت: وقعت بتأخير العقاب فوجب تحققها. ومن ربك: بحكمه وقضائه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والأجل: الزمن المؤخّر لحدوث الشيء. والمسمّى: المحدّد عند الله. وقضي: حُكم وفُصل. وأورثوا الكتاب: كان لهم التوراة والإنجيل كالإرث. وبعدهم أي: بعد من تفرقوا في أمر الكتاب. والشك: الزيغ. ومنه: من كتابهم بما فيه من التوحيد والتبشير بمحمد ﷺ. والمريب: المُوقع في الريبة، قلق النفس واضطرابها. ١٤ لذلك أي: إلى التوحيد. وادع: حُضّ الناس، أيها النبي. واستقم: اثبت عليه في التوجه والعمل. وأُمرت: فُرض عليك. ولا تتّبع: لا توافق. والأهواء: جمع هوى، شهوة النفس. وقل أي: للكافرين. وآمنت: صدّقت. وأنزل: أُوحى. وأعدل: أحكم بالعدل. والأعمال: جمع عمل، ما يكتسبه الإنسان من نية أو قول أو فعل. والحجة: الخصام والقتال. ويجمع بيننا: يحشرنا بالبعث. وإليه: إلى لقاء حسابه. والمصير: المرجع يوم القيامة للحكم بيننا. ١٥

المعنى العام: أن الله أبدع خلق الكون على غير مثال سابق، وخلق النساء من جنس الرجال لا من ضلوعهم، والأنعامَ جعلها جنسين أيضًا للتزاوج والتكاثر، وهو المتفرد لا مثيل له في ذاته وصفاته، وله التصرف المطلق في الكون والرزق بالتوسعة والتضييق على من يشاء، وقد أوضح الدين القويم للأنبياء جميعًا، آمرًا بالاستقامة والتآلف، ولكن أتباعهم اختلفوا بعد وصول الدعوة إليهم ظلمًا وحسدًا وجشعًا، وعظُم على المشركين وأهل الكتاب قبول الإسلام، فأمهلهم الله ولم يحكم بينهم بما يستحقون من العقاب، لأنهم مؤجّلون إلى وقت محدّد.

فادع إلى الإسلام ـ أيها النبي ـ ودُم على الحق، وقل لهم بأنك مؤمن بالكتب المنزلة وستعدل بين الجميع، ولكلٍّ عمله يُسأل عنه وحده فلا خصام ولا قتال بيننا، والله يحشر الجميع بالبعث يوم القيامة للحساب والجزاء.

تفسير المفردات: يحاجون: يخاصمون ويجادلون. في الله: بسبب توحيده وشريعته. واستجيب له أي: استجاب له الصحابة. والحجة: الخصومة والمجادلة. وداحضة: باطلة مضمحلّة. وعند ربهم: في حكمه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والغضب: السخط يكون عنه الانتقام. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: العظيم في الآخرة لا مثيل له. ١٦ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأنزل: أوحى وأمر بالعمل. والكتاب: القرآن الكريم. وبالحق أي: لبيان ما يجب من العقيدة والشريعة. والميزان: آلة العدل. وما يدريك: أيُّ شيء يُعلمك؟ ولعلّ: تحقّق وثبَت. والساعة: وقت القيامة. وقريب: عاجل غير بعيد. ١٧ يستعجل بها أي: يطلب تعجيلها تهكمًا. ولا يؤمنون بها: ينكرون صحة وقوعها. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. ومشفقون منها أي: فزِعون مما يكون فيها. ويعلمون: يدركون باليقين. والحق: الواقعة لا محالة. وألا: حقًّا. ويمارون: يجادلون بشك وتكذيب. وفي الساعة: في صحة إتيانها. والضلال: الجهل والخطأ. وبعيد أي: عن الحق والصواب. ١٨ اللطيف: يرفُق ويُحسن بخفاء. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. ويرزق: يوسّع بتيسير الحاجات. ويشاء: يريد الله أن يرزقه. والقوي: الكامل القدرة بذاته. والعزيز: الغالب على أمره. ١٩ يريد: يطلب ويفضّل. والحرث: إلقاء البذر للزراعة، أي: ثمرة الأعمال وثوابها. والآخرة: الحياة يوم القيامة. ونزيد: نضيف ونضاعف. وحرث الدنيا: متاعها ولذائذها. والدنيا: الحياة القريبة يعيش فيها الناس. ونؤتيه: نعطيه. وما له: ليس له. والنصيب: الحظ من النعيم. ٢٠أم لهم: بل للكفار. والشركاء: جمع شريك، أي: في الألوهية والطاعة. وهم الشياطين من الجن والإنس. وشرعوا: وضعوا شريعة. والدين: ما يشمل العقيدة والعبادة. ولم يأذن: لم يأمر. ولولا أي: لولا وجود. والكلمة: القول. والفصل: الحكم المحتّم بالإمهال. وقُضي: حُكم وفُصل. والظالمون: المجاوزون للحق بالكفر. والأليم: المؤلم جدًّا. ٢١ ترى: تبصر عِيانًا، أيها المخاطب. ومما كسبوا: بسبب أعمالهم. والواقع: النافذ المحقّق. وعملوا: اكتسبوا من نية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الله. والروضة: المكان المرتفع المتميز بجماله. والجنة: البستان العظيم فيه القصور والنعيم الأبدي. ويشاؤون: يريدونه ويشتهونه. وعند ربهم: في المنزلة المقرّبة. وذلك أي: ما ذكر من النعيم والإكرام. والفضل: التفضل بالخير. والكبير: العظيم لا مثيل له. ٢٢

الجزء الخامس والعشرون — سورة الشورى

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ
دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ
١٦ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ١٧ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨
ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ
١٩ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن
نَّصِيبٍ ٢٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ
مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ
وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢١ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢

المعنى العام: أن كفار قريش يجادلون المؤمنين في دين الله من التوحيد والبعث، وقد آمن به الناس، ليردّوهم إلى الجاهلية، ولكن جدالهم فاسد لا أثر له وحججهم باطلة عند الله وعليهم غضبه ولهم العقاب الشديد. وقد أنزل الله القرآن الكريم لِما يجب اتباعه في الدنيا، من العقيدة والشريعة ومقاييس العدل بالعمل الكريم.

وعندما ذكر النبي ﷺ الساعة أمام المشركين قالوا استهزاء: متى تكون؟ فنزلت الآيتان ١٧ و ١٨ بأنه لا يعلم وقتها إلّا الله وهو قريب، والمؤمنون واثقون بتحقق وقوعها وفزعون مما سيكون فيها، والمجادلون في ذلك تائهون في ضلال لا حد له. فالله يحسن إلى العباد يرزقهم بما يريد من سعة وتضييق، وهو قوي على التقدير والخلق وعزيز في ملكه يَذلّ له ما في الكون جميعًا، ويضاعف ثواب من يريد الآخرة بنيته وعمله، ويعطي طالب الدنيا ما يناسبه من المتاع الآني الزائل، ثم لا يكون له في الآخرة إلاّ العذاب.

وهؤلاء المشركون اتبعوا شياطين الإنس والجن، فيما ضللوهم من الكفر والباطل ووضعوا لهم ما لم يأمر به الله من الاعتقادات والأحكام، ولولا القضاء المحدّد للحساب في اللوح المحفوظ وأُمّ الكتاب لحكم الله بين الجميع، ولكن سيكون حسابهم يوم القيامة بعذاب شديد للكافرين، حيث يفزعون مما سيقع بهم من العذاب، والمؤمنون الصالحون في نعيم الجنان المتميزة ولهم ما يطلبون من الخير بفضل الله.

تفسير المفردات: ذلك أي: ما أعدّه الله من الإكرام. ويبشر: يبلّغ ما يَسرّ. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. وآمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا بنية أو قول او فعل. والصالحات: ما حسّنه الله. وقل أي: للأنصار، أيها النبي. ولا أسألكم: لا أطلب منكم. والأجر: المكافأة. والمودّة: المحبّة والوفاء. والقُربى: أقرب أقربائي. ويقترف: يكتسب. والحسنة: العمل الذي حسّنه الشرع. ونزيد: نضاعف. والحُسن: الثواب الكثير. والغفور: الكثير الستر والعفو عن الذنوب. والشكور: المعطي الثوابَ الجزيل على العمل القليل. **٢٣** أم يقولون: بل يقول الكافرون. وافترى: اختلق محمد القرآن من تأليفه. والكذب: الباطل. ويشاء: يريد لك الصبر على الأذى. ويختم: يربط ويشدّ بالتحمّل. والقلب: موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. ويمح: يمحو أي: يمحق. حذفت الواو للتخفيف. والباطل: الكذب لا أصل له. ويحق: يُثبت. والحق: الصدق. والكلمات: الآيات القرآنية. والعليم: المطّلع المحيط بالغَ الإحاطة. وذات الصدور أي: ما فيها من القلوب. والصدور: جمع صدر. **٢٤** يقبل: يرضى. والتوبة: الرجوع إلى الطاعة. ويعفو: يصفح. والسيئة: ما قبح لمخالفته الشرع. ويعلم: يطّلع ويحيط إحاطة مطلقة. وما تفعلون: ما تكتسبونه من نية أو قول أو عمل. **٢٥** يستجيب: يجيب اللهُ إلى تحقيق ما يُسأل. ويزيدهم: يضيف إليهم ويضاعف. والفضل: الإحسان بالخير. والكافرون: الذين كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: القوي لا مثيل له. **٢٦** بسط: أطلق دون حكمة. والرزق: ما يُعطاه المخلوق من النعم. وبغوا: طغَوا وتجاوزوا الحق فكان الاضطراب والدمار. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وينزّل: يقضي ويخلق من الرزق. والقدر: التقدير المُحكم. ويشاء: يريد أن ينزّله. وخبير بصير: يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم. **٢٧** ينزّل: يُطلق ويُسقط بدفعات. والغيث: المطر المفيد. وقنطوا: يئس العباد. وينشر: يبسط ويوسّع. والرحمة: العطف بالإحسان. والوليّ: المحسن إلى المؤمنين. والحميد: المستحق للثناء. **٢٨** من آياته: بعض الأدلة القاطعة على الألوهية والوحدانية والبعث. والخلق: الإيجاد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وبث: نشر وفرّق. وفيهما: في السماوات والأرض. والدابّة: المخلوق الحيّ يتحرّك أو يمشي. والجمع: الحشد والتلاقي في الدنيا، أو الإحياء بالبعث للعاقلين بعد الموت. وإذا يشاء أي: وقت إرادته أن يجمعهم. والقدير: الكامل الاقتدار بذاته. **٢٩** ما أصابكم: أيُّ شيء نزل بكم. والمصيبة: البلية. وبما كسبت: حاصل بسبب ما عملته مخالفةً أمر الله. والأيدي: جمع يد. والكثير: العدد الوافر. **٣٠** ما أنتم: لستم، أيها المشركون. ومعجزين أي: قادرين على التخلص من العبودية والعقاب. وما لكم: ليس لكم. ودون الله: غيره. والولي: من يتولى الأمور. والنصير: من يدافع ويعين. **٣١**

نصف الحزب ٤٩

الجزء الخامس والعشرون — سورة الشورى

ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ
أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ
لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ
عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥
وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ
وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ٢٦ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ
لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ
خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ
وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ
إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ٢٩ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا
كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ
فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١

المعنى العام: أن ما ذكر قبلُ من الفضل هو بشارة للمؤمنين الصالحين. وقد جمع بعض الأنصار مالاً، ليستعين به النبي ﷺ فرده عليهم شاكرًا، ونزل في الآية ما يقوله لهم من مودة أقربائه وإحسان الله إليهم، فظن الأنصار أن المراد هو عون أهل البيت والقتال عنهم، فنزلت الآيات ٢٤-٢٦ تعرّض بتكذيب الكافرين وتهددهم، وتبشر المؤمنين بالفضل والعون والتوبة. فالله يثبّت النبي الكريم ويمحق أكاذيب الكافرين ويعاقبهم أشد العقاب، ويحسن إلى المؤمنين التائبين بالعفو والفضل. وعندما تمنى فقراء الصحابة أن يغنيهم الله، نزلت الآيات تبين وجه الحِكمة. فالرزق الكثير يسبب كثرة الفساد والبغي والبغاء، والتقدير المناسب للغيث والنعم يحفظ العباد والبلاد بالرحمة. وفي خلق الكون والأحياء وغيرهم أدلة على توحيد الله، وهو يوزعهم في الحياة، ثم يجمع ما يشاء منهم يوم القيامة، وتنزل المصائب على الناس بسبب أعمالهم، مع أن الله يهمل الكثير منها، ولن ينجو الكافرون من العذاب، وليس لهم معين ولا منقذ...

تفسير المفردات: من آياته أي: بعض الأدلة على الألوهية والوحدانية. والجوارِ: الجواري: جمع جارية، السفينة التي تجري. حذفت الياء من الجمع للتخفيف. والبحر: ما اجتمع من الماء الكثير كالنهر والبحيرة وغيرهما. والأعلام: الجبال، جمع عَلَم. **٣٢** يشاء: يريد أن يُسكن الريح، أي: يوقفها ويمنع حركتها. والريح: الهواء المتحرك. ويظللن: تصِير السفن. والرواكد: الثوابت، جمع راكدة. وظهره: سطح البحر. وذلك أي: المذكور من الخلق العجيب. والصبّار: المؤمن الكثير التحمل للبلاء. والشكور: الكثير الشكر على النعم. **٣٣** يوبقهن: يدمّر السفن بالغرق. وبما كسبوا: بسبب ذنوب أهلها. ويعف: يعفو: يصفح. حذفت الواو للتخفيف. والكثير: العدد الوافر من الذنوب. **٣٤** يعلم: يدرك يقينًا بالأدلة القاطعة. ويجادلون: يخاصمون وينازعون. وما لهم: ليس لهم. والمحيص: المهرب من العذاب. **٣٥** ما أوتيتم: الذي أُعطيتم إيّاه. والشيء: ما هو موجود من نعيم الدنيا. والمتاع: ما يُتلذذ به ويفاخَر. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة منكم تعيشون فيها. وما عند الله أي: الذي أعدّه في المنزلة المقرّبة. والخير: الأفضل. وأبقى: أثبت لا ينقطع. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعلى ربهم يتوكلون: إليه وحده يفوضون الأمر. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. **٣٦** يجتنبون: يبتعدون وينكرون. والكبائر: جمع كبيرة، ما هو عظيم خطير. والإثم: ما يكون عليه عقاب. والفواحش: جمع فاحشة، أقبح الذنوب كالقتل والزنى والسرقة. وإذا ما غضبوا:حين يثورون لنزاع أو خلاف. ويغفرون: يصفحون. **٣٧** استجابوا: أجابوا وأطاعوا. وأقاموا الصلاة: أدّوها بأركانها وآدابها كما يجب. وأمرهم: ما يجري بينهم من الأحداث. والشورى: التشاور بهدوء. ورزقناهم: أعطيناهم. وينفقون: يبذلون في سبل الخير. **٣٨** وإذا أصابهم البغي: حين ينزل الظلم بهم. وينتصرون: ينتقمون ويعاقبون. **٣٩** والجزاء: العقوبة. والسيئة: ما قبّحه الشرع. ومثلها: مماثلة لها في القدر. وعفا: صفح عن ظالمه. وأصلح: أزال الخلاف. والأجر: الثواب. ولا يحب: يكره ويعاقب. والظالمون: الذين يبدؤون بتجاوز الحد في قول أو فعل. **٤٠** ومن انتصر: الذي انتقم وجازى ظالمه. وما عليهم: ليس عليهم. والسبيل: الطريق للمؤاخذة. **٤١** الناس: البشر. ويبغون: يعتدون ويتكبّرون. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والحق: العدل. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: الشديد الإيلام. **٤٢** صبر: تحمل الأذى. وغفر: سامح من تردعُه المسامحة ولا تطغيه. وذلك أي: الصبر والمسامحة. والعزم: الطلب والحض. والأمور: جمع أمر، ما يؤمر به. **٤٣** يضل: يوجّه القدرات إلى ما يناسب الاستعداد الخبيث. والولي: من يتولى الأمر والهداية. وبعده: بعد الإضلال. وترى: تبصر يوم القيامة عِيانًا، أيها المخاطَب. والظالمون: الكافرون ماتوا على الكفر. ولمّا رأوا العذاب: حين يبصرون النار وأنها لهم. والمردّ: الرجوع إلى الدنيا للإيمان. ومن سبيلٍ: طريقٌ بشفاعة أو رحمة.**٤٤**

الجزء الخامس والعشرون سورة الشورى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ
﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

المعنى العام: متابعة ذكر أدلة التوحيد، بأن منها أيضًا حركة السفن كالجبال في البحر، ولو أراد الله لثبّتها أو أغرقها عقابًا للظالمين، ولكنه يعفو ليفتح مجال التوبة والإيمان لكل صابر شاكر ولمعرفة أنه لا مهرب من الجزاء. أما متاع الدنيا فزائل بالنسبة إلى نعيم الآخرة للمؤمنين المحسنين، والمسامحين حين الغضب، والمطيعين بالصلاة والتشاور والإنفاق في الخير، والمعاقبين للظالمين بمثل ما فعلوا. ومعاقبتهم هذه عدل، وإن عُبّر عنها بالظلم للمجانسة اللفظية، ولكن العفو والإصلاح أفضل، والله يثيب على ذلك، وينتقم من المعتدين. وإذا جازى المظلوم ظالمه فلا مؤاخذة له بعقاب أو عتب، لأنه فعل ما هو جائز شرعًا، وإنما المؤاخذة في الدنيا والآخرة للمعتدين والمتكبرين. ثم إن فائدة التحمّل والعفو تحصل لمن يصلحه ذلك ولا يشجعه على البغي، وهما مما أُمر به وطُلب شرعًا. أما الذين أضلهم الله فلا هادي لهم ولا معين، وسيتمنون حين يرون عذاب الآخرة تأجيله بالعودة إلى الدنيا حتى يُصلحوا ما أفسدوا ...

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

الحزب ٤٩

تفسير المفردات: تراهم: تُبصر الكافرين، أيها المخاطَب. ويعرضون عليها: تعرض نار جهنم عليهم. والخاشعون: الخائفون المتواضعون. ومن الذلّ: بسبب الهوان. وينظرون: يوجهون أبصارهم إلى النار. والطرف: العين. والخفي: الضعيف النظر من الخوف. وقال أي: يقول يوم القيامة. وآمَنوا: صدّقوا الله ورسوله في الدنيا. والخاسرون: الذين فقدوا ما كان عندهم وما يتوقعونه. والأنفس: جمع نفس، الإنسان بروحه وجسده. وأهلون: جمع أهل، أُسرة الإنسان والأقربون إليه. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث. وألا: حقًّا. والظالمون: الكافرون. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والمقيم: الدائم. ٤٥ ما كان: ليس. والأولياء: جمع ولي، من يتولى شؤون غيره ويحسن إليه. وينصرونهم: يدفعون عنهم العذاب. ودون الله: غيره. ويضل: يوجِّه القدرات إلى ما يناسب الاستعداد الخبيث. وما له: ليس له. والسبيل: الطريق إلى الهداية والجنة. ٤٦ استجيبوا: أجيبوا بالتوحيد والطاعة، أيها الكافرون. يأتي: يحصل. والمردّ: الدفع. ومن الله: من عنده وبأمره. وما لكم: ليس لكم. والملجأ: المأوى. ويومئذ: يوم الحساب. والنكير: الإنكار المقبول. ٤٧ أعرضوا: استمروا في الامتناع بإصرار على الكفر. وما أرسلناك: ما بعثناك ولا كلفناك، أيها النبي. والحفيظ: الوكيل المسؤول عن الهداية. وإن عليك: ما عليك. والبلاغ: التبليغ. وأذقنا: أعطينا. والإنسان أي: عموم الناس بالغالبية. والرحمة: العطف بالإحسان. ومنا: من عندنا. وفرح: بَطِر ونسي الشكر. وتصيبهم: تنزل بهم. والسيئة: البلية. وبما قدمت: بسبب ما فعلتْ. والأيدي: جمع يد. والكفور: البليغ الجحود للنعم. ٤٨ الملك: الحيازة والاستيلاء والتصرف. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويخلق: يوجد وينشئ من العدم. ويشاء: يريد. ويهب: يمنح. والإناث: جمع أنثى. وهي البنت. والذكور: جمع ذكر. وهو الابن. ٤٩ يزوّجهم: يخلق الأولاد مختلفِين ذكورًا وإناثًا معًا. والذكران: الذكور. ويجعل: يصيّر. والعقيم: من لا يستطيع إنجاب الأولاد. والعليم: المحيط بالغَ الإحاطة بما يكون. والقدير: العظيم الاقتدار بلا معين. ٥٠ ما كان: لا يصح ولا يستقيم. والبشر: الإنسان. ويكلمه: يخاطبه في الدنيا. والوحي: الأمر يلقى إلى الأنبياء في منام أو إلهام، كلامٌ خفي ينقش في الذهن، وليس بصوت وترتيب وحروف. والحجاب: المانع من الرؤية بسبب عجز التكوين البشري. ويرسل: يبعث ويكلّف. والرسول: المرسل للتبليغ. وهو جبريل. ويوحي: يكلم جبريل النبيَّ. وبإذنه: بأمر الله وإرادته. ويشاء: يريد أن يوحي إليه. والعلي: المتعالي المتنزه عن صفات المخلوقين. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٥١

المعنى العام: متابعة ما في يوم القيامة، بأن الكافرين تُبرز لهم جهنم ليعاينوا أهوالها الرهيبة، فيرقبونها بذلة وتخوف، ويعنفهم المؤمنون بما انتهوا إليه من خسارة لأنفسهم وأهلهم، وبأن عذابهم دائم لا مُعين لهم ولا نجاة، لأن الذين يضلهم الله لا يكون لهم طريق إلى الخير والفوز. فليتعظوا في الدنيا بالاستجابة للإيمان قبل أن يحل بهم ذلك بلا خلاص ولا ملجأ ولا إنكار ولا امتناع. وإلّا فلا تَشغل نفسك بهم ـ أيها النبي ـ لأنك مكلف بالتبليغ لا الهداية والحساب، وهم يبطرون بالنعم والرحمة وينسون شكر الله فيستغرقون في الكفر والشرك، ويستقبلون البلايا بالسخط زاعمين أنها تصيبهم من غير استحقاق. والتصرف في هذا كله ومظاهرِ الكون وحقائقه هو لله وحده، يخلق ما يريد من الذكور والإناث في انفراد وازدواج ويخلق العقم أيضًا.

ولمّا اتصل المشركون باليهود حرّضهم هؤلاء، ليقولوا للنبي ﷺ: «ألا تكلّم الله وتنظر إليه، إن كنتَ نبيًّا صادقًا، كما كلمه موسى ونظر إليه»، فقال لهم: «لم يَنظُرْ مُوسى إلى اللهِ»، ونزلت الآية ٥١ تحقيقًا لقوله، بما يكون من تفصيل لأشكال وحي الله إلى الرسل.

تفسير المفردات: كذلك أي: مثلَ الإيحاء المذكور قبل. وأوحينا إليك: أنزلنا على لسان جبريل إليك، أيها النبي. والروح: القرآن يحيي القلوب. وأمرنا: فِعلنا في الوحي. وما كنت: لم تكن قبل الوحي إليك. وتدري: تعرف. والكتاب: القرآن الكريم. وما الإيمان: أيُّ شيءٍ أصول العقيدة؟ وجعلناه: صيّرنا القرآن. والنور: ما يضيء لتمييز الحق من الباطل. ونهدي: نصرف القدرات إلى ما يناسب الاستعداد الكريم. ونشاء: نريد أن نهديه. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. وتهدي: تدعو. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. ٥٢ السماوات: ما يحيط بالأرض من أجزاء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وألا: حقًّا. وإلى الله أي: إلى إرادته و حكمه وقضائه. وتصير: تنتهي دون وسائط أو معين. والأمور: جمع أمر، شؤون الخلائق. ٥٣

المعنى العام: أنه كما أوحى الله إلى الرسل أوحى إلى محمد ﷺ القرآن، وهو ما كان يعرف قبله شيئًا عن حقائق الدعوة، فجعله يبشر بالحق والصلاح، فيهتدي من شرح الله قلبه للإسلام. أما جميع أحوال المخلوقات وأمورها فبإرادة الله في الدنيا والآخرة.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ
وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

٤٣ ـ سورة الزُّخرف

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

تفسير المفردات: حمٓ: من الأحرف المقطّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ١ وَالكتابِ أي: أُقسِمُ بالقرآن الكريم. والمبين: المُظهر لطريق الهداية. ٢ جعلناه: أنزلناه وأوضحناه. وقرآنًا أي:مقروءًا. والعربيّ: الواضح البليغ بلغة العرب. ولعلكم: لتترجَّوا، أيها العرب ومن يتصل بهم. وتعقلون: تفهمون معانيه وتسترشدون. ٣ أُمّ الكتاب: أصل الكتب، سِجِلّ لِما كان ويكون في الوجود، وهو عرضة للمحو والإثبات، معلق بما يجدّ من الأسباب والاحتمالات. ولدينا: عندنا. والعليّ: الرفيع القدر لِما فيه من الإعجاز، والإكمال للشريعة والحقائق العلمية والأخبار الصحيحة. والحكيم: المُحكَم في وضع الأمور المناسبة على أحسن تقدير. ٤ أنضرب أي: لن نُمسك ما بقي ولا نزيل ما نزل من قبل. والذكر: المُذكِّر، ما فيه تذكير وهداية. وصفحًا أي: منعًا وإمساكًا. وأن كنتم: بسبب أنكم. والقوم: الجماعة من الناس. والمسرفون: المنهمكون في الجهل والشرك بقصد وإصرار. ٥ كم أي: كثيرًا. وأرسلنا: بعثنا. والنبي: من كلِّف بالدعوة إلى التوحيد والبعث مع العمل. والأولون: الأُمم المتقدّمة المدمَّرة. ٦ ما يأتيهم من نبيٍّ: ما يجيئهم نبيٌّ ولا يبلّغهم. ويستهزئون: يسخرون ويتهكمون. ٧ أهلكنا: دمّرنا وأفنينا. وأشدّ منهم أي: أقوامًا أعظم وأكثر من مشركي مكة. والبطش: القوة والبأس. ومضى: سبق في آيات من القرآن الكريم قبل نزول هذه السورة. والمَثَل: التمثيل بوصف الهلاك. ٨ لئن: أُقسِمُ إن. وسألتهم: طلبت من المشركين الجواب، أيها النبي. وخلق: أوجد من العدم. ويقولنّ: يصرّحنّ بالقول. والعزيز: الغلاّب لا يُعجزه شيء. والعليم: المطّلع والمحيط بكل شيء. ٩ جعل لكم: صيّر لمصالحكم. ومهدًا أي: ممهَّدة مسهّلة للعيش والسعي. وجعل فيها: خلق فيها. والسبل: جمع سبيل، السهول والمنخفضات. ولعلكم: لتترجَّوا. وتهتدون: تسترشدون إلى المقاصد والعمل. ١٠

المعنى العام: أقسم الله بالقرآن الكريم أنه جعله باللغة العربية واضحًا معجزًا، ليفهمه العرب ومن يتعلم العربية، وهو محفوظ في أُمّ الكتاب بالصون والرفعة، ومُحكم في نظمه ومعانيه. وإذا كان المشركون قد أسرفوا في البغي فلن يقطع الله عنهم الوحي وسيكون لهم عقابهم المناسب. وهذه عادة الأقوام من قبل، كثيرًا ما يتلقون الرسل بالإعراض والتهكم، وتكون نهايتهم الاستئصال، مع أنهم أقوى من قريش وأعظم شأنًا. وإذا سألتَ ـ أيها النبيّ ـ هؤلاء عن خالق الكون أجابوك أنه العزيز العليم. فهم يقرّون بالألوهية ويجهلون صفاتها الحسنى. والله يوبّخهم مبينًا لهم أنه مهّد الأرض، على خلاف ما في الكواكب الأُخرى، وأوجد فيها السهول والوديان لتيسير الحياة والعمل...

تفسير المفردات: نزّل: أرسل. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما يشبهه. والقدَر: الكمّيّة المناسبة المقدّرة. وأنشرنا به: أحيينا بسبب الماء. والبلدة: المنطقة المستقرّة. والميت: التي لا نبات فيها ولا نماء. ١١ كذلك أي: مثلَ هذا الإحياء. وتُخرجون: تبعثون بعد الموت، أيها الكافرون. ١٢ خلق: أوجد. والأزواج: جمع زوج، الصنف له مقابل من جنسه، كالذكر والأنثى والأبيض والأسود. وجعل لكم: صيّر لمصالحكم. والفُلك: واحدته بلفظه، السفن. والأنعام: جمع نَعَم. وهو الإبل والبقر والغنم. وتركبون: تعلونه للركوب. ١٢ تستووا: تستقرّوا. والظهور: جمع ظهر، ما يركب من الحيوان ووسائل المواصلات. وتذكروا: تستحضروا بقلوبكم. والنعمة: الإحسان بالفضل. وإذا استويتم عليه: حين استقراركم فوق ما تركبون. وسبحان: تنزيهًا عما لا يليق. وسخَّر: هيّأ وذلّل. والمقرنون: المطيقون المتمكّنون بالتذليل والترويض. ١٣ إلى ربنا: إلى لقاء موعد حسابه. والمنقلبون: المنصرفون من الدنيا وما فيها. ١٤ جعلوا له: زعم المشركون لله. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والجزء: القسم، أي: الملائكة. والإنسان أي: المشرك. والكفور: الكثير الإنكار للنعم والحق. والمبين: الواضح الكفر. ١٥ أم اتخذ: بل ما صنع الله لنفسه. ويخلق: يوجد. والبنات: جمع بنت. وهي الأنثى. وأصفاكم: ما اصطفى لكم وخصّكم. والبنون: جمع ابن. وهو الذكر. ١٦ بُشّر: أُخبرعندما تضع الزوجة ولدًا. وأحدهم: الواحد من المشركين. وضرب للرحمن: جعل لله حين نسب الملائكة إليه. ومثلًا أي: شَبَهًا بالبنوّة، من الإناث. وظل: صار. ومسودًّا: متغيّرًا بالعبوس والغمّ. والكظيم: الممتلئ غضبًا. ١٧ أَمَن: أيجعلون شريكًا المخلوقَ المكروه عندهم؟ ويُنشأ في الحلية: يُربّى في الزينة من الحُلِيّ. والخصام: المجادلة. وغير مبين: لا يُظهر حُجّة لضعفه في الحجاج وقصوره بالأُنوثة. ١٨ جعلوا: زعم المشركون. والملائكة: مخلوقات نورانية، جمع ملَك. والإناث: جمع أُنثى. وأشَهِدوا: ما حضروا. وخلقهم: خلق الله الملائكةَ. وستُكتب: لا بد أن تسجّل في صحائف أعمالهم. والشهادة: القول. ويُسألون: يحاسبون ويجازون. ١٩ شاء: أراد ألّا نعبدهم. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. وعبدنا: قدّسنا.وما لهم: ليس لهم. وبذلك: بالقول المذكور. والعلم: المعرفة اليقينية. وإن هم: ليسوا. ويخرصون: يكذبون. ٢٠ أم آتيناهم: بل ما أنزلنا إليهم. وكتابًا أي: منزّلًا. وقبله: قبل القرآن. والمستمسكون: الذين يتمسكون ويلتزمون في الاحتجاج. ٢١ وَجدنا: رأينا. والآباء: جمع أب. يطلق على الوالد والجدّ. والأُمّة: المِلّة. والآثار: جمع أثر، ما يخلفه السابق لمن بعده من تقاليد. والمهتدون: القاصدون المسترشدون. ٢٢

الجزء الخامس والعشرون — سورة الزخرف

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا
كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ
ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم
بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى
ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ
ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ
مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

المعنى العام: متابعة الأدلة على قدرة الله بأنه هو الذي أحيا بالأمطار الأراضيَ الميتة، وكذلك يكون البعث، وخلق أصناف المزدوِجات، وما يُركب من الحيوان والسفن وغيرها، لتحمَدوه وتنزّهوه حين ركوبها وتتذكروا يوم القيامة، ولكن بعض الكافرين جعلوا الملائكة بناتٍ لله، وهم يكرهون الإناث ويفضّلون الذكور. فأمرهم في ذلك يدعو إلى العجب والتوبيخ، إذ كيف ينسبون إلى الله ما يكرهون، فيزعمون أنه خلق الملائكة بنات له واختار لهم محبّة الذكور؟ وهم يعتقدون ضعف الأُنثى في الجسم والرأي، حتى ليغضب أحدهم لولادتها ويئدها قائلًا: «ما هي بِنِعمَ الولدُ، نصرُها بكاءٌ، وبِرُّها سرقةٌ»!

كيف يزعمون بنتًا لله هذه التي تعيش بينهم للزينة والمتعة ولا تُحسن الحجاج لأنها تستغرق في العاطفة، عن تأمل الأقوال وتدبر الأمور، وغالبًا ما تكون عاجزة عن إصابة القول، ونادرًا أن تكون إحداهن على خلاف ذلك. إنهم لم يحضروا خلق الملائكة ليصفوها بالأنوثة كذبًا سيحاسبون عليه، وليس عندهم وحي بما يزعمون، ثم يغالطون في عبادتهم لها بأن الله لم يُرد خلاف ذلك وسمح به. والحق أن السماح بالعصيان لا يعني الرضا، فهم كاذبون يدَّعون الباطل، ويقرّون أنهم يقلدون آباءهم فيما يعبدون.

تفسير المفردات: كذلك أي: حالُ الأمم المتقدمة مثلُ حال أُمّتك، أيها النبيّ. وما أرسلنا: لم نبعث ولم نكلف بالدعوة. والقرية: البلدة. والنذير: المنذر بعقاب من كفر. وقال: صرّح بالقول جهارًا. والمترفون: الذين أفسدتهم النعم. ووجدنا: رأينا. والآباء: جمع أب. والأُمّة: المِلّة. والآثار: جمع أثر، ما يخلفه السابق لمن بعده من تقاليد. والمقتدون: المتّبعون. **٢٣** قال أي: النبي كل نبي مُرسَل. وأولو جئتكم أي: أتتبعون ذلك وإن أتيتكم؟ وأهدى أي: دين أوضح. وقالوا أي: المشركون. وأُرسلتم به: ادّعيتم أنكم مرسلون به من عند الله. وكافرون: مكذبون وجاحدون. **٢٤** انتقمنا منهم: عاقبنا المكذبين في الدنيا بالاستئصال. وانظر: تأمّل وتفكّر. والعاقبة: النهاية. والمكذبون: المنكرون للوحدانية والبعث. **٢٥** إذ قال: وقت قوله. وإبراهيم: أبو إسماعيل وإسحاق. وأبوه: والده آزر. وقومه: جماعة الحامِيّين السُّومريِّين وهو منها. والبراء: المتبرّئ المتخلّص. وتعبدون: تقدّسونه. **٢٦** فطرني: خلقني. ويهدينِ: يهديني أي: يرشدني ويثبّتني. حُذفت الياء لموافقة فواصل الآيات. **٢٧** جعلها: صيّر كلماتِ التوحيد. وكلمة أي: عبارة. والباقية: الثابتة المتوارَثة. وعقبه: ذرّيّته. ولعلهم: ليترجَّى لهم. ويرجعون: يعودون إلى التوحيد. **٢٨** متعتُ: أمددتُ بالنعم وطول العمر. وهؤلاء أي: أهل مكة. وجاءهم: وصل إليهم. والحق: ما يستحق الإيمانَ به من القرآن. والرسول: محمد ﷺ. والمبين: المظهر للحق من الباطل. **٢٩** لمّا: عندما. وقالوا أي: مشركو مكة. وهذا أي: القرآن الكريم. والسحر: ما يخيَّل للحواس والعقول غير الواقع. والكافرون: الجاحدون المكذِّبون. **٣٠** لولا نُزل: هلّا يوحَى. والرجل: الذكر من البشر. ومن القريتين أي: من رجال البلدتين. والعظيم: الكثير المال والرفيع المنزلة. **٣١** أهم يقسمون: إنهم لا يوزّعون. والرحمة: العطف بالإحسان. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والمعيشة: ما يعيش به الحيّ. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: الأقرب إلى الناس يعيشون فيها. ورفعنا: قضينا بالتفاوت في كثير من الأحوال والصفات بدون اعتراض لأحد. والبعض: الواحد أو الأكثر. والدرجات: المراتب في المادة والمعنى. ويتخذ: يجعل. والسُّخريّ: المسخَّر. وخير: أفضل وأبقى. ويجمعون: يحصّلونه من المال والجاه والولد. **٣٢** لولا: لولا كراهة. ويكون: يصير. والأُمّة: الجماعة من الناس على دين واحد. وجعلنا: صيّرنا. ويكفر: يُنكر الوجود أو الوحدانية. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. والبيوت: جمع بيت، مكان الإقامة والاستقرار. والسُّقُف: جمع سَقف، غِطاء البيت فوق الجدران. والفضة: المعدِن الفضيّ الثمين. والمعارج: جمع مِعرج، ما يُصعد عليه كالسلّم. ويظهرون: يعلُون إلى السطوح والعلاليّ. **٣٣**

الحزب ٥٠

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟
إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ
إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟
لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم
بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

المعنى العام: يطمْئن الله رسوله الكريم بأن الأمم كانت مثل مشركي مكة، تواجه الأنبياء بتقليد الآباء والكفر بما دونه، فهم لا يتدبّرون ولا يتعظون، وإن كان ما جاؤوهم به فيه الهدى والصلاح، فيكون الانتقام منهم بعاقبة مُحكمة، تقع موقعها من الحق. فلا تكترث بتكذيب قومك لك ـ أيها النبيّ ـ لأن عاقبتهم تكون كعاقبة أولئك، إن أصروا على الكفر والعصيان.

وهذا إبراهيم تبرأ مما يعبد أبوه وقومه وتوجّه إلى التوحيد، مبلّغًا إياهم ذلك ليتعظ من يكون من البشر، وقد تمتع مَن بعده بشهوات الدنيا ثم جاءتهم الدعوة، فوصفوها بالسحر وكفروا بها. ولمّا قال الوليد بن المغيرة: «لو كان ما يقول محمد حقًّا لأُنزل عليّ هذا القرآنُ، أو على عُروة بن مسعود الثقفي» نزلت الآيات بأن المشركين يريدون توزيع الرحمة بما تمليه أهواؤهم، والله هو الذي يتولى ذلك، كما جعلهم في درجات من الأحوال يستخدم بعضهم بعضًا. ثم إن الرسالات لا دخل لهم في توزيعها لأنها أرفع مما يعيشون فيه من متاع الحياة الدنيا. فما عليه الكفار من النعم ليس لفضلهم، بل لحكمة إلّهية، ولولا كراهية افتتان الناس بالكفر وانصرافهم إليه لغمر الله الكفّار جميعًا بنعم أكثر، فكان في بيوتهم من الزينة والزخرفة والأُبّهة والشموخ والتعالي شيء عجيب... هذا ما ترى بعضه في عصرنا الحاضر.

تفسير المفردات: البيوت: جمع بيت. والأبواب: جمع باب، مكان الدخول. والسرر: جمع سرير للنوم أو الجلوس. ويتكئون: يتمكّنون بارتياح. **٣٤** الزخرف: الزينة بالمعادن والرسوم والأضواء والجواهر الثمينة. وإنْ كل ذلك: ليس كل ما ذكر من النعيم. ولَمّا متاع أي: إلّا ما يُتلذّذ به ويزول. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. والآخرة: الحياة بالبعث بعد الموت. وعند ربك: في المنزلة المقرّبة. والمتقون: الذين يتجنبون غضب الله ويطلبون رضاه. **٣٥** يعشو: يتغافل ويكفر. والذكر: القرآن الكريم. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. ونقيّض: نهيّئ. والشيطان: من يوسوس بالشر من الجنّ. والقرين: المقارن. **٣٦** يصدّونهم: يمنع الشياطينُ الكافرين. والسبيل: طريق الهداية. ويحسبون: يظنّ الكافرون. والمهتدون: المسترشدون إلى الحق. **٣٧** حتى إذا جاءنا: فإذا جاء الكافر إلى ميعادنا للحساب. وقال أي: لشيطانه. ويا ليت: أتمنّى. وبُعد المشرقين أي: مثل بُعد ما بين المشرق والمغرب. وذكرُ المشرقين للتغليب. وبئس: بلغ نهاية البؤس والشر والفساد. **٣٨** لن ينفعكم: لن يكشف عنكم ضرًّا ـ أيها الكافرون ـ ولن يجلب لكم خيرًا. واليوم: هذا الوقت في يوم القيامة. وإذ ظلمتم: لأنكم كفرتم. والعذاب: التعذيب. ومشتركون: يشارك بعضكم بعضًا. **٣٩** أأنت تُسمع: لن تستطيع أن تُسمع. والصُّمّ: جمع أصم، الذي لا يسمع. وتهدي: ترشد إلى الخير. والعُمي: جمع أعمى، الذي لا يبصر. والضلال: الضياع والحيرة. والمبين: الظاهر البيان. **٤٠** إمّا نذهبنّ بك: إن ذهبنا بروحك الشريفة قبل عقابهم. ومنتقمون أي: معاقِبون في الآخرة. **٤١** نرينّك: نبصّرنّك عِيانًا. ووعدناهم: توعّدناهم به. ومقتدرون أي: قادرون في جميع الأحوال. **٤٢** استمسك: دُم على التمسّك. وأوحي إليك: أُنزل إليك. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. **٤٣**. إنه أي: القرآن الكريم. والذكر: السُّمعة الكريمة. والقوم هنا: الأُمّة الإسلامية، قريش أولًا ثم العرب كلهم ثم من يُسلم من الأمم حتى يوم القيامة. وسوف تسألون: لا بدّ أن تحاسبوا بالعدل عن القيام بواجبات ذلك. **٤٤** اسأل: استخبر لتقرير الحقيقة وتوبيخ الكافرين. وأرسلنا: بعثنا وكلفنا بالدعوة مع العمل. والرسل: جمع رسول. والمراد أتباعُ الرسل. وجعلنا: فرضنا. ودون الرحمن: غير الله الكثير العطف بالإحسان. والآلهة: جمع إلّه. ويُعبدون: يقدَّسون ويطاعون. **٤٥** موسى: أعظم أنبياء اليهود. وبآيات أي: مع المعجزات الدالّة على صدقه. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. والملأ: السادة والرؤساء يتمالؤون على البغي. والرسول: المرسل المكلّف بالدعوة والعمل. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. **٤٦** لمّا: عندما. وجاءهم: حضر مجالسهم. وإذا هم يضحكون: فاجأ مجيئَه ضحكُهم وسخريتُهم. **٤٧**

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا
فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ
إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

المعنى العام: متابعة وصف الزينة بأن يكون في بيوت الكافرين أثاث فاخر وزخارف هي متاع زائل، بخلاف ما في الجنة من نعيم دائم للمتّقين. فالمنصرفون عن الهداية يكون لكل منهم شيطان يزيده ضلالًا ويوهمه أنه على خير، وعندما يرى عذابه يوم القيامة يتمنى أنه لم يلق شيطانه من قبل، لِما سبب له من الأهوال، ولكن لن يستفيد الكافرون من التمنّي ولا من مشاركتهم للشياطين في العذاب لكونهم كافرين. ولّما كان النبي ﷺ يجتهد في دعاء المشركين، وهم يزدادون كفرًا، نزلت الآية ٤٠ تبين أنه لا نافع في ذلك إلّا الله، لأنهم كالفاقدين للسمع والبصر لا يستفيدون مما يسمعون أو يرون، وسوف يكون لهم العذاب المناسب، إمّا في حياة النبي الكريم، وإما بعدها في الدنيا والآخرة. فعليه ألّا يَشغل نفسه بهم، ويستمر على الدعوة والعمل.

وفي نزول القرآن سُمعة طيبة له وللعرب والمسلمين أبدًا، وسيحاسبون على قيامهم بما يجب، وهذه دعوات الأنبياء من قبل في شرائعهم الثابتة كلها للتوحيد، ومنهم موسى أُرسل إلى فرعون وقومه بالمعجزات المحقّقة لرسالته، فاستقبلوه بالسخرية والاستهزاء.

تفسير المفردات: ما نريهم: ما أرينا فرعون وملأه عِيانًا. وآية: دلالة على القدرة وصحة رسالة موسى. وأكبر: أعظم. وأختها: شبيهتها التي كانت قبلها. وأخذناهم: عاقبناهم. والعذاب: التعذيب. ولعلهم: ليُترجَّى لهم. ويرجعون: ينصرفون إلى الإيمان. **٤٨** قالوا أي: لموسى. والساحر: الذي يخيِّل للعقول والحواس ما هو غير حقيقي. وادع لنا ربك: نادهِ مستغيثًا لكشف العذاب عنّا. وبما عهد عندك: بعهده الذي أعطاك إياه. ومهتدون أي: مؤمنون بك إن كشف عنا العذاب. **٤٩** لمّا: عندما. وكشفنا: أزلنا ورفعنا. وإذا هم ينكثون: فاجأ كشفَ العذاب عنهم نقضُهم عهدَ الإيمان. **٥٠** نادى: دعا وخطب بافتخار. و فرعون: ملك مصر في عهد موسى. ويا قومِ: يا قومي. وهم أتباعه من العرب الأقباط. وأليس أي: لقد تحقّق. والملك: الحيازة والتصرف. ومصر: البلد شمال السودان. والأنهار: جمع نهر. وتجري: تسيل بسرعة. وتحتي: تحت قصوري. وألا تبصرون أي: تبصّروا لتروا عِيانًا. **٥١** أم أنا: بل أنا. وخير: أكثر عظمة وملكًا. وهذا أي: موسى. والمهين: الضعيف الذليل. ولا يكاد: لا يقارب. ويبين: يُظهر كلامه. **٥٢** لولا: هلّا، للتوبيخ. وأُلقي: أُنزل من عند مُرسِله. والأسْورة: جمع سِوار، ما يحيط بالمعصم والزند والعنق من الحُلِيّ. والذهب: المعدِن الأصفر الثمين. وجاء: أتى من عند الله. والملائكة: مخلوقات من النور، جمع ملَك. ومقترنين أي: متتابعين ليشهدوا بصحة رسالته. **٥٣** استخفّ: استفزّ فرعونُ بإثارة خفّة العقول لمتابعته. وأطاعوه: وافقوه على تألُّهه وتكذيب موسى. والفاسقون: الخارجون على طاعة الله. **٥٤** آسفونا: أغضبونا بالاستمرار في الكفر. وانتقمنا منهم: عاقبناهم في الدنيا. وأغرقناهم: أمتناهم خنقًا بالماء. وأجمعين: كلهم مجتمعين. **٥٥** جعلناهم: صيّرناهم. وسلفًا أي: سابقين للعِبرة. والمَثَل: القصة العجيبة تُذكر بين الناس للعظة. والآخِرون: الآتون بعدهم. **٥٦** ضُرب: جَعل بعض المشركين. وابن مريم: عيسى نبيّ النصارى. والمثل: الشَّبَه بالأصنام التي تُحرق في جهنم، لعبادة النصارى له مثلها. وإذا قومك يصدون أي: فاجأ ضربَ المَثل الباطل صراخُ مشركي مكة فرحًا بما سمعوا. **٥٧** الآلهة: الأصنام المعبودة، جمع إلَه. وخير: أفضل. وهو أي: عيسى. وما ضربوه: ما ذكروه. والجدل: المخاصمة بالباطل. والخصمون: المتعنّتون في الخصومة. **٥٨** إن هو أي: ليس عيسى. والعبد: المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. وأنعمنا: تفضلنا بالنبوة. وجعلناه: صيّرناه بوجوده من غير أب. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب الحاميّون من اليهود والنصارى. **٥٩** نشاء: نريد استبدالكم، أيها المشركون. وجعلنا: خلقنا. ومنكم: بدلكم. والملائكة: مخلوقات من نور. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويخلفون: يكونون بعد هلاككم موكلين بالطاعة وعمارة الأرض. ٦٠

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ
ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ
قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن
تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ
مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ
فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا
خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

ربع الحزب ٥٠

المعنى العام: أن قوم فرعون نزلت بهم أنواع العذاب متوالية متعاظمة، وهم يستعينون بموسى ليدعو لهم واعدين بالإيمان، ثم ينقضون عهودهم، وفرعون يفتخر لهم بما يملك من البلاد وتفرعات النيل الموزعة تحت قصوره، وهم يبصرونها فتحقق عندهم تغلبه على موسى العاجز عن البيان لعقدة في لسانه، وليس له كنوز وملائكة تؤيده. وبهذا خدع فرعون قومه ليكفروا، وهم في الأصل جاحدون، فصاروا بغرقهم في البحر عظة لمن بعدهم. ولما نزلت الآية ٩٨ من سورة الأنبياء بأن الأصنام تحرق في جهنم، وغالط أحد المشركين وزعم أن عيسى هو كالأصنام في جهنم لأنه عبده النصارى، فرح مشركو مكة لهذا الاحتجاج، بأن يكون عيسى النبي مع أصنامهم في النار، وإنما ادَّعوا ذلك للمجادلة والمخاصمة، وليسوا راضين بما قالوا. وما عيسى إلّا عبد ورسول موحِّد لله مكرَم وآية لقومه، بولادته من دون أب، والله قادر أن يهلك مشركي مكة أيضًا، ويخلق بدلًا منهم ملائكة كما خلق عيسى، يكونون خلفًا لهم بالإيمان والطاعة. وهذا يسير على الله أيضًا مع أنه أعجب من خلق عيسى دون أب، وفيه تهديد وإشعار بالغنى عنهم وحقارة شأنهم.

تفسير المفردات: إنه: إنّ عيسى بخلقه العجيب. والعِلم: العلامة يكون دليلًا على ما يتحقق بعده. والساعة: يوم القيامة بالبعث للحساب. ولا تمترنّ: لا تشكُّنّ ـ أيها الكافرون ـ ولا تتردّدُنّ. واتّبعونِ: اتّبعوني أي: وافقوني فيما أدعوكم إليه. حذفت الياء للتخفيف. وهذا أي:الدين الإسلامي. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: القويم لا اعوجاج فيه ولا اضطراب. ٦١ لا يصدّنّكم: لا يصرفنّكم عن دين الله. والشيطان: من يغري بالضلال من الجن والإنس. والعدوّ: المُعادي. والمبين: الظاهر العداوة. ٦٢ لّما: عندما. وجاء: أتى بني إسرائيل يبلّغهم. وعيسى: الرسول الذي أُوحي إليه الإنجيل. وبالبيّنات: مع الشرائع البيّنة والمعجزات. وقال أي: لبني إسرائيل. وبالحكمة: مع النبوة وشرائع الإنجيل. وأبيّن: أوضّح وأفصّل. والبعض: الجزء. وتختلفون فيه: تتنازعون بسببه وتختصمون. واتّقوا الله: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للواجب الوجود والمعبود بحق وحده والمتصف بالكمال المطلق، والمستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأطيعونِ: أطيعوني أي: اتّبعوا ما أبلّغكم عن الله.وحُذفت الياء للتخفيف. ٦٣ الربّ: الخالق المالك المتفرد. واعبدوه: وحّدوه في الأُلوهيّة والطاعة. وهذا أي: التوحيد والطاعة في العقيدة والشريعة. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. ٦٤ الأحزاب: جمع حزب، الجماعة من الناس يوحِّد بينهم عقيدة أو مذهب. ومن بينهم أي: ممن بُعث إليهم عيسى. وويل: الدعاء بالعذاب الشديد. وظلموا:كفروا. والعذاب: التعذيب. واليوم: يوم القيامة. والأليم: المؤلم جدًّا. ٦٥ هل ينظرون أي: ما ينتظر كفّار مكة وغيرها. والساعة: يوم القيامة. وتأتيهم: تصادفهم بأهوالها. وبغتة: فجأة. ولا يشعرون: لا يحسّون لِما هم فيه من المشاغل والملذات. ٦٦ الأخلّاء: جمع خليل، الصاحب المخلص. ويومئذ: يوم تأتي الساعة. والبعض: الواحد أو الأكثر. والمتّقون: الذين يتجنّبون غضب الله ويطلبون رضاه بالطاعة. ٦٧ يا عبادِ: يا عبادي. والعباد: جمع عبد. والخوف: الفزع مما سيكون. واليوم: هذا الوقت. ولا تحزنون:لا تغتمّون لِما كان. ٦٨ آمنوا: صدّقوا يقينًا. والآيات: القرآن الكريم. والمسلمون: الذين أخلصوا في الدين والعمل. ٦٩ ادخلوا: اسكنوا. والجنّة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. والأزواج: جمع زوج، الزوجات المؤمنات. وتحبرون: تُسعدون وتكرمون. ٧٠ يطاف عليهم: يحوم حولهم الوِلدان والغِلمان في الجنّة يخدمونهم. وبصحاف: مع أوعية كبيرة للطعام. والصحاف: جمع صَحفة. والذهب: المعدِن الأصفر الثمين. والأكواب: جمع كوب، إناء للشرب كالكأس. وتشتهيه: تتمّناه وتطلبه. والأنفس: جمع نفس، قلب الإنسان وضميره. وتلذّ: تستمتع به من المرئيّات، أعلاها وجه الله الكريم. والأعين: جمع عين. والخالدون: المقيمون أبدًا. ٧١ أورثتموها: أعطيتموها لا تزول عنكم. وتعملون: تكتسبونه من النيّات والأقوال والأفعال. ٧٢ الفاكهة: الثمار المستلذّة. والكثيرة: الغفيرة المتعددة الأنواع. وتأكلون: تتلذّذون وتتمتّعون.٧٣

الجزء الخامس والعشرون — سُورَةُ الزُّخْرُفِ

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ
﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن
تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

المعنى العام: أن ولادة عيسى من غير أب وإحياءه الموتى دليل قاطع، على صحة البعث الذي ينكره الكفرة. فليدَعوا متابعة عدوهم الشيطان الذي يبعدهم عن الحق وليؤمنوا موحدين. وكذلك أمرَ عيسى قومه وحضّهم على توحيد الله وشريعته، فكان منهم من اتّبعه بحق، واليهود الذين أنكروا نبوته وزعموا أنه ابن زنى، والمشركون الذين جعلوه ابنًا لله أو شريكًا. وهؤلاء وأمثالهم سيكون حسابهم في الدنيا وينتظرون يوم القيامة، يفجؤهم بأشد العذاب وهم في طمأنينة، فيصيرون فيه متعادين. وقد جُعلوا منتظرين ذلك لأن الساعة آتية لا محالة، فكأنهم بعد كفرهم ينتظرونها ويترقبون وقوعها بهم. وفي ذلك تهكم وتهديد. أما المؤمنون فمتحابون يومئذ وفي سعادة ورضًا، يطمئنهم الله بما سيلقَون، ويدخلهم الجنة خالدين مع زوجاتهم المؤمنات في تنعّم وسرور، وحولهم الوِلدان بمتع الشراب والفواكه والمَشاهِد، أعلاها النظر إلى وجه الله الكريم. وذلك كله مع أشهى الفواكه والملذّات هو توريث من الله لهم مكافأة للإيمان والصلاح…

تفسير المفردات: المجرمون: الراسخون في الكفر. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. وجهنم: دار العذاب. والخالدون: المقيمون أبدًا. ٧٤ لا يفتَّر: لا يخفَّف. والمبلسون: الساكتون بيأس من النجاة. ٧٥ ما ظلمناهم: قضينا عليهم بما يستحقون. والظالمون أي: بالكفر ظلموا أنفسهم. ٧٦ نادَوا: دعَوا مستغيثين. ومالك: رئيس ملائكة العذاب. وليقض علينا: ليُمِتْنا. والرب: الخالق المالك المتفرد. وقال أي: مالك لهم. وماكثون أي: مقيمون على هذه الحال. ٧٧ جئناكم: بيّنّا لكم على لسان الأنبياء. والحق: الدين الثابت. والأكثر: الغالبية العظمى. وكارهون أي: لا تقبله نفوسهم وتنقاد للباطل. ٧٨ أم أبرموا: بل قرّر مشركو مكة وأحكموا؟ والأمر: القصد لكيد محمد ﷺ. ومبرمون أي: مُحكمون تدبيرنا بالخفاء للانتقام. ٧٩ أم يحسبون: بل لا يظنُّوا. ولا نسمع: لا ندرك. والسرّ: ما يُحدِّث به الإنسان نفسه أو غيره بهمس. والنجوى: التناجي بصوت خافت. وبلى أي: نسمع ذلك حقًّا. والرسل: الملائكة الحفظة، جمع رسول. ولديهم: عندهم. ويكتبون: يسجّلونه ويحفظونه. ٨٠ قل أي: للمشركين، أيها النبي. وإن كان: إن صح ببرهان قاطع. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. والولد: ما يخلّفه المخلوق من سلالته. والأول: السابق في عصره. والعابدون: المقدسون المطيعون. ٨١ سبحان: تنزيهًا. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والعرش: مخلوق عظيم جدًّا لا يعرف حقيقته إلّا الله. ويصفون: يزعمون من الأباطيل. ٨٢ ذرهم: اتركهم ـ أيها النبي ـ بعد أن بلّغتهم. ويخوضوا: ينغمروا. ويلعبوا: يمرحوا عابثين. ويلاقوا: يصادفوا. ويومهم: وقت عذابهم في الدنيا أو الآخرة. ويوعدون: يهدَّدون به. ٨٣ هو أي: الله. وإلَه أي: معبود بحق. والحكيم: ذو الحكمة العالية في العلم والفعل. والعليم: المبالغ في الإحاطة بمصالح الخلق. ٨٤ تبارك: تعظَّم. وله: مستحَقه وحده. والمُلك: الحيازة والتصرف. وما بينهما أي: الجو وما فيه وفي الأرض من مخلوقات. وعنده أي: مستأثر به وحده. وعلم الساعة: معرفة وقت يوم القيامة. وإليه: إلى لقاء حسابه. وتُرجعون: تُعادُون بالبعث. ٨٥ لا يملك: لا يحوز ولا يستطيع. والذين يدعون أي: المعبودون. ودونه: غير الله. والشفاعة: طلب التجاوز عن ذنب أحد. وشهد: اعترف. والحق: التوحيد. وهم أي: الشفعاء. ويعلمون: يعرفون ما يشهدون به. ٨٦ لئن: أُقسِم إن. وسألتهم: طلبت الجواب من المشركين. وخلقهم: أوجدهم من العدم. ويقولنَّ: يصرِّحُنّ بالقول. والله أي: الله خلقهم. وأنّى يؤفكون: كيف يُصرفون عن التوحيد؟ ٨٧ وَقيله أي: وقولِ محمد ﷺ. وياربّ: يا ربّي. والقوم: الجماعة من الناس. ولا يؤمنون: لا يصدّقون الدعوة. ٨٨ اصفح: لاتهتمّ لهم وأعرض، أيها النبيّ. والسلام: الأمان بيننا بلا قتال ولا جدال. ويعلمون: يدركون بالعِيان. ٨٩

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ
الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ
الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ
إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

المعنى العام: متابعة ما يكون يوم القيامة، بأن الكافرين يعذَّبون باستمرار وشدّة في جهنم يائسين، وهم ظلموا أنفسهم، فيستعينون بمالكٍ أن يُقضى عليهم، فيجابون بأنهم خالدون. ولقد أرسل الله إلى المشركين محمدًا ﷺ بالهداية، فأنكرها أكثرهم لشدة كرههم للحق ودبّروا المكايد، فأحبطها الله وهزمهم بما قضى، وهم يظنون أسرارهم تخفى على الله، ولكنه يعلمها وتسجلها عليهم الملائكة.

وعندما زعم بعضهم أن الملائكة بنات الله نزلت الآيتان ٨١ و٨٢ بتكذيبهم، وأنه لو صح لكان محمد ﷺ أول من يؤمن بهم. فالله منزّه عن مزاعم الكافرين ـ وليقولوا ما شاؤوا حتى يلقَوا عذابهم ـ وهو المعبود في جميع أقطار الكون مع ملكه له متباركًا معظمًا، وذو الصفات الحسنى، ومتفرد بمعرفة زمن يوم القيامة، والمحاسب للجميع، يمنع شفاعة من لا يؤمن بالتوحيد ـ والعجيب أن المشركين يقرّون بخلق الله لهم، ثم ينصرفون إلى عبادة الأصنام ـ وهو أيضًا عالم بشكوى محمد ﷺ من كفر قومه. فانصرفْ عنهم ـ أيها النبي ـ إلى دعوتك، وقل لهم: «شأني الآن هو المسالمة مني ومنكم». ولا بد أن يعلموا ما يلقَون من العذاب والهوان.

٤٤ ـ سورة الدخان

معاني المفردات: حمٓ: من الأحرف المقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ١ الكتاب: القرآن الكريم. والمبين: المُظهر للحق والباطل. ٢ أنزلناه: قضينا بوحيه على لسان جبريل. والليلة: ما بين الغروب والفجر. والمباركة: التي يكثر فيها الخير للجميع. وكنا أي: ولا نزال. ومنذرين أي: مهدّدين الكافرين بالعذاب. ٣ يفرق كل أمر: يُفصَّل كل أمر بالغ الحِكمة. ٤ أمرًا أي: تقديرًا وقضاءً. ومن عندنا: بإرادتنا وحكمنا. ومرسلين أي: باعثين ومكلفين بالدعوة إلى الإيمان مع العمل. ٥ الرحمة: الرأفة والعطف بالإحسان. ومن ربك: من عنده بحِكمته وفضله. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الاطّلاع على ما يكون. ٦ الربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وما بينهما أي: الجو وما فيه وفي الأرض من مخلوقات. والموقنون: الذين يعتقدون جازمين. ٧ الإلٰه: المعبود بحق. ويحيي ويميت: يخلق الحياة في فاقدها والموت في الحيّ. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجدّ. والأولون: الأقدمون. ٨ هم أي: الكافرون. والشك: التردّد في أمر البعث. ويلعبون: يلهَون ويعبثون. ٩ ارتقب: انتظر، أيها النبي. ويوم تأتي السماء بدخان أي: وقت يكون في السماء ظلمة كالدخان. والمبين: الظاهر للعِيان. ١٠ يغشى الناس: يحيط بأهل مكة. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: الشديد الإيلام. ١١ ربَّنا أي: يقولون: يا ربَّنا. واكشف: ارفع وأزِل. ومؤمنون: مصدّقون نبيَّك. ١٢ أنَّى: من أين؟ والذكرى: الاتعاظ بما يحصل ليلازموا الإيمان. وجاءهم: أتاهم وبلّغهم. والرسول: محمد ﷺ. والمبين: الواضح الرسالة. ١٣ تولَّوا: أعرضوا. ومعلَّم أي: يعلِّمه القرآنَ من يعرف التوراة والإنجيل. والمجنون: مَن فقَدَ عقله. ١٤ كاشفو العذاب أي: سنكشف المَحْل لإقامة الحجة عليكم. وقليلًا: زمنًا يسيرًا. وعائدون: راجعون إلى الكفر. ١٥ يوم نبطش: وقت انتقامنا بقوّة. والكبرى: العُظمى بما يكون فيها من ذلّهم ومقاتلهم. ومنتقمون: معاقبون للعصاة. ١٦ فتنّا: بلونا بكثرة الرزق والسلطان وإرسال الرسل. وقبلهم: قبل أهل مكة. وقوم فرعون: جنوده وأعوانه من العرب الأقباط. والرسول: موسى مكلفًا بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والكريم: المكرم عند الله. ١٧ أن أدّوا أي: بأن قدّموا التصديق والطاعة. وعباد الله: يا عباد الله. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والأمين: المأمون على الرسالة للتبليغ والعمل. ١٨

الحزب ٥٠

الجزء الخامس والعشرون — سورة الدخان

سورة الدخان — ترتيبها ٤٤ — آياتها ٥٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ
مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾
أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ
وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ
﴿٩﴾ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى
ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ
إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾
ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ
إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ
كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٨﴾

المعنى العام: أقسم الله بالقرآن الكريم أنه أنزله في ليلة القدر، شأنه الإنذار والتهديد للكافرين ليتعظوا. وفي تلك الليلة يفصَّل كل أمر مُحكم، أي: الرسالات السماوية، على الوجه المحمود عند الصالحين تَسعد به أرواحهم وتكون فيه منافع العباد في دينهم ودنياهم. وهو رب الكون والبشر جميعًا، متفرد بالأُلوهيّة وخلق الحياة والموت. فعلى الناس اليقين بذلك وتصديق النبي ﷺ.

غير أنهم يتحيرون في تقبل الإيمان ويعبثون في حياتهم، وسيأتيهم من السماء بلاء أسود يعمهم ويمنع النبات والخير، ويعلمون أنه انتقام رباني فيدعون الله ليزيله عنهم ويؤمنوا. ومحال أن ينتفعوا بتذكر الإيمان عند نزول عذاب الاستئصال بهم، لأنه لا يفيدهم حينذاك، وقد كذبوا من قبل واتهموا محمدًا ﷺ أنه فاقد العقل، وأنه يتلقى القرآن من بعض أهل الكتاب. ومع هذا سوف يكشف الله المحل عنهم، فإذا هم يعودون إلى الاستمرار على الكفر والعصيان، ويتجاهلون ما تعهدوا به حين الدعاء.

فاذكر لنفسك ـ أيها النبي ـ ولأصحابك بشارة وطمأنة، ولقومك تهديدًا ووعيدًا، ما سيكون يوم الانتقام العظيم منهم قريبًا، كما انتقمنا من فرعون وقومه، حين بلّغهم موسى وجوب التوحيد والطاعة، وكان منهم ما كان...

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ
بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ
تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ
نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى
الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ
﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا
نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ
﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾
مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

تفسير المفردات: أنْ لا تعلوا أي: بأنْ لا تتجبروا فتكذبوا وتعصوا. وآتيكم: مُحضر لكم. والسلطان: البرهان. والمبين: الواضح البيان. **١٩** عذت: التجأت واعتصمت. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. وأن ترجمون: من أن ترموني بحجارة. حذفت الياء لموافقة فواصل الآيات. **٢٠** لم تؤمنوا لي: لم تصدّقوني. واعتزلون: اعتزلوني أي: كونوا بمَعزِل عني ولا تؤذوني. **٢١** دعا ربه: ناداه موسى مستغيثًا. وأن هؤلاء: بأن فرعون وقومه. والمجرمون: الممعنون في الكفر والإفساد. **٢٢** أسرِ أي: سِر في الليل. وبعبادي أي: معهم. والعباد: جمع عبد، بنو إسرائيل. ومتَّبعون: يتبعكم فرعون وجنوده. **٢٣** اترك البحر: دَع البحر الأحمر بعد عبوركم لا تضربه بالعصا إلّا بعد أن يدخله عدوّكم. والرهو: الساكن المنشق ماؤه بما برز من القاع حين الخسف. والجند: واحده جندي. والمغرقون: الميتون خنقًا بالماء. **٢٤** كم أي: كثيرًا جدًّا. وتركوا: خلّفوا لغيرهم. والجنات: البساتين والحدائق. والعيون: جمع عين، يَنبوع الماء. **٢٥** الزروع: جمع زرع، ما ينبت من الشجر وغيره. والمقام: المجلس والنادي. والكريم: الحسن. **٢٦** النعمة: ما يُتنعّم به. والفاكهون: المتلذّذون. **٢٧** كذلك أي: على ما ذكرنا من قصة موسى وفرعون يكون الانتقام الرباني. وأورثناها: جعلناها ملكًا يورث. والآخرون: المغايرون لقوم فرعون. **٢٨** ما بكت: ما تأثرت وبقيت كما هي تحقيرًا لأمرهم. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمنظرون: المؤخَّرون لتُقبل توبتهم حين جاءهم الغرق. **٢٩** نجّينا: أنقذنا. والعذاب: التعذيب. والمهين: المذلّ. **٣٠** العالي: المتكبر بالألوهية. والمسرفون: المغرِقون في البغي. **٣١** اخترناهم: اصطفينا بني إسرائيل لتحمّل الرسالة والتوراة. والعلم: الإحاطة التامة بما فيهم من استعداد للتزييف والعصيان. والعالَمون: مجموع مَن كان في ذلك الزمان من الإنس والجن. **٣٢** آتيناهم: أعطيناهم. والآيات: المعجزات. والبلاء: الامتحان لتمييز الصالح من الفاسد. **٣٣** هؤلاء أي: كفّار مكة. ويقولون أي: يجيبون من يهدّدهم بالبعث. **٣٤** إن هي: ليست الموتة. والأُولى: التي قبل التكوّن في الأرحام، وهم نطف لا قدرة لهم على النمو. وما نحن: لسنا. ومنشرين: مبعوثين بعد الموت. **٣٥** ائتوا بآبائنا: ردوهم بطلب من الله. والآباء: جمع أب. ويطلق على الوالد والجدّ. والصادقون: من يقولون الحق. **٣٦** أهم خير: ليس كفار مكة أفضل قوة وعظمة. والقوم: الجماعة من الناس. وتبّع: أسعد أبو كرب من صالحي اليمانية. وأهلكناهم: أفنيناهم بالعذاب لكفرهم. ومجرمين: مصرّين على الكفر والإجرام. **٣٧** ما خلقنا: ما أوجدنا. ولاعبين: عابثين بما لا غاية له. **٣٨** الحق: الإحكام لغايات عالية. وأكثرهم: الغالبية العظمى من الكافرين. ولا يعلمون: ليس عندهم إدراك للحقائق، لِما هم عليه من الجهل والتقليد الشنيع. **٣٩**

المعنى العام: متابعة ما كان من موسى والكافرين بأنه دعا فرعون وقومه إلى طاعة الله، وقدم لهم معجزات على صدق رسالته، وتحصن بالله لئلّا يعتدوا عليه إن لم يؤمنوا، ولكنهم أصروا على الكفر والفساد، فدعا عليهم بالعقاب، وأُمر بالتوجه نحو بحر القُلزُم «الأحمر»، ليضرب بعصاه ماءه فينفلق بارتفاع بعض قاعه، وينجو بنو إسرائيل بالعبور، ثم يضربه ثانية فيعود كما كان ويغرق فرعون وجنوده. وهكذا خلّف الكافرون ديارهم بما فيها من النعيم لغيرهم، ولم يتهدم الكون لفقدهم وموت فرعون الذي كان يدّعي الألوهية، وما أُخّر خنقهم ليتوبوا. فقد نجا بنو إسرائيل من عذاب فرعون، ليكونوا حاملي رسالة التوراة، وأُكرموا بالمعجزات والخيرات على خبثهم، فجحدوا ذلك بالكفر والفساد.

وعندما أنكر المشركون البعث وطلبوا من النبي ﷺ أن يدعو الله، فيحيي لهم قصيّ بن كلاب لتحقيق النبوة والبعث، نزلت الآيات بما قالوا، وأنه كان قبلهم أمم كافرة أعظم منهم، استأصلها الله بالعذاب. وفي خلق الكون بحكمة دلائل على التوحيد والبعث، ولكن أكثر المشركين لا يفكرون في ذلك ولا يتعظون.

تفسير المفردات: اليوم: الوقت. والفصل: الحكم بين الناس للحساب والجزاء. وميقاتهم: وقت ما هدِّدوا به من العقاب. وأجمعين: كلهم مجتمعين. **٤٠** لا يغني: لا يدفع ولا يفيد. والمولى: من يتولّى معونة صاحبه. وشيئًا: أيًّا شيء يكون من العذاب! ولا هم: ليسوا. وينصرون: يُمنعون من العذاب. **٤١** رحمَ اللهُ: عطف عليه بقبول الشفاعة لأنه مؤمن يستحق العفو. والعزيز: الغلّاب في انتقامه. والرحيم: الكثير العطف بالإحسان إلى المؤمنين. **٤٢** الشجرة: النبتة لها جذور وساق وأغصان وثمار. والزقُّوم: أخبث النبات وأفظعه. **٤٣** الطعام: ما يؤكل. والأثيم: الإنسان الكثير الإجرام. **٤٤** المهل: عَكر الزيت الحارّ جدًّا. ويغلي: يفور من شدة الحرارة. والبطون: جمع بطن، ما بين الصدر والفخذين. والحميم: الماء في أقصى حرارته. **٤٦** خذوه: أمسكوا الأثيم المذكور قبل، أيها الزبانية. واعتلوه: جرّوه بغلظة. وسواء الجحيم: وسط جهنم. **٤٧** صبّوا: ألقوا. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. **٤٨** ذُق: تحسس العذاب بكامل جسمك أيها المتجبِّر. وإنك أي: فيما تزعم. والعزيز: الذي لا يُغلب. والكريم: الذي لا يهان. **٤٩** هذا أي: العذاب. وتمترون: تشكّون ولا تؤمنون. **٥٠** المتقون: الذين يتجنّبون الشرك ويلزمون الإيمان والطاعة. والمقام: المجلس. والأمين: ما فيه طمأنينة النفس. **٥١** الجنّة: الحديقة العظيمة فيها القصور والنعيم. والعيون: جمع عين، النبع الجاري.

الجزء الخامس والعشرون — سورة الدخان

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى
عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾
طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ
﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ
﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ
إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَة — آياتها ٣٧ — ترتيبها ٤٥

٥٢ يلبسون: يتزيّنون بثياب. والسندس: ما رقّ من قُماش الحرير. والإستبرق: ما غلُظ منه. ومتقابلين أي: يقابل بعضهم بعضًا بالزيارة والمودّة. **٥٣** كذلك أي: على ما ذكرنا من حال هؤلاء يكون إكرام المؤمنين. وزوّجناهم: قرنّاهم. والحور: جمع حَوراء، المرأة البيضاء البضّة خُلقَت من الطِّيب. والعين: جمع عيناء، الواسعة العينين بجمال. **٥٤** يدعون: يطلبون أن يأتيهم الخدم ويُحضروا لهم. وفيها: في الجنات. والفاكهة: الثمار اللذيذة. وآمنين: مطمئنين بالسعادة والنعيم. **٥٥** لا يذوقون الموت: لا تنالهم مفارقة الروح. وإلّا الموتة الأولى أي: الوفاة في الدنيا. ووقاهم: جنّبهم الله. **٥٦** الفضل: التفضل بالإحسان. ومن ربك: من عنده وبأمره. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وذلك أي: ما ذكر. والفوز: النجاة والظفر. والعظيم: الضخم لا مثيل له. **٥٧** يسّرناه: سهّلنا القرآن وجعلناه يسيرًا على كل من يعرف العربية، خلافًا للكتب قبله. ولسانك: لغتك العربية التي هي أفصح اللغات، وأبقاها على الزمن، وأيسرها تعلّمًا واستخدامًا. ولعلهم: ليَترجَّى العرب. ويتذكرون: يتعظون فيؤمنون. **٥٨** ارتقب: انتظر ـ أيها النبي ـ هلاك من لا يؤمن منهم. ومرتقبون: ينتظرون موتك. **٥٩**

المعنى العام: أن جميع الناس موعدهم يوم القيامة، حين لا يفيد أحد صديقًا، إلّا من رحمهم الله لأنهم كانوا مؤمنين يتولى بعضهم بعضًا بعون وشفاعة. وعندما هَزِئ أبو جهل بما هُدِّد من الزقّوم، وصار يأتي بالتمر والزُّبد ويقول لأصحابه: «تزقّموا. فهذا الزقّوم الذي يعدكم به محمد»، نزلت الآيات ٤٣ ـ ٤٦ بوصف أهوال ذلك الشجر ومن يأكله في جهنم، فقال أبو جهل للنبي ﷺ: «أتهدّدني ـ يا محمد ـ وإنْ بين لابتَيها [ليس بين جبلي مكة] أعزُّ مني ولا أكرم. ولن تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئًا»، فنزلت الآيات ٤٧ ٥٠ بما يَفعل به الزبانية وبأمثاله من العذاب والسخرية، إذ يجرّونه إلى وسط الجحيم، ويصبون عليه أنواع العذاب، مع تذكيره ما كان عليه من العُنجهية. أما المؤمنون المتقون فيكونون في نعيم الجنة، من الينابيع الجارية والألبسة الفاخرة والمودّة والحور العين ولذائذ الطعام والأمان والخلود، والنجاة من العذاب برحمة الله وفضله. وهذا القرآن أوحي ميسّرًا بالبيان العربي ليتفهّمه العرب ومن يتصل بهم، ولو كان بلغة أُمّة أُخرى لتيسر لها وحدها، كما هو شأن الكتب المتقدمة، تُترجم إلى سائر اللغات وقلّما تُقرأ للعبادة بلغتها الأصلية خلافًا للقرآن الكريم. فانتظر ما يكون من عقاب الكافرين ـ أيها النبي ـ وهم ينتظرون وفاتك الشريفة، ليبقوا في الضلال والشقاء.

٤٥ ـ سورة الجاثية

سورة الجاثية — الجزء الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ آيَاتِ
اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣

تفسير المفردات: حمٓ: من الأحرف المقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ١ تنزيل أي: منزَّل. والكتاب: القرآن الكريم. ومن الله أي: حاصل من عنده وبأمره. والعزيز: الغلّاب يَذِلّ لعزته ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٢ السماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والآيات: الدلائل على وحدانية الله وقدرته والبعث. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. ٣ الخلق: الإيجاد من العدم. ويبث: ينشر ويفرّق في الأرض والسماء. والدابّة: ما يتحرك أو يمشي من المخلوقات. والقوم: الجماعة من الناس. ويوقنون: يزداد إيمانهم طمأنينة. ٤ الاختلاف: التباين في الصفات. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنهار عكسه. وأنزل: أسقط. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والسماء: السحاب. والرزق: ما يهيّأ للمخلوق من حاجاته المادية والمعنوية. وأحيا الأرض: خلق فيها الحياة والنشاط. وموتها: يُبسها وفقدها للنبات والماء. والتصريف: التقليب في جهات وأحوال مختلفة. والرياح: جمع ريح، الهواء المتحرك. ويعقلون: يدركون بدقة ما في الأدلة فيستحكم علمُهم، ويَخلص يقينهم من كل تردد. ٥ تلك أي: الحقائق المذكورة. ونتلوها: نسردها. وبالحق: مصاحبةً الصدق لا شك فيه. وبأيّ حديث يؤمنون أي: لن يؤمن المشركون بما يُروى من الكلام. وبعد الله أي: بعد القرآنِ كلامِ الله. ويؤمنون: يصدقون. ٦ وَيل: دعاء بأشدّ التعذيب. والأفّاك: الكذّاب. والأثيم: الكثير الذنوب يستحق العقاب. ٧ يسمع: يدرك بسمعه. وتتلى: تقرأ. ويصرّ: يستمرّ على كفره. والمستكبر: المتكبّر عن الإيمان. وكأنْ: كأنّه. وبشّره: هدّده. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: الشديد الإيلام. ٨ علم: أدرك. والآيات: النصوص القرآنية. واتخذها: جعلها. وهزوًا أي: مهزوءًا بها. وأولئك أي: المذكورون بالذمّ فيما مضى. والمهين: ذو الإهانة والتحقير. ٩ وَراءهم أي: أمامهم فيما سيكون في الآخرة. وجهنم: دار العذاب للكافرين. ولا يغني: لا يدفع. وكسبوا: جمعوا من المال والعمل والزعامة. وشيئًا أي: أيّما إغناء ! وما اتخذوا: ما جعلوا. ودون الله: غيره من الأصنام والمعبودات. والأولياء: جمع وليّ، من يتولّى أمور غيره وينصره. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ١٠ هذا أي: القرآن الكريم. والهدى: الهادي إلى الحق أبلغ ما يمكن. وكفر بالآيات: جحد أدلة القرآن والكون والحياة. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والرجز: أشد أنواع الاضطراب. ١١ سخر لكم: ذلّل وهيّأ لانتفاعكم. والبحر: الماء المجتمع كالنهر والبحيرة والمحيط. وتجري: تسير بسرعة. والفلك: السفن، واحدته فُلْك أيضًا. وأمره: إرادته وقضاؤه. وتبتغوا: تطلبوا. والفضل: التفضل والإنعام. ولعلكم: ليكون منكم. وتشكرون: تستحضرون النعم في نفوسكم وتذكرونها بالثناء على منعمها. ١٢ جميعًا: مجموعة كلها. ومنه أي: من عنده وبأمره. وذلك أي: ما ذكر من النعم. ويتفكّرون: يتدبّرون ما يرون وما يسمعون، ويستدلّون بهما على تمييز الحق من الباطل. ١٣

الحزب ٥٠

المعنى العام: أن الله العزيز الحكيم أنزل القرآن الكريم، وفي الكون من المخلوقات والعجائب أدلة على وحدانيته، وفي حياة الأرض بالمطر أدلة على البعث لمن يفكر ويعقل. وإنما تذكر هذه الحجج مقرونة بالحق، ولكن جبابرة المشركين يتجاهلونها، فلن يصدّقوا شيئًا من مثل ذلك بعد تكذيبهم آياتِ الله، وهم يفترون الأباطيل ويرتكبون المعاصي ويتلقون الآيات بالإعراض والسخرية، فلهم الويل في الدنيا وعذاب جهنم في الآخرة، دون أن تفيدهم أموالهم ولا أصنامهم.

ومن الأدلة أيضًا أن الله جعل البحر وما في الكون مسخَّرَين لمنافع الناس، لعلهم يتعظون بالتفكر ويهتدون إلى الإيمان والشكر.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ
قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ
فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ
رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ
﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

تفسير المفردات: قل للذين آمنوا يغفروا أي: قل للمؤمنين، أيها النبيّ: «اغفروا». يعني: لا تقابلوا الأذى بمثله. ولا يرجون: لا يخافون ولا يتوقعون. والأيام: جمع يوم، أي: الوقت الذي تكون فيه الشدائد والنكبات. ويجزي: يكافئ الله الصلاح والفساد. وقومًا: جماعة المسيئين وجماعة الصابرين. ويكسبون: يعملونه من الغفر والطاعة أو من الكفر والعصيان. ١٤ عمل: اكتسب. والصالح: ما يرضاه الله. ولنفسه أي: ثواب ذلك كائن للإنسان بروحه وجسده. وأساء: اكتسب الشرّ. عليها أي: وبال ذلك حاصل على الإنسان نفسه. وإلى ربكم: إلى لقاء حسابه. وتُرجعون: تصيرون بالبعث والحشر. ١٥ آتينا: منحنا. وبنو إسرائيل: ذرية يعقوب سُومريُّون حاميُّون. والكتاب: التوراة والإنجيل. والحكم: القضاء بالشريعة. والنبوة: التكليف بالدعوة والعمل لأمثال موسى وهارون وعيسى. ورزقناهم: هيّأنا لهم ما يحتاجون إليه. والطيّبات: ما تستلذّه النفس وفيه الخير. وفضلناهم: خصصناهم بالإكرام. والعالَمون: مجموع الإنس والجن في تلك الأزمان. ١٦ البينات: الأدلّة الواضحة. والأمر: أحكام الدين. وما اختلفوا: ما اختصموا في أمور دينهم واقتتلوا. وجاءهم: وصل إليهم. والعلم: الحقائق الثابتة. والبغي: العدوان بالحسد وطلب المكاسب. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويقضي: يحكم و يفصل بالحق. واليوم: الزمن. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. وفيه يختلفون: بسببه يختصمون. ١٧ جعلناك: صيّرناك، أيها النبي. والشريعة: المنهاج الواضح يهدي إلى الحق. واتّبعها: دُم على العمل بها. ولا تتّبع: لا توافق ولا تُجارِ. والأهواء: جمع هوى، شهوة النفس. ولا يعلمون: ليس عندهم علم يقيني بالحق. ١٨ لن يغنوا: لن يدفعوا. ومن الله أي: من عذابه. وشيئًا: أيّما إغناء ! والظالمون: الذين تجاوزوا الحق بالكفر. والبعض: الواحد أو الأكثر. والأولياء: جمع وليّ، من يتولى أمر غيره ويوجّهه. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد وجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والمتقون: الذين يتجنبون سخط الله ويطلبون رضاه. ١٩هذا أي: القرآن الكريم. والبصائر: جمع بصيرة، المعالم يُتبصّر بها في الأحكام والأعمال. والناس: البشر. والهدى: الهادي والمرشد إلى الحق. والرحمة: الراحم المُشفق. والقوم: الجماعة من الناس. ويوقنون: يؤمنون بالتوحيد والبعث. ٢٠ أم حسب أي: لا يظنَّ ولا يتوهّمْ. واجترحوا: اقترفوا واكتسبوا. والسيئات: المعاصي من الكفر والشر. ونجعلهم: نصيّرهم. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وسواءً أي: متساوين في التنعّم. والمحيا والمات: في الحياة والموت. وساء: بلغ الغاية في القبح والفساد. ويحكمون: يزعمون. ٢١ خلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من مخلوقات عُلويات. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وبالحق: بسبب الأمر الثابت في الدلالة على الوحدانية والقدرة. وتُجزى: تُكافأ. والنفس: المخلوق المكلَّف. وبما كسبت: بسبب ما فعلت. وهم أي: الناس جميعًا. ولا يظلمون: لا يجار عليهم بنقص حسنة أو زيادة سيئة. ٢٢

المعنى العام: أن يوجه النبي ﷺ المؤمنين إلى الصفح عن الكافرين، لينال كلٌّ جزاء ظلمه أو إحسانه، مما قدّم لنفسه نيّة أو قولًا أو عملاً. وهؤلاء بنو إسرائيل أكرمهم الله بالدين والطيبات وفضلهم على من في زمانهم بالهداية والشريعة، فكان تخاصمهم في ذلك حسدًا وعدوانًا، وسينالون عقابهم يوم القيامة.

وعندما قال رؤساء قريش للنبي ﷺ: «ارجع إلى دين آبائك. فإنهم كانوا أفضل منك وأسنّ»، نزلت الآيات ١٨-٢٠ بما يجب عليه من الاستمرار على الدعوة، وتجنب شهواتهم الباطلة. فهم أعوان لأمثالهم، والله ولي المؤمنين، والقرآن شريعة للناس وهداية إلى الخير ورحمة. ولْيعلمِ الكافرون المجرمون أن الفرق كبير بينهم وبين المؤمنين في الدنيا والآخرة، منزلةً ونعيمًا، ولْيدَعوا ما يتوهمون من تميزهم لكثرة أموالهم، ويستعدوا لتقبل الجزاء العادل يوم القيامة.

تفسير المفردات: أرأيت أي: تفكّر وأخبرني، أيها المخاطَب. واتخذ: جعل. والإلّه: ما يعبد ويقدّس. والهوى: ميل النفس إلى ما تشتهيه. وأضله: صرف قدراته إلى ما يناسب اختياره السيئ. وعلى علم: مع الإحاطة بحاله. وختم: حجب عن التدبر وسدَّ المنافذ. والسمع: الأذن. والقلب: موطن الإدراك والاعتقاد والعواطف. وجعل: خلق. والبصر: العين. والغشاوة: الغِطاء. ومن يهديه: لا أحد يخلق فيه الرشاد والاستبصار. وبعد الله أي: غيره. وألا تذكّرون: ألا تتذكّرون أي: تذكروا باستحضار الأدلة الكونية والقرآنية، لتتعظوا وتعتبروا بوجوب الإيمان.حُذفت التاء الثانية للتخفيف. **٢٣** قالوا أي: منكرو البعث. وما هي: ما الحياة بالروح والجسد. والدنيا هي التي نعيش فيها. ونموت: تفارق أرواحنا الأجساد. ونحيا: نعيش مع الروح. وما يُهلكنا: لا يُفنينا. والدهر: مرور الزمن. وما لهم: ليس لهم. وذلك أي: ما قالوه عن الحياة والموت. والعلم: المعرفة اليقينيّة. وإن هم: ليسوا. ويظنون: يتوهّمون قولهم توهُّمًا. **٢٤** تتلى: تقرأ وتفسَّر. والآيات: نصوص القرآن الكريم.والبينات: الواضحات الدلالة. والحُجّة: الادّعاء للاحتجاج. وائتوا بآبائنا: ادعوا ربكم يعيدهم إلى الحياة لتثبتوا صحة البعث. والآباء: جمع أب. والصادقون: الذين يقولون الحق. **٢٥** قل أي: لهم، أيها النبي. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويحييكم: يخلق فيكم الحياة. ويميتكم: يخلق فيكم الموت. ويجمعكم: يحشركم بعد الموت للحساب. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من قبورهم بالبعث. والريب: الشكّ. وأكثر الناس: غالبيتهم. ولا يعلمون: ليس عندهم معرفة بعقل أو بنقل، فيُنكرون المعاد وبعث الأموات. **٢٦** المُلك: الحيازة المطلقة والتصرف الكامل. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وتقوم: تتحقّق. والساعة: زمن الحشر والحساب. ويومئذ: يوم الحساب. ويخسر: يفقِد ما له وما يتوقّعه. والمبطلون: المعرقون في الكفر **٢٧** ترى: تبصر عِيانًا، أيها النبي. والأُمّة: الجماعة من الناس على دين أو مذهب. والجاثية القاعدة على الرُّكب. وتدعى إلى كتابها: يطلب منها قراءة سجلّ أعمالها. واليوم: هذا الوقت من القيامة. وتجزون: تكافؤون. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. **٢٨** هذا أي: السجلّ. والكتاب: ما سجّله الملائكة من عمل الناس. وينطق: يشهد بما عملتم. وبالحق: مع الصدق والعدل بلا زيادة أو نقصان. ونستنسخ: نأمر الملائكة بالنسخ والحفظ. **٢٩** آمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وعملوا: اكتسبوا وتحملوا. والصالحات: ما يرضاه الله. ويدخلهم: يجعلهم. والرحمة: الجنّة بالثواب والعطف. وذلك أي: دخول الجنّة. والفوز: الظفر. والمبين: البيّن الظاهر. **٣٠** كفروا: أنكروا التوحيد والبعث. وألم تكن: لقد كانت. واستكبرتم: تكبرتم على الإيمان. ومجرمين: معرقين في الإفساد. **٣١** قيل أي: قال لكم المؤمنون. والوعد: التعهد بالشيء الجازم. والحق: الواجب الوقوع. والساعة: يوم القيامة. وفيها: في مجيئها. وقلتم: أجبتم. وما ندري: ما نعلم. وما الساعة: أيُّ شيء معنى الساعة؟ و نظن: نتوهّم بالتردد. وما نحن: لسنا. ومستيقنين: ثابتي الاعتقاد بمجيئها. **٣٢**

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

المعنى العام: العجب ممن يأتمر بشهواته في اختيار الأوثان آلهة ويستبدلها مرارًا لأنه يعبد هواه، وقد أضله الله لِما يعلم من فساد استعداده، وعطّل هو قدراته، فلا يهتدي إلى الحق. ولذلك يدّعي أمثاله ظنهم أن الحياة تستمر بالتوالد والموت بمرور الزمن، وينكرون آيات البعث مطالبين بإحياء أجدادهم لإثبات ذلك، مع أن الإحياء لا يكون إلّا يوم القيامة. فمحال أن يستجاب لطلبهم، وأكثرهم جاهلون بحقائق الوجود، وما سيكون بالبعث، والله هو الذي يتصرف في الكون والحياة، فتَظهر للكافرين خسارتهم الكبرى، حين يجثون على الركب استسلامًا ويطّلعون على سجلّ أعمالهم بالحق، ويجزَون ما يستحقون من العذاب. أما المؤمنون فينالون نعيم الجنة، والكافرون يوبَّخون لتكذيبهم وتكبرهم وإنكارهم ما يكون في البعث والحساب، وادعائهم التردد والجهل بما يكون بعد الموت...

تفسير المفردات: بدا لهم: ظهر للكافرين. والسيئة: القبيحة. وعملوا: اكتسبوا من نيّة أو قول أو فعل. وحاق: أحاط من كل جانب. ويستهزئون: يسخرون. ٣٣ قيل أي: قالت لهم ملائكة العذاب. واليوم: هذا الوقت من يوم القيامة. وننساكم: نترككم في النار. ونسيتم: تجاهلتم وأهملتم. واللقاء: المقابلة. والمأوى: مكان اللجوء. والنار: نار جهنم. وما لكم: ليس لكم. والناصر: المعين المنقذ. ٣٤ ذلكم أي: ما ذُكر من العذاب والإهمال. وبأنكم: حاصل بسبب أنكم. واتّخذتم: جعلتم. والآيات: النصوص القرآنية. وهزوًا أي: مهزوءًا بها. وغرتكم: خدعتكم بمتاعها. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: التي كنتم فيها. ولا يُخرجون منها: لا يُبعدون عن النار. ولا يُستعتبون: لا يُطلب منهم توبة ليَرضى الله عنهم. ٣٥ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والحمد: الوصف الجميل على تحقيق الوعد. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٣٦ له: مُلكه وحده. والكبرياء: العظمة الحقيقية. والعزيز: الغلّاب لغيره. والحكيم: المتقن لكل شيء. ٣٧

الجزء السادس والعشرون — سورة الأحقاف

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ
الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ — ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ
ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن
لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

المعنى العام: متابعة ما يكون يوم القيامة بأن الكافرين يرون جزاء كفرهم واستهزائهم في العذاب المحيط بهم، وتوبخهم ملائكة جهنم بأنهم يهملونهم في النار بلا معين ولا إنقاذ، كما تجاهلوا يوم القيامة وهزئوا بأدلة القرآن الكريم وحقائق الكون واستمتعوا بالباطل. فهم خالدون في جهنم لا يُقبل منهم عذر، والحمد لله رب الكائنات أن حقّق وعده بالجزاء الحق، وله العظمة والغلبة والحكمة.

٤٦ ـ سورة الأحقاف

تفسير المفردات: حمٓ: من الأحرف المقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. ١ تنزيل أي: منزَّل. والكتاب: القرآن الكريم. ومن الله أي: حاصل من عنده وبأمره. والعزيز: الغلّاب يَذلّ لعزّته ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٢ وما خلقنا: ما أوجدنا من العدم. والحق: ما تقتضيه الحكمة والوحدانية والعدل بالحساب والجزاء. والأجل: الموعد ينتهي به عمر المخلوقات. والمسمى: المعين لا يتقدم ولا يتأخر. وكفروا: أنكروا التوحيد والبعث. وأُنذروا: هُدِّدوا. والمعرضون: المنصرفون استهانة. ٣ قل أي: لهم، يا محمد. وأرأيتم: تفكّروا وأخبروني. وتدعون: تعبدون وتقدسون. ودون الله: غيره. وأروني: أخبروني. وخلقوا: أوجدتْ معبوداتكم. وأم لهم شرك أي: بل ليس لهم مشاركة. وائتوني بكتاب: أحضروا لي كتابًا منزلًا. وهذا أي: القرآن. والأثارة: البقية. والعلم: المعرفة اليقينية. والصادقون: الذين يقولون الحق. ٤ من أضل أي: لا أحد أكثر ضلالًا. ولا يستجيب له: لا يجيب طلبه. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس للحساب. والدعاء: العبادة. والغافلون: الشاردون الساهون. ٥

المعنى العام: أن الله العزيز الحكيم هو الذي أنزل القرآن الكريم، وخلق الكون لغايات عالية وزمن محدد يتجاهله المشركون وما يكون فيه من الحساب والجزاء. وإذا كان لهم من حجة للشرك فليذكروا ما الذي خلقته معبوداتهم في الكون، ليس لهم شيء من هذا ولا مشاركة في خلق بعضه. وليأتِ المشركون في حال صدقهم بدليل ذلك من وحي أو علم قبل القرآن.

إنهم أضل من في الوجود، والمعبودات من البشر والملائكة لا تجيب إلى شيء مما يطلبون بدون أمر الله، لأنها خاضعة لإرادته القاهرة، بل هي أيضًا لا تأبه بعبادتهم لها، ولا تدري ما يطلبون وما يريدون بدعائهم.

الجزء السادس والعشرون سورة الأحقاف

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ
وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا
ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾
أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

تفسير المفردات: حُشر: جُمع بالقهر للحساب. والناس: البشر. وكانوا: صارت المعبودات العاقلة. ولهم: للعابدين. والأعداء: جمع عدوّ، يكون سببًا لعذابٍ من ألَّهه. والعبادة: التقديس. وكافرين أي: جاحدين منكرين. ٦ تتلى عليهم: تقرأ على أهل مكة. والآيات: النصوص القرآنية. والبيّنات: الواضحات. وقال: تكلم من غير نظر ولا تأمل. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وللحق أي: عن الصدق الثابت. ولمّا جاءهم: حين بُلّغوا به. والسحر: ما يُخيِّل غير الواقع. والمبين: الظاهر. ٧ أم يقولون: بل يزعمون. وافتراه: صنع محمد ﷺ القرآن بنفسه. وقل أي: لهم. ولا تملكون: لا تستطيعون المنع. ومن الله أي: من عذابه. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. وهو أي: الله. وأعلم: أكثر اطّلاعًا وإحاطة. وتفيضون: تعجلون للتكذيب. وفيه: في القرآن. وكفى به: بلغ اللهُ الغاية في الكفاية مما سواه. والشهيد: الحافظ المقرّر للحق. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ٨ ما كنتُ: لستُ. والبدع: المتفرّد بلا مثيل. والرسل: جمع رسول، من كلفه الله بالدعوة مع العمل. وما أدري: لا أعلم. وما يُفعل أي: الذي يقضيه الله في المستقبل. وإن أتّبع: ما ألتزم. ويوحى إليّ: يبلّغني جبريل. وما أنا: لستُ. والنذير: المهدّد بالعذاب لمن كفر. والمبين: البيّن الإنذار. ٩ أرأيتم: تفكّروا وأخبروني. وكان أي: القرآن. ومن عند الله أي: بأمره وحيًا. وكفرتم به: كذّبتموه. وشهد: أقرّ بالحق. وبنو إسرائيل: ذرّيّة يعقوب. وعلى مثله أي: عليه أنه وحي من عند الله. وآمن: صدّق الرسالة. واستكبرتم: تكبرتم عن الإيمان. ولا يهدي: يصرف القدرات إلى ما يناسب سوء الاستعداد. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: الكافرون. ١٠ للذين أي: عن الذين. وكان أي: الإيمان. والخير: ما فيه نفع ومَكرُمة. ما سبقونا: ما كان المؤمنون أسبق منا. وإذ لم يهتدوا به أي: لأنهم لم يسترشدوا بالقرآن إلى الإيمان. وهذا أي: القرآن. وإفك: كذب صُراح. وقديم أي: من أكاذيب الأقدمين. ١١ قبله: قبل القرآن. وكتاب موسى: التوراة. والإمام: ما يُقتدى به إلى الخير. والرحمة: العطف بالإحسان من الله. ومصدّق: يحقّق صدق ما قبله. واللسان: اللغة. والعربي: المنسوب إلى العرب، بلغتهم فصيح بيّن واضح، كما هو مصدق وصادق. وينذر: يهدّد بالانتقام. وظلموا: كفروا. والبشرى: البشارة بما يَسرّ. والمحسنون: من لزموا الإحسان في العمل. ١٢ قالوا أي: تكلموا بألسنتهم أو بقلوبهم. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. واستقاموا: لزموا الطريق القويم. والخوف: الفزع من مكروه. ولا يحزنون: لا يغتمّون مما مضى. ١٣ الأصحاب: جمع صاحب، الملازم لا يفارق. والجنّة: البستان العظيم بنعيمه. والخالدون: المقيمون أبدًا. والجزاء: المكافأة. ويعملون: يكتسبونه من نية وقول وفعل. ١٤

المعنى العام: أن المعبودين يخاصمون عابديهم يوم القيامة، لأن المشركين يعبدون أهواءهم وماتوارثوه من المزاعم. فهم يتهمون الآيات بأنها سحر، ويزعمون أن النبي ﷺ صنعها، ومهما يكن فالله يعاقب المفتري، ويعلم أقوالهم ويشهد للفصل بالحق.

وعندما سأل المشركون النبي ﷺ عن المغيّبات نزلت الآية ٩ بأنه رسول منذر كمن قبله، لا يعرف الغيب بل يتبع الوحي إليه، وقد أيّده بالإيمان بعض علماء اليهود والنصارى، وتمنع المشركون واستكبروا على الإيمان فلهم جزاؤهم، وزعموا أنه لو كان الإسلام خيرًا من الشرك لسبقوا فقراء المسلمين إليه. ولذلك كذبوه ولم يهتدوا به مع أنه موافق لِما كان قبله في التوراة والإنجيل من الهداية والرحمة، وهو بلغة العرب بيانًا وبلاغةً يتيسر فهمه لهم ولمن يتصل بهم، وينذر المكذِّبين ويبشر المحسنين. فهؤلاء بسبب الإيمان والاستقامة والعبادة يلازمون الطمأنينة والسرور يوم القيامة، في نعيم الجنة خالدين.

تفسير المفردات: وصّينا: أمرنا وفرضنا. والإنسان: كل إنسان. والوالدان: الأب والأم أو الجدّ والجدّة، غلّب فيه المذكر على المؤنث. والإحسان: البرّ والإكرام. وحملته أُمّه أي: في بطنها. وكرهًا: على مشقة. ووضعته: ولَدَته. وحمله وفصاله أي: مدة حمله ورضاعته إلى فطامه. وحتى إذا بلغ أشدّه أي: فإذا تجاوز الثلاثينات من العمر. وربّ: يا ربّي. حُذف «يا» لما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وأوزعني: ألهمني. وأشكر نعمتك: أستحضرها في نفسي وأذكرها بالثناء عليك. والنعمة: التفضل بالخير. وأنعمت: تفضلت بها. وأعمل: أكتسب بالنية أو القول أو الفعل. والصالح: ما أقره الشرع. وترضاه: تقبله وتُثيبني عليه. وأصلح: اجعل الإيمان وعمل الخير ثابتين. والذرية: الأولاد والحَفَدة. وتبت: اعترفت بذنبي وتعهدت بتركه وطلبت المغفرة. والمسلمون: الذين أسلموا أمورهم إلى الله. ١٥ أولئك أي: الذين يقولون ذلك القول. ونتقبل: نرضى ونُثيب. والأحسن: الأفضل. ونتجاوز عن السيئات: لا نعاقَب عليها. والسيئة: العمل القبيح. وفي أصحاب الجنة: في جملتهم مع النعيم. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم للشيء. والجنة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. والوعد: التعهد بما هو خير. والصدق: ما هو واقع حتمًا. ويوعدون أي: يبلَّغونه بشارة. ١٦ قال لأبويه أي: لوالديه عندما دعواه إلى الإيمان. وأُفّ أي: تضجرًا وقُبحًا. وتعدانني: تخبرانني

الجزء السادس والعشرون سورة الأحقاف

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ
أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ
عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى
ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ
لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن
قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ
مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ
فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ
بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

وتهدِّدانني. وأُخرج: أُبعث حيًّا. وخلت: مضت. والقرون: جمع قرن، الأُمّة من الناس. ويستغيثان الله: يطلبان عونه. وويلك أي: يقولان لابنهما: الهلاك لك. وآمِن: اعترفْ بالتوحيد. والحق: الأمر الثابت لا بدّ منه. وما هذا: ليس القول بالبعث. والأساطير: جمع أسطورة، الأكذوبة. والأولون: االقدماء من الناس. ١٧ أولئك أي: الذين يفعلون ذلك مع من يدعوهم إلى الإيمان. وحقَّ: وجب وثَبت. والقول: الحكم بالعذاب. والأمم: جمع أُمّة. والجنّ: واحده جنيّ، مخلوقات من النار. والإنس: البشر، واحده إنسيّ. وخاسرين أي: فاقدين ما لديهم وما يؤمّلون. ١٨ لكل أي: من الجنسين المذكورين في أول الآيتين ١٥ و١٧. والدرجات: المراتب المتفاوتة. ومما عملوا: بسبب أعمالهم. ويوفيهم أعمالهم: يكافئهم الله عليها كاملة. ولا يُظلمون: لا يُجار عليهم بنقص طاعة أو زيادة معصية. ١٩ يوم أي: وقت. ويعرض على النار: تكشف لتصبح مرئية عِيانًا، أي:تُعرض عليهم. وأذهبتم أي: يقول لهم الزبانية: أفنيتم. والطيبات: ما يُستلذّ من النعم. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: التي كانوا فيها قبل الموت. واستمتعتم: تمتّعتم وتهنّأتم. واليوم أي: حين الجزاء. وتجزون: تعاقَبون. والعذاب: التعذيب. والهون: الهوان والتحقير. وبما كنتم تستكبرون: بسبب تكبُّركم. وبغير الحق أي: بالباطل وغير ما تستحقون. وتفسقون: ترتكبون المعاصي. ٢٠

المعنى العام: أن الله أوصى الإنسان بإكرام والديه، فأمّه تعبت في حمله وولادته وتربيته وتحملت المشاق المتوالية في ثلاثين شهرًا، فكان في شبابه وكهولته على حالين: إما تائبًا مسلمًا داعيًا الله أن يرزقه الشكر على النعم مع العمل الصالح وطلب الخير والصلاح والمغفرة له ولذريته، فيقبل الله أحسن عمله ويرضى عنه ويغفر له ويجزيه نعيم الجنة مع الصالحين المتقين كما وعَدَ وعْدَ الصدق المحقّق، وإمّا عاقًا لوالديه يتضجر منهما، وينكر ما يعظانه به من وجوب الإيمان بالتوحيد والبعث، ويصف ذلك بالكذب والبطلان لعدم رجوع من مات من الأقدمين، وهما يستعينان بالله عليه ويهدّدانه بالويل والانتقام، فيكون له غضب الله وعذاب الدنيا والآخرة، كما جرى لكثير من الأمم المستأصلة. فكل من هؤلاء وأولئك لهم مراتب بحسب أعمالهم، ينالون الجزاء الوافي عليها بالعدل يوم القيامة دون نقص أو ظلم. فالذين كفروا لهم عقابهم مع التوبيخ بما فعلوا وعرضِ جهنم عليهم وما فيها من الأهوال قبل دخولها، لأنهم أضاعوا المستقبل الكريم في الدنيا بالشهوات والبغي والعصيان والتكبر بغير حق، فنالوا العقاب اللازم عن ذلك.

تفسير المفردات: اذكر أي: لنفسك تأنيسًا وتطمينًا ولقومك تذكيرًا ووعظًا وتهديدًا. وأخو عاد: النبي هود من قبيلة عاد أقدم العرب العاربة. وأنذر: هدّد بالعذاب لمن يكفر. والقوم: الجماعة من الناس. والأحقاف: اسم وادٍ بين حضرَموتَ وعُمان، جمع حِقف. وهو ما استطال واعوجّ من الرمال. وخلت: مضت. والنذر: جمع نذير، المهدّد بالعذاب لمن كفر. وبين يديه: قبله. وخلفه: بعد إنذاره أي: في زمانه. وأن لا تعبدوا: بألّا تقدّسوا. والله: المعبود بحق وحده والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأخاف: أخشى. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والعظيم: الهائل لِما فيه من البلاء. ٢١ قالوا أي: القوم لهود. جئتنا: حضرت مجالسنا. وتأفكنا: تصرفنا. والآلهة: جمع إلّه، ما يُعبد من المخلوقات. وائتنا بما تعدنا: أوقع بنا ما تهدّدنا به. والصادقون: الذين يقولون الحق. ٢٢ العلم: الإحاطة الكاملة بالكون والحياة، ومن ذلك وقوع العذاب. وعند الله أي: في حوزته وحده. وأبلغكم: أُعلِمكم. وأرسلت به: كلّفت بتبليغه. وأراكم: أجدكم باليقين. وتجهلون أي: صفتكم الجهل بالحقائق. ٢٣ رأوه: أبصروا العذاب بأعينهم. والعارض: السحاب المنبسط في الأفق. ومستقبل أوديتهم: متوجِّهًا إليها. والأودية: جمع الوادي، الأرض المنخفضة بين التلال. وقالوا أي: بعضهم لبعض. وممطرنا: يكشف المحْل عنّا. وبل أي: ليس الأمر ما زعمتم وإنما. واستعجلتم به: طلبتم تعجيله. والريح: الهواء المندفع بسرعة. والأليم: الفظيع الإيلام. ٢٤ تدمر: تزلزل وتهدّم وتُهلك. والشيء: ما هو موجود تمر به. وبأمر ربها: بإرادته وقضائه. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأصبحوا: صاروا. ولا يُرى: لا يُبصَر عِيانًا. والمساكن: جمع مَسكن، أي: ما تبقى منه بعد الدمار. وكذلك: كما جزيناهم. ونجزي: نعاقب. والمجرمون: المنهمكون في الكفر والعصيان باختيار وعزم. ٢٥ مكّنّاهم: أقررناهم. وإن مكّنّاكم أي: ما أقررناكم، يا معشر قريش. وجعلنا: خلقنا. وسمعًا أي: أسماعًا، حواسّ تدرك المسموعات. والأبصار: جمع بصر، حاسة الإبصار. والأفئدة جمع فؤاد، ما يُدرَك به كل محسوس أو مفهوم. وما أغنى عنهم: لم ينفعهم. ومن شيءٍ: أيّما إغناء ! وإذ كانوا أي: لكونهم. ويجحدون: يكفرون وينكرون. وآيات الله: حُججه البيّنة والأدلة على التوحيد والبعث. وحاق: أحاط من كل جانب. ويستهزئون: يسخرون. ٢٦ أهلكنا: أفنينا. وما حولكم أي: المدن القريبة من أهل مكة المكرّمة. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة، أي: ومن فيها من الكافرين. وصرّفنا: كرّرنا وفصّلنا لأهل تلك القرى. ولعلهم: ليُترجّى لهم. ويرجعون: يغادرون الكفر إلى الإيمان. ٢٧ لولا: هلّا، للتوبيخ والتعنيف. ونصرهم: حماهم بدفع العذاب. واتخذوا: جعلوهم. ودون الله: غيره. والقربان: ما يُتقرّب به إلى الله. بل أي: ما نصروهم وإنما. وضلوا: ضاعوا وانخزلوا. وذلك أي: عبادة الأصنام. وإفكهم: ادعاؤهم الكاذب بشفاعة الأصنام. ويفترون: يكذبون. ٢٨

ربع الحزب ٥١

سُورَةُ الأَحْقَافِ — الجزء السادس والعشرون

۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ
مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ
عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا
بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣
فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ
بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَيۡءِۢ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ
وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ
وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦ وَلَقَدۡ
أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ
٢٧ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ
بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٨

المعنى العام: أمرُ النبي ﷺ أن يذكر لنفسه ولقومه ما كان من النبي هود، حين بلّغ قومه بني عاد سام بن نوح دعوة التوحيد وكان قبله وفي زمنه أنبياء أيضًا، وهدّد القوم بنقمة الله، فسخروا منه وأنكروا عليه طلب التخلي عن الأصنام، وتحدّوه أن يُنزل بهم العذاب في حالة صدقه بالنبوة، فأجابهم أنه لا يملك من ذلك شيئًا، والله هو المتصرف في الكون، ثم رأوا بوادر الانتقام الرباني، فظنّوها أمطارًا لخيرهم، والحق أنها ليست كذلك بل هي عواصف وأعاصير مدمّرة لا تبقي إلّا آثارًا للمنازل.

وكذلك يكون جزاء الكافرين، إن أصرّوا على العصيان. وقد كان أولئك في قوة وقدرات تفوق ما لأهل مكة، فما نفعهم ذلك في دفع العقاب، ومثلهم ما نزل بأقوام أنبياء آخرين حول مكة المكرّمة من القدماء بعد التوجيه والإنذار. فهلّا نصرتهم الأصنام المعبودة وأنقذتهم من الهلاك. لقد كانت معهم، وأصابها ما أصابهم من الدمار. وفي هذا توبيخ كفّار قريش لشبههم بالمدمَّرين.

تفسير المفردات: إذ صرَفنا: حين وجّهنا. والنفر: الجماعة بين ثلاثة وعشرة. والجنّ: واحده جني، مخلوق من النار. ويستمعون: يبالغون في الإنصات والإدراك. ولمّا أي: حينما. وحضروه: صاروا معه وبمَسمع له. وقالوا أي: بعضهم لبعض. وأنصتوا: تنبّهوا لاستماعه. وقضي: انتهت قراءته. وولَّوا: رجعوا. والقوم: الجماعة من الجن. ومنذرين أي: مخوِّفين بالعذاب من لا يؤمن. **٢٩** سمعنا كتابًا: سمعنا تلاوة كتاب هو القرآن الكريم. وأُنزل: أُوحي من عند الله. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. والمصدّق: الموافق المحقِّق. وبين يديه: قبله. ويهدي: يرشد ويوصل. والحق: الأمر الثابت يُعلَم بالعقل السليم. والمستقيم: المعتدل. **٣٠** أجيبوا: أطيعوا واتّبعوا. وداعي الله: الرسول المبلِّغ. وهو محمد ﷺ. وآمِنوا به: صدّقوا رسالته. ويغفرُ: يستر ويمسح. والذنوب: جمع ذنب، العمل السيئ. ويجيركم: يمنعُكم ويحميكم. والعذاب: التعذيب. والأليم: الشديد الإيلام. **٣١** لا يجيب: لا يطيع ولا يتبع. والمعجز: المتفلّت من العقاب. وفي الأرض أي: في هذه الحياة الدنيا. ودونه: غير الله. والأولياء: جمع وليّ، النصير يدفع البلاء. وأولئك أي: الذين لم يجيبوا النبي ﷺ. والضلال: الخطأ والضياع. والمبين: الظاهر البيان. **٣٢** ألم يروا: لقد علم كفّار مكة. والله: المعبود بحق وحده والواجب الوجود والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وخلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من جو وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ولم يَعْيَ: لم يعجز أو يقصّر. والقادر: المستطيع المتمكّن وحده. ويحيي: يخلق الحياة بالبعث. والموتى: جمع ميت، من فارقت روحه جسده. وبلى أي: لقد تحقق ذلك. وإنه أي: الله. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: البالغ القدرة على ما يريد. **٣٣** ويوم أي: وقت. ويُعرض: يوجَّه ويبصَّر للتعذيب. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والنار: نار جهنم. وهذا أي: التعذيب. والحق: الواقع فعلًا. وقالوا أي:الكافرون. و وَربنا أي: نُقسم بربنا. وقال أي: الله على ألسنة الزبانية. وذوقوا: قاسوا بكامل أجسامكم. وبما كنتم تكفرون: بسبب تكذيبكم للتوحيد والبعث. **٣٤** اصبر: ثق بحكم الله مع الثبات على الشدائد. وأولو أي: أصحاب، واحده: ذو. والعزم: الثبات على البلاء. والرسل: جمع رسول، من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. ولا تستعجل لهم: لا تطلب لقومك تعجيل العذاب. ويرون: يبصرون عِيانًا ويقاسون الأهوال. ويوعدون: يهدّدون به. ولم يلبثوا: لم يعيشوا. والساعة: القليل من الوقت. والنهار هنا بمعنى اليوم. والبلاغ: التبليغ من الله. وهل يُهلك: لا ينال به أشد العذاب. والفاسقون: المنهمكون في العصيان والكفر. **٣٥**

الجزء السادس والعشرون — سورة الأحقاف

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ
أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

المعنى العام: تذكير النبي ﷺ بحضور بعض الجنّ حوله واستماعهم لتلاوته القرآنَ وهو يصلي ببطن نخلة، فأنصتوا إليه، وآمنوا وعادوا إلى قومهم وفيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام، يبلّغونهم أنه بُعث نبي بعد موسى بالدعوة إلى التوحيد، ويأمرونهم بالاستجابة لتُغفر ذنوبهم، ويهدّدون العاصين بعذاب لا نجاة منه ولا ناصر يُبعده. وفي هذا بشارة للصحابة وتعنيف للمشركين، لأنهم كانوا أولى من الجنّ بالإيمان، إذ أُنزل عليهم القرآن فكفروا به، وهم أهل اللسان الذي أنزل به ومن جنس النبي ﷺ، وهؤلاء جنّ ليسوا من جنسه، وقد أثّر فيهم سماع القرآن، فآمنوا به وبمن أنزل عليه، وعلموا أنه من عند الله.

لكن كفار مكة يصرّون على التكذيب للتوحيد والبعث، مع علمهم أن خالق الكون يسيرٌ عليه بعث الموتى. وعندما تُعرض عليهم جهنم سيوبّخون لإنكارهم ما هو حق ويكابدون الأهوال، ويقرّون بما يرون. وهذا يقتضي أن يصبر النبي ﷺ على ما يلاقي منهم، كما صبر الذين قبله من الأنبياء أصحاب العزيمة، ولا يتعجل لهم العذاب، وهم سيرونه ويستقلّون ما أمضوا من حياة التمتع والكفر، وقد جاءهم القرآن الكريم بلاغًا للحقيقة، ولن يكون دمار إلاّ للمصرّين على الكفر والعصيان.

٤٧ ـ سورة محمّد

سورة محمد — الجزء السادس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ
أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم
بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

تفسير المفردات: كفروا: أنكروا التوحيد والبعث. وصدّوا: منعوا الناس. والسبيل: طريق الإيمان. وأضل: أذهب وأفسد. والأعمال: جمع عمل، ما يقوم به الإنسان من نية أو قول أو فعل. ١ آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وعملوا: اكتسبوا. والصالحات: الأعمال التي يرضاها الله. وآمَنوا: صدّقوا. ونُزّل: أوحي على لسان جبريل. والحق: الثابت أبدًا يَنسخ غيره ولا يُنسخ. ومن ربهم: من عنده وبأمره. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وكفّر: ستر وغفر. والسيئة: القبيح من العمل. وأصلح بالهم: وجّه حالهم إلى الخير ووفقهم فيه. والبال: واحده بالة، أي: حالة. ٢ ذلك أي: ما ذُكر عن الكافرين والمؤمنين. وبأنّ أي: حاصل لأنّ. واتبعوا: لازموا بقصد وعزم. والباطل: الشيطان. والحق: القرآن الكريم. وكذلك: كما بيّن تلك الأحوال. ويضرب: يبيّن. والناس: البشر. والأمثال: جمع مَثَل، الحال بما فيها من العجب والغرابة. ٣ لقيتم: قابلتم في الحرب، أيها المؤمنون. والضرب: القطع بالسيف ونحوه. والرقاب: الأعناق، جمع رقبة. وحتى إذا أثختنموهم: فإذا أكثرتم فيهم القتل. وشدّوا: احزموا بقوّة. والوَثاق: قيد الأسير. والمنّ: التكرم بالتحرير مجّانًا. وبعدُ: بعدَ انتهاء الحرب. والفداء: إطلاق الأسير بعِوض. وحتى تضع الحرب: بعدما تنزع معارك القتال عنها. والأوزار: جمع وِزر. وهو الثقل والشدائد. وذلك أي: ما ذُكر من حكم الحرب. يشاء: يريد أن ينتصر بالمعجزات والكوارث. وانتصر: انتقم بغير قتال. ويبلو: يمتحن ليظهر الصالح والفاسد. والبعض: الواحد أو الأكثر. وقُتلوا: قُدِّر عليهم أن يُستشهَدوا. وفي سبيل الله: لأجل إعلاء دينه بالأساليب الشرعية. ولن يضل: لن يُفسد. ٤ سيهديهم: لا بدّ أن يرشد الأحياء إلى الصلاح والموتى إلى الجنان. ٥ يدخلهم: يقدّر لهم الدخول. والجنّة: البستان العظيم بنعيمه. وعرّفها: بيّنها. ٦ تنصروا الله: تدافعوا عن دينه بجهاد الكفر والمعتدين. وينصركم: يؤيّدكم ويغلّبكم. ويثبّت: يمكّن من الثبات في اللقاء. والأقدام: جمع قدم، ما يطأ الإنسان به الأرض. ٧ تعسًا: هلاكًا وخيبة من عند الله. وأضل: أفسد. ٨ ذلك أي: التعس والإضلال. بأنهم أي: حاصل لأنهم. وكرهوا: نفروا بشهواتهم. وأنزل: أوحى. وأحبط: أتلف ومحق. ٩ ألم يسيروا أي: لقد رحل الكافرون للتجارة وغيرها. والأرض: ما حول مكة من البلاد. وينظروا: لم يتدبروا ولم يفكروا. وكان: صار. والعاقبة: النهاية العجيبة. ودمّر عليهم: أهلكهم جميعًا بالعذاب. والكافرون: المنهمكون في الكفر. والأمثال: جمع مِثل، النظير المماثل في الهول والشدة. ١٠ ذلك أي: نصر المؤمنين وتدمير الكافرين. وبأن أي: حاصل بسبب أن. والمولى: الناصر المعين. ١١

نصف الحزب ٥١

المعنى العام: أن الله لا يقبل أعمال الكافرين لاتباعهم الشيطان، ويتفضل بالمغفرة على المؤمنين الصالحين المتبعين للقرآن ويوجههم إلى الخير والاستغفار ونعيم الجنة. وهذه أحوال يوضحها للهداية بأثر الإيمان والكفر.

وعندما تألم المسلمون لِما كان في يوم أُحد من الخسارة وتبجّح المشركون بعزة الأصنام، نزلت الآيات ٤ ـ ١١ تبشر المسلمين أنه ستكون لهم الغلبة بعدُ بقتل المشركين، ويكون لهم منهم أسرى يقيّدونهم ثم منٌّ عليهم أو فداء، بعد انتهاء المعارك تمامًا، ولا يبقى للعدو المذكور شوكة، فيترك الحرب ويسالم. وإنما يكون هذا الجهاد بضرب الرقاب في المعارك ثم الأسر والمفاداة لسحق المعتدين، ولو أراد الله لهزمهم دون قتال، ولكن لا بد من اختباركم، وإكرام الشهداء بنعيم الجنة، وهو يعين من يدافع عن الإسلام، ويُشقي الكافرين ويُفسد أعمالهم، لأنهم كرهوا القرآن وأعرضوا عن أدلة التوحيد والبعث. فهم يرون آثار الدمار لديار الكافرين قبلهم ولا يتعظون بها، وسيكون لهم مثل ذلك إن لم يؤمنوا، لأنهم لا نصير لهم، والله نصير المؤمنين.

تفسير المفردات: يدخل: يقدِّر الدخول والاستقرار. وآمنوا: اعترفت قلوبهم بالتوحيد وما يلزمه. وعملوا: اكتسبوا. والصالحات: ما يرضاه الله. والجنة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ويتمتعون: يتلذّذون بشهواتهم في الدنيا. ويأكلون: يتناولون الطعام والشراب. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والبقر والغنم. والنار: نار جهنم. والمثوى: مكان الإقامة. ١٢ كأين: كثير. والقرية: البلدة العامرة. وأشد: أعظم. قريتك أي: مكة المكرّمة، أيها النبي. وأخرجتْك: حملك كُفّارها على الهجرة. وأهلكناهم: أفنينا سكان تلك القرى. والناصر: المنقذ. ١٣ أمَن كان أي: ليس مَن كان. والبيّنة: الحُجّة الساطعة. من ربه أي: من عنده وبأمره. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وزُيِّن: جُعل مغريًا. والسوء: القبيح. واتّبعوا: انقادوا وتابعوا. والأهواء: جمع هوى، ميل النفس إلى ما تشتهيه. ١٤ المَثَل: الصفة. ووُعد المتقون: وَعد الله إياها من يتجنّب غضبه ويلزم الطاعة. والماء: السائل المشروب المعروف بلا لون ولا طعم ولا رائحة. والآسن: الفاسد. واللبن: ما يُشرب من حلب الماشية. ولم يتغيّر: لم يتحوّل إلى فساد. والطعم: ما يذاق. والخمر: ما يكون به نشوة من الشراب. واللذة: اللذيذة. والشاربون: الذين يشربون. والعسل: الشراب الحلو. والمصفّى: الخالي من الشوائب. والثمرات: ما ينعقد عن أزهار الأشجار للطعام والزينة. والمغفرة: الستر للذنوب والعفو عنها. والخالد: المقيم أبدًا. وسُقوا: شَربوا مضطرّين. والحميم: ما كان في نهاية الحرارة. وقطّع: مزّق. والأمعاء: المصارين، جمع مِعًى. ١٥ منهم: بعض الكافرين. ويستمع إليك: يصطنع سماعك، أيها النبيّ. وحتى إذا خرجوا: فإذا ذهبوا. وعندك أي: مجلسك. وأُوتوا: أُعطوا. والعلم: الفهم الدقيق. وماذا قال: أيّ شيء قال محمد؟ وآنفًا أي: قُبيل افتراقنا. وطبع: ختم وسدّ المنافذ. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. ١٦ اهتدَوا: استرشدوا إلى الحق. وزادهم: أضاف الله إليهم وضاعف. والهدى: التسديد إلى الحق. وآتاهم: أعطاهم ويسّر لهم. والتقوى: تجنبُ سخط الله وطلبُ الرضا. ١٧ هل ينظرون أي: لا ينتظر الكافرون. والساعة: وقت القيامة. وأن تأتيهم: نزولها بهم. والبغتة: المفاجأة. وجاء: ظهر. والأشراط: جمع شَرَط. وهو العلامة. وأنّى: من أين؟ وإذا جاءتهم: حين تنزل بهم. والذكرى: الانتفاع بالتذكّر. ١٨ اعلم: دُم على العلم، أيها النبيّ. وأنه: أن الشأن والحال. والإلّه: المعبود بحق. واستغفرْ: استمرَّ على طلب العفو. وذنبك: تركك من العمل ما هو أولى. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. ويعلم: يحيط إحاطة تامّة. والمتقلّب: التصرُّف والسعي للعمل. والمثوى: الانصراف إلى موضع النوم. ١٩

الجزء السادس والعشرون — سورة محمد

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ
وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ
الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ
الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ
يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى
وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ
وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ
اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا
السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ
ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

المعنى العام: أن المؤمنين الصالحين ييسّر الله لهم نعيم الجنة بما فيها من القصور والخيرات، والكافرين يتمتعون في الدنيا كالحيوان ونهايتهم الخلود في جهنم، وكثيرًا من الأمم كذّبت الرسل فاستأصلها الله بتهديم مدنها دون ناصر لها، مع أنها أقوى من أهل مكة وأعظم، والفرق كبير بين المهتدي والمفتون بشهواته في الدنيا والآخرة، حيث الخلود للأول في جنة عامرة بالخيرات، أنهار من الماء والعسل والخمر واللبن وثمار لا حصر لها ومغفرة ربانية، مقابل الخلود للثاني في النار وشرب المياه المحرِقة تمزق الأمعاء.

ومن المنافقين من يزعمون أنهم يُنصتون إليك ـ أيها النبي ـ ثم يسخرون بما تقول وينكرونه، لأن الله ختم على قلوبهم باتباع الشهوات، وليس لهم إلّا لقاء مصيرهم يوم القيامة، وقد بدت علاماتها فلم ينتفعوا بها للإيمان والتوبة، ولن يكون لهم فائدة بالإيمان حين مجيء يوم القيامة. هذا في حين أن المؤمنين يزيدهم الله هداية وصلاحًا. فعليك الدوام على الإيمان بالتوحيد والإكثار من الاستغفار لك وللمسلمين، ليقتدوا بك في ذلك. وسوف ينال الجميعَ بعلم الله وعدله وفضله ورحمته أجر ما يتصرفون به في جميع أحوالهم.

تفسير المفردات: أمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. ولولا نُزّلت: هلّا أُوحِيت. والسورة: المجموعة من الآيات. والمحكمة: الجازمة بوجوب الجهاد. وذكر: فُرض وأُوجب. والقتال: مقاومة العدو بالسلاح. ورأيت: أبصرت عِيانًا، أيها النبيّ. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والمرض: الشك والزيغ. وينظرون: يوجّهون أعينهم. والمغشيّ عليه: المُغمَى عليه. ومن الموت: لفزعهم من مفارقة الحياة. وأولى لهم: أجدرُ بهم. ٢٠ الطاعة: التنفيذ للأمر والنهي. والقول: الكلام. والمعروف: الذي حسّنه الشرع. وعزم: وجب وتحقّق. والأمر: القيام بالجهاد. وصدقوا الله: أخلصوا له وحقّقوا الإيمان بالطاعة. وكان: صار الإخلاص. وخيرًا: أفضل مما يظنونه في المعصية والمخالفة. ٢١ هل عسيتم: لقد تحقّق منكم وثبَت، أيها المنافقون. وتوليتم: أعرضتم عن القرآن الكريم والسُّنّة النبوية. وتفسدوا: تنشروا المنكرات والشرّ. والأرض: بلدكم وما حوله. وتقطّعوا: تمزّقوا بالبغي والعدوان ما يجب بالمودّة. والأرحام: جمع رَحِم، صلة القرابة وأسبابها. ٢٢ أولئك أي: المفسدون. ولعنهم: طردهم من الرحمة. وأصمّهم: خلق فيهم الصمم عن استماع الحق. وأعمى أبصارهم: أفقدها الاهتداء. والأبصار: جمع بصر، القدرة على الرؤية والاتعاظ. ٢٣ ألا يتدبّرون: عليهم التفهّم لمعرفة الحق. والقرآن: ما أُوحي على محمد ﷺ. وأم على قلوب: بل حول قلوبهم من كل جانب. والأقفال: جمع قفل، ما يحجب الفهم والإدراك. ٢٤ ارتدّوا: رجعوا بالنفاق إلى ما كانوا عليه من الكفر. والأدبار: جمع دُبر. وهو الظهر. وتبيّن: ظهر واتّضح. والهدى: التوجّه إلى الحق. والشيطان: من يوسوس بالشرّ من الجنّ والناس. وسوّل: زيّن وحبّب. وأملَى لهم: أغراهم بأمل التلذّذ وعدم البعث. ٢٥ ذلك أي: الإغراء. وبأنهم: حاصل بسبب كونهم. وكرهوا: أبغضوا. ونزّل: أوحى على محمد ﷺ. ونطيعكم: نوافقكم ونعاونكم. والأمر: شأنكم الذي أنتم فيه من عداوة النبي ﷺ. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويعلم: يطّلع ويحيط بالغَ الإحاطة. والإسرار: إخفاء ما يُكتم من كفر وكيد. ٢٦ كيف: ما هي حالهم؟ وإذا توفتهم: حين تستوفي أرواحهم. والملائكة: جمع ملَك، ملائكة الموت. ويضربون: يصفعون. والوجوه: جمع وجه، ما يقابل به الإنسان غيره من رأسه. والأدبار: الظهور، جمع دُبر. ٢٧ ذلك أي: وفاتهم على هذه الحال. وبأنهم: حاصل لأنهم. واتّبعوا: استجابوا وأطاعوا. وأسخط: أغضب. والرضوان: القبول في الرحمة. وأحبط: أذهب وأفسد. والأعمال: جمع عمل. وهو ما اكتُسب من نية أو قول أو فعل. ٢٨ أم حسب: بل أيظنّ؟ وأن لن يخرج: أنه لن يُظهر. والأضغان: جمع ضِغن. وهو الحقد على الإسلام والمسلمين. ٢٩

الجزء السادس والعشرون — سورة محمد

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ
مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ
﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ
ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ
﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ
وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ
ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

المعنى العام: أن بعض المؤمنين تمنّوا نزول آيات تأمر بالجهاد، وحين نزل الوحي بوجوبه ذهل المنافقون وصُعقوا خشية الموت، والأفضل لهم مما يتوهّمون من الفوز بالنفاق والجبن أن يستجيبوا للأمر، ويصدقوا في الجهاد والطاعة، حين يجب القيام به. وإلاّ فإن أعرضوا ولزموا النفاق والتهرب من المقاومة الحربية ثبَتت فيهم العودة إلى فساد الجاهلية وفتن الخصام والحروب بين الأقارب، لتقطيع صلات المودة والقرابة. وهذه حال الملعونين الصُّمّ العُمي عن الصواب، لا يتفهمون القرآن لِما في قلوبهم من التصلب والانغلاق، وهم مرتدّون بعد محاولتهم الإيمان، أضلهم الشيطان وأغراهم بآمال الحياة الدنيا، لِما يوالون به الكافرين، ويساعدونهم في البغي والعدوان، والله مطّلع على كل ذلك. تصوّر ـ أيها المخاطب ـ ما هي حالهم العجيبة حين تسترد الملائكة أرواحهم، وتتلقاهم بمقامع الحديد تصفعهم وتقرعهم من كل جانب، لضلالهم واتباعهم ما يسخط الله عليهم ولبغضهم رضاه؟

الويل لهم فلا يظنوا أن أمرهم يخفى، ولا بدّ أن يكشف الله ستورهم ويفضح أحقادهم في الكيد للإسلام والمسلمين.

تفسير المفردات: نشاء: أردنا أن نعرّفك إياهم. وأريناكهم: عيّنّا لك أشخاصهم. وعرفتَ: وميّزتَ. والسيما: العلامة المميِّزة. وفي لحن القول: بسبب التعريض بمذمة المسلمين وإضعاف شأنهم. والقول: ما يقال. ويعلم: يحيط بالغَ الإحاطة ويحفظ للحساب والجزاء. والأعمال: جمع عمل، ما يكون من نية أو قول أو فعل. ٣٠ نبلوكم: نمتحنكم بالجهاد وغيره لكشف ما في النفوس. ونعلم أي: نحقّق علمنا بكم في الواقع ليكون الحساب على الأعمال. والمجاهدون: من يبذلون لإعلاء دين الله كل ما يستطيعون من المال والجهد والقول والصحة والوقت والعلم والجاه. والصابرون: من يَثبتون ويتحمّلون البلاء على الشدائد. ونبلو: نمتحن ونُظهر. والأخبار: جمع خبر، ما يُخبَر به عن العمل. ٣١ كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وصدّوا: دفعوا الناس. والسبيل: الطريق الواضح في الدين. وشاقوا: خالفوا. والرسول: محمد ﷺ. وتبيّن: ظهر بالأدلة والمعجزات. والهدى: سبيل الحق. ولن يضروا: لن يسبّبوا له أو لدينه الضرر. وشيئًا: أيّما ضرر! وسيحبط: لا بدّ أن يُفسد ويُبطل. وأعمالهم: ما قاموا به من كيد للإسلام أو عمل خير. ٣٢ آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. وأطيعوا: استجيبوا للأمر والنهي. ولا تُبطلوا: لا تُفسدوا. ٣٣ ماتوا: فارقت أرواحهم أجسادهم. والكفّار: جمع كافر. ولن يغفر: لن يصفح. ٣٤ لا تهنوا: لا تَضعُفوا. وتدعوا إلى السلم: تطلبوا الموادعة والصلح. والأعلون: الغالبون القاهرون. ومعكم أي: بالعون والنصر. ولن يتركم: لن يَنقصكم. ٣٥ الحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. واللعب: ما يَشغل الإنسان عن واجباته، وليس فيه منفعة. فإن شغله ذلك عن مُهِمّات نفسه أيضًا كان لهوًا. وتؤمنوا: تثبتوا على الإيمان. وتتقوا: تتجنّبوا غضب الله وتطلبوا رضاه. ويؤتيكم: يعطيكم. والأجور: جمع أجر. وهو المكافأة والثواب. ولا يسألكم: لا يطلب منكم. وأموال: جمع مال، ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. ٣٦ يسألكموها: يطلبها كلها منكم. ويحفيكم: يبالغ في طلبها. وتبخلوا: تمتنعوا عن البذل. ويخرج: يظهر. والأضغان: جمع ضِغن. وهو البغض. ٣٧ ها أنتم هؤلاء أي: هؤلاء أنتم. وتدعون: تُحضّون. وتنفقوا: تبذلوا ما فُرض عليكم. وفي سبيل الله: لإعلاء كلمته بالجهاد وغيره. ومنكم أي: بعضكم. وعن نفسه: عليها. والغني: المستغني لا يحتاج إلى شيء. والفقراء: جمع فقير، من يحتاج إلى العون والرزق. وتتولّوا: تنصرفوا عن الطاعة إلى الانشغال بالحياة. ويستبدل قومًا: يجعلهم بدلًا منكم. والقوم: الجماعة من الناس. والأمثال: جمع مِثل. وهو الشبيه في التولي.٣٨

ربع الحزب ٥١

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى
لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾
۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟
أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ
وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ
وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ
تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ
لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن
تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

المعنى العام: أن الله لو أراد لكشف المنافقين، ولكن لم يفضحهم تألفًا لهم وإبقاء على قراباتهم، وهم معروفون بما يفترون، وبالامتحان في الشدائد يتحقق علم الله ويظهر المجاهدون الصادقون. أما من كفر ومنع الناس عن الإيمان وحارب النبي ﷺ وأنفق لمحاربة المسلمين تعنتًا ومكابرة بعد معرفته الهداية فأعماله كلها باطلة، ولن يسبب للدين ضررًا. وعندما زعم بعض الصحابة أنه لا يضرّ مع الإسلام ذنب، نزلت الآية ٣٣ تبين أن الذنوب تُذهب الحسنات، كما أن الحسنات يُذهبن السيئات. فدوموا على الطاعة ـ أيها المؤمنون ـ ولا تفسدوا حسناتكم. وأما المصرّون على الكفر ومحاربة الإسلام حتى الموت فلا غفران لهم، و لا يجوز أن يكون المسلمون بادئين بالمسالمة لهم ولأمثالهم، ما دام عدوان على بعض حقوق المسلمين في الدين أو الوطن، وهم منصورون بعون الله ومجزيّون بأعمالهم دون نقص. ومتاع الدنيا باطل يزول، فلا يمنعهم من التقوى والجهاد، ثم يجزي الله على ذلك، ولا يطلب بذل جميع المال من المسلمين، لئلا تظهر أحقاد ونيّات غير كريمة. وعندما حضّ على بذل مال للجهاد بخل بعض المسلمين، وكان بخلهم على أنفسهم لتضييع الأجر، وليس الله في حاجة إليهم وهم الفقراء إليه. فإن أعرضوا عن الطاعة أفناهم ويسّر لها غيرهم من المستجيبين.

٤٨ ـ سورة الفتح

تفسير المفردات: فتحنا: قضينا بفتح مكة وغيرها قريبًا. والمبين: الظاهر البيان والتحقق. ١ يغفر: يعفو ويصفح. وتقدّم أي: فيما مضى. والذنب: ما هو خلاف الأَولى من العمل. وتأخّر أي: في المستقبل. ويتم: يُكمل. والنعمة: الإنعام بالرسالة والعون. ويهدي: يرشد. ويهديك: يُلزمك. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. ٢ ينصرك: يؤيدك. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعزيز: المتغلّب لا ذلّ معه. ٣ أنزل: خلق. والسكينة: الطمأنينة والرضا. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. ويزدادوا: يتضاعفوا. والجنود: الملائكة وما في الكون من مخلوقات، تقهر الإنسان. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وكان أي: وما يزال بدون قيد زماني. والعليم: المطّلع المبالغ في الإحاطة. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٤ يدخل: ييسّر الدخول. والجنة: البستان العظيم فيه القصور والنعيم. وتجرى: تسير وتتدفق. وتحتها أي: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. وخالدين: مقيمين أبدًا. ويكفّر: يستر ويمحو. والسيئات: قبائح العمل. وذلك: ما ذُكر من الفضل. وعند الله: في علمه ورحمته. والفوز: النجاح. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ٥ يعذب أي: بالقتل والذِّلة والخلود في جهنّم. والمنافقون: الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم وأضمروا الكفر. والمشركون: الذين يعبدون مع الله بعض خلقه. والظانون: المتوهّمون. والسوء: المؤذي للمؤمنين ودينهم. ودائرة السوء: ما يملأ كل جانب من الذلة والعذاب. وغضب عليهم: سخط عليهم فأراد لهم العذاب. ولعنهم: طردهم من رحمته. وأعدّ: هيّأ. وجهنّم: دار العذاب يوم القيامة. وساءت: بلغت الغاية من السوء والإيذاء. والمصير: مكان النهاية في العذاب. ٦ العزيز: الغلّاب لما عداه. ٧ أرسلناك: كلّفناك بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. والشاهد: من يحضر الأمور ليقرّ وقت القضاء بما علم. والمبشّر: المبلّغ بما يَسرّ. والنذير: من يهدّد بالعذاب للكافرين. ٨ تعزّروه: تنصروا دين الله بالعمل والجهاد. وتوقّروه: تعظّموه. تسبّحوه: تنزّهوه عما لا يليق به. والبكرة: الصباح. والأصيل: قبل المغرب. ٩

سُورَةُ الفَتْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ
بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

المعنى العام: اضطرب المؤمنون وتألموا، لِما في صلح الحُديبية من إجحاف بهم ظاهر، فنزلت الآيات تطمئنهم وتبشرهم بنصر قريب على أهل مكة وغيرها من البلدان. وبهذا الجهاد تكون المغفرة لهم وتتم نعم الله وتستمر الهداية مع النصر العزيز الكريم. فالله هو الذي ثبّتَ قلوب المؤمنين بعد صلح الحديبية ليتضاعف إيمانهم، وطمأنهم بما سيكون لهم من العزة، ولو شاء لنصرهم بجنوده في السماوات والأرض من دون حرب، وهو العليم بمصلحتهم والحكيم في تدبيره.

ولما نزلت الآيات ١ ـ ٤ بما فيها من بشارات للنبي ﷺ قال بعض الصحابة له: «هنيئًا لك ـ يا رسول الله ـ ما أعطاك الله. فما هو حظنا من هذا الفتح»؟ فنزلت الآيات بأنهم سينالون بالجهاد منازل عظيمة في الجنة، فتُغفر ذنوبهم ويفوزون بأرفع الدرجات، وينال المنافقون والمشركون الذين يسيئون الظن بالله عقابَهم في الدنيا والآخرة غضبًا ولعنة وخلودًا في العذاب. فهؤلاء يتوهمون عن الله أباطيل سيئة، ولهم عاقبة السوء في جهنم، وما أشنعها مكانًا للإقامة ! والله غلّاب منتقم بحكمة وعزة واقتدار، وله جنود في السماوات والأرض تدافع عن المؤمنين وتنصر دينه، وقد بعث محمدًا ﷺ مبشرًا بالخير للمؤمنين ونذيرًا بالعذاب للكافرين، ليتيسر إيمان الصالحين ونصر وتعظيم وتنزيه لله وتوقير للنبي دائمًا.

تفسير المفردات: يبايعون: يعاهدون على الجهاد حتى الموت في الحُديبية. ويد الله أي: هو المبايع في الحقيقة بحضور رسوله. وفوق أي: مستعلية ومعاهدة. والأيدي: جمع يد. وهي الكف. ونكث: نقض العهد. وعلى نفسه أي: يكون شره عليه وحده. وأوفى: أتمّ وكمل. وعاهد: تعهد مع القسم. وعَلَيْهُ: عليهِ. وضم الهاء قراءة على لغة أهل الحجاز. وقرئ بالكسر. وسيؤتيه: لا بد أن يعطيه. والأجر: المكافأة. والعظيم: الضخم لا يقدر بشيء. ١٠ يقول أي: يجاهر بالقول للاعتذار مِن المصاحبة. والمخلّفون: الذين خلّفهم الله عن الصحبة للخروج إلى العمرة قبل الحُديبية. والأعراب: واحده أعرابيّ. وهو المقيم في البادية. وشغلتنا: ألهتنا عن الخروج معك. والأموال: جمع مال، ما يُملك من نقد ومتاع وزينة. والأهل: النساء والأولاد. واستغفر: اطلب الستر للذنب والعفو عنه. والألسنة: جمع لسان، أي: الفم كله. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. وقل أي: خاطب الذين تخلفوا ـ أيها النبي ـ بالقول مجيبًا لهم. ومن يملك: لا أحد يستطيع المنع. ومن الله أي: مما يريده بكم. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. وأراد: قدّر وقصد. والضر: ما يؤذي. والنفع: ما فيه خير. وكان أي: وما يزال من دون قيد زمني. وتعملون: تكتسبونه من النية والقول والفعل. والخبير: المطّلع المحيط بالغَ الإحاطة. ١١ بل أي: ليس الأمر كما زعمتم من الانشغال.

الجزء السادس والعشرون سورة الفتح

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ
اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ
مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ
بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ
وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ
مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا
كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

وظننتم: توهمتم بالظنون والأباطيل. وأنْ: أنّه. ولن ينقلب: لن يرجع من العُمرة لأنه سيقتل. والرسول: محمد ﷺ. والمؤمنون: الصحابة الذاهبون إلى العُمرة. وأبدًا أي: في الزمن القادم. وزُين: جُمّل وحُسّن. وذلك أي: الظن المذكور. والسوء: المؤذي للمؤمنين. وكنتم: صرتم بهذا الظنّ. والقوم: الجماعة من الناس. والبور: الهالكون عند الله. ١٢ أعتدنا: هيّأنا. والكافرون: المكذّبون لوحدانية الله ودعوة رسوله. والسعير: النار الشديدة الاتقاد. ١٣ لله: مستحَقه وحده. والمُلك: الحيازة والتصرف. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويغفر: يستر الذنب ويعفو عنه. ويشاء: يريد الله المغفرة له. ويعذب: يقضي بالعذاب. والغفور: الكثير المغفرة. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة للمؤمنين. ١٤ انطلقتم: ذهبتم. والمغانم: جمع مَغنم، ما يحصل عليه المحارب من العدوّ. وتأخذوها: تنالوها. وذرونا: اتركونا. ونتّبعكم: ننطلق معكم ونحارب. ويريدون: يقصدون. ويبدلوا: يغيّروا. وكلام الله: حُكمه وقضاؤه بما وعد. وقل أي: لهم، أيها النبي. وكذلكم قال الله أي: أخبرنا الله أن غنائم خيبر لَمن شهد الحُديبية خاصّة. وقبلُ أي: قبلِ هذا الوقت. وبل أي: ليس الأمر كما تقولون. وتحسدوننا أي: يعِزّ عليكم أن نشاركَكم في الغنائم، فتدّعون أن الله أمر بمنعنا. وبل أي: ليس الأمر كما زعموا. ولا يفقهون: لا يفهمون فهم الحاذق الماهر. وقليلًا أي: بعضًا من الفهم. ١٥

المعنى العام: أن المجاهدين الذين بايعوا يوم الحُديبية على الجهاد حتى الموت كانوا يبايعون الله أيضًا، وقد بارك لهم ذلك بيده مستعلية عليهم، وللناكث منهم عقاب خيانته وللصادق ثواب عظيم، وأن الأعراب المنافقين يعتذرون بالكذب من تخلفهم بانشغالهم في المال والأهل ويطلبون المغفرة، والله يعلم ما في نفوسهم من نفاق خلاف ادّعائهم الإيمان، إذ كانوا يتمنّون بما وسوست لهم الشياطين مقتل النبي ﷺ والمجاهدين. فلهم الهلاك والعذاب الشديد بنفاقهم. والله يتصرف في الكون ويعذب ويغفر بمشيئته ورحمته.

وسوف يطلب المنافقون مصاحبة مجاهدي الحُديبية إلى مغانم خيبر، وهي خاصة بالمجاهدين كما قضى الله، لأنهم بايعوا على الشهادة، ثم رجعوا دون قتال أو مغانم. فأجِبِ المنافقين ـ أيها النبي ـ موبخًا ومعرِّضًا بالمحقِّين والمبطلين منهم وإبطال عذرهم، وبالوعيد على النفاق، وبيان أن تخلّفهم كان لرغبتهم في مقتل المجاهدين. ولكنهم سيدّعون أنكم تحسدونهم وتمنعونهم حقهم، وهم في جهل وسوء فهم لأمور الدين، حتى إنهم لا يدركون منها إلّا ما له علاقة بمتاع الدنيا.

تفسير المفردات: قل أي: امتحانًا لإظهار ما في النفوس، أيها النبي. والمخلَّفون: المنافقون المذكورون قبل. والأعراب: واحده أعرابيّ. وهو المقيم في البادية. وستُدعَون: لا بد أن تُستنفروا. والقوم: الجماعة من الناس. وأولو بأس: أصحاب قوة. وأولو واحده: ذو. والشديد: العظيم. وتقاتلونهم: تحاربونهم بالسلاح. ويسلمون: يستسلمون لدين الله دون قتال. وتطيعوا: تستجيبوا للجهاد. ويؤتيكم: يعطيكم ويجزيكم. والأجر: الثواب. والحسن: الجميل. وتتولوا: تمتنعوا عن الجهاد. وقبل أي: يوم الحُديبية. ويعذبْكم: يقضي بتعذيبكم في الدنيا والآخرة. والأليم: الشديد الإيلام. ١٦الأعمى: الذي لا يبصر. والحرج: الذنب في التخلف عن الجهاد. والأعرج: الذي في رجله عَرَج معرقل للحركة. والمريض: من فيه ضعف شديد يمنع من الجهاد. ويطيع: يستجيب للأمر والنهي. والرسول: محمد ﷺ. ويدخلُه: يقضي بدخوله وييسّره له. والجنة: الحديقة العظيمة فيها القصور والنعيم. وتجري: تسير وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. ١٧ رضي: تقبّل العمل فأظهر نعمته بالثواب. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. ويبايعون أي: بايعوا وعاهدوا في الحُديبية على الشهادة. والشجرة هي من شجر الطلح. وعلم: أظهر علمه الأزلي بصدقهم وثباتهم، ليطّلع الملائكة والناس على ذلك. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبّر والاعتقاد والانفعال. وأنزل السكينة: خلق الطمأنينة ورسّخها. وأثابهم: كافأهم. والفتح: النصر على يهود خيبر بمُلك ديارهم وأموالهم. وقريبًا أي: بعد عودتهم من الحُديبية. ١٨ المغانم: جمع مَغنم. وهو الغنيمة، ما يؤخذ من العدو في الحرب. ويأخذونها: ينالونها ويملكونها. وكان أي: وما يزال بدون قيد زمني. والعزيز: الغلّاب يَذِلّ لعزّته ما عداه. والحكيم: المتقن لكل شيء. ١٩ وَعدكم: تعهد لكم بما يَسرّ. والكثيرة: العظيمة القدر. وعجّل هذه: جعل غنيمة خيبر سريعة الحصول قبل غيرها. وكفّ أيدي الناس عنكم: صرف اليهود عن غزو المدينة، وقد همّوا بذلك. وتكون: تصير غنائم خيبر. والآية: الدلالة القاطعة والمعجزة. ويهديكم: يمدّكم بما يناسب اختياركم الطيب واستعدادكم الصالح. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المعتدل. ٢٠ أُخرى أي: غنائم مغايرة لِما ذكر قبل. ولم تقدروا عليها: لم تصلوا إليها بعدُ. وأحاط بها: علم أنها ستكون لكم. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: المبالغ في القدرة بذاته. ٢١ قاتلكم أي: في الحُديبية. والذين كفروا: مشركو قريش ومن أراد عونهم. وولّوا: وجّهوا لكم. والأدبار: جمع دبر. وهو الظهر. ولا يجدون: لا يَرون. والولي: من يتولّى أمرهم. والنصير: من يعينهم بالنصر. ٢٢ السُّنّة: الطريقة النافذة دائمًا. وخلت: مضت ونُفّذت في الأمم المحاربة للرسل. ولن تجد: لن تلقى، أيها النبي. والتبديل: التغيير. ٢٣

الجزء ٥٢

سورة الفتح

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ
وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ
وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

المعنى العام: أمرُ النبيِّ أن يخاطب الأعراب المنافقين بما سيكون لهم من الاختبار، سيلقون أقوامًا من المحاربين الأشداء يحاربون أو يسلمون دون قتال. فإن جاهدوهم نالوا الثواب الكريم، وإن امتنعوا نزل بهم العقاب الأليم. وعندما نزلت الآية ١٦ قال ذوو العاهات من المسلمين: «يا رسول الله، كيف نصنع ولا طاقة لنا على الجهاد»؟ فنزلت الآية ١٧ باستثناء العاجزين فعلًا عن القتال لعمى أو عرج أو مرض شديد، مع وجوب الطاعة فيما يستطيعون عمله، وإلّا فالعذاب شديد للعُصاة.

أما المبايعون يوم الحُديبية تحت الشجرة المباركة فقد رضي الله عنهم لِما في قلوبهم من الإيمان الصادق، وثبّت فيهم السكينة والرضا، وأكرمهم بالفتح القريب والغنائم المباركة، أولُ ذلك فتحُ خيبر وقذف الرعب في قلوب أصحابها للاستسلام وترك المغانم الكثيرة عبرة للمؤمنين، ثم يليه ما يكون في فتح ممالك المعتدين من الأمم المجاورة والبعيدة، وتثبيطُ قريش عن القتال بتوقيع الهدنة، يتفرغ المسلمون بذلك لمن حولهم من الأعداء. ولو قاتلت قريش في الحُديبية لهُزمت دون معين، تحقيقًا لسُنّة الله في الأمم الماضية المكذبة.

تفسير المفردات: هو أي: الله عز وجل. وكفّ أيديهم وأيديكم: صرفكم جميعًا بصلح الحُديبية عن القتال. وببطن مكة: بقرب بطحاء مكة. وأظفركم: نصركم بأسر ثمانين مشركًا أرادوا مهاجمتكم. وكان أي: ما يزال دون قيد زماني. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وتعملون: تكتسبونه من نية وقول وفعل. والبصير: المدرك بالغَ الإدراك. ٢٤ هم: أهل مكة من المشركين. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وصدوكم: دفعوكم ومنعوكم. والمسجد الحرام: بيت الله يُحرَّم فيه كثير مما لا يُحرّم في غيره. والهدي: ما يُهدى إلى الكعبة للذبح، واحدته هدْية. والمعكوف: المحبوس الممنوع. ويبلغ مَحِلّه: يصل إلى المكان المخصّص لذبحه. والرجال: جمع رجل، الذكر من البشر. والنساء: جمع نِسوة واحدتها امرأة. والمؤمنون والمؤمنات أي: المسلمون والمسلمات في مكة. ولم تعلموهم: تجهلون إيمانهم لتكتُّمهم وضعفهم. وأن تطؤوهم: كراهة أن تسحقوهم بالقتل مع الكفار. وتصيبكم: تنالكم. ومنهم: بسببهم. والمعرّة: الملامة. وبغير علم أي: بجهل منكم. ويدخل: ييسر الدخول والصيرورة. والرحمة: العطف بالإحسان. ويشاء: يريد الله أن يدخله في رحمته. وتزيلوا: تميّز المسلمون في مكة عن الكافرين. وعذبنا: قضينا بالتعذيب قتلًا وأسرًا وهوانًا.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن
بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ
مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ
لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ
لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ
وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾
لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

والأليم: المؤلم جدًّا. ٢٥ إذ جعل: حين صيّر. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والحميّة: الترفُّع والتكبّر. والجاهليّة: نزعات الطيش والبغي وإنكار الحق. وأنزل: خلق ورسّخ. والسكينة: الطمأنينة والرضا. والرسول: محمد ﷺ. والمؤمن: من صدّق الله ورسوله. وألزمهم: خصّ المؤمنين للتشريف. والكلمة هي عبارة التوحيد. والتقوى: تجنب سخط الله مع طلب رضاه. والأحق: الأجدر من غيرهم. وأهلها: المستأهلون لها. والشيء: ما هو حاصل. والعليم: المطّلع المبالغ في الإحاطة. ٢٦ صدَق الرؤيا: أرى في النوم ما هو واقع لا محالة. والحق: الحكمة البالغة. ولتدخلنّ: بي أُقسِمُ لتزورُنّ. وشاء: أراد دخولكم. والآمنون: المطمئنون من كل عدوان. والمحلقون: المبالغون في قص الشعر. والرؤوس: جمع رأس. والمقصّرون: القاصّون بعض شعرهم. ولا تخافون: لا تتوقعون شرًّا. وعلم: أحاط بما في صلح الحُديبية قبل وقوعه. وجعل: قدّر. ودون ذلك: قبل دخول المسجد الحرام للعُمرة. والفتح القريب: صلح الحُديبية وفتح خيبر. ٢٧ أرسل: كلّف بالدعوة والعمل. ورسوله: محمد ﷺ. وبالهدى: مع ما يرشد إلى الخير. والدين: العقيدة والشريعة. والحق: الأمر الثابت لا شك فيه. ويظهره: يغلّبه ويُعليه. وكله: جميع الأديان. وكفى بالله: بلغ اللهُ الغاية في الكفاية والإغناء عن غيره. والشهيد: المقرّر للحق يثبته ويزيل ما عداه. ٢٨

المعنى العام: أن الله هو الذي فصل بين المؤمنين والكافرين يوم الحُديبية، ومنع الجانبين عن الحرب والقتال، بعد أن أسر الصحابة مشركين هبطوا من جبل التنعيم للغدر بهم، ثم أُطلق سراحهم. وكان أهل مكة قد صدّوا الصحابة عن العُمرة والتقرب إلى الله بالهدي، ومنعوا يوم الحُديبية تقديم ذلك مع العمرة. وإنما كان عهد الهدنة لحماية المسلمين في مكة، وهم يكتمون إيمانهم ويستضعفهم المشركون، فيذهبون بينهم بالقتل ويكون في ذلك عار على المؤمنين المجاهدين. فلو أمكن تمييز أولئك المسلمين لعذب الله كفار مكة بالقتل والأسر والهوان، حين اندفعوا بالحميّة الجاهلية للمنع وإرادة الحرب، فرسّخ في قلوب المؤمنين الرضا بالهدنة، وتأجيل العُمرة إلى العام القادم، والاستجابةَ إلى الطاعة التي هم أهلها وأحق بها من غيرهم، لما فيهم من الصدق والإحسان.

أمّا رؤيا النبي الاعتمارَ فستتحقق بإذن الله، ويكون الإحرام والزيارة والحلق باطمئنان وأمن، وقدّر الله أيضًا قبل ذلك ما لا يعرفه الصحابة، من فتح خيبر وغنيمة ما فيها، تحقيقًا للهداية التي جاء بها النبي ﷺ ولنصر الرسالة. وحسبكم شهادة الله بذلك !

تفسير المفردات: محمد: ابن عبد الله خاتم النبيين ﷺ. ورسول الله: كلّفه الله بالدعوة إلى التوحيد والعمل مع كتاب منزّل. والذين معه: الصحابة ﷺ. وأشداء: جمع شديد، الكثير الغلظة والعنف. والكفار: جمع كافر، من كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. والرحماء: متعاطفون متوادّون، جمع رحيم. وبينهم أي: فيما يكون من التواصل والتعامل والتعاون. وتراهم: تُبصرهم عِيانًا، أيها المخاطَب. والركّع: جمع راكع، الذي حنى ظهره لأداء الصلاة. والسجّد: جمع ساجد، وضع جبهته وأنفه وكفيه على الأرض. ويبتغون: يطلبون. والفضل: التفضل بالثواب. ومن الله: من عنده وبأمره. والرضوان: المبالغة في قبول العمل ومنحهم رفيعَ الدرجات. والسيما: العلامة. والوجوه: جمع وجه، ما يقابل به المرء غيره من رأسه. والأثر: ما يحدثه الشيء من علامات فيما يلازمه. وذلك أي: ما ذُكر من الوصف. والمثَل: الوصف. والتوراة: كتاب اليهود. والإنجيل: كتاب النصارى. والزرع: ما يَنبت من الأرض. وأخرج: أظهر. والشطء: ما يخرج حول أصل الشجرة من أطرافها كالفراخ. وآزره: قوّى الشطءُ الزرعَ وأعانه. واستغلظ: كبر وتضخم. واستوى: قوي واستقام. والسوق: جمع ساق، ما تتفرع منه الأغصان. ويُعجب: يُرضي ويَسرّ. والزرّاع: جمع زارع. ويغيظ بهم: يُغضب بجمال حالهم. والوعد: التعهّد بالخير. والله: اسمُ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا. والصالحات: ما حسّنه الشرع. والمغفرة: الستر للذنوب والعفو عنها. والأجر: المكافأة. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ٢٩

الجزء السادس والعشرون — سورة الحجرات

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ
تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ
فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ
فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ
عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ (٤٩) (آياتها ١٨)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

المعنى العام: أن محمدًا ﷺ بعثه الله بالرسالة، والصحابةَ أقوياء قُساة على الكافرين متراحمون فيما بينهم، يعبدون الله ويطلبون نعمه ورضاه، وفي وجوههم علامات العبادة والصلاح، على ما وُصفوا في الكتب المتقدمة، وهم كالأشجار تتولد منها فروع تتكاثر بالأغصان والأوراق والزهر والثمر، فيقوّي بعضها بعضًا، لترضي من يرعاها وتزعج العدو الحاسد. وقد آمنوا وعملوا الصالحات، وتعهد الله لهم بالمغفرة والثواب الكريم.

ربع الحزب ٥٢

٤٩ ـ سورة الحُجُرات

تفسير المفردات: آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. ولا تُقدّموا: لا تقوموا بفِعل أو قول من أمور الدين. وبين يدي الله: قبل إذنه. ورسوله: محمد ﷺ. واتقوا الله: تجنّبوا سخطه واطلبوا رضاه. والسميع: المدرك للمسموعات والأسرار. والعليم: المبالغ في الاطّلاع والإحاطة. ١ لا ترفعوا: لا تُعلوا. والأصوات: جمع صوت، ما يكون به الكلام. وفوق أي: أعلى من. ولا تجهروا: لا تُظهروا بعنف. والقول: ما يقال في الحوار. والبعض: الواحد أو الأكثر. وأن تحبط: خشية أن تَفسد. والأعمال: جمع عمل بنية أو قول أو فعل. ولا تشعرون: لا تعلمون ما حصل من الفساد. ٢ يغضّون: يُليّنون. وامتحن: وسّع بالتدريب والاختبار. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والمغفرة: ستر الذنوب والعفو عنها. والأجر: المكافأة. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ٣ ينادونك: يدعونك بصوت مرتفع. ووراء: خلف. والحجرة: البيت للسكن والاستقرار. والأكثر: الغالبية العظمى. ولا يعقلون: موصوفون بالطيش والجهل. ٤

المعنى العام: أن المؤمنين مأمورون بوجوب استئذان الرسول ﷺ للقيام بقول أو عمل في مجلسه وبعدم تقديم آرائهم على توجيهاته، مع الطاعة لله وطلب الرضا وخفض الصوت في الخطاب، كالصحابة المقرّبين بالتقوى والرحمة والثواب العظيم، لئلا تُفسِد الرعونةُ حسناتهم بالجهل والطيش وهم لا يشعرون.

أما بنو تميم الذين جاؤوا يصرخون حول ديار النبي ﷺ ليقابلوه فأكثرهم طائشون، لا يعرفون آداب الخطاب له، ويجهلون مَقامه الكريم ومنزلته العليا...

تفسير المفردات: لو أنهم صبروا: لو حصل صبرهم وانتظارهم. وتخرج: تظهر من بيتك، أيها النبي. وكان أي: صبرهم. وخيرًا: أفضل من الاستعجال والصراخ. والغفور: الكثير الستر للذنوب والتجاوز عنها. والرحيم: العظيم العطف بالفضل على المؤمنين.٥ آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. وجاءكم: أتاكم. والفاسق: من أخلّ بحكم شرعي. والنبأ: الخبر المهمّ. وتبيّنوا: تحقّقوا بالدليل الواضح ما قاله. وأن تصيبوا: خشية أن تؤذوا. والقوم: الجماعة من الناس. والجهالة: الطيش وعدم المعرفة. وتصبحوا: تصيروا. وفعلتم: اكتسبتم وتحمّلتم. والنادمون: المغتمون يتأسفون ويكرهون ما فعلوا. ٦ اعلموا أي: لا تنسَوا. وفيكم: بينكم. والرسول: من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. ويطيعكم: يعمل ما تطلبون. والأمر: الشأن والقصد. وعنتّم: وقعتم في مشقّة وهلاك. وحبّب: جمّل. والإيمان: اليقين الكامل. وزيّنه: قرّبه ونوّره. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. وكرّه: بغّض وقبّح. والكفر: التكذيب للحق وتغطية نعم الله بالجحود. والفسوق: الخروج على أحكام الشرع. والعصيان: مخالفة الأمر أو النهي. وأولئك أي: من حُبّب إليهم الخير وكُرّه إليهم الشر. والراشدون: الكاملو الهداية إلى الحق مع تصلّب فيه. ٧ الفضل: الإفضال بالإحسان. ومن الله: من عنده وبأمره. والنعمة: الإنعام بالخير. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. والحكيم: ذو الحكمة بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٨ الطائفة: الجماعة من الناس. واقتتلوا: قاتل بعضهم بعضًا. وأصلِحوا: اسعَوا بالصلح. وبغت: اعتدت وأبت الصلح. وإحداهما: واحدة منهما. والأخرى: الثانية. وقاتلوا: حاربوا. وتفيء: ترجع. والأمر: الحكم. والعدل: الإنصاف. وأقسِطوا: اعدلوا في الحكم. ويحب المقسطين: يودّ العادلين ويريد لهم الخير. ٩ الإخوة: المتوادّون المتصافون، جمع أخ. واتقُوا الله: تجنبوا غضبه والزموا رضاه بالطاعة. ولعلكم: ليكون لكم الترجّي. وتُرحمون: ينالكم العطف بالإحسان لتقواكم. ١٠ لا يسخر: لا يهزأ. والقوم: الجماعة من الرجال. وعسى: يجوز ويُحتمل. والخير: الأفضل. والنساء: جمع نسوة. وواحدة النسوة امرأة. ولا تلمزوا أنفسكم: لا تعيبوا بعضُكم بعضًا. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ولا تنابزوا: لا تتنابزوا أي: لا يدعُ بعضكم بعضًا. والألقاب: جمع لقب، الاسم بقصد التحقير. وبئس: بلغ الغاية في القبح والفساد. والاسم: الوصف لِما ذُكر من السخرية واللمز والنبز. والفسوق: الخروج على حكم الشرع. ولم يتب: لم يعترف بذنبه ويعاهد على تركه ويطلب العفو من الله ومن المتضررين. والظالمون: البالغون حد التجاوز للحق. ١١

الجزء السادس والعشرين　سورة الحجرات

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا
أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾
وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾
فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ
فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ
عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا
مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ
الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

المعنى العام: متابعة ما كان من رعونة بني تميم، بأنهم لو انتظروا ليخرج إليهم النبي ﷺ كان ذلك أفضل مما فعلوا.

وعندما اتهم الوليد بن عُقبة بني المُصطلق بمنع الصدقات لعداوتهم القديمة له ، وجاؤوا ينكرون اتهامه لهم، نزلت الآيات تُوجّهُ إلى تبيّن حقيقة الأخبار، لئلّا يقع ظلم وندامة، وتُذكّرُ المسلمين بأن النبي ﷺ يحفظه الله من مجاراة مدّعي الباطل، ولو وافق مقاصدهم دون بحث وتحقيق لهلكوا بالفساد، ولكن محبة الإيمان وكره الكفر يجعلان المسلمين في هداية ورحمة ونعم من الله العليم الحكيم. فإن اختصم مسلمان أو أكثر، كما جرى بين بعض الأنصار والمهاجرين، كان على المسلمين إصلاح ذات البين بالعدل، وإن أصرّ بعضهم على العدوان وجبت محاربته حتى يستقيم، ويتحقق العدل بين المؤمنين، وهم إخوة متحابّون متعاونون على الخير، تغمرهم رحمة الله بذلك.

ولا يجوز لأحد أن يسخر من أحد، كما فعل بنو تميم مع فقراء المسلمين، ولو لمزًا بالعين أو اليد أو اللسان أو الإشارة، أو ذِكرَ لقب مكروه. ومثل تلك التصرفات هو إيذاء المسلمين أنفسَهم وفسوق مستقبح يُبعد عن الإيمان، ما أشنعه وأبعده عن الصواب ! ثم إن الإصرارَ عليه قبيح كريه، وما أظلم من يفعله وينسى واجبات الصلاح والإحسان !

تفسير المفردات: آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. واجتنبوا: تجنّبوا. والكثير: القدر الكبير. والظن: التوهم. وبعض الظن: القسم الكبير منه. والإثم: الذنب يسبب العقاب. ولا تجسّسوا: لا تتجسّسوا أي: لا تبحثوا عن نقائص الناس ومعايبهم. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. ولا يغتب: لا يذكر في غياب المرء ما يكرهه. وبعضكم أي: الواحد أو الأكثر. وأيحب أي: لا يحب بل يكره. ويأكل: يمضغ ويبلع. واللحم: ما يكون من العضل على العظم. والأخ: الموافق في الدين. والميت: الذي فارقت روحه جسده. وكرهتموه: أبغضتم أكل لحم الأخ. واتقوا الله: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة. والتوّاب: الكثير القبول للتوبة. والرحيم: العظيم العطف بالمغفرة للمؤمنين. ١٢ الناس: البشر. وخلقناكم: أوجدناكم. والذكر: آدم. والأنثى: حوّاء. وجعلناكم: صيّرناكم. والشعوب: جمع شعب، الجماعة الكبيرة من الناس تنتسب إلى أصل واحد أقل من الأمة. والقبائل: جمع قبيلة، مجموعة فرع من الشعب. وتعارفوا: تتعارفوا أي: يعرف بعضكم بعضًا وتتعاونوا على الإيمان والخير والصلاح. والأكرم: الأفضل. وعند الله: في حكمه. والأتقى: الأكثر تجنُّبًا لسخط الله وطلبًا لرضاه بتحقيق التعارف المذكور. والعليم: البالغ العلم بما يحدث. والخبير: العليم ببواطن الأمور. ١٣ قالت أي: صرّحت بالقول. والأعراب: واحده أعرابي، من يقيم في البادية. وآمنّا: صدّقنا الدعوة بقلوبنا. وقل أي: لهم، أيها النبي. وقولوا أي: ليكن قولكم. وأسلمنا: توجّهنا وانقدنا في الظاهر. ولمّا يدخل: لم يستقرّ بعدُ. والإيمان: التصديق اليقيني بالقلب. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. وتطيعوا الله: تنفّذوا أمره ونهيه. والرسول: محمد ﷺ. ولا يلتكم: لا ينقص لكم. والأعمال: جمع عمل، ما يُكتسب من نية أو قول أو فعل. والشيء: ما هو موجود. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. ١٤ آمنوا بالله: صدّقوه تصديقًا ثابتًا. ولم يرتابوا: لم يشكّوا في ذلك. وجاهدوا: بذلوا وضحّوا. والأموال: جمع مال، ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأنفس: جمع نفس، روح الإنسان وجسده. وفي سبيل الله: لأجل طاعته ونصرة دينه كما جاء في الشرع. وأولئك أي: الموصوفون بما ذُكر. والصادقون: الذين يقولون الحق في إيمانهم. ١٥ أتُعلِّمون: لا تُعلّموا ولا تُبلّغوا. والله: المعبود بحق وحده والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والدين: الاعتقاد والعمل. ويَعلم: يطّلع ويحيط كاملَ الإحاطة. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والشيء: ما هو موجود أو محتمل وجوده. ١٦ يمنّون: يعتدّون ويتطاولون ويتفاخرون. وأسلموا أي: قولهم: توجّهنا وانقدنا من دون قتال. وإسلامكم أي: باستسلامكم الظاهر. وبل أي: إنّما. ويمن: يتفضّل ويعتدّ بما تفضّل. وهداكم: أرشدكم ووفّقكم. ١٧ الغيب: ما غاب عن إدراك الخلق. والبصير: المدرك للأحداث وقت وقوعها. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. ١٨

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

المعنى العام: النهي عن كثير من الظن لِما فيه من ذنب، وعن التتبع للنقائص وعن الغيبة للآخرين بذكر ما يكرهونه، كما يأكل الإنسان لحم أخيه الميت، وهو مكروه لديه لا تقبله نفسه. فلا بد من التقوى والتوبة عن كل ذلك، والتذكر أن الله خلق الناس من أصل واحد، وميّز بينهم في التفرع عن شعوب وقبائل، ليتيسر لديهم التعارف والتعاون على الخير والصلاح، ويتفاضلوا بالتقوى والعمل الصالح في سبيل الإيمان ومنفعة الجميع. فالأكثر تحقيقًا لذلك في الحياة هو الأتقى والمكرَّم عند الله.

ولمّا نزلت الآيتان ١٤ و١٥ جاء بعض بني تميم، يحلفون إنهم آمنوا بدون قتال ليكون لهم منزلة متميزة، فنزلت الآيتان ١٦ و١٧ بترك ادعاء ما ليس فيهم وتجنّب المنّ على النبي الكريم، لأن الله يعلم ما في الوجود وهم أسلموا في الظاهر، وما زال الإيمان بعيدًا عنهم، والمنّ الحقيقي هو لله إذ أرشدهم إلى الإيمان، وهو يعلم غيب الكون وما يجري من النيّات والأقوال والأفعال.

٥٠ ـ سورة قٓ

سُورَةُ قٓ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ
فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴿٣﴾ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ ﴿٤﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ
﴿٥﴾ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴿٦﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ
وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾
رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ
لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾

تفسير المفردات: قٓ: من الأحرف المقطّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. و وَالقرآنِ: أُقسِمُ بالقرآن. والمجيد: الكريم المعظَّم. ١ وعجبوا: دهش الكافرون. وأن جاءهم منذر: من مجيء رسول يخوّفهم بالنار. ومنهم: من جنسهم البشري. والكافر: من كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. وهذا أي: الإنذار. والشيء: الأمر. والعجيب: ما لا يصدَّق. ٢ أإذا متنا: مستحيل أن نُبعث بعد الموت. وكنا: صرنا. وترابًا: فتاتًا كالتراب. وذلك أي: البعث. ورجع: عودة إلى الحياة. والبعيد: ما هو في نهاية الاستحالة. ٣ علمنا: أحطنا إحاطة بالغة. وتنقص: تأكل وتُفني. والأرض أي: ما فيها من الحشرات والمفنيات. وعندنا: في ملكنا. والكتاب: ما هو مسجّل مكتوب. وحفيظ: بالغ التثبيت. ٤ كذّبوا: جحدوا. والحق: القرآن الكريم. ولمّا جاءهم: حين كلفوا الإيمانَ به. والأمر: الشأن. والمريج: المضطرب. ٥ ألم ينظروا: لقد وجّهوا أبصارهم ونظروا. والسماء: ما يحيط بالأرض من العوالم العُلوية. وبنيناها: أحكمناها أعظم من البناء الدنيوي. وزيّنّاها: جمّلناها بالكواكب. والفروج: الشقوق، جمع فَرج. ٦ والأرض: موطن الحياة الدنيا. مددناها: بسطناها وسهلناها مع ما لها من شكل غير مسطّح. وألقينا: وضعنا ورسّخنا. والرواسي: الجبال المثبّتة، جمع الراسي. وأنبتنا: أظهرنا. والزوج: الصنف فيه ذكر وأنثى. والبهيج: ما يُسَرّ به. ٧ التبصرة: التوجيه إلى الحق. والذكرى: التذكير والعظة. والعبد: المخلوق. والمنيب: الراجع إلى الطاعة. ٨ نزّلنا: أسقطنا. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما يشبهه. والمبارك: الكثير الخير. وأنبتنا: أظهرنا. وبه: بسبب الماء. والجنات: البساتين والحدائق. والحب: واحدته حبة من الزرع كالقمح والشعير. والحصيد: المحصود. ٩ النخل: الشجر ثمره التمر، واحدته نخلة. والباسقات: المتطاولات. والطلع: أول ما يظهر من الحمل. والنضيد: المتراكب بانتظام. ١٠ الرزق: العطاء. والعباد: الخلق، جمع عبد. وأحيينا: خلقنا الحياة. والبلدة: الأرض. والميت: الجافة بلا نبات ولا نماء. وكذلك أي: مثلُ هذا الإحياء. والخروج: البعث من القبور. ١١ كذّبت: جحدت التوحيد والبعث. وقبلهم: قبل كفار قريش. والقوم: جماعة الإنسان في النسب. ونوح: أول رسول كذّبه قومه، فيما نعلم. والأصحاب: الأهل المصاحبون، جمع صاحب. والرسّ: بئر كانت لقوم قتلوا نبيهم ودسّوه فيها. وثمود: قوم النبي صالح. ١٢ عاد: قوم النبي هود. وفرعون أي: وأتباعه من العرب الأقباط. وإخوان لوط: الجماعة التي يعيش النبي لوط بينها. ١٣ الأيكة: الغيضة من الشجر الكثير، قوم شُعيب النبي العربي في مَدْيَن. وتبّع: ملك يمنيّ من الصالحين. وكل: كل قوم من المذكورين. والرسل: جمع رسول. وحقّ: وجب وثبَت.ووعيد: وعيدي أي: تهديدي إياهم بالإهلاك. ١٤أعيينا: لم نعجز واستطعنا الإتمام. والخلق: الإيجاد للكائنات. والأول: الذي كان بإنشاء الكون. وهم أي: كفار مكة وغيرها. واللبس: الشكّ والحيرة. والخلق الجديد: البعث المستأنف بعد الموت. ١٥

المعنى العام: أقسم الله بالقرآن الكريم أن محمدًا ﷺ رسول، وكفر به المشركون مكابرة. فقد أذهلهم مجيء رسول من البشر يهدّد بالحساب، وأنكروا أن يبعثوا بعد الموت. والله محيط بما يفنى منهم، وكل ذلك مع ما سيحصل في الكون مسجل عنده في أُمّ الكتاب واللوح المحفوظ أيضًا. ومع هذا يستقبلون القرآن الكريم بحيرة واضطراب، وقد رأوا ما في الكون من خلقٍ محكم للسماء والأرض والكواكب والجبال، والمياه وإخراج النبات المتقن تذكرة ورزقًا لهم، وإحياءِ الأراضي الجافة بالماء والنبات. كل هذا تذكير لمن يفكر ويتبصر و دلائل على قدرة الله وتحقق البعث. وكانت الأقوام المستأصَلة بالعذاب قد كذبت أنبياءها والمصلحين، فانتهت بالعذاب الماحق، وكذلك نهاية مشركي مكة وغيرها، إن أصرّوا على الكفر. والله أكملَ الخلقَ الأول باقتدار، ومع ذلك يشكّون في أمر البعث والحساب.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ
﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ
الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ
يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ
كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا
آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ
الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ
﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا
بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٢

تفسير المفردات: خلقنا الإنسان: أوجدنا البشر من العدم. ونعلم: نعرف جملة وتفصيلًا. وتوسوس: تحدّث. والنفس: الفكر والعواطف. وأقرب: أدنى بالعلم والتصرف. والحبل: العِرق. والوريد: ما يَرِد به الدم في جانب العنق. ١٦ يتلقّى: يأخذ ويُثبت في سجلّ الأعمال. والمتلقيان: الملَكان يكتبان كل شيء، فيُثبت الله الحسنات والسيئات، ويمحو غيرها. واليمين والشمال: طرفا الإنسان من جانب يديه. وقعيد أي: كل منهما قاعد ملازم. ١٦ ما يلفظ: ما ينطق الإنسان. والقول: ما يقال. ولديه: برُفقته. والرقيب: المراقب الحافظ لما يكون. والعتيد: الحاضر المُهيَّأ للتسجيل. ١٨ جاءت: حضرت. والسكرة: الغمرة والشِّدّة. والموت: مفارقة الروح للجسد. وبالحق: بسبب ما لا بد منه. وذلك أي: الموت. وتحيد: تهرب. ١٩ نُفخ أي: نَفخ إسرافيلُ النفخة الثانية. والصور: مخلوق عظيم يشبه القرن. وذلك أي: وقت البعث. والوعيد: ما كان يذكره الأنبياء لتهديد المنكرين للبعث. ٢٠ النفس: الإنسان بروحه وجسمه. والسائق: الملَك يدفع الإنسان إلى المحشر. والشهيد: أعضاء الإنسان تشهد بما كان في حضورها. ٢١ كنت يعني: أيُّها الكافر. والغفلة: السهو للانهماك في الشهوات. وهذا أي: الذي ينزل بك الآن. وكشفنا: أزلنا. والغطاء: حجاب الغفلة. والبصر: ما يبصِر. واليوم: هذا الوقت. والحديد: القويّ الحادّ. ٢٢ القرين: الملَك الموكل بالإنسان. وهذا أي: الإنسان. و لديّ أي: معي. والعتيد: الحاضر. ٢٣ ألقيا: اقذفا، أيها الملَكان الموكلان بالعذاب. وجهنم: دار العذاب في الآخرة. والكفّار: المستغرق في التكذيب. والعنيد: المعاند للحق. ٢٤ المنّاع: الدائم الصدّ. والخير: ما فيه نفع الناس. والمعتدي: الظالم بالكفر. والمريب: الشاكّ والمشكك لغيره في الدين. ٢٥ جعل: صيّر. والإلَه: المعبود. والآخر: المغاير. والعذاب: التعذيب. والشديد: العظيم. ٢٦ قرينه: الشيطان قُيض لمقارنة الكافر وإفساده. وربّنا: يا ربّنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وما أطغيته: ما أنا أضللته. وضلال: طغيان. والبعيد: ما لا نهاية له. ٢٧ قال أي: الله على لسان الزبانية. ولا تختصموا: لا تختلفوا وتتجادلوا. ولديّ: في مَقام حسابي. وقدّمت: أوصلت على لسان رسلي. والوعيد: العذاب للكافر. ٢٨ ما يبدَّل: ما يغيَّر. والقول: الحكم. ولديّ: عندي. وما أنا: لستُ. والظلّام: الكثير الظلم. والعبيد: جمع عبد. ٢٩ هل امتلأت: قد امتلأتِ. وهل من مزيد أي: نعم قد امتلأتُ، ولم يبق فيَّ موضع للزيادة. ٣٠ أُزلفت: قُرِّبت. والجنة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. والمتقون: الذين يتجنبون سخط الله ويطلبون رضاه. وغير بعيد أي: في مكان تُرى منه. ٣١ هذا أي: ما ترَون. وتوعدون: بُشّرتم به. والأواب: الملازم لطاعة الله. والحفيظ: الكثير الحفظ للعمل الشرعي. ٣٢ خشي: خاف. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. والغيب: الغِياب عن الحواس والقدرات. وجاء: أتى يوم القيامة. وبقلب: مع قلب. والمنيب: المقبل على الطاعة. ٣٣ ادخلوها: انتقلوا إلى الجنة. وبسلام أي: سالمين من الأذى. وذلك أي: هذا اليوم. والخلود: الدوام في الجنة. ٣٤ ويشاؤون: يريدون نيله. ولدينا: عندنا بملكنا في الجنة. والمزيد: الزيادة على ذلك. ٣٥

المعنى العام: أن الله خلق الإنسان ويعلم ما في نفسه، وهو أقرب ما يكون إليه بالعلم والقدرة مع مراقبة الملَكين له وتسجيل ما يكون منه، ثم تأتيه شدة الموت ليرى ما كان يتهرب منه عِيانًا، ثم يُبعث الناس للحساب، ويُحشر كل منهم مع ملَك يسوقه، فيوبَّخ الكافر لِما صار عليه من رؤية العذاب عِيانًا، ويؤمر الملَكان بقذفه في جهنم لكفره وظلمه، ويحاول الاعتذار بوسوسة الشيطان فيكذبه الشيطان بأنه كان ضالًّا واستجاب للإغراء، ثم يمنعان من الحوار لأن الحكم بعدل الله مطلقًا لا يتغير - ونفي المبالغة مبالغةٌ في النفي - وقد امتلأت جهنم فلا قبول فيها لمزيد، وقُرّبت الجنة إلى المؤمنين، يبشّرون بما فيها جزاء صلاحهم، ويوجّهون إليها مع الأمان ونيل كل مراد، وزيادة من فضل الله بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وأعلى ذلك رضاه - تعالى - ومشاهدة وجهه الكريم.

تفسير المفردات: كم أهلكنا: كثيرًا أفنينا بالعذاب ! وقبلهم: قبل كفّار قريش. والقرن: الأمة. وهم: الأقوام القديمة. وأشد: أكثر. ومنهم: من كفار قريش. والبطش: القوة. ونقّبوا: فتشوا عن ملجأ للهرب. والبلاد: جمع بلد. وهل من محيص أي: لا مهرب ولا نجاة. ٣٦ ذلك: ما ذُكر من الهلاك. والذكرى: العظة. والقلب: العقل الواعي. وألقى السمع: وجّه سمعه ليفهم ويعتبر. والشهيد: الحاضر القلب. ٣٧ وخلقنا: أوجدنا من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وما بينهما أي: الأجواء والأجرام العُلوية. والأيام: جمع يوم، الوقت الفلكي بألف سنة وأكثر. وما مسنا: ما نالنا. واللغوب: التعب. ٣٨ اصبر: اثبت، أيها النبي. ويقولون: يزعمه الكفّار. وسبح: نزّه الله وصلِّ. وبحمد ربك: مع الثناء بالجميل على نعمه. والطلوع: الإشراق. والغروب: الغياب. ٣٩ الليل: ما بين الغروب والفجر. والأدبار: جمع دبر. وهو من الشيء آخره ونهايته. والسجود: الصلاة. ٤٠ استمع: أنصت وتسمع ما أصف من الأهوال، أيها المخاطَب. اليوم: الوقت. ويناد المنادِ: ينادي المنادي أي: يدعو جبريل المبعوثين للحشر. وحذفت الياء في الموضعين للتخفيف. والقريب أي: من الأرض. ٤١ يسمعون: تدرك أسماع الناس. والصيحة: النفخة الثانية في الصور. وبالحق: مع البعث لا بد منه. وذلك أي: وقت الصرخة.

الجزء السادس والعشرون — سورة ق

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ
لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ
عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ — ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

والخروج أي: من القبور. ٤٢ نحيي ونميت: نخلق الحياة والموت. وإلينا إلى: لقاء حسابنا. والمصير: الصيرورة بعد الموت والبعث. ٤٣ تشقّق: تتشقّق: تتفطر وتتمزق. حُذفت التاء الثانية للتخفيف. وعنهم: عن فُتات جثثهم. وسراعًا: مسرعين إلى الحساب. وذلك أي: البعث والإسراع. والحشر: الجمع بالقهر. واليسير: السهل. ٤٤ أعلم: أكثر علمًا من الخلق. وما أنت: لستَ. والجبار: المسلّط يجبر على الإيمان. وذكّر: نبّه وانصح. وبالقرآن: بآيات الوعد والإنذار. ويخاف: يخشى. ووعيد: وعيدي أي: تهديدي للكافر. ٤٥

المعنى العام: تهديد كفار قريش بكثرة ما أهلك الله من الأمم المكذّبة وهي أقوى منهم، فلم تنج من العقاب، وهذا يعظ من يعقل ويتدبر ما يسمع.

والله خلق الكون في ستة أوقات متتابعة كالأيام المتواصلة ولكن أزمانها فلكية بآلاف السنوات، أولها السبت وآخرها الخميس، دون تعب، وعدمُ المماسة والتعب يعني الإنشاء بالإرادة دون علاج.

وعلى النبي أن يصبر ويقيم الصلوات المفروضة مع التسبيح والحمد، وعلى الناس أن ينتظروا ما يكون من نفخة الصور للبعث وصرخة للحشر، والله هو المحيي والمميت، حيث يخرج الناس من القبور بالقهر مسرعين للحساب. وكل ذلك يسير على الله بالإرادة، وهو يعلم ما يقوله الكافرون أكثر ممن سواه، والنبي ﷺ مبلّغ لا مسيطر يلزمهم الإيمان، فهو يعظ بالآيات القرآنية من يخشى تهديد الله وعقابه ويهدد الكافرين.

٥١ ـ سورة الذاريات

تفسير المفردات: وَالذاريات: أُقسِمُ بالرياح تثير التراب وأمثاله. ١ الحاملات: السحب المترعة بالماء. والوقر: ما هو ثقيل من المطر وأشباهه. ٢ الجاريات: المسرعة بما تدفع من الأمطار. ويسرًا أي: بسهولة. ٣ المقسّمات: الموزعات حاجات النبات والأراضي بتقدير الله. والأمر: قضاء الله وإرادته للعمل في الكون. ٤ ما توعدون: وعدُكم بالبعث. والصادق: الحقُّ الواقع في حينه بقوة. ٥ الدين: الجزاء. وواقع: حاصل حتمًا.٦

المعنى العام: أقسمَ الله بالرياح تثير التراب والسحبَ والأمطارَ وتنثر الخيرات التي يقدّرها، إنَّ وعده بالبعث حق لا شك فيه، والحساب والجزاء سيكونان حتمًا في حينهما.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ﴿٨﴾ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ
فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ
وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ
﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ
لِّلۡمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾
إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ
﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ
﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ
﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

تفسير المفردات: وَالسماء: أُقسِمُ بما حول الأرض من عوالم عُلوية. وذات الحبك أي: صاحبة الأفلاك المحبوكة والمسارات المُحكمة للنجوم وغيرها. والحبك: جمع حَبيكة. ٧ إنكم يعني: أيها المكذّبون للقرآن الكريم. وقول أي: أقوال. ومختلف: متناقض مخالف بعضه لبعض. ٨ يؤفك عنه أي: يُصرف عن القرآن بذلك القول المضطرب. ٩ قُتل: لُعن وطَرده الله من رحمته. والخرّاصوان: هؤلاء الكذّابون بالقول المختلف. ١٠ الغمرة: الموجة العظيمة من الجهل. والساهون: الغافلون الضائعون. ١١ يسألون: يطلبون الجواب استهزاء. وأيّان: أيُّ وقت؟ واليوم: الزمن. والدين: الجزاء. ١٢ على النار: في نار جهنم. ويفتنون: يعذّبون. ١٣ ذوقوا: يُقال لهم: تحمّلوا. والفتنة: التعذيب. وهذا أي: التعذيب. وبه تستعجلون: تطلبون تعجيله. ١٤ المتقون: الذين تجنبوا غضب الله وطلبوا رضاه. والجنة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. والعيون: جمع عين، يَنبوع الماء الجاري. ١٥ آخذين أي: متلقِّين. وآتاهم: أعطاهم من النعيم. والربّ: الخالق المالك المتفرّد. وذلك أي: يوم القيامة. والمحسنون: من يعملون الصالحات بإخلاص. ١٦ وقليلًا ما أي: وقتًا يسيرًا. والليل: ما بين الغروب والفجر. ويهجعون: ينامون. ١٧ الأسحار: جمع سَحَر، السُّدس الأخير من الليل. ويستغفرون: يطلبون ستر الذنوب ومحوها. ١٨ والأموال: جمع مال، ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. وحق أي: نصيب من غير الزكاة. والسائل: من يطلب العطاء. والمحروم: المحتاج المتعفف.

١٩ الأرض: موطن الحياة الدنيا. والآيات: الدلائل على القدرة والوحدانية. والموقنون: الذين أدركوا ما جاءت به الرسل فآمنوا. ٢٠ الأنفس: جمع نفس، روح الإنسان وجسده. وألا تبصرون أي: تبصّروا وأدركوا لتتعظوا. ٢١ السماء: منزلة الرفعة والعلاء. والرزق: تقديرُ ما ييسَّر للخلق وسِجلُّه. وتوعدون: تبلَّغون حصولَه من خير وشر وجزاء. ٢٢ إنه أي: ما توعدون به من رزق وبعث وجزاء. وحق أي: واقع لا محالة. ومثلما أنكم تنطقون أي: مثل نطقكم. ٢٣ هل أتاك: قد جاءك بالوحي. والحديث: الخبر. والضيف: الملائكة الضيوف. وإبراهيم: أبو إسماعيل وإسحاق. والمكرمون أي: عند الله والناس. ٢٤ دخلوا عليه: صاروا في داره. وسلامًا أي: أمانًا واطمئنانًا. وقال أي: إبراهيم لهم. وسلام أي: عليكم مني سلام بالطمأنينة والأمان. والقوم: الجماعة. ومنكرون أي: لا نعرفهم. ٢٥ راغ: انصرف. وأهله: زوجته. وجاء: رجع إليهم. والعجل: الصغير من أولاد البقر. والسمين: الغني باللحم. ٢٦ قرّبه: قدّمه. وألا تأكلون أي: كلوا. ٢٧ أوجس: أضمر في نفسه. والخيفة: الفزع. لا تخف: اطمئنّ. وبشروه: أبلغوه بشارة. والغلام: الولد الذكر له. والعليم: الكثير العلم. ٢٨ أقبلت: جاءت مسرعة. وامرأته: زوجته سارة. وفي صرة: مع صيحة. وصكّت: لطمت. وعجوز عقيم أي: أنا مُسنّة لا ألد. ٢٩ كذلك أي: مثلَ قولنا بالبشارة. وقال أي: قضى في الأزل. والحكيم: ذو الحكمة بكمال العلم والفعل. والعليم: العظيم الإحاطة. ٣٠

المعنى العام: أقسَم الله بالسماء المُحكمة التكوين أن الكافرين مضطربون في تكذيب القرآن، بأقوال مختلفة يتجنّب قبول القرآن من صُرف بها. فاللعنة على هؤلاء المكذّبين المغمورين بالجهل والضياع، يتساءلون عن وقت بعثهم، يوم توبيخهم بما يعانون من الأهوال، على حين أن المتقين ينعمون بخيرات الجنة جزاء إخلاصهم، وعبادتهم خلال الليل واستغفارهم وإنفاقهم على المحتاجين.

وهذه أدلة الألوهية، لمن يتدبّر، ظاهرةٌ في تصميم الأرض ونفوس الناس المكونة من عوالم عجيبة، وفي أرزاقهم من المخلوقات المسخّرة لهم، وما وُعدوا به من الحساب، وهو معلوم عِيانًا ويقينًا كما أن نطقهم معلوم لديهم بحق لا يشكّون فيه. فإنّ ما ذُكر من الرزق والبعث هو مثل النطق في تحققه. وها قد أُوحي إليك ـ أيها النبي ـ ما كان من إبراهيم ـ وهو من أدلة عقوبة الكافرين ـ حين زارته الملائكة وحيّوه وحياهم، وقدّم إليهم العجل المشوي لأنه يظنهم بشرًا، ثم خافهم لأن امتناعهم عن الطعام قد يكون لشر يريدونه، ثم طمأنوه بأنهم ملائكة وبشّروه بولده إسحاق، واستغربت زوجته العجوز العقيم وضربت وجهها تعجبًا، فأكدّوا لها أن الله قضى ذلك بحكمته.

تفسير المفردات: قال أي: إبراهيم للملائكة. وما خطبكم: ما قصدكم بالمجيء؟ والمرسلون: الذين أرسلهم الله لقول أو فعل. **٣١** أُرسلنا: بُعثنا. والقوم: الجماعة التي يبلّغها لوط في شمالي بلاد الشام. والمجرمون: المنهمكون في الكفر والفساد. **٣٢** نرسل: ننزل. والحجارة: جمع حجر. والطين: التراب المجبول المشوي. **٣٣** المسوَّمة: المخصّصة لعذاب الانتقام. وعند ربك أي: في علمه وإرادته. والمسرفون: من جاوزوا الحد بالفواحش والكفر. **٣٤** أخرجنا: أمرنا بالخروج. وفيها: في مدينة قوم لوط. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. **٣٥** ما وجدنا: ما رأينا لأنه لا يوجد. وبيت أي: أهل بيت. **٣٦** تركنا: أبقينا بآثار الدمار. والآية: العلامة الدالّة على العذاب. ويخافون: يخشون. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم جدًّا. **٣٧** وَفي موسى أي: وفي رسول التوراة لبني إسرائيل آية أيضًا. وأرسلناه: بعثناه مكلّفًا بالدعوة مع العمل. وفرعون: ملك مصر حينئذ. وبسلطان أي: مع حُجّة واضحة ومعجزات. والمبين: الواضح البيان. **٣٨** تولى: أعرض فرعون. وبركنه: مع ما يعتمد عليه من السلطان ليتقوى. وقال أي: فرعون عن موسى. والساحر: من يخدع الحواس والعقول بما هو غير واقع. والمجنون: من فقَدَ عقله. **٣٩** أخذناه: دفعناه. والجنود: جمع جند. والجند واحده جندي، من أُعدَّ للحرب والقتال. ونبذناهم: ألقيناهم. واليم: البحر الأحمر. وهو أي: فرعون.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ
فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢)
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ
وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ (٤٥) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ (٤٦) وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ
فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠)
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١)﴾

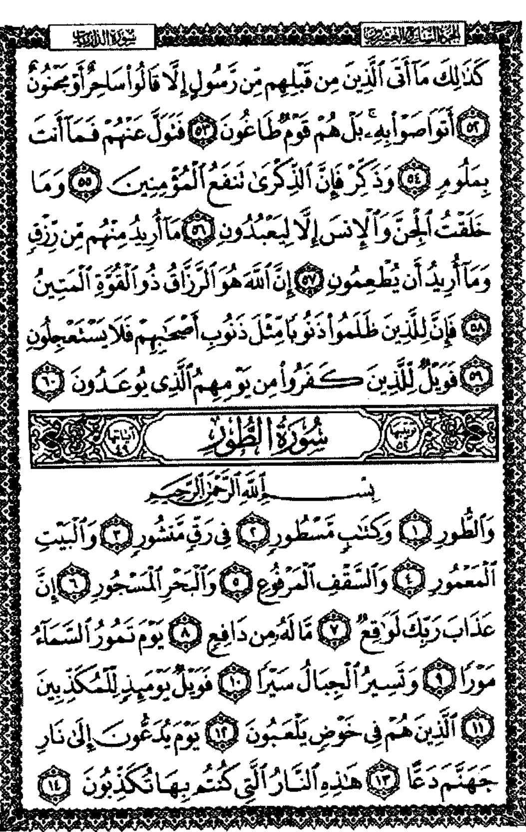
والمليم: من عمل ما يلام عليه. **٤٠** وَفي عاد أي: وفي قوم النبي هود آية كذلك. وأرسلنا: أطلقنا. والريح: الهواء الشديد الاندفاع. والعقيم: المفرَغة من كل خير تدمر ما تصادفه. **٤١** ما تذر: ما تترك. ومن شيء أي: شيئًا. وأتت: مرّت. وجعلته: صيّرته. والرميم: المتفتت. **٤٢** وَفي ثمود أي: وفي بني ثمود آية أيضًا. وإذ قيل أي: حين قال النبي صالح. وتمتّعوا حتى حين: تنعّموا إلى وقت محدّد بثلاثة أيام. **٤٣** عتوا: تكبّروا. والأمر: إيجاب الإيمان. وأخذتْهم: أهلكتْهم. والصاعقة: نار تسقط من السماء مع رعد وزلزلة. وينظرون أي: يوجّهون أبصارهم إليها. **٤٤** ما استطاعوا: ما تمكّنوا. والقيام: النهوض. والمنتصرون: المتغلبون على العذاب. **٤٥** وَقوم نوح أي: وأهلكناهم كذلك. وقبل: قبل عاد. والفاسقون: الخارجون عن الحدّ بالكفر. **٤٦** السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وبنيناها: جعلناها سقفًا كالبناء. والأيد: القوة. وموسعون: وقادرون توسعتها وعلى زيادة على ما نشاء. **٤٧** الأرض: موطن الحياة الدنيا. وفرشناها: مهّدناها. ونعم أي: بلغ الغاية في الخير والفضل والإحسان. **٤٨** الشيء هنا: ما يكون منه صنفان متقابلان كالزوجين في الإنسان والحيوان والنبات، والأمور المزدوجة في الكون. وخلقنا: أوجدنا من العدم. ولعلكم: ليُرجَّى لكم. وتذكّرون: تتذكّرون: تستدلون بهذا الخلق على وجوب الإيمان والطاعة. حُذفت التاء الثانية للتخفيف. **٤٩** فِرّوا: توجّهوا موحدين. ومنه: من عقابه. والنذير: المنذر المهدّد. والمبين: البيّن الإنذار. **٥٠** لا تجعلوا: لا تصيّروا. والإلَه: المعبود المطاع. والآخر: المغاير. **٥١**

المعنى العام: متابعة ما كان من قصة إبراهيم بسؤاله الملائكة عما كُلِّفوا به، فأعلموه أنهم مرسلون للانتقام من قوم لوط بحجارة خاصة للمستغرقين في الكفر. ثم أنقذ الله لوطًا وابنتيه وزوجته الثانية المؤمنة، ودمّر تلك المدن قرب حمص، باقيًا منها آثار تعظ المتقين.

وكذلك شأنُ فرعون وجنوده كفروا بموسى ومعجزاته، واتهموه بالسحر والجنون، فكان لهم الدفع إلى الغرق في البحر مذمومين، وشأنُ عادٍ دمّرتها الريح القاصمة، أفنت كل شيء مرت به، وثمودَ أُنذروا بالفناء وتكبروا، فمحقتهم الصاعقة وهم ينظرون، وقومِ نوح الفاسقين قبل أولئك.

وقد رفع الله السماء بقوة وسعة اقتدار، ومهّد الأرض على خلاف الكواكب الأخرى لتيسير الحياة، وخلق أصناف المخلوقات المتزاوجة، ليتعظ الناس. فأؤمرِ المشركين ـ أيها النبي ـ أن يسرعوا إلى طاعة الله خوف انتقامه، وأن يوحّدوه لئلّا يصب عليهم عذابه.

تفسير المفردات: كذلك أي: حال الأمم المستأصَلة بالعذاب مثل مشركي مكة. ما أتى: ما جاء وبلّغ. وقبلهم: قبل تلك الأمم المشركة. والرسول: من كلفه الله بالدعوة مع العمل. والساحر: من يخدع الحواس والعقول يخيِّل لها ما هو غير واقع. والمجنون: من فقَدَ عقله. ٥٢ أتواصوا به: ما أوصى بعضهم بعضًا بالقول المذكور. والقوم: الجماعة من الناس. والطاغون: المستعلون بالكفر والجحود والأباطيل. ٥٣ تولّ عنهم: أعرض عن مجادلة الممارين المتعنتين. وما أنت: لستَ. والملوم: المؤاخذ لتقصير. ٥٤ ذكّر: عظ بالقرآن من كُلّفت بتبليغه. والذكرى: التذكير والوعظ. وتنفع: تفيد بجلب خير ودفع شرّ. والمؤمنون: المستعدون للإيمان والطاعة. ٥٥ ما خلقتُ: ما أوجدت من العدم. والجنّ: واحده جنّيّ، مخلوقات من النار. والإنس: واحده إنسيّ. ويعبدونِ: يعبدوني أي: يقدّسوني ويطيعوني وحدي. حُذفت الياء لموافقة فواصل الآيات. ٥٦ ما أريد: ما أطلب. ومن رزق: ما يعطى. ويطعمونِ: يطعموني أي: يهيّئوا الطعام ويقدموه لي. ٥٧ الله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرزّاق: الذي خلق الأرزاق، ويسّر تناولها. وذو القوة: المتفرد بكامل القدرة. والمتين: الشديد. ٥٨ ظلموا: وضعوا الكفر موضع الإيمان. والذَّنوب: الدلو العظيمة ملأى. والأصحاب: المشابهون في الكفر، جمع صاحب. ولا يستعجلونِ: لا يستعجلوني أي: لا يطلبوا مني تعجيل العذاب. ٥٩ وَيل: الدعاء بالعذاب الشديد. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. واليوم: الوقت. ويوعدون: يُهدّدون بعذابه. ٦٠



المعنى العام: أن جميع الأقوام المُنذرة مثل مشركي مكة اتّهموا رسلهم بالسحر والجنون، وهم لم يتواصوا بذلك، وإنما حملهم عليه الطغيان بالكفر. فاشغل نفسك بالتبليغ ـ أيها النبي ـ ليهتدي من عنده استعداد للخير.

ولقد خلق الله الكون للغاية الكمالية العليا، وهي أن يعبدوه وحده الجنّ والإنس، وهم مهيَّئون لذلك بما جبلوا عليه من التدبر والحاجة إلى العبودية، وهو غني عنهم بسعة ملكه وقوته وعدم الحاجة إلى العون.

وسوف يكون لمشركي مكة وغيرهم نصيب من العذاب موزع عليهم، كما يقتسم السقاؤون نصيبهم من المياه. فلا يطلبوا العجلة بذلك لأنه محدّد وقته لا يتغير، مع أهوال الانتقام الرباني العظيم تنالهم يوم بعثهم الذي وعدوا به وكذّبوه.

٥٢ ـ سورة الطُّور

تفسير المفردات: وَالطور: أُقسِمُ بجبل الطور. ١ الكتاب: القرآن الكريم. والمسطور: المكتوب. ٢ الرق: الجلد الرقيق للكتابة. والمنشور: المفتوح للقراءة. ٣ البيت: البناء المشيّد. والمعمور: عمره الخلق للعبادة. وهو البيت الحرام. ٤ السقف: غِطاء البناء أي: السماء. والمرفوع: المعلّى. ٥ البحر: ما اجتمع فيه ماء كثير. والمسجور: المملوء. ٦ العذاب: التعذيب. والرب: الخالق المالك المتفرّد. والواقع: النازل بمن يستحقه. ٧ ما له: ليس له. ومن دافعٍ أي: مانعٌ ينقِذ منه. ٨ تمور: تضطرب. والسماء: ما يحيط بالأرض من أجرام وعوالم عُلوية. ٩ تسير: تنطلق من جذورها فتزلزَل. والجبال: جمع جبل، ما علا وغلظ من الأرض. ١٠ يومئذ: يوم وقوع العذاب. والمكذّبون: الكافرون. ١١ الخوض: التخبّط. ويلعبون: يتشاغلون بالباطل. ١٢ يدعُّون: يدفعون بعنف. وجهنم: دار العذاب. ١٣ تكذّبون: تنكرون وجودها. ١٤

المعنى العام: أقسم الله بالجبل المقدس في سَيناء بين العقبة ومصر كلم الله موسى عليه، وبالقرآن الكريم والكعبة المشرّفة والسماء والبحار، أن يوم القيامة سيقع فعلًا، ولا مانع له، حيث تختلّ الكائنات المنتظمة فتضطرب السماوات وتُزلزل الجبال، وتظهر أهوال العذاب للكافرين المشغولين بالأباطيل، فيُدفعون إلى جهنم، وتوبّخهم الزبانية بما كانوا يكذبون هذا العذاب...

تفسير المفردات: أسحر هذا: ليس ما تشاهدونه تمويهًا ولا تخييلًا. وأم لا تبصرون: بل أتتوهمون؟ ١٥ اصلَوها: احترقوا فيها وتحسّسوا فظاعتها. واصبروا: تحملوا أهوالها. وسواء: الصبر وعدمه متساويان لا يفيدان. وتجزَون: تكافؤون. وتعملون: تكتسبونه من تقول أو فعل. ١٦ المتقون: الذين تجنّبوا سخط الله ولزموا رضاه بالطاعة. والجنة: البستان العظيم فيه القصور والأشجار والأنهار. والنعيم: التنعم بالخير الدائم. ١٧ فاكهين أي: متلذّذين. وآتاهم: أعطاهم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ووقاهم: حماهم ومنع عنهم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والجحيم: النار الملتهبة. ١٨ كلوا واشربوا أي: تناولوا الطعام والشراب في الجنة. وهنيئًا: متهنّئين. وبما كنتم تعملون: بسبب عملكم في الدنيا. ١٩ متكئين أي: جالسين بارتياح واطمئنان. والسرر: جمع سرير، ما يُضَّجع عليه. والمصفوفة: المنظّمة. وزوّجناهم: قرنّاهم للنكاح. والحور: جمع حَوراء، ذات العَين الجميلة السواد والبياض وهي بيضاء بضّة خُلقَت من الطّيب. والعِين: جمع عَيناء، الواسعة العين بحسن ونضارة. ٢٠ آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. وتبعتْهم: تبعتْهم في العمل الصالح. والذرّيّة هنا: الأبناء والآباء. وبإيمان أي: مصاحبين الإيمان. وألحقنا بهم: أتبعناهم في الجنة. وما ألتناهم: ما نقصناهم. والعمل: ما يُكتسب من نية وقول وفعل. والشيء: ما كان قد وجد. والمرء: الإنسان. وكسب: تحمله باختيار وقصد. والرهين: المقيَّد يحاسَب و يجازَى عليه. ٢١ أمددناهم. زدناهم دائمًا. والفاكهة: ما يؤكل من الثمار للتلذذ. واللحم: العضل. ويشتهون: يتمنّونه. ٢٢ يتنازعون: يناول بعضهم بعضًا. وفيها: في الجنة. والكأس: الإناء فيه الخمر. واللغو: الساقط من الكلام. والتأثيم: ما يجعل الإنسان مذنبًا. ٢٣ يطوف: يحوم. والغلمان: جمع غلام، الخادم الفتيّ. واللؤلؤ: الدرر البراقة واحدتها لؤلؤة تخرج من الأصداف. والمكنون: المحفوظ برعاية واهتمام. ٢٤ أقبل: توجّه. والبعض: الواحد أو الأكثر. ويتساءلون: يتحدّثون. ٢٥ قالوا بعضهم. وقبلُ أي: قبلِ هذه الأوقات. والأهل: الأسرة والعشيرة. ومشفقين خائفين عذاب الله. ٢٦ منّ: تفضّل كرمًا. ووقانا: حمانا. والسموم: النار تخترق منافذ العرَق في الجلد. ٢٧ ندعوه: نوحّده. والبرّ: المحسن الجزاء. والرحيم: العظيم العطف بالإكرام للمؤمنين. ٢٨ ذكّر: دُم على النصح والوعظ، أيها النبي. وما أنت: لستَ. وبنعمة ربك: بسبب إنعامه عليك بالرسالة. والكاهن: مَن يدّعي الاتصال بالجن والتنبؤ بالغيب. والمجنون: من فقَدَ عقله. ٢٩ أم يقولون أي: بل يزعم المشركون. والشاعر: من ينظم الشعر. ونتربص: ننتظر برغبة وحماسة. والريب: قلق الأحداث. والمنون: الموت يقطع الآجال. ٣٠ قل أي: لهم، أيها النبي. وتربصوا: انتظروا هلاكي. والمتربصون: المنتظرون لعذابكم في الدنيا والآخرة. ٣١

الجزء السابع والعشرون سورة الطور

أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟
أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ
رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ
فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ
لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ
نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ
ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

المعنى العام: متابعة ما يكون في جهنم بأن توبِّخ الزبانيةُ المشركين بما هم فيه من العذاب، أنه ليس سحرًا كما كانوا يزعمون، وليسوا واهمين فيما يكابدون جزاء كفرهم، ولن يفيدهم الصبر، لأنه سواء عليهم أصبروا أم لجوا وتضجروا. أما المتقون ففي فضل الله بالجنة ونعمها المختلفة، والبعد عن عذاب جهنم، والاطمئنان على سرر مرصوفة مع زوجات من الحور العين وأُسرهم من آبائهم وأبنائهم المؤمنين، ينالون ثواب أعمالهم كاملة، بعدل الله مع زيادات فضله بما يشتهون من الفاكهة والطعام والشراب، يجتمعون للحديث بما كانوا عليه من الإيمان والخشية، ويتبادلون كؤوس الخمر الربانية خالصة من كل سوء، ويطوف عليهم بها غلمان كاللؤلؤ البرّاق، ويتحدثون بما صاروا إليه من النعيم والاطمئنان بإحسان الله ورحمته.

وعندما اتهم المشركون النبي بالأباطيل وقال بعضهم: «احتبِسوه حتى يهلك كما هلك الشعراء قبله، وإنما هو كأحدهم»، نزلت الآيات بالاستمرار في الدعوة، لأنه رسول مكلف لا كما يزعمون، وهو يتوقع لهم العذاب في كل حين، مع الخلود في الجحيم.

تفسير المفردات: أم تأمرهم: بل أتـوجّههم؟ والأحلام: العقول الواعية، جمع حِلم. وهذا أي: ما يزعمون من وصف النبي ﷺ بالأباطيل. وأم أي: بل. والقوم: الجماعة من الناس. والطاغون: المتجاوزون للحد بالعناد والمكابرة. ٣٢ تقوّله: اصطنع محمد القرآن الكريم. ولا يؤمنون: لا يصدّقون الله ورسوله تكبّرًا وتعنتًا. ٣٣ يأتوا بحديث: يصنعوا ويُحضِروا ما يُنقل من علم مصطنع. ومثله: مُماثل للقرآن الكريم. والصادقون: الذين يقولون الحق لا شك فيه. ٣٤ أم خُلقوا من غير شيء: بل لم يُنشَأ المشركون في الوجود دون خالق. والخالقون أي: لأنفسهم. ٣٥ السماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ولا يوقنون: ليس عندهم نظر يوصلهم إلى إيمان. ٣٦ الخزائن: جمع خزانة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والمسيطرون أي: على الكون والحياة بتحكم. ٣٧ السلّم: المِصعد بدرج. ويستمعون: يُنصتون ويدركون كلام الله والملائكة. ويأتي بسلطان: يُحضِر الحُجّة. ومستمعهم: من يدّعي ذلك الاستماع. والبيّن: الواضح البيان. ٣٨ أم له البنات: ليست الملائكة بناتٍ لله. ولكم البنون: تنفردون بالذكور، أيها المشركون. ٣٩ تسألهم: تطلب منهم. والأجر: المكافأة على الدعوة. والمغرم: ما ينوب الإنسان ظلمًا. والمثقلون: المتعَبون المغتمّون. ٤٠ الغيب: ما غاب عن الحواس والعقول. ويكتبون: يُثبتونه في ادعائهم. ٤١ يريدون: يقصدون. والكيد: المكر بالنبي ﷺ لقتله. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والمكيدون: المغلوبون في المكر والخداع. ٤٢الإله: المعبود بحق. وغير الله: مغاير له. وسبحان الله: تنزيهًا له. ويشركون: يزعمون له من شركاء. ٤٣ يروا: يبصروا عِيانًا. والكسف: القطعة. والساقط: الهاوي بسرعة. والسحاب: واحدته سحابة، الغيم فيه مطر. والمركوم: المُلقَى بعضه على بعض. ٤٤ ذرهم: دعْهم في باطلهم ـ أيها النبي ـ ولا تخاصمهم. ويلاقوا: يصادفوا. ويومهم: موعد آجالهم. ويصعقون: يموتون. ٤٥ اليوم: الوقت. ولا يغني: لا يدفع. والكيد: المكر والاحتيال. وشيئًا: أيّما إغناء ! ولاهم: ليسوا. ويُنصرون: يُمنعون من العذاب. ٤٦ ظلموا: تجاوزوا الحدّ بالكفر. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ودون ذلك: قبل يومهم المذكور فيما مضى. والأكثر: الغالبية العظمى. ولا يعلمون: يجهلون ما سيلاقون من الأهوال. ٤٧ اصبر: دُم على الثبات والتحمل. والحكم: القضاء. وأعيننا: بمرأًى منّا نراك ونرعاك. وجمع العيون للمبالغة في الرعاية. وسبح: نزِّه الله. وبحمد ربك: مع الثناء على إنعامه. وتقوم: تنهض من نومك. ٤٨الليل: ما بين الغروب والفجر. والإدبار: الذهاب بالغياب. والنجوم: الكواكب المضيئة، جمع نجم. ٤٩

الجزء السابع والعشرون — سورة الطور

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ
بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

المعنى العام: ورود «أم» هنا يراد به الإنكار والتوبيخ غالباً مع النفيِ وتكذيب ما بعده والأمرِ بتركه، أي: هل تأمر المشركين عقولهم النيّرة بهذه الاتهامات للنبي، لا بل يزعمون أنّ النبي صنع القرآن بنفسه، فليصنعوا مثل القرآن في حال صدق زعمهم، وهل جاؤوا إلى الدنيا من غير خالق؟ أم خلقوا أنفسهم والكون، ويملكون الرزق والعطاء، ويسيطرون على الخلق، ويطّلعون على أسرار السماوات، وعندهم علم الغيب ينقلون منه دعاواهم، أم الملائكةُ بناتٌ عند الله وللمشركين ذكورُهم، أم تطلب منهم مكافأة وعونًا، ولهم معبود بحق غير الله؟ لا لم يصح شيء من ذلك كله، ولكنهم يكابرون وليس في نفوسهم مكان لليقين، فيصطنعون المكايد والمزاعم من دون تدبر، مع ظهور الحق عليهم وامّحاق ما يصطنعون. فلا ينبغي لهم هذا الطغيان، ولا يليق بهم، ولا بدّ أن يُمحَوا هم وأباطيلهم. ثم إذا استجاب الله دعاءهم بإنزال قطعة من عذاب السماء عليهم توهموا أنها غيث لهم.

فدعْهم ـ أيها النبي ـ حتى ينزل بهم يومُ القيامة بالموت الماحق وعذاب الآخرة، ويروا في الدنيا ما هو أخف، وتصبّر لأنك في الرعاية الربانية، والزم التسبيح والحمد لله ليلًا مع الصلوات المكتوبة في أوقاتها المحدّدة.

٥٣ ـ سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ٥
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ١٠
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ١٥
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ١٨ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَاةَ
الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ٢٠ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ
ضِيزَىٰ ٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ
وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ٢٣ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ٢٤ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ٢٥ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ٢٦

الحزب ٥٣

تفسير المفردات: النجم: الثريا. وهي كواكب في صورة ثور. وإذا هوى: حين يغيب. ١ ما ضل: ما حاد عن الهداية. وصاحبكم: من يعيش بينكم محمد ﷺ، أيها المشركون. وما غوى: ما جهل الصواب. ٢ ما ينطق: ما يتكلم. والهوى: شهوة النفس. ٣ إن هو أي: ليس القرآن الكريم. والوحي: ما أنزله الله ـ عز وجل ـ على لسان جبريل وتكفل بحفظه وتبليغه وبيانه. ٤ علَّمه: أوصل الوحي إليه. والشديد: العظيم. والقوى: جمع قوة، القدرة الباهرة. ٥ ذو مِرة: صاحب شِدّة وصرامة في تنفيذ الأمر. واستوى: اعتدل على صورته الحقيقية. ٦ هو أي: جبريل. والأفق: طرف السماء. والأعلى: الأرفع والأبعد. ٧ دنا: قرب من محمد ﷺ. وتدلّى: نزل من العلوّ. ٨ كان: صار قربه إلى النبي ﷺ. وقاب قوسين: مقدار قرب القوسين إذا أُلصقت إحداهما بالأُخرى. ٩ أوحى: بلّغ جبريل. وعبده: عبد الله محمد ﷺ. ١٠ ما كذَب أي: لقد عرف باليقين. والفؤاد: صميم قلب النبي ﷺ. وما رأى: ما رآه من جبريل. ١١ أتمارونه: لا تجادلوه وتشكّكوه. ما يرى: ما يبصره عِيانًا. ١٢ ورآه: رأى جبريلَ. والنزلة: المرّة. والأُخرى: الثانية المغايرة للأُولى. ١٣ السدرة: شجرة عظيمة في السماء السابعة. والمنتهى: موضع انتهاء قدرات الخلق. ١٤ الجنة: الحديقة الربانية بالنعيم. والمأوى: مكان إقامة الملائكة. ١٥ إذ يغشى: حين يجلل. وما يغشى: أمر الله العظيم الذي يجلل. ١٦ ما زاغ البصر: ما مال بصر محمد ﷺ عما يرى. وما طغى: لم يجاوز ذلك. ١٧ الآيات: العجائب الفريدة تدل على عظمة الخالق. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والكبرى: العظمى. ١٨ أرأيتم: تدبّروا وأخبروني. واللات والعُزّى: صنمان من الحجارة يعبدهما المشركون ليشفعا لهم. ١٩ مناة: صنم آخر. والثالثة: تكمّل اللاتَ والعزى لتصير ثلاثًا. والأُخرى: المتأخرة الوضيعة المقدار. ٢٠ ألكم: ليس لكم. وله: لله تعالى. ٢١ تلك أي: عملية التوزيع للذكر والأنثى. والقسمة: حالة التقسيم. والضيزى: الجائرة للحق بضيم فظيع. ٢٢ إن هي: ليست تلك المذكورات من الأصنام. والأسماء: ألفاظ مصطنعة، جمع اسم. وسمّيتموها: أطلقتموها على أوهام. والآباء: جمع أب. وما أنزل: ما أوحى. وبها من سلطان: برهانًا عليها. وإن يتّبعون: ما يطيعون. والظن: توهمهم عبادة الأصنام. وتهوى: تشتهي. والأنفس: جمع نفس. وهي الشهوة. وجاءهم: وصل إليهم وبلّغهم. ومن ربهم: من عنده وبأمره. والهدى: القرآن الكريم المرشد إلى الحق. ٢٣ أم للإنسان: ليس له. وما تمنى: ما تعلّقت به شهواته من الآلهة المزعومة. ٢٤ الآخرة والأُولى: حياتا يوم القيامة والدنيا. ٢٥ كم: كثير. والملك: مخلوق نوراني معصوم مطهر. ولا تغني: لا تجلب نفعًا ولا تدفع ضررًا. والشفاعة: السؤال للتجاوز عن الذنوب وإنالة النعيم. ويأذن: يسمح. ولمن يشاء أي: للشفاعة فيمن يريد أن يُشفع له. ويرضى: يراه أهلًا للعفو. ٢٦

المعنى العام: أقسم الله بالثريّا حين غيابها أن النبي ﷺ على هداية وعلم حقيقي، بما يأتيه ملَكُ الوحي جبريل القوي الأمين، نزل عليه مرارًا، وضمّه إليه للطمأنة والتبليغ، فما يقوله حق لا يمارى فيه. ثم لقد لقي جبريل ثانية حين عروجه إلى السماء، في أقرب ما يكون من العُلَى، ورأى ذلك عِيانًا، مع ما هناك من أعاجيب الخلق الرباني.

أما الأصنام المعبودة فضلالات سُمِّيت بأسماء الإناث توهُّمًا أن الملائكة بنات لله، وليس لذلك أصل من الصواب، بل هو تقسيم فظيع في الجور على الحق، مصدره الأوهام والشهوات، وإنّما يصحّح ما فيها من الباطل هدى الله المنزّل. وليس للإنسان ما يتمنى لأن الله مالك أمور الحياتين إطلاقًا، وليس لأحد أن يبلُغ إلّا ما يريده الله. حتى إن الملائكة المقرَّبين عاجزون عن الشفاعة إلّا بإذن الله ولمن يرضى عنه، مع ما هم عليه من المرتبة العالية. فالأصنام أولى منهم بالعجز عن ذلك.

تفسير المفردات: لا يؤمنون: ينكرون ويجحدون. والآخرة: الحياة بالبعث. ويسمُّون تسمية الأنثى: يصفون بوصف الإناث. والملائكة: المخلوقات النورانية، مفردها ملَك. ٢٧ مالهم به:ليس لهم بهذا الوصف. والعلم: المعرفة اليقينية. وإن يتّبعون: ما يطيعون ويتابعون. والظن: التوهُّم. ولا يغني: لا ينفع. ومن الحق: عن العلم الثابت وما يُطلب في الاعتقاد. وشيئًا: أيًّا إغناء ! ٢٨ أعرض أي: انصرف بنفسك، أيها النبيّ. وتولى: انصرف وأعرض. والذكر: القرآن الكريم وما فيه من تذكير بالحق. ولم يرد: لم يطلب. والحياة: المعيشة. والدنيا: القريبة من الناس وهم فيها. ٢٩ ذلك أي: طلب الدنيا. ومبلغهم: مكان وصولهم وإدراكهم. والعلم: المعرفة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأعلم: أكثر اطّلاعًا وإحاطة. وضل: حادَ وانحرف. والسبيل: الطريق الواضح. واهتدى: كان من شأنه الاستجابة. ٣٠ لله: أي مُلكه وحده. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم علوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويجزي: يكافئ. وأساؤوا: اكتسبوا القبائح. وبما عملوا: بسبب ما تحمّلوا من نيّة وقول وفعل. وأحسنوا: اكتسبوا صالح الأعمال. والحسنى: المثُوبة الممتازة أي: الجنّة. ٣١ يجتنبون: يتجنبون ويكرهون. والكبائر: جمع كبيرة. والإثم: الذنب. والفواحش: جمع فاحشة، ما عظُم من الجرائم وكان عليه الحدّ. واللمم: ما قلّ وصغُر. والواسع: يستوعب ما لا يُقَدَّر. والمغفرة: الستر للذنوب مع العفو. وإذ أنشأكم: حين خلق أباكم آدم. والأرض أي: التراب. والأجنّة: جمع جنين، الطفل قبل الولادة. والبطون: جمع بطن أي: الرحِم. وأُمّهات: جمع أَمَّهة، الأُمّ. ولا تزكّوا: لا تمدحوا بإعجاب وتفاخر. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. واتّقى: كان بارًّا مطيعًا مخلصًا في طاعته. ٣٢ أرأيت: تفكّر وأخبرْ. والذي تولى هو الوليد بن المغيرة زعيم المشركين، ارتدّ بعد الإيمان. ٣٣ أعطى قليلًا: أعطى الضامنَ لنجاته من العذاب بعض ما تعهد به. وأكدَى: بخل بالباقي. ٣٤ أعنده: ليس عنده. والعلم: الإحاطة التامة. والغيب: ما غاب عن حواس الخلق وإدراكهم. ويرى: يعلم ما يزعم. ٣٥ أم لم ينبأ أي: بل لم يُخبَّر. والصحف: جمع صحيفة، ما كُتبت عليه الآيات. وموسى: نبي اليهود. ٣٦ إبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. ووفّى: تمّم ما أُمر به. ٣٧ أن لا تزر: أنه لا تَحمِلُ. والوازرة: الإنسان بلغ سِنّ الرُّشد. والوزر: الذنب. والأُخرى: النفس المغايرة للوازرة. ٣٨ أنْ: أنّه. والإنسان: الآدمي. وسعى: اكتسب من خير أو شر. ٣٩ سوف يُرى: لا بد أن يُبصِره صاحبه وغيره. ٤٠ يجزاه: يكافأ عليه. والأوفى: الأتمّ. ٤١ إلى ربك: إلى لقاء حسابه. والمنتهى: المصير النهائي بعد الموت والبعث. ٤٢ أنه أي: الله. وأضحك وأبكى، ٤٣ وأمات وأحيا أي: خلق أسباب هذه الحالات في كل إنسان. ٤٤

الجزء السابع والعشرون سورة النجم

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾
وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ
ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن
سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا
فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ
إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ
﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ
مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ
يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ
﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

المعنى العام: أن الكافرين بيوم القيامة يجعلون الملائكة إناثًا، بجهلهم وأوهامهم الباطلة واتباعهم الظن. فدعْ ـ أيها النبي ـ المشغولين عن الحق بالشهوات، ومعلوماتهم القاصرة الفاسدة، والله يعلم أوضاع الناس بالنسبة إلى الإيمان، وله ملك ما في الكون، ويجزي المسيء بالسوء، والمحسنين المتقين للمعاصي والكبائر بالجنة، وهو واسع المغفرة، ويعلم أحوال البشر قبل وجودهم وولادتهم وما يكون فيهم من الصلاح والضلال. فلْيتركوا التفاخر بالأباطيل ويتوجَّهوا إلى الإيمان والطاعة .

وانظر واعجب ـ أيها المخاطب ـ وأخبر عن حال هذا المرتدّ الوليد بن المغيرة، ترك الإيمان عندما تكفّل له صاحبه بتحمّل عقابه، على أن يأخذ مقابل ذلك مبلغًا، ثم كفر ولم يدفع كل ما وعد به. فهو لا يملك علم الغيب، ولا يعرف أن شرائع الأنبياء لا تحمّل أحدًا ذنب غيره، لأنه يُجزى جزاء ما عمل، وسيكون حسابه عند الله، الذي خلق قدرة الناس على التصرف في الأحوال المختلفة وأوجد الحياة والموت وأحوالها...

تفسير المفردات: أنه خلق: أنّ الله أوجد من العدم. والزوج: ما له مقابل لا يتكاثر إلّا به. والذكر: ما يقابله من جنسه أُنثى للتوالد. ٤٥ النطفة: القطرة الدقيقة جدًّا من ماء الرجل. وإذا تمنى: حين تصبّ وتمتزج بمقابلها. ٤٦ عليه أي: بتقديره وإرادته. والنشأة: الخَلقة. والأُخرى: الآخرة بالبعث. ٤٧ أنه أي: الله. وأغنى: أعطى الكفاية. وأقنى: يسّر ما يُدَّخر. ٤٨ الرب: الخالق المالك المتفرد. والشِّعرى: الشِّعرى العبور تكون خلف الجوزاء، عبدتْها خُزاعة وحِميَر. ٤٩ أهلك: دمّر وأفنى. وعاد: قبيلة النبي هود من العرب العاربة. والأولى: السابقة. ٥٠ ثمود: قوم النبي صالح من العرب العاربة أيضًا، وهم عاد الأُخرى. وما أبقى: لم يترك من كفارهم أحدًا. ٥١ القوم: الجماعة من الناس. ونوح: أول نبي كذّبه الكافرون. وقبلُ أي: قبلِ عاد وثمود. وأظلم وأطغى: أكثر كفرًا وطغيانًا من عاد وثمود. ٥٢ المؤتفكة: المدن المنقلبة رأسًا على عقب، قوم النبي لوط. وأهوى: أسقطها بعضها على بعض. ٥٣ غشّاها: غطّاها من الحجارة. وما غشّى أي: أعظم ما يغطي ويدمر. ٥٤ بأيّ الآلاء: بأيّةِ النعم؟ والآلاء: جمع ألًى. وهو النعمة. وتتمارى: تتشكّك وتجادل، أيها الكافر. ٥٥ هذا أي: محمد ﷺ. والنذير: المخوّف بعذاب من يكفر. والنذر: جمع نذير. والأولى: القديمة الماضية. ٥٦ أزفت: قرُبت. والآزفة: القيامة، وهي قريبة مهما بعدت. ٥٧ دون الله: غيره. والكاشفة: ما يمنع ويزيل. ٥٨ الحديث: القرآن ينقل ويبلّغ. وأتعجبون: لا تعجبوا وتَندهشوا تكذيبًا. ٥٩ تضحكون أي: سخرية وتهكمًا. ولا تبكون: لا تحزنون ولا تعولون فزعًا. ٦٠ السامدون: اللاهون الغافلون. ٦١ اسجدوا: صلُّوا. واعبدوا: أخلصوا التقديس والطاعة. ٦٢

سورة النجم

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ
عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن
دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ ٱلْقَمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟
وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ
﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

المعنى العام: متابعة نعم الله ودلائل قدرته بأنه خلق الذكر والأنثى من نطفة تُلقى، وهو يبعث الموتى ويرزق الأحياء، وخالق الكواكب ومهلك الكافرين من الأمم المتقدمة. فآيات الله الدالة على وحدانيته كثيرة ليس للمشركين ما يمارون فيه منها، وهذا محمد ﷺ كالأنبياء السابقين، يبلغ أن البعث قادم سريعًا، لا يقف دونه ولا يمنعه شيء، وليس لكم العجب أو العبث بهذا الأمر المتحقق، بل أن تستجيبوا بالتوحيد والتنزيه والعبادة.

سجدة لغير مالك

٥٤ ـ سورة القمر

تفسير المفردات: اقتربت الساعة: قرُبت القيامة جدًّا. وانشق القمر: صار فيه تباعدٌ مّا لحظة بين جزأين ثم زال. والقمر: الكوكب يضيء الليل. ١ يروا: يُبصر المشركون عِيانًا. والآية: المعجزة. ويعرضوا: ينصرفوا ساخرين. والسحر: ما يخيَّل من الأوهام. والمستمر: القوي. ٢ كذّبوا: نسبوا النبي ﷺ إلى الكذب. واتبعوا: تابعوا وانقادوا. والأهواء: جمع هوى، شهوة النفس. والأمر: الحدَث والشأن. والمستقر: المنتهي إلى ما يكون فيه من الحق. ٣ وجاءهم: وصل إليهم. والأنباء: جمع نبأ، الخبر عن الأمم المستأصَلة. والمزدجر: الردع عن العصيان. ٤ الحكمة: إصابة الحق بالعلم الكامل. والبالغة: التامة. وما تغنِ: ما تغني أي: لا تنفع المكابرين. وحذفت الياء مرّتين للتخفيف. والنذر: جمع نذير، الأمر المهدِّد بالعذاب. ٥ تولّ عنهم: اتركِ جدالهم، أيها النبيّ. ويوم أي: إلى وقت. ويدع الداع: يدعو الداعي أي: يدفع الملَك الناسَ للحشر. وحذفت الواو أيضًا للتخفيف والنكر: الفظيع تنكره النفوس.٦

المعنى العام: أن يوم القيامة يقترب، وهذا انشقاق القمر دليل على ذلك. فقد سأل أهل مكة الرسول ﷺ أن يريهم آية، وأراهم انشقاق القمر، كما يكون في الخسوف بحيلولة شيء حجب منتصف القمر في مرأى العين تلك اللحظة. لكن المشركين يكذبون مثل ذلك منساقين مع الأهواء وينسبونه إلى السحر، ولا بد أن تنتهي جميع الأمور إلى ما فيها من الحق.

فلقد بلغهم من أخبار الكافرين قبلهم ما يردعهم ويحملهم على الإيمان، ولكن المكابرين لا تفيدهم المواعظ مهما بلغت من العظمة. وعليك أن تدعهم ـ أيها النبيّ ـ وتنصرف إلى مُهِمّتك في تبليغ الآخرين، حتى يأتي حسابهم يوم القيامة بما فيه من الأهوال.

تفسير المفردات: الخشّع: جمع خاشع، الذليل المنكسر. والأبصار: جمع بصر، النظر بالعين. ويخرجون: يظهرون. والأجداث: جمع جَدَث، مكان الدفن. والجراد: حشرة تكثر في المحْل وتقرض كل نبات. والمنتشر: المتفرق في تموّج واندفاع. ٧ مهطعين أي: مسرعين مع مدّ الأعناق. والداع: الداعي المذكور في الآية ٦. وحذفت الياء للتخفيف. ويقول: يجاهر بالقول من شدة الهول. والكافرون: المكذّبون لوحدانية الله ودعوة رسوله. وهذا أي: ما نشهده. واليوم: الوقت. والعسر: العظيم الصعوبة. ٨ كذّبت:نسبَتِ الرسالةَ إلى الكذب. وقبلهم: قبل مشركي مكة. والقوم: الجماعة من الناس. ونوح: أول نبي كذّبه قومه فيما نعلم.والعبد: المخلوق المملوك. والمجنون: من فقَدَ عقله. وازدُجر: عُنّف بالسب والإيذاء. ٩ دعا ربه: استغاث به. وأني مغلوب أي: بأني تغلّب عليّ قومي. وانتصر: انتقم منهم. ١٠ فتحنا: أطلقنا. والأبواب: جمع باب، مكان العبور. والسماء: السحاب. والماء: المطر وما أشبهه. والمنهمر: المنصبّ بشِدّة. ١١ فجّرنا: شققنا. والأرض: بلاد قوم نوح. والعيون: جمع عين، الماء المتدفق. والتقى: اجتمع واحتشد. والأمر: الحكم الرباني. وقُدر: قُضي بهلاكهم. ١٢ حملناه: أنقذنا نوحًا بحمله. وذات ألواح: سفينة خشبية. والألواح: جمع لوح، الصفيحة العريضة من الخشب. والدسر: جمع دِسار، المسمار الحديدي. ١٣ تجري: تسير فوق الماء. وبأعيننا: بمرأى منّا ورعاية. والجمع مراد به المبالغة في الرعاية. والجزاء: المكافأة. وكُفر: كُذّب. ١٤ تركناها: أبقينا هذه المجازاة للمؤمنين والكافرين. والآية: العِبرة. وهل من مدكر أي: تذكروا ـ أيها المخاطَبون ـ واتعظوا لتؤمنوا. والمدّكر: المتذكر أي: المتّعظ. ١٥ كيف كان أي: كان على أفضل ما يمكن من الحق. والعذاب: التعذيب. ونذر: نذري أي: إنذاري المحقق. ١٦ يسرنا: سهّلنا وهيأنا بالوحي والتبليغ.والقرآن: ما أُوحي إلى محمد ﷺ معجزًا. والذكر: الفهم والحفظ. ١٧ عاد: قبيلة عربية قوم النبي هود. ١٨ أرسلنا: أطلقنا. والريح: الهواء المتدفق. والصرصر: الشديدة الصوت والبرودة بتقطع. والنحس: الشؤم. والمستمر: العنيف. ١٩ تنزع: تقتلع. والناس: البشر الكافرون. والأعجاز: جمع عَجُز، أصل الشجرة. والنخل: مفرده نخلة، الشجر ثمره البلح. والمنقعر: المقتلع من حفرته. ٢٠ كيف... مدّكر ٢١ و ٢٢ ثمود: قبيلة عربية قوم النبي صالح. ٢٣ البشر: الإنسان. ومنّا: من جنسنا. وأنتّبعه: لا نطيعه ولا نوافقه. وإذًا: إن اتبعناه. والضلال: الضياع مع الباطل. والسعر: جمع سَعير، نار جهنم. ٢٤ أأُلقي: لا لم يُلقَ. والذكر: الوحي. ومن بيننا أي: هو واحد منّا. والكذّاب: المبالغ في الكذب. والأشر: المتكبّر. ٢٥ سيعلمون: لا بد أن يدركوا يقينيًّا. وغدًا أي: حين العقاب. ٢٦ مرسلو الناقة: مطلقو ناقة بينهم لا يجوز التعرّض لها. والفتنة: المحنة والاختبار لهم. وارتقبهم: انتظر ـ يا صالح ـ ما يفعلون. واصطبر: تصبّر على أذاهم. ٢٧

الجزء السابع والعشرون — سورة القمر

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا أَبَشَرًا
مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ
مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ
ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

المعنى العام: متابعة ما في يوم القيامة بأن الناس يُبعثون بعنف خاشعي الأبصار، مستجيبين لنفخة إسرافيل ودعوة جبريل، وقد علم الكافرون ما يكون من الأهوال الفظيعة. ولقد كان قبل قريش مكذبون أيضًا، مثل قوم نوح اتهموه بالجنون وأهانوه، واستجاب الله دعاءه فأغرق الكافرين بالطوفان، ونجّى نوحًا والمؤمنين بالسفينة في الرعاية والصون لمن كفر قومه به، وكذلك قومُ هود أُهلكوا بالرياح المدمرة، اقتلعتهم واستأصلتهم كأصول الأشجار المجتثة، وقومُ صالح أنكروا نبوته وكذّبوه لأنه إنسان مثلهم، ولكنهم سيعلمون أنهم هم الكاذبون المتكبرون، وتكبروا على الإيمان، فامتحنهم الله بناقة، تنطلق بينهم ولا يتعرضون لها، ويكون شرب الماء موزعًا، لهم يوم من بئرهم، ولها يوم من بئرها. وأُمر صالح بالصبر ليرى ما يكون للكافرين.

وفي هذه النكبات عظة للمشركين المكذبين للنبي ﷺ. فلْيعتبروا ويؤمنوا بالتوحيد والبعث. وهذا القرآن بين أيديهم ميسّرًا للفهم والحفظ، ولكنهم لا يتعظون ولا يرعوون. وتكرار ذلك في هذه السورة مراد به تقرير الاتعاظ بكل قصة على حدة، وأن المشركين لم يعتبروا...

تفسير المفردات: نبّئهم: أعلِم الكافرين، يا صالح. والماء: ما يُشرب من الآبار. وقسمة أي: مقسوم. وبينهم أي: وبين الناقة. والشِّرب: النصيب من الشراب. والمحتضر: يحضره صاحبه في حينه ويناله. ٢٨ نادَوا: نبّهوا وحرّضوا على ذبح الناقة. وصاحبهم: جزّار من كبارهم اسمه قُدار. وتعاطى: تناول السيف. وعقر: قطع إحدى قوائم الناقة ليتمكن من الذبح. ٢٩ كيف كان أي: كان على أفضل ما يمكن من الحق. والعذاب: التعذيب. ونذر: نذري أي: إنذاري المحقّق. حُذفت الياء للتخفيف. ٣٠ أرسلنا: أطلقنا. والصيحة: الصرخة العظيمة تزلزل وتدمّر. والواحدة: المتفردة. وكانوا: صاروا. والهشيم: الشجر اليابس المفتّت المنثور. والمحتظِر: من يهيئ لغنمه حظيرة تحميها من الذئاب. ٣١ يسرنا القرآن: سهّلناه وهيأناه بالوحي والتبليغ. والذكر: الفهم والحفظ. وهل من مدكر أي: تذكروا ـ أيها المخاطَبون ـ واتعظوا لتؤمنوا. والمدَّكر: المتذكر أي: المتعظ. ٣٢ كذّبت: نسبت إلى الكذب. والقوم: الجماعة من الناس. ولوط: ابن أخي إبراهيم كان في مدن قرب حِمص. والنذر: الأقوال المنذرة لهم. ٣٣ الحاصب: الريح تحمل الحجارة. وآل لوط: ابنتاه وزوجته الثانية المؤمنة. ونجيناهم: أنقذناهم. والسحر: آخر الليل. ٣٤ النعمة: الإنعام بالفضل. ومن عندنا: بتقديرنا. وكذلك: مثلَ ذلك الجزاء. ونجزي: نكافئ. وشكر: أثنى على النعم بإيمانه وطاعته. ٣٥ أنذرهم: هدّدهم لوط وخوّفهم. والبطشة: الانتقام بالعذاب. وتماروا: شكّكوا وكذّبوا. ٣٦ راودوه: طلبوا منه مِرارًا بالعنف. وعن ضيفه أي: التخلي عن الملائكة ليلوط الكافرون فيهم. وطمسنا. أعمينا ومسحنا. والأعين: جمع عين، عضو البصر. وذوقوا أي: قائلين لهم: تحسَّسوا وكابدوا. ٣٧ صبَّحهم: نزل بهم صباحًا. والبكرة: وقت الصبح. والمستقر: الثابت. ٣٨ فذوقوا... مدكر ٣٩ و ٤٠ جاء: أتى وبلّغ. وآل فرعون: قوم ملك مصر. والنذر: الإنذار على لسان موسى. ٤١ كذّبوا: أنكروا ونسبوا إلى الكذب. والآيات: المعجزات الدالة على صدق موسى. وأخذناهم: عاقبناهم بالغرق انتقامًا. والعزيز: القوي الغالب. والمقتدر: العظيم القدرة لا يعجزه شيء. ٤٢ أكفّاركم أي: ليس كافروكم، يا قريش. و خير: أفضل مكانة وقوة. وأولئكم: الذين ذكروا في الآيات ٩-٣٩. وأم لكم: بل ليس لكم. والبراءة: التبرئة والخلاص. والزبر: جمع زَبور، الكتاب الموحَى. ٤٣ أم يقولون: بل يقول كفّار قريش. والجميع: الجمع الكبير. والمنتصر: الذي سيتغلب في معركة بدر. ٤٤ سيهزم: لا بد أن يخسر ويهرب. ويولُّون: يوجّهون إلى عدوهم. والدبر: ظهورهم. ٤٥ الساعة: يوم القيامة. والموعد: الوقت المحدّد للعذاب العظيم. وأدهى: أفظع من عذاب الدنيا. وأمرّ: أشدّ مرارة. ٤٦ المجرمون: الكافرون الذين يموتون على الكفر. والضلال: الضياع مع الباطل في الدنيا. والسعر: جمع سَعير، نار جهنم في الآخرة. ٤٧ اليوم: الوقت. ويسحبون: يجرّون بالعنف. والوجوه: جمع وجه. والمس: الإصابة والنيل. وسقر: اسمٌ علم لجهنم. ٤٨ الشيء: ما هو موجود. وخلقناه: أنشأناه. وبقدر أي: مقدرًا متقنًا مرتَّبًا، على حسب ما اقتضته الحكمة البالغة. ٤٩

الجزء السابع والعشرون — سورة القمر

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا
كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ
أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ
فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ
وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ
﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

المعنى العام: أن النبي صالحًا أعلم قومه بتوزيع الشرب بينهم وبين الناقة، فما تحملوا مشاق الإيمان والطاعة، وحرّضوا من ذبحها، فنزل بهم عذاب محقَهم، وهو على أحسن ما يمكن واقعًا موقعه. وكذلك كانت حالُ قوم لوط كذّبوا تهديده، وأرادوا أن يفجروا بالملائكة، فمُسخت وجوههم وسَحقهم الزلزال ليذوقوا العقاب، ونجا لوط ومن آمن معه، وحالُ فرعون وقومه أنكروا معجزات موسى فأُهلكوا خنقًا في البحر بانتقام القوي المقتدر. وقد يسر الله كل ذلك وأمثاله في القرآن تذكيرًا وعظة دون جدوى. فلْيحفظه الناس بعدُ ويتعظوا به. وليست قريش أفضل من تلك الأقوام لينجوا من العذاب، وليس معهم ما يبرئهم من العقاب. وهذا أبو جهل يفتخر بجيشه قبل معركة بدر قائلاً «إنّا جميع منتصر»، فتنزل الآية بشارة بالهزيمة لهم، وبالعذاب الأفظع في جهنم. فهم يُقتلون في الدنيا، ويقاسون أهوال النار في الآخرة، موبَّخين بما يذوقون من الهوان والعقاب. وكل ذلك قدّره الله بحكمة وإتقان، كما خلق الكون وما فيه.

تفسير المفردات: الأمر: القضاء للشيء. وواحدة أي: إرادة واحدة لا تحتاج إلى تكرار. واللمح: النظر الخاطف. والبصر: العين. ٥٠
أهلكنا: أفنينا. والأشياع: جمع شيعة. وهي الشَّبيه. والمدّكر: المتذكّر المتَّعظ. ٥١ الشيء: ما يحصل. فعلوه: اكتسبوه. والزبر: جمع زَبور، الكتاب
المسجّل. ٥٢ الصغير: اليسير. والكبير: العظيم. والمستطر: المكتوب في اللوح المحفوظ. ٥٣ المتقون: الذين يتجنبون سخط الله ويطلبون رضاه
بالطاعة. والجنات: جمع جنة، البستان العظيم بالنعيم الأبدي. والنهر: المجرى الكبير بالماء واللبن والعسل. ٥٤ المقعد: موضع القعود.
والصدق: الخالي من الباطل واللغو. وعند مليك: في المنزلة العالية المقرَّبة من عزيز المُلك. والمقتدر: القادر على كل شيء دون معين أو منازع. ٥٥
المعنى العام: أن ما يريده الله يحصل فورًا بمجرد الإرادة، إنما هي إرادة فقط، يكون معها القضاء والوجود للمراد. وقد استأصل كثيرًا من أمثال
كافري قريش. فليتذكروا ويتعظوا، مع أن كل ما يفعلون مكتوب، يسجله الملائكة الذين يراقبون الناس لمعرفة ما يصدر عنهم، وهو أيضًا في
اللوح المحفوظ، سِجلّ ما كان وما سيكون في الوجود. وسيحظى المتقون في جنات عامرة بالقصور والأنهار والنعيم، ولهم فيها مجالس كريمة
عند الله المالك للكون والحياة والمقتدر على ما يريد.

الجزء السابع والعشرون — سورة الرحمن

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ
فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ
﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ
مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

٥٥ ـ سورة الرحمن

تفسير المفردات: الرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان إلى خلقه. ١ علَّم
القرآن: خلق في البشر قدرةً على تعلم التلاوة والفهم وملَكةً لاكتساب الخبرات.
٢ خلق الإنسان: أوجده من العدم. ٣ علمه البيان: خلق فيه الاستعداد للتواصل
باللغة وما يشبهها من وسائل التعبير، والقدرة على اصطناع اللغة وتنميتها. ٤
الشمس والقمر: كوكبا النهار والليل. وبحسبان أي: يجري كل منها ويدور في
فلكه بحساب متقن. ٥ النجم: النبات بلا ساق. والشجر: النبات له ساق.
ويسجدان: يخضعان لِما خُلقا لأجله. ٦ السماء: ما يحيط بالأرض من جو وأجرام
وعوالم عُلوية. ورفعها: خلقها كالبنيان عالية. ووضع الميزان: شرع العدل وأمر به.
٧ ألّا تطغوا: لأجل ألّا تجوروا. وفي الميزان: في استعمال ما يستعان به لتقدير
الأشياء. ٨ أقيموا الوزن: اجعلوا ما يوزن ويقدّر بلا زيادة ولا نقصان.
والقسط: العدل. ولا تُخسروا الميزان: لا تنقصوا الموزون ولا تبدلوا نوعه
المعيَّن. ٩ الأرض: موطن الحياة الدنيا. ووضعها: خلقها وجعلها مستقرة ممهّدة.
والأنام: المخلوقات الدنيوية. ١٠ الفاكهة: الثمار المستلذّة. والنخل: الشجر ثمره
التمر. وذات الأكمام أي: صاحبة أوعية الزهر وحب الإخصاب. والأكمام: جمع كِمّ. ١١ الحب: مفرده حبة، الثمار الصغيرة تكون في السنابل
وأشباهها. وذو العصف: صاحب ما يكون من التِّبن. والريحان: الزهر العطر. ١٢ أيّ الآلاء: ما النعمة؟ والآلاء: النعم، جمع أَلَى. والربّ:
الخالق المالك المتفرد. وتكذّبان أي: تُنكران خلق الله لها، أيها الإنس والجانّ. ١٣ الصلصال: الطين اليابس يُسمع له صلصلة حين يُقرع.
والفخار: الطين المشوي بالنار. ١٤ الجانّ: مخلوقات غير مرئية منها المؤمنون والشياطين. والمارج: اللهب. ١٥ فبأي... تكذبان ١٦

المعنى العام: لما نزلت الآية ٦٠ من سورة الفرقان قال المشركون: «ما نعرف الرحمن»، فنزلت هذه السورة. فالرحمن خلق الإنسان
وقُدراته على التعلم والعمل، والشمس والقمر يتحركان بدوَران أو انتقال أو بهما معًا في نظام محكم، والنبات خاضعًا لِما وجد لأجله،
والسماء عالية متقنة، والعدل بين الخلق كلهم ليقوم الناس بمثل ذلك، والأرض مسهّلة للحياة خلافًا للكواكب الأُخرى، وفيها
النباتات للغذاء والزينة والمتاع. هذا بعض نِعم الله الرحمن، فأيَّ نوع منها تُنكران خلق الله له ـ أيها الإنس والجانّ ـ أالنعمَ المذكورة هنا
أم غيرَها؟ ثم إنه أنشأ الإنسان من الطين الجافّ المصلصِل، والجنّ من لهب النار. فهل تنكران نفوسكما في هذا الخلق؟

تفسير المفردات: الربّ: الخالق المالك المتفرد. والمشرقان: أمكنة شروق الشمس من الأفق في الأيام المختلفة. والمغربان: أمكنة غروبها كذلك. عُبّر بالمثنى عن الجمع في الموضعين. ١٧ أيّ الآلاء: ما النعمة؟ والآلاء: النعم، جمع أَلًى. وتُكذِّبان أي: تُنكران خلق الله لها وكونها نعمة، أيها الإنس والجانّ. ١٨ مرج: خلق وأطلق للحركة والتموج. والبحران: ما اجتمع فيهما ماء عذب أو مالح. ويلتقيان: يتجاوران دون فاصل أحيانًا. ١٩ البرزخ: مكان التقاء الماءين، يبقى فيه كل منهما على طعمه كأنه مفصول بحاجز. ولا يبغيان: لا يختلطان بطغيان أحدهما على الآخر. ٢٠ فبأي... تكذبان ٢١ يخرج: يظهر للغواصين. واللؤلؤ: جوهر يكون في الصدف واحدته لؤلؤة. والمرجان: خرز أحمر واحدته مَرجانة. ٢٢ فبأي... تكذبان ٢٣ له أي: مُلكه ويتصرف وحده. والجوارِ: الجواري أي: السفن جمع جارية. وحذفت الياء للتخفيف. والمنشآت: المصنوعات. والأعلام: الجبال المرتفعة، جمع عَلَم. ٢٤ فبأي... تكذبان ٢٥ مَن أي: شيء مخلوق. وعليها: على الأرض. والفاني: الهالك المتلاشي. ٢٦ يبقى: يستمر بلا قيد زمني. و وجه ربك أي: وجهه مع التنزيه التام عن صفات الخلق. وذو الجلال: المستحق بذاته وصفاته أن يعظَّم. والإكرام: الإحسان بالخير على المؤمنين. ٢٧ فبأي... تكذبان. ٢٨ يسأله: يطلب منه العطاء بالدعاء. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم علوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. واليوم: الوقت. وشأن: أمر عظيم، أي: شؤون لا تحصى من الخلق والعطاء والتصرف. ٢٩ فبأي... تكذبان ٣٠ سنفرغ لكم: لا بد أن نقصد لحسابكم يوم القيامة. والثَّقَل: الخلق المحمول في الدنيا. والثقلان: الإنس والجانّ. ٣١ فبأي... تكذبان. ٣٢ المعشر: الجماعة ذات عُشرة واحدة. والجنّ: مخلوقات من نار، واحدها جنِّيّ. والإنس: البشر، واحدهم إنسيّ. واستطعتم: قدرتم. وتنفذوا: تخرجوا. والأقطار: الجوانب والنواحي، جمع قُطر. وانفذوا: انطلقوا. والسلطان: القوة القادرة على الخلاص. ٣٣ فبأي... تكذبان. ٣٤ يرسل: يطلق، إن حاولتم الفرار. والشواظ: اللهب المحرق. والنحاس: الدخان الملتهب. ولا تنتصران: لاتمتنعان من الهلاك. ٣٥ فبأي... تكذبان. ٣٦ انشقت: تفطّرت. وكانت: صارت. والوردة: الزهرة الحمراء. والدهان: الجلد الأحمر. ٣٧ فبأي... تكذبان. ٣٨ يومئذ: يوم تنشق السماء. ولا يسأل: لا يناقَش للحساب. والذنب: المعصية. ٣٩ فبأي... تكذبان. ٤٠

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ
وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ
أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ
﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ
إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

المعنى العام: متابعة ذكر النعم بأن الله خلق المشارقَ والمغارب وما بينهما، من تعدد في ذلك على مدى الأعوام، والبحارَ بأنواعها تتصل وتنفصل أحيانًا بحاجز يكون على جانبيه عذب وملح متمايزان، وفي مجموع العذب والملح ما يُخرجه الغوّاصون من المجوهرات ـ فخروج اللؤلؤ من البحر الملح، وجازت نسبته إليهما معًا لامتزاج العذب بالآخر بعد انصبابه فيه ـ وخلق أيضًا في البشر صناعة السفن الجارية في المياه كالجبال. والمخلوقات كلها متلاشية، والبقاء لله العظيم المكرِم، وهي تسأله العطاء بكلام ظاهر أو انكشاف الذلة والحاجة دون كلام.

ولمّا زعم اليهود أن الله لا يقضي يوم السبت شيئًا نزلت الآية ٢٩ تردّ عليهم زعمهم، بأن له في كل لحظة ما لا يحصى من التقدير والمِنح والخلق والتصرف في الكون والحياة. فانتظروا يوم القيامة ـ أيها الإنس والجانّ ـ حيث يحاسبكم بما فعلتم، ولن تستطيعوا الخلاص من الملكوت والقضاء، مهما فعلتم، لأن المحاولة الطائشة في الفضاء تسبب الفناء بالشهب الملتهبة، ولا نجاة منها أبدًا. وحينما تتمزق السماء وتظهر حمرتها الخفية بانقضاء الحياة الدنيا، يؤجّل حسابكم إلى البعث والحشر.

هذه بعض نعم الله الرحمن بالخير والتحذير من البلاء، فأيَّ نوع منها تنكران خلق الله له وكونه نعمة عليكم ـ أيها الإنس والجانّ ـ ألنعمَ المذكورة هنا أم غيرَها؟

تفسير المفردات: يُعرف: يميَّز ويُكشف لمرأى الجميع. والمجرمون: المنهمكون في الكفر والفساد باختيار وعزم. والسيما: العلامة المميِّزة بتلوّن الوجوه من الفزع. ويؤخذ: يمسك ويجرّ إلى جهنم. والنواصي: جمع ناصية، الشعر في مقدَّم الرأس. والأقدام: جمع قدم، ما يطأ به الإنسان الأرض. ٤١ أيّ الآلاء: ما النعمة؟ والآلاء: النعم، جمع ألَى. وتُكذِّبان أي: تنكران خلق الله لها وكونها نعمة، أيها الإنس والجانّ. ٤٢ هذه أي: ما أنتم فيها تقاسون الأهوال. وجهنم: دار العذاب في الآخرة. ويكذب بها: كان في الدنيا ينكر وجودها. والمجرمون: الكافرون المقترفون للجرائم. ٤٣ يطوفون: يتحرّكون ويجولون. وبينها: بين نارها. والحميم: الماء الملتهب. والآنيْ: النهائيّ الحرارة. ٤٤ فبأي... تكذبان. ٤٥ خاف: خشي واستعدّ بالتقوى والطاعة. ومقام ربه: الوقوف أمامه يوم القيامة. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والجنة: البستان العظيم فيه الشجر والقصور والنعيم. ٤٦ فبأي... تكذبان. ٤٧ ذواتا أي: صاحبتا، واحدتها ذات. والأفنان: أغصان الأشجار، جمع فَنَن. ٤٨ فبأي... تكذبان. ٤٩ فيهما: في كل من الجنتين. والعين: اليَنبوع من الماء أو اللبن أو العسل أو الخمر. وتجري: تسيل بسرعة. ٥٠ فبأي... تكذبان. ٥١ الفاكهة: الثمار المستلذّة. والزوج: ما يكون له مقابل من جنسه للتكاثر. ٥٢ فبأي... تكذبان. ٥٣ متكئين أي: جالسين باطمئنان وأمان.

الجزء السابع والعشرون سورة الرحمن

يَعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ
﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ
زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ
بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ
وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ
ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

والفرش: جمع فِراش، ما يُمهد من الأثاث للجلوس عليه أو النوم. والبطائن: جمع بِطانة، ما يحشى به الفراش. والإستبرق: ما غلُظ من الحرير. وجنى الجنتين: ما يُجنى من كل الجنتين للمُكرَم. والداني: القريب التناول. ٥٤ فبأي... تكذبان. ٥٥ فيهن: في الجنتين وما تحويانه. والقاصرات الطرف: الحابسات نظرَهنّ على أزواجهنّ. ولم يطمثهنّ: لم يجامعهنّ. والإنس: البشر، واحدهم إنسي. وقبلهم: قبل الأزواج. والجانّ: الجنّ، مخلوقات من النار فيهم المؤمنون والشياطين. ٥٦ فبأي... تكذبان. ٥٧ الياقوت: جوهر أحمر مشهور بشفافيته وبريقه، واحدته ياقوتة. والمرجان: الخرز الأحمر. ٥٨ فبأي... تكذبان. ٥٩ هل جزاء الإحسان: ليس ثواب الإخلاص في العبادة. والإحسان: الإكرام بالنعيم في الجنة. ٦٠ فبأي... تكذبان. ٦١ دونها أي: غيرالجنتين المذكورتين قبلُ. وجنتان أي:أُخريان مغايرتان.٦٢ فبأي... تكذبان. ٦٣ المدهامة: القريبة من السواد لشدّة خضرتها. ٦٤ فبأي... تكذبان. ٦٥ النضاخة: الفوّارة بالماء دائمًا. ٦٦ فبأي... تكذبان. ٦٧

المعنى العام: متابعة ذكر النعم بأن الكافرين يُعرفون يوم القيامة بعلاماتهم، من تلوّن الوجه والاضطراب فزعًا، وتُحزم أقدامهم من خلف بنواصيهم المتهدلة، ليلقَوا في جهنم، وتقول لهم الزبانية تأنيبًا وإهانة: هذه النار التي كذّبتم حصولها. وهم يضطربون بين النار وشرب الماء الملتهب.

هذه نتائج الكفر لنعم الله الرحمن فما الذي تنكران خلق الله له ـ أيها الإنس والجان ـ أالنقمَ المذكورة هنا أم غيرَها؟ أما المستعد بالصلاح للقاء ربه، من الإنس والجانّ، فله جنتان عظيمتان، عامرتان بالأشجارِ والقصور والينابيع الجارية والفواكه الدائمة، يستقر باطمئنان على الأثاث الفاخر، خفيُّه من الحرير الغليظ وظاهره من الرقيق الطري، والثمارِ ناضجة قريبة المنال، والزوجات تغض أبصارها حياء وخفرًا، لم يفتضّهن لإزالة البكارة أحد من قبل، أي: لم يتصل بهن ذكر، وهن خالصات لأزواجهن، مخلوقات ابتداء لهم دون ولادة، وكل منهنّ كالياقوت والمرجان في الجمال والصفاء. وهذا ثواب من أحسن الإيمان والطاعة. ثم يكون جنتان أُخريان لمن خاف مَقام ربه واستعد له أيضًا، وهو غير المذكور في الآية ٤٦، اشتدت خضرة النبات فيهما حتى قاربت السواد، وجرت الينابيع بالماء أو الخمر أو العسل أو اللبن، لاينتهي ذلك أبدًا.

هذه بعض نعم الله الرحمن، فأيّ نوع منها تنكران خلق الله له ـ أيها الإنس والجانّ ـ أالنعمَ المذكورة هنا أم غيرَها؟

تفسير المفردات: فيهما أي: في الجنتين المذكورتين أخيرًا. والفاكهة: الثمار المستلذّة. والنخل: الشجر ثمره البلح واحدته نخلة. والرمان: شجر ثمره كالكرة، فيه حبّ لذيذ حامض أو حلو أو بينُ بينٍ. ٦٨ فبأي... تكذبان: انظر ما مضى في الصفحات قبل. ٦٩ فيهن أي: في الجنتين وما تحويانه. والخيْرات: النساء الفاضلات المتميزات. والحسان: جمع حسناء في الموضعين. وهي الفائقة الجمال. ٧٠ فبأي... تكذبان. ٧١ الحور: جمع حوراء، ذات العينين الشديدتَي السواد والبياض مخلوقَة من الطِّيب. والمقصورة: المطمئنة في خِدرها لا تطمح إلى غير زوجها. والخيام: جمع خِيَم. والخِيَم: جمع خَيمة، موضع للإقامة الموقتة. ٧٢ فبأي... تكذبان. ٧٣ لم يطمثهنّ: لم يجامعهنّ. والإنس: البشر، واحدهم إنسي. وقبلهم: قبل الأزواج. والجانّ: الجنّ، مخلوقات من النار فيهم المؤمنون والشياطين. ٧٤ فبأي... تكذبان. ٧٥ متكئين أي: جالسين باطمئنان وأمان. والرفرف: واحدته رفرفة، الوسادة أو البساط يُطرح على وجه السرير. والخضر: جمع خضراء. والعبقري: واحدته عبقرية، طِنفسة ذات خَمَل رقيق فائقة الجَودة كأنّها من صناعة الجنّ. ٧٦ فبأي... تكذبان ٧٧ تبارك: تعالى وتعظّم. والاسم: ما يذكر لتمييز المسمَّى. والرب: الخالق المالك المتفرد. وذو الجلال: المستحق وحده بذاته وصفاته أن يعظَّم. والإكرام: الإحسان بالخير على المؤمنين. ٧٨

المعنى العام: متابعة ذكر النعم بأن الجنتين الأُخريين فيهما الفواكه والثمار، والنساء المتميزات بطيب الأخلاق والجمال الفائق، أبكارًا مستورات في الخيام، والأزواج مطمئنون على أسرّة فاخرة بالوسائد والبُسط وعلى طنافس فائقة الجمال. هذه بعض نعم الله الرحمن، فأيَّ نوع منها تنكران خلقَ الله له أو كونه من النعم ـ أيها الإنس والجان ـ أالنعمَ المذكورة هنا أم غيرَها؟ فالتعظيم الكامل لاسم الله ولذاته، وهو المتفرد بالتعالي والإحسان.

الجزء السابع والعشرون　سورة الواقعة

فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ
مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ　ترتيبها ٥٦　آياتها ٩٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾
فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

٥٦ ـ سورة الواقعة

تفسير المفردات: وقعت: جاءت وحصلت بعنف وشدّة، حين البعث والنشور. والواقعة: القيامة أي: قيام الناس من القبور للحساب. ١ وقعتها: حصولها فعلًا. والكاذبة: التكذيب. ٢ الخافضة: المُذِلّة المُهينة للكافرين والعصاة. والرافعة: المُعِزّة المُكرمة للمؤمنين والصالحين. ٣ رُجّت: زُلزلتْ وقُلقلت. والأرض: مكان الحياة الدنيا. ٤ بُسّت: فُتّت ونثرت. والجبال: جمع جبل، ما ارتفع وغلظ من الأرض. ٥ كانت: صارت. والهباء: الغبار. والمنبث: المنشر في الفضاء. ٦ كنتم: انقسمتم وصرتم، أيها الناس. والأزواج: جمع زوج، الصِّنف يقابل غيره من أصناف جنسه. ٧ الأصحاب: جمع صاحب، من يلازم الشيء. والميمنة: اليُمن والبركة لتلقي سجلّ الأعمال باليد اليمنى. وما أصحاب الميمنة: أيُّ عظَمة لهم ! ٨ المشأمة: الشؤم والبؤس لتلقي السجلّ بيد الشمال. وما أصحاب المشأمة: أيُّ شقاء لهم ! ٩ السابقون: من تقدّموا غيرهم وسبقوهم إلى الإيمان والطاعة، دون تلعثم أو توان، ومنهم الأنبياء. ١٠ المقربون: الذين علت منزلتهم عند الله وقرُبت. ١١ الجنّة: الحديقة العظيمة فيها الأشجار والقصور والأنهار. والنعيم: الخير العميم. ١٢ الثلة: الجماعة. والأولون: الأمم المتقدمة. ١٣ القليل: العدد اليسير. والآخرون: آخِر الأمم، أي: أُمّة الإسلام. ١٤ السرر: جمع سرير، ما يعلو ويستقر للنوم أو الجلوس. والموضونة: المنسوجة والمزخرفة بالذهب والجواهر. ١٥ ومتكئين أي: مضطجعين بطمأنينة. ومتقابلين: يتبادلون الزيارة واللقاء والأنس بمودّة. ١٦

ربع الحزب ٥٤

المعنى العام: إذا جاءت الساعة فعلًا وحضرها الناس حقيقة، ولا مجال لتكذيبها حين وقوعها لأنها حدثت فعلًا، وهي توزعهم في مراتب من العزة والمذلة، حيث تُزلزل الأرض وتُنثر الجبال هباء، هنالك يكونون على درجات ثلاث: أهل اليمن ينالون كتبهم باليمين وما أعظم حالهم ! وأهل الشؤم ينالونها بالشمال وما أحطّ حالهم ! والمتميزون بالسبق إلى الإيمان والجهاد، يقرّبون بإكرام الله في أرفع المراتب والنعم، وهم كثير من الأنبياء والصالحين القدماء وقليل من المسلمين بالنسبة إلى أولئك، لهم مجالس فائقة العظَمة والراحة، مطمئنين وادعين في تقابل وزيارات وتواصل...

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ
﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ
الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ
الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ
الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ
عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

تفسير المفردات: يطوف عليهم: يحوم حول السابقين المقرَّبين. والولدان: الأولاد، جمع وليد. والمخلَّدون: الذين لا يهرمون. ١٧ بأكواب: مع قِداح لا آذان لها. والأكواب: جمع كوب. والأباريق: جمع إبريق، وعاء له أذن وخرطوم. والكأس: إناء للخمر. والمعين: الخمر الجارية دائمًا. ١٨ لا يُصدّعون عنها: لا يصير لهم صُداع بسببها. ولا ينزفون: لا تذهب عقولهم كما يكون من خمر الدنيا. ١٩ الفاكهة: الثمار المستلذّة. ويتخيرون: يفضّلونه. ٢٠ اللحم: العضل. والطير: واحده طائر، ما يعلو في الجو بجناحين. ويشتهون: يخطر ببالهم ويتمنّون. ٢١ الحور: جمع حوراء، النجلاء العَين مع شِدّة السواد والبياض. والعِين: جمع عيناء: الواسعة العَين مع حسن وجمال. ٢٢ الأمثال: جمع مِثل. وهو الشبيه. واللؤلؤ: الدرر البراقة واحدتها لؤلؤة تخرج من الأصداف. والمكنون: المحفوظ برعاية واهتمام. ٢٣ الجزاء: الثواب. ويعملون: يكتسبونه. ٢٤ لا يسمعون فيها: لا يدرك سمعهم في الجنّة. واللغو: ما لا ينفع من الكلام. والتأثيم: ما يسبب المعصية. ٢٥ قيلًا أي: قولًا. وسلامًا أي: يسلّم بعضهم على بعض بدعاء السلامة من كل سوء. ٢٦ الأصحاب: جمع صاحب، الملازم للشيء. واليمين: اليُمن والبركة. وما أصحاب اليمين: أيُّ عظَمَة لهم ! ٢٧ السدر: شجر له ثمر مذاقه لذيذ ورائحته عطرة. والمخضود: لا شوك فيه. ٢٨ الطلح: الموز، شجر هلالي الثمر وأصفر اللون. والمنضود: المتراكب بانتظام. ٢٩ الظل: ما ينعكس وراء الشيء إذا تعرض لضوء. والممدود: الدائم. ٣٠ الماء: السائل المشروب بلا لون ولا طعم ولا رائحة. والمسكوب: الجاري دائمًا. ٣١ الكثيرة: الوافرة جدًّا. ٣٢ لا مقطوعة: لا تُفقد. ولا ممنوعة: لا يُمنع تناولها. ٣٣ الفُرش: جمع فِراش، ما يبسط للنوم أو الجلوس. والمرفوعة: العالية على السرر. ٣٤ أنشأناهنّ: خلقنا الحُور العِين من غير ولادة. ٣٥ جعلناهنّ: خلقناهنّ. والأبكار: العذارى، جمع بِكر. ٣٦ العُرب: جمع عَروب، المتحبّبة إلى زوجها. والأتراب: المتساويات في الشباب الدائم، جمع تِرب. ٣٧ لأصحاب اليمين أي: لهم خاصة. ٣٨ الثلة: الجماعة. والأولون: الأقوام المتقدمة. ٣٩ الآخرون: الأقوام المتأخرة أي المسلمون. ٤٠ الشمال: الشؤم والبؤس. وما أصحاب الشمال: أيُّ شؤم لهم ! ٤١ السموم: ريح النار تنفذ في مسامّ الجلد. والحميم: الماء في نهاية الحرارة. ٤٢ اليحموم: الدخان الأسود. ٤٣ لا بارد: ليس فيه برودة. ولا كريم: ليس فيه منظر حسن. ٤٤ ذلك أي: يوم القيامة. ومترفين أي: منعمين أفسدتهم النعم. ٤٥ ويصرّون: يستمرون بعناد. والحنث: كبائر الذنوب. والعظيم: الضخم جدًّا، أي: الشرك وما يتبعه. ٤٦ إذا متنا: حين موتنا. وكنا: صرنا. والتراب: ما تفتت من وجه الأرض. والعظام: جمع عظم، القصب أو اللوح في الجسم كان يكسوه اللحم. وأإنا لمبعوثون أي: لسنا مبعوثين. ٤٧ الآباء: جمع أب. وهو الجدّ. والأولون: الأقدمون. ٤٨ قل أي: للكافرين، أيها النبيّ. ٤٩ المجموعون: المحشورون بالقهر والعنف. والميقات: الوقت. واليوم: الزمن. والمعلوم: المعيَّن عند الله. ٥٠

المعنى العام: متابعة وصف السابقين المقربين في الجنة بأنهم يخدمهم فتيانٌ، بتقديم الخمر الربانية، والفاكهة واللحوم الشهية، ونساءٌ فائقات الجمال والعفة والصفاء، مع أحاديث كلها خير وتحيات طيبات، ثوابًا لصلاحهم المتميز.

أما أصحاب اليمن فحالهم عظيمة جدًّا: جنّاتهم مترعة بالأشجار المثمرة، والظلال والمياه والفواكه الدائمة، والأسِرّة الفخمة، وحولهم النساء الشابات الأبكار المحِبّات، وهم مجموعات من الأمم المتقدمة والمتأخرة، وأما أصحاب الشؤم فحالهم مشؤومة جدًّا: خالدون في الجحيم، حيث اللهيب النافذ والماء المتلهّب والظل القاتم المحرق، لأنهم عاشوا في الدنيا مفتونين بالترف والشرك والشهوات، ينكرون البعث بعد الموت.

فقل لهم الآن، أيها النبي: سيُحشر جميع الناس في يوم القيامة، كما قدّر الله...

تفسير المفردات: الضالون: الخارجون عن طريق الحق. والمكذّبون: المنكرون للتوحيد والبعث. ٥١ الآكلون: المتناولون كطعام في جهنم. والزقُّوم: شجر ثمره أخبث الثمار وأفظعها. ٥٢المالئون: الآكلون ما يملأ. البطون: جمع بطن، ما بين الصدر والفخذين. ٥٣ الشاربون: المتناولون كشراب. وعليه: فوق الزقُّوم. والحميم: الماء الشديد الحرارة. ٥٤ الهيم: جمع هيمان، ما كان من الإبل مصابًا بالهُيام، يشرب ولا يروى حتى يموت. ٥٥ هذا أي: ما ذكر من أهوال جهنم. والنزل: ما يقدّم للضيف. واليوم: الوقت. والدين: الجزاء. ٥٦ خلقناكم: أوجدناكم من العدم. ولولا: هلّا، للتحضيض. ولولا تصدقون: هيّا سارعوا إلى الاعتقاد يقينًا بالبعث وقدرة الله عليه. ٥٧ أرأيتم: تفكروا وأخبروني. وتمنون: تقذفونه من المني في الأرحام.٥٨ تخلقونه: تنشئونه إنسانًا سويًّا. ٥٩ وقدّرنا: قضينا بالوجوب والإلزام. والموت: مفارقة الروح للجسد. وما نحن أي: لسنا. وبمسبوقين أي: عاجزين. ٦٠ على أن نبدل: عن تبديل خلقٍ بكم. وأمثالكم: أشباهكم من البشر. والأمثال: جمع مِثْل. وننشئكم: نخلقكم. ولا تعلمون: لا تعرفونه من الصور والأشكال. ٦١ علمتم: عرفتم يقينًا. والنشأة: الخَلقة من العدم. والأُولى: التي في الرحِم. ولولا تذَّكّرون: هيّا سارعوا إلى الاتعاظ لتعرفوا أن من قدر على الخلقة الأُولى قادر على البعث. حذفت التاء الثانية للتخفيف. ٦٢ تحرثون: تثيرون الأرض وتبذرون فيها. ٦٣ تزرعونه: تُنبتونه.٦٤ نشاء: نريد إتلافه. وجعلناه: صيّرناه. والحطام: التالف المحطّم. وظلتم: ظَلِلتم: صرتم وبقيتم. حذفت اللام الأولى للتخفيف. وتفكّهون: تتفكهون أي: تتألمون قائلين. وحذفت التاء الثانية للتخفيف أيضًا. ٦٥ والمغرمون: الملزمون خسارة. ٦٦ بل نحن محرومون: لا لسنا مغرمين، وإنما نحن ممنوعون من الرزق.٦٧ الماء: السائل المشروب لا طعم له ولا لون ولا رائحة. تشربون: تتناولون للشرب. ٦٨ أنزلتموه: أسقطتم إيّاه. والمزن: السحاب، واحدته مُزنة. ٦٩ نشاء: نريد إفساده. والأجاج: الشديد الملوحة. ولولا تشكرون: هيّا سارعوا إلى الشكر على النعم بالقلب واللسان والعمل. ٧٠ النار: ما يوقد من الحطب. وتورون: تشعلونها وتوقدونها. ٧١ أنشأتم: خلقتم. والشجرة: النبتة لها ساق وفروع وأغصان. ٧٢ جعلناها: صيّرنا النار. والتذكرة: العظة لتجنب جهنم. والمتاع: ما يوصل به إلى تحقيق الحاجات. والمقوين: المسافرون في المفازة وغيرهم من الناس. ٧٣ سبح: نزّه. والاسم: ما يذكر لتمييز المسمَّى. وباسم أي: مع ذكر الاسم المبارك. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعظيم: لا مثيل له في ذاته وصفاته وأفعاله، ولا يتصوره عقل ولا تحيط بكنهه بصيرة. ٧٤ لا أُقسم أي: أحلف. والمواقع: جمع موقع، السقوط وقت الغياب. والنجوم: ما يلمع في السماء ليلًا، جمع نجم.٧٥ وإنه أي: هذا القسم. ولو تعلمون: يُتمنَّى لكم أن تعلموا ذلك. والعظيم: لا مثيل له.٧٦

الجزء السابع والعشرون — سورة الواقعة

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ
شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ
نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ
﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَا أُقْسِمُ
بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

نصف الحزب ٥٤

المعنى العام: متابعة ما يكون يوم القيامة بأن الكافرين يأكلون فيها من شجر الزقّوم، حتى تمتلئ بطونهم، ويشربون الماء الملتهب كالإبل المرضى بالهُيام. تلك منازل إقامتهم، وقد خلقهم الله ولا يصدّقون أنه يبعثهم أيضًا.

لقد كان عليهم أن يتأملوا المنيَّ الذي خلقهم منه، والموتَ الذي لا يهربون منه ولا خلاص، وقدرتَه على خلق غيرهم بدلًا منهم، ونشأتَهم الأولى في الأرحام، والنباتَ الذي يحرثون له وهو قادر على تحطيمه لييأسوا من الحياة، والماءَ الذي يُسقطه من السحب وهو قادر على جعله مالحًا مؤذيًا، والشجر الذي يوقدون من قِطعه لمنفعتهم جميعًا ولوعظهم وتذكيرهم بوجوب الإيمان. فلْيتذكروا كل هذه القدرات لله، وليستحضروا نعمه في نفوسهم ويشكروه عليها بالإيمان والطاعة والتنزيه لاسمه العظيم عما يزعمون من الأباطيل.

وقد أقسم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بمواقع النجوم، وهو قسم عظيم حقًّا، يُتمنَّى لهم أن يعلموا حقيقته، وإنما أقسم بهذه المواقع لِما فيها من الدلالة على عظمته وكمال قدرته...

تفسير المفردات: إنه أي: ما يتلى من الآيات. وقرآن أي: وحي مُعجِز من عند الله ويقرأ ويفهم. وكريم أي: عزيز مكرَّم عند الله. ٧٧ الكتاب: اللوح المحفوظ. والمكنون: المصون من التغيير والتبديل والضياع. ٧٨ لا يمسه: لا يجوز أن يلمسه أو يلمس مصاحفه. والمطهّرون: المنظَّفون من الشرك والحدَث والجنابة. ٧٩ تنزيل أي: وحي منزّل. والرب: الخالق المالك المتفرد. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٨٠ الحديث: ما يُنقل من الكلام. والمدهنون: المكذّبون. ٨١ تجعلون: تصيّرون. والرزق: ما يهيّأ للمخلوق من الحاجات. وتكذّبون: تنكرون نعم الله وتنسبونها إلى الأنواء ومعبوداتكم. ٨٢ لولا أي: هلّا، للتوبيخ والتعنيف، أُكّدت بمثلها بعدُ. وبلغتْ: ارتفعتِ الروح حين بدء الموت. والحلقوم: مجرى النفَس. ٨٣ حينئذ: وقت الموت. وتنظرون: ترون عِيانًا. ٨٤ وأقرب إليه: أدنى بالسلطان والقهر إلى منَ يعِزّ عليكم موته. ولا تبصرون: لا تعلمون ذلك. ٨٥ غير مدينين أي: غير معاقَبين بالبعث والحساب. ٨٦ ترجعونها أي: هلّا رددتم روحه إلى جسده محلها. والصادقون: الذين يقولون الحق بالكفر. ٨٧ كان أي: الميت المذكور في الآيات ٨٣ ـ ٨٥. والمقربون: ذوو المكانة العالية، أي: السابقون المذكورون في الآية ١٠ من قبل. ٨٨ الروح: الراحة والطمأنينة يوم القيامة. والريحان: الرزق الطيب. والجنّة: البستان العظيم بالسعادة. والنعيم: الخير العميم. ٨٩ أصحاب اليمين: أهل الحالة الحسنة المذكورون في الآية ٨ من قبل. ٩٠ السلام: السلامة من كل أذى. ومن أصحاب اليمين أي: لأنك منهم. ٩١ المكذبون: أصحاب المشأمة المذكورون في الآية ٩ من قبل. والضالون: الخارجون عن طريق الهدى. ٩٢ النزل: ما يقدّم لإقامة الضيف. والحميم: الماء في منتهى الحرارة. ٩٣ والتصلية: الإحراق الدائم. والجحيم: نار جهنم المسعَّرة. ٩٤ هذا: ما ذكر في السورة. والحق: الثابت فعلًا. واليقين: الخبر المتيقَّن. ٩٥ سبح: نزِّه. وباسم: مع ذكر الاسم المبارك. والعظيم: الذي لا مثيل له في ذاته وصفاته وأفعاله، ولا يتصوره عقل ولا بصيرة. ٩٦

المعنى العام: جواب القسم المتقدم أن ما يُتلى على الكافرين هو قرآن موحًى، محفوظ برعاية الله في اللوح المحفوظ، ولا يجوز أن يُلمَس هناك ولا مصاحفه بدون طهارة من الشرك والنجاسة التي يزيلها الوضوء أو الغُسل أو التيمم. فكيف يكذّبه المشركون بدل الإيمان به والشكر لله، ثم ينسبون تقدير النعم إلى الكواكب والأصنام؟ وإن كانوا صادقين في مزاعمهم، وإنكارهم للبعث والحساب، فليردّوا روح محبوبهم المحتضَر حين تخرج وهم بجانبه يراقبونه، ليستطيعوا أن يزيلوا الموت فيتحققَ نفي قدرة الله عليه وعلى البعث. ومهما يكن فالميت الذي من السابقين له نعيم الجنة والأمان الدائم، ومن الميمونين يواجَه بالتحية والإكرام، ومن المشؤومين يُقذف في جهنم بين نيرانها والمهل يُشوَى. وكل ما جاء في هذه السورة هو الحق الذي لا شك فيه. ويجب على كل مخاطب أن يتابع التنزيه لله عما لا يليق به، مع ذكر اسمه الكريم.

الجزء السابع والعشرون — سورة الواقعة

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا
ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ
أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ
﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ
﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ — ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

٥٧ ـ سورة الحديد

تفسير المفردات: سبَّح لله: نزّهه عما لا يليق به. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والعزيز: الغلّاب لا يُعجزه شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم والفعل. ١ له: استحقاقه وحده. والمُلك: الحيازة والتصرف. ويحيي: يخلق الحياة من العدم. ويميت: ينزع الحياة من الحي. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: البالغ القدرة والتصرف. ٢الأول: السابق على جميع الموجودات بلا تحديد زمن. والآخِر: الباقي بعد فنائها بدون قيد زماني. والظاهر: الواضح وجوده وألوهيته بالأدلة القاطعة. والباطن: الخفي بحقيقة ذاته عن إدراك الحواس والعقول والأوهام. والعليم: المبالغ في الإحاطة دائمًا وأبدًا. ٣

المعنى العام: أن ما في الكون يُقرُّ بتنزيه الله العزيز الحكيم، فالملائكة والمؤمنون يسبّحونه بلسان المقال، وغيرهم من الخلق يكون تنزيهه إيّاه بما يدل عليه وجوده وخضوعه، من عظمة الله وكمال صفاته. وهو متفرد بالقهرِ لغيره والحِكمةِ وخلقِ الحياة والموت، والوجودِ الدائم بلا قيد زماني والقدرةِ المطلقة.

سورة الحديد — الجزء السابع والعشرون

هو الذي خلق السموت والأرض في ستة أيام ثم استوى
على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من
السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون
بصير ﴿٤﴾ له ملك السموت والأرض وإلى الله ترجع الأمور
﴿٥﴾ يولج اليل في النهار ويولج النهار في اليل وهو عليم بذات
الصدور ﴿٦﴾ ءامنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه فالذين ءامنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴿٧﴾
وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد
أخذ ميثقكم إن كنتم مؤمنين ﴿٨﴾ هو الذي ينزل على عبده
ءايت بينت ليخرجكم من الظلمت إلى النور وإن الله بكم
لرءوف رحيم ﴿٩﴾ وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميرث
السموت والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح
وقتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقتلوا
وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ﴿١٠﴾ من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضعفه له وله أجر كريم ﴿١١﴾

تفسير المفردات: هو أي: الله تعالى.وخلق: قدّر الإيجاد وأنشأ من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من جو وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والأيام: جمع يوم، الزمن الفلكي مقداره ألف سنة أو أكثر. وثم استوى أي: وقصد على ما يليق بألوهيته وجلاله يخلق ويقدّر ويدبّر. والعرش: مخلوق عظيم يحيط بالكون كله ولا يدرك وصفه مخلوق. ويعلم: يحيط كامل الإحاطة. ويلج: يدخل من المخلوقات. ويخرج: يظهر. وينزل: يَسقط. ويعرج: يصعد. ومعكم أي: عالم بأحوالكم. وأينما كنتم: حيثما وُجدتم. وتعملون: تكتسبونه نيةً أو قولًا أو فعلًا. والبصير: المدرك للأحداث. ٤ المُلك: الحيازة والتصرف. وإلى الله أي: إلى إرادته وسلطانه. وترجع: تردّ في وجودها والتصرف فيها. والأمور: جمع أمر، شؤون المخلوقات. ٥ يولج الليل في النهار: يدخله فيه فيُنقَص من زمان الأول ما يضاف إلى زمان الثاني. وكذلك: يولج النهار في الليل. والليل: ما بين الغروب والشروق. والنهار عكسه. والعليم: البالغ الاطّلاع والإحاطة. وذات الصدور: المصاحبة لها ضمنها. والصدور: جمع صدر. والمراد منه القلبُ موطن التدبر والاعتقاد والنيات. ٦ آمِنوا: داوموا على التصديق اليقيني، أيها المسلمون. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرسول: من كلّفه الله بالدعوة مع العمل. وأنفِقوا: ابذلوا واصرفوا. وجعلكم: صيّر كم. ومستخلفين أي: خلفاء مع التزام أمره ونهيه. والأجر: الثواب. والكبير: العظيم. ٧ ما لكم: أيُّ شيء يجعلكم؟ أيها الكافرون. ويدعوكم: يبلّغكم ويحضّكم. والربّ: الخالق المالك المتفرد. وأخذ: حصّل وتلقى. والميثاق: العهد المؤكد بالفطرة. ومؤمنين: مستجيبين لإيمان بشيء. ٨ ينزّل: يوحي بدفعات. والعبد: المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والآيات: النصوص القرآنية. والبيّنات: الواضحات الدلالة. ويخرجكم: ينقلكم. والظلُمة: الكفر لفقد النور والهداية. والنور: الإيمان لوضوح الحق والصلاح. والرؤوف: العظيم اللطف بالتائبين. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان والمغفرة للمؤمنين. ٩ مالكم: ما عذركم؟ ألّا تنفقوا: في عدم الإنفاق. وسبيل الله: طاعته بما شرع لإعلاء كلمته ونصرة دينه. والميراث: الملك بعد فناء الخلق. ولا يستوي: لا يكون سواء في المنزلة والأجر. والفتح: فتح مكة. وقاتل: قاوم المعتدين بالسلاح. وأعظم: أضخم وأرفع. والدرجة: المنزلة عند الله. وبعدُ: بعدَ الفتح. وكلًّا أي: كِلا الفريقين. ووَعد: بشّر وتعهد. والحسنى: المكافأة تفوق كل نعيم الدنيا، أي: الجنّة. والخبير: العالم بالظاهر والباطن. ١٠ من ذا: من هذا؟ ويقرض: يعطي ما سيكون له عوض كالدَّين المحقَّق وفاؤه. والحسَن: الخالص النيّة والقصد. ويضاعفه: يعوّضه له الله أضعافًا بأمثاله الكثيرة. والكريم: الحسن الطيب. ١١

المعنى العام: أن الله هو الذي أوجد الكون في ستة أوقات متوالية طويلة الأمد جدًّا، أولها يقابل سبت الدنيا، وآخرها يقابل خميسها، واستوى على العرش محيطًا بما يكون، ومالكًا زمام الكائنات برجوع الحكم فيها إليه، ومتصرّفًا في تقليب الليل والنهار، وعالمًا بكل شيء حتى ما في الضمائر.

فعلى المسلمين متابعة الإيمان والجهاد بالمال والنفس والنفيس، ليكون لهم الثواب العظيم في الدنيا والآخرة، ولا مانع للكافرين من ذلك إلّا المكابرة، مادام النبي ﷺ يوجّههم إليه وهم يؤمنون أن الله خالقهم، وقد أظهر الله لهم الأدلة على وجوب الإيمان فيما يتضمنه الكون والحياة مضافًا إلى الآيات الكريمة وميثاق الفِطرة الداعية إليه مع رأفته بكم ورحمته للمؤمنين.

ولمّا كان الاستعداد لغزوة تبوك نزلت الآيات بالحض على البذل، لأن مآل الملك في الظاهر والحقيقة سيكون لله يوم القيامة، والفرق كبير بين المنفقِ المقاتل قبل الفتح والمنفقِ المقاتل بعده، وإن كان لكل خلود في الجنة. فليقدّم كل مسلم ما ينال ثوابه يوم القيامة مضاعفًا، مع رضا الله وإكرامه. وهذا أفضل نعيم وسعادة.

تفسير المفردات: اليوم: الوقت. وترى: تبصر عِيانًا، أيها الإنسان. والمؤمنون: من اعترفت قلوبهم بالتوحيد وما يلزمه. ويسعى بين أيديهم: ينتقل أمامهم يهديهم إلى الجنّة. والنور: ضياء الإيمان والصلاح. والأيدي: جمع يد. والأيمان: جمع يمين. وهي الجهة اليمنى. والبشرى: البشارة بالسعادة. والجنة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. وتجري:تسير وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. وخالدين أي: مقيمين أبدًا. وذلك أي: ما ذُكر من النعيم. والفوز: الظفر. والعظيم: الضخم لا تستطيع العقول إدراكه. ١٢ يقول أي: يجاهر بالقول. والمنافقون: من يظهرون الإيمان بألسنتهم. وانظرونا: توجّهوا إلينا بأبصاركم وانتظرونا. ونقتبس: نأخذ شعلة نستضيء بها. وقيل أي: قالت لهم الزبانية. وارجعوا: عودوا. ووراءكم: إلى حيث كنتم في الظلام. والتمسوا: اطلبوا. وضُرب: وُضع. والسور: الحاجز يحيط بالمؤمنين في طريقهم. والباب: المنفذ لمرور باقي المؤمنين. وباطنه: الجانب الداخلي منه. والرحمة: العطف بالثواب. وظاهره: الجانب الخارجي منه. ومن قِبَله أي: من جهته. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ١٣ ينادونهم: يخاطب المنافقون المؤمنين. وألم نكن: لقد كنّا. ومعكم أي: على الطاعة كالصلاة والغزو. وقالوا أي: المؤمنون لهم. وبلى أي: كنتم معنا على ذلك. وفتنتم: عرّضتم للهلاك. والأنفس: جمع نفس، ذات الإنسان بروحه وجسده. وتربّصتم: انتظرتم وقوع مصائب المسلمين. وارتبتم: شككتم وتحيرتم في الدين. وغرّتكم: خدعتكم. والأمانيّ: جمع أُمنيّة، الأطماع في المغفرة أو هزيمة المسلمين. وجاء: وقع. والأمر: الحكم بموتكم. وبالله أي: بسعة رحمته. والغَرور: الشيطان الكثير التضليل. ١٤ اليوم: هذا الوقت للحساب. ولا يؤخذ: لا يُرضى. والفدية: ما يُبذل لإنقاذ النفس. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والمأوى: مكان الالتجاء. والنار: نار جهنم. ومولاكم: أولى بكم. وبئس: بلغ الغاية في البؤس والشقاء. والمصير: المكان الذي يصار إليه. ١٥ ألم يأن: لقد حان وتحقق. وتخشع: تلين وتخضع. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. وذكر الله: تذكيره إياهم وعظته لهم. ونزل: أتى بالوحي. والحق: الشيء الثابت. وهو القرآن. ولا يكونوا: لا يصيروا. وأُوتوا: أُعطوا وكلّفوا بالاتباع. والكتاب: التوراة والإنجيل. وقبلُ: قبلِ القرآن. وطال: امتدّ. والأمد: الزمان. وقست: غلظت وتصلّبت. والكثير: العدد الغفير. والفاسقون: الخارجون على طاعة الله. ١٦ اعلموا: دوموا على التذكر، أيها المؤمنون. ويحيي: يمنح الحياة. والأرض: ما ييس منها. وموتها: همودها لفقد الماء والنبات. وبيّنّا: أظهرنا. والآيات:دلائل القدرة. ولعلكم: لترتجوا. وتعقلون: تتفتح عقولكم فتدرك الحق وتستجيب له. ١٧ المصّدّقون: المتصدّقون أي: الذين يبذلون صدقات التطوع. وأدغمت التاء في الصاد. وأقرضوا الله: أنفقوا في سبيله طاعة واحتسابًا. والحسن: الخالص لوجه الله. ويضاعف: تُجعل مكافأة قرضهم أضعافًا مضاعفة. والأجر: الثواب. والكريم: الحسن بفضل الله. ١٨

الجزء السابع والعشرون — سورة الحديد

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم
بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ
آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ
الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ
أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ
اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ
فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾
اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

المعنى العام: متابعة ما مضى من ذكر الأجر يوم القيامة، إذ يجد الناس يومئذ نور المؤمنين حولهم يهديهم إلى الجنة، والملائكة تبشرهم بما يلقون من الفوز العظيم، و المنافقون يستعطفونهم أن يعينوهم بشيء من النور فتردهم الزبانية، ويَفصل بينهم ما يحجز النعيم عن العذاب.

هنالك يحتج المنافقون بأنهم كانوا مع المؤمنين، ويجابون بأنهم نافقوا ظلموا أنفسهم وبالكيد للإسلام والاغترار بالمنافع حتى ماتوا، فلا عون ولا فدية ولا نجاة، بل عذاب جهنم، ويا له من مصير!

وهذا يعني أنه قد آن للمؤمنين في الدنيا أن يستجيبوا لطاعة الله، وتطمئن قلوبهم بذكره وتذكيره، ويخالفوا اليهود والنصارى الذين امتدت بهم الحياة، فتصلّبت قلوبهم وكثر فيهم الكفر والعصيان، وأن يتذكروا قدرة الله وآياته ليعقلوا ما يجب عليهم من العمل، ويكونَ للذين يبذلون أموالهم في سبيل الجهاد وعمل الخير أضعاف ذلك من الله مع الفضل العظيم.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ
عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ
ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ
وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ
مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠
سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ
ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ مَآ أَصَابَ
مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ
مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا
تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤

تفسير المفردات: آمَنوا بالله: صدَّقوا جميع قوله وأطاعوه. والرسل: جمع رسول، من كُلِّف بالدعوة مع العمل. والصِّدّيقون: المستغرقون في التصديق والإيمان. والشهداء: جمع شهيد، الذي يقول الحق للحكم في شأن الناس. وعند ربهم أي: يوم القيامة. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. والأجر: الثواب. والنور: الضياء للهداية إلى الجنّة. وكفروا: جحدوا التوحيد والبعث. وكذّبوا: أنكروا وكفروا. والآيات: النصوص القرآنية والأدلة الكونية على التوحيد. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم لا يفارق. والجحيم: نار جهنم الملتهبة. **١٩** اعلموا: ليكن في إدراككم دائمًا، أيها الناس. والحياة: ما في الدنيا إذا انصرف الإنسان إليها، ولم يجعلها سبيلًا لنعيم الآخرة. واللعب: العبث الذي لا طائل تحته. واللهو: الفرح بما يَشغل عن العمل الصالح. والزينة: التزيّن بمظاهر الترف والأُبّهة والترفع. والتفاخر: المباهاة والتطاول بالقوة والمال والسلطان. والتكاثر: المغالبة بكثرة العدد. والأموال: جمع مال، ما يُملك من نقد أو متاع أو زينة. والأولاد: جمع ولد، ما وُلد من الذكور والإناث. والمَثَل: الصفة. والغيث: المطر نزل بعد قحط. وأعجب: راق وشدَهَ. والكفّار: جمع كافر، الذي يبثر الحب ويغطيه بالتراب. والنبات: ما يظهر من زهر وثمار. ويهيج: يضطرب ويجفّ. وتراه: تبصره عِيانًا، أيها المخاطَب. والمصفرّ: الذي بلغ نهاية يبسه. ويكون: يصير. وحطامًا أي: يضمحلّ ويتلاشى. والآخرة: الحياة يوم القيامة. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والشديد: العنيف. والمغفرة: ستر الذنوب والعفو للمؤمنين. ومن الله: من عنده تكرُّمًا. والرضوان: المبالغة في الرضا. والمتاع: التمتّع والتنعم. والغرور: الاغترار بما لا يدوم. **٢٠** سابقوا: سارعوا كالمتسابقين. والجنّة: البستان الفخم بالنعيم الأبدي. والعرض: السَّعة في جميع الجهات. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وأُعدّت: خُلقت وهيِّئت. وذلك: ما ذُكر من الثواب. والفضل: التفضل بالنعيم. ويؤتيه: يعطيه. ويشاء: يريد الله أن يؤتيه. والعظيم: الذي لا تدركه العقول. **٢١** أصاب: نال. والمصيبة: ما يسبب الضرر. والأرض: ما حولكم من البلاد. والأنفس: جمع نفس، شخص الإنسان بروحه وجسده. والكتاب: اللوح المحفوظ. ونبرأها: نخلق الأرضَ والنفس والمصيبة. وذلك: إثبات ما سيكون من المصائب والنعم وتقديره. واليسير: السهل. **٢٢** لكيلا: لئلّا. وتأسوا: تحزنوا بيأس. وفاتكم: لم تحصلوا عليه. ولا تفرحوا أي: فرحَ سرور وبطر. وآتاكم: أعطاكم الله. ولا يحب: يكره ويعاقب. والمختال: المتبجّح. والفخور: المتباهي. **٢٣** يبخلون: يمتنعون عن الإنفاق. ويأمرون: يشيرون ويُلزمون. والناس: من يعرفون من البشر. ويتولَّ: يُعرض ويمتنع عن الطاعة والإنفاق. والغني: المكتفي بذاته لا يحتاج إلى أحد. والحميد: الكثير الثواب على الأعمال الصالحة. **٢٤**

المعنى العام: أن المؤمنين هم المبالغون في التصديق والصدق، يكونون يوم القيامة شهداء على الناس ولهم النور الهادي إلى الجنة، والذين كفروا يخلدون في جهنم. فليتذكر الناس أن الانشغال بمتاع الدنيا وشهواتها والمفاخرة بالمال والولد عن الحق متاع زائل، كزوال النبات المحطّم بالجفاف والتلاشي، ثم يكون للكافرين عذاب عظيم، وللمؤمنين رضا ونعيم. فعلى الجميع سعي سريع إلى عمل الخير، للحصول على سعة الجنان المهيئة للمؤمنين المكرمين بفضل الله.

ثم إن كل مصيبة في الحياة الدنيا بالجدب والكوارث والجائحات، وكل نعمة كذلك، ثابتة مقدَّرة في اللوح المحفوظ قبل وجود الدنيا ومن فيها، ومحتمة ومقدَّرة بصورها وأوقاتها، يسيرة على الله ولا تغيُّر فيها ولاتبدُّل ولا تقدُّم ولا تأخُّر. فلا داعي للحزن الساخط في البلاء أو الفرح البطر في النعيم. والله يكره كل حزين ساخط يائس ويحب الصبور الشكور، ويمقت البخلاء المشجعين على البخل، والمنصرفين عن الهداية، وهو مستغن عنهم، يكافئ أولياءه بالإحسان إليهم على طاعتهم، مع الإقبال عليهم بالرضا والإكرام.

تفسير المفردات: أرسلنا: بعثنا وكلّفنا بالتبليغ والعمل. والرسل: جمع رسول من البشر. وبالبيّنات: مع الأدلة القاطعة. وأنزلنا معهم: أوحينا إليهم. والكتاب: الكتب المنزلة. والميزان: المقاييس للخير والحكم العادل. ويقوم الناس: يتعاملون. والقسط: العدل. وأنزلنا الحديد: خلقنا جنس المعادن وما يشبهها، ثم أسقطناه مع النيازك والشُّهب ورسّخناه في الأرض مختلطًا بالصخور والتراب والمواد المختلفة. والبأس: العذاب. والشديد: القاسي العنيف. والمنافع: جمع مَنفعة، جلب الخير ودفع الضرر. والناس: البشر. ويعلم: يحقق علمه القديم بظهور المشاهَدة الفعلية للطاعة والمعصية. وينصره: يحمي بالجهاد دينه والمؤمنين. وبالغيب: مع عدم ظهور الله للحواس. والقوي: الكامل القوة بذاته. والعزيز: الغلّاب لكل ما عداه. **٢٥** نوح: أول نبي كفر به قومه، فيما نعلم. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. وجعلنا: صيّرنا. والذرية: النسل من الأبناء والحفَدة. والنبوة: الدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ومنهم: بعض الناس المرسل إليهم. والمهتدي: المسترشد إلى الإيمان. والكثير: الغالبية. وفاسقون أي: كافرون. **٢٦** قفينا برسلنا: جعلناهم تبعًا رسولاً بعد آخر. وعلى آثارهم: على ما تركه نوح وإبراهيم وأتباعهما. والآثار: جمع أثر، ما يتركه الإنسان بعد ذهابه. وعيسى: رسول النصارى. ومريم: ابنة عمران. وآتيناه: أوحينا إليه. والإنجيل: كتاب النصارى. وجعلنا: خلقنا. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

واتبعوه: وافقوه على دينه. والرأفة: الرقّة لدفع الشر وجلب الخير. والرحمة: الشفقة لجلب المنافع. والرهبانية: المبالغة في العبادة والانقطاع عن الناس والنكاح والزينة ولين العيش. وابتدعوها: اخترعوها دون نص شرعي. وما كتبناها عليهم: ما أمرناهم بها ولا فرضناها. وإلّا ابتغاء رضوان الله: لكن فعلوها لطلب رضاه. وما رعوها: ما قاموا بها. وحق رعايتها: ما تستحقه من العمل. وآمنوا: صدّقوا التوراة والإنجيل والقرآن واتبعوها. والأجر: الثواب. **٢٧** اتقُوا الله: تجنبوا سخطه واطلبوا رضاه بالامتثال للطاعة. وآمِنوا برسوله: صدِّقوا محمدًا ﷺ واتّبِعوا دينه. ويؤتيكم: يثيبكم على الاتّباع. والكفلان: النصيبان. والرحمة: العطف بالإحسان. ويجعل: يخلق. والنور: الضياء تتضح به الأمور لاختيار الصلاح. وتمشون: تهتدون إلى الجنة وعمل الخير. ويغفر: يستر الذنوب ولا يؤاخذ عليها. والغفور: الكثير العفو. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. **٢٨** لئلّا يعلم أهل الكتاب أي: ليعلم أصحاب التوراة والإنجيل. وزيادة «لا» لتوكيد المعنى. وألّا يقدرون على شيء: أنهم لا يستطيعون نيل ما يكون. والفضل: التفضل بالرحمة والنعيم. وبيده أي: يده مسيطرة عليه متمكن منه بتصرفه وملكه. ويؤتيه: يعطيه. ويشاء: يريد الله أن يؤتيه ذلك. وذو أي: صاحب ومالك. والعظيم: الضخم لا تدركه العقول. **٢٩**

المعنى العام: أن الله بعثَ الأنبياء بالحُجج الكافية والكتب الوافية، مع بيان الحق في العمل والحكم، ليسود الناسَ العدل والخير، وخلقَ المعادن في باطن الأرض و أسقط بعضها مع الشُّهب و النيازك ، ليستعينوا بها في الجهاد والصناعات. وإنما خصّ الحديد بالذكر لأنه أكثر استعمالًا وأعم نفعًا. وبذلك تظهر حقائق نفوس الناس في الطاعة ونصرة الدين كما قدّرها الله، وتكون حجة عليهم في الحساب.

ولقد بعث نوحًا وإبراهيم والرسل من سلالتهما، فكان في الناس مؤمنون وكثر العاصون والكافرون، ثم بعث عيسى بالإنجيل، ورسّخ في قلوب أتباعه وهم الحواريون وأمثالهم الرحمةَ والرهبانية التي اخترعوها لرضاه وما استطاعوا التزام واجباتها.

ولما جاء بعض أصحاب النجاشي من الحبشة إلى المدينة، وقاتلوا مع الصحابة في أُحد وافتخروا على الصحابة بذلك، نزلت الآيات تجعل الفريقين سواء في الثواب والإكرام المضاعفَين ونور القيامة والمغفرة، إذا آمنوا بمحمد ﷺ واتبعوه. وعندما قال اليهود: «يوشك أن يخرج منا نبي، يقطع الأيدي والأرجل»، وكفروا بمحمد ﷺ لأنه من العرب، نزلت الآية ٢٩ تبين لهم ما يجهلون من عجزهم عن نيل رضا الله، وما يتفرد به من السلطان والمنع والعطاء، دون معين أو منازع.

٥٨ ـ سورة المُجادِلة

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

ترتيبها ٥٨ آياتها ٢٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ
مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ
بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ
كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا
عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦

تفسير المفردات: سمع: علم كامل العلم. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والقول: ما يقال. وتجادلك: تراجعك. وفي زوجها: بسبب ما جرى من تحريمه إيّاها عليه. وتشتكي: تتضرّع وتطلب العون. ويسمع: يدرك المسموعات مهما دقّت وخفيت. والتحاور: المحاورة والمجادلة. والسميع: المدرك للجهر والسرّ. والبصير العالم بكل شيء. ١ يظاهرون: يحرّمون زوجاتهم بالظِّهار، أي: كتحريم ظهور أمّهاتهم عليهم. ومنكم يعني: أيها المسلمون. والنساء: جمع نسوة. والنسوة: واحدته امرأة. وما هن أي: ليست نساؤهم. والأُمّهات: جمع أُمّهة. وهي الوالدة. وإن أُمّهاتُهم أي: ليست أُمّهاتهم. واللائي: اللواتي. وولدنهم: أنجبنهم. ويقولون: يُلقون كلامًا. والمنكر: ما يشنّعه الشرع والعقل السليم. والزور: الكذب الصُّراح. والعفوّ: الكثير الصفح عن الذنوب. والغفور: المبالغ في الستر للذنوب والتجاوز عنها. ٢ يعودون لِما قالوا أي: يتراجعون إلى نكاح ما حرّموا. والتحرير: الإعتاق من المملوكيّة. والرقبة: الإنسان المملوك لغيره. ويتماسان: يمس أحد الزوجين الآخر بمضاجعة. وذلكم أي: الكفّارة المذكورة. وتوعظون به: تزجرون به عن ارتكاب الذنب ثانية. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والخبير: المحيط بالغ الإحاطة ببواطن الأمور وظواهرها. ٣ لم يجد: لم يملك المظاهِرُ رقبة أو ثمنها. والصيام: الامتناع عن المفطر. وشهرين: أيام شهرين كاملين. ومتتابعين أي: لا انقطاع بين أيامهما. ولم يستطع: لم يقدر على الصيام لمرض أو ضعف شرعي. والإطعام: أداء الطعام وجبةً واحدة. والمسكين: الفقير المحتاج. وذلك أي: تخفيف حكم الكفّارة. وتؤمنوا: تثبتوا على التصديق والطاعة. والرسول: محمد ﷺ. وتلك أي: الأحكام المذكورة قبل. والحدود: جمع حدّ، الحكم الشرعي. والكافرون: المكذبون المنكرون أو المخالفون. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: الشديد الإيلام. ٤ يحادّون الله: يخالفونه في الأحكام. وكُبتوا: لعنوا وخُذلوا في الدنيا والآخرة. وأنزلنا: أوحينا. والآيات: النصوص القرآنية. والبيّنات: الواضحات الدلالة على حكم المخالفين للأحكام. والمهين: يسبب المذلّة والاحتقار. ٥ اليوم: الوقت. ويبعثهم: يُخرجهم أحياء للحساب والجزاء. وجميعًا: مجتمعين لا يتخلف منهم أحد. وينبّئهم: يخبرهم. وعملوا: اكتسبوه. وأحصاه: عدّه وجمعه. ونسُوه: غفلوا عنه. والشيء: ما هو موجود. والشهيد: الحاضر بعلمه يرى ويسمع. ٦

الجزء ٢٨ الحزب ٥٥

المعنى العام: لمّا حرّم أوس بن الصامت زوجته على نفسه حُرمةَ أُمّه عليه، وشكت أمرها إلى الرسول ﷺ فأخبرها أنها تحرُم عليه كما في عُرف الجاهلية، صارت تكرر شكواها إلى الله بما يكون لأولادها من الفقر والتشرد، فنزلت الآيات ١ـ٤ تبيّن أن الله عالم بما كان من الحوار، وقد أجاب دعاءها بأن ذلك التحريم باطل، وليست أمُّ الرجل إلّا من ولدته، وكفارة ذلك تحرير إنسان رقيق قبل المضاجعة، فإن لم يتيسر فصيام شهرين متواليين، وإن لم يتيسر فإطعام ستين مسكينًا، ليتحقق الاتعاظ بالإيمان والمغفرة وتُحفظ الحدود الشرعية، وأن من يخالفون حكم الله ورسوله لهم المذلة كما كان لمن قبلهم، وسوف يبلَّغون بعلم الله وشهادته يوم القيامة ما عملوا ليحاسبوا عليه، وقد تناسوه لتهاونهم وظنهم أنه لا حساب ولا عقاب.

وقد نزلت الآيتان ٥ و٦ قُبيل غزوة الخندق، تبشّر المسلمين بالنصر على الأحزاب التي ستحاربهم، وتهدد من يخالف أحكام الله بأنظمة مصطنعة ودساتير وقوانين شيطانية، وتحقق كفر من يلجأ إليها ويفضلها على الشرع. وقد فصّل الله الأدلة الكافية، وللكافرين بها عذاب الدنيا والآخرة.

تفسير المفردات: ألم تر: لقد علمتَ بحق، أيها المخاطَب المفكر. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ويعلم: يحيط بعلمه. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ويكون: يحصل. والنجوى: التناجي سرًّا. وهو أي: الله. ورابعهم أي: جاعلهم أربعة لكونه معهم واطلاعه عليهم. والأدنى: الأقل كالاثنين، أو الواحد يناجي نفسه. والأكثر أي: الستّة وما فوق ذلك. ومعهم أي: حاضر بعلمه وسلطانه. وأينما كانوا: حيثما استقرّوا من المواضع. وينبّئهم: يخبرهم. وعملوا: اكتسبوا وتحمّلوا. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث للحساب والجزاء. والشيء: ما هو موجود. والعليم: المحيط كامل الإحاطة. ٧ ألم تر أي: لقد نظرت ورأيت، أيها النبيّ. ونهوا: نبّههم النبيّ ﷺ وزجرهم عما يفعلون. ويعودون: يرجعون بالعمل. ويتناجون: يتحدثون سرًّا فيما بينهم. والإثم: فعل الذنوب. والعدوان: الاعتداء على المسلمين. والمعصية: المخالفة للأمر أو النهي. والرسول: محمد ﷺ. وجاؤوك: حضروا مجلسك أو صادفوك. وحيَّوك: خاطبوك بما ظاهره تحيّةٌ. وما يحييك به الله: تحيّةُ الإسلام المشروعة بالسلام. ويقولون: يتحدثون. وفي أنفسهم: أي: فيما بينهم أو في قلوبهم. والأنفس: جمع نفس. ولولا: هلّا، للتحضيض والتهكم. ويعذبنا: يُنزل علينا عذابًا في الدنيا كما يزعم المؤمنون. وبما نقول: بسبب قولنا. وحسبهم: كافيتهم. وجهنم: دار العذاب في الآخرة. ويصلونها: يدخلونها ويحترقون فيها. وبئس: بلغَتِ الغايةَ من البؤس والشقاء. والمصير: مكان الإقامة. ٨ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وتناجيتم: تحادثتم سرًّا. والبرّ: الإحسان والخير. والتقوى: ما ينجّي من غضب الله ويحقق رضاه. وإليه أي: إلى موقف حسابه. وتحشرون: تُجمعون بالقهر للجزاء يوم القيامة. ٩ النجوى أي: بغير البرّ والتقوى. ومن الشيطان أي: حاصلة ممّن يوسوس بالشر من الإنس والجنّ. ويحزن: يسبب الغيظ والتوجع. وبضارِّهم أي: مؤذِيهم. وشيئًا: أيَّما إيذاء! وبإذن الله أي: مع إرادته وتقديره. وعلى الله يتوكل أي: يفوض أمره إليه وحده. ١٠ قيل لكم: طُلب منكم أو أشعرتُكم أنفسكم. وتفسّحوا: توسّعوا لأحد منكم. والمجلس: مكان الحضور. وافسحوا: وسّعوا مكان الجلوس. ويفسح لكم: يوسِّع لأجلكم في الدنيا والآخرة. وانشزوا: قوموا لعمل الخير. ويرفع: يفضّل في المنزلة. ومنكم أي: من المؤمنين. وأُوتوا: أُعطوا وعملوا بما يجب. والعلم: المعرفة اليقينيّة. ودرجات: في مراتب مقرَّبة. والخبير: البالغ العلم ببواطن الأشياء وظواهرها. ١١

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ
مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا
تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ
ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

المعنى العام: تحققُ معرفة الإنسان المفكر أنّ الله يعلم ما في الكون، ومن ذلك كيد اليهود والمنافقين وتناجيهم سرًّا، فالله معهم ومع غيرهم كيفما كانوا وكم وحيثما وُجدوا، ثم يخبرهم يوم القيامة ويحاسبهم بالحق لأنه عليم بما يكون.

إنك تراهم ـ أيها النبيّ ـ يُنهون عن التناجي السِّرّيّ لِما يكون فيه من غيظ المسلمين وتألمهم، ثم يصرّون عليه بما فيه من العدوان والعصيان، ويحيّون النبي ﷺ بغير السلام، يقولون «السام عليك» أي: «الموت» بلغتهم العبرية، ساخرين في أنفسهم أن الله لم يعاقبهم على ذلك. فجزاؤهم عذاب جهنم، وما أبأسها من مصير!

فعلى المؤمنين التحدث في السرّ والعلن بما هو إحسان وطاعة، مع التقوى لنيل ثواب الحساب، لأن التناجي بالمعاصي وسوسةٌ من الشيطان تسيء إلى المسلمين، ولكنها لا تسبب لهم ضررًا إلّا إذا أراد الله ذلك. فلْيتوكلوا عليه ليعينهم بالعون والرحمة.

ولما صعب على بعض المسلمين أن يوسّعوا فيما بينهم لجلوس القادمين نزلت الآية ١١ بوجوب التوسعة، ليدفع الله عليهم ضوائق الدنيا والآخرة، وبوجوب السعي في عمل الخير، ليجعل المحسنين والعلماء العاملين في منازل رفيعة عنده.

تفسير المفردات: آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. وناجيتم الرسول: أردتم محادثة محمد ﷺ في أمور خاصة. وقدموا: أدّوا وادفعوا. وبين يدي نجواكم: قبل المناجاة. والصدقة: التصدق على المساكين بمال. وذلك أي: تقديم الصدقة. وخير: أفضل بالثواب وأكثر منفعة. وأطهر: أكثر سترًا وتزكية. ولم تجدوا: لم يتيسر لكم ذلك. والغفور: الكثير العفو والصفح والستر. والرحيم: العظيم العطف بالرخصة هذه. ١٢ أأشفقتم أي: لقد خشيتم الفقر. وإذ لم تفعلوا أي: لأنكم لم تقدّموا الصدقة. وتاب: خفّف بالرخصة. وأقيموا الصلاة: استمروا على أدائها كما يجب. وآتوا الزكاة: أدُّوها إلى مستحقيها لتطهير المال وتنميته. وأطيعوا الله: الزموا امتثال أمره ونهيه. والخبير: العليم ببواطن الأشياء وظواهرها. وتعملون: تكتسبونه وتتحمّلونه من نية أو قول أو فعل. ١٣ ألم تر: لقد نظرت ورأيت، أيها النبيّ. وتولَّوا: جعلوا أولياء لأمورهم. والقوم: الجماعة من الناس. وغضب عليهم: منعهم الرحمة. وما هم منكم: ليسوا مؤمنين. ولا منهم: ليسوا من اليهود. ويحلفون: يُقسِمون الأيمان. والكذب: ما لا أصل له. ويعلمون: يدركون باليقين. ١٤ أعد: هيّأ. والعذاب: التعذيب. والشديد: العنيف لا مثيل له. وساء: بلغ الغاية في السوء والقبح والفساد. ١٥ اتخذوا: جعلوا. والأيمان: جمع يمين. وهو القَسَم. والجُنّة: الوقاية للنفس والمال. وصدوا: منعوا أنفسهم وبعض المؤمنين. والسبيل: الطريق الواضحة في جهاد العدو. والمهين: المسبب للإهانة والتحقير. ١٦ لن تغني: لن تدفع. والأموال: جمع مال، ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد من ذكر وأنثى. ومن الله: من عذابه. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم بلا مفارقة. والنار: نار جهنم. وخالدون أي: مقيمون أبدًا. ١٧ اليوم: الزمن. ويبعثهم: يخرجهم من القبور أحياء. وجميعًا أي: كلهم مجتمعين. وله أي: لله تعالى. ويحسبون: يظنون. وشيء أي: نافع لهم. وألا أي: حقًّا. والكاذبون: القائلون غير الواقع. ١٨ استحوذ: استولى. والشيطان: من يوسوس بالشر من جن وإنس. وأنساهم: جعلهم يتجاهلون. وذكر الله: استحضار عظمته في القلب واللسان والعمل. وأولئك أي: الموصوفون فيما مضى. والحزب: الجماعة التابعة المنقادة. والخاسرون: الذين فقدوا ما يملكون وما ينتظرون.١٩ يحادّون: يخالفون ويخاصمون. والرسول: محمد ﷺ. والأذلون: المغلوبون بأشدّ مذلّة. ٢٠ كتب: سجّل وأثبت مع القَسم. ولأغلبنّ أي: لأنتصرنّ عليهم، بتأييد المؤمنين. والرسل: جمع رسول. والقوي: الكامل القوة لا يعجزه شيء. والعزيز: الغلّاب يَذل له ما عداه. ٢١

ربع الحزب ٥٥

الجزء الثامن والعشرون — سورة المجادلة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ
صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ
﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا
غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ
وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ
عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ
ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ
إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ
ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ
﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾
كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾

المعنى العام: كان بعض الصحابة يكثرون مناجاة النبي ﷺ لتظهر منزلتهم، فنزلت الآية ١٢بتقديم صدقه قبل المناجاة، لينالوا الخير و يتطهَّروا من الذنوب، ولّما عجزوا عن ذلك نزلت الآية ١٣ بجواز عدم التقديم، ليستمروا في عباداتهم، والله يعلم ما في القلوب.

وذكر الرسول الكريم لأصحابه يومًا أنه سيدخل رجُلٌ قَلبُهُ قَلبُ جَبّارٍ، وينظُرُ بِعَينَي شَيطانٍ، فدخل أحد المنافقين، وكان ينقل أخبار المسلمين إلى اليهود، فسأله الرسول ﷺ: عَلامَ تَشتُمُني أنتَ وأصحابُكَ ؟ فحلف أنه ما فعل، وجاء بأصحابه وحلفوا كذلك، فنزلت الآيات ١٤ـ١٩ تفضحهم بأنهم منافقون متردّدون فيهم طرف من الإسلام ظاهر، وطرف من الكفر باطن، باعتمادهم على اليهود المغضوب عليهم، وقسَمِهم على الباطل لصيانة أنفسهم بظاهر الإيمان، وتثبيط المؤمنين عن الجهاد. فلهم الخلود في عذاب الآخرة، دون أن ينفعهم شيئًا ما يعتزون به من المال والأولاد. وإذ ذاك سيحلفون كذبًا لينقذوا أنفسهم بلا فائدة، لأنهم انقادوا للشياطين وأهملوا تقوى الله، فخسروا أنفسهم ومطامعهم.

ولما فتح الله مكة والطائف وخيبر تمنّى المؤمنون أن ينصرهم الله على فارس والروم، فقال المنافق عبد الله بن سَلول ساخرًا: أتظنونهم كبعض القُرى التي غلبتم عليها ؟ والله إنهم لأكثر عددًا وأشدّ بطشًا من أن تظنوا فيهم ذلك. فنزلت الآية ٢١ بأن الله ورسله غالبون للكفر. فمن بُعِث بالأدلة غلب بها، ومن بُعِث للحرب غلب بقوة السلاح أيضًا، والقوة العظمى والغلبة الكاملة لله وحده.

الجزء الثامن والعشرون — سورة الحشر

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ
حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ
أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ
ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟
عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْرِ — ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ
لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ
فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ
فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ
ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

تفسير المفردات: لا تجد: لا ترى، أيها المخاطَب. والقوم: الجماعة من الناس. ويؤمنون: يصدقون تصديقًا يقينيًّا. الله: اسمٌ علَمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. واليوم: الوقت. والآخر: ما يكون بالبعث بعد الموت. ويوادّون: يحبّون. وحادّ: خالف وخاصم بالكفر. والرسول: محمد ﷺ. ولو كانوا: وإن كانوا. والآباء: جمع أب، الوالد والجدّ. والأبناء جمع ابن. والإخوان: جمع أخ. والعشيرة: الأسرة التي يعيش معها الإنسان. وأولئك أي: المعادُون للكافرين. وكتب: أثبت. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. والإيمان: التصديق اليقينيّ. وأيّدهم: أعانهم. والروح: النور الإيماني. ومنه: من عنده. ويدخلهم: ييسّر له الدخول. والجنّة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها أي: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. وخالدين أي: مقيمين أبدًا. ورضي عنهم: تقبّل أعمالهم بالرضا، وأفاض عليهم آثار رحمته. ورضوا عنه: ابتهجوا وسَعدوا بما أعطاهم، واطمأنت نفوسهم. والحزب: الجماعة الموالية المنقادة. وألا أي: حقًّا. والمفلحون: الفائزون بخير الدنيا والآخرة. ٢٢

المعنى العام: مُستحيلٌ أن يرى الإنسانُ مؤمنًا يصادق ويخلص لأعداء الله ورسوله، أيًّا كانوا من الأقرباء؟ وهذا غير المخالطة والمعاملة بالمثل لمن لا يحارب المسلمين ولا يؤيد أعداءهم. فالمعادون لهؤلاء الأعداء إيمانهم ثابت ومؤيدون بنور الله، ومكافأتهم الخلود في الجنة، راضيًا الله عنهم وسعداءَ بما منحهم من النعيم، وهم عباده المخلصون والفائزون بخير الدنيا والآخرة.

٥٩ ـ سورة الحشر

تفسير المفردات: سبّح لله: نزّهه عما لا يليق به. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والعزيز: الغلّاب لا يعجزه هارب أو معاند. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ١ أخرج: شرّد. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وأهل الكتاب: أصحاب التوراة وهم هنا اليهود بنو النَّضير. والديار: جمع دار، مكان اللجوء للإقامة. وأول الحشر: أول عملية للجمع والطرد بالقهر. وما ظننتم: ما كنتم تظنون، أيها المؤمنون. وظنوا: تيقّنوا. ومانعتهم: تحميهم. والحصون: جمع حِصن، البناء العالي. ومن الله: من سلطانه وعقوبته. وأتاهم الله: نزل بهم أمره. وحيث لم يحتسبوا: جهة ما لم يخطر ببالهم. وقذف: ألقى. والرعب: الفزع. ويُخربون: يهدّمون. والبيوت: جمع بيت، مكان الإقامة. والأيدي: جمع يد. والمؤمنون: الذين صدّقوا الله ورسوله. واعتبِروا: اتعِظوا واحذروا أن تغدروا. وأولو أي: أصحاب، واحده ذو. والأبصار: جمع بصر، البصيرة بإدراك حقائق الأمور. ٢ لولا: لولا حصول. وكتب: قضى. والجلاء: الطرد والتشريد. وعذّبهم: أنزل العذاب بهم. والدنيا: الحياة التي فيها البشر، فهي أقرب إليهم. والآخرة: الحياة يوم القيامة بعد البعث. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والنار: نار جهنم. ٣

المعنى العام: أن المخلوقات في الكون تنزّه الله عما لا يليق بجلاله، وذلك بلسان المقال من العاقلين وبلسان الحال من غيرهم خضوعًا واستجابة لما سخّر.

وكان اليهود بنو النضير ـ وهم لاجئون قرب المدينة ـ عاهدوا النبي ﷺ ألّا يكونوا معه ولا عليه، ثم حالفوا المشركين على قتال المسلمين، وبيّتوا الغدر بقتله، فحاصرهم حتى زلزلهم الله ورضوا بالجلاء وتشرّدوا، فنزلت الآيات ١ ـ ٦ بأن الله قضى عليهم بذلك، مع ظنهم وظن المؤمنين حمايةَ الحصون لهم، وجاءهم حكمه من جهة المؤمنين، وألقى في قلوبهم الفزع، فهدموا بيوتهم لينقلوا منها ما تيسر. فليعتبرْ من كان له بصيرة واعية. ولولا تقدير تشريدهم لنزل بهم عذاب الدنيا، وسوف يلقون في الآخرة عذاب جهنم.

تفسير المفردات: ذلك أي: ما ذُكر من تشريد بني النضير. وشاقّوا: خاصموا. والله: اسمٌ علمٌ للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والرسول: محمد ﷺ. والشديد: القوي لا مثيل له. والعقاب: جزاؤه على الكفر والعصيان. ٤ ما قطعتم: أيَّ شيء بترتم، أيها المسلمون. واللينة: النخلة. وتركتموها: لم تؤذوها. والقائمة: المنتصبة. والأصول: جمع أصل، الجذور الثابتة. والإذن: الإرادة والإباحة. ويُخزي: يُذلّ. والفاسقون: الخارجون على شرع الله. ٥ ما أفاء: أيَّ شيء ردّه وحوّله. ومنهم أي: من أيدي اليهود. وما أوجفتم: لم تُجرُوا. والخيل: اسم جمع واحده خائل. وهو الفرس. والركاب: واحدته راحلة، ما يُركب من الإبل. ويسلّط: يغلّب. والرسل: جمع رسول، من كلّف بالدعوة مع العمل. ويشاء: يريد إذلاله. والشيء: ما هو موجود. والقدير: البالغ القدرة. ٦ ما أفاء: أيَّ شيء حوّله من غير قتال. والأهل: السكّان. والقرى: جمع قرية. وهي البلدة. وذو القربى: أصحاب قرابة الرسول ﷺ. واليتامى: جمع يتمى. واليتمى: جمع يتيم، من فقدَ في طفولته أباه. والمساكين: جمع مسكين، الفقير المحتاج. وابن السبيل: من انقطع عن ماله بعيدًا عن بلده. وكيلا يكون: كراهة أن يصير الفيء. ودولة أي: متداولًا بخاصة. والأغنياء: جمع غني، مَن كثُر ماله. وآتاكم: أعطاكم من الأحكام والمال. وخذوه: تقبّلوه بالرضا واحرصوا عليه. ونهاكم: منعكم وحجبكم. وانتهوا أي: تجنّبوه ودعوه. واتقُوا الله: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه بلزوم الطاعة. ٧ الفقراء: جمع فقير، مَن لا يملك ما يكفيه. والمهاجرون: الذين تركوا وطنهم لينجوا بدينهم. وأُخرجوا: حُملوا على الخروج. والديار: جمع دار، مكان الاستقرار والإقامة. والأموال: جمع مال، ما يملك للاستمتاع والزينة. ويبتغون: يطلبون. والفضل: الرزق والإحسان. ومن الله: من عنده. والرضوان: المبالغة في الرضا و قبول الأعمال والإفاضة بالرحمة. وينصرون الله: يُعِزّون دينه والمؤمنين. والصادقون: من آمنوا بحق. ٨ تبوّؤوا: تمكّنوا ولزموا. والدار: المدينة المنورة مقرّ الهجرة. والإيمان: التصديق اليقينيّ. وقبلهم: قبل مجيء المهاجرين. ويحبون: يودّون ويكرمون. ولا يجدون: لا يرون. والصدور: جمع صدر، النفْس والضمير. والحاجة: الطلب لشيء. وما أُوتوا: ما أعطى النبي المهاجرين من الفيء دونهم. ويؤثرون: يفضّلون المهاجرين. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ولو كان: وإن كان. والخصاصة: الاحتياج. ويوقى: يجنَّب. والشح: البخل والحرص. والمفلحون: الفائزون بما يريدون من خير الدنيا والآخرة. ٩

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً
عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ
دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾
لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ
يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

المعنى العام: أن عذاب بني النضير كان لمحاربتهم الله ورسوله، وهو لأمثالهم أيضًا. ولمّا زعم اليهود في حصارهم أن إتلاف شجرهم في الحرب حرام، وأراد المجاهدون اقتسام ما نالوه منهم دون حرب بنصر الله، نزلت الآيات بإجازة الإتلاف جزاء كفر المحاربين وغدرهم، وأن الفيء ليس كالغنيمة فحكمه للرسول ﷺ: خُمس خُمسه لله والرسول، والثاني لأقربائه بني هاشم والمطلب من عبد مناف، والثالث والرابع والخامس توزع فتكون لليتامى والمساكين وابن السبيل، والأخماس الأربعة الباقية هي لفقراء المهاجرين ولمصالح المسلمين كالجهاد وغيره، لئلّا تنحصر الأملاك بين الأغنياء، كما كانت الجاهلية. فعلى المسلمين الرضا والتنفيذ لِما أعطى الرسول وما منع.

وقد خيّر النبي ﷺ الأنصار في قسمة الأخماس الأربعة على الجميع أو على المهاجرين ليستقلّوا بأنفسهم، فقال الأنصار: بل تقسمه بين المهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا. فقال: «اللهُمَّ، ارحمِ الأنصارَ وأبناءَ الأنصارِ»، ونزلت الآيتان ٩ و١٠ بتمجيد صنيعهم، وما كان فيهم من الإيمان والمحبة والعون وإيثار المهاجرين على أنفسهم، مع حاجتهم وضعف حالهم، وبمديح الجود وفلاح صاحبه. أما النبي ﷺ فكان ينفق نصيبه على أهله، والفائض منه يجعله في عُدّة للجهاد، و بعد وفاته يكون للمرابطين ومصالح المسلمين.

تفسير المفردات: جاؤوا أي: يجيئون إلى الوجود ويؤمنون. وبعدهم: بعد الأنصار والمهاجرين. ويقولون أي: في الدعاء. وربنا: يا ربنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. واغفر: استر الذنوب واعف عنها. والإخوان: جمع أخ، المماثل في الدين. وسبقونا: تقدمونا من قبل. وبالإيمان أي: مصاحبين تصديق الله ورسوله. ولا تجعل: لا تصيّر. والقلوب: جمع قلب. وهو الضمير. والغِلّ:الحقد. وآمنوا عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. والرؤوف: الكثير اللطف واللّين والعصمة. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان والمغفرة للمؤمنين. ١٠ ألم تر أي: لقد نظرت ـ أيها النبيّ ـ ورأيت وتنظر. وإلى الذين نافقوا: إلى حال الذين أظهروا الإيمان وهم يُضمرون الكفر. وإخوانهم: أمثالهم. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. والأهل: الأصحاب للشيء. والكتاب: التوراة. ولئن أي: تُقسِمُ إن. وأُخرجتم: طُردتم بالقوة مما حول المدينة. ونخرجنّ: نغادرنّ مساكننا. ولا نطيع أحدًا: لا ننفذ أمر أحد من عدوكم. وفيكم: للتخلي عنكم. وأبدًا: مدة حياتنا. وقوتلتم: قاتلكم المسلمون. ونصرنّكم: نعيننّكم على عدوّكم. ويشهد: يقول ويبلّغ الحق. وإنهم أي: المنافقين. وكاذبون أي: يدّعون ما ليس في قلوبهم. ١١ لئن: أُقسِمُ إن. ونصروهم: جاؤوا لعونهم. يولُنّ: يهربون ويملّكون عدوّهم. والأدبار: جمع دُبر. وهو الظهر. ولا يُنصرون: يُغلبون ويعذّبون في الدنيا والآخرة. ١٢ أنتم أي: أيّها المؤمنون. وأشد: أعظم. والرهبة: المرهوبيّة.

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا
وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا
غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ
أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ
١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ
وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢
لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ
لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى
مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ
جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤
كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦

نصف الحزب ٥٥

والصدور: جمع صدر. والمراد به النفْس. ومن الله أي: من رهبته. وذلك أي: ما ذُكر من شدة المرهوبية. وبأنهم: حاصل لأنهم. والقوم: الجماعة من الناس. ولا يفقهون: لا يفهمون ظاهر الأمور ولا خفاياها. ١٣ لا يقاتلونكم: لا يواجهكم اليهود في القتال، أيها المؤمنون. وجميعًا: مجتمعين في مكان واحد. والقرى: جمع قرية.وهي البلدة. والمحصّنة: المحاطة بالخنادق والحواجز. والجدر: جمع جِدار. والبأس: الحرب والقوّة. وبينهم أي: إذا تحاربوا. والشديد: العنيف. وتحسبهم: تظنّهم، أيها المخاطَب. وجميعًا أي: موحَّدين في العزم. والقلوب: جمع قلب. والمراد هنا ما في القلب من الشهوات. وشتّى: متفرقة بلا ضابط ، جمع شتيت. وذلك أي: تخاصمهم وتفرق قلوبهم. ولا يعقلون: يجهلون حقائق الأمور. ١٤ المَثَل: الصفة الغريبة العجيبة تذكر للعِظة. وقريبًا أي: في زمن قريب ببدر. وذاقوا: نالوا وقاسَوا. والوبال: الفساد والثقل. وأمرهم أي: شأنهم من الكفر. والعذاب: التعذيب. والأليم: الشديد الإيلام. ١٥ الشيطان: من يغري بالشر من الجنّ والإنس. والإنسان: المكلّف من البشر. واكفر: كذِّب وحدة الله واعصِه. وقال أي: الشيطان. والبريء: المتبرئ المتباعد. وأخاف: أخشى. والربّ: الخالق المالك المتفرد. والعالمون: جميع الأجناس من الخلق. ١٦

المعنى العام: أن المؤمنين القادمين بعد عهد النبوة يستغفرون لأنفسهم ولإخوانهم المتقدّمين، ويطلبون ترسيخ محبتهم في القلوب.

وعندما حاصر المجاهدون اليهودَ أرسل المنافقون يثبّتون اليهود ويعدونهم بالنصر وكونهم معهم في كل مصير، ولكنهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك، فنزلت هذه الآيات قبل الجلاء، تفضحهم وتبشّر بالنصر. فهم يضللونهم بالأباطيل، والله يشهد بكذبهم، ولن يخرجوا معهم ولن يعينوهم، وإن اجترؤوا على العون هربوا مولّين ظهورهم للمؤمنين، لأن رهبتكم في نفوس المنافقين هي أقوى من رهبتهم لله، لتأخير عذابه وإمكان انتقام المؤمنين منهم. إنهم يجهلون عظمة الله وقدرته، فلا يخشونه حق خشيته.

أما اليهود فلن يحاربوا المؤمنين وجهًا لوجه، بل وراء أسوار وحمايات متنوعة، وهم يظهرون وحدة بينهم، ولكن أهواءهم متضاربة لا تتفق، وأحقاد بعضهم على بعض عظيمة الفظاعة، لأنهم كالبهائم ليس فيهم قدرةٌ على تدبرِ الأمور. هذه حالهم وحال من تشبّه بهم دائمًا في الكفر والانهزام، كالمشركين في معركة بدر من قبلُ. واليهود في تقبل نصائح المنافقين كالكافر الذي يضلله الشيطان، ثم يتبرأ منه، بزعم خشيته لله...

تفسير المفردات: كان: صار. وعاقبتها: نهاية الشيطان والكافر التابع له. والنار: نار جهنم. وخالدَين أي: مقيمَين أبدًا. وذلك أي: العذاب المخلَّد. والجزاء: العقوبة. والظالمون: الكافرون. ١٧ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. واتقُوا الله: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وتنظر: تبحث فيها كسبت وتكسب. والنفس: الإنسان المكلف بروحه وجسده. وقدّمت أي: عملت وتريد أن تعمل. والغد: يوم القيامة. والخبير: العليم ببواطن الأمور وظواهرها. وتعملون: تكسبون وتتحمّلون من نية أو قول أو فعل. ١٨ لا تكونوا: لا تصيروا. ونسوا الله: غفلوا عن أمره وحقوقه. وأنساهم: قدّر عليهم الإهمال. والأنفس: جمع النفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. والفاسقون: الخارجون على الشرع. ١٩ لا يستوي: يختلف في المنزلة حقًا. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم لا يفارق. والنار: نار جهنم. والجنّة: البستان العظيم بالقصور والأشجار والنعيم الأبدي. والفائزون: من ظفروا بمرادهم من النعيم. ٢٠ أنزلنا: أوحينا للتكليف بالحمل والمسؤولية والتكفل للحفظ والتبليغ. والقرآن: ما أوحي إلى النبي ﷺ من كلام الله المُعجِز. والجبل: ما ارتفع وصلب من الأرض. ورأيته: أبصرته عِيانًا، أيها المخاطَب. والخاشع: الهابط الغائر. والمتصدع: المتشقّق. ومن خشية الله: بسبب فزعه من الله. وتلك أي: ما ذكر في الآيات ١٩ ـ ٢١ والأمثال: جمع مَثَل، الخبر العجيب يذكر للاعتبار والاتعاظ. ونضربها: نبيّنها. والناس: البشر. ولعلهم يتفكرون: ليُترجّى لهم تدبر ما يُسمع والاتعاظ به. ٢١ هو أي: الذي وجوده من ذاته دائمًا أزلاً وأبدًا. والإلّه: المعبود بحق. والعالم: البالغ الإحاطة. والغيب: ما غاب عن حواس الخلق وإدراكهم. والشهادة: ما ظهر فشاهدوه. والرحمن: الكثير العطف بالإحسان. والرحيم: العظيم المغفرة للمؤمنين. ٢٢ الملك: المالك للمخلوقات والمسيطر عليها دون معين أو منازع. والقدّوس: الذي له الكمال والتقديس والتعظيم في كل أوصافه. والسلام: الذي تُترجّى منه السلامة من كل سوء أو ضرر. والمؤمن: الواهب للعباد طمأنتهم من ظلمه. والمهيمن: الرقيب المسيطر على كل شيء. والعزيز: الغالب لِما سواه. والجبّار: القهّارلعبيده يحملهم على ما يريد. والمتكبر: العظيم الكبرياء والترفّع. وسبحان الله: نزّهَ الله نفسَه للإخبار بذلك وتعليم المؤمنين ما يقولون. وما يشركون أي: ما جعله الكافرون له شركاء في الألوهية. ٢٣ الخالق: المقدّر للأشياء وإيجادها. والبارئ: المنشئ من العدم. والمصوِّر: الموجد لصور الأشياء وكيفيّاتها. والأسماء: جمع اسم. والحُسنى: المتميزة بمحاسن المعاني. ويسبّح له: ينزّهه عما لا يليق به. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض موطن: الحياة الدنيا. والعزيز: الغلّاب لا يعجزه معاند أو هارب. والحكيم: ذو الحكمة العالية فيما يريد ويقول ويفعل. ٢٤

الجزء الثامن والعشرون — سورة الحشر

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ
هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ
يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

المعنى العام: متابعة ماكان من الشيطان وتابعه بأن نهايتها خلود في النار، وكذلك من كان مثلهما. فعلى المؤمنين تقوى الله ومراقبةُ أنفسهم لاختيار ما يتحملون ليوم القيامة، ومخالفةُ العاصين والكافرين الظالمين لأنفسهم. والفرق كبير بين الفئتين، ما أعظم فوز المؤمنين وسعادتهم ! وما أشقى أولئك الكافرين !

ولو كلف الله الجبال حمل مسؤولية القرآن لتضعضعت وتبددت خشية لله. فكم هو تقصيرالإنسان في تحمل ذلك ! ولعله يتعظ بعرض هذه الأمثال الواضحة، ويطيع المتفرّد بالألوهية ومعرفة الغيب والشهادة، والعظيم العطف على الخلق، والمالك للكون والمقدّس الأوصاف، والواهب السلامة من ظلمه، والمسيطر والغالب لكل مخلوق، والقاهر للعباد بما يريد، والمتعظّم بالكبرياء والرفعة، والمقدِّر الموجد المكوّن لكل شيء، والمتفرّد بما ذُكر للتنزّه عن الشرك، وبالأسماء المتميزة على غيرها، وبتنزيه المخلوقات له في خضوعها لعزته وحكمته طوعًا أو كرهًا.

٦٠ـ سورة الممتحَنة

الجزء الثامن والعشرون — سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي
وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن
يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ
رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)

تفسير المفردات: آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ولا تتخذوا: لا تجعلوا. وعدوّي: المعادي لديني. وعدوّكم: معاديكم ومحاربكم. والأولياء: جمع وليّ، من توكل إليه الأمور ويُعتمد عليه. وتلقون: تقدّمون. والمودّة: النصيحة بما يضر المسلمين. وكفروا: كذّبوا وأنكروا. وجاءكم: نزل إليكم بالوحي. والحق: الأمر الثابت لا شك في صدقه. ويخرجون الرسول وإيّاكم: يحملون محمدًا ﷺ ويحملونكم على الهجرة. وأن تؤمنوا: لأنكم صدّقتم. والله: المعبود بحق وحده الواجب الوجود والمتصف بالكمال المطلق، والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وخرجتم أي: من مكة مهاجرين. والجهاد: بذل المال والأهل والوطن. وفي سبيلي أي: لإعلاء كلمتي وديني. والابتغاء: الطلب والقصد. والمرضاة: الرضا وإفاضة الرحمة. وتسرون إليهم: تبلّغونهم سرًّا. وأعلم: أكثر إحاطة من كل مخلوق. وأخفيتم: كتمتم في أنفسكم. وأعلنتم: أظهرتم عمله أو قوله. ويفعله: يكتسب خيانة المسلمين في أسرارهم لتبليغ أعدائهم. وضل: أخطأ. والسواء: المعتدل. والسبيل: الطريق المستقيم. ١ يثقفوكم: يظفر بكم الكافرون في حرب أو غدر. ويكونوا أعداء: تظهر عداوتهم. والأعداء: جمع عدوّ، المعادي والمحارب. ويبسطوا: يمدّوا للقتل والإيذاء. والأيدي: جمع يد، ما يضرب به. والألسنة: جمع لسان، ما يُتكلم به. والسوء: المؤذي من الشتم. وودّوا: تمنَّوا. ولو تكفرون: رِدّتكم عن الإسلام. ٢ لن تنفع: لن تدفع شرًّا أو تجلب خيرًا. والأرحام: جمع رحِم، صلة القرابة. والأولاد: جمع ولد. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس من القبور بالبعث للحساب والجزاء. ويَفصل: يفرِّق الله ويَحجز. وبينكم أي: وبين أولادكم. وتعملون: تكتسبونه من نية أو قول أو فعل. والبصير: المدرك للأحداث بدقة واستيفاء. ٣ كانت لكم: تحقّقت لأجلكم. والأسوة: القدوة. والحسنة: الصالحة تستحق الاقتداء. وإبراهيم: خليل الله أبو إسماعيل وإسحاق. والذين معه: المؤمنون معه. والقوم: جماعة الإنسان هو منها. والبرآء: جمع بريء، المتبرئ المتباعد. وما تعبدون: المخلوقات التي تقدّسونها. ودون الله: غيره. وكفرنا: أنكرنا صِلتنا. وبدا: ظهر وثبَت. والعداوة: القطيعة والمخالفة. والبغضاء: شدة الكُره. وأبدًا: على الدوام. وحتى تؤمنوا بالله: إلى أن تعرف قلوبكم أُلوهيّته. وأبوه: والده. ولأستغفرنّ أي: أُقسِمُ لأطلبنّ من الله ستر الذنب وعدم المؤاخذة عليه. وما أملك لك: لا أستطيع لأجلك. ومن الله: من عذابه وثوابه. والشيء: ما يمكن أن يكون. وربنا: يا ربنا. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. وتوكلنا: اعتمدنا في جميع أمورنا. وإليك أنبنا: إلى طاعتك رجعنا. وإليك: إلى لقاء موعدك بالحساب. والمصير: الرجوع النهائي بعد البعث. ٤ لا تجعلنا: لا تصيّرنا. والفتنة: ما يُفتن به ويكون سببًا للامتحان. والعزيز: الغلّاب لا يُعجزه شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية في كمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ٥

المعنى العام: أراد النبي ﷺ غزو كفار مكة سرًّا، وأظهر أنه يريد غزو المشركين في حُنين، وكان لحاطب بن بلتعة أهل في مكة، فبعث رسالة مع امرأة يبلغ المشركين الحقيقة، وأعلم الله نبيه بذلك، فاسترد الرسالة، ونزلت الآيات بالنهي عن موالاة الأعداء بالخيانة، لأنهم كفروا وأخرجوا المؤمنين من ديارهم. فمودتهم السرّية يعلمها الله، وهي خروج عن الحق، وهم يحاربون المسلمين بالسلاح والشتائم والأذى دائماً، ويسعون لتكفيرهم، ولن تفيد المؤمنَ أقرباؤه يوم القيامة، إذ يفرّق الله بينهم بما يعلم من أعمالهم. ثمّ إنّ وللمؤمنين القدوة الجيدة بإبراهيم النبي وأصحابه، حين واجهوا قومهم بالعداوة والكراهية وتبرؤوا منهم ومن الشرك إلى أن يؤمنوا، وكان استغفار إبراهيم لأبيه دون مُلك الاستجابة، وقد أعلنوا التوكل على الله ودعاءه أن يحفظهم من انتصار الكافرين عليهم وأن يغفر لهم، بعزته وحكمته.

تفسير المفردات: كان: تحقق. وفيهم: في المؤمنين مع إبراهيم. والأسوة: القدوة. والحسنة: الصالحة تستحق الاقتداء. ويرجو: يخاف. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. واليوم: الوقت. والآخر: ما يكون بالبعث بعد الموت. ويتولى: يُعرض عن الحق بمصانعة الكافرين. والغني: المستغني بذاته. والحميد: المحسن مكافأة المطيعين بما اكتسبوا. ٦ عسى: سيتحقق الرجاء. ويجعل: يخلق. وعاديتم: خاصمتم. ومنهم: من المشركين. ومودّة أي: محبة بهدايتهم للإيمان. والقدير: الكامل القدرة بذاته. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والإحسان إلى المؤمنين. ٧ لا ينهاكم: لا يمنعكم. ولم يقاتلوكم: لم يحاربوكم من الكفار. وفي الدين أي: بسبب عقيدة الإيمان. ولم يخرجوكم: لم يحملوكم على الهجرة. والديار: جمع دار، موطن الإقامة والاستقرار. وتبروهم: تُحسنوا إليهم. وتقسطوا إليهم: تعاملوهم بالعدل. ويحب: يودّ ويكرم. والمقسط: العادل المنصف. ٨ قاتلوكم: حاربوكم بالسلاح وغيره من المكايد والفتن ومعونة الأعداء. وظاهروا: عاونوا وساعدوا. وتولَّوهم: تَتَولَّوهم: تتخذوهم أولياء لكم. حُذفت التاء الثانية للتخفيف. والظالمون أي: لأنفسهم بتجاوز الحق. ٩ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وجاءكم المؤمنات: قصدتكم

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ
مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ
وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

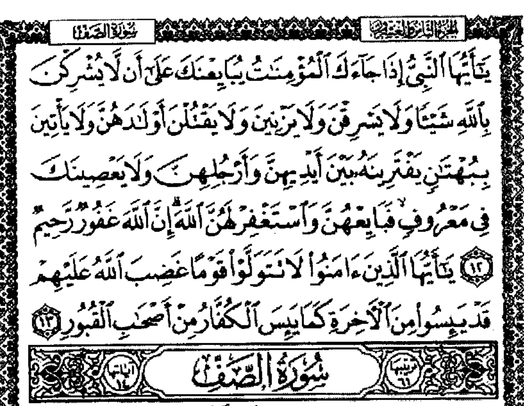
النساء المؤمنات من مكة. ومهاجرات أي: ناجيات بدينهن من العذاب. وامتحنوهنّ: اختبروهنّ للتحقق من سبب الهجرة. وأعلم: أبلغ إحاطة منكم. والإيمان: صدق الاعتقاد. وعلمتموهنّ: تبين لكم منهنّ. ولا ترجعوهنّ: لا تردّوهنّ. والكفار: جمع كافر، أي: المشركون. ولا هن: لسنَ. وحل لهم: مباح نكاحهن للمشركين. ولا هم: ليس المشركون. ويَحلّون: يحلّ نكاحهم. وآتوهم: أعطوا أزواجهنّ الكافرين. وما أنفقوا: مهور نسائهم المؤمنات المهاجرات. والجُناح: الذنب. وأن تنكحوهن أي: في أن تتزوجوا المهاجرات. وإذا آتيتموهن: حين تعطونهنّ. والأجور: جمع أجر، أي: المَهر. ولا تمسكوا بالعصم: افسخوا عقود زوجاتكم. والعصم: جمع عِصْمة، عَقد النكاح. والكوافر: جمع كافرة. واسألوا: اطلبوا من الكافرين الناكحين لزوجاتكم الكافرات. وما أنفقتم أي: المهور. وذلكم أي: ما ذُكر من النكاح واسترداد المهور. والحكم: الأمر الواجب. ويحكم: يأمر ويقضي. وبينكم: بين المخاطبين والمشركين. والعليم: المبالغ في الإحاطة بالحق. والحكيم: ذو الحكمة العالية في كمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء. ١٠ فاتكم: ذهب عنكم. وشيء أي: بعض المهر. والأزواج: جمع زوج، أي: الزوجة. وعاقبتم: جازيتم العدوّ. وآتوا: أعطوا. وذهبت: هاجرت. والمثل: المماثل. واتقوا الله: تجنبوا غضبه واطلبوا رضاه. ١١

المعنى العام: متابعة ذكر إبراهيم وأصحابه المؤمنين بأنهم القدوة المثلى للمسلمين فيما فعلوا، ومن خالف ذلك عاقبه الله الغنيّ الحميد.

ولما نزلت الآيتان ٥ و٦ عزم المؤمنون على معاداة جميع الكافرين فنزلت الآية ٧ بأنه سوف يهتدي بتيسير الله بعض الكافرين فتكون لهم المودّة من المسلمين، ثم إن البر واجب مع المسالم، والعدل واجب معه ومع المقاتل أيضًا إلاّ في ميادين الحرب الخفية والمُعلنة، وإنما كان النهي فقط عن موالاة المحاربين لكم بسبب إيمانكم والمعتدين عليكم بالتشريد، والمساعدين لهم على ذلك.

ولما كان في صلح الحُديبية أن يردّ النبي ﷺ رجال المسلمين الهاربين من ظلم أهليهم بمكة، وجاءت سُبيعة بنت الحارث مهاجرة، وأقبل زوجها الكافر يطلب ردها، نزلت الآيتان ١٠ و ١١ لتوكيد حصر ذلك العهد بالرجال، وباختبار المهاجرات للتحقق من إيمانهنّ، وعدم ردّ المؤمنات وبدفعِ مهورهنّ إلى أزواجهنّ بمكة، حين يتزوجهنّ المؤمنون، وعدمِ التمسك بالزوجات الكافرات، والحكمِ بوجوب تبادل المهور المدفوعة بين المؤمنين والكافرين، وردِّ الحق إلى صاحبه، مع الاستمرار في تقوى الله وطاعته.

تفسير المفردات: النبيّ: محمد ﷺ. وجاءك: قصدك وحضر مجلسك. والمؤمنات: من صدّقْنَ الله ورسوله، واعترفت قلوبهنّ بالتوحيد وما يلزمه. ويبايعنك: يُردنَ التعهّد لك بتوكيد وتوثيق. ولا يشركنَ: لا يجعلنَ شريكًا في الأُلوهيّة والتقديس والطاعة. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده أو متخيّل. ولا يسرقنَ: لا يسلبنَ مالًا. ولا يزنينَ: لا يرتكبنَ الزنى. ولا يقتلنَ: لا يئدنَ. والأولاد: جمع ولد. من ذكر أو أنثى. ولا يأتينَ: لا يفعلنَ أو يقلنَ. والبهتان: الكذب الذي يُدهِش صاحبه إذا واجهتَه به. ويفترينَه: يدعينَه كذبًا عن ولد أنه ابن من الزوج. وبين أيديهنّ وأرجلهنّ أي: أنهنّ ولدنَه. ولا يعصينَك: لا يخالفنَك. والمعروف: ما أقرّه الله. وبايعهنَّ: تعهّد لهنّ بالقبول والثواب. واستغفر لهنّ: اسأل بالدعاء سترَ ما كان وما سيكون، وعدمَ المؤاخذة عليها. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والغفور: الكثير الستر للذنوب والعفو عنها. والرحيم: العظيم العطف بالعصمة والإحسان إلى المؤمنين. ١٢ آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. ولا تتولَّوا: لا تواصلوا بالمودّة. والقوم: الجماعة من الناس. وغضب عليهم: طردهم من الرحمة. ويئسوا: قطعوا الأمل. والآخرة أي: ما في الحياة بالبعث من الثواب. والكفار: جمع كافر، من أنكر التوحيد والرسالة. والأصحاب: جمع صاحب. والقبور: جمع قبر، مكان الدفن. ١٣



المعنى العام: بايعَ الرسول الرجال بعد فتح مكة، على ألّا يشركوا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يئدوا بناتهم ولا يعصوه في حق، وجاءت الآية ١٢ بمبايعته للنساء كذلك، وعلى الصدق في نسب الأولاد، مع أمره أن يستغفر لهنّ من الله الغفور الرحيم.

ولمّا كان بعض المسلمين يواصلون أغنياء اليهود بأخبار إخوانهم تقرّبًا منهم نزلت الآية ١٣ بالنهي القاطع عن ذلك. فلقد غضب الله على اليهود، لتكذيبهم الدعوة مكابرةً وعنادًا، فتحقق لهم اليأس من نعيم الآخرة كما تحقق للموتى من الكافرين بعدم البعث.

٦١ـ سورة الصَّفّ

تفسير المفردات: سبّح لله: نزّهه عما لا يليق به. السماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والعزيز: الغلّاب لا يعجزه معاند. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم الفعل. ١ لِمَ تقولون أي: لا تتحدّثوا وتذكروا بألسنتكم. وحذفت ألف «ما» تخفيفًا لدخول حرف الجر عليها. ولا تفعلون: لا تنفّذون. ٢ كبر: عظُم. والمقت: أشدّ البغض. وعند الله: في حكمه وقضائه. ٣ يحب: يودّ بها يناسب جلاله وعظمته ويعين. ويقاتلون: يقاومون العدوّ بالسلاح. وفي سبيله: لإعلاء شأن دينه بما شرع من الجهاد. والسبيل: الطريق الواضح. وصفًّا أي: مرصوفين في وحدة. والبنيان: ما يبنى من السدود. والمرصوص: المشدود بعضه إلى بعض. ٤ إذ قال موسى أي: اذكر ـ أيها النبي ـ لنفسك ولقومك وقتَ قوله. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. وقومه: جماعة الناس الذين هو منهم وهم سُومريّون حاميّون. ويا قومِ: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. وتؤذونني: تسيئون إليّ بالمخالفة والمفاسد. وقد تعلمون أي: علمتم يقينًا. والرسول: المُرسَل لتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. وزاغوا: انحرفوا عن الحق. وأزاغ: أمال عن الهدى وزاد الضلال. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. ولا يهدي: لا يوجّه القدرات إلى خير لِما فيها من انحراف وفساد ولا يوفق في الهداية. والفاسقون: الكافرون. ٥

المعنى العام: سأل الصحابة النبي ﷺ عن أحبّ الأعمال إلى الله، فنزلت هذه السورة بالتوجيه إلى ذلك. فالكونُ ينزّه الله عما لا يليق به، والتوبيخُ لبعض المؤمنين في عملهم بغزوة أُحد، وقولهم غير ما كان منهم، لأن الله يبغض التفاخر بالباطل، ويكرم المجاهدين بوحدة كالبنيان المشيّد، وضعفُ إيمان أولئك المتفاخرين بالباطل شبيه بما كان من قوم موسى، حين كذّبوه وآذَوه باتهامات كاذبة، وهم يعلمون صدق نبوّته، فعاتبهم على ذلك بالتوبيخ والزجر، وضللهم الله لإصرارهم على الكفر.

تفسير المفردات: إذ قال عيسى أي: وقت قوله. وعيسى: نبي النصارى أُنزل عليه الإنجيل وزعم اليهود أنهم صلبوه. ومريم: أُمّه اتهموها بالفاحشة. وبنو إسرائيل: سُومريُّون حاميّون من نسل يعقوب وهم اليهود، بعضهم تنصّر. والرسول: من بُعث للدعوة إلى التوحيد مع العمل. والمصدّق: المؤكّد المحقّق. وبين يديّ: كان قبلي. والتوراة: الكتاب الذي أُنزل على موسى. والمبشّر: من يبلّغ الخير. ويأتي: يرسله الله. وأحمد: أكثر الناس حمدًا ومحموديّة. ولمّا: حين. وجاءهم أي: أتاهم محمد ﷺ للدعوة. وبالبينات أي: مع الأدلة على صدقه. وهذا أي: القرآن الكريم. والسحر: ما يخدع عقول السفهاء. والمبين: الظاهر البيان. ٦ من أظلم أي: لا أحد أكثر مجاوزة للحق. وافترى: اختلق. والكذب: ما لا أصل له. ويدعَى: يُطلب إقباله ويُحضّ. والإسلام: الدين الإسلاميّ. ولا يهدي: لا يوجّه القدرات إلى خير ولا يوفق في الهداية. والقوم: الجماعة من الناس. والظالمون: المصرّون على الكفر. ٧ يريدون: يطلبون. وليطفئوا أي: أن يُخمدوا ويُبطلوا. والنور: ما يضيء ويهدي من الشرع والبراهين. والأفواه: جمع فَوه. وهو الفم. والمتمّ: المُظهِر. ولو كره أي: وإن أبغض ذلك. والكافرون: من كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ٨ أرسل: بعث لتبليغ البَشر مع العمل. وبالهدى: مصاحبًا القرآن المرشد إلى طريق الصواب. والدين: العقيدة والشريعة. والحق: الصادق الثابت لا شك فيه. ويظهره: يغلّبه. والدين: الأديان. والمشركون: من جعلوا بعض المخلوقات شريكًا في الألوهية والطاعة. ٩ آمَنوا: صدّقوا الله ورسوله. أدلّكم: أُوجِهكم. والتجارة: العمل في الشراء والبيع، استعير هنا لفضائل الأعمال. وتنجيكم: تنقذكم. والعذاب: التعذيب. والأليم: الشديد الإيلام. ١٠ تؤمنون: تدومون على الاعتقاد اليقينيّ. والرسول: محمد ﷺ. وتجاهدون: تبذلون كل ما تستطيعون. وفي سبيل الله: لإعلاء كلمته وشأن دينه بما شرع من الجهاد. والسبيل: الطريق الواضح. والأموال: جمع مال، ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والأنفس: جمع نفْس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. وذلكم أي: الإيمان والجهاد. وخير: أكثر نفعًا من تجارة المال. وتعلمون: تدركون الحقائق النافعة. ١١ يغفرْ لكم أي: إن تمتثلوا يسترْ لأجلكم ولا يعاقبكم. والذنوب: جمع ذنب، المعصية عليها عقاب. ويُدخلكم: ييسر لكم الدخول. والجنّة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. والمساكن: جمع مسكن، موطن الإقامة والاستقرار. والطّيبة: ذات النعيم. والعدن: الإقامة الدائمة. وذلك أي: المغفرة ودخول الجنة. والفوز: الظفر بالمطلوب. والعظيم: الفخم لا مثيل له. ١٢ الأُخرى: الحالة المغايرة للمتقدمة قبل. وتحبونها: تفضّلونها وتتمنّونها. والنصر: العون على العدو. والفتح: التمليك لبلاد المعتدين. وقريب أي: حصوله وتحققه. وبشّر: أبلغ ما فيه السعادة من النصر والفتح، أيها النبيّ. ١٣ كونوا أي: دوموا. والأنصار: جمع نصير للدين. والحواريّون: الأصحاب المخلصون. وإلى الله أي: إلى نصرة دينه. وآمنتْ: صدّقت توحيد الله وما يلزمه. والطائفة: الجماعة. وكفرت: كذّبت التوحيد. وأيّدنا: ساعدنا وقوّينا. والعدو: المعادي بخصام وقتال. وأصبحوا: صاروا. وظاهرين: غالبين منتصرين على الكافرين. ١٤

الجزء الثامن والعشرين سورة الصف

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا
جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ
طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ
مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ
قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

المعنى العام: أن عيسى بن مريم أعلمَ بني إسرائيل بصدق رسالته وتصديقه للتوراة وتبشيره بنبوة محمد ﷺ، ولكنهم اتهموا محمدًا بالسحر، فكانوا أظلم الناس لا تتيسر هدايتهم، ثم حاولوا الكيد لإطفاء نور الإسلام بمزاعمهم، واللهُ يتمّمه و ينصره على الرغم منهم، ويغلّبه على جميع الأديان برغم المشركين أيضًا.

أما العمل المتفوق على كل تجارة وكسب والمنقذ من عذاب الدنيا والآخرة ـ أيها المؤمنون ـ فهو متابعة الإيمان والجهاد في إعلاء دين الله. إن تفعلوه يكن الفوز بالغفران والخلود في نعيم الجنة، بعد النصر في الدنيا وتملُّك ديار المعتدين. فليكن المؤمنون مناصرين للإسلام، كما استجاب الحواريون لعيسى بعونه ونصرة دينه، وغلّبهم الله بالتأييد والعون على أعدائهم الكافرين.

٦٢ ـ سورة الجُمُعة

سُورَةُ الجُمُعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا
مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾
قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ
الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

تفسير المفردات: يسبِّح لله: ينزِّهُه عما لا يليق به. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمَلِكُ: المالكُ لكل الخلق والنافذُ الأمر والتصرّف فيه. والقدّوس: المنزَّه عما يصفه به الكافرون. والعزيز: الغلّاب لا يُعجزه هارب أو معاند. والحكيم: ذو الحكمة العالية بكمال العلم وإحسان الفعل وإتقان الأشياء.١ بعث: كلف بتبليغ العقيدة والشريعة مع العمل. والأُمّيّون: العرب كثير منهم يجهل القراءة والكتابة. والرسول: المكلّف بالدعوة. ومنهم أي: مِن نسبهم وأُمّيّ مثل كثيرهم. ويتلو: يقرأ استظهارًا بدون كتاب. والآيات: النصوص القرآنية. ويزكيهم: يطهّرهم من الشرك والفساد. ويعلّمهم: يفهّمهم. والكتاب: القرآن الكريم. والحكمة: أحكام الشريعة. وإن أي: لقد إنّهم. وقبل: قبل مجيئه. والضلال: الخروج على الحق. والمبين: الظاهر البيان. ٢ الآخرون: غير الموجودين حينذاك. ولمّا يلحقوا بهم: لم يساووهم في السبق والفضل. وهو أي: الله تعالى. ٣ ذلك: ما ذكر من الرتبة العظيمة للنبي ﷺ وأصحابه. والفضل: التفضل بالإحسان. ويؤتيه: يعطيه. ويشاء: يريد الله أن يكرمه. وذو الفضل: صاحبه يملكه ويتفرّد به. والعظيم: الضخم لا مثيل له. ٤ المَثَل: الصفة والحال العجيبة تُذكر للناس عظة. وحُمّلوا: بُلّغوا وكلّفوا بالعمل. والتوراة: الكتاب الذي أوحي إلى موسى. ولم يحملوها: لم يعملوا بما فيها من الأحكام والمعلومات. والحمار: الحيوان المعروف يُضرب ببلادته وغباته المَثَل. ويحمل: تُثْقل ظهره. والأسفار: جمع سِفر، الكتاب الكبير المنضد. وبئس: بلغ الغاية في الفساد والبؤس والشر. والقوم: الجماعة من الناس. وكذّبوا: أنكروا. والآيات: الأدلة القرآنية. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا يهدي: لا يوجّه القدرات إلى الحق ولا يوفّق فيه. والظالمون: الكافرون المصرّون على الكفر. ٥ قل أي: لليهود، أيها النبيّ. وهادوا: تديَّنوا باليهودية. وزعمتم: ادّعيتم. والأولياء: جمع ولي، المخلص المحبوب. ومن دون الناس أي: وحدكم متميزين على البشر. وتمنَّوُا الموت: ادعُوا الله يميتكم لتنتقلوا إلى مرتبتكم التي تزعمونها لكم. والصادقون: من يقولون الحق. ٦ أبدًا: في كل وقت. وبما قدمت: بسبب ما فعلته. والأيدي: جمع يد. والعليم: المبالغ في الإحاطة. ٧ تفرّون منه: تخافون أن تتمنَّوه وتهربون منه. وملاقيكم: يقابلكم فجأة. وتردّون: تعادون بالبعث للحساب. والغيب: السرّ يغيب عن حواس البشر وإدراكهم. والشهادة: الأعمال الظاهرة لهم. وينبّئكم: يخبركم. وتعملون: تكتسبونه من نيّة أو قول أو فعل. ٨

المعنى العام: أن ما في الكون ينزّه الله بالقول والعبادة أو بالخضوع لإرادته، وقد أرسل في العرب الضالين الأُمّيّين من يبلّغهم ويعلّمهم الدين القويم، ويخلّف من الوحي والسُّنّة ما تهتدي به أقوام قادمة، بفضل الله ورحمته.

أما اليهود فقد بُلّغوا التوراة ولم يقوموا بما توجبه، فكانوا كالحمار يحمل كتب العلوم، ولا يناله منها إلّا الإرهاق والشقاء والقصور. فما أشنع حالهم في الضلال!

ومع هذا فإنهم عندما ظهرت دعوة النبي ﷺ في المدينة قالوا: «نحن أبناء الله وأحباؤه، ومنا الأنبياء. ومتى كانت النبوة في العرب؟ نحن أحق بها». فنزلت الآيات بأن يتمنّوا الموت ليلقَوا ما يزعمون من المنزلة، ولكنهم لا يفعلون ذلك خشية ما سيلقون من العذاب بكفرهم وظلمهم والقبائح، مع أن الموت الذي يخافونه ويتهربون منه هو آتيهم بلا شك، لينالوا عقابهم العظيم. فإن الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون، ويحاسبهم بما يستحقون من العذاب.

تفسير المفردات: آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ونودي: دُعي بالأذان عند قعود الخطيب على المنبر. والصلاة: صلاة الجمعة. واسعَوا: اذهبوا. وذكر الله: الصلاة والخُطبة والدعاء. وذروا: اتركوا. والبيع أي: وما يلزمه من الشراء وما يكون من الأعمال. وذلكم أي: أداء الصلاة. وخير: أكثر نفعًا من غيره. وتعلمون: تدركون وتعُون. ٩ قُضيت: أُدِّيتْ وانتهت. وانتشروا في الأرض: تفرقوا للقيام بحاجاتكم. وابتغوا: اطلبوا. والفضل: التفضل بالنعم والإحسان. واذكروا الله: استحضروا في نفوسكم عظمته بالقول والفعل. ولعلكم: ليُترجَّى لكم. وتفلحون: تفوزون بما تحبون. ١٠ رأوا: أدرك المؤمنون وعلموا بما يسمعون من الضجيج. والتجارة: ما يتاجَر به من البضائع. واللهو: ما يكون فيه شغل عما يُفيد. وانفضوا إليها: انصرفوا عن الخطبة والصلاة إلى التجارة. وتركوك: خلَّوك في الخطبة، أيها النبيّ. وقائمًا أي: على المنبر. وقل أي: لهم. وما عند الله أي: الشيء الذي في حكمه وتفضله. وخير: أكثر نفعًا للمؤمنين. وخير الرازقين: أفضل من يهيئ لغيره الحاجات ويقدمها. ١١

المعنى العام: رجعتْ تجارة من الشام إلى المدينة يوم جمعة، والنبي ﷺ يخطب، وخرج المسلمون للقائها من المسجد، فنزلت الآيات بالإرشاد إلى إهمالِ الأعمال عند دعوة المؤذن لصلاة الجمعة بما فيها من خُطبة، ثم العودةِ بعد انتهائها إلى مقاصدهم لطلب الرزق مع ذكر الله، فيكون لهم الفلاح. وقد وُبِّخوا بانصرافهم عن النبي ﷺ في خطبة الجمعة، للقاء التجارة القادمة من الشام، وكان عليهم إتمام العبادة، وهي تحقِّق لهم بثواب الله ما هو أفضل من مكاسب الحياة الدنيا كلها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ
فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ
١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ
مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١

سُورَةُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١
ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ
فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ
وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ
صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤

٦٣ـ سورة المنافقون

تفسير المفردات: جاءك: قصدك وحضر مجلسك. والمنافقون: من يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر. وقالوا أي: بأفواههم. ونشهد: نُقرّ ونُقسم على ذلك. ورسول الله أي: مَن أرسله بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع العمل. ويَعلم: يحقق ويُقسم أيضًا. ويشهد: يُعلم ويبيّن. وكاذبون أي: يقولون خلاف ما يعتقدون. ١ اتخذوا: جعلوا. والأيمان: جمع يمين. وهي القَسَم. وجُنّة أي: حماية لأرواحهم وأموالهم من جهاد المؤمنين. وصدّوا: منعوا الكثيرين. والسبيل: الطريق الواضح للإيمان والجهاد. وساء: بلغ الغاية في السوء والقبح والفساد. ويعملون: يكتسبونه اختيارًا وقصدًا. ٢ ذلك أي: سوء عملهم. وآمنوا: أقرّوا بالإيمان قولًا. وكفروا: كذّبوا الدعوة اعتقادًا وأنكروها. وطُبع: خُتم وسُدّتِ المنافذ. والقلوب: جمع قلب، موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال يمد الدماغ بذلك. ولا يفقهون: لا يفهمون بدقة ووضوح. ٣ ورأيتهم: أبصرتهم عِيانًا، أيها المخاطب. وتُعجبك: تُرضيك مع الطمأنينة. والأجسام: جمع جسم، هيكل الجسد وهيئته. وتسمع: تُنصت. والقول: الفصاحة في الخطاب. والخشب: جمع خَشَب. والمسنّدة: المدعّمة بالجدران والأعمدة. ويحسبون: يظنون. والصيحة: الصياح بصوت مرتفع. وعليهم أي: هم مقصودون بها لكشف فضائحهم. والعدوّ: الأعداء المخاصمون. واحذرهم: احفظ أسرارك عنهم. وقاتلهم: أهلكهم بالطرد من رحمته. وأنّى يؤفكون: كيف يُصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان على وجوبه ؟ ٤

نصف الحزب ٥٦

المعنى العام: يدّعي المنافقون للنبي ﷺ أنهم مؤمنون برسالته، والله يشهد بأنها حق وأنهم يقولون غير ما في قلوبهم، جعلوا النفاق وسيلة لحماية أنفسهم، وتثبيط الناس عن الإيمان. فما أشنع أعمالهم ! لقد تظاهروا بالإيمان وهم كافرون، حتى أغلق الله قلوبهم لا يتقبلون هداية. وهم يتصدرون المجالس ويستندون إلى الجدران بأجسامهم، فيُعجَب الناس بهياكلهم وينصتون إلى عباراتهم المصطنعة، أشباحًا خاوية من التدبر، و قلوبهم فزعة يخافون كل صيحة، خشية أن تكون فضيحة لهم. فليتجنب النبي الكريم غدرهم ومكايدهم، لأنهم الأعداء الألداء وقد تحققت اللعنة عليهم بلا شك، لِعجيب انصرافهم عن الحق الوضّاح.

الجزء الثامن والعشرون — سورة المنافقون

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ
خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ
مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن
يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

تفسير المفردات: قيل لهم: قال المؤمنون للمنافقين المفسدين. وتعالوا: أقبلوا على النبي ﷺ للاعتذار مما تفعلون. ويستغفرْ: يدعو بستر الذنوب والصفح عنها. والرسول: محمد ﷺ. ولوَّوا: عطفوا تكبرًا وعنادًا. والرؤوس: جمع رأس. ورأيتهم: أبصرتهم عِيانًا، أيها المخاطَب. ويصدون: يمتنعون عن الحضور. ومستكبرون أي: طالبون ما ليس لهم من العظمة والترفع. ٥ سواء: متساويان في النتيجة والعاقبة. وأستغفرت أي: استغفارك. حذفت همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام يسّرت النطق بالسين الساكنة بعد. ولم تستغفر أي: عدم استغفارك. ولن يغفر: لن يستر الذنب ويصفح عنه. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا يهدي: لا يصرف القدرات ولا يرشد إلى الحق لِما في الاستعداد من الخبث والفساد، بل يترك في الضلال ويمد بالزيادة. والقوم: الجماعة من الناس. والفاسقون: الكافرون الخارجون عن الهداية إلى الضلال. ٦ يقولون أي: فيما بينهم. ولا تنفقوا: لا تتكفّلوا النفقات ولا تعينوا بأموالكم. ومَن عند الرسول أي: المهاجرون. وحتى ينفضوا أي: ليتفرّقوا عن النبي ﷺ ويدعوا الصحبة والموافقة. والخزائن: جمع خزينة، ما خُزن وجُمع من الرزق. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والمنافقون: من أظهروا الإيمان وهم كافرون. ولا يفقهون: لا يعلمون تفرّد الله بالملكِ والمنعِ والعطاء لجميع الخلق. ٧ لئن أي: نُقسِم إن. رجعنا: عدنا من الغزوة. والمدينة أي: المنوّرة. ويخرجنّ: يَطردنّ. والأعز: من هو أكثر قوة. ومنها: من المدينة. والأذل: من هو أكثر ضعفًا، أي: المهاجرون. والعزة: الغلبة والتسلط المطلق لنصرة النبي والمؤمنين على أعدائهم. ولا يعلمون: لا يدركون ذلك ولا يعونه. ٨ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. ولا تلهكم: لا تشغلكم. والأموال: جمع مال، ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والأولاد: جمع ولد. وذكر الله: عبادته و استحضار عظمته وجلاله في القلب واللسان والعمل. ويفعل: يكتسب باختيار وعزم. وذلك أي: الانشغال بالمال والولد عن الإخلاص في الإيمان. والخاسرون: من يضيّعون ما كان لديهم وما ينتظرون من الخير، لأنهم فضّلوا الخسيس الفاني على العظيم الدائم. ٩ أنفقوا: ابذلوا طاعة واحتسابًا. ورزقناكم: أعطيناكم. ويأتي: يجيء. وأحدكم: الواحد منكم. والموت أي: مقدّماته وعلاماته. وربّ: يا ربّي. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. ولولا: هلّا. للتمنّي والدعاء. وأخرتني: أمهلتني بتأخير الموت. والأجل: الوقت المعيّن. والقريب: القليل القدر. وأصّدّق: أتصدّق أي: أدفع ما وجب عليّ من المال. أدغمت التاء في الصاد. وأكن: أصِر. والصالحون: من يعملون ما يرضي الله. ١٠ لن يؤخر: لن يؤجّل. والنفس: المخلوق الحي. وإذا جاء: حين ينتهي. والأجل: العمر المحدّد. والخبير: عليم الأسرار والخفايا. وتعملون: تكتسبونه بالقول أو الفعل. ١١

المعنى العام: نزلت بعض الآيات تفضح قبائح رأس المنافقين عبد الله بن أُبيّ، ودعاه قومه أن يعتذر للنبي ﷺ مما شتم ونافق، فأبى واستكبر، وحين حصل خلاف بين بعض المهاجرين والأنصار في طريق العودة من غزوة بني المصلق، أثار هذا المنافق القضية، يحث أصحابه بعد العودة على إخراج المهاجرين من المدينة، فجاءت الآيات لتشنيع أفعال المنافقين، والتيئيس من قبولهم الهداية.

فهم لا يريدون مغفرة، ولن يفيدهم استغفار النبي ﷺ لهم، ولن يرشدهم الله إلى الإيمان، ويحرّض بعضهم بعضًا على إبعاد الصحابة عن النبي ﷺ بعدم الإنفاق عليهم، ويظنون أن الغلبة لهم، مع أنها لله والرسول والمؤمنين بإظهار الإسلام على الأديان ونصر الله للمؤمنين على من عاداهم.

فلينصرف هؤلاء المؤمنون إلى عبادتهم وجهادهم بكل ما يملكون، لئلّا يفقدَ أحدهم كل رجاء، ثم يطلبَ تأخير موته ليصلح أعماله. وذلك محال تنفيذه لا يكون.

٦٤ـ سورة التغابن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ
وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ
فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى
ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي
لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ
صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾

تفسير المفردات: يسبّح لله: ينزّهُه عما لا يليق به. والسماوات: ما يحيط بالأرض من الكون. والأرض: موطن الحياة الدنيا. وله أي: مستحَقه وحده. والمُلك: تمام الحيازة والتصرف. والحمد: الثناء بالجميل على فضله ونعمه. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: المبالغ في القدرة بذاته. **١** خلقكم: أوجدكم من العدم، أيها الناس. ومنكم أي: بعضكم. والكافر: من كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. والمؤمن: من عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. وتعملون: تكتسبونه نية وقولًا وفعلًا. والبصير: المدرك للأحداث. **٢** بالحق: مصاحبةَ الحكمة البالغة. وصوّركم: قدّر صوركم وأنشأها. وأحسن صوركم: جعلها متناسقة تناسب ما خُلقت له. والصور: جمع صورة، الشكل والهيئة. وإليه: إلى ميعاد حسابه وجزائه. والمصير: الانتقال بالبعث بعد الموت. **٣** يعلم: يحيط بالغ الإحاطة جملة وتفصيلًا. وتسرّون: تخفونه عن الآخرين. وتعلنون: تظهرونه لهم. والعليم: المبالغ في العلم. والصدور: جمع صدر، يراد به القلب. وذات الصدور: ما يصاحبها مضمرًا فيها. **٤** ألم يأتكم: لقد بلغكم وعلمتموه، أيها الكافرون. والنبأ: الخبر العظيم. وقبلُ أي: قبلِكم. وذاقوا: عانَوا وقاسَوا. والوبال: ضرر العقوبة. والأمر: العمل الخطير. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم جدًّا. **٥** ذلك أي: عذاب الدنيا والآخرة. وبأنه أي: حاصل بسبب أن الشأن. وتأتيهم: تصل إليهم. والرسل: جمع رسول، من كلفه الله بالدعوة مع العمل. وبالبيّنات: مع الحُجج الظاهرة على الصدق. وقالوا أي: الكافرون للرسل. وأبشر يهدوننا أي: محالٌ أن يدلنا على الحق أفراد من بني آدم. وتولّوا: أعرضوا عن الإيمان دون تدبر. واستغنى الله: ظهر غِناه عن إيمانهم فلم يأبه لهم. والغنيّ: المكتفي بذاته عما سواه. والحميد: المحمود في جميع أفعاله. **٦** زعم: ادّعى. وأنْ أي: أنّهم. ولن يُبعثوا: لن تُخلق فيهم الحياة بعد الموت. وقل أي: لهم، أيها النبيّ. وبلى أي: كذبتم. وربّي: أُقسِم بربّي. ولتُبعثُنّ: لتُخرجُنّ من القبور أحياء. وتنبّؤون: تُخبَرون. وذلك أي: ما ذكر من البعث والحساب. واليسير: الهيّن جدًّا. **٧** آمِنوا بالله: صدّقوه يقينًا. والرسول: محمد ﷺ. والنور: القرآن الكريم يضيء فيميّز الحق من الباطل. وأنزلنا: أوحيناه وكلفنا بالدعوة إليه. والخبير: العليم بالخفايا والبواطن. **٨** اليوم: الوقت. ويجمعكم: يحشركم. والجمع: الحشر للحساب. والتغابن: تبادل الاتهام بالغَبن بين الناس، أي: تضييع نصيب الغير من الخير. والصالح: ما أقرّه الشرع. ويكفّر: يستر ويصفح. والسيئة: الفعلة القبيحة تقتضي العقاب. ويدخله: ييسّر له الدخول. والجنّة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. وتجري: تتدفق. وتحتها: تحت قصورها. والأنهار: جمع نهر. وخالدين أي: مقيمين كثيرًا. وأبدًا: مدة الزمان كله. وذلك أي: المغفرة والخلود في الجنّة. والفوز: النجاح. والعظيم: الضخم لا مثيل له. **٩**

المعنى العام: أن ما في الكون ينزّهُ الله بالقول أو بالخضوع لإرادته، وهو المالك المحمود دائمًا والقادر على كل شيء، خلق الناس كلهم على فطرة الإيمان، لأنه كل مولود يولد على الفطرة، فكفر بعضهم بتربية الأهل والبيئة وآمن آخرون، وذلك عملهم بأنفسهم مع أن الله هو خالق الإيمان أو الكفر وميسّره، ومطلع على ما يكون ومحاسب كل إنسان بما فعل. ومن يظن الكفر والإيمان جبرًا، أو اختيارًا بدون إرادة الله، فهو جاهل بمعنى الخلق والتقدير والإرادة.

فقد خلق الله الكون وجعل الإنسان بشكل يناسب حياته وأعماله، ويعلم أسرار النفوس، ولقد جاءت إلى المشركين أخبار إبادة الأمم الكافرة لإنكارهم طاعة رسلهم بالتوحيد والبعث، فلم يستفيدوا منها والله مستغن عنهم جميعًا، ومحمود فيما يفعل. إنهم ينكرون البعث أيضًا، . وعلى النبي أن يجيبهم بتحقّقه حتمًا، وعليهم الإيمان بما يبلّغهم النبي ﷺ، لأنهم سيحاسَبون على ما فعلوا يوم الحشر بالقوة، وتكون الاتهامات بينهم لفوات النعيم ونوال الجحيم، حيث يتحقق للمؤمنين فوزهم بالخلود في نعيم الجنة...

تفسير المفردات: كفروا: أنكرواالتوحيد والبعث. وكذّبوا: جحدوا. والآيات: النصوص القرآنية والأدلّة الكونية. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم لا يفارق. والنار: نار جهنم. وخالدين: مقيمين أبدًا. وبئس: بلغَتِ الغايةَ في البؤس والسوء. والمصير: مكان النهاية. ١٠ ما أصاب: لم ينل أحدًا. ومن مصيبةٍ أي: بلاءٌ يسوء ويؤذي. وبإذن الله أي: مصاحبةً علمه وإرادته. ويؤمن بالله: يصدّق يقينيًّا بوجوده ويعلم أن كل حادثة بقضائه وقدره. ويهدي: يرشد ويوفق في الرضا والصبر. والقلب: موطن الاعتقاد والتدبّر والانفعال. والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والشيء: ما هو موجود. والعليم: المبالغ في الإحاطة. ١١ أطيعوا الله: الزموا تنفيذ أمره ونهيه، أيها الناس. والرسول: محمد ﷺ. وتوليتم: أعرضتم عن الطاعة. والبلاغ: التبليغ والدعوة. والمبين: الظاهر البيان. ١٢ الإلٓه: المعبود بحق. وهو أي: الله تعالى. ويتوكل: يعتمد في جميع أحواله. والمؤمنون: من عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ١٣ الذين آمنوا: المؤمنون والمؤمنات. والأزواج: جمع زوج، امرأة الرجل وزوج المرأة. والأولاد: جمع ولد. والعدوّ: المعادي يشغل عن الطاعة، وقد يخاصم في أمور الدين والدنيا. واحذروهم: احفظوا أنفسكم من ضررهم. وتعفوا: تتركوا عقابهم. وتصفحوا: تُعرضوا عن لومهم. وتغفروا: تستروا ذنوبهم وتقبلوا معذرتهم. والغفور: الكثير الستر للذنوب مع عدم المؤاخذة عليها. والرحيم: العظيم العطف بالإحسان إلى المؤمنين. ١٤ الأموال: جمع مال، ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والفتنة: ما يكون للاختبار بتمييز الصالح من الفاسد. وعنده: في المنزلة الرفيعة المقرّبة. والأجر: المكافأة. والعظيم: الفخم لا مثيل له. ١٥ اتقوا الله: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة. وما استطعتم أي: نهاية استطاعتكم بأقصى القدرة. واسمعوا: تقبّلوا هدايته بالرضا. وأطيعوا: نفّذوا أمره. وأنفقوا: ابذلوا ما تستطيعون احتسابًا. وخيرًا أي: يكن ذلك نفعَ الدنيا والآخرة. والأنفس: جمع نفس، حقيقة الإنسان بروحه وجسده. ويوقى: يحفظه الله ويكفيه. والشح: البخل الشديد. والنفس: الضمير والوجدان. والمفلحون: الفائزون بنعيم الدنيا والآخرة. ١٦ تقرضوا الله: تبذلوا ما تستطيعون إيمانًا واحتسابًا، ليعوّضكم الثواب الكريم. والحسن: المقرون بالإخلاص والرضا. ويضاعفُه: يضيف إليه أمثاله كرمًا. والشكور: المجازي بأضعاف الطاعة. والحليم: ذو العفو المطلق لا يعجّل بالانتقام. ١٧ العالم: المطّلع المحيط بالظواهر والخفايا. والغيب: ما غاب عن حواس البشر وإدراكهم. والشهادة: ما هو ظاهر للعِيان. والعزيز: الغلّاب يُذِلّ ما عداه. والحكيم: ذو الحكمة العالية مع تمام العلم وفائق الإتقان لما يفعل. ١٨

الجزء الثامن والعشرون　سورة التغابن

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ
فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ
وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ
حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

المعنى العام: ويوم القيامة أيضًا يكون خلود الكافرين في جهنم. وما أسوأ عاقبتَهم!

وعندما قال الكفار: «لو كان ما عليه المسلمون حقًّا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا» نزلت الآية ١١ بأن المصائب ليست للعقوبة، وإنما هي لحكمة في مصلحة الحياة، وأن المؤمنين يتقبلونها بالصبر ودوام الطاعة فيعينهم الله، ومن كفر بما بلغه من الدعوة كان له العقاب ولن يُسأل عنه الرسول، لأن مهمته تبليغ الرسالة والتوكل المطلق.

ولما منع بعضَ الصحابة أهلُه من الغزو والهجرة نزلت الآيتان ١٤ و ١٥ بأن يحذَر المؤمنون تضليل أهلهم إيّاهم، ويسامحوهم فيما كان منهم، والله غفور رحيم وعنده المكافأة العظيمة.

وعندما اشتد على المؤمنين أن يتقوا الله حق تقاته وأخذوا أنفسهم بكثرة العبادة والتحرج، حتى ضاقت بهم الحياة، نزلت الآيات ١٦ـ١٨ للتخفيف والتيسير بما في الاستطاعة من العمل والبذل، وفيه نعيمُ الدنيا والآخرة، وأن البذل واجب والإنقاذ من البخل نعمة كبيرة، وما يبذله المؤمن ينال عليه أضعاف المكافأة والمغفرة، من الله الشكور والعليم والحكيم في حسابه.

٦٥ ـ سورة الطلاق

الجزء الثامن والعشرون سورة الطلاق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ
ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ
ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ
ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ
بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ
وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ
بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ
مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ
مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ
وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ
إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥

نصف الحزب ٥٦

تفسير المفردات: النبي: محمد ﷺ. وطلقتم: أردتم الإخلاء من عَقد الزواج. والنساء: جمع نسوة. والنسوة: واحدته امرأة، أي: المدخول بها نكاحًا من ذوات الحيض. وطلّقوا: ابدؤوا بإيقاع حكم الطلاق. ولعِدّتهنّ: في أول عدّة كل منهنّ. وهي المدة الشرعية المعيَّنة تقضيها المرأة عند زوال النكاح، لتَظهر براءة رحمها من الحمل، وتبدأ في طهر من الحيض لم يقع فيه جماع. وأحصوا العِدّة: احفظوا حسابها. واتقوا الله: تجنّبوا غضبه واطلبوا رضاه بالطاعة. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. ولا تخرجوهن: لا تحملوا المطلّقات على المغادرة. والبيوت: جمع بيت، مسكن الزوجية. ولا يخرجن أي: لا تأذنوا لهن بالمغادرة دون عذر شرعي. ويأتين بفاحشة: يفعلن بالمغادرة نفسها ما يكون كالفعلة الشنيعة. والمبيّنة: الواضحة. وتلك أي: ما ذكر من الحكم. والحدود: جمع حدّ، الحكم القاطع لا تجوز مخالفته. ويتعدّى: يتجاوز ويخالف. وظلم نفسه: أضرّ نفسه بتحمل العقاب. ولا تدري: لا تعلم، أيها القاصد للطلاق. ولعل الله: يُترجَّى لك منه. ويحدث: يوجد ويجدّد. وذلك أي: الطلاق. والأمر: حصول تراجع عن الطلاق الرجعي، ورغبةٍ في العودة إلى الحياة الزوجية. ١ بلغنَ: أدركنَ. والأجل: آخر العِدّة. وأمسكوهن: احتفظوا بهن على عقد النكاح مراجعةً. وبمعروف أي: مع حسن المعاملة والنفقة. وفارقوهن: أديموا الفراق على نيّة الطلاق حتى انقضاء العِدّة. وأشهدوا: أحضِروا من يشهد على الفراق أو المراجعة. وذوَي عدل: رجلين مستقيمين في الشهادة. ومنكم: من المسلمين. وأقيموا الشهادة: أدّوها صادقة، أيها الشهود. ولله: خالصة لوجهه الكريم دون مراعاة أحد. وذلكم أي: ما ورد من الأحكام. ويوعظ به: يوجّه بسببه فيُنصح وينتفع. ويؤمن: يعترف قلبه يقينًا. واليوم: الوقت. والآخر: الذي يكون بالبعث بعد الموت. ويتقي الله: يتجنب غضبه يلزم طاعته. ويجعل: يوجِد. والمخرج: الفرَج والخلاص من شدائد الدنيا والآخرة. ٢ يرزقه: يهيئ له ما يحتاج إليه. وحيث لا يحتسب: جهة ما لم يخطر له ببال. ويتوكل على الله: يفوّض أموره إليه مع السعي بجدّ وإحسان. وهو أي: الله تعالى. وحسبه: يكفيه حاجة الآخرين. وبالغ أمره: منفّذ ما يريد دون تبديل أو مانع. وجعل: وضع وحدّد. والشيء: الحادث. والقدر: الوقت معيّنًا لا بد منه، في قدْره وزمنه وأحواله. ٣ اللائي: اللواتي. ويئسنَ: انقطع أملهنّ. والمحيض: العادة الشهرية، سيلان الدم من الرحم كل شهر. وارتبتم: شككتم في حسبة عِدّتهنّ. والأشهر: جمع شهر. وهو مقدار الدورة الكاملة للقمر حول الأرض. ولم يحضن أي: لصغرهن في العمر. وأولات: صاحبات، واحدته ذات. والأحمال: جمع حَمل. وهو الجنين. ويضعن: يلدن. والأمر: الشأن والحال. واليسر: التيسير.٤ ذلك أي: ما ذكر من حُكم العِدّة. وأمر الله: حُكمه. وأنزله: أوحاه وفرضه. ويكفّر: يستر برحمته ويمسح. والسيئة: العمل القبيح. ويُعظِم: يضاعف ويكثّر. والأجر: الثواب.٥

المعنى العام: الوصف بالنبوة للتشريف والتكريم، والخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين بأن من أراد الطلاق جعله في طُهر للمرأة ليس فيه جماع، وبوجوب لزومها دار الزوجية خلال العِدّة إلّا للضرورة، إذ قد يحصل رجوع عن الطلاق غير البائن، وبكون خروجها لغير الضرورة سيئة كبيرة، وبجواز الرجوع أو تحقيق الطلاق بالمعروف عند انتهاء العِدّة، وبشهادة عدلين على كل من الأمرين. أما عِدّة العجوزِ أو الصغيرةِ التي لم تبلغ سن الحيض فثلاثة أشهر، والحاملةِ لجنين فمُدّةُ الحمل.

هذه أحكام الله في الطلاق والعِدّة والمراجعة، يلزمها المؤمنون المتقون ولا تجوز مخالفتها ، ليكون لهم تيسير الخير والرزق الكريم بفضل الله المغني عن غيره والمحقّق ما يريد والمتقن لتقدير الأمور، ومن يتق الله بطاعة أمره يغفر له ويضاعف ثوابه.

تفسير المفردات: أسكنوهنّ: أقرّوا المطلقاتِ للإقامة مُدّة العِدّة. ومن حيث سكنتم: بعضِ سُكناكم. والوُجد: ما يُقدر عليه ويُستطاع. ولا تضارّوهنّ: لا تستعملوا معهنّ الإيذاء. وتضيّقوا: تشدّدوا بالقهر. وأولات: صاحبات، واحدته ذات. وأولات حمل: حاملات أجنّة. وأنفقوا: ابذلوا وأدّوا لحاجاتهنّ. ويضعنَ: يلدنَ. وأرضعنَ لكم: قدّمنَ لبنهن مباشرة إلى أولادكم. وآتوهنّ: أدّوا لهنّ. والأجور: جمع أجر، نفقة الإرضاع. وائتمروا: تناصحوا. وبمعروف: مصاحبين المعاملة الحسنة لمصلحة الأولاد. وتعاسرتم: اختلفتم في شأن الإرضاع. وله أي: للأب. وأُخرى: امرأة مغايرة للأُمّ. ٦ ينفق: يبذل على المطلقة والمرضعة. وذو سعة أي: صاحب غنى. وقُدر عليه: ضَيّق الله عليه. والرزق: ما ييسّر من الحاجات. وآتاه: أعطاه. ولا يكلّف: لا يحمّل. والنفس: الإنسان الحي. وسيجعل: لا بدّ أن يخلق. والعسر: الفقر والشِّدة. واليسر: السّعة والرخاء. ٧ كأين أي: كثير جدًّا. والقرية: البلدة العامرة. وعتت: أعرضتْ. والأمر: ما أمر أو نهى. والرسل: جمع رسول، من كلّف بالدعوة مع العمل. وحاسبناها: عاقبناها في الدنيا بالاستئصال. والشديد: القويّ. والعذاب: التعذيب يوم القيامة على تقدير ما سيكون. والنكر: القاسي لا عفو فيه. ٨ ذاقت: قاست وعانت. والوبال: الضرر الثقيل من الأهوال الفظيعة. وأمرها: شأنها من الكفر. والعاقبة: النهاية. والخسر: ضياع ما يؤمّل والهلاك في نار جهنم. ٩ أعدّ: خلق وهيّأ. واتقُوا الله: تجنّبوا غضبه والزموا رضاه بالطاعة. وأولو: أصحاب، واحده ذُو. والألباب: جمع لبّ، العقل المستقرّ على الحق. وآمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وأنزل: أرسل بالوحي. والذكر: من يذكّر بالخير. ١٠ رسولًا أي: مكلّفًا للتبليغ والعمل. ويتلو: يقرأ ويوضح. والآيات: النصوص القرآنية. والمبيّنات: الموضحات لما يُحتاج إليه. ويخرج: ينقذ. وعملوا: اكتسبوا. والصالحات: ما أقرّه الشرع. والظلْمة: شِدّة السواد تمنع من الرؤية والاهتداء. والنور: الضياء يهدي إلى الصواب. ويُدخله: ييسّر له الدخول. والجنّة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. وخالدين أي: مقيمين أمدًا طويلًا. وأبدًا: مُدّة الزمن كله. وأحسنَ: جمّل وعظّم. والرزق: ما يهيأ للمخلوق وييسّر. ١١ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق الواجب الوجود، والمستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وخلق: أوجد من العدم. والسماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ومثلهنّ أي: في العدد، يعني أن القارّات تُعَدُّ سبعًا لا خمسًا كما كان يقال، تفصل بينها البحار. ويتنزّل: يجري ويتنقّل. والأمر: ما يُقضى من التصرف في الكائنات. وبينهنّ: بين السماوات والقارات. وتعلموا: تدركوا فتتعظوا. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: البالغ القدرة والتمكن بذاته دون معين. وأحاط: بلغ كامل الإحاطة. وعلمًا أي: اطّلاعًا. ١٢

الجزء الثامن والعشرون — سورة الطلاق

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟
عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن
تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ
وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا
عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾
أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ
لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ
وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ
سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

المعنى العام: متابعة حكم الطلاق بأن يكون للمطلقات في العِدّة سكَن في مثل سكن الأزواج ومقدورهم، دون معاجزة في المكان والنفقة للإيذاء والاضطرار إلى التنازل عن الحق، وللحاملات منهن أن ينفقوا عليهن حتى الولادة، ويكون لهن أجر على الإرضاع بالمراضاة الكريمة، وإلّا يكن ذلك تُرضعِ الولدَ امرأة أُخرى أجرها على الوالد بقدر استطاعته، دون إفراط أو تفريط، بما ييسّر الله من فضله. ولا يجوز خلاف ذلك.

فكثير من الأمم عصت أمر الله ورسله وطغت، فأهلكها بالعذاب الدنيوي، وقدّر لها وهيّأ في الآخرة ما هو أعظم، لتنال فظاعة ما فعلت، وتخسر كل أمل بالخير. فليتعظ الثابتو الإيمان بذلك، وبتوجيه من أرسله الله مذكرًا وموضحًا الدعوة البيّنة، لينقذهم من متاهات الباطل إلى أنوار الصلاح. وهؤلاء المؤمنون الصالحون لهم جنات الخلد بما فيها من النعيم، أعدّها الله خالق السماوات سبعًا وقارات الأرض سبعًا أيضًا، يصرّف أمره في الكون. وبهذا تعلمون قدرته المطلقة وعلمه المحيط بكل شيء في الوجود.

٦٦ـ سورة التحريم

تفسير المفردات: النبي: محمد ﷺ. ولِمَ تحرّم ما: لا يجوز أن تحرّم على نفسك شيئًا. وأحلّ: جعله حلالًا . والله: لفظ الجلالة اسمٌ علم للمعبود بحق وحده والمتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد. وتبتغي: تطلب بالتحريم. والمرضاة: الرضا والقبول. والأزواج: الزوجات، جمع زوج. والغفور: الكثير الستر والتجاوز عما جرى. والرحيم: العظيم العطف بالعفو عن المؤمنين. ١ فرض: شرع. والتحِلّة: الكفّارة للتحليل. والأيمان: جمع يمين. وهو القَسَم. والمولى: السيد المتولّي للأمور يوجّه وينصر. والعليم: المبالغ في الإحاطة بكل شيء. والحكيم: ذو الحكمة العالية. ٢ وإذ أسرّ: حين أعلم ما يجب كتمانه. والبعض: الواحدة وهي حفصة. والحديث هنا: خبر ما حرّم على نفسه. ولما نبأت أي: عندما أخبرت عائشة. وأظهره الله: أطلع النبيَّ بلسان جبريل. وعرّف: أقرّ وفسّر. وبعضَه أي: جزءًا منه. وأعرض: انصرف ولم يتابع. ولما : حينها. ونبّأها: أعلم النبيُّ ﷺ حفصةَ. وهذا أي: إفشاء السرّ. والخبير: العليم بما هو خفي من الأمور. ٣ تتوبا: ترجعا عما فعلتما، يا عائشة وحفصة. وصغت: مالت إلى الواجب. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. عُبِّرَ بالجمع عن القلبين. وتظاهرا: تتظاهرا أي: تتعاونا على محمد ﷺ. وحُذفت التاء الثانية للتخفيف. وجبريل: أعظم الملائكة. والصالح: من أخلص إيمانه وعمله. والمؤمنون: من عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية مطهرة. وذلك أي: عون الله والمؤمنين. وظهير أي: أعوان له. ٤ عسى ربه أي: واجب من الله وحق. وطلقكن: فسخ النبي الكريم عقود نكاحكنّ. ويبدله: يعوّضه. وخيرًا: أكثر نفعًا وفضلًا. والمسلمة: المقرّة بالإسلام. والمؤمنة: الصادقة الاعتقاد. والقانتة: المطيعة. والتائبة: الراجعة عن الهفوة. والعابدة: المتذلّلة لطاعة الله ورسوله. والسائحة: المهاجرة. والثيب: غير العذراء لزواج سابق. والأبكار: جمع بِكر. وهي العذراء. ٥ قُوا: احفظوا واحموا. والأنفس: جمع نفس، ذات الإنسان بروحه وجسده. والأهل: من يتولى الإنسان أمرهم. والنار: نار جهنم. والوقود: ما توقد به. والناس: البشر الكافرون. والحجارة: جمع حجر، ما تصلب من وجه الأرض. وعليها أي: يتولى تعذيب من يدخلها. والملائكة: ملائكة العذاب. والغلاظ: جمع غليظ، القاسي لا يرحم. والشداد: جمع شديد، القوي العنيف. ولا يعصون: لا يخالفون ولا يقصّرون. وأمرهم: أوجب عليهم. ويفعلون: ينفّذون. ٦ كفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. ولا تعتذروا: لا تحتجّوا طالبين العفو. واليوم: وقت القيامة. وتُجزون: تكافؤون بالجزاء. وتعملون: تكتسبونه باختيار وقصد نيةً أو قولًا أو فعلًا. ٧

ربع الحزب ٥٦

الجزء الثامن والعشرون — سورة التحريم

سُورَةُ التَّحْرِيمِ — ترتيبها ٦٦ — آياتها ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا
فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ
بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا
خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ
ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

المعنى العام: كان النبي ﷺ يحب العسل، ويشربه عند زوجته زينب، فادّعت عائشة وحفصة أن في فمه من ذلك رائحة غير طيبة، حتى أقسم عند حفصة ألّا يذوقه، فجاءت الآيات بعدم جواز تحريم الحلال، وأن إرضاء الله أحق من رضا الزوجة، وللقسم كفّارة ذكرها الله العليم الحكيم.

كان قد استكتم النبي زوجته ما نوى، وأذاعته إحداهما فأطلعه الله على ذلك وعاتب مبيّنًا بعض ما أعلمه الله به ـ أما قصة مارية، كما جاءت في كتب بعض المفسرين، فليس لها في أحاديث الصحيحين نصيب ـ وإن تابت الزوجتان توجهتا إلى الصواب، وإلّا أعان الله والمؤمنون والملائكة النبيَّ ﷺ عليهما. وإذ ذاك قد يكون طلاق العاصيات، فيعوّضه الله زوجات أفضل، في الإسلام والإيمان والطاعة والتوبة والعبادة والهجرة، بعضهن ثيبات وأُخر أبكار. ولعدم وقوع الشرط، أي: لعدم وقوع الطلاق وهو فعل الشرط هنا، لم يكن تبديل للزوجات.

وعلى المؤمنين جميعًا أن يحفظوا أنفسهم وأهليهم بالتقوى والصلاح من نار جهنم التي وقودها الكافرون والحجارة، بما فيها من الزبانية القساة الأشداء المطيعين لله وهناك لا تقبل أعذار الكافرين، لأنهم يجزَون عقاب ما كانوا يعملون.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ
أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ
وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ
عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا
مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ
قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ
وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ
عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

تفسير المفردات: آمَنوا: صدَّقوا الله ورسوله. وتوبوا: ارجعوا عن الذنوب والهفوات. وإلى الله: إلى طاعته ورضاه. والنصوح: الصادقة المقبولة. وعسى ربكم: يُترَجَّى منه ويَتحقق. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. ويكفّر: يستر ولا يؤاخذ. والسيئات: الأعمال القبيحة. ويدخلكم: ييسر لكم الدخول. والجنّة: الحديقة العظيمة فيها الشجر والقصور والنعيم. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. واليوم: الوقت. ولا يُخزي: لا يَفضح ولا يُهين. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والنبي: محمد ﷺ. والنور: الضياء يوضح السبيل على الصراط. ويسعى: يجري ويتلألأ. وبين أيديهم: أمامهم. والأيدي: جمع يد. وبأيمانهم: عن يمينهم. والأيمان: جمع يمين. وهو الطرف الأيمن. وربّنا: يا ربّنا. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى الأمر والتنبيه. وأتمم: أكمل وأدم. واغفر لنا: استر ذنوبنا واعف عنها. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: البالغ القدرة والتمكن بذاته. ٨ جاهد: ابذل ما تستطيع من القوة والجُهد في المقاومة بما يناسب الحال. والكفّار: جمع كافر، المشرك من العرب كذّب وحدانية الله ودعوة الرسول. والمنافقون: من أظهروا الإيمان وأضمروا الكفر. واغلظ: شدّد الخطاب والمعاملة والمقاومة. وعليهم: على الكفار والمنافقين. والمأوى: الملجأ. وجهنم: دار العذاب يوم القيامة. وبئس: بلغ النهاية في البؤس والشقاء والضرر. والمصير: مكان النهاية. ٩ ضرب: جعل. والمَثل: الحالة الغريبة تُذكر لبيان ما يشبهها عظة ونصيحة. والمرأة: الزوجة. ونوح: أول نبيّ فيما نعلم كذّبه قومه المشركون. ولوط: نبيّ وابن أخي إبراهيم. وتحتهما: في عصمتهما وقيامهما عليهما. والعبد: المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والصالح: من أخلص إيمانه وعمله واصطفاه الله. وخانته: غدرت به وخالفته. ولم يغن: لم يدفع الزوج. وعنهما: عن الزوجتين. ومن الله: من عذابه. وشيئًا: أيَّما إغناء! وقيل أي: سيقال يوم القيامة لهما. والنار: نار جهنم. والداخلون: من يصيرون في جهنم من الكافرين والمشركين. ١٠ فرعون: ملك مصر في عهد موسى. وربّ: يا ربّي. وحذفت الياء للتخفيف. وابن: شيّد وارفع بأمرك وتقديرك. وعندك أي: قريبًا من رحمتك في مراتب المقرَّبين. والبيت: المسكن. ونجّني: أنقذني وخلّصني. وعمله: ما يفعله أو يأمر به من التعذيب والظلم. والقوم: الجماعة من الناس أي: أعوان فرعون. والظالمون: الكافرون. ١١ مريم: أمّ النبي عيسى. وأحصنت فرجها: حفظته من الرجال بنكاح أو غيره. ونفخنا: دفعنا الهواء. وفيه: في فرجها، أي: بما انتقل إليه من الطوق المحيط بالعنق في القميص. والروح هنا جبريل. وصدّقت: آمنت وأيقنت. والكلمات: الإلهام والأحكام والشرائع. والكتب: جمع كتاب، ما أُنزل منها. والقانتون: المطيعون. ١٢

المعنى العام: مخاطبة المؤمنين بالوصف الكريم وأمرهم أن يتوبوا إلى الله من الذنوب بإخلاص وصلاح، لتتحقق لهم المغفرة وينالوا نعيم الجنة يوم القيامة، حين يكرم الله النبي وإياهم ويرفعهم إلى أعلى المراتب، وهم في أنوار الهداية من كل صوب يطلبون الزيادة في المغفرة والإكرام.

وعلى النبي الكريم أن يقابل الأعداء، من العرب المشركين المعتدين والمنافقين المراوغين، بالشِّدّة والمقاومة المناسبتين في السلم والحرب، وسيكون لهم العقاب بالخلود في جهنم، لا يفيدهم شيئًا ما يحصّلون ويملكون ويكنزون، كما هي حال زوجة نوح وزوجة لوط، كفرتا فكان جزاؤهما عذاب جهنم، ولم تفدهما منزلة النبيَّين عند الله.

أما حال المؤمنين بين الظالمين فمِثل ما كان لزوجة فرعون المؤمنة المخلصة تستغيث للنجاة من بغي زوجها وأعوانه المجرمين، ومريم المتبتلة الصالحة العفيفة المؤمنة بما أُلهمت وتنزلت به الكتب الربّانية، في أيام الظلم والبغي. فقد أخلصتا لله في الإيمان والصبر والطاعة، فكان ثوابهما نعيم الجنة، وكان أيضًا لمريم في الدنيا ابنها الذي حملت به من دون أب، معجزة ربانيّة خارقة للعادة.

٦٧ـ سورة المُلك

تفسير المفردات: تبارك: تنزّه وتقدّس وتعظّم. وعمّتِ الكون نِعمه وبيده أي: في قبضته. والملك: الحيازة للكون كله مع التفرد في الضبط والتصرّف. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والقدير: البالغ القدرة والتمكّن بذاته. ١ خلق: أوجد وحقّق. والموت: عدم المخلوق قبل وجوده، ثم إزالة الروح من جسد الحي. والحياة: تكوُّن بالنماء والنشاط في الإنسان والحيوان والنبات وما ندري وما لا ندري من المخلوقات. ويبلوكم: يختبركم ليَظهر المطيع من العاصي ـ أيها الناس ـ ويكون الجزاء بما حصل فعلًا. وأيّكم: مَن مِنكم ؟ وأحسن: أجمل وأفضل. والعمل: الاكتساب بالنية أو القول أو الفعل. والعزيز: الغلّاب يَذِلّ له ما عداه. والغفور: الكثير الستر للذنوب والتجاوز عنها. ٢ السماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. وطباقًا أي: بعضها فوق بعض في طبقات. وما ترى: ما تبصر عِيانًا، أيها المخاطب. والخلق: التكوين. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان إلى خلقه. والتفاوت: الاختلاف وعدم التناسب. وارجع: أعِد وكرّر. والبصر: النظر إلى المخلوقات المرئيّة مع التأمل. وهل ترى أي: ما ترى. ومن فطورٍ أي: خللًا أو عدم تناسق، جمع فَطْر. ٣ كرتين: مرة بعد أُخرى بتكرار النظر والتبصّر مرارًا. وينقلبْ: يرجع ويصير. والخاسئ: المتحيّر العاجز. والحسير: البالغ النهاية من الكلل. ٤ زيّنّا: جمّلنا. والدنيا: الأقرب إلى الأرض. والمصابيح: النجوم والكواكب، جمع مِصباح. وجعلناها: صيّرنا النجوم. والرجوم: جمع رجْم، ما يُرمى به للإيذاء أو القتل. والشياطين: جمع شيطان، مخلوق من النار يغري بالشر ويحاول استراق السمع من السماء. وأعتدنا لهم: هيّأنا لأجلهم. والعذاب: التعذيب. والسعير: نار جهنم الموقدة. ٥ كفروا بربهم: كذّبوا ألوهيته وتوحيده. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وجهنم: دار العقاب يوم القيامة. وبئس: بلغ الغاية من البؤس والشقاء والضرر. والمصير: مكان النهاية. ٦ أُلقوا: قُذفوا. وسمعوا: أدرك سمعهم. والشهيق: الصوت المنكر. وتفور: تغلي وتطفح. ٧ تكاد: تقارب. وتميّز: تتميّز أي: تتفجر وتتمزق. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. ومن الغيظ أي: بسبب الغضب على الكافرين. وكلّما أي: كل وقت. والفوج: الجماعة. وسألهم: خاطبهم للتوبيخ. والخزنة: جمع خازن، الزبانية ملائكة العذاب. وألم يأتكم: ألم يجئ إليكم ويبلّغكم ؟ والنذير: الرسول يهدّد العاصي. ٨ كذّبنا: أنكرنا ونسبنا النذير إلى الكذب. وما نزّل: ما أوحى إلى أحد. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ومن شيءٍ أي: شيئًا من الكتب والآيات. وإن أنتم أي: لستم، أيها المنذِرون. والضلال: الخروج على الصواب. والكبير: البعيد جدًّا عن الحق. ٩ نسمع: نصغي إلى الآيات والوعظ. ونعقل: نفكر بعقولنا. وما كنا: ما صرنا. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم لا يفارق. ١٠ اعترفوا: أقرّوا وأثبتوا. والذنب: المعصية الكبيرة. وسحقًا أي: بعدًا عن الرحمة. ١١ يخشون: يخافون. وبالغيب أي: مع غيابهم عن الناس. والمغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة عليها. والأجر: المكافأة. والكبير: الضخم لا مثيل له. ١٢

جزء ٢٩ · سورة الملك

سُورَةُ المُلْك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ
تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

المعنى العام: لقد تنزّه وتعظّم الله المتفرد بالسلطان والقدرة والعزّة والغفران والخلق للموت والحياة، يمتحن الناس ليحاسبهم بما فعلوا، وقد خلق طبقات السماء بما فيها من الكواكب المزيّنة والمحصّنة من كل شيطان يريد استراق السمع. ومهما تبصّر الإنسان في ذلك الخلق العظيم عجز عن تمثله وإدراك ما يحويه من الإحكام. ومحال أن يرى فيه خللًا أو اضطرابًا.

وقد أعدّ الله للكافرين أشد العذاب في جهنم، عندما يُقذفون فيها يخترق أسماعَهم ضجيجُها وغليانها وتلاطمها من الغضب، وكلما سقطت فيها جماعة تلقاها الزبانية بالتوبيخ تذكيرًا بدعوات الرسل، وتجيبهم بإقرار ما كان من كفرها. فما أفظع ما تلقاه من الأهوال ! أما المتقون لله في السرّ والعلانية فلهم الغفران والثواب العظيمان.

تفسير المفردات: أَسِرّوا: اكتموا، أيها المشركون. والقول: الكلام. واجهروا به: ارفعوا أصواتكم به وأظهروه. وإنه أي: الله تعالى. والعليم: المبالغ في الإحاطة. وذات الصدور: ما فيها من الأسرار. الصدور: جمع صدر، يراد به القلب. **١٣** ألا يعلم أي: إنه الكامل العلم بكل شيء. وخلق: أوجد المخلوقات من العدم. واللطيف: العليم بخفيات الأمور ودقائقها. والخبير: المحيط ببواطن الموجودات وأسرارها. **١٤** جعل: صيّر. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والذلول: المسهّلة المسخّرة لحياة البشر وعملهم. وامشوا: سيروا وتنقلوا. والمناكب: الجوانب: جمع مَنكِب. وكلوا: تغذَّوا وتمتعوا بالطعام والشراب. والرزق: ما ييسّر من النعم المادية والمعنوية. وإليه: إلى لقاء حسابه. والنشور: العودة بالبعث. **١٥** أأمنتم: كيف تأمنون لحماية أنفسكم ؟ والسماء: العالَم العُلوي. ويخسف بكم الأرض: يهدمها وأنتم فيها. وإذا هي تمور: فاجأت الخسفَ بالزلزلة. **١٦** أم أمنتم: بل كيف تأمنون ؟ ويرسل: يطلق. والحاصب: الريح تحمل قطع الحجارة. وستعلمون أي: لا بدّ أن تدركوا بالعِيان. وكيف نذيرِ: كيفيّة نذيري أي: تحقُّق إنذاري بالانتقام. وحذفت الياء للتخفيف ولموافقة فواصل الآيات. **١٧** كذّب: كفر بالله ورسله. وقبلهم: قبل من يعاصر النبوّة. ونكيرِ: نكيري أي: إنكاري بعقاب كفرهم. **١٨** ألم يروا أي: لقد رأى المشركون. والطير: واحده طائر، ما يحلق بجناحيه. وصافات: باسطات الأجنحة. ويقبضنَ: يضممنَها إليهنّ ويضربنَ بها الصدور. وما يمسكهنّ: ما يسر لهنّ الطيران في الجوّ، بما خلق من التكوين. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. والشيء: ما هو موجود. والبصير: الدقيق العلم. **١٩** أم من أي: ليس أحد. والجند: واحده جندي، المُعدّ للدفاع والحماية. وينصركم: يحميكم من العذاب. ودون الرحمن: غيره. وإن الكافرون: ليس الذين كذّبوا الله ورسوله. والغرور: الانخداع بالباطل. **٢٠** أم من هذا الذي يرزقكم أي: ليس لكم من يهيئ حاجاتكم. وأمسك: منع الرحمن. والرزق: ما يعم أنواع الحاجات. ولجّوا: استغرق الكافرون وتمادَوا. والعتوّ: التكبر والطغيان. والنفور: التباعد عن الحق. **٢١** يمشي: يسير. والمكب: الواقع. والوجه: مقدم الرأس يواجه به الإنسانُ غيره. وأهدى: أكثر هداية. والسويّ: المعتدل الواعي. والصراط: الطريق الواضح. والمستقيم: المنتظم. **٢٢** هو أي: الله تعالى. وأنشأكم: خلقكم. وجعل: أوجد. والسمع: القدرة على إدراك المسموعات. والأبصار: جمع بصر، القدرة على إدراك المرئيّات. والأفئدة: جمع فؤاد، القلب الذكيّ موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال، يُمِدّ الدماغ بذلك مع ماء الحياة، لتمييز الحق من الباطل. وقليلًا ما: نادرًا. وتشكرون: تُثنون على المنعم بالقلب واللسان والعمل. **٢٣** قل أي: للكافرين، أيها النبيّ. وذرأكم: كثّركم ونشركم. وإليه: إلى ميعاد حسابه. وتحشرون: تُبعثون وتُجمعون. **٢٤** يقولون أي: المشركون للمؤمنين. ومتى: أيُّ وقت ؟ والوعد: وقت الوعد المهدَّد به. وصادقين: تقولون الحق. **٢٥** العلم: الإحاطة المطلقة بالوقت المسؤول عنه. وعند الله أي: بحيازته وحده. والنذير: المهدِّد بالانتقام ممن عصى. والمبين: البيّن الإنذار. **٢٦**

الجزء التاسع والعشرون — سورة الملك

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا
يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ
﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ
تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ
فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى
هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ
﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

المعنى العام: إن أسررتم أو أعلنتم ـ أيها الكافرون ـ فعِلم الله بذلك سواء، وهو اللطيف الخبير عالم بما تخفيه الصدور، وأعلم منكم جميعًا بأسرار ما خلق من الكائنات. لقد جعل الأرض مذللة لتيسير الحياة والمصالح خلافًا لما في الكواكب. فاسعَوا فيها واطلبوا منافعكم، مستعدين للحساب، ولا تأمنوا مع كفركم بالله أن يزلزل الأرض بكم أو يرسل عليكم رياحًا مهلكة بالحجارة. إذ ذاك تدركون كيفية تحقق تهديده. ولقد علمتم ما كان من مثل ذلك في الكافرين قبلكم. ثم ها أنتم أولاء ترون قدرة الله في تيسير التحليق للطيور، وليس لكم نصير ينقذكم من العذاب، وتتمادون في الطغيان متجاهلين الهدى. ولا شك أن من يمشي على بصيرة أهدى منكم.

فقد خلقكم الله ومنحكم الحواس للتبصر بأدلة الكون والحياة، والقلوب للاعتبار بما يُسمَع ويرى، وما أقلّها تشكرونه ! ولسوف تحشرون إلى حسابه والجزاء. ولكنكم تسخرون بهذا وتسألون عن موعده للتعجيز، وعلمُه عند الله وحده، وما النبي إلّا منذر ومبلّغ.

تفسير المفردات: رأوه: أبصر الكافرون عذاب جهنم. وزلفة: قريبًا منهم. وسيئت: اسودّت وتجهّمت. والوجوه: جمع وجه، ما يلقى به الإنسان غيره من رأسه. وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وقيل أي: قال لهم الزبانية. وهذا أي: العذاب وتدّعون: تزعمون تكذيبه. ٢٧ قل أي: لهم، أيها النبيّ. أرأيتم: تفكروا وأخبروني. وأهلكني: أماتني. ومن معي أي: المؤمنون. ورحمنا: عطف علينا بالخير والنصر. ويجير: يحمي. والعذاب: التعذيب. والأليم: الشديد الإيلام. ٢٨ هو أي: الله الذي أدعوكم إليه. والرحمن: العظيم العطف بالإحسان. وآمنا به: اعترفت قلوبنا بوحدانيته يقينًا. وعليه توكلنا: فوّضنا أمورنا إليه وحده. وستعلمون: لا بدّ أن تدركوا عِيانًا. ومن هو: أيٌّ منّا؟ والضلال: الخروج عن الحق. والمبين: الواضح البيان. ٢٩ أصبح: صار. وماؤكم: الذي في الينابيع وغيرها. والغور: الذاهب بعيدًا لا يوصل إليه. ومن يأتيكم بماء: لا أحد يخرجه لكم. والمَعين: الجاري على وجه الأرض. ٣٠

المعنى العام: أن الكافرين يُحشرون للحساب، فتُسيء وجوهَهم رؤيةُ العذاب، ويوبّخهم الزبانية بتحقق ما كانوا يكذّبون. فاسألهم ـ أيها النبيّ ـ أن يبيّنوا من الذي ينقذهم من ذلك، إن نصركم الله أو توفّاكم؟ وأعلمْهم أنكم مؤمنون متوكلون، ولا بد أن يدركوا من هو الضال؟ ولْيبيّنوا: من يعيد إليهم المياه، إن غوّرها الله في أعماق الأرض؟

الجزء التاسع والعشرون — سورة القلم

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى
كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ — ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾
فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ
حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

٦٨ ـ سورة القلم

تفسير المفردات: نٓ: من الأحرف المقطَّعة استأثر الله بعلمها في كتابه العزيز. والقلم: الذي خلقه اللهُ وكُتب به في اللوح المحفوظ ما سيحصل في الكون من الخلق. ويسطرون: يسجّله الملائكة في صحف أعمال البشر. ١ ما أنت: لست، أيها النبيّ. وبنعمة ربك أي: بسبب إحسانه إليك وإرسالك للدعوة. والمجنون: الذي فقدَ عقله. ٢ الأجر: المكافأة. والممنون: المقطوع. ٣ الخُلُق: الاعتقاد والعمل بما حواه القرآن الكريم. والعظيم: الفخم لا يستوعبه التعبير. ٤ تبصر: تعلم حين ينزل العذاب بمن كفر. ويبصرون: يعلم الكافرون. ٥ بأيكم المفتون: مَن منكم المجنون؟ ٦ أعلم: عالم حقَّ العلم. وضلّ: خرج وبعُد. والسبيل: الطريق الموصل إلى السعادة. والمهتدون: المتنفعون بعقولهم يقبلون الهداية. ٧ لا تطع: استمِرَّ في مخالفتك. والمكذبون أي: للدعوة والقرآن. ٨ ودّوا: تمنّى المكذّبون. لو تُدهن: أن تلين لهم وتوافق بعض شركهم. ويُدهنون: يلينون لك بموافقة بعض دعوتك. ٩ الحلّاف: الكثير الحلف بالباطل. والمَهين: الحقير. ١٠ الهمّاز: الكثير العيب للآخرين. والمَشّاء: الكثير السعي والتحريض. والنميم: نقل الكلام الذي يسوء ويثير الفتن. ١١ المنّاع: الكثير المنع. والخير: منافع الدنيا والآخرة. والمعتدي: الظالم. والأثيم: الكثير العصيان. ١٢ العُتُلّ: الغليظ الجافي. وبعد ذلك أي: إضافة إلى ما ذُكر من المفاسد وأبعد في القبح. والزنيم: من عُرف بالشر كما تُعرف المعز بالزنمة في أذنها. ١٣ أن كان: لأنه كان. وذا مال: صاحب ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والبنون: جمع ابن، الذكر من الأولاد. ١٤ تُتلى: تُقرأ. والآيات: النصوص القرآنية. والأساطير: جمع أُسطورة، ما جاء عن الأقوام من الأكاذيب. والأولون: المتقدمون. ١٥

ربع الحزب ٥٧

المعنى العام: أقسم الله بالقلم الذي سُجّل به اللوح المحفوظ وما تكتبه الملائكة من أعمال البشر، أن النبي ﷺ في صحة وسلامة لا مثيل لهما برحمة الله إيّاه، وفي دين كريم فائق الجودة، وسيظهر قريبًا للمشركين حقيقة الجنون فيمن تكون، كما قضاها الله، وهم يريدون مزج الشرك بالإيمان لتستمر أباطيلهم.

فليدُم النبي ﷺ على مخالفتهم، ومخالفة كل شنيعِ النفس والأخلاق والعمل ومانعٍ لما فيه نفع الدنيا والآخرة، كفرانًا للنعم التي منحه الله إياها بكثرة المال والأولاد، وتكذيبًا للقرآن الكريم بأنه من الأساطير القديمة.

الجزء التاسع والعشرون — سورة القلم

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟
لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ
عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

تفسير المفردات: نسمه: ندمغه بعلامة المهانة. والخرطوم: الأنف. **١٦** بلوناهم: عاملنا أهل مكة بالقحط ليرتدعوا. والأصحاب: المالكون، جمع صاحب. والجنّة: البستان يعرف الجاهليون قصته. وإذ أقسموا: حين حلفوا. ويصرمُنّها: يقطعُنّ ثمارها. ومصبحين: صباحًا قبل مجيء المساكين. **١٧** لا يستثنون: لا يُخرجون منها حُصّة المساكين. **١٨** طاف عليها: نزل بها من كل جانب. والطائف: الأمر النازل بمصيبة. ومن ربك: من عنده وبأمره وقضائه. **١٩** أصبحت: صارت بالاحتراق. والصريم: الليل الشديد السواد. **٢٠** تنادوا: نادى بعضهم بعضًا. **٢١** أنِ اغدوا: بأنِ اذهبوا باكرًا. والحرث: ما يُقطَف ويحصّل. وصارمين: عازمين على قطع الثمار. **٢٢** انطلَقوا: اندفعوا. ويتخافتون: يتهامسون بصوت خافت. **٢٣** ألّا يدخلنّها: بألّا تسمحُنَّ بدخولها. واليوم أي: في هذا الزمن. والمسكين: الفقير المحتاج. **٢٤** غدوا: بكّروا جادّين. والحرد: المنع للفقراء. وقادرين أي: أقوياء متسلطين. **٢٥** لمّا رأوها: عندما أبصروا الجنّة محترقة. وضالّون: منحرفون توجّهنا إلى غير جنّتنا. **٢٦** بل أي: لسنا ضالّين. ومحرومون أي: ممنوعون الرزق. **٢٧** أوسطهم: أفضلهم عقلًا ونفسًا. وألم أقل: لقد قلت. ولولا: هلّا، للتحضيض. وتسبحون: تنزهون الله بأنه لا يغفل عن ظلمكم. **٢٨** سبحان ربنا: تنزيهًا له عما لا يليق به. وظالمين أي: معتدين على الحق. **٢٩** أقبل: توجّه. والبعض: الواحد أو الأكثر. ويتلاومون: يلوم بعضهم بعضًا. **٣٠** يا ويلنا: تحقّق لنا الهلاك والعذاب. وطاغين أي: متجاوزين حد الحق. **٣١** عسى: نترجّى. ويبدلنا: يرزقنا بدلًا ببركة التوبة. وخيرًا منها: أكثر نفعًا مما كانت عليه الجنة. وإلى ربّنا: إلى طاعته ورضاه. وراغبون أي: راجعون بالتوبة والاستغفار. **٣٢** كذلك: مثل ما مضى بيانه في القصة. والعذاب: التعذيب بأنواع مختلفة. والآخرة: الحياة بالبعث يوم القيامة. وأكبر: أعظم من عذاب الدنيا. ولو كانوا يعلمون: كم يُتمنّى للكافرين أن يعلموا حقيقة الأمر! **٣٣** المتقون: من يتجنبون الكفر والمعاصي. وعند ربهم: في المنزلة العالية من السعادة. والجنّة: البستان العظيم بالسعادة الأبدية. والنعيم: الخير العميم. **٣٤** أنجعل: لا لن نصيّر في الحكم. والمسلمون: من أسلموا إلى الله في أمورهم. والمجرمون: الكافرون. **٣٥** مالكم: أيّ شيء جرى لعقولكم ؟ وتحكمون: تضعون الحكم الفاسد في أمور القيامة. **٣٦** أم لكم أي: بل ليس لكم. وكتاب أي: منزّل بوحي. وتدرسون: تقرؤون. **٣٧** فيه: في الكتاب المذكور. وتخيّرون: تتخيّرون أي: تختارون من النعيم. حذفت التاء الثانية للتخفيف. **٣٨** الأيمان: جمع يمين. وهو العهد مع القَسَم. والبالغة: الوثيقة. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث للحساب. وتحكمون: تزعمونه لأنفسكم. **٣٩** سلهم أي: اسأل المشركين، أيها النبيّ. وأيّهم: مَن مِنهم. وذلك أي: الحكم الباطل. والزعيم: المتكفّل. **٤٠** الشركاء: جمع شريك، المشارك في الرأي. ويأتوا بشركائهم: يحضروهم. وصادقين أي: في حكمهم. **٤١** يكشف: يرفع الغِطاء. والساق: ما بين الركبة والقدم. ويدعون: يؤمرون ويُضطرّون. والسجود: لصق الجبهة والأنف واليدين والركبتين بالأرض. ولا يستطيعون أي: السجودَ لتصلب أجسادهم. **٤٢**

المعنى العام: أن الكافر المذكور قبلُ يكون له علامة في وجهه يوم القيامة، ليُعرف هوانه. وقد ابتلى الله المشركين بالمحل ليرتدعوا، كما ابتلى أصحاب البستان وقد عزموا على منع المحتاجين من ثماره، ولما بلغوها باكرًا رأوه محترقًا بعقاب الله، فظنوا أنهم ذهبوا إلى غيره، ثم تحقق لهم ذلك فندموا وتلاوموا وتابوا ليعوضهم خيرًا منه.

فلمثل هذا كان المحل في مكة عظة للمشركين، وفي جهنم ما هو أعظم. ولكم سيُتمنّى لهم أن يعرفوا ما سيصيرون إليه ! أما المتقون فلهم نعيم الجنة، وما زعمه المشركون من رفعة يوم القيامة فباطل، وليس لهم به نص يخيّرهم، ولا عهد أن يكون لهم الحكم. وإلّا فمن يدّعي ذلك ؟ ومن يؤيّدهم ؟ ليحضرْ بما عنده من برهان. وليتذكروا يوم يُكشف عن ساق فيسجد المؤمنون، ويحاول الكفار ذلك فيعجزون.

تفسير المفردات: الخاشعة: الذليلة المنكسرة. والأبصار: الأعين، جمع بصر. وترهقهم: تطغى عليهم. والذلة: المهانة. ويدعون: يُرشدون. والسجود: الصلاة. وسالمون أي: صحيحة أبدانهم. ٤٣ ذرني: اتركني ـ أيها النبيّ ـ انفرد بالعقاب. يكذّب: يكفر. والحديث: القرآن يتلى. ونستدرجهم: نستنزلهم بالنعم إلى العذاب. وحيث لا يعلمون: جهة ما لا يتوقعون. ٤٤ أُملي لهم: أُمهلهم. والكيد: تقدير الانتقام بالخفاء. والمتين: الشديد لا يطاق. ٤٥ أم تسألهم:إنك لا تطلبُ منهم. والأجر: المكافأة. ومن مغرم: بسبب غرامة مالية. ومثقلون أي: مكلّفون ما لا يستطيعون. ٤٦ أم عندهم: ليس في علمهم. والغيب: ما غاب عن علم الخلق. ويكتبون: ينسخون منه ما يزعمون. ٤٧ اصبر: استمرّ على التحمّل. والحكم: القضاء في شأن الكافرين. والربّ: الخالق المالك المتفرّد. ولا تكن: لا تصر. وصاحب الحوت: النبيّ يونس صحبَ السمكة العظيمة في بطنها. وإذ نادى: حين دعا ربه. والمكظوم: الممتلئ غمًّا. ٤٨ لولا: لولا حصول. وتداركه: ناله وأنقذه. والنعمة: الرحمة بالإحسان. ومن ربه: من عنده وبأمره. ونُبذ: أُلقي. والعراء: الأرض الخالية من النبات. ومذموم: ملوم. ٤٩ اجتباه: خصّه بالرحمة. وجعله: صيّره. والصالحون: الكاملون في الصلاح. ٥٠ إنْ أي: حقًّا. ويكاد: يقارب. وكفروا: كذّبوا. ويُزلقونك: يُسقطونك من مكانك. والأبصار: الأنظار، جمع بصر. ولما سمعوا: حين سماعهم. والذكر: القرآن يذكّر بالحق. والمجنون: الفاقد للعقل. ٥١ ما هو: ليس القرآن. والعالَمون: الإنس والجن. ٥٢

الجزء التاسع والعشرون — سورة القلم

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ
(٤٣) فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ
لَا يَعۡلَمُونَ (٤٤) وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم
مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ (٤٦) أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ (٤٧) فَٱصۡبِرۡ
لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ (٤٨) لَّوۡلَآ
أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ (٤٩) فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ
فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ
لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ (٥٢)

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ (١) مَا ٱلۡحَآقَّةُ (٢) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ (٣) كَذَّبَتۡ ثَمُودُ
وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا
عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ
سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ
كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ (٧) فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ (٨)

المعنى العام: أن الكافرين تستكين أبصارهم يوم القيامة مع المهانة، وكانوا متكبرين على العبادة. فالله يتفرد بهم في الدنيا، يغريهم بالعطاء ويمهلهم ليزدادوا طغيانًا، ثم يُنزل بهم العذاب من جهة أمنهم.

وإنك ـ أيها النبيّ ـ لا تسألُهم مكافأة ليعجزوا عن الأداء، وهم كذّابون بدعاواهم ليس عندهم علم من الغيب يتكلمون به. فتصبّر حتى يأتي أمر الله، ولا تضجر كما ضجر يونس، فوقع في البلاء واستغاث فأنقذه الله برحمته، وجعله من الصالحين. وهؤلاء الكافرون تكاد نظراتهم الحاقدة تُسقطك من مجلسك حقًّا، حين يسمعون آيات القرآن، ثم يتهمونك بالجنون، مع أنك تتلو عليهم كتاب الله هاديًا للإنس والجان.

نصف الحزب ٥٧

٦٩ـ سورة الحاقّة

تفسير المفردات: الحاقة: القيامة يصير فيها البعث حقًّا مُعاينًا. ١ ما الحاقة: أيّ شيء عظيم خبرُها ؟ ٢ ما أدراك ما الحاقة أي: لا علم لك ـ أيها النبيّ ـ بعظمتها وحقيقة أمرها ؟ ٣ كذّبت: كفرت. وثمود: قبيلة النبيّ صالح. وعاد: قبيلة النبيّ هود. والقارعة: القيامة تقرع القلوب بأهوالها. ٤ أُهلكوا: استؤصلوا. والطاغية: الصرخة المدوّية القاصمة زلزلت الديار بمن فيها. ٥ الريح: الهواء العاصف بعنف. والصرصر: الشديدة الصوت. والعاتية: القويّة القاضية. ٦ سخرها: أطلقها الله. والليالي: جمع ليلة، ما بين الغروب والفجر. والأيام: جمع يوم أي: النهار. والحسوم: جمع حاسم، القاطع المستأصل. وترى: تُبصر حينذاك، أيها المخاطب. والقوم: الجماعة من الناس. والصرعى: جمع صريع، المطروح هالكًا. والأعجاز: جمع عَجُز، أصل الجِذع. والنخل: الشجر ثمره البلح، واحدته نخلة. والخاوية: الفارغة الساقطة. ٧ هل ترى: لن تبصر الآن. والباقية: التي بقيت من سلالة الكافرين. ٨

المعنى العام: أن يوم القيامة أمر عظيم جدًّا، لا يعرف النبي ﷺ حقيقته، وإنما يَعلَم بعضَ ذلك بالوحي ، وقد أنكرتْ حصوله قبيلتا ثمود وعاد من أقدم العرب البائدة، فأهلك الله الأولى بالصيحة المزلزلة، والثانية بالرياح العاصفة المدوية القاضية، حتى سقط الكافرون كجذوع النخل الفارغة المتهاوية.

و محال أن يرى إنسان من ذريتهم أحدًا، إذ ما بقي إلّا النبيّان ومَن آمن معهما، تفرقت سلالتهم ليكون منها تاريخ العرب.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ
نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ
حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ
ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ
﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ
عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ
صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

تفسير المفردات: جاء:ابتكر. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. والمؤتفكات: مدن قوم لوط المنقلبة رأسًا على عقب. وبالخاطئة: أفعال الضلالات. ٩عصوا: خالفوا. والرسول: المرسل كلّف بالدعوة مع العمل. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وأخذهم: عاقبهم ربهم انتقامًا. والرابية: الزائدة في الشِّدة على ما نزل بالمكذبين قبل. ١٠ لمّا طغى: عندما علا فوق الجبال. والماء: الطوفان أغرق قوم نوح. وحملناكم: يسّرنا حمل أجدادكم للنجاة، أيها المخاطبون. والجارية: السفينة المنطلقة. ١١ نجعلها: نصيّر نجاتهم وهلاك الكافرين. والتذكرة: ما يكون فيه الاتعاظُ. وتعيها: تحفظها. والأذن: ما يدرك الأصوات. والواعية: التي تحفظ لصاحبها العظات فيستفيد مما مضى. ١٢ نُفخ: دُفع الهواء بشدة للبعث. والصور: مخلوق عظيم كالقرن. وواحدة أي: متفرّدة. ١٣ حُملت: اقتُلعت. والأرض: السهول والوديان والبحار. والجبال: جمع جبل، ما صلب من الأرض وعلا. ودُكّت: زُلزلت ونُسفت. ١٤ يومئذ: يوم حصول ذلك. ووقعت الواقعة: حصلت القيامة. ١٥ انشقت: تفطّرت. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم. والواهية: الضعيفة المهلهلة. ١٦ الملَك: الملائكة. والأرجاء: الجونب المتفرقة، جمع رجًا. ويحمل أي: حملًا كما يليق بالعظمة. والعرش: كائن عظيم لا يعرف حقيقته مخلوق. وفوقهم: فوق الملائكة المذكورين قبل. وثمانية أي: من صفوف الملائكة المكرّمين. ١٧ يومئذ: بعد النفخة الثانية. و تعرضون: تُحضرون للحساب، أيها الناس. ولا تخفى: لا تغيب. ومنكم: مما عملتم. ١٨ أُوتي: أعطي. وكتابه: سجلّ أعماله. واليمين: اليد اليُمنى. ويقول أي: لمن حوله اعتزازًا. وهاؤم: خذوا. واقرؤوا: اتلوا. ١٩ وظننت: تيقّنت. وملاق: مصادف بالبعث. وحسابيه: حسابي. والهاء زائدة للوقف في المواضع الخمسة. ٢٠ العيشة: الحياة. والراضية: المَرْضيّة يَطمئن إليها صاحبها. ٢١ الجنّة: الحديقة العظيمة بالنعيم الأبدي. والعالية: الرفيعة المَقام. ٢٢ القطوف: جمع قِطف، ما يُقطف من الثمر. والدانية: القريبة لمن يريدها. ٢٣ كلوا واشربوا: تمتّعوا بالطعام والشراب، أيها المؤمنون. وهنيئًا: متهنّئين. وبما أسلفتم: بسبب ما قدّمتم من العمل الصالح. والأيام: جمع يوم، الوقت والزمن. والخالية: الماضية في الدنيا. ٢٤ الشمال: اليد اليُسرى. ويا ليتني: أتمنّى. ولم أوتَ: لم أُعطَ. ٢٥ لم أدرِ: لم أعلم. وما حسابيه: أيُّ شيء حسابي؟ ٢٦ ياليتها: أتمنى أن تكون الموتةُ في الدنيا. والقاضية أي: على كل حياة بعد. ٢٧ ما أغنى: ما دفع. وماليه: مالي أي: ما كان لي من المُلك. ٢٨ هلك: تلاشى وغاب. وسلطانيه: سلطاني أي: قوتي وحُجتي. ٢٩ خذوه: أمسكوا به، أيها الزبانية.وغلّوه: قيّدوا يديه بعنقه. ٣٠ الجحيم: النار المتوقّدة. وصلّوه: أدخلوه ليتحرق. ٣١ السلسلة: حلقات من الحديد متصلة. والذرع: القياس. والذراع: ذراع يد الملَك. واسلكوه: أدخلوه محزومًا. ٣٢ لا يؤمن: يكفر. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والعظيم: الذي تفرّد بالعظمة ولا يتصوره عقل. ٣٣ لا يحض: يمنع نفسه وغيره. والطعام: الإطعام والعون. والمسكين: الفقير المحتاج. ٣٤

المعنى العام: أن الكافرين بموسى ولوط وغيرهما اقترفوا فظائع الجرائم والتكذيب والفواحش، فأهلكهم الله بما يناسبهم، وأنقذ المخاطبين في السفينة وهم في أصلاب أجدادهم الذين كانوا مع نوح، عبرة لمن يعتبر. ثم تكون النفخة الأولى في الصور، فتزلزل الأرض والسماء، وتليها الثانية فتتوزع الملائكة خلال ذلك، وعرش الله تحمله صفوف منها ثمانية، والبشر منشورة أعمالهم لمن يرى.

فالمؤمن يتناول كتابه بيمينه سعيدًا، ويريد أن يشاركه غيره في قراءته وسعادته بما سينال من النعيم مكافأة لإحسانه، والكافر يتناول كتابه بشماله ويتمنى إعفاءه من ذلك وعدم البعث، لِما صار فيه من الشقاء وافتقاد السلطان، ثم يؤمر الزبانية أن يقيّدوه بقيود مضاعفة ويحزموه بالسلاسل ، ويلقوه في جهنم، لِما كان عليه من الكفر والبخل.

تفسير المفردات: له: للكافر. واليوم: يوم القيامة. وههنا: في جهنم. والحميم: الصديق النافع. ٣٥ الطعام: ما يؤكل أو يشرب. والغسلين: الصديد يختلط بالقيح والدم. ٣٦ يأكله: يتناوله طعامًا. والخاطئون: المذنبون بالقبائح. ٣٧ لا أقسم : أحلف. وما تبصرون: ما ترونه، أيها الناس. ٣٨ لا تبصرون: غاب عنكم. ٣٩ إنه أي: القرآن العظيم. والقول: التبليغ بالقول. والكريم: المكرّم عند الله. ٤٠ ما هو أي: ليس القرآن. وبقول شاعر أي: كلامَ من ينظم الشعر. وقليلًا ما تؤمنون: ما أقلّ تصديقكم لما يبلِّغ ! ٤١ الكاهن: من يدّعي علم الغيب. وتذكّرون: تتذكّرون أي: تتعظون وتفعلون. حذفت التاء الثانية للتخفيف. ٤٢ التنزيل: الموحى على لسان جبريل. ومن رب العالمين: من عنده. والرب: الخالق المالك المتفرّد. والعالَمون: مجموع أجناس الخلق. ٤٣ تقوّل: اختلق النبيّ كذبًا. والبعض: الجزء. والأقاويل: جمع أقوال. والأقوال: جمع قول. ٤٤ أخذنا منه: أمسكناهُ للعقاب. واليمين: القوّة القاهرة. ٤٥ قطعنا: بترنا. والوتين: الشِّريان الخارج من القلب لنقل الدم النقي إلى الجسم. ٤٦ ما منكم أي: ليس منكم. ومن أحدٍ أي: مخلوقٌ. وعنه حاجزين: مانعين له من العذاب. ٤٧ إنه أي: القرآن الكريم. والتذكرة: ما يذكّر بالخير والهداية. والمتقون: من يتجنّبون غضب الله ويطلبون رضاه بالطاعة. ٤٨ نعلم: نحيط بالغ الإحاطة. ومنكم: بعضكم. والمكذبون: المنكرون الجاحدون للرسالة. ٤٩ الحسرة: الندامة الشديدة عند رؤية العذاب. والكافرون: الجاحدون المكذّبون. ٥٠ الحق: الصادق الثابت. واليقين: المعتقَد المتيقَّن لاشك فيه. ٥١ سبّح باسم ربك: نزِّهِ اسمه عما لا يليق به، أيها النبي. والعظيم: الذي لا يحيط به علم مخلوق. ٥٢

المعنى العام: أن الكافر لا يكون له في جهنم مُعين، وطعامه صديد الجراح والحروق، غذاء المجرمين.

وقد أقسم الله بما في الكون من المخلوقات أنّ القرآن وحي منه، ينقله إلى المخاطبين رسول مكرّم، وليس من الشعر أو الكِهانة، ولكنهم لا يتقبلون منه شيئًا يُذكر، ولو نَسب الرسول إلى الله عبارةً مّا ليست من عند الله لقضى عليه فورًا بالعنف والقهر، دون أن يحميه أحد، وأنّ القرآن أيضًا هداية إلى الحق ومع ذلك يكذبه المشركون، وأنّه يسبب لهم الحسرة يوم القيامة، وهو اليقين القاطع. فالتنزيه لاسم الله العظيم، والترفع له والتعالي عما لا يليق بجلاله.

الجزء التاسع والعشرون — سورة الحاقة

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ
إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا
مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْمَعَارِجِ — ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ
اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي
يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ
﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

٧٠ ـ سورة المَعارج

تفسير المفردات: سأل: دعا اللهَ. وبعذاب أي: بحصول التعذيب. والواقع: الذي لا بدّ منه. ١ الكافرون: من كذّبوا. والدافع: المانع. ٢ من الله: من عنده وبأمره. والمعارج: جمع مَعرَج، مكان الصعود في السماء. وذو المعارج أي: صاحبها وخالقها والمتصرف فيها. ٣ تعرج: تصعد. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانية. والروح: جبريل. وإليه أي: إلى الله لتلقي الأمر. واليوم: الوقت. ومقداره: مُدّته. والسنة: مدة دوران الأرض حول الشمس. ٤ اصبر: استمرَّ على التحمّل، أيها النبيّ. والجميل: المطمئن بلا ضجر أوشكوى. ٥ إنهم أي: الكافرين. ويرونه: يتخيلون العقاب. والبعيد: المحالُ حصوله. ٦ نراه: نعلمه. وقريبًا: حاصلًا لا بدّ منه. ٧ تكون: تصير. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والمهل: المعدِن الذائب. ٨ الجبال: جمع جبل، ما غلظ من الأرض وارتفع. والعهن: الصوف المصبوغ المتفتت. ٩ لا يسأل حميم حميمًا: لا يستفسر قريب عن حال قريبه ولا يكلمه. ١٠

المعنى العام: كان النضر بن الحارث قد دعا هُزءًا وتحديًا بنزول العذاب على نفسه وعلى المشركين، إن كان القرآن من عند الله، فجاءت هذه الآيات تتوعد بما طلب، لأنه سيقع حتمًا ولا مانع له، يخلقه الله الذي تصعد الملائكة في السماوات لتلقي أمره، في الأزمنة المتناهية الطول. فعلى النبي ﷺ أن يتحمّل باطمئنان ما يلاقي من المشركين المكذّبين للبعث، والله قدّره فلا مفرّ من لقائه، حيث تتفطر السماوات وتذوب، وتتفتت الجبال وتتناثر، ويُشغل كل إنسان بنفسه، لا يخطر له أن يبحث عن صديق أو قريب.

تفسير المفردات: يبصَّرونهم: يُجعل بعضهم قرب بعض ليراه ويعرفه. ويود: يتمنّى. والمجرم: الكافر يقترف القبائح. ولو يفتدي: أن ينقذ نفسَه. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ويومئذ: يوم القيامة. والبنون: جمع ابن، الذكر من الأولاد. ١١ الصاحبة: الزوجة. ١٢ الفصيلة: العشيرة. وتؤويه: تضمّه في النسب ووقت الشدّة. ١٣ الأرض: موطن الحياة الدنيا. وجميعًا: مجموعين. وينجيه: ينقذه ويخلّصه. ١٤ كلا: لن يكون له ذلك وسيتحقّق عذابه. وإنها أي: النار. ولظى أي: جهنم. ١٥ النزاعة: الشديدة القلع والكشط. والشوى: جلدات الرؤوس، واحدتها شواة. ١٦ تدعو: تلتقط وتجذب. وأدبر: ولّى ظهرَه للإيمان. وتولى: امتنع وهرب. ١٧ جمع: حشد المال. وأوعى: أمسكه عن الحق. ١٨ الإنسان: الآدميّ. وخُلق: وُجد في أصل تكوينه. وهلوعًا أي: شديد الفزع. ١٩ وإذا مسه الشر: كلّما يصيبه ما فيه ضرر. وجزوعًا: كثير التألم والشكوى. ٢٠ والخير: ما فيه نفع كالمال والجاه. ومنوعًا أي: شديد البخل. ٢١المصلون: المؤمنون العابدون لله، سبحانه وتعالى. ٢٢ الصلاة: العبادة المكتوبة. والدائمون: المواظبون. ٢٣ الأموال: جمع مال، ما يُملك من نقد أو متاع أو زينة. والحق: المقدار يجب دفعه. والمعلوم: المحدّد قدره. ٢٤ السائل: طالب الصدقة والعون. والمحروم: من يظنّه الناس غنيًا فلا يعطونه. ٢٥ يصدّقون: يعتقدون يقينًا. واليوم: الوقت. والدِّين: الجزاء. ٢٦ الربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. والمشفقون: الفزعون. ٢٧ غير مأمون: لا ينبغي لأحد أن يأمن الخلاص منه. ٢٨ الفروج: جمع فرْج، العَورة بين الرِّجلين من أمام. والحافظون: مَن يصونون ويمنعون بالستر وتجنب الوطء. ٢٩ الأزواج: جمع زوج، المرأة المتزوجة. وملكت: حازت من الإماء تملّكًا. والأيمان: جمع يمين، اليد اليُمنى. وملومين أي: مؤاخذين. ٣٠ ابتغى: طلب. ووراء ذلك أي: غير ما استُثني وخلاف ما أُبيح. والعادون: المتجاوزون للحلال إلى الحرام. ٣١ الأمانة: ما تكفّل الإنسان برعايته. والعهد: ما تعهّد به. والراعون: الحافظون بالوقاية والأداء. ٣٢ الشهادة: الاعتراف بما هو معلوم في الخصومات. وقائمون أي: مقرّون بلا كتمان ولا نقص. ٣٣ يحافظون: يداومون بالتزام. ٣٤ الجنة: البستان العظيم بالسعادة الأبدية. ومكرمون: يُحسَن إليهم بالنعيم. ٣٥ ما للذين: أيُّ شيء يحرّضهم ؟ وكفروا: كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله. وقِبَلك أي: نحوك، أيها النبيّ. ومهطعين: أي مقبلين يمدون أعناقهم وأبصارهم. ٣٦ اليمين والشمال: يمينك وشمالك. والعِزُون: جمع عِزَة، الجماعة يُضم بعضها إلى بعض مع تفرق. ٣٧ أيطمع: لا لا يطمعْ ولا يرغبْ. والمرء: الإنسان. ويدخل: يُسكن. والنعيم: الحياة الطيبة دائمًا. ٣٨ كلّا: لا يدخلون.خلقناهم: أوجدناهم. ويعلمون: يعرفونه من قطرات المنيّ. ٣٩

الجزء التاسع والعشرون — سورة المعارج

ربع الحزب ٥٧

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾
وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ
أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ
﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ
أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

المعنى العام: أن الكافرين الأقرباء يتقابلون يوم القيامة، ويُعرِض كلّ منهم عن الآخرين متمنيًا أن يضحي بما كان له في الأرض جميعًا لينقذ نفسه من العذاب. ولكن دون جدوى لأن جهنم لا ينجو منها صاحبها، وهي تنتزع الجلود وتتشبّث بالكافرين المانعين للخير.

ولقد خُلق الإنسان جبانًا، ينكسر بالأذى ويخاف الفقر فيبخل بالعطاء، إلاّ المؤمنين يترفعون عن ذلك. فهم يتطّهرون بالعبادة والزكاة والإيمان اليقيني وخوفِ حصول جهنم المحقق والتزامِ ما أُبيح من النكاح، وما يجب من أداء الأمانة والعهود والشهادات بحق. فهؤلاء لهم نعيم الجنة والإكرام، ومَن خالفهم كان ظالمًا لنفسه بعذاب جهنم.

وعجيب أمر هؤلاء المشركين، يتحلّقون حولك ـ أيها النبيّ ـ جماعات مبعثرة، مستهزئين بما ينتظر المؤمنين من النعيم، ويزعمون أنهم هم أولى بذلك. فليَدَعوا هذه الأوهام، وليتذكروا أنهم في الأصل كسائر البشر رغم أموالهم والزعامات، وليس لهم بها ما يفضلهم، لأن التفضيل يكون بالإيمان والعمل الصالح ورحمته، تعالى.

تفسير المفردات: لا أُقسم: أحلف مؤكّدًا. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح مُلكه. والمشارق: جمع مَشرق، مكان ظهور الكوكب من الأفق. فمشارقه: أمكنة شروقه المختلفة. وكذلك المغارب: أمكنة غروبه، جمع مَغرب. وقادرون أي: متمكّنون دون مُعين أو مانع. ٤٠ نبدل: نُهلك المشركين وننشئ غيرهم. وخيرًا: أفضل بالهدى والإيمان. وما نحن: لسنا. ومسبوقين أي: مغلوبين في ذلك. ٤١ ذرهم: اتركهم، أيها النبيّ. ويتخوضوا: تخبّطوا تائهين. ويلعبوا: يتصرّفوا فيما لا يُجدي. ويلاقوا: يلقَوا ويروا. واليوم: وقت البعث للجزاء. ويوعدون: يذكر تهديدًا لهم. ٤٢ يخرجون: يُبعثون أحياء للحساب. والأجداث: قبورهم، جمع جَدَث. وسراعًا أي: مسرعين إلى المَحشر، جمع سريع. والنصب: الصنم المنصوب للعبادة. ويوفضون: يسرعون. ٤٣ الخاشعة: الذليلة المنكسرة. والأبصار: جمع بصر. وهو النظر. وترهقهم: تجلّلهم. والذلة: المَذلّة والمهانة. وذلك أي: الزمن المذكور في الآيتين ٤٢ و٤٣. ٤٤

المعنى العام: يقسم الله بنفسه الجليلة أنه يستطيع بلا قصور أو مانع إفناء الكافرين وخلق غيرهم طائعين. فاتركهم ـ أيها النبيّ ـ في ضلالهم وعبثهم إلى أن يدركوا البعث المهدّدين به، فيبرزوا من القبور مندفعين بالقهر إلى المحشر، كأنهم يعجلون إلى أصنامهم بذلّة وانكسار، ويلقَوا عذاب جهنم الذي أُنذروا به وكذّبوه.

الجزء التاسع والعشرون — سورة نوح

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ
وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ
﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ — آياتها ٢٨ — ترتيبها ٧١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ
فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا
﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ
لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

٧١ ـ سورة نوح

تفسير المفردات: أرسلنا: بعثنا للدعوة مع العمل. ونوح: نبيّ بعد آدم وشيث وإدريس فيما نعلم، كان قومه يعبدون الأصنام. ومعنى نوح: الساكن. وأن أنذر أي: بالإنذار والتهديد. والقوم: الجماعة من الناس. ويأتيهم: ينزل بهم. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم في الدنيا والآخرة. ١ قال أي: نوح لهم. ويا قوم: يا قومي. حذفت الياء للتخفيف. والنذير: المخوّف بالعقاب لمن كفر. والمبين: الواضح الإنذار. ٢ أن اعبدوا: بأن قدّسوا موحّدين. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. واتقوه: تجنّبوا محارمه وعصيانه، واطلبوا رضاه بالامتثال لأمره ونهيه. وأطيعون: أطيعوني أي: استجيبوا لِما أبلّغكم إياه. وحذفت الياء للتخفيف. ٣ يغفر: إن تفعلوا ما أُمرتم به يستر ويصفح. والذنوب: جمع ذنب، المعصية عليها عقاب. ويؤخركم: يجعل موتكم عاديًّا لا بانتقام. والأجل: نهاية حياة المخلوق. والمسمَّى: المعلوم حدّده الله لا يتغير. وجاء: حان وقته. ولا يؤخر: لا يؤجّل. ولو كنتم تعلمون: كم يُتمنَّى لكم أن تعلموا ذلك. ٤ قال أي: داعيًا اللهَ. وربّ: يا ربي. حذف حرف النداء لِما فيه من معنى التنبيه. ودعوت: حضضت على الإيمان. وليلًا ونهارًا أي: دائمًا. ٥ لم يزدهم: لم يفدهم. والفرار: الإعراض والبعد. ٦ كلّما: في كل وقت. وجعلوا: وضعوا. والأصابع: أطراف الكفّ، جمع إصبع. والآذان: جمع أذن، عضو السمع. واستغشوا: غطّوا رؤوسهم. والثياب: جمع ثوب، ما يلبس ويستتر به. وأصرّوا: استمرّوا على الكفر. واستكبروا: طلبوا التعالي بالباطل. ٧ الجهار: المجاهرة بصوت عال. ٨ أعلنت: أظهرت بصوت مسموع. وأسررت: جعلت كلامي مناجاة خافتة. ٩ استغفِروا: اطلبوا محو الذنب بالإيمان والتقوى. وكان أي: ولا يزال بدون قيد زماني. والغفّار: العظيم الإظهار للجميل والستر للقبيح. ١٠

المعنى العام: أن الله بعث نوحًا يبلّغ قومه التوحيد والبعث، قبل نزول العذاب بهم، فهددهم وأمرهم بالإيمان والتقوى والطاعة، ليصفح الله عنهم ويجعل وفاتهم كما هي دون انتقام، ثم شكا إليه أنه قام بالدعوة في كل وقت بالأساليب المختلفة فكانت تسبب لهم النفور والطغيان، لأنهم يقابلون كلامه بسد آذانهم والابتعاد عنه وإخفاء رؤوسهم لئلا يروا ولا يسمعوا. فقد عطّلوا قدراتهم بالعناد والاستكبار، وحار في وسائل توجيههم إلى التوبة الاستغفار...

تفسير المفردات: يرسل: يطلق الله وينزل. والسماء: المطر من السحاب. والمدرار: الكثير الهطول. ١١ يمدّكم: يعينكم. والأموال: جمع مال، ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والبنون: جمع ابن، الذكر من الأولاد. ويجعل: يخلق. والجنة: البستان الجيّد في الدنيا. والأنهار: المياه الجارية، جمع نهر. ١٢ مالكم: أيُّ شيء يجعلكم ؟ ولا ترجون: لا تخافون. الوقار: العظمة. ١٣ خلقكم: أنشأكم. وأطوارًا أي: متنقلين من حال إلى حال في بطون الأُمّهات. ١٤ ألم تروا: هلّا نظرتم وتفكّرتم. وكيف خلق الله: كيفية خلقه. والسماوات: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وطباقًا أي: محيطًا بعضها ببعض في طبقات. ١٥ جعل: صيّر. والقمر: الكوكب الليلي. والنور: ما ينير في الليل. والشمس: النجم النهاري. والسراج: المصباح يضيء في النهار. ١٦ الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأنبتكم: أنشأ أباكم وأصلكم آدم. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ١٧ يعيدكم: يردّكم مقبورين. ويخرجكم: يبعثكم أحياء للحساب. ١٨ لكم: لأجل مصالحكم. وبساطًا أي: مسهّلة لا عسيرة المنال كالكواكب الأُخرى، تُرى كالمسطّحة لِما فيها من سعة وامتداد. ١٩ تسلكوا: تتخذوا وتعبروا. والسبل: الطرق، جمع سبيل. والفجاج: الواسعة، جمع فَجّ. ٢٠ نوح: أول نبيّ كذّبه قومه. وربّ أي: يا ربّي. حُذف حرف النداء لِما فيه من معنى الأمر والتنبيه، وحذفت الياء للتخفيف. وعصوني: خالفوني. واتبعوا: أطاعوا. ولم يزده: لم يفده. والولد: الأولاد، واحده بلفظه أيضًا. والخسار: افتقاد الخير بالطغيان والكفر. ٢١ مكروا: دبّر رؤساؤهم المكايد. والكُبّار: العظيم جدًّا. ٢٢ قالوا أي: للناس. ولا تذروا: استمرّوا في العبادة. والآلهة: جمع إلَه. وهي الأصنام. وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر: أسماء أصنامهم. ٢٣ أضلّوا: صرفوا بعبادتها عن الحق. والكثير: العدد الوافر من الناس. ولا تزد الظالمين أي: لا تُضِف - يا ربّي - إلى الكافرين. والضلال: الانصراف إلى الباطل. ٢٤ ممّا خطيئاتهم أي: بسبب ذنوبهم الكبيرة كالشرك والإجرام. وأُغرقوا: قُتلوا خنقًا بالطوفان. وأُدخلوا: سيُرغمون على الدخول. والنار: نار جهنم. ولم يجدوا: لم يروا. ودون الله: غيره. والأنصار: جمع نصير، المعين يدفع العذاب. ٢٥ لا تذر: لا تترك في الحياة. والأرض: المِنطقة التي فيها قومه. والكافرون: من كذّبوا وأنكروا. والديّار: من يسكن دارًا من قومه. ٢٦ يُضلوا: يَصرفوا عن الإيمان إلى الشرك. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. ولا يلدوا: لا يُنشئوا من أولادهم. والفاجر: من يرتكب القبائح. والكَفّار: المنهمك في الكفر. ٢٧ اغفر: استر الذنوب بالعفو. والوالدان: الأب والأم. ودخل: زار. والبيت: الدار. والمؤمن: الذي عرف قلبه التوحيد وما يلزمه. ولا تزد: لا تضاعف. والظالمون: الكافرون. والتبار: الخسارة والدمار.٢٨

الجزء التاسع والعشرون سورة نوح

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل
لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا
سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ
مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا
لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾
مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ
اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

المعنى العام: يتابع نوح دعاءه الله أنه قد وعد الكافرين ، إذا آمنوا، بأمطار من فضل الله مع الغنى والأولاد والبساتين والأنهار، وانكاره منهم تجاهلَ عظمة الله في خلقهم أجنّة نامية، وعدمَ التأمل في بديع السماوات طبقات ومنافع الشمس والقمر، وإنشاء أبيهم آدم من تراب الأرض ومائها، على أن يموتوا ويدفنوا ثم يبعثوا للحساب، وفي تمهيد الأرض لتيسير العمل والمصالح.

وقد شكا إلى الله عصيانَهم واتباع المترفين الطغاة الماكرين بالمكايد العظيمة والآمرين بعبادة الأصنام والمضللين للناس. فلا زادهم الله إلّا ضلالًا. ولهذا كله من القبائح والمفاسد أُغرقوا بالطوفان، وأُعدّت لهم نار جهنم أيضًا. وكان نوح قد تابع دعاءه ألّا يبقي الله منهم حيًّا يرزق لأنهم يُنشئون أولادهم على الكفر والفجور.، وأن يغفر الذنوب والسيئات له ولوالديه والمؤمنين والمؤمنات، مع مضاعفة الخسارة والدمار على الكافرين.

٧٢ـ سورة الجنّ

تفسير المفردات: قل أي: للناس، أيها النبيّ. وأوحي إليّ: أُخبرتُ بما أنزل الله إليَّ على لسان جبريل. وأنه أي: أن الموضوع العظيم. واستمع: بالغ في الإنصات والفهم لقراءتي. والنفر: الجماعة دون العشرة، واحده نافر. والجن: واحده جنّيٌّ، خلق من النار فيهم المؤمنون وفيهم الشياطين. وقالوا أي: لقومهم مبلغين إياهم بالدعوة. وسمعنا: بلغ سمعَنا وأدركنا. والقرآن: ما يقرأ من الوحي المعجِز. والعجب: المدهش لما فيه من الدين والعلم والبيان. ١ يهدي: يدلّ. والرُّشد: الحق في الإيمان والعمل. وآمنّا به: أيقنّا أنه من عند الله. ولن نشرك أحدًا: لن نقدّس معبودًا من الخلق. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ٢ تعالى: تنزّه وترفّع. والجدّ: العظمة والجلال. وما اتّخذ: لم يصنع لنفسه. والصاحبة: الزوجة. والولد: الابن. ٣ ويقول: يختلق. والسفيه: الجاهل الضالّ الطائش. والشطط: الغلوّ في الكذب بالشرك والكفر. ٤ ظننا: اعتقدنا. وأن أي: أنّه. والإنس: البشر، واحده إنسيّ. والكذب: ما يخالف الواقع. ٥ الرجال: الذكور، جمع رجل. ويعوذون: يستعيذون ويطلبون الحماية. وزادوهم أي: أضاف الجنُّ إلى الإنس. ورهقًا أي: طيشًا وطغيانًا. ٦ أنهم أي: الإنس. وظنّوا: اعتقدوا. وظننم أي: اعتقدتم أنتم، أيها الجنّ الكافرون. ولن يبعث: لن يُخرج بعد الموت من القبر للحساب. ٧ لمسنا: تحسّسنا واختبرنا لاستراق السمع. والسماء: أقرب ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ووجدناها: رأيناها. وملئت: صار فيها ما يشغلها. والحرس: الملائكة تمنع الاستماع، واحده حارس. وهو الحافظ الرقيب. والشديد: القويّ العنيف. والشهب: جمع شِهاب، قبَس من النار ينفصل عن الكوكب. ٨ كنا أي: قبل البعثة النبوية المحمدية. ونقعد: نترصّد. ومنها: من السماء. والمقاعد: جمع مَقعد، مكان الترصّد. والسمع: الاستماع لما يكون في السماوات. والآن: من هذا الوقت إلى الأبد. ويجد: يصادف. والرصد: الراصد المراقب يمنع ويقتل. ٩ لا ندري: لا نعلم. والشرّ: ما فيه الضرر. وأُريد: قُصد. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والرَّشَد: الخير والصلاح. ١٠ منّا أي: بعضنا. والصالحون: من يعملون ما يرضي الله. ودونَ ذلك: غيرُ الصالحين أي: الكافرون. والطرائق: المذاهب، جمع طريقة. والقِدد: جمع قِدّة، الفرقة المنفصلة. ١١ أنْ أي: أنّه. ولن نعجز الله: لن نتخلص من سلطانه. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. والهرب: النجاة. ١٢ لمّا: عندما. وسمعنا الهدى: سمعنا تلاوة القرآن الكريم. وآمنّا به: صدّقنا أنه كلام الله. ويؤمن: يعتقد وحدانية الله وصدق رسوله. ولا يخاف: لا يخشى ولا يتوقّع. والبخس: النقص من الحسنات. والرهق: الظلم بزيادة السيئات. ١٣

الجزء التاسع والعشرون — سورة الجن

سورة الجنّ — آياتها ٢٨ — ترتيبها ٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحزب ٥٨

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾
وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَنْ
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ
اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ
آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

المعنى العام: أمر الله الرسول ﷺ بتبليغ الناس أن بعض الجنّ سمعوا تلاوته القرآنَ بما فيه من الهداية، فبلّغوا قومهم أنهم آمنوا به وحيًا من عند الله لأنه ليس من جنس كلام الخلق، ولن يعودوا إلى الشرك أبدًا والزعم أن يكون لله زوجة أو ولد، وذكروا لقومهم ما علموا من الهدايةِ وعظمة الله ووحدانيته، وبطلان أكاذيب المشركين وخضوعِ الدجاجلة الطغاة من الإنس للجن وإنكارِهم البعث، وتحصين السماء بالشهب والملائكة بعد البعثة المحمدية، لمنع الشياطين من سابق أعمالهم بنقل ما يستغله المشعبذون لإضلال الناس بالسحر. فقد امتنع الاستماع أبدًا بترصد الشهب المحرقة، وفي ذلك من أمور للناس مجهولة الخير والشر. وذكروا ما كان عليه الجن من تفرّق في العقيدة صلاحًا وضلالًا، وما تحقق لديهم من سلطان لله لا يتجاوزه أحد، فتحقق إيمانهم به، وهو يقوم بالعدل المطلق، فلا يُخشى منه جور في الدنيا والآخرة...

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰٓئِكَ
تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ
فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ
بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى
لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا
مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ
مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ
مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ
يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟
رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

تفسير المفردات: منّا أي: بعضنا. والمسلمون: من أسلموا لله أمورهم. والقاسطون: الظالمون بالكفر. وأسلم: استسلم للهداية. وتحرّوا: طلبوا باجتهاد. والرشد: الهداية الحقيقية. ١٤ كانوا أي: سيكونون بما يستحقون من العقاب. وجهنم: دار العذاب يوم القيامة. والحطب: ما توقد به النار. ١٥ أن لو استقاموا: أن المشركين لو لزموا التوجه القويم. والطريقة: السبيل الواضحة، أي: الإسلام. وأسقيناهم: أنزل الله ما يشربون هم والأرض والحيوان. والغدق: الكثير. ١٦ نفتنهم: نختبرهم فتظهر حقيقة ما في نفوسهم من الشكر والطاعة. ويُعرِض: يمتنع. والذكر: التذكرة والعظة. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ويَسلكه: يُدخله. والعذاب: التعذيب. والصَّعد: الشاق المرهِق. ١٧ المساجد: مواضع الصلاة، جمع مَسجِد. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ولا تدعوا: لا تعبدوا فيها. وأحدًا أي: من المخلوقات. ١٨ أنه أي: أنّ الموضوع الخطير. ولمّا قام: عندما انتصب للصلاة. وعبد الله أي: محمد ﷺ. ويدعوه: يعبد الله. وكادوا: قارب الكافرون من الجنّ والإنس. ويكونون: يصيرون. وعليه: حوله. واللِّبَد: الجماعات المزدحمة المتلاصقة، جمع لِبْدة. ١٩ قل أي: للكافرين، أيها النبيّ. وأدعو: أعبد. ولا أشرك به: لا أجعل له شريكًا في العبادة. ٢٠ لا أملك: لا أقدر ولا أستطيع. والضرّ: الأذى. ٢١ لن يجيرني: لن يحفظني. من الله أي: من عذابه إن عصيته. ولن أجد: لن ألقى. ودونه: غيره. والملتحد: الملجأ. ٢٢ البلاغ: التبليغ. ومن الله أي: من عنده بالوحي. والرسالات: ما يُرسل به من الآيات. ويعصي الله: يخالف أمره أو نهيه. ونار جهنم أي: العذاب فيها. وخالدين أي: مقيمين أمدًا طويلًا. والأبد: الدهر كله. ٢٣ حتى إذا أي: فإذا. ورأوا: أبصروا عِيانًا. وما يوعدون: ما يهدَّدون به. وسيعلمون: لا بدّ أن يتحققوا. والأضعف: الأعجز. والناصر: المُعين. والأقلّ: الأنقص. وعددًا أي: عددَ مُعينين. ٢٤ إن أدري: لا أعلم. والقريب: الواقع الآن أو يتوقع بعد لحظات. ويجعل: فرَض وقضى. والأمد: الوقت المحدّد لا يعلمه إلّا هو. ٢٥ والعالِم: المحيط بالغَ الإحاطة. والغيب: ماغيّبه عن العباد. ولا يُظهر: لا يُطلِع. ٢٦ ارتضى: اختاره ورضي له تحمُّل الدعوة. والرسول: من كُلّف بالدعوة مع العمل. وإنه أي: الله. ويسلك: يجعل ويسيّر. وبين يديه: أمام الرسول. وخلفه: وراءه. والرصد: الرقيب الحافظ. ٢٧ يعلم: يحقق الله علمه القديم فعلًا. وأنْ أي: أنه. وأبلغوا: أوصل الرسلُ إلى المكلّفين. والرسالة: ما يكلّف به الرسول. وأحاط: علم. وما لديهم: ما عند الرسل والملائكة. وأحصى: علم عدده جملة وتفصيلًا. والشيء: ما هو موجود أو محتملٌ وجوده. والعدد: المعدود. ٢٨

المعنى العام: متابعة قول النفر من الجن بأن بعضهم المسلمون المهتدون للحق وبعضًا الكافرون المهيَّؤون حطبًا لنار جهنم.

ثم ذكر الله أن مشركي مكة يعاقَبون بالمحل، ولو اهتدوا لكان لهم الغيث العميم، اختبارًا لصحة إيمانهم، وأن للكافر حياة شاقة في الدنيا والآخرة، وأن المساجد هي للتوحيد لا للأصنام، ولمّا صلى في المسجد الحرام محمد ﷺ تألّب عليه الكافرون لمنع الإيمان. فعليه جوابهم بتوحيده اللهَ وعجزه عن نفعهم وضررهم، وبتفويض الأمر إليه مستسلمًا، ومتابعة التبليغ والبيان، وأنه سيكون للعُصاة خلود في النار بعد انتقام في الدنيا. وبذلك يتحقق لهم صدقُ ما يوعدون به من العقاب، ومنزلةُ المعينين لكل من المؤمنين والكافرين.

وعندما سأل بعض المشركين عن موعد الانتقام والعذاب، نزلت الآيات بأن ذلك لا يعرفه النبي ﷺ، وإنما يعلمه الله وحده، وقد يُطلِع على شيء منه بعض الملائكة أو الرسل، ثم يحفظهم ليبلّغوا ويتحقق فعلًا علمه القديم، وهو مطلع على ما يحصل في الكون، ويحصي دقائقه جملة وتفصيلًا.

٧٣ ـ سورة المُزَّمِّل

تفسير المفردات: المزّمّل: محمد ﷺ تلفف بثيابه هيبة من جبريل حين بدء الوحي. ١ قم: تنبّه للعبادة. والليل: مابين الغروب والفجر. والقليل: الزمن اليسير. ٢ النصف: ما يكون من الشيء إذا جعل قسمين متعادلين. وانقص منه: اجعل النصف ثُلثًا. ٣ زد عليه: اجعله ثلثين. ورتّل القرآن: اقرأ بتؤدة ما أوحي إليك منه. ٤ نلقي: ننزل على لسان جبريل. والقول: المقول القرآني. والثقيل: العظيم الجليل. ٥ ناشئة الليل: القيام ليلًا للعبادة بعد النوم. وأشدّ: أقوى. والوطء: موافقة السمع والقلب للسان في التلاوة. وأقوم: أوضح وأدقّ. والقيل: القول. ٦ النهار:ما بين الفجر والغروب. والسبح: السعي في العمل. والطويل: الواسع المديد. ٧ اذكر: دم على الذكر والترداد. واسم ربك: أسماؤه الحسنى في العبادة والتسبيح والتلاوة والحمد والدعاء. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. وتبتّل: انصرف في العبادة. ٨ المشرق والمغرب: أمكنة الشروق والغروب للشمس. والإلّه: المعبود بحق وحده. واتخذه: استمِرَّ على ذلك. والوكيل: المعتمَد عليه. ٩ اصبر: تحمّل. ويقولون أي: الكافرون. واهجرهم: أعرض عنهم. والجميل: الذي لا جزع فيه ولا شكوى ولا إيذاء. ١٠ ذرني والمكذبين: اتركني مع عقاب كبار المشركين. وأولو أي: أصحاب، واحده ذو. والنعمة: الترف والتنعم. ومهلهم: أجّل أمرهم. ١١ لدينا: عندنا. والأنكال: القيود الثقيلة، جمع نِكل. والجحيم: النار المحرقة. ١٢ الطعام: ما يؤكل ويشرب. وذو غصة أي: صاحب استعصاء في الحلق. والعذاب: التعذيب. والأليم: المؤلم جدًّا. ١٣اليوم: الوقت. وترجف: تُزلزل وتُنسف. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والجبال: جمع جبل، ما غلظ وارتفع من الأرض. وكانت أي: تصير. والكثيب: الرمل المجتمع. والمهيل: المتصبب يتبع بعضه بعضًا. ١٤ أرسلنا: بعثنا. والرسول: المكلّف بالدعوة إلى الإيمان بالتوحيد والبعث مع العمل. والشاهد: من يرى ويُقِرّ بما يعلم للحُكم. وفرعون: ملك مصر في عهد موسى. ١٥ عصى: خالف وخاصم. والرسول: موسى. وأخذناه: عاقبناه بالغرق. والوبيل: الفظيع. ١٦ كيف تتقون: محال أن تتجنّبوا وتنجوا. وكفرتم: كذبتم التوحيد والبعث. ويومًا أي: وقتًا. ويجعل: يصيّر. والولدان: الأطفال الصغار، جمع وليد. الشيب: جمع أشيب، من يبيضّ شعره. ١٧ السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. ومنفطر: ذات تشقق واضمحلال. وبه: بسبب شدة اليوم. وكان أي: ولا يزال. والوعد: التهديد والوعيد. والمفعول: المحقَّق فعله. ١٨ هذه أي: ما ذكر في الآيات ١١ ـ ١٨. والتذكرة: العظة للناس. وشاء: أراد الإيمان والطاعة. واتخذ: سلك. وإلى ربه أي: إلى طاعته. والسبيل: الطريق الواضح. وهو الإسلام. ١٩

سُورَةُ المُزَّمِّل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا
﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى
ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾
رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ
أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾
وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ
وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ
فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾
إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

المعنى العام: أمرُ الله للنبي ﷺ، وقد تلفف بثيابه هيبة من الوحي، أن يترك النوم وينصرف إلى العبادة في أوقات مختلفة من مقدار الليل، فينقطع لمناجاة الله الذي خلق الكون متفردًا بالألوهية. وواجبه أن يتكل على الله ويتحمّل أذى الكافرين، ولا يقابلهم بالعداوة والخصام. فليترك أمرهم لله، وقد أعد لهم القيود الثقيلة والعذاب الفظيع يوم القيامة، وشجر الزقوم والشوك الخبيث وما يسيل من جراحهم في النار طعامًا وشرابًا. وفي ذلك الوقت تنهد الأرض مع الجبال وتتفتت وتنهار.

فقد أُرسل النبي ﷺ إلى الناس مبلّغًا وشاهدًا عليهم ، كما جاء موسى إلى فرعون وقومه، فتمردوا وكان جزاؤهم الغرق الشنيع. وليس للمشركين نجاة من عذاب الآخرة، حين تشيب رؤوس الأطفال من الأهوال وتتفتت السماوات، وذلك واقع لا محالة. فليتعظ المشركون، ويسلكوا سبيل الإيمان والرشاد.

تفسير المفردات: الربّ: الخالق المالك المتفرّد. ويعلم: يحيط بالغَ الإحاطة. وتقوم: تنهض للصلاة. وأدنى: أقلّ. والثلث: ما يكون من الشيء إذا قسم على ثلاثة. والليل: ما بين الغروب والفجر. والنصف: ما يكون من الشيء حين يقسم على اثنين. والطائفة: الجماعة. ومعك أي: على الإيمان. ويقدّر الليل: يُحصي مقاديره. والنهار: ما بين الفجر والغروب. وأنْ أي: أنّكم. ولن تُحصوه: لن تقدّروا أوقات الليل. وتاب عليكم: رجَع بكم إلى التخفيف. واقرؤوا: اتلُوا في الصلاة. وتيسّر: أمكن. والقرآن: آياته. ويكون: يحصل. ومنكم: بعضكم. والمرضى: جمع مريض، من فيه علّة. وآخرون: غير المرضى. ويضربون: يسافرون. والأرض: البلاد. ويبتغون: يطلبون. ومن فضل الله: بسبب تفضله. ويقاتلون: يحاربون المعتدي. وفي سبيل الله: لإعلاء كلمته ودينه كما شرع. وأقيموا الصلاة: أدُّوها كاملة. وآتوا الزكاة: ادفعوها إلى مستحقيها. وأقرضوا الله: اجعلوا عنده لكم حسنات بالصدقات والبرّ. والحسن: الجميل بالرضا وطيب النفس. وتقدموا: تفعلوا. والأنفس: جمع نفس، ذات الإنسان بروحه وجسده. والخير: الشيء النافع في الحياة. وتجدوه: ترَوه. وعند الله: عند لقائه وحسابه. وخيرًا: أكثر نفعًا. والأعظم: الأكبر. والأجر: المكافأة. واستغفروا: اطلبوا العفو عن الذنوب. والغفور: الكثير السترِ للذنوب. والرحيم: العظيم العطف على المؤمنين. ٢٠

الجزء التاسع والعشرون — سورة المزمل

۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ
ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ
عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ
وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠

ترتيبها ٧٤ — سُورَةُ المُدَّثِّرِ — آياتها ٥٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤
وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧
فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ
غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا
مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ
أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧

ربع الحزب ٥٨

المعنى العام: أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يصلُّون أقدارًا مختلفةً من الليالي، ولا يُحسنون معرفة الزمن بدقة كما يعلم الله، فخفف عنهم بأن يكون ذلك على ما يتيسّر لهم، كما أن المرضى والمسافرين للعمل والمجاهدين قد يتعذر عليهم قيام الليل، فليكن عليهم ما هو أخف فيه مع الصلوات المفروضة وأداء الزكاة، والزيادة في الصدقة والصلاح وطلب المغفرة، ليروا الجزاء الأعظم في الدنيا والآخرة، بفضل الله ورحمته.

٧٤ـ سورة المُدَّثِّر

تفسير المفردات: المدّثر: النبي ﷺ تلفف بثيابه بعدما جاءه جبريل بالوحي. ١ قم: انهض. وأنذر: هدّد بالعذاب من أشرك. ٢ وكبِّر: عظّم ونزّه عن الشرك. ٣ الثياب: جمع ثوب، ما يلبس. وطهِّر: نظّفه من النجاسة. ٤ والرجز: القبيح من العمل. واهجر: دم على تجنّبه. ٥ لا تمنن: لا تذكر بالفخر ما تبذل. وتستكثر: تطلب الكثير مقابل ما بذلت. ٦ لربك اصبر: اثبت على طاعة أوامره ونواهيه. ٧ نُقر: نُفخ بشدة. الناقور: الصور يَنفخ فيه إسرافيل لبعث الموتى. ٨ ذلك أي: وقت النقر. ويومئذ: يوم البعث. واليوم: الوقت. والعسير: الشديد الأثر. ٩ الكافرون: المكذبون وحدانية الله ودعوة رسوله. وغير يسير: بعيد جدًّا عن السهولة والتحمل. ١٠ ذرني: اتركني ولا تَشغل نفسك. وخلقت: أوجدت من العدم. ووحيدًا: متفردًا من أهله وماله. ١١ جعلت: صيّرت وهيّأت. والمال: ما يملك من النقد والمتاع والزينة. والممدود: الواسع المتواصل. ١٢ البنون: جمع ابن، الولد الذكر. والشهود: جمع شاهد، يحضر مجالس القوم. ١٣ مهّدت: وسّعت وبسطت في المنافع. ١٤ يطمع: يرغب. وأزيد: أُضيف إلى ما أعطيت. ١٥ كلّا: لن يكون له ذلك. وكان أي: وما زال. والآيات: النصوص القرآنية. والعنيد: المعاند المحارب. ١٦ أرهقُه: أُحمّله من العذاب. والصَّعود: المشقة المتصاعدة. ١٧

المعنى العام: أمرُ الله للنبي المتلفف بثيابه من الهيبة، أن يخفف عن نفسه ويسعى في الدعوة والعبادة والطهارة وإنكار القبائح، والبذل إيمانًا واحتسابًا، والتحمل لمصاعب الدعوة والعمل. وعندما سيأتي يومُ القيامة يحاسب الله الناس، فيكون للكافرين أهوال لا تحتمل.

ولهذا وجب على النبي ﷺ أن يهتم بالدعوة، ويترك لله أمر كبار المشركين أمثال الوليد بن المغيرة الذي سيحاسبه مجرّدًا من سلطانه، بعد أن وهبه المال والأبناء والخير، وما زال يطلب أكثر وأكثر. فحسبه ذلك ولن يرى ما يطلب لِمَا هو عليه من الكفر والتكذيب، بل سوف يلقى من العذاب في الدنيا والآخرة ما هو شاق جدًّا، تتكاثر أهواله ومصاعبه.

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ
﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ
وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى
مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى
ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

تفسير المفردات: إنه أي: الوليد بن المغيرة سيد الكافرين. وفكّر: أعمل فكره. وقدّر: راجع الحيل ليتّهم الوحي. ١٨ قتل: طُرد من الرحمة. ١٩ كيف قدّر: على أيّ حال كان تقديره ؟ ٢٠ نظر: وجّه بصره حوله. ٢١عبس: قبّض وجهه. وبسر: زاد في العبوس. ٢٢ أدبر: انصرف عن النبي ﷺ. واستكبر: تكبر عن الاتباع. ٢٣ إن هذا: ليس القرآن. والسحر: ما يخدع العقل والإدراك. ويؤثر: يُنقل عن السحَرة. ٢٤ قول البشر : ما يقوله الناس وليس وحيًا.٢٥ أُصليه: أدخله ليتحرق. وسقر: جهنم. ٢٦ ما أدراك: ما الذي أعلمك بحق ؟ وما سقر: أيُّ شيء هي ؟ ٢٧ لا تبقي ولا تذر: لا تترك ما تناله، بل تهلكه وتعيده إلى حاله الأُولى. ٢٨ اللوّاحة: المحرقة المسوّدة. والبشر: ظاهر الجلد. ٢٩ عليها أي: رؤساء الزبانية المشرفون على جهنم. ٣٠ ما جعلنا: ما صيّرنا. والأصحاب: جمع صاحب، العامل المختص. والنار: نار جهنم. والملائكة: جمع ملَك، مخلوق من النور. والعدّة: العدد. والفتنة: الامتحان ليزداد ضلال المشركين. وكفروا: كذّبوا. ويستيقن: يكتسب الإيمان. وأوتوا: أُوحي إليهم. والكتاب: التوراة والإنجيل. ويزداد: يتضاعف. وآمنوا: صدّقوا. ولا يرتاب: لا يتردد في الاعتقاد. والقلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد. والمرض: النفاق. والكافرون: المصرّون على التكذيب. وماذا أراد: أيَّ شيء قصد؟ وهذا أي: العدد. والمَثل: الأمر العجيب. وكذلك أي: مثلَ هذا الإضلال لهم. ويضل: يصرف الاختيار إلى الضلال بحسب الاستعداد السيئ. ويشاء: يريد الله أن يضله. ويهدي: يصرف الاختيار إلى الهدى بحسب الاستعداد الحسن. ويشاء: يريد الله أن يهديه. وما يعلم: لا يدرك. والجنود: الملائكة الأقوياء للبطش، جمع جند والوحد جندي. وما هي: ليس وصفها هنا. والذكرى: التذكرة. والبشر: الناس. ٣١ كلّا أي: ألا، للتوكيد والتنبيه. و والقمر: أُقسم بالكوكب الليلي. ٣٢ الليل: ما بين الغروب والفجر. وإذ أدبر: حين ينتهي. ٣٣ الصبح: وقت ضياء الفجر. وأسفر: ظهر. ٣٤ إنها أي: سقر. والإحدى: الواحدة. والكبر: جمع الكبرى، الأعظم هولًا. ٣٥ النذير: المهدّد لمن عصى. ٣٦ وشاء: اختار لنفسه. ومنكم: بعضكم. ويتقدم: يسبق إلى الإيمان. ويتأخر: يتخلف عنه. ٣٧ النفس: المكلَّف من الإنس والجن. وكسبت: عملته من قول وفعل. ورهينة: مؤاخذة. ٣٨ أصحاب اليمين: الذين يتناوَلون صحف أعمالهم يوم القيامة بأيديهم اليمنى. ٣٩ الجنّة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. ويتساءلون: يسأل بعضهم بعضًا. ٤٠ المجرمون: المنهمكون في الكفر والفساد. ٤١ سلككم: سبّب دخولكم. ٤٢ قالوا أي: أجاب المجرمون بحسرة. ولم نك: لم نكن أي: ما كنّا. وحذفت النون للتخفيف.والمصلون: المؤمنون يؤدّون الصلاة. ٤٣ نطعم: نعطي الحق في أموالنا ليتيسر الطعام والشراب. والمسكين: الفقير المحتاج. ٤٤ نخوض: نَشرع في الأباطيل ونتخبّط فيها بلا تدبّر. ٤٥ نكذّب: ننكر. واليوم: الوقت. والدِّين: الجزاء. ٤٦ أتانا: حلّ بنا. واليقين: الموت لابد منه. ٤٧

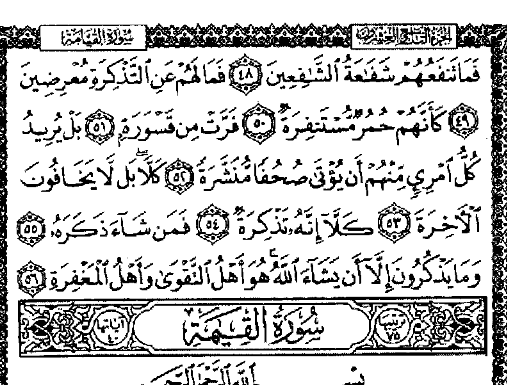
المعنى العام:أن الوليد بن المغيرة اضطرب وتحيّر، في البحث للطعن بالوحي، حتى زعم أنه سحر من مقولات الدجاجلة. وقد حكم الله عليه بنار جهنم تسوّده إحراقًا وتكرر له عودة ما احترق أبدًا، والزبانية فيها عجيب خَلقها وقليل عدد رؤسائها.

ولما نزلت الآية ٣٠ سخر المشركون من العدد، وقال زعيمهم أبو الأشُدَّينِ كَلَدةُ بن أسيد بأنه يقضي على أكثرها فنزلت الآية ٣١، أن تعيين العدد تصديق لِما يعرفه أهل الكتاب وتثبيت لإيمان المسلمين بعظمة الله وتضليل للمشركين بزيادة الكفر والسخرية، وأن وصف جهنم هو عظة للناس عامة، وهي فائقة العظَمة في أهوالها، فليختر كلٌّ ما يناسبه من الإيمان والكفر لأنه مرهون باختياره، ثم ترى المؤمنين يوم القيامة في الجنّة يسألون الكافرين في جهنم عن إجرامهم، فيجيبون بما كانوا عليه حتى الموت، من الشرك وإنكار الصلاة والزكاة والاستغراق في الإفساد والتكذيب ليوم القيامة.

تفسير المفردات: ما تنفع: لا تقدم خيرًا ولا تدفع شرًّا. والشفاعة: المطالبة بالتجاوز عن الذنوب. ٤٨ ما لهم: أيُّ نفع لهم ؟ والتذكرة: وعظ القرآن. ومعرضين: مبتعدين. ٤٩ الحمر: جمع الحمار الوحشي. والمستنفرة: الشديدة النفور. ٥٠ فرت: هربت. والقسْورة: الأسد الرهيب. ٥١ يريد: يطلب. والمرء: الإنسان. ويؤتى: يعطى. والصحف: جمع صحيفة، مثل القرآن. والمنشرة: المبسوطة للقراءة. ٥٢ كلّا: لن يكون ذلك. ولا يخافون: لا يخشون. والآخرة: القيامة. ٥٣ كلّا أي: ألا، للتوكيد والتنبيه. وإنه أي: القرآن الكريم. والتذكرة: التذكير بالحق. ٥٤ شاء: أراد الاتعاظ. وذكره: اتعظ واهتدى. ٥٥ ما يذكرون: ما يتعظون. وأن يشاء: حين يريد لهم الذكر والهداية. وأهل التقوى: صاحبها المتفرد بخلقها في النفوس. والمغفرة: العفو عن الذنوب. ٥٦

المعنى العام: أن الكافرين لا شفاعة لهم، ولا ينفعهم شيء يوم القيامة، وليس لهم نفع لمعاندتهم الإيمان، يهربون منه كما تهرب الوحوش من افتراس الأسد، بل يطلب كل منهم أن يوحى إليه قرآن حتى يؤمن. فليدَعوا هذا الباطل والكفر بالبعث، وليتعظ منهم بما في الوحي من أراد. والحق أنه لن يكون له ذلك إلّا بإرادة الله وتوفيقه، وهو وحده الموجه إلى الإيمان والاستغفار من كان عنده استعداد ورغبة.

٧٥ـ سورة القيامة



تفسير المفردات: لا أُقسم أي: أحلِف مؤكّدًا. واليوم: الوقت. والقيامة: قيام الناس بالبعث. ١ النفس: عقل الإنسان. واللوامة: الكثيرة اللوم على التقصير. ٢ أيحسب: لا يتوهمْ. والإنسان: الآدمي الكافر. وأنْ: أنّا. ولن نجمع: لن نعيد الخلق بالبعث. والعظام: جمع عظم. ٣ بلى أي: سيتحقق ما أنكره من الخلق. قادرين أي: متمكنين من ذلك باقتدار. ونسوّي بنانه: نعيد تسويتها كما كانت. والبنان: واحدته بنانة، العظم وما حوله في طرف الإصبع. ٤ يريد: يقصد بلا تدبر. ويفجر: يقول ما هو شنيع بالإنكار والتكذيب. وأمامه: وقت البعث بعد الموت. ٥ يسأل: يستخبر للتعجيز. وأيان: أيُّ وقت؟ واليوم: الزمن. والقيامة: بعث الناس. ٦ برق: تحيّر واضطرب. البصر: القدرة على النظر. ٧ خسف: أظلم. والقمر: الكوكب الليلي. ٨ جمع: اتّفق. والشمس: النجم النهاري. ٩ يقول: يسأل بفزع. والإنسان: كل إنسان. ويومئذ: يوم القيامة. وأين المفرّ: إلى أي مكان النجاة من العذاب ؟ ١٠ كلّا: لن يكون له ذلك وسيتحقق الحساب. والوزر: الملجأ. ١١ إلى ربك: إلى حُكمه كما وعدك. والمستقر: المصير للجزاء. ١٢ يُنبّأ: يخبّر. وقدّم: عمل. وأخّر: أهمل. ١٣ بل أي: دعْ ما مضى فإنه حق لا شك فيه، وتنبّهْ إلى ما يلي. والنفس: الشخص بروحه وجسده. والبصيرة: الشاهد بأعضاء جسمه على نفسه. ١٤ وَلو ألقى: وَإن أحضر. والمعاذير: جمع معذرة، الاعتذار من العصيان. ١٥ لا تحرك: لا تُعمِل لترديد الآيات ـ أيها النبيّ ـ قبل انتهاء الوحي. واللسان: جهاز النطق. وتعجل به: تستعجل قراءته لحفظه. ١٦ علينا جمعه: نحن نتكفل تثبيته ونوفقك في ذلك. وقرآنه: قراءتك إيّاه. ١٧ قرأناه: رتّلناه على لسان جبريل. واتبع: استمع. ١٨ البيان: تيسير الحفظ والتفهم والتبليغ والتفسير. ١٩

الجزء ٥٨

المعنى العام: أقسم الله بيومِ القيامة، والنفوسِ الكريمة تعنّف وتحث على الخير، أنه لا بد من البعث. فلا يخدعِ الكافرون أنفسهم باستحالة الخلق ثانية، لأن الله قادر على جمع أدقّ ما تفتت من الناس وصوغه بإحكام. ولكنّ كفر الإنسان يحمله على التكذيب والتساؤل بسخرية عن موعد الحساب ، ويومئذ تذهل الأبصار ويضطرب الكون، فتتفق الشمس والقمر ويطلعان من المغرب. هنالك يتساءل البشر بفزع عن سبيل للنجاة، والسبيل هو الحشر للحساب، حيث يتذكرون ما فعلوا وتركوا، باعتراف أعضائهم، دون اعتذار.

ولمّا كان النبي ﷺ يعاني من الوحي شِدّة، ويتعجّل في الترديد فيكاد يسبق التلقي من جبريل، خشية أن يتفلت منه شيء، نزلت الآيات١٦ ـ ١٩ با لعتاب والطمأنة والتوجيه، أن يتصبّر وينظر ما يبلّغه جبريل بلا تعجل، لأن الله يثبّته في الحفظ وقد تكفّل ذلك مع تيسير التبليغ والبيان.

تفسير المفردات: كلّا أي: ألا، للتنبيه إلى ما يلي. وتحبون: تعشقون، أيها الناس. والعاجلة: حياة الدنيا. ٢٠ تذرون: تهملون في العمل. والآخرة: الحياة يوم القيامة. ٢١ الوجوه: جمع وجه. ويومئذ: حين الحساب. والناضرة: المشرقة بالسرور. ٢٢ والرب: الخالق المالك المتفرد. وناظرة أي: تنعم بالرؤية عِيانًا. ٢٣ باسرة: عابسة كالحة. ٢٤ تظن: تعتقد. ويفعل: يَنزل. والفاقرة: المصيبة تحطم فَقار الظهر. ٢٥ بلغت: ارتفعت الروح في الجسم حتى وصلت. والتراقي: عظام الحلق، جمع تَرقُوة. ٢٦ قيل أي: قال المحيطون بالمحتضَر. ومن راق: من الطبيب الشافي ؟ ٢٧ ظنّ: أيقن المحتضَر. وأنه: أن ما فيه من العذاب. والفراق: مفارقة الدنيا. ٢٨ التفت الساق بالساق: اشتبكت ساقاه وتصلّبتا. ٢٩ إلى ربك: إلى لقاء حسابه. ويومئذ: حين الحشر. والمساق: سوق البشر بالعنف. ٣٠ لا صدّق: لقد كفر الجاحد. ولا صلى: رفض العبادة. ٣١ كذب: أنكر الرسالة. وتولى: امتنع من الإيمان. ٣٢ ذهب إلى أهله: تردّد على من يعاشرهم. ويتمطى: يتبختر تكبرًا. ٣٣ أولى لك: الويل ألصَقُ بك، أيها الكافر. ٣٤ فأولى: للتوكيد. ٣٥ أيحسب: لا يتوهّمْ. والإنسان: الكافر. ويترك: يُهمل في الدنيا. وسدى أي: غير مكلف ولا محاسب. ٣٦ ألم يك: ألم يكن أي: لقد كان في أصل خلقه. وحذفت النون للتخفيف. والنطفة: أدقّ قطرة. والمنيّ: ماء الرجل بشهوة. ويُمنى: يُصبّ. ٣٧ كان: صار المنيّ. والعلقة: القطعة من الدم تتشبث بالرحِم. وخلق: أنشأ الله منها إنسانًا. وسوّى: عدّل الكيان. ٣٨ جعل منه: صيّر الله من المخلوق. والزوجان: النوعان. والذكر والأنثى: الابن والبنت. ٣٩ أليس ذلك أي: إنَّ مَن خلق تلك الأشياء. وبقادرٍ أي: مستطيعًا. ويحيي: يخلق حياة. والموتى: جمع ميت. ٤٠

الجزء التاسع والعشرون — سورة القيامة

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾
إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنْسَانِ (٧٦) آياتها ٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

المعنى العام: ألا إن الناس يتعشقون الدنيا ويُشغلون عن الآخرة، حيث تطفح وجوه المؤمنين بالبِشر والنظر إلى الرحمن، وتربدّ وجوه الكافرين من الأهوال القاصمة. وعندما تتصعد روح المحتضَر في حلقه، ويحار أهله في إنقاذه لتحقق الوفاة، وتتصلب ساق ملتفة بأختها، هنالك لا مفر من الموت، ثم يكون الحشر للحساب. لقد كان هذا مكذِّبًا للدعوة والعبادة، معرضًا عن الإيمان، يتيه بين أصحابه بالتكبر. فله الويل محقَّقًا مؤكَّدًا، ولا يظنَّنَّ أن البعث محال، وأنه يعيش بلا حساب بعد. لقد أنشأه الله من قطرة منيّ تُصب في بُويضة المرأة وتنتقل إلى الرحم، ليتكوّن منهما الخلق السويّ للإنسان، رجالًا ونساءً. وحقًّا أن الله الذي كوّن ذلك مقتدر أن يخلق الموتى للحشر.

٧٦ـ سورة الإنسان

تفسير المفردات: هل أتى أي: قد مضى. والإنسان: آدم. والحين: المُدّة من الوقت. والدهر: الزمن غير المحدود. ولم يكن: ما كان. والشيء: ما له وجود متميّز بنوعه. والمذكور: المعروف في الوجود. ١ خلقنا: أنشأنا بعد آدم وحواء. الإنسان: الآدميّ. والنطفة: أدقّ قطرة. والأمشاج: الأخلاط المتمازجة، جمع مَشيج. ونبتليه: نختبره بالقدرة على التدبر والاختيار. وجعلناه: صيّرناه. والسميع: الجيّد السمع للأصوات. والبصير: الدقيق الإدراكِ للمرئيّات والمعقولات. ٢ هديناه: أرشدناه وعرّفناه. والسبيل: طريق الخير وطريق الشرّ. الشاكر: المؤمن المثني على المنعم. والكفور: الكثير الكفران للجميل. ٣ أعتدنا: هيّأنا. والسلاسل: جمع سِلسلة، حلَقات متصلة من المعادن. والأغلال: جمع غُلّ، ما تجمع به اليدان إلى العنق. والسعير: النار المتهيّجة. ٤ الأبرار: المطيعون للأمر والنهي، جمع بَرّ. ويشربون: يتنعّمون بالشراب. والكأس: القدَح فيه الخمر. ومزاجها: ما تمزج به. والكافور: مادة عطريّة تميل إلى البياض. ٥

المعنى العام: لقد مضت الأزمان على آدم في صورته من الطين قبل خلقه النهائي، وليس له ذكر أو وجود متميز في الحياة، ثم خلق الله البشر من أصغر قطرة منيّ ممتزجة ببويضة الأمّ ، ليكونوا ذوي قدرات إنسانية، مِن سمع ورؤية وبصيرة وتدبر وإرادة، تؤهلهم للاختبار بالمسؤولية، وأوضح لهم سبل الخير والشر، فكان منهم المؤمن الشاكر للنعم والكافر الجاحد. وقد أعدّ الله للكافر أنواع العذاب في جهنم، وللمتقي نعيم الجنة ولذائذها، ومنها الخمر الربانيّة تمزج بها هو مثل الكافور.

عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ﴿٦﴾ يوفون بالنذر ويخافون
يوما كان شره مستطيرا ﴿٧﴾ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما وأسيرا ﴿٨﴾ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
﴿٩﴾ إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ﴿١٠﴾ فوقاهم الله شر ذلك
اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ﴿١١﴾ وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا
﴿١٢﴾ متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ﴿١٣﴾
ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ﴿١٤﴾ ويطاف عليهم بآنية
من فضة وأكواب كانت قواريرا ﴿١٥﴾ قواريرا من فضة قدروها تقديرا ﴿١٦﴾
ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ﴿١٧﴾ عينا فيها تسمى سلسبيلا
﴿١٨﴾ ۞ ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا
﴿١٩﴾ وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ﴿٢٠﴾ عاليهم ثياب سندس
خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا
طهورا ﴿٢١﴾ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ﴿٢٢﴾ إنا
نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ﴿٢٣﴾ فاصبر لحكم ربك ولا تطع
منهم آثما أو كفورا ﴿٢٤﴾ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٨

تفسير المفردات: العين: النبع الجاري. ويشرب: يتناول الشراب.وبها أي: منها مباشرة دون إناء. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبُّدًا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد. ويفجّرونها: يُجْرُونها ويتناولونها من حيث أرادوا في مجالسهم. ٦ يوفون: يؤدّون. والنذر: ما أوجبه الإنسان على نفسه من الطاعات. ويخافون: يخشون. واليوم: الوقت. والشرّ: العذاب. والمستطير: المنتشر. ٧ يطعمون: يقدّمون ما يؤكل أو يشرب. وعلى حبّه أي: مع محبته والشهوة إليه. والمسكين: الفقير. واليتيم: الطفل فقَدَ أباه. والأسير: المسجون. ٨ ولوجه الله أي: إيمانًا واحتسابًا. ولا نريد: لا نطلب. والجزاء: المكافأة. والشكور: الثناء والمديح. ٩ من ربنا: من حسابه. والعبوس: الكريه المنظر تتعبّس فيه الوجوه. والقمطرير: الشديد الصعب. ١٠ وقَاهم: حماهم. ولقّاهم: أعطاهم. والنضرة: إشراق الوجه. والسرور: السعادة. ١١ جزاهم: كافأهم. وبما صبروا: بسبب صبرهم على الشدائد. وجنّة أي: خلودًا في الحديقة العظيمة بالنعيم. وحريرًا أي: ثيابًا من الحرير. ١٢ متكئين أي: جالسين باطمئنان وراحة. والأرائك: جمع أريكة، السرير في بيت مزين بالستور. ولا يرون فيها: لا يجدون في الجنّة. وشمسًا أي: حرارة ما يشبه الشمس. والزمهرير: البرد. ١٣ الدانية: القريبة. والظلال: جمع ظل، ما ينعكس عن الشجر إذا تعرض للضوء. وذُلّلت: أُدنيت لمن يرغب. والقطوف: جمع قِطف، ما يُقطف من الثمار والأزهار. ١٤ يطاف: تطوف الولدان للخدمة. وبآنية أي: بأوعية للطعام والشراب. و الآنية: جمع إناء. والفضة: المعدِن الأبيض الثمين. والأكواب: جمع كوب، القدَح ليس له أذن يمسك منها. وقواريرا أي: قواريرَ: جمع قارورة، الإناء الشفّاف للشراب. وزيدت الألف في الرسم لمشاكلة لفظ الفواصل قبلُ وبعد. ١٥ قدّروها: جاء بها الولدان على قدر الحاجة. ١٦ يُسقون: يقدَّم لهم الشراب. ومزاجها: ما تمزج به. والزنجبيل: نبت يطيَّب به الشراب. ١٧عينًا أي: ماءَ عين جاريًا. وفيها: في الجنّة. وتسمَّى: يعبّر عنها باسم. وسلسبيل: عين يشرب منها المقرّبون. ١٨ الولدان: جمع وليد. وهو الخادم الفتيّ. والمخلّدون: الباقون على الشباب. ورأيتهم: أبصرتهم. أيها المخاطَب. وحسبتهم: ظننتهم. واللؤلؤ: الحبات البراقة تخرج من الصدف، واحدتها لؤلؤة. والمنثور: المفرّق. ١٩ ثَمّ أي: ذلك المكان. والنعيم: الحالة الحسنة. والملك: ما يُملك من النعيم. والكبير: العظيم. ٢٠ عالِيَهم أي: فوق أهل الجنة للزينة. والثياب: جمع ثوب، ما يلبس. والسندس: رقيق الحرير. والخضر: جمع أخضر. والإستبرق: الحرير فيه بريق. وحُلّوا: زُيّنوا. والأساور: جمع أسوِرة. والأسوِرة واحدها سِوار، ما يوضع في المعصم من الحُليّ. وسقاهم: يسّر لهم الشراب. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. والشرب: ما يشرب. والطهور: الفائق النظافة والطهارة. ٢١ هذا أي: النعيم. والجزاء: المكافأة. والسعي: العمل في الدنيا. والمشكور: المَجزِيّ بالخير والإكرام. ٢٢ نحن: ضمير العظمة والتفخيم لله تعالى. ونزّلنا: أوحينا. والقرآن: ما أوحي على لسان جبريل. ٢٣ اصبر: دم على الثبات. والحكم: القضاء. ولاتطع: لا توافق. ومنهم: من الكافرين. والآثم: الكثير المعاصي. والكفور: المبالغ في الكفر. ٢٤ اذكر: ردّد في الصلاة. والاسم: اللفظ العظيم. والبكرة: من الفجر إلى طلوع الشمس. والأصيل: حين تميل الشمس للغروب.٢٥

المعنى العام: أن الأبرار ينعمون يوم القيامة بالماء الجاري، لِمَا كانوا عليه من الوفاء والطاعة وعونِ المحتاجين إيمانًا واحتسابًا مع حاجتهم إلى ما يبذلون، والاستعدادِ ليوم القيامة بالصلاح. ولذلك حفظهم الله من الأهوال، وأكرمهم بألوان النعيم في الجنّة مجالس مطمئنة ولباسًا وثمارًا وشرابًا فاخرًا بآنية ثمينة، وخدَمةً كاللؤلؤ المنثور، وأنواعًا من الحرير والحليّ، ورفاهية بالظلال والثمار الدانية، وخطابًا من الله بالتقدير والإكرام. فهو الذي أوحى القرآن إليك ـ أيها النبيّ ـ وعليك بالصبر ومخالفة كل مجرم أو كافر، ولزوم ذكر الله صباح مساء.

تفسير المفردات: الليل: ما بين الغروب والفجر. واسجد له أي: صلِّ لربك. وسبِّحه: نزِّهه عما لا يليق به. وليلًا طويلًا أي: أوقاتًا كثيرة من الليل. ٢٦ هؤلاء أي: الكافرون. ويحبّون: يفضّلون. والعاجلة: حياة الدنيا. ويذرون وراءهم: يُهملون. واليوم: الوقت أي: يوم القيامة. والثقيل: الشديد بالعذاب والأهوال. ٢٧ نحن: ضمير العظمة والتفخيم لله تعالى. خلقناهم: أوجدناهم من العدم. وشددنا: قوّينا. والأسر: وصل الأعضاء والمفاصل. وشئنا: أردنا استبدالهم. وبدلنا: أهلكناهم وجعلنا بدلًا لهم. والأمثال: جمع مِثل. وهو المماثل في الخِلقة. ٢٨ هذه أي: الآيات وأمثالها. والتذكرة: العظة والتوجيه. شاء: طلب الهداية. واتّخذ: سلك. والرب: الخالق المالك المتفرد. والسبيل: طريق الطاعة. ٢٩ ما تشاؤون: ما تختارون أمرًا ـ أيها الناس ـ من خير أو شرّ. وأن يشاء الله: بأن يريد وييسر ذلك. وكان أي: ولا يزال. وعليمًا أي: مطّلعًا على خلقه وأحوالهم. وحكيمًا أي: متقنًا ما يريد ويفعل. ٣٠ يدخل: ييسّر الدخول. والرحمة: الإحسان بالجنّة. والظالمون: الكافرون. وأعدّ: هيأ. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. ٣١

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرۡسَلَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

المعنى العام: الأمر للنبي ﷺ أن يدوم على صلاة الليل والنهار مع التسبيح والتقديس، ولا يَشغل نفسه بالمكذبين، لأنهم منصرفون إلى شهوات الدنيا كافرون بالآخرة والحساب، مع أن الله قوّم بنيانهم، ويستطيع أن يفنيهم ليخلق بشرًا مؤمنين مطيعين، وهذا القرآن يرشد إلى الحق ويعظ من أراد الهداية. والحق أنه لا يريد أحد أمرًا إلّا بمشيئة الله، عز جل. فتمتُّعُ الإنسان بالاختيار أراده له الله وأقدره عليه، وهو العليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها، وبمن يستحق الغواية فييّسرها له ويصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة في أقواله وأفعاله.

٧٧ ـ سورة المُرسَلات

تفسير المفردات: المرسلات: الرياح متتابعة. والعُرف: المعروف أي: الخير والنعم. ١ العاصفات: الشديدات الهبوب. ٢ الناشرات: الباسطات للمطر. ٣ الفارقات: الآيات تفصل بين الحق والباطل. ٤ الملقيات: المبلّغات للأنبياء. والذكر: التذكير ترغيبًا وترهيبًا. ٥ العذر: قبول محو الإساءة للصالحين. والنذر: التهديد للعاصين. ٦ ما توعَدون: ما تخبّرون به من البعث والحساب، أيها الكفار. والواقع: المحتّم حصوله. ٧ النجوم: الأجرام المضيئة، جمع نجم. وطُمست: مُحقت وأُتلفت. ٨ السماء: ما يحيط بالأرض من جو وأجرام وعوالم عُلوية. وفُرجت: شُقّت. ٩ الجبال: جمع جبل، ما غلظ وارتفع من الأرض. ونُسفت: فجّرت ونثرت. ١٠ الرسل: جمع رسول، من كلّف بالدعوة مع العمل. وأُقّتَتْ: أُحضرت في الوقت المحدَّد لها. ١١ لأيّ يوم: لأيّ وقت عظيم مَهول ؟ وأُجّلت: أُخّرت أمور الرسل. ١٢ الفصل: الحكم بين الناس. ١٣ ما أدراك: أيُّ شيء أعلمك بالتفصيل ؟ أيها الإنسان. وما يوم الفصل: ما حقيقته ؟ ١٤ الويل: العذاب الشديد والهوان. ويومئذ: يومَ يكون ما ذكر في الآيات ٨ ـ ١٤. والمكذّبون: المنكرون للتوحيد والبعث. ١٥ ألم نُهلك: لقد دمّرنا وأفنينا. والأولون: الأقوام الماضية المكذّبة. ١٦ نتبعُهم: نُلحقُهم ونجعلُ مثلهم في الهلاك. والآخرون: الأمم الحاليّة من الكافرين. ١٧ كذلك أي: مثلَ ما فعلنا من العقاب. ونفعل: نوقع العقاب. والمجرمون: من يقترفون الكفر. ١٨ ويل: توكيد لِما مضى من التهديد. ١٩

المعنى العام: أقسم الله بالرياح تحمل الخير وتنشر النعم، وبالآيات القرآنية تهدي إلى الصواب لِتُقبَل توبة التائبين ويتحقّق عذاب الكافرين، أقسم بذلك على تحتم البعث والحساب، فإذا محيت النجوم وتفطرت السماوات وتفجرت الجبال، وحضرت الرسل للشهادة على الأمم في الوقت العظيم المحدد، تحقق أفظع العذاب للكافرين، وهو يوم هائل لا يعرف حقيقته إلّا الله. والدليل على تحتم انتقام الله منهم ما جرى في الأمم المكذبة قبلُ، وسيكون مثله لأمثالها من الكافرين.

تفسير المفردات: ألم نخلقكم: لقد أوجدناكم ولم تكونوا، أيها الكافرون. والماء: السائل من ماء الرجل وبويضة المرأة. والمَهين: الضعيف المبتذل لا قيمة له. **٢٠** جعلناه: صيّرناه. والقرار: مكان الاستقرار. وهو الرحِم. والمَكين: العظيم الوقاية. **٢١** القدَر: المقدار من الزمن. والمعلوم: المعيّن في علم الله. **٢٢** قدرنا: استطعنا ذلك فعلًا بدون معين أو منازع. ونِعم أي: بلغ الغاية في الفضل والعظمة والاقتدار. **٢٣** وَيل يومئذ للمكذبين: توكيد كما في الآية ١٩ حيثما ورد. **٢٤** الأرض: موطن الحياة الدنيا. وكفاتًا أي: ضامّة تحوي ما فيها. **٢٥** الأحياء: جمع حيّ، ما كانت روحه في جسده. والأموات: جمع ميت، من فارقت روحه جسده. **٢٦** جعلنا: خلقنا ووضعنا. والرواسي: جمع الراسي، الجبل الراسخ. والشامخات: المتصبات عاليًا. وأسقيناكم: يسّرنا لكم الشرب. والفرات: العذب. **٢٧** وَيل يومئذ للمكذبين: توكيد أيضًا. **٢٨** انطلِقوا: اذهبوا، أيها المكذبون. وبه تكذّبون: تنكرون حصوله. **٢٩** الظل: الحاجز. وذو أي: صاحب مرافق. والشُّعب: جمع شُعبة، قطعة من الدخان منشعبة. **٣٠** لا ظليل: لا يستر ولا يحفظ. ولا يغني: لا يمنع. واللهب: ما يرتفع من تلهّب نار جهنم. **٣١** ترمي: تقذف جهنمُ وتدفع. والشرر: ما يتطاير من النار. والقصر: الشجرة العظيمة. **٣٢** الجِمالة: اسم جمع واحده جَمَل. والصفر: جمع أصفر، الذي في سواده صُفرة. **٣٣** وَيل يومئذ للمكذبين: توكيد أيضًا. **٣٤** هذا أي: يوم القيامة. واليوم: الوقت. ولا ينطقون: لا يستطيع الكافرون كلامًا. **٣٥** لا يؤذن: لا يسمح. ويعتذرون: يحتجون للعفو. **٣٦** وَيل يومئذ للمكذبين: توكيد أيضًا **٣٧** الفصل: القضاء بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل. وجمعناكم: حشرناكم بعد البعث، أيها المكذّبون. والأولون: الأمم الماضية المكذبة. **٣٨** الكيد: الاحتيال للتخلص من العقاب. وكيدونِ: كيدونِي أي: احتالوا لأنفسكم في النجاة. وحذفت الياء للتخفيف. **٣٩** وَيل يومئذ للمكذبين: توكيد أيضًا. **٤٠** المتقون: من يتجنّبون غضب الله ويطلبون رضاه. والظلال: جمع ظل، ما ينعكس عن تكاثف فروع الشجر والورق والثمار. والعيون: جمع عين، اليَنبوع الجاري من الماء أو العسل أو اللبن أو الخمر. **٤١** الفواكه: جمع فاكهة، ما يؤكل للتلذذ والنشاط. ويشتهون: يرغبون فيه ويتمنّونه. **٤٢** كلوا واشربوا: تناولوا أنواع الطعام والشراب. وهنيئًا: متهنّئين. وبما تعملون: بسبب ما اكتسبتم من النية والقول والفعل. **٤٣** كذلك: مثلَ جزاء المتقين. ونجزي: نكافئ. والمحسنون: من يعبدون الله ويطيعونه بإخلاص. **٤٤** وَيل يومئذ للمكذبين: توكيد أيضًا. **٤٥** تمتّعوا: تلذّذوا بما هو زائل في الدنيا، أيها الكافرون. وقليلًا أي: من الزمان قبل الموت. والمجرمون: المنهمكون في الكفر والإفساد. **٤٦** ويل يومئذ للمكذبين: توكيد أيضًا. **٤٧** قيل لهم أي: قال لهم المؤمنون. واركعوا أي: صلُّوا. **٤٨** وَيل يومئذ للمكذبين: توكيد أيضًا. **٤٩** بأيّ حديث يؤمنون: محال أن يصدقوا ما ينقل من الكلام. وبعده أي: دون القرآن في الرتبة والمنزلة. **٥٠**

الجزء التاسع والعشرون — سورة المرسلات

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ
شَـٰمِخَـٰتٍ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَـٰثِ
شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ
كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾
هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى
ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

المعنى العام: أن الله خلق بني آدم من ماء الشهوة المبتذل، أقرّه في الرحِم ليكتمل نموه بحكمة مقدّره، ما أعظمها من حكمة ! وما أعظم مقدّرها ! وسيتحقق أشدّ العذاب للكافرين، في يوم لا يعرف حقيقته إلّا الله. والآيات ٢٨ و٣٤ و٣٧ و٤٠ و٤٧ و٩٤ توكيد لهذا.

ولقد أنشأ الله الأرض وعاء للمخلوقات، وفيها الجبال الراسخة الشامخة. ويوم القيامة تقول الزبانية للكافرين توبيخًا وتهكمًا: أسرعوا إلى ما كذّبتكم من العذاب، فيه ظلّ لا كالظلال، مشحون بلهب النار وشرر عظيم متطاير. وهنالك تُلجم أفواههم بغضب الله ودهشتهم ، فلا يكون لهم اعتذار، وقد حُشر كفار الأمم كلها، عاجزين عن التخلص والنجاة، بينما يرتع المؤمنون في نعيم الجنة، من الظلال الوارفة والينابيع المتدفّقة والفواكة والمشروبات الهنية، مخاطَبين بالتهنئة وتطييب النفوس، كما يُجزى المحسنون دائمًا.

فقد كان الكافرون في الدنيا يتمتعون بإجرامهم، وينكرون الرسالة ويتكبرون عن العبادة. وبما أنهم قد كفروا بالقرآن، مع ما فيه من الإعجاز والأدلة الواضحة والمعاني الشريفة والعلوم الحقيقية الخالدة والأخبار الصحيحة وتصديق الكتب السابقة، فلن يكون لهم إيمان بشيء من الكلام لأنه دون ذلك، مهما علا وعظُم.

٧٨ ـ سورة النبأ

الجزء الثلاثون — سورة النبأ

سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
(٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ
مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
(٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)

تفسير المفردات: عمّ يتساءلون: عن أيِّ شيء هائل يسأل المشركون بعضهم بعضًا ؟ ١ النبأ: الخبر الخطير. والعظيم: الذي لا يُعرف قدره. ٢ مختلفون: متفاوتون جدًّا في التقبل ومختصمون. ٣ كلّا: للردع عن التساؤل. وسيعلمون: لا بد أن يدركوا يقينًا.٤ ثم كلّا سيعلمون: توكيد لما قبله ٥ ألم نجعل: لقد صيّرنا بحق. والأرض: مكان الحياة الدنيا. ومهادًا: ممهَّدة مبسوطة لا مسنَّمةً ولا منهارة متداعية ولا مائعة رجراجة. ٦ الجبال: جمع جبل، ما غلظ وارتفع من الأرض. والأوتاد: جمع وتِد، ما يغرز في مكان للتثبيت. ٧ خلقناكم: أوجدناكم من العدم، أيها الكافرون. والأزواج: جمع زوج، الجنس من الخلق يقابله آخر من جنسه للتزاوج. ٨ النوم: زوال الإدراك والوعي. والسُّبات: الراحة. ٩ الليل: ما بين الغروب والفجر. واللباس: الستار بالظلام. ١٠ النهار: ما بين الفجر والغروب. والمعاش: وقت التصرف في حوائج الحياة.١١ بنينا: رفعنا كالبناء عاليًا. وسبعًا أي سبع سماوات. والشداد: القوية المحكمة، جمع شديدة. ١٢ جعلنا: أوجدنا من العدم. والسراج: المِصباح المُضيء، أي: الشمس. والوهّاج: العظيم التوقّد. ١٣ أنزلنا: أسقطنا. والمعصرات: الرياح تُعصِرُ السحاب بالمطر. والثجّاج: العظيم الانصباب.١٤ نُخرج به: نُظهر بسببه. والحَبّ: الثمر يكون في السنابل وأشباهها. والنبات: ما ينبت. ١٥ الجنّة: البستان الكريم. والألفاف: المتلفّف بعضها على بعض، جمع لِفّ. ١٦ اليوم: الوقت. والفصل: القضاء بين الناس. وكان أي: في علم الله وتقديره. وميقاتًا: وقتًا محدّدًا للجزاء. ١٧ يُنفخ: يُدفع الهواء بعنف للبعث. والصور: مخلوق على صورة القرن لا يعلم حقيقته إلّا الله. وتأتون: تُسرعون من القبور، أيها الناس. والأفواج: الجماعات المختلفة، جمع فوج. ١٨ فُتحت: أُطلقت سبلُها. وكانت: صارت. والأبواب: جمع باب، الفرجة المفتوحة. ١٩ سُيّرت: نُثرت في الجو. والسراب: ما يرى في وسط النهار كالماء الجاري من شدة الحرارة.٢٠ جهنم: دار العذاب. ومرصادًا أي: تَنتظر. ٢١ الطاغون: الكافرون بطغيان وتكبر. والمآب: موضع الرجوع للعقاب. ٢٢ لابثين أي: مقيمين. والأحقاب: الدهور، جمع حُقب. ٢٣ لا يذوقون: لا ينالون. والبرد: البُرودة. والشراب: ما يُشرب لإذهاب العطش والحرارة. ٢٤ الحميم: الماء البالغ نهاية الحرارة. والغسّاق: ما يسيل من الجراح المنتنة. ٢٥ الجزاء: العقاب. والوفاق: الموافق للكفر. ٢٦ لا يرجون: لا يخافون بسبب إنكارهم البعث. والحساب: المحاسبة يوم القيامة. ٢٧ كذّبوا: جحدوا وأنكروا. والآيات: نصوص القرآن الكريم. والكِذّاب: التكذيب. ٢٨ الشيء: ما هو حاصل مما يكون في الوجود. وأحصيناه: ضبطنا تسجيله. والكتاب: الكتابة الكاملة. ٢٩ ذوقوا: تناولوا وتحسّسوا. ولن نزيدكم: لن نضيف إليكم. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. ٣٠

المعنى العام: يتساءل المشركون عما جاءهم من خبر البعث، في خلاف واضطراب، ولسوف يتحقق لهم حصوله بلا شك، ولو نظروا في الكون لدلّهم على ذلك. فالأرض ممهّدة للحياة، والجبال مرسّخة للأرض، وهم جنسان للمزاوجة، والنوم للراحة في ظلمة الليل، والنهار فُسحة لسعي البشر، والسماوات مُحكَمة البناء بما فيها من الشمس المضيئة، والرياح تعصر السحب بما يحيي المخلوقات.

وعلى هذا، فالبعث موقوت بعلم الله يبدأ بنفخة إسرافيل، ليخرج الموتى جماعات للحساب، وتنفجر السماوات والجبال، وتظهر جهنم لتلقي الكافرين بالخلود في النار، لا شراب لهم إلّا المهل والصديد.

فلقد كانوا ينكرون ذلك ويكذّبون أدلة القرآن والكون، والله يحصي أعمالهم ليحاسبهم بما يناسبها. وهناك يؤمرون موبّخين بأن ينالوا عقابهم، ويذوقوا الجزاء الدائم المتزايد...

تفسير المفردات: المتّقون: من يتجنّبون غضب الله ويطلبون رضاه بالطاعة. والمفاز: مكان الظفر بالخير. ٣١ الحدائق: البساتين، جمع حديقة. والمراد بالأعناب عموم الفاكهة. ٣٢ الكواعب: جمع كاعب، الفتاة استدار ثدياها. والأتراب: المتساويات في العمر، جمع تِرب. ٣٣ الكأس: القدَح فيه خمر. والدهاق: المملوءة تمامًا. ٣٤ لا يسمعون فيها: لا يدركون في الجنّة من الأصوات. واللغو: الكلام بلا فائدة. والكِذّاب: التكذيب. ٣٥ الجزاء: المكافأة. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعطاء: التفضل والإحسان. والحساب: الكثير بالرحمة يفوق الأعمال. ٣٦ السماوات: ما يحيط بالأرض من أجواء وأجرام وعوالم عُلوية. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والرحمن: الله الكثير العطف بالإحسان. ولا يملكون: لا يستطيع الخلق. ومنه: من الله. والخطاب: المخاطبة. ٣٧ اليوم: الوقت. ويقوم: ينهض للتقديس. والروح: جبريل. والملائكة: مخلوقات من النور، جمع ملَك. وصفًّا أي: مصطفّين. ولا يتكلمون: لا ينطقون بكلام. وأذن: سمح. والصواب: الشفاعة لمن يستحقها. ٣٨ ذلك أي: ما ذُكر وصفه. والحق: الثابت وقوعه حتمًا. وشاء: أراد الإيمان والطاعة. واتخذ: سلك. وإلى ربه: إلى طاعته. والمآب: طريق النجاة. ٣٩ أنذرناكم: هدّدناكم. والعذاب: التعذيب. والقريب: الواقع فعلًا. وينظر: يرى عِيانًا. والمرء: الإنسان. وقدّمت: عملت في الدنيا. ويقول أي: متحسّرًا. والكافر: الذي كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. ويا ليتني: أتمنّى. وكنت: أصير. والتراب: ما تفتّت من وجه الأرض. ٤٠

الجزء الثلاثون — سورة النبإ

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَات — ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا
خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا
عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ
وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

المعنى العام: متابعة ما يكون يوم القيامة بأن المتقين ينالون نعيم الجنّات والفتيات الحُور والشراب المثير والطمأنينة بعيدًا عن اللغو والأباطيل، ثوابًا فائقًا وكرمًا من الله خالق الكون. وهنالك ينتظم الملائكة للتعظيم، ويعجز الخلق عن الكلام لشدّة الأهوال، إلّا من يسمح الله له ويكون في قوله خير لنجاة المؤمنين. هذا هو الموعد الحق، يختار الإنسان إليه سبيل الإيمان والطاعة إن أراد النجاة، وقد بلغتْه تفصيلات ذلك مع التهديد والوعيد، لئلّا يندم حينئذ، ويتمنى أن يمحق ترابًا ليتفادى العذاب.

٧٩ـ سورة النازعات

تفسير المفردات: النازعات: ملائكة العذاب تقتلع أرواح الكافرين. وغرقًا أي: بشدة وعنف. ١ الناشطات: ملائكة الرحمة تسلّ أرواح المؤمنين برفق. ٢ السابحات: النازلات من السماء. ٣ السابقات: المسرعات بأرواح المؤمنين إلى الجنّة. ٤ المدبّرات: المنفذّات للأعمال المُحكَمة. والأمر: ما يؤمر به. ٥ اليوم: الوقت. وترجف: تهتزّ وتضطرب. والراجفة: النفخة الأولى في الصور لإنهاء الحياة الدنيا. ٦ تتبعها: تليها بعدُ في الزمن المحدّد. والرادفة: النفخةُ الثانية تكون للبعث. ٧ القلوب: جمع قلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. ويومئذ: حين البعث والحساب. والواجفة: الفزعة القلقة. ٨ أبصارها: أبصار أصحاب القلوب. والخاشعة: المستسلمة الذليلة. ٩ يقولون أي: كان الكافرون يقولون في الدنيا. وأإنا أي: لسنا. ومردودون أي: معادون بالبعث كما كنا. والحافرة: الحياة الثانية الشبيهة بالحياة التي لنا في أول أمرنا. ١٠ أإذا كنا: لن نُبعث حين نصير. والعظام: القصب أو اللوح في الجسم يكون عليه اللحم، جمع عظم. والنخرة: البالية المفتتة. ١١ قالوا أي: في الدنيا. وتلك أي: العودة إلى الحياة ثانية. وإذًا كرة: إن حصلت فهي عودة. وخاسرة أي: نخسر فيها ما نريد. ١٢ هي أي: النفخة الثانية. والزجرة: الصيحة. وواحدة أي: متفردة لا ثانية لها. ١٣ إذا هم أي: يفاجئ الزجرةَ حضورُهم. والساهرة: الفلاة يسهر من فيها خوفًا، أي: المسهور فيها. ١٤ هل أتاك: لقد جاءك، أيها النبيّ. والحديث: ما يُتحدث به. وموسى: أعظم أنبياء اليهود. ١٥

المعنى العام: أقسم الله بالملائكة تستوفي أرواح الكافرين بعنف إلى جهنم وأرواح المؤمنين بلطف إلى الجنة، وتتنزل من السماء بالوحي وتنفيذ الأمر الربّانيّ، على تحقق يوم القيامة بنفخة من الصور تنهي الحياة وثانية تبعث الموتى، فتضطرب القلوب وتخشع الأبصار. فقد كان الكافرون ينكرون البعث بعد الفناء، ويرونه خسارة لهم. والحق أنهم بنفخة واحدة يبرزون على وجه الأرض، وفي قصة موسى عظة بذلك.

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ
الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾
وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ
الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ
هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

سورة عبس ٨٠ آياتها ٤٢

تفسير المفردات: إذ ناداه: حين خاطبه ونبهه بذكر اسمه. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والواد: الوادِي أي: الأرض المنبسطة قرب الجبل. حذفت الياء رسمًا لحذفها في اللفظ بالتقاء الساكنين. والمقدّس: المبارك بالنبوّة. وطوى: بين مَدْيَنَ ومصر. ١٦ اذهب: ارحل. وفرعون: ملك مصر حينئذ. وطغى: تجاوز الحد في الكفر. ١٧ قل أي: له. وهل لك: أيطيب لك أن أدعوك ؟ وتزكّى: تَتَزَكَّى أي: تتطهّر من الكفر. حذفت التاء الثانية للتخفيف. ١٨ أهديك: أُرشدك بالدليل والبرهان. وتخشى: تخاف الله وتؤمن. ١٩ أراه: أظهر له عِيانًا. والآية: المعجزة. والكبرى: العُظمى. ٢٠ كذّب: أنكر فرعون أنها معجزة. وعصى: لم يطع الله. ٢١ أدبر: امتنع عن الإيمان. ويسعى: يجدّ في الكيد والفساد. ٢٢ حشر: جمع الجنود والسَّحَرة. ونادى: صرخ وخطب فيهم. ٢٣ الربّ: المعبود. والأعلى: الفائق جميع الأرباب. ٢٤ أخذه: عاقبه بالغرق. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للأُلوهية والتوحيد ولجميع المحامد. والنكال: عقوبة تمنع مَن علمها أن يعصي. والآخرة: الجملة التي قالها في الآية ٢٤. الأولى: عبارة التفرد بالألوهية في الآية ٣٨ من سورة القصص. ٢٥ ذلك أي: ما ذُكر عن فرعون. والعبرة: العظة. ويخشى: يخاف الله. ٢٦ أنتم أي: مشركو مكة. وأشدّ: أعسر. والخلق: التكوين بعد الموت. والسماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وبناها: شيّدها كالبناء المتقن. ٢٧ رفع: أعلى. والسمك: الغِلظ والارتفاع. وسوّاها: جعلها محكمة لا خلل فيها. ٢٨ أغطش ليلها: جعله مُظلمًا. وأخرج: أبرز وأظهر. والضحى: نور الشمس. ٢٩ الأرض: موطن الحياة الدنيا. ودحاها: ذلّلها لتيسير الحياة. ٣٠ أخرج: فجّر وأظهر. وماءها: ما ظهر من الينابيع والآبار. والمرعى: ما يأكله الماشية والبشر. ٣١ الجبال: جمع جبل، ما غلظ وعلا من الأرض. وأرساها: رسّخها. ٣٢ المتاع: التنعّم والمنفعة. ٣٣ جاءت: وقعت. والطامّة: القيامة بالبعث. والكبرى: التي لا مثيل لها. ٣٤ اليوم: الوقت. ويتذكّر: يستحضر في ذهنه. والإنسان: كل البشر. وسعى: عمل في الدنيا. ٣٥ بُرِّزت: أُظهرت وقرّبت. والجحيم: نار جهنم. ومن يرى: من له بصر. ٣٦ طغى: كفر. ٣٧ آثر: فضّل. والحياة: العيش بالروح والجسد. والدنيا: القريبة من الناس يعيشون فيها. ٣٨ المأوى: ملجؤه. ٣٩ خاف: خشي. ومقام ربه: الحضور في الحشر لحسابه. ونهى: ردّ ومنع. والنفس أي: نفسه. والهوى: ميله إلى الشهوة. ٤٠ الجنة: البستان العظيم بالنعيم. ٤١ يسألونك: يستخبرك مشركو مكة للتعجيز والتهكم. والساعة: يوم القيامة. وأيّان: أيُّ وقت ؟ ومُرساها: وقت حصولها. ٤٢ فيم أي: ليس عندك شيء. وذكراها: ذكر وقتها. ٤٣ إلى ربك: إلى علمه. ومنتهاها: نهاية علمها. ٤٤ المنذر: المهدّد بالوعظ. ويخشى: يخاف. ٤٥ يرونها: يبصرها الناس عِيانًا. ولم يلبثوا: لم يقيموا في الدنيا والقبور. والعشية: ما بين منتصف النهار إلى آخره. والضحى: من أول النهار إلى منتصفه. ٤٦

المعنى العام: متابعة ما كان لموسى بأن الله خاطبه في الوادي المقدس، وأمره بدعوة فرعون تلطفًا للتوحيد والهداية والطاعة، فقصد موسى فرعون وأظهر له معجزتَي العصا واليد، ولكن فرعون وصف ذلك بالسحر، وحشد قومه يعيد على أسماعهم أُلوهيّته العليا، فعاقبه الله بالغرق لكفره وتألُّهه، وفي ذلك عظة للمتقين.

ولا شك أن السماء أعظم خلقًا ـ أيها المنكرون للبعث ـ من إحيائكم بعد الموت. فقد أحكمها الله بما فيها من منافع الليل والنهار، وسخّر الأرض للحياة بالتمهيد والمياه الجارية والأقوات للناس والبهائم مع الجبال الراسخة. وعندما تغمركم أهوال القيامة، يتذكر كل إنسان عمله القديم، وتظهر جهنم للناس جميعًا، فيكون للكافر المحب للدنيا نار الجحيم، وللمؤمن المستعد للحساب نعيم الجنة.

ولقد سألك المشركون ـ أيها النبيّ ـ ساخرين عن موعد القيامة، فقل لهم بأنك لا تعلم من ذلك شيئًا، لأنه من علم الله وحده، وأنك رسول منذر لمن يخاف الحساب، وسوف يظن الناس حينئذ من الهول والرهبة أنهم لم يمْضوا قبل ذلك إلّا سويعات من نهار.

٨٠ ـ سورة عبس

تفسير المفردات: عبس: قطّب النبي الكريم وجهه فتغيّر لونه. وتولّى: أعرض منشغلًا بمن عنده. ١ أن جاءه: لأنه دخل عليه. والأعمى: الفاقد للبصر، الصحابيّ عبدالله بن أُمّ مكتوم. ٢ ما يدريك: إنك لا تعلم. ولعلّه: يُترجَّى له. ويزَّكّى: يَتزكّى: يتطهّر من ذنب بنصيحة. أدغمت التاء في الزاي. ٣ يذَّكّر: يتذكّر أي: يتعظ بقول منك. وأدغمت التاء في الذال. وتنفعه: تفيده. والذكرى: العظة. ٤ استغنى: أعرض عن الإيمان لكثرة ماله. ٥ تصدَّى: تتصدَّى أي: تُقبل عليه بالانتباه. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. ٦ ما عليك: لستَ مسؤولًا. وألّا يزَّكّى: أن يبقى على الشرك. ٧ جاءك: قصدك. ويسعى: يجدّ في طلب الخير. ٨ يخشى: يخاف الله ويطيعه. ٩ تلهَّى: تتلهَّى أي: تتشاغل. وحذفت التاء الثانية للتخفيف. ١٠ وكلّا: للنهي أي: لا تعُد إلى مثل ذلك. وإنها أي: هذه الآيات. وتذكرة: تنبيه وعظة. ١١ شاء: أراد أن يتعظ. وذكره: حفظ ذلك واتعظ به. ١٢ الصحف: جمع صحيفة، ما يكتب عليه. والمكرَّمة: المعظَّمة المبجَّلة عند الله. ١٣ المرفوعة: الرفيعة المَقام. والمطهرة: المنزّهة عن وصول الشياطين إليها. ١٤ الأيدي: جمع يد. والسفرة: الملائكة الكاتبون، جمع سافر. ١٥ الكرام: جمع كريم، العزيز الموقَّر. والبررة: جمع بارّ، المحسن لطاعته. ١٦ قُتل: طُرد من رحمة الله. والإنسان: الآدمي المشرك. وما أكفره: ما أشدّ كُفرَه ! ١٧ من أيّ شيء خلقه: ما الشيء الذي أوجده الله منه ؟ ١٨ النطفة: أدق قطرة من منيّ الرجل وبويضة المرأة. وقدّره: هيّأه لما يصلح له بالأعضاء والتكوين. ١٩ السبيل: طريق الهدى أو الضلال. ويسّره: سهّله بالتفكير والاختيار. ٢٠ أماته: جعله ميتًا بنزع روحه من جسده. وأقبره: جعله في قبر يستره. ٢١ إذا شاء: حينما يريد أن يبعثه للحساب. وأنشره: ردّه إلى الحياة بعد الموت. ٢٢ كلّا أي: الحق أنه. ولمّا يقض: لم يفعل بعدُ في الدنيا. وأمره: أوجب الله عليه. ٢٣ لينظر الإنسان: على الإنسان أن يتفكّر ليعتبر. والطعام: ما يؤكل أو يُشرب. ٢٤ صببنا: أنزلنا من السحب. والماء: المطر. ٢٥ شققنا: فتّقنا. والأرض: ما يبس من وجهها. ٢٦ وأنبتنا: أخرجنا. والحبّ: واحدته حبّة كالحنطة وغيرها. ٢٧ العنب: شجر الكرمة. والقضب: ما يقطّع من القتّ لطعام الدواب. ٢٨ الزيتون: ما يكون منه الزيت المشهور. والنخل: ما يثمر التمر. ٢٩ الحدائق: جمع حديقة، البستان العامر. والغلب: جمع غَلباء، الكثيرة الشجر المتكاثف. ٣٠ الفاكهة: الثمار تؤكل للتلذذ. والأبّ: ما ترعاه البهائم. ٣١ والمتاع: ما يُنتفع به. والأنعام: جمع نَعَم، الإبل والغنم والبقر. ٣٢ جاءت: حصلت. والصاخّة: الصرخة الثانية تكون في الصور للبعث، تقرع الآذان وتصمّها. ٣٣ اليوم: الوقت. ويفرّ: يهرب. والمرء: الإنسان. ٣٤ الأمّ والأب: الوالدان. ٣٥ الصاحبة: الزوجة. والبنون: الأولاد: جمع ابن. ٣٦ يومئذ: يومَ القيامة. والشأن: الأمر العظيم. ويغنيه: يشغله عن غيره. ٣٧ الوجوه: جمع وجه. والمسفرة: المُشرقة. ٣٨ الضاحكة: الباسمة سرورًا. والمستبشرة: الفرحة. ٣٩ الغبرة: آثار الغضب والفزع. ٤٠ ترهقها: تغطّيها. والقترة: الظُّلمة والسواد. ٤١ الكفرة: جمع كافر، من أنكر التوحيد والبعث. والفجرة: جمع فاجر، المرتكب للإثم والكذب على الله. ٤٢

الجزء الثلاثون — سورة عبس

ربع الحزب ٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ
عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ
﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنسَانُ
مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا
يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا
﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

المعنى العام: أن النبي ﷺ عبس وانصرف بوجهه عن الصحابي الأعمى، إلى أحد عظماء قريش بالاهتمام يدعوه ويعظه، مع أنه مسؤول عن وعظ الصحابي لينفعه، وليس مسؤولًا عن كفر المشرك. فالانصراف عن المؤمن لا يجوز في مثل هذه المواقف، عملًا بما في اللوح المحفوظ من الوحي، ينسخه الملائكة الكرام وتبلّغ به الأنبياء.

وقد لُعن المشرك، ما أفظع كفره ولا داعي لذلك ! فلقد خلقه الله من قطرة الشهوة إنسانًا، وأعطاه التدبر والاختيار، وسيميته ثم يبعثه للحساب. وهو الآن في الدنيا لم يقم بما يجب عليه، ويُتوقع منه أن يستجيب للحق ويهتدي ويصلح عمله. فعليه أن يتفكر في نعم المطر والنبات والغذاء له وللبهائم، . ثم إذا جاء يوم القيامة كانت صرخة البعث، ليُشغل كلٌّ بنفسه عن جميع أحبابه، حيث تكون وجوه المؤمنين وضّاءة بالسعادة، ووجوه الكافرين المجرمين مربدّة قاتمة فزعًا من جزاء العصيان والفجور.

٨١ ـ سورة التكوير

تفسير المفردات: الشمس: النجم النهاري. وكوّرت: لُفّت ومُحق نورها. ١ النجوم: الأجرام المضيئة ليلًا، جمع نجم. وانكدرت: تساقطت وانمحى ضوءها. ٢ الجبال: جمع جبل، ما غلظ من الأرض وارتفع. وسيّرت: نُسفت ونثرت. ٣ العشار: جمع عُشَراء، الناقة مضى على حملها عشرة شهور. وعُطّلت: أُهملت بلا رعاية. ٤ الوحوش: جمع وحش، ما توحش من الحيوان. وحشرت: احتشدت من الذعر واختلط بعضها ببعض. ٥ البحار: جمع بحر، ما اجتمع فيه ماء كثير. وسُجّرت: أُوقدت وتلهّبت. ٦ النفوس: الأرواح، جمع نفس. وزُوّجت: قُرنت بأجسادها. ٧ الموءودة: البنت دُفنت على الحياة. وسئلت: طلب منها الجواب. ٨ الذنب: الجريمة. وقُتلت: دُفنت وهي حيّة. ٩ الصحف: جمع صحيفة، سجلّات أعمال الناس. ونُشرت: فُتحت لتُقرأ. ١٠ السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وكُشطت: قُلعت من أماكنها. ١١ الجحيم: نار جهنم. وسُعّرت: أُجّجت. ١٢ الجنّة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. وأُزلفت: قُرّبت لتُرى. ١٣ علمت: إذا حصل كل ما ذُكر قبلُ أدركت بالمشاهدة. والنفس: الإنسان بروحه وجسده. وأحضرت: عملت وهيأت ليوم القيامة. ١٤ لا أقسم: أحلف حقًّا. والخنس: جمع خانس، الكوكب يختفي ويغيب. ١٥ الجوارِ: الجواري، جمع الجاري. وهو النجم السيّار في فلكه. وحذفت الياء رسمًا لحذفها لفظًا بالتقاء الساكنين. والكُنّس: جمع كانس، الذي يغيب في موضعه. ١٦ الليل: ما بين الغروب والفجر. وعسعس: رقّ ظلامه في أوله وآخره. ١٧ الصبح: أول ضياء النهار. وتنفّس: امتدّ واتسع. ١٨ إنه أي: القرآن الكريم. والقول: ما ينقل بالكلام. والرسول: جبريل أُرسل لتبليغ النبيّ الوحيَ. والكريم: المكرَّم. ١٩ ذو قوة: صاحب قُوًى خاصّة به. وذو العرش: خالقه والمتفرّد به، أي: الله. والعرش: مخلوق عظيم يحيط بالكون. والمكين: ذو مكانة رفيعة. ٢٠ المطاع: النافذ الأمر بين الملائكة. وثَمّ: هناك في السماء. والأمين: المأمون على الوحي. و٢١ ما صاحبكم: ليس النبي الذي يعيش بينكم، يا أهل مكة. والمجنون: المختلّ العقل. ٢٢ رآه: أبصر محمد ﷺ جبريل عِيانًا. والأفق: ناحية السماء تبدو كأنها ملاصقة للأرض. والمبين: الواضح البيان. ٢٣ ما هو: ليس محمد ﷺ. والغيب: ما غاب عن الناس من الوحي. وبضنين أي: بخيلًا في التبليغ. ٢٤ ما هو: ليس القرآن الكريم. والقول: ما يقال. والشيطان: من يوسوس بالشر من الجنّ. والرجيم: المطرود من الرحمة. ٢٥ أين تذهبون: في أيِّ طريق تتوجّهون باضطراب لتكذيب الوحي ؟ ٢٦ إن هو: ليس الوحي. والذكر: التذكير والعظة. والعالمين : الإنس والجنّ. ٢٧ شاء: أراد. ويستقيم: يتحرى الهداية. ٢٨ ما تشاؤون: لا تريدون شيئًا. وأن يشاء الله أي: لتقدير الله مشيئتكم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والعالمون: جميع أجناس المخلوقات.٢٩

الجزء الثلاثون — سورة التكوير

سُورَةُ التَّكْوِيرِ — آياتها ٢٩ — ترتيبها ٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾
الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الْانفِطَارِ — آياتها ١٩ — ترتيبها ٨٢

المعنى العام: ستتعرف كل نفس أعمالها الدنيوية بالتذكر والمشاهدة الحقّة، حين تُمحق الشمس والنجوم، وتُنسف الجبال، وتُهمل النوق العزيزة بحملها، وتُجمع الحيوانات النافرة من الفزع، وتَلتهبت البحار وتجف، وتُردّ الأرواح إلى أجسادها، وتُسأل الموءودة عن سبب قتلها، وتُنشر صحف الأعمال أمام أصحابها، وتُكشف السماوات عن مواضعها، وتُسعّر نيران جهنم ، وتُقرّب الجنّة من أصحابها.

وقد أقسم الله بالكواكب السيّارة في أفلاكها تظهر وتغيب، وبأوائل الليل وأواخره وتوضّح النهار، على أن القرآن وحي منه، ينقله جبريل القوي المكرّم الأمين، وأن النبي ﷺ في كامل الصحة والعقل، قابَلَ جبريل وتبلّغ عنه ذلك، ونقله إلى الناس بأمانة وإخلاص. فليس القرآن إذًا كما يزعم المشركون، من سحر أو كهانة أو همَزات شياطين. إنه تذكرة للناس، من أراد منهم الهداية إلى الحق، والله قد منحهم إرادة للاختيار، ولن تكون في معزل عن قضائه. إنه يهدي من يعلم فيه الاستعداد للخير، ويصرف إلى الضلال من يطلب الأباطيل. وليس للعبد اختيار من دون مشيئة المولى وتقديره.

٨٢ ـ سورة الانفطار

تفسير المفردات: السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وانفطرت: تشقّقت. ١ الكواكب: النجوم المضيئة ليلًا، جمع كوكب. وانتثرت: تفرقت وتساقطت. ٢ البحار: جمع بحر، ما اجتمع فيه ماء كثير. وفُجّرت: انطلقت واختلطت. ٤ القبور: جمع قبر، ما يُدفن فيه الإنسان. وبُعثرت: نُبشت وبُعث منها الموتى. ٥ علمت: إذا حصل ما ذُكر عرَفت بالمشاهدة اليقينيّة. والنفس: المخلوق المكلف. وقدمت: اكتسبته في الدنيا. وأخّرت: أهملته مما أُمرت به. ٥ الإنسان: الآدمي الكافر. ما غرّك: ما الذي خدعك وأغراك بالعصيان ؟ والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والكريم: العظيم الجود والإحسان. ٦ خلقك: أوجدك من العدم. وسوّاك: جعلك سويًّا متناسب الكيان. وعدلك: جعل أعضاءك معتدلة متوافقة متناسقة. ٧ أيّ صورة ما شاء: الهيئة التي أرادها. وركّبك: جمع أعضاءك وألّف بينها. ٨ كلّا: للردع عن الاغترار بكرم الله. وتكذّبون بالدين: تنكرون الحساب والجزاء، أيها الكافرون. ٩ الحافظون: الرقباء المشاهِدون من الملائكة. ١٠ الكرام: جمع كريم، ذو المكانة المقرّبة. والكاتبون: المسجّلون لما يكون منكم. ١١ يعلمون: يدركون ما ظهر وما خفي. وتفعلون: تكتسبونه بالنية والقول والعمل. ١٢ الأبرار: جمع بَرّ، المؤمن الصادق. والنعيم: الحال الحسنة يوم القيامة. ١٣ الفجّار: جمع فاجر، الكافر للإيمان. والجحيم: النار المحرقة. ١٤ يصلونها يقاسون أهوالها. واليوم: الوقت. ١٥ ما هم: ليسوا. وبغائبين أي: مبعدين. ١٦ ما أدراك: أيّ شيء أعلمك بالتفصيل ؟ ١٧ ثم ما أدراك: توكيد لِما قبله. ١٨ لا تملك: لا تقدر ولا تستطيع. والنفس: الفرد من الإنس والجنّ والملائكة. وشيئًا أي: من النفع أو المضرة. والأمر: الحكم والتصرّف. ويومئذ: يومَ القيامة. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد. ١٩

نصف الحزب ٥٩

الجزء الثلاثون — سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ
﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم
مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

المعنى العام: سيعلم بالتذكر والمشاهدة الحقّة كل إنسان مكلّف ما كان في عمله من خير أو شر، حين تتفطر السماوات، وتتهاوى الكواكب، وتتفجر البحار، وتُنبش الموتى بالبعث.

فما الذي خدعك بكرم الله ـ أيها الكافر ـ حتى عصَيته، بعد أن خلقك في أحسن تقويم وكيان وإمكانات، كما شاء وقدّر؟ إنك تنكر البعث والحساب، وأعمالك يسجلها الملائكة المراقبون للحساب، وهم مكرّمون عالمون ما يكون وأمناء عليه. فالمؤمنون الصالحون لهم يوم القيامة نعيم الجنة، والكافرون لهم خلود في جهنم. وليس لكم علم حقيقي مفصل بما يكون حينذاك، حين لا يفيد أحد من المخلوقات غيره، ويتفرد الله بالتصرّف، خلاف ما كان في الدنيا من ظاهر منفعة بعض الخلق لبعض.

٨٣ ـ سورة المطفّفين

تفسير المفردات: وَيل أي: دعاء بشِدّة العذاب. والمطففون: من ينقصون الكيل أو ما يشبهه في البيع. ١ اكتالوا: اشتروا شيئًا يقدّر. ويستوفون: يأخذونه كاملًا مع احتيال في التزيد والاغتصاب. ٢ وكالوهم: قدّروا المبيع للمشترين بالمكيال. ووزَنوهم: قدّروا لهم بالميزان. ويُخسرون: يُنقصون في التقدير، أو يبدلون نوع البضاعة المتفق عليه ٣ ألا يظن: لماذا لا يتيقّن ؟ ومبعوثون: مخرجون من القبور أحياء للحساب. ٤ اليوم: الوقت. والعظيم: الذي لا مثيل له في الهول. ٥ يقوم: ينهض بالبعث. والناس: البشر. ولرب العالَمين: تنفيذًا لإرادته وأمره وحسابه. والعالمون: مجموع أجناس العاقلين. ٦

المعنى العام: العذاب الفظيع للغشاشين العابثين في البيع والشراء، يختارون الأفضل والزائد مما يشترون، والأردأ والناقص للبائعين. ولم تذكر مفعولات هذه الأفعال للتعميم، فتشمل كل أنواع التبادل التجاري والبيع والشراء، ومستويات الغش والخداع. فعليهم تذكُّر اليقين بالبعث، في يوم عظيم، يحشر فيه الناس كلهم بأمر الله وإرادته، وهو الخالق المالك المتصرف في عوالم الكون من مخلوقات.

تفسير المفردات: كلّا: ألا، للتنبيه والتحقيق والتوكيد. والكتاب: سِجلّ الأعمال. والفجّار: جمع فاجر، الكافر بالله والبعث. والسِّجِّين: كتاب الضبط في حضيض المراتب. ٧ ما أدراك: أنت لا تعلم بدقة. وما سجين: أيُّ شيء هو ؟ ٨ المرقوم: المسجَّل المثبت لا يزاد فيه ولا ينقص منه. **٩** وَيل: أشد العذاب. ويومئذ: يوم القيامة. والمكذبون: من ينكرون التوحيد والبعث. **١٠** اليوم: الوقت. والدِّين: الجزاء. **١١** المعتدي: الظالم يتجاوز حد الحق. والأثيم: المنهمك في الذنوب. **١٢** تتلى: تقرأ. والآيات: نصوص القرآن الكريم. والأساطير: حكايات خرافية، جمع أسطورة. والأولون: الأمم القديمة. **١٣** كلّا: للردع والكف عما وصف مع التنبيه على الخطأ. وران: رسخ وتغلّب. والقلوب: جمع قلب، موطن الاعتقاد والتدبر والانفعال يمد الدماغ والجسم كله بماء الحياة صافيًا. ويكسبون: يعملونه من المعاصي. **١٤** كلّا: ألا، للتنبيه والتحقيق والتوكيد. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح مُلكه. ومحجوبون: محرومون من اللقاء. **١٥** صالو الجحيم: داخلو نارِ جهنم للعقاب. **١٦** يقال أي: تقول الزبانية. وهذا أي: العذاب. **١٧** كلّا: ألا، للتنبيه والتحقيق والتوكيد. والأبرار: جمع برّ، المؤمن المطيع. وعلّيُّون: كتاب الضبط في أعلى المراتب. **١٨** ما أدراك ما علّيّون: انظر: ما سِجّين. **١٩** كتاب: سِجِلّ. **٢٠** يشهده: يراه ويحضر مكانه. والمقربون: أصحاب المنزلة العالية الكريمة. **٢١** النعيم: الخيرات العظيمة الدائمة في الجنة. **٢٢** الأرائك: جمع أريكة، السرير في غرفة مزينة بالستائر. وينظرون: يرون عِيانًا ما هم فيه. **٢٣** تعرف: تدرك بنفسك، أيها المخاطب. والوجوه: جمع وجه. والنضرة: البهجة والإشراق. **٢٤** يُسقون: ييسّر لهم الشرب. والرحيق: الخمر الطاهرة. والمختوم: المُغلق بالختم. **٢٥** ختامه: آخر شربه. والمسك: طِيب مشهور أبيض برّاق. وذلك: ما ذُكر من النعيم. ويتنافس: يتسارع ويتسابق. **٢٦** مزاجه: ما يمزج به. وتسنيم: عين جارية متميّزة في الجنّة. **٢٧** يشرب بها: يأخذ منها للشرب. **٢٨** أجرموا: كفروا واقترفوا الجرائم. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. ويضحكون: يسخرون بالضحك. **٢٩** مرّوا بهم: مشَوا بقرب المؤمنين. ويتغامزون: يغمز بعضهم بعضًا استهزاء. **٣٠** انقلبوا: رجعوا. والأهل: الأسرة. وفكهين: متفكهين بالتعجب والتهكم. **٣١** رأوهم: أبصروهم. وهؤلاء أي: وأمثالهم ممن آمن. وضالون: مخطئون السبيل القويم. **٣٢** ما أُرسلوا: وما كلِّف الكفار بأمر من الله. وحافظين: أي رقباء موكولًا إليهم أمر غيرهم. **٣٣** اليوم أي: هذا الوقت في الآخرة. والكُفّار: جمع كافر، من كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. **٣٤**

الجزء الثلاثون — سورة المطففين

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ٨ كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ ٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ١١
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ
١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
٢١ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ٢٥
خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسْنِيمٍ ٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ٣١
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ٣٤

المعنى العام: الحق أن أعمال الكافرين تسجَّل في كتاب منزلته دنية في أسفل السافلين، ولهم العذاب الشديد يوم القيامة، لِما كذّبوا في الدنيا بالبعث والحساب ـ ومثل هذا لا يصدر إلّا عن الضالين المعتدين على الحق ـ وزعموا أن القرآن أباطيل، وهم كاذبون مبطلون، غلبت على قلوبهم شقوتهم، وسيحجبون عن رؤية الله وخطابه ورحمته، ويخلدون في جهنم، مع التوبيخ أن ما هم فيه هو ما كانوا ينكرونه.

والحق أيضًا أن أعمال المؤمنين في سجلّ كريم مختوم رفيع المنزلة يطلع عليه كرام الملائكة، وخلودهم يكون في نعيم الجنات، مع السرور والسعادة والشراب الطيب الممزوج بالمسك ومياه تسنيم. وهذه المياه إنما يشربها المقرّبون تكرمة لهم، وغيرهم من المؤمنين يشربون ما مزج بشرابها. فليسارع المتنافسون إلى هذه المنزلة المباركة.

أما الكافرون فقد كانوا يسخرون من المؤمنين، وحين يمرون بهم يتغامزون للسخرية، ويفاخرون بذلك بين أقربائهم، وكلما رأوهم اتهموهم بالضلال ليحملوهم على الكفر، مع أنهم ليسوا رقباء مسؤولين عن توجيههم. وسوف يقابلهم المؤمنون يوم القيامة بمثل صنيعهم، وهم بعيدون عنهم في النعيم مستبشرون.

تفسير المفردات: الأرائك: جمع أريكة، السرير في غرفة مزينة بالستائر. وينظرون: يرون من مجالسهم ويتفكرون. **٣٥** ثُوِّب: جوزي. والكُفّار: جمع كافر، من كذّب وحدانية الله ودعوة رسوله. ويفعلون: يكتسبونه من النيات والأقوال والأفعال. **٣٦**

المعنى العام: أن المؤمنين سعداء في الجنة، يتمتعون برؤية وجه الله الكريم، ويرون مناظر الكافرين أنهم يقاسون عقاب أعمالهم الدنيئة، بما يناسبها من الأهوال.

٨٤ ـ سورة الانشقاق

تفسير المفردات: السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وانشقت: تصدّعت. **١** أذنت: استجابت بالطاعة. والربّ: الخالق المالك المتصرّف. **٢** الأرض: موطن الحياة الدنيا. ومُدّت: وُسّعت وتضخّمت بما يكون من الزلزلة والنسف. **٣** ألقت ما فيها: قذفت الموتى والخبايا. وتخلّت: تفرّغت مما تخفيه. **٤** حُقّت: وجب عليها الطاعة. **٥** الإنسان: الآدميّ. والكادح: المكابد للشدائد. وإلى ربك: إلى لقاء حسابه والجزاء. وملاقيه: مقابله ومتلقٍّ جزاءه. **٦** أُوتي: أُعطي. وكتابه: سِجلّ أعماله. واليمين: اليد اليمنى. **٧** سوف يحاسب: لا بدّ أن يعرض عليه ما قدّم وما أهمل من العمل. واليسير: اللطيف الهيّن. **٨** ينقلب: يعود. والأهل: الأقرباء والعشيرة. ومسرورًا أي: فرحًا بالنعيم. **٩** وراء ظهره أي: من خلفه. **١٠** سوف يدعو: لا بدّ أن يتمنّى ويطلب. والثبور: الهلاك بأن يصير ترابًا. **١١** يصلى: يدخل ويقاسي. والسعير: النار الموقّدة. **١٢** مسرورًا أي: بطرًا بضلاله وشهواته. **١٣** ظنّ: اعتقد. وأنْ: أنّه. ويحور: يرجع بالبعث للحساب. **١٤** بلى: ليس الأمر كما توهم. وكان أي: ولا يزال دون قيد زماني. والبصير: العالم بما كان وما سيكون. **١٥** لا أقسم: أحلف حقًّا. والشفق: حُمرة الشمس في الأفق بعد الغروب. **١٦** الليل: ما بين الغروب والفجر. ووسق: جمع وضمّ من المخلوقات. **١٧** القمر: الكوكب الليلي. وإذا اتسق: حين اكتمل شكله في رؤية العين وسط الشهر. **١٨** تركبون: تلاقون وتُحملون على المقاساة. والطبق: المُطابق لغيره في الشِّدة والهول. وعن طبق أي: بعد طبق. **١٩** ما لهم لا يؤمنون: ما حُجّة الكُفّار لعدم الإيمان ؟ **٢٠** قرئ: تلي. والقرآن: الكتاب الكريم. ولا يسجدون أي: لله ولا يخضعون بالتصديق. **٢١** كفروا: جحدوا النبوة والإيمان. ويكذّبون: ينكرون التوحيد والبعث. **٢٢** الله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأعلم: أكثر إحاطة منهم. ويوعون: يُضمرون في صدورهم. **٢٣** بشّرهم: أخبرهم ساخرًا، أيها النبي. والعذاب: التعذيب عقوبة وإهانة. والأليم: المؤلم جدًّا. **٢٤** آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا من نية أو قول أو فعل. والصالحات: ما يرضاه الله. والأجر: المكافأة والثواب. والممنون: المقطوع أو المنقوص. **٢٥**

الجزء الثلاثون — سورة الانشقاق

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ ٱلِانشِقَاقِ — ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ
﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾

ربع الحزب ٥٩

سجدة

المعنى العام: حين تتفطر السماوات بأمر الله، وتُزلزل الأرض وتمتد جنباتها وتلقي ما في باطنها بأمره أيضًا، ويلقى الناس جزاء عملهم بعد كدح ومشقة، هنالك يكونون قسمين: المؤمن يتناول كتابه بيمينه ويحاسب بلطف ويسعد بين أهله، والكافر يتناول كتابه من وراء ظهره ويتمنى الفناء لِما ينتظره من جهنم، بعد أن كان بطرًا في الدنيا ينكر البعث. والله مطلع عليه ومحاسبه. وقد أقسم بعجائب الليل والنهار أنه لا بد من تعرّض الناس للموت والبعث والحساب.

ولما قرأ النبي ﷺ الآية ١٩ من سورة العلق في مكة سجد، وسجد معه المؤمنون، ووقف الكُفّار فوق رؤوسهم يصفقون، فنزلت الآيات ٢٠ ـ ٢٥ من هذه السورة، بأنهم لا حجة لهم فيها ينكرون ويتكبرون عن السجود، مع أنهم رأوا وسمعوا ما في القرآن الكريم من الإعجاز والحق والبيان والأخبار والعلوم اليقينية، ولسوف ينالون جزاء ذلك أشد العذاب لأن الله يعلم ما ينوون ويفعلون، وسيكون للمؤمنين ثواب عظيم دائم.

٨٥ ـ سورة البروج

الجزء الثلاثون سورة البروج

سُورَةُ البُرُوجِ ٨٥ آياتها ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ
﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ
وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ ٨٦ آياتها ١٧

تفسير المفردات: السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وذات البروج: صاحبة منازل الكواكب السيارة. ١ اليوم: الوقت. والموعود أي: بالبعث بعد الموت. ٢ الشاهد: من يُقرّ بها كان للفصل بين الناس يوم القيامة. والمشهود: ما يحضره الخلق ويرونه. ٣ قتل: طُرد من رحمة الله. والأصحاب: جمع صاحب. والأُخدود: الشقّ الكبير في الأرض. ٤ النار: ما أُوقد في الأُخدود. وذات الوقود: صاحبة الموقِدات لعذاب المؤمنين. ٥إذ هم عليها: حين كانوا حولها. والقعود: جمع قاعد. ٦ ما يفعلون أي: ما يعملونه من التعذيب. والمؤمنون: الذين عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. والشهود: الحاضرون للمشاهدة، جمع شاهد. ٧ ما نقموا: ما كرهوا وأنكروا. ومنهم: من أحوال المؤمنين. ويؤمنوا: يستمرّوا على الإيمان بالتوحيد. والعزيز: الغلّاب لا يعجزه شيء. والحميد: المحمود. ٨ له أي: مستحَقه وحده. والمُلك: التفرّد بالحيازة والتصرّف. والأرض: موطن الحياة الدنيا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد. والشيء: ما هو موجود. والشهيد: المطّلع. ٩ فتنوا: آذَوا بقول أو فعل. ولم يتوبوا: لم يرجعوا عما أجرموا ولم يطلبوا المغفرة. والعذاب: التعذيب. وجهنم: ما أُعد يوم القيامة للكافرين. والحريق: الإحراق. ١٠ عملوا: اكتسبوا. والصالحات: الأعمال يرضاها الشرع. والجنّة: البستان العظيم بالنعيم. وتجري: تسيل وتتدفق. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر. وذلك أي: ما ذكر من النعيم. والفوز: الظفر بالمطلوب. والكبير: العظيم لا يحيط به الوصف. ١١ البطش: الأخذ بعنف العقاب. والرب: الخالق المالك المتسلط. والشديد: القوي. ١٢ يبدئ: ينشئ ابتداء من العدم بدون مثال سابق. ويعيد: يجدّد خلق ما فني. ١٣ الغفور: الكثير السترِ للذنوب وعدمِ المؤاخذة عليها. والودود: المتودّد بالإكرام للصالحين. ١٤ ذو العرش: خالقه ومالكه متفردًا به. والعرش: أعظم المخلوقات لا يعلم حقيقته إلّا الله.والمجيد: المستحق لكل صفات العلوّ. ١٥ فعّال أي: في غاية القدرة على الإيجاد والتحقيق. ويريد: يقصده. ١٦ وهل أتاك: قد وصل إليك حقًّا، أيها النبيّ. والحديث: الخبر. والجنود: جمع جند. والجند واحده جندي، من أُعدّ للقتال والبطش. ١٧ فرعون: ملك مصر في عهد موسى. وثمود: قبيلة النبي صالح. ١٨ كفروا: أنكروا التوحيد والرسالة. والتكذيب: الجحود الدائم. ١٩ من ورائهم محيط: هم في قبضته وعلمه مقتدر عليهم بما شاء. ٢٠ هو: ما يوحى. وقرآن: كتاب يقرأ فيه الهداية إلى الحق والإعجاز بالبيان والخبر الصادق عن التاريخ والعلوم والمعارف اليقينية. ومجيد: عظيم القدر. ٢١ اللوح: سِجلّ فيه ما كان وما سيكون في الوجود. والمحفوظ: المصون من التغيير والتبديل ومن اطلاع غير بعض الملائكة والرسل.٢٢

المعنى العام: أقسم الله بعجائب السماء وما في يوم القيامة من المشاهد والقضاء، أن اللعنة ثابتة على أصحاب الأخدود. فقد كان ملك في اليمن ألّه نفسه، وغلامٌ حينئذ يدعو إلى التوحيد، فأراد الملك حمل المؤمنين على الكفر، وأبوا فأحرقهم جميعًا بنار حفرة واسعة، وشهد مع جنوده ذلك إنكارًا للإيمان بالله. وفي قصتهم نزلت هذه الآيات، وفي الأحاديث الصحيحة أن الذين أُلقُوا في الأخدود ماتوا حرقًا.

فالذين يؤذون المؤمنين ولا يتوبون ولا يستغفرون لهم عذاب جهنم مع البطش العنيف جزاء ما فعلوا، والمؤمنون لهم نعيم الجنة والفوز العظيم، بفضل الله المحيي والمميت والمالك للغفران ولمحبة المؤمنين وللعرش العظيم، وكلُّ ما تعلّقت به إرادته يتحقق.

ولقد أصبحت معروفة أخبار الكافرين القدماء كفرعون وقوم النبي صالح، بما انتهوا إليه من الاستئصال، ولكن المشركين في مكة ينكرون ذلك، وعملهم مسجل عند الله في اللوح المحفوظ، وهو مخلوق عظيم محفوظ برعاية الله.

٨٦ ـ سورة الطارق

تفسير المفردات: السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. والطارق: النجم يظهر في الليل. ١ ما أدراك: أيُّ شيء أعلمك ؟ وما الطارق: أيُّ عظيم هو الطارق ؟ ٢ النجم: الثريّا، مجموعة من النجوم في صورة الثور. والثاقب: المخترق للظلام بضوئه. ٣ إن كل نفس: ليس كل إنسان. ولمّا: إلاّ. والحافظ: ملَك يرقب ويسجل. ٤ ينظر: يفكّر. ومِمَّ خلق: مِن أيِّ شيء أُنشئ ؟ ٥ الماء: منيّ الرجل وبُوَيضة المراة. والدافق: المنصبّ في الرحِم. ٦ يخرج: يجري. والصلب: فَقرات الرجل والمرأة. والترائب: عظام صدرهما، جمع تَريبة. ٧ إنه: إنّ الله. ورجعُه: إعادة الإنسان الميت إلى الحياة. والقادر: المستطيع دون مُعين. ٨ اليوم: الوقت. وتُبلى: تُختبر وتُكشف. والسرائر: جمع سريرة، ما في الضمير من أسرار. ٩ ما له: ليس لمنكر البعث. والقوة: القدرة على النجاة. والناصر: المنقذ. ١٠ ذات الرجع: الملازمة لرمي الأمطار وما يسقط منها. ١١ الأرض: موطن الحياة الدنيا. وذات الصدع: الملازمة للتشقق وإخراج المياه والنبات والمعادن. ١٢ إنه أي: القرآن الكريم. والقول: ما يقال ويقرأ. والفصل: الفاصل بين الحق والباطل. ١٣ ما هو: ليس القرآن. وبالهزلِ: الباطلَ والعبثَ. ١٤ إنهم أي: الكافرين. ويكيدون: يدبّرون المكايد للدعوة. ١٥ أكيد: أدبّر الأهوال لهم بالخفاء. ١٦ مهّل: لا تعجل بالانتقام أو الدعاء، أيها النبيّ. والكافرون: المكذبون للتوحيد والبعث. ورويدًا أي: الإمهالَ القليل. ١٧

المعنى العام: أقسم الله بالليل والثريّا المخترقة للظلام أن الملائكة تراقب كل إنسان وتسجل ما يكون منه. فعليه أن يفكر في نشأته ليعقل تحقق البعث والحساب. لقد خلقه الله من أدق القطرات المبتذلة، قطرة من منيّ الرجل وأُخرى هي بُويضة المرأة، يخرجان من الوسط الذي بين الصلب والترائب، حيث الأبهر تتشعب منه شرايين إلى الكليتين، ليخرج الشريانان المنويّان إلى الخُصيتين والمَبيض، فيتكون منيّ وبُوَيضة ثم تلتقي القطرة باندفاقها في البويضة، وامتزاجها بنشاط الثانية وحيويتها، وينصبان في الرحِم، لتكوين الجنين بقدرة الله. وعُبِّر عنها بماء واحد لامتزاجها الكامل. وصاحب هذه القدرة يسير عليه خلق الحياة في الموتى، حين تكشف أسرار الناس جميعًا، ولا يكون للكافر قدرة أو معين للخلاص من العقاب.

وأقسم الله بالسماء والأرض أيضًا، الملازمتين لبذل الخيرات والأهوال، أن القرآن حق للهداية، وليس قولًا عبثيًّا. ولكن الكافرين يحتالون لحربه، والله يهيئ لهم الانتقام من حيث لا يشعرون. فعليك ـ أيها النبيّ ـ التريث في الدعوة، حتى يأتي القضاء بجزاء الكافرين في الدنيا أو الآخرة.

الحزب

الجزء الثلاثون | سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ
دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨)
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١)
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

سورة الأعلى — ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ
(٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠)
وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥)

٨٧ ـ سورة الأعلى

تفسير المفردات: سبِّح اسم ربك: نزِّه اسمه العظيم عما لا يليق به. والربّ: الخالق المالك المتفرّد. والأعلى: المستعلي على الخلائق. ١ خلق: أوجد الكائنات من العدم. وسوّى: جعل المخلوقات في تناسب وتكامل. ٢ قدّر: وضع ما شاء من المقدّرات. وهدى: أرشد بالأدلة والعقل أو بالغريزة إلى المقدّرات. ٣ أخرج: أنبت. والمرعى: العشب. ٤ جعله: صيّره بعد النماء. والغثاء: الجافّ المهشم. والأحوى: اليابس بلون السواد. ٥ نقرئك: نبلّغك. ولا تنسى: تحفظ ما تقرؤه. ٦ وشاء: أراد أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه. وإنه: إن الله تعالى. ويعلم: يحيط إحاطة تامّة. والجهر: ما يظهر للغير. ويخفى: يغيب ويستتر. ٧ نيّسرك: نوفقك. واليسرى: الشريعةُ الفائقةُ السهولةِ. ٨ ذكِّر: انصحْ بالقرآن الكريم. ونفعت: أفادت من تذكرّه. ٩ يذّكّر: يتّعظ. ويخشى: يخاف الله. ١٠ يتجنّبها: يهمل الذكرى. والأشقى: الكافر. ١١ يصلى: يقاسي. والنار: نار جهنم. والكبرى: العُظمى لا مثل لها. ١٢ لا يموت ولا يحيا: يكون في الأهوال دون الموت المنقذ والحياة النافعة. ١٣ أفلح: فاز بالنعيم. وتزكّى: تطهّر بالإيمان. ١٤ ذكر: استحضر بقلبه ولسانه. وصلّى: أدّى الصلاة بأركانها وآدابها. ١٥

المعنى العام: على النبي الكريم أن ينزّه اسم الله العظيم ـ وتنزيه الاسم تنزيه عظيم للذات ـ الذي كوّن المخلوقات في تناسب وتكامل، ونظّم ما يكون في الحياة، ووضع في الخلق قدرات وغرائز ترشد إلى التصرف والعمل، وأخرج النبات ثم قدّر له الجفاف والتلف.

ولما كان النبي ﷺ يعجل في تلقي الوحي خشية النسيان نزلت الآيات بطمأنته، أنه لن ينسى إلّا ما أراد الله نسخه، وهو يعلم ما في الكون من سرّ وعلانية، وييسّر تبليغ من عنده استعداد للهداية. أما الكافر فينصرف عنها، وسيلقى العذاب خالدًا بين الموت والحياة، وأما المؤمن الصالح العابد بذكر الله مع التكبير فإنه الفائز بخير الدنيا والآخرة.

تفسير المفردات: تؤثرون: تفضلون، أيها الناس. والحياة: ما فيها من الشهوات والمكاسب العاجلة. والدنيا: القريبة تعيشون فيها. ١٦ الآخرة: الحياة في الجنة بعد البعث. وخير: أكثر فضلًا بالنعيم والرضا. وأبقى: أدوم بالخلود. ١٧ هذا أي: معنى الفلاح وفضل الآخرة ومضمونها. والصحف: جمع صحيفة، ما كتب فيه الوحي المنزل. والأولى: القديمة. ١٨ إبراهيم: أبو إسماعيل وإسحاق. وموسى: نبيُّ بني إسرائيل. ١٩

المعنى العام: أن الناس يُشغلون بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة، وهو أفضل منها ولا ينتهي. وقد جاء ذكر الفلاح وفضل الآخرة فيما سُجل من الوحي في صحف الأنبياء القدماء.

٨٨ ـ سورة الغاشية

تفسير المفردات: هل أتاك: قد وصل إليك حقًّا. والحديث: ما ينتقل من الكلام. والغاشية: القيامة بأهوالها العُظمى. ١ الوجوه: جمع وجه. ويومئذ: يوم القيامة. والخاشعة: الذليلة. ٢ العاملة: المتعبة بما تعاني. والناصبة: المجهدة بالبلاء. ٣ تصلى: تدخل وتقاسي. والنار: نار جهنم. والحامية المتلهّبة. ٤ تُسقى: تُشرب بالقهر والاضطرار. والعين: ما يجري من السوائل. والآنية: الشديدة الحرارة. ٥ الطعام: ما يكون للغذاء. والضريع: الشوك الخبيث. ٦ لا يسمن: لا يصحّح الأجسام. ولا يغني: لا يُنقذ. والجوع: الحاجة إلى الطعام. ٧ الناعمة: المتنعّمة بالخير والسعادة. ٨ السعي: العمل في الدنيا. والراضية: المتقبّلة باطمئنان. ٩ الجنّة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. والعالية: العظيمة المكانة. ١٠ لا تسمع: لا يدرك سمعُها. واللاغية: الكلمة العابثة. ١١ العين: اليَنبوع. والجارية: المتدفقة. ١٢ السرر: جمع سرير، المجلس المريح. والمرفوعة: العالية. ١٣ الأكواب: جمع كُوب، القدَح لا أذن له يمسك منها. والموضوعة: المجّهزة للاستعمال. ١٤ النمارق: جمع نُمرُقة، الوسادة للراحة. والمصفوفة: المنظّمة. ١٥الزرابيُّ: جمع زِرْبِيّة، الطِّنفسة اللطيفة. والمبثوثة: المبسوطة فوق الأرض. ١٦ ألا ينظرون: على المشركين أن يتفكّروا للاستدلال والاتعاظ. والإبل: واحده جمل أو ناقة. كيف خلقت: كيفيّة إنشائها بشكل بديع. ١٧ السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وكيف رفعت: كيفية بنائها كالقبة بعيدةً بلا أعمدة. ١٨ الجبال: جمع جبل، ما غلظ من الأرض وارتفع. وكيف نصبت: كيفية ترسيخها لتثبيت الأرض. ١٩ الأرض: موطن الحياة الدنيا. وكيف سطحت: كيفية تمهيدها لتيسير الحياة. ٢٠ ذكّر: عظ الناس وبيّن لهم، أيها النبيّ. والمذكِّر: الناصح الواعظ. ٢١بمصيطرٍ: متسلّطًا للتحكم والإرغام. ٢٢ إلّا: لكن. وتولى: أعرض عن الإيمان. وكفر: كذّب التوحيد والبعث. ٢٣ ويعذبه: يقضي عليه بالعقاب. والعذاب: التعذيب. والأكبر: الأعظم لا مثيل له. ٢٤ إلينا: إلى لقاء ميعادنا. والإياب: العودة بالبعث بعد الموت. ٢٥علينا أي: نحن نتفرد بالحكم. والحساب: المحاسبة والجزاء.٢٦

الجزء الثلاثون — سورة الغاشية

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ — ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

المعنى العام: نزلت الآيات ١ـ٦ في القِسِّيسين والمجوس وعُبّاد الأوثان، وكل منهمك في الكفر، فقال المشركون تهكمًا: إنّ إبلنا لتسمن بالضريع. فنزلت الآية ٧، تكذيبًا لهم. أي: أنه قد جاءتكم أخبار يوم القيامة، إذ تكون وجوه الكافرين منهكة مغبرّة متذللة تتحرق بجهنم، وغذاء أصحابها الشوك الخبيث يؤذي ولا يفيد، ووجوه المؤمنين مشرقة مطمئنة في نعيم الجنة العالية بين أحاديث المودة والخير، والينابيع والأسِرّة الوثيرة والأقداح المعدة للشرب والأثاث الفاخر المنتظم.

ولكي يتحقق لديهم البعث، فلينظروا إلى قدرة الله وأعاجيب صنعه، في تكوين الإبل والسماء والجبال، وتمهيد الأرض للسير والاستقرار وصلاحية أمور الإنسان والحيوان والنبات، خلاف ما هو في الكواكب المشابهة.

وعليك أن تذكّر الناس ـ أيها النبيّ ـ لتقوم بواجبك، إذ أنت مبلّغ ومرشد ولست بسلطان عليهم. أما المعاندون المكذّبون فعذابهم العظيم يتكفل به الله، لأن حشرهم سيكون في موعده وحسابهم له وحده.

٨٩ ـ سورة الفجر

تفسير المفردات: الفجر: انكشاف ظلمة الليل بضوء الصبح. ١ الليالي: جمع ليلة. والعشر: العشر الأوائل من ذي الحجّة. ٢ الشفع: الله الواحد المتفرد بالألُوهيّة. والزوج: الاثنان المتقابلان من جنس واحد، كالخير والشر، والذكر والأنثى. ٣ الليل: ما بين الغروب والفجر. ويسر: يسري أي: يجيء ويذهب. حذفت الياء تخفيفًا لموافقة رؤوس الآيات. ٤ هل في ذلك: لقد كان فيها ذُكر من الأقسام. وقسم أي: حلف يكفي بالاطمئنان. وذو الحِجر: صاحب العقل يتدبّر به ويستدل على الحقائق. ٥ ألم تر: لقد علمتَ، أيها الإنسان. وكيف فعل: كيفية إنزال العذاب المستأصِل. والربّ: الخالق المالك المتفرّد. وعاد: قوم النبي هود كانوا بين عُمان وحضرَموت. ٦ إرم: سامُ بن نوح جدُّ العرب، وقبيلته هي عاد الأولى. وذات العِماد: المشهورة بضخامة الأجسام. ٧ لم يخلق: لم يوجد. ومثلها: مماثلها في الضخامة والبطش. والبلاد: جمع بلد، مدن الناس ومواطنهم. ٨ وثمود: قبيلة النبي صالح من سلالة عاد. وجابوا: قطعوا. والصخر: الحجارة الصلبة. والواد: الوادي أي: وادي القُرى بين المدينة والشام. حذفت الياء لموافقة رؤوس الآيات. ٩ فرعون: ملك مصر في عهد موسى. وذو الأوتاد: المشهور باستعمالها في التعذيب. والأوتاد: جمع وَتِد، ما يثبَّت في الأرض أو الجدار لربط الناس وتعذيبهم. ١٠ طغَوا: تجبّروا بالكفر والظلم. ١١ أكثروا: نفذوا العدد الكبير. والفساد: الإيذاء للخلق وإشاعة الشر والفواحش. ١٢ صبّ: ألقى. وسوط عذاب: أنواعًا من التعذيب. ١٣ المرصاد: طريق الترقب والانتظار. ١٤ الإنسان: الآدمي الكافر. وإذا ما ابتلاه: كلّما اختبره لتظهر حقيقة نفسه عِيانًا. وأكرمه: أحسن إليه بالخير. ونعّمه: جعله متنعّمًا. ويقول أي: تبجّحًا. وأكرمن: أكرمني أي: فضّلني لِما أستحقه. ١٥ قدَر: ضيّق. والرزق: ما يحتاج إليه المخلوق. وأهانن: أهانني أي: أذلّني بغير ما أستحقه. ١٦ كلّا: للزجر وتكذيب المزاعم. ولا تكرمون: لا تحسنون بالعطاء ووفاء الإرث. واليتيم: الطفل فقدَ أباه. ١٧ لا تحاضّون: لا يحثّ بعضكم بعضًا. والطعام: الإطعام. والمسكين: الفقير المحتاج. ١٨ تأكلون: تحوزون لأنفسكم. والتراث: ما يورث من المال والجاه. واللمّ: الكثير بجشع. ١٩ تحبّون: تفضّلون. والمال: ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. والجمّ: الكثير جدًّا. ٢٠ كلّا: للردع عما ذُكر من البغي. ودُكّت: زُلزلت وهُدمت. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ٢١ جاء ربك: جاء لفصل القضاء. والملَك: الملائكة. وصفًّا: مصطفّين. ٢٢ جيء بجهنم: أُظهرت دارُ العذاب ليراها الناس. ويومئذ: حين يحدث ما ذكر في يوم القيامة. ويتذكر الإنسان: يستحضر الكافر في ذهنه ما فعل ليتوب. وأنى أي: من أين؟ والذكرى: التذكر المفيد للنجاة. ٢٣

الجزء الثلاثون — سورة الفجر

سُورَةُ الفَجْرِ — ترتيبها ٨٩ — آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ
﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ
﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾
وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾
الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا
الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ
﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّا ۖ بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

المعنى العام: أقسم الله بالفجر وليالي الأضحى للحجّ وبنفسه ومخلوقاته والليل قادمًا وذاهبًا، وفي ذلك القسم كفاية لاطمئنان المفكرين إلى صحة ما يُذكر، أقسم على أنه يرصد ما يحصل في الكون، يسمع ويرى ويعلم كل شيء، ليحاسب الناس بما فعلوا.

ولقد علمتَ ـ أيها الإنسان ـ ما أنزل الله من العقاب بالجبابرة: قومَي النبيَّين هود وصالح وفرعون، أفسدوا بالجبروت والطغيان والتعذيب، فكان العقاب العنيف لهم: الريح المُهلكة لعاد، والصيحة المدّمرة لثمود، والبحر المغرق لفرعون. وما جاء عن عاد وثمود في كتب التفسير بعضه أوصاف أسطورية متناقضة متكاذبة.

ومع كل ما ذُكر من العقاب، فإن الكافر يتفاخر بالنعم أنه يستحقّها ويتشكى من النقم أنه مظلوم بها. وهو يدعي الأباطيل بذلك، ويظلم الأيتام ويبخل على المحتاجين ويلتهم المواريث بنهمٍ ويقدس المال. فليرتدع عن بغيه ودعاواه، وليعلم أنه حين تُزلزل الأرض دُفعة واحدة، ويَظهرُ الله للمؤمنين كما يليق بجلاله وعظمته، لانفراده بالتدبير دون أن يجعل لأحد شيئًا من ذلك، وينتظمُ الملائكة في صفوف للتقديس، وتُحضر جهنم ليشهدها الناس عِيانًا، هنالك تتوارد على الكافر ذكرى جرائمه ليتوب، ولكن مُحال أن ينفعه التذكر...

تفسير المفردات: يقول أي: الكافر لنفسه. ويا ليتني: أتمنّى. وقدّمت: اكتسبت فيما مضى. ولحياتي: لأجل حياتي في الآخرة. ٢٤ يومئذ: يوم القيامة. ولا يعذِّب: لا يوقع عذابًا. وأحد أي: من المخلوقات. ٢٥ لا يوثِق: لا يُنزل الشَّدّ والتقييد. والوَثاق: الربط بالسلاسل والأغلال. ٢٦ النفس: نفس الإنسان. والمطمئنة: الآمنة برحمة الله. ٢٧ ارجعي إلى ربك: توجّهي إلى لقاء وعد ربك الكريم. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. وراضية: متقبلة بالرضا والسعادة. ومرضية: مقبولة مقرَّبة مكرّمة. ٢٨ ادخلي: انضمّي. والعباد: جمع عبد، المملوك خلقًا وقهرًا وتعبدًا. ٢٩ ادخلي جنتي: صيري وأقيمي في دار النعيم أعددتها لكِ. ٣٠

المعنى العام: متابعة ما يكون للكافر يوم القيامة، إذ يتمنى أن يكون اكتسب الصالحات في الدنيا لينال النجاة والثواب. وإذ ذاك تكون أنواع العقاب متميزة بما يُنزله الله بالكافرين، وتوجّهُ الملائكة المؤمنين الآمنين إلى تلقي ثواب الله برحمة ورضا، ليكونوا مع العباد المحسنين في نعيم جنات الخلود.

٩٠ـ سورة البلد

تفسير المفردات: لا أقسم أي: أحلِف حقًّا. وهذا البلد: مكّة العامرة. ١ أنت أي: أيها النبيّ. والحِلّ: المُقيم والساكن. ٢ الوالد: من يكون منه ولادةٌ، أي: إنجاب لأولاد بفضل رباني عظيم. وما ولد: الولادة، أمر عظيم الدلالة على الألوهية. ٣ خلقنا: أنشأنا. والإنسان: جنس الآدميّ. والكبد: المكابدة للشدائد والمصائب. ٤ أيحسب: على الكافر أن يترك توهُّمه. وأنْ: أنّه. ولن يقدر عليه: لن يستطيع عقابه. ٥ أهلكت: أنفقت في كيد الدعوة. والمال: ما يملك من النقد والمتاع. واللبد: جمع لُبدة، ما كثر فاجتمع وتلبّد. ٦ لم يره: لم يراقبه ويسجّل عمله. ٧ ألم نجعل: لقد خلقنا بحقّ. والعين: عضو البصر. ٨ اللسان والشفتان: أعضاء الكلام والتغذي. ٩ هديناه: أرشدناه وأوضحنا له. والنجدان: الطريقان الواضحان للخير والشر. ١٠ لا أي: هلّا، للتحضيض على العمل. واقتحم: دخل بعزم وجدّ. والعقبة: الطريق الصعب. ١١ ما أدراك: إنك لا تعلم بحق، أيها المخاطَب. وما العقبة: أيُّ شيء العقبة ؟ ١٢ الفكّ: التخليص أو العون على الخلاص. والرقبة: العنق، أي: صاحبها الإنسان المملوك لغيره. ١٣ الإطعام: تقديم الغذاء. واليوم: الوقت. وذو مسغبة: يجوع فيه الناس بالمحل. ١٤ اليتيم: الطفل فقَدَ أباه. وذو مقربة: صاحب قرابة. ١٥ المسكين: الفقير المحتاج. وذو متربة: يلاصق التراب لكثرة حاجته. ١٦ كان: صار. وآمنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وتواصوا: أوصى بعضهم بعضًا. والصبر: التحمل للشدائد. والمرحمة: المبالغة بالعطف على الخلق. ١٧ أولئك أي: الموصوفون بما في الآيات ١١ـ١٧. والأصحاب: جمع صاحب، الملازم للشيء يختص به. والميمنة: اليمين أي: اليُمن والبركة. ١٨ كفروا: كذّبوا وأنكروا. والآيات: النصوص القرآنية والأدلّة على التوحيد والبعث. والمشأمة: الشؤم العظيم. ١٩ عليهم: فوقهم وتحيط بهم. والنار: نار جهنم. والمؤصدة: المغلقة المطبقة. ٢٠

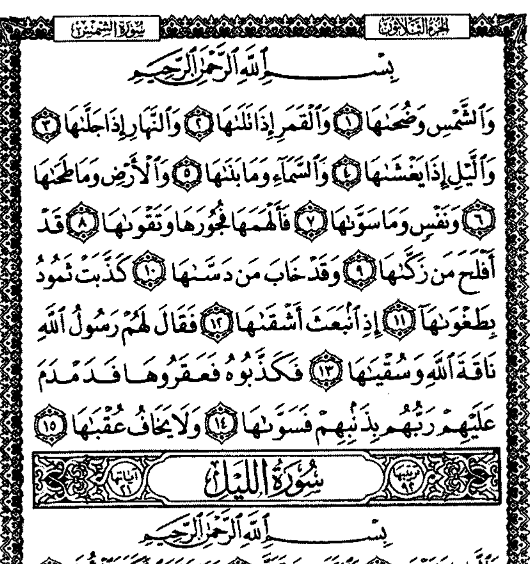


المعنى العام: أقسم الله محقِّقًا قسمه بمكة المكرّمة يقيم فيها محمد ﷺ وبالأبوّة والولادة، لما في ذلك من عظيم الكائنات، على أنه خلق الناس ليعيشوا في مكابدة للشدائد. فليس للمشرك أبي الأشُدَّينِ أي: الأربعين سنة مضاعفة ـ وهو كَلَدة بن أسيد الجُمحيّ، كان غلاّبًا لكل من صارعه ـ الزعم أنه لا يقدر عليه أحد، والمباهاة بأنه أنفق لحرب الإسلام كثير المال، وليس لمن هو مثله الظن أنه خفي عن رقابة الله.

فلينظر في نفسه، كيف خلق الله له قدرات فائقة للتبصر والكلام والطعام، ثم أوضح له الفرق بين الهداية والضلال، وجعل له الإرادة ليختار مقاصده، فكان أن فضّل الشرَّ ليَضلّ ويُضلّ غيره. وخير له أن يخوض المشاقّ في سبيل الرشاد، بعتق المماليك والإماء، وإطعام المحتاجين أيام الجدب، ويكون من المؤمنين المتواصين بالصبر والرحمة المطلقة، وهم أهل اليُمن والبركة في الدنيا والآخرة، بخلاف الكافرين أهل الشؤم فيما يكون لهم من حصار جهنم وإطباقها عليهم.

٩١ـ سورة الشمس

تفسير المفردات: الشمس: النجم النهاري. وضحاها: ضوءُها البارز. ١ القمر: الكوكب الليلي. وإذا تلاها: حين يتبعها بدرًا عند غروبها. ٢ النهار أي: وسطه عند الظهيرة. وإذا جلّاها: حين يُظهر ضوءها أقصى ما يمكن. ٣ الليل: ما بين الغروب والفجر. وإذا يغشاها: حين يغطّي الشمس بظلامه. ٤ السماء: ما يحيط بالأرض من عوالم عُلوية. وما بناها: بناؤها ورفعُها مشيّدة بلا عمد. ٥ الأرض: موطن الحياة الدنيا. وما طحاها: بسطُها وتمهيدُها لتيسير الحياة عليها مع أنها كُرويّة. ٦ النفس: الإنسان بروحه وجسده. وما سواها: تعديلُها وتكوينُها أعضاءً وقوى وإرادة في أحسن تقويم. ٧ ألهمها: أوضح لها بالأدلة والبراهين. والفجور: الفساد. والتقوى: الصلاح لتجنب غضب الله وطلب رضاه. ٨ أفلح: فاز بالخير. وزكّاها: طهّرها من الكفر والذنوب. ٩ خاب: خسر. ودسّاها دسَّسَها أي: أخمد بالمعصية صلاحيتها للخير. أبدلت السين الثالثة ياء وقلبت الياء ألفًا للتخفيف. ١٠ كذّبت: نسبت نبيَّها إلى الكذب. وثمود: قبيلة من العرب البائدة كانت في وادي القُرى. وبطغواها: بسبب طغيانها ومجاوزة الحق. ١١ إذ انبعث: حين أسرع. وأشقاها: أكثرها ضلالًا، الجزّار قُدارٌ عاقر الناقة. ١٢ رسول الله هو صالحٌ. وناقةَ الله أي: اتركوا الناقة التي جعلها الله آية، ولا تتعرضوا لها بمنع أو أذى. وسقياها: مع شِربها ونصيبها من بئرها في يومها الخاصّ. ١٣ كذبوه: لم يصدقوا تهديده. وعقروها: قتلوها لينفردوا بالماء. ودمدم: أنزل عذاب الاستئصال وأطبقه. والربّ: الخالق المالك المتفرد. وبذنبهم: بسبب معصيتهم. وسواها: هدّم ما في أرضهم وجعله فوقهم كالقبور. ١٤ لا يخاف عقباها: لا يخشى نتيجتها. ١٥



المعنى العام: أن الله أقسم ببعض عجائب مخلوقاته: ضوء الشمس الساطع، وتمام القمر بدرًا، وإبراز النهار للشمس، وإخفاء الليل ضوء الشمس، والسماء وبنائها، والأرض وتسويتها فلم تكن محدّبة مقعرة ولا رجراجة مهلهلة يتعذر العيش فيها، والإنسان وتسوية خلقته وإرشاده إلى الخير والشر، أقسم بهذا على فوز من أصلح نفسه بالطاعة وخسران من أفسدها بالمعصية.

وهؤلاء قوم النبي صالح كذّبوه بطغيانهم، حين هبّ قُدارٌ بتحريضهم ونحرَ الناقة التي كانت معجزة صالح، اختارها من النوق ليتركوها تشرب في يوم من بئر لها، ويشربون يومًا من بئر لهم. لقد أنكروا ما هددهم به من العذاب وظلموا أنفسهم فزلزل الله بهم الأرض وطمرهم بالدمار، دون اهتمام بما يعقب ذلك.

٩٢ـ سورة الليل

تفسير المفردات: إذا يغشى: حين يغطّي ما يكون فيه. ١ تجلى: تكشّف ساطعًا. ٢ ما خلق: الخلق والإيجاد من العدم. والذكر: المذكّر من المخلوقات. والأنثى: المؤنثة منها. ٣ السعي: العمل. والشتى: المفترّق المختلف، جمع شَتيت. ٤ أعطى: أنفق وبذل بحقّ من كل خير. واتقى: تجنب المعاصي ولزم الطاعة. ٥ صدّق: أيقن. والحسنى: عبارة التوحيد تفوق كل حسن. ٦ سنيسّره: لا بدّ أن نهيئه بما يناسب اختياره واستعداده. واليُسرى: أيسر المساعي تؤدّي إلى الجنة. ٧ بخل: امتنع عن تأدية ما يلزم. واستغنى: ترفّع عن طلب الثواب. ٨ كذّب: أنكر. ٩ العُسرى: المتعسّرة جدًّا تفوق كل عسير وتؤدي إلى جهنم. ١٠ ما يغني: لا يدفع. والمال: ما يُملك من نقد ومتاع وزينة. وإذا تردّى: حين يسقط في الجحيم. ١١ علينا أي: موكول إلينا بمقتضى الرحمة. والهدى: البيان بالوحي والأدلة طريقَي الحق والضلال. ١٢ لنا أي: بقبضتنا خلقًا وملكًا. والآخرة: يوم القيامة. والأُولى: الحياة الدنيا. ١٣ أنذرتكم: خوّفت العاصين منكم، أيها الناس. والنار: نار جهنم. وتلظّى: تتلظّى أي: تتوقّد. حذفت التاء الثانية للتخفيف. ١٤

المعنى العام: أقسم الله ببعض عجائب مخلوقاته: إظلام الليل، وسطوع النهار، وخلق الزوجين من الكائنات، أقسم بذلك على أن الفرق كبير بين الطاعة والعصيان. فالمنفق من ماله وصحته وعلمه وكل ما عنده من خير متقيًا وموحّدًا يتيسر له أفضل ثواب وهو الجنة، والبخيل متكبرًا كافرًا يتيسر له أشنع العقاب وهو جهنم، ولن يفيده ملكه هناك. ثم إنه ـ سبحانه وتعالى ـ يوضّح سبيل الحق وسبيل الباطل، ويملك أمور الدنيا والآخرة. فلْيتجنبِ الناس بالطاعة نار جهنم المتوقدة...

تفسير المفردات: يصلاها: يدخل جهنم ويتحرّق فيها أبدًا. والأشقى: أتعس الناس بكفره. ١٥ كذّب: أنكر التوحيد والبعث. وتولى: أعرض عن الإيمان. ١٦ سيجنّبها: لا بدّ أن يُبعَد عنها. والأتقى: الملازم للطاعة والإيمان. ١٧ يؤتي: ينفق. والمال: ما يملك من النقد والمتاع والزينة. ويتزكى: يطلب الصلاح والرضا. ١٨ ما لأحد: ليس لأحد. وعنده أي: عند المتزكّي. ومن نعمةٍ أي: حسنةٌ. وتجزى: تكافأ. ١٩ إلّا: لكن. والابتغاء: الطلب. ووجه الله: صفة من صفاته كما يليق بجلاله، أي: طاعة واحتسابًا. والأعلى: المترفّع عن الخلق وصفاتهم. ٢٠ سوف يرضى: لا بدّ أن يقبل ويسعد بالنعيم. ٢١

المعنى العام: متابعة ما مضى بأنّ جهنم يخلد فيها الكافر المكذِّب المُعرِض عن الإيمان، وينجو منها المؤمن التقيّ المتصدق لوجه الله ـ عز وجل ـ لا ردَّ جميل لأحد، بل إيمانًا واحتسابًا. وليكوننّ له الرضا بنعيم الجنة.

٩٣ـ سورة الضحى

تفسير المفردات: الضحى: وقت سطوع الشمس. ١ الليل: ما بين الغروب والفجر. وإذا سجا: حين يسكن ويهدأ ما فيه. ٢ ما ودّعك: ما أهملك. والربّ: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. وما قلى: ما أبغضك. ٣ الآخرة: نعيم يوم القيامة. وخير: أكثر فضلًا وكرامة. والأُولى: الحياة الدنيا. ٤ سوف يعطيك: لا بدّ أن ييسر لك في الدنيا والآخرة. وترضى: تقبل وتسعد. ٥ ألم يجدك: لقد وجدك. واليتيم: الطفل مات أبوه. وآوى: ضمّك إلى عمك يرعاك. ٦ ضالًّا: غافلًا عن العقيدة والشريعة. وهدى: أرشدك بالوحي والإلهام. ٧ العائل: الفقير. وأغنى: هيأ لك ما يكفيك. ٨ لا تقهر: لا تظلم ولا تحتقر. ٩ السائل: طالب العون. ولا تنهر: لا توبّخ. ١٠ النعمة: الإنعام بالنبوة وغيرها. وحدّث أي: ذكّر نفسك وأعلِم الآخرين. ١١



المعنى العام: تأخر الوحي أيامًا فقالت أمّ قبيح زوجة أبي لهبٍ ساخرة من النبي ﷺ: « أبطأ عليه شيطانه »، فنزلت هذه السورة بشارة وتأنيسًا. وقد أقسم الله بسطوع النهار وسكون الليل على أنه يرعى النبي الكريم ويحبه، وسيكون له في الآخرة ما هو أكثر إسعادًا مما في الدنيا ، ويعطيه فيها ما يرضيه ويطمئنه. وهذه نعمه في الدنيا غامرة، يسّر له عمّه أبا طالب ليرعاه في يتمه، وأكرمه بالنبوّة وما كان غافلًا عنه، وبالكفاية بعد فقده إياها. فليلزم إكرام اليتيم، واللطف بطالب العون والهداية، وتذكير نفسه بنعم الله وإظهارها بتبليغ الناس والبذل للجميع والحمد والشكر له.

٩٤ـ سورة الشرح

تفسير المفردات: ألم نشرح: لقد وسّعنا للسرور بتقبل الرسالة والدعوة. والصدر: ما بين البطن والعنق، يراد به القلب. ١ وَضعنا: أزلنا وعفونا. والوزر: الحِمل الثقيل من ترك الأفضل. ٢ أنقض ظهرك: أهمّك وأثقل ظهرك. ٣ رفعنا: عظّمنا بين الخلق. والذكر: ترداد الاسم مع التمجيد والدعاء بالخير. ٤ العسر: الشِّدّة. واليسر: السهولة. ٥و٦ فرغت: انتهت أعمالك اليوميّة. وانصب: اتعب في الدعاء والتسبيح والتمجيد. ٧ إلى ربك ارغب: دم على جعل رغبتك فيما عنده وسؤالك له وحده. ٨

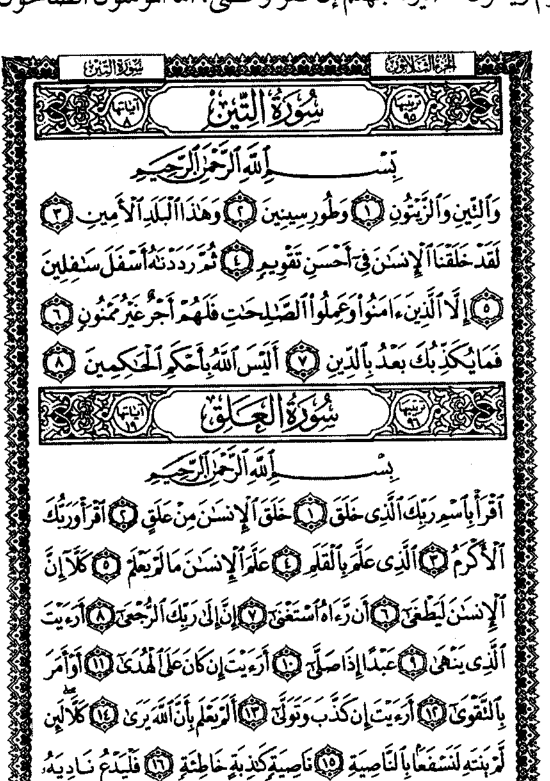
المعنى العام: لقد شرح الله صدر النبي ﷺ بالرسالة والدعوة، وغفر له ما كان من همّ التقصير قبلُ، وأعلى مكانته بالتعظيم والدعاء له. فكل شِدّة في الحياة يجاريها ويمضي بجانبها يسر في الزمان دائمًا لإزالتها، وغالبًا ما تنفرج الشدائد مفاجئة، بل كثيرًا ما يتحقّق أن العسر هو يسر بالنسبة إلى ما كان متوقّعًا. وهذا لا يمنع أن مع اليسر عسرًا أيضًا، أو يكون ما يُظن يسرًا هو بلاء.

فعلى النبي الكريم عند التفرغ من الواجبات أن يجهد نفسه في طلب الخير من الله، مع الدعاء والتسبيح والحمد والتذلل والابتهال.

٩٥ـ سورة التين

تفسير المفردات: التين: الثمر المعروف فاكهة وغذاء ودواء. والزيتون: الثمر فيه الزيت غذاء وشفاء. الطور: الجبل الذي كانت فيه مناجاة الله لموسى. وسينين: مِنطقة سَيناء جنوبيّ فلسطين. ٢ البلد: مكة المكرمة. والأمين: الذي يطمئن من فيه. ٣ خلقنا: أوجدنا من العدم. والإنسان: جنس البشر. وأحسن تقويم أي: أفضل ما يمكن من التكوين والقدرات بالعقل والإرادة والاختيار والنُّطق. ٤ رددناه: جعلنا بعض أفراده بكبَر العمر. وأسفل: أضعف في الهيئة والقدرات والعمل. والسافلون: الضعفاء القاصرون والمعذَّبون. ٥ وإلّا: لكن. وآمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا. والصالحات: ما حسّنه الشرع. والأجر: المكافأة. والممنون: المقطوع. ٦ ما يكذبك: أيُّ شيء جعلك تنكر، أيها الكافر. وبعدُ: بعدَ ما تبيّن من القدرة الإلهية. والدين: الجزاء الحاصل بعد البعث. ٧ أليس الله: إنه حقًّا. والأحكم: الأعدل والأتقن. والحاكمون: القضاة بين الخلق. ٨

المعنى العام: أقسم الله ببعض عجائب خلقه: الثمار النافعة، وجبل المناجاة الإلهية، ومكة المكرمة الآمنة، أقسم بهذا على أنه جعل تكوين الإنسان في أبدع ما يمكن ويناسب وظائفه في الحياة، ثم يُفقده كثيرًا من ذلك في الشيخوخة والهرم ويكون مصيره جهنم إن كفر وعصى. أما المؤمنون الصالحون فلهم ثواب حينذاك كالذي كان في الشباب مع ثواب عظيم في الجنة. فلا داعي لتكذيبك البعث والحساب ـ أيها الكافر ـ بعد ما عرفت من القدرة الربانية، وما يترتب على عدله المطلق من مجازاة كلٍّ بما فعل.



٩٦ـ سورة العلق

تفسير المفردات: اقرأ: قم بقراءة ما يوحى إليك ـ أيها النبي ـ حافظًا عن ظهر قلب. وباسم ربك أي: مبتدئًا بالبسملة. والربّ: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح مُلكه. وخلق: أوجد المخلوقات من العدم. ١ الإنسان: بنو آدم. والعلق: قطعة من الدم صغيرة جدًّا تعلق بالرحِم. ٢ الأكرم: الأبلغ في كل خير وكمال. ٣ علّم: خلق ملكة التعلم والاكتساب للخبرات. والقلم: ما يُكتب به. ٤ الإنسان: آدم ومن جاء بعده من البشر. ولم يعلم: لم يكن يعرفه حين الولادة. ٥ كلّا: ألا، للتنبيه والتحقيق. ويطغى: يتجاوز الحق. ٦ أن رآه: لأنه وجد نفسه. واستغنى: زهد في الإيمان لغناه وسيادته. ٧ إلى ربك: إلى وعيده بالحساب. والرجعى: الرجوع العظيم بالبعث. ٨ أرأيت: تفكر في الأمر العجيب ثم أجب، أيها المخاطَب. وينهى: يمنع، أي: أبو جهل. ٩ العبد: المخلوق ملكًا وتعبدًا، أي: محمد ﷺ. وإذا صلَّى، حين يصلّي. ١٠ كان أي: المنهيّ. والهدى: الرشد إلى الحق. ١١ أمر: نصح. والتقوى: تجنّبُ غضب الله وطلبُ رضاه. ١٢ كذّب: أنكر الدعوةَ مَن ينهى النبي عن العبادة. وتولّى: امتنع عن الإيمان. ١٣ ألم يعلم: إنه يدرك يقينًا. ويرى: يعلم ما يحصل منه. ١٤ كلّا: لتوبيخ الكافر وزجره عمّا يفعل. ولئن: أُقسِمُ إن. ولم ينته: لم يترك إجرامه. ونسفعن: نأمرنْ من يجرّ إلى النار يوم القيامة. والناصية: شَعر مقدم الرأس. ١٥ الخاطئة: التي تتعمد الإجرام. ١٦ ليدعُ: ليستغثْ وليستعنْ. وناديه أي: أهل مجلسه. ١٧ سندع: سندعو أي: سنجمع. حذفت الواو رسمًا لحذفها لفظًا بالتقاء الساكنين. والزبانية: ملائكة العذاب، مفرده زِبنِية. ١٨ لا تطعه: دم على مخالفته، أيها النبيّ. واسجد: داوم على الصلاة. واقترب: استمر في الطاعة لله. ١٩

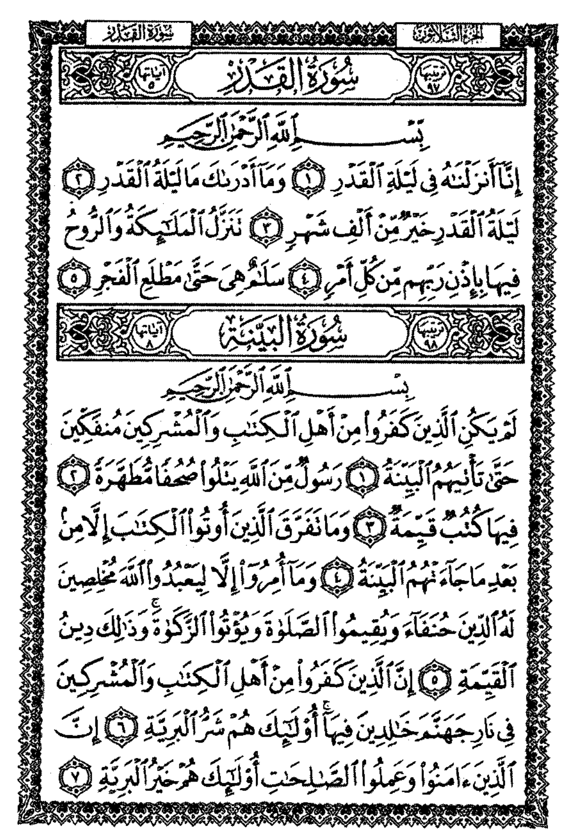
المعنى العام: أمرَ الله النبيَّ ﷺ بترديد قراءة ما يبلّغه جبريل في غار حِراء، مع البسملة بذكر الخالق للإنسان من علق. فهو الأعظم في جوده على الخلق، منح الإنسان قدرة التعلم لما يجهل فعلًا. لكن الكافر المتجبر ينسى ذلك، فيتكبر عن الإيمان لما يرى في نفسه من الغنى والوجاهة. فلْيعلم أن مصيره للحساب والعقاب.

وعندما منع أبو جهل النبيَّ ﷺ من الصلاة في الكعبة انتهره النبي الكريم فهدّد أبو جهل بما في ناديه من الفرسان، ونزلت الآيات ردًّا عليه وتعجيبًا من حاله، بأنه يمنع الهداية والتقوى والعبادة لله، وينكر الدعوة ويمتنع عن الإيمان، وهو يعلم رقابة الله له. فإن لم يترك طغيانه جرّته الزبانية من شعره إلى جهنم، ثم ليستعن بفرسانه على الزبانية إن استطاع، وليستمرَّ النبي ﷺ في مخاصمته له مع متابعة العبادة والتقرب إلى الله.

٩٧ـ سورة القَدْر

تفسير المفردات: أنزلناه: أمرنا جبريل بإنزال القرآن الكريم كله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. وليلة القدر: في العشر الأواخر من رمضان. والقدر: العظَمة والشرف والفضل. ١ ما أدراك: أيُّ شيء أعلمك ؟ وما ليلة القدر: حقيقة منزلتها. ٢ خير: أكثر بركة. والشهر: مدة دوران القمر حول الأرض مرة واحدة ٣. تنزّل: تتنزّل أي: تهبط أفواجًا. حذفت التاء الثانية للتخفيف. والملائكة: جمع ملَك، مخلوقات نورانيّة مطهّرة. والروح: جبريل سيّد الملائكة. والإذن: الإرادة والأمر. والرب: الخالق المالك المتفرّد يرعى مصالح ملكه. ومن: لأجل قضاء. والأمر: الشيء المقدّر. ٤ السلام: سلامة المخلوقات بدعاء الملائكة من الشر. وهي أي: ليلة القدر. وحتى مطلع: إلى وقت ظهور. والفجر: ضوء الصباح بحمرة الشمس في سواد الليل. ٥

المعنى العام: أن الله أنزل القرآن الكريم إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ليُنزل بعدُ منه ما يكون في الظروف المتعددة، وأن منزلة هذه الليلة عظيمة جدًّا، تفوق الكثير من الشهور، لأنها تؤمر فيها الملائكة مع سيّدهم جبريل بالنزول من السماء، لشهود مواسم الخير بين المسلمين والقيام بما يكلَّفون به من عميم الفضل والبركة، كتبليغ الرسالة والأوامر والأحكام، والقيام بالدعاء للمؤمنين. فهي ليلة عامرة كلها بالأمان والاطمئنان.



٩٨ـ سورة البيّنة

تفسير المفردات: كفروا: تركوا التوحيد. وأهل الكتاب: بنو إسرائيل من اليهود والنصارى. والكتاب: التوراة والإنجيل. والمشركون: من يجعلون مع الله شريكًا. ومنفكّين أي: متفكّكين بخصومات عنيفة. وتأتيهم: تصل إليهم. والبيّنة: الحُجّة الواضحة. ١ الرسول: محمد ﷺ يكلّف بالدعوة إلى العقيدة والشريعة مع كتاب منزل. ومن الله: بأمر من عند الله. ويتلو: يرتل عن ظهر قلب. والصحف: جمع صحيفة مما في القرآن الكريم. ومطهّرة: بعيدة عن كل باطل. ٢ الكتب: جمع كتاب، ما يسجّل من العقيدة والشريعة. والقيّمة: العظيمة المنزلة والاستقامة فيما تتضمّن. ٣ ما تفرّق: ما اختلف بهذا الشكل العنيف. وأُوتوا: أُنزل على أجدادهم. وجاءتهم: وصلت إليهم. ٤ ما أُمروا: ما فُرض عليهم. وليعبدوا: أن يقدسوا ويوحدوا. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجود المستحق للألُوهية والتوحيد ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. ومخلصين أي: مجرّدين بإخلاص وإحسان. والدِّين: العقيدة والعبادة. وحنفاء: جمع حنيف، متوجهين إلى التوحيد. ويقيموا الصلاة: يؤدّوا بإتقانٍ العبادة المكتوبة خمس مرات في اليوم. ويؤتوا الزكاة: يسلّموها مستحقيها. والزكاة: ما يجب بذله من المال لتنميته وتطهيره وتطهير صاحبه. وذلك أي: ما ذكر من العبادات. والقيّمة: المستقيمة جاء بها القرآن الكريم. ٥ جهنم: دار العذاب للكافرين. وخالدين: مقيمين أبدًا. وشرّ أي: أكثر فسادًا. والبريّة: المخلوقات العاقلة. ٦ آمنوا: صدّقوا الله ورسوله. وعملوا: اكتسبوا بالنية والقول والفعل. والصالحات: ما حسّنه الشرع. وخير أي: أكثر نفعًا وانتفاعًا. ٧

المعنى العام: أن أعداء الإسلام من مشركين وكافرين كانوا ينتظرون قدومه ليتابعوه، ولكنهم اضطربوا في مواجهته وخصومته، مع أنه أتاهم بالدين القويم في الهداية والعمل، فكان سببًا لاختلافهم فيه وفيما بينهم أيضًا، وهم مأمورون جميعًا في دينهم بالتوحيد والعبادات المشروعة، والإسلامُ كذلك في أحسن ما يكون. فلماذا يخاصمونه ويتنازعون فيه ؟

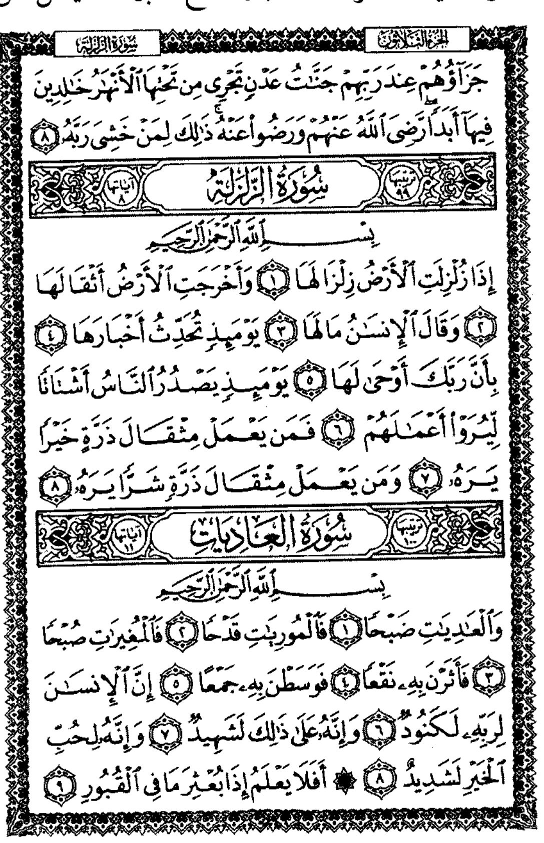
الحق أن الكافرين بالإسلام من النصارى واليهود والمشركين هم أفسد الخلق في ذلك الزمان، ويسعون بكفرهم وشرورهم للخلود في جهنم، والمؤمنين هم بعقيدتهم وصلاحهم أفضل الخلق...

تفسير المفردات: الجزاء: المكافأة. وعند ربهم: في حكمه وقضائه. والجنّة: البستان العظيم بالنعيم الأبدي. وتجري: تسيل وتتدفّق. وتحتها: تحت قصورها وأشجارها. والأنهار: جمع نهر من الماء واللبن والعسل والخمر. وخالدين أي: مقيمين مدة طويلة. والأبد: امتداد الزمن. ورضي عنهم: قبِلَ أعمالهم وأكرمهم بفضله ورحمته. ورضوا عنه: فرحوا واطمأنوا وسَعدوا بما تفضل عليهم وأكرمهم. وذلك: ما ذكر من النعيم والرضوان. وخشي: خاف وأطاع. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. ٨

المعنى العام: متابعة ما للمؤمنين الصالحين في الآخرة بأن ثوابهم عند الله هو الخلود في نعيم الجنة، لأنه قد رضي عن إيمانهم وعبادتهم وأكرم وفادتهم فاطمأنُّوا ورضوا برحمته وفضله، وما يكون ذلك إلّا لمن أطاع الله بإحسان.

٩٩ـ سورة الزلزلة

تفسير المفردات: زُلزلت: هزّت بحركة عنيفة تدمّر وتفجّر لقيام الساعة. والأرض: موطن الحياة الدنيا. ١ أخرجت: قَذفتْ ما تحمله في بطنها. والأثقال: جمع ثِقل، ما هو مطمور من الموتى والخفايا. ٢ الإنسان: الآدمي الكافر بالبعث. وما لها: أيُّ شيء حاصلٌ للدنيا ؟ ٣ يومئذ: حين الزلزلة. وتحدّث: تنشر الأرض وتبيّن ما جرى فيها من الخير والشر. والأخبار: جمع خبر، ما يُنقل من الحوادث. ٤ بأن ربك: لأن الله الراعي لمصالح الخلق. وأوحى لها: أمرها أن تحدّث أخبارها. ٥ يصدر الناس: ينصرف البشر من موقف الحساب. والأشتات: المتفرقون بحسب جزائهم، جمع شَتيت. ويُروا: يبصّروا عِيانًا. والأعمال: جمع عمل. وهو ما يُكتسب من نية أو قول أو فعل. ٦ يعمل: يكتسب في الدنيا. والمثقال: الوزن والمقدار. والذرّة: أصغر كائن في الوجود. والخير: ما حسّنه الشرع. ويراه: ينال جزاءه. ٧ الشر: ما حرّمه الشرع. ٨


جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

المعنى العام: عندما تُدكّ الأرض و تزلزل كما وعد الله، وتلقي ما اندفن في بطنها من بشر وخفايا، ويُدهش الكافر ويتساءل بجهله: لماذا حصل كل هذا ؟ هنالك يظهر ما كان قد جرى في الدنيا من الأعمال، لأن الله أمر بكشفه وبيانه، ويتوزع الناس بحسب توجّهاتهم.

ولما صار بعض المؤمنين يستقلّ الحسنة اليسيرة ويهملها، وبعض يتهاون بالذنب اليسير ويفعله، ظنًّا أن الأجر على الأمور الكبيرة فقط، نزلت الآيتان ٧ و٨ بأن الحساب سيكون على ما دقّ أو عظم من العمل، فالخير بالنعيم والشر بالجحيم. أما حسنات الذين ماتوا على الكفر فلا تقبل لأنهم تلقّوا جزاءها في الدنيا.

ثلاثة أرباع الحزب ٦٠

١٠٠ـ سورة العاديات

تفسير المفردات: العاديات: الخيل تعدو للجهاد، جمع عادية. والضبح: صوت الأنفاس. ١ الموريات: التي تقدح بالشرر. والقدح: إظهار الشرر لاصطدام الحوافر بالحجارة. ٢ المغيرات: المندفعات على العدوّ. والصبح: وقت انكشاف ضوء النهار. ٣ أثرن به: هيّجن في ذلك الوقت. والنقع: الغبار الهائج. ٤ وسَطن به: صرن مع الغبار في الوسط. والجمع: جماعة العدوّ. ٥ الإنسان: جنس البشر، على التغليب. ولربه: لنعم ربه. والكنود: الكثير الجحود والإنكار. ٦ ذلك أي: الجُحود. والشهيد: الشاهد بما يقترف ويجرم. ٧ الحب: الرغبة والتفضيل. والخير: المال. والشديد: القوي العنيف. ٨ ألا يعلم أي: على الإنسان المذكور أن يدرك يقينًا. وإذا بعثر: حين ينبش. والقبور: جمع قبر، موضع الميت حيث كان في بر أو بحر أو فضاء. ٩

المعنى العام: أقسم الله ببعض عجائب خلقه: الخيل تجري للجهاد مُجهَدة الأنفاس، توري بحوافرها شررًا من الصخر، وتندفع صباحًا على المعتدين، وتثير العجاج فيما بينهم، أقسم بذلك على أن البشر كثيرًا ما يجحدون نعم الله، وهم يشهدون بكفرهم وجرائمهم على جحودهم ويفاخرون، ويتعشقون المال فينسون الحقوق والواجبات في جمعه. فليعلموا علم اليقين ما يكون حين تنبش قبورهم للبعث...

تفسير المفردات: حُصِّل: استُخرج وأُظهر. والصدور: جمع صدر، يراد به القلب لِما فيه من آثار التدبّر والنيات. ١٠ الربّ: الخالق المالك المتفرّد. ويومئذ: يومَ البعثرة لما في القبور والتحصيل لأعمال البشر. وبهم خبير: عالم بالظاهر والخفي من أعمالهم. ١١

المعنى العام: متابعة ما يكون حين البعث بأن ما في الصدور من بواعث القول والعمل يُنشَر ويُكشف، والله يعلم من ذلك بخبرة واستيفاء جميع النيات والأعمال المتطلبة للجزاء.

١٠١ ـ سورة القارعة

تفسير المفردات: القارعة: القيامة تصدم بأهوالها الآذان والقلوب. ١ ما القارعة: أيّ شيء عظيم هي ؟ ٢ ما أدراك: إنك لا تعلم يقينًا، أيها الإنسان. ٣ اليوم: الوقت. ويكون: يصير. والناس: البشر وقد بُعثوا بالقهر ليلقوا حسابهم. والفراش: واحدته فراشة، الحشرات الطيارة الصغيرة تتهافت على النار. والمبثوث: المنتشر بتراكب واضطراب. ٤ الجبال: جمع جبل، ما علا وغلظ من الأرض. والعهن: الصوف الملوّن. والمنفوش: المندوف المتطاير. ٥ ثقلت: كثرت في ميزان الأعمال فكانت عظيمة القدر. والموازين: جمع مَوزون، العمل الذي له قيمة عند الله من نية وقول وفعل. ٦ العيشة: الحياة يوم القيامة بالروح والجسد. وراضية أي: مَرْضيّة يحبّها صاحبها. ٧ خفّت: قلّت وضعف قدرها في الميزان. ٨ أُمّه: مسكنه الذي يلجأ إليه. وهاوية: منزلة من منازل جهنم. ٩ ما هيه: أيُّ شيء هائل الهاوية ؟ ١٠ النار: نار جهنم. والحامية: الشديدة الحرارة. ١١



المعنى العام: أن فظاعة البعث تهزّ النفوس وتزلزلها بالعنف، ولا يعلم الإنسان هولها على سبيل التفصيل، وإنما يعلم بعض ذلك بالوحي.إذ ذاك ينتشر المبعوثون ويتدافعون كالفراش حول اللهب، وتنثر الجبال في الفراغ كالصوف الملوّن المندوف. فالمؤمن الصالح كثيرة حسناته تهيئ له حياة في نعيم الجنة، تُسعده ولا يَملّ منها، والكافر نادرة حسناته وكثيرة سيئاته يدخل جهنم، وما أفظعها من نار !

١٠٢ ـ سورة التكاثر

تفسير المفردات: ألهاكم: شغلكم عن الإيمان والطاعة، أيها المشركون. والتكاثر: التفاخر والتعاظم بالغنى والعدد والجاه. ١ زرتم المقابر: انتقلتم إليها للمفاخرة بالموتى. والمقابر: جمع مَقبَرة، مدافن الأموات. ٢ كلّا: للتوبيخ أي: ليس الفضل كما تتوهمون. وسوف تعلمون: لا بدّ أن تعرفوا. ٣ ثم كلّا سوف تعلمون: للمبالغة في توكيد ما قبله.٤ لو تعلمون أي: لو تيسر لكم معرفة عاقبة التفاخر لتركتموه. واليقين: الإدراك الذي لا شك فيه. ٥ لتَرَوُنّ أي: بي أُقسِمُ لتُبصِرُنّ عِيانًا. والجحيم: نار جهنم. ٦ عين اليقين: نفسه أي: أرفع مراتب العلم. ٧ تُسألُنّ عن النعيم: سوف تطالبون بحق ما تمتّعتم به في الدنيا. ويومئذ: يوم العقاب. والنعيم: أنواع اللذائذ والشهوات. ٨

المعنى العام: اختصم بنو عبد مناف وبنو سهم في مكة وتفاخر كل منهم بالسيادة والغنى وكثرة العدد، فتغلّبَ بنو عبد مناف، ثم ذهبوا إلى المقابر، يعدّون الموتى من أشرافهم فتغلّبَ بنو سهم، فنزلت السورة توبّخهم، لأنهم انصرفوا إلى الباطل ، ولو علموا حقيقة الأمر لتركوا الأوهام ولزموا الإيمان والطاعة والعمل الطيّب.

ولسوف يدركون انحطاط جهلهم ويعلمون الحقيقة بتأكيد جازم حين يرون جهنم رؤيةً عينَ اليقين، أي: اليقينَ عينَه ـ وفي هذا التقديم مبالغة في التحقيق، إذ الرؤية التي هي سبب لليقين صارت نفس اليقين ـ ويحاسَبون بتقصيرهم في حقوق ألوان النعم التي أحاطتهم في الدنيا وتمتعوا بها، ويحاسبون على ما يجب عن ذلك من إيمان وطاعة وحمد.

١٠٣ـ سورة العصر

تفسير المفردات: العصر: الدهر كله. ١ الإنسان: كل إنسان. والخسر: الهلاك وتضييع ما يُملَك. ٢ آمَنوا: عرفت قلوبهم التوحيد وما يلزمه. وعملوا: اكتسبوا وتحمّلوا في الدنيا. والصالحات: ما حسّنه الشرع من نيّة أو قول أو فعل. وتواصوا: أوصى بعضهم بعضًا و قدم إليه ما يلزم العمل به عظة أو نصحًا. والحق: الأمر الثابت خيرُه، لا زوال لمحاسنه في الدنيا والآخرة. والصبر: تحمّل أمر الله بالرضا ظاهرًا وباطنًا. في العبادة والبلاء والمحن ٣

المعنى العام:أقسم الله بالدهر أن الناس سيخسرون حياتهم وما هم فيه من النعم، لِما يكون يوم القيامة لهم عن مساعي الدنيا، إذ أكثرهم مقصّرون وجميع الكافرين جاحدون. ويستثنى من ذلك المؤمنون الطائعون في الأمر والنهي للتمسك بالحق، والمتعاونون على التقوى وتحمل الشدائد.

١٠٤ـ سورة الهُمَزة



سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ
عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

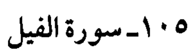
سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

تفسير المفردات: الويل: دعاء بأشد العذاب. والهُمَزة: الإنسان الكثير العيب للآخرين. واللُّمَزة: الكثير الغِيبةِ أي: ذكرِ الغير بما يكره، وإن لم يكن عيبًا. ١ جمع: حصّل وكنز. والمال: ما يُملك من النقد والمتاع والزينة. وعدّده: أحصاه بعناية وكنزه لمصالحه الخاصة. ٢ يحسب: يظنّ. وأخلده: سيخلّده فيبقى أبدًا. ٣ كلّا: للتوبيخ، ليس الأمر كما يظن. ولينبذنّ أي: بي أُقسِمُ ليلقيَنَّ بعنف. والحطمة: اسم لنار جهنم تحطِم ما تلقاه. ٤ ما أدراك: إنك لا تعلم يقينًا، أيها الإنسان. وما الحطمة: أيّ شيء عظيم هي ؟ ٥ النار: نار جهنم . والموقدة: المهيَّجة بالوقود من الناس والحجارة. ٦ تطّلع: تُشرِف وتشتمل. والأفئدة: جمع فؤاد. وهو القلب. ٧ عليهم: على من فيها من الكافرين. والمؤصدة: المغلقة بإحكام. ٨ في عمد أي: محصورة بها. والعمد: جمع عِماد، ما تُسدّ به الأبواب. والممدّدة: المطوّلة المتواصلة. ٩

المعنى العام: أنه سينال العيّابون المغتابون لغيرهم أشد العذاب يوم القيامة، وقد جمعوا المال واكتنزوه لأنفسهم ظانين أنه سيخلّدهم بما هم فيه من الشهوات. فليتركوا ما هم فيه من الباطل، وليتّعظوا ويطيعوا الله، لأنهم سيُقذفون في جهنم العظيمة الأهوال، بنيرانها التي تخترق الأجسام وتحرّق القلوب، ويحصرها لهم كالسجن مطبقًا ومدعمًا بالعمدة من حوله.



١٠٥ـ سورة الفيل

تفسير المفردات: ألم تر: لقد علمتَ وعجبتَ، أيها النبيّ. وكيف فعل: كيفية الإهلاك. والربّ: الخالق المالك المتفرّد. والأصحاب: المصاحبون الملازمون، جمع صاحب. والفيل: حيوان معروف بخرطومه وضخامته، وهو فيل واحد يركبه أبرهة ملك اليمن حينذاك. ١ ألم يجعل: لقد جعل. والكيد: السعي لهدم الكعبة. والتضليل: الخسارة والهلاك. ٢ أرسل: بعث. والطير: واحده طائر، ما يحلق في الهواء بجناحيه. والأبابيل: جمع إبّيل، المجموعة المتلاحقة. ٣ ترميهم : تقذفهم وتُسقط عليهم. والحجارة: جمع حجر. والسجيل: الطين المحرّق ليتصلّب. ٤ جعلهم: صيّرهم. والعصف: الزرع المتفتّت، واحدته عَصفة. والمأكول: الذي أكلته الدوابّ وأفتته. ٥

المعنى العام: أن القضاء على أصحاب الفيل معروف وعجيب، لِما فيه من أحداث خفية الأسباب، معجزة للعقول. فقد جاء أبرهة الحبشيّ النصرانيّ ملك اليمن بجنوده، يريدون هدم الكعبة انتقامًا لإهانة كنيستهم، فردّ الله كيدهم بالدمار، إذ أطلق عليهم جماعات من الطير، تقذفهم بالحجارة المشوية، حتى سحقتهم كما تسحق الدوابُّ ما تدوس عليه وتأكله.

١٠٦ـ سورة قريش

تفسير المفردات: الإيلاف: التعويد بما يصبح عادة مألوفة. وقريش: قوم يعيشون في مكة أبوهم النضر بن كنانة. ١ الرحلة: السفر للتجارة بما يباع ويشترى. والشتاء: ما بين الخريف والربيع من أيام السنة. والصيف: بين الربيع والخريف. ٢ يعبدوا: يقدسوا ويطيعوا موحدين. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه. والبيت: الكعبة المشرّفة. ٣ وأطعمهم: يسّر لهم أنواع الأطعمة من محصول مختلِف البلاد ومنَحهم الخيرات بعد القحط. ومن جوع: لإزالة الحاجة إلى الطعام والشراب. وآمنهم: جعلهم مطمئنين سالمين في بلدهم. ومن خوف: من خشية الخطر كالغزو والكوارث. ٤

المعنى العام: على أبناء قريش أن يوحدوا الله مالك البيت الحرام، لِما هيّأ لهم من تجارة أسفار الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشتاء، ويسّر لهم أنواع الطعام والشراب من مختلِفِ البلاد لدفع الجوع، وأنواعَ الحماية في مكة من مصائب غيرهم بالغزو والنكبات.

١٠٧ـ سورة الماعون


الجزء الثلاثون — سورة قريش

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

لإيلاف قريش ١ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ٢ فليعبدوا رب هذا البيت ٣ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ٤

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

أرأيت الذي يكذب بالدين ١ فذلك الذي يدع اليتيم ٢ ولا يحض على طعام المسكين ٣ فويل للمصلين ٤ الذين هم عن صلاتهم ساهون ٥ الذين هم يراءون ٦ ويمنعون الماعون ٧

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر ١ فصل لربك وانحر ٢ إن شانئك هو الأبتر ٣

تفسير المفردات: أرأيت: لقد عرفتَ وعجبت لذلك، أيها المخاطَب. ويكذّب: ينكر ويجحد. والدين: الجزاء يوم القيامة. ١ ذلك أي: المكذّب. ويدعّ: يدفع بعنف لمنع ما يلزم من الرعاية. واليتيم: الطفل فَقَدَ أباه. ٢ لا يحض: لا يشجّع بل يمنع. والطعام: الإطعام. والمسكين: الفقير المحتاج. ٣ الويل: الدعاء بأشد العذاب. والمصلون: المكلَّفون بالصلاة. ٤ عن صلاتهم: عن أدائها. والساهون: الغافلون بقصد الإهمال. ٥ يراؤون: يُرُون غيرهم ما يرضيهم ليقابلوهم بالثناء. ٦ يمنعون: يبخلون. والماعون: ما يَنتفع به الناس من الحاجات المنزلية. ٧

المعنى العام: كان العاصِ بنُ وائل والوليد بن المغيرة من أسياد قريش وعلى شِدة في الكفر، والمنافقون في المدينة يراؤون المسلمين بصَلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعون عمل الخير، فنزلت الآيات الأولى في ذم السيّدين والأخيرة لذم المنافقين.

فأمرهم جميعًا مشهور يورث العجب بالكفر والبخل والنفاق ورفض الإيمان، ثم إن السيدين يمنعان اليتيم حقه والمحتاج ما ينقذه، والمنافقين يتهربون من العبادة ويمنعون الخير، مهما قل.

١٠٨ـ سورة الكوثر

تفسير المفردات: أعطيناك: قضينا لك ومنحناك، أيها النبيّ. والكوثر: نهر في الجنّة يكون للنبي ﷺ وأُمّته. وهو الحوض الكريم. ١ صلِّ: دم بإخلاص وإتقان على الصلاة المكتوبة كل يوم خمس مرات. وانحر: اذبح الإبل للفقراء أُضحية تقرّبًا إلى الله. ٢ الشانئ: المبغض ومبغض دعوتك. والأبتر: المنقطع عن كل خير.٣

المعنى العام: كان بعض المشركين والمنافقين واليهود يعيرون النبي ﷺ بوفاة أبنائه في مكة والمدينة، لكرههم دعوته وأهله وظنهم أن الدعوة تكون بالوراثة يتلقاها البنون عن الآباء، فنزلت السورة بأن الله عوّض عليه فقد الأبناء بحوض عظيم في الجنة.

فليدُم على العبادة وتقديم الأضاحي تقربًا إلى الله وشكرًا على فضله، وعونًا للمساكين وتشجيعًا للمسلمين على الخير، وهو في خلود دنيويّ وأُخرويّ عظيم، وأعداؤه هم المبعَدون عن الخير والفضل في الدنيا والآخرة.

١٠٩ـ سورة الكافرون

تفسير المفردات: قل أي: للذين كفروا جهارًا، أيها النبي. والكافرون: الذين كذّبوا وحدانية الله ودعوة رسوله وأنكروا البعث والرسالة. ١ لا أعبد: لا أُقدّسُ الآن ومن قبل ولا أُطيع. وما تعبدون: الذي تقدسون وتطيعون من دون الله. ٢ لا أنتم: لستم. وعابدون أي: الآن. وما أعبد أي: الذي أعبد. وهو الله تعالى. ٣ لا أنا عابد: لا أنا مقدّس ولا مطيع في المستقبل أيضًا. ٤ لا أنتم عابدون أي: لستم في المستقبل أيضًا. ٥ الدين: العقيدة والعبادة والشريعة. ودينِ: ديني. حذفت الياء للتخفيف. ٦

المعنى العام: طلب كفار قريش من النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ليعبدوا الله سنة، فقال لهم: «مَعاذَ الله أن أُشرِكَ بِهِ غَيرَهُ»! ونزلت هذه السورة ، تؤكد قوله وتأمره بمخاطبتهم جهارًا أنهم كافرون، ومحال من الطرفين أن يفعل الآن أو في المستقبل ما طلبوه، لأن التوحيد والشرك لا يجتمعان في الإسلام، فلكلٍّ دينه وحياته وحسابه. والأمر بـ «قل» يعني أن المأمور رسول مكلف، لا كما يزعم الكافرون، وتكراره قبل وبعدُ مرارًا يفيد المبالغة في توكيد ذلك.

١١٠ـ سورة النصر



تفسير المفردات: جاء: حصل وتحقق. والنصر: العون على الكفر للتغلب والسيادة. والفتح: فتح مكّة المكرّمة. ١ رأيت: أبصرت عِيانًا، أيها النبيّ. والناس: البشر من العرب. ويدخلون: يصيرون. ودين الله: الإسلام بما فيه من العقيدة والشريعة والعبادة والعمل. والأفواج: الوفود المتوالية، جمع فوج. ٢ سبح: أكثِر تنزيه الله عما لا يليق بجلاله. وبحمد ربك: مع الثناء على التفضل بالنعم. واستغفره: أكثِر طلب العفو منه عن تركك الأولى من العمل. وكان أي: ولا يزال دون قيد زماني. والتّواب: الكثير القبول للتوبة. ٣

المعنى العام: لقد جاء النصر الكامل على المشركين العرب، وتم فتح مكة المكرّمة بمسالمة قريش وإسلامهم، وجاؤوا جميعهم في وفود يبايعون على الإيمان والطاعة. فتهيأ لوداع الحياة ـ أيها النبيّ ـ مكثرًا من تنزيهِ الله عما يزعمه الكافرون والمشركون، ومن الحمدِ له على ما أنعم، وطلبِ المغفرة منه لأنه هو التوّاب على المذنبين المستغفرين. فقد أدّيت الأمانة وبلّغت الرسالة.



١١١ـ سورة المَسَد

تفسير المفردات: تبّت: خسرتْ وهلكتْ. والمراد باليدين صاحبهما بروحه وجسده. وأبو لهب: عمّ النبيِّ الكريمِ ﷺ، وهو عبد العُزّى بن عبد المطلب. وتبّ: خسر نفسَه وما يملك وما يؤمّل. ١ ما أغنى: لا يدفع الهلاكَ والعذابَ. والمال: ما يملك من النقد والمتاع والزينة. وكسب: حصّل وأنجب من الأولاد. ٢ سيصلى: لا بدّ أن يدخل ويقاسي بكامل شخصه. والنار: نار جهنم. وذات لهب: صاحبة تلهّب وتوقّد. ٣ امرأته هي أروَى بنتُ حربٍ أختُ أبي سفيان لقبها العوراء. وحمّالةَ أي: أَذُمُّ الكثيرةَ الحمل والنقل. والحطب: ما يبس من جذوع الشجر وأغصانه. ٤ الجيد: العُنق. والحبل: ما يُلفّ من الخيوط بعضه على بعض ليُربط به. والمسد: اللِّيف. ٥

المعنى العام: أُمر النبي ﷺ أن يبلغ الناس من حوله بالدعوة الإسلامية، فنادى أهلَ مكة ليجتمعوا إليه، ودعاهم إلى الإيمان بالتوحيد والبعث ، فأنكر عليه عمّه أبو لهب قائلًا: «تبًّا لك. ألهذا دعوتنا» ؟ ثم رماه بحجر، فنزلت الآية الأولى بخسران أبي لهب في الدنيا والآخرة، وخسرانه نفسَه بالانتقام الرباني. ولمّا بلغه ذلك ادّعى أنه سيفتدي نفسه بماله وأولاده، وكانت زوجته تضع الأشواك في طريق النبي ﷺ إيذاءً ـ وكانت تلقّب أُمّ جميل، ثم لُقِّبت أُمَّ قبيح ـ فنزلت بقية السورة بأن ما اعتمد عليه لن يفيده في شيء يوم القيامة، ونصيبَه فيها من نوع لقبه، لهب جهنم خالدًا فيه مع زوجته مذمومةً محتقرة مطوّقة بحبال في النار.

١١٢ـ سورة الإخلاص

تفسير المفردات: قل أي: للمشركين، أيها النبيّ. وهو: أي: ما سألتم عنه. والله: المعبود بحق وحده المتصف بالكمال المطلق، والواجب الوجودِ والمستحق للألوهية ولجميع المحامد بذاته وصفاته وأفعاله. وأحد: متفرد لا مثيل له بذاته وصفاته وأفعاله. ١ الصمد: المقصود في مطالب المخلوقات على الدوام. ٢ لم يلد: ليس له ولد ولن يكون أبدًا. ولم يولد: ليس له والد ولا والدة. ٣ لم يكن أي: ما كان ولن يكون أبدًا. والكُفُو: المُماثل أو المكافئ في الأُلوهيّة والتقديس. وأحد أي: ما هو موجود أو ممكنٌ وجوده أو متصوَّر. ٤

المعنى العام: سأل الكافرون النبي ﷺ أن يصف لهم ربّه ويبيّن نسبه، فنزلت السورة إنكارًا لأوهامهم، بأن الله ليس كما يتصورون، وهومتفرد في الأُلوهيّة لانتفاء أن يجانسه كائنٌ ما، وهو ملجأ المخلوقات كلها في مطالبها وحاجاتها وغنيّ عنها أيضًا، وليس مما يكون له والدان أو أولاد لوجوب وجوده والقِدمَ المطلق وسبق العدم، ولا يماثله شيء مما في الكون أبدًا.

١١٣ـ سورة الفَلَق

تفسير المفردات: قل أي: للاستعاذة من الشرور والأهوال، أيها النبيّ. وأعوذ: ألتجئ وأتحصّن. والرب: الخالق المالك المتفرد يرعى مصالح ملكه، فيجلب الخيرات، ويدفع الشرور، ويدبّر الجميع بالحكمة والاقتدار. والفلق: الصبح ينفلق عن النور. ١ من شر: للحماية من الأذى والإفساد. وخلق أي: أوجده وأنشأه. ٢ الغاسق: الليل ينصبّ بظلامه. ووقب: اشتدت ظلمته وما فيه من برودة. ٣ النفاثات: النفوس الخبيثة وما يشبهها، تثير الفتن والبلايا وتنفخ فيها لتضخمها وتعيش عليها. والعقد: جمع عُقدة، ما يعقد ويوثّق، ليبقى شديدًا خبيثًا يستعصي على الحل. ٤ الحاسد: من يتمنى زوال النعمة عن نفسه أو غيره. وإذا حسد: حين يحسد بالقول أو الفعل نميمة وغيبة وإفسادًا للسعي والأقوال. ٥

سُورَةُ الإِخۡلَاصِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ
وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي
ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

سُورَةُ النَّاسِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ
ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي
يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥
مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦

المعنى العام: توجيه النبي ﷺ للتعوّذ من المصائب ـ وأُمّته تقتدي به في ذلك ـ وأن يلتجئ إلى الله خالق الصبح المشرق، مستعيذًا من الشرور التي تسببها المخلوقات المؤذية، ومن الأهوال والفتن والاعتداءات الخفية تكثر في الليل وغياب القمر، ومن الكائنات الخبيثة كالنساء التي تثبّط همم الرجال عن الخير أو تفتنهم بإثارة الشهوات الباطلة أو تثير لقصور تفكيرها أسباب الخلاف والشقاق وكذلك كثيرٌ من الرجال ورُعاةُ الأمم وسماسرة الشعوب والقيم المسؤولون عن البلاد وأُمور العباد يعقّدونها بإيقاد الحروب والخلافات ويثيرون الفتن وينفخون فيها تعقّد منها، وأربابُ الشؤون العامة كالمهن والإدارات والأموال يصطادون منها في الماء العكر، فيهمّهم أن تبقى الأُمور في عكر دائم ليتسنى لهم ما يطلبون، والسحَرةُ أيضًا لأنهم يوهمون ضعاف العقيدة بالشعبذات ما يسبب الخلاف والشقاق والأمراض، مع أن السحر هو من الكبائر مقرون بالشرك وقتل النفس وحكم فاعله قاسٍ قد يكون القتل لأنه يضلل الناس. فمن يصدقه يدخل في الشرك مع فاعله. وهذا غير ما جاز من استعمال الرُّقَى الشرعية.

وأخيرًا فإن التعوذ يكون من شر الحاسد وهو الإنسان يحسد نفسَه بالتقصير والإهمال والكسل، أو المتمادي في حقده، بأن يكيد عمليًّا للمحسود ويوقع به الشر، فيتتبع مساوئه ويطلب عثراته، ويفسد عليه الناس والسعي. فإن لم يُظهر حسدَه بمثل هذا كان وباله عليه لاغتمامه بنعمة غيره.

أما قصة السحر التي أوردها المفسرون سببًا لنزول هذه السورة والتي بعدها فلا علاقة لها بالسورتين أصلًا، للفارق الزمني بين ما تروى فيه وبين نزول السورتين في مكة. والواجب استبعادها من تفسيرهما، لنزع ما تثيره في نفوس الناس من أوهام وتثبيط، وما تفتح به من أبواب لخداع الدجالين وأباطيلهم، في تضليل المفجوعين المحتاجين إلى عون الله ـ تعالى ـ وتوجيه المصلحين، لا إلى الكفر والدجل والابتزاز.

١١٤ـ سورة الناس

تفسير المفردات: الناس: البشر. ١ والملك: المالِك الآمِر الناهي والمعِزّ المُذِلّ، نافذًا أمره من دون عون أو منازع. ٢ الإلَه: المعبود =

= بحق الجامع لصفات الكمال والجلال كلها. ٣ الوسواس: الذي يغري بالشر والشكوك ويبغّض بالخير. والخنّاس: السريع النفور والعجز عن تأثيره في القلب. ٤ يوسوس: يحدّث بالشهوات والشرّ ليغري بها ويدعو إلى طاعته وترك الخير والصلاح. والصدور: جمع صدر، عُبِّرَ به عن القلب، موطن التدبر والاعتقاد والانفعال. ٥ الجِنّة: الجِنّ واحدهم جنّيّ، مخلوقات من النار. ٦

المعنى العام: توجيه النبي ﷺ ـ وأُمّته تقتدي به في ذلك ـ للتعوذ والالتجاء إلى خالق الناس ومالك أمورهم، من وسوسة شياطين الجن والإنس، ومن وسوسة الإنسان نفسه، في القلب. وبالتعوذ وذكرِ اسم الله يعجز الشيطان عن النفوذ والتأثير في النفوس، فيهرب خاسئًا حسيرًا.

تصويب ورجاء

ختامًا لهذا العمل المبارك ، نبلغ الإخوة الأحباب أننا قد راجعنا تصحيحه أكثر من عشر مرات ، ثم ظهر فيه أخطاء طباعية أو سبق قلم ، ولله المثل الأعلى . فالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل محمد كلزية الذي ساعدني في التصحيح مرتين وللقائمين على " مكتبة لبنان ناشرون " الذين أخرجوا هذا الإخراج الفائق ، وجزاهم الله جميعًا خير الجزاء .

وها نحن أولاء نستدرك بعض ما ند ، تاركين الباقي لأنه يسير البيان ومنه استدراك إشارة ربع الحزب في ص ٣٤ ، راجين أن يدعو كل منكم لنا بالعافية ، ويصحح نسخته كما يلي :

الصفحة	السطر	الصواب
٦	٢٤	الاستخلاف
٨٣	٢٨	على الله
١٤٠	٩	والواجب الوجود
١٤٦	١٤	ما يشبه كل منه بعضه بعضا ،
١٤٧	٣٤	والنعم
١٨٦	٢٦	أن يخاطب
٢٤٥	٣٢	ما لم يعلموا
٢٥٤	٨	حكمًا يفصل فيما اضطرب من الأديان .
٢٦٦	١	بناتي أي : ابنتاي وبنات قومي
٢٩٢	٣٤	بما يثيرون من الفتن والإفساد ،
٢٩٥	٣٢	الظاهرة البعيدة
٣٠٧	١١	البرُ
٣١١	الأخير	وعلمه لما يكون
٣٦٩	٢٢ و٢٣	جعلنا أمثال تلك النعم ملكًا لهم في الدنيا.
٣٨٥	الأخير	وارثين في عهد صلاحهم لبعض ما كان
٥٥٥	٢٨	بني المصطلق
٥٩٣	٢ و٣	الشفع : الزوج من جنس واحد .... والوتر: الله الواحد المتفرد بالألوهية .
٦٠٢	٧	والصيف إلى الشام
٦٠٢	٢٧	اذبح الإبل وغيرها من النعم للفقراء .

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين .

علامات الوقف ومصطلحات الضبط :

مـ تُفِيدُ لزُومَ الوَقْف

لا تُفِيدُ النَّهيَ عَن الوَقْف

صلى تُفِيدُ بأَنَّ الوَصْلَ أَوْلَىٰ مَعَ جَوازِ الوَقْفِ

قلى تُفِيدُ بأَنَّ الوَقْفَ أَوْلَىٰ

ج تُفِيدُ جَوازَ الوَقْفِ

∴ ∴ تُفِيدُ جَوازَ الوَقْفِ بأَحَدِ المَوْضِعَيْنِ وليسَ في كِلَيْهِمَا

ه للدِّلالَةِ عَلَىٰ زِيادَة الحَرْف وعَدَمِ النُّطق بِهِ

ه للدِّلالَةِ عَلَىٰ زِيادَةِ الحَرْف حِينَ الوَصْل

ـه للدِّلالَةِ عَلَىٰ سُكُونِ الحَرْفِ

م للدِّلالَةِ عَلَىٰ وُجُودِ الإِقلابِ

ً للدِّلالَةِ عَلَىٰ إِظْهارِ التَّنْوِين

ـً للدِّلالَةِ عَلَىٰ الإِدْغامِ وَالإِخْفاءِ

ا للدِّلالَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ النُّطق بالحُرُوفِ المَتْرُوكَةِ

س للدِّلالَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ النُّطق بالسِّين بَدَل الصَّاد

وَإذا وُضِعَتْ بالأَسْفَل فَالنُّطقُ بالصَّادِ أَشْهَر

~ للدِّلالَةِ عَلَىٰ لزُوم المَدِّ الزّائِد

۩ للدِّلالَةِ عَلَىٰ مَوْضِعِ السُّجُود ، أَمَّا كَلِمَةُ وُجُوبِ السُّجُود فَقَدْ وُضِعَ فَوْقَها خَطّ

۞ للدِّلالَةِ عَلَىٰ بدايَةِ الأَجْزاء وَالأَحْزاب وَأَنصافِها وَأَرباعِها

﴿٤﴾ للدِّلالَةِ عَلَىٰ نِهايَةِ الآيَةِ وَرَقْمِها .

فهرست هذا المصحف الشريف